شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل

للإمام العلامة

شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية

٦٩١هـ - ٧٥١هـ

تحقيق ودراسة

الدكتور/ أحمد بن صالح بن علي الصمعاني

من أول الكتاب إلى نهاية الباب العشرين

والدكتور/ علي بن محمد بن عبد الله العجلان

من الباب الحادي والعشرين إلى آخر الكتاب

تقديم

معالي الشيخ/ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

المجلد الأول

دار الصميعي
للنشر والتوزيع

شفاء العليل
في مسائل القضاء والقدر
والحكمة والتعليل

(١)

بسم اللہ الرحمن الرحیم

شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل

للإمام العلامة
شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية
٦٩١هـ - ٧٥١هـ

من أول الكتاب إلى نهاية الباب العشرين - تحقيقاً ودراسة

تحقيق ودراسة
الدكتور / أحمد بن صالح بن علي الصمعاني

المجلد الأول

دار الصميعي
للنشر والتوزيع

الطَّبعَة الثَّانيَة

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

دار الصميعي للنشر والتوزيع

هاتف ٤٢٦٢٩٤٥ ـ ٤٢٥١٤٥٩ فاكس ٤٢٤٥٣٤١
المركز الرئيس : الرياض ـ شارع السويدي العام
ص.ب ٤٩٦٧ الرمز البريدي ١١٤١٢
المملكة العربية السعودية
فرع القصيم : عنيزة ، أمام جامع الشيخ (بن عثيمين) يرحمه الله
هاتف ٣٦٢٤٤٢٨ تلفاكس ٣٦٢١٧٢٨

تقديم
معالي الشيخ / صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ
وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل لـه ، ومن يـضلل فـلا هادي له .

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك لـه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسـوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد :

فإن الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره أحد أركان الإيمان العظام ، وله في الشريعة مكانة عظيمة ؛ إذ هو سر الله في خلقه وهو نظام التوحيد ، ولا يحصل الإنسان إيمان إلا به ، قد جاء ذكره في القرآن الكريم والسنة المطهرة ؛ قال تعـالى : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان : ٢] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٩] .

وفي حديث جبريل المشهور ـ الذي عدَّه بعض أهل العلم أمَّ السنة ـ عن عمـر بـن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يُـرى عليـه أثـر الـسفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيـه على فخذيه ، إلى أن قال : فأخبرني عن الإيمان ؟ قال : « أن تؤمن بالقـدر خـيره وشره » . رواه مسلم .

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يؤمن عبدٌ حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله ، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه » رواه الترمذي .

وعند مسلم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز » .

وفي مسند الإمام أحمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا يدخل الجنة عاق ، ولا مدمن خمر ، ولا مكذّب بقدر » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال : « يا غلام ، إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألتَ فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلام وجفت الصحف » رواه الترمذي .

ولقد كانت عناية السلف بهذا الأمر عظيمة ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : القدر نظام التوحيد ، فمن وحّد الله وآمن بالقدر تم توحيده ، ومن وحد الله وكذب بالقدر نقص توحيده .

وعن الحسن البصري رحمه الله قال : إن الله قدّر أجلاً ، وقدّر معه مرضاً ، وقدّر معه معافاة ، فمن كذب بالقدر فقد كذب بالقرآن، ومن كذب بالقرآن فقد كذب بالحق .

وعن الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ أنه قال : القدر قدرة الله .

وقال غيره : القدر سر الله في خلقه .

ذلك أن إنكار القدر إنما هو في الحقيقة إنكار لقدرة الله على خلق أفعال العباد وكتابتها وتقديرها ، وعلى تصرفه في عبيده ، وعلى نفوذ مشيئته وعمومها ، ودقة حكمته وتعليلها .

ومن أهم ما يذكر في هذا الباب من مجمل اعتقاد السلف ما يلي :

أولاً : أن القدر على أربع مراتب :

المرتبة الأولى : العلم .

فهم يؤمنون بأن الله عالم بكل شيء علماً أزلياً ، فيعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون . قال تعالى : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٥٩] . وقال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [سبأ : ٢] . وقال تعالى : ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ :٣] . وقال تعالى : ﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الأنعام :٢٨] .

ولما سُئل النبي ﷺ عن أبناء المشركين قال : « الله أعلم بما كانوا عاملين » رواه البخاري .

وقال ﷺ : «ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار » .

وأعمال العباد تجري على ما سبق في علمه وكتابه .

المرتبة الثانية : الكتابة .

فقد كتب الله ما سبق به علمه من مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم ، وكتب آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وما يصيرون إليه من السعادة والشقاوة ، وكل ذلك مكتوب عنده في اللوح المحفوظ . قال تعالى : ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس : ١٢] . وقال تعالى : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج : ٧] .

وقال ﷺ : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة » . قال : « وكان عرشه على الماء » . رواه مسلم .

وقال ﷺ : « ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة أو النار ، إلا وقد كتبت شقية أو سعيدة » متفق عليه .

المرتبة الثالثة : المشيئة .

فلله المشيئة النافذة والقدرة الشاملة ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لا يكون ، فلا يقع شيء – من خير أو شر أو إيمان أو كفر أو حركة أو سكون – إلا وفق هذه المشيئة ، قال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [القصص : ٦٨] . وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [هود :١١٨] . وقال تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة : ٢٥٣].

وقال ﷺ : « إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء » رواه مسلم .

المرتبة الرابعة : الخلق والإيجاد .

فالله تعالى خالق كل شيء وموجده من العدم : ذاتاً وصفةً وفعلاً . قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر :٦٢]. وقال تعالى : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان :٢] . وقال تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء : ٢٣] . وقال تعالى : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر :٢٤] . وقال تعالى : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة :٤] . وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣﴾ [الرحمن: ١-٣] ، وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر : ٣] .

وكما أن الله ـ جل وعلا ـ هو خالق العباد فهو كذلك خالق أفعالهم من الطاعات والمعاصي والكفر والإيمان والحركات والسكنات وسائر التصرفات . قال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات : ٩٦] .

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال : « إن الله يصنع كل صانع وصنعته » .

ثانياً : من منهج أهل السنة والجماعة في باب الإرادة أنها تطلق في نصوص الكتاب والسنة على معنيين :

الأول : الإرادة الكونية القدرية الخلقية .

وهذه الإرادة لا يلزم منها محبة الله ولا رضاه ، بل يدخل فيها ما يحبه من الطاعات وأنواع القربات ، كما يدخل فيها ما يسخطه من الكفر وأنواع المعاصي،

ووقوعها متحقق لا يخرج عنها شيء البتة ، وهي المقصودة في قوله تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنعام :١٢٥] . وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩] ، وقوله تعالى : ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام :٣٩] .

والكفر والفسوق والعصيان ، وإنْ خلقه الله وأراده كوناً وقدراً ، إلا أنه تعالى لا يحبه ولا يرضى عن صاحبه ، بل يبغضه ويسخطه ؛ قال تعالى : ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر :٧] . وقال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ [البقرة : ٢٠٥] .

فهي تتعلق بما يقع بغضّ النظر عن كون ذلك المقدور محبوباً لله أو مكروهاً .

المعنى الثاني : الإرادة الشرعية الدينية الأمرية .

وهذه الإرادة هي التي تتعلق بما يحبه الله ويرضاه من القول والعمل والاعتقاد، إلا أنه لا يشترط فيها الوقوع .

فالله ـ جل وعلا ـ يريد من عباده : الإيمان ويأمرهم به ويرضاه لهم ، إلا أنه قد يؤمن العباد ، وقد يكفرون ، ولذلك قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن : ٢] مع أن الله لم يأمر من كفر بالكفر ولم يرده منه شرعاً بل نهاه عنه، وحذره منه ورتب عليه أنواعاً من العقوبات الدنيوية والأخروية .

وهذه الإرادة هي المقصودة في قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ

بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب :٣٣] ، وقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النساء : ٢٧-٢٨] .

ثالثاً : ومن عقيدة السلف أن للمخلوق مشيئة وإرادة واختياراً وله قدرة واستطاعة .

قال تعالى : ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ **[الكهف :٢٩] ، وقال تعالى:** ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ **[هود : ١٥] ، وقال تعالى :** ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً ﴾ **[المزمل : ١٩] .**

وما في الشريعة من أحكام وأوامر ونواهٍ وترغيب وترهيب ، وما اشتملت عليه من أنواع الزواجر والعقوبات الدنيوية والأخروية كلها دالة على هذه الإرادة مثبتة لها . إلا أن هذه المشيئة داخلة في مشيئة الله الكونية القدرية ، قال تعالى : ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ **[التكوير : ٢٩] . فأثبت مشيئة المخلوقين ، ثم بيَّن أنها داخلة في مشيئة الله ؛ لدفع إيهام الاستقلال .**

رابعاً : أن نسبة الهداية إلى الله نسبة قدرية كونية ونسبة شرعية أمرية فهو الذي قدرها وقضاها وأمر بها ومنحها من شاء من عباده تفضلاً منه ومِنَّة ؛ ولذلك قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ **[يونس: ٢٥] ؛**

فعمم الدعوة وخصص في الهداية بمن شاء .

وأما الإضلال فنسبته إلى الله نسبة خلق وإيجاد من جهة الإرادة الكونية القدرية لا من جهة الإرادة الشرعية الدينية ؛ ولذلك قال تعالى : ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت : ٤٦] ، وفي الحديث القدسي : « يا عبادي ، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه » رواه مسلم .

ولذلك كان الإنسان مأموراً بأن يشهد الربوبية عند فعل الطاعات وحصول النعم حتى يشكر الله ـ جل وعلا ـ عليها ؛ إذ هو المتفضل بها عليه بلا استحقاق ، وهذا هو شأن المؤمنين المعترفين لله بالفضل كما أخبر الله عنهم : ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

وأن يشهد القدر عند حلول المصائب وأنواع البلاء ؛ فيصبر ويسلم لله ويرضى بقضائه كما قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٦] .

وأما عند الذنوب والمعاصي فيُؤمر بشهود إساءته على نفسه وظلمه لهما بما يدفعه إلى التوبة والإنابة عسى أن يتجاوز الله عنه كما تجاوز عن أبويه إذ قالا : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٣] .

ومن استغفار النبي ﷺ قوله : « أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء لك بذنبي ؛ فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » رواه البخاري .

وهذا مما يغفل عنه كثير من الناس ؛ إذا لا يستحضرون فضل الله عليهم

بالهداية ، ولا يستشعرون منّته عليهم بأنواع النعم ، مما قد يوقع في العُجب ، والشعور باستحقاق الأجر بالعمل لا برحمة الله وفضله ؛ ولهذا أخبر النبي ﷺ أنه : « لا يدخل الجنة أحدٌ بعمله » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمته » ؛ بل إن النبي ﷺ قال : « لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم » رواه أبو داوود .

ومعنى الحديث: أن التعذيب لو وقع لكان لاستحقاقهم لذلك لا لكونه بغير ذنب .

ومن العبارات التي تذكر في هذا المقام قولهم : إن القدر يحتج به عند حصول المصائب لا عند فعل المعايب .

وبعد : فباب القدر من أهم أبواب العقيدة وأخطرها ، ولهذا نهى النبي ﷺ صحابته عن الخوض فيه ، وأمرهم إذا ذُكر القدر أن يمسكوا ؛ لأنه فوق قدرات البشر العقلية ، وهو سر مكتوم لم يطلع عليه مَلَك مقرب ولا نبي مرسل .

وقد رام قومٌ إليه سبيلاً فزلت فيه أقدامهم ، وتاهت فيه أفهامهم ، وضلت فيه عقولهم ، وفتحوا على أنفسهم وعلى الأمة باب فتنة لم يُخلقوا له ، ولم يُؤمروا به ، فوقفت بهم ركائبهم في صحراء تيهٍ على طرفَي نقيض ؛ فريقٌ أنكروا قدرة الخالق على خلق أفعال عباده ، ونسبوا خلقها إلى العباد أنفسهم ، فأشبهوا المجوس ، وفريق أنكروا أن يكون للمخلوق قدرة أو اختيار ، وإنما هو كالريشة في مهب الريح تميل معها حيث مالت ، فأشبهوا المشركين . ومذهب أهل السنة والجماعة ـ كما مر ـ وسطٌ بين الفريقين .

والخلاف في القدر خلاف قديم عريض، وأكثره مبني على الخلاف في المسائل التالية:

١- تعليل أفعال الله عز وجل .　　　　٢- التحسين والتقبيح .

٣- مفهوم الاستطاعة . ٤- مفهوم الظلم .

٥- الإرادة وعلاقتها بالمحبة والرضا .

مع ما تفرع عنها من مسائل أخرى : كوجوب فعل الأصلح على الله ، والتكليف بما لا يطاق وعلاقة إرادة المخلوق بإرادة الخالق .

ومنشأ الضلال فيه الحيدة عن منهج السلف ، واتباع غير سبيل المؤمنين ، وقياس أفعال الله ـ جل وعلا ـ على أفعال خلقه ، وتقديم العقل على النقل حيث يقررون أصولاً عقلية ثم يعمدون إلى نصوص الشرع فيؤولونها بما يتفق مع ما في أذهانهم من تلك المقررات العقلية .

وقد هيأ الله من سلف هذه الأمة وأئمة الهدى من يبين الحق ويدحض شبه القوم ، ويهدم أصولهم ، ولا زال علماء أهل السنة والجماعة متوافرين على ذلك يهدون الضال ، ويرشدون الحائر ، ويردون الشارد ، ويزيلون الالتباس ، وينفون عن دين الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين .

ولا تكاد كتب السلف تخلو من فصول وأبواب يردون فيها على الفِرق التي حادت عن منهج الحق في باب القدر . ومن الأئمة الذين تصدوا لهذا الأمر في رسائل وكتب مستقلة : الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز ، والإمام مالك بن أنس، وأبوداود سليمان بن الأشعث ، وابن وهب القرشي ، وأبوبكر جعفر الفريابي ، والإمام البخاري ، وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم كثير .

ومن أولئك الأئمة العالم الرباني الإمام المحقق شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، الذي ألف كتاباً كبيراً سماه : «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل » استوعب فيه غالب ما يتعلق بهذا الباب من مسائل ، محرراً محل النزاع ، منتصراً لمنهج السلف الصالح ، وهو كتاب نفيس لا يستغني

عنه طلاب العلم ، ولا يشبع منه العلماء ، وقد طُبع مراراً ، إلا أن غالب الطبعات بُنيت على نسخ خطية ناقصة مما جعل الفائدة منه غير مكتملة .

وقد وفَّق اللهُ الأخوين الكريمين : فضيلة الدكتور / أحمد بن صالح الصمعاني، وفضيلة الدكتور / علي بن محمد العجلان ، فقاما بتحقيق الكتاب.

وقد اطلعت عليه فألفيت ما قاما به جهداً مشكوراً وعملاً مبروراً .

وإني إذ أدوّن هذه الكلمات في التقديم لهذا الكتاب لأشكر الأخوين الكريمين على عملهما فيه ، وأقدّر لهما كل ما بذلاه فيه من وقت وجهد حتى خرج في حُلّته القشيبة ، وأسأل الله لهما مزيداً من التوفيق والسداد ، وأن يجزيهما خير الجزاء على العناية بهذا السفر العظيم .

وأن يهيئ لكتب السلف غير المخدومة من يميط عنها اللثام ، ويحقق نصوصها، ويقرّب عباراتها ، ويشرح غوامضها ؛ حتى تستفيد منها الأمة وينهل منها طلاب العلم ، عائدةً إلى منهج السلف وطرقهم الحميدة .

وصلى الله وسلم على نبيه الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين .

صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ

وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

كلمة الناشر

تتشرف دار الصميعي للنشر والتوزيع بالرياض بإخراج هذا السفر المبارك ، وهو كتاب « شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل » للإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله ، بتحقيق الأستاذين الفاضلين : الدكتور أحمد بن صالح الصمعاني ، والدكتور علي بن محمد العجلان ، اللذان اشتركا في تحقيق هذا المشروع المبارك لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

وارتأت دار الصميعي أن يُكتفى بالدراسة التي أعدها الدكتور أحمد الصمعاني للكتاب والترجمة لمؤلفه ، علماً أن للدكتور علي العجلان دراسة أخرى وترجمة للمؤلف، سوف يقوم إن شاء الله بنشرها في كتاب مستقل .

وقد تكرم معالي الشيخ / صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ بوضع مقدمة قيِّمة لهذا السفر ، فله منا جزيل الشكر والتقدير .

سائلين المولى عز وجل أن ينفع بهذا الكتاب المسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها .

الناشر

عبدالله بن حسن الصميعي

الرياض العامرة

٨/ ٩/ ١٤٢٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

وتشتمل على:

١ـ أسباب اختيار الموضوع وأهميته

٢ـ خطة البحث ومنهجي فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة[1]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[2] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[3] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[4] .

أما بعد :

فإن موضوع القضاء والقدر من أخطر الموضوعات العقدية التي خاض الناس فيها قديماً وحديثاً، ومعرفة الصواب فيه ضرورية لكل إنسان حتى يسلم من الزيغ والهلاك، فهو أحد أركان الإيمان الستة التي لا يتم إيمان العبد إلا بها .

---

(١) مقدمة الدكتور أحمد الصمعـانـي.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٠٢ .

(٣) سورة النساء، آية ١ .

(٤) سورة الأحزاب، آية ٧٠-٧١ .

وكان من فضل الله عز وجل عليَّ أنْ يكون موضوع رسالتي لنيل درجة «الدكتوراه» هو كتاب: «**شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**» من أول الكتاب إلى نهاية الباب العشرين تحقيقاً ودراسةً، والذي كان اختياري له للأسباب التالية :

١- لأنَّ مؤلفه هو الإمام ابن قيِّم الجوزية رحمه الله، المشهود له بطول الباع في العلم، والالتزام بالكتاب والسنة، والدفاع عنهما .

٢- قيمة الكتاب العلمية وحسن ترتيبه وتبويبه .

٣- حاجة الناس الماسة إليه، فهو يعالج موضوعاً من أهم الموضوعات العقدية التي يحتاجونها في كل وقت، خصوصاً في هذا العصر الذي انتشرت فيه بعض المذاهب الفاسدة، والأمراض النفسية الناتجة عن ضعف الإيمان .

٤-كونه متداولاً ومطبوعاً عدة طبعات تجارية خالية من التحقيق .

٥-إن أصل هذه الطبعات طبع على نسختين ناقصتين، إحداهما: نقصها قريب من نصف الكتاب، والأخرى ناقصة الورقة الأولى وأحد أبواب الكتاب، ولم تتم مقابلة النسخ في هذه الطبعات .

٦- أنني بتوفيق الله عز وجل عثرتُ على نسخةٍ كاملةٍ لهذا الكتاب تتلافى هذا السقط .

هذا ؛ وقد بذلت جهدي في تحقيق هذا الكتاب ودراسته، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده وهو المانُّ به، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان والله بريء منه ورسوله ﷺ .

وفي الختام أشكر فضيلة الشيخ عبدالرحمن البراك المشرف على هذا البحث على ما لقيته منه من متابعة وتوجيه وإرشاد، حيث استمع إلى هذا البحث كلمةً كلمة، وأفادني بتوجيهاته وإرشاداته، فجزاه الله عني خير الجزاء، وبلَّغه من خيرات الدنيا والآخرة آماله، وبارك له في جميع أحواله .

كما أشكر كلية أصول الدين بالرياض، ممثلة في فضيلة عميدها وأعضاء مجلسها الموقر على ما يبذلونه من مساعدة لطلابهم .

وأشكر أيضاً قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين بالرياض رئيساً وأعضاءً على حسن رعايتهم ومتابعتهم لطلابهم، وكذلك جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على ما هيَّأته لطلابها من فرص لمواصلة تحصيلهم العلمي .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

خطة البحث

سرتُ في هذا البحث وفق الخطة التالية :

القسم الأول : **الدراسة** . وتتضمَّن ما يلي :

أولاً : التعريف بالمؤلف . وفيه فصلان :

الفصل الأول : **عصر المؤلف** . وتحدثت فيه بإيجاز عن الحالة السياسية والاجتماعية والعلمية لهذا العصر .

الفصل الثاني : **حياة المؤلف** . وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : اسمه ونسبه، كنيته، لقبه، مولده .

المبحث الثاني : شيوخه، تلاميذه، ثناء العلماء عليه، وفاته .

المبحث الثالث : مؤلفاته .

ثانياً : التعريف بالكتاب ونسخه الخطية . وفيه فصلان :

الفصل الأول : اسمه، صحة نسبته إلى مؤلفه، تاريخ تأليفه، منهج المؤلف فيه، مصادره، مقارنته مع بعض ما أُلِّف في بابه، قيمته العلمية.

الفصل الثاني : التعريف بنسخه الخطية من حيث عددها، ووصفها، وبيان أماكن وجودها .

عملي في التحقيق:

كان أول عمل قمتُ به بعد جمع النسخ الخطية هو مقابلتها، وذلك وفق الأمور التالية :

١- نسختُ الكتاب من النسخة التركية « ت » وأثبتُّ أرقام صفحاتها على الهامش، حيث إنها هي النسخة الوحيدة الكاملة، مع اعتماد النص الصحيح أو الأَوْلَى من جميع النسخ في الأصل بين قوسين هكذا (   )، والإشارة إلى ما في النسختين الأخريين في الهامش .

٢- وضعت كل زيادة أو نقص في النص بين قوسين وأشرتُ إلى ذلك في الحاشية .

٣- إذا كان سقط إحدى النسخ حوالي سطر واحد أو أقل أو أكثر بقليل، ويدخل فيه اختلاف نسخ أخرى، فإني أضع في بدايته رقماً وفي نهايته الرقم نفسه .

٤- إذا كان السقط في إحدى النسخ كثيراً، فإني أضعه بين قوسين فوقهما نجمتان هكذا (*   *) .

٥- وثَّقتُ النصوص التي نقلها المؤلف، وذلك بإرجاعها إلى مصادرها التي وقفت عليها، سواء أكانت مطبوعة أم مخطوطة .

٦- قابلتُ تلك النصوص مع النص الذي ذكره المؤلف، وأشرتُ في الحاشية إلى الفروق بينهما .

٧- قابلت النسخ الخطية على طبعتي الحسينية بمصر، وطبعة دار الكتب

العلمية، بيروت، وأثبتُ نماذج من اختلافاتهما .

٨- اعتمدتُ الكتابة الإملائية الحديثة مع وضع علامات الترقيم .

٩- خرّجتُ الآيات القرآنية، مع إثباتها برسم المصحف، إلا إذا كان ما أثبتته إحدى النسخ يوافق إحدى القراءات المعروفة .

١٠- خرَّجتُ الأحاديث مع مقابلتها على الأصول التي نقل عنها المؤلف، وأثبت الفروق، وبيَّنتُ ما قاله بعض العلماء فيها .

١١- خرَّجتُ الآثار .

١٢- عرَّفتُ بالفِرَق والأماكن والقبائل .

١٣- بيَّنتُ المصطلحات الكلامية .

١٤-ترجمتُ للأعلام الذين ورد ذكرهم في الكتاب، ولم أترك إلا من لم أجد له ترجمة .

١٥-شرحتُ بعض الكلمات الغريبة .

١٦-ضبطتُ بالشكل ما يحتاج إلى ضبط .

١٧-عزوتُ الأبيات الشعرية إلى قائليها ما أمكنني ذلك .

١٨-قمتُ بعمل الفهارس اللازمة للكتاب .

الرموز المستعملة

ت : النسخة الخطية التركية .

م : النسخة الخطية المصرية .

ع : النسخة الخطية العراقية .

د : طبعة دار الكتب العلمية، بيروت .

س : طبعة المطبعة الحسينية بمصر .

رمزتُ لوجه ورقة النسخة الخطية (أ) ولظهرها (ب) .

رمزتُ لنهاية الصفحة بخط مائل هكذا / .

ك : كتاب .

أ . هـ : انتهى .

ط : الطبعة .

هـ : التاريخ الهجري .

ق. هـ : قبل الهجرة .

م : التاريخ الميلادي .

* * *

الفصل الأول

عصر المؤلف

- الحالة السياسية
- الحالة الاجتماعية
- الحالة العلمية

الحالة السياسية

لابد لمن يكتب عن الحالة السياسية في الفترة التي عاشها الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى أن يمر بذكر حدثين سبقا هذه الفترة زمنياً، ولكن كان لهما تأثيرهما الواضح عليه، وهما :

١- الحروب الصليبية .

٢- غزو التتار لبلاد الإسلام .

١- الحروب الصليبية :

وسأبدأ بذكر نبذة مختصرة عن الحروب الصليبية، حيث إنها الأقدم من حيث بدايتها، فهي بدأت سنة ٤٩٠هـ، واستمرت إلى سنة ٦٩٠هـ[1]. قبل مولد ابن قيم الجوزية بسنة واحدة، وسبب تسميتها بهذا الاسم يرجع إلى أن النصارى حملوا فيها صليب الصلبوت، الذي يزعمون أنه صلب عليه المصلوب، وجعلوه شعاراً لهم، وقد كان مصير هذا الصليب أن استولى عليه صلاح الدين الأيوبي[2] بعد معركة

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير (١٠/ ٢٧٢) نشر دار صادر ودار بيروت سنة ١٣٦٨هـ، والبداية والنهاية لابن كثير (١٣/ ٣١٩-٣٢١) نشر مكتبة المعارف، بيروت، ط. الثالثة ١٩٧٨م .

(٢) هو : يوسف بن نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان بن يعقوب، أبو المظفر صلاح الدين الأيوبي، ولد في تكريت سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة، وهو من أشهر ملوك الإسلام. وأخباره في جهاد الصليبيين مشهورة، ومنها هزيمته لهم في معركة =

حطين[١]، وأرسله إلى الخليفة في بغداد، فدُفن تحت عتبة باب النوى من دار الخليفة[٢] .

ويعزو المؤرخون قيام النصارى بهذه الحروب إلى أسباب عدة؛ منها :

١- ضعف العالم الإسلامي في تلك الفترة، وانشغال المسلمين بخلافاتهم فيما بينهم، والتي ساعد على تعميقها وجود كثير من الطوائف المنحرفة كالشيعة وغيرهم .

٢- خوف الدولة الفاطمية الشيعية في مصر من تنامي قوة الدولة السلجوقية « السنية » حيث تمكنت من حكم بلاد الشام إلى غزة، ولم يبقَ بينها وبين مصر ولاية أخرى تمنعها ودخول مصر، لذلك أرسلت الدولة الفاطمية إلى الإفرنج تدعوهم إلى الخروج إلى الشام ليملكوه، ويكونوا بينهم وبين السلاجقة[٣] .

٣- النفوذ الذي حصل عليه البابا ايربان الثاني بعد اختياره بابا لروما سنة ٤٨١هـ إذ أصبح المطاع بين الشعوب النصرانية، وهذا ما جعله يعقد مؤتمراً في

= حطين، واستعادته لبيت المقدس وعدد من المدن الإسلامية، وكانت مدة دولته نيفاً وعشرين سنة، ومات بدمشق سنة تسع وثمانين وخمسمائة. سير أعلام النبلاء (٢١/ ٢٧٨-٢٩٤) ط. الأولى، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، والبداية والنهاية (١٣/ ٣-٤)، ومعجم البلدان (٢/ ٤٩١) .

(١) حطين : موضع بين طبرية وعكا، بينه وبين طبرية نحو فرسخين . معجم البلدان لياقوت الحموي (٢/ ٢٧٤) نشر دار صادر، بيروت، سنة ١٤٠٤هـ .

(٢) انظر البداية والنهاية (١٢/ ٣٢٠، ٣٢١، ٣٣٢) .

(٣) انظر الكامل لابن الأثير (١٠/ ٢٧٣) .

عام ٤٨٩هـ بكلير مونت في فرنسا يدعو فيه النصارى إلى نبذ الخلاف فيما بينهم، وتوجيه قوتهم لحرب المسلمين، والاستيلاء على بلادهم، والتمتع بخيراتها بدلاً من حياة الفقر التي يعيشونها، وجعل مُسوِّغاً لدعوته هذه ادّعاءه ـ ظلماً وزوراً ـ مضايقة السلاجقة للنصارى الذين يقصدون « بيت المقدس »، وطلب من النصارى خلال عدة جولات له وبعض الأساقفة في عدد من مدن أوروبا الاستيلاء على « بيت المقدس »(١) .

٤- استنجاد ملك القسطنطينية الأرثوذكسي بالبابا المذكور بسبب مضايقة السلاجقة له وخوفه منهم، والتزامه للبابا في مقابل ذلك الخضوع له(٢) .

٥- يُضاف إلى ذلك أن هذه الدعوة صادفت هوىً في نفوس النصارى فتمكّنت ؛ وذلك بسبب العداوة الدينية بينهم وبين المسلمين، والتي نرى في هذا العصر أصدق شاهد عليها .

واستمرت هذه الحروب قرابة مائتي عام واجه فيها العالم الإسلامي سبع حملات صليبية، تمكن الصليبيون فيها من إيجاد موطئ قدم لهم في بلاد المسلمين، وتأسيس أربع إمارات، هي :

---

(١) انظر التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، الجزء الثاني من الكتاب السادس (ص٣٦، ٣٧، ٥٢، ٢٥٣) . ط. الثالثة ١٤٠٧هـ، نشر المكتب الإسلامي، بيروت .

(٢) انظر كتاب فضل الإسلام على الحضارة الغربية ص٧٤، تأليف مونتجمري وات، نقله إلى العربية حسين أحمد أمين، نشر دار الشروق، بيروت، ط. الثانية سنة ١٤٠٦هـ، وكتاب الإسلام والحضارة الغربية (١/ ٢٩٢) لمحمد كرد علي، ط. الثانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٠م .

١- إمارة الرها .　　　　٢- إمارة طرابلس .

٣- إمارة بيت المقدس .　　　　٤- إمارة أنطاكية .

وكان من أبرز أحداث تلك الحروب ما يلي :

١- استيلاء النصارى على بيت المقدس سنة ٤٩٢هـ بعد حصار دام نيفاً وأربعين يوماً، وقتلهم لعدد كثير من المسلمين[١]، وكان منذ افتتحه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة ست عشرة من الهجرة لم يزل بأيدي المسلمين إلى هذه السنة[٢] .

٢- معركة حطين، والتي تلقى النصارى فيها هزيمة منكرة على أيدي المسلمين بقيادة القائد المظفر صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، وذلك في سنة ٥٨٣هـ، وتُعدّ هذه المعركة من معارك الإسلام التاريخية، والتي لقَّنت النصارى درساً لن ينسوه، ويكفي ذلك ما قاله المؤرخ المعاصر لها ابن الأثير في وصف بعض أحداثها : « ... فكان من يرى القتلى لا يظن أنهم أسروا أحداً، ومن يرى الأسرى لا يظن أنهم قتلوا أحداً، وما أصيب الإفرنج منذ خرجوا إلى الساحل سنة إحدى وتسعين وأربعمائة إلى الآن بمثل هذه الوقعة »[٣] .

٣- استعادة بيت المقدس في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة واستنقاذه من

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير (١٠/ ٢٨٣-٢٨٤)، والمختصر في أخبار البشر لأبي الفداء عماد الدين بن إسماعيل (٢/ ٢١١) نشر دار الكتاب اللبناني، بيروت .

(٢) انظر النجوم الزاهرة (٥/ ١٤٩) نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

(٣) الكامل (١١/ ٣٧) .

أيدي النصارى بعد أن استحوذوا عليه مدة ثنتين وتسعين سنة كما استعيدت عددٌ من المدن ، وذلك على يد القائد المظفر صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى[١] .

٤- فتح عكا وبقية السواحل، وبذلك تم طرد النصارى من كل بلاد الشام، وذلك في سنة تسعين وستمائة على يد الملك الأشرف خليل[٢] بن قلاوون[٣] .

٢- التتار:

في الوقت الذي بدأ يضعف فيه المد الصليبي في بلاد الشام بدأت تظهر في شرق ديار الإسلام قوة عظيمة تتمتع بقدرة كبيرة على الحركة هي قوة التتار[٤] .

وأرض التتار بأطراف بلاد الصين، وهم سكان براري، ومشهورون بالشر والغدر، ولم يتقدم لهم سابقة بتملك (قبل جنكيز خان) وإنما هم بادية الصين[٥] .

وكان أول ظهور التتار بما وراء النهر سنة خمس عشرة وستمائة، فأخذوا

---

(١) انظر الكامل (١١/ ٥٤٦)، والبداية والنهاية (١٢/ ٣٢٣) .

(٢) هو : خليل بن قلاوون الصالحي، الملك الأشرف، صلاح الدين ابن السلطان الملك المنصور، من ملوك مصر، ولي بعد وفاة أبيه سنة (٦٨٩هـ)، وقد كان شهماً شجاعاً عالي الهمة، قتله بعض المماليك غيلة بمصر سنة (٦٩٣هـ) وكان فتح في مدة ملكه ـ وكانت ثلاث سنين ـ عكا وسائر السواحل، ولم يترك للإفرنج فيها معلماً ولا حجراً . انظر البداية والنهاية (١٣/ ٣٣٤٠-٣٣٥)، والنجوم الزاهرة (٨/ ٣) .

(٣) انظر البداية والنهاية (٣/ ٣٢٠) .

(٤) نقلاً من كتاب التاريخ الإسلامي رقم (٦) الجزء الثاني (ص٣٤٥) باختصار .

(٥) تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص٤٦٧، ٤٦٨) تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد .

بخارى وسمرقند وقتلوا أهلها[١]، ثم واصلوا زحفهم حتى وصلوا إلى بغداد شهر محرم سنة ٦٥٦هـ، فحاصروها، ومما شجعهم على ذلك مكاتبة ابن العلقمي[٢] الرافضي وزير المستعصم بالله[٣] لهم وتزيينه ذلك لهم، وعندما تمت محاصرة بغداد أشار ابن العلقمي، ونصير المشركين[٤] الطوسي[٥] على

---

(١) تاريخ الخلفاء ص٤٧٠ .

(٢) هو : محمد بن محمد بن علي بن أبي طالب ابن العلقمي، البغدادي الرافضي، وزر للمستعصم أربع عشرة سنة، وكان رافضياً خبيثاً رديء الطوية على الإسلام وأهله، مالأ التتار على المسلمين، ثم حصل له بعد ذلك من الإهانة والذل على أيدي التتار حتى مات كمداً سنة ست وخمسين وستمائة . سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٦١)، والبداية والنهاية (١٣/ ٢١٢) .

(٣) هو : أبوأحمد، عبدالله ابن المستنصر بالله منصور ابن الظاهر محمد ابن الناصر الهاشمي، العباسي، ولد سنة تسع وستمائة، واستخلف سنة أربعين وستمائة بعد موت أبيه، وكان فاضلاً كريماً حليماً ديِّناً، ولكن كان فيه لين وعدم تيقظ، قتله هولاكو سنة ست وخمسين وستمائة، فكان آخر خلفاء بني العباس في العراق. سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣/ ١٧٤)، والبداية والنهاية (١٣/ ٢٠٤) .

(٤) سماه المؤلف رحمه الله « نصير الشرك والكفر الملحد، وزير الملاحدة » . انظر إغاثة اللهفان (٢/ ٢٦٧) تحقيق محمد الفقي، نشر دار المعرفة، بيروت .

(٥) هو : محمد بن محمد بن الحسن، أبو جعفر النصير الطوسي، فيلسوف، وزر لهولاكو فشفا نفسه من أتباع الرسول ﷺ وأهل دينه، فعرضهم على السيف حتى شفا إخوانه من الملاحدة واشتفى هو، فقتل الخليفة والقضاة والفقهاء والمحدثين، واستبقى الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين والسحرة، ونقل أوقاف المدارس والمساجد والربط إليهم . مات في بغداد سنة اثنتين وسبعين وستمائة . انظر إغاثة اللهفان (٢/ ٢٦٧)، والبداية والنهاية (١٣/ ٢٦٧)، والأعلام لخير الدين الزركلي (٧/ ٣٠) ط. الخامسة ١٩٨٠م، نشر دار العلم للملايين، بيروت .

هولاكو بقتل الخليفة وحسّنوا له ذلك، فقتله ومن معه، وبذلك تم القضاء على الخلافة العباسية في بغداد، ثم مالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان، وما زال السيف يقتل أهلها أربعين يوماً، ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير[١] والقنى[٢] والمقابر كأنهم الموتى إذا نُبشوا من قبورهم، وقد أنكر بعضهم بعضاً فلا يعرف الوالد ولده، ولا الأخ أخاه، وأخذهم الوباء الشديد، فتفانوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى، وتعطلت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد، وأراد الوزير ابن العلقمي ـ قبّحه الله ولعنه ـ أن يعطل المساجد والمدارس والربط ببغداد، ويستمر بالمشاهد ومحال الرفض، وأن يبني للرافضة مدرسة هائلة ينشرون علمَهم وعَلَمَهم بها وعليها، فلم يقدره الله تعالى على ذلك، بل أزال نعمته عنه، وقصف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة، وأتبعه بولده[٣].

ويذكر المؤرخون في سبب ممالأة الوزير ابن العلقمي للتتار أنه وقعت فتنة عظيمة ببغداد سنة (٦٥٥هـ) بين الرافضة وأهل السنة، فنُهبَ الكرخُ ودور الرافضة، فحنق الوزير ابن العلقمي، ونوى الشر في الباطن، وكان يجتهد في صرف الجيوش وإسقاط اسمهم من الديوان، إلى أن لم يُبْق سوى عشرة آلاف، ثم كاتب التتار، وأطمعهم في أخذ البلاد، وسهّل عليهم ذلك، وحكى لهم

---

(١) المطامير: هي الحفر، تحفر تحت الأرض. المصباح المنير ص(٣٧٨).

(٢) القنى: جمع قناة، وهي المحفورة بالأرض. المرجع السابق ص(٥١٧).

(٣) البداية والنهاية (١٣/ ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣) بتصرف. وانظر ذيل مرآة الزمان لأبي الفتح اليونيني (١/ ٨٥-٨٩) نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٣٧٤هـ، والمختصر في أخبار البشر لأبي الفداء (٣/ ١٩٣-١٩٤).

حقيقة الحال، وكشف لهم ضعف الرجال، وذلك كله طمعاً منه أن يزيل السنة بالكلية، وأن يظهر بدعة الرافضة، وأن يقيم خليفة من الفاطميين، وأن يبيد العلماء والمفتين، والله غالب على أمره، وقد ردَّ كيده في نحره[(١)] .

- **التتار وغزو الشام:**

واصل التتار زحفهم حتى وصلوا إلى حلب في شهر صفر سنة ٦٥٨هـ، فحاصروها سبعة أيام، ثم استولوا عليها بالأمان، فغدروا بأهلها وقتلوا منهم خلقاً لا يعلمهم إلا الله عز وجل ، ونهبوا الأموال، وسبوا النساء والأطفال، وجرى عليهم قريب مما جرى على أهل بغداد، ثم أرسل هولاكو وهو نازل على حلب جيشاً مع أمير من كبار دولته يقال له «كتبغانوين» فوردوا دمشق في آخر صفر فأخذوها سريعاً من غير ممانعة ولا مدافع، وسلموها إلى أمير منهم يقال له «ابل سيان»، وكان معظماً لدين النصارى، فصارت لهم دولة وصولة، فأظهروا شعائر دينهم وتعمدوا إهانة المسلمين .

ولما بلغ الملك المظفر قطز[(٢)] «سلطان مصر» ما كان من أمر التتار بالشام

---

(١) البداية والنهاية (١٣/ ٢٠٢) .

(٢) هو : سيف الدين قطز بن عبدالله المعزي، أخص مماليك المعز التركماني، ثم صار نائب السلطنة لولده المنصور، ولما سمع بأمر التتار خاف أن تختلف الكلمة لصغر المنصور فعزله، وبويع بالسلطنة سنة سبع وخمسين وستمائة، وكان فارساً شجاعاً، ديناً، هزم التتار، وطهر الشام منهم يوم عين جالوت . قتله بعض الأمراء وهو راجع إلى مصر سنة ثمان وخمسين وستمائة . سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٠٠)، والبداية والنهاية (١٣/ ٢٢٥) .

وأنهم عازمون على الدخول إلى ديار مصر بعد تمهيد ملكهم بالشام، بادرهم قبل أن يبادروه، فخرج في عسكره وقد اجتمعت الكلمة عليه، حتى انتهى إلى الشام، واستيقظ له عسكر المغول وعليهم « كتبغانوين » فساروا إليه، وسار المظفر إليهم فكان اجتماعهم على « عين جالوت »[(١)] يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان، فاقتتلوا قتالاً عظيماً، فكانت النصرة - ولله الحمد - للإسلام وأهله، فهزمهم المسلمون هزيمة هائلة، وقتل أمير المغول « كتبغانوين » وجماعة من بيته، وكبت الله النصارى واليهود والمنافقين والرافضة .

ولما كسر الملك المظفر قطز عساكر التتار بعين جالوت ساق وراءهم ودخل دمشق في أبهة عظيمة، وفرح به الناس فرحاً شديداً، ودعوا له دعاءً كثيراً، ثم بعد ذلك استرد حلب[(٢)]، وبذلك أصبحت الشام تابعة لدولة المماليك التي تتخذ من القاهرة عاصمة لها .

وفي سنة (٧٠٢هـ) وصل التتار إلى الشام، فعاثوا فساداً بحمص وبعلبك، والتقوا مع الجيوش المصرية والشامية بقيادة السلطان الناصر محمد بن قلاوون في معركة تعرف باسم « شقحب » في الطرف الشمالي من مرج الصُّفَّر - ولا يزال الاسم معروفاً إلى الآن[(٣)] - وكتب الله فيها النصر للمسلمين، وقُتل التتار مقتلة عظيمة، وقد كان لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في هذه المعركة

---

(١) عين جالوت : بليدة لطيفة بين بيسان ونابلس، من أعمال فلسطين. معجم البلدان (٤/ ١٧٧) .

(٢) البداية والنهاية (١٣/ ٢١٨-٢٢٢) بتصرف .

(٣) انظر التاريخ الإسلامي (٧/ ٥٨) .

موقف مشهور تبيَّن فيه ما يتمتع به من شجاعة وقوة وعلم وحب للجهاد[١] .

وبعد أن اختلط التتار بالمسلمين أسلم كثير منهم، وممن أسلم بعضُ أبناء جنكيز خان[٢]، وهولاكو[٣] .

الحالة السياسية في عصر المؤلف:

عاش ابن القيم رحمه الله في الفترة من عام ٦٩١هـ إلى ٧٥١هـ، ويظهر أنه قضى معظم حياته في الشام، وقد ارتحل عنها للحج مرات كثيرة، وجاور بمكة فترة من الزمن، كما انتقل إلى القاهرة في بعض الأحيان، وقد كانت الشام في ذلك العصر المعروف بعصر سلاطين المماليك البحرية[٤] (٦٥٦هـ - ٧٩٢هـ) تابعة لمصر، ويحكمها نائب من قبل السلطان بالقاهرة يعرف بنائب الشام[٥] .

وقد شهدت حياة ابن القيم حكم عدد من سلاطين المماليك البحرية، أولهم الأشرف خليل بن قلاوون، وآخرهم الناصر حسن بن الناصر محمد[٦] .

---

(١) انظر البداية والنهاية (١٤/ ٢٣-٢٦، ٨٩)، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، ص٤٨٤ .

(٢) مثل بركة خان . انظر البداية والنهاية (١٣/ ٢٣٨) .

(٣) مثل قازان . انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٤٨٣ .

(٤) سُموا بذلك نسبة إلى بحر النيل، وهم مماليك السلطان نجم الدين أيوب، وقد كثر عددهم، فبنى له قلعة في جزيرة الروضة وسط النيل، وقد حكموا من سنة ٦٤٨هـ إلى ٧٩٢هـ . انظر : حسن المحاضرة (٢/ ٣٤) تحقيق محمد إبراهيم، نشر دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة سنة ١٣٨٧هـ . والتاريخ الإسلامي (٧/ ٣٦) .

(٥) نقلاً من كتاب: ابن قيم الجوزية، جهوده في الدرس اللغوي للدكتور طاهر حمودة ص١١ . بتصرف . نشر دار الجامعات المصرية سنة ١٣٩٦هـ، الإسكندرية .

(٦) هو : الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون، أبو المحاسن، من ملوك الدولة

وتميزت تلك الفترة بنوع من الاستقرار النسبي ؛ لأن معظمها كان في حكم الناصر محمد بن قلاوون[1]، وهو من أشهر السلاطين وأطولهم مدة في الحكم .

* * *

= القلاوونية بمصر والشام، بويع بمصر صغيراً بعد مقتل أخيه حاجي المظفر سنة ٧٤٨ هـ، واستمر إلى سنة ٧٥٢هـ، ثم خلعه بعض أمراء الجند وولوا أخاه صالحاً ثم خلعوه سنة ٧٥٥هـ، وأعادوا الناصر حسن إلى الحكم، واستمر إلى سنة ٧٦٢هـ حيث قبض عليه مملوكه (يلبغا) فكان هذا آخر العهد به . البداية والنهاية (١٤/ ٢٢٤، ٢٣٣، ٢٤٠، ٢٥١، ٢٧٨) والنجوم الزاهرة (١٠/ ١٨٧، ٣١٨) .

(١) هو : الناصر بن محمد بن قلاوون الصالحي، أبوالفتوح، من كبار ملوك الدولة القلاوونية، ولد بالقاهرة سنة ٦٨٤هـ، له آثار عمرانية ضخمة وتاريخ حافل بجلائل الأعمال، مات بالقاهرة سنة ٧٤١هـ، وكانت مدة ملكه قرابة ٤٣ عاماً . البداية والنهاية (١٣/ ٣١٦)، والنجوم الزاهرة (٨/ ٤١) .

الحالة الاجتماعية

بتتبُّع الفترة التي عاشها الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله يظهر أن الناس ما زالوا يعانون من حالة الخوف الشديد وغلاء الأسعار، ففي سنة ٦٩٩هـ تواترت الأخبار بقصد التتار بقيادة قازان بلاد الشام، وخاف الناس خوفاً شديداً على أنفسهم وأهليهم وأموالهم، وقد هرب جماعةٌ من أعيان دمشق وغيرهم إلى مصر، وعاث اللصوص في ظاهر البلد، فكسروا أبواب البساتين واقتعلوا من الأبواب والشبابيك شيئاً كثيراً، وغلت الأسعار جداً [١] .

وكان هذا من جهة الكرج والأرمن من النصارى، الذين هم مع التتار ـــ قبَّحهم الله ـــ، وسبى التتار من أهل دمشق خلقاً كثيراً، وفُرِضت أموالٌ كثيرةٌ على البلد موزعة على أهل الأسواق، ولزم الناس منازلهم لئلا يُسَخَّروا في طم الخندق، وكانت الطرقات لا يُرى بها أحدٌ إلا القليل، والجامع لا يُصلي فيه أحدٌ إلا اليسير، ويوم الجمعة لا يتكامل فيه الصف الأول، ومن خرج من منزله في ضرورة يخرج بثياب زيهم، ثم يعود سريعاً، ويظن أنه لا يعود إلى أهله، والمصادرات والتراسيم والعقوبات عمّالة في أكابر أهل البلد ليلاً ونهاراً [٢] .

وفي سنة (٧٠٠هـ) وردت الأخبار بقصد التتار بلاد الشام، فانزعج الناس لذلك، وطاشت عقولهم وألبابهم، وشرع الناس في الهرب إلى مصر وغيرها، وغلت الدواب، وبيعت الأمتعة بأرخص الأثمان، وغلت الأسعار بدمشق جداً، ثم جاءت الأخبار بأن ملك التتار قد رجع عامه ذلك ؛ لضعف جيشه

---

(١) انظر البداية والنهاية (١٤/ ٦-٧) .

(٢) نقلاً من البداية والنهاية (١٤/ ٦-٩) بتصرف .

وقلة عددهم، فطابت النفوس لذلك وسكن الناس، وعادوا إلى منازلهم [(١)] .

وفي سنة (٧٠٢هـ) قويت الأخبار بعزم التتار على دخول بلاد الشام، فانزعج الناس لذلك واشتدَّ خوفهم جداً، وشرع الناس في الهرب إلى مصر وغيرها، وتأخر مجيء العساكر المصرية عن إبانها فاشتدَّ لذلك الخوف، وعندما اجتمعت الجيوش الشامية المصرية والتقت مع التتار في وقعة « شقحب » في الطرف الشمالي من « مرج الصُّفّر » وبدأت الأخبار ترد بهزيمة التتار، وتتزايد قليلاً قليلاً، حتى اتضحت جملة، ولكن الناس لما عندهم من شدة الخوف وكثرة التتار لا يصدِّقون حتى جاء كتاب السلطان بذلك[(٢)] .

وفي سنة (٧٠٩هـ) كثر الخوف في دمشق، وانتقل الناس من ظاهرها إلى داخلها، وسبب ذلك أن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ركب من الكرك قاصداً دمشق بطلب عودة الملك إليه، ولم يسكن الناس إلا عندما عاد السلطان إلى الكرك[(٣)] .

وفي سنة (٧١٢هـ) حصل للناس خوفٌ شديد بسبب أن التتار قد تحركوا للمجيء إلى الشام، فانزعج الناس من ذلك، وخافوا وتحول كثير منهم إلى البلد، وازدحموا في الأبواب، وكثرت الأراجيف، ثم بعد ذلك رجع التتار عن ذلك، وكان سبب رجوعهم قلة العلف، وغلاء الأسعار، وموت كثير منهم، فسكنت النفوس، وعمَّت البشائر[(٤)] .

---

(١) نقلاً من البداية والنهاية (١٤/ ١٤-١٦) بتصرف .

(٢) نقلاً من البداية والنهاية (١٤/ ٢٢-٢٥) بتصرف .

(٣) البداية والنهاية (١٤/ ٥١) .

(٤) البداية والنهاية (١٤/ ٦٦) .

وفي سنة (٧٤٧هـ) انزعج الناس بسبب الخلاف الحاصل بين نائبي السلطان في دمشق وصفد، كما انزعجوا بسبب خشيتهم من قدوم الجيش المصري لحربهم[(١)].

ويظهر مما سبق أنه لم يكن مصدر خوف الناس وانزعاجهم من التتار فقط، بل قد يكون أحياناً بسبب الخلاف بين الحكام المسلمين، مما جعل حياة الناس في هذه الفترة غير مستقرة، ومعلومٌ أن فقدان الناس للأمن ينتج عنه عدم قدرتهم على الكسب والعمل الذي يكون سبباً في قلة الإنتاج وغلاء الأسعار، وشظف العيش، وأحياناً يؤدي إلى الجوع، وهذا ما حصل في دمشق عدة مرات[(٢)].

ولما كان حكم سلاطين المماليك يعتمد على المماليك، فقد حرص كل سلطان على إرضاء أمرائهم، ليضمن تأييدهم له، وذلك يتمثل بإغداق الأموال عليهم، وهذا يستلزم ـ غالباً ـ فرض ضرائب يدفعها الشعب[(٣)].

كما كان بعض السلاطين يلجأ إلى السماح لأنواع من الأعمال غير المشروعة، ويضرب عليهم الرسوم، كحانات الخمور، والذي لا يلبث أن يلغى[(٤)] وذلك في سبيل الحصول على الأموال.

كما أن السلطان يقطع كبار الأمراء الإقطاعات الواسعة، وكثيراً ما كانوا

---

(١) البداية والنهاية (١٤/ ٢١٨-٢١٩).

(٢) كما في سنة ٧٠٠هـ، ٧٢٤هـ، ٧٤٣هـ، ٧٣٨هـ. انظر البداية والنهاية (١٣/ ٣٤٣، ٣٤٨) و (١٤/ ١٦، ١١٤، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٢٤).

(٣) انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٣٢٨، ٣٤٨) (١٤/ ٦٢، ٦٧، ٨٢، ١١١، ٢٧٥).

(٤) انظر: البداية والنهاية (١٤/ ٥٠، ٧٠، ٨٢، ٢٤٠).

يهملونها .

ويستأثر بعض الولاة لنفسه طائفة كبيرة من بيت المال وأموال المسلمين[١] .

كما كانت بعض الأمور المخالفة للشرع موجودة في ذلك المجتمع، كأكل الحشيشة[٢]، والرشوة[٣]، والمحلل والمحلل له ـ أو التيس المستعار[٤]ـ، واللهو والطرب، وهذا لم تسلم منه أشرف الأماكن، قال ابن القيم رحمه الله : « ومن أعظم المنكرات تمكينهم ـ أي أصحاب اللهو والطرب ـ من إقامة هذا الشعار الملعون، هو وأهله في المسجد الأقصى عشية عرفة، ويقيمونه ـ أيضاً ـ في مسجد الخيف أيام منى، وقد أخرجناهم منه بالضرب والنفي مراراً، ورأيتهم يقيمونه بالمسجد الحرام نفسه، والناس في الطواف، فاستدعيت حزب الله وفرقنا شملهم، ورأيتهم يقيمونه بعرفات، والناس في الدعاء، والتضرع، والابتهال والضجيج إلى الله، وهم في هذا السماع الملعون باليراع والدف والغناء، فإقرار هذه الطائفة على ذلك فسقٌ يقدح في عدالة من أقرهم ومنصبه الديني »[٥] .

ولم يقف العلماء موقف المتفرج من هذه المنكرات وغيرها، بل بيَّنوا حكمها باللسان والقلم، وغيَّروها باليد إذا لزم الأمر، وقدروا على ذلك، ومن ذلك ما قام به شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وأصحابه من تكسير آنية الخمور

---

(١) انظر : البداية والنهاية (١٤/ ٥٩) .

(٢) انظر : البداية والنهاية (١٤/ ٣٣، ١١٣) .

(٣) انظر : البداية والنهاية (١٤/ ٦٦) .

(٤) انظر : إغاثة اللهفان (١/ ٢٦٨-٢٦٩) .

(٥) إغاثة اللهفان (١/ ٢٣١) .

وإراقتها، وتعزير جماعة من أهل الحانات المتخذة لها[١] .

واستتابته ـ رحمه الله ـ لمن كان يقول كلام الفحش، ويأكل ما يغيّر العقل من الحشيشة وما لا يجوز من المحرمات وغيرها[٢] .

وأمره أصحابه ومعهم حجّارون بقطع صخرة بنهر قلوط تُزار ويُنذر لها[٣] .

ومناظرته الأحمدية[٤] من الصوفية، وبيانه لبطلان ما هم عليه من الأحوال الشيطانية التي يتعاطونها، مما كان سبباً في اتفاق الحال على أن من خرج عن الكتاب والسنة ضربت عنقه . وقد صنف الشيخ ابن تيمية جزءاً[٥] في طريقة الأحمدية بيَّنَ فيه أحوالهم ومسالكهم وتخيُّلاتهم، وما في طريقتهم من مقبول ومردود بالكتاب، وأظهر الله السنة على يديه، وأخمد بدعتهم[٦] .

---

(١) البداية والنهاية (١٤/ ١١) .

(٢) انظر البداية والنهاية (١٤/ ٣٣-٣٤) .

(٣) انظر : البداية والنهاية (١٤/ ٣٤) .

(٤) الأحمدية ـ إحدى الطرق الصوفية ـ تنسب إلى الشيخ أحمد بن أبي الحسن، المعروف بابن الرفاعي، وتُسمى أيضاً الرفاعية، كما تُسمى البطائحية لسكناه أم عبيدة من قرى البطائح، وهي بين البصرة وواسط، ولأتباعه حيل شيطانية كدخول النار، وقد ناظرهم شيخ الإسلام ابن تيمية وبين بطلان ما هم عليه. انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ٤٤٦) جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم. ط. الأولى ١٣٩٨هـ، والبداية النهاية (١٢/ ٣١٢) و (١٤/ ٣٦) .

(٥) وقد طبع هذا الجزء بعنوان مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية بتعليق عبدالرحمن دمشقية . ونشر دار طيبة بالرياض ط١. سنة ١٤٠٨هـ، وهذا الجزء موجود في فتاوى ابن تيمية (١١/ ٤٤٦-٤٧٥) .

(٦) انظر : البداية والنهاية (١٤/ ٣٦).

ومن ذلك ـ أيضاً ـ تسببه رحمه الله في إصدار السلطان الناصر محمد بن قلاوون أمراً بأن لا يُولَّى أحدٌ بمال ولا برشوة، فإن ذلك يفضي إلى ولاية من لا يستحق الولاية، وإلى ولاية غير الأهل[1] .

ومن ذلك سعي العلماء في تبطيل الوقيد ليلة النصف من شعبان[2] .

* * *

(١) انظر : البداية والنهاية (١٤/ ٦٦).

(٢) انظر : البداية والنهاية (١٤/ ٣٤، ٤٦، ٢٣٥، ٢٤٠).

الحالة العلمية

تبيَّن مما سبقت الإشارة إليه في الحالتين: السياسية والاجتماعية عدم الاستقرار والأمن، إلا أن ذلك لم يمنع العلماء من القيام بواجبهم في نشر العلم، وتعليمه للناس، والرد على أهل الباطل، وبيان زيفهم، وتفنيد شبهاتهم، فهذه الفترة تُعد من أغنى مراحل التدوين، وبرز فيها كثير من العلماء الأفذاذ [(١)] .

وهذا على الرغم مما تعرضت له مساجد دمشق ودور العلم فيها من نهب وتخريب وإحراق على يد التتار [(٢)] .

ولعلَّ سبب هذه النهضة العلمية المباركة هو تمكُّن الدين من نفوس سلاطين المماليك والناس عامة، ويبدو هذا في كثرة المنشآت الدينية التي ظهرت في تلك المرحلة من مساجد، ومدارس، وأربطة، وحلقات علمية، تقوم على تدريس العلوم الشرعية، وتوفير الخدمات لطلبتها [(٣)] .

وقد كان للحروب التي خاضها المسلمون ضد الصليبيين والتتار ومساندة الرافضة وغيرهم من الفرق الضالة لهم دورٌ في إحياء الحماسة لدى المسلمين للدفاع عن دينهم بمختلف أنواع الوسائل، ومنها تأليف الكتب في بيان بطلان العقائد والمذاهب الباطلة، وكشف زيفها .

وقد كان بدمشق في الفترة التي عاشها ابن القيم رحمه الله مدارس كثيرة، من أشهرها :

---

(١) سأذكر بعض أسماء هؤلاء العلماء في مبحث شيوخ المؤلف وتلاميذه إن شاء الله .

(٢) انظر : البداية والنهاية (١٤/ ٨-٩) .

(٣) انظر : التاريخ الإسلامي (٧/ ١٦) .

١- **الظاهرية** : وتنسب إلى مؤسسها الملك الظاهر ركن الدين بيبرس المتوفى سنة ٦٧٦هـ، وهناك مدرسة أخرى باسم « الظاهرية البرانية »[(١)] .

٢- **الجوزية** : وتنسب إلى واقفها محيي الدين يوسف بن عبدالرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي، الذي قتل مع الخليفة والفقهاء ببغداد سنة ٦٥٦ هـ على أيدي التتار[(٢)]، وتقع هذه المدرسة في سوق البزورية المسمى قديماً سوق القمح[(٣)] .

قال ابن بدران : « وقد اختلس جيرانها معظمها، وبقي منها الآن بقية، ثم صارت محكمة إلى سنة ١٣٢٧هـ وهي الآن مقفلة »[(٤)] .

وقال الأستاذ أحمد عبيد بعد كلام ابن بدران : « فتحتها جمعية الإسعاف الخيري، وجعلتها مدرسة لتعليم الأطفال »[(٥)] .

وقال الأستاذ محمد مسلم الغنيمي : « ثم إنها احترقت سنة ١٩٢٥م أثناء الثورة السورية على الفرنسيين، ثم أعيد بناؤها الآن »[(٦)] .

---

(١) البداية والنهاية (١٣/ ٢٧٦، ٣٣٢، ٣٣٩) .

(٢) البداية والنهاية (١٣/ ٢١١) .

(٣) البداية والنهاية (١٤/ ١٣٣) .

(٤) منادمة الأطلال (ص٢٢٧)، الطبعة الثانية، سنة ١٣٧٩هـ، نشر المكتب الإسلامي بدمشق .

(٥) مقدمة كتاب « روضة المحبين » ص٤، تقديم أحمد عبيد، طبع مطبعة السعادة بمصر، نشر المكتبة التجارية الكبرى سنة ١٣٧٥هـ .

(٦) في كتابه « ابن قيم الجوزية » ص١٠، ط١، سنة ١٣٩٧هـ، نشر المكتب الإسلامي بدمشق .

٣- **الصدرية** : وتنسب إلى واقفها صدر الدين أسعد بن عثمان بن أسعد بن المنجي بن بركات بن المؤمل التنوخي، الدمشقي، المتوفى سنة ٦٥٧هـ، وقد درس بها الإمام ابن القيم سنة ٧٤٣هـ[(١)] .

٤- **المدرسة العادلية الكبرى** : تقع في داخل دمشق تجاه باب الظاهرية، يفصل بينهما الطريق، أول من أنشأها نورالدين محمود بن زنكي، وتوفي ولم تتم، وبنى بعضها الملك العادل سيف الدين ـ وإليه نسبت ـ ثم أتمها ولده الملك المعظم وأوقف عليها الأوقاف[(٢)]، ودرَّس بها عدد من أعيان مشايخ الشافعية .

٥- **دار الحديث الأشرفية** : بُنيت سنة ٦٣٠هـ، وتُنسب إلى واقفها الملك الأشرف موسى ابن العادل، المتوفى سنة ٦٣٥هـ، وهو باني جامع التوبة، وجامع جراح[(٣)] .

٦- **الإقبالية** : ويوجد بهذا الاسم مدرستان: إحداهما للشافعية، والأخرى للحنفية، وتنسبان إلى واقفهما جمال الدين، إقبال ـ خادم صلاح الدين ـ المتوفى سنة ٦٠٣هـ[(٤)] .

٧- **الخاتونية الجوانية** : وتنسب إلى واقفتها الست خاتون عصمت بنت معين الدين، زوجة نورالدين، المتوفاة سنة ٥٨١هـ[(٥)] .

---

(١) انظر : البداية والنهاية (١٣/ ٢١٦) (١٤/ ٢٠٢)، وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٧٥) .

(٢) الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي (١/ ٣٥٩) تحقيق جعفر الحسيني، نشر المجمع العلمي بدمشق سنة ١٣٦٨هـ .

(٣) البداية والنهاية (١٢/ ٢٣، ١٣٥، ١٤٦)، والدارس في تاريخ المدارس (١/ ١٩) .

(٤) البداية والنهاية (١٣/ ٤٦)، والدارس في تاريخ المدارس (١/ ١٥٨) .

(٥) البداية والنهاية (١٣/ ٣١٧)، والدارس في تاريخ المدارس للنعيمي (١/ ٥٠٧) .

٨- **الخاتونية البرانية** : وتنسب إلى واقفتها الست زمرد خاتون بنت جاولي ـ أخت الملك دقماق لأمه ـ المتوفاة سنة ٧٥٧هـ، وأوقفتها على الشيخ برهان الدين علي بن محمد البلخي الحنفي [(١)] .

٩- **الجوهرية** : وتنسب إلى واقفها أبي بكر محمد بن عياش بن أبي المكارم، التميمي، الجوهري، المتوفى سنة ٦٩٤هـ، وقفها على الحنفية بدمشق [(٢)] .

١٠- **القيمرية** : وتنسب إلى واقفها الأمير ناصرالدين الحسين بن العزيز بن أبي الفوارس القيمري، الكردي، المتوفى سنة ٦٦٥هـ [(٣)] .

وقد قمتُ بحصر أسماء مدارس دمشق التي ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية أثناء ذكره للأعلام الذين وردت أسماؤهم خلال فترة حياة ابن القيم رحمه الله، فتحصل لي ما مجموعه ثمان وثلاثون مدرسة، بالإضافة إلى المدارس التي سبق ذكرها، ولا يخفى أن ما ذكرته لا يعني حصر مدارس دمشق في ذلك العدد، وإنما يمكن أن يستدل به على ما تتمتع به الحركة العلمية من رعاية وعناية.

* * *

(١) البداية والنهاية (١٢/ ٢٤٥، ٣١٨) (١٤/ ١٨)، والدارس في تاريخ المدارس للنعيمي (١/ ٥٠٢) .
(٢) البداية والنهاية (١٣/ ٣٤١)، والدارس في تاريخ المدارس للنعيمي (١/ ٤٩٨) .
(٣) البداية والنهاية (١٣/ ٢٥٠)، والدارس في تاريخ المدارس (١/ ٤٤١) .

الفصل الثاني

حياة المؤلف

المبحث الأول

اسمه ونسبه:

هو أبوعبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز[1] ابن مكي، زين الدين الزرعي[2]، ثم الدمشقي الحنبلي، المعروف بابن قيم الجوزية[3].

---

(١) حريز ـ أوله حاء مهملة، وآخره زاي معجمة ـ هكذا ورد في أغلب مصادر ترجمته، وورد عند الشوكاني في « البدر الطالع » (٢/ ١٤٣) « جرير » أولـه جيم معجمة وآخره راء مهملة، وورد عند ابن رجب في « ذيل طبقات الحنابلة » (٢/ ٤٤٧) «جريز» بإعجام الجيم في أوله، والزاي في آخره، وقد ذكر الدكتور بكر أبوزيد هذه الأوجه الثلاثة، ورأى أن الأقرب هو « حريز » بإهمال الحاء وإعجام الزاي .

(٢) الزُّرعي ـ بضم الزاي المشدَّدة ـ: نسبة إلى « زرع » قرية من أعمال « حوران »، وكان اسمها « زرا » . قال الأستاذ أحمد عبيد : وهي التي تسمى الآن « أزرع » .
انظر : « معجم البلدان » لياقوت الحموي (٣/ ٣٥)، ومقدمة الأستاذ أحمد عبيد لكتاب «روضة المحبين» لابن قيم الجوزية، وكتاب «ابن القيم: حياته وآثاره موارده» للدكتور بكر أبوزيد ص١٩ .

(٣) مصادر ترجمته :

- ذيل طبقات الحنابلة : لابن رجب (٢/ ٤٤٧) .
- ذيل العبر : للذهبي (٥/ ٢٨٢) .
- البداية والنهاية : لابن كثير (١٤/ ٢٠٢) .
- الوافي بالوفيات: للصفدي (٢/ ٢٧٠) .
- شذرات الذهب : لابن العماد الحنبلي (٦/ ١٦٨) .
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : لابن حجر (٤/ ٢١) .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : للسيوطي (١/ ٦٢) . =

لقبه:

لُقب بـ « ابن قيِّم الجوزية » حيث كان والده الشيخ أبوبكر بن أيوب الزرعي قيِّماً على المدرسة الجوزية بدمشق مدة من الزمن، واشتهرت ذريته من بعده بذلك[1] .

ومن أهل العلم من يسميه ـ تجوّزاً ـ بابن القيم، وذلك على سبيل الاختصار، وأما تسميته بابن الجوزي فهو غلط، ويترتب على هذه التسمية الخلط بينه وبين أبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي الحنبلي، المتوفى سنة ٥٩٧هـ .

مولده:

ولد ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في سابع صفر سنة إحدى وتسعين وستمائة[2] .

* * *

= - طبقات المفسرين : للداودي (٢/ ٩٣) .
- البدر الطالع : للشوكاني (٢/ ١٤٣) .
- النجوم الزاهرة : لابن تغري بردي (١٠/ ٢٤٩) .
- الأعلام : للزركلي (٦/ ٥٦) .

(١) البداية والنهاية (١٤/ ١١٠)، والدرر الكامنة (١/ ٤٧٢) .

(٢) الوافي بالوفيات (٢/ ٢٧٠)، وبغية الوعاة (١/ ٦٢)، وطبقات المفسرين (٢/ ٩٤) .

المبحث الثاني

شيوخه:

تتلمذ الإمام ابن قيم الجوزية على عدد من العلماء في عدد من العلوم، كان لهم أثر كبير في تكوين شخصيته العلمية، وسأذكر جملة من شيوخه، مع التعريف بهم، مرتباً لهم على حسب وفياتهم :

١- الشهاب العابر[١] : أبوالعباس أحمد بن عبدالرحمن بن عبدالمنعم بن نعمة النابلسي الحنبلي المتوفى سنة ٦٩٧هـ[٢]، أخذ عنه بعض أحكام المرائي[٣] .

٢- أبوالفتح البعلبكي: محمد شمس الدين، أبوعبدالله بن أبي الفتح البعلبكي الحنبلي، الفقيه اللغوي النحوي، المتوفى سنة ٧٠٩هـ[٤]، أخذ عنه العربية، والفقه[٥] .

٣- أحمد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن مسعود، عماد الدين الواسطي، البغدادي، ثم الدمشقي، ولد بشرق واسط سنة ٦٥٧هـ، كان شافعياً وأقام بالقاهرة مدة خالط بها طوائف من المتصوفة فتصوف، وقدم دمشق فتتلمذ لابن تيمية، وانتقل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وردَّ على المبتدعة الذين خالطهم. قال الذهبي : كان داعية إلى السنة، ومذهبه مذهب السلف الصالح في

---

(١) سُمي بذلك لأنه يُعبِّر الرؤيا . انظر : شذرات الذهب (٥/ ٤٣٧) .

(٢) شذرات الذهب (٦/ ١٦٧)، ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤٨) .

(٣) انظر : زاد المعاد (٣/ ٣١) .

(٤) انظر : ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٥٦) .

(٥) انظر : الوافي بالوفيات (٦/ ٢٧١) .

الصفات، يُمِرها كما جاءت . توفي بدمشق سنة ٧١١هـ[(١)] .

ولم أجد أحداً ممن ترجم للمؤلف عدَّه من شيوخه، ولكنه في هذا الكتاب ذكره بعبارة شيخنا أحمد بن إبراهيم الواسطي[(٢)] .

٤- بنت جوهر : فاطمة، أم محمد بنت الشيخ إبراهيم بن محمود بن جوهر البطائحي، البعلي، المسندة المحدِّثة، المتوفاة سنة ٧١١هـ[(٣)] .

٥- الصفي الهندي : محمد صفي الدين بن عبدالرحيم بن محمد الأرموي الشافعي، الفقيه الأصولي، المتوفى ليلة الثلاثاء تاسع عشرين من صفر سنة ٧١٥هـ[(٤)] ، أخذ عنه التوحيد وأصول الفقه[(٥)] .

٦- الحاكم : سليمان تقي الدين، أبوالفضل بن حمزة بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، مسند الشام وكبير قضاتها، سمع من نحو مائة شيخ، وأجازه أكثر من سبعمائة شيخ، توفي ليلة الاثنين حادي عشرين ذي القعدة من سنة ٧١٥هـ[(٦)] .

---

(١) انظر : ذيل طبقات الحنابلة (٤/٣٥٨-٣٦٠)، الدرر الكامنة (١/ ٩١)، وشذرات الذهب (٦/ ٢٤)، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١/ ١٣٩). ط. مطبعة الترقي بدمشق، الأعلام (١/ ٨٦-٨٧) .

(٢) انظر ص(١٠٢) .

(٣) انظر : شذرات الذهب (٦/ ٢٨)، ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤٨) .

(٤) انظر : البداية والنهاية لابن كثير (١٤/ ٧٤-٧٥)، والدرر الكامنة لابن حجر (٤/ ١٣٢).

(٥) انظر : الوافي بالوفيات (٢/ ٢٧٠) .

(٦) انظر : ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٦٤) و (٢/ ٤٤٨)، شذرات الذهب (٦/ ٩٣)، البداية والنهاية (١٤/ ٧٥) .

٧- علاء الدين الكندي : علي بن المظفر بن إبراهيم بن عمر بن زيد، ويعرف بكاتب وداعة المحدث، توفي سنة ٧١٦هـ[١] .

٨- ابن مكتوم : إسماعيل، الملقب بصدرالدين، والمكنى بأبي الفداء، ابن يوسف بن مكتوم القيسي، الدمشقي الشافعي، المتوفى سنة ٧١٦هـ[٢] .

٩- ابن عبدالدائم : أبوبكر بن المسند زين الدين أحمد بن عبدالدائم بن نعمة المقدسي، مسند الوقت، المعمر، المتوفى سنة ٧١٨هـ[٣] .

١٠- المطعم : عيسى شرف الدين بن عبدالرحمن، المطعم في الأشجار، ثم السمسار في العقار، مسند الوقت، المتوفى سنة ٧١٩هـ، أخذ عنه الحديث[٤] .

١١- والده «قيِّم الجوزية» : أبوبكر بن أيوب بن سعد الزرعي الحنبلي، المتوفى ليلة الأحد تاسع عشر ذي الحجة من سنة ٧٢٣هـ، أخذ عنه علم الفرائض[٥] .

١٢- شرف الدين بن تيمية : عبدالله، أبومحمد بن عبدالحليم بن تيمية النميري، أخو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله تعالى، توفي سنة ٧٢٧هـ،

---

(١) انظر : شذرات الذهب (٦/ ٩٣) .

(٢) انظر : شذرات الذهب (٦/ ٣٨)، العبر للذهبي (٥/ ٨٩) تحقيق فؤاد سيد . ط. حكومة الكويت سنة ١٩٦١م، الوافي بالوفيات (٢/ ٢٧٠)، الدرر الكامنة (٤/ ٢١) .

(٣) انظر: العبر للذهبي (٥/ ٩٨)، وشذرات الذهب (٦/ ٤٨)، ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤٨)، الوافي بالوفيات (٢/ ٢٧٠)، وطبقات المفسرين (٢/ ٩١)، الدرر الكامنة (٤/ ٢١) .

(٤) انظر : العبر (٥/ ١٠٨)، و شذرات الذهب (٦/ ٥٢)، و ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤٨)، و الوافي بالوفيات (٢/ ٢٧٠)، وطبقات المفسرين (٢/ ٩١)، و الدرر الكامنة (٤/ ٢٨٢) .

(٥) انظر: البداية والنهاية (١٤/ ١١٠)، الوافي بالوفيات (٢/ ٢٧٠)، البدر الطالع (٢/ ١٤٣) .

أخذ عنه الفقه[١] .

١٣- الزملكاني : محمد أبوالمعالي، كمال الدين بن علي بن عبدالواحد الأنصاري الشافعي ابن خطيب زَمَلكا[٢]، تولى قضاء حلب، وكان متفنناً في علوم شتى، توفي ليلة الأربعاء سادس عشر شهر رمضان من سنة ٧٢٧هـ[٣] .

١٤- شيخ الإسلام ابن تيمية : أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام النميري، المتوفى ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ .

أخذ عنه التفسير والحديث والفقه والفرائض والتوحيد وأصول الفقه، وكان من عيون أصحابه، ولازمه حتى تفقه به، وقرأ عليه قطعة من « المحرر » لجده المجد، وقرأ عليه من «المحصول» ومن كتاب «الأحكام» للسيف الآمدي، وقرأ عليه قطعة من «الأربعين» و «المحصل»، وقرأ عليه كثيراً من تصانيفه، وكانت ملازمته له منذ أن قدم ابن تيمية دمشق سنة ٧١٢هـ حتى توفي رحمه الله سنة ٧٢٨هـ[٤] .

وكان تأثير شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فيه قوياً ؛ إذ إنه كان السبب في سلامته من السير في ركاب أهل الأهواء المنحرفة، وقد عبَّر عن ذلك في

---

(١) انظر : شذرات الذهب (٦/ ٧٦)، العبر (٥/ ١٥٣)، الدرر الكامنة (٢/ ٣٧١)، الوافي بالوفيات (٢/ ٢٧٠)، إعلام الموقعين للمؤلف (٤/ ١١٤) مراجعة طه عبدالرؤوف سعد . نشر دار الجيل، بيروت .

(٢) زَمَلكا : قرية بغوطة دمشق . معجم البلدان (٣/ ١٥٠) .

(٣) انظر : شذرات الذهب (٦/ ٧٩)، البداية والنهاية (١٤/ ١٣١-١٣٢)، الدرر الكامنة (٤/ ٧٤) .

(٤) انظر : البداية والنهاية (١٤/ ١٣٥-١٤٠)، الوافي بالوفيات (٢/ ٢٧٠-٢٧١) .

قصيدته النونية[١] أصدق تعبير عندما قال:

يا قوم والله العظيم نصيحة	من مشفقٍ وأخٍ لكم معوان
جرّبتُ هذا كله ووقعت في	تلك الشباك وكنت ذا طيران
حتى أتاح لي الإله بفضله	من ليس تجزيه يدي ولساني
حَبرٌ من أرض حرّان فيا	أهلاً بمن قد جاء من حرّان
فالله يجزيه الذي هو أهله	من جنة المأوى مع الرضوان
أخذت يداه يدي وسار فلم يرُم	حتى أراني مطلع الإيمان
ورأيتُ أعلام المدينة حولها	نزل الهدى وعساكر القرآن
ورأيتُ آثاراً عظيماً شأنها	محجوبة عن زمرة العميان

ولا يخفى أن ابن تيمية كان أعظم شيوخه، وأن ابن القيم أبرز تلاميذه، وتأثره به ظاهرٌ في مؤلفاته وفي سيرته.

١٥- المجد الحرّاني: إسماعيل مجدالدين بن محمد الفراء الحراني، شيخ الحنابلة بدمشق، المتوفى سنة ٧٢٩هـ، أخذ عنه الفرائض بعد أن أخذها عن والده، وأخذ عنه الفقه وأصوله[٢].

١٦- الكحّال: أيوب، زين الدين بن نعمة النابلسي ثم الدمشقي، الكحّال، المتوفى سنة ٧٣٠هـ[٣].

---

(١) (٢/ ٧٢-٧٣).

(٢) انظر: العبر (٥/ ١٦١)، شذرات الذهب (٦/ ٨٩)، الوافي بالوفيات (٢/ ٢٧٠)، الدرر الكامنة (١/ ٤٠٣) و(٤/ ٢١).

(٣) انظر: العبر (٥/ ١٦٦)، شذرات الذهب (٦/ ٩٣)، الوافي بالوفيات (٢/ ٢٧٠)، الدرر الكامنة (١/ ٤٦٤).

١٧- البدر بن جماعة : بدرالدين أبوعبدالله، محمد بن إبراهيم بن سعدالله بن جماعة الكناني، الحموي، الشافعي، الإمام المشهور، صاحب التصانيف الكثيرة، المتوفى ليلة الاثنين حادي عشرين جمادى الأولى من سنة ٧٣٣هـ [١] .

١٨- المزي : يوسف جمال الدين بن زكي الدين عبدالرحمن القضاعي، ثم الكلبي الدمشقي، الشافعي، إمام المحدثين، وخاتمة الحفاظ، المتوفى يوم السبت ثاني عشر صفر من سنة ٧٤٢هـ [٢] .

١٩- ابن مفلح : محمد شمس الدين، أبوعبدالله بن مفلح بن مفرج المقدسي الحنبلي، المتوفى يوم الخميس ثاني رجب من سنة ٧٦٣هـ [٣] .

تلاميذه:

أخذ عن ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ العلمَ خلقٌ كثير في حياة شيخه ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وبعد مماته، وانتفعوا به، وكان الفضلاء يعظِّمونه ويتتلمذون له كابن عبدالهادي وغيره ـ كما قاله تلميذه ابن رجب[٤] ـ، وسأذكر جملة من تلاميذه، مع التعريف بكل واحد منهم مرتباً لهم على حسب

(١) انظر: شذرات الذهب (٦/ ١٠٥)، الدرر الكامنة (٣/ ٣٦٧)، الوافي بالوفيات (٢/ ٢٧٠)، البداية والنهاية (١٤/ ١٦٣) .

(٢) البداية والنهاية (١٤/ ١٩١-١٩٢)، شذرات الذهب (٦/ ١٣٦)، الدرر الكامنة (٢٣٣)، كتاب الروح (ص١٧)، المنار المنيف (ص٦٩)، جلاء الأفهام (ص١٢، ٣٧، ١٤٧)، حادي الأرواح (٦٧، ١٩٦) .

(٣) انظر: شذرات الذهب (٦/ ١٩٩)، البداية والنهاية (١٤/ ٢٣٣، ٢٩٤)، الدرر الكامنة (٥/ ٣٠) .

(٤) انظر : ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤٩) .

وفياتهم، وهم :

١- ابن عبدالهادي: شمس الدين، أبوعبدالله، محمد بن أحمد بن عبدالهادي ابن قدامة المقدسي ثم الصالحي الحنبلي، المتوفى يوم الأربعاء عاشر جمادى الأولى من سنة ٧٤٤هـ، وكان مولده في رجب سنة خمس وسبعمائة(١) .

٢- الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، الذهبي، التركماني، الشافعي، الإمام، الحافظ، صاحب التصانيف الكثيرة في الحديث وغيره، توفي يوم الاثنين ثالث ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بدمشق(٢) .

٣- السبكي: علي بن عبدالكافي بن علي بن تمام السبكي، تقي الدين، أبوالحسن، المتوفى يوم الجمعة سادس شهر جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وسبعمائة(٣) .

٤- ابنه، شرف الدين ابن قيم الجوزية : عبدالله بن محمد بن قيم الجوزية، ولد سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة، وتوفي يوم الأحد رابع عشر شعبان سنة ست وخمسين وسبعمائة، درَّس عوضاً عن أبيه بالصدرية، وكان مفرط الذكاء والحفظ(٤) .

---

(١) انظر : تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/ ١٥٠٨)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، شذرات الذهب (٦/ ١٤١)، البداية والنهاية (١٤/ ١٨٩-٢١٠)، طبقات الحفاظ للسيوطي (ص٥٢٤).

(٢) الوافي بالوفيات (٢/ ١٦٣)، طبقات الشافعية للسبكي (٥/ ٢١٦)، الدرر الكامنة (٤/ ٢٣٦)، شذرات الذهب (٦/ ١٥٣-١٥٥)، طبقات الحفاظ للسيوطي ص٥٢١-٥٢٣) .

(٣) البداية والنهاية (١٤/ ٢٥٢)، الدرر الكامنة (٣/ ١٣٤)، شذرات الذهب (٦/ ١٨٠)، طبقات الحافظ للسيوطي (ص٥٢٥-٥٢٦) .

(٤) البداية والنهاية (١٤/ ٢٣٥، ٢٥٣)، الدرر الكامنة (٢/ ٣٩٦) .

٥- المقري: محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر القرشي، المقري، التلمساني، المتوفى سنة ٧٥٩هـ[1].

٦- ابنه برهان الدين بن قيم الجوزية : إبراهيم بن محمد بن قيم الجوزية، أخذ عن والده وغيره، وكان بارعاً في النحو والفقه وفنون أُخر على طريقة والده ـ رحمهما الله تعالى ـ، وكان مدرساً بالصدرية والتدمرية، ولد سنة ٧١٦هـ، وتوفي يوم الجمعة سلخ شهر محرم من سنة ٧٦٧هـ[2].

٧- ابن كثير : إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، عمادالدين، أبوالفداء، الإمام الحافظ المشهور، ولد سنة (٧٠٠هـ)، وتوفي في شعبان سنة ٧٧٤هـ[3].

٨- ابن رجب الحنبلي: عبدالرحمن زين الدين أبوالفرج بن أحمد بن عبدالرحمن الملقب برجب الحنبلي، ولد في بغداد سنة ٧٣٦هـ، وتوفي في شهر رجب سنة ٧٩٥هـ[4].

٩- النابلسي : محمد شمس الدين أبوعبدالله بن عبدالقادر بن محيي الدين

---

(١) انظر : نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب لابن الخطيب حفيد المقري (٥/ ٢٥٤ وغيرها) طبع دار صادر ـ بيروت سنة ١٣٨٨هـ تحقيق إحسان عباس .

(٢) انظر : البداية والنهاية (١٤/ ٣١٤)، شذرات الذهب (٦/ ٢٠٨)، الدرر الكامنة (١/ ٦٠) .

(٣) انظر : الدرر الكامنة (٣٧٣)، شذرات الذهب (٦/ ٢٣١)، طبقات الحفاظ للسيوطي (ص٥٣٣-٥٣٤) .

(٤) انظر : إنباء الغمر لابن حجر (١/ ٤٦٠)، الدرر الكامنة لابن حجر (٢/ ٤٢٨)، شذرات الذهب (٦/ ٣٣٩)، ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/ ٤٤٧-٤٥٠)، طبقات الحفاظ للسيوطي (ص٥٤٠) .

عثمان الحنبلي، المعروف بالجنة [(١)]، المتوفى سنة ٧٩٧هـ [(٢)].

١٠- الغزي: محمد بن محمد بن الخضر الغزي الشافعي، المتوفى سنة ٨٠٨هـ [(٣)].

وفاته [(٤)]:

توفي الإمام ابن قيم الجوزية بدمشق ليلة الخميس ثالث عشر رجب من سنة ٧٥١هـ، وصُلي عليه بعد صلاة الظهر من الغد بالجامع الأموي، عقيب الظهر ثم بجامع جراح، ودفن بمقبرة الباب الصغير، وقد كانت جنازته حافلة جداً، شهدها القضاة والأعيان والصالحون، وتزاحم الناس على حمل نعشه، وكمل له من العمر ستون سنة رحمه الله [(٥)].

ورُئيت له منامات حسنة، وكان هو ذكر قبل موته بمدة أنه رأى شيخه ابن تيمية في المنام، وأنه سأله عن منزلته، فأشار إلى علوها فوق بعض الأكابر. ثم قال: وأنتَ كدتَ تلحق بنا، ولكن أنت الآن في طبقة ابن خزيمة [(٦)]

---

(١) لقب بذلك لكثرة ما عنده من العلوم؛ لأن الجنة فيها ما تشتهيه الأنفس. انظر: شذرات الذهب (٦/ ٣٤٩).

(٢) انظر: شذرات الذهب (٦/ ٣٤٩).

(٣) انظر: شذرات الذهب (٧/ ٧٩)، والبدر الطالع للشوكاني (٢/ ٢٥٤).

(٤) قدَّمتُ مبحث (وفاته) على مبحث (ثناء العلماء عليه) لأنه من المعروف أن أغلب الثناء يأتي بعد الوفاة.

(٥) البداية والنهاية (١٤/ ٢٣٤-٢٣٥)، الوافي بالوفيات (٢/ ٢٧٢).

(٦) هو: محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة، أبوبكر، السلمي، النيسابوري، الشافعي، الإمام، الحافظ، الفقيه، ولد سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وعني في حداثته بالحديث=

رحمه الله[١] .

ثناء العلماء عليه :

أثنى عليه كثير من العلماء، من تلاميذه وغيرهم :

فقال الصفدي: «اشتغل كثيراً، وناظر واجتهد، وأكبّ على الطلب، وصنَّف، وصار من الأئمة الكبار في علم التفسير، والحديث، والأصول، فقهاً، وكلاماً، والفروع والعربية، ولم يخلف الشيخ العلامة تقي الدين ابن تيمية مثله»[٢] .

وقال ابن كثير : « برع في علوم متعددة، ولما عاد الشيخ تقي الدين ابن تيمية من الديار المصرية في سنة ثنتي عشرة وسبعمائة لازمه إلى أن مات الشيخ، فأخذ عنه علماً جَمّاً، مع ما سلف له من الاشتغال، فصار فريداً في بابه في فنون كثيرة، مع كثرة الطلب ليلاً ونهاراً، وكثرة الابتهال، وكان حسن القراءة والخلق، كثير التودد، لا يحسد أحداً ولا يؤذيه، ولا يستغيبه ولا يحقد على أحد، وكنت من أصحب الناس له، وأحب الناس إليه، ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه...» ثم قال: «وبالجملة كان قليل النظير في مجموعه وأموره

= والفقه، حتى صار يضرب به المثل في سعة العلم والإتقان، له مؤلفات كثيرة منها: «كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب»، وكتابه المسمى بـ « صحيح ابن خزيمة »، توفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة . سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٥)، طبقات الحفاظ للسيوطي (ص٣١٣) .

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢٠/ ٤٥٠-٤٥١)، الدرر الكامنة (٤/ ٢٣)، شذرات الذهب (٦/ ١٧٠) .

(٢) الوافي بالوفيات (٢/ ٢٧١) .

وأحواله»[١] .

وقال ابن رجب : « تفقه في المذهب وبرع وأفتى، ولازم الشيخ تقي الدين ابن تيمية، وأخذ عنه، وتفنن في علوم الإسلام، وكان عارفاً بالتفسير، لا يجارى فيه، وبأصول الدين وإليه فيها المنتهى، وبالحديث ومعانيه وفقهه، ودقائق الاستنباط منه لا يلحق في ذلك، وبالفقه وأصوله وبالعربية، وله فيها اليد الطولى، وبعلم الكلام والنحو وغير ذلك، وكان عالماً بعلم السلوك، وكلام أهل التصوف، وإشاراتهم ودقائقهم، له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى .

وكان ذا عبادة وتهجد وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وتأله ولهج بالذكر، وشغب بالمحبة والإنابة والافتقار إلى الله تعالى، والانكسار له، والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله في ذلك، ولا رأيت أوسع منه علماً، لا أعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه، وليس هو بالمعصوم، ولكن لم أرَ في معناه مثله، وقد امتحن وأوذي مرات، وحُبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة، منفرداً عنه، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ .

وكان في مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر، ففتح عليه من ذلك خير كثير .. وحج مرات كثيرة، وجاور بمكة، وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة، وكثرة الطواف أمراً يتعجب منه[٢] .

وقال القاضي برهان الدين الزرعي : « ما تحت أديم السماء أوسع علماً (يعني في زمانه) صنَّف في أنواع العلم، وكان شديد المحبة للعلم وكتابته،

(١) انظر : البداية والنهاية (١٤/ ٢٣٤-٢٣٥) .

(٢) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/ ٤٤٨) .

ومطالعته وتصنيفه، واقتناء كتبه، واقتنى من الكتب ما لم يحصل لغيره »(١) .

وقال ابن حجر: «كان جريء الجنان، واسع العلم، عارفاً بالخلاف ومذاهب السلف، وغلب عليه حب ابن تيمية، حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله(٢)، بل ينتصر له في جميع ذلك، وهو الذي هذّب كتبه ونشر علمه .

---

(١) انظر : ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/ ٢٤٩) .

(٢) لا يصح هذا القول على إطلاقه ؛ بل انفرد ابن القيم عن شيخه ابن تيمية ـ رحمهما الله تعالى ـ في مسائل، منها : ما ذكره في زاد المعاد (١/ ١٨٧-٢٠٨) ط. الثالثة، ١٣٩٢هـ، نشر دار الفكر، بيروت عن حج الرسول ﷺ هل كان متمتعاً أم قارناً، وانتهى إلى ترجيح كونه ﷺ حجّ قارناً، وأنه ﷺ أمر من لم يسق الهدي من الصحابة أن يحل بعمرة إن كان قارناً أو مفرداً، فاستجاب له الصحابة رضي الله عنهم، ثم ذكر حكم الفسخ عند أهل العلم ، وأن ابن تيمية اختار اختصاص وجوبه في حق الصحابة، وجوازه في حق من بعدهم، ثم قال: لكن أبى ذلك البحر ابن عباس رضي الله عنهما، وجعل الوجوب للأمة إلى يوم القيامة .. وأنا إلى قوله أميل مني إلى قول شيخنا .

ومن ذلك أيضاً ما ذكره في كتاب الروح (١/ ٢١٣-٢١٥) في مسألة : هل تتلاقى أرواح الأحياء وأوراح الأموات أم لا ؟ من قول الله عز وجل : ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [سورة الزمر، آية ٤٢] وذكر أن في تفسير هذه الآية قولين، وأن شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ اختار القول الثاني، ثم قال : والذي يترجح هو القول الأول .

وما ذكرته هنا من أمثلة لا تستوعب المسائل التي خالف فيها شيخه، بل هناك مسائل أخرى غيرها يجدها من يقرأ في كتبه .

وقال أيضاً ـ بعد أن ذكر كتبه ـ : وكل تصانيفه مرغوب فيها بين الطوائف، وهو طويل النفس فيها، يتعانى الإيضاح جهده، فيسهب جداً ومعظمها من كلام شيخه يتصرف في ذلك، وله في ذلك ملَكَة قوية، ولا يزال يدندن حول مفرداته وينصرها ويحتج لها[1] .

وقال الشوكاني بعد أن ذكر كلام ابن حجر السابق : « ولـه من حسن التصرف مع العذوبة الزائدة وحسن السياق ما لا يقدر عليه غالب المصنفين، بحيث تعشق الأفهام كلامه، وتميل إليه الأذهان، وتحبه القلوب، وليس له على غير الدليل معول في الغالب، وقد يميل نادراً إلى المذهب الذي نشأ عليه، ولكنه لا يتجاسر على الدفع في وجوه الأدلة بالمحامل الباردة، كما يفعله غيره من المتمذهبين، بل لابد له من مستند في ذلك، وغالب أبحاثه الإنصاف والميل مع الدليل حيث مال، وعدم التعويل على القيل والقال، وإذا استوعب الكلام في بحث وطول ذيوله، أتى بما لم يأتِ به غيرُه، وساق ما ينشرح له صدور الراغبين في أخذ مذاهبهم عن الدليل .. وبالجملة فهو أحد من قام بنشر السنة، وجعلها بينه وبين الآراء المحدثة أعظم جنة، فرحمه الله وجزاه عن المسلمين خيراً»[2][3] .

---

(١) الدرر الكامنة (٤/ ٢١-٢٢) .

(٢) البدر الطالع (٢/ ١٤٤-١٤٥) .

(٣) قال الشيخ بكر أبوزيد بعد أن ذكر قول ابن حجر والشوكاني : فهذا من الشوكاني كالتفسير والبيان لكلمة الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ من أن انتصاره لاختيارات شيخه ومفرداته لم يكن عن تبعية مجردة وتعصب ذميم، وإنما هو عن قناعة ودرس وتفهم وتعويل على الدليل. انظر : كتاب «ابن القيم حياته، آثاره، موارده »، ص١٤٣-١٤٤، وفيه رد الشيخ بكر أبوزيد رداً علمياً محققاً على محمد زاهد الكوثري الذي زعم أن ابن القيم نسخة من شيخه ابن تيمية .

وقال ابن العماد في ترجمته له : «العلاّمة، الفقيه الحنبلي، بل المجتهد المطلق، المفسر، النحوي، الأصولي، المتكلم، الشهير بابن قيم الجوزية»[١] .

وقال السيوطي : « صنّف وناظر، واجتهد، وصار من الأئمة الكبار، في التفسير، والحديث، والفروع، والعربية »[٢] .

وقال السخاوي : « العلاّمة الحجة، المتقدم في سعة العلم، ومعرفة الخلاف، وقوة الجنان، ورئيس أصحاب ابن تيمية الإمام، بل هو حسنة من حسناته، والمجمع عليه بين المخالف والموافق، وصاحب التصانيف السائرة، والمحاسن الجمة، انتفع به الأئمة، ودرَّس بأماكن »[٣] .

مؤلفاته:

للإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ مؤلفات كثيرة في عدد من العلوم تشهد على ما يتمتع به من طول الباع في كل علم منها، وقدرته العلمية الفذة، وقد ذكر بعض من كتبوا عنه عدداً من كتبه . لذا سأقتصر على ذكر بعض أشهر مؤلفاته مرتبة على الحروف الهجائية وهي :

١ - **اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطّلة والجهمية** : ذكره في كتاب الفوائد[٤] ، كما ذكره عامة من ترجموا له[٥] ، وقد طبع عدة مرات، ومنها طبعة

---

(١) انظر : شذرات الذهب (٦/ ١٦٨) .

(٢) بغية الوعاة (١/ ٦٣) .

(٣) انظر : التاج المكلل لصديق القنوجي (ص٤١٩) .

(٤) ص(٦) .

(٥) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٥٠)، شذرات الذهب (٦/ ١٧٠)، طبقات المفسرين (٢/ ٩٣).

بتحقيق الدكتور عواد بن عبدالله المعتق سنة ١٤٠٨هـ .

٢- **أحكام أهل الذمة:** ذكره المؤلف في هذا الكتاب «كتاب شفاء العليل»[١] باسم «أحكام أهل الملل» وطبع بتحقيق صبحي الصالح سنة ١٣٨١هـ بمطبعة جامعة دمشق .

٣- **إعلام الموقعين عن رب العالمين :** ذكره ابن رجب[٢]، والداودي[٣]، وطبع عدة مرات[٤] .

٤- **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان :** ذكره ابن العماد[٥]، وحاجي خليفة[٦]، والبغدادي[٧] ، وقد طبع عدة مرات[٨] .

٥- **بدائع الفوائد :** ذكره عامة من ترجموا له؛ كابن رجب[٩]، والصفدي[١٠]، والداودي[١١] ، وغيرهم، وطبع عدة مرات[١٢] .

---

(١) ص(٤٩٣) من طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٥٠) .

(٣) طبقات المفسرين (٢/ ٦٣) .

(٤) منها : طبعة مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٧٤هـ، بتحقيق محيي الدين عبدالحميد .

(٥) شذرات الذهب (٦/ ١٧٠) .

(٦) كشف الظنون (١/ ١٢٩) .

(٧) هدية العارفين (٢/ ١٥٨) .

(٨) منها : طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، بتحقيق الشيخ محمد الفقي .

(٩) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٥٠) .

(١٠) الوافي بالوفيات (٤/ ٢٧١) .

(١١) طبقات المفسرين (٢/ ٩٦) .

(١٢) منها : طبعة المطبعة المنيرية بمصر بلا تاريخ .

٦- **تحفة المودود في أحكام المولود:** ذكره عدد ممن ترجموا له؛ كابن رجب[١]، وابن العماد[٢] ، وغيرهما . وطبع مراراً [٣] .

٧- **تهذيب مختصر سنن أبي داود:** أشار إليه المؤلف في كتابيه: زاد المعاد[٤]، وبدائع الفوائد[٥] ، وطبع مع مختصر المنذري ومعالم السنن للخطابي[٦] .

٨- **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح :** ويسمى أيضاً بكتاب « صفة الجنة »، ذكره المؤلف في كتابه «الصواعق المرسلة»[٧]، وذكره ابن رجب[٨]، والداودي[٩]، وغيرهما، وطبع هذا الكتاب عدة مرات[١٠] .

٩- **الداء والدواء :** ذكره ابن رجب[١١]، والداودي[١٢]، وغيرهما، وطبع

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٥٠) .

(٢) شذرات الذهب (٦/ ١٧٠) .

(٣) منها : طبعة بتحقيق الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط، نشرتها دار البيان بدمشق سنة ١٣٩١هـ .

(٤) (١/ ٣٩) .

(٥) (٢/ ١٧٧) .

(٦) بتحقيق الشيخين أحمد شاكر ومحمد الفقي، ونشرته دار المعرفة، بيروت، بلا تاريخ .

(٧) (٤/ ١٣٣٢) .

(٨) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٥٠) .

(٩) طبقات المفسرين (٢/ ٩٦) .

(١٠) منها: طبعة بمطبعة محمد علي صبيح سنة ١٣٨١هـ، بتصحيح محمود حسن الربيع .

(١١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٥٠) .

(١٢) طبقات المفسرين (٢/ ١٩٦) .

عدة مرات بهذا الاسم[١]، وباسم «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي»[٢] .

١٠- **روضة المحبين:** ذكره ابن رجب[٣]، والداودي[٤]، وغيرهما، وطبع عدة مرات[٥] .

١١- **الروح** : ذكره المؤلف في كتابه «جلاء الأفهام»[٦]، وذكره ابن حجر[٧]، والسيوطي[٨] ، وابن العماد[٩] ، وطبع عدة مرات[١٠] .

١٢- **زاد المعاد في هدي خير العباد:** ذكره ابن رجب[١١]، والصفدي[١٢]، والداودي[١٣] ،

---

(١) منها : طبعة مطبعة محمد علي صبيح سنة ١٣٨٧هـ بتصحيح محمود حسن الربيع.

(٢) منها: طبعة مطبعة المدني بمصر سنة ١٣٧٧هـ بتحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.

(٣) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٥٠) .

(٤) طبقات المفسرين (٢/ ٩٦) .

(٥) منها: طبعة المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٦هـ.

(٦) (ص٢٨٢) .

(٧) الدرر الكامنة (٤/ ٢٣) .

(٨) بغية الوعاة (١/ ٦٣) .

(٩) شذرات الذهب (٦/ ١٧٠) .

(١٠) منها : طبعة بتحقيق الدكتور بسام العموش، نشرتها دار ابن تيمية بالرياض، سنة ١٤٠٦هـ .

(١١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٥٠) .

(١٢) الوافي بالوفيات (٢/ ٢٧٢) .

(١٣) طبقات المفسرين (٢/ ٩٦) .

وغيرهم، وطبع عدة مرات[١] .

١٣- **شفاء العليل** : وهو موضوع هذه الرسالة .

١٤- **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة** : ذكره المؤلف في كتابه : «إغاثة اللهفان »[٢]، وذكره ابن العماد[٣]، والشوكاني[٤]، وغيرهما . وطبع القسم الموجود منه بتحقيق الدكتور علي الدخيل الله[٥] .

١٥- **طريق الهجرتين وباب السعادتين** : ذكره المؤلف في كتابه « مدارج السالكين»[٦]، وذكره ابن رجب، والداودي[٧]، وغيرهما، وطبع عدة مرات[٨].

٦٠ **الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية** : ذكرها المؤلف في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية[٩]، وذكرها عدد ممن ترجموا له[١٠]، وقد طبعت عدة

(١) منها : طبعة مطبعة أنصار السنة المحمدية بمصر سنة ١٣٤٧هـ بتحقيق محمد حامد الفقي .
(٢) (٢/ ١١٤) .
(٣) شذرات الذهب (٦/ ١٩٦) .
(٤) البدر الطالع (٢/ ١٤٤) .
(٥) نشر دار العاصمة بالرياض سنة ١٤٠٨هـ ط. الأولى .
(٦) (٢/ ٥٤) .
(٧) طبقات المفسرين (٢/ ٩٦) .
(٨) منها : الطبعة التي طبعت في دولة قطر على نفقة الشيخ حمد آل ثاني، وحققها وراجعها الشيخ عبدالله الأنصاري، بلا تاريخ .
(٩) ص(٧٠) .
(١٠) انظر : الوافي بالوفيات (٧/ ٢٧١)، وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤٩)، وطبقات المفسرين (٢/ ٩٣) .

مرات، وتسمى أيضاً بـ « القصيدة النونية » ؛ لأن قافيتها النون، نظمها لبيان عقيدة أهل السنة والجماعة والرد على المخالفين لها، وقد شرحها عدد من العلماء، منهم :

١- حمد بن إبراهيم بن عيسى المتوفى سنة ١٣٢٩هـ في كتابه « توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم »(١) .

٢- عبدالرحمن بن ناصر السعدي المتوفى سنة ١٣٧٦هـ في كتابه « توضيح الكافية الشافية »(٢) .

٣- محمد خليل هراس في كتابه « شرح النونية »(٣) .

١٧- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : وهو شرح لكتاب منازل السائرين لأبي إسماعيل عبدالله بن محمد الأنصاري الهروي، ذكره عدد ممن ترجموا له (٤) ، وطبع عدة مرات(٥) .

١٨- مفتاح دار السعادة ومنشور ألوية العلم والإرادة : ذكره المؤلف في هذا الكتاب(٦) ، وفي كتاب « مدارج السالكين »(٧) ، وطبع

---

(١) نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية ١٣٩٢هـ .

(٢) طبع بالمطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٦٨هـ .

(٣) طبع في مطبعة الإمام بالقاهرة .

(٤) انظر : ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤٩)، وطبقات المفسرين (٢/ ٩٦)، وكشف الظنون (٢/ ١٨٢٨) .

(٥) منها : طبعة مطبعة أنصار السنة المحمدية بمصر سنة ١٣٧٥هـ . بتحقيق محمد حامد الفقي.

(٦) ص(٦٢٦) .

(٧) (١/ ٩١) .

عدة مرات[١] .

١٩- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى : أشار إليه المؤلف في كتابه « أحكام أهل الذمة »[٢] ، وذكره حاجي خليفة[٣] ، وطبع عدة مرات[٤] .

* * *

(١) منها : طبعة مكتبة الأزهر سنة ١٣٥٨هـ، بتحقيق محمود حسن الربيع .

(٢) (١/ ٢٦٧) .

(٣) كشف الظنون (٢/ ٢٠٣٠) .

(٤) منها : طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٣٩٦هـ التي طبعت في مؤسسة مكة للطباعة والإعلام .

ثانياً

التعريف بالكتاب ونسخه الخطيَّة

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول : التعريف بالكتاب .

ويحتوي على ما يلي:

اسمه

صحة نسبته إلى مؤلفه

تأريخ تأليفه

منهج المؤلف فيه

مصادره

مقارنته مع بعض ما ألف في بابه

قيمته العلمية

الفصل الثاني : التعريف بنسخه الخطية

عدد النسخ.

التعريف بها وأماكن وجودها

نماذج مصورة منها

الفصل الأول

التعريف بالكتاب

ويحتوي على ما يلي:

- اسمه
- صحة نسبته إلى مؤلفه
- تأريخ تأليفه
- منهج المؤلف فيه
- مصادره
- مقارنته مع بعض ما ألف في بابه
- قيمته العلمية

اسمه

« شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل »

بهذا الاسم سمّاه المؤلف ـ رحمه الله ـ في مقدمته .

وهذا نص صريح في اسمه، حيث قال : « وسميته : شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل » .

وممن ذكره بهذا الاسم حاجي خليفة[(١)]، والبغدادي[(٢)]، وذكره ابن حجر[(٣)]، والشوكاني[(٤)]، وصديق حسن خان[(٥)]، باسم : « القضاء والقدر »[(٦)]، ولعلّ ذلك منهم على سبيل الاختصار لاسم الكتاب.

وذكره بالاسمين معاً : حاجي خليفة[(٧)]، والبغدادي[(٨)]، وورد في النسخة الخطية التركية باسم « شفاء الغليل ... إلخ » بالغين المعجمة، وبهذا الاسم ذكره الأستاذ محمد عزت الحسيني في مقدمته لكتاب الفروسية للمؤلف[(٩)] .

---

(١) كشف الظنون (٢/ ١٠٥١) .

(٢) هدية العارفين (٢/ ١٥٨) .

(٣) الدرر الكامنة (٤/ ٢٣) .

(٤) البدر الطالع (٢/ ١٤٤) .

(٥) التاج المكلل (ص٤١٩) .

(٦) كشف الظنون (٢/ ١٠٥١، ١٤٥٠) .

(٧) انظر : مقدمته لكتاب الفروسية ص(٥) .

(٨) هدية العارفين (٢/ ١٥٨) .

(٩) (ص٥) .

وبالرجوع إلى كتب اللغة لمعرفة معنى كلمة « العليل » و « الغليل » تبيَّن أن كلمة « العليل » بالمهملة يُراد بها : المريض، وكلمة « الغليل » بالمعجمة يُراد بها الظمآن[(١)] .

وبهذا يتضح أن كلمة العليل ـ بالمهملة ـ هي المناسبة للشفاء .. ومما يقوي ذلك أن المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ استعمل كلمة الشفاء مع العليل، والإرواء مع الغليل في موضعين من كتابه هذا، فقال : هذه الأقوال التي لا تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً[(٢)] .

صحة نسبته إلى مؤلفه :

لا شك في نسبة هذا الكتاب إلى الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى ـ ومما يؤكد القطع بنسبته إليه ما يلي :

١- أن جميع الكتب التي ذكرت هذا الكتاب نسبته إلى المؤلف، ولم أقف على أحد نسبه إلى غيره أو شكك في نسبته إليه .

٢- أن المؤلف ذكره في كتابه « إغاثة اللهفان »[(٣)]، ووعد في «تهذيب السنن»[(٤)] بتأليف كتاب في أدلة إثبات القدر والرد على القدرية، وهذا ينطبق على هذا الكتاب .

٣- أن المؤلف ذكر في كتابه هذا عدداً من كتبه، منها :

---

(١) انظر : القاموس المحيط للفيروزآبادي (١٣٣٨) مادة « مرض » ، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٣٧٦) مادة « غلل » .

(٢) انظر : (ص٨٤٩، ٨٩٤) .

(٣) (١/ ٥٦) .

(٤) (٧/ ٨٠) .

- مفتاح دار السعادة[1] .
- أحكام أهل الملل[2] .

٤- أن أسلوب هذا الكتاب يتطابق تماماً مع أسلوب المؤلف في بقية كتبه .

٥- نقله في عدة مواضع من كتابه هذا عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ جرياً على عادته في أكثر كتبه .

تاريخ تأليفه :

لم تتضمن النسخ الخطية لهذا الكتاب ذكراً لتاريخ تأليفه، كما أن الذين ذكروه لم يشيروا إلى ذلك، ولكن يتبيَّن من خلال ما سبقت الإشارة إليه في مبحث «صحة نسبة الكتاب لمؤلفه» ما يلي :

ا- أنه ألّفه بعد كتبه التالية :

أ- تهذيب سنن أبي داود: الذي فرغ من تأليفه في آخر شوال سنة ٧٣٢هـ[3]، حيث قال في التهذيب (٧/ ٨٠) : « وقد نظرت في أدلة إثبات القدر والرد على القدرية والمجوسية، فإذا هي تقارب خمسمائة دليل، وإن قدر الله تعالى أفردت لها مصنفاً مستقلاً، وبالله عز وجل التوفيق » .

وهذا الكلام لا ينطبق على شيء من كتبه المعروفة إلا شفاء العليل .

ب- مفتاح دار السعادة : حيث قال في كتابه هذا ص(٦٢٦) في معرض رده على من قال باستواء الأفعال بالنسبة إلى الله عز وجل وأنها لا تنقسم في نفسها

---

(١) (ص٧٧٩) .

(٢) (ص٤٩٣) من طبعة دار الكتب العلمية، بيروت .

(٣) انظر : تهذيب سنن أبي داود (٨/ ١٢١) المطبوع مع مختصر المنذري .

إلى حسن وقبيح : « ولعمر الله إنه لمن أبطل الأقوال وأشدها منافاة للعقل والشرع ولفطرة الله التي فطر عليها خلقه، وقد بيَّنا بطلانه من أكثر من خمسين وجهاً في كتاب المفتاح » . وانظر كتاب مفتاح دار السعادة (٢/ ٣٤-١٦٥) .

ج- **أحكام أهل الملل** : حيث قال في كتابه هذا[١] بعد أن ذكر بعض مسائل أحكام أطفال الكفار : « وليس المقصود ذكر هذه المسائل وما يصير به الطفل مسلماً ؛ فإنا قد استوفيناها في كتابنا في أحكام أهل الملل » .

٢- وقبل كتبه التالية :

أ- **إغاثة اللهفان:** حيث قال فيه ـ عند الكلام على معنى قول الله عز وجل: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ ﴾[٢] ـ : « ولا يصح أن تفسر الإرادة هاهنا بالإرادة الدينية، وهي الأمر والمحبة، فإنه سبحانه قد أراد ذلك لهم أمراً ومحبةً، ولم يرده منهم كوناً، فأراد الطهارة لهم وأمرهم بها، ولم يرد وقوعها منهم ؛ لما له في ذلك من الحكمة التي فواتها أكره إليه من فوات الطهارة منهم، وقد أشبعنا الكلام في ذلك في كتابنا الكبير في القدر »[٣] .

ب- **الصواعق المرسلة** : حيث قال في ص(٥٨٥-٥٨٧) من كتابه هذا ـ بعد أن ذكر إنكار القدرية للمرتبة الثالثة من مراتب الهداية « هداية التوفيق والإلهام وخلق المشيئة المستلزمة للفعل » وتأوّلهم للآيات الدالة على هذه المرتبة على غير تأويلها : « وهذا من جناية القدرية على القرآن ومعناه، نظير جناية إخوانهم من الجهمية على نصوص الصفات وتحريفها عن مواضعها، وفتحوا للزنادقة

---

(١) (ص٤٩٣) من طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) سورة المائدة، آية : ٤١ .

(٣) إغاثة اللهفان (١/ ٥٦).

والملاحدة جنايتهم على نصوص المعاد وتأويلها بتأويلات إن لم تكن أقوى من تأويلاتهم لم تكن دونها، وفتحوا للقرامطة والباطنية تأويل نصوص الأمر والنهي بنحو تأويلاتهم، فتأويل التحريف الذي سلكته هذه الطوائف أصل فساد الدنيا والدين وخراب العالم، وسنفرد ـ إن شاء الله ـ كتاباً نذكر فيه جناية المتأولين على الدنيا والدين » . وهذا الكلام لا ينطبق إلا على كتابه الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة . وانظر منه (١/ ٣٤٨-٥٢٠) .

ويستنتج من قول المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في مقدمة كتابه هذا ص(١٣٤) : «فيا أيها المتأمل له الواقف عليه، لك غُنْمه، وعلى مؤلفه غُرْمه، ولك فائدته وعليه عائدته، فلا تعجل بإنكار ما لم يتقدم لك أسباب معرفته، ولا يحملنّك شنآن مؤلفه على أن تحرم ما فيه من الفوائد، التي لعلك لا تظفر بها في كتاب، ولعل أكثر من تعظمه ماتوا بحسرتها »، إن تأليفه لهذا الكتاب كان في وقت علو شأنه وذيوع صيته، له تلامذة وأصحاب، وله مناوؤن وأعداء، كما أن مادة الكتاب تشعر بذلك[١] .

منهج المؤلف في هذا الكتاب:

سار المؤلف ـ رحمه الله ـ في هذا الكتاب وفق المنهج التالي :

١- الاعتماد على الكتاب والسنة ثم تقديم الراجح من أقوال الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ على من سواهم : وهذا هو منهجه في جميع كتبه، ومنها هذا الكتاب، وهو ظاهر جداً بحيث لا يحتاج إلى ذكر مثال له، وهو منهج أئمة السلف قديماً وحديثاً .

٢- الدقة في النقل : وتتمثل في التزامه بنسبة الأقوال إلى قائليها، وأمثلتها في

(١) انظر : كتاب ابن القيم من آثاره العلمية (ص١٢٦-١٢٧) لأحمد ماهر البقري .

هذا الكتاب كثيرة جداً، منها : ما ورد في ص(٦١٣) عندما أشار إلى كلام الجويني في « النظامية » قال : ونحن نذكر كلامه بلفظه، ثم ذكره .

٣- السعة والشمول : فهو عندما يناقش أي مسألة يستقصى جميع ما يتعلق بها، وهذا شأنه في كتبه، ولذا ترى كثيراً ممن ترجموا له يذكرون عنه ذلك، ومنهم حاجي خليفة الذي قال عندما ذكر كتابه هذا : « بسط الكلام فيه كل البسط كما هو دأبه »[1] .

ولا غرو في ذلك ؛ فهو قد حاز علوماً شتى، حتى إن القارئ عندما يقرأ كلاماً له حول مسألة لغوية مثلاً يتبادر إلى ذهنه لأول وهلة أن هذا العلم هو ميدانه، ثم ما يلبث أن يزداد إعجاباً بهذا العَلَم الشامخ عندما يقرأ له في فن آخر، لذا فلا عجب عندما توصف مؤلفاته بالسعة والشمول، وهذه ميزة طيبة محمودة لصاحبها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده .

ومن أمثلة ذلك في هذا الكتاب : ما ذكره المؤلف في الباب السابع عشر، فقد ذكر الكسب والجبر، ومعناهما لغة واصطلاحاً، وذكر عدداً من أقوال أهل اللغة، وذكر شواهد لهذه الأقوال من الشعر، كما ذكر أقوال المفسرين وغيرهم، مع مناقشة ما يحتاج إلى مناقشة وترجيح ما يراه راجحاً، مما يجعل طالب العلم يلم بأطراف الموضوع من كل جوانبه.

٤- قبول الحق بغضّ النظر عن قائله : وهذا منهج يتميز به السلف الصالح، حيث إن الحق هو طلبتهم وإليه يسعون، ولذلك نرى المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يقرر هذا المنهج في مواضع عدة من كتابه هذا، منها :

---

(١) كشف الظنون (٢/ ١٠٥١) .

ما ورد في ص(٤٦٠-٤٦١) عندما ذكر أقوال الجبرية والقدرية في أعمال العباد، قال : « وأرباب هذه المذاهب مع كل طائفة منهم خطأ وصواب ، وبعضهم أقرب إلى الصواب، وبعضهم أقرب إلى الخطأ ..» ثم قال : « وأهل السنة وحزب الرسول وعسكر الإيمان لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، بل هم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه، وهم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه، وكل حق مع طائفة من الطوائف منهم يوافقونهم فيه، وهم بُرآء من باطلهم». وانظر أيضاً ص(٥٩١) .

وما ورد في ص(٥٩٩) عندما ذكر قول القدرية في الآيات الواردة في الطبع قال : « ولعمر الله إن الذي قاله هؤلاء حقه أكثر من باطله، وصحيحه أكثر من سقيمه ... » .

٥- إعادة ذكر بعض المسائل في أكثر من موضع حسب دعاء الحاجة إلى ذلك، وهذا يتمثل في أمرين :

أحدهما : أن يذكر الكلام في كتاب واحد من كتبه، ومثاله في هذا الكتاب ما ورد في ص(٥٤١-٥٤٢) عند هداية الحمام، فقد أعاده مرة أخرى في ص(٥٦٠).

الثاني : أن يذكر الكلام على مسألة معينة في عدد من كتبه، ومثاله ما ورد في هذا الكتاب ص(٨٢٣-٨٢٤) حول مسألة طلاق الغضبان، فقد ذكرها في كتابه « إغاثة اللهفان » في طلاق الغضبان (ص٢٧وما بعدها)، وفي كتاب « إعلام الموقعين » (٣/ ٥٢-٥٣)، وفي كتاب « زاد المعاد » (٤/ ٤١-٤٢)، وكذلك مسألة طلاق السكران، ذكرها في هذا الكتاب في ص(٨٢٢-٨٢٣)، وفي كتاب « إعلام الموقعين » (٤/ ٤٨-٤٩)، وفي كتاب « زاد المعاد » (٤٠/ ٤١) .

ولعل له في ذلك مقاصد يمكن التماس بعضها فيما يلي :

أ- إن قسماً كبيراً من مؤلفاته يوصف بأنه موسوعي، بمعنى أنه يبحث

موضوعات عدة في كتاب واحد ؛ لذا فلا غرابة أن يحصل تكرار لما يرد في هذه الكتب مع كتبه الأخرى التي خصصها لبحث موضوع معين .

ب- أن تكون الإعادة اختصاراً لما أطاله في موضع آخر، أو لها ارتباط بكلا الموضعين .

٦- **الاستطراد** : وسأذكر أمثلة منه في « تقويم الكتاب » .

٧- **المناقشة والاختيار** : فهو عندما يذكر الاستدلالات يشبعها بحثاً ودراسة وتحليلاً، ومما ساعده على ذلك سعة اطلاعه، وما وهبه الله من جودة في الفهم وقوة في الإدراك، لذا لم يكن يذكر شيئاً في استدلالات الناس على المسائل دون تمحيصه ودراسته، وقبول الحق منه ورد باطله، وترجيح ما يراه راجحاً، ومن أمثلة ذلك في هذا الكتاب ما ورد في ص(٨٢٤) عندما ذكر مسألة طلاق الغضبان . وص(٦٣١) فقد خطّأ أبا إسحاق الزجّاج في تعريفه « للغين » وجعله « كالرين » وص(٥٠٠-٥٠١) فقد ذكر أقوال العلماء في مفسر الضمير في قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾[1] ثم قال : « وعندي في هذه الأقوال شيء ...» ثم أخذ يناقش تلك الأقوال، واختار ما رآه راجحاً .

ومنه ما ورد في البابين التاسع عشر، والعشرين من المناظرات التي عقدها المؤلف بين سني وقدري، وبين سني وجبري .

٨- **عذوبة اللفظ وقوة البيان** : لقد أوتي ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ قدرة فائقة على صياغة كلامه بأسلوب عذب خالٍ من التكلّف والتصنّع، وهذا ما عبّر عنه الشوكاني ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله : « وله من حسن التصرف، مع

---

(١) سورة الحجر، آية : ١٢ .

العذوبة الزائدة وحسن السياق، ما لا يقدر عليه غالب المصنفين، بحيث تعشق الأفهام كلامه، وتميل إليه الأذهان، وتحبه القلوب »[١] .

ويتميز أسلوبه بعدة أمور منها :

أ- الاقتباس من القرآن الكريم : وهو كثير ومن أمثلته في هذا الكتاب ما ورد في ص(١٠٩) حينما قال في خطبة الكتاب : « ثم استوى على العرش المجيد بذاته، منفرداً بتدبير خلقه بالسعادة والشقاوة، والعطاء والمنع، والإحياء والإماتة، والخفض والرفع، والإيجاد والإفناء، والنقض والإبرام ، ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾[٢] .

* وما ورد في ص(١١٢) قال : «وجعل أهل ذكره أهل مجالسته، وأهل شكره أهل زيادته، وأهل طاعته أهل كرامته، وأهل معصيته لا يقنطهم من رحمته، إن تابوا فهو حبيبهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[٣] .

* وانظر أيضاً ص(١١٥، ١١٦، ١٢٥، ٦٩١) .

* ومن السنة النبوية المطهرة : ومن أمثلته ما ورد في ص(١١٠-١١١) حيث قال في خطبة الكتاب : «والحمد لله ذي الإفضال والإنعام ..» إلى أن قال : **«فهو الحي القيوم الذي لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عملُ الليل قبل النهار، وعملُ النهار قبل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه »** .

---

(١) البدر الطالع (٢/ ١٤٤) .

(٢) اقتباس من الآية ٢٩ من سورة الرحمن .

(٣) اقتباس من الآية : ٢٢٢ من سورة البقرة .

* وهذا الكلام مقتبس من الحديث الذي رواه أبوموسى الأشعري ﷺ ، وانظر تخريجه في ص(١١١-١١٢) ، وانظر أيضاً ص(١١٣، ١٢٥) .

* ومن الشعر : ومن أمثلته ما ورد في ص (٢٢٤) حيث قال : فإثبات القدر من تمام حجته البالغة عليهم، وأن الأمر كله لله « **وأن كل شيء ما خلا الله باطل** »، فما بين القوسين من بيت للبيد . وانظر تخريجه في ص(٢٢٤-٢٢٥) .

ب- **التمثيل:** أحياناً يريد المؤلف أن يقرِّب صورة أمرٍ ما لفهم القارئ، فيضرب له مثلاً، كما ورد في ص(٨٢١-٨٢٢) عندما قال : فالربُّ تعالى أعطى عبده مشيئة وقدرة وإرادة، وعرَّفه ما ينفعه وما يضره، وأمره أن يجري مشيئته وإرادته وقدرته في الطريق التي يصل بها إلى غاية صلاحه، فإجراؤها في طريق هلاكه بمنزلة من أعطى عبده فرساً وأوقفه على طريق نجاة وهلكة، وقال: أجرها في هذا الطريق ... وإذا أردت فهم هذا على الحقيقة فتأمل حال من عرضت له صورة بارعة الجمال فدعاه حسنها إلى محبتها، فنهاه عقلُه وذكّره ما في ذلك من التلف والعطب، وأراه مصارع العشاق عن يمينه وعن شماله ومن بينه ومن خلفه، فعاد يعاود النظر مرة بعد مرة، ويحُثُّ نفسه على التعلق وقوة الإرادة، ويحرص على أسباب المحبة، ويدني الوقود من النار، حتى إذا اشتعلت وشبَّ ضرامها ورمت بشررها، وقد أحاطت به ؛ طلب الخلاص، قال له القلب : هيهات ولات حين مناص، وأنشده :

تولَّـع بالعـشق حتـى عـشق ... فلمـا اسـتقل بـه لم يطـق

رأى لجـة ظنهـا موجـة ... فلمـا تمكـن منهـا غـرق

فالمؤلف في هذا النص ضرب الأمثلة واستشهد بالشعر .

ت- **الاستشهاد بالشعر** : منها ما سبقت الإشارة إليه آنفاً، ولمعرفة مزيد من

الأمثلة انظر فهرس الشعر .

ث- **السجع** : يميل ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ إلى السجع في كثير من كتبه، وهو سجع غير متكلف، ولا مقصود بذاته، بحيث يؤثر على المعنى المراد التعبير عنه، والسجع يعطي الكلام وقعاً عذباً على النفس، وكأن الكلمات أسلمت زمامها لابن القيم وانقادت، فهو يختار منها ما يشاء دون عناء، وأول ما تراه من السجع في هذا الكتاب هو عنوانه : شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل .

ثم في مقدمته حيث يقول : الحمد لله ذي الإفضال والإنعام، والمنن الجسام، والأيادي العظام، ذي الجلال والإكرام، الملك القدوس السلام ....» إلخ، وأمثلته في هذا الكتاب كثيرة .

ج- **حسن التصوير** : ومن أمثلته في هذا الكتاب قوله في ص(٨٩٣) : «وما لم يلزم من إثبات ذلك من الباطل الذي تتخيله خفافيش العقول فنحن له منكرون»، ويتضح هذا التصوير البليغ إذا عرفنا أن الخفافيش توصف بضعف البصر والدماغ، وصغر عيونها .

وفي ص(٨٣٤) حيث صوّر من سوّى بين حركة السارق والمجاهد، وحركة المكتوف، فقال : « فمن سوّى بين الحركتين، فقد خلع رِبْقَة العقل والفِطرةِ والشِّرعَةِ من عنقه » .

وفي ص(٧١٣-٧١٤) عندما أشار إلى ما يجول في نفوس كثير من الناس حول كيفية اجتماع القضاء والقدر والأمر والنهي، والعدل والعقاب على المقضي المقدر، حيث قال : «سلك كل طائفة في هذا المقام وادياً وطريقاً، فسلكت الجبرية وادي الجبر... وسلكت القدرية وادي العدل والحكمة، ووقفت

طائفة أخرى في وادي الحيرة بين القدر والأمر ... » .

وفي ص(٨٣٣) حيث قال : « قال السني : هذا أَحَدٌ سهمٍ في كنانتك، وهو بحمد الله سهم لا ريش له ولا نصل، مع عوجه وعدم استقامته».

ح- **دقة الوصف وجماله لما يصفه من المشاهد** : وهذا ظاهر جداً في الباب الرابع عشر ص(٥٢٢ وما بعدها) عندما تكلم عن هداية النحل والنمل والهدهد والحمام وغيرها، فقد وصف أحوالها وصفاً دقيقاً، بأسلوب جميل أخّاذ .

مصادره :

إنَّ المطَّلع على كتب الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ يرى أنه رجع إلى كتب كثيرة في مختلف الفنون، ولا غرابة في ذلك ؛ حيث كان لديه مكتبة كبيرة، فقد قال تلميذه ابن رجب : «... واقتنى من الكتب ما لم يحصل لغيره »[(١)] .

وقال تلميذه ابن كثير : « واقتنى من الكتب ما لا يتهيأ لغيره تحصيل عشر معشاره من كتب السلف والخلف »[(٢)] .

وقال ابن حجر : « وكان مغرىً بجمع الكتب، فحصَّل منها ما لا يحصى، حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهراً طويلاً سوى ما اصطفوه منها لأنفسهم »[(٣)] .

وقد نقل في كتابه هذا عن مصادر كثيرة ـ بعد كتاب الله عـز وجل ـ بعضها ذكر القول منسوباً إلى قائله دون تحديد اسم الكتاب، والبعض الآخر صرح فيه

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤٩) .
(٢) البداية والنهاية (١٤/ ٢٠٢) .
(٣) الدرر الكامنة (٤/ ٢٢) .

باسم الكتاب، والمصادر التي نقل عنها في القسم الذي أحققه هي[1] :

١- الإشارات لابن سينا . ص(٢١٣) .

٢- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص(٦٣٥، ٧٩٩) .

٣- تجريد مقالات الأشعري لابن فورك ص(٧٧٦) .

٤- التحصيل لمحمود بن أبي بكر الأرموي ص(٨٣٥) .

٥- تفسير أسباط بن نصر ص(١٩٠) .

٦- تفسير ابن جرير الطبري ص(٤٩٤، ٤٩٥) .

٧- تفسير ابن مردويه ص(٢٨٢) .

٨- تفسير الأشجعي ص(٢٨٤) .

٩- تفسير البغوي « معالم التنزيل » ص(٣٣٢، ٣٤٤).

١٠- تفسير الثعلبي « الكشف والبيان عن تفسير القرآن » ص(٣٣٢) .

١١- تفسير الضحاك ص(٢٨٤) .

١٢- تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص(٣٦١، ٩٠٥) .

١٣- تفسير الواحدي « البسيط » ص(٥٠٥، ٧٥١) .

١٤- التمهيد لابن عبدالبر . ص(١٧١ وما بعدها) .

١٥- تهذيب الآثار للطحاوي ص(٥٣٣) .

١٦- تهذيب اللغة للأزهري ص(٤٩٧، ٦٢٥، ٦٣٦) .

١٧- جامع الترمذي ص(٦٨، ٦٨٢، ٧٠٣، ٧٥٨ وغيرها) .

١٨- الحيدة لعبدالعزيزالكناني ص(٨٨٥) .

١٩- الحيوان للجاحظ ص(٥٤٦) .

---

(١) مرتبة على الحروف الهجائية .

٢٠- خلق أفعال العباد للبخاري ص(٦٩٧، ٧٨٧) .
٢١- زاد المسير لابن الجوزي ص(٣٣٣، ٣٤٤، ٩٠٥) .
٢٢- الزهد للإمام أحمد ص(٥٣٣، ٧٣٠) .
٢٣- سنن ابن ماجه ص(٣٨) .
٢٤- سنن أبي داود ص(١٣٩ وغيرها) .
٢٥- سنن النسائي ص(١٦٥ وغيرها) .
٢٦- السنة للطبراني ص(٢٧٨) .
٢٧- شرح الإرشاد لأبي القاسم الأنصاري ص(٦٠٦، ٧٦٢، ٧٧٢) .
٢٨- شرح منازل السائرين لأبي العباس أحمد بن إبراهيم الواسطي ص(٢١٨) .
٢٩- الصحاح للجوهري ص(٤٨١، ٧٩٧، ٨٠٠) .
٣٠- صحيح البخاري (ص١٤٥ وغيرها) .
٣١- صحيح ابن حبان ص(٤٧٨) .
٣٢- صحيح مسلم ص(١٣٧ وغيرها) .
٣٣- القدر لابن وهب ص(١٤٦، ١٩٣ وغيرها) .
٣٤- القدر لأبي داود ص(٢٥٠) .
٣٥- الكشاف للزمخشري ص(٣٤٤، ٥٣٩) .
٣٦- مجاز القرآن لأبي عبيدة ص(٦٢٧، ٦٣٠) .
٣٧- مفتاح دار السعادة لابن القيم ص(٧٧٩) .
٣٨- المجالسة لأحمد بن مروان المالكي ص(٦٥٩) .
٣٩- مختصر الإرشاد للأسفرائيني ص(٧٦٢) .
٤٠- المستدرك للحاكم ص(١٥٥ وغيرها) .
٤١- مسند الإمام أحمد ص(١٥٢ وغيرها) .

٤٢- مسند إسحاق بن راهويه ص(١٧٩ وما بعدها) .
٤٣- مسند الطيالسي ص(١٤٧ وغيرها) .
٤٤- مسند محمد بن نصر المروزي ص(١٨٤ وما بعدها) .
٤٥- معاني القرآن وإعرابه للزجاج ص(٣٣١ وغيرها) .
٤٦- معاني القرآن للفراء ص(٣٦١ وغيرها) .
٤٧- المعجم الكبير للطبراني ص(٢٧٨) .
٤٨- مقالات الإسلاميين للأشعري ص(٧٧٦ وغيرها) .
٤٩- منازل السائرين للهروي ص(٢١٦) .
٥٠- النظامية للجويني ص(٧٦٣، ٨٣٩) .
٥١- موطأ الإمام مالك ص(١٧٠) .
٥٢- النقض لعثمان الدارمي (الرد على المريسي) ص(٢٧٨) .

بعض المؤلفات في الرد على القدرية:

لما ظهرت بدعة القول في القدر تصدَّى لها الصحابة وعلماء التابعين ومن بعدهم بطلانها، وبيَّنوا فسادها بالقول والكتابة، وسأذكر فيما يلي بعض أسماء المؤلفات في الرد على القدرية، مشيراً إلى ما وصل إلينا منها:

١- رسالة أبي الأسود الدؤلي: المتوفى سنة ٦٩هـ [١] رحمه الله تعالى.
٢- رسالة يحيى بن يعمر: المتوفى سنة ٨٩هـ [٢] رحمه الله .
٣- رسالة الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب: المتوفى سنة ١٠٠هـ تقريباً [٣] . رحمه الله تعالى .

---

(١) انظر : تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين، المجلد الأول (٤/ ٤) .
(٢) انظر : تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين، المجلد الأول (٤/ ٤، ١٦) .
(٣) انظر : تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين، المجلد (٤/ ٤، ١٦) .

٤- رسالة الخليفة عمر بن عبدالعزيز: المتوفى سنة ١٠١هـ رحمه الله تعالى[١] .

٥- رسالة عيسى بن عمر الثقفي : المتوفى سنة ١٤٩هـ . رحمه الله .

٦- رسالة الرد على القدرية للإمام أبي حنيفة: المتوفى سنة ١٥٠هـ رحمه الله تعالى[٢] .

٧- رسالة الرد على القدرية للإمام مالك بن أنس : المتوفى سنة ١٧٩هـ رحمه الله تعالى[٣] .

٨- كتاب القدر لابن وهب القرشي : المتوفى سنة ١٩٧هـ . رحمه الله تعالى، وقد طُبع هذا الكتاب بتحقيق الدكتور عبدالعزيز العثيم .

٩- كتاب القدر لأبي داود، سليمان بن الأشعث، صاحب السنن : المتوفى سنة ٢٧٥هـ رحمه الله تعالى.

وهذا الكتاب ذكره المؤلف ـ ابن القيم في هذا الكتاب ونقل عنه كما في ص(١٢٩، ١٣٩، ١٤٤، ٤٤٦) ـ، وذكره أيضاً المزي، والذهبي[٤]، وابن رجب الحنبلي[٥]، وابن حجر العسقلاني[٦]، كما ذكره أيضاً المزي في تهذيب الكمال

---

(١) رواها أبونعيم الأصبهاني بسنده في كتابه « حلية الأولياء » (٥/ ٣٤٦-٣٥٣) .

(٢) انظر : الفهرست لابن النديم ص(٢٩٩) .

(٣) انظر : ترتيب المدارك للقاضي عياض (١/ ٢٠٤) ، سير أعلام النبلاء (٨٨) ، وقد صححا إسناد هذه الرسالة .

(٤) انظر : سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٠٦) .

(٥) انظر : جامع العلوم والحكم ص(٥٢) . نشر دار المعرفة، بيروت .

(٦) انظر : فتح الباري (١١/ ٤٨٣) .

في المقدمة[١] عند ذكره لعلامات من أخرج لهم أصحاب الكتب الستة، وفي تراجم بعض الرجال الذين روى عنهم أبوداود في كتاب القدر، وتابعه في ذلك ابن حجر في كتابيه « تهذيب التهذيب » ، و « تقريب التهذيب » ، وقد بحثتُ عن نسخ خطية لهذا الكتاب لحاجتي إلى توثيق بعض النصوص التي نقلها المؤلف عنه ولم أعثر على شيء، وكنت أثناء بحثي عن نسخة له في مكتبة الحرم المكي وجدت فيها ما يشر إلى وجود نسخة منه فطلبت صورة منها، واطلعت عليها، فوجدت أنها من مصورات الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية وأساسها محفوظ لدى ندوة العلماء للكنهو في الهند ـ مكتبة سيد كليم أحمد، وكتب على الصفحة الأولى منها : كتاب القدر وما رود في ذلك من الآثار للإمام أبي داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني صاحب السنن والمسائل والمراسيل والتاريخ وغيرها، مات سنة ٢٧٥هـ، وبعد قراءتي لها تبين لي أنها نسخة لكتاب القدر لابن وهب، وليست كتاب القدر لأبي داود، وإنما أخطأ الناسخ في نسبتها لأبي داود، ولعل السبب في هذا الخطأ هو كون كل أحاديثها يبدأ إسنادها برواية أبي بكر عبدالله بن سليمان بن الأشعث السجستاني .

١٠- كتاب القدر لأبي بكر جعفر الفريابي: المتوفى سنة ٣٠١هـ رحمه الله تعالـى ، وقد حقَّق هذا الكتاب حمدي الذهبي ، وحصل به على درجة الماجستير من قسم السنة في كليـة أصول الدين بالرياض ـ جامعة الإمـام محمد بن سعود الإسلامية.

(١) انظر : تهذيب الكمال (١/ ١٤٩) و (١١/ ٣٦١) .

١١- كتاب القدر لأبي أحمد بن إسحاق الصِّبْغي: المتوفى سنة ٤٣٢هـ رحمه الله تعالى(١) .

١٢- كتاب القدر لأبي بكر عبدالعزيز بن جعفر، غلام الخلال : المتوفى سنة ٣٦٣هـ، ذكره القاضي أبويعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادي في كتاب العدة في أصول الفقه، ونقل عنه(٢) .

١٣- كتاب الرد على القدرية لعبدالله بن أبي زيد، عبدالرحمن القيرواني : المتوفى سنة ٣٨٦هـ رحمه الله تعالى(٣) .

١٤- كتاب القدر لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني: صاحب كتاب الحلية، المتوفى سنة ٤٣٠هـ رحمه الله تعالى(٤) .

١٥- كتاب القدر لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي : صاحب السنن، المتوفى سنة ٤٥٨هـ رحمه الله تعالى .

وقد كان تحقيق هذا الكتاب هو موضوع رسالتي التي حصلت بها على درجة الماجستير من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين بالرياض .

١٦- كتاب القدر لأبي المظفر، منصور بن محمد السمعاني : المتوفى سنة ٤٨٩هـ رحمه الله تعالى(٥) .

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٨٥) .

(٢) انظر كتاب العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى (١/ ٢١٦) تحقيق د. أحمد المباركي . ط. الأولى ١٤٠٠هـ، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت .

(٣) انظر كتاب العدة في أصول الفقه (١٧/ ١١) .

(٤) انظر : كتاب العدة في أصول الفقه (١٩/ ٣٠٧) .

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ١١٧)، والأنساب للسمعاني حفيد أبي المظفر (٧/ ١٣٩).

١٧- كتاب القدر لابن قدامة، موفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة، صاحب المغني، المتوفى سنة ٦٢٠هـ [١] .

هذه بعض أسماء الكتب التي أُلفت في موضوع القدر استقلالاً، ومن العلماء من أفرد للقدر كتاباً أو باباً ضمن مؤلفه، وذلك من طريق الرواية فقط، كما فعل أئمة الحديث كالبخاري ومسلم وغيرهما .

ومنهم من ذكر القدر موضوعاً ضمن كتاب اشتمل على موضوعات عدة في العقيدة، وتوسع فيه بحيث ذكر الأحاديث والآثار، وأتبعهما بشيء من الشرح والإيضاح، وذلك كما فعل الآجري في « الشريعة »، واللالكائي في « السنة » .

مقارنة هذا الكتاب مع بعض ما ألف في بابه :

أشرتُ فيما سبق أن مما وصل إلينا من الكتب التي ألفت حول موضوع القدر الكتب الآتية :

١. كتاب القدر لابن وهب القرشي .
٢. كتاب القدر للفريابي .
٣. كتاب القدر للبيهقي .

وسأبيِّن فيما يلي منهج كل مؤلف في كتابه بعد ذكر تعريف مختصر عن تلك الكتب، ثم أذكر بعد ذلك مقارنة مختصرة لها مع كتاب « شفاء العليل » .

١- كتاب القدر لابن وهب القرشي :

طبع هذا الكتاب بتحقيق الدكتور عبدالعزيز العثيم كما أشرت إلى ذلك فيما سبق، وتبلغ عدد صفحاته مائة وأربعاً وعشرين صفحة من القطع الصغير، وعدد صفحات نسخته الخطية إحدى عشرة صفحة .

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٦٨) .

وهو كتاب صغير الحجم، سرد فيه مؤلفه جملةً من الأحاديث والآثار الواردة في القدر بسنده دون شرح لها، أو بيان لدلالاتها ومعانيها، ولم يسلك فيه منهجاً معيناً في الترتيب، كالترتيب على المسانيد، أو على الأبواب ونحوها، وقد قام محققه ـ جزاه الله خيراً ـ بتبويب الكتاب .

٢- كتاب القدر للفريابي :

ويبلغ عدد أوراقه خمساً وعشرين ورقة، وقد تم تحقيقه ـ كما أشرت إلى ذلك فيما سبق ـ وسلك فيه مؤلفه مسلك ابن وهب نفسه من حيث سرد الأحاديث والآثار بسنده من دون شرح لها أو تعليق عليها، إلا أنه توسَّع فيه أكثر من ابن وهب في ذكر الأحاديث والآثار، وقد نقل عنه تلميذه أبوبكر الآجري في مبحث الرد على القدرية من كتابه «الشريعة» كثيراً من هذه الأحاديث والآثار .

٣- كتاب القدر للبيهقي :

وعدد أوراقه مائة وتسع ورقات، وتوسع فيه مؤلفه أكثر من سابقيه، وجمع فيه بين الرواية للأحاديث والآثار بسنده، والتعليق عليها وشرح غوامضها، مستعيناً ببعض النقول عن بعض العلماء، ويتميز عن سابقيه بأن مؤلفه قسمه ثلاثين باباً، مبتدئاً بذكر مقدمة موجزة، أوضح فيها منهجه في كتابه هذا، بالاعتماد على كتاب الله عـز وجل، ثم سنة رسوله ﷺ ثم أقاويل صحابته والتابعين وأئمة المسلمين رضي الله عنهم ؛ لذا فهو في كل باب يذكر الآيات القرآنية الدالَّة على موضوعه، ثم يتبعها بالأحاديث النبوية، ثم الآثار مع إيضاح ما يحتاج إلى بيان وشرح وتعليق(١) .

---

(١) ولقد يسر الله سبحانه وتعالى إلى القيام بتحقيقه وترتيب أوراقه، وكان موضوع رسالتي لنيل درجة الماجستير.

مقارنة هذه الكتب مع كتاب المؤلف رحمه الله تعالى:

تبيَّن مما سبق أن هذه الكتب الثلاثة تشترك في روايتها للأحاديث النبوية والآثار بالسند، إلا أن البيهقي زاد على الكتابين الآخرين بكثرة الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث وترتيب كتابه على ثلاثين باباً، وذكر بعض أقوال العلماء والتعليق عليها .

وأما الإمام ابن قيم الجوزية، وإن كان يشترك مع البيهقي في الاستدلال بالآيات والإكثار من رواية الأحاديث وتقسيم الكتاب أبواباً إلا أن كتابه يختلف عن تلك الكتب كلها، بأمور تجعله فرداً في بابه ؛ لأن تلك الكتب تعد في مجملها سرداً للأحاديث الواردة في القدر دون الدخول في مناقشة تفصيلية للمخالفين من القدرية والجبرية والرجوع إلى مراجعهم وذكر أدلتهم، وأقوال أئمتهم، ومناقشتها والرد عليها، وبيان مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الموضوع مفصلاً ومدعوماً بالأدلة النقلية والعقلية، والإكثار من الآثار الواردة عن السلف في ذلك، وأما ابن القيم الجوزية فقد جمع ذلك، كما احتوى كتابه على ذكر مناظرات بين جبري وسني، وقدري وسني، اشتملت على مناقشة لآراء الجبرية والقدرية وبيان ما فيها من باطل، بأسلوب علمي خال من التعصب والمكابرة وغمط الحق .

قيمته العلمية:

يصعب على أي باحث أن يقوّم ما كتبه غيره، وبخاصة إذا كان مما كتبه علم من أعلام العلماء الشامخة كابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى، لذا لم أضمن خطة هذا البحث التي قدمتها لقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة هذا المبحث، إلا أنها أضيفت من مجلس الكلية، فأصبح لزاماً عليَّ أن أكتب ما توصلت إليه في ذلك مراعياً الإنصاف، فأقول وبالله التوفيق: تميز هذا الكتاب بعدة أمور ؛ منها :

١- كونه من أهم المراجع ـ إن لم يكن أهمها ـ في موضوعه، وأشملها، وأحسنها ترتيباً وتبويباً، ولعل ذلك ظاهر في تلقي العلماء له بالقبول، ومما يؤيد ذلك نفاد طبعاته الكثيرة برغم ما فيها من نقص وأخطاء مطبعية .

٢- ظهور شخصية المؤلف رحمه الله تعالى في الكتاب كله، وذلك في مناقشته للأدلة، وترجيح الراجح منها، مع بيان الدليل والتعليل .

٣- إن المؤلف رحمه الله تعالى ذكر في هذا الكتاب قواعد عامة من مناهج السلف الصالح، ينبغي على كل طالب علم ينشد الحق أن يلتزم بها، فهي تمثل علاجاً ناجعاً لكثير من انحرافات الفرق المختلفة، ومنها : قاعدة في كيفية التعامل مع أحاديث الرسول ﷺ، حيث قال ، بعد أن ذكر اتفاق أحاديث رسول الله ﷺ وتصديق بعضها بعضاً : « وما يُؤتى أحدٌ إلا من غلط في الفهم، أو غلط في الرواية، ومتى صحت الرواية وفهمت كما ينبغي تبين أن الأمر كله من مشكاة واحدة صادقة متضمنة لنفس الحق » . (ص) .

وقاعدة فيما يجب على متأول النصوص، فقال ـ بعد أن ذكر أن تأويل التحريف هو أصل فساد الدنيا والدين وخراب العالم ـ : « فالمتأوِّل عليه أن يبيِّن صلاحية اللفظ للمعنى الذي يذكره أولاً، واستعمال المتكلم به في ذلك المعنى في أكثر المواضع، حتى إذا استعمله فيما يحتمل غيره، حُمِلَ على ما عُهِدَ منه استعمالـه فيه، وعليه أن يقيم دليلاً سالماً عن المعارض على الموجب لصرف اللفظ عن ظاهره وحقيقته إلى مجازه واستعارته، وإلا كان ذلك مجرد دعوى منه فلا تُقبل » . ص: .

وقاعدة في الصفات، حيث نقل عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى قوله : « لا نزيل عن الله صفة من صفاته لأجل شناعة المشنعين » . ثم قال : « والمقصود أنا

لا نجحد محبته سبحانه لما يحبه، وكراهته لما يكرهه، لتسمية النفاة ذلك ملاءمة ومنافرة، وينبغي التفطن لهذا الموضع، فإنه من أعظم أصول الضلال». (ص) .

٤- دقة المؤلف وحرصه على الاستدلال بالأحاديث الصحيحة، وبيان ما في بعضها من ضعف، وذلك ظاهر جداً في هذا الكتاب، فهو يعزو الأحاديث إلى من خرجها، ويذكر ما قاله العلماء في بعضها من تصحيح وتضعيف .

٥- سعة الكتاب وشموله وإعطاء الموضوع ما يستحقه .

٦- دقة النقل، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في منهج المؤلف .

٧- تحلي المؤلف بالإنصاف والموضوعية، فهو يقبل الحق ممن جاء به .

إلا أن هذا الكتاب ـ مع جلالة قدر مؤلفه ـ لا يخلو من بعض المآخذ، منها :

١- إن المؤلف اعتمد في نقله لكثير من أقوال المفسرين وعلماء اللغة على كتاب البسيط للواحدي، ولم يشر إلى ذلك، وهذا تبيَّن لي بعد مقابلتي لتلك الأقوال مع ما نقله الواحدي في تفسيره البسيط .

٢- نقله بعض النصوص دون نسبتها إلى قائليها، ومن ذلك ما نقله عن أبي إسحاق الزجّاج رحمه الله تعالى في ص( )، وذلك على خلاف عادته حيث نقل عنه في مواضع كثيرة من هذا الكتاب، كلها ينسبها، ومن ذلك ما نقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ص(٦٣٣، ٧٦٣ وما بعدها) ولعل ذلك يحمل على أنه تلقاه عنه مشافهة . ومن ذلك أيضاً ما نقله عن الجاحظ كما في ص(٣٩٠، ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٠٠، وما بعدها) .

٤- الاستطراد : وذلك يظهر جلياً في الباب الرابع عشر في الهدى والضلال ومراتبهما، والمقدور منهما للخلق وغير المقدور لهم، عندما تحدث عن مرتبة

الهدى العام من مراتب الهدي الأربع، وهي هداية كل نفس إلى مصالحها، ومعاشها وما يقيمها، تكلم عن النحل والنمل، والهدهد، والحمام، والديك، والمكَّاء، والثعلب، والذئب، والقرد، والبقرة، وغيرها . واستغرق هذا حوالي أربعاً وأربعين صفحة من ص(إلى   )، وكان يكفي فيه بعض الأمثلة، بدلاً من الاستطراد والتوسع في وصف حالة تلك الحيوانات .

وقد أدرك المؤلف رحمه الله تعالى هذا عندما قال بعد نهاية كلامه: « فلنرجع إلى ما ساقنا إلى هذا الموضع، وهو الكلام على الهداية العامة » .

ولعل المؤلف رحمه الله تعالى قصد من استطراده هذا أن يكون مكان استراحة يجدد فيها القارئ نشاطه، ويطرد عنه السآمة والملل، ولا سيما أنه كتب هذا الكلام بأسلوبه الأدبي الجميل .

***

الفصل الثاني

التعريف بنسخه الخطية

- عدد النسخ
- التعريف بها وأماكن وجودها
- نماذج مصورة منها

التعريف بنسخ الكتاب

طبع هذا الكتاب أول مرة بالمطبعة الحسينية بمصر سنة ١٣٢٣هـ بعناية محمد مصطفى النعساني[١]، وذكر أنه طبع النصف الأول منه على مخطوطتين إحداهما نسخة دار الكتب المصرية، والأخرى من العراق، والنصف الثاني على نسخة دار الكتب المصرية فقط، كما طبع الكتاب بعد ذلك عدة طبعات؛ إحداها طبعة دار الكتب العلمية في بيروت[٢]، وقد أشير في تلك الطبعات إلى أن هاتين النسختين الخطيتين ينقص منهما الباب الثالث والعشرون، أو الثاني والعشرون على الأرجح، ورجا مصحح الكتاب أن يوفق في العثور على نسخة خطية كاملة تتلافى هذا النقص .

وطبعة دار الكتب العمية أحسن من سابقتها، حيث إنه تم فيها عزو الآيات القرآنية إلى سورها ووضع علامات الترقيم، إلا أنها كعمل سائر البشر، فيها جوانب نقص كثيرة؛ منها :

١- أنها طبعة فيها عيوب كثيرة، ولا تفي بالغرض المطلوب، وذلك بإقرار من قام بمراجعتها؛ حيث قال[٣] : ولقد اجتهدت في نفي العيوب لكن بعض مواضع الاضطراب فضلاً عن الباب الناقص لابد فيه من تحقيق جديد .

---

(١) هو : محمد بن مصطفى بن رسلان النعساني، الحلبي، أبوفراس، بدر الدين : كاتب، أديب، له شعر، ولد في حلب سنة ١٢٩٨هـ . وتوفي بها سنة ١٣٦٢هـ . له عدة مؤلفات منها : شرح أسماء أهل بدر وأُحد، ونهاية الأرب في شرح معلقات العرب، وشرح شواهد المفصل للزمخشري، وغيرها . الأعلام (٧/ ١٠٢) .

(٢) بعناية الحساني عبدالله .

(٣) انظر : ص(٥٠٩) من طبعة دار الكتب العلمية .

٢- أنها ناقصة نحو ورقتين من خطبة الكتاب، وهذا لم يشر إليه من نشرها أول مرة ومن جاؤوا بعده .

٣- أنه بمقابلتي لها على نسخ الكتاب الخطية، اتضح لي أن مراجعها ـ جزاه الله خيراً ـ لم يقم بأي عمل سوى تخريج الآيات، ووضع علامات الترقيم، وبعض الاجتهادات الشخصية في تصحيح النص، والتي تفتقر إلى المنهج العلمي السليم، لذا لم يخلُ هذا العمل من أخطاءكثيرة في عزو الآيات إلى سورها، وفي الأحاديث وغيرها .

٤- أنه لم يتم تخريج الأحاديث والآثار وأبيات الشعر الواردة فيها .

٥- أنها كثيرة الأخطاء وغير محققة، ولم يتم توثيق نصوصها توثيقاً علمياً .

وفي عام ١٤١٢هـ طبع الكتاب طبعة جديدة[١] بعناية مصطفى أبوالنصر الشلبي، الذي ذكر أنه علق عليه وخرج نصوصه، ورجا كذلك أن يهيَّأ له الحصول على المخطوطات الأصلية لهذا الكتاب ليستطيع خدمته على الوجه الأكمل .

وهذه الطبعة تميَّزت عن ما سبقها بأنها وردت فيها الآيات القرآنية مصورة عن المصحف مباشرة ومعزوة إلى سورها، وببعض التخريجات والتعليقات . إلا أن عليها بعض المآخذ، أجملها فيما يلي :

١- أنها لم تأتِ بشيء جديد مما رجا الأولون تحقيقه من وجود نسخة خطية كاملة تتلافى نقص هذا الكتاب .

٢- أنها تشترك مع الطبعات السابقة في كثرة الأخطاء، حتى إنني قابلتها مع

---

(١) نشر مكتبة السوادي بجدة .

طبعة دار الكتب العلمية، فتبين لي أنها مطابقة لها مطابقة حرفية، حتى إن الأخطاء المطبعية وردت كما هي دون تصحيح، ومن أمثلة ذلك ما ورد في أول الباب الرابع عشر حيث سقط من طبعة دار الكتب العلمية نحو سطر، وتابعتها هذه الطبعة على ذلك، ولم يكتف معلقها بذلك بل علق عليه في الهامش بما يفيد بأن المؤلف لم يذكر سوى ثلاث مراتب بالرغم من أن المرتبة الرابعة وردت في طبعة المطبعة الحسينية .

٣- ومن أمثلة أخطاء عزو الآيات القرآنية ما ورد في (١/ ٣١٠) حيث تم عزو قولـه تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ إلى سورة الأنعام الآية (٣)، والصحيح أنها آية ٣٩ من سورة الأعراف .

- ومن أمثلة أخطاء التخريج والترقيم في هذه الطبعة ما ورد في (١/ ١٩٩) منها حيث ذكر حديث رسول الله ﷺ في تكلم البقرة، والذئب، وقوله ﷺ في آخر الحديث : « **إني أؤمن بهذا، أنا وأبوبكر وعمر** » وقول الراوي : وما هما ثَـمَّ - بالثاء المثلثة أي : ليسا حاضرَين - حيث حُرفت « ثَـمَّ » إلى « تم » ووضعت خارج القوس .

٤- كما أن النقول والأقوال لم توثق من مصادرها، بالرغم من كون كثير منها من الكتب المطبوعة المتداولة، انظر على سبيل المثال (١/ ١٦٢) حيث ذكر المؤلف قول الجوهري في الصحاح ولم يوثقه .

٥- أنها قسمت جزئين : الجزء الأول، والجزء الثاني، والمعروف أن الكتاب مجلد واحد وليس له أجزاء .

وقد كنت أثناء عملي في رسالة الماجستير، التي كانت تحقيقاً لكتاب القدر

للإمام البيهقي رحمه الله تعالى، أحتاج كثيراً إلى الرجوع إلى كتاب شفاء العليل، وبعد أن أنهيتُ رسالة الماجستير عزمتُ على التقدم بهذا الكتاب لنيل درجة الدكتوراة، وكان الأمر يتطلب أن أعثر على نسخة خطية كاملة لهذا الكتاب تسد النقص الذي أشير إليه، فقمت بزيارة أغلب المكتبات الموجودة في المملكة، والتي توجد بها مخطوطات، واستعرضتُ فهارس المخطوطات الأصلية والمصورة بتلك المكتبات، ولم أعثر على أية نسخة لديهم .

كما استعرضتُ فهارس مخطوطات المكتبات العربية والإسلامية والدولية، ولم أجد شيئاً ما عدا فهرس دار الكتب المصرية، حيث ورد فيه ذكر لنسخة خطية واحدة، وفهرس مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، حيث ذكرت فيه نسخة أخرى، وهما اللتان طبع الكتاب عليهما، كما راجعت كتاب تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان وذيله، فلم أجد لهذا الكتاب ذكراً فيهما .

واتصلت هاتفياً بالدكتور فؤاد سزكين في ألمانيا ـ حيث إنه من المختصين في المخطوطات ـ وسألته عما يعرفه عن نسخ هذا الكتاب الخطية، فاستمهلني مدة للبحث، ثم اتصلت به بعد ذلك، فلم يذكر لي سوى نسخة دار الكتب المصرية .

كما سألتُ عدداً من العلماء الذين لهم اهتمام بالمخطوطات، منهم فضيلة الشيخ حماد الأنصاري رحمه الله تعالى .

ولم أكتفِ بذلك بل واصلت البحث والتنقيب، ونظراً إلى أنني سبق أن زرت تركيا أثناء عملي في تحقيق كتاب القدر للبيهقي وزرت كثيراً من مكتباتها التي تعد من أغنى مكتبات العالم بالمخطوطات العربية، وغالب فهارسها باللغة التركية، فقد خطر ببالي أنه ربما توجد نسخ لهذا الكتاب في تلك المكتبات، التي تحوي كنوزاً من التراث الإسلامي، وهذا الاحتمال وإن كان ليس له ما يسنده

في بادئ الأمر إلا أنني قررت القيام بالسفر لعلي أن أوفق في الحصول على نسخـة كاملة لهذا الكتاب غير مذكـورة في فهـارس المخطوطـات، ومما قوى عزمي على ذلك أن جميع نسخ هذا الكتاب الموجودة ناقصة، لذا فأي جهد يبذل للعثور على نسخة كاملة ـ وإن كان الاحتمال ضعيفاً ـ أمرٌ مهمٌ جداً ويستحق الاهتمام به مهما كلف من مشقة مادية وحسية، ولهذا سافرت وأخذت أنقّب في المكتبات هناك مستعيناً بمن يترجم لي من اللغة التركية إلى العربية، فبحثت في عدد من مكتبات استانبول، فلم أعثر على شيء، فواصلت البحث في عدد من المدن التركية التي توجد فيها مخطوطات، إلى أن تمكنت بتوفيق الله عـز وجل من العثور على نسخة خطية كاملة لهذا الكتاب في مكتبة جامع يوسف آغا بمدينة قونية، وذلك بعد جهد جهيد ووقت طويل، إلا أن ذلك كله يهون في سبيل الحصول على هذه النسخة، خاصة أنها النسخة الوحيدة الكاملة .

وبذلك يكون اجتمع لدي ثلاث نسخ خطية لهذا الكتاب، ولم يتوقف بحثي عن النسخ عند هذا الحد، بل واصلت البحث ولكن لم أعثر على شيء .

وصف النسخ الخطية:

تبين مما سبق أن لهذا الكتاب ثلاث نسخ خطية، وسأذكر فيما يلي وصفاً مختصراً لتلك النسخ، بادئاً بالنسختين اللتين طبع عليهما الكتاب، ثم أذكر بعد ذلك وصف النسخة الثالثة التي عثرت عليها :

١ - **نسخة دار الكتب المصرية** : وهي محفوظة تحت رقم (٣٢٣) علم الكلام، وكانت من ضمن مخطوطات مكتبة الكتبخانة الخديوية المصرية تحت رقم خاص (٣٢٣) ورقم عام (١٩٢٤٥) وتقع هذه النسخـة في مجلد واحد، وعدد أوراقهـا

(٢٦٦ورقة)، وفي كل صفحة (٢٥) سطراً، مخروم منها نحو ورقتين من الخطبة، وكُتِبت بقلم عادي، وكُتب على صفحتها الأولى وقفية نصها : «وقف هذا الكتاب فقير عفو الله ومغفرته أحمد الفوبي[1] على طلبة العلم الشريف ينتفعون بذلك الانتفاع الشرعي على الوجه الشرعي .. ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾، حرر في أواسط[2] ... ست وأربعين ...» .

ولم يكتب على هذه النسخة تاريخ نسخها، ولا اسم ناسخها، ويقع هذا القسم الذي بين يديك في مائة وثمان وستين ورقة وصفحة واحدة .

٢- نسخة مكتبة الأوقاف العامة ببغداد : وهي محفوظة تحت رقم (٧١٥٥) وتقع في مجلد واحد، وعدد أوراقها (٢١٠) ورقة، ومقاس الورقة ٢٣×١٤ سم، وفي كل صفحة (١٩) سطراً، وهي مخرومة الأول، وأول الموجود منها : الباب الثاني، ووسطها أيضاً فيه سقط يعادل حوالي (٢٩) ورقة من النسخة التركية، ويلحظ أن هذا السقط لا يبدأ في نهاية صفحة، بل كتب ما قبله متصلاً بما بعده بحيث يظهر للمتصفح لأول وهلة بأنه كلام متصل، كما أن آخر هذه النسخة مخروم، وينتهي في النوع الخامس عشر، وهذا الخرم يقع في القسم الثاني من هذا الكتاب، ويقع هذا القسم الذي بين يديك في مائة وسبع وخمسين ورقة .

وكُتِبَ على الصفحة الأولى منها ما يلي :

« كتاب شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل » لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ . وهو مجلد أوله: الحمد لله ذي الإفضال والإنعام.. إلخ . ويسمى أيضاً كتاب القدر، بسط

---

(١) لم أعثر له على ترجمة .

(٢) لم أستطع قراءته .

الكلام فيه كل البسط كما هو دأبه، ورتبه على ثلاثين باباً، نُقلَ من كتاب كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون لكاتب جلبي[(١)]، عليهما الرحمة .

قلت : وقد نقل الوالد[(٢)] عليه الرحمة في كتابه « النزهة »[(٣)] ما قاله في النظامية[(٤)] في هذا الكتاب في الباب (١٧)، وكُتب تحت هذا الكلام : الفقير نعمان الآلوسي زاده[(٥)] .

---

(١) هو: مصطفى بن عبدالله كاتب جلبي، المعروف بالحاج خليفة، مؤرخ بحاثة، تركي الأصل، ولد بالقسطنطينية سنة ١٠١٧هـ، وتوفي بها سنة ١٠٦٧هـ، له مؤلفات أشهرها كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . الأعلام (٧/ ٢٣٦) .

(٢) هو: محمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبوالثناء، مفسر، محدث، أديب، ولد في بغداد سنة (١٢١٧هـ) تقلد الإفتاء سنة (١٢٤٨هـ) وعزل فانقطع للعلم، له مؤلفات، أشهرها كتاب روح المعاني، في التفسير، ومات ببغداد سنة (١٢٧٠هـ) . الأعلام (٧/ ١٧٦) .

(٣) هذا الكتاب أحد مؤلفات الشيخ محمود الآلوسي ذكره عمر رضا كحالة في المستدرك على معجم المؤلفين ص٧٧٦ نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت . ولم أعثر عليه مطبوعاً ولا مخطوطاً .

(٤) يشير إلى كتاب العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية للإمام الجويني، وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق د. أحمد حجازي السقا سنة ١٣٩٨هـ، ونشرته مكتبة الكليات الأزهرية. وهو من مراجع المؤلف في هذا الكتاب .

(٥) هو: نعمان بن محمود بن عبدالله، أبوالبركات، خير الدين، الآلوسي، واعظ فقيه، باحث، من أعلام الأسرة الآلوسية في العراق، ولد في بغداد سنة ١٢٥٢هـ ونشأ بها، وولي القضاء في بلاد متعددة، منها الحلة ، وترك المناصب، وزار مصر في طريقه إلى الحج سنة ١٢٩٥هـ، وقصد الأستانة سنة ١٣٠٠هـ فمكث سنتين وعاد يحمل لقب رئيس المدرسين، فعكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي ببغداد سنة ١٣١٧هـ . له =

وفي موضع آخر من تلك الورقة كتب ما يلي :

« الحمد لله سبحانه والشكر له، ولد الولد المبارك إسماعيل في يوم السبت الساعة العاشرة بعد العصر الثالث من شعبان المبارك سنة ١٣٠٨هـ، المصادف اليوم الثاني من آذار سنة ١٣٠١م، حفظه الله تعالى وإخوته وأراني أولاده، وجعل الجميع من العلماء العاملين بحرمة(١) سيد المرسلين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين » .

كما كتب في أعلى الصفحة الثانية ما يلي :

« وقف المدرسة المرجانية(٢) »، وفي الجانب الآخر : « ك شفاء العليل في القدر لابن القيم »، وفي أسفل الصفحة ختم كتب فيه « المكتبة النعمانية » .

وكاتب هذه النسخة هو الشيخ نعمان الآلوسي كما نص على ذلك في

= مؤلفات منها: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ـ ابن تيمية وابن حجر ـ، والجواب الفسيح لما لفَّقه عبدالمسيح . الأعلام (٨/ ٤٢) .

(١) هذا الكلام لا تعلُّق له بالكتاب، ولكن كاتب النسخة أراد أن يُؤرِّخ لمولد ولده، وقد اشتمل كلامه على توسل بدعيٍّ، وهو قولـه : بحرمة سيد المرسلين، فإن هذا من جنس التوسل بالجاه، ولم يجعل الله سبحانه جاه رسوله ولا حرمته وسيلة لأحد في الدعاء .

(٢) المرجانية : من مدارس بغداد القديمة، تقع في جامع مرجان الذي بناه أمين الدين مرجان ابن عبدالله بن عبدالرحمن، من موالي السلطان أويس بن حسن الأيلخاني، أحد أمراء التتار سنة ٧٥٨هـ، وجعل فيه مدرسة، وفي سنة ١٣٦٥هـ هدم قسم كبير من هذه المدرسة والجامع، وموقعه الآن على شارع الرشيد ببغداد. نقلاً من تعليق الدكتور عبدالله الجبوري على كتاب المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر للشيخ محمود شكري الآلوسي (ص١١٢)، نشر دار العلوم بالرياض سنة ١٤٠٢هـ .

الصفحة الأولى، كما أن خطها يتطابق مع خطه المثبت صورة منه في كتاب الأعلام بجوار ترجمته، وهو خط واضح، وهذا مما يزيدها أهمية، حيث إن الشيخ نعمان الآلوسي من الأشخاص الذين عرف عنهم سعة العلم .

ولم يذكر في هذه النسخة الأصل الذي نقلت عنه ولا تأريخ نسخها، وإن كان يتبين مما ذكره كاتبها في تاريخ ولادة ابنه أنه كتبها في سنة ١٣٠٨هـ تقريباً أو قبلها .

٣- نسخة مكتبة يوسف آغا في مدينة قونية بتركيا، المحفوظة تحت رقم (٥٤٤٠) وعدد أوراقها (٣٢١) ورقة، (٦٤٢) صفحة، ومقاس الصفحة ١٨سم × ١١,٥ سم في ٢٣ سطراً، وعليها وقف من يوسف آغا بشرط أن لا تخرج من خزانته، وتأريخ هذا الوقف في سنة ١٢٠٩هـ، ويقع هذا القسم الذي بين يديك في مائة وثمان وثمانين ورقة .

وخطها نسخ واضح وجميل، وكتبت فواصل المقدمة بالمداد الأحمر، وكذا سرد الأبواب الذي ورد في المقدمة، وعناوين الأبواب والفصول، ورؤوس الموضوعات، ويظهر أن هذه النسخة منقولة عن نسخة المؤلف رحمه الله تعالى، حيث ورد تعليق في ق (٢٥٩) نصه: « قال في أصل المصنف بعد (لا يثاب ولا يعاقب) بياض » . وانظر المطبوعة ص٤١١ .

كما يظهر أن هذه النسخة مقابلة على نسخة المؤلف، حيث يشير الناسخ إلى ذلك عند إضافة بعض السقط بكلمة (أصل) . وانظر ق (٢٨٦) .

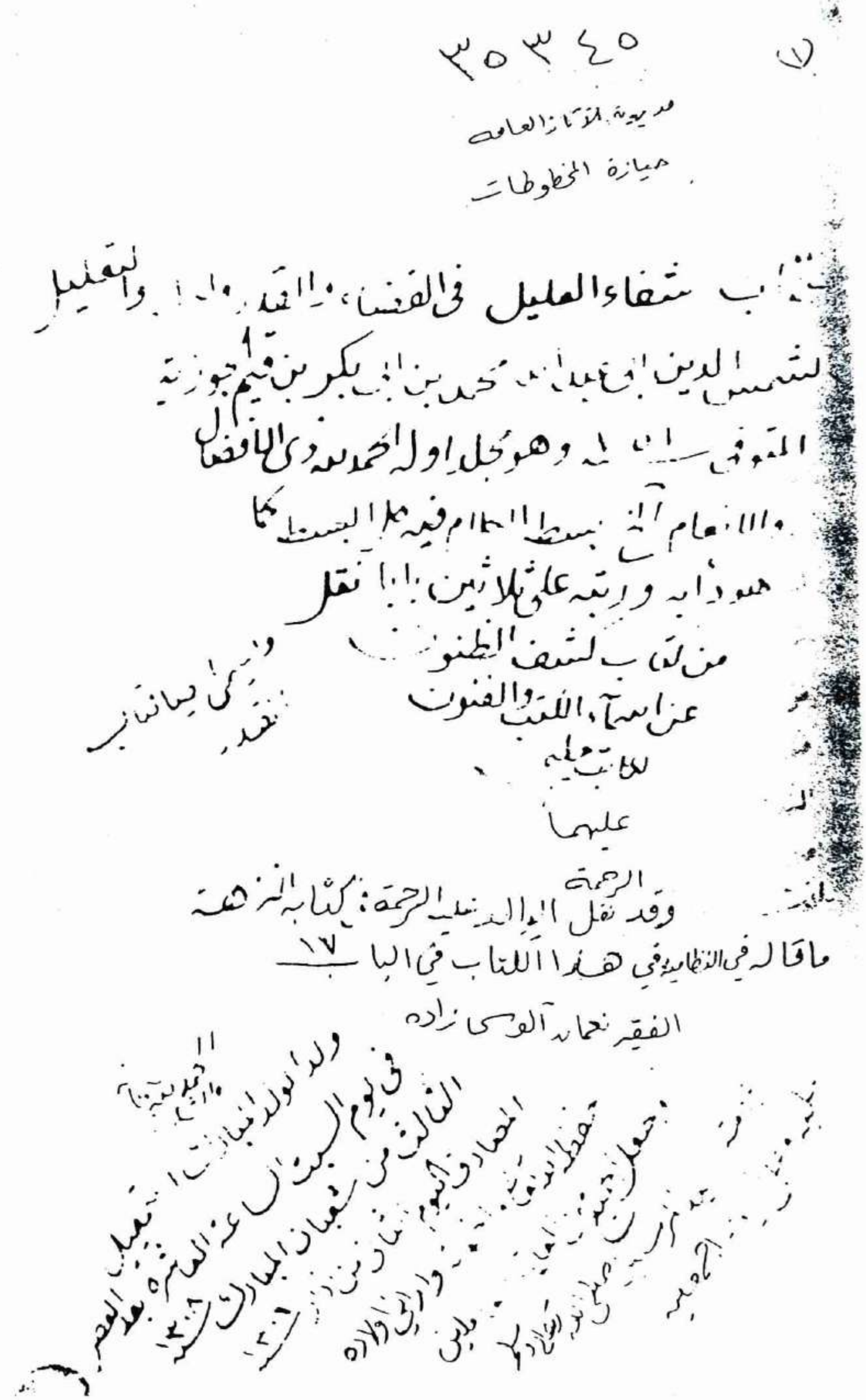
كما أن عليها تعليقات وتصحيحات، كما في ق (٣٠٣) حيث قال المصحح: « لعله المروزي، وفي الأصل المروذي بالذال المعجمة وتشديد الراء » .

وهذه النسخة الوحيدة الكاملة من بين نسخ هذا الكتاب، حيث إنها تشتمل

على المقدمة التي كتبها المؤلف رحمه الله تعالى كاملة، وعلى ما سقط من الباب الثاني والعشرين في النسختين الأخريين والتي طبع الكتاب في جميع طبعاته عليهما ـ على حد معرفتي ـ وأشير في تلك الطبعات إلى نقصان الباب الثاني والعشرين، وهذه النسخة على حسب ما توفر لدي من معلومات لم يطلع عليها أحد ممن طبع الكتاب .

ومن هنا تبرز أهميتها حيث إن هذا الكتاب سيطبع ـ بعد اكتمال تحقيقه ـ بإذن الله لأول مرة كاملاً دون نقص، وهذا من فضل الله ومنِّه .

***

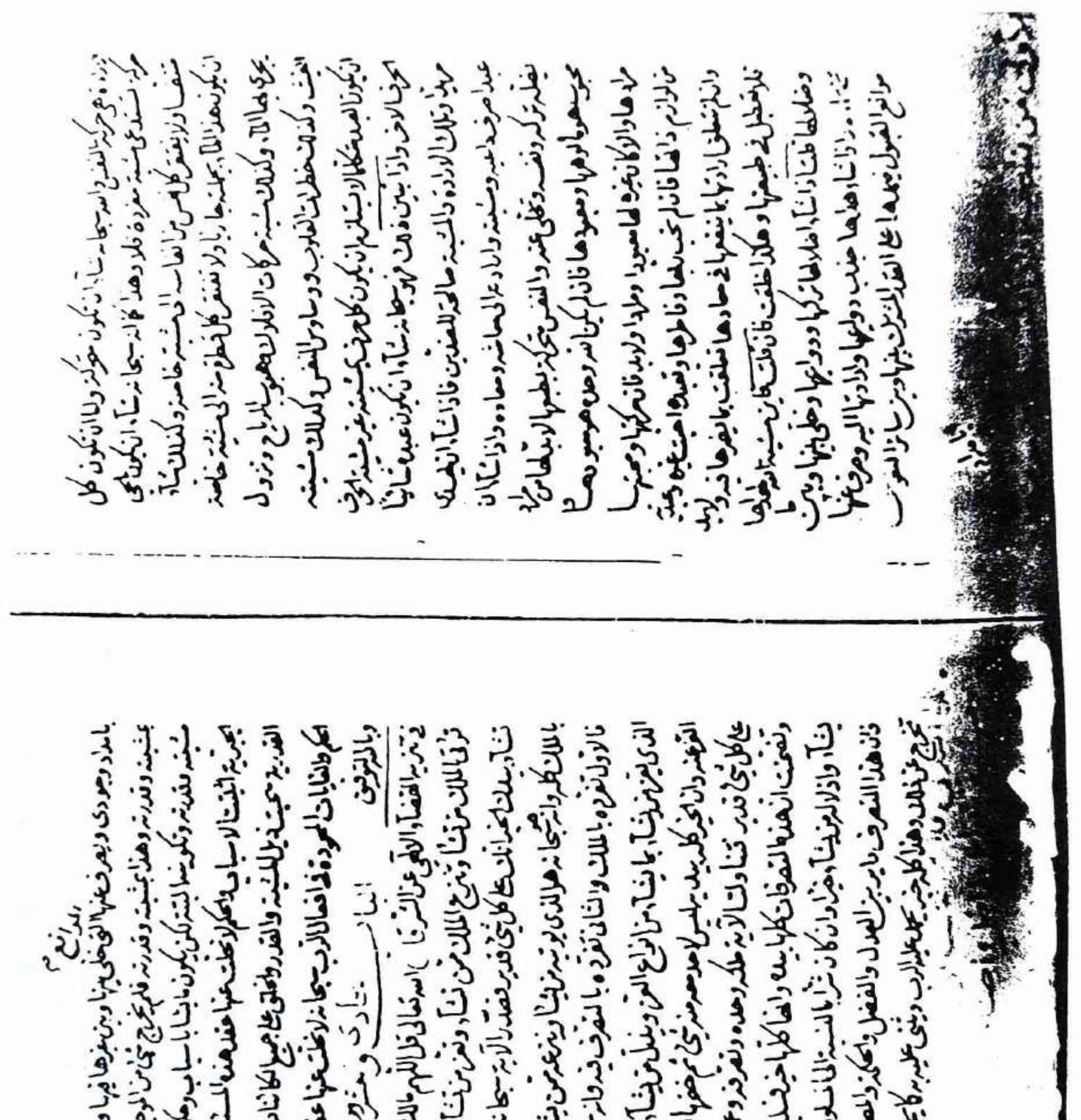

٣٥٣٤٥

مديرية الآثار العامة
حيازة المخطوطات

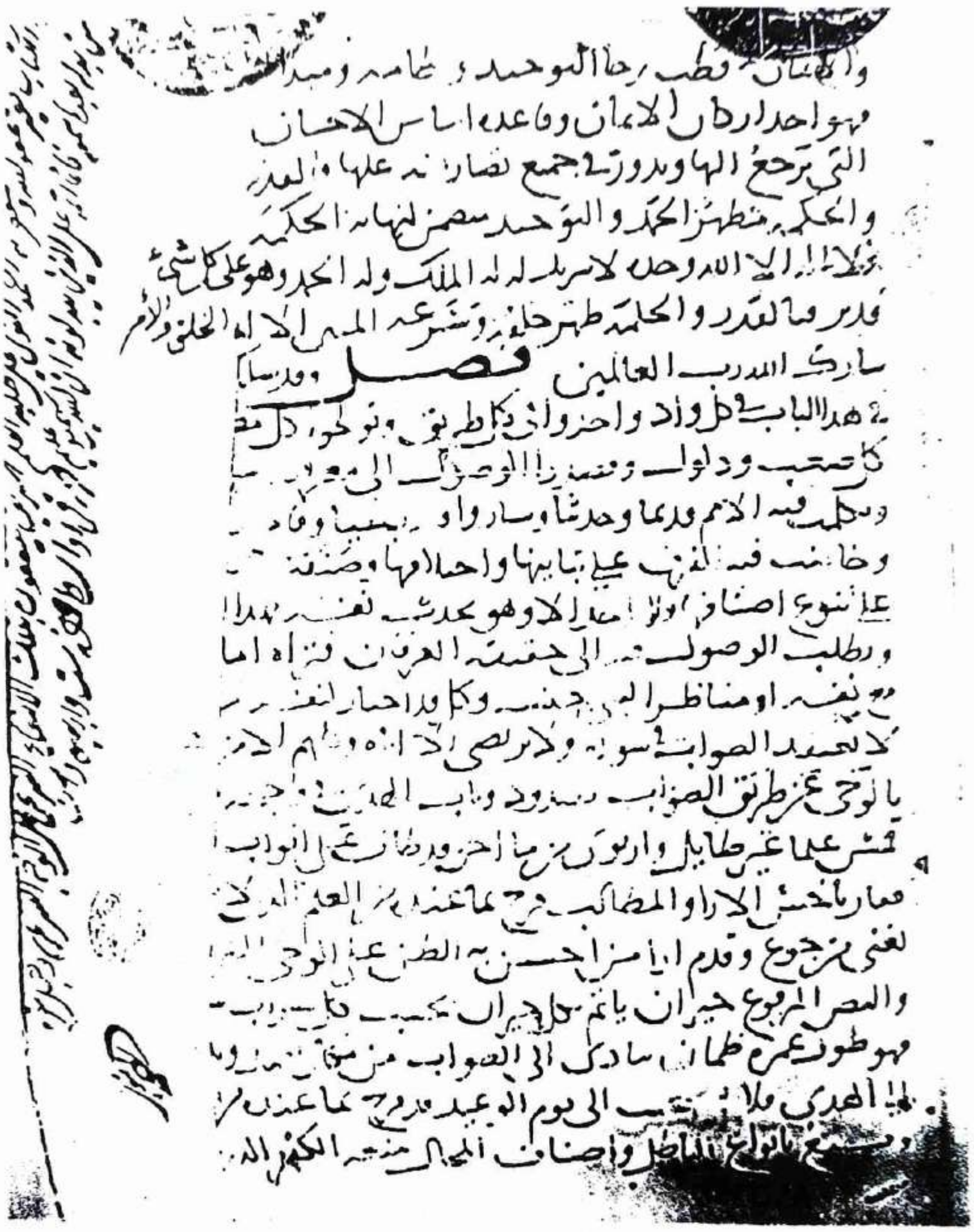
كتاب شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل
لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية
المتوفى سنة ٧٥١ وهو مجلد أوله الحمد لله ذي الأفضال
والإنعام الذي بسط الكلام فيه على المباحث كما
هو دأبه ورتبه على ثلاثين بابا نقل
من كتاب كشف الظنون
عن أسامي الكتب والفنون

وقد نقل الوالد عليه الرحمة في كتابه النزهة
ما قاله في النظامية في هذا الكتاب في الباب ١٧
الفقير نعمان الآلوسي زاده

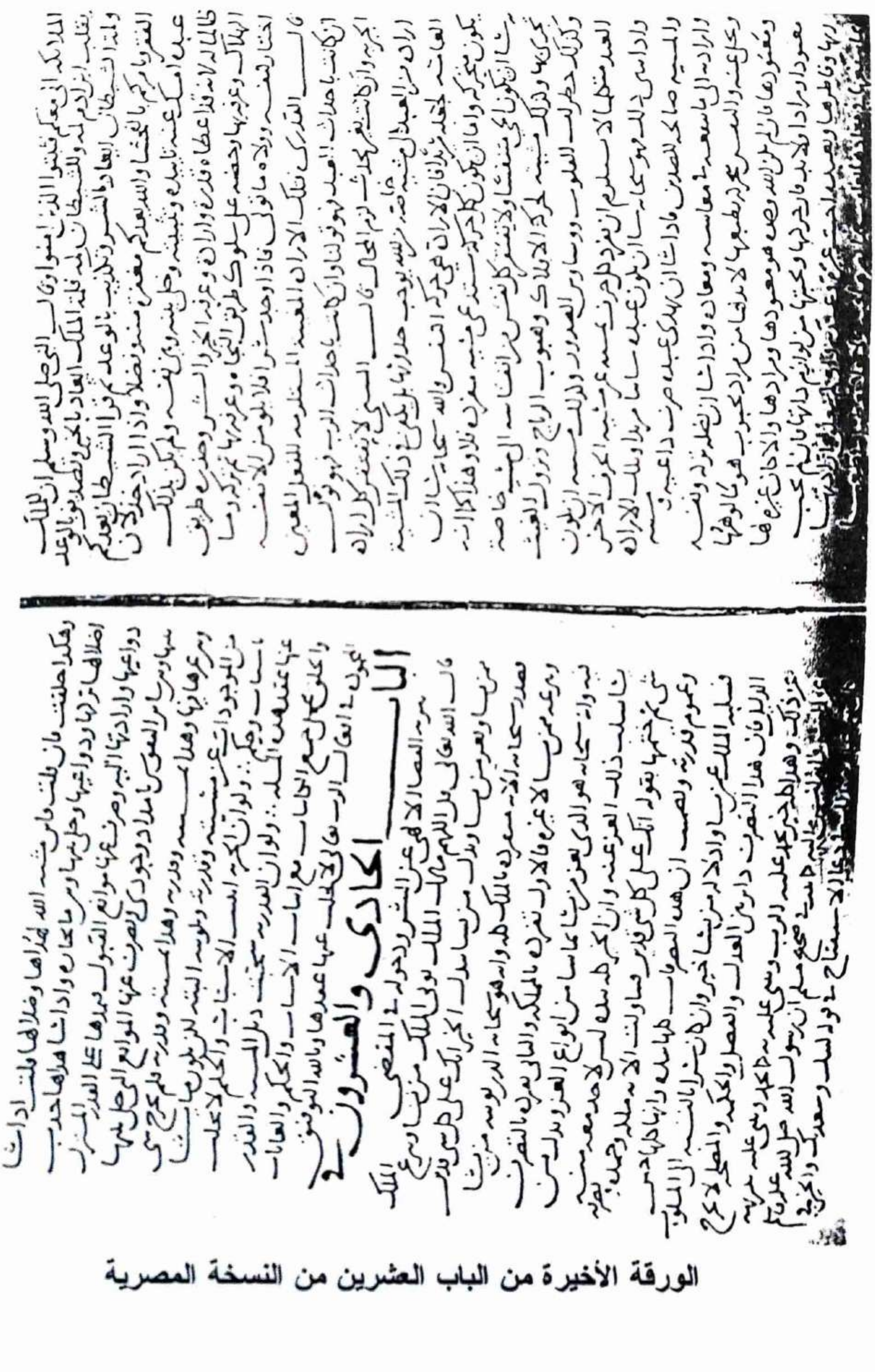
الورقة الأولى من النسخة العراقية



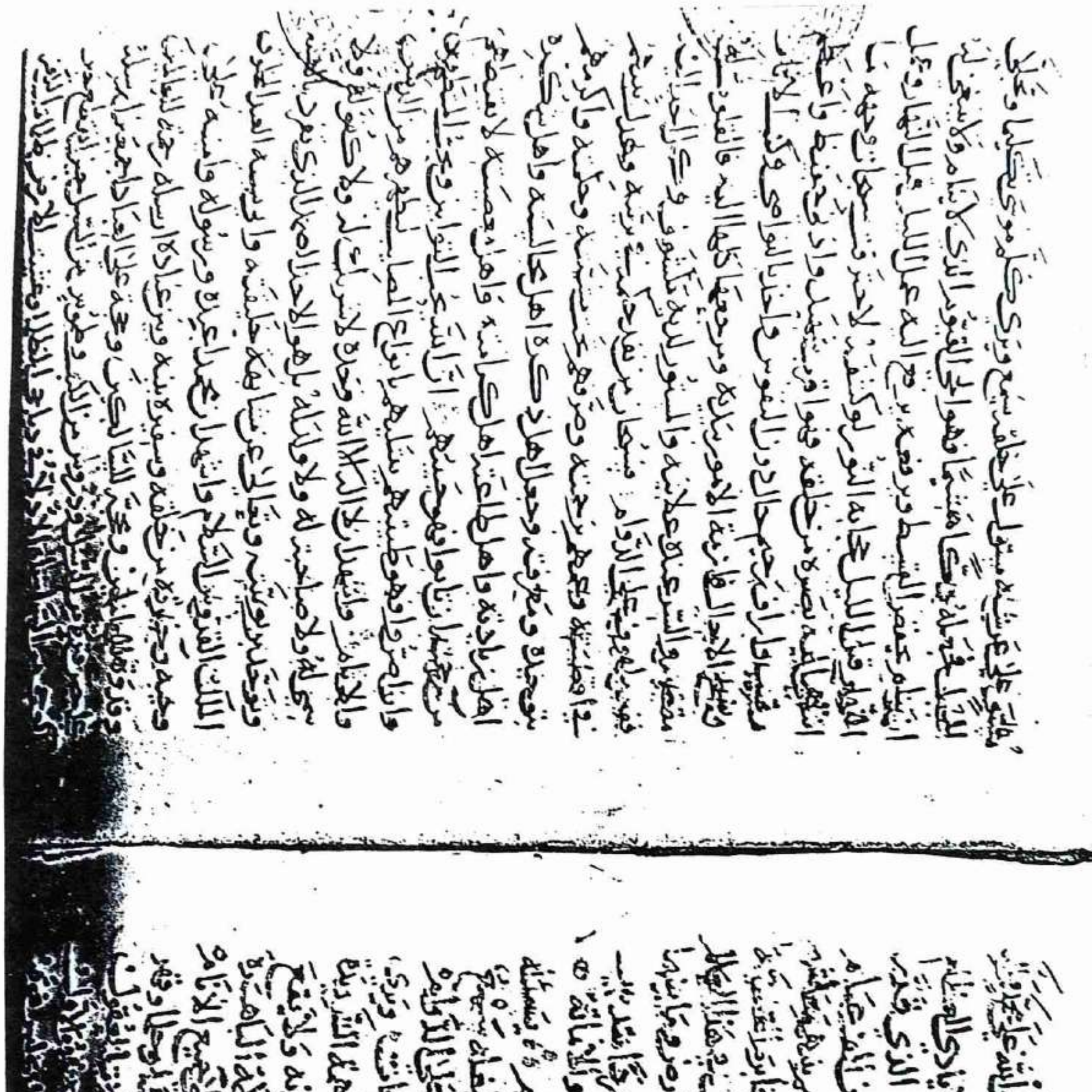
الورقة الأخيرة من الباب العشرين في النسخة العراقية


فهو أحد أركان الإيمان وقاعدة أساس الإحسان
التي ترجع إليها ويدور في جميع تصاريفه عليها العدل
والحكمة ... مظهر الحمد والتوحيد متضمن لنهاية الحكمة
... لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء
قدير ... القدر والحكمة ... خلقه وشرعه ... الخلق والأمر
تبارك الله رب العالمين فصل

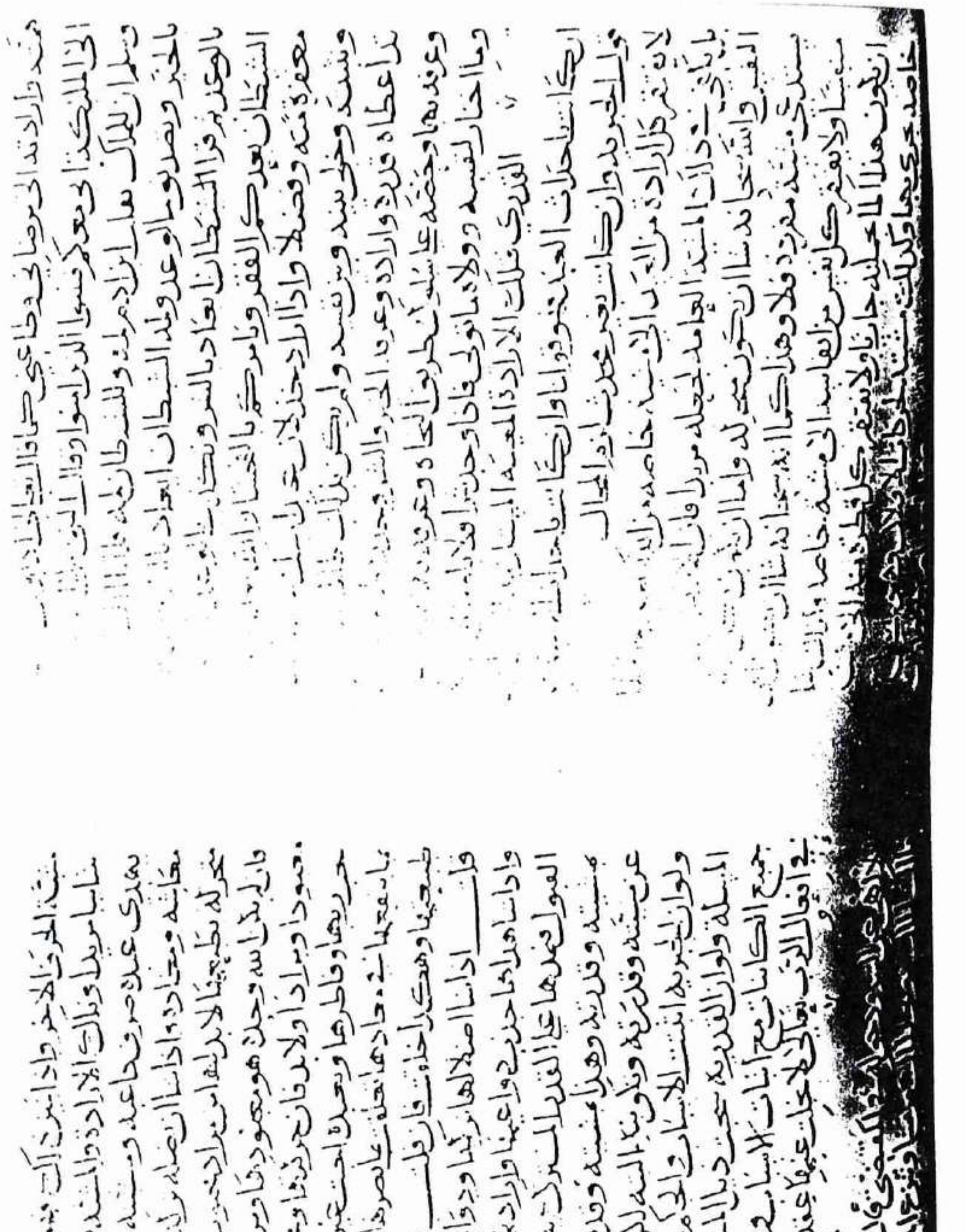
الورقة الأولى من نسخة دار الكتب المصرية



الورقة الأخيرة من الباب العشرين من النسخة المصرية



الورقة الأولى من النسخة التركية



الورقة الأخيرة من الباب العشرين في النسخة التركية

الكتاب المحقّق

المقدمة

(*) الحمدُ لله ذي الإفضال والإنعام[١]، والمِنَنِ الجسام، والأيادي العظام، ذي الجلال والإكرام، الملك القدوس السلام، الذي قدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام، فقدَّر أرزاقهم وآجالهم، وكتب آثارهم وأعمالهم، وقسَّم بينهم معاشهم وأموالهم، وعرشه على الماء قبل خلق الليالي والأيام، فأبرم القضية، وقدَّر البرية، وقال للقلم: اكتب فجرى بما هو كائن في هذا الملأ على تعاقب السنين والأعوام، ثم خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش المجيد بذاته، منفرداً بتدبير خلقه بالسعادة والشقاوة، والعطاء والمنع، والإحياء والإماتة، والخفض والرفع، والإيجاد والإفناء، والنقض والإبرام، ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾[٢]، فلا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلّطه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين على الدوام، يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن[٣] الحاجات، ويرى دبيب النملة السوداء تحت الصخرة الصمَّاء في الليلة المدلهمة الشديدة الظلام، لا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا يقع حادث إلا بمشيئته، ولا يخلو مقدور عن حكمته، فله الحكمة الباهرة،

(*) بداية سقط م، ع، د، س .

(١) هذه العبارة غير موجودة في النسختين الخطيتين: م، ع . حيث إنها من ضمن الصفحات الساقطة، وموجودة في المطبوعتين د، س، ويظهر أن من قام بطبع الكتاب أول مرة أضافها من كشف الظنون (٢/ ١٠٥١) حيث ورد فيه أن أول هذا الكتاب: الحمد لله ذي الإفضال والإنعام .

(٢) اقتباس من الآية ٢٩ من سورة الرحمن .

(٣) تفنن: أي تنوع . انظر: لسان العرب (٥/ ٣٤٧٥) مادة: فنن . تأليف جمال الدين محمد بن منظور . نشر دار صادر ـ بيروت ـ سنة ١٣٧٥هـ .

والآيات الظاهرة، والحجة البالغة، والنعمة السابغة على جميع الأنام، وسع كل شيء رحمة وعلماً، وأوسع كل مخلوق فضلاً وجوداً وحلماً، وقهر كل شيء عزة وحكماً، فعنت الوجوه لجلال وجهه، وعجزت العقول عن معرفة كُنْهِهِ، وقامت البراهين على استحالة مثله وشبهه، « **فهو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء** »[1]، ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى / وهو مستوٍ على عرشه، مستولٍ على خلقه، يسمع ويرى، كلَّم موسى تكليماً، وتجلَّى للجبل فجعله دكاً هشيماً، فهو الحي القيوم الذي « **لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام،**

---

(١) قوله: « فهو الأول الذي ليس قبله شيء .. إلى قوله: والباطن الذي ليس دونه شيء » مقتبس من الحديث الذي رواه أبوهريرة ﷺ، قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أخذنا مضاجعنا أن نقول: « **اللهم ربَّ السماوات ورب الأرض** .. وفيه :.. **اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقضِ عنا الدَّيْنَ وأغننا من الفقر** » .
وفي رواية أخرى عن أبي هريرة ﷺ قال: أتت فاطمة رضي الله عنها النبي ﷺ تسأله خادماً، فقال لها: « **قولي اللهم رب السماوات ..**» الحديث أخرجه مسلم في (٤/ ٢٠٨٤): الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع. نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية سنة ١٤٠٠هـ. وأبوداود في (١٣/ ٣٩٢) كتاب الأدب، باب ما يقال عند النوم . المطبوع مع شرحه عون المعبود . تحقيق: محمد عثمان، الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ، نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة . والترمذي (٥/ ٤٤٠)، كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه. وقال: حديث حسن صحيح . تحقيق: الشيخ أحمد شاكر، مصورة عن الطبعة الأولى سنة ١٣٥٦هـ، نشر دار الكتب العلمية ببروت . وابن ماجة (٢/ ١٢٥٩-١٢٦٠) كتاب الدعاء، باب دعاء رسول الله ﷺ، وفي (٢/ ١٢٧٤-١٢٧٥) =

يخفض القسط ويرفعه، يُرفَع إليه عملُ الليل قبل النهار، وعملُ النهار قبل الليل، حجابُه النور لو كشفه (لأحرقت)[1] سُبُحاتُ[2] وجهه ما انتهى إليه بصرُه من خلقه »[3]، فهو أقرب شهيد، وأدنى حفيظ، وأعظم رقيب، وأرأف

= باب ما يدعو به إذا أوى إلى فراشه، نشر دار إحياء التراث، بيروت سنة ١٣٩٥هـ. والإمام أحمد (٢/ ٣٨١، ٤٠٤، ٥٣٦)، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٠٣هـ، نشر المكتب الإسلامي، بيروت. وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٢٥١، ٢٦٢-٢٦٣)، تحقيق: مختار الندوي، نشر الدار السلفية بالهند، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢هـ . والبخاري في الأدب المفرد ص(٤١٥)، الطبعة الثانية، سنة ١٣٧٩هـ، نشر المكتبة السلفية ومطبعتها بالقاهرة . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣/ ٢٤٦)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ، نشر مؤسسة الرسالة ـ بيروت. والبيهقي في الأسماء والصفات ص(٢٤، ٢٩٤)، تعليق: محمد زاهد الكوثري، الطبعة الأولى، نشر دار الكتب العلمية - بيروت .

(١) في ت: لاحترقت، وما أثبته من صحيح مسلم .

(٢) قال النووي: السُّبُحَاتُ ـ بضم السين والباء ورفع التاء في آخره ـ : جمع سُبحة . قال صاحب العين والهروي وجميع الشارحين للحديث من اللغويين والمحدِّثين: معنى سُبُحات وجهه: نوره وجلاله وبهاؤه . انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (٣/ ١٣-١٤) نشر دار الفكر بيروت. وانظر أيضاً: غريب الحديث (٣/ ١٧٣) لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، نشر دار الكتاب العربي، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ٧٤) جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم. الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ، وكتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (٣/ ١٥٢) تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، نشر دار الرشيد في بغداد .

(٣) قوله: «**الذي لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام ... إلى قوله: ما انتهى إليه بصره من خلقه**» . مقتبس من الحديث الذي رواه أبوموسى رضي الله عنه، قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «**إن الله عز وجل لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض** =

رحيم، حال دون النفوس، وأخذ بالنواصي، وكتب الآثار، ونسخ الآجال، فأزِمّة الأمور بيديه، ومرجعها كلها إليه، فالقلوب له مفضية، والسر عنده علانية، والمستور لديه مكشوف، وكلُّ أحدٍ إليه فقير ملهوف على الدوام، فسبحان من نفذ حكمه في بريته، وعَدَل بينهم في أقضيته، وعمَّهم برحمته، وصرفهم تحت مشيئته وحكمته، وأكرمهم بتوحيده ومعرفته، وجعل أهل ذكره أهل مجالسته، وأهل شكره أهل زيادته، وأهل طاعته أهل كرامته، وأهل معصيته لا يقنطهم من رحمته، إن تابوا فهو حبيبهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾(١)، وإن أصروا فهو طبيبهم، يبتليهم بأنواع المصائب ليطهرهم

= القسط ويرفعه ... » الحديث . أخرجه مسلم (١/ ١٦٠-١٦٢)، كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام: « إن الله لا ينام .. » . وفي قوله: « حجابه النور » . وابن ماجه (١/ ٧٠-٧١)، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، والإمام أحمد (٤/ ٣٩٥-٤٠١، ٤٠٥)، وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١/ ٤٩٩)، والدارمي في كتاب الرد على الجهمية ص٣٧، تحقيق: محمد الفقي، الطبعة الأولى سنة ١٣٥٨هـ، نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت، والطبراني في المعجم الأوسط (٢/ ٣٠٧)، تحقيق: الدكتور محمود الطحان، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ، نشر مكتبة المعارف بالرياض، والطيالسي في مسنده (ص٦٧)، الطبعة الأولى سنة ١٣٢١هـ، نشر مطبعة مجلس دار المعارف النظامية بالهند، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٤٥-٤٩، ١٧٧، ١٧٨)، تحقيق الدكتور عبدالعزيز الشهوان، الطبعة الأولى، نشر مكتبة الرشد بالرياض، والآجري في الشريعة ص(٣٠٤)، تحقيق محمد الفقي، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، والبغوي في شرح السنة ١/ ١٧٣، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش، الطبعة الأولى، نشر المكتب الإسلامي بيروت، والبيهقي في الأسماء والصفات ص(٢٣٤٢٣٥) .

(١) اقتباس من الآية ٢٢٢، سورة البقرة .

من الدنس والآثام .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا كفو له، ولا سمي له، ولا صاحبة له، ولا ولد له، بل هو الأحد الصمد الذي تفرد بإلاهيته، وتوحد بربوبيته، وتعالى عن مشابهة خليقته، وأنَّى يشبه العبدُ المخلوقُ الملكَ القدوسَ السلامَ .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأمينه على وحيه، وخيرته من خلقه، وسفيره بينه وبين عباده، أرسله رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، ومحجة للسالكين، وحُجة على العباد أجمعين، أرسله على حين فترة من الرسل، ودروسٍ[١] من الكتب، وطموسٍ من السبل، حين انقطع خبر الوحي من السماء، وتاه الأدلاء في دياجي الظلماء، وغشيت الأرض ظلمات الكفر و الشرك والعناد، واستولى عليها أئمة الكفر وعساكر الفساد، واستند كل / قوم إلى ظلمات آرائهم، ٢ب وحكموا على الله وبين عباده بمقالاتهم الباطلة وأهوائهم، فسُبُل الهدى عافية آثارها، منحط منارها، والضلالة قد تصرّمت نارها، وتطاير في الآفاق شرارها، وظهر في أقطار الأرض شعارها، وقد استحق الناس أن يحل بساحتهم العذاب، **« وقد نظر الجبار إليهم فمقَتَهم عربَهم وعجمَهم إلا بقايا من أهل الكتاب »**[٢] ،

(١) قال ابن فارس: الدال والراء والسين أصلٌ واحد يدل على خفاء وخفض وعفاء . معجم مقاييس اللغة (٢/ ٢٦٧) مادة « درس » . تحقيق: عبدالسلام هارون، نشر دار الكتب العلمية، إيران .

(٢) هذه العبارة اقتباس من حديث طويل رواه عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال ذات يوم في خطبتـه: **« ألاَ إنَّ ربي، أو إن ربي، أمرني أن أعلمكم ما جهلتم..»** وفيه وأن: **« الله نظر إلى أهل الأرض فمقَتَهُم ..»** إلخ، والحديث رواه مسلم (٤/ ٢١٩٧-٢١٩٨)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي =

فأطلع الله شمس الرسالة في حنادس[١] تلك الظُّلَم، وأنعمَ بها على أهل الأرض، وكانت تلك النعمة عليهم أجَلَّ النعم، فبعث رسولَه ﷺ للإيمان منادياً، وإلى الجنة داعياً، وبكل عرف آمراً، وعن كل منكر ناهياً، فاستنقذ به الخليقة من تلك الظلمات، ونوَّر بصائرهم بالآيات المبينات، وجلا عن قلوبهم صدى تلك الشكوك والشبهات، وفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صُمّاً، وقلوباً غلفاً، فبلَّغ رسالات ربه، وأدَّى أمانته، ونصح أمته، ولم يدع باباً من الهدى إلا فتحه، ولا مشكلاً من الدين إلا أوضحه، ولا خيراً إلا دل الأمَّة عليه، ولا شراً إلا حذرهم منه، لئلاً يصلوا إليه، فأغنى الله به عن تكلف المتنطعين[٢]، وآراء المتهوِّكين[٣]، ومعقولات المتفلسفين[٤]، وخيالات

= يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار . والإمام أحمد (٤/ ١٦٢) . وأبوداود الطيالسي في مسنده (ص١٤٥) .

وقد ذكر المؤلف رحمه الله طرفاً من هذا الحديث في (ص٧٨٣) .

(١) حَنادِس: جمع حِنْدس بالكسر الليل المظلم . والحنادس: ثلاث ليال بعد الظُّلَم . القاموس المحيط ص(٦٩٥) مادة « حدس » . الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت .

(٢) المتنطعون: هم المتعمِّقون المغالون. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٥/ ٧٤) مادة : « نطع » . تحقيق: محمود الطناحي، نشر المكتبة الإسلامية .

(٣) المتهوكون: التهوّك كالتهوّر، وهو الوقوع في الأمر بغير رويَّة، والمتهوِّك: الذي يقع في كل أمر، وقيل: هو التحيُّر . النهاية لابن الأثير (٥/ ٢٨٢) .

(٤) المتفلسفون: هم المنسوبون إلى الفلسفة، وهي كلمة تتكون من جزئين هما: «فيلو» و« سوفيا »، ومعنى فيلو في اليونانية: محب، و« سوفيا »: الحكمة. فـ « الفيلسوف » هو « محب الحكمة »، وهم يقولون: إن العالم القديم، وعلَّته مؤثرة بالإيجاب، وليست فاعلة بالاختيار، وأكثرهم ينكرون علم الله تعالى . الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٥٨) =

المتصوفين[١]، وجدل المتكلمين، وأقيسة المتكلفين[٢]، فاكتفى بما جاء به العارفون، واستوحش من كثير منه الجاهلون، وعدلوا عنه إلى ما يناسب أعينهم الرمد، وبصائرهم العمي، وظنوا أنهم بذلك يهتدون، ﴿ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾[٣]، ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٤].

أما بعد: فإن القدرَ بحرٌ محيطٌ لا ساحلَ له، ولا خروج عنه لأحد من العالمين، والشرع فيه سفينة النجاة، من ركبها نجا، ومن تخلَّف عنها فهو من المغرقين، وهو قدرة الله الذي هو على كل شيء قدير، وكل مخلوق فمنه ابتدأ

= تحقيق: محمد سيد كيلاني، نشر دار المعرفة بيروت، وإغاثة اللهفان لابن القيم (٢/ ٢٥٦). واعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخرالدين الرازي ص(٩١) مراجعة علي سامي النشّار . نشر دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤٠٢هـ .

(١) **المتصوفون:** سُمُّوا بذلك، على أرجح الأقوال، نسبة إلى لبس الصوف . وأول ما ظهرت الصوفية من « البصرة »، وكان في البصرة من المبالغة بالزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر الأمصار، وقد انتسب إلى الصوفية طوائف من أهل البدع والزندقة، ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم . مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ١٨، ٧٠٦).

(٢) **المتكلف:** هو المتعرض لما لا يعنيه، والتكلف: البحث عن الأشياء الغامضة التي لا يجب البحث عنها . النهاية لابن الأثير (٤/ ١٩٦-١٩٧) .

(٣) اقتباس من الآيتين ٤٩، ٥٠ سورة الزمر .

(٤) اقتباس من الآية ٥١، سورة العنكبوت .

٣/أ وإليه يصير(*)، والإيمان به قطب رحا التوحيد ونظامه، ومبدأ / [الدين](١) المبين [وختامه](٢)، فهو أحد أركان الإيمان وقاعدة أساس الإحسان، والحكمة آخيته التي يرجع إليها، ويدور في جميع تصاريفه عليها، [فالقدر(٣) مظهر] الملك، والحكمة مظهر الحمد، والتوحيد متضمن لنهاية الحكمة وكمال [التقدير](٤)، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، فبالقَدَر والحكمة ظهر خلقه وشرعه المبين ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٥) .

* * *

(*) نهاية سقط م، د، س .

(١) في ت: الإيمان .

(٢) في ت: وتمامه .

(٣) في م، د، س: فالعدل قوام .

(٤) في م، د، س: النعمة .

(٥) اقتباس من الآية ٥٤، سورة الأعراف .

فصل

وقد سلك [الناس][١] في هذا الباب في كل واد، وأخذوا في كل طريق، وتولجوا [كل][٢] مضيق، وركبوا كل صعب وذلول، وقصدوا الوصول إلى معرفته [من كل سبيل][٣]، والوقوف على حقيقته، وتكلمت فيه [الأمم][٤] قديماً وحديثاً، [وساروا فيه بطيأ وقاصداً وحثيثاً][٥]، وخاضت فيه الفرق على تباينها واختلافها، [وصنفت][٦] فيه [الطوائف على تنوع أصنافها][٧]، فلا أحد إلا وهو يحدث نفسه بهذا الشأن، ويطلب الوصول إلى حقيقة العرفان، فتراه إما [ناظراً][٨] مع نفسه، أو مناظراً لبني جنسه، وكلٌّ قد اختار لنفسه [مذهباً][٩] لا يعتقد الصواب في سواه، ولا يرتضي إلا إيَّاه، وكلهم إلا من [اهتدى][١٠] بالوحي عن طريق الصواب [مصدود][١١]، وباب الهدى في وجهه مسدود، [وقد قمش][١٢] علماً

---

(١) ف م، د، س: جماهير العقلاء .

(٢) في ت: في كل .

(٣) ساقطة من: م، د، س .

(٤) في ت: الأئمة .

(٥) في م، د، س: وساروا للوصول إلى مغزاه سيراً حثيثاً .

(٦) في م، د، س: وصنف .

(٧) في د، س: المصنفون الكتب على تنوع أصنافها .

(٨) في م، د، س: متردداً فيه .

(٩) في م، د، س: قولاً .

(١٠) في م، د، س: تمسك .

(١١) في د، س: مردود .

(١٢) في: د، س: تحسى، والقَمْش: جمع قُماش وهو ما على وجه الأرض من فتات الأشياء. وتقمّش: أكل ما وجد وإن كان دوناً. القاموس المحيط مادة « قمش» ص(٧٧٨) .

غير طائل، وارتوى من ماءٍ آجن[١]، قد طاف على أبواب [المذاهب][٢]، ففاز بأخسِّ الآراء والمطالب، فرح بما عنده من العلم الذي لا يُسمن ولا يغني من جوع، وقدَّم آراء من أحسن به الظن على الوحي المنزل [المشروع][٣] والنص المرفوع، حيران يأتم بكل حيران، يحسب كل [سراب ماء][٤] فهو طول عمره ظمآن، يُنادَى إلى الصواب من مكان بعيد، [ويُدْعَى][٥] إلى الهدى فلا يستجيب إلى يوم الوعيد، قد فرح بما عنده من [الضلال، وقنع][٦] بأنواع الباطل وأصناف المحال، منعه [الكفر][٧] الذي [في صدره وليس هو ببالغه][٨] عن الانقياد ٣ب للهداة/ المهتدين][٩]، ولسان حاله أو قاله يقول: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾[١٠].

* * *

(١) الآجن: الماء المتغير الطعم واللون. انظر: النهاية لابن الأثير (١/ ٢٦).

(٢) في م، د، س: الأفكار.

(٣) ساقطة من ت.

(٤) في ت: سراب شراباً.

(٥) في د، س: أقبل.

(٦) في ت: الخبال، وسنع.

(٧) هكذا في جميع النسخ الخطية، والمطبوعة، والصواب « الكبر » حيث إن معنى هذه العبارة مقتبس من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ سورة غافر، آية ٥٦.

(٨) في م، د، س: الذي اعتقده هدى وما هو ببالغه.

(٩) في د، س: عن الهداة المهتدين.

(١٠) اقتباس من سورة الأنعام، آية ٥٣.

فصل

ولما كان الكلام في هذا الباب نفياً وإثباتاً [مداره][(١)] على الخبر عن أسماء الله وصفاته وأفعاله وخلقه وأمره؛ [كان أسعد][(٢)] الناس بالصواب فيه من تلقى ذلك من مشكاة الوحي المبين، ورغب بعقله وفطرته وإيمانه عن آراء [المتهوكين][(٣)]، وتشكيكات [المتكلمين][(٤)]، وتكلّفات المتنطعين، واستمطر دِيَم الهداية من كلمات أعلم الخلق برب العالمين، فإن كلماته الجوامع النوافع في هذا الباب وفي غيره كفَتْ وشفَتْ، وجمعت وفرقَت[(٥)]، وأوضحت وبيَّنت، وحلَّت محل التفسير والبيان لما تضمنه القرآن .

ثم تلاه أصحابه من بعده على نهجه المستقيم، وطريقه القويم، فجاءت كلماتهم كافية شافية مختصرة نافعة، لقرب العهد، ومباشرة التلقي من تلك المشكاة التي هي مظهر كل نور، ومنبع كل خير، وأساس كل هدى .

ثم سلك [على آثارهم][(٦)] التابعون لهم بإحسان، فاقتفوا طريقهم، وركبوا منهاجهم، واهتدوا بهداهم، ودعوا إلى ما دعوا إليه، ومضوا على ما كانوا عليه.

---

(١) في م، د، س: موقوفاً .

(٢) في د: فأسعد . وفي س: وأسعد .

(٣) هكذا وردت في النسختين الخطيتين م، ت، ووردت في النسخ المطبوعة: المتهوكين ولعله هو الأقرب بالنظر إلى معنى الكلمة . وانظر (ص١١٤)، فقد سبقت بلفظ المتهوكين .

(٤) في د، س: المشككين .

(٥) قال ابن فارس: الفاء والراء والقاف أصل صحيح يدل على تمييز وتزييل بين شيئين، ومن ذلك الفَرْق: فرق الشعر . معجم مقاييس اللغة (٤/ ٤٩٣) مادة « فَرَق » .

(٦) في م، د، س: آثارهم .

ثم نبغ[(١)] في عهدهم وأواخر عهد الصحابة[(٢)] مجوس[(٣)] هذه الأمة الذين يقولون: لا قدر، وأنَّ الأمرَ أُنُفٌ[(٤)]، فمن شاءَ هدى نفسَه، ومن شاء أضلها، ومن شاء بخسها حظها وأهملها، ومن شاء وفقها للخير وكملها، كل ذلك

---

(١) كتب في هامش (ت) نبغ: ظهر . وانظر النهاية لابن الأثير (٥/ ١٠) .

(٢) في د، س: القدرية مجوس .. إلخ .

(٣) المراد بمجوس هذه الأمة: القدرية، وأصل تسميتهم بذلك ما ورد في الحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم**». وأخرجه أبوداود (١٢/ ٤٥٢) كتاب السنة، باب في القدر، والحاكم في المستدرك (١/ ٨٥) نشر دار الكتاب العربي، بيروت، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٤٩) تحقيق: الشيخ محمد ناصرالدين الألباني، ط. الأولى سنة ١٤٠٠هـ نشر المكتب الإسلامي، واللالكائي في السنة (٤/ ٦٣٩) تحقيق: أحمد حمدان، نشر دار طيبة بالرياض، والآجري في الشريعة (ص١٩٠)، والبيهقي في سننه (١٠/ ٢٠٣) الطبعة الأولى سنة ١٣٤٤هـ نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية في الهند، وفي كتاب القدر ص(٢٤٠)، وهذا الحديث حسَّنه الألباني لأن له طرقاً يقوي بعضها بعضاً . انظر تعليقه على السنة لابن أبي عاصم (١/ ١٤٩)، وعلى مشكاة المصابيح (١/ ٣٨) المطبوع بتحقيقه، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ نشر المكتب الإسلامي، بيروت . وصحيح الجامع الصغير وزيادته (٤/ ١١٥٠) له، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٢هـ نشر المكتب الإسلامي، بيروت. قال الخطابي: « إنما جعلهم مجوساً لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالأصلين، وهما: النور والظلمة . يزعمون أن الخير من فعل النور، والشر من فعل الظلمة، فصاروا ثانوية . وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله عز وجل، والشرَّ إلى غيره، والله سبحانه وتعالى خالق الخير والشر، لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته » . انظر: معالم السنن المطبوع مع مختصر سنن أبي داود للمنذري (٧/ ٥٦-٥٨) تحقيق: أحمد شاكر ومحمد الفقي، نشر دار المعرفة، بيروت .

(٤) أُنُفٌ: أي مُستأنفٌ، استئنافاً من غير أن يكون سَبَقَ به سَابِقُ قَضَاءٍ وتقدير . النهاية (١/ ٧٥) .

مردود إلى مشيئة العبد، ومقتطع من مشيئة العزيز الحميد .

فأثبتوا في ملكه ما لا يشاء، وفي مشيئته ما لا يكون .

ثم جاء[(١)] خَلَفُ هذا السلفِ فقرَّرُوا [ما أسَّسَه][(٢)] أولئك من نفي القدر، وسمَّوه عدلاً، وزادوا عليه نفي صفاته سبحانه وحقائق [أسمائه][(٣)]، وسمَّوه توحيداً، فالعدل عندهم إخراج أفعال الملائكة والإنس والجن وحركاتهم وأقوالهم وإراداتهم [عن][(٤)] قدرته ومشيئته / وخلقه[(٥)] . ٤أ

والتوحيد عند متأخريهم: تعطيله عن صفات كماله ونعوت جلاله، وأنه لا

(١) كُتِبَ في هامش (ت) تعليق نصه: « ضم نافي القدر نفي الصفات إلى نفي القدر » .

(٢) في م: ما أسسته .

(٣) في ت: إيمانه .

(٤) في م، د، س: من .

(٥) الذين أشار إليهم المؤلف هنا هم المعتزلة، فإن أصولهم الخمسة هي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . قال القاضي عبدالجبار: « اتفق كل أهل العدل على أن أفعال العباد من تصرفهم، وقيامهم، وقعودهم، حادثة من جهتهم، وأن الله جل وعز أقدرهم على ذلك، ولا فاعل لها ولا محدث سواهم، وأن من قال: إن الله سبحانه خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه » . المغني في أبواب التوحيد والعدل (٨/ ٣) تحقيق: توفيق الطويل، وسعد زايد، الطبعة الأولى، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر سلسلة تراثنا .

وقال أيضاً في شرح الأصول الخمسة: فصل في خلق الأفعال؛ والغرض به الكلام في أن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم، وأنهم المحدِثون لها . وقال أيضاً: فصل في أن الله تعالى لا يجوز أن يكون مريداً للمعاصي . وذكر فيه أن أفعال العباد المتعلقة بالقبيح لا يريدها ولا يشاؤها. انظر: شرح الأصول الخمسة ص(٣٢٣، ٤٣١، ٤٥٩) للقاضي عبدالجبار، تحقيق: الدكتور عبدالكريم عثمان . ط الأولى ١٣٨٤هـ نشر مكتبة وهبة، القاهرة .

سمع له، ولا بصر، ولا قدرة، ولا حياة، ولا إرادة تقوم به[١]، ولا كلام، ما تكلم ولا يتكلم، ولا أمر ولا يأمر، ولا قال ولا يقول، إنْ ذلك إلا أصوات وحروف مخلوقة في الهواء، أو في محل مخلوق[٢]، ولا استوى على عرشه فوق سماواته، ولا تُرفع إليه الأيدي، ولا تعرج الملائكة والروح إليه، ولا ينزل الأمر والوحي من عنده[٣]، وليس فوق العرش إلهٌ يُعبد، ولا ربٌّ يُصَلَّى له ويُسجَد، ما فوقه إلا العدم المحض، والنفي الصرف، فهذا [توحيدهم][٤]، وذلك عدلهم .

* * *

(١) هذا قول المعتزلة في نفي الصفات ويسمونه توحيداً . انظر: شرح الأصول الخمسة من (١٥١ وما بعدها) .

(٢) هذا قول المعتزلة في نفي صفة الكلام وقولهم بخلق القرآن . انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل (جزء خلق القرآن) (٧/ ٣ وما بعدها) .

(٣) هذا من قول المعتزلة في نفي الصفات الذي يسمونه التوحيد . انظر: شرح الأصول الخمسة ص(٢٢٦) .

(٤) في ت: توحيد .

فصل

ثم نبغت طائفةٌ أخرى من القدرية، فنفت فعل العبد وقدرته واختياره، وزعمت أن حركته الاختيارية ـ ولا اختيار ـ كحركة الأشجار عند هبوب الرياح، [وكحركات][1] الأمواج، وأنه على الطاعة والمعصية مجبور، وأنه غير ميسر لما خُلق له، بل هو عليه مقسور ومجبور .

ثم تلاهم أتباعهم على آثارهم مقتدين، ولمنهاجهم مقتفين، فقرروا هذا المذهب وانتموا إليه وحقّقوه، وزادوا عليه أن تكاليف الرب تعالى لعباده كلها تكليف ما لا يُطاق، وأنها في الحقيقة كتكليف المقعد أن يرقى إلى السبع الطباق، فالتكليف بالإيمان وشرائعه، تكليف بما ليس من فعل العبد، ولا هو له بمقدور، وإنما هو تكليف بفعل من هو متفرد بالخلق، وهو على كل شيء قدير، فكلّف عباده بأفعاله، وليسوا عليها قادرين، ثم عاقبهم عليها، وليسوا في الحقيقة فاعلين[2] .

ثم تلاهم على آثارهم محققوهم من العُباد، فقالوا: ليس في الكون معصية البتة، إذ الفاعل مطيع للإرادة، موافق للمراد كما قيل:

---

(١) في ت: وحركات .

(٢) وهؤلاء هم الجهمية . انظر: الملل والنحل (١/ ٨٧) .

وهذا لازم قول الأشاعرة، وإن كانوا قالوا بالكسب، لكنه لفظ لا محصل له كما سيأتي في ص(٧٥٩ وما بعدها) . وقد صرَّح الرازي بالجبر في المطالب العالية من العلم الإلهي (٩/ ١٤) تحقيق: د. أحمد حجازي السقا. ط. الأولى ١٤٠٧هـ نشر دار الكتاب العربي، بيروت. وأشار الإيجي في المواقف ص(١٥٠-١٥١) إلى أن نزاعهم (الأشاعرة) مع الجهمية قد يكون في التسمية فقط .

أصبحتُ منفعلاً لما يختاره   مني ففعلي كله طاعات[١]

٤ب ولاموا بعض هؤلاء على فعله، فقال: إنْ كنت عصيتُ أمرَه فقد أطعتُ/ إرادته، ومطيع الإرادة غير ملوم، وهو في الحقيقة غير مذموم.

وقرّر محقّقوهم من المتكلمين هذا المذهب: بأن الإرادة والمشيئة والمحبة في حق الرب سبحانه [شيء][٢] واحد، فمحبته هي [نفس مشيئته][٣]، وكل ما في الكون فقد أراده وشاءه، وكل ما شاءه فقد أحبَّه[٤].

وأخبرني شيخ الإسلام[٥] قدَّس الله روحه أنه لام بعضَ هذه الطائفة على محبة ما يبغضه الله ورسوله، فقال له الملوم: المحبة نار تحرق من القلب ما سوى مراد المحبوب، وجميع ما في الكون مراده، فأي شيء أبغض منه؟!.

قال الشيخ: فقلت له: إذا كان قد سخط على أقوام ولعنهم وغضب عليهم وذمَّهم، فواليتهم أنت وأحببتهم وأحببت أفعالهم ورضيتها تكون موالياً أو معادياً؟. قال: فبهت الجبري ولم ينطق بكلمة.

وزعمت هذه الفرقة أنهم بذلك للسنة ناصرون، وللقدر مثبتون، ولأقوال

---

(١) ذكر المؤلف رحمه الله تعالى هذا البيت مرة أخرى في ص(٢١٣)، وقد ذكره الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتاب الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان ص(٩٠) تحقيق: زهير الشاويش، ط. الرابعة ١٤٠٨هـ، نشر المكتب الإسلامي، بيروت. وفي الفتاوى (٢٥٧/٨) ونسبه إلى ابن إسرائيل. كما ذكره في منهاج السنة النبوية (٢٥/٣) تحقيق: د. محمد رشاد سالم ط. (١) ١٤٠٦هـ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٢) في م، د، س: هي.

(٣) في ت: هي نفس من مشيئته.

(٤) هؤلاء هم الجبرية ومنهم غلاة الصوفية.

(٥) يعني ابن تيمية رحمه الله تعالى، سبقت ترجمته عند الكلام عن شيوخ المؤلف.

أهل البدع مبطلون .

هذا، وقد طوَوا بساط التكليف، وطففوا في الميزان غاية التطفيف، وحملوا ذنوبهم على الأقدار، وبرؤوا أنفسهم في الحقيقة من فعل الذنوب والأوزار، وقالوا: إنهم في الحقيقة فعل الخلاّق العليم، وإذا سمع المنزِّه لربه هذا قال: ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾[1] « **فالشر ليس إليك، والخير كله في يديك** »[2].

لقد ظنَّت هذ الطائفة بالله أسوأ الظن، ونسبته إلى أقبح الظلم، وقالوا: إن

(١) اقتباس من الآية ١٦ سورة النور .

(٢) هذه العبارة مقتبسة من حديث طويل رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه إذا قام إلى الصلاة قال: « **وجهتُ وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ..** » الحديث، وفيه: « **والشر ليس إليك، والخير كله في يديك** ». أخرجه مسلم (١/ ٥٣٤-٥٣٦)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، وأبوداود في (٢/ ٣٦٤-٤٦٧)، كتاب الصلاة، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء . والترمذي (١٢/ ٣٠٥-٣٠٧) أبواب الدعاء، باب ما جاء في الدعاء عند افتتاح الصلاة بالليل، والنسائي (٢/ ١٣٠) كتاب الافتتاح، باب الذكر والدعاء بين التكبير والقراءة . نشر دار الكتاب العربي، بيروت . والإمام أحمد، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح . انظر المسند بتحقيقه (٢/ ١٣٤-١٣٥)، نشر دار المعارف بمصر سنة ١٣٧٢هـ، وابن خزيمة في صحيحه (١/ ٢٣٥-٢٣٦)، تحقيق د. محمد الأعظمي ط. الثانية ١٤٠١هـ، وأبوعوانة في مسنده (٢/ ١١٠-١١٣). نشر دائرة المعارف العثمانية بالهند، سنة ١٣٦٢هـ، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٥/ ٧١-٧٢)، والبيهقي في سننه (٢/ ٣٢) كتاب الصلاة، باب افتتاح الصلاة بعد التكبير، وفي كتاب الدعوات الكبير ص(٥٤) تحقيق بدر البدر، ط الأولى ١٤٠٩هـ نشر مركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت . وفي القدر ص(٢٣٢)، وأبوداود الطيالسي في مسنده ص(٢٢) .

أوامر الرب ونواهيه، كتكليف العبد أن يرقى فوق السماوات، أو كتكليف الميت إحياء الأموات، والله يعذب عباده أشد العذاب على فعل ما لا يقدرون على تركه، وعلى ترك ما لا يقدرون على فعله، بل يعاقبهم على نفس فعله الذي هو لهم غير مقدور، وليس أحد [منهم](١) ميسر له، بل هو عليه مقهور.

ونرى العارف(٢) منهم ينشد مترنماً، ومن ربه متشكياً ومتظلماً:

ألقاه في اليَمِّ مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل بالماءِ(٣)

٥أ وليس عند القوم في نفس الأمر سبب، ولا غاية، ولا حكمة ولا قوة /في الأجسام ولا طبيعة ولا غريزة، فليس في الماء قوة التبريد، ولا في النار قوة التسخين، ولا في الأغذية قوة الغذاء، ولا في الأدوية قوة الدواء، ولا في العين قوة الإبصار، ولا في الأذن قوة السماع، ولا في الأنف قوة الشم، ولا في الحيوان قوة فاعلة [ولا](٤) جاذبة، ولا ممسكة ولا دافعة، والرب تعالى لم يفعل شيئاً بشيء، ولا شيئاً لشيء، فليس في أفعاله باء تسبيب، ولا لام تعليل، وما ورد من

---

(١) ساقطة من م، د، س.

(٢) العارف لقب من الألقاب التي يستعملها الصوفية. وقد عرّفه ابن عربي بأنه من أشهده الرب عليه فظهرت الأحوال نفسه والمعرفة حاله. انظر اصطلاحات ابن عربي المطبوع بذيل كتاب التعريفات للجرجاني (ص٢٩٦) طبعة عام ١٩٨٥م، نشر مكتبة لبنان، بيروت.

(٣) هذا البيت للحلاج، وقبله بيت آخر:

ما يفعل العبد والأقدار جاريةٌ عليه في كل حال أيها الرائي

وراجع ديوانه.

(٤) في ت: ولا في.

ذلك فمحمول على [باء][1] المصاحبة، ولام العاقبة[2] .

وزادوا على ذلك أن الأفعال لا تنقسم في [أنفسها][3] إلى حسن وقبيح، ولا فرق في نفس الأمر بين الصدق والكذب، والبر والفجور، والعدل والظلم، والسجود للرحمن والسجود للشيطان، والإحسان إلى الخلق والإساءة إليهم، ومسبَّة الخالق تعالى والثناء عليه، وإنما نعلم الحسن من ذلك من القبيح بمجرد الأمر والنهي، ولذلك يجوز النهي عن كل ما أمر به، والأمر بكل ما نهى عنه، ولو كان فعل ذلك لكان هذا قبيحاً وهذا حسناً [4] .

وزاد بعض محققيهم على هذا أن الأجسام كلها متماثلة، فلا فرق في الحقيقة بين جسم النار وجسم الماء، ولا بين جسم الذهب وجسم الخشب، ولا بين المسك والرجيع .

وإنما تفترق بصفاتها وأعراضها مع تماثلها في الحد والحقيقة[5]، وزادوا على ذلك بأن قالوا: الأعراض كلها لا تبقى زمانين، ولا تستقر وقتين[6]، فإذا جمعت بين قولهم بعدم بقاء الأعراض، وقولهم بتماثل الأجسام، وتساوي الأفعال، وأن العبد لا فعل له البتة، وأنه لا سبب في الوجود ولا غريزة ولا طبيعة، وقولهم: إن الرب تعالى ليس له فعل يقوم به، وفعله [عين][7] مفعوله، وقولهم: إنه ليس

---

(١) في م: ياء .

(٢) انظر: التمهيد للباقلاني ص(٥٠، ٥١)، تحقيق عمادالدين حيدر. ط. الأولى ١٤٠٧هـ نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت .

(٣) في م، د، س: نفسها .

(٤) انظر: التمهيد للباقلاني ص(١٤٥ وما بعدها) .

(٥) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار (ص٢١٩-٢٢٠) .

(٦) انظر: التمهيد للباقلاني (ص٣٨) .

(٧) في د، س: غير .

بمباين لخلقه، ولا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصلاً به ولا منفصلاً عنه. وقولهم: إنه لا يتكلم [ولا تكلم](١)، ولا قال ولا يقول، ولا سمع أحدٌ خطابَه ولا يسمعه، ولا يراه / المؤمنون يوم القيامة جهرةً بأبصارهم من فوقهم(٢)؛ أنتجت لك هذه الأصول عقلاً يعارض السمع، ويناقض الوحي، وقد أوصاك الأشياخ عند [التعارض](٣) بتقديم هذا المعقول على ما جاء به الرسول ﷺ.

٥ب

فلو أنّي بُليتُ بهاشمي ... خؤولته بنو عبدالمدان(٤)
لَهَانَ عليَّ ما ألقى ولكن ... تعالوا فانظروا بمن ابتلاني(٥)

***

---

(١) في م، د، س: ولا يكلم.

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار (ص٢٣٢ وما بعدها).

(٣) في د: التعاريض.

(٤) المدان ـ كسحاب ـ صنم، وبه سمي عبدالمدان، وهو أبوقبيلة من بني الحارث بن كعب، موطنهم في نجران، أرسل الرسول ﷺ إليهم سرية بقيادة خالد بن الوليد سنة عشر من الهجرة فأسلموا. لسان العرب (١٣/ ٤٠٣)، وتاج العروس لمحمد مرتضى الزبيدي (٩/ ٣٤٣-٣٤٤) مادة « مدن » نشر دار ليبيا للنشر والتوزيع بنغازي، طبع في مطابع دار صادر، بيروت سنة ١٣٨٦هـ والطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ١٦٩) نشر دار صادر، بيروت، ومعجم قبائل العرب لعمر كحالة (٢/ ٧٣٤) ط. الخامسة ١٤٠٥هـ نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ومعجم البلدان (٢/ ٧٠٣) و(٤/ ٧٥٦).

(٥) لم أقف على اسم قائل هذين البيتين، وقد ذكرهما الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٨/ ٣٧٣) نشر دار الكتاب العربي، بيروت، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٠٠) في ترجمة داود بن علي (إمام أهل الظاهر) أنه تمثل بهما عندما تخلف عن مجلسه محمد بن جرير الطبري وعقد لنفسه مجلساً. إلا أن صدر البيت الثاني ورد عند الخطيب هكذا: صبرت على أذيته ولكن ..، وعند الذهبي هكذا: صبرتُ على أذاه لي ولكن ..

فصل

ولما كانت معرفة الصواب في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل واقعة في مرتبة الحاجة، بل في مرتبة الضرورة، اجتهدت في جمع هذا الكتاب وتهذيبه وتحريره وتقريبه، فجاء فرداً في معناه، بديعاً في مغزاه، وسميته:

«**شفاء العليل**[١] **في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**»، وجعلته أبواباً :

الباب الأول: في تقدير المقادير قبل خلق السماوات والأرض .

الباب الثاني: في تقدير الرب تعالى شقاوة العباد وسعادتهم وأرزاقهم وآجالهم[٢] قبل خلقهم، وهو تقدير ثان بعد الأول .

الباب الثالث: في ذكر احتجاج آدم وموسى في ذلك وحكم النبي ﷺ لآدم .

الباب الرابع: في ذكر التقدير الثالث والجنين في بطن أمه .

الباب الخامس: في ذكر التقدير الرابع ليلة القدر .

الباب السادس: في ذكر التقدير الخامس اليومي .

الباب السابع: في أن سبق المقادير [بالسعادة والشقاوة][٣] لا يقتضي ترك الأعمال بل يوجب الاجتهاد والحرص لأنه تقدير بالأسباب .

الباب الثامن: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[٤] .

---

(١) في ت: الغليل . وقد سبقت الإشارة إلى ذلك عند الكلام عن اسم الكتاب .

(٢) في د: زيادة « وأعمالهم » .

(٣) في ت: بالشقاوة والسعادة .

(٤) سورة الأنبياء، آية ١٠١ .

١٦أ **الباب التاسع:** في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[١] . /

الباب العاشر: في مراتب القضاء والقدر التي من استكمل معرفتها والإيمان بها فقد آمن [بالقضاء][٢] والقدر، وذكر المرتبة الأولى .

الباب الحادي عشر: في ذكر المرتبة الثانية من مراتب القضاء والقدر، وهي مرتبة الكتابة .

الباب الثاني عشر: في ذكر المرتبة الثالثة وهي مرتبة المشيئة .

الباب الثالث عشر: في ذكر المرتبة الرابعة وهي مرتبة خلق الأعمال .

الباب الرابع عشر: في الهدى والضلال ومراتبهما .

الباب الخامس عشر: في الطبع والختم والقفل والغل والسد والغشاوة ونحوها وأنه مفعول للرب .

الباب السادس عشر: في تفرد الرب بالخلق [للذوات][٣] والصفات والأفعال.

الباب السابع عشر: في الكسب والجبر ومعناهما لغة واصطلاحاً، وإطلاقهما نفياً وإثباتاً .

الباب الثامن عشر: في فَعَل وأفْعَلَ في القضاء والقدر، والكسب، وذكر الفعل [والانفعال][٤] .

---

(١) سورة القمر، آية ٤٩ .

(٢) ساقطة من م، د، س .

(٣) في د، س: للذات .

(٤) في ت: والأفعال .

الباب التاسع عشر: في ذكر مناظرة بين جبري وسني .

الباب العشرون: في [ذكر][١] مناظرة بين قدري وسني .

الباب الحادي والعشرون: في تنزيه القضاء الإلهي عن الشر ودخوله في المقضي .

الباب الثاني والعشرون: في طرق إثبات حكمة الرب تعالى في خلقه وأمره، وإثبات الغايات المطلوبة، والعواقب الحميدة، التي فعل وأمر لأجلها، وهو من أجلِّ أبواب الكتاب .

الباب الثالث والعشرون: في استيفاء شُبَه نفاة الحكمة وذكر الأجوبة المفصلة عنها .

الباب الرابع / والعشرون: في معنى قول السلف [من أصول الإيمان][٢] : ٦ب الإيمان بالقدر خيره وشره وحلوه ومره .

الباب الخامس والعشرون: في بيان بطلان قول من قال: إن الرب تعالى مريد للشر [وفاعل له][٣] ، وامتناع إطلاق ذلك نفياً وإثباتاً .

الباب السادس والعشرون: فيما دلَّ عليه قوله ﷺ: « **أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بعفوك من عقوبتك، وأعوذ بك منك** »[٤] من تحقيق القدر

---

(١) ساقطة من د، س .

(٢) ما بين القوسين ساقط من: م، ت، س في هذا الموضع، وموجود في صلب الكتاب .

(٣) في ت: وفاعله .

(٤) هذا الحديث رواه أبوهريرة عن عائشة رضي الله عنهما أنها قالت: فقدتُ رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان، وهو يقول: « **اللهم أعوذ برضاك ...** » إلخ. وأخرجه مسلم =

وإثباته، وأسرار هذا الدعاء .

الباب السابع والعشرون: في دخول الإيمان بالقضاء والقدر والعدل

= (١/ ٣٥٢)، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، وأبوداود (٣/ ١٣٢) كتاب الصلاة، باب الدعاء في الركوع والسجود . والترمذي (١٣/ ٢٨) أبواب الدعوات . والنسائي (١/ ١٠٢-١٠٣) كتاب الطهارة باب ترك الوضوء من مس الرجل امرأته من غير شهوة، و(٢/ ٢٢٢-٢٢٣) كتاب الافتتاح باب نوع آخر من الدعاء في السجود. وابن ماجة (٢/ ١٢٦٢-١٢٦٣) كتاب الدعاء، باب ما تعوذ منه الرسول ﷺ. والإمام أحمد (٦/ ٢٠١)، وأبوعوانة في مسنده (٢/ ٢٠٥). والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ١١٦). والإمام مالك في موطئه (ص١١٤)، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الدعاء، تصحيح وترقيم محمد عبدالباقي، طبعة دار الشعب مصر . وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٥/ ٥٨٥) . قال ابن عبدالبر في تجريد التمهيد (ص٢٢٤) نشر دار الكتب العلمية، بيروت: «هذا الحديث مرسل في الموطأ عند جماعة الرواة، ولم يختلفوا عن مالك في ذلك، وهو يستند من حديث الأعرج عن أبي هريرة عن عائشة رضي الله عنهما من طرق صحاح ثابتة، ورواه أيضاً علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول في وتره .. ثم ذكر الحديث. وأخرجه أبوداود (٤/ ٣٠٢-٣٠٣) كتاب الصلاة، باب القنوت في الوتر، والترمذي (١٣/ ٧٢) أبواب الدعوات، باب في دعاء الوتر، وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث حماد بن سلمة . والنسائي (٣/ ٢٤٨-٢٤٩) كتاب قيام الليل، باب الدعاء في الوتر . وفي الكبرى، كتاب النعوت، كما في تحفة الأشراف للمزي (٧/ ٤٢٠)، تحقيق عبدالصمد شرف الدين، ط. الأولى نشر الدار القيمة بالهند، وابن ماجه (١/ ٣٧٣) كتاب إقامة الصلاة والسنن فيها، باب ما جاء في القنوت في الوتر، والإمام أحمد، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح. انظر المسند بتحقيقه (٢/ ١٠٩، ١٩٧)، ورواه أبويعلى في مسنده (١/ ٢٣٨). تحقيق حسين أسد، ط. الأولى ١٤٠٤هـ، نشر دار المأمون للتراث بدمشق .

والتوحيد والحكمة تحت قولـه: « **ماضٍ فيَّ حُكمُك، عدلٌ فيَّ قضاؤك** »[(١)]، وما تضمنه الحديث من قواعد الدين .

---

(١) «**ماضٍ فيَّ حكمُك، عدلٌ فيَّ قضاؤك ..**» هذه العبارة جزء من حديث رواه عبدالله ابن مسعود ﷺ وأوله: « **ما أصاب مسلماً قط هَمٌّ أو حزن فقال: ..** » وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٢٥٣)، والإمام أحمد في المسند، وقال أحمد شاكر: وإسناده صحيح . انظر: المسند بتحقيقه (٥/ ٢٦٦-٢٦٨) و(٦/ ١٥٣)، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣/ ٢٥٣)، والبيهقي في القدر (ص٢٠٩). والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢٠٩-٢١٠) تحقيق حمدي السلفي، ط. الأولى، نشر وزارة الأوقاف العراقية، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٠٩)، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبدالرحمن بن عبدالله عن أبيه، فإنه مختلف في سماعه من أبيه، وتعقبه الذهبي فقال: وأبوسلمة لا يُدرى من هو ؟ ولا رواية له في الكتب الستة . قال الألباني: هو سالم منه، فقد ثبت سماعه منه بشهادة جماعة من الأئمة منهم: سفيان الثوري، وشريك القاضي، وابن معين، والبخاري، وأبوحاتم . انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ١٤٠) ط. الثانية سنة ١٤٠٤هـ، نشر المكتب الإسلامي بيروت. وانظر أيضاً التاريخ الصغير للبخاري (١/ ٩٩) تحقيق محمد زايد، نشر دار الوعي بحلب . وهذا ما رجَّحه أيضاً الشيخ أحمد شاكر . انظر: المسند بتحقيقه (٥/ ٢٥٥)، وأبوسلمة الجهني هو: موسى بن عبدالله الجهني، ثقة من رجال مسلم وليس كما قال الذهبي وهذا ما رجحه الشيخ أحمد شاكر وجزم به الألباني . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٣٦) ط. الثالثة ١٤٠٢هـ، نشر دار الكتاب العربي بيروت . وقال: رواه أحمد وأبويعلى والبزار .. والطبراني ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان . وقد صحح هذا الحديث المؤلف رحمه الله كما في الباب السابع والعشرين من هذا الكتاب، كما أن الألباني ذكر له طريقاً آخر وشاهداً، ثم قال: وجملة القول: إن الحديث صحيح من رواية ابن مسعود وحده، فكيف إذا انضم إليه حديث أبي موسى رضي الله عنهما . الأحاديث الصحيحة (٢/ ١٤٢) .

الباب الثامن والعشرون: في أحكام الرضا بالقضاء، واختلاف الناس في ذلك، وتحقيق القول فيه .

الباب التاسع والعشرون: في انقسام القضاء والقدر، والإرادة، والكتابة، والحكم، والأمر، والإذن، والجعل، والكلمات، والبعث، والإرسال، والتحريم، والعطاء، والمنع، إلى كوني [يتعلق بخلقه، وديني][(١)] يتعلق بأمره، وما في تحقيق ذلك من إزالة اللبس والإشكال .

الباب الموفي ثلاثين: في الفطرة الأولى التي فطر الله عباده عليها، وبيان أنها لا تنافي القضاء [والقدر][(٢)] بل توافقه وتجامعه .

وهذا حين الشروع في المقصود، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، هو [المانُّ][(٣)] به، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان، والله بريء منه ورسوله.

فيا أيها المتأمل له الواقف عليه، لك غُنْمُه، وعلى مؤلفه غُرْمُه، ولك فائدته، وعليه عائدته، فلا تعجل بإنكار ما لم يتقدم لك أسباب معرفته، ولا يحملنَّك شنآن مؤلفه وأصحابه على أن تُحرم ما فيه من الفوائد التي لعلك لا تظفر بها في كتاب، ولعل أكثر من تعظمه ماتوا بحسرتها، ولم يَصِلوا إلى معرفتها، / والله يقسم فضله بين خلقه بعلمه وحكمته وهو العليم الحكيم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

٧أ

* * *

---

(١) ما بين القوسين ساقط من ت .

(٢) في م، د، س: والعدل .

(٣) في ت: المنان .

الباب الأول

في تقدير المقادير قبل خلق السماوات والأرض

عن عبدالله[1] بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«كتب[2] الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء»**[3]. رواه مسلم[4] في الصحيح[5].

---

(١) هو: عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سُعَيْد ـ بالتصغير ـ بن سعد بن سهم السهمي، أبومحمد، وقيل: أبوعبدالرحمن، أحد السابقين المكثرين، من الصحابة، وأحد العبادلة الفقهاء، مات في ذي الحجة ليالي الحرة سنة ثلاث وستين على الأصح، بالطائف على الأرجح، روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٤٣٦) لابن حجر العسقلاني تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، ط الثانية ١٣٩٥هـ نشر دار المعرفة، بيروت، وتهذيب التهذيب (٥/ ٣٣٧-٣٣٨) لابن حجر العسقلاني، ط. الأولى سنة ١٣٢٥هـ نشر دائرة المعارف النظامية بالهند، وأسد الغابة (٣/ ٢٤٥-٢٤٧) لعز الدين بن الأثير، نشر دار الفكر، بيروت، سنة ١٤٠٩هـ.

(٢) قولـه: « **كتب الله مقادير الخلائق** » قال النووي: قال العلماء: المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره، لا أصل التقدير، فإن ذلك أزلي لا أول له. شرح النووي لصحيح مسلم (١٦/ ٢٠٣).

(٣) قولـه: « **وعرشه على الماء** » أي قبل خلق السماوات والأرض، والله أعلم. شرح النووي لصحيح مسلم (١٦/ ٢٠٣).

(٤) هو: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، النيسابوري، ثقة حافظ إمام مصنف، علامة بالفقه، مات سنة إحدى وستين ومائتين، وله سبع وخمسون سنة، روى عنه الترمذي حديثاً واحداً. تقريب التهذيب (٢/ ٢٤٥)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ١٢٦-١٢٨).

(٥) انظر: صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٤) كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، من طريق عبدالله بن وهب عن أبي هانئ الخولاني عن أبي عبدالرحمن الحبلي عن عبدالله بن عمرو العاص ... به، ورواه ابن وهب في كتاب القدر ص(١٠١) تحقيق الدكتور عبدالعزيز العثيم، ط.الأولى ١٤-٦هـ، نشر دار السلطان، ومن طريقه الفريابي في القدر ص(١٨٨)، تحقيق جمال الذهبي، رسالة نال بها الماجستير من كلية أصول الدين =

وفيه دليلٌ على أنَّ خلق العرش سابق على خلق القلم، وهذا أصح القولين[1]؛

= بالرياض، والآجري في الشريعة ص١٧٦، واللالكائي في السنة (٤/ ٥٧٩)، ورواه مسلم أيضاً من طريق حيوة بن شريح، ونافع بن زيد عن أبي هانئ الخولاني ... به، ولكن دون قوله: «وعرشه على الماء»، ورواه الترمذي في جامعه (١/ ٣٢١) كتاب القدر دون الزيادة المذكورة، وبلفظ: «قدر الله» من طريق حيوة بن شريح عن أبي هانئ الخولاني .. وقال: حديث حسن صحيح غريب . وبمثله رواه البيهقي في كتاب الاعتقاد ص١٣٦، تحقيق أحمد الكاتب، ط الأولى ١٤٠١هـ نشر دار الآفاق الجديدة بيروت، والدارمي في كتاب الرد على الجهمية ص٧٩ مختصراً. ورواه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ١٦٩) من طريق حيوة بن شريح وابن لهيعة عن أبي هانئ الخولاني .. به. وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح . انظر المسند بتحقيقه (١٠/ ٨٥) وبمثله رواه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات ص٤٧٧، ورواه عثمان بن سعيد الدارمي - في كتاب الرد على الجهمية ص٧٧ من طريق الليث بن سعد عن أبي هانئ الخولاني .. به، ورواه أيضاً في كتابه الرد على بشر المريسي ص١٩٩، تصحيح محمد الفقي، مصورة عن الطبعة الأولى التي طبعت في سنة ١٣٥٨هـ نشر دار الكتب العلمية، بيروت .

(١) وهو قول الجمهور، ورجحه شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن كثير، وابن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية، والقول الثاني: إن خلق القلم سابق على خلق العرش، وهذا هو الذي يفهم في الظاهر من كتب من صنف في الأوائل، كابن أبي عروبة الحراني وأبي القاسم الطبراني، وقد اختاره ابن جرير الطبري، ابن الجوزي وغيرهما، ورجحه الألباني . قال ابن كثير: وحمل الجمهور حديث عبادة بن الصامت «**أول ما خلق الله القلم ..**» على أنه أول المخلوقات من هذا العالم . انظر: بغية المرتاد لابن تيمية ص(٢٨٥-٢٩٤) تحقيق د. موسى الدويش، ط الأولى ١٤٠٨هـ نشر مكتبة العلوم والحكم، والرد على الجهمية للدارمي ص١٥، ١٦، والأسماء والصفات للبيهقي ص(٤٨٠-٤٨١). وتاريخ ابن جرير الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك (١/ ٣٢-٣٦) تحقيق محمد إبراهيم ط. الرابعة، نشر دار المعارف بمصر، والبداية والنهاية لابن كثير (١/ ٨-٩)، وشرح =

لما روى أبوداود[١] في سننه عن أبي [حفص][٢] الشامي[٣] قال: قال عبادة[٤] ابن الصامت [لابنه][٥]: يا بُنيّ، إنك لن تجد طعمَ الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يك ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال[٦] : ربِّ وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة ». يا بُني، سمعت رسول الله ﷺ

= الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص(٢٩٥)، تخريج الشيخ محمد ناصرالدين الألباني، ط. الأولى ١٣٩٢هـ نشر المكتب الإسلامي، بيروت، وسلسلة الأحايث الصحيحة للألباني: (١/ ٣٩-٤٠) .

(١) هو: سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي، السجستاني، أبوداود. ثقة حافظ، مصنف السنن وغيرها، من كبار العلماء، من الحادية عشرة، مات سنة خمس وسبعين بعد المائتين . روى له الترمذي والنسائي . تقريب التهذيب (١/ ٣٢١) وتهذيب التهذيب (٤/ ١٦٩-١٧٣) .

(٢) هكذا في م، ت: وفي النسخ المطبوعة حفصه: قال: ابن حجر في تهذيب التهذيب (٢/ ١٩٤) أبوحفصة، ويقال أبوحفص .

(٣) أبوحفص الشامي: هو حُبيش ـ بموحدة ومعجمة مصغراً ـ ابن شريح الحبشي، تابعي مقبول، من الثالثة، ووهم من ذكره في الصحابة . تقريب التهذيب (١/ ١٥٢)، وتهذيب التهذيب (٢/ ١٩٤) .

(٤) هو: عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، أبوالوليد المدني، أحد النقباء، بدري مشهور، مات بالرملة سنة أربع وثلاثين، وله اثنتان وسبعون، وقيل: عاش إلى خلافة معاوية، وروى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٣٩٥)، وتهذيب التهذيب (٥/ ١١١-١١٢)، والاستيعاب لابن عبدالبر (٢/ ٤٤٩-٤٥٠) مصورة عن ط. الأولى سنة ١٣٢٩هـ نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت .

(٥) ما بين القوسين ساقط من م، ت: وما أثبت من سنن أبي داود .

(٦) في م، ت: فقال: وما أثبت من سنن أبي داود .

يقول: « من مات على غير هذا فليس مني »[١] .

وكتابة القلم للقدر كان في الساعة التي خُلِقَ فيها؛ لما رواه الإمام أحمد[٢] في مسنده من حديث عبادة[٣] [بن الوليد][٤] قال: حدثني أبي[٥] قال: دخلت على

---

(١) انظر: سنن أبي داود (١٢/ ٤٦٧) كتاب السنة، باب في القدر، ومن طريقه رواه البيهقي في كتاب السنن (١٠/ ٢٠٤) كتاب الشهادات، باب ما ترد به شهادة أهل الأهواء، وفي كتاب القدر ص(٧)، ورواه أبونعيم في الحلية (٥/ ٢٤٨) نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ورواه الطيالسي في مسنده ص(٧٩) بنحوه، ورواه بنحوه اللالكائي في السنة (٢/ ٢١٨) من طريق أبي داود الطيالسي عن عبدالواحد بن سليم .. به . ورواه أيضاً (٣/ ٦١٥) بنحوه من طريق علي بن الجعد عن عبدالواحد بن سليم .. به . ومن طريق علي بن الجعد أيضاً رواه البيهقي في كتاب القدر ص(٢٨٣)، ورواه الترمذي في جامعه (٨/ ٣١٩-٣٢٠) بنحوه، أبواب القدر، وقال: حديث غريب من هذا الوجه، ورواه أيضاً (١٢/ ٢١٦-٢١٧) بنحوه، أبواب التفسير، وقال: حديث حسن غريب. قال الألباني: ولا تناقض بين القولين، فالاستغراب إنما هو بالنظر في هذا الوجه، وعلته عبدالواحد بن سليم وهو ضعيف، والتحسين باعتبار أنه لم ينفرد به . ثم ذكر طرقه، وقال: فالحديث صحيح بلا ريب . انظر: تخريج الألباني لأحاديث مشكاة المصابيح (١/ ٣٤) .

(٢) هو: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المروزي، نزيل بغداد، أبوعبدالله، أحد الأئمة، ثقة حافظ، فقيه حجة، وهو رأس الطبقة العاشرة، مات سنة إحدى وأربعين ومائتين، وله سبع وسبعون سنة، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٢٤)، وتهذيب التهذيب (١/ ٧٢-٧٦) .

(٣) هو: عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت الأنصاري، ويقال له: عبدالله، ثقة من الرابعة. روى له الستة إلا الترمذي . تقريب التهذيب (١/ ٣٩٦)، وتهذيب التهذيب (٥/ ١١٤).

(٤) في د، س: ابن الصامت .

(٥) هو: الوليد بن عبادة بن الصامت، الأنصاري، المدني، أبوعبادة، ولد في عهد النبي ﷺ، وهو ثقة، من كبار الثانية، مات بعد السبعين. روى له الستة إلا أبا داود . تقريب التهذيب (٢/ ٣٣٣)، وتهذيب التهذيب (١١/ ١٣٧) .

عبادة وهو مريض أتخايل[١] فيه الموت، فقلت: يا أبتاه، أوصني واجتهد لي. فقال: أجلسوني . فلما أجلسوه قال: يا بُني، إنك لن تجد طعم الإيمان، ولن تبلغ حق حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى حتى تؤمن [بالقدر][٢] خيره وشره . قلت: يا أبتاه، وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره؟ قال: تعلم أن ما أخطاك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بني، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إن أول ما خلق الله تعالى القلم، ثم قال: اكتب . فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة**». يا بُني: إنْ / مِتُّ ولست على ذلك دخلت النار[٣]. ٧ب

وهذا الذي كتبه القلم هو القدر؛ لما رواه ابن وهب[٤]: أخبرني عمر بن محمد[٥]، أن سليمان بن مهران[٦] حدَّثه قال: قال عبادة بن الصامت: ادعوا لي ابني

---

(١) أتخايل أي: أظن . انظر النهاية لابن الأثير (٢/ ٩٣) .

(٢) في ت: بالقضاء والقدر .

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد (٥/ ٣١٧) وحسَّنه الألباني كما في تعليقه على شرح الطحاوية ص٢٩٤، ورواه الفريابي في كتاب القدر ص١٧٨-١٨٠ بنحوه، ومن طريقه رواه الآجري في الشريعة ص٨٣-٨٤، ١٧٧-١٧٨، ١٨٧)، وأخرج الجزء المرفوع منه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٤٨-٥٠) بعدة طرق. وقال الألباني: حديث صحيح . وأخرج نحوه الطبري في تاريخه (١/ ٣٢) .

(٤) هو: عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي، مولاهم، أبومحمد المصري الفقيه، مؤلف كتاب القدر، ثقة حافظ عابد، من الطبقة التاسعة، مات سنة سبع وتسعين ومائة وله اثنتان وسبعون سنة، وروى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٤٦٠) . وانظر: تهذيب التهذيب (٦/ ٧١-٧٤) .

(٥) هو: عمر بن محمد بن زيد بن عبدالله بن عمر بن الخطاب المدني، نزيل عسقلان، ثقة من الطبقة السادسة، مات قبل الخمسين ومائة، روى له الستة إلا الترمذي . تقريب التهذيب (٢/ ٦٢) . وانظر: تهذيب التهذيب (٧/ ٤٩٥) .

(٦) هو: سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي، أبومحمد الكوفي الأعمش، ثقة حافظ عارف=

ـ وهو يموت ـ لعلي أخبره بما سمعت من رسول الله ﷺ [سمعت رسول الله ﷺ][(١)] يقول: « **إن أول شيء خلقه الله من خلقه القلم، فقال له: اكتب، فقال: يا رب ماذا أكتب ؟ قال: القدر** » . قال رسول الله ﷺ : « **فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار** »[(٢)] .

وعن عبدالله[(٣)] بن عباس قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال لي: « **يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألتَ فسلْ الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعت الأقلام وجُفّت الصحف** ». رواه الترمذي[(٤)].

= بالقراءة ورع، لكنه يدلس، من الطبقة الخامسة، ولد أول سنة إحدى وستين، ومات سنة سبع أو ثمان وأربعين ومائة. روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٣٣١). وانظر: تهذيب التهذيب (٤/ ٢٢٢)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٢٢٦) .

(١) ما بين القوسين ساقط من م، د، س .

(٢) انظر كتاب القدر لابن وهب ص١٢١، وسنده منقطع حيث لم يذكر الراوي بين سليمان ابن مهران الأعمش وعبادة .

(٣) هو: عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف، ابن عم رسول الله ﷺ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، فكان يسمى بالبحر، والحبر لسعة علمه، وقال عمر: لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عشره منا أحد، مات سنة ثمان وستين بالطائف، وهو أحد المكثرين من الصحابة للرواية، وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة . روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٤٢٥)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٢٧٦-٢٧٩)، والاستيعاب (٢/ ٣٥٠)، وأسد الغابة (٣/ ١٨٦-١٩٠) .

(٤) هو: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي، أبوعيسى، =

وقال: حديث حسن صحيح(١) .

= صاحب الجامع، أحد الأئمة، ثقة حافظ، من الثانية عشرة، مات سنة تسع وسبعين ومائتين . تقريب التهذيب (٢/ ١٩٨)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٣٨٧-٣٨٩) .

(١) انظر: جامع الترمذي (٩/ ٣١٩) أبواب صفة القيامة من طريق ابن المبارك عن الليث بن سعد عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس ... به . ورواه أيضاً (٩/ ٣١٩) من طريق أبي الوليد عن الليث ... به وقال: حديث حسن صحيح . وقال الألباني: وهو كما قال . انظر تخريجه لكتاب السنة لابن أبي عاصم (١/ ١٣٨)، ورواه الإمام أحمد في مسنده من طريق الليث .. به وقال أحمد شاكر: وإسناده صحيح . انظر: المسند بتحقيقه (٤/ ٢٣٣) . ورواه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٣٨، ١٣٩) معلقاً وصححه الألباني، وانظر حاشية مشكاة المصابيح (٣/ ١٤٥٩) وصحيح الجامع الصغير وزيادته (٦/ ٣٠١). ورواه أبويعلى في مسنده (٤/ ٤٣٠)، ورواه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٥١٤) تحقيق د. عبدالعلي حامد، الطبعة الأولى سنة، ١٤٠٦هـ نشر الدار السلفية بالهند، وفي كتاب الاعتقاد ص(١٣٩-١٤٠)، وفي كتاب القدر ص(١٦٤)، وفي الأسماء والصفات ص(٩٧)، ورواه الإمام أحمد من طريق قيس بن الحجاج عن ابن عباس، وقال أحمد شاكر: وإسناده صحيح. انظر المسند بتحقيقه (٤/ ٢٦٩)، ورواه الإمام أحمد ـ أيضاً ـ في المسند عن شيخه عبدالله بن يزيد المقرئ بثلاثة أسانيد أحدها متصل، والآخران منقطعان، ودخل حديث بعضهم في بعض، فقال عبدالله بن يزيد: ولا أحفظ حديث بعضهم من بعض؛ أما المتصل فهو ما رواه عبدالله بن يزيد المقرئ عن عبدالله بن لهيعة، ونافع بن يزيد عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس، وقال أحمد شاكر عن هذا الإسناد: إسناد صحيح متصل، وأما الآخران فمنقطعان؛ لأن الحجاج بن الفرافصة الباهلي متأخر إنما يروي عن التابعين ولم يدرك ابن عباس، وكذلك همام بن يحيى بن دينار البصري يروي عن التابعين، ولم يدرك ابن عباس. اهـ . انظر: المسند بتحقيقه (٤/ ٢٨٦-٢٨٨)، ورواه ابن وهب في القدر ص(١٢٩) عن ابن لهيعة والليث بن سعد عن القيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني ... به . ومن طريق ابن وهب رواه اللالكائي في السنة (٤/ ٦١٤)، ورواه أيضاً (٤/ ٦١٣) بمثل طريق =

وعن أبي هريرة[١] قال: قلت: يا رسول الله، إني رجلٌ شاب، وأنا أخاف على نفسي العَنَتَ[٢] ولا أجد ما أتزوج به النساء، فسكت عني، ثم قلت مثل

= الإمام أحمد المتصل، ورواه الفريابي في القدر ص(٢٢٨، ٢٣٤) بعدة طرق، والآجري في الشريعة ص(١٩٨) من طريق يزيد بن أبي حبيب عن حنش الصنعاني ... به . وقال الألباني: وإسناده صحيح . انظر تخريجه للسنة لابن أبي عاصم (١/ ١٣٨)، وروي من طريق أخرى عن ابن عباس: رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٤١-٥٤٢). ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ١٢٣، ١٧٨، ٢٢٣)، وأبونعيم في الحلية (١/ ٣١٤) والقاضي محمد بن سلامة القضاعي في مسند الشهاب (١/ ٤٣٤) تحقيق حمدي السلفي، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ نشر مؤسسة الرسالة، بيروت . والعقيلي في الضعفاء الكبير (٣/ ٥٣)، وقال: رُوي هذا الكلام عن ابن عباس من غير طريق، أسانيدها لينة، وبعضها أصلح من بعض . تحقيق د. عبدالمعطي قلعجي، ط الأولى ١٤٠٤هـ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، وقال ابن منده وغيره: قد روي هذا الحديث عن ابن عباس من طرق كثيرة من رواية ابنه علي ومولاه عكرمة وعطاء بن أبي رباح، وعمرو بن دينار، وعبيدالله بن عبدالله، وعمرو مولى غفرة، وابن أبي مليكة وغيرهم، وأصح الطرق كلها: طريق حنش الصنعاني التي خرجها الترمذي . انظر جامع العلوم والحكم ص(١٧٤)، وقال ابن رجب بعد إشارته إلى طرق حديث ابن عباس: وبعضها أصلح من بعض، وبكل حال فطريق حنش التي أخرجها الترمذي حسنة جيدة (جامع العلوم والحكم ص ١٧٤، نشر دار المعرفة، بيروت) .

(١) هو: عبدالرحمن بن صخر الدوسي، اختلف في اسمه واسم أبيه، حافظ الصحابة، مات سنة سبع، وقيل: ثمان . وقيل: تسع وخمسين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة، روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ٤٨٤)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٢٦٢-٢٦٧)، وأسد الغابة (٥/ ٣١٨-٣٢١)، والإصابة لابن حجر (٤/ ٢٠٢-٢١١)، مصورة عن الطبعة الأولى التي طبعت سنة ١٣٢٨هـ نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت .

(٢) العَنَت: يطلق على الإثم والفجور والأمر الشاق والمكروه، والمراد به هنا الزنا . فتح الباري (٩/ ١١٩) . وانظر: النهاية (٣/ ٣٠٦) .

ذلك، فسكت عني، [ثم قلت مثل ذلك، فسكت عني][1]، ثم قلت مثل ذلك فقال النبي ﷺ: « **يا أبا هريرة، جفَّ القلم بما أنت لاق، فاختص على ذلك أو ذر** ». رواه البخاري[2] في صحيحه [فقال][3]: [وقال][4] أصْبَغُ[5]، وحدثنا ابن وهب عن يونس[6] عن الزهري[7] عن أبي سلمة بن

---

(١) ما بين القوسين ساقط من م، ت، وما أثبت من صحيح البخاري .

(٢) هو: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، أبوعبدالله البخاري، جبل الحفظ، ثقة الحديث، من الحادية عشرة، مات سنة ست وخمسين ومائتين في شوال، وله اثنتان وستون سنة، روى له الترمذي والنسائي. تقريب التهذيب (٢/ ١٤٤)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٤٧-٥٥) .

(٣) في م، د: قال .

(٤) في جميع النسخ الخطية، والمطبوعة: حدثنا . وما أثبت من صحيح البخاري .

(٥) هو أصبغ بن الفرج بن سعيد الأموي، مولاهم، الفقيه المصري، أبوعبيدالله، ثقة، كان ورَّاق ابن وهب، مات مستتراً أيام المحنة، سنة خمسين وعشرين ومائتين، روى له البخاري وأبوداود والنسائي وابن ماجه . تقريب التهذيب (١/ ٨١)، وتهذيب التهذيب (١/ ٣٦١-٣٦٢)، وانظر سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٥٦) .

(٦) هو: يونس بن يزيد بن أبي النجاد الأيلي ـ بفتح الهمزة وسكون التحتانية بعدها لام ـ أبويزيد مولى آل أبي سفيان، ثقة، إلا أن في روايته عن الزهري وهما قليلاً، وفي غير الزهري خطأ، من كبار السابعة، مات سنة تسع وخمسين ومائة على الصحيح، وقيل: سنة ستين ومائة . تقريب التهذيب (٢/ ٣٨٦) . وانظر: تهذيب التهذيب (٦/ ٧١)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٢٢٣) .

(٧) هو: محمد بن مسلم بن عبيدالله بن شهاب بن عبدالله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي، الزهري، وكنيته أبوبكر، الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه، وهو من رؤوس الطبقة الرابعة، مات سنة خمس وعشرين ومائة . وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين . تقريب التهذيب (٢/ ٢٠٧)، وانظر: تهذيب التهذيب (٩/ ٤٤٥) .

عبدالرحمن[(١)] عن أبي هريرة[(٢)] .

ورواه ابن وهب في كتاب القدر وقال فيه: فأذن لي أن أختصي . قال[(٣)] فسكت عني حتى[(٤)] قلت ذلك ثلاث مرات، فقال: **« جَفَّ القلم بما أنت لاقٍ»**[(٥)] .

---

(١) هو: أبوسلمة بن عبدالرحمن بن عوف الزهري، المدني. قيل: اسمه عبدالله، وقيل: إسماعيل. ثقة مكثر، من الطبقة الثالثة. مات سنة أربع وتسعين، وكان مولده سنة بضع وعشرين . تقريب التهذيب (٢/ ٤٣٠)، وانظر: تهذيب التهذيب (١٢/ ١١٥) .

(٢) انظر: صحيح البخاري (٦/ ١١٩) نشر المكتبة الإسلامية باستانبول سنة ١٩٨١م، كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء، فقد رواه تعليقاً بصيغة الجزم . والمعلق هو: ما حُذف من مبدأ إسناده راو فأكثر على التوالي. قال ابن حجر في فتح الباري (٩/ ١١٩) تصحيح سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة: وهذا وصله الفريابي في القدر، والجوزقي في الجمع بين الصحيحين، والإسماعيلي من طرق عن أصبغ. وانظر كتاب القدر للفريابي (ص٤٠٦-٤٠٧)، ومن طريق الفريابي رواه الآجري في الشريعة (ص٢٤٨-٢٤٩)، وانظر أيضاً تدريب الراوي للسيوطي (١/ ٢١٩) تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، ط. الثانية ١٣٩٩هـ نشر دار إحياء السنة النبوية ـ بيروت .

(٣) في م، ت: فقال قال، وما أثبت من كتاب القدر لابن وهب .

(٤) في ت، حين، وما أثبت من نسخة م، ومن كتاب القدر لابن وهب .

(٥) انظر كتاب القدر لابن وهب ص(٩٩)، ومن طريقه رواه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٥١)، وقال فيه الشيخ الألباني: إسناده صحيح. كما صححه النسائي في سننه (٦/ ٦٠) كتاب النكاح، ورواه البيهقي في سننه (٧/ ٧٩)، وفي كتاب القدر ص(١٢٩) . ورواه النسائي في (٦/ ٥٩) كتاب النكاح باب (٤) من طريق الأوزاعي عن الزهري.. به، وقال: الأوزاعي لم يسمع هذا الحديث من الزهري، وقد صرح الأوزاعي بذلك عند الفريابي ص(٣٩٢) فقال: حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا بقية بن الوليد، حدثني =

وقال أبوداود الطيالسي[(١)]: حدثنا عبدالمؤمن ـ هو ابن عبيد الله[(٢)] ـ قال كنا عند الحسن[(٣)] فأتاه [بريد][(٤)] بن أبي مريم[(٥)] السلولي يتوكأ على عصا، فقال: يا أبا سعيد، أخبرني عن قول / الله عز وجل: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾[(٦)]، ١٨/أ

= أبوعمرو الأوزاعي، حدثني من سمع الزهري ....، ورواه القضاعي في مسند الشهاب (١/ ٣٥٣) أيضاً من طريق الأوزاعي عن الزهري .

(١) هو: سليمان بن داود بن الجارود، أبوداود الطيالسي، البصري، صاحب المسند، ثقة حافظ، غلط في أحاديث، من الطبقة التاسعة، مات سنة أربع ومائتين، روى له البخاري تعليقاً، وروى له مسلم والأربعة . تقريب التهذيب (١/ ٣٢٣)، وانظر تهذيب التهذيب (٣/ ١٨٢-١٨٦) .

(٢) هو: عبدالمؤمن بن عبيدالله، السدوسي، أبوعبيدة البصري، روى عن الحسن وغيره، وروى عنه عبدالصمد بن عبدالوارث وغيره، ثقة من الثامنة، روى له أبوداود في كتاب القدر، وابن ماجه في التفسير. تقريب التهذيب (١/ ٢٥٥)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٤٣٣).

(٣) هو: الحسن بن أبي الحسن البصري، أبوسعيد، واسم أبيه يسار الأنصاري، مولاهم، ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيراً ويدلس، وهو رأس الطبقة الثالثة، مات سنة عشر ومائة وقد قارب التسعين. روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ١٦٥)، وانظر تهذيب التهذيب (٢/ ٢٦٣-٢٧٠) .

(٤) في جميع النسخ: يزيد وهو تصحيف، والصواب ما أثبت .

(٥) هو: بريد بن أبي مريم، مالك بن ربيعة السلولي، بفتح المهملة، البصري، ثقة من الرابعة، مات سنة أربع وأربعين ومائة . روى له البخاري في الأدب المفرد، وروى له مسلم والأربعة . تقريب التهذيب (١/٩٦)، وتهذيب التهذيب (١/ ٤٣٢)، وانظر: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه للحافظ ابن حجر العسقلاني (٤/ ١٤٩٠) تحقيق علي البجاوي، نشر المكتبة العلمية، بيروت .

(٦) سورة الحديد، آية ٢٢ .

فقال[١] الحسن: نعم، والله، إنَّ الله ليقضي القضية في السماء ثم يضرب لها أجلاً أنه كائنٌ يوم كذا وكذا، في ساعة كذا وكذا، في الخاصة والعامة[٢]، حتى إن الرجل ليأخذ العصا ما يأخذها إلا بقضاء وقدر . قال: يا أبا سعيد، والله لقد أخذتها وإني عنها لغني، ثم لا صبر لي عنها، قال الحسن: أفلا ترى[٣][٤] .

واختُلف في الضمير في قوله: ﴿ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾[٥] فقيل: هو عائد [إلى][٦] الأنفس لقربها منه[٧]، وقيل: هو عائد على الأرض[٨]، وقيل: هو عائد على المصيبة[٩] .

---

(١) في ت: وقال.

(٢) في ت: أو العامة .

(٣) في م، د، س: أوَ لا ترى .

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٦٢) بنحوه، ونسبه إلى ابن المنذر. ط. الأولى ١٤٠٣هـ نشر دار الفكر، بيروت .

(٥) سورة الحديد، آية (٢٢) .

(٦) في م، د، س: على .

(٧) وهذا قول ابن عباس، والضحاك، والحسن، وابن زيد، وقتادة، واختاره ابن جرير الطبري، والفراء . انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٢٧/ ٢٣٣-٢٣٤) نشر دار الفكر ١٤٠٥هـ ومعاني القرآن (٣/ ١٣٦) لأبي زكريا الفراء تحقيق د. عبدالفتاح شلبي، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م . وإعراب القرآن (٣/ ٣٦٥-٣٦٦) لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس المتوفى سنة ٣٣٨هـ . تحقيق د. زهير زاهد . نشر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية العراقية .

(٨) ذكره الواحدي في تفسيره «البسيط» ق (٩٧) مخطوط، محفوظ أصله بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٣) تفسير . وتوجد صورة منه بمركز الملك فيصل بالرياض تحت رقم (١٤٢٥/ ف) .

(٩) وهذا القول ذكره الواحدي في تفسيره «البسيط» ق(٩٧) (المرجع السابق) عن ابن =

والتحقيق أن يقال: هو عائد على البرية[١] التي تعم هذا كله، ودل عليه السياق[٢]، وقوله ﴿ نَّبْرَأَهَآ ﴾، فينتظم التقادير الثلاثة انتظاماً واحداً، والله أعلم.

قال ابن وهب: أخبرني عمر[٣] بن محمد أن سليمان[٤] بن مهران حدَّثه، قال: قال عبدالله بن مسعود[٥]: إن أول شيء خلقه الله عز وجل من خلقه القلم، فقال له: اكتب، فكتب كل شيء يكون في الدنيا إلى يوم القيامة، فَيُجمع بين الكتاب الأول وبين أعمال العباد، فلا يخالف ألفاً ولا واواً [ولا ميماً][٦][٧].

وعن عبدالله بن عمرو، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور

= عباس أيضاً . وقال به: أبومحمد مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٧هـ . كما في كتابه مشكل إعراب القرآن (٢/ ٧١٩)، تحقيق: د. حاتم الضامن، ط٢ نشر مؤسسة الرسالة، بيروت . وانظر أيضاً البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات ابن الأنباري (٢/ ٤٢٤)، تحقيق: د. طه عبدالحميد، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ .

(١) البرية: الخليقة . انظر النهاية (١/ ١٢٣) .

(٢) وهذا هو الذي رجحه ـ أيضاً ـ ابن كثير . انظر تفسيره (٤/ ٣١٣) نشر دار المعرفة، بيروت، سنة ١٤٠٣هـ .

(٣) سبقت ترجمته في ص(١٤١) .

(٤) سبقت ترجمته في ص(١٤١) .

(٥) هو: عبدالله بن مسعود بن غافل ـ بمعجمة وفاء ـ بن حبيب الهذلي، أبوعبدالرحمن، من السابقين الأولين، ومن كبار العلماء، صحابي جليل، مناقبه جمة، مات سنة اثنتين وثلاثين، أو في التي بعدها، بالمدينة. روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٤٥٠)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٧-٢٨)، وأسد الغابة (٣/ ٢٨٠-٢٨٦)، والإصابة (٢/ ٣٦٨-٣٧٠) .

(٦) في م، س: وميما .

(٧) انظر: كتاب القدر لابن وهب ص(١٣٥)، وإسناده منقطع بين الأعمش وابن مسعود.

شيء اهتدى، ومن أخطأه ضلّ». قال عبدالله بن [عمرو][١]: [لذلك][٢] أقول: «جف القلم بما هو كائن». رواه الإمام أحمد[٣].

وقال أبوداود[٤]: حدثنا عباس[٥] بن الوليد بن مزيد، قال: أخبرني أبي[٦] قال: سمعت الأوزاعي[٧]، قال: حدثني

(١) ما بين القوسين ساقط من د، س. وفي م: ابن عمر، والصواب ما أثبت.

(٢) في م، د، س: فلذلك.

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد (٢/ ١٩٧)، وقال فيه أحمد شاكر رحمه الله: إسناده صحيح. المسند بتحقيقه (١١/ ٧٩). وصححه أيضاً الألباني. انظر تخريجه لكتاب السنة لابن أبي عاصم (١/ ١٠٨)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٩٣-١٩٤)، وقال: رواه أحمد بإسنادين، والبزار والطبراني، ورجال أحد إسنادي أحمد ثقات.
ورواه الفريابي في كتاب القدر ص(١٧٤) بسند رجال ثقات، ومن طريقه رواه الآجري في الشريعة ص(١٧٥)، وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٤/ ٤٣-٤٤).

(٤) هو سليمان بن الأشعث السجستاني، سبقت ترجمته في ص(١٣٩).

(٥) هو العباس بن الوليد بن مزيد - بفتح الميم وسكون الزاي وفتح المثناة التحتانية - العُذْري - بضم المهملة وسكون المعجمة - البيروتي - بفتح الموحدة وآخره مثناة - صدوق عابد، من الطبقة الحادية عشرة، مات سنة تسع وتسعين ومائتين، وله مائة سنة، روى له أبوداود والترمذي، تقريب التهذيب (١/ ٣٩٩)، وتهذيب التهذيب (٥/ ١٣١-١٣٣)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٧١).

(٦) هو: الوليد بن مَزْيَد العُذْري أبوالعباس البيروتي، ثقة ثبت، قال النسائي: كان لا يخطئ ولا يدلس، من الثامنة، مات سنة ثلاث وثمانين ومائة، روى له أبوداود والنسائي. تقريب التهذيب (٢/ ٣٣٥)، وتهذيب التهذيب (١١/ ١٥٠).

(٧) هو: عبدالرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي، أبوعمرو الفقيه، ثقة جليل، من الطبقة السابعة، مات سنة سبع وخمسين ومائة. تقريب التهذيب (١/ ٤٩٣)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٣٨-٢٤٢).

ربـيعة[١] بـن يـزيد، ويحيى بن أبي عمرو[٢] السيباني، قال: حدثني عبدالله[٣] بن فيروز الديلمي، قال: دخلت على عبدالله بن عمرو بن العاص وهو في حائط[٤] لـه بالطائف يقال له الوهط[٥]، فقلت: خصال بلغتني عنك تحدث بها عن رسول الله / ﷺ أنـه قـال: « من شرب الخمر لم تُقبل توبته أربعين صباحاً، وإن الشقي ٨ب مـن شـقي في بطـن أمه »، قال[٦]: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الله خلق خلقـه في ظـلمة، ثـم ألقـى علـيهم مـن نوره، فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى، ومن أخطأه ضلّ » فلذلك أقول: جف القلم على علم الله[٧].

---

(١) هو: ربعية بن يزيد الدمشقي، أبوشعيب الإيادي القصير، ثقة عابد، من الطبقة الرابعة، مات سنة إحدى أو ثلاث وعشرين ومائة . تقريب التهذيب (١/ ٢٤٨)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٢٦٤)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٣٩) .

(٢) هو: يحيى بن أبي عمرو السيباني ـ بفتح المهملة وسكون التحتانية بعدها موحدة ـ أبوزرعة الحمصي، ثقة، من الطبقة السادسة، مات سنة ثمان وأربعين ومائة، أو بعدها. تقريب التهذيب (٢/ ٣٥٥)، وتهذيب التهذيب (١١/ ٢٦٠-٢٦١) .

(٣) هو: عبدالله بن فيروز الديلمي، أخو الضحاك، ثقة من كبار التابعين، ومنهم من ذكره في الصحابة . تقريب التهذيب (١/ ٤٤٠)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٣٥٨) .

(٤) يقال: حاط يحوطه حوطاً: وهو الشيء يطيف بالشيء، ومنه الحائط: البستان، إذا كان عليه حائط وهو الجدار . معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ١٢٠)، مادة «حوط»، والنهاية لابن الأثير (١/ ٤٦٢) مادة « حوط » .

(٥) الوَهْط: ـ بفتح الواو وسكون الهاء ـ المكان المطمئن، وبه سمي الوهط، وهو مال كان لعمرو بن العاص قرب الطائف. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٥/ ٣٨٦)، والنهاية لابن الأثير (٥/ ٢٣٢) .

قلت: ولا يزال هذا المكان يعرف بهذا الاسم حتى اليوم .

(٦) في م: وقال .

(٧) رواه الترمذي (٥/ ٢٦) كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، وقال: هذا =

ورواه الإمام أحمد في مسنده أطول من هذا عن عبدالله بن فيروز الديلمي قال: دخلت على عبدالله بن عمرو وهو في حائط له بالطائف يقال له الوهط، وهو [مخاصر](١) فتى من قريش يُزَنُّ(٢) بشرب الخمر، فقلت: بلغني عنك حديث [أنه](٣) من شرب شربة خمر لم يقبل [الله له توبة](٤) أربعين صباحاً، وأن الشقي من شقي في بطن أمه، وأن من أتى بيت المقدس لا ينهزه(٥) إلا الصلاة فيه خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه، فلما سمع الفتى ذكر الخمر اجتذب يده من يده، ثم انطلق، فقال عبدالله بن عمرو: إني لا أحل لأحدٍ أن

= حديث حسن، وعبدالله ابن الإمام أحمد في زوائده على المسند (٢/ ١٧٦)، وقال فيه أحمد شاكر: وإسناده صحيح . انظر: تعليقه على المسند (١١/ ٤٤)، وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٤/ ٤٤-٤٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٠٧-١٠٨)، وقال الألباني: إسناده صحيح، والفريابي في القدر ص(١٧٣-١٧٤) ومن طريقه الآجري في الشريعة ص(١٧٥)، ورواه البيهقي في الأسماء والصفات ص(١٤٩)، وفي كتاب القدر ص(٣٩)، واللالكائي في السنة (٣/ ٦٠٤)، والبزار كما في كشف الأستار (٣/ ٢١-٢٢) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط. الأولى ١٤٠٤هـ، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت .

(١) في م، ت، محاصر بالحاء المهملة، وفي س: محاضر بالضاد المعجمة، وما أثبت من المسند، ومعنى المخاصرة: أن يأخذ الرجل بيد رجل آخر يتماشيان ويد كل واحد منهما عند خصر صاحبه . النهاية لابن الأثير (٢/ ٣٧) .

(٢) يُزَنّ: أي يُتهم . النهاية (٢/ ٣١٦) .

(٣) في م، د. س : أن .

(٤) في م: لم تقبل له توبة . وما أثبت من نسخة ت ومن المسند .

(٥) النهز: الدفع، والمعنى أنه خرج ولم ينو بخروجه غير الصلاة . النهاية لابن الأثير (٥/ ١٣٦) .

يقول عليٌّ ما [لم][1] أقل، سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **من شرب الخمر شربة لم تقبل[2] له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، [فإن عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد، ـ قال:][3] فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة ـ فإن عاد كان حقاً على الله أن يسقيه من ردغة[4] الخبال يوم القيامة** »[5]. قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من نوره يومئذ**

---

(١) ساقطة من: م .

(٢) في ت: لم يقبل الله له . ما أثبت (من م)، والمسند .

(٣) ما بين القوسين زيادة من المسند، والمستدرك للحاكم .

(٤) الردغة هي: الطين والوحل الكثير . انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٢١٥)، وانظر أيضاً غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (٤/ ١٧) .

(٥) انظر: المسند (٢/ ١٧٦)، وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (١٠/ ١٢٧): وإسناده صحيح، ورواه النسائي (٨/ ٣١٧) كتاب الأشربة، باب توبة شارب الخمر، وفي (٨/ ٣١٦)، باب ذكر الرواية المبينة عن صلوات شارب الخمر، وابن ماجه (٢/ ١٧١) كتاب الأشربة، باب من شرب الخمر لم تقبل له صلاة، وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٢/ ١٨٠)، والدارمي في سننه (٢/ ٣٦) كتاب الأشربة، باب التشديد على شارب الخمر، نشر حديث أكاديمي، باكستان، سنة ١٤٠٤هـ . والحاكم في المستدرك (٤/ ١٤٦)، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي .

ورواه الإمام أحمد (٢/ ١٨٩) بنحوه من طريق نافع عن عاصم عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ، وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (١١/ ٤٤): وإسناده صحيح . وبمثله رواه البزار، كما في كشف الأستار (٣/ ٣٥٧)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٦٩) وقال: رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح، خلا نافع بن عاصم، وهو ثقة .

اهتدى، ومن أخطأه ضل» فلذلك أقول: جف القلم على علم الله[١]، وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن سليمان بن داود سأل الله عـز وجل ثلاثاً، فأعطاه اثنتين، ونحن نرجو أن تكون [له][٢] الثالثة، سأل الله حكماً يصادف حكمه، فأعطاه الله إياه، وسأله مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فأعطاه الله إياه، وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة / في المسجد خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه. فنحن نرجو أن يكون الله [عز وجل قد[٣]] [أعطاه][٤] إياه»[٥].

٩أ

(١) سبق تخريج الحديث في ص (١٥٠).

(٢) في م، ت: لنا، وما أثبت من المسند، والمستدرك.

(٣) في م، ت: ... أن يكون الله عـز وجل [يعني] قد أعطاه إياه. وكلمة «يعني» هذه ليست في المسند، ولا في المستدرك.

(٤) في ت، د، س: أعطانا. وما أثبت من م، والمسند، والمستدرك.

(٥) هذا الجزء من الحديث رواه ابن ماجه في سننه (١٠/ ٤٥١) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس، وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٢٨٨)، باب فضل الصلاة في بيت المقدس، ورواه النسائي في سننه (٢/ ٣٤) كتاب المساجد، باب فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه، دون قولـه: فنحن نرجو أن يكون الله عز وجل قد أعطاه إياها. ورواه ابن حبان في صحيحه، انظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٤/ ٥١١-٥١٢)، كتاب الصلاة، باب المساجد، ورواه الفسوي في كتاب المعرفة والتاريخ (٢/ ٢٩٣) تحقيق: الدكتور أكرم العمري، طبع مطبعة الإرشاد في بغداد، ونقله ابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ٢٦)، (٦/ ٢٨٨) عن الإمام أحمد، والنسائي، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم بأسانيدهم، وأشار أيضاً في التفسير (٤/ ٣٧-٣٨) بعد نقله الحديث مطولاً إلى أنه قد روى هذا الفصل الأخير من الحديث: النسائي وابن ماجه من طرق عن عبدالله بن فيروز الديلمي عن عبدالله بن عمرو بن العاص، ونقله المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٣٧-١٣٨) نشر مكتبة شباب الأزهر بمصر وقال: رواه الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما. =

[ورواه](١) الحاكم(٢) في صحيحه [وقال](٣) : هو على شرط الشيخين ولا علة له . [والله أعلم](٤) .

❋ ❋ ❋

= والحديث بطوله رواه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ١٧٦) كما تقدم وقال فيه أحمد شاكر: إسناده صحيح. انظر: المسند بتحقيقه (١٠/ ١٢٧-١٣٠)، ورواه الحاكم في المستدرك (١/ ٣٠-٣١) ـ كما أشار إليه المؤلف ـ وقال الحاكم فيه: هذا حديث صحيح، قد تداوله الأئمة، وقد احتجا بجميع رواته ثم لم يخرجاه ولا أعلم له علة. وقال الذهبي: على شرطهما، ولا علة له . ورواه الفريابي في القدر ص(١٧٦-١٧٨) .

(١) في د: رواه، بدون الواو .

(٢) هو: أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نعيم الضبي الطهماني النيسابوري، يعرف بابن البيِّع، صاحب «المستدرك» و « المدخل » و « علوم الحديث » وغيرها . ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، وطلب الحديث صغيراً باعتناء أبيه وخاله، وكان من بحور العلم على تشيع قليل فيه، حدَّث عنه البيهقي وخلائق، وكان إمام عصره في الحديث، مات سنة خمس وأربعمائة. سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٦٢-١٧٧) وطبقات الحفاظ للسيوطي ص(٤١٠-٤١١) . ط الأولى ١٤٠٣هـ نشر دار الكتب العلمية، بيروت .

(٣) « قال » : ساقطة من د، س .

(٤) ما بين القوسين زيادة من ت .

الباب الثاني

في تقدير الرب تبارك وتعالى شقاوة العباد وسعادتهم، وأرزاقهم وآجالهم، وأعمالهم قبل خلقهم، وهو تقدير ثان بعد التقدير الأول

الباب الثاني (*)

في تقدير الرب تبارك وتعالى شقاوة العباد وسعادتهم، وأرزاقهم وآجالهم، وأعمالهم قبل خلقهم، وهو تقدير ثان بعد التقدير الأول

عن علي[١] بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد[٢]، [فأتانا][٣] رسول الله ﷺ فقعد، وقعدنا حوله، ومعه مِخْصَرة[٤]، فنكس[٥]، فجعل [ينكُت][٦] بمخصرته، ثم قال: **« ما منكم من أحدٍ، ما من نفسٍ منفوسة[٧] إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة»** فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نمكثُ على كتابنا وندع العمل؟ فقال: **« من كان من أهل**

(*) نهاية سقط (ع) الذي بدأ من أول الكتاب.

(١) هو: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته فاطمة، من السابقين الأولين، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ورابع الخلفاء الراشدين، قتله عبدالرحمن بن ملجم المرادي ـ غيلة ـ في رمضان سنة أربعين، وله ثلاث وستون سنة على الأرجح. روى له الستة، تقريب التهذيب (٢/ ٣٩)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٣٣٤-٣٣٩). وأسد الغابة (٣/ ٥٨٨-٦٢٢)، والإصابة (٢/ ٥٠٧-٥١٠).

(٢) هو موضع بالمدينة فيه قبور أهلها، كان به شجر الغرقد الذي هو كبار العوسج، فذهب وبقي اسمه. انظر النهاية لابن الأثير (١/ ١٤٦). ومعجم البلدان لياقوت الحموي (١/ ٤٧٣).

(٣) في ع، د، س: فأتى.

(٤) المخصرة: ما يختصره الإنسان بيده فيمسكه من عصا، أو عكازة، أو مقرعة، أو قضيب، وقد يتكئ عليه، وسميت بذلك لأنها تُحمَل تحت الخصر غالباً للاتكاء عليها. انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٣٦) وفتح الباري (١١/ ٤٩٦).

(٥) نكس: أي خفض رأسه وطأطأه إلى الأرض على هيئة المهموم. انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (١٦/ ١٩٥).

(٦) في ت، د، س: ينكث، ونكث الأرض بالقضيب هو: أن يؤثر فيها بطرفه، فعل المفكر المهموم. انظر النهاية (٥/ ١١٣).

(٧) منفوسة: أي مولودة. انظر: النهاية (٥/ ٩٥).

السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة » ثم قرأ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝ ﴾(١)(٢) .

وفي لفظ : « **اعملوا فكلٌّ ميسر، أما أهل السعادة فيسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فيسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ** : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝ ﴾(٣) .

---

(١) سورة الليل، الآيات من ٥-١٠ .

(٢) رواه البخاري في (٢/ ٩٩)، كتاب الجنائز، باب موعظة المحدِّث عند القبر وقعود أصحابه حوله، ورواه أيضاً في (٦/ ٨٥) كتاب التفسير، تفسير سورة «والليل إذا يغشى»، باب قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴾، ومسلم في (٤/ ٢٠٣٩) كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله، وشقاوته وسعادته .

(٣) رواه بهذا اللفظ البخاري في (٦/ ٨٦) كتاب التفسير، تفسير سورة «والليل إذا يغشى» باب قوله تعالى ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ . ورواه أيضاً مختصراً في كتاب القدر (٧/ ٢١٢) باب ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾، وفي (٦/ ٨٤) كتاب التفسير، تفسير سورة « والليل إذا يغشى». وفي كتاب الأدب (٧/ ١٢٣) باب نكت العود في الماء والطين، وفي كتاب التوحيد (٨/ ٢١٥-٢١٦) باب قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾، ورواه مسلم (٤/ ٢٠٣٩-٢٠٤٠) كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله، وشقاوته وسعادته، ورواه أبوداود (١٢/ ٤٥٧) كتاب السنة، باب في القدر، والترمذي (٨/ ٣٠٠) أبواب القـدر، باب ما جاء في الشقاء والسعادة، و(١٢/ ٢٤٥-٢٤٦)، أبواب التفسير، تفسير سورة « والليل إذا يغشى»، وابن ماجه (١/ ٣٠-٣١) المقدمة، باب في القدر، والإمام أحمد في مسنده (١/ ٨٢، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٣، ١٤٠)، وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢/ ٤٥-٤٧)، والبيهقي في القدر ص(٢٨-٣٢)، وفي كتاب الاعتقاد (ص١٣٧)، والفريابي في القدر ص(١٥٠-١٥١)، ومن طريقه رواه الآجري في الشريعة ص(١٧١-١٧٢) .

وعن عمران بن حصين [(١)] قال : قيل : يا رسول الله، أعلم أهل الجنة من أهل النار؟ فقال : « **نعم** » . قيل : ففيم يعمل العاملون؟ قال : « **كل ميسر لما خلق له** » . متفق عليه[(٢)] .

وفي بعض طرق البخاري : « **كلٌ يعمل لما خلق له، أو لما يُسِّر له** »[(٣)] .

وعن أبي الأسود الدؤلي[(٤)] قال : قال لي عمران بن حصين : أرأيت ما يعمل / الناس اليوم ويكدحون فيه؛ أشيء قضي [عليهم][(٥)] ومضى عليهم من قدر قد سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقلت : بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم، قال : فقال : أفلا يكون ظلماً ؟ ٩ب

(١) هو : عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، أبونجيد، بنون وجيم، مصغراً، أسلم عام خيبر، وصحب، وكان فاضلاً، وقضى بالكوفة، مات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة. تقريب التهذيب (٢/ ٨٢). وتهذيب التهذيب (٨/ ١٢٥-١٢٦)، أسد الغابة (٣/ ٧٧٨-٧٧٩)، الإصابة (٣/ ٢٦-٢٧) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٢١٠) كتاب القدر باب جفّ القلم على علم الله. ورواه أيضاً في (٨/ ٢١٥) كتاب التوحيد باب قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾، ورواه مسلم (٤/ ٢٠٤١) واللفظ له، كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وشقاوته وسعادته، ورواه أبوداود في سننه (١٢/ ٤٧٦) كتاب السنة، باب في القدر، والفريابي في كتاب القدر ص(١٥٧)، ومن طريقه رواه الآجري في الشريعة ص(١٧٤) .

(٣) انظر : صحيح البخاري (٧/ ٢١٠) كتاب القدر، باب جف القلم على علم الله .

(٤) هو : أبوالأسود الدِيْلي ـ بكسر المهملة وسكون التحتانية ـ ويُقال: الدؤلي، بالضم بعدها همزة مفتوحة، البصري، اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان، ويُقال: عمرو بن عثمان، أو عثمان بن عمرو، ثقة فاضل، مخضرم، مات سنة تسع وستين، روى له الستة، تقريب التهذيب (٢/ ٣٩١)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ١٠-١١) .

(٥) ساقطة من : ت .

قال : ففزعت من ذلك فزعاً شديداً، وقلت : كل شيء خلق الله وملك يده : ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[(١)]، قال : فقال لي : يرحمك الله، إني لم أرد بما سألتك إلا لأحزر[(٢)] عقلك، إن رجلين من مزينة[(٣)] أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيها، أشيءٌ قُضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق، أو فيما يستقبلون [به][(٤)] مما أتاهم به نبيهم [وثبتت الحجة][(٥)] عليهم؟ . فقال : «بل شيء قُضي عليهم، ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾[(٦)] . رواه مسلم في صحيحه[(٧)] .

---

(١) اقتباس من الآية ٢٣ من سورة الأنبياء .

(٢) لأحزر عقلك : قال النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٦/ ١٩٩) أي : لأمتحن عقلك وفهمك ومعرفتك .

(٣) مزينة : هم بنو عثمان وأوس، ابنا عمرو بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وبطين صغير يقال لهم : بنو حميس بن أد بن طابخة بن إلياس .. إلخ، وأمهما مزينة بنت كلب بن وبرة، فنسب ولدها إليها . جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص٤٨٠-، ٢٠١) ط. الأولى ١٣٨٢هـ نشر دار المعارف، مصر، واللباب في تهذيب الأنساب للجزري (٣/ ٢٠٥) طبعة دار صادر، بيروت .

(٤) ساقطة من ت .

(٥) في ع، د، س : وثبتت به الحجة، بزيادة « به » وليست في مسلم .

(٦) سورة الشمس، آية ٧، ٨ .

(٧) انظر : صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤١-٢٠٤٢) كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله، وشقاوته وسعادته، ورواه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٤٣٨) مختصراً ، واللالكائي في السنة (٣/ ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤) ، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٧٦-٧٧)، والفريابي في القدر ص(٢٢٥-٢٢٦)، والطبري في تفسيره (٣٠/ ٢١١)، والبيهقي في كتاب الاعتقاد ص(١٤٨) وفي كتاب القدر ص(٢٢)، والطيالسي في مسنده =

وعن شُفي الأصبحي[(١)] عن عبدالله بن عمرو قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان، فقال: «**أتدرون ما هذان الكتابان؟**» قال: قلنا: لا، إلا أن تخبرنا يا رسول الله. قال للذي في يده اليمنى: «**هذا كتاب من رب العالمين تبارك وتعالى بأسماء أهل الجنة، وأسماء آبائهم، وقبائلهم، ثم أُجمِلَ [على آخرهم لا يزاد[(٢)]][(٣)] فيهم ولا ينقص منهم أبداً**». ثم قال للذي في يساره: «**هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم، وقبائلهم، ثم أُجمل على آخرهم [لا يُزاد][(٤)] فيهم ولا ينقص منهم أبداً**»، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: فلأي شيء نعمل إن [كان هذا][(٥)] أمراً قد فُرغ منه[(٦)]؟ قال رسول الله ﷺ: «**سدِّدُوا[(٧)] وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة، وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل**» ثم قال بيده فقبضها، ثم قال: «**فرغ [ربكم][(٨)]**

= (ص١١٣)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥٢٨)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه.

(١) هو شُفي ـ بالفاء المصغرة ـ: ابن ماتع ـ بمثناة ـ الأصبحي، ثقة من الطبقة الثالثة، أرسل حديثاً فذكره بعضهم في الصحابة خطأ، مات في خلافة هشام. قاله خليفة. روى له البخاري في كتاب خلق أفعال العباد، وروى له أبوداود والترمذي والنسائي، وابن ماجه في التفسير، تقريب التهذيب (١/ ٣٥٣)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٣٦٠).

(٢) في ع، د: عليهم فلا يزاد.

(٣) أُجمِلَ على آخرهم: أي أحصوا وجمعوا فلا يزاد فيهم ولا ينقص، النهاية لابن الأثير (١/ ٢٩٧).

(٤) في ع، د، س: فلا يزاد.

(٥) في ت: إن هذا كان.

(٦) في ت: قد فرغ الله منه.

(٧) سددوا وقاربوا: أي اطلبوا في أعمالكم السداد والاستقامة، وهو القصد في الأمر والعدل فيه. النهاية لابن الأثير (٢/ ٣٥٢).

(٨) في ت: ربك.

عز وجل من العباد، ثم قال [باليمنى][1] [فنبذ بها][2] فقال : فريق في الجنة، ونبذ باليسرى، فقال : فريق / في السعير ﴾ . رواه الترمذي عن قتيبة[3] عن [ليث[4]][5] [عن][6] أبي قبيل[7]، عن شُفي. وعن قتيبة عن بكر بن[8] [مضر][9] عن أبي

(١) في ع : باليمين .

(٢) في م : فنبذها .

(٣) هو : قتيبة بن سعيد بن جميل ـ بفتح الجيم ـ ابن طريف الثقفي، أبو رجاء البغلاني ـ بفتح الموحدة وسكون المعجمة ـ يقال اسمه : يحيى، وقيل : علي، ثقة ثبت، من العاشرة. مات سنة أربعين ومائتين عن تسعين سنة . روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ١٢٣)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٣٥٨-٣٦١) .

(٤) ليث : ساقطة من ع .

(٥) هو : الليث بن سعد بن عبدالرحمن الفهمي، أبوالحارث المصري، ثقة ثبت فقيه، إمام مشهور، من السابعة، مات في شعبان سنة خمس وسبعين ومائة . روى له الستة، تقريب التهذيب (٢/ ١٣٨)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٤٥٩)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ١٣٦) .

(٦) ساقطة من : ع، د، س .

(٧) هو : حُيَي بن هانئ بن ناضر ـ بنون معجمة ـ أبو قَبِيْل ـ بفتح القاف وكسر الموحدة، بعدها تحتانية ساكنة، المعافري المصري، قال عنه ابن حجر : صدوق يهم . ووثقه الإمام أحمد وابن معين وأبوزرعة والفسوي والعجلي وأحمد بن صالح المصري، مات سنة ثمان وعشرين ومائة بالبرلس بمصر، روى له البخاري في الأدب المفرد، وأبوداود في القدر، والترمذي، والنسائي. انظر : تقريب التهذيب (١/ ٢٠٩)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٧٢-٧٣).

(٨) هو : بكر بن مضر بن محمد بن حكيم المصري، أبومحمد، أو أبوعبدالله، ثقة ثبت، من الثامنة، مات سنة ثلاث أو أربع وسبعين ومائة، وله نيف وسبعون. روى له الستة سوى ابن ماجه . تقريب التهذيب (١/ ١٠٧)، تهذيب التهذيب (١/ ٤٨٧)، تاريخ الثقات للعجلي (ص٨٥) ط. الأولى ١٤٠٥هـ نشر دار الكتب العلمية، بيروت .

(٩) في جميع النسخ نصر، وهو تصحيف، وما أثبت من جامع الترمذي وبقية كتب التخريج وكتب تراجم الرجال .

قَبيل به، وقال : حديث صحيح [غريب[1]][2]، ورواه النسائي[3][4]، والإمام أحمد، وهذا السياق له[5] .

وفي صحيح الحاكم وغيره من حديث [أبي][6] جعفر

---

(١) ساقطة من ع .

(٢) انظر : جامع الترمذي (٨/٣٠٨-٣٠٩) أبواب القدر، باب ما جاء أن الله كتب كتاباً لأهل الجنة وأهل النار .

(٣) هو : أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار، أبوعبدالرحمن النسائي، الحافظ صاحب السنن، مات سنة ثلاث وثلاثمائة، وله ثمان وثمانون سنة، روى له مسلم . تقريب التهذيب (١/ ١٦)، تهذيب التهذيب (١/ ٣٦-٣٩) .

(٤) انظر : كتاب التفسير من سنن النسائي الكبرى (٢/ ٢٦٤-٢٦٥) تفسير سورة الشورى آية ٧، تحقيق : صبري الشافعي وزميله، ط. الأولى ١٤١٠هـ نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت .

(٥) انظر المسند (٢/ ١٦٧) وقال فيه أحمد شاكر : إسناده صحيح . انظر : المسند بتحقيقه (١٠/ ٦٨) وكذا قال الألباني . انظر : حاشية مشكاة المصابيح (١/ ٣٦) . والحديث رواه أيضاً : ابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٥٤)، وقال الألباني : إسناده حسن، وكذا قال في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٤٢٩)، ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٥/ ١١) . وأبونعيم في الحلية (٥/ ١٦٨)، وابن وهب في القدر (ص٨٣-٨٦) عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ (وهذا الرجل كما بيَّنته رواية الترمذي ورواية الإمام أحمد هو الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما) . ومن طريق ابن وهب رواه الطبري في تفسيره (٢٥/ ٩) . ورواه الدارمي في كتاب الرد على الجهمية (ص٧٩) . والبيهقي في كتاب القدر (ص٣٦-٣٧) . والفريابي في كتاب القدر (ص١٥٣-١٥٤) . ومن طريق الفريابي رواه الآجري في الشريعة (ص١٧٣-١٧٤) . وذكره الخطيب التبريزي في المشكاة (١/ ٣٥)، وابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٠٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣٣٧-٣٣٨)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه .

(٦) في ت : ابن .

الرازي[١]، حدثنا الربيع بن أنس[٢]، عن أبي العالية[٣]، عن أبي بن كعب[٤] في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ [ذُرِّيَّتَهُمْ][٥]﴾[٦]

---

(١) هو : عيسى بن أبي عيسى عبدالله بن ماهان، أبوجعفر الرازي التميمي مولاهم، مشهور بكنيته، وأصله من مرو، وكان يتجر إلى الري، صدوق سيء الحفظ، خصوصاً عن مغيرة، من كبار الطبقة السابعة. مات في حدود الستين ومائة . روى له البخاري في الأدب المفرد، وروى له الأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ٤٠٦)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٥٦-٥٧)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٣٤٦) .

(٢) هو : الربيع بن أنس البكري، أو الحنفي، بصري نزل خراسان، صدوق له أوهام، رُمي بالتشيع، من الخامسة، مات سنة أربعين ومائة أو قبلها . روى له الأربعة . تقريب التهذيب (١/ ٢٤٣)، تهذيب التهذيب (٣/ ٢٣٨-٢٣٩)، سير أعلام النبلاء (٦/ ١٦٩) .

(٣) هو : رُفَيْع ـ بالتصغير ـ بن مهران، أبوالعالية الرياحي ـ بكسر الراء وبالتحتانية ـ ثقة كثير الإرسال من الثانية. مات سنة تسعين، وقيل: ثلاث وتسعين، وقيل: بعد ذلك، قال شعبة : قد أدرك رفيع علياً ولم يسمع منه. روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٢٥٢)، تهذيب التهذيب (٣/ ٢٨٤-٢٨٥). والمراسيل لأبي محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم ص٥٤، تعليق أحمد الكاتب، ط. الأولى، ١٤٠٣هـ نشر دار الكتب العلمية، بيروت .

(٤) هو : أُبيّ بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي، أبوالمنذر، سيد القراء، ويكنى أبا الطفيل أيضاً، من فضلاء الصحابة، اختلف في سنة موته اختلافاً كثيراً، قيل: سنة تسع عشرة، وقيل: سنة اثنين وثلاثين، وقيل غير ذلك، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٤٨)، وتهذيب التهذيب (١/ ١٨٧-١٨٨)، أسد الغابة (١/ ٦١-٦٣)، الإصابة (١/ ١٩-٢٠) .

(٥) في م، ع : ذرياتهم بالجمع، وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ الباقون بالتوحيد. انظر : كتاب التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ص١١٤، ط. الثانية ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م، نشر دار الكتاب العربي. والمبسوط في القراءات العشر لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني ص(١٨٦) تحقيق سبيع حاكمي . ط. الثانية ١٤٠٨هـ نشر دار القبلة بجدة، ومؤسسة علوم القرآن في بيروت .

(٦) سورة الأعراف، آية ١٧٢ .

قال : جمعهم [له][(١)] يومئذ جمعاً، ما هو كائن إلى يوم القيام فجعلهم [أرواحاً][(٢)]، ثم صورهم واستنطقهم، فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق، وأشهدهم على أنفسم : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ۝ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ۝﴾[(٣)] قال : فإني أشهد عليكم السماوات السبع، والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة: لم نعلم، أو تقولوا : إنا كنا عن هذا غافلين، فلا تشركوا بي شيئاً، فإني أرسل إليكم رسلي، يذكِّرونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتبي، فقالوا : نشهد أنك ربنا وإلهنا، لا ربَّ لنا غيرك، ورُفِع لهم أبوهم آدم فرأى فيهم الغني والفقير، وحسن الصورة وغير ذلك، فقال : ربِّ لو سوَّيت بين عبادك . فقال : إني أحب أن أشكر، ورأى فيهم الأنبياء مثل السُّرج .. » وذكر تمام الحديث[(٤)] .

---

(١) ساقطة من : ع .

(٢) في ع، د، س : أزواجاً .

(٣) سورة الأعراف، آية : ١٧٢، ١٧٣ .

(٤) انظر : المستدرك للحاكم (٢/ ٣٢٣، ٣٢٤) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي . ورواه ابن منده في كتاب الرد على الجهمية (ص٥٩-٦٠) . ورواه الفريابي في القدر (ص١٥٩) ومن طريقه رواه الآجري في الشريعة (ص٢٠٧، ٢٠٨)، ورواه الطبري في تفسيره (٩/ ١١٥)، وقال محمود شاكر : وإسناده صحيح، انظر تفسير الطبري بتحقيقه (١٣/ ٢٣٨-٢٣٩) نشر دار المعارف بمصر، ورواه عبدالله ابن الإمام أحمد بن حنبل في زيادته على مسند أبيه (٥/ ١٣٥) عن شيخه محمد بن يعقوب الربالي، عن المعتمر بن سليمان عن أبيه، عن الربيع بن أنس، مختصراً، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٥) وقال : رواه عبدالله بن أحمد، عن شيخه محمد بن يعقوب الربالي، وهو مستور، وبقية رجاله رجال الصحيح. ورواه ابن عبدالبر في التمهيد (١٨/ ٩١-٩٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٤٦٣-٤٦٤) مختصراً، وفي كتاب القدر (ص٤٥-٤٦)،=

[وفي][(١)] صحيحه، وجامع الترمذي من حديث هشام[(٢)] بن[سعد][(٣)] عن [زيد][(٤)] بن أسلم[(٥)] عن أبي صالح[(٦)] عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما خلق الله آدمَ مَسَحَ [ظهره][(٧)] فسقط من ظهره كل نَسَمَةٍ[(٨)] هو خالقها، إلى يوم القيامة أمثال الذر، ثم جعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً[(٩)] من نور، ثم عرضهم**

= ورواه اللالكائي في السنة (٣/ ٥٥٩)، والدولابي في الكنى (٢/ ٢٠) ط. الثانية سنة ١٤٠٣هـ نشر دار الكتب العلمية، بيروت، وذكره الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح (١/ ٤٤).
وقال الألباني: سنده حسن موقوف، ولكنه في حكم المرفوع؛ لأنه لا يقال من قبل الرأي.
وذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٦٣-٢٦٤) وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم، وابن مردويه في تفسيريهما، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٠٠)، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وأبي الشيخ، وابن عساكر في تاريخه.

(١) ساقطة من: ع.

(٢) هو: هشام بن سعد المدني، أبو عباد، أو أبو سعد، صدوق، له أوهام، ورُمي بالتشيع، من كبار الطبقة السابعة، مات سنة ستين ومائة أو قبلها. روى له البخاري تعليقاً، وروى له مسلم، والأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ٣١٨)، وتهذيب التهذيب (١١/ ٣٩-٤١).

(٣) في ت، ع: زيد، وفي م، د، س: يزيد، وما أثبت من المستدرك للحاكم، وجامع الترمذي وغيرهما.

(٤) في د: يزيد.

(٥) هو زيد بن أسلم العدوي، أبوأسامة، ويقال: أبوعبدالله المدني الفقيه، مولى عمر، ثقة عالم، وكان يرسل، من الطبقة الثالثة، مات سنة ست وثلاثين ومائة، وروى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٢٧٢)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٢٩٥). وانظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٣١٦).

(٦) هو: ذكوان، أبو صالح السَّمان الزيّات المدني، ثقة ثبت، وكان يجلب الزيت إلى الكوفة، من الطبقة الثالثة مات سنة إحدى ومائة. روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٢٣٨)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٢١٩-٢٢٠)، والجمع بين رجال الصحيحين (١١/ ١٣٢-١٣٣).

(٧) ساقطة من: ع، د.

(٨) النَّسَمَة: النفس والروح، وكل دابة فيها روح نسمة. النهاية لابن الأثير (٥/ ٤٩).

(٩) الوبيص: البريق. النهاية لابن الأثير (٥/ ١٤٦).

على آدم، فقال : من هؤلاء يا رب ؟ فقال : هؤلاء ذريتك، فرأى فيهم رجلاً أعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال : يا رب من هذا؟ قال : ابنك داود [يكون] [(١)] **في آخر الأمم/** ١٠ب **قال: كم جعلت له من العمر؟ قال : ستين سنة . قال : يا رب، زده من عمري أربعين سنة . قال الله : إذاً يُكتب ويختم، فلا يبدل، فلما انقضى عمر آدم جاء ملك الموتُ . قال : أوَلَم يبقَ من عمري أربعون سنة ؟ قال له : أوَلَم تجعلها لابنك داود ؟ قال : فجحد، فجحدت ذريّته، ونسي فنسيت ذريّته، وخطئ فخطئت ذريّته »** . قال : هذا على شرط مسلم [(٢)] .

---

(١) ساقطة من : ع .

(٢) انظر : المستدرك للحاكم (٢/ ٣٢٥، ٥٨٦) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي . وانظر أيضاً جامع الترمذي (١١/ ١٩٦-١٩٩) أبواب التفسير، تفسير سورة الأعراف . وقال : هذا حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ .

والحديث رواه أيضاً ابن منده في الرد على الجهمية (ص٤٩-٥٠) . وقال : هذا حديث صحيح من حديث هشام بن سعد عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح عن أبي هريرة رواه خلاد وغيره، وروى هذا الحديث صفوان عن عيسى، عن الحارث بن أبي ذباب، عن سعيد المقبري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ مثله وهو صحيح أيضاً .

ورواه الفريابي في كتاب القدر (ص١٣١) من طريق هشام بن سعد .. به. وابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ٢٧-٢٨) نشر دار صادر، بيروت سنة ١٣٨٠هـ والطبري في التاريخ (١/ ١٥٥)، كلهم عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ . ومن طريق سعيد المقبري رواه الطبري في التاريخ (١/ ١٥٥) وابن خزيمة في التوحيد (١/ ١٦٠-١٦١). وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٩١) . وقال الألباني : إسناده حسن . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٤/ ٤٠-٤٢)، ورواه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٤) وقال : حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي ثم قال: وله شاهد صحيح. ثم ساقه من طريق أبي خالد الأحمر عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ . قال الألباني في تخريجه للسنة (١/ ٩١) : وهذا إسناده حسن. =

وفي [موطأ][١] مالك[٢]: عن زيد بن أبي أنيسة[٣]، أن عبدالحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب[٤] أخبره عن مسلم بن يسـار الجهـني[٥]، أن عمر

= وعن الحاكم رواه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات (ص٤١٠-٤١١)، ورواه ابن وهب في القدر (ص٦٧) من طريق عطاء بن يسار عن أبي هريرة ﷺ، ومن طريقه رواه أبو يعلى في مسنده (١١/ ٢٦٣-٢٦٤) . والفريابي في القدر (ص١٣٠-١٣١)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٠١-٦٠٣) بنحوه، ونسبه إلى ابن أبي حاتم وابن منده وابن عساكر، وعبد بن حميد، وابن مردويه . وللحديث شاهد من رواية ابن عباس، رضي الله عنهما، عند الإمام أحمد (٤/ ٧١، ٢٥٢)، (٥/ ١٧٤-١٧٥) وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح، وابن جرير في تفسيره (٩/ ١١٤)، والطيالسي في مسنده (منحة المعبود) (٢/ ٨٢) ترتيب أحمد البنا، ط. الثانية ١٤٠٠هـ نشر المكتبة الإسلامية، بيروت .

(١) في ت :، م : وفي الموطأ مالك .

(٢) هو : مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي، أبوعبدالله المدني، الفقيه، إمام دار الهجرة، أحد الأئمة الأربعة، ومن كبار أئمة الحديث، حتى قال البخاري : أصح الأسانيد كلها : مالك عن نافع عن ابن عمر، من السابعة، مات سنة تسع وسبعين ومائة، وكان مولده سنة ثلاث وتسعين، وقال الواقدي بلغ تسعين سنة . روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٢٢٣)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٥-٩) .

(٣) هو : زيد بن أبي أنيسة الجذري، أبو أسامة، أصله من الكوفة، ثم سكن الرها، ثقة له أفراد، من السادسة. مات سنة تسع عشرة، وقيل : سنة أربع وعشرين بعد المائة . وله ست وثلاثون سنة، روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٢٧٢)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٣٩٧). وانظر : سير أعلام النبلاء (٦/ ٨٨) .

(٤) هو : عبدالحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي، أبوعمر المدني، ثقة من الرابعة، توفي بحرّان في خلافة هشام، روى لـه الستة. تقريب التهذيب (١/ ٤٦٨)، وتهذيب التهذيب (٦/ ١١٩) .

(٥) هو : مسلم بن يسار الجهني، مقبول، من الطبقة الثالثة، روى له أبوداود والنسائي والترمذي، تقريب التهذيب (٢/ ٢٤٨)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ١٤٢)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥١٤) .

ابن الخطاب[١] ﷺ سُئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ [ذرياتهم][٢]﴾[٣] . [فقال][٤] عمر : سمعت رسول الله ﷺ سُئل عنها، فقال : «إن الله خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، فقال : خلقتُ هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال : خلقتُ هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون» فقال رجل : يا رسول الله، ففيم العمل؟ فقال : «إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله النار» . قال الحاكم: هذا الحديث على شرط مسلم[٥]. وليس كما قاله، بل هو حديث منقطع[٦]. قال أبوعمر[٧] : هو

---

(١) هو : عمر بن الخطاب بن نفيل ـ بنون وفاء مصغراً ـ ابن عبدالعزى بن رياح بن عبدالله ابن قرط ـ بضم القاف ـ القرشي العدوي، ثاني الخلفاء الراشدين، الفاروق، جم المناقب، استشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، قتله أبولؤلؤة المجوسي، وولي عمر الخلاف عشر سنين ونصفاً، روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٥٤)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٤٣٨-٤٤١)، و الاستيعاب (٢/ ٤٥٨-٤٧٤)، وأسد الغابة (٣/ ٦٤٢-٦٧٨) .

(٢) في د، س : ذريتهم، وقد سبق في (ص١٦٦) بيان أن فيها قراءتين بالإفراد والجمع .

(٣) سورة الأعراف، آية ١٧٢ .

(٤) في ت : قال .

(٥) انظر : المستدرك للحاكم (٢/ ٣٢٤-٣٢٥) وقال : هذا حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي . ورواه أيضاً في (١/ ٢٧) وقال : هذا حديث صحيح على شرطهما ولم يخرجاه . وتعقَّبه الذهبي فقال : فيه إرسال .

(٦) المنقطع هو : ما لم يتصل إسناده على أي وجه كان انقطاعه، وأكثر ما يستعمل في رواية من دون التابعي عن الصحابي . تدريب الراوي للسيوطي (١/ ٢٠٧-٢٠٨) .

(٧) هو : يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري، القرطبي، المالكي، أبوعمر . من كبار حفاظ الحديث . يقال له : حافظ المغرب، ولد بقرطبة سنة ٣٦٨هـ . قال الباجي : أبوعمر أحفظ أهل المغرب. له مؤلفات كثيرة منها : التمهيد لما في الموطأ من المعاني =

حديث منقطع؛ فإن [مسلم][١] بن يسار هذا لم يلقَ عمرَ بن الخطاب، بينهما نعيم[٢] بن ربيعة هذا إن صح؛ [لأن][٣] الذي رواه عن زيد بن أبي أنيسة فذكر فيه نعيم بن[٤] ربيعة، ليس هو بأحفظ من مالك، ولا ممن يحتج به إذا خالفه مالك، ومع ذلك فإنَّ نعيم بن ربيعة ومسلم بن يسار [جميعاً][٥] مجهولان غير معروفين بحمل العلم ونقل الحديث، وليس هو مسلم بن يسار البصري[٦] العابد[٧]، وإنما هو رجل [مدني][٨] مجهول، ثم ذكر من تاريخ ابن أبي خيثمة[٩]،

= والأسانيد، والاستيعاب، وجامع بيان العلم وفضله، توفي بمدينة شاطبة يوم الجمعة آخر شهر ربيع الأول سنة ٤٦٣هـ انظر : الوافي بالوفيات (٧/ ٦٦-٧٢)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (٣/ ١١٢٨-١١٣٢) نشر دار إحياء التراث العربي بيروت .

(١) في م : سالم .

(٢) هو : نعيم بن ربيعة الأزدي، مقبول من الثانية، روى له أبوداود. تقريب التهذيب (٢/ ٣٠٥)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٤٦٤) .

(٣) في د، س، ع : أن .

(٤) في ت : ابن أبي ربيعة .

(٥) ساقطة من ع .

(٦) في م، ع، د، س : العابد البصري .

(٧) هو : مسلم بن يسار البصري، نزيل مكة، أبوعبدالله الفقيه، يقال له مسلم المصبح؛ لأنه كان يسرج مصابيح المسجد، ثقة عابد، من الرابعة، مات سنة مائة أو بعدها بقليل، روى له أبوداود والنسائي وابن ماجه. تقريب التهذيب (٢/ ٢٤٧)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ١٤٠-١٤١) .

(٨) في ت : بدوي . وفي التمهيد : وقيل إنه مدني .

(٩) هو : أحمد بن أبي خيثمة ـ زهير بن حرب بن شداد النسائي، صاحب التاريخ الكبير، الكثير الفائدة، سمع أباه وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعدة، وروى عنه ابنه محمد، وأبوالقاسم البغوي، وإسماعيل الصفَّار وآخرون. ذكره الدارقطني، فقال: ثقة مأمون. مات سنة تسع وسبعين ومائتين. سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٩٢-٤٩٣)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٥٩٦).

قال : قرأتُ على يحيى بن معين[١] حديث مالك هذا، فكتب بيده على مسلم بن يسار : لا يُعرف[٢].

قال أبوعمر : / هذا الحديث وإن كان عليل الإسناد [فإن][٣] معناه عن ١١أ

---

(١) هو : يحيى بن معين بن عون الغطفاني مولاهم، أبوزكريا البغدادي، ثقة حافظ مشهور، إمام الجرح والتعديل، من الطبقة العاشرة، مات سنة ثلاث وثلاثين ومائتين بالمدينة المنورة، وله بضع وسبعون سنة . روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٣٥٨)، وتهذيب التهذيب (١١/ ٢٨٠-٢٨٨).

(٢) انظر الموطأ ص(٥٦٠) كتاب القدر، ورواه أبوداود (١٢/ ٤٧٠-٤٧١) كتاب السنة باب في القدر، والترمذي (٥/ ٢٤٨-٢٤٩) كتاب التفسير، تفسير سورة الأعراف، وقال : هذا حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر، وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وعمر رجلاً مجهولاً. والنسائي في سننه الكبرى، كتاب التفسير (١/ ٥٠٤-٥٠٥) تفسير سورة الأعراف، والإمام أحمد (١/ ٤٤-٤٥)، وقال أحمد شاكر : أسانيده صحاح وإن كان ظاهره الانقطاع . انظر المسند بتحقيقه (١/ ٢٨٩-٢٩٠)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٨٧) وقال الألباني : إسناده ضعيف؛ للانقطاع بين مسلم بن يسار وعمر . ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/ ١١٣-١١٤)، وفي تاريخه (١/ ٦٧)، وابن منده في كتابه الرد على الجهمية (ص٥٦-٥٧) . تحقيق الدكتور علي فقيهي، ط. الأولى ١٤٠١هـ واللالكائي في السنة (٣/ ٥٥٨)، والفريابي في القدر ص(١٣٦-١٣٧)، وعنه الآجري في الشريعة ص١٧٠، وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٤/ ٣٧-٣٨)، وابن وهب في كتاب القدر (ص٧٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٤١١-٤١٢)، والبغوي في تفسيره (معالم التنزيل) (٢/ ٢١١) تفسير سورة الأعراف آية (١٧٢) تحقيق: خالد العك ومروان سوار، ط. الثانية ١٤٠٧هـ نشر دار المعرفة، بيروت، وذكره الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح (١/ ٣٤)، وقال الألباني : رجال إسناده ثقات غير أنه منقطع، وله شواهد كثيرة، وذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٦٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٠١) .

(٣) في ت : قال .

النبي ﷺ قد رُوي من وجوه كثيرة: من حديث عمر بن الخطاب وغيره، وممن روى عن النبي ﷺ معناه في القدر: علي بن أبي طالب، [وأُبيّ بن كعب][(١)]، وابن عباس، وابن عمر[(٢)]، وأبوهريرة، وأبوسعيد الخدري[(٣)]، وأبوسَريحة [الغفاري[(٤)]][(٥)]، وعبدالله بن مسعود[(٦)]، وعبدالله بن عمرو ابن العاص، وذو اللحية الكلابي[(٧)]،

(١) في ت: وابن أبي كعب.

(٢) هو: عبدالله بن عمر بن الخطاب، العدوي، أبوعبدالرحمن، ولد بعد المبعث بيسير، واستصغر يوم أُحُد، وهو ابن أربع عشرة سنة، وهو أحد المكثرين من الصحابة والعبادلة، وكان من أشد الناس اتباعاً للأثر، مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها، أو أول التي تليها، روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٤٣٥)، تهذيب التهذيب (٥/ ٣٢٨-٣٣٠)، أسد الغابة (٣/ ٢٣٦-٢٤١).

(٣) هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري، أبوسعيد الخدري، له ولأبيه صحبة، استصغر بأُحُد، ثم شهد ما بعدها، وروى الكثير، مات بالمدينة سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين، وقيل: سنة أربع وسبعين، روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٢٨٩)، تهذيب التهذيب (٣/ ٤٧٩-٤٨١)، أسد الغابة (٢/ ٢١٣)، الإصابة (٢/ ٣٥).

(٤) في د، س: العبادي، والصواب ما أثبته.

(٥) هو: حذيفة بن أسيد، بفتح الهمزة، الغفاري، أبوسريحة، بمهملتين مفتوحة الأول، صحابي، من أصحاب الشجرة، مات سنة اثنتين وأربعين. تقريب التهذيب (١/ ١٥٦)، تهذيب التهذيب (٢/ ٢١٩)، أسد الغابة (١/ ٤٦٦).

(٦) هو عبدالله بن مسعود بن غافل ــ بمعجمة وفاء ــ ابن حبيب الهذلي، أبوعبدالرحمن، من السابقين الأولين، ومن كبار العلماء، مناقبه جمّة، وأمّره عمر على الكوفة، مات سنة اثنتين وثلاثين أو في التي بعدها بالمدينة، روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٤٥٠)، تهذيب التهذيب (٦/ ٢٧)، وأسد الغابة (٣/ ٢٨٠)، والإصابة (٢/ ٣٦٨).

(٧) هو: ذو اللحية الكلابي، معدود في الصحابة، قيل: اسمه شريح بن عامر بن عوف بن كعب بن بكر بن كلاب، روى عن النبي ﷺ، وعنه يزيد بن أبي منصور، قال ابن حجر: =

وعمران بن حصين، [وعائشة[١]][٢]، وأنس بن مالك[٣]، وسراقة بن جُعْشُم[٤]، وأبوموسى الأشعري[٥]، وعبادة بن الصامت[٦].

قلت: وحذيفة[٧] بن اليمان[٨]، وزيد بن

= قال البغوي: لا أعلم له سوى حديث العمل في أمر مستأنف. روى له أبوداود في القدر. تهذيب التهذيب (٣/ ٢٢٣-٢٢٤)، وأسد الغابة (٢/ ٢٥-٢٦).

(١) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق، أم المؤمنين، أفقه النساء مطلقاً، وأفضل أزواج النبي ﷺ إلا خديجة ففيها خلاف شهير، ماتت سنة سبع وخمسين على الصحيح. روى لها الستة. تقريب التهذيب (٢/ ٦٠٦)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٣٣-٤٣٦)، وأسد الغابة (٦/ ١٨٨-١٩٢).

(٢) في ت: وعائشة بنت اليمان. وما أثبت من التمهيد لابن عبدالبر.

(٣) هو: أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ، خدمه عشر سنين، صحابي مشهور، مات سنة اثنتين، وقيل: ثلاث وتسعين وقد جاوز المائة، روى الستة. تقريب التهذيب (١/ ٨٤)، وتهذيب التهذيب (١/ ٣٧٦)، وأسد الغابة (١/ ١٥١ والإصابة (١/ ٧١).

(٤) هو: سُراقة بن مالك جُعْشُم ـ بضم الميم والمعجمة وبينهما عين مهملة ـ الكناني، ثم المدلجي، أبوسفيان، صحابي مشهور، من مسلمة الفتح، مات في خلافة عثمان سنة أربع وعشرين، وقيل بعدها. تقريب التهذيب (١/ ٢٨٤)، تهذيب التهذيب (٣/ ٤٥٦)، وأسد الغابة (٢/ ١٧٩-١٨١).

(٥) هو: عبدالله بن قيس بن سليم بن حَضَّار، بفتح المهملة وتشديد الضاد المعجمة، أبوموسى الأشعري، صحابي مشهور، أمَّره عمر ثم عثمان، وهو أحد الحكَمين بصِفِّين، مات سنة خمسين، وقيل بعدها، وروى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٤٤١)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٣٦٢-٣٦٣)، وأسد الغابة (٣/ ٢٦٣-٢٦٥).

(٦) انتهى كلام أبي عمر بن عبدالبر. وانظره في التمهيد (٦/ ٤-٥) ط. الأولى، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

(٧) في (ع) بعد قول المؤلف: قلت: (وحديث) ولعلها سهوٌ من الناسخ.

(٨) هو: حذيفة بن اليمان، واسم اليمان حُسَيل مصغراً، ويقال: حِسْل بكسر ثم سكون، العبْسي بالموحدة، حليف الأنصار، صحابي جليل من السابقين، وأبوه صحابي أيضاً، =

ثابت[1]، وجابر بن عبدالله[2]، وحذيفة بن أسيد[3]، وأبوذر[4]، ومعاذ بن جبل[5]، وهشام بن حكيم[6]،

= استشهد بأُحُد، ومات حذيفة في أول خلافة علي سنة ست وثلاثين . تقريب التهذيب (١/ ١٥٦)، وتهذيب التهذيب (٢/ ٢١٩-٢٢٠)، وأسد الغابة (١/ ٤٦٨) .

(١) هو : هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن لوذان الأنصاري النجاري، أبوسعيد، وأبوخارجة صحابي مشهور، كتب الوحي، قال مسروق : كان من الراسخين في العلم، مات سنة خمس أو ثمان وأربعين، وقيل: بعد الخمسين، روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٢٧٢)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٣٩٩)، وأسد الغابة (٢/ ١٢٦-١٢٧) .

(٢) هو : جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام ـ بمهملة وراء ـ الأنصاري، ثم السلمي، بفتحتين، صحابي ابن صحابي، غزا تسع عشرة غزوة، ومات بالمدينة بعد السبعين، وهو ابن أربع وتسعين سنة . تقريب التهذيب (١/ ١٢٢)، وتهذيب التهذيب (٢/ ٤٢-٤٣)، وأسد الغابة (١/ ٣٠٧-٣٠٨) .

(٣) هو أبوسريحة الغفاري، سبقت ترجمته، وفي ذكر المؤلف له هنا تكرار؛ لأنه سبق أن ذكره أبوعمر ابن عبدالبر، وقد كتب في هامش نسخه (ت) مقابل حذيفة بن أسيد بأنه هو أبوسريحة .

(٤) هو : جندب بن جنادة على الأصح، وقيل : بُريد ـ بموحدة مصغراً أو مكبراً ـ واختلف في أبيه، فقيل : جندب أو عشرقه، أو عبدالله، أو السكن، الغفاري، صحابي مشهور، تقدم إسلامه وتأخرت هجرته فلم يشهد بدراً، ومناقبه كثيرة جداً، مات سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان. تقريب التهذيب (٢/ ٤٢٠)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٩٠-٩١)، وأسد الغابة (١/ ٣٥٧-٣٥٨) و (٥/ ٩٩-١٠١) .

(٥) هو : معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري، الخزرجي، أبوعبدالرحمن، من أعيان الصحابة، شهد بدراً وما بعدها، وكان إليه المنتهى في العلم بالأحكام، والقرآن، مات بالشام سنة ثمان عشرة، مشهور. تقريب التهذيب ٠٢/ ٢٥٥)، تهذيب التهذيب (١٠/ ١٨٦)، وأسد الغابة (٤/ ٤١٨-٤٢١) .

(٦) هو : هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد القرشي، الأسدي، صحابي ابن صحابي، مات قبل أبيه، ووَهِمَ من زعم أنه استشهد بأجنادين. تقريب التهذيب (١/ ٣١٨) وتهذيب التهذيب (١١/ ٣٧)، وأسد الغابة (٤/ ٦٢٢-٦٢٤) .

وأبوعبدالله[١] ـ رجل من الصحابة روى عنه أبو[نضرة][٢]، وعبدالله بن سلام[٣]، وسلمان الفارسي[٤]، وأبوالدرداء[٥]، وعمرو بن العاص[٦]، وعائشة أم

---

(١) لم أعثر له على ترجمة .

(٢) في م، د، س : أبونصر، وفي ع : أبونضر . وأبو نضرة هو : المنذر بن مالك بن قُطعة ـ بضم القاف وفتح المهملة ـ العبدي، العَوَقي ـ بفتح المهملة والواو ثم قاف ـ البصري، أبونَضْرة ـ بنون ومعجمة ساكنة ـ مشهور بكنيته، ثقة من الثالثة، مات سنة ثمان أو تسع ومائة، روى له البخاري تعليقاً، وروى له مسلم والأربعة . تقريب التهذيب (٢/ ٢٧٥)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٣٠٢-٣٠٣) .

(٣) هو : عبدالله بن سلام ـ بالتخفيف ـ الإسرائيلي، أبويوسف، حليف بني الخزرج، قيل: كان اسمه الحُصين فسماه النبي ﷺ : عبدالله، مشهور، له أحاديث وفضل، مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين . تقريب التهذيب (١/ ٤٢٢). وتهذيب التهذيب (٥/ ٢٤٩)، وأسد الغابة (٣/ ١٦٠-١٦١) .

(٤) هو : سلمان الفارسي، أبوعبدالله، ويقال له : سلمان الخير، أصله من أصبهان، وقيل: من رامهرمز، من أول مشاهده الخندق، مات سنة أربع وثلاثين، يقال: بلغ عمره ثلاثمائة سنة. تقريب التهذيب (١/ ٣١٥)، وتهذيب التهذيب (٤/ ١٣٧-١٣٩)، وأسد الغابة (٢/ ٢٦٥-٢٦٩) .

(٥) هو : عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري، أبوالدرداء، مختلف في اسم أبيه، وإنما هو مشهور بكنيته، وقيل: اسمه عامر، وعويمر لقب، صحابي جليل، أول مشاهده أُحُد، وكان عابداً، مات في آخر خلافة عثمان، وقيل: عاش بعد ذلك . تقريب التهذيب (٢/ ٩١) . وتهذيب التهذيب (٨/ ١٧٥-١٧٦)، وأسد الغابة (٥/ ٩٧) .

(٦) هو : عمرو بن العاص بن وائل السهمي، الصحابي المشهور، أسلم عام الحديبية، وكان أحد أمراء الأجناد في فتوح الشام، وفتح مصر في عهد عمر بن الخطاب، وعمل له ولعثمان عليها، ثم عمل عليها زمن معاوية إلى أن مات سنة نيف وأربعين، وقيل: بعد الخمسين، روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٧٢)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٥٦-٥٧)، وأسد الغابة (٣/ ٧٤١-٧٤٥) .

المؤمنين[(١)]، وعبدالله بن الزبير[(٢)]، و[أبو][(٣)] أمامة الباهلي[(٤)]، و[أبو][(٥)] الطفيل[(٦)]، وعبدالرحمن بن عوف[(٧)]، ـ وبعض أحاديثهم موقوفة[(٨)] وستمر بك [جميعها][(٩)] متفرقة في أبواب الكتاب إن شاء الله عز وجل .

---

(١) سبق أن ذكر ابن عبدالبر عائشة رضي الله عنها، وفي ذكر المؤلف رحمه الله لها هنا تكرار . انظر (ص١٧٥) .

(٢) هو : عبدالله بن الزبير بن العوام ، القرشي الأسدي ، أبوبكر، وأبوخُبيب ـ المعجمة مصغراً ـ كان أول مولود في الإسلام بالمدينة من المهاجرين ، وولي الخلافة تسع سنين ، قتل في ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٤١٥)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٢١٣-٢١٥)، وأسد الغابة (٣/ ١٣٨-١٤١) .

(٣) في ع : أبي، والصواب ما أثبته .

(٤) هو : صُدَيّ ـ بالتصغير ـ ابن عجلان، أبوأمامة الباهلي، صحابي مشهور، سكن الشام، ومات بها سنة ست وثمانين. تقريب التهذيب (١/ ٣٦٦)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٤٢٠) .

(٥) في ع : أبي، والصواب ما أثبته .

(٦) هو : عامر بن واثلة بن عبدالله بن عمرو بن جحش الليثي، أبوالطفيل، وربما سمي عمراً، ولد عام أُحُد، ورأى النبي ﷺ، وروى عن أبي بكر فمن بعده وعمر إلى أن مات سنة عشر ومائة على الصحيح، وهو آخر من مات من الصحابة، قاله مسلم وغيره . تقريب التهذيب (١/ ٣٨٩)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٨٢)، وأسد الغابة (٣/ ٤١) و(٥/ ١٧٩-١٨١).

(٧) هو : عبدالرحمن بن عوف بن عبدعوف، القرشي الزهري، أحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم قديماً، ومناقبه شهيرة، مات سنة اثنتين وثلاثين، وقيل غير ذلك، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٤٩٤)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٤٤-٢٤٦)، وأسد الغابة (٣/ ٣٧٦-٣٨١) .

(٨) الموقوف هو : المروي عن الصحابة قولاً لهم أو فعلاً أو نحوه، متصلاً كان أو منقطعاً، ويستعمل في غيرهم مقيداً، فيقال : وقفه فلان على الزهري ونحوه، وعند فقهاء خراسان تسمية الموقوف بالأثر، والمرفوع بالخبر . تدريب الراوي للسيوطي (١/ ١٨٤) .

(٩) في ت، د، س : جميعاً .

وقال إسحاق بن راهويه[١] : أخبرنا بقية بن الوليد[٢] قال : أخبرني الزبيدي[٣] ـ محمد بن الوليد[٤] ـ عن راشد بن سعد[٥]، عن عبدالرحمن[٦]

---

(١) هو : إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي، أبومحمد بن راهوية المروزي، ثقة حافظ مجتهد، قرين أحمد بن حنبل، ذكر أبوداود أنه تغير قبل موته بيسير، مات سنة ثمان وثلاثين ومائتين وله اثنتان وسبعون . تقريب التهذيب (١/ ٥٤)، وتهذيب التهذيب (١/ ٢١٦-٢١٩)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٣٥٨) .

(٢) هو : بقية بن الوليد بن صائد بن كعب الكُلاعي، أبويُحْمِد ـ بضم التحتانية وسكون المهملة وكسر الميم ـ صدوق كثير التدليس عن الضعفاء، من الطبقة الثامنة، مات سنة سبع وتسعين ومائة وله سبع وثمانون . تقريب التهذيب (١/ ١٠٥) وانظر تهذيب الكمال (٤/ ١٩٢) تحقيق د. بشار معروف، ط الأولى، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٥١٨)، وميزان الاعتدال (١/ ٣٣١) لشمس الدين الذهبي تحقيق علي البجاوي، نشر دار المعرفة، بيروت .

(٣) في ت : الزبيدي بن محمد، ولعلّه سهو من الناسخ، والصواب ما أثبته .

(٤) هو : محمد بن الوليد بن عامر الزبيدي ـ بالزاي والموحدة مصغراً ـ أبوالهذيل الحمصي القاضي، ثقة ثبت، من كبار أصحاب الزهري، من الطبقة السابعة، مات سنة ست أو سبع أو تسع وأربعين ومائة . تقريب التهذيب (٢/ ٢١٥)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٥٠٢)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٢٨١) .

(٥) هو : راشد بن سعد المقرائي ـ بفتح الميم وسكون القاف وفتح الراء بعدها همزة ثم ياء النسب ـ الحمصي، ثقة كثير الإرسال، من الطبقة الثالثة، مات سنة ثمان ومائة، وقيل: ثلاث عشرة ومائة، روى له البخاري في الأدب المفرد، وروى له الأربعة . تقريب التهذيب (١/ ٢٤٠)، وتهذيب التهذيب (٢/ ٢٢٥)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٩٠) .

(٦) عبدالرحمن بن قتادة، صحابي نزل الشام، روى حديثه راشد بن سعد . التاريخ الكبير للبخاري (٥/ ٣٤١) نشر المكتبة الإسلامية ـ بتركيا، والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر (٢/ ٨٥١)، تحقيق : علي البجاوي، نشر مكتبة نهضة مصر بالقاهرة، وأسد الغابة لابن الأثير الجزري (٣/ ٣٨٥)، وتجريد أسماء الصحابة للذهبي (ص٣٥٤) =

[ابن[١] قتادة]، عن أبيه[٢]، عن هشام بن حكيم بن حزام[٣] أن رجلاً قال : يا رسول الله، أنبتدئ الأعمال أم قد [قضي][٤] القضاء ؟ فقال : « إن الله لما أخرج ذرية آدم من ظهره أشهدهم على أنفسهم، ثم أفاض بهم في كفيه، فقال : هؤلاء للجنة [ولا أبالي][٥]، وهؤلاء للنار، فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار »[٦] .

= تصحيح صالحة شرف الدين، نشر شرف الدين الكتبي بالهند .

(١) في جميع النسخ الخطية المطبوعة : ابن أبي قتادة، وما أثبت من كتب تخريج الحديث .

(٢) قال البخاري : قتادة النصري، سمع هشام بن حكيم، روى عنه ابنه عبدالرحمن، يعد في الشاميين. التاريخ الكبير للبخاري (٧/ ١٨٥) .

(٣) سبقت ترجمته قريباً ص١٧٦ .

(٤) في م، د، س : مضى .

(٥) ساقطة من م، ع، د، س .

(٦) رواه الفريابي في القدر (ص١٣٣-١٣٤)، ومن طريقه الآجري في الشريعة (ص١٧٢)، وابن منده في الرد على الجهمية (ص٧٩). والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٤١٢)، والبزار كما في كشف الأستار (٣/ ٢٠)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٩/ ١١٧)، ورواه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٧٤)، وقال الألباني : حديث صحيح، رجاله كلهم ثقات، وقد صرَّح فيه بقية بالتحديث. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٨٦) وقال : رواه البزار والطبراني وفيه بقية بن الوليد وهو ضعيف ويحسن حديثه بكثرة الشواهد، وإسناد الطبراني حسن، ونسبه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية لإسحاق بن راهوية ـ وهو المذكور في السند ـ وقال : حديث غريب . انظر المطالب العالية (٣/ ٨٢) تحقيق : الشيخ حبيب الأعظمي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٠٤) وزاد نسبته إلى ابن مردويه، وروى هذا الحديث من طرق أخرى: الإمام أحمد (٤/ ١٨٦) وقال الهيثمي : ورجاله ثقات . مجمع الزوائد (٧/ ١٨٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣١)، وقال : هذا حديث صحيح، قد اتفقا على الاحتجاج برواته عن آخره إلى الصحابة، وعبدالرحمن بن قتادة من بني سلمة من الصحابة ، ووافقه الذهبي. =

قال إسحاق : وأخبرنا عبدالصمد[١]، حدثنا حماد[٢]، حدثنا الجُريري[٣]، عن أبي [نضرة[٤]][٥] أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ يقال له : أبوعبدالله[٦] دخل عليه أصحابه يعودونه وهو / يبكي، فقالوا لـه : ما يبكيك؟ قال : سمعت رسول ١١ ب الله ﷺ يقول : « **إن الله قبض قبضة بيمينه، وأخرى بيده الأخرى، قال : هذه لهذه،**

= واللالكائي في السنة (٤/ ٦٠٦)، وابن الأثير الجزري في أسد الغابة (٣/ ٣٨٥)، وقد ذكر بعض العلماء أن هذا الحديث مضطرب الإسناد، حيث إنه يروى بواسطة بين عبدالرحمن ابن قتادة والرسول ﷺ وأحياناً بواسطتين، وأحياناً دون واسطة، وقد حقق هذا الاضطراب وفصَّل القول فيه الشيخ محمود شاكر، ثم قال : وقد أطلتُ في بيان هذا الاضطراب لأضبطه بعض الضبط، وبعد ذلك كله فمعنى الحديث صحيح، ومروي عن جماعة من الصحابة بأسانيد ليس فيها هذا الاضطراب، انظر تعليق الشيخ محمود شاكر على تفسير ابن جرير الطبري (١٣/ ٢٤٥-٢٤٨)، وانظر أيضاً تعجيل المنفعة لابن حجر (ص٢٥٦)، نشر دار الكتاب العربي ـ بيروت .

(١) هو : عبدالصمد بن عبدالوارث بن سعيد، العنبري مولاهم، التنوري، بفتح المثناة وتثقيل النون المضمومة، أبوسهل البصري، صدوق، ثبت في شعبة، من التاسعة، مات سنة سبع ومائتين، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٥٠٧)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٣٢٧-٣٢٨) .

(٢) هو : حماد بن سلمة بن دينار البصري، أبوسلمة، ثقة عابد، أثبت الناس في ثابت، وتغير حفظه بأخرة، من كبار الثامنة، مات سنة سبع وستين ومائة، روى له البخاري تعليقاً، وروى له مسلم والأربعة . تقريب التهذيب (١/ ١٩٧)، وتهذيب التهذيب (٣/ ١١-١٦) .

(٣) هو : سعيد بن إياس الجُريري، بضم الجيم، أبومسعود البصري، ثقة من الخامسة، اختلط قبل موته بثلاث سنين، مات سنة أربع وأربعين ومائة، روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٢٩١)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٥-٧) .

(٤) في م، ت، د، س : نصرة .

(٥) هو : المنذر بن مالك، ثقة، سبقت ترجمته في ص(١٧٧) .

(٦) ذكره ابن الأثير في أسد الغابة (٥/ ١٩٥)، فقال : أبوعبدالله له صحبة، روى عنه أبوقلابة الجرمي، وأبونضرة .

وهذه لهذه ولا أبالي »، [فلا][(١)] أدري في أي القبضتين أنا[(٢)] .

أخبرنا[(٣)] عمرو بن محمد[(٤)] [حدثنا][(٥)] إسماعيل بن رافع[(٦)]، عن المقبري[(٧)]، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال : « إن الله تعالى خلق آدم من تراب، ثم جعله طيناً، ثم تركه حتى إذا كان صلصالاً[(٨)] كالفخار كان إبليس يمر به فيقول : خُلقتَ لأمرٍ عظيم، ثم نفخ الله فيه من روحه، قال : يا رب ما ذريتي؟ قال : اختر يا آدم، قال : [أختار][(٩)] يمين ربي، وكلتا يدي ربي يمين، فبسط الله كفّه فإذا كل من هو كائن من ذريته في كف الرحمن »[(١٠)] .

---

(١) في ع : ولا .

(٢) رواه الإمام أحمد (٥/ ٦٨) وقال الألباني : إسناده صحيح . انظر : الأحاديث الصحيحة (١/ ٦٩)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٨٥-١٨٦) وقال : رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر كما في الإصابة (٤/ ١٢٦) .

(٣) القائل : أخبرنا، هو إسحاق بن راهوية، كما أشار إلى ذلك المؤلف آنفاً .

(٤) هو : عمرو بن محمد العنقزي ـ بفتح المهملة والقاف بينهما نون ساكنة وبالزاي ـ أبو سعيد الكوفي، ثقة من التاسعة، مات سنة تسع وتسعين ومائة، روى له البخاري تعليقاً، وروى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ٧٨)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٩٨-٩٩) .

(٥) في د، س : ابن . وهو خطأ .

(٦) هو : إسماعيل بن رافع بن عويمر الأنصاري المدني، نزيل البصرة، يكنى أبا رافع، ضعيف الحفظ، من السابعة، مات في حدود الخمسين ومائة، روى له البخاري في الأدب المفرد، وروى له الترمذي وابن ماجه. تقريب التهذيب (١/ ٦٩)، وتهذيب التهذيب (١/ ٢٩٤-٢٩٦) .

(٧) هو : كيسان بن سعيد المقبري المدني، مولى أم شريك، ويقال: هو الذي يقال له صاحب العباس، ثقة ثبت، من الثانية، مات سنة مائة، روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ١٣٧)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٤٥٣-٤٥٤) .

(٨) الصلصال : الطين اليابس الذي لم يطبخ، فإنه من يبسه له صلصلة إذا حرك ونقر، كما يصلصل الفخار، والفخار: هو الذي قد طبخ من الطين بالنار، تفسير ابن جرير (٢٧/ ١٢٤) .

(٩) في د، س : اختر .

(١٠) رواه أبويعلى في مسنده (١١/ ٤٥٣-٤٥٥) وقال الهيثمي : رواه أبويعلى، وفيه إسماعيل=

أخبرنا النضر[١] أخبرنا أبومعشر[٢] عن أبي سعيد المقبري[٣] ونافع[٤] مولى الزبير[٥] عن أبي هريرة، قال: **لما أراد الله أن يخلق آدم، فذكر خلق آدم، فقال له:**

= ابن رافع، قال البخاري: ثقة مقارب الحديث، وضعفه الجمهور، وبقية رجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد (٨/ ١٩٧)، ورواه الترمذي (١٢/ ٢٦٢-٢٦٣) في آخر أبواب التفسير، من طريق صفوان بن عيسى، حدثنا الحارث بن عبدالرحمن بن أبي ذباب عن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً. وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقد رُوي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ من رواية زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً، ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة ص(٢٣٧-٢٣٨) تحقيق: د. فاروق حماده، ط. الثانية ١٤٠٦هـ نشر مؤسسة الرسالة ـ بيروت. وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٤/ ٤٠-٤٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٤) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. ورواه البيهقي في الأسماء والصفات ص(٤١٠-٤١١)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٩١) وقال الألباني: إسناده حسن. وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ١١٨) وزاد نسبته لابن مردويه.

(١) هو: النضر بن شميل، المازني، أبوالحسن النحوي، نزيل مرو، ثقة ثبت، من كبار التاسعة، مات سنة أربع ومائتين، وله اثنتان وثمانون سنة، روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ٣٠١)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٤٣٧).

(٢) هو: نجيح بن عبدالرحمن السندي ـ بكسر المهملة وسكون النون ـ المدني، أبومعشر، وهو مولى بني هاشم، مشهور بكنيته، ضعيف من السادسة، أسنّ واختلط، مات سنة سبعين ومائة، ويقال: كان اسمه عبدالرحمن بن الوليد بن هلال، روى له الأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ٢٩٨)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٤١٩).

(٣) هو كيسان بن سعيد المقبري، ثقة ثبت، سبقت ترجمته في الصفحة السابقة.

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل (٤/ ٤٥٤) فقال: نافع مولى الزبير، روى عن أبي هريرة، وروى عنه أبومعشر ومصعب بن ثابت، سمعت أبي يقول ذلك.

(٥) هو: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب أبوعبدالله القرشي، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، قتل سنة ست وثلاثين بعد منصرفه من وقعة الجمل، روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٢٥٩)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٣١٨)، =

يا آدم، أي يدي أحب إليك أن أريك ذريتك فيها ؟ قال : يمين ربي، وكلتا يدي ربي يمين، فبسط يمينه، وإذا فيها ذريّته كلهم ما هو خالق إلى يوم القيامة، الصحيح على هيئته، والمبتلى على هيئته، والأنبياء على هيئاتهم، فقال : ألا أعفيتهم كلهم. فقال : إني أحببتُ أن أشكر. وذكر الحديث .

وقال محمد بن نصر المروزي[١] : حدثنا محمد بن يحيى[٢]، حدثنا سعيد بن أبي مريم[٣]، أنبأنا الليث[٤] بن [سعد][٥] حدثني ابن عجلان[٦]، عن سعيد بن

= وأسد الغابة (٢/ ٩٧-١٠٠) .

(١) هو : محمد بن نصر المروزي، الفقيه، أبوعبدالله، ثقة حافظ، إمام في الفقه والحديث، من كبار الثانية عشرة، مات سنة أربع وتسعين ومائتين، ذكره ابن حجر للتمييز، له كتب منها : القسامة، والمسند، وغيرهما . تقريب التهذيب (٢/ ٢١٣)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٤٨٩)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٣) .

(٢) هو : محمد بن يحيى بن عبدالله بن خالد بن فارس بن ذؤيب الذهلي، النيسابوري، ثقة حافظ جليل، من الحادية عشرة، مات سنة ثمان وخمسين ومائتين على الصحيح وله ست وثمانون سنة. روى له البخاري والأربعة . تقريب التهذيب (٢/ ٢١٧)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٥١١-٥١٦) .

(٣) هو : سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم بن أبي مريم الجمحي بالولاء، أبومحمد المصري، ثقة ثبت فقيه، من كبار العاشرة، مات سنة أربع وعشرين ومائتين وله ثمانون سنة، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٢٩٣)، وتهذيب التهذيب (٤/ ١٧-١٨) .

(٤) الليث بن سعد الفهمي، ثقة ثبت إمام مشهور، وقد سبقت ترجمته في ص (١٦٤) .

(٥) في ت : سعيد .

(٦) هو : محمد بن عجلان المدني، صدوق، إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة؛ حيث كان سعيد المقبري يحدث عن أبي هريرة وعن أبيه عن أبي هريرة، فاختلطت على محمد ابن عجلان، فجعلها كلها عن أبي هريرة، قال ابن حبان: وليس هذا مما يوهي الإنسان به؛ لأن الصحيفة كلها في نفسها صحيحة، من الطبقة الخامسة. مات سنة ثمان وأربعين ومائة. روى له البخاري تعليقاً، وروى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ١٩٠)، =

أبي سعيد[١] المقبري، عن أبيه[٢]، عن عبدالله بن سَلاَم[٣] قال: خلق الله آدم ثم قال بيده فقبضها، فقال : اختر يا آدم، فقال : اخترتُ يمين ربي وكلتا يديك يمين، فبسطها، فإذا فيها ذريته، فقال : من هؤلاء يا رب؟ قال : من قضيت أن أخلق من ذريتك من أهل الجنة إلى أن تقوم الساعة[٤] .

قال[٥] : وحدثنا إسحاق [بن راهوية][٦] [حدثنا][٧] جعفر[٨] بن [عون][٩]

= وتهذيب التهذيب (٩/ ٣٤١-٣٤٢)، والثقات لابن حبان (٧/ ٣٨٧) الطبعة الأولى ١٤٠١هـ نشر دائرة المعارف العثمانية بالهند .

(١) هو : سعيد بن أبي سعيد كيسان المقبري، أبوسعد المدني، ثقة من الثالثة، تغير قبل موته بأربع سنين، وروايته عن عائشة وأم سلمة مرسلة، مات في حدود العشرين ومائة، وقيل قبلها، وقيل بعدها، روى له الستة، تقريب التهذيب (١/ ٢٩٧)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٣٨).

(٢) هو كيسان بن سعيد المقبري، ثقة ثبت، وقد سبقت ترجمته في ص (١٨٢) .

(٣) سبقت ترجمته في ص(١٧٧) .

(٤) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة ص(٢٣٨)، والفريابي في القدر ص(١١٧) . وعنه الآجري في الشريعة ص٣٢٢ . وذكره المزي في تحفة الأشراف (٤/ ٣٥٤-٣٥٥) ولم ينسبه إلى النسائي في عمل اليوم والليلة . وهو موقوف .

(٥) القائل هو : محمد بن نصر المروزي .

(٦) إضافة من م . وإسحاق بن راهوية سبقت ترجمته في ص (١٧٩) .

(٧) في د، س : أنبأنا . وقال ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٣٩١) : ابن راهويه لا يقول إلا أخبرنا. وانظر أيضاً : المغني في ضبط أسماء الرجال لمحمد طاهر الهندي ص(٣٤٢)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٢هـ .

(٨) هو : جعفر بن عون بن عمرو بن حريث المخزومي، صدوق من التاسعة، مات سنة ست، وقيل: سبع ومائتين، ومولده سنة عشرين ومائة، وقيل: سنة ثلاثين ومائة، روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ١٣١)، وتهذيب التهذيب (٢/ ١٠١)، وانظر سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٣٩) .

(٩) في ت : عوف .

١١٢أ [أخبرنا][(١)] هشام بن [سعد][(٢)] عن زيد بن [أسلم][(٣)] عن أبي هريرة عن النبي/ ﷺ قال : « لما خلق الله آدمَ مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة »، وذكر الحديث [(٤)] .

وقال [إسحاق : حدثنا الملائي[(٥)]][(٦)] حدثنا المسعودي[(٧)]، عن علي بن [بذيمة[(٨)]][(٩)] عن [سعيد[(١٠)]][(١١)] عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ

---

(١) في د، س : حدثنا .

(٢) في ت : سعيد . وسبقت ترجمة هشام بن سعد في ص (١٦٨) .

(٣) في د : سالم .

(٤) سبق ذكر الحديث وتخريجه في ص (١٦٨) .

(٥) في د، س : وقال إسحاق بن (ملاي) .

(٦) هو : الفضل بن دُكين، الكوفي، واسم دُكَيْن : عمرو بن حماد بن زهير التيمي، مولاهم، الأحول، أبونعيم الـملاَئي، بضم الميم، مشهور بكنيته، ثقة ثبت، من الطبقة التاسعة، مات سنة ثمان عشرة، وقيل: تسع عشرة ومائتين، وكان مولده سنة ثلاثين ومائة، وهو من كبار شيوخ البخاري، روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ١١٠)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٢٧٠-٢٧٦) .

(٧) هو : عبدالرحمن بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الكوفي، المسعودي، صدوق، اختلط قبل موته، وضابطه : أن من سمع منه ببغداد فبعد الاختلاط، من الطبقة السابعة، مات سنة ستين وقيل: سنة خمس وستين ومائة. تقريب التهذيب (١/ ٤٨٧)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٢١٠-٢١٢) .

(٨) في ع، د، س : نديمه، والصواب ما أثبته .

(٩) هو : علي بن بذيمة ــ بفتح الموحدة وكسر المعجمة الخفيفة بعدها تحتانية ساكنة ــ الجزري، ثقة رُمي بالتشيع، من الطبقة السادسة، مات سنة بضع وثلاثين ومائة، روى له الأربعة . تقريب التهذيب (٢/ ٣٢)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٢٨٥-٢٨٦)، وميزان الاعتدال (٣/ ١١٥) .

(١٠) في م : سعد .

(١١) هو: سعيد بن جبير الأسدي، مولاهم، الكوفي، ثقة ثبت فقيه، من الطبقة الثالثة، قتل =

مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذرياتهم[١]﴾[٢] قال : إن الله أخذ على آدم ميثاقه أنه ربه، وكتب أجله ورزقه[٣] ومصيباته، ثم أخرج من ظهره ولده كهيئة الذر، فأخذ عليهم الميثاق أنه ربهم، وكتب أجلهم ورزقهم[٤] ومصيباتهم[٥].

قال[٦] : وحدثنا وكيع[٧]، حدثنا الأعمش[٨] عن حبيب[٩] بن أبي ثابت عن ابن عباس قال : مسح الله ظهر آدم، فأخرج كل طيب في يمينه، وفي يده

= بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين ولم يكمل الخمسين. تقريب التهذيب (١/ ٢٩٢)، وتهذيب التهذيب (٤/ ١١-١٤) .

(١) في ع : ذريتهم بالتوحيد، وقد سبق بيان أن ذلك في قراءتين . انظر ص (١٦٦) .

(٢) سورة الأعراف، آية : ١٧٢ .

(٣) في ع، د، س : وكتب رزقه وأجله .

(٤) في ع، د، س : وكتب رزقهم وأجلهم .

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/ ١١٢) وأشار إليه ابن منده في كتاب الرد على الجهمية ص٥٨. ورواه البيهقي في كتاب القدر (٤٦-٤٧) . والدارمي في الرد على الجهمية ص٧٨. وذكر السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٩٨) ونسبه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ .

(٦) القائل هو إسحاق بن راهوية .

(٧) هو : وكيع بن الجراح بن مليح الرُّؤاسي ــ بضم الراء وهمزة ثم مهملة ــ أبوسفيان الكوفي، ثقة حافظ عابد، من كبار التاسعة، مات في آخر سنة ست أو أول سنة سبع وتسعين ومائة، وله سبعون سنة. روى له الستة . تقريب التقريب (٢/ ٣٣١)، وتهذيب التهذيب (١١/ ١٢٣) .

(٨) هو سليمان بن مهران الأسدي، ثقة حافظ، ولكنه يدلِّس . سبقت ترجمته في ص(١٤١).

(٩) هو : حبيب بن أبي ثابت، قيس، ويُقال : هند بن دينار الأسدي، مولاهم، أبويحيى الكوفي، ثقة فقيه، جليل، وكان كثير الإرسال والتدليس، من الثالثة، مات سنة تسع عشرة ومائة، روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ١٤٨)، وتهذيب التهذيب (٢/ ١٧٨-١٨٠).

الأخرى كل خبيث[١] .

وقال محمد بن نصر[٢] : حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني[٣]، حدثنا حجاج[٤] عن ابن جريج[٥]، عن الزبير بن موسى[٦]، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: « إن الله ضرب منكبه الأيمن، فخرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء نقية، فقال: هؤلاء أهل [الجنة][٧]، ثم ضرب منكبه الأيسر فخرجت كل نفس مخلوقة للنار سوداء، فقال : هؤلاء أهل النار، ثم أخذ عهده على الإيمان والمعرفة (له)[٨] والتصديق له وبأمره

---

(١) أشار إليه ابن منده في الرد على الجهمية ص(٥٨) . وذكره السيوطي في الدر المنثور من رواية أبي سعيد الخدري (٣/ ٦٠٦)، ونسبة إلى البزار والطبراني والآجري وابن مردويه .

(٢) محمد بن نصر المروزي : ثقة . سبقت ترجمته في ص (١٨٤) .

(٣) هو : الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني، أبوعلي البغدادي، صاحب الشافعي، وقد شاركه في الطبقة الثانية من شيوخه . ثقة من العاشرة . مات سنة ستين ومائتين، أو قبلها بسنة . روى له البخاري والأربعة . تقريب التهذيب (١/ ١٧٠)، وتهذيب الكمال (٦/ ٣١٠-٣١٣) وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٦٢) .

(٤) هو : حجاج بن محمد المصيصي الأعور، أبومحمد، الترمذي الأصل، نزل بغداد ثم المصيصة، ثقة ثبت، لكنه اختلط في آخر عمره لما قدم بغداد قبل موته، من التاسعة، مات ببغداد سنة ست ومائتين ، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ١٥٤) ، وتهذيب الكمال (٥/ ٤٥١-٤٥٦)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٤٤٧) .

(٥) هو : عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج، الأموي، مولاهم، المكي، ثقة فقيه فاضل، وكان يدلس ويرسل، من السادسة. مات سنة خمسين ومائة، أو بعدها، وقد جاوز السبعين ، وقيل: جاوز المائة ولم يثبت، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٥٢٠)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٤٠٢-٤٠٦) .

(٦) هو : الزبير بن موسى بن ميناء المكي، مقبول، من الطبقة الرابعة، روى له أبوداود . تقريب التهذيب (١/ ٢٥٩)، تهذيب التهذيب (٣/ ٣٢٠) .

(٧) في : م : للجنة .

(٨) في : د، س : به .

من بني آدم كلهم، وأشهدهم على أنفسهم فآمنوا وصدقوا، وعرفوا، وأقرُّوا »[١] .

(حدثنا)[٢] إسحاق، حدثنا روح بن عبادة[٣] (حدثنا)[٤] محمد بن عبدالملك[٥] عن أبيه[٦] عن الزبير بن موسى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس بهذا الحديث، وزاد: قال ابن جريج : « ويلغني أنه أخرجهم على كفه أمثال الخردل»[٧].

قال إسحاق : وأخبرنا جرير[٨] عن منصور[٩]

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/ ١١٤-١١٥)، وابن منده في « كتاب الرد على الجهمية ص(٦٤-٦٥) والفريابي في «القدر» ص(١٦٧)، والآجري في «الشريعة» ص(٢١٢)، وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ٦٠٥)، ونسبه إلى ابن جرير وأبي الشيخ .

(٢) في ع : أخبرنا .

(٣) هو : روح بن عبادة بن العلاء بن حسان القيسي، أبومحمد البصري، ثقة فاضل، له تصانيف، من التاسعة، مات سنة خمس أو سبع ومائتين . روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٢٥٣)، تهذيب التهذيب (٣/ ٢٩٣-٢٩٦) .

(٤) في : د، س : بن عبادة بن محمد، وفي : ع : أخبرنا .

(٥) هو : محمد بن عبدالملك بن جريج، المكي، مقبول من الثامنة، ذكره ابن حبان في الثقات، روى له ابن ماجه في التفسير . تقريب التهذيب (٢/ ١٨٦)، تهذيب التهذيب (٩/ ٣١٧)، والثقات لابن حبان (٩/ ٥٦) .

(٦) سبقت ترجمته في الصفحة السابقة .

(٧) روى الحديث بهذه الزيادة ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/ ١١٥)، وابن منده في كتاب «الرد على الجهمية » ص(٦٤-٦٥) .

(٨) هو : جرير بن عبدالحميد بن قُرْط ـ بضم القاف وسكون الراء بعدها طاء مهملة ـ الضبي الكوفي، نزيل الريّ وقاضيها، ثقة صحيح الكتاب، مات سنة ثمان وثمانين ومائة، وله إحدى وسبعون سنة . روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ١٢٧)، تهذيب التهذيب (٢/ ٧٥-٧٧) .

(٩) هو : منصور بن المعتمر بن عبدالله السلمي، أبوعتَّاب، بمثلثة ثقيلة ثم موحدة، الكوفي، ثقة ثبت، وكان لا يدلس، من طبقة الأعمش، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة، روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٢٧٧)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٣١٢-٣١٥) .

عن مجاهد[(١)] عن عبدالله بن عمرو في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[(٢)] قال : «**أخذهم كما يُؤخذ بالمشط**»[(٣)] .

وفي تفسير[(٤)] أسباط[(٥)] عن السدي[(٦)] عن أصحابه (أبي)[(٧)] مالك[(٨)]

---

(١) هو : مجاهد بن جَبْر ـ بفتح الجيم وسكون الموحدة ـ أبوالحجاج، المخزومي مولاهم، المكي، ثقة إمام في التفسير وفي العلم، من الثالثة، مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع، ومائة، وله ثلاث وثمانون، روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٢٢٩)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٢-٤٤) .

(٢) سورة الأعراف، آية :١٧٢ .

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٩/ ١١٣)، وابن منده في كتاب الرد على الجهمية ص٦٣-٦٤، واللالكائي في السنة (٤/ ٥٦٢)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٣/ ٦٠١) .

(٤) قال ابن حجر في تهذيب التهذيب (١/ ٣١٥) : وأسباط بن نصر مشهور بالرواية عن السدي، قد أخرج الطبري، وابن أبي حاتم، وغيرهما، في تفاسيرهم تفسير السدي مفرقاً في السور من طريق أسباط بن نصر عنه .

(٥) هو : أسباط بن نصر الهمْدَاني ـ بسكون الميم ـ أبويوسف، ويقال : أبونصر، صدوق كثير الخطأ، يغرب، من الطبقة الثامنة. روى له البخاري تعليقاً، وروى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب (١/ ٥٣)، وتهذيب التهذيب (١/ ٢١١-٢١٢) .

(٦) هو : إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة السُّدِّي ـ بضم المهملة وتشديد الدال ـ أبومحمد الكوفي، صدوق يهم، ورمي بالتشيع، من الرابعة، مات سنة سبع وعشرين ومائة، روى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب (١/ ٧١-٧٢)، تهذيب التهذيب (١/ ٣١٣-٣١٤) . وانظر : سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٤)، تهذيب الكمال (٣/ ١٣٢-١٣٨).

(٧) في ت : أن .

(٨) هو : غزوان الغفاري، أبومالك الكوفي، مشهور بكنيته، ثقة، من الطبقة الثالثة، روى عن عمار ابن ياسر وابن عباس والبراء بن عازب وغيرهم، وروى عنه سلمة بن كهيل وإسماعيل السدي وغيرهما، ذكره ابن حبان في الثقات، روى له البخاري تعليقاً، وروى له أبوداود والنسائي والترمذي . تقريب التهذيب (٢/ ١٠٥)، تهذيب التهذيب (٨/ ٢٤٥-٢٤٦) .

(وأبي)[١] صالح[٢] عن ابن عباس .

وعن مرة الهمْداني[٣] عن ابن مسعود، وعن أناس من أصحاب / النبي ﷺ ١٢ب في قولـه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾[٤] الآية قال : « لما أخرج اللهُ آدمَ من الجنة قبل أن (يهبطه)[٥] من السماء مسح صفحة ظهر آدم اليمنى، فأخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ (و)[٦] كهيئة الذر فقال لهم : ادخلوا الجنة برحمتي، ومسح (صفحة)[٧] ظهره اليسرى فأخرج (منه)[٥] ذرية سوداء كهيئة الذر، فقال : ادخلوا النار ولا أبالي، فذلك حين يقول : أصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، ثم أخذ منهم الميثاق، فقال : ألستُ بربكم ؟ (قالوا)[٨] : بلى . فأعطاه طائفة طائعين، وطائفة كارهين على وجه التقيه، فقال (هو)[٩] والملائكة : ﴿ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ۝١٧٢ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ ﴾[١٠] الآية . فلذلك ليس لأحد من ولد آدم إلا وهو

---

(١) في م : وابن .

(٢) هو : باذام ـ بالذال المعجمة ـ ويقال : آخره نون، أبوصالح، مولى أم هانئ، ضعيف مدلس، من الثالثة . روى له الأربعة . تقريب التهذيب (١/ ٩٣)، تهذيب التهذيب (١/ ٤١٦-٤١٧) .

(٣) هو : مرة بن شراحيل الهمْداني ـ بسكون الميم ـ أبوإسماعيل الكوفي، هو الذي يقال له : مرة الطيب، ثقة عابد، من الثانية، مات سنة ست وسبعين، وقيل بعد ذلك. روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ٢٣٨)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٨٨-٨٩) .

(٤) سورة الأعراف، آية :١٧٢ .

(٥) في د، س : يهبط .

(٦) الواو ساقطة من د، س .

(٧) ساقطة من م .

(٨) في ع : فقالوا .

(٩) ساقطة من م .

(١٠) سورة الأعراف، الآية ١٧٢ .

يعرف أن (ربه الله)(١)، ولا مشرك إلا هو يقول : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾(٢) فذلك قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ (*) مِن ظُهُورِهِمْ (ذرياتهم) ﴾(٣) وذلك حين يقول : ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾(٤)، ذلك حين يقول : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(٥) قال : يعني يوم أخذ الميثاق »(٦).

وقال إسحاق: (حدثنا) وكيع(٧)، حدثنا (فطر(٨))(٩) عن ابن (سابط(١٠))(١١)

---

(١) في ع، س، د : إن الله ربه .

(٢) كما حكاه الله عنه في سورة الزخرف، الآية ٢٣ .

(*) من هنا بداية سقط آخر من نسخة ع .

(٣) في ع، د، س : ذريتهم . وقد سبق في ص (١٦٦) بيان أن الجمع و الإفراد قراءتان .

(٤) سورة آل عمران آية ٨٣ .

(٥) سورة الأنعام آية ١٤٩ .

(٦) رواه ابن عبدالبر في التمهيد (١٨/ ٨٥-٨٦) . ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/ ١١٦) من قول السدي مختصراً . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٩٩) ولم ينسبه إلا إلى ابن عبدالبر في التمهيد .

(٧) هو : وكيع بن الجراح، ثقة، سبقت ترجمته في ص(١٧٨) .

(٨) في د، س : مضر .

(٩) هو : فطر بن خليفة المخزومي، مولاهم، أبوبكر الحناط ـ بالمهملة والنون ـ صدوق، رُمي بالتشيع، من الخامسة . مات بعد سنة خمسين ومائة . روى له : البخاري والأربعة . تقريب التهذيب (٢/ ١٤٤)، تهذيب التهذيب (٨/ ٣٠٠-٣٠٢) .

(١٠) في د، س : سليط .

(١١) هو : عبدالرحمن بن سابط، ويقال : ابن عبدالله بن سابط، وهو صحيح، ويقال : ابن عبدالله بن عبدالرحمن الجمحي المكي، ثقة كثير الإرسال، من الثالثة، مات سنة ثمان عشرة =

قال: قال أبوبكر ﷺ : خلق الله الخلق قبضتين، فقال لمن في يمينه: ادخلوا الجنة بسلام، وقال لمن في يده الأخرى : ادخلوا النار ولا أُبالي[١] .

وأخبرنا جرير[٢] عن الأعمش[٣] عن أبي ظبيان[٤] عن رجل من الأنصار من أصحاب محمد ﷺ قال : لما خلق الله الخلق قبض قبضتين بيده، فقال لمن في يمينه: أنتم أصحاب اليمين، وقال لمن في اليد الأخرى : أنتم أصحاب الشمال، فذهبت إلى يوم القيامة[٥] .

وقال عبدالله بن وهب في كتاب القدر : أخبرني جرير بن حازم[٦]، عن

= ومائة، روى له : مسلم وأبوداود والترمذي وابن ماجه . تقريب التهذيب (١/ ٤٨٠)، تهذيب التهذيب (٦/ ١٨٠) .

(١) رواه عبدالرزاق في مصنفه (١١/ ١٢٣)، ورواه الفريابي في القدر (ص١٣) بنحوه، وعنه الآجري في الشريعة (ص٢٠٠) . وسند هذا الأثر منقطع؛ فابن سابط رواه عن أبي بكر ﷺ، وهو لم يدركه . انظر تهذيب التهذيب (٦/ ١٨٠) .

(٢) هو : جرير بن عبدالحميد بن قرط، صحيح الكتاب، سبقت ترجمته في ص (١٨٩) .

(٣) الأعمش، هو : سليمان بن مهران، سبقت ترجمته في ص(١٤١) .

(٤) هو : حصين بن جندب بن الحارث الجنبي ـ بفتح الجيم وسكون النون ثم موحدة ـ، أبوظبيان ـ بفتح المعجمة وسكون الموحدة ـ الكوفي، ثقة من الثانية، مات سنة تسعين، وقيل غير ذلك. روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ١٨٢)، تهذيب التهذيب (٢/ ٣٧٩) .

(٥) رواه إسحاق بن راهويه كما أشار إلى ذلك المؤلف .

(٦) هو : جرير بن حازم بن زيد بن عبدالله الأزدي أبوالنضر البصري، والد وهب، ثقة، لكن في حديثه عن قتادة ضعف، وله أوهام إذا حدث من حفظه . وهو من السادسة، مات سنة سبعين ومائة بعدما اختلط، لكنه لم يحدث في حال اختلاطه، روى له الستة، تقريب التهذيب (١/ ١٢٧)، تهذيب التهذيب (٢/ ٦٩) .

١٢ب أيوب[١] (السختياني)[٢] عن أبي قلابة[٣] قال : إن الله عز وجل / لما خلق آدم أخرج ذريته، ثم(نثرهم)[٤] في كفه، ثم أفاضهم، فألقى التي في يمينه عن يمينه، والتي في يده الأخرى عن شماله، ثم قال : هؤلاء لهذه ولا أبالي، وهؤلاء لهذه ولا أبالي، وكتب أهل النار وما هم عاملون، وأهل الجنة وما هم عاملون (وطوى)[٥] الكتاب ورفع القلم[٦] .

وقال أبوداود[٧] : حدثنا مسدد[٨]، حدثنا حماد بن

---

(١) هو : أيوب بن أبي تميمة، كيسان السختياني : بفتح المهملة بعدها معجمة ثم مثناة ثم تحتانية وبعد الألف نون، أبوبكر البصري، ثقة ثبت حجة، من كبار الفقهاء العبّاد، من الخامسة، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة، وله خمس وستون روى له الستة، تقريب التهذيب (١/ ٨٩)، تهذيب التهذيب (١/ ٣٩٧-٣٩٩)، تهذيب الكمال (١/ ٤٥٧-٤٦٣)، سير أعلام النبلاء (٦/ ١٥) .

(٢) في د : السجستاني .

(٣) هو : عبدالله بن زيد بن عمرو، أو عامر، الجرمي، أبوقلابة البصري، ثقة فاضل، كثير الإرسال، قال العجلي : فيه نصب يسير، من الثالثة، مات بالشام هارباً من القضاء سنة أربع ومائة، وقيل بعدها، روى له الستة، تقريب التهذيب (١/ ٤١٧)، تهذيب التهذيب (٥/ ٢٢٤-٢٢٦)، وانظر الثقات للعجلي ص٢٥٧ حيث قال عن أبي قلابة هذا : تابعي ثقة، وكان يحمل على علي ﷺ .

(٤) في د، س : نشرهم .

(٥) في م، د، س : فطوى، وما أثبتُ من ت، ومن كتاب القدر لابن وهب .

(٦) انظر : كتاب القدر لابن وهب ص٨١ .

(٧) هو : سليمان بن الأشعث صاحب السنن . سبقت ترجمته في ص (١٣٩) .

(٨) هو : مسدُد بن مسرهد بن مسربل بن مستورد الأسدي، البصري، أبوالحسن، ثقة حافظ، يقال : إنه أول من صنف المسند بالبصرة، من العاشرة، مات سنة ثمان وعشرين ومائتين، ويقال اسمه : عبدالملك بن عبدالعزيز، ومسدد لقبه . روى له : البخاري وأبوداود والترمذي والنسائي، تقريب التهذيب (٢/ ٢٤٢)، تهذيب التهذيب (١٠/ ١٠٧-١٠٩)،=

زيد[١]، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي صالح فذكره[٢].

قال ابن وهب: وأخبرني عمرو بن الحارث[٣]، وحيوة[٤] بن (شريح)[٥]، عن ابن أبي أسيد[٦] ـ هكذا قال عن (أبي)[٧] فراس[٨] (أنه)[٩] حدثه أنه سمع عبدالله

= وتاريخ الثقات للعجلي (ص٤٢٥)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٩١).

(١) هو: حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي أبوإسماعيل البصري، ثقة ثبت فقيه، قال يحيى بن معين: ليس أحد أثبت في أيوب منه. قيل: أنه كان ضريراً، ولعله طرأ عليه؛ لأنه صحَّ أنه كان يكتب، من كبار الثامنة، مات سنة تسع وسبعين ومائة، وله إحدى وثمانون سنة. روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ١٩٧)، تهذيب التهذيب (٣/ ٩-١١).

(٢) ذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٣/ ٨٤) ونسبه إلى مسدد ونقل الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي قول البوصيري بأن رجاله ثقات.

(٣) هو عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري مولاهم، المصري، أبو أيوب، ثقة فقيه، حافظ، من السابعة، مات قديماً قبل الخمسين ومائة. روى له الستة، تقريب التهذيب (٢/ ٦٧)، تهذيب التهذيب (٨/ ١٤-١٦).

(٤) هو: حَيْوة ـ بفتح أوله وسكون التحتانية وفتح الواو ـ ابن شريح بن صفوان التجيبي أبوزرعة المصري، ثقة ثبت فقيه زاهد، من السابعة، مات سنة ثمان، وقيل: تسع وخمسين ومائة. روى له الستة، تقريب التهذيب (١/ ٢٠٨)، تهذيب التهذيب (٣/ ٦٩).

(٥) في ت: سريح، وفي م، د، س: سريح، وما أثبت من كتاب القدر لابن وهب.

(٦) هو: يحيى بن أبي أسيد، سمع أبا فراس وعنه عمرو بن الحارث وحيوة بن شريح، يعد في المصريين، وثّقه ابنُ حبان، التاريخ الكبير (٨/ ٢١٦)، والثقات لابن حبان (٩/ ٢٥١).

(٧) في ت: ابن.

(٨) هو: يزيد بن رباح ـ بموحدة، السهمي، أبوفراس ـ بكسر الفاء ـ المصري، ثقة من الثالثة، ولم يصح أنه شهد فتح مصر الأول، روى له مسلم وابن ماجه. تقريب التهذيب (٢/ ٣٦٤)، تهذيب التهذيب (١١/ ٣٢٤).

(٩) ساقطة من: م، ع، د، س.

ابن عمرو يقول : إن الله عز وجل لما خلق آدم نفضه نفض (المزود)[١]، فأخرج من ظهره ذريته أمثال النغف[٢]، فقبضهم قبضتين، ثم ألقاهما، ثم قبضهما فقال: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ[٣]﴾[٤].

قال ابن و هب : وأخبرني يونس[٥] بن يزيد عن الأوزاعي[٦]، عن عبدالله ابن عمرو بن العاص قال : من كان يزعم أن مع الله قاضياً، أو رازقاً، أو يملك لنفسه ضراً أو نفعاً، أو موتاً، أو حياة، أو نشوراً، لقي الله فأدحض حجته وأخرق لسانه، وجعل صلاته وصيامه (هباءً[٧])[٨] وقطع به الأسباب، وأكبَّه اللهُ على وجهه في النار، وقال : إن الله خلق الخلق فأخذ منهم الميثاق، وكان عرشه على الماء[٩].

---

(١) في م ، د، س : المرود بالمهملة، والمِزود ـ بكسر الميم والمعجمة ـ هو : وعاء التمر يعمل من أدم، وجمعه مزاود . المصباح المنير ص٢٦٠، مادة (زود) .

(٢) النَّغَف بالتحريك : دود يكون في أنوف الإبل والغنم، واحدتها : نَغَفَة . النهاية لابن الأثير (٥/ ٨٧) .

(٣) سورة الشورى، آية : ٧ .

(٤) انظر كتاب القدر لابن وهب ص٩٣-٩٤، ورواه البيهقي في الأسماء والصفات(٤١٣) ، وقال : هذا موقوف، ورواه الطبري في تفسيره (٢٥/ ٩) من طريق ابن وهب، وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/ ١٠٨) .

(٥) هو : يونس بن يزيد بن أبي النجاد، سبقت ترجمته ص (١٤٥) .

(٦) هو : عبدالرحمن بن عمرو، ثقة، سبقت ترجمته ص (١٥٠) .

(٧) ساقطة من ت .

(٨) في ت : بهذا الموضع زيادة لفظة هي : « مثوراً »، وهذه الزيادة ليست في كتاب القدر لابن وهب .

(٩) انظر كتاب القدر لابن وهب ص(١١٧) . وهذا الأثر منقطع، حيث لم تذكر الواسطة بين عبدالله بن عمرو والأوزاعي، وروى نحوه عبدالله ابن الإمام أحمد في كتاب السنة =

وذكر أبوداود: حدثنا يحيى بن حبيب[١]، حدثنا معتمر[٢]، حدثنا أبي[٣]، عن أبي العالية[٤] في قوله عز وجل: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[٥] قال: صاروا (فريقين)[٦] وقال لمن سوَّد وجوههم وغيَّرهم: ﴿ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾، قال: هو الإيمان الذي كان حيث كانوا أمة واحدة مسلمين[٧].

= (١/ ٤٣٢) عن عبدالله بن عمر، ط. الأولى، سنة ١٤٠٦هـ، تحقيق د. محمد القطحاني، نشر دار ابن القيم بالدمام.

(١) هو: يحيى بن حبيب بن عربي البصري، ثقة من العاشرة، مات سنة ثمان وأربعين ومائتين، وقيل: بعدها، روى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ٣٤٥)، تهذيب التهذيب (١١/ ١٩٥-١٩٦).

(٢) هو: معتمر بن سليمان التيمي، أبومحمد البصري، يلقب بالطفيل، ثقة من كبار التاسعة، مات سنة سبع وثمانين ومائة، وقد جاوز الثمانين، روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ٢٦٣)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٢٧-٢٢٨)، تاريخ الثقات للعجلي (ص٤٣٣)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٧٧-٤٧٨)، التاريخ الصغير للبخاري (٢/ ٢١٩، ٢٢٢)، مشاهير علماء الأمصار لابن حبان (ص١٦١) نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) هو: سليمان بن طرخان التيمي، أبوالمعتمر البصري، نزل في تيم، فنسب إليهم، ثقة عابد، من الطبقة الرابعة، مات سنة ثلاث وأربعين ومائة، وهو ابن سبع وتسعين، روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٣٢٦)، تهذيب التهذيب (٤/ ٢٠١).

(٤) ثقة كثير الإرسال، سبقت ترجمته في ص (١٦٦).

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٠٦، ١٠٧.

(٦) في ت: فرقتين.

(٧) المذكور في أول السند هو أبوداود، سليمان بن الأشعث السجستاني، صاحب السنن، وقد بحثت عن هذا الأثر في السنن فلم أجده، ولعله أخرجه في كتاب القدر. والذي لم أقف عليه. ووجدت هذا الأثر عند ابن أبي حاتم في تفسيره ق (٥٥) مخطوط، محفوظ أصله =

قال أبوداود : وحدثنا موسى بن إسماعيل[١]، حدثنا حمّاد[٢]، حدثنا أبونعامة السعدي[٣] قال : كنا عند (أبي)[٤] عثمان (النهدي[٥])[٦] فحمدنا الله عز وجل (فذكرناه ودعوناه)[٧] فقلت : لأنا بأول هذا الأمر أشد فرحاً مني بآخره . فقال أبوعثمان : ثبَّتك الله، كنا عند سلمان، فحمدنا الله عز وجل وذكرناه (ودعوناه)[٨] فقلت : لأنا بأول هذا الأمر أشد فرحاً مني بآخره . فقال سلمان :

= بالمكتبة المحمودية بالمدينة النبوية تحت رقم (٥٠) تفسير، وتوجد صورة منه بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تحت رقم: ٢٩٦/ ف .

(١) هو : موسى بن إسماعيل المِنْقَري ـ بكسر الميم وسكون النون وفتح القاف ـ أبوسلمة التَّبوذكي ـ بفتح المثناة وضم الموحدة وسكون الواو وفتح المعجمة ـ مشهور بكنيته وباسمه، ثقة ثبت، من صغار التاسعة، ولا التفات إلى قول ابن خراش: تكلم الناس فيه . مات سنة ثلاث وعشرين ومائتين . روى له الستة، تقريب التهذيب (٢/ ٢٨٠)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٣٣٣-٣٣٤) .

(٢) هو : حماد بن سلمة . كما بيّنته الكتب التي روت الحديث . وهو ثقة ، سبقت ترجمته ص (١٨١) .

(٣) هو: أبونعامة السعدي البصري، اسمه عبدربه، وقيل : عمرو، ثقة من السادسة، روى عن أبي عثمان النهدي وغيره، وروى عنه حماد بن سلمة وغيره، روى له مسلم وأبوداود والترمذي والنسائي . تقريب التهذيب (٢/ ٤٨١)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٢٥٧) .

(٤) في ت : ابن .

(٥) في ت : المهدي .

(٦) هو : عبدالرحمن بن مل ـ بلام ثقيلة والميم مثلثة ـ أبوعثمان النهدي ـ بفتح النون وسكون الهاء ـ مشهور بكنيته، مخضرم من كبار الثانية، ثقة ثبت عابد، مات سنة خمس وتسعين، وقيل بعدها، وعاش مائة وثلاثين سنة، وقيل : أكثر، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٤٩٩)، تهذيب التهذيب (٦/ ٢٧٧)، سير أعلام النبلاء (٤/ ١٧٥) .

(٧) في ت : فذكرنا ودعونا .

(٨) في م : ودعونا .

ثبّتك الله، إن الله تبارك وتعالى لما خلق آدم مسح ظهره، فأخرج من ظهره ما هو (ذارئ)[(١)] إلى يوم القيامة، فخلق الذكر والأنثى، والشقاوة والسعادة، والأرزاق، والآجال، والألوان، ومن علم السعادة فعل الخير ومجالس الخير، ومن علم الشقاوة فعل الشر ومجالس الشر[(٢)].

وقال أبوداود : حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد، أخبرنا عطاء بن السائب[(٣)] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : مسح ربك تعالى ظهر آدم فأخرج منه ما هو (ذارئ)[(٤)] إلى يوم القيامة، فأخذ عهودهم ومواثيقهم، قال سعيد: فيرون أن القلم جف يومئذ[(٥)].

وقال الضحاك[(٦)] : خرجوا كأمثال الذرّ ثم

---

(١) في ت : كائن .

(٢) رواه الفريابي في القدر ص١٥٨، ومن طريقه رواه الآجري في الشريعة ص٢٠٥-٢٠٦، واللالكائي في السنة (٤/ ٦٧٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٠٢) ونسبه لعبد ابن حميد .

(٣) هو : عطاء بن السائب، أبومحمد، ويقال : أبوالسائب الثقفي الكوفي، صدوق اختلط، من الخامسة، مات سنة ست وثلاثين ومائة . روى له البخاري وقرنه بآخر، روى له الأربعة . تقريب التهذيب (٢/ ٢٢)، تهذيب التهذيب (٧/ ٢٠٣-٢٠٧)، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي ص٢٦٦. ط. الثانية ١٣٩١هـ، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.

(٤) في ت : كائن .

(٥) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٢٤٢)، بنحوه من رواية أبي صالح عن ابن عباس . ط. الأولى ١٤١٠هـ تحقيق د. مصطفى مسلم، نشر مكتبة الرشد بالرياض . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٩٨)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

(٦) هو : الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبوالقاسم، أو أبومحمد الخراساني، صدوق كثير =

أعادهم[١].

فهذه (الآثار)[٢] وغيرها تدل على أن الله سبحانه وتعالى قدّر أعمال بني آدم وأرزاقهم، وآجالهم، وسعادتهم، وشقاوتهم، عقيب خلق أبيهم، وأراهم لأبيهم آدم، وصوَّرهم، وأشكالهم وحلاهم، وهذا ـ والله أعلم ـ أمثالهم وصورهم.

وأما تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[٣] الآية (به)[٤] ففيه ما فيه، و حديث عمر[٥] لو صح لم يكن تفسيراً للآية، وبيان أن ذلك هو المراد بها، فلا يدل الحديث عليه، ولكن الآية دلَّت على أن هذا الأخذ من بني آدم، لا من آدم، وأنه من ظهورهم لا من ظهره، وأنهم ذرياتهم، أمة بعد أمة، وأنه إشهاد تقوم به (عليهم)[٦] الحُجّة له سبحانه، فلا يقول الكافر يوم القيامة: كنت غافلاً عن هذا، ولا يقول الولد (المشرك)[٧]: أشرك أبي وتبعته، فإن ما فطرهم الله عليه من الإقرار بربوبيته، وأنه ربهم، وخالقهم وفاطرهم حجة / عليهم، ثم دل حديث عمر وغيره على أمر آخر لم تدل عليه الآية وهو القدر السابق والميثاق

١١٤أ

= الإرسال، قال ابن عدي: عرف واشتهر بالتفسير، من الطبقة الخامسة، مات بعد المائة، روى له الأربعة، تقريب التهذيب (١/ ٣٧٣)، تهذيب التهذيب (٤/ ٤٥٣-٤٥٤)، والكامل لابن عدي (٤/ ١٤١٥) ط الأولى ١٤٠٤هـ نشر دار الفكر، بيروت.

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٠٧) ونسبه إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٢) إضافة من: ت.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٧٢.

(٤) ساقطة من: ت.

(٥) انظر تخريجه في ص (١٧١).

(٦) إضافة من: ت.

(٧) إضافة من: ت.

الأول، وهو سبحانه لا يحتج عليهم بذلك، وإنما يحتج عليهم برسله، وهو الذي دلت عليه الآية، فتضمّنت الآية، والأحاديث إثبات القدر والشرع، وإقامة الحجة، والإيمان بالقدر، فأخبر النبي ﷺ لما سُئل عنها بما يحتاج العبد إلى معرفته والإقرار به معها . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثالث

في ذكر احتجاج آدم وموسى في ذلك وحكم النبي ﷺ لآدم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

الباب الثالث

في ذكر احتجاج آدم وموسى في ذلك وحكم النبي ﷺ لآدم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم، أنت أبونا خيّبتنا**[1] **وأخرجتنا من الجنة. فقال آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخطَّ لك التوراة بيده، أتلومني على أمرٍ قدَّره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة**»؟ فقال النبي: «**فحجَّ آدمُ موسى، فحجَّ آدمُ موسى**»[2][3].

وفي رواية: «**كتب لك التوراة بيده**»[4].

وفي لفظ آخر: «**تحاجَّ آدمُ وموسى، فحجَّ آدم موسى، فقال له موسى: أنت آدم الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة؟ فقال: آدم: أنت موسى الذي (أعطاه)**[5] **الله علم كل شيء، واصطفاه على الناس برسالته؟ قال: نعم، قال: أفتلومني على أمرٍ (قُدِرَ عليَّ)**[6] **قبل أن أُخلَق**»[7].

---

(١) الخيبة: الحرمان والخسران. النهاية لابن الأثير (٢/ ٩٠).

(٢) «فحجَّ آدمُ موسى» وردت في نسخة ت مرة واحدة، وما أثبت من م، وصحيح مسلم.

(٣) رواه البخاري في (٧/ ١٤) كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله عز وجل، ومسلم (٤/ ٢٠٤٢-٢٠٤٣) كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام. واللفظ له. وأبوداود في سننه (١٢/ ٤٦٨) كتاب السنة باب في القدر، والنسائي في الكبرى، كتاب التفسير (١/ ١٦٢-١٦٥)، وابن ماجه في سننه (١/ ٣١) المقدمة، باب في القدر، والإمام احمد في مسنده (٢/ ٢٤٨)، كلهم من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاووس عن أبي هريرة.

(٤) هذه الرواية أخرجها مسلم (٤/ ٢٠٤٣) كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام.

(٥) في ت: أعطاك.

(٦) في ت: قدَّره الله عليَّ

(٧) رواه مسلم (٤/ ٢٠٤٣) كتاب القدر ـ باب حجاج آدم وموسى عليهم السلام، من طريق=

وفي لفظ آخر : « احتج آدمُ وموسى عند ربهما فحجَ آدمُ موسى ، فقال موسى : أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وأسكنك في جنته ، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض ؟ قال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه ، وأعطاك الألواح فيها تبيانُ كل شيء، وقرَّبك نجياً ، فبِكَم وجدتَ الله كتب التوراة قبل أن أُخلق ؟ قال موسى : بأربعين عاماً . قال آدم : هل وجدت فيها : ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾[1] . قال : نعم . قال : أفتلومني على أن عملتُ / عملاً كتبه الله عليَّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة » ؟ قال رسول الله : «فحجَ آدمُ موسى»[2] . ١٤ب

وفي لفظ آخر : « احتج آدم وموسى ، فقال له موسى : أنت (آدم)[3] الذي أخرجتنا خطيئتك من الجنة»، وذكر الحديث . متفق (عليه[4])[5] .

وهذا التقدير بعد التقدير الأول السابق (لخلق)[6] السماوات (والأرض)[7] بخمسين ألف سنة .

= قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة مرفوعاً، ورواه الإمام مالك في الموطأ (ص٥٦٠) كتاب القدر ، باب النهي عن القول بالقدر .

(١) سورة طه ، آية ١٢١ .

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٠٤٣) ك . القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام .

(٣) ما بين القوسين ساقط من م .

(٤) في م ، د ، س : على صحته.

(٥) رواه البخاري (٤/ ٣١) كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعده . ورواه أيضاً (٨/ ٢٠٣) كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : ﴿ وكلَّم الله موسى تكليماً ﴾ ، ورواه مسلم (٤/ ٢٠٤٤) كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام .

(٦) في م ، د ، س : بخلق .

(٧) ساقطة من م ، د ، س .

وقد ردَّ هذا الحديث من لم يفهمه من المعتزلة كأبي علي (الجُبَّائي[(١)])[(٢)] ومن وافقه على ذلك، وقال: لو صحَّ لبطلت نبوات الأنبياء، فإن القدر إذا كان حجة للعاصي بطل الأمر والنهي، فإن العاصي بترك الأمر، أو فعل النهي إذا صحت له الحجة بالقدر السابق ارتفع اللوم عنه[(٣)].

وهذا من ضلال فريق الاعتزال وجهلهم بالله ورسوله وسنته، فإن هذا الحديث صحيح متفق على صحته، لم تزل الأمة تتلقاه بالقبول من عهد نبيها قرناً بعد قرن، وتقابله بالتصديق والتسليم، ورواه أهل الحديث في كتبهم، وشهدوا به على رسول الله ﷺ أنه قاله، وحكموا بصحته، فما لأجهل الناس بالسنة، ومن

---

(١) في ت: الجبار.

(٢) هو: أبوعلي، محمد بن عبدالوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان، الجُبَّائي ـ نسبة إلى جُبَّى ـ بالضم ثم التشديد، بلد أو كورة من أعمال خوزستان، شيخ المعتزلة، وإليه تنسب فرقة الجُبَّائية، ولد سنة (٢٣٥هـ)، أخذ عن أبي يعقوب الشحام ـ أحد رجال المعتزلة ـ وأخذ عنه ابنه أبوهاشم، وأبوالحسن الأشعري، ثم خالفه ونابذه بعد مناظرته إياه، وله مصنفات كثيرة، منها: الأصول، والنهي عن المنكر، والتعديل والتجويز، وغيرها. توفي بالبصرة سنة (٣٠٣هـ). انظر عنه وعن آرائه: سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٨٣-١٨٤)، ومقالات الإسلاميين (ص٦٢٢-٦٢٤)، تصحيح هلموت ريتر، ط. الثالثة، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (ص٤٣)، والفرق بين الفِرَق لعبدالقاهر البغدادي (ص١٦٧-١٦٩)، الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٠هـ نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت، والملل والنحل (١/ ٧٨). والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان للسكسكي (ص٥١)، تحقيق د. بسام العموش، ط. الأولى ١٤٠٨هـ نشر مكتبة المنار بالأردن. ومعجم البلدان (٢/ ٩٧).

(٣) لم أعثر على قول الجُبَّائي في رد هذا الحديث فيما رجعت إليه من كتب المعتزلة، وقد ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى (٨/ ٣٠٤).

عرف بعداوتها ، وعداوة حملتها والشهادة عليهم بأنهم مجسمة[١] ومشبهة[٢] ، حشوية[٣] (نوابت)[٤] وهذا الشأن ؟ .

ولم يزلْ أهل الكلام الباطل المذموم موكلين برد أحاديث رسول الله ﷺ التي تخالف قواعدهم الباطلة ، وعقائدهم الفاسدة، كما ردوا أحاديث الرؤية ، وأحاديث علو الله على خلقه ، وأحاديث صفاته القائم به ، وأحاديث الشفاعة ،

---

(١) تصف المعتزلة أهل السنة بأنهم مجسِّمة ؛ لقولهم إن الله عز وجل تكلَّم بالقرآن بحرف وصوت . البرهان (ص٩٥) .

(٢) تصفهم المعتزلة والجهمية بأنهم مشبِّهة ؛ لقولهم بإثبات الصفات لله تعالى من العلم والقدرة والحياة وغير ذلك من صفاته جل جلاله . البرهان (ص٩٥) .

(٣) وذلك لكثرة حرصهم على طلب الأحاديث وكلام السلف الصالح، وقد ذكر المؤلف رحمه الله تعالى في نونيته (٢/ ٧٦-٧٩) المطبوعة مع شرح ابن عيسى أن أول من نطق بلقب « الحشوية » هو عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة، وأنه سمَّى بذلك عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فقال :

ومـن العجائـب قولهـم لمـن اقـتدى	بـالوحي مـن أثـر ومـن قـرآن
حشـوية يعـنون حشـواً في الوجـود	وفضـلة في أمـة السـلطان

وقال أيضاً :

يـا قـوم إن كـان الكـتاب وسـنة الـ	مخـتار حشـواً فاشـهدوا ببـيان
إنـا بحمـد إلهـنا حشـوية	صـرف بـلا جحـد ولا كـتمان
تـدرون مـن سمـت شـيوخكم	بهـذا الاسـم في الماضـي مـن الأزمـان
سَـمَّى بـه ابـنُ عبـيد عـبدَالله ذا	ك ابـن الخلـيفة طـارد الشـيطان
فورثـتم عمـراً كمـا ورثـوا لعبد الـ	ـلـه أنـى يسـتوي الإرثـان

انظر : تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص٥٥) نشر دار الكتاب العربي، بيروت . وفتاوى ابن تيمية (٥/ ١١١)، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (ص٩٥) ، وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار (ص٥٢٧) وقد سمى أهل السنة بذلك الاسم .

(٤) ساقطة من د ، س .

وأحاديث نزوله إلى سمائه ، ونزوله إلى الأرض للفصل بين عباده، وأحاديث تكلمه بالوحي كلاماً يُسمعه من شاء من خلقه حقيقةً ، إلى أمثال ذلك .

وكما ردّت الخوارج[١] والمعتزلة أحاديث خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة وغيرها، وكما ردّت الرافضة[٢] أحاديث فضائل الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة ، وكما ردّت / المعطلة أحاديث الصفات (والأفعال ١٥أ الاختيارية ، وكما ردت القدرية المجوسية أحاديث القضاء)[٣] والقدر السابق ـ

---

(١) سموا بهذا الاسم لخروجهم على علي بن أبي طالب ﷺ حين كرهوا التحكيم، ومضوا عنه ونزلوا بأرض يُقال لها : حروراء ـ قرب الكوفة ـ فسموا ـ أيضاً ـ حرورية، ولهم أسماء أخرى . وهم يكفرون مرتكب الكبيرة، ويقولون: إنه مخلد في النار، ويقولون بالخروج على أئمة الجور، ويكفرون عثمان وعلي بن أبي طالب وطلحة والزبير وعائشة ويقرون بصحة إمامة أبي بكر وعمر ويعظمونهما رضي الله عنهم أجمعين ، وللخوارج فرق كثيرة . انظر اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٤٦)، والملل والنحل (١/ ١١٤) والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (ص١٧)، والفرق بين الفرق (ص٥٤ وما بعدها).

(٢) سموا بهذا الاسم لرفضهم زيد بن علي بن أبي طالب لما تولى أبابكر وعمر رضي الله عنهما وقال بإمامتهما ، فقال زيد : رفضوني، فسُموا رافضة، أو لكونهم رفضوا أبابكر وعمر رضي الله عنهما ، وهم يقولون بإثبات الإمام عقلاً ، وأن إمامة علي ﷺ وتقديمه ثابتة نصاً، وأن الأئمة معصومون لا يجوز عليهم الغلط والسهو والخطأ ؛ وأنكروا إمامة المفضول والاختيار، وقالوا بتفضيل علي على سائر الصحابة، وأنه الإمام بعد رسول الله ﷺ، وتبرأوا من أبي بكر وعمر وكثير من الصحابة رضي الله عنهم . وقالوا : إن الأمة ارتدت بتركها إمامة علي ﷺ ، وأكثرهم يزعم أن الله تعالى لا يعلم ما يكون قبل أن يكون، ويقولون برجعة الأموات إلى الدنيا قبل يوم الحساب ، وهم فرق كثيرة. انظر : البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (ص٦٥)، ومقالات الإسلاميين (ص١٦)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٥٢) .

(٣) ما بين القوسين ساقط من ت .

وكل من أصَّل أصلاً لم يؤصِّله اللهُ ورسوله قاده قسراً إلى رد السنة وتحريفها عن مواضعها . فلذلك لم يؤصِّل حزبُ الله ورسوله أصلاً غير ما جاء به الرسول ﷺ، فهو أصلهم الذي عليه يعولون، و(آخيتهم)[١] التي إليها يرجعون .

ثم اختلف الناس في فهم هذا الحديث ووجه الحجة التي توجهت لآدم على موسى . فقالت فرقة : إنما حجَّه لأن آدم أبوه، فحَجَّه كما يحج الرجل ابنه .

وهذا الكلام (لا تحصيل)[٢] فيه البتة ، فإن حجة الله يجب المصير إليها مع الأب كانت أو (مع)[٣] الابن أو العبد أو السيد، ولو حجّ الرجلُ أباه بحق وجب المصير إلى الحجة .

وقالت فرقة : إنما حَجَّه؛ لأن الذنب كان في شريعة ، واللوم كان في شريعة .

وهذا من جنس ما قبله ، إذ لا تأثير لهذا في الحجة بوجه، وهذه الأمة تلوم الأمم المخالفة لرسلها المتقدمة عليها وإن كان لم تجمعهم شريعة واحدة، ويقبل الله شهادتهم عليهم وإن كانوا من غير أهل شريعتهم[٤] .

---

(١) في د : واجنتهم . وفي س : وجنتهم .

(٢) في م ، د ، س : لا محصل .

(٣) إضافة من ت .

(٤) في هذا الكلام إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ سورة البقرة ، آية ١٤٣ .

وإلى الحديث الذي رواه أبوسعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « **يجيء نوح وأمته فيقول الله تعالى : هل بلغت ؟ فيقول: نعم أي رب. فيقول لأمته: هل بلغكم ؟ فيقولون : لا ما جاءنا من نبي . فيقول لنوح : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد ﷺ وأمته، فنشهد أنه قد بلّغ ، وهو قوله جل ذكره : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ والوسط العدل** » .

والحديث رواه البخاري في (٤/ ١٠٥) كتاب الأنبياء ، باب قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾، وفي (٥/ ١٥١) كتاب التفسير ، تفسير سورة البقرة، باب قوله تعالى : =

وقالت فرقةٌ أخرى : إنما حَجَّه؛ لأنه كان قد تاب من الذنب، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، ولا يجوز لومه .

وهذا وإن كان أقرب مما قبله، فلا يصح لثلاثة أوجه :

أحدها : أن آدم لم يذكر ذلك الوجه، ولا جعله حجة على موسى ، ولم يقل: أتلومني على ذنب قد تبتُ منه .

الثاني : أن موسى أعرف بالله سبحانه وبأمره ودينه من أن يلوم على ذنب قد أخبره الله سبحانه أنه قد تاب على فاعله واجتباه بعده وهداه ، فإن هذا لا يجوز لآحاد المؤمنين أن يفعله فضلاً عن كليم الرحمن .

الثالث : أن هذا يستلزم إلغاء ما علَّق به النبي ﷺ وجه الحجة واعتبار ما ألغاه، فلا يُلتفت إليه .

وقالت فرقة أخرى : إنما حَجَّه لأنه لامَهُ في غير دار التكليف، ولو لامَهُ في دار التكليف لكانت الحجة لموسى عليه[1] .

وهذا أيضاً فاسد من وجهين :

= ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ ، وفي (٨/ ١٥٦) كتاب الاعتصام ، باب قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ . والترمذي (٥/ ١٩٠-١٩١) كتاب تفسير القرآن ، باب تفسير سورة البقرة ، وقال : حديث حسن صحيح . والنسائي في سننه الكبرى ، كتاب التفسير (١/ ١٩٥-١٩٧) . والإمام أحمد (٣/ ٩، ٣٢، ٥٨) . وابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٨) . وأبويعلى في مسنده (٢/ ٣٩٧). والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٢٨١). وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٤/ ٣٩٧) و(١٦/ ١٩٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٤٩) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

(١) ذكر هذه الأوجه الأربعة شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٨/ ٣٠٥). حيث قال : وفريق تأوّلوا هذا الحديث بتأويلات معلومة الفساد، ثم ذكرها .

١٥ب أحدهما : أن آدم لم يقل له / لُمتَني في غير دار التكليف ، وإنما قال : أتلومني على أمرٍ قُدِّر عليَّ قبل أن أُخلق ، فلم يتعرض للدار، وإنما احتج (بالقدر)[١] السابق.

الثاني : أن الله سبحانه يلوم الملومين من عباده في غير دار التكليف ، فيلومهم بعد الموت ، ويلومهم يوم القيامة .

وقالت فرقة أخرى : إنما حَجَّه؛ لأن آدم شهد الحكم وجريانه على الخليقة وتفرد الربُّ سبحانه بالربوبية ، وأنه (لا تتحرك)[٢] ذرة إلا بمشيئته وعلمه ، وأنه لا راد لقضائه وقدره، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

قالوا : ومشاهدة العبد الحكم لا يدع له استقباح سيئة ؛ لأنه شهد نفسه عدماً محضاً ، والأحكام جاريةٌ عليه (مُصرِّفَةً[٣]) لـه ، وهو مقهور مربوب مدبر ، لا حيلة له ولا قوة له .

قالوا : ومن شهد هذا المشهد سقط عنه اللوم[٤].

وهذا المسلك أبطلُ مسلكٍ سُلِكَ في هذا الحديث، وهو شرٌّ من مسلك القدرية في رده، وهم إنما ردوه إبطالاً لهذا القول ورداً على قائليه، (وأصابوا)[٥] في ردهم عليهم، وإبطال قولهم ، وأخطؤوا في رد حديث رسول الله ﷺ ، فإن هذا المسلك لو صح لبطلت الديانات جملة ، وكان القدر حجة لكل مشرك وكافر وظالم، ولم يبقَ للحدود معنى، ولا يُلام جانٍ على جنايته ، ولا ظالـمٌ على ظلمه،

---

(١) في د ، س : في القدر .

(٢) في م ، د ، س : لا تحرك .

(٣) في د ، س : معروفة .

(٤) ذكر هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية، ونسبه إلى كثير من متأخري الصوفية المدَّعين للحقيقة. انظر : الفتاوى (٨/ ٣٠٥) .

(٥) في ت : وأجادوا .

ولا يُنكر منكَرٌ أبداً ، ولهذا قال شيخ الملحدين ابن سينا[١] في إشاراته : العارف لا ينكر منكراً لاستبصاره بسرّ الله تعالى في القدر[٢].

وهذا كلامُ منسلِخ من الملل ومتابعة الرسل ، وأعرف خلق الله به رسلُه وأنبياؤه ، وهم أعظم الناس إنكاراً للمنكر، وإنما أُرسلوا (بإنكار المنكر)[٣]، فالعارف أعظم الناس إنكاراً للمنكر لبصرته بالأمر والقدر، فإن الأمر يوجب عليه الإنكار، والقدر يُعينه عليه وينفذه له، فيقوم في مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٤] وفي مقام / ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾[٥] فيعبده بأمره وقدره، ١١٦أ ويتوكل عليه في تنفيذ أمره بقدره، فهذا حقيقة المعرفة ، وصاحب هذا المقام هو العارف بالله، وعلى هذا أجمعت الرسل من أولهم إلى خاتمهم .

(وأما)[٦] من يقول :

أصبحتُ منفعلاً لما يختاره ... مني ففعلي كله طاعات[٧]

---

(١) هو : الحسين بن عبدالله بن سينا ، أبوعلي شرف الملك الفيلسوف الرئيس ، ولد سنة ٣٧٠ في إحدى قرى بخارى، كان هو وأبوه من أهل دعوة الحاكم من القرامطة الباطنيين ، من كتبه « الشفاء » و « الإشارات » ، توفي سنة ٤٢٨هـ لسان الميزان (٢/ ٢٩١-٢٩٢)، والرد على المنطقيين (ص١٤١) ، وإغاثة اللهفان لابن قيم الجوزية (٢/ ٢٦٦) تصحيح محمد الفقي ، نشر دار المعرفة، بيروت، والأعلام (٢/ ٢٤١-٢٤٤) .

(٢) انظر : كتاب الإشارات والتنبيهات لابن سينا (٤/ ١٠٤) تحقيق سليمان دنيا ، ط. الثانية ١٣٨٨هـ نشر دار المعارف، القاهرة ، ونص العبارة فيه : « العارف لا يعنيه التجسس والتحسس، ولا يستهويه الغضب عند مشاهدة المنكر، كما تعتريه الرحمة؛ فإنه مستبصر بسر الله في القدر » .

(٣) في د ، س : لإنكار المنكر .

(٤) سورة الفاتحة ، آية ٥ .

(٥) سورة هود ، آية : ١٢٣ .

(٦) في ت : وانشا .

(٧) لم أعثر على اسم قائله، وسبق أن ذكره المؤلف في (ص ١٢٤) .

(ويقول : أنا)(١) وإن عصيت أمره فقد أطعت إرادته ومشيئته .

ويقول : العارف لا ينكر منكراً لاستبصاره بسر الله في القدر ، فخارج عما عليه الرسل قاطبة، وليس هو من أتباعهم .

وإنما حكى الله سبحانه الاحتجاج بالقدر عن المشركين أعداء الرسل، فقال تعالى : ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾(٤) .

وقال تعالى ﴿ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾(٥) .

فهذه أربع مواضع حكى فيها الاحتجاج بالقدر عن أعدائه ، وشيخهم

---

(١) ما بين القوسين ساقط من ت .

(٢) سورة الأنعام ، آية :١٤٨-١٤٩ .

(٣) سورة النحل ، آية :٣٥ .

(٤) سورة يس ، آية : ٤٧ .

(٥) سورة الزخرف ، آية :٢٠ .

وإمامهم في ذلك عدوه الأحقر إبليس، حيث احتج عليه بقضائه، فقال : ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١] .

فإن قيل : قد علم (بالمنصوص)[٢] والمعقول صحة قولهم : ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ فإنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وقال تعالى: / ١١٦أ ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾[٣] ، وقال : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾[٤]، فكيف أكذبهم، ونفى عنهم العلم، وأثبت لهم الخرص فيما هم فيه صادقون ، وأهل السنة جميعاً يقولون : لو شاء الله ما أشرك به مشرك، ولا كفر به كافر، ولا عصاه أحدٌ من خلقه ، فكيف ينكر عليهم ما هم فيه صادقون ؟

قيل: (بل)[٥] أنكر سبحانه عليهم ما هم فيه أكذب الكاذبين وأفجر الفاجرين، ولم ينكر عليهم صدقاً ولا حقاً ، بل أنكر عليهم أبطل الباطل ، فإنهم لم يذكروا (ما ذكروه)[٦] إثباتاً لقدره وربوبيته ووحدانيته، وافتقاراً إليه، وتوكلاً عليه، واستعانة به[٧]، ولو قالوا كذلك لكانوا مصيبين، وإنما قالوه معارضين (به)[٨] لشرعه ودافعين به لأمره، فعارضوا شرعه وأمره، ودفعوه بقضائه وقدره، ووافقهم على ذلك كل من عارض الأمر ودفعه بالقدر، وأيضاً فإنهم احتجوا بمشيئته العامة وقدره على

---

(١) سورة الحجر ، آية : ٣٩ .

(٢) في م ، د ، س : بالنصوص .

(٣) سورة الأنعام : آية ١١٢ .

(٤) سورة السجدة ، آية ١٣ .

(٥) ساقطة من ع ، د ، س .

(٦) في ع : ما ذكره .

(٧) في د : واستعانة به (لأمره) . وهذه الزيادة لم أجدها في النسخ الخطية .

(٨) ساقطة من ع، د .

محبته لما (شاء)[(١)]، ورضاه به، وإذنه فيه، فجمعوا بين أنواعٍ من الضلال: معارضة الأمر بالقدر، ودفعه به، والإخبار عن الله أنه يحب ذلك منهم ويرضاه، حيث شاءه وقضاه، وأن لهم الحجة على الرسل بالقضاء والقدر .

وقد ورّثهم في هذا الضلال وتبعهم عليه طوائف من الناس مِمَّن يَدَّعي التحقيقَ والمعرفة، أو يُدَّعَى فيه ذلك، وقالوا : العارف إذا شاهد الحكم سقط عنه اللوم، وقد وقع في كلام شيخ الإسلام أبي إسماعيل عبدالله بن محمد الأنصاري[(٢)] ما يُوهِم ذلك، وقد أعاذه الله منه، فإنه قال في باب التوبة من «منازل السائرين» : ولطائف (أسرار)[(٣)] التوبة ثلاثة أشياء :

أولها : أن تنظر (بين)[(٤)] الجناية والقضية، فتعرف مراد الله فيها إذ خلاّك وإتيانها، فإن الله تعالى إنما يخلي العبد والذنب لأحد معنيَين :

أن يعرف (عزته)[(٥)] في قضائه ، وبِرّه في ستره ، وحلمه في إمهال راكبه ، وكرمه في قبول العذر/ منه ، وفضله في (مغفرته)[(٦)]. ١٧أ

---

(١) في ع : شاء له .

(٢) هو : عبدالله بن محمد بن علي بن محمد الأنصاري الهروي، أبوإسماعيل من ذرية أبي أيوب الأنصاري ، من كبار الحنابلة ، قال المؤتمن : كان آية في لسان التذكير والتصوف، من سلاطين العلماء ، وكان يدخل على الأمراء والجبابرة فما يبالي. قال الذهبي : ولقد بالغ أبوإسماعيل في كتابه « ذم الكلام » على الاتباع فأجاد، ولكن له نَفَس عجيب لا يشبه نَفَس أئمة السلف في كتابه « منازل السائرين » ، ففيه أشياء مطربة، وفيه أشياء مشكلة، ومن تأمّله لاح له ما أشرتُ إليه . اهـ. وقد طبع هذا الكتاب منفرداً وطبع مع عدة شروح له ، أفضلها « مدارج السالكين » للإمام ابن القيم. وقد تُوفي أبوإسماعيل سنة ٤٨١هـ ، وكان مولده سنة ٣٩٦هـ . سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٠٣-٥١٨) .

(٣) ساقطة من ع، د ، س .

(٤) في ع، د، س : في .

(٥) في ع، د، س : عبرته . وما أثبت من منازل السائرين وبقية النسخ .

(٦) في ت : معرفته . وما أثبت من منازل السائرين وبقية النسخ .

والثاني : ليُقيم على العبد حجة عدله، فيُعاقبه على ذنبه بحجته .

واللطيفة الثانية : أن يعلم أن طلب البصير الصادق (سيئته)[١] لم تبقَ له حسنة بحال؛ لأنه يسير بين مشاهدة المنة ، وتطلب (عيب)[٢] النفس والعمل .

واللطيفة الثالثة : أن مشاهدة العبد الحكم لم تدع له استحسان حسنة ، ولا استقباح سيئة ؛ لصعوده من جميع المعاني إلى معنى الحكم[٣] »[٤] .

---

(١) في د ، س : سئته . وما أثبت من منازل السائرين ، وبقية النسخ .

(٢) في ت : عين . وما أثبت من منازل السائرين وبقية النسخ .

(٣) انظر منازل السائرين ص١٣-١٤ ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة ١٤٠٨هـ.

(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ بعد أن ذكر قول من قال: إن المعاصي يحبها الله ويرضاها كما يريدها : « وشاع هذا القول في كثير من الصوفية، فوافقوا جهماً في مسائل الأفعال والقدر ، وخالفوه في الصفات كأبي إسماعيل الأنصاري، صاحب « ذم الكلام »، فإنه من المبالغين في ذم الجهمية في نفي الصفات، وله كتاب في تكفير الجهمية، ويبالغ في ذم الأشعرية، مع أنهم من أقرب هذه الطوائف إلى السنة ، وربما كان يلعنهم ... ، وهو مع هذا في مسألة إرادة الكائنات وخلق الأفعال أبلغ من الأشعرية ، لا يثبت سبباً ولا حكمة، بل يقول: إن مشاهدة العارف الحكم لا يُبقي له استحسان حسنة ولا استقباح سيئة ، والحكم عنده هو المشيئة؛ لأن العارف عنده من يصل إلى مقام الفناء ، والحسنة والسيئة يفترقان في حظ العبد؛ لكونه ينعم بهذه ويعذب بهذه ، والالتفات إلى هذا من حظوظ النفس، ومقام الفناء ليس فيه إلا مشاهدة مراد الحق، والأشعري لما أثبت الفرق بين هذا وهذا من جهة المخلوق كان أعقل منهم ، فإنهم يدّعون أن العارف لا يفرّق ، وغلطوا في حق العبد ، وحق الرب ، أما العبد فيلزمهم أن يستوي عنده جميع الحوادث، وهذا محال قطعاً ، فعزلوا الفرق الرحماني، وفرقوا بالطبعي الهوائي الشيطاني، ومن هنا وقع خلق منهم في المعاصي ، وآخرون في الفسوق ، وآخرون في الكفر حتى جوّزوا عبادة الأصنام ، ثم كثير منهم ينتقل إلى الوحدة، ويصرحون بعبادة كل موجود» . انظر الفتاوى (٨/ ٢٣٠-٢٣١، ٣٣٩) ومدارج السالكين للمؤلف (١/ ٢٢٧) تصحيح محمد الفقي، ط. الثانية ١٣٩٣هـ نشر دار الكتب العلمية ، بيروت .

فهذا الكلام (الأخير)[1] ظاهره يبطل استحسان الحسن ، واستقباح القبيح، والشرائع كلها مبناها على استحسان هذا واستقباح هذا، بل مشاهدة الحكم تزيد البصير استحساناً للحسن واستقباحاً للقبيح، وكلما ازدادت معرفته بالله وأسمائه وصفاته وأمره قوِيَ استحسانه واستقباحه ، فإنه يوافق في ذلك ربه ورسله ومقتضى الأسماء الحسنى والصفات العُلى .

وقد كان (حال)[2] شيخ الإسلام في ذلك موافقاً للأمر ، وغضبه لله ولحدوده ومحارمه ، ومقاماته في ذلك شهيرةٌ عند الخاصة والعامّة ، وكلامه المتقدم بيِّن في رسوخ قدمه في استقباح ما قبّحه الله، واستحسان ما حسّنه الله ، وهو كالمحكم فيه، وهذا متشابه فيرد إلى محكم كلامه، والذي يليق به ما ذكره شيخنا أبوالعباس أحمد بن إبراهيم الواسطي[3] رحمه الله في شرحه[4]، فذكر قاعدة في الفناء[5]

---

(١) ساقطة من ع .

(٢) ساقطة من ع، د، س .

(٣) سبقت ترجمته في المقدمة من ضمن شيوخ المؤلف .

(٤) شرح منازل السائرين. قال ابن رجب : لم يتمه . انظر : الذيل على طبقات الحنابلة (٤/ ٣٦٠) .

(٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « الفناء يُراد به ثلاثة أمور :

أحدها : وهو الفناء الديني الشرعي الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب : وهو أن يفنى عما لم يأمر الله به بفعل ما أمر الله به، فيفنى عن عبادة غيره بعبادته .. إلخ .

وأما الفناء الثاني : وهو الذي يذكره بعض الصوفية، وهو أن يفنى عن شهود ما سوى الله تعالى ، فيفنى بمعبوده عن عبادته، وبمذكوره عن ذكره، وبمعروفه عن معرفته، بحيث قد يغيب عن شعوره بنفسه وبما سوى الله فهذا حال ناقص ، قد يعرض لبعض السالكين ، وليس هو من لوازم طريق الله ، ولهذا لم يعرض مثل هذا للنبي ﷺ والسابقين الأولين ، ومن جعل هذا نهاية السالكين فهو ضال ضلالاً مبيناً ، وكذلك من جعله من لوازم طريق الله، فهو مخطئ بل هو من عوارض طريق الله التي تعرض لبعض الناس دون بعض ليس اللوازم التي تحصل لكل سالك . =

والاصطلام، فقال: «الفناء عبارة عن اصطلام العبد لغلبة وجود الحق وقوة العلم به في العبد، فيزيد بذلك يقينه به، ومعرفته به، وبصفاته سبحانه، فيذهل بذلك كما يذهل الإنسان في أمر عظيم دهمه، فإنه ربما غاب عن شعوره بما دهمه من الأمور المهمة، مثاله: رجل وقف بين يدي سلطان عظيم قاهر من ملوك الأرض فأذهله (عظمة)[1] ما يلاحظه من هيبته وسلطانه عن كثير مما يشعر (به)[2]، وهذا تقريب والأمر فوق ذلك، فكيف بمن أشهده الله عز وجل فردانيته / حيث كان ١٧ ب ولا شيء معه، فرأى الأشياء مواتاً لا قوام لها إلا بقدرته، فشهدها خيالاً (كالهباء)[3] بالنسبة إلى وجود الحق تعالى، وذلك في البصائر القلبية بالكشف الصحيح بعد التصفية والتدريب في القيام بأعباء الشريعة وحمل أثقالها، والتخلُّق بأخلاقها (يصفي)[4] الله عز وجل عبده من درنه، ويكشف لقلبه فيرى حقائق الأشياء، فمتى تجلت على العبد أنوار المشاهدة الحقيقية الروحية الدالة على عظمة الفردانية، تلاشى الوجود الذي للعبد واضمحل، كما يتلاشى الليل إذا أسفر عليه الصبح، ويكون العبد في ذلك آكلاً شارباً، فلا يظهر عليه شيء مغاير لما اعتاده، لكن يزداد إيمانه ويقينه، حتى ربما غطى إيمانه عن قلبه كل شيء في أوقات سكره، ويبقى وجوده كالخيال قائماً بالعبودية في حضرة ذي الجلال،

= **وأما الثالث**: فهو الفناء عن وجود السوى، بحيث يرى أن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق، وأن الوجود واحد بالعين، فهذا قول أهل الإلحاد والاتحاد، الذين هم من أضلّ العباد.

انظر: التدمرية (ص٢٢١-٢٢٢). تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي. ط. الأولى ١٤٠٥هـ.

(١) ساقطة من ع، د، س.

(٢) ساقطة من م.

(٣) ساقطة من ت.

(٤) في ع، س: وصفي، وفي د: ليصفي.

وتعود عليه البصائر الصحيحة في معرفة الأشياء عند صحوه، ثم يزول عنه عدم التميز ، ويقوى على حاله فيتصرف (فيه)[١] ، وذلك هو البقاء، بحيث يتصرف في الأشياء، ولا يحجب عنه ما وجده من الإيمان والإيقان في حال البقاء، بل يعود عليه شعوره الأول بوجود آخر يتولاه الله عز وجل (شهد)[٢] فيه قيامه عليه بتدبيره ، ويصل إلى مقام المراد بعد (عبوره)[٣] على مقام المريد ، فيصير به يسمع، وبه ينطق كما جاء في الحديث الصحيح[٤] .

---

(١) ساقطة من د ، س .

(٢) في م ،ع ، د ، س : مشهده .

(٣) في ت : عثوره .

(٤) يشير إلى الحديث الذي رواه أبوهريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : « **إن الله قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبَّ إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت : سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينَّه ، ولئن استعاذني لأعيذنّه ، وما ترددتُ عن شيء أنا فاعله تردُّدي عن نفس المؤمن، يكره الموت ، وأنا أكره مساءَته** » . والحديث أخرجه :

- البخاري : (٧/ ١٩٠) كتاب الرقاق ، باب التواضع .
- وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان : (٢/ ٥٨) .
- والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٣٢٧-٣٢٨) .
- وأبونعيم في الحلية (١/ ٤-٥) .
- والبغوي في شرح السنة (٥/ ١٩) .
- والبيهقي في سننه (٣/ ٣٤٦) و (١٠/ ٢١٩) .
- وفي الأسماء والصفات (ص٦٢٣) .
- وفي الزهد (ص٢٦٩) ، تحقيق : عامر حيدر ، ط. الأولى ١٤٠٨هـ نشر مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .

=

ووجه آخر: وهو أن الفاني في حال فنائه قبل أن يبلغ إلى مقام البقاء والصحو والتمييز يستتر من قلبه محل الزهد والصبر والورع ، لا بمعنى أن تلك المقامات ذهبت وارتفع عنها العبد ، لكن بمعنى أن الشهود ستر محلها (من القلب)[1] وانطوت واندرجت في ضمن ما وجده اندراج الحال النازل في الحال العالي، فصارت فيما وجده الواجد من وجود الحق ضمناً وتبعاً ، وصار القلب مشتغلاً بالحال الأعلى عن الحال الأدنى، بحيث لو فتّش قلب العبد لوجد فيه الزهد والورع وحقائق / الخوف والرجاء مستوراً بأمثال الجبال من الأحوال الوجودية ١٨أ التي يضيق القلب عن الاتساع لمجموعها (ثم في)[2] حال البقاء والصحو

= وإسناد هذا الحديث من الأسانيد القليلة التي انتقدت على البخاري ، فقد قال الذهبي في ميزان الاعتدال (١/ ٦٤١) في ترجمة خالد بن مخلد ـ أحد رواه الحديث ـ : هذا حديث غريب جداً، لولا هيبة الجامع الصحيح لعدوه في منكرات خالد بن مخلد ؛ وذلك لغرابة لفظه ، ولأنه مما ينفرد به شريك ـ شيخ خالد بن مخلد ـ وليس بالحافظ .

ونقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١١/ ٣٤١) كلام الذهبي ، ثم قال : وشريك شيخ خالد فيه مقال أيضاً ـ وهو راوي حديث المعراج الذي زاد فيه ونقص وقدَّم وأخَّر ـ وتفرد فيه بأشياء لم يُتابع عليها، ولكن للحديث طرق أخرى يدل مجموعها على أن له أصلاً . انتهى كلامهما مختصراً .

وقد فصَّل القول في ذلك الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ١٨٣-١٩٣) .

وقد أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن التردد المذكور في الحديث في الفتاوى (١٠/ ٥٨-٥٩) فقال : بيَّن الله سبحانه أنه يتردد؛ لأن التردد تعارض إرادتين ، فهو سبحانه يحب ما يحب عبده ، ويكره ما يكرهه ، وهو يكره الموت، فهو يكرهه ، كما قال : « **وأنا أكره مساءته** » وهو سبحانه قد قضى بالموت، فهو يريد أن يموت، فسمَّى ذلك تردداً، ثم بيَّن أنه لابد من وقوع ذلك . وانظر أيضاً الفتاوى (١٨/ ١٢٩-١٣١) .

(١) ما بين القوسين ساقط من : ع .

(٢) في د ، س : وفي .

(والتمييز)[١] تعود عليه تلك المقامات بالله لا بوجود نفسه .

إذا علمت ذلك انحلَّ إشكال قوله : « إن مشاهد العبد لم تدع له استحسان حسنة ولا استقباح سيئة لصعوده إلى معنى الحكم » ، أي : أن صفة حكم الله حشت بصيرته وملأتها، فشهد قيام الله تعالى الأشياء وتصرفه فيها وحكمه عليها، فرأى الأشياء كلها منه صادرة عن نفاذ حكمه وتقديره وإرادته القدرية، فغاب بما لاحظ من الجمع عن التمييز والفرق، ويسمى هذا جمعاً؛ لأن العبد اجتمع نظره إلى مولاه في كل حكم وقع في الكون، وفي ملاحظة هذا الحكم الذي صدرت عنه التصرفات اجتمع قلبه ، ولضعف قلبه حين هذا الاجتماع)[٢] لم (يتسع)[٣] للتمييز الشرعي (بين)[٤] الحسن والقبيح ، بمعنى أنه انطوى حكم معرفته بالحسن والقبيح في طي هذه المعرفة الساترة له عن التمييز، لا بمعنى أنه ارتفع عن قلبه حكم التحسين والتقبيح، بل اندرج في مشهده وانطوى بحيث لو (فتش)[٥] لوجد حكم التحسين والتقبيح مستوراً في طي مشهده ذلك ، وبالله التوفيق .

وتلخيص ما ذكره شيخنا رحمه الله أن للفعل وجهين : وجه (هو)[٦] قائم بالرب تعالى : وهو قضاؤه وقدره له، وعلمه به (ومشيئته النافذة فيه الموجدة له .

ووجه هو قائم بالعبد، وهو كسبه له وفعله واختياره)[٧] .

---

(١) ساقطة من : ت .
(٢) ما بين القوسين ساقط من : م .
(٣) في ت : لم يقع .
(٤) في م، ت : من .
(٥) في م، ت : قيس .
(٦) إضافة من ت ، م .
(٧) ما بين القوسين ساقط من : ع، د ، س .

والعبد له ملاحظتان : ملاحظة للوجه الأول . وملاحظة للوجه الثاني . والكمال أن لا يغيب بأحد الملاحظتين عن الأخرى ، بل يشهد قضاء الرب تعالى وقدره ومشيئته، ويشهد مع ذلك فعله وجنايته، وطاعته ومعصيته ، فيشهد الربوبية والعبودية ، فيجتمع في قلبه معنى قوله : ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾[1] مع قوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ / إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[3] ، وقوله تعالى : ١٨ب ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[4]، فمن الناس من يتسع قلبه لهذين الشهودين، ومنهم من يضيق قلبه عن اجتماعهما بقوة الوارد عليه وضعف المحل ، فيغيب بشهود العبودية والكسب وجهة الطاعة والمعصية ، عن شهود الحكم القائم بالرب تعالى من غير إنكار له ، فلا يظهر عليه (أثر)[5] الفعل وحكمه الشرعي ، وهذا لا يضره إذا كان الإيمان بالحكم قائماً في قلبه ، ومنهم من يغيب بشهود الحكم وسبقه وأولية الرب تعالى وسبقه للأشياء عن جهة عبوديته وكسبه وطاعته ومعصيته، فيغيب بشهود الحكم عن (شهود)[6] المحكوم به، فضلاً عن صفته ، فإذا لم يشهد له فعلاً، فكيف يشهد كونه حسناً أو قبيحاً ، وهذا أيضاً لا يضره إذا كان علمه بحسن الفعل وقبحه (قائماً في قلبه)[7]، وإنما توارى عنه لاستيلاء شهود الحكم على قلبه، وبالله التوفيق .

---

(١) سورة التكوير ، آية ٢٨ .

(٢) سورة التكوير ، آية ٢٩ .

(٣) سورة الإنسان ، آية ٢٩-٣٠ .

(٤) سورة المدثر، آية ٥٤-٥٦ .

(٥) في ، م ، ع، د ، س : إلا أثر .

(٦) ساقطة من : ع ، د، س .

(٧) ما بين القوسين ساقط من : ت .

فأين هذا من احتجاج أعداء الله بمشيئته وقدره على إبطال أمره ونهيه، وعباد[١] هؤلاء الكفرة يشهدون أفعالهم كلها طاعات لموافقتها المشيئة السابقة، ولو أغضبهم غيرهم وقصر في حقوقهم لم يشهدوا فعله طاعة، مع أنه وافق فيه المشيئة، فما احتج بالقدر على إبطال الأمر والنهي إلا من هو من أجهل الناس وأظلمهم وأتبعهم لهواه. وتأمّل قوله سبحانه بعد حكايته عن أعدائه (احتجاجهم)[٢] بمشيئته وقدره على إبطال ما أمرهم به رسوله ، وأنه لولا محبته ورضاه (به)[٣] لما شاءه منهم ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٤] فأخبر سبحانه أن الحجة له عليهم برسله وكتبه، وبيان ما ينفعهم ويضرهم ويمكنهم من الإيمان بمعرفة (أدلته وبراهينه)[٥] وأعطاهم الأسماع والأبصار والعقول، فثبتت حجته البالغة عليهم بذلك، واضمحلت حجتهم الباطلة عليه بمشيئته وقضائه، ثم قرر تمام الحجة بقوله : ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فإن هذا يتضمن / أنه المتفرد بالربوبية والملك والتصرف في خلقه ، وأنه لا رب غيره ولا إله سواه، فكيف يعبدون معه إلهاً غيره، فإثبات القدر والمشيئة من تمام (حجته)[٦] البالغة عليهم، وأن الأمر كله لله وأن كل شيء ما خلا الله باطل[٧] ، فالقضاء والقدر والمشيئة

١١٩أ

---

(١) الكفرة منهم عبَّاد، ومنهم غير ذلك .

(٢) في ع ، د ، س : واحتجاجهم .

(٣) ساقطة من : م .

(٤) سورة الأنعام ، آية ١٤٩ .

(٥) في ع، د ، س : أوامره ونواهيه .

(٦) في ت : الحجة .

(٧) هذه العبارة مقتبسة من بيت قاله لبيد بن ربيعة العامري في قصيدة يرثي بها النعمان بن المنذر ونصه :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

انظر: ديوان لبيد بن ربيعة ص١٣٢، نشر دار صادر ، بيروت سنة ١٣٨٦هـ. وقد أخرج=

النافذة من أعظم أدلة التوحيد، فجعلها الظالمون الجاحدون حجة لهم على الشرك، فكانت حجة الله (هي)[1] البالغة، وحجتهم (هي)[1] الداحضة، وبالله التوفيق .

إذا (عُرِفَ)[2] هذا، فموسى صلوات الله وسلامه عليه أعرف بالله وأسمائه

= البخاري ومسلم وابن ماجه والإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل ، وكاد أميّة بن أبي الصلت أن يسلم». انظر: صحيح البخاري (٤/ ٢٣٤) كتاب مناقب الأنصار ، باب أيام الجاهلية . و(٧/ ١٠٧) كتاب الأدب ، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه .

وصحيح مسلم (٤/ ١٧٦) كتاب الشعر .

وسنن ابن ماجه (٢/ ١٢٣٦) كتاب الأدب ، باب الشعر .

والمسند للإمام أحمد (٢/ ٢٤٨، ٣٩٣، ٤٥٨، ٤٧٠) .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري (٧/ ١٥٣) : وفي إيراد البخاري هذا الحديث في هذا الباب ـ يعني باب مناقب الأنصار ـ تلميح بما وقع لعثمان بن مظعون بسبب هذا البيت مع ناظمه لبيد بن ربيعة قبل إسلامه ، والنبي ﷺ يومئذٍ بمكة وقريش في غاية الأذى للمسلمين، فذكر ابن إسحاق عن صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف عمن حدثه عن عثمان بن مظعون أنه لما رجع من الهجرة الأولى إلى الحبشة دخل مكة في جوار الوليد بن المغيرة، فلما رأى المشركين يؤذون المسلمين وهو آمن رد على الوليد جواره، فبينا هو في مجلس لقريش وقد وفد عليهم لبيد بن ربيعة، فقعد ينشدهم من شعره فقال لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل . فقال عثمان بن مظعون: صدقت، فقال لبيد : وكل نعيم لا محالة زائل ، فقال عثمان : كذبت ، نعيم الجنة لا يزول . فقال لبيد: متى كان يؤذى جليسكم يا معشر قريش ؟ فقام رجل منهم فلطم عثمان فاخضرت عينه ، فلامه الوليد على رد جواره، فقال: قد كنت في ذمة منيعة . فقال عثمان : إن عيني الأخرى لما أصاب أختها لفقيرة . فقال له الوليد : فعد إلى جوارك . فقال : بل أرضى بجوار الله تعالى .

قلت ـ القائل ابن حجر ـ : وقد أسلم لبيد بعد ذلك ... وسكن الكوفة، ومات بها في خلافة عثمان، وعاش مائة وخمسين سنة، وقيل: أكثر .

(١) ساقطة من : ع، د .

(٢) في ع ، د، س : عرفت .

وصفاته من أن يلوم على ذنب قد تاب منه فاعله، فاجتباه ربه بعده وهداه واصطفاه، وآدم صلوات الله وسلامه عليه أعرف بربه من أن يحتج بقضائه (وقدره)[١] على معصيته، بل إنما لام موسى آدم على (المصيبة)[٢] والمحنة التي نالت الذرية، ولهذا قال له : « **أخرجتنا ونفسك من الجنة** »، وفي لفظ : «**خيَّبتنا**»، فاحتجّ آدمُ بالقدر على (المصيبة)[٣]، وقال: إن هذه المصيبة التي نالت الذرية بسبب خطيئتي كانت مكتوبة (مقدرة)[٤] قبل خلقي ، والقدر يُحتج به في المصائب دون المعائب، أي: أتلومني على مصيبة قُدِّرت عليَّ وعليكم قبل خلقي بكذا وكذا سنة.

هذا جواب شيخنا[٥] رحمه الله . وقد يتوجه جواب آخر، وهو : أن الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع ، ويضر في موضع ، فينفع إذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه وترك معاودته، كما فعل آدم عليه السلام ، فيكون في ذكر القدر إذ ذاك من التوحيد ومعرفة أسماء الرب وصفاته وذكرها (ما ينتفع)[٦] به الذاكر والسامع؛ لأنه لا يدفع بالقدر أمراً (ولا نهياً)[٧] ، ولا يبطل به شريعة ، بل ١٩ب يخبر بالحق المحض على وجه التوحيد والبراءة من الحول / والقوة . يوضحه أن آدم عليه السلام قال لموسى : أتلومني على أن عملت عملاً كان مكتوباً عليَّ قبل أن أخلق؟ فإذا أذنب الرجل ذنباً ثم تاب منه توبة (نصوحاً)[٨] وزال (أثره

(١) في م : وقدرته .
(٢) في ع ، د، س : المعصية .
(٣) في د : المعصية .
(٤) في ع ، د ، س : بقدره .
(٥) انظر الفتاوى (٨/ ٣١٩-٣٢٢) .
(٦) في ت : ما ينفع .
(٧) في م ، ت : ونهيا .
(٨) ساقطة من ع ، د ، س .

ومُوجَبُه)[١] حتى كأن لم يكن، فأنَّبه مؤنِّب عليه ولامَه ، حَسُن منه أن يحتج بالقدر بعد ذلك ، ويقول: هذا أمرٌ كان (قُدِّرَ)[٢] عليَّ قبل أُخلق، فإنه لم يدفع بالقدر حقاً، ولا ذكره حجة له على باطل، (فلا)[٣] محذور في الاحتجاج به، وأما الموضع الذي يضر الاحتجاج به، ففي الحال (أو المستقبل)[٤] ، بأن يرتكب فعلاً محرماً، أو يترك واجباً فيلومه عليه لائم فيحتج بالقدر على إقامته عليه وإصراره، فيبطل بالاحتجاج به حقاً ، ويرتكب باطلاً ، كما احتج به المصرون على شركهم وعبادتهم غير الله، فقالوا : ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾[٥] ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ﴾[٦] فاحتجوا به مصوبين لما هم عليه، وأنهم لم يندموا على فعله، ولم يعزموا على تركه ، ولم يقروا بفساده، فهذا ضد احتجاج من تبين له خطأ نفسه، وندم وعزم كل العزم على أن لا يعود، فإذا لامه لائم بعد ذلك قال : (كان ما كان بقدر الله . ونكتة المسألة : أن اللوم إذا ارتفع صحّ الاحتجاج بالقدر، وإذا)[٧] كان اللوم واقعاً، فالاحتجاج بالقدر باطل .

فإن قيل : فقد احتج عَليٌّ بالقدر في ترك قيام الليل وأقرّه النبي ﷺ كما في الصحيح عن عليٍّ أن رسول الله ﷺ طَرَقه[٨] وفاطمة ليلاً، فقال لهم : **«ألا تصلُّون ؟»** . قال (علي)[٩] : فقلت : يا رسـول الله ، إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء

---

(١) في ع ، د ، س : أمره .

(٢) ساقطة من ت .

(٣) في ت ، ع ، د ، س : ولا .

(٤) في د ، س : والمستقبل .

(٥) كما حكاه الله عنهم في سورة الأنعام ، آية ١٤٨ .

(٦) كما حكاه الله عنهم في سورة الزخرف، آية ٢٠ .

(٧) ما بين القوسين ساقط من : ت .

(٨) أي : أتاهما في الليل ، وكل آتٍ بالليل طارق . انظر النهاية (٣/ ١٢١) .

(٩) ساقطة من ع ، د ، س .

أن يبعثها بعثها[(١)] . فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت له ذلك ولم يرجع إليَّ شيئاً ، ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه وهو يقول : ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا[(٢)] ﴾[(٣)] .

قيل : (علي)[(٤)] لم يحتجَّ بالقدر على ترك واجب، (ولا فعل [(٥)] محرم)، وإنما قال : إن نفسه ونفس فاطمة بيد الله، فإذا شاء الله أن يوقظهما ويبعث أنفسهما

(١) «أن يبعثها بعثها» هكذا وردت عند النسائي، وفي بقية مراجع التخريج : «أن يبعثنا بعثنا» .

(٢) سورة الكهف ، آية ٥٤ .

(٣) رواه البخاري (٢/ ٤٣) كتاب التهجد ، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب، وطَرْق النبي ﷺ فاطمة وعلياً ـ عليهما السلام ـ ليلة الصلاة :
- وفي (٥/ ٢٢٩-٢٣٠) كتاب التفسير ، باب ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ .
- وفي (٨/ ١٥٥-١٥٦) كتاب الاعتصام، باب ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ .
- وفي (٨/ ١٩٠) كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة .
- ومسلم (١/ ٥٣٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح .
- والإمام أحمد (١/ ٩١، ١١٢) .
- وعبدالله بن الإمام أحمد في زياداته على المسند (١/ ٧٧) .
- والنسائي (٣/ ٢٠٥-٢٠٦) كتاب قيام الليل ، باب الترغيب في قيام الليل .
- وفي سننه الكبرى، كتاب التفسير (٢/ ٧)، تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾.
- وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ١٧٨، ١٧٩) .
- والبيهقي في سننه (٢/ ٥٠٠) .
- وفي الأسماء والصفات (ص١٧٩-١٨٠) .
- وابن حبان في صحيحه ، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٦/ ٣٠٥-٣٠٦) .
- وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٤٠٦) وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٤) ساقطة من ت .

(٥) في د ، س : لافعل محرم ، بدون الواو ، وفي ع ساقطة .

(بعثها)[١] ، وهذا موافق لقول النبي ﷺ ليلة (ناموا)[٢] في الوادي : « **إن الله قبض أرواحنا حين شاء وردَّها حين شاء** »[٣] ، وهذا / احتجاج صحيح، صاحبه يُعذر فيه، (فإن النائم)[٤] غير مفرط[٥]، واحتجاج غير المفرط بالقدر صحيح . ٢٠/أ

---

(١) في د ، س : بعثهما .

(٢) في م : باتوا .

(٣) هذا الحديث من رواية عبدالله بن أبي قتادة عن أبيه .
- وأخرجه البخاري (١/ ١٤٧) كتاب مواقيت الصلاة ، باب الأذان بعد ذهاب الوقت .
- وفي (٨/ ١٩٢) كتاب التوحيد ، باب المشيئة والإرادة .
- وأبوداود (٢/ ١١٢-١١٣) كتاب الصلاة ، باب في من نام عند صلاة أو نسيها . المطبوع مع شرحه عون المعبود .
- والنسائي (٢/ ١٠٥-١٠٦) كتاب الإمامة ، باب الجماعة للفائت من الصلاة .
- والإمام أحمد (٥/ ٣٠٧) ، والإمام مالك في الموطأ (ص٣٥) كتاب وقت الصلاة ، باب النوم عند الصلاة .
- والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٢٠٤) و(٢/ ٢١١٦) وفي الأسماء والصفات ص١٨٠.
- والبغوي في شرح السنة (٢/ ٣٠٧) .
- وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٦٦) .

(٤) في ع ، د ، س : فالنائم .

(٥) كما ورد عن النبي ﷺ في الحديث الطويل الذي رواه أبوقتادة في قصة نومهم عن صلاة الفجر أن النبي ﷺ قال : « **ليس في النوم تفريط ، إنما التفريط في اليقظة أن تؤخر صلاة حتى يدخل وقت أخرى** » .
- والحديث رواه مسلم (١/ ٤٧٢-٤٧٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها .
- وأبوداود (٢/ ١٠٧-١٠٩، ١١٣) كتاب الصلاة ، باب فيمن نام عن صلاة أو نسيها . مطولاً ومختصراً.
- والترمذي : (١/ ٣٣٤) مختصراً ، أبواب الصلاة ، ما جاء في النوم عن الصلاة .
- والنسائي (١/ ٢٩٣-٣٩٤) مختصراً ، كتاب المواقيت ، باب فيمن نام عن الصلاة . =

وقد أرشد النبي ﷺ إلى الاحتجاج بالقدر في الموضع الذي ينفع العبد الاحتجاج به، فروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، قال : قال رسول الله ﷺ: « **المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خيرٌ ، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلتُ كذا وكذا، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان** »[1] .

فتضمن هذا الحديث الشريف أصولاً عظيمة من أصول الإيمان :

أحدها : أن الله سبحانه موصوف بالمحبة ، وأنه يحب حقيقة .

الثاني : أنه يحب مقتضى أسمائه وصفاته وما يوافقها ، فهو القوي ويحب المؤمن القوي، وهو وتر يحب الوتر ، وجميل يحب الجمال ، وعليم يحب العلماء، ونظيف يحب النظافة ، ومؤمن يحب المؤمنين ، ومحسن يحب المحسنين، وصابر يحب الصابرين، وشاكر يحب الشاكرين .

ومنها : أن محبته للمؤمنين تتفاضل، فيحب بعضهم أكثر من بعض .

= - وابن ماجه (١/ ٢٨٨) مختصراً، كتاب الصلاة ، باب من نام عن الصلاة أو نسيها .
- ورواه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٩٨) مطولاً ، ورواه أيضاً (٥/ ٣٠٥) مختصراً .
- (١) انظر صحيح مسلم (٤/ ٢٠٥٢) كتاب القدر ، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله .
- ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة ص(٤٠٢-٤٠٣) .
- وابن ماجة (١/ ٣١) المقدمة ، باب في القدر .
- وفي (٢/ ١٣٩٥) كتاب الزهد ، باب التوكل واليقين . وفيه : « **فإن غلبك أمر** » بدل «**وإن أصابك شيء**» .
- والإمام أحمد (٢/ ٣٦٦، ٣٧٠) وفيه : « **فإن غلبك أمر** » بدل « **وإن أصابك شيء** » .
- والبيهقي في السنن (١٠/ ٨٩) وفي الاعتقاد ص١٥٩ .
- وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٥٧) .
- وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٣/ ٢٨-٢٩) .

ومنها : أن سعادة الإنسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده، والحرص هو : بذل الجهد ، واستفراغ الوسع، فإذا صادف ما ينتفع به الحريص كان حرصه محموداً ، وكماله كله في مجموع هذين الأمرين :

* أن يكون حريصاً .

* وأن يكون حرصه على ما ينتفع به .

فإن حرص على ما لا ينفعه ، أو فعل ما ينفعه بغير حرص ، فاته من الكمال بحسب ما فاته من ذلك، فالخير كله في الحرص على ما نفع ، ولما كان حرص الإنسان وفعله إنما هو بمعونة الله ومشيئته وتوفيقه أَمَرَه أن يستعين (بالله)[١] ليجتمع له مقام ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[٢] ، فإن حرصه على ما ينفعه عبادة لله، ولا تتم إلا بمعونته، فأمره بأن / يعبده (وأن)[٣] يستعين به ، ثم قال : ٢٠ ب **«ولا تعجز»** فإن العجز ينافي حرصه على ما ينفعه وينافي استعانته بالله، فالحريص على ما ينفعه المستعين بالله ضد العاجز ، فهذا إرشاد له قبل (وقوع المقدور)[٤] إلى ما هو من أعظم أسباب حصوله ، وهو الحرص عليه مع الاستعانة بمن أزمة الأمور بيده، ومصدرها منه، ومردها إليه، فإن فاته ما لم يقدر له، فله حالتان :

حالة عجز، وهي : مفتاح عمل الشيطان، فيلقيه العجز إلى « لو » ولا فائدة في «لو» هاهنا بل هي مفتاح اللوم والجزع والسخط والأسف والحزن ، وذلك كله من عمل الشيطان ، فنهاه ﷺ عن افتتاح عمله بهذا المفتاح، وأمره بالحالة الثانية، وهي: النظر إلى القدر وملاحظته ، وأنه لو قدر له لم يفته، ولم يغلبه عليه أحد، فلم يبقَ له ها هنا أنفع من شهود القدر ومشيئة الرب النافذة التي توجب وجود

---

(١) في ع ، د ، س : به .

(٢) سورة الفاتحة ، آية ٥ .

(٣) ساقطة من ت .

(٤) في ع ، د ، س : رجوع المقدور . وفي م : وقوع القدر .

(المقدور)[١] ، وإذا انتفت امتنع وجوده، فلهذا قال : « **فإن غلبك أمرٌ فلا تقل لو أني فعلتُ لكان كذا، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل** »[٢] ، فأرشده إلى ما ينفعه في الحالتين : حالة حصول مطلوبه ، وحالة فواته .

فلهذا كان هذا الحديث مما لا يستغني عنه العبد أبداً، بل هو أشد شيء إليه ضرورة ، وهو يتضمن إثبات القدر والكسب والاختيار والقيام (بالعبودية)[٣] ظاهراً وباطناً، في حالتي حصول المطلوب وعدمه . وبالله التوفيق .

* * *

---

(١) في م : المعدوم .

(٢) وهذا لفظ رواية الإمام أحمد ، وابن ماجه في إحدى روايتيه ، كما سبق بيانه في التخريج .

(٣) في د ، س : والعبودية .

الباب الرابع

في ذكر التقدير الثالث والجنين في بطن أمه ، وهو تقدير شقاوته وسعادته ورزقه وأجله وعمله وسائر ما يلقاه ، وذكر الجمع بين الأحاديث الواردة في ذلك

الباب الرابع

في ذكر التقدير الثالث والجنين في بطن أمه، وهو تقدير شقاوته وسعادته ورزقه وأجله (وعمله)[1] وسائر ما يلقاه، وذكر الجمع بين الأحاديث

عن عبدالله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ - وهو الصادق المصدوق[2] -: « إن أحدكم (يجمع)[3] خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون في ذلك علقة[4] مثل ذلك، ثم يكون مضغة[5] مثل / ذلك، ثم يرسل الله إليه المَلَك فينفخ ٢١أ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب[6] رزقه وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ». متفق عليه[7].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من د.

(٢) الصادق في قوله، المصدوق فيما يأتيه من الوحي الكريم. انظر شرح النووي لصحيح مسلم (١٦/ ١٩٠).

(٣) في ع، د، س: ليجمع، وما أثبت من م، ت، وصحيحي البخاري ومسلم.

(٤، ٥) العَلَقة: المني ينتقل بعد طوره فيصير دماً غليظاً متجمداً. ثم ينتقل طوراً آخر فيصير لحماً وهو المضغة، سُمِّيت بذلك لأنها مقدار ما يمضغ. انظر المصباح المنير (ص٤٦) مادة (علق). تأليف: أحمد الفيومي، نشر المكتبة العلمية، بيروت.

(٦) قال ابن حجر في الفتح (١١/ ٤٨٢): وضبط « بكتب » بوجهين: أحدهما: بموحدة مكسورة وكاف مفتوحة ومثناة ساكنة ثم موحدة على البدل. والآخر: بتحتانية مفتوحة بصيغة الفعل المضارع. وهو أوجه؛ لأنه وقع في رواية آدم: « فيؤذن بأربع كلمات فيكتب » وكذا في رواية أبي داود وغيره.

(٧) رواه البخاري (٧/ ٢١٠) كتاب القدر، في فاتحته عن أبي الوليد، وفي كتاب التوحيد (٨/ ١٨٨) باب: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾ عن آدم، كلاهما عن شعبة. وفي كتاب بدء الخلق (٤/ ٧٨-٧٩) باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم. عن الحسن بن الربيع، عن أبي=

وعن حُذيفة بين أسيد يبلغ به النبي ﷺ قال : « **يدخل المَلَك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين أو خمس وأربعين ليلة، فيقول: يا رب أشقي أم سعيد، فيكتبان، فيقول : أي رب : أذكر أم أنثى ؟ فيكتبان ، ويُكتب عملُهُ وأثره وأجله ورزقه ، ثم تُطوى الصحيفة، فلا يزاد فيها ولا ينقص** » رواه مسلم(١) .

وعن عامر بن واثلة: أنه سمع عبدالله بن مسعود يقول : الشقي من شقي في بطن أمه ، والسعيد من وُعظ بغيره، فأتى رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ يُقال له حذيفة بن أسيد الغفاري، فحدثه بذلك من قول ابن مسعود، فقال : وكيف يشقى رجل بغير عمل ؟ فقال له الرجل : أتعجب من ذلك ؟ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها مَلَكاً**

= الأحوص. وفي كتاب الأنبياء (٤/ ١٠٣-١٠٤) باب خلق آدم وذريته عن عمر بن حفص ابن غياث عن أبيه .

- ورواه مسلم (٤/ ٢٠٣٦) كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته .

- وأبوداود (١٢/ ٤٧٤-٤٧٥) كتاب السنة ، باب في القدر .

- والترمذي (٤/ ٣٨٨-٣٨٩) كتاب القدر ، باب ما جاء أن الأعمال بالخواتيم . وقال : وهذا حديث حسن صحيح .

- وابن ماجه (١/ ٢٩) المقدمة ، باب في القدر .

- والحميدي في مسنده (١/ ٦٩) تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ، نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

(١) انظر صحيح مسلم (٤/ ٢٠٣٧-٢٠٣٨) كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله ، وشقاوته وسعادته. عن محمد بن نمير وزهير بن حرب، كلاهما عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي الطفيل عن حذيفة .. به ، ورواه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٧) ، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٨٠) ، والآجري في الشريعة (ص١٨٢)، والدولابي في الكنى (١/ ٧٤) ، وابن وهب في القدر (ص٤٤) .

فصوّرها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها ، ثم قال : يا رب ، أذكَر أم أنثى ؟ فيقضي ربك (ما شاء)[1] ويكتب الملك، ثم يقول : يا رب ، أجله ؟ فيقضي ربك (ما شاء)[1]، ويكتب الملك، ثم يقول : يا رب، رزقه ؟ فيقضي ربك (ما شاء)[1]، ويكتب الملك، ثم يخرج الملك (بالصحيفة)[2] في يده فلا يزيد على ما أُمِرَ ولا ينقُص»[3].

وفي لفظ آخر : سمعت رسول الله ﷺ بأذنيَّ هاتين يقول : « إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة ثم يتسور[4] عليها / المَلَك » . قال زهير[5] بن معاوية : أحسبه قال : (الذي يخلقها)[6] (فيقول : يا رب ، أذكَر أم أنثى ؟ ثم يقول : يا رب أسوي أم

(١) في ع، د : ما يشاء : وما أثبت من م و ت . ومن صحيح مسلم .

(٢) في م : الصحيفة .

(٣) رواه مسلم (٤/ ٢٠٣٧) كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته .
- والإمام أحمد (٤/ ٦-٧) .
- وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٧٩) .
- والآجري في الشريعة (ص١٨٣) .
- واللالكائي في السنة (٤/ ٥٩٣) .

(٤) في صحيح مسلم : « يتصور » بالصاد . قال النووي في شرحه لصحيح مسلم (٦/ ١٩٤) : هكذا هو في جميع نسخ بلادنا : « يتصور » بالصاد ، وذكر القاضي : « يتسور » بالسين ، والمراد بـ « يتسور » : يقول: وهو استعارة من تسورت الدار: إذا نزلت فيها من أعلاها، ولا يكون التسور إلا من فوق ، فيحتمل أن تكون الصاد الواقعة في نسخ بلادنا مبدلة من السين . والله أعلم .

(٥) هو : زهير بن معاوية بن حديج ، أبوخيثمة الجعفي الكوفي ، نزيل الجزيرة، ثقة ثبت ، إلا أن سماعه عن أبي إسحاق بأخرة ، من السابعة ، مات سنة اثنتين وسبعين ، أو ثلاث ، أو أربع وسبعين ومائة ، وكان مولده سنة مائة، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٢٦٥)، تهذيب التهذيب (٣/ ٣٥١) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ١٨١) .

(٦) في د : فيجعلها .

غير سوي ؟ فيجعله الله سوياً أو غير سوي ، ثم يقول : يا رب ، ما رزقه وما أجله وما خلقه ؟ ثم يجعله الله شقياً أو سعيداً »(١) .

وفي لفظ آخر : « إن مَلَكاً موكلاً بالرحم إذا أراد الله أن يخلق شيئاً بإذن الله (لبضع)(٢) وأربعين ليلة»، ثم ذكر نحوه(٣) . وهذا الحديث بطرقه انفرد به مسلم(٤) .

وعن أنس بن مالك، قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله عز وجل (قد)(٥) وكل بالرحم ملكاً ، فيقول : أي (رب)(٦) نطفة ؟ أي رب : علقة ؟ أي رب : مضغة ؟ وإذا أراد (الله)(٧) أن يقضي خلقاً قال الملك : أي رب ، ذكر أو أنثى ، شقي أو سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل ؟ فيكتب كذلك في بطن أمه ». متفق عليه(٨) .

---

(١) رواه مسلم (٢٠٣٨/٤) كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته . عن محمد بن أحمد بن أبي خلف، عن يحيى بن أبي بكير، عن زهير بن معاوية ، عن عبدالله بن عطاء، عن عكرمة بن خالد ، عن أبي الطفيل.

(٢) في ع ، د ، س : ولبضع ، بزيادة الواو .

(٣) رواه مسلم (٢٠٣٨/٤) كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته . عن عبدالوارث بن عبدالصمد، عن أبيه ، عن ربيعة بن كلثوم، عن أبيه ، عن أبي الطفيل، به .

(٤) كما يتضح ذلك من خلال تخريج طرقه آنفة الذكر .

(٥) ساقطة من د ، س .

(٦) لفظة « رب » ليست في م .

(٧) لفظ الجلالة لم يرد في د ، س .

(٨) رواه البخاري (١/ ٨٢) في كتاب الحيض ، باب « مخلقة وغير مخلقة » عن مسدَّد . وفي كتاب الأنبياء (٤/ ١٠٤) خلق آدم وذريته عن أبي النعمان ، وفي كتاب القدر (٧/ ٢١٠) في فاتحته عن سليمان بن حرب.

- ورواه مسلم (٢٠٣٨/٤) كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته . عن أبي كامل الجحدري ـ أربعتهم عن حماد بن زيد عن عبيدالله بن أبي بكر، عن أنس بن مالك . =

وقال ابن وهب : أخبرني يونس[١] عن ابن شهاب[٢] أن (عبدالرحمن بن هنيدة[٣])[٤] حدثهم أن عبدالله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله أن يخلق النسمة قال ملك الأرحام (معها)[٥] : يا رب أذكر أم أنثى ؟ فيقضي الله بأمره، ثم يقول : يا رب شقي أم سعيد ؟ فيقضي الله أمره ، ثم يكتب بين عينيه ما هو لاقٍ حتى النكبة[٦] »[٧] .

= - ورواه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ١١٦-١١٧، ١٤٨) .
- ورواه عبدالله بن الإمام أحمد في كتاب السنة (٢/ ٣٩٦) .
- والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٤٢١) ، وفي كتاب الأسماء والصفات (ص١٧٨) .
- وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٨٢-٨٣) .
- والفريابي في القدر (ص٢٢١) ، ومن طريقه الآجري في الشريعة (ص١٨٤) .

(١) هو : يونس بن يزيد بن أبي النجاد ، ثقة إلا أن في روايته عن الزهري وهماً قليلاً .

(٢) هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهري متفق على جلالته وإتقانه، وسبقت ترجمته في ص(١٤٥) .

(٣) في ع، د ، س : سعيد بن عبدالرحمن بن هنيدة ، وما أثبت من م ، ت ، ومن كتاب القدر لابن وهب .

(٤) هو : عبدالرحمن بن هنيدة أو ابن أبي هنيدة ، العدوي بالولاء ، المدني ، رضيع عبدالملك، ثقة من الطبقة الرابعة ، روى له أبوداود في القدر ، تقريب التهذيب (١/ ٥٠١) ، وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٩١) .

(٥) ما بين القوسين ساقط من م، وما أثبت من: ت، ع، وفي كتاب القدر لابن وهب: مُعَرِّضاً .

(٦) يُقال : نكبت أصبعه : أي أصابها حجر فأدماها . هدي الساري مقدمة فتح الباري (ص ١٩٨) تحقيق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ، نشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية .

(٧) انظر القدر لابن وهب (ص١٣٧) .

- ومن طريقه رواه الدارمي في كتاب الرد على الجهمية (ص٨٠) ، وقال الألباني : إسناده جيد، رجاله ثقات غير ابن هنيدة ، وقد وثقه أبوداود كما في خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي (ص٢٣٦) . =

قال ابن وهب : وأخبرني عبدالله بن لهيعة(١) عن بكر بن سوادة(٢) (الجذامي)(٣) عن أبي تميم(٤) الجيشاني عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال : « إذا

= - وابن حبان في صحيحه ، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٤/ ٥٤) .
- واللالكائي في السنة (٤/ ٥٩٤-٥٩٥) .
- والحافظ المزي في تهذيب الكمال (١٧/ ٤٧٢-٤٧٣) في ترجمة عبدالرحمن بن هنيدة.
- وأبويعلى في مسنده (١٠/ ١٥٤-١٥٥) .
- والفريابي في القدر (ص٢١٦-٢١٧ من طريق يونس بن أبي النجاد .. به .
- وعنه الآجري في الشريعة (ص/ ١٨٤) .
- ورواه البزار كما في كشف الأستار (٣/ ٢٣) من طريق سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه .
- وساقه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٩٣) وقال : رواه أبويعلى والبزار ، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح .
وذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٣/ ٧٥) وعزاه إلى أبي يعلى .

(١) هو : عبدالله بن لهيعة ـ بفتح اللام وكسر الهاء ـ ابن عقبة الحضرمي ، أبوعبدالرحمن المصري، القاضي ، صدوق ، من السابعة ، اختلط بعد احتراق كتبه ، ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما، وله في مسلم بعض شيء مقرون ، مات سنة أربع وسبعين ومائة ، وقد ناف على الثمانين . روى له أبوداود والترمذي وابن ماجه .
تقريب التهذيب (١/ ٤٤٤) ، وتهذيب التهذيب (٥/ ٣٧٣-٣٧٩) .

(٢) هو : بكر بن سوادة بن ثمامة الجذامي ، أبوثمامة المصري، ثقة فقيه ، من الطبقة الثالثة ، مات سنة بضع وعشرين ومائة ، روى له البخاري تعليقاً ، وروى له مسلم والأربعة . تقريب التهذيب (١/ ١٠٦) وانظر تهذيب التهذيب (١/ ٤٨٣)، وتهذيب الكمال (٤/ ٢١٤) ، والتاريخ الكبير (٢/ ٨٩) .

(٣) في ع، د، س : الجدمي .

(٤) هو : عبدالله بن مالك بن أبي الأسحم ـ أبوتميم الجيشاني ـ بجيم وياء ساكنة وبعدها معجمة، مشهور بكنيته ، المصري، ثقة ، مخضرم ، من الثانية ، مات سنة سبع وسبعين . روى له مسلم والنسائي والترمذي وابن ماجه وأبوداود في القدر . تقريب التهذيب (١/ ٤٤٤) ، وانظر تهذيب التهذيب (٥/ ٣٧٩-٣٨٠) ، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٧٣) .

دخلت ـ يعني النطفة ـ في الرحم أربعين، أتى مَلَك النفس فعرج إلى الرب، فقال: يا رب، عبدك أذكر أو أنثى؟ فيقضي الله بما هو قاضٍ، (ثم يقول: يارب)[(١)] أشقي أم سعيد ؟ فيكتب ما هو كائن) .. وذكر بقية[(٢)] الحديث[(٣)] .

وقال ابن وهب : أخبرني ابن لهيعة عن كعب بن[(٤)] علقمة عن عيسى (بن)[(٥)] هلال[(٦)] عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه قال : إذا مكثت النطفة في رحم المرأة أربعين ليلة جاءها ملَك فاختلجها[(٧)] ، ثم عرج بها إلى الله / عز وجل ٢٢أ

---

(١) ما بين القوسين من القدر للفريابي (ص٢٠٧) ، وهي زيادة يقتضيها السياق .

(٢) وبقية الحديث هي : « فيكتب ما هو كائن بين عينيه ، فتلا أبوذر من فاتحة سورة التغابن خمس آيات » .

(٣) انظر القدر لابن وهب (ص١٤٩)، ورواه ابن جرير في تفسيره (٢٨/ ١١٩)، والفريابي في كتاب القدر (ص٢٠٦-٢٠٧) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ١٨٢) ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .
ورجال إسناد هذا الحديث ثقات إلا ابن لهيعة فهو صدوق اختلط بعد احتراق كتبه، ورواية ابن وهب عنه صحيحة كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في التقريب . وقد صرَّح ابن لهيعة بالسماع عند ابن جرير .

(٤) هو : كعب بن علقمة بن كعب المصري ، التنوخي ، أبوعبدالحميد ، صدوق من الطبقة الخامسة ، مات سنة سبع وعشرين ومائة ، وقيل: بعدها ، روى له البخاري في الأدب المفرد، وروى له مسلم وأبوداود والترمذي والنسائي . تقريب التهذيب (٢/ ١٣٥)، وانظر تهذيب التهذيب (٨/ ٤٣٦) .

(٥) في ع، د ، س : عن .

(٦) هو : عيسى بن هلال الصدفي ، المصري ، صدوق ، من الطبقة الرابعة ، روى له البخاري في الأدب المفرد ، وروى له أبوداود والترمذي والنسائي .
تقريب التهذيب (٢/ ١٠٣)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٢٣٦) .

(٧) الخلج : الجذب والنزع . انظر النهاية لابن الأثير (٢/ ٥٩) .

(فقال)[١] : اخلق يا أحسن الخالقين، فيقضي الله فيها بما يشاء من أمره ، ثم تدفع إلى الملك فيسأل الملك عند ذلك، فيقول : يا رب أسَقْط[٢] أم يتم ؟ فيبين له، ثم يقول : يا رب أواحد أو توأم ؟ فيبين له ، ثم يقول : (يا رب أذكر أم أنثى؟ فيُبيّن له، ثم يقول : يا رب ، أناقص الأجل أم تام الأجل ؟ فيُبيّن له ، ثم يقول : يا رب)[٣] اقطع رزقه مع خلقه فيقضيهما جميعاً، فوالذي نفس محمد بيده، لا ينال إلا ما قسم له يومئذٍ، إذا أكل رزقه قُبض[٤] .

وقال عبدالله بن أحمد[٥] : (أخبرنا أحمد بن العلاء)[٦][٧] حدثنا أبوالأشعث[٨]

---

(١) ما بين القوسين من كتاب القدر لابن وهب (ص١٦٣) .

(٢) السِّقْط : هو الولد الذي يسقط من بطن أمه قبل تمامه . انظر النهاية (٢/ ٣٧٨) .

(٣) مابين القوسين ساقط من ع، د ، س .

(٤) انظر القدر لابن وهب (ص١٦٣) ، ورواه الفريابي في القدر ص(٢٢٢-٢٢٣) . واللالكائي في السنة (٤/ ٦٧٥) .

(٥) هو : عبدالله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، أبوعبدالرحمن ، ولد الإمام ، ثقة من الثانية عشرة ، مات سنة تسعين ومائتين ، وله بضع وسبعون . روى له النسائي . تقريب التهذيب (١/ ٤٠١) ، وانظر تهذيب التهذيب (٥/ ١٤١-١٤٣) ، وتهذيب الكمال (١٤/ ٢٨٥-٢٩٢) .

(٦) في ع، د ، س : أنبانا العلاء .

(٧) هو: أحمد بن العلاء، الجوزجاني، ثم البغدادي، أبوعبدالله، ولد سنة خمس وثلاثين ومائتين، وسمع أحمد بن المقدام، وغيره ، وحدَّث عنه : الدارقطني وآخرون، وكان شيخاً صالحاً ثقة، مات في ربيع الأول سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة . سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٤٨) .

(٨) هو : أحمد بن المقدام ، أبوالأشعث العجلي ، بصري، صدوق ، صاحب حديث ، طعن أبوداود في مروءته؛ حيث قال : كان يُعلِّم المُجّان المجون ، وذلك أن بالبصرة مُجّاناً يلقون صرة الدراهم ثم يرقبونها ، فإذا جاء من يرفعها صاحوا به وخجَّلوه ، فعلَّم أبوالأشعث المارة أن يتخذوا صرة فيها زجاج ، فإذا أخذوا صرة الدراهم فصاح صاحبها ، وضعوا بدلها في الحال صرة الزجاج . قال ابن عدي : وهذا لا يؤثر فيه؛ لأنه من أهل الصدق . =

حدثنا أبوعامر[1] عن الزبير بن عبدالله[2] حدثني جعفر بن[3] مصعب، قال: سمعت عروة بن الزبير[4] يحدث عن عائشة عن النبي ﷺ قال : « **إن الله سبحانه حين يريد أن يخلق الخلق يبعث ملكاً فيدخل الرحم، فيقول : أي رب ماذا؟ فيقول : غلام أو جارية أو ما شاء أن يخلق في الرحم. فيقول : أي رب أشقي أم سعيد؟ فيقول : شقي أو سعيد ، فيقول : أي رب ما أجله ؟ فيقول : كذا وكذا ، فيقول : ما خلقه ؟ ما خلائقه ؟ فيقول : كذا وكذا ، فما شيء إلا وهو يخلق معه في الرحم** »[5] .

= من الطبقة العاشرة ، مات سنة ثلاث وخمسين ومائتين ، وله بعض وتسعون سنة . روى له البخاري ، والترمذي، والنسائي ، وابن ماجه . تقريب التهذيب (١/ ٢٦) ، وتهذيب التهذيب (١/ ٨١-٨٢)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢١٩-٢٢١)، والكامل لابن عدي (١/ ١٨٣-١٨٤) .

(١) هو : عبدالملك بن عمرو القيسي ، أبوعامر العقدي : بفتح المهملة والقاف، ثقة ، من التاسعة ، مات سنة أربع أو خمس ومائتين ، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٥٢١) ، وانظر تهذيب التهذيب (٦/ ٤٠٩) .

(٢) هو : الزبير بن عبدالله بن أبي خالد الأموي ، مولاهم ، يقال له : ابن رهيمة ، مقبول من السابعة ، روى عن نافع والقاسم بن محمد وجعفر بن مصعب وغيرهم ، وروى عنه ابن المبارك ، وأبوعامر العقدي وغيرهما ، وذكره ابن حبان في الثقات . تقريب التهذيب (١/ ٢٥٨) ، وتهذيب التهذيب (٣/ ٣١٦) ، والثقات لابن حبان (٦/ ٣٣٢) .

(٣) هو : جعفر بن مصعب بن الزبير ، قاله ابن حبان ، مقبول من السادسة ، روى عن عروة عن عائشة ، وعنه الزبير بن عبدالله بن أبي خالد مولى عثمان . روى له أبوداود في القدر . تقريب التهذيب ٠١/ ١٣٢) ، وتهذيب التهذيب (٢/ ١٠٧-١٠٨) .

(٤) هو : عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد ، الأسدي ، أبوعبدالله المدني ، ثقة فقيه مشهور، من الطبقة الثانية ، مات سنة أربع وتسعين على الصحيح ، ومولده في أوائل خلافة عمر الفاروق، روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ١٩)، وتهذيب التهذيب (٧/ ١٨٠-١٨٥).

(٥) رواه الآجري في الشريعة (ص١٨٤). ورواه البزار كما في كشف الأستار (٣/ ٢٣-٢٤)=

وفي المسند من حديث إسماعيل[١] بن عبيدالله ـ وهو ابن (أبي)[٢] المهاجر ـ أن أم الدرداء[٣] حدثته عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : « **فرغ الله ـ عز وجل ـ (إلى كل)[٤] عبد من خمس : من أجله، ورزقه، ومضجعه، وأثره، وشقي أم سعيد**»[٥].

= عن محمد بن المثنى، قال : حدثنا أبوعامر .. به. وقال البزار: لا نعلمه يروى عن عائشة إلا بهذا الإسناد. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٩٣) وقال: رواه البزار، ورجاله ثقات.
ورواه ابن عدي في الكامل (٣/ ١٠٨٢) في ترجمة الزبير بن عبدالله ، وذكر له عدة أحاديث، منها هذا الحديث ، ثم قال : وأحاديث زبير هذا منكرة المتن والإسناد ، لا تروى إلا من هذاا لوجه .

(١) هو : إسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر المخزومي، مولاهم، الدمشقي، أبوعبدالحميد، ثقة من الرابعة ، مؤدب ولد عبدالملك ، واستعمله عمر بن عبدالعزيز على إفريقية . روى عن أنس وأم الدرداء وغيرهما، وروى عنه ربيعة بن يزيد والأوزاعي وغيرهما. مات سنة إحدى وثلاثين ومائة، وله سبعون سنة، روى له الستة إلا الترمذي. تقريب التهذيب (١/ ٧٢) ، وتهذيب التهذيب (١/ ٣١٧-٣١٨) ، وتهذيب الكمال (٣/ ١٤٣-١٥١) .

(٢) ساقطة من ع .

(٣) أم الدرداء ، زوج أبي الدرداء ، اسمها هجيمة ، وقيل: جهمية الأوصابية ، الدمشقية، وهي الصغرى ، وأما الكبرى فاسمها خيرة، ولا رواية لها في هذه الكتب، والصغرى ثقة ، فقيهة ، من الثالثة ، ماتت سنة إحدى وثمانين ، روى لها الستة . تقريب التهذيب (١/ ٦٢١) ، وانظر تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٦٥-٤٦٦) .

(٤) في م : لكل .

(٥) انظر مسند الإمام أحمد (٥/ ١٩٧) ، وقد رواه بسندين ، أحدهما ذكره المؤلف هنا، والآخر عن الفرج بن فضالة عن خالد بن يزيد ، عن أبي حلبس ، عن أم الدرداء، به .
- ورواه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٣٢-١٣٤) من هذين الطريقين ، ومن طرق أخرى عن يونس بن حلبس عن أم الدرداء، به ، وقد صحح الألباني الحديث بهذه الطرق كما في تخريجه لكتاب السنة لابن أبي عاصم، وصحيح الجامع الصغير وزياداته (٤/ ٨٣) . ورواه عبدالله ابن الإمام أحمد في كتاب السنة (٢/ ٣٩٦) . =

وقال ابن حميد[(١)] : حدثنا يعقوب[(٢)] بن عبدالله عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ، قال : « **إذا وقعت النطفة في الرحم (مكثت)[(٣)] أربعة أشهر وعشراً ، ثم تنفخ فيها الروح ثم (مكثت)[(٤)] أربعين ليلة، ثم يُبعث إليها ملك فنقفها [(٥)] في نقرة القفا**[(٦)]،

= - ورواه الدولابي في الكنى (٢/ ١٥٤) لكنه قال : وعمله بدل قوله : وشقي أم سعيد.
وبمثله رواه ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٤/ ١٨).
- ورواه الفريابي في القدر ص٢٢٨ .
- ورواه البزار كما في كشف الأستار (٣/ ٢٤) عن عبدالله بن أحمد، قال : حدثنا صفوان بن صالح ، حدثنا العوام بن صبيح، حدثنا يونس بن ميسرة بن حلبس عن أم الدرداء، به وذكر أربعاً . وقال البزار : روي عن أبي الدرداء من غير وجه ، وهذا أحسنها .
- وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٩٥) وقال : رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط، وأحد إسنادي أحمد رجاله ثقات . (يعني السند الذي ذكره المؤلف هنا) .
- ورواه الطيالسي في مسنده ص١٣٢ .
- واللالكائي في السنة (٤/ ٩٧) .
- والبيهقي في القدر ص٥٨ .
- والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٣٥٢) .

(١) هو : محمد بن حميد بن حيان الرازي ، حافظ ضعيف ، وكان ابن معين حسن الرأي فيه ، من العاشرة ، مات سنة ثلاثين ومائتين . روى له أبوداود والترمذي وابن ماجه . تقريب التهذيب (٢/ ١٥٦) ، وانظر تهذيب التهذيب (٩/ ١٢٧-١٣١) .

(٢) هو : يعقوب بن عبدالله بن سعد الأشعري ، أبوالحسن القُمِّيّ ، بضم القاف وتشديد الميم، صدوق يهم ، من الثامنة ، مات سنة أربع وسبعين ومائة . روى له البخاري تعليقاً ، وروى له الأربعة . تقريب التهذيب (٢/ ٣٧٦)، وانظر تهذيب التهذيب (١١/ ٣٩٠-٣٩١) .

(٣) في ع ، د ، س : تلبث .

(٤) في ع ، د ، س : تلبث .

(٥) نقفها : أي ضربها . انظر النهاية لابن الأثير (٥/ ١١٠) .

(٦) نقرة القفا : حفرة في آخر الدماغ . المصباح المنير (ص٦٢١) مادة « نقر » .

وكتب شقياً أو سعيداً »[(١)] .

وروى ابن أبي خيثمة[(٢)] : حدثنا عبدالرحمن بن المبارك[(٣)] : حدثنا حماد بن[(٤)] زيد ، عن أيوب[(٥)] ، عن محمد[(٦)] ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ / قال : « السعيد من سعد في بطن أمه». رواه أبوداود في القدر عبدالرحمن عن حمّاد (عن هشام[(٧)] بن حسان)[(٨)] عن محمد (به[(٩)])[(١٠)] .

٢٢ ب

---

(١) رواه اللالكائي في السنة (٤/ ٥٩٧-٥٩٨) . وفي إسناده محمد بن حميد وهو ضعيف، وهو موقوف على ابن عباس رضي الله عنه . ومتنه شاذ لأنه مخالف لحديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه المتفق على صحته ، والذي سبق تخريجه في ص(١١٨-١١٩) .

(٢) سبقت ترجمته في (ص١٧٢) .

(٣) هو : عبدالرحمن بن المبارك ، العيشي ، بالتحتانية والمعجمة ، الطفاوي، البصري، ثقة ، من كبار العاشرة ، روى له البخاري وأبوداود والنسائي . تقريب التهذيب (١/ ٤٩٦) ، وانظر تهذيب التهذيب (٦/ ٢٦٣) .

(٤) ثقة ، سبقت ترجمته في (ص١٩٥) .

(٥) هو: أيوب السختياني ، ثقة ، سبقت ترجمته في (ص١٩٤) .

(٦) هو : محمد بن سيرين الأنصاري ، أبوبكر بن أبي عمرة البصري، ثقة ثبت عابد، كبير القدر، كان لا يرى الرواية بالمعنى ، من الثالثة ، مات سنة عشر ومائة ، روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ١٦٩) ، وانظر تهذيب التهذيب (٩/ ٢١٤-٢١٧) .

(٧) هو : هشام بن حسان الأزدي القردوسي ، بالقاف وضم الدال ، أبوعبدالله البصري ، ثقة، من أثبت الناس في ابن سيرين ، وفي روايته عن الحسن وعطاء مقال ؛ لأنه قيل: كان يرسل عنهما ، من السادسة ، مات سنة سبع أو ثمان وأربعين ومائة . روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٣١٨) ، وانظر تهذيب التهذيب (١١/ ٣٤-٣٧) .

(٨) ما بين القوسين ساقط من ت . وفي م : عن هناد : وما أثبت من ع، د، س ، والمعجم الصغير للطبراني .

(٩) ساقطة من م .

(١٠) رواه أبوداود في كتاب القدر كما أشار إليه المؤلف . =

وقال أحمد بن[1] (عبيد)[2] : أخبرنا علي بن عبدالله[3] (بن)[4] (مبشر)[5] حدثنا عبدالحميد بن بيان[6] ، حدثنا

= ورواه اللالكائي من طريق ابن أبي خيثمة هذا ومن طريقين آخرين . انظر السنة للالكائي (٤/ ٥٩٦) .

- والطبراني في المعجم الصغير (٢/ ٥) من طريق أبي داود هذا، وقال : لم يروه عن هشام إلا حماد ، تفرد به عبدالرحمن .
- ورواه البزار كما في كشف الأستار (٣/ ٢٣) من طريق أبي داود هذا، وفيه زيادة : «**الشقي من شقي في بطن أمه**» وقال : لا نعلم رواه عن هشام إلا حماد ، ولا عنه إلا عبدالرحمن . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٩٣) وقال : رواه البزار والطبراني في الصغير ، ورجال البزار رجال الصحيح .

(١) هو : المحدث المعمّر الصدوق ، شيخ واسط ، أبوبكر أحمد بن عبيد بن الفضل بن سهل بن بيري الواسطي، آخر أصحاب علي بن عبدالله بن مُبَشِّر الواسطي، حدَّث عنه ، وعن محمد بن الحسن الزعفراني وعبدالباقي بن قانع وعدة، وروى عنه الفقيه أبوالحسين محمد ابن علي الشافعي ، وأبوالحسين محمد بن محمد بن مخلد البزاز ، وغيرهما ، وسماع ابن مخلد منه في سنة نيف وأربع ومائة . سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩٧-١٩٨) .

(٢) في ع، د ، س : عبد .

(٣) هو : الإمام الثقة المحدث ، أبوالحسن علي بن عبدالله بن مُبَشِّر الواسطي ، سمع عبدالحميد بن بيان ، وأحمد بن سنان القطان، وعمار بن خالد التمار وطبقتهم ، وحدَّث عنه أبوأحمد الحاكم، والدارقطني وزاهر بن أحمد، وآخرون كثير . مات سنة أربع وعشرين وثلاث مائة . سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٥-٢٦) .

(٤) ساقطة من ت .

(٥) في ت ، د ، س : ميسرة .

(٦) هو : عبدالحميد بن بيان بن زكريا الواسطي، أبوالحسن السكري ، صدوق ، من العاشرة ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال بحشل : توفي سنة أربع وأربعين ومائتين . روى له مسلم وأبوداود وابن ماجه . تقريب التهذيب (١/ ٤٦٧) وانظر تهذيب التهذيب (٦/ ١١١)، والثقات لابن حبان (٨/ ٤٠١) .

خالد بن عبدالله[١] عن يحيى (بن)[٢] عبيدالله[٣] عن أبيه[٤] عن أبي هريرة، قال : قال رسول الله ﷺ / : « **الشقي من شقي في بطن أمه ، والسعيد من سعد في بطن أمه**»[٥] .

وقال سعيد[٦] عن (أبي)[٧] إسحاق[٨] عن (أبي)[٩]

---

(١) خالد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن يزيد الطحان الواسطي ، المزني مولاهم ، ثقة ، ثبت ، من الثامنة ، مات سنة اثنتين وثمانين ومائة ، وكان مولده سنة عشر ومائة . روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٢١٥) ، وانظر تهذيب التهذيب (٣/ ١٠٠-١٠١) .

(٢) في ت ، د ، س : عن .

(٣) هو : يحيى بن عبيدالله بن مَوْهَب - بفتح الميم والهاء بينهما واو ساكنة - التيمي المدني، متروك، وأفحش الحاكم فرماه بالوضع، من السادسة . روى له الترمذي وابن ماجه . تقريب التهذيب (٢/ ٣٥٣) ، وتهذيب التهذيب (١١/ ٢٥٢-٢٥٤) ، والكامل لابن عدي (٧/ ٢٥٩) .

(٤) عبيدالله بن عبدالله بن مَوْهَب، أبويحيى التيمي المدني، مقبول، من الثالثة، روى له البخاري في الأدب المفرد ، وروى له أبوداود والترمذي والنسائي في مسند علي ، وابن ماجه . تقريب التهذيب (١/ ٥٣٥) ، وانظر تهذيب التهذيب (٧/ ٢٥-٢٦) .

(٥) رواه الآجري في الشريعة ص١٨٥. واللالكائي في السنة (٤/ ٥٩٦) . وفي إسناده يحيى بن عبيدالله بن موهب ، وهو متروك .

(٦) سعيد هذا لم أعرف من هو ، وقد بحثت عنه في تلاميذ أبي إسحاق السبيعي - المذكور في السند - ولم أعثر له على ذكر .

(٧) في ت : ابن .

(٨) هو : عمرو بن عبدالله الهمداني ، أبوإسحاق السبيعي - بفتح المهملة وكسر الموحدة - مكثر ، ثقة عابد ، من الثالثة ، اختلط بأخرة ، مات سنة تسع وعشرين ومائة ، وقيل: قبل ذلك . روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٧٣) ، وتهذيب التهذيب (٨/ ٦٣-٦٧) ، وتهذيب الكمال (٢٢/ ١٠٢-١١٣) ، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٣٩٢-٤٠١) .

(٩) ساقطة من ع .

الأحوص[١] (عن عبدالله)[٢] قال : « الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من وُعظ بغيره »[٣] .

وقال شعبة[٤] عن مخارق[٥] عن طارق[٦] عن عبدالله بن مسعود قال : إن أصدق الحديث كتاب الله ، (وإن أحسن)[٧] الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها، فاتبعوا ولا تبتدعوا، فإن الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من

---

(١) هو : عوف بن مالك بن نَضْلة ـ بفتح النون وسكون المعجمة ـ الجُشَمي ـ بضم الجيم وفتح المعجمة ـ الأحوص الكوفي ، مشهور بكنيته ، ثقة ، من الثالثة ، قتل في ولاية الحجاج على العراق، روى له البخاري في الأدب المفرد، وروى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ٩٠) . وانظر تهذيب التهذيب (٨/ ١٦٩) .

(٢) في م : عن ابن مسعود . وعبدالله هو ابن مسعود .

(٣) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في كتاب السنة (٢/ ٣٩٩) . والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٠٣) ، وابن ماجه في سننه (١/ ١٨) المقدمة ، مطولاً ، وقد سبق تخريجه في (ص) في بداية حديث مرفوع رواه عامر بن واثلة .

(٤) هو : شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي مولاهم، أبوبسطام الواسطي ، ثم البصري ، ثقة حافظ متقن ، كان الثوري يقول : هو أمير المؤمنين في الحديث . وهو أول من فتش بالعراق عن الرجال ، وذبَّ عن السنة ، وكان عابداً ، من السابعة ، مات ستين ومائة ، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٣٥١) ، وانظر تهذيب التهذيب (٤/ ٣٣٨-٣٤٦).

(٥) هو : مخارق بن خليفة ، وقيل : ابن عبدالله الأحمسي ، أبوسعيد الكوفي ، من الثالثة ، روى له البخاري ، وأبوداود في القدر ، والترمذي، والنسائي . تقريب التهذيب (٢/ ٢٣٣). وانظر تهذيب التهذيب (١٠/ ٦٧) .

(٦) هو : طارق بن شهاب بن عبدشمس البجلي الأحمسي ، أبوعبدالله الكوفي ، قال أبوداود : رأى النبي ﷺ ولم يسمع منه ، مات سنة اثنتين أو ثلاث وثمانين . روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٣٦٧) . وانظر تهذيب التهذيب (٥/ ٣) .

(٧) في م ، ع ، د ، س : وأحسن .

وُعظ بغيره (وكان عبدالله بن مسعود إذا كان ليلة الجمعة قام، فقال : إن أصدق الحديث كتاب الله ، وإن أحسن الهدي هدي محمد، وإن الشقي من شقي في بطن أمه ، والسعيد من وُعظ بغيره)[١] ، وإن شر الرَّوَايا[٢] رَوَايا الكذب، وشر الأمور محدثاتها ، وكل ما هو آتٍ قريب) . رواهن أبوداود في القدر[٣] .

---

(١) ما بين القوسين ساقطة من : ع، د ، س .

(٢) هي جمع رَوِيَّة ، وهي ما يُرَوِّي الإنسان في نفسه من القول والفعل : أي يُزوِّرُ ويُفكِّر . وأصلها الهمز ، يقال: رَوَّأت في الأمر . وقيل: هي جمع رَاوِية ؛ للرجل الكثير الرواية ، والهاء للمبالغة . وقيل : جمع راوية : أي الذين يروُون الكذب : أي تكثر رواياتهم فيه . النهاية لابن الأثير (٢/ ٢٧٩) .

(٣) رواه أبوداود في كتاب القدر كما ذكر المؤلف . وروى هذا الأثر الدارمي في سننه (١/ ٦١) بنحوه . المقدمة ، باب في كراهية أخذ الرأي.
ورواه البخاري (٨/ ١٣٩) كتاب الاعتصام ، باب الاقتداء بسنة الرسول ﷺ بنحوه دون قوله : « **وإن الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من وُعظ بغيره** » . ورواه أيضاً (٧/ ٩٦) كتاب الأدب ، باب في الهدي الصالح مختصراً . ولفظه : قال عبدالله بن مسعود : إن أحسن الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ . ورواه الطبراني في الأوسط (٢/ ٢٤٨) مختصراً . وورد قوله : « **إن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أحسن الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها**» مرفوعاً إلى النبي ﷺ من رواية جابر بن عبدالله لخطبته ﷺ. ورواه مسلم (٢/ ٥٩٢-٥٩٣) كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة. وأوله: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته .. وفيه : ويقول : « **أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**» .
ورواه النسائي (٣/ ١٨٨) كتاب صلاة العيدين ، باب كيفية الخطبة ، وفيه : « **إن أصدق الحديث كتاب الله** » .
ورواه ابن ماجه (١/ ١٧) المقدمة ، باب اجتناب البدع والجهل .. وفيه : « **إن خير الأمور كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة** » .
ورواه الإمام أحمد (٣/ ٣١٠، ٣١٩، ٣٧١) .

وذكر (الطبراني[(١)])[(٢)] من رواية (أبي)[(٣)] إسحاق[(٤)] عن أبي (عبيدة [(٥)])[(٦)] عنه أنه كان يجيء كل يوم خميس يقوم قائماً لا يجلس فيقول : إنما هما اثنتان ، فأحسن الهدي هدي محمد، وأصدق الحديث كتاب الله، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدث ضلالة، وإن الشقي من شقي في بطن أمه ، وإن السعيد من وُعظ بغيره، ألا فلا يطولنّ عليكم الأمد ، ولا يلهينّكم الأمل، فإن كل ما هو آتٍ قريب، وإنما البعيد ما ليس آتياً، وإن من شرار الناس بطال النهار جيفة الليل، (وإن قتل المؤمن كفر، وإن سبابه فسوق)[(٧)]، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه

---

(١) هو : أبوالقاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ، الطبراني ، صاحب المعاجم الثلاثة ، الحافظ ، الثبت ، ولد سنة ستين ومائتين ، وإليه المنتهى في كثرة الحديث وعلوه ، فإنه عاش مائة سنة وعشرة أشهر، وسمع وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وحدّث عن ألف شيخ أو يزيدون ، منهم أبوزرعة الدمشقي ، وإسحاق الدبري، وغيرهما، وحدّث عنه ابن منده، وأبونعيم الأصبهاني ، وغيرهما، توفي سنة ستين وثلاثمائة بأصبهان . سير أعلام النبلاء (١٦/ ١١٩-١٣٠) ، وطبقات الحفاظ (ص٣٧٢-٣٧٤) ط. الأولى ، ١٤٠٣هـ ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٢) في ع، د، س : الطبري .

(٣) في ت : ابن .

(٤) هو : عمرو بن عبدالله الهمداني ، ثقة . سبقت ترجمته في (ص٢٤٨) .

(٥) في ع، د ، س : عبدة .

(٦) هو : أبوعبيدة بن عبدالله بن مسعود ، مشهور بكنيته ، والأشهر أنه لا اسم له غيرها، ويقال : اسمه عامر ، كوفي ثقة ، من كبار الثالثة ، والراجح أنه لا يصح سماعه من أبيه، مات بعد سنة ثمانين ، روى له الأربعة . تقريب التهذيب (٢/ ٤٤٨) ، وانظر تهذيب التهذيب (٥/ ٥٧-٧٦) .

(٧) قولـه : « قتل المؤمن كفر ، وإن سبابه فسوق » ورد مرفوعاً إلى النبي ﷺ من رواية عبدالله ابن مسعود نفسه، وأخرجه البخاري في (١/ ١٧-١٨) كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن =

١٢٢أ فوق ثلاث [(١)]، ألا إن شر الرؤايا روايا الكذب ، وإنه لا / يصلح من

= من أن يحبط عمله وهو لا يشعر . وفي (٧/ ٨٤) كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن . وفي (٨/ ٩١) كتاب الفتن . باب قول النبي ﷺ : « **لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض** » .

ورواه النسائي (٧/ ١٢١-١٢٢) كتاب تحريم الدم ـ باب قتال المسلم .

ومسلم (١/ ٨١) كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر.

والترمذي (٤/ ٣١١) كتاب البر والصلة ، باب سباب المسلم فسق وقتاله كفر . وفي (٥/ ٢٢) كتاب الإيمان، باب ما جاء: سباب المؤمن فسق . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

والنسائي (٧/ ١٢٢) كتاب تحريم الدم ، باب قتال المسلم .

والإمام أحمد (١/ ٤٣٩) . والحميدي في مسنده (١/ ٥٨) .

ورواه ابن ماجه (١/ ٢٧) المقدمة ، باب في الإيمان . وفي (٢/ ١٢٩٩) كتاب الفتن، باب سباب المسلم فسوق وقتاله كفر .

والإمام أحمد (١/ ٣٨٥، ٤١١، ٤٣٣، ٤٥٤) .

ورواه النسائي أيضاً (٧/ ١٢١) من رواية سعد بن أبي وقاص . والإمام أحمد (١/ ١٧٦) وزاد فيه : « **ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام** » وبمثله رواه عبدالرزاق في مصنفه (١١/ ١٦٨) باب المهاجرة والحسد . تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، ط. الثانية ١٤٠٣هـ ، نشر المجلس العلمي بالهند . قال ابن حجر في الفتح (١/ ١١٢) : قوله : المسلم ـ يعني قوله : « **سباب المسلم فسوق** » ـ كذا في معظم الروايات ، ولأحمد عن غندر عن شعبة « المؤمن » فكأنه رواه بالمعنى ، قال الترمذي : ومعنى الحديث : قتاله كفر ليس به كفراً مثل الارتداد عن الإسلام .. وقد رُوي عن ابن عباس وطاووس وعطاء ، وغير واحد من أهل العلم، قالوا : كفر دون كفر ، وفسوق دون فسوق . انظر جامع الترمذي (٥/ ٢٢) .

(١) قوله : « **ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث** » ورد ذلك جزءاً من حديث مرفوع إلى النبي ﷺ رواه عدد من الصحابة، منهم : أنس بن مالك ، وأبوأيوب الأنصاري بألفاظ متقاربة . ورواية أنس لفظها عند مسلم : أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تباغضوا ، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق** =

الكـذب جـد ولا هـزل، ولا أن يعد الرجل (صبيه)[1] ، ثم لا ينجزه[2] ، الا وإن

= **ثلاث»**. وقد أخرجها : مالك في الموطأ (٥٦٦) كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في المهاجرة . ومن طريقه البخاري (٧/ ٩١) كتاب الأدب، باب الهجرة . ورواه البخاري أيضاً (٧/ ٨٨) كتاب الأدب ، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر .

ومسلم (٤/ ١٩٨٣) كتاب البر والصلة والآدب، باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر.

وأبوداود (١٣/ ٢٥٥) كتاب الأدب ، باب في هجرة الرجل أخاه .

والترمذي (٤/ ٢٩٠) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الحسد. وقال: حديث حسن صحيح.

وعبدالرزاق في مصنفه (١١/ ١٦٧-١٦٨) باب المهاجرة والحسد .

والإمام أحمد (٣/ ١١٠،١٦٥،١٩٩،٢٠٩،٢٢٥) .

ورواية أبي أيوب أخرجها : مالك في الموطأ (ص٥٦٥) كتاب حسن الخلق ، باب ما جاء في المهاجرة ، ومن طريقه البخاري (٧/ ٩١) كتاب الأدب ، باب الهجرة .

ورواه البخاري أيضاً (٧/ ١٢٨) كتاب الاستئذان ، باب السلام للمعرفة وغير المعرفة .

ومسلم (٤/ ٤١٩٨٤) كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي، وأبوداود (١٣/ ٢٥٦) كتاب الأدب .

وعبدالرزاق في مصنفه (١١/ ١٦٨) باب المهاجرة والحسد .

والإمام أحمد (٥/ ٤١٦،٤٢١،٤٢٢) .

والحميدي في مسنده (١/ ١٨٦-١٨٧) .

وفي الباب عن ابن عمر رضي الله عنهما عند مسلم (٤/ ١٩٨٤) كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي .

وعن أبي هريرة ﷺ عند أبي داود (١٣/ ٢٥٦، ٢٥٨) كتاب الأدب ، باب في هجرة الرجل أخاه .

وعن عائشة رضي الله عنها عند أبي داود أيضاً (١٣/ ٢٥٧) كتاب الأدب ، باب في هجرة الرجل أخاه .

(١) في ع ، د ، س : صفية .

(٢) وقولـه : **« وإنه لا يصلح من الكذب جد ولا هزل، ولا أن يعد الرجل صبيه ثم لا ينجزه»**. رواه البخاري في الأدب المفرد ص(١٤٠) باب لا يصلح الكذب. =

الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الصادق يقال له: صدق وبر، وإن الكاذب يقال له: كذب وفجر، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن العبد ليصدق فيكتب عند الله صدِّيقاً، وإنه ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً، ألا هل تدرون ما العَضه**[1] **؟ هي**

= والإمام أحمد في مسنده (١/ ٤١٠) وصحح الشيخ أحمد شاكر إسناده . انظر المسند بتحقيقه (٥/ ٣٤٣) . وابن جرير في تفسيره (١١/ ٦٣) دون قوله: « **ولا أن يعد الرجل ...** » ، وفي تهذيب الآثار ، مسند علي بن أبي طالب ص١٤٦-١٤٧ تخريج الشيخ محمود شاكر ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

وابن عدي في الكامل (١/ ٤١) الباب الثامن عشر، الكاذب يكتب عند الله تعالى كذاباً، ويهديه كذبه إلى الفجور .

وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٥٩١) كتاب الأدب ، باب ما جاء في الكذب . مختصراً .

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣١٦) وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه .

ورواه الحاكم في المستدرك (١/ ١٢٧) عن ابن مسعود مرفوعاً إلى النبي ﷺ ومتصلاً مع الحديث الذي بعده، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين وإنما تواتر الروايات بتوقيف أكثر هذه الكلمات، فإن صح سنده، فإنه صحيح على شرطهما . ووافقه الذهبي . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣١٧) ولم ينسبه إلى غيرهما .

(١) قال النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٦/ ١٥٩) هذه اللفظة رووها على وجهين :

أحدهما : العِضْه ـ بفتح العين وإسكان الضاد المعجمة ـ على وزن العده والزنه .

والثاني : العَضْه ـ بفتح العين وإسكان الضاد ـ على وزن الوجه .

وهذا الثاني هو الأشهر في روايات بلادنا ، والأشهر في كتب الحديث وكتب غريبه ، والأول أشهر في كتب اللغة . وتقدير الحديث ـ والله أعلم ـ : الا أنبئكم ما العضه الفاحش الغليظ التحريم .

النميمة التي تفسد بين الناس »[١] ، وهذا متواتر[٢] عن عبدالله[٣] .

(١) روى هذا الجزء المرفوع مسلم (٤/ ٢٠١٢) كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم النميمة بتقديم وتأخير واختلاف يسير . وقد روى عبدالله بن مسعود نفسه عن النبي ﷺ أنه قال : « **إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب صديقاً ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يُكتب كذاباً** » .
وأخرجه البخاري (٧/ ٩٥) كتاب الأدب ، باب قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ وما ينهى عن الكذب . ورواه مسلم (٤/ ٢٠١٢-٢٠١٣) كتاب البر والصلة والآداب ، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، من عدة طرق. وأبوداود (١٣/ ٣٣٣-٣٣٤) كتاب الأدب، باب التشديد في الكذب . والترمذي (٤/ ٣٠٦) كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الصدق والكذب. وقال : حديث حسن صحيح. والإمام مالك في الموطأ ص٦١٢ كتاب الكلام ، باب ما جاء في الصدق والكذب ، موقوفاً على عبدالله بن مسعود . والإمام أحمد في مسنده (١/ ٣٨٤، ٤٣٢) . وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٥٩٠-٥٩١) كتاب الأدب ، باب ما جاء في الكذب .

(٢) المتواتر هو : ما نقله من يحصل العلم بصدقهم ضرورة عن مثلهم من أوله إلى آخره . وذلك بأن يكونوا جمعاً لا يمكن تواطؤهم على الكذب، عن مثلهم من أول الإسناد إلى آخره ، ولذلك يجب العمل به من غير بحث عن رجاله ، ولا يعتبر فيه عدد معين في الأصح . تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي (٢/ ١٧٦) .

(٣) هذا الأثر رواه كاملاً من رواية ابن مسعود ـ كما ذكر المؤلف ـ الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٩٨، ١٠٠) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٠٠-٢٠١) ، وعبدالرزاق في مصنفه (١١/ ١١٦) عن معمر، عن جعفر بن برقان ، قال : قال عبدالله بن مسعود . وأبويعلى في مسنده (٩/ ٢٤٥) بأكثره . ورواه ابن ماجه في سننه (١/ ١٨) المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل. من رواية ابن مسعود مرفوعاً . والقضاعي في مسنده الشهاب (٢/ ٢٦٣-٢٦٤). وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٦) . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في إقامة الدليل (ص٥٩) : رواه ابن ماجه ، وابن أبي عاصم بأسانيد جيدة . ثم قال : لكن المشهور أنه موقوف على ابن مسعود .

وبلغ معاوية[١] أن الوباء اشتد بأهل دار، فقال : لو حوّلناهم عن مكانهم ، فقال له أبوالدرداء : وكيف لك يا معاوية بأنفس قد حضرت آجالها ؟! فكأن معاوية وَجَدَ[٢] على أبي الدرداء ، فقال له كعب[٣] : يا معاوية ، لا تجد على أخيك، فإن الله سبحانه لم يدعْ نفساً (حين)[٤] تستقر نطفتها في الرحم أربعين ليلة إلا كتب خَلقها ، وخُلقها ، وأجلها ، ورزقها، ثم لكل نفس ورقة خضراء معلقة بالعرش، فإذا دنا أجلها خَلُقَت[٥] تلك الورقة حتى تيبس ثم تسقط ، فإذا يبست سقطت تلك النفس وانقطع أجلها ورزقها . ذكره أبوداود عن محمود بن خالد[٦] ،

---

(١) هو : معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموي ، أبوعبدالرحمن ، الخليفة ، صحابي ، أسلم قبل الفتح ، وكتب الوحي ، ومات في رجب سنة ستين ، وقد قارب الثمانين . روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٢٥٩) ، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢٠٧) ، وأسد الغابة (٤/ ٤٣٣-٤٣٦) .

(٢) وَجَد عليه أي : غضب . النهاية لابن الأثير (٥/ ١٥٥) .

(٣) هو : كعب بن ماتع الحميري ، أبوإسحاق ، المعروف بكعب الأحبار ، ثقة من الثانية ، مخضرم ، كان من أهل اليمن فسكن الشام، مات في خلافة عثمان ، وقد زاد على المائة، وليس له في البخاري رواية ، وفي مسلم رواية لأبي هريرة عنه. روى له أبوداود والترمذي والنسائي ، وابن ماجه في التفسير . تقريب التهذيب (٢/ ١٣٥) ، وتهذيب التهذيب (٨/ ٤٣٨-٤٤٠) .

(٤) في م ، ت : حتى .

(٥) قال في المصباح المنير (١/ ١٨٠) مادة (خلق): خَلُقَ الثوب ـ بالضم ـ إذا بلي، فهو خَلَقٌ ـ بفتحتين .

(٦) هو : محمود بن خالد السلمي ، أبوعلي الدمشقي ، ثقة ، من صغار العاشرة ، مات سنة سبع وأربعين ومائتين ، وله ثلاثة وسبعون سنة، روى له أبوداود والنسائي وابن ماجه . تقريب التهذيب (٢/ ٢٣٢) . وانظر تهذيب التهذيب (١٠/ ٦١) .

حدثنا مروان[١] حدثنا معاوية بن[٢] سلاَّم، حدثني أخي زيد بن سلاَّم[٣] عن جده ابن سلاَّم [٤] قال : بلغ معاوية .. فذكره[٥] .

وقال أبوداود : حدثنا واصل بن عبد الأعلى[٦] حدثنا ابن فضيل[٧] عن الحسن بن عمرو الفُقَيمي[٨]

---

(١) هو : مروان بن محمد بن حسان الأسدي ، الدمشقي ، الطاطري ـ بمهملتين مفتوحتين ـ ثقة من التاسعة ، مات سنة عشر ومائتين وله ثلاث وستون سنة . روى له مسلم في المقدمة ، وروى له الأربعة . تقريب التهذيب (٢/ ٢٣٩) ، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٩٥) ، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٥١٠) .

(٢) هو : معاوية بن سلاَّم ـ بالتشديد ـ ابن أبي سلام ، أبوسلام الدمشقي ، وكان يسكن حمص، ثقة ، من السابعة ، مات في حدود سنة سبعين ومائة ، روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٢٥٩) . وانظر تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٠٨-٢٠٩) .

(٣) هو : زيد بن سلاَّم بن أبي سلاَّم ممطور الحبشي ـ بالمهملة والموحدة والمعجمة ـ ثقة ، من السادسة ، روى له البخاري في الأدب المفرد ، وروى له مسلم والأربعة . تقريب التهذيب (١/ ٢٧٥) . وانظر : تهذيب التهذيب (٣/ ٤١٥-٤١٦) .

(٤) هو : ممطور الأسود الحبشي أبوسلاَّم ، ثقة يرسل ، من الثالثة ، روى له البخاري في الأدب المفرد ، وروى له مسلم والأربعة . تقريب التهذيب (٢/ ٢٧٣) انظر تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٩٦) .

(٥) لم أعثر له على تخريج ، ورجال إسناده ثقات ، وهو من أخبار كعب .

(٦) هو : واصل بن عبدالأعلى بن هلال الأسدي ، أبوالقاسم أو أبومحمد الكوفي ، ثقة من العاشرة ، مات سنة أربع وأربعين ومائتين. روى له مسلم والأربعة . تقريب التهذيب (٢/ ٣٢٨) وانظر : تهذيب التهذيب (١١/ ١٠٤) .

(٧) هو : محمد بن فضيل بن غَزْوان ـ بفتح المعجمة وسكون الزاي ـ الضبي ، مولاهم ، أبوعبدالرحمن الكوفي ، صدوق عارف ، رُمي بالتشيع ، من التاسعة ، مات سنة خمس وتسعين ومائتين . روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٢٠٠-٢٠١) ، وانظر تهذيب التهذيب (٩/ ٤٠٥-٤٠٦) .

(٨) هو: الحسن بن عمرو الفُقَيمي ـ بضم الفاء وفتح القاف ـ الكوفي، ثقة ثبت، من السادسة، =

عـن الحكم[١] عن مجاهد في قولـه تعالى : ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾[٢] قال : ما من مولود يُولد إلا في عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد[٣] .

وفي الصحيحين عن أُبيِّ بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافراً، ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً**»[٤] .

= مات سنة اثنتين وأربعين ومائة . روى له البخاري وأبوداود والنسائي وابن ماجه. تقريب التهذيب (١/ ١٦٩) ، وانظر تهذيب التهذيب (٢/ ٣١٠-٣١١) .

(١) هو : الحكم بن عُتيبة ـ بالمثناة ثم الموحدة مصغراً ـ أبومحمد الكندي الكوفي، ثقة ثبت فقيه، إلا أنه ربما دلّس، من الخامسة ، مات سنة ثلاث عشرة ومائة ، أو بعدها، وله نيف وستون سنة . روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ١٩٢)، و انظر تهذيب التهذيب (٢/ ٤٣٢-٤٣٤) .

(٢) سورة الإسراء ، آية ١٣ .

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسير (١٥/ ٥١) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٥٠) وزاد نسبته إلى أبي داود في كتاب القدر وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) رواه مسلم ـ واللفظ له ـ في (٤/ ٢٠٥٠) كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موتى أطفال الكفار ، وأطفال المسلمين . وأبوداود (١٢/ ٤٧٢-٤٧٣) كتاب السنة ، باب في القدر . والترمذي (٥/ ٢٩٢) أبواب التفسير، تفسير سورة الكهف . وقال: حديث حسن صحيح غريب . وعبدالله ابن الإمام أحمد في زياداته على المسند (٥/ ١٢١) . وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٨٦) . والبيهقي في القدر ص(٥٩-٦٠، ٣٦١) . وابن حبان في صحيحه ، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٤/ ١٠٨) . واللالكائي في السنة (٤/ ٦٠٢) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٤٢٦)، زاد نسبته إلى ابن مردويه . ورواه مسلم أيضاً في (٤/ ١٨٤٧-١٨٥٣) كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام، من طرق أخرى عن أبي بن كعب ﷺ مطولاً بنحو ما قصّه الله سبحانه وتعالى عن موسى والخضر في سورة الكهف. وبمثله رواه البخاري مطولاً ومختصراً في المواضع التالية:

ـ (١/ ٢٦) كتاب العلم، باب ما ذكر في ذهاب موسى عليه الصلاة والسلام في البحر ، =

....

= وقوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ .
- (١/ ٢٧-٢٨) كتاب العلم ، باب الخروج في طلب العلم .
- (١/ ٣٨) كتاب العلم ، باب ما يستحب للعالم إذا سُئل أي الناس أعلم ، فيَكِل العلم إلى الله .
- (٣/ ٤٩) كتاب الإجارة ، باب إذا استأجر أجيراً على أن يقيم حائطاً يريد أن ينقض جاز .
- (٣/ ١٧٦-١٧٧) كتاب الشروط ، باب الشروط مع الناس بالقول .
- (٤/ ٩٢) كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده .
- (٤/ ١٢٦-١٢٩) كتاب الأنبياء ، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام .
- (٥/ ٢٣٠-٢٣١) كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ .
- (٥/ ٢٣٢-٢٣٤) كتاب التفسير باب قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ .
- (٥/ ٢٣٤-٢٣٥) كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا ﴾ .
- (٧/ ٢٢٧) كتاب الأيمان والنذور ، باب إذا حنث ناسياً في الأيمان .
- (٨/ ١٩٣-١٩٤) كتاب التوحيد ، باب في المشيئة والإرادة .
- وأبوداود (١٢/ ٤٧٣) كتاب السنة ، باب في القدر .
- والترمذي (٥/ ٢٨٩-٢٩٢) أبواب التفسير ـ تفسير سورة الكهف . وقال : حديث حسن صحيح .
- والنسائي في كتاب التفسير (٢/ ١٢-٢١) من سننه الكبرى ، وفي كتاب (العلم) كما عزاه المزي في تحفة الأشراف (١/ ٢٤) .
- والإمام أحمد (٥/ ١١٦، ١٢٠) وابنه عبدالله في زيادته على المسند (٥/ ١١٧، ١١٨) .
- والحميدي في مسنده (١/ ١٨٢-١٨٤) ، والطبري في تفسيره (١٥/ ٢٧٨-٢٨٢) .
- وابن حبان في صحيحه ، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١/ ٣٠٤-٣٠٥) .
- وبهذا يتبيَّن أن البخاري لم يخرج الرواية التي ذكرها الإمام ابن القيم هنا ، وقد ذكر المزي في تحفة الأشراف (١/ ٢٣-٢٤) الحديث بالرواية المطولة، وأشار إلى تخريج البخاري ومسلم =

٢٣ ب وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت : تُوفي صبي من الأنصار / فقلت : طوبى[1] له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه . فقال : « **أو غير ذلك يا عائشة ؟ إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، (وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم)[2]** »[3] .

ولا يناقض هذا حديث سمرة[4] بن جندب الذي رواه البخاري في صحيحه من رؤيا النبي ﷺ أطفال المشركين حول إبراهيم الخليل في الروضة[5]، فإن

= لها، ثم ذكر الرواية المختصرة ـ التي أوردها ابن القيم هنا ـ وعزاها إلى مسلم وأبي داود والترمذي، ثم قال : وهو بعض الحديث الأول ، ولعل هذا ما جعل ابن القيم ينسبه إلى الصحيحين .

(١) طُوبَى : اسم الجنة . وقيل: هي شجرة فيها . وأصلها : فُعْلى ، من الطيب ، فلما ضُمَّت الطاء انقلبت الياء واواً . النهاية (٣/ ١٤١) .

(٢) ما بين القوسين ساقط من ع ، د ، س .

(٣) رواه مسلم (٤/ ٢٠٥٠) كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، عن سليمان بن معبد ، عن الحسين بن حفص . وعن إسحاق بن منصور ، عن محمد بن يوسف كلاهما عن سفيان الثوري . وعن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن وكيع . وعن محمد بن الصباح ، عن إسماعيل بن زكريا، ثلاثتهم عن طلحة بن يحيى، عن عمته عائشة بنت طلحة، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ... به . ورواه أبوداود (١٢/ ٤٨٥) كتاب السنة ، باب ذراري المشركين . والنسائي (٤/ ٥٧) كتاب الجنائز ، باب الصلاة على الصبيان . وابن ماجه (١/ ٣٢) المقدمة ، باب في القدر . والإمام أحمد (٦/ ٢٠٨) . وأبوداود الطيالسي في مسنده ص٢٢٠. والآجري في الشريعة ص١٩٥-١٩٦.

(٤) هو : سمرة بن جندب بن هلال الفزاري، حليف الأنصار، صحابي مشهور، له أحاديث، مات بالبصرة سنة ثمان وخمسين . روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٣٣٣) وتهذيب التهذيب (٤/ ٢٣٦) .

(٥) وهو حديث طويل وأوله: قال سمرة بن جندب ﷺ : كان النبي ﷺ إذا صلى صلاةً أقبل علينا بوجهه فقال: «**من رأى منكم الليلة رؤيا**». قال: فإن رأى أحد قصَّها، فيقول : «**ما** =

الأطفال منقسمون إلى شقي وسعيد كالبالغين ، (فالذين رآهم)[1] حول إبراهيم

= **شاء الله** » ، فسألنا يوماً فقال : « **هل رأى أحدٌ منكم رؤيا ؟** » قلنا : لا . قال : « **لكني رأيتُ الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي .. إلى أن قال : فانطلقا حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان ..** » ثم ذكر تفسير ذلك بقوله : «**والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام والصبيان حوله فأولاد الناس**» . وقد رواه البخاري بتمامه في (٢/ ١٠٤-١٠٥) كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين. وفي (٨/ ٨٤-٨٦) كتاب التعبير ، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح . ورواه أيضاً مقطعاً ومختصراً في المواضع التالية :

- (١/ ٢٠٥) كتاب الصلاة ، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم .
- (٢/ ٤٦-٤٧) كتاب التهجد ، باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل من الليل .
- (٣/ ١١) كتاب البيوع ، باب آكل الربا وشاهده وكاتبه .
- (٣/ ٢٠٢) كتاب الجهاد ، باب درجات المجاهدين في سبيل الله .
- (٤/ ٨٤) كتاب بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة آمين ، فوافقت إحداهما الأخرى؛ غفر له ما تقدم من ذنبه .
- (٤/ ١١١) كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ .
- (٥/ ٢٠٧-٢٠٨) كتاب التفسير ، تفسير سورة براءة ، باب قوله تعالى : ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ﴾ .
- (٧/ ٩٥) كتاب الأدب ، باب قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .
- ورواه مسلم (٤/ ١٧٨١) في آخر كتاب الرؤيا ، باب رؤيا النبي ﷺ مختصراً . والترمذي (٤/ ٤٧١) في آخر كتاب الرؤيا ، باب ما جاء في رؤيا النبي ﷺ مختصراً، وقال : حديث حسن صحيح. والنسائي في السنن الكبرى بتمامه في كتاب الرؤيا، وبأكثر الحديث في كتاب التفسير (١/ ٥٥٥). وانظر تحفة الإشراف (٤/ ٨٢). ورواه الإمام أحمد (٥/ ٨، ٩، ١٤) . والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٢٨٦-٢٩٤) . والبغوي في شرح السنة (٨/ ٥٠-٥٣) . والبيهقي في سننه (٢/ ١٨٧-١٨٨) . و(٥/ ٢٧٥) . وفي كتاب القدر ص(٣٥٣) . وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢/ ٤٢٧-٤٣١) .

(١) في ع، د ، س : فالذي رآه .

السعداء من أطفال المسلمين والمشركين ، وأنكر على عائشة شهادتها للطفل المعيَّن (بأنه)[١] عصفورٌ من عصافير الجنة، (وقد يكون من القسم الآخر كالشهادة للبالغين، وبالله التوفيق)[٢] .

فاجتمعت هذه الأحاديث والآثار على تقدير رزق العبد وأجله وشقاوته وسعادته وهو في بطن أمه ، واختلفت في وقت هذا التقدير، وهذا تقدير بعد التقدير الأول السابق على خلق السماوات والأرض، وبعد التقدير الذي وقع يوم استخراج الذرية بعد خلق أبيهم آدم، ففي حديث ابن مسعود أن هذا التقدير يقع بعد مائة وعشرين يوماً من حصول النطفة في الرحم، وحديث أنس غير مؤقت ، وأما حديث حذيفة بن أسيد فقد وقَّت فيه التقدير بأربعين يوماً، وفي لفظ بأربعين ليلة، وفي لفظ ثنتين وأربعين ليلة ، وفي لفظ بثلاث وأربعين (ليلة)[٣]، وهو حديث انفرد به مسلم ولم يروه البخاري، وكثير من الناس يظن التعارض بين الحديثين ، ولا تعارض بينهما بحمد الله، (فإن)[٤] (المَلَك)[٥] الموكل بالنطفة يكتب ما يقدره الله سبحانه على رأس الأربعين الأولى حتى (يأخذ)[٦] في الطور الثاني وهو العلقة، وأما المَلَك الذي ينفخ فيه (الروح)[٧] فإنما ينفخها بعد ٢٤أ الأربعين الثالثة / فيُؤمر عند نفخ الروح فيه بكتب رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته. وهذا تقدير آخر غير التقدير الذي كتبه المَلَك الموكل بالنطفة، ولهذا قال

(١) في ع ، د ، س : أنه .
(٢) ما بين القوسين ساقط من ع ، د ، س .
(٣) ساقطة من م ، ت .
(٤) في ع ، د ، س : وإن .
(٥) ساقطة من م .
(٦) ساقطة من م .
(٧) ساقطة من ع، د ، س .

في حديث ابن مسعود : « ثم يرسل إليه المَلَك فيُؤمر بأربع كلمات » وأما المَلَك الموكل بالنطفة ، فذاك راتب معها ينقلها بإذن الله من حال إلى حال، (فتقدير)[١] الله سبحانه شأن النطفة حتى تأخذ في مبدأ التخليق وهو العلق ، (وتقدير)[٢] شأن الروح حين تتعلق بالجسد بعد مائة وعشرين يوماً ، فهو تقدير بعد تقدير .

فاتفقت أحاديث رسول الله ﷺ وصدّق بعضها بعضاً ، ودلَّت كلها على إثبات القدر السابق ومراتب القدر، وما يُؤتى أحدٌ إلا من غلط في الفهم أو غلط في الرواية ، (ومتى)[٣] صحّت الرواية وفهمت كما ينبغي (تَبَيَّن)[٤] أن الأمر كله من مشكاة واحدة صادقة متضمنة لنفس الحق ، وبالله التوفيق .

***

(١) في م ، ع ، د ، س : فيقدر .

(٢) في م ، ع ، د ، س : ويقدر .

(٣) في د : متى ـ دون الواو ـ .

(٤) في ع : تبين لنا .

الباب الخامس

في ذكر التقدير الرابع ليلة القدر

الباب الخامس
في ذكر التقدير الرابع ليلة القدر

قال الله تعالى : ﴿حمٓ ۝ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝﴾[(١)]، وهذه هي ليلة القدر قطعاً، لقوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾[(٢)]، ومن زعم أنها ليلة النصف من شعبان فقد غلط[(٣)] ، قال سفيان[(٤)] عن ابن

---

(١) سورة الدخان ، الآيات (١-٥) .

(٢) سورة القدر ، آية (١) .

(٣) وممن قال: إنها ليلة النصف من شعبان : عكرمة ، ورجَّح ابن جرير الطبري قول من قال: إنها ليلة القدر ، وحكاه عن عدد من علماء السلف ، انظر تفسيره (٢٥/١٠٨، ١٠٩) وقال ابن كثير في تفسيره (٤/١٣٧) هي ليلة القدر، ومن قال: إنها ليلة النصف من شعبان، كما رُوي عن عكرمة، فقد أبعد النجعة .

(٤) أبهم هنا سفيان ، ولم يعيِّن ، ويحتمل أن يكون سفيان الثوري ، أو سفيان بن عيينة ، وذلك لأنهما متعاصران ويشتركان في أغلب شيوخهما وتلاميذهما ، ومنهم ابن أبي نجيح شيخ سفيان في هذه الرواية، كما يشتركان في كثير من الروايات ، وهذا ما جعل تحديد الراوي منهما هنا فيه صعوبة كبيرة ، واحتاج إلى وقت ليس بالقليل ، حيث إنني راجعت تهذيب الكمال ، وسير أعلام النبلاء وغيرهما من كتب التراجم، ولم يتبيَّن لي من المقصود بذلك ، والتميز بينهما في بعض الروايات أشكل على بعض العلماء ، كابن حجر وأحمد شاكر ، إلا أنني بعد ذلك وجدت هذا الأثر مخرجاً في تفسير عبدالرزاق ، وفي شعب الإيمان للبيهقي ، ومصرحاً فيه بأن سفيان : هو الثوري ، فزال الإشكال بحمد الله . وانظر فتح الباري (٨/ ٢٧٠) وتفسير الطبري بتحقيق أحمد شاكر (٨/ ٢٦١) ، وتفسير سفيان بن عيينة (ص٩-١٠) جمع وتحقيق أحمد محايري . ط. الأولى ١٤٠٣هـ نشر المكتب الإسلامي بدمشق ، وتهذيب الكمال (١١/ ١٥٤-١٧٧) ، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩) و (٨/ ٤٥٤) .

وسفيان الثوري هو : سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبوعبدالله الكوفي، ثقة ، =

أبي نجيح[١] عن مجاهد : ليلة القدر : ليلة الحكم[٢] .

وقال سفيان عن محمد بن سوقة[٣] عن سعيد بن جبير : يُؤذن للحجاج في ليلة القدر ، فيكتبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، فلا يُغادرُ منهم أحدٌ ، ولا يُزادُ فيهم ، ولا يُنقَص (منهم)[٤][٥] .

وقال ابن عُلَيّة[٦] : حدثنا ربيعة بن كلثوم[٧] قال : قال رجل للحسن ـ وأنا

= حافظ ، فقيه ، عابد، إمام حجة ، من رؤوس الطبقة السابعة، وربما دلس ، مات سنة إحدى وستين ومائة ، وله أربع وستون سنة ، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٣١١) وتهذيب التهذيب (٤/ ١١١-١١٥) وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩) .

(١) هو : عبدالله بن أبي نجيح ، يسار المكي ، أبويسار الثقفي ، مولاهم ، ثقة ، رُمي بالقدر، وربما دلّس ، من الطبقة السادسة ، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة ، أو بعدها . روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٤٥٦) ، وتهذيب التهذيب (٦/ ٥٤) ، وسير أعلام النبلاء (٦/ ١٢٥) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٢٥٩) وعبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٣٦٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٢١) ، وذكر السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥٦٧-٥٦٨) ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، ومحمد بن نصر ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٣) هو : محمد بن سُوقَة ـ بضم المهملة ـ الغَنَوي ـ بفتح المعجمة والنون الخفيفة ، أبوبكر الكوفي، العابد، ثقة، مرضي، عابد، من الطبقة الخامسة، وروى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ١٦٨)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٢٠٩-٢١٠) ، وانظر سير أعلام النبلاء (٦/ ١٣٤) .

(٤) ساقطة من ت .

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٠/ ٢٥٩) .

(٦) هو : إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي مولاهم ، أبوبشر البصري، المعروف بابن عُلَيَّة ـ بضم العين وفتح اللام وتشديد الياء المفتوحة ـ ثقة حافظ ، من الثامنة ، مات سنة ثلاث وتسعين ومائة وهو ابن ثلاث وثمانين . روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٦٦)، وتهذيب التهذيب (١/ ٢٧٥-٢٧٩)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ١٠٧) ، والمغني في ضبط أسماء الرجال ص١٧٨ .

(٧) هو : ربيعة بن كلثوم بن جبر ـ بجيم وموحدة ساكنة ـ البصري، روى عن أبيه وبكر =

أسمع ـ: أرأيتَ ليلة القدر في كل رمضان هي؟ قال: نعم، والله الذي لا إله إلا هو، إنها لفي كل رمضان، وإنها لليلة القدر، يفرق فيها كل أمر حكيم، فيها يقضي الله كل أجل / وعمل ورزق، إلى مثلها[(١)]. ٢٤ ب

وذكر يوسف بن مهران[(٢)] عن ابن عباس قال: يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر، حتى الحجَّاج يقال: يحجُّ فلانٌ، ويحجّ فلان[(٣)].

وذكر (عنه)[(٤)] سعيد بن جبير في هذه الآية: إنك لترى الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى[(٥)].

= المزني والحسن البصري، وعنه القطان وحجاج بن منهال وخالد بن الحارث وغيرهم، صدوق يهم، من السابعة. روى له البخاري في الأدب المفرد، وروى له مسلم والنسائي. تقريب التهذيب (١/ ٢٤٨)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٢٦٣).

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره: (٢٥/ ١٠٨) و (٣٠/ ٢٥٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٠٠) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ومحمد بن نصر.

(٢) هو: يوسف بن مهران البصري، وليس هو يوسف بن ماهك، ذاك ثقة، وهذا لم يروِ عنه إلا ابن جُدعان، هو لين الحديث من الطبقة الرابعة، روى عن ابن عباس وابن عمر وابن جعفر وجابر، وعنه زيد بن علي بن جدعان. تقريب التهذيب (٢/ ٣٨٢-٣٨٣) وتهذيب التهذيب (١١/ ٤٢٤-٤٢٥).

(٣) ذكره الواحدي في تفسيره «البسيط» ق (١٣) مخطوط، مرجع سابق انظر ص(٢٥٤). والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣٩٩) ونسبه إلى محمد بن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) في ع، د، س: عن.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٥/ ١٠٩) وعبدالله بن أحمد في السنة (٢/ ٤٠٧). والحاكم في المستدرك: (٢/ ٤٤٩) وصححه، ووافقه الذهـبي. والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٢٢١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٠٠) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقال مقاتل[١] : يقدّر اللهُ في ليلة القدر أمر السنة في بلاده وعباده إلى السنة القابلة[٢] .

وقال أبوعبدالرحمن السلمي[٣] : يقدّر أمر السنة كلها في ليلة القدر[٤] .

وهذا هو الصحيح . إن القَدْر مصدر قَدَر الشيء يَقْدُره قَدراً ، فهي ليلة الحُكم والتقدير .

وقالت طائفة[٥] : ليلة القدر : ليلة الشرف والعظمة من قولهم : لفلان قَدْر في الناس .

فإن أراد صاحب هذا القول أن لها قدراً وشرفاً، مع ما يكون فيها من التقدر

---

(١) هو : مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني ، أبوالحسن البلخي، المفسر ، نزيل مرو، ويقال له ابن دوال دوز ، كذّبوه وهجروه ، ورُمي بالتجسيم ، من السابعة ، مات سنة خمس ومائة ، روى له أبوداود في المسائل . تقريب التهذيب (٢/ ٢٧٢)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢٧٩)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠١) .

(٢) ذكره الواحدي في تفسيره البسيط ق(١٩٦) مخطوط، محفوظ أصله بالمكتبة الأزهرية بمصر تحت رقم (٣٠٣) مغاربة ، وتوجد صورة منه بمركز الملك فيصل بالرياض تحت رقم (١٤٢٥/ ف) .

(٣) هو : عبدالله بن حبيب بن ربيعة ـ بفتح الموحدة وتشديد الياء ـ أبوعبدالرحمن السلمي الكوفي المقرئ، مشهور بكنيته، ولأبيه صحبة، ثقة ثبت من الثانية ، مات بعد السبعين ، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٤٠٨) ، وتهذيب التهذيب (٥/ ١٨٣-١٨٤) .

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٥/ ١٠٨) . وذكره الواحدي في تفسيره ق(١٩٦) مخطوط، المرجع السابق . والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٠٠) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ومحمد بن نصر .

(٥) ذكر الواحدي هذا القول ونسبه إلى الزهري، انظر تفسيره « البسيط » ق (١٩٦) مخطوط، المرجع السابق.

فقد أصاب، وإن أراد أن معنى القَدْر فيها هو : الشرف والخطر (فقط)[١] فقد غلط؛ (لأن)[٢] الله سبحانه أخبر أن فيها يُفْرق (كل أمر حكيم)[٣] أي : (يُفْصل)[٤] ويُبَيَّن ويُبْرم كل أمر حكيم .

* * *

---

(١) ساقطة من ع، د ، س .

(٢) في ع ، د ، س : إن .

(٣) إضافة من م .

(٤) في م ، ع ، د ، س : يفصل الله . وما أثبت من ت ، ولعله الأنسب من ناحية لفظ الآية وإن كان المعنى واحداً .

الباب السادس

في ذكر التقدير الخامس اليومي

الباب السادس

في (ذكر)[١] التقدير الخامس اليومي

قال الله تعالى: ﴿ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[٢].

ذكر الحاكم في صحيحه من حديث (أبي)[٣] حمزة الثمالي[٤] عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: «أن مما خلق الله لوحاً محفوظاً من درة بيضاء، دفتاه من ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة نظرة أو مرة، ففي كل نظرة منها يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء، فذلك قوله: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[٥]».

---

(١) ساقطة من ع، د، س.

(٢) سورة الرحمن، آية ٢٩.

(٣) في ت: ابن.

(٤) هو: ثابت بن أبي صفية، الثُّمالي - بضم المثلثة - أبوحمزة، واسم أبيه دينار، وقيل: سعيد، كوفي، ضعيف رافضي، من الخامسة، مات في خلافة أبي جعفر، روى له أبوداود، والنسائي في مسند علي، وابن ماجه. تقريب التهذيب (١/ ١١٦)، وانظر تهذيب التهذيب (٢/ ٧-٨).

(٥) انظر المستدرك للحاكم (٢/ ٤٧٤) ك. التفسير، تفسير سورة الرحمن. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي، فقال: اسم أبي حمزة: ثابت، وهو واهٍ بمرة. ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٣٥)، واللالكائي في السنة (٤/ ٦٧٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات ص(٤٩٢، ٦٠٦-٦٠٧) وقال: وهذا موقوف، وأبوحمزة الثمالي ينفرد بروايته. وعبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٢٦٣-٢٦٣). وأبوالشيخ في العظمة (٢/ ٤٩٢-٤٩٣) تحقيق د. رضاء الله المباركفوري، ط. الأولى ١٤٠٨هـ نشر دار العاصمة بالرياض. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٩٩) وزاد نسبته إلى ابن المنذر، وابن مردويه. اهـ. وهذا الأثر موقوف، وفي سنده أبوحمزة الثمالي، وهو ضعيف، ورُوي مرفوعاً من طريق زياد بن عبدالله عن ليث بن أبي سليم، عن عبدالملك بن سعيد بن جبير، عن أبيه، عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: ...، وأخرجه الطبراني في المعجم =

وقال مجاهد والكلبي[١] وعبيد بن عمير[٢] وأبوميسرة[٣] وعطاء[٤] ومقاتل : من شأنه أنه يحيي ويميت ، ويرزق ويمنع، وينصر ويعز ويذل، ويفك عانياً، ويُشفي مريضاً، ويجيب داعياً ، ويعطي سائلاً ، ويتوب على قوم، ويكشف كرباً ويغفر ذنباً ، ويضع أقواماً ويرفع آخرين ، دخل كلام بعضهم في بعض[٥] .

= الكبير (١٢/ ٧٢) ، وأبونعيم في الحلية (٤/ ٣٠٥) . وقال الألباني : ضعيف ، فيه زياد بن عبدالله، وهو البكائي، عن ليث ـ وهو ابن أبي سليم ـ كلاهما ضعيف . انظر تعليقه على شرح الطحاوية ص(٢٩٣) .

(١) هو : محمد بن السائب بن بشر ، الكلبي أبوالنضر الكوفي ، النسّابة المفسر ، متهم بالكذب ، ورُمي بالرفض . قال ابن عدي : وحدّث عنه ثقات من الناس، ورضوه في التفسير ، وأما في الحديث ففيه مناكير، خاصة إذا روى عن أبي صالح عن ابن عباس، من السادسة، مات سنة ست وأربعين ومائة . روى له الترمذي ، وابن ماجه في التفسير . تقريب التهذيب (٢/ ١٦٣) . وانظر تهذيب التهذيب (٩/ ١٧٨-١٨١) والكامل لابن عدي (٦/ ٢١٣٢) .

(٢) هو : عبيد بن عمير بن قتادة الليثي ، أبوعاصم المكي، الواعظ المفسر، ولد على عهد النبي ﷺ ، قاله مسلم . وعدّه غيره في كبار التابعين ، وكان قاص أهل مكة ، مجمع على ثقته ، مات قبل ابن عمر بأيام يسيرة، وكانت وفاة ابن عمر رضي الله عنهما سنة ثلاث وسبعين في آخرها ، أو أول التي تليها . روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٥٤٤) و (١/ ٤٣٥) وانظر تهذيب التهذيب (٦/ ٧١) ، وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٥٦-١٥٧) .

(٣) هو : عمرو بن شُرَحبيل الهَمْداني ، أبوميسرة ، الكوفي ، ثقة عابد ، مخضرم ، مات سنة ثلاث وستين . روى له الستة إلا ابن ماجه. تقريب التهذيب (٢/ ٧٢)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٤٧) .

(٤) هو : عطاء بن دينار الهذلي، مولاهم، أبوالريان ـ بالراء والتحتانية الثقيلة ـ وقيل: أبوطلحة، المصري ، صدوق ، إلا أن روايته عن سعيد بن جبير من صحيفته ، من الطبقة السادسة . مات سنة ست وعشرين ومائة . روى له البخاري في الأدب المفرد ، وروى له أبوداود والترمذي . تقريب التهذيب (٢/ ٢١) ، وتهذيب التهذيب (٧/ ١٩٨-١٩٩) .

(٥) نص قول مجاهد : « من شأنه أن يعطي سائلاً ، ويفك عانياً ، ويجيب داعياً ، ويشفي سقيماً » . وفي رواية أخرى: « كل يوم هو يجيب داعياً، ويكشف كرباً، ويجيب مضطراً ، =

....

= ويغفر ذنباً ». رواهما الطبري في تفسيره (٢٧(١٣٥)، وذكر السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٧٠٠) الرواية الثانية، وزاد نسبتها إلى عبد بن حميد. وقول الكلبي لم أعثر له على تخريج، ونص قول عبيد بن عمير: « من شأنه أن يفك عانياً، ويجيب داعياً، ويشفي مريضاً، ويعطي سائلاً ». رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٣٥) وعبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٢٦٣). والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٦). وذكر السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٩٩-٧٠٠) وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر. ونص قول أبي ميسرة: « من شأنه أن يميت من جاء أجله، ويصور ما شاء في الأرحام، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، وأن يفدي الأسير » رواه أبوالشيخ في العظمة (٢/ ٤٨٦ -٤٨٥). وأبونعيم في الحلية (٥/ ٢٥٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٧٠٠) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد. ولم أعثر على تخريج لقول عطاء ومقاتل. وروى البخاري في صحيحه (٦/ ٥٥) ك. التفسير، تفسير سورة الرحمن، هذا القول معلقاً بصيغة الجزم وموقوفاً على أبي الدرداء. ولفظه: (وقال أبوالدرداء: « كل يوم هو في شأن، يغفر ذنباً، ويكشف كرباً، ويرفع قوماً، ويضع آخرين »). ورواه أيضاً البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٦) وزاد فيه عن البخاري « ويجيب داعياً »، وقال ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٦٢٣): وصله المصنف في (التاريخ)، وابن حبان في (الصحيح) وابن ماجه، وابن أبي عاصم، والطبراني عن أبي الدرداء مرفوعاً، وأخرجه البيهقي في (الشعب) من طريق أم الدرداء عن أبي الدرداء موقوفاً، وللمرفوع شاهد آخر عن ابن عمر، أخرجه البزار، وآخر عن عبدالله بن منيب؛ أخرجه الحسن بن سفيان، والبزار، وابن جرير، والطبراني. اهـ. والحديث أخرجه مرفوعاً ابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢/ ٤٦٤). وابن ماجه في سننه (١/ ٧٣) في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية. وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٢٩-١٣٠) وصححه الألباني لأن له متابعات. وأبونعيم في الحلية (٥/ ٢٥٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات ص(٩٨-٩٩)، وأبوالشيخ في العظمة (٢/ ٤٧٩-٤٨٠)، والبزار، كما في كشف الأستار (٣/ ٧٣)، =

٢٥أ وقد ذكر الطبراني[1] / في المعجم ، والسنة ، وعثمان بن سعيد الدارمي[2] في كتاب الرد على المريسي[3] عن عبدالله بن مسعود قال : «إن ربكم عز وجل ليس

= كلهم من رواية أبي ذر . ورواه ـ أيضاً ـ مرفوعاً عبدالله بن منيب عن رسول الله ﷺ . وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٣٥) ، وأبوالشيخ في العظمة (٢/ ٤٨١-٤٨٢)، والبزار كما في كشف الأستار (٣/ ٧٣) وقال : لا نعلم أسند عبدالله بن منيب إلا هذا . اهـ .

وفي سند هذه الرواية عمرو بن بكر السكسكي ، وهو متروك . كما في تقريب التهذيب (٦٦/٢) .

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٩٩) وزاد نسبته إلى الحسن بن سفيان في مسنده وابن مردويه. ورواه أيضاً عبدالله بن عمر مرفوعاً ، وأخرجه البزار كما في كشف الأستار (٣/ ٧٤) بلفظ مختصراً . اهـ .

وفي سنده عبدالرحمن بن البيلماني ، وهو ضعيف . كما في تقريب التهذيب (٢/ ١٨٢) .

(١) سبقت ترجمته في ص(٢٥١) .

(٢) هو : أبوسعيد ، عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد ، التميمي الدارمي ، السجستاني ، العلامة الحافظ ، صاحب المسند وغيره من التصانيف ، ولد قبل المئتين بيسير ، وطوف الأقاليم في طلب الحديث ، وقد أثنى عليه كثير من العلماء ، توفي سنة ثمانين ومائتين . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣١٩-٣٢٦) ، طبقات الحفاظ ص(٢٧٧-٢٧٨) ، طبقات الحنابلة (١/ ٢٢١) .

(٣) هو : بشر بن غياث بن أبي كريمة العدوي ، مولاهم ، البغدادي المريسي ، مبتدع ضال ، وإليه تنسب المريسية من المرجئة ، تفقه على أبي يوسف، فبرع وأتقن علم الكلام ، ثم جرد القول بخلق القرآن ، وناظر عليه ، ولم يدرك الجهم بن صفوان ، إنما أخذ مقالته ، واحتج لها ودعا إليها ، وسمع من حماد بن سلمة وغيره. وقال الخطيب : حُكِيَ عنه أقوال شنيعة ، أساء أهل العلم قولهم فيه ، وكفَّره أكثرهم لأجلها. قال الذهبي : وقد أُخذ بشر في دولة الرشيد وأُوذِي لأجل مقالته ، مات في آخر سنة ثماني عشرة ومئتين ، وقد قارب الثمانين. ميزان الاعتدال (١/ ٣٢٢) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٩٩-٢٠٢) ، وتاريخ بغداد (٧/ ٥٦-٦٧) ، والفَرْق بين الفِرَق ص(١٩٢) .

عنده ليل ولا نهار، نور السماوات والأرض (من)[١] نور وجهه، وإن مقدار (كل)[٢] يوم من أيامكم عنده ثنتي عشرة[٣] ساعة فتعرض عليه أعمالكم (بالأمس أول النهار اليوم، فينظر فيها ثلاث ساعات فيطلع)[٤] فيها على ما يكره فيغضبه ذلك، وأول من يعلم غضبه حملة العرش يجدونه يثقل عليهم، فيسبحه حملة العرش وسرادقات العرش والملائكة المقربون وسائر الملائكة ، ثم ينفخ جبريل في القرن، فلا يبقى شيء إلا سمع صوته، فيسبحون الرحمن عز وجل ثلاث ساعات حتى يمتلئ الرحمن عز وجل رحمة ، فتلك ست ساعات ، ثم يؤتى بالأرحام فينظر فيها ثلاث ساعات، فذلك قوله في كتابه العزيز : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[٥] ، وقوله : ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝ ﴾[٦] فتلك تسع ساعات، ثم يؤتى بالأرزاق، فينظر فيها ثلاث ساعات، فذلك قوله في كتابه: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾[٧]، ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[٨]

---

(١) ساقطة من ع ، د ، س .

(٢) ساقطة من ت .

(٣) (ثنتي عشرة ساعة) : هكذا في جميع النسخ ، وكذا في المعجم الكبير ، وفي رد الدارمي على بشر المريسي، وفي العظمة لأبي الشيخ، وهذا خلاف قواعد اللغة العربية ، فإنها تقتضي أن تكون (ثنتا عشرة ساعة) كما في الحلية لأبي نعيم (١/ ١٣٧) ؛ لأنها خبر (إن) .

(٤) ما بين القوسين ساقطة من ع، د، س .

(٥) سورة آل عمران ، آية ٦ .

(٦) سورة الشورى ، آية ٤٩-٥٠ .

(٧) سورة الإسراء ، آية ٣٠ ، وسورة سبأ ، آية ٣٦ ، وسورة الزمر ، آية ٥٢ ، وسورة الشورى، آية ١٢ .

(٨) سورة الرحمن ، آية ٢٩ .

قال : هذا (من)[(١)] شأنكم وشأن ربكم تبارك وتعالى .

قال الطبراني : حدثنا بشر بن موسى[(٢)] حدثنا يحيى بن إسحاق[(٣)] (حدثنا)[(٤)] حماد بن سلمة عن أبي عبدالسلام[(٥)] عن عبدالله أو عبيد الله[(٦)] بن مكرز، عن ابن مسعود، فذكره[(٧)] .

---

(١) ساقطة من ع، د ، س .

(٢) هو : بشر بن موسى بن صالح الأسدي ، البغدادي ، أبوعلي ، الإمام ، الحافظ ، الثقة ، ولد سنة تسعين ومئة ، سمع من روح بن عبادة ويحيى بن إسحاق السيلحيني، والحميدي، وسعيد بن منصور وغيرهم، وحدَّث عنه إسماعيل الصفار، وأبوالقاسم الطبراني وغيرهما. قال الخطيب : كان ثقة أميناً . وقال الدارقطني : ثقة . وقال أبوبكر الخلال الفقيه : كان أحمد ابن حنبل يكرم بشر بن موسى . مات سنة ثمان وثمانين ومائتين . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٥٢-٣٥٤) ، وتاريخ بغداد (٧/ ٨٦-٨٨) ، وطبقات الحفاظ للسيوطي (٢٧٤) .

(٣) هو : يحيى بن إسحاق السيلحيني ـ بمهملة ممالة ، وقد تصير ألفاً ساكنة، وفتح اللام وكسر المهملة ثم تحتانية ساكنة ثم نون ـ أبوزكريا ، أو أبوبكر ، نزيل بغداد ، صدوق من كبار العاشرة، مات سنة عشرين ومائتين. روى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ٣٤٢)، وانظر تهذيب التهذيب (١١/ ١٧٦-١٧٧) .

(٤) في د ، س : أن ، وفي ع : أخبرنا .

(٥) قال الحافظ ابن حجر في تعجيل المنفعة ص(١٣٥) : الزبير بن جواتشير، أبوعبدالسلام، البصري ، روى عن أيوب بن عبدالله بن مكرز، روى عنه حماد بن سلمة، ذكره الحاكم أبوأحمد في (الكنى) وسمى أباه ولم أره لغيره، وهو اسم فارسي، أوله جيم مضمومة، وبعد الألف مثناة فوقانية مفتوحة، ومعجمة مكسورة. ونقل عن ابن معين أنه ذكر برواية حماد ابن سلمة فقط ، و لم يذكر فيه جرحاً . وذكره ابن حبان في (الثقات) . وانظر الثقات لابن حبان (٦/ ٣٣٣) ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٩/ ٤٠٦) ط. الأولى ١٣٧٣هـ نشر دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد في الهند .

(٦) لم أعثر له على ترجمة، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٨٥) عبدالله بن مكرز ، أو عبيدالله ، على الشك ، لم أرَ من ذكره .

(٧) انظر المعجم الكبير (٩/ ٢٠٠٠) ومن طريقه رواه أبونعيم في الحلية (١/ ١٣٧) . =

وقال عثمان بن سعيد الدارمي : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد بن سلمة عن (الزبير أبي عبدالسلام) [١] عن أيوب بن (عبدالله) [٢] الفهري [٣] أن ابن مسعود قال : إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار .. فذكر الحديث إلى قولـه : «فيسبحه حملة العرش وسرادقات العرش والملائكة المقربون وسائر الملائكة» [٤] .

فهذا تقدير يومي، والذي قبله تقدير حولي، والذي قبله عمري عند تعلق النفس به ، والذي قبله / كذلك (لكن) [٥] عند أول تخليقة وكونه مضغة، والذي ٢٥ب قبله تقدير سابق على (وجوده، لكن بعد) [٦] خلق السماوات والأرض (والذي قبله تقدير سابق على خلق السماوات والأرض) [٧] بخمسين ألف سنة ، وكل

= وابن منـده في الرد على الجهمية ص٩٩ باختصار. والبيهقي في الأسماء والصفـات ص(٣١١) أيضاً باختصار. وقال : هذا موقوف وراويه غير معروف . وأبوالشيخ في العظمة (٢/ ٤٧٧) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٨٥) وقال : رواه الطبراني في الكبير، وفيه أبوعبدالسلام ، قال أبوحاتم : مجهول ، وقد ذكره ابن حبان في الثقات . وعبدالله بن مكرز أو عبيدالله على الشك لم أرَ من ذكره . وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٣٩)، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه .

(١) في ع ، د، س : الزبير بن أبي عبدالسلام . وما أثبت من م ، ت ، وردُّ الدارمي على بشر المريسي .

(٢) في ع ، د ، س : عبيدالله .

(٣) هو : أيوب بن عبدالله بن مكرز العامري، القرشي ، الخطيب ، مستور من الثالثة ، روى عن ابن مسعود ووابصة، ولم يثبت أن أباداود روى له . تقريب التهذيب (١/ ٩٠) . وانظر تهذيب التهذيب (١/ ٤٠٧-٤٠٨) ، وميزان الاعتدال (١/ ٢٩٠) .

(٤) انظر رد الدارمي على بشر المريسي ص(٩١) .

(٥) ساقطة من ع ، د ، س .

(٦) ما بين القوسين من ع ، د .

(٧) ما بين القوسين ساقط من ع ، د .

واحد من هذه التقادير كالتفصيل من التقدير السابق، وفي ذلك دليل على كمال علم الرب وقدرته وحكمته، وزيادة تعريف لملائكته وعباده المؤمنين بنفسه وأسمائه (وصفاته)[١] وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٢]، وأكثر المفسرين على أن هذا الاستنساخ من اللوح المحفوظ، فتستنسخ الملائكة ما يكون من أعمال بني آدم قبل أن (يعملوها)[٣] فيجدون ذلك موافقاً لما يعملونه، فيثبت الله تعالى منه ما فيه ثواب أو عقاب ويطرح منه اللغو.

وذكر ابن مردويه[٤] في تفسيره[٥] من طرق إلى بقية[٦] عن أرطأة بن المنذر[٧] عن مجاهد عن ابن عمر يرفعه: «**إن أول ما خلق الله القلمَ، فأخذه بيمينه**

---

(١) ساقطة من: ع، د، س.

(٢) سورة الجاثية، آية ٢٩.

(٣) في م: يعملون.

(٤) هو: أبوبكر، أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك الأصبهاني، ولد سنة (٣٢٣هـ) حدَّث عن أبيه، وعن أبي سهل بن زياد القطان، وغيرهما، وحدَّث عنه القاضي أبومنصور بن شكرويه، وأحمد بن عبدالرحمن الذكواني وغيرهما. قال الذهبي: وكان فهماً يقظاً متقناً، كثير الحديث جداً، ومن نظر في تواليفه عرف محله من الحفظ. وله تصانيف منها: التفسير الكبير، والمستخرج على صحيح البخاري، وغيرهما. مات لست بقين من رمضان سنة (١٤١٠هـ). سير أعلام النبلاء (١٧/٣٠٨)، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص(٤١٢).

(٥) أشار الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٧/٣٠٨) إلى هذا التفسير، وسماه التفسير الكبير، وذكره الدكتور فؤاد سزكين في كتابه تاريخ التراث العربي المجلد الأول، الجزء الأول ص(٤٦٣) نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وأشار إلى أن ابن حجر نقل منه في كتابه (الإصابة)، ولم يذكر (سزكين) نسخاً خطية له.

(٦) هو بقية بن الوليد، صدوق كثير التدليس عن الضعفاء، سبقت ترجمته في ص(١٧٩).

(٧) هو: أرطأة بن المنذر بن الأسود الألهاني ـ بفتح الهمزة ـ أبوعدي الحمصي، ثقة، من السادسة، مات سنة ثلاث وستين ومائة. روى له البخاري في الأدب المفرد، وروى له أبوداود، والنسائي، وابن ماجه. تقريب التهذيب (١/ ٥٠)، وتهذيب التهذيب (١/ ١٩٨).

وكلتا يديه يمين ، فكتب الدنيا وما يكون فيها من عمل معمول ، من بر أو فجور ، رطب أو يابس، فأحصاه عند الذكر ، وقال : اقرؤوا إن شئتم ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1] فهل تكون النسخة إلا من شيء قد فُرغ منه»[2].

وقال آدم[3] : حدثنا ورقاء[4] عن عطاء بن[5] السائب عن مقسم[6] عن ابن عباس ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[7] قال : تستنسخ الحفظة من أم الكتاب ما يعمل بنو آدم ، فإنما يعمل الإنسان على ما استنسخ الملك من أم

---

(١) سورة الجاثية ، آية ٢٩ .

(٢) رواه الفريابي في كتاب القدر ص(٣٩١) ، ورواه الأجري في الشريعة ص(١٧٥، ٢٣٨) ، من طريقين أحدهما عن الفريابي ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٣٠) ، ولم ينسبه إلا إلى ابن مردويه .

(٣) هو : آدم بن أبي إياس ، عبدالرحمن العسقلاني ، أصله خراساني ، يكنى أبا الحسن ، نشأ ببغداد ، ثقة عابد ، من التاسعة ، مات سنة إحدى وعشرين ومائتين ، وكان مولده في سنة اثنتين وثلاثين ومائة . روى له البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه . تقريب التهذيب (١/ ٣٠) ، وانظر تهذيب الكمال (٢/ ٣٠١)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٣٥)، وتهذيب التهذيب (١/ ١٩٦)، والكاشف (١/ ١٠١)، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص(١٧٢).

(٤) هو : ورقاء بن عمر اليشكري ، أبوبشر الكوفي ، نزيل المدائن ، صدوق ، في حديثه عن منصور لين ، من الطبقة السابعة ، روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٣٣٠) ، وتهذيب التهذيب (١١/ ١١٣-١١٥) .

(٥) صدوق اختلط، سبقت ترجمته في ص(١٩٩) .

(٦) هو : مِقسم ـ بكسر أوله ـ ابن بُجْرة ـ بضم الموحدة وسكون الجيم ـ ، ويقال نجدة ـ بفتح النون وبدال ـ أبوالقاسم ، مولى عبدالله بن الحارث، ويقال له مولى ابن عباس، للزومه له ، صدوق ، وكان يرسل ، من الرابعة ، مات سنة إحدى ومائة ، وما له في البخاري سوى حديث واحد ، روى له البخاري والأربعة . تقريب التهذيب (٢/ ٢٧٣) ، وانظر تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٨٨-٢٨٩) .

(٧) سورة الجاثية، آية ٢٩ .

الكتاب[١].

وفي تفسير (الأشجعي[٢])[٣] عن سفيان[٤] عن منصور[٥] عن مقسم عن ابن عباس قال: كتب في الذكر عنده كل شيء هو كائن، ثم بعث الحفظة على آدم وذريته (ووكّل)[٦] ملائكته ينسخون من الذكر ما يعمل العباد، ثم قرأ ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ[٧] ﴾[٨].

وفي تفسير[٩] الضحاك[١٠] عن ابن عباس في هذه الآية قال: هي أعمال أهل الدنيا، الحسنات والسيئات تنزل من السماء كل غداة وعشية، (ما)[١١] يصيب الإنسان في ذلك اليوم أو الليلة، الذي يقتل، والذي يغرق، والذي يقع من فوق

---

(١) رواه البيهقي في كتاب القدر ص(٢٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٣٠-٤٣١) ونسبه إلى ابن مردويه.

(٢) في د، س: الأشجع.

(٣) هو: عبيدالله بن عبدالرحمن الأشجعي، أبوعبدالرحمن، الكوفي، ثقة مأمون، أثبت الناس كتاباً في سفيان الثوري، من كبار التاسعة، مات سنة اثنتين وثمانين ومائة في أولها. روى له البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه. تقريب التهذيب (١/ ٥٣٦)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٤-٣٥).

(٤) هو: سفيان الثوري، ثقة. سبقت ترجمته في ص (٢٦٧).

(٥) هو: منصور بن المعتمر، ثقة. سبقت ترجمته في ص (١٨٩).

(٦) في د، س: وكل.

(٧) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٣١) ونسبه إلى ابن مردويه.

(٨) سورة الجاثية، آية ٢٩.

(٩) ذكر الأستاذ فؤاد سزكين هذا التفسير في كتابه «تاريخ التراث العربي»، الجزء الأول من المجلد الأول ص(٧١-٧٢) فقال: كان معروفاً للثعلبي بروايتين .. ويبدو أنه وصل إلينا عن الطبري في نقول أخذها تارة عن الأصل مباشرة وأخرى من مراجع مختلفة.

(١٠) مضت ترجمته في ص(١٩٩).

(١١) في ت: مما.

بيت ، والذي يتردى من جبل، (والذي يقع في بئر)[١] ، والذي يُحرق بالنار، (فيحفظون)[٢] عليه ذلك كله ، وإذا كان (العشي)[٣] صعدوا به إلى السماء، فيجدونه كما في السماء مكتوباً في الذكر الحكيم[٤] .

❊ ❊ ❊

(١) ما بين القوسين ساقط من ع ، د ، س .

(٢) في ت : فيحفظوا .

(٣) في ع ، د ، س : الشيء .

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٣٠) وقال : أخرجه ابن مردويه بسند ضعيف .

الباب السابع

في أن سبق المقادير بالشقاوة والسعادة لا يقتضي ترك الأعمال بل يقتضي الاجتهاد والحرص لأنها إنما سبقت بالأسباب

الباب السابع

في أن سبق المقادير بالشقاوة والسعادة لا يقتضي ترك الأعمال بل يقتضي الاجتهاد والحرص (لأنها إنما سبقت بالأسباب)[١]

يسبق إلى أفهام كثير من الناس أن القضاء والقدر إذا كان قد سبق، فلا فائدة في الأعمال، (فإن)[٢] ما قضاه الرب سبحانه وقدره لابد من وقوعه، فتوسطه العمل لا فائدة فيه، وقد سبق إيراد هذا السؤال من الصحابة رضي الله عنهم على النبي ﷺ فأجابهم بما فيه الشفاء والهدى .

ففي الصحيحين عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد ، فأتانا رسول الله ﷺ ومعه مخصرة فنكّس فجعل ينكت بمخصرته ، ثم يقال : «ما منكم من أحد ، ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة » ، فقال رجل : يا رسول الله ، أفلا نتكل على كتابنا وندَع العمل ؟ فمن كان منا من أهل السعادة، فسيصير إلى عمل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة، فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة ، فقال : « اعملوا ، فكلٌ ميسر ، أما أهل السعادة فيُيسرون (إلى عمل)[٣] أهل السعادة ، وأما أهل الشقاوة (فيُيسرون)[٤] لعمل أهل الشقاوة » . ثم قرأ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ[٥] ﴾[٦] .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من ع ، د ، س .

(٢) في م ، ع ، د ، س : وإن .

(٣) في د ، س : لعلم .

(٤) في ع : فسيصير .

(٥) سورة الليل ، الآيات من ٥-١٠ .

(٦) سبق تخريج هذا الحديث في ص(١٥٩-١٦٠) .

وفي بعض طرق البخاري : « **أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ، فمن كان (منا)[(١)] من أهل السعادة، فسيصير إلى (عمل)[(٢)] أهل السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة، فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة** »[(٣)] .

٣٦ب وعن أبي الزبير[(٤)] عن جابر بن عبدالله / قال : جاء سُراقة بن مالك بن جُعْشُم، فقال : يا رسول الله ، بيِّن لنا ديننا كأننا خُلقنا الآن، (فيم)[(٥)] العمل اليوم، أفيما جفَّت به الأقلام وجرت به المقادير ، أم فيما يستقبل ؟ قال : « **لا ، بل فيما جفَّت به الأقلام وجرت به المقادير** » . قال : ففيم العمل؟ فقال : « **اعملوا ، فكل ميسَّر** » . رواه مسلم[(٦)] .

---

(١) ساقطة من ع ، د ، س .

(٢) لفظة (عمل) : ساقطة من ت ، م ، وذلك يوافق إحدى روايتي البخاري ، وموجودة في ع، د ، س وفي الرواية الأخرى للبخاري .

(٣) انظر صحيح البخاري (٢/ ٩٩) ك. الجنائز ، باب موعظة المحدث عند القبر، وقعود أصحابه حوله . و(٦/ ٨٥) ك. التفسير ، تفسير سورة ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ .

(٤) هو : محمد بن مسلم بن تَدْرُس ـ بفتح المثناة وسكون الدال المهملة وضم الراء ـ الأسدي، مولاهم ، أبوالزبير المكي، صدوق، إلا أنه يدلس ، من الرابعة، مات سنة ست وعشرين ومائة . روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٢٠٧) . وانظر تهذيب التهذيب (٩/ ٤٤٠) وتاريخ الثقات للعجلي ص(٤١٣) .

(٥) في ع ، د ، س : ففيم .

(٦) انظر صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٠) ك. القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه ، وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته . ورواه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٢٩٢-٢٩٣) مطولاً و(٣/ ٣٠٤) مختصراً من طريق محمد بن المنكدر عن جابر. وأبوداود الطيالسي في مسنده ص٢٤٠، والبغوي في شرح السنة (١/ ١٣٤-١٣٥) . والآجري في الشريعة ص(١٧٤) . وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٧٣) عن طاوس عن سراقة . وابن ماجه (١/ ٣٥) عن مجاهد عن سراقة . والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ١٤٠) . =

وعن عمران بن حصين، قال : قيل : يا رسول الله ، أعُلم أهل الجنة من أهل النار؟ فقال : «نعم» . قيل : ففيم يعمل العاملون ؟ فقال : «كل ميسر لما خُلق له» . متفق عليه[(١)] . وفي بعض طرق البخاري : «كل يعمل لما خُلق له، أو لما يُسر له»[(٢)] .

ورواه الإمام أحمد أطول من هذا، فقال : حدثنا صفوان[(٣)] بن عيسى، حدثنا (عزرة)[(٤)] بن ثابت[(٥)] عن يحيى بن عُقَيل[(٦)] (عن ابن يعمر[(٧)])[(٨)] عن أبي الأسود

وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢/ ٤٩) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٩٥) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥٣٧-٥٣٨) وزاد نسبته إلى ابن مردويه .

(١) سبق تخريج هذا الحديث في ص(١٦١-١٦٢) .

(٢) انظر صحيح البخاري (٧/ ٢١٠) ك. القدر ، باب جف القلم على علم الله . وسبق أن ذكر المؤلف هذا الطريق في ص(١٦١) .

(٣) هو : صفوان بن عيسى الزهري، أبومحمد البصري ، القسَّام، ثقة ، من التاسعة ، مات سنة مائتين ، وقيل: قبلها بقليل أو بعدها . روى له البخاري تعليقاً ، وروى له مسلم الأربعة . تقريب التهذيب (١/ ٣٦٨) . وانظر تهذيب التهذيب (٤/ ٤٢٩-٤٣٠) .

(٤) في ت ، ع ، د ، س : عروة ، وما أثبت من م ، والمسند .

(٥) هو : عزرة بن ثابت بن أبي زيد بن أخطب الأنصاري، بصري ، ثقة من السابعة ، روى له البخاري ومسلم وأبوداود في القدر ، والترمذي والنسائي وابن ماجه. تقريب التهذيب (٢/ ٢٠) ، وانظر تهذيب التهذيب (٧/ ١٩٢) .

(٦) هو : يحيى بن عُقَيل ـ بالتصغير ـ البصري، نزيل مرو ، صدوق ، من الثالثة ، روى له البخاري في الأدب المفرد . وروى له مسلم ، وأبوداود والنسائي ، وابن ماجه . تقريب التهذيب (٢/ ٣٥٤) ، وانظر تهذيب التهذيب (١١/ ٢٥٩) .

(٧) في جميع النسخ : عن أبي نعيم ، وما أثبت من المسند .

(٨) هو : يحيى بن يَعْمَر ـ بفتح التحتانية والميم، بينهما مهملة ساكنة ـ البصري، نزيل مرو وقاضيها ، ثقة فصيح ، وكان يرسل ، من الثالثة ، مات قبل المائة ، وقيل: بعدها ، روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٣٦١) ، وانظر تهذيب التهذيب (١١/ ٣٠٥) ، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤١-٤٤٢) .

الدؤلي[(١)] قال : غدوت على عمران بن حصين يوماً من الأيام، فقال : إن رجلاً من جهينة [(٢)] أو مُزينة [(٣)] أتى [(٤)] النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، أرأيتَ ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه ، شيء قُضي عليهم أو مضى عليهم في قدر قد سبق أو فيما (يستقبلون)[(٥)] مما أتاهم به نبيهم، واتخذت عليهم (به)[(٦)] الحجة؟ قال : «بل شيء قضي عليهم (ومضى عليهم)[(٧)]» . قال : فلمَ يعملون إذاً يا رسول الله؟ قال : « من كان الله عز و جل خلقه لواحدة من المنزلتين (يهيأه)[(٨)] لعملها ، وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا[(٩)]﴾[(١٠)] .

وقال[(١١)] المحاملي[(١٢)] : حدثنا أحمد بن

---

(١) ثقة ، سبقت ترجمته في ص (١٦١) .

(٢) هم : بنو جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاعة . معجم قبائل العرب (١/ ٢١٦) .

(٣) سبق التعريف بها في ص(١٦٢) .

(٤) في م ، ع ، د ، س : أتى إلى النبي ﷺ بزيادة (إلى) وما أثبت من ت ، ومن المسند .

(٥) في د ، س : يستقبلونه . وما أثبت من م ، ت ، ع ، والمسند .

(٦) ساقطة من ع ، د ، س .

(٧) ما بين القوسين ساقط من د ، س .

(٨) في ع ، د ، س : فهيأه . وما أثبت من م ، ت والمسند .

(٩) سورة الشمس ، آية ٧-٨ .

(١٠) انظر مسند الإمام أحمد بن حنبل (٤/ ٤٣٨). وقد سبق تخريج هذا الحديث في ص(١٦٢).

(١١) في ت : وقال عبدالله بن دينار المحاملي. ولعله سهو من الناسخ .

(١٢) هو : القاضي الإمام العلاّمة الحافظ، الثقة ، شيخ بغداد ومحدثها، أبوعبدالله الحسين بن إسماعيل بن محمد الضبي البغدادي، ولد سنة خمس وثلاثين ومائتين . وسمع من الفلاس، وأحمد السهمي صاحب مالك، وأحمد بن المقدام العجلي وغيرهم، وصنف وجمع ، روى عنه دعلج ، والدارقطني ، وكان فاضلاً ديِّناً صدوقاً ، ولي قضاء الكوفة ستين سنة، ثم =

المقدام[١] حدثنا المعتمر[٢] بن سليمان قال : سمعت أبا سفيان[٣] يحدث عن عبدالله بن[٤] دينار عن عبدالله بن عمر أنه قال : نزل ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[٥] فقال عمر : يا نبي الله ، علامَ نعمل ؟ على أمر قد فُرغ منه أم لم يُفرغ منه ؟ قال : « **لا، على أمرٍ قد فُرغ منه (وجرت)[٦] به الأقلام، ولكن كل (امرئ)[٧] ميسر** » ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝﴾[٨][٩] .

= استعفى ، وكان يحضر بمجلسه عشرة آلاف رجل، مات في ربيع الآخر سنة ثلاثين وثلاثمائة . طبقات الحفاظ للسيوطي ص(٣٤٥) ، وانظر سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٥٨، ٢٦٣) .

(١) صدوق ، سبقت ترجمته في ص (٢٤٢) .

(٢) ثقة ، سبقت ترجمته في ص (١٩٧) .

(٣) هو: سليمان بن سفيان التيمي ، مولاهم ، أبوسفيان المدني ، روى عن بلال بن يحيى بن طلحة بن عبيدالله ، وعبدالله بن دينار . وعنه سليمان التيمي ، وابنه معتمر بن سليمان ، وأبوداود الطيالسي . ضعيف من الثامنة . روى له الترمذي . تقريب التهذيب (١/ ٣٢٥)، وتهذيب التهذيب (٤/ ١٩٤) .

(٤) هو : عبدالله بن دينار ، العدوي مولاهم ، أبوعبدالرحمن المدني ، مولى ابن عمر ، ثقة من الرابعة ، مات سنة سبع وعشرين ومائة، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٤١٣) ، وتهذيب التهذيب (٥/ ٢٠١-٢٠٢) .

(٥) سورة هود ، آية ١٠٥ .

(٦) في د ، س : قد جرت .

(٧) ساقطة من ع ، د ، س .

(٨) سورة الليل ، آية ٥-١٠ .

(٩) رواه الترمذي (٥/ ٢٧٠) ك. تفسير القرآن ، تفسير سورة هود ، عن بندار ، عن أبي عامر العقدي ، عن سليمان بن سفيان، به . وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث عبدالملك بن عمرو العقدي . وتعقَّبه الألبـاني ، فقال : ولو قال : =

= حديث حسن، لكان أقرب إلى الصواب؛ لأن سليمان بن سفيان هذا ضعيف كما في التقريب ، فهو ـ أي الحديث ـ حسن ، بل صحيح لغيره لطرقه وشواهده . انظر تخريجه للسنة لابن أبي عاصم (١/ ٧٢) . ورواه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٧٤-٨١) من طريق أبي عامر العقدي عن أبي سفيان، به . ومن طريق معتمر بن سليمان عن أبي سفيان، به . وقال فيهما الشيخ الألباني : إسناده ضعيف من أجل أبي سفيان . ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره من طريق أبي عامر العقدي، به . وقال الشيخ أحمد شاكر : وهذا خبر ضعيف الإسناد ، لكن معناه له شواهد في الصحيح . انظر تفسير الطبري بتحقيقه (١٥/ ٤٨٠-٤٨١) . ورواه ابن عدي في الكامل (٣/ ١١٢١-١١٢٢) في ترجمة سليمان بن سفيان ، وقال بعد أن ذكر له حديثاً آخر فيما يقال عند رؤية الهلال : وسليمان بن سفيان يعرف بهذين الحديثين ، وما أظن أن له غيرهما، إلا شيئاً يسيراً . وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٢/ ٢٠٩) . ونقل كلام ابن عدي هذا . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٧٥) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه . اهـ .

والحديث في إسناده ـ كما سبقت الإشارة إليه ـ سليمان بن سفيان ، قال فيه ابن معين : ليس بشيء . وقال مرة : ليس بثقة . وكذا قال النسائي . وقال المديني : روى أحاديث منكرة . وقال أبوحاتم : ضعيف الحديث، يروي عن الثقات أحاديث مناكير . وقال الدارقطني : ضعيف . انظر : تهذيب التهذيب (٤/ ١٩٤) والضعفاء والمتروكين للنسائي ص(١٢٠) تحقيق بوران الضناوي ، ط. الأولى ١٤٠٥هـ نشر مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .

والحديث قد روي من طرق أخرى عند ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٧١-٧١) وقد صححها الشيخ الألباني كما في تخريجه للسنة . ورواه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٢٩) و(٢/ ٥٢، ٧٧) وقال فيه الشيخ أحمد شاكر : إسناده ضعيف لضعف عاصم بن عبيد الله ابن عمر . انظر المسند بتحقيقه (١/ ٢٤٠) و(٧/ ١٢٩، ٢٣٦) . ورواه الآجري في الشريعة ص(١٧١) . والترمذي (٤/ ٣٨٧-٣٨٨) ك. القدر ، باب ما جاء في الشقاء والسعادة . وقال : حديث حسن صحيح . وأبويعلى في مسنده (٩/ ٣٥٣-٣٥٤، ٢١-٤٢٢) . وأبوداود الطيالسي في مسنده (١/ ٣٢) ترتيب الساعاتي .

فاتفقت هذه الأحاديث ونظائرها على أن القدر السابق لا يمنع العمل / ولا يوجب الاتكال عليه، بل يوجب الجد والاجتهاد؛ ولهذا لما سمع بعض الصحابة ذلك قال : ما كنت أشد اجتهاداً مني الآن[١] . ١٢٧أ

وهذا مما يدل على جلالة فقه الصحابة، ودقة أفهامهم، وصحة علومهم ، فإن النبي ﷺ أخبرهم بالقدر السابق وجريانه على الخليقة بالأسباب، وإن العبد ينال ما قُدِّر له بالسبب الذي أقدر عليه ومكن منه وهيىء له ، فإذا أتى بالسبب، أوصله إلى القدر الذي سبق له في أم الكتاب، وكلما زاد اجتهاداً في تحصيل السبب كان حصول (المقدر له)[٢] أدنى إليه ، وهذا كما إذا قُدِّر له أن يكون من أعلم أهل زمانه، فإنه لا ينال ذلك إلا بالاجتهاد والحرص على التعلُّم وأسبابه، وإذا قُدِّر له أن يرزق الولد لم ينلْ ذلك إلا بالنكاح أو التسرِّي والوطء ، وإذا قُدِّر له أن يستغل من أرضه من (المغل)[٣] كذا وكذا، لم ينله إلا بالبذر وفعل أسباب الزرع، وإذا قُدِّر (له)[٤] الشبع والرِيُّ (والدفء)[٥] فذلك موقوف على الأسباب المحصلة لذلك من الأكل والشرب واللبس، وهذا شأن أمور المعاش والمعاد، فمن عطَّل

= وفي أسانيدهم عاصم بن عبيدالله بن عاصم بن عمر بن الخطاب؛ عدَّه البخاري في الضعفاء ، وقال : منكر الحديث . وقال النسائي : ضعيف . انظر : الضعفاء الصغير للبخاري ص(١٨٠) تحقيق بوران الضناوي ، ط. الأولى ١٤٠٤هـ ، نشر عالم الكتب ، بيروت ، والضعفاء والمتروكين للنسائي ص(١٨١). لكن الحديث له شواهد صحيحة من رواية سراقة بن مالك عن النبي ﷺ سبق تخريجها في ص(١٦٧) .

(١) كما ورد عن سراقة بن جُعشُم رضي الله عنه عند ابن حبان في صحيحه ، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢/ ٤٩) .

(٢) في ع ، د س : المقدور .

(٣) في ع : الغلة .

(٤) ساقطة من ع ، د ، س .

(٥) ساقطة من ع ، د ، س .

العمل اتكالاً على القدر السابق، فهو بمنزلة من عطَّل الأكل والشرب والحركة في المعاش وسائر أسبابه اتكالاً على ما قُدِّر له . وقد فطر الله سبحانه عباده على الحرص على الأسباب التي بها (قوام معايشهم)[١] ومصالحهم الدنيوية ، بل فطر (الله)[٢] على ذلك سائر الحيوانات ، فهكذا الأسباب التي بها مصالحهم الأخروية في معادهم، فإنه سبحانه رب الدنيا والآخرة، وهو الحكيم بما نصبه من الأسباب في المعاش والمعاد، وقد يسَّر كلاً من خلقه لما خلقه له في الدنيا والآخرة، فهو مهيأ له، ميسَّر له ، فإذا علم العبد أن مصالح آخرته مرتبطة بالأسباب الموصلة إليها، كان أشدّ اجتهاداً في فعلها (والقيام)[٣] بها ، منه في أسباب معاشه ومصالح دنياه .

وقد فَقُه هذا كل الفقه من قال : « ما كنت أشد اجتهاداً مني الآن »، فإن العبد إذا علم / أن سلوك هذا الطريق يفضي به إلى رياض مونقة[٤] ، وبساتين معجبة، ومساكن طيبة ، ولذة ونعيم لا يشوبه نكد ولا تعب ، كان حرصه على سلوكها ، واجتهاده في (السير)[٥] فيها بحسب علمه بما يفضي إليه، ولهذا قال أبوعثمان النهدي لسلمان : « لأنا بأول هذا الأمر أشد فرحاً مني بآخره »[٦] ، وذلك لأنه إذا كان قد سبق له من الله سابقة، وهيأه ويسّره للوصول إليها، كان فرحه بالسابقة التي سبقت له من الله أعظم من فرحه بالأسباب التي تأتي بها ، فإنها

(١) في ع ، د، س : مرام معاشهم .
(٢) لفظ الجلالة لم يرد في ت .
(٣) في ع ، د ، س : من القيام .
(٤) قال ابن فارس في مادة : (أنق) : الهمزة والنون والقاف يدل على أصل واحد ، وهو الـمُعجِبُ والإعجاب . انظر معجم مقاييس اللغة (١/ ١٤٨) .
(٥) في د ، س : المسير .
(٦) سبق تخريجه في ص (٢٢) .

سبقت له من الله قبل الوسيلة منه ، وعلمها الله وشاءها وكتبها وقدّرها وهيّأ له أسبابها ليوصله إليها، فالأمر كله من فضله وجوده السابق، فسبق له من الله سابقة السعادة ووسيلتها وغايتها ، فالمؤمن أشد فرحاً بذلك من كون أمره مجعولاً إليه، كما قال بعض السلف : « والله ما أحب أن يجعل أمري إليَّ، إنه إذا كان بيد الله (خير)[1] من أن يكون بيدي »[2] .

فالقدر السابق مُعِينٌ على الأعمال (وباعث)[3] عليها، ومقتضٍ لها ، لا أنه منافٍ لها وصادّ عنها، وهذا موضع مزلة قدم ، من ثبتت قدمه (عليه)[4] فاز بالنعيم المقيم، ومن زلّت عنه هوى إلى قرار الجحيم ، فالنبي ﷺ أرشد الأمة في القدر إلى أمرين هما سببا السعادة :

* الإيمان (والإقرار به) [5] فإنه نظام التوحيد .

* والإتيان بالأسباب التي توصل إلى خيره ، وتحجز عن شره ، وذلك نظام الشرع .

فأرشدهم إلى نظام التوحيد والأمر ، فأبى المنحرفون إلا القدح بإنكاره في أصل التوحيد ، أو القدح بإثباته في أصل الشرع ، ولم تتسع عقولهم التي لم يلق الله عليها من نوره للجمع بين ما جمعت الرسل جميعهم بينه ، وهو القدر والشرع ، والخلق والأمر : ﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[6] ، والنبي ﷺ شديد الحرص على جمع هذين

---

(١) في س : خيراً .

(٢) لم أعثر له على تخريج .

(٣) في ع ، د ، س : وما يحث .

(٤) ساقط من ع ، د ، س .

(٥) في ع ، د، س : بالأقدار .

(٦) اقتباس من آية ٢١٣ سورة البقرة .

١٢٨أ الأمرين / للأمة . وقد تقدم قوله : « احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ، ولا تعجز »[1] ، وإن العاجز من لم يتسع للأمرين . وبالله التوفيق .

* * *

(١) في ص (٢٣٠) .

الباب الثامن

في قوله تعالى

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾

الباب الثامن

في قوله تعالى

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[١].

قد تقدمت الأحاديث بوقوع أهل السعادة في إحدى القبضتين، وكتابتهم بأسمائهم وأسماء آبائهم في ديوان السعداء قبل خلقهم[٢].

وفي صحيح الحاكم من حديث الحسين بن[٣] واقد عن يزيد النحوي[٤] عن عكرمة[٥] عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[٦] قال المشركون: فالملائكة وعيسى وعزير يُعْبدون من دون الله. قال فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[٧]

---

(١) سورة الأنبياء، آية ١٠١.

(٢) في الباب الثاني.

(٣) هو: الحسين بن واقد المروزي، أبوعبدالله القاضي، ثقة، له أوهام، من السابعة، مات سنة تسع، ويقال: سبع وخمسين ومائة، روى له البخاري تعليقاً، وروى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب (١/ ١٨٠)، وانظر تهذيب التهذيب (٢/ ٣٧٣-٣٧٤).

(٤) هو: يزيد بن أبي سعيد النحوي، أبوالحسن، القرشي مولاهم، المروزي، ثقة عابد، من السادسة، قتله أبومسلم ـ ظلماً ـ لأمره إياه بالمعروف سنة إحدى وثلاثين ومائة، روى له البخاري في الأدب المفرد. وروى له الأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ٣٦٥)، وانظر تهذيب التهذيب (١١/ ٣٣٢).

(٥) هو: عكرمة بن عبدالله، مولى ابن عباس، أصله بربري، ثقة ثبت، عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، ولا يثبت عنه بدعة، من الثالثة، مات سنة سبع ومائة، وقيل: بعد ذلك، روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ٣٠)، وانظر تهذيب التهذيب (٧/ ٢٦٣-٢٧٣).

(٦) سورة الأنبياء، آية ٩٨.

(٧) سورة الأنبياء، آية ١٠١.

وهذا إسناد صحيح[(١)] .

وقال علي بن المديني[(٢)]: حدثنا يحيى بن آدم[(٣)] حدثنا أبوبكر بن عيَّاش[(٤)] عن عاصم[(٥)]

---

(١) انظر المستدرك للحاكم (٢/ ٣٨٤-٣٨٥) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي . ورواه ابن جرير الطبري في تفسير (١٧/ ٩٧) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٧٩) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي داود في ناسخه .

(٢) هو : علي بن عبدالله بن جعفر السعدي ، مولاهم ، أبوالحسن البصري، أحد الأعلام الأثبات ، وحفاظ الإسلام، روى عن أبيه وحماد بن زيد وابن عيينة وغيرهم ، وعنه أحمد، والبخاري ، وأبوداود ، وخلق كثير . قال أبوحاتم : كان علماً في الناس في معرفة الحديث والعلل ، وكان أحمد لا يسميه تبجيلاً له، إنما يكنيه، مات سنة أربع وثلاثين ومائتين عن ثلاث وسبعين سنة. طبقات الحفاظ للسيوطي ص١٨٧. وتذكرة الحفاظ للذهبي (٢/ ٤٢٨).

(٣) هو : يحيى بن آدم بن سليمان الكوفي، أبوزكريا ، مولى بني أمية ، ثقة حافظ فاضل ، من كبار التاسعة، مات سنة ثلاث ومائتين . روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٣٤١)، وانظر تهذيب التهذيب (١١/ ١٧٥) .

(٤) هو : أبوبكر بن عياش ـ بتحتانية ومعجمة ـ ابن سالم الأسدي ، الكوفي المقرئ، الحنَّاط ـ بمهملة ونون ـ مشهور بكنيته ، والأصح أنها اسمه ، وقيل: اسمه : محمد أو عبدالله ، أو سالم ، أو شعبة ، أو رؤبة، أو مسلم ، أو خداش ، أو مطرف، أو حماد، أو حبيب ، عشرة أقوال . ثقة عابد ، إلا أنه لما كبر ساءَ حفظه ، وكتابه صحيح، من السابعة، مات سنة أربع وتسعين ومائة، وقيل: قبل ذلك بسنة أو ستين ، وقد قارب المائة، وروايته في مقدمة مسلم، وروى له الأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ٣٩٩) ، وانظر تهذيب التهذيب (١٢/ ٣٤-٣٧) .

(٥) هو : عاصم بن بَهْدلة ، وهو ابن أبي النجود ـ بنون وجيم ـ الأسدي مولاهم ، الكوفي ، أبوبكر المقرئ ، صدوق له أوهام ، حجة في القراءة ، وحديثه في الصحيحين مقرون ، من السادسة ، مات سنة ثمان وعشرين ومائة ، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٣٨٣)، وانظر تهذيب التهذيب (٥/ ٣٨-٤٠) .

قال أخبرني أبورزين[١] عن أبي يحيى[٢] عن ابن عباس أنه قال: آية لا يسأل الناس عنها، لا أدري أعرفوها فلم يسألوا عنها، أو جهلوها فلا يسألون عنها. فقيل له: وما هي؟ فقال: لما نزلت ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾[٣] شق ذلك على قريش وعلى أهل مكة، وقالوا: يشتم آلهتنا[٤]. فجاء ابن الزبعرى[٥] فقال: ما لكم؟ قالوا: يشتم آلهتنا. قال: وما قال؟ قالوا: قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ قال: ادعوه لي. فلما دُعِيَ النبيُّ ﷺ قال: يا محمد، هذا شيء لآلهتنا خاصة أم لكل من عُبِدَ من دون الله؟ فقال: «**لا بل لكل من عُبِدَ من دون الله**» (قال)[٦] فقال ابن الزبعرى: خُصمت ورب هذه

---

(١) هو: مسعود بن مالك، أبورزين الأسدي، الكوفي، ثقة فاضل، من الثانية، مات سنة خمس وثمانين، وهو غير أبي رُزين عُبيد، الذي قتله عبيد الله بن زياد بالبصرة، ووهم من خلطهما، روى له البخاري في الأدب المفرد، وروى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ٢٤٣)، وانظر تهذيب التهذيب (١٠/ ١١٨-١١٩).

(٢) هو: مِصْدَع ـ بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه ـ أبويحيى الأعرج، المعرقب، مقبول من الثالثة، روى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ٢٥١)، وانظر تهذيب التهذيب (١٠/ ١٥٧-١٥٨).

(٣) سورة الأنبياء، آية ٩٨.

(٤) في م: قال فجاء. بزيادة (قال).

(٥) هو: عبدالله بن الزبعرى بن قيس السهمي القرشي، أبوسعد: شاعر قريش في الجاهلية، كان شديداً على المسلمين إلى أن فُتحت مكة، فهرب إلى نجران، فقال فيه حسّان أبياتاً، فلما بلغته عاد إلى مكة، فأسلم واعتذر، ومدح النبي ﷺ فأمر له بحُلّة. الأعلام (٤/ ٨٧)، وانظر طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي (١/ ٢٣٥-٢٤٤) شرح محمود شاكر، طبع مطبعة المدني، القاهرة.

(٦) في ع، د، س: قال.

البَنِيَّة ـ يعني الكعبة ـ ألستَ تزعم أن الملائكة عباد صالحون، وأن عيسى عبد صالح، وأن عزيراً عبد صالح، وهذه بنو مليح[(١)] تعبد الملائكة، وهذه النصارى تعبد عيسى، وهذه اليهود تعبد عزيراً[(٢)]. قال: فضجَّ أهل مكة، فأنزل الله / عز وجل ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (الملائكة وعزير وعيسى)[(٣)] ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾[(٤)]. ٢٨ب

قال: ونزلت: ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾[(٥)] قال: هو الضجيج[(٦)].

وهذا الإيراد الذي أورده ابن الزبعرى لا يرد على الآية، فإنه سبحانه قال: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ولم يقل: ومن تعبدون و « ما » لما لا يعقل، فلا يدخل فيها الملائكة والمسيح وعزير، وإنما ذلك للأحجار ونحوها التي لا تعقل، وأيضاً فإن السورة مكية، والخطاب فيها لعبَّاد الأصنام، فإنه قال: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴾ فلفظة « إنكم »، ولفظة « ما » تبطل سؤاله وهو رجل (من فصحاء العرب)[(٧)] لا يخفى عليه ذلك. ولكن إيراده إنما كان من جهة

---

(١) هم: بطن من إلياس بن مضر. معجم قبائل العرب (٥/ ٢٣٤).

(٢) في م: وهذه اليهود تعبد عزيراً عبد صالح.

(٣) ما بين القوسين ساقط من ع، د، س.

(٤) سورة الأنبياء، آية ١٠١، ١٠٢.

(٥) سورة الزخرف، آية ٥٧.

(٦) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص٢٣٠). والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٥٣)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٦٩) وقال: رواه الطبراني، وفيه عاصم بن بهدلة، وقد وثق، وضعفه جماعة. اهـ. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٧٩) وزاد نسبته إلى أبي داود في ناسخه، وابن المنذر، وابن مردويه.

(٧) في ع، د، س: فصيح من العرب.

القياس والعموم المعنوي الذي يعم الحكم فيه بعموم علته، أي إن كان كونه معبوداً يوجب أن يكون حصب جهنم . فهذا المعنى بعينه موجود في الملائكة وعزيرٍ والمسيح، فأُجيب بالفارق، وذلك من وجوه :

أحدها : أن الملائكة والمسيح وعزيراً ممن سبقت لهم (من الله)[1] الحسنى ، فهم سعداء لم يفعلوا ما يستوجبون به النار، فلا يُعذبون بعبادة غيرهم مع بغضهم ومعاداتهم لهم ، فالتسوية بينهم وبين الأصنام أقبح من التسوية بين البيع والربا، (والميتة)[2] (والذكى)[3] وهذا شأن أهل الباطل، وإنما يسوون بين ما فرق الشرع والعقل والفطرة بينه ، ويفرقون بين ما سوّى الله ورسوله بينه .

الفرق الثاني : أن الأوثان حجارة غير مكلفة ولا ناطقة، فإذا حصبت بها جهنم إهانة لها ولعابديها، لم يكن في ذلك (تعذيب)[4] من لا يستحق العذاب ، بخلاف الملائكة والمسيح وعزير، فإنهم أحياء ناطقون، فلو حُصِبت بهم النار، كان ذلك إيلاماً وتعذيباً لهم .

الثالث : أن من عبد هؤلاء بزعمه، فإنه لم يعبدهم في الحقيقة ، فإنهم لم يدعوا إلى عبادتهم / وإنما عبد المشركون الشياطين وتوهّموا أن العبادة لهؤلاء ، فإنهم عبدوا بزعمهم من ادّعى أنه معبود مع الله، وأنه معه إله ، وقد برّأ الله سبحانه ملائكته والمسيح وعزيراً من ذلك، وإنما ادعى ذلك الشياطين، وهم بزعمهم يعتقدون (أنهم)[5] يرضون بأن يكونوا معبودين مع الله ، ولا يرضى بذلك إلا

٢٩أ

(١) في ت : منا .
(٢) في د، س : والميت .
(٣) في ت : والمذكى . قال ابن الأثير في النهاية (٢/ ١٦٤) : يقال : ذكَّيتُ الشاةَ تذكية ، والاسم : الذكاة ، والمذبوح : ذكيٌّ .
(٤) ساقطة من ع ، د ، س .
(٥) ساقطة من ع .

الشياطين، ولهذا قال سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ۝ ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ۝ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ ﴾[3]. فما عبد غير الله إلا الشيطان، وهذه الأجوبة (منتزعة)[4] من قوله سبحانه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾[5] فتأمّل الآية تجدها تلوح في صفحات ألفاظها، وبالله التوفيق، والمقصود ذكر الحسنى التي سبقت من الله لأهل السعادة قبل وجودهم .

وقال عبدالرحمن بن[6] أبي حاتم : حدثنا أبوسعيد[7]

---

(١) سورة سبأ ، آية : ٤٠، ٤١ .

(٢) سورة يس ، آية ٦٠ .

(٣) سورة الأنبياء ، الآيات ٢٦-٢٩ .

(٤) في م : مأخوذة .

(٥) سورة الأنبياء ، آية ١٠١ .

(٦) هو : الإمام الحافظ الثبت أبومحمد عبدالرحمن ابن الحافظ الكبير محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، ولد سنة أربعين ومائتين، سمع من أبي سعيد الأشج ويونس بن عبدالأعلى وطبقتهما . ورحل به أبوه فادرك الأسانيد العالية . له «الجرح والتعديل» و«التفسير» و «الرد على الجهمية» ، مات سنة سبع وعشرين وثلاثمائة . طبقات الحفاظ للسيوطي ص٣٤٦-٣٤٧، وميزان الاعتدال ٠٢/ ٥٨٧)، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ٢٧٩) ، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٦٣) .

(٧) هو: أحمد بن بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان، أبوسعيد البصري، صدوق من الحادية =

(ابن محمد)[١] بن يحيى بن سعيد حدثنا أبوعامر العقدي[٢] حدثنا عزرة[٣] بن ثابت الأنصاري، حدثنا الزهري عن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف[٤] أن عبدالرحمن بن عوف مرض مرضاً شديداً أغمي فيه عليه ، فأفاق فقال : أغمي عليَّ ؟ قالوا : نعم . قال : إنه أتاني رجلان غليظان، فأخذا بيدي، فقالا : انطلق نحاكمك إلى العزيز الأمين . فانطلقا بي، فتلقاهما رجل (فقال)[٥] : أين تريدان به؟ قال : نحاكمه إلى العزيز الأمين . فقال : دعاه ، فإن هذا ممن سبقت له السعادة وهو في بطن أمه[٦] .

= عشرة، مات سنة ثمان وخمسين ومائتين. روى له ابن ماجه . تقريب التهذيب (١/ ٢٥) ، وتهذيب التهذيب (٨/ ٨٠) .

(١) ما بين القوسين ساقط من جميع النسخ ، وما أثبت من كتب تراجم الرجال، حيث إن شيخ ابن أبي حاتم هو : أبوسعيد أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان، حدَّث عن أبي عامر العقدي وغيره. انظر تهذيب الكمال (١/ ٤٨٣-٤٨٤) .

(٢) هو : عبدالملك بن عمرو ، ثقة، سبقت ترجمته في ص(٢٤٣) .

(٣) ثقة ، سبقت ترجمته في ص(٢٩١) .

(٤) هو : إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف الزهري ، قيل : له رؤية ، وسماعه من عمر أثبته يعقوب بن شيبة، مات سنة خمس، وقيل: سنة ست وتسعين. روى له الستة سوى الترمذي. تقريب التهذيب (١/ ٣٨) ، وانظر تهذيب التهذيب (١/ ١٣٩) ، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٩٢) ، والثقات للعجلي ص(٥٣) .

(٥) في د ، س : وقال .

(٦) رواه اللالكائي في السنة (٤/ ٦٦٩) ، وابن بطة في الإبانة (٢/ ٢١٠-٢١٢) ، والفريابي في كتاب القدر ص(٤٠٤-٤٠٦) . ومن طريقه الآجري في الشريعة ص(٢١٠) . ورواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٠٧) من رواية حميد بن عبدالرحمن عن أمه أم كلثوم بنت عقبة . وسكت عنه هو والذهبي. وعبدالرزاق في مصنفه (١١/ ١١٢) من رواية حميد بن عبدالرحمن عن أمه أم كلثوم بنت عقبة. وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ١٣٤-١٣٥) في ترجمة عبدالرحمن بن عوف . والبيهقي في كتاب القدر ص(٦٧). وذكره المزي في =

وقال عبدالله بن محمد البغوي[١]: حدثنا داود بن رُشَيْد[٢]، حدثنا ابن عُلية[٣]، حدثني محمد بن محمد القرشي[٤]، عن عامر بن سعد[٥] قال: أقبل سعد[٦] من

= تهذيب الكمال (٢/ ٨٠٩) في ترجمة عبدالرحمن بن عوف معلقاً عن الزهري. وابن حجر في الإصابة (٢/ ٤١٦) في ترجمة عبدالرحمن بن عوف معلقاً عن إبراهيم.

(١) هو: الحافظ الكبير الثقة، أبوالقاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن المرزبان، البغوي الأصل البغدادي، سمع ابن الجعد، وأحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، وداود بن رشيد وخلقاً. قال الدارقطني: كان قل أن يتكلم على الحديث، فإذا تكلم كان كلامه كالمسمار في الساج، ثقة جليل إمام، أقل المشايخ خطأ. وقال الخليلي: حافظ عارف، توفي ليلة الفطر سنة سبع عشرة وثلاثمائة عن مائة وثلاث سنين، وكان مولده في رمضان سنة أربع عشرة ومائتين. طبقات الحفاظ (ص٣١٥)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٤٠-٤٥٦).

(٢) هو: داود بن رُشَيْد ـ بالتصغير ـ الهاشمي، مولاهم، الخوارزمي، نزيل بغداد، ثقة من العاشرة، مات سنة تسع وثلاثين ومائتين، روى له الستة سوى الترمذي. تقريب التهذيب (١/ ٢٣١). وانظر تهذيب التهذيب (٣/ ١٨٤-١٨٥)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ١٣٣).

(٣) هو: إسماعيل بن إبراهيم، ثقة. سبقت ترجمته في ص (٢٦٨).

(٤) هو: محمد بن محمد بن الأسود، الزهري المدني، روى عن خاله عامر بن سعد بن أبي وقاص، مستور، من الطبقة السادسة، روى له الترمذي في الشمائل. تقريب التهذيب (٢/ ٢٠٥)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٤٣١).

(٥) هو: عامر بن سعد بن أبي وقاص، الزهري المدني، ثقة من الثالثة، مات سنة أربع ومائة، روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٣٨٧)، وانظر تهذيب التهذيب (٥/ ٦٣)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٤٩)، وتهذيب الكمال (١٤/ ٢١-٢٣).

(٦) هو: سعد بن أبي وقاص: مالك بن وهيب بن عبدمناف بن زهرة بن كلاب الزهري، أبوإسحاق، أحد العشرة، وأول من رَمَى بسهم في سبيل الله، ومناقبه كثيرة. مات بالعقيق سنة خمس وخمسين على المشهور، وهو آخر العشرة وفاة. روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٢٩٠)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٤٨٣-٤٨٤)، وأسد الغابة (٢/ ٢١٤-٢١٧).

أرض له، فإذا الناس عكوف على رجل، فاطّلع فإذا (هو)[١] يسب طلحة[٢] والزبير وعليّاً فنهاه ، فكأنما زاده إغراءً ، فقال : (ويلك ، تريد أن تسب أقواماً هم خير منك ؟! لتنتهينَّ أو لأدعونَّ عليك)[٣] فقال : كأنما يخوفني نبي من الأنبياء . فانطلق فدخل داراً فتوضأ ودخل المسجد، ثم قال : اللهم إن كان هذا قد سبَّ أقواماً قد (سبق)[٤] لهم منك (الحسنى)[٥] أسخطك سبُّه إياهم ، فأرني اليوم (آية تكون آية)[٦] للمؤمنين. (قال : وتخرج)[٧] بختية[٨] من دار بني فلان لا يردها شيء حتى تنتهي إليه ويتفرق الناس وتجعله بين قوائمها وتطؤه حتى طفا[٩]، قال : فأنا رأيت سعداً يتبعه الناس يقولون : استجاب الله لك يا أبا إسحاق ، استجاب الله

---

(١) في د ، س : فإذا هو رجل يسب طلحة . بزيادة (رجل) .

(٢) هو : طلحة بن عبيدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي ، أبومحمد المدني ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، مشهور ، استشهد يوم الجمل ، سنة ست وثلاثين ، وهو ابن ثلاث وستين سنة، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٣٧٩) ، وتهذيب التهذيب (٥/ ٢٠-٢٢) ، وأسد الغابة (٢/ ٤٦٧-٤٧١) .

(٣) ما بين القوسين ساقط من : م .

(٤) في د، س : سبقت .

(٥) في ت : خير . وفي ع ، د ، س : حسنى .

(٦) في ت، م : أنه يكون آية .

(٧) في د ، س : وقال : تخرج .

(٨) البختية هي : الأنثى من الجمال البُخْت ، والذكر بختي ، وهي جمال طوال الأعناق ، واللفظة معربة . النهاية لابن الأثير (١/ ١٠١) .

(٩) يقال : طفا الماء طَفْواً وطُفُواً : علا ، والخوصة فوق الشجر : ظهرت . والنور : علا الأكم، والظبي : اشتد عَدْوه . وفلان : مات ، ودخل في الأمر . القاموس المحيط ص(١٦٨٥) مادة : طفا .

(لك)[١] يا أبا إسحاق[٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾[٣] أي : الله سماكم (المسلمين)[٤] من قبل القرآن، وفي القرآن ، فسبقت تسمية الحق سبحانه لهم مسلمين قبل إسلامهم وقبل وجودهم . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝١٧٣ ﴾[٥] .

وقال ابن عباس في رواية الوالبي[٦] عنه في قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ

---

(١) ساقطة من م .

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ١٤٠)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١/ ١١٦) ، وابن الأثير في أسد الغابة (٢/ ٤٧١) في ترجمة طلحة بن عبيدالله . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٥٤) وقال : رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح . ورواه بنحو مختصراً، من رواية مصعب بن سعيد: ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/ ٨٧-٨٨) ، والحاكم في المستدرك (٣/ ٤٩٩) وسكت عنه هو والذهبي .

(٣) سورة الحج ، آية ٧٨ .

(٤) ساقطة من ع ، د ، س .

(٥) سورة الصافات ، الآيات : ١٧١-١٧٣ .

(٦) هو : علي بن أبي طلحة، كما صرح بذلك الطبري في تفسيره عند تخريجه لقول ابن عباس هذا ، وقوله الذي أورده المؤلف في ص(٩٠٤)، وانظر أيضاً كشف الظنون (١/ ٤٦٠) . والوالبي : نسبة إلى والب بن الحارث بن ثعلبة، بطن من بني أسد، ينسب إليه جماعة، منهم سعيد بن جبير . انظر اللباب في تهذيب الأنساب للجزري (٣/ ٣٥٠) . والمراد هنا ـ كما سبق بيانه : هو علي بن أبي طلحة ـ سالم بن مخارق ـ مولى بني العباس ، أصله من الجزيرة. وانتقل إلى حمص ، لم يرَ ابن عباس ، وإنما أخذ تفسيره عن مجاهد، فلم يذكر مجاهداً، بل أرسله عن ابن عباس، وهو من الطبقة السادسة ، صدوق قد يخطئ ، مات سنة ثلاثة ، وأربعين ومائة، وروى له مسلم وأبوداود والنسائي وابن ماجه. ميزان الاعتدال (٣/ ٣٤)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٣٣٩) ، وتقريب التهذيب (٢/ ٣٩) .

أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[١] قال : سبقت لهم السعادة في الذكر الأول[٢] .

وهذا لا يخالف قول من قال : إنه الأعمال الصالحة التي قدّموها ، ولا قول من قال : إنه محمد ﷺ ، فإنه سبق لهم من الله في الذكر الأول السعادة بأعمالهم على يد محمد ﷺ ، فهو خير تقدم لهم من الله ، ثم قدمه لهم على يد رسوله ، ثم يقدمهم عليه يوم (لقائه)[٣] ، وقد قال تعالى : ﴿ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ / عَظِيمٌ ﴾[٤] . ٨ب

وقد اختلف السلف في هذا الكتاب السابق ، فقال جمهور المفسرين من السلف ومن بعدهم : لولا قضاء من الله سبق لكم يا أهل بدر في اللوح (المحفوظ)[٥] أن الغنائم حلال لكم، لعاقبكم[٦] .

وقال آخرون : لولا كتاب من الله سبق أنه لا يعذب أحداً إلا بعد الحجة لعاقبكم[٧] .

---

(١) سورة يونس ، آية ٢ .

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/ ٨٢) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٤١) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

(٣) في ع : القيامة .

(٤) سورة الأنفال ، آية ٦٨ .

(٥) ساقطة من م .

(٦) وهذا مروي عن ابن مسعود، وأبي هريرة ، وابن عباس، وسعيد بن جبير، وعطاء . انظر تفسير ابن جرير (١٠/ ٤٥)، وتفسير القرطبي (٨/ ٣٣) ط. الأولى، ١٤٠٨هـ نشر دار الكتب العلمية ، بيروت . وتفسير ابن كثير (٢/ ٣٢٦) .

(٧) وهذا مروي عن ابن عباس، ومجاهد . انظر تفسير ابن جرير (١٠/ ٤٧) ، وتفسير القرطبي (٨/ ٣٣) ، وتفسير ابن كثير (٢/ ٣٢٦) .

وقال آخرون : لولا كتاب من الله سبق لأهل بدر أنه مغفور لهم ، وإن عملوا ما شاؤوا، لعاقبهم[١] .

وقال آخرون ـ وهو الصواب ـ : لولا كتاب من الله سبق بهذا كله، لمسَّكُم فيما أخذتم عذاب عظيم[٢] . والله أعلم .

* * *

(١) وهذا مروي عن سعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن جبير ، والأعمش. انظر تفسير ابن جرير (١٠/ ٤٦-٤٧) . وتفسير القرطبي (٨/ ٣٣) ، وتفسير ابن كثير (٢/ ٢٢٦) .

(٢) وهذا قول ابن جرير . انظر تفسيره (١٠/ ٤٤، ٤٨) ، وتفسير القرطبي (٨/ ٢٣) ، وتفسير الشوكاني (فتح القدير) (٢/ ٣٢٦) نشر دار المعرفة، بيروت .

الباب التاسع

في قوله تعالى

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾

الباب التاسع

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[(١)].

قال سفيان[(٢)] عن زياد بن إسماعيل[(٣)] المخزومي: حدثنا محمد بن عباد بن جعفر[(٤)] حدثنا أبوهريرة، قال: جاء مشركو قريش إلى رسول الله ﷺ يخاصمون في القدر، فنزلت هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[(٥)] رواه مسلم[(٦)].

---

(١) سورة القمر، آية ٤٩.

(٢) هو: سفيان الثوري، سبقت ترجمته في ص (٢٦٧).

(٣) هو: زياد، ويقال: يزيد بن إسماعيل المخزومي أو السهمي المكي، صدوق سيئ الحفظ، من السادسة، روى له البخاري في كتاب خلق أفعال العباد، وروى له مسلم والترمذي وابن ماجه، تقريب التهذيب (١/ ٢٦٥)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٣٥٤).

(٤) هو: محمد بن عباد بن جعفر بن رفاعة بن أمية بن عائذ بن عبدالله بن عمر بن مخزوم المخزومي المكي، ثقة من الثالثة، روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ١٧٤)، وانظر تهذيب التهذيب (٩/ ٢٤٣)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ١٠٦).

(٥) سورة القمر، آية ٤٧-٤٩.

(٦) انظر صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٦) ك. القدر، باب كل شيء بقدر. فقد رواه عن أبي بكر ابن أبي شيبة وأبي كريب. ورواه الترمذي (٤/ ٣٩٩) ك. القدر، باب قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ عن أبي كريب. وقال: هذا حديث صحيح. ورواه أيضاً في (٥/ ٣٧٢) ك. تفسير القرآن، باب تفسير سورة القمر، عن أبي كريب، وعن أبي بكر محمد ابن بشار (بندار) وقال: هذا حديث حسن صحيح. رواه ابن ماجه (١/ ٣٢) المقدمة، باب في القدر، عن أبي بكر بن أبي شيبة، وعن علي بن محمد: أربعتهم عن وكيع عن سفيان الثوري، به. ورواه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٤٤٤، ٤٧٦)، وابن أبي عاصم في =

(روى)[١] الدارقطني[٢] من حديث حبيب بن (عمر)[٣] الأنصاري[٤] عن أبيه[٥] قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ : أين خصماء الله؟ وهم القدرية** » . ولكن حبيب هذا ـ قال الدارقطني ـ : مجهول . والحديث مضطرب الإسناد ، ولا يثبت[٦] .

= السنة (١/ ١٥٥) . وابن جرير في تفسيره (٢٧/ ١١٠-١١١) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٨٢-٦٨٣) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر ، وابن مردويه .

(١) في ع ، د ، س : وقد روى .

(٢) هو : أبوالحسن ، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي، الحافظ الشهير ، صاحب السنن والعلل والأفراد ، وغير ذلك ، سمع البغوي وابن أبي داود وابن صاعد وغيرهم، حدَّث عنه : الحاكم والبرقاني وأبونعيم وغيرهم . قال الحاكم : أوحد عصره في الفهم والحفظ والورع ، مات ثامن ذي القعدة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ، وكان مولده سنة ست وثلاثمائة . طبقات الحفاظ للسيوطي ص(٣٩٣-٣٩٤) ، وسير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٤٩) .

(٣) في م ، ت ، د ، س : عمرو ، وما أثبت من ع ، ومن كتب التخريج ، وكتب تراجم الرجال .

(٤) هو : حبيب بن عمر الأنصاري ، روى عن أبيه ، روى عنه بقية. قال أبوحاتم : مجهول، ضعيف الحديث ، لم يرو عنه غير بقية . وقال ابن عدي : له أحاديث ليست بالكثيرة ، وأرجو أنه لا بأس به . وذكره ابن حبان في الثقات . الجرح والتعديل (٢/ ١٠٥) ، والثقات (٦/ ١٨٣) ، والكامل لابن عدي (٢/ ٨١٥-٨١٦) ، ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني (٢/ ١٧١-١٧٢) ، نشر مطبعة دائرة المعارف النظامية بالهند ، سنة ١٣٣١هـ .

(٥) لم أعثر له على ترجمة .

(٦) انظر كتاب العلل للدارقطني (٢/ ٧١) تحقيق د. محفوظ الرحمن السلفي. ط. الأولى ١٤٠٥هـ نشر دار طيبة ، الرياض ، وسأنقل قوله كاملاً لما فيه من الفائدة . قال : هو حديث مضطرب الإسناد ، يرويه بقية بن الوليد، عن حبيب بن عمر الأنصاري ـ وهو مجهول ـ عن أبيه عن ابن عمر عن عمر . وقيل أيضاً : عن أبيه عن رجل من الأنصار، عن ابن =

والمخاصمون في القدر نوعان :

أحدهما : من يبطل أمر الله ونهيه بقضائه وقدره ، كالذين قالوا : ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾[١] .

والثاني : من ينكر قضاءه وقدره السابق .

والطائفتان خصماء الله . قال عوف[٢] : من كَذَّبَ بالقدر فقد كَذَّب بالإسلام، إن الله تبارك وتعالى قدَّر أقداراً ، وخلق الخلق بقدر ، وقسَّم الآجال بقدر، وقسَّم الأرزاق بقدر، وقسم البلاء بقدر ، وقسم العافية بقدر (وأمر ونهي[٣])[٤] .

= عمر ، عن عمر . ورواه المحاربي عن أبي سليمان التيمي ـ وهو مجهول ـ . وقال ضرار بن صرد عن المحاربي ، عن أبي سليمان التيمي ووهم . ثم قالوا : عن عمر بن حبيب الأنصاري عن أبيه ، عن ابن عمر، عن عمر . وقول من قال : حبيب بن عمر أصح، وهو مجهول ، والحديث غير ثابت . والله أعلم .

والحديث رواه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٤٨) . وقال الألباني : إسناده ضعيف . والبيهقي في كتاب القدر ص(٢٥٥) ، وذكره ابن أبي حاتم في كتاب علل الحديث (٢/ ٤٣٥) في علل الأخبار المروية في القدر . ونقل عن أبيه قوله : هذا حديث منكر ، وحبيب بن عمر ضعيف الحديث، مجهول ، لم يروه عنه غير بقية . كتاب علل الحديث، نشر دار السلام بحلب ، مصورة عن طبعة القاهرة سنة ١٣٤٣هـ وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١٤٢) من طريق الدارقطني، وذكر قوله فيه . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٠٦) وقال : رواه الطبراني في الأوسط من رواية بقية، وهو مدلس، وحبيب بن عمر، وهو مجهول .

(١) سورة الأنعام ، آية ١٤٨ .

(٢) هو : عوف بن أبي جميلة ـ بفتح الجيم ـ الأعرابي العبدي البصري ، ثقة ، رُمي بالقدر وبالتشيع ، من السادسة ، مات سنة ست أو سبع أو أربعين ومائة ، وله ست وثمانون ، روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٨٩) ، وانظر تهذيب التهذيب (٨/ ١٦٦-١٦٧) ، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٣٨٣) .

(٣) ما بين القوسين ساقط من ت .

(٤) رواه الفريابي في كتاب القدر ص(٥٣) بنحوه من رواية عوف عن الحسن . ومن طريقه =

(وقال)[1] الإمام أحمد : القدر : قدرة الله[2]، واستحسن ابن عقيل[3] هذا الكلام جداً، وقال/ : هذا يدل على دقة علم أحمد وتبحره في معرفة أصول الدين[4]. ٢٠ب

وهو كما قال أبوالوفاء : فإن إنكار القدر إنكار لقدرة الرب على خلق أعمال

= الآجري في الشريعة ص(٢١٧) . ورواه البيهقي في كتاب القدر ص(٢٩٤) من رواية عوف عن الحسن ، ورواه اللالكائي في السنة (٤/ ٦٨٢) . من رواية عوف عن الحسن .

(١) في ع ، د ، س : قال .

(٢) رواه ابن هانئ في كتابه (مسائل الإمام أحمد (٢/ ١٥٥) تحقيق زهير الشاويش ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت .

(٣) هو : أبوالوفاء علي بن عقيل بن محمد البغدادي ، الحنبلي المتكلم، قال الذهبي : وافق المعتزلة في عدة بدع ، نسأل الله السلامة . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكان الأشعري أقرب إلى مذهب أحمد وأهل السنة من كثير من المتأخرين المتنسبين إلى أحمد، الذين مالوا إلى بعض كلام المعتزلة كابن عقيل .. » وقد ذكر ابن رجب الحنبلي أنه تاب من ذلك . وله مصنفات منها : كتاب الفنون، وكتاب الواضح في الأصول ، وكتاب الانتصار لأصحاب الحديث . مات سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، وكان مولده سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة . ميزان الاعتدال (٣/ ١٤٦) . سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٤٣-٤٥١) ودرء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٧٠ و (٨/ ٦٠-٦١) تحقيق د. محمد رشاد سالم، ط. الأولى ١٤٠١هـ نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. وطبقات الحنابلة للقاضي أبي يعلى (٢/ ٢٥٩)، وفيه أن مولده سنة (٤٣٢هـ) ، نشر دار المعرفة ، بيروت ، وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ١٤٢-١٦٥) . نشر دار المعرفة ، بيروت.

(٤) لم أعثر على قول ابن عقيل هذا ، وقد صاغ المؤلف رحمه الله هذا الكلام شعراً في نونيته فقال :

حقيقة القدر الذي حار الورى	في شأنه هو قدرة الرحمن
واستحسن ابن عقيل ذا من أحمد	لما حكاه عن الرضي الرباني
قال الإمام شفا القلوب بلفظة	ذات اختصار وهي ذات بيان

القصيدة النونية المطبوعة ، مع شرح ابن عيسى (١/ ٢٥٤) .

العباد (وكتابتها)[١] وتقديرها ، وسلف القدرية كانوا ينكرون علمه بها وهم الذين اتفق سلف الأمة على تكفيرهم ، وسنذكر ذلك فيما بعد إن شاء الله[٢] .

وفي تفسير علي بن أبي طلحة[٣] عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[٤] قال: الذين يقولون[٥]: إن الله على كل شيء قدير[٦] .

وهذا من فقه ابن عباس وعلمه بالتأويل ومعرفته بحقائق الأسماء والصفات ، فإن أكثر أهل الكلام لا يوفون هذه الجملة حقها (وإن)[٧] كانوا يقرون بها ، فمنكرو القدر وخلق أفعال العباد لا يقرون بها على وجهها ، ومنكرو أفعال الرب تعالى القائمة به لا يقرون بها على وجهها ، بل يصرحون أنه لا يقدر على فعل يقوم به ، ومن لا يقر بأن الله سبحانه كل يوم في شأن ، يفعل ما يشاء، لا يقر بأن الله على كل شيء قدير ، ومن لا يقر بأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء[٨] ـ وأنه سبحانه مقلب القلوب حقيقة ، وأنه إن شاء أن يقيم القلب أقامه ، وإن شاء أن يزيغه أزاغه[٩] ـ لا يقر (بأن الله على كل

---

(١) في م ، ع ، د ، س : وكتابها .

(٢) في الباب العاشر (ص وما بعدها) .

(٣) سبقت ترجمته في ص(٣١٠) .

(٤) سورة فاطر ، آية ٢٨ .

(٥) في تفسير ابن جرير ، وابن كثير ، والدر المنثور للسيوطي : يعلمون .

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢/ ١٣٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢٠)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم. وذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ٥٥٣) .

(٧) في ع ، د ، س : ولو .

(٨) هذه العبارة مقتبسة من حديث رواه عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، وذكره المؤلف في ص٢٧٦ ، وسيأتي تخريجه هناك .

(٩) قوله: «وإن شاء أن يقيم القلب أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاغه» مقتبس من الحديث الذي رواه النواس بن سمعان رضي الله عنه، وذكره المؤلف رحمه الله في ص(٢٧٧)، وقد خرجته هناك.

شيء قدير، ومن لا يقر)[١] بأنه استوى على عرشه بعد أن خلق السماوات والأرض، وأنه ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا يقول : من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له[٢]، وأنه نزل إلى الشجرة[٣] فكلَّم موسى

---

(١) ما بين القوسين ساقط من ت .

(٢) كما ورد في الحديث الذي رواه أبوهريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « **يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ ، فَيَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ؟** » . والحديث أخرجه مالك في الموطأ ص(١٤٩-١٥٠) ك. القرآن ، ومن طريقه رواه البخاري في المواضع التالية :

- (٢/ ٤٧) ك. التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل .
- (٧/ ١٤٩) ك. الدعوات ، باب الدعاء نصف الليل .
- (٨/ ١٩٧) ك. التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ﴾ .

ورواه مسلم (١/ ٥٢١-٥٢٢) ك. صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه . ورواه أبوداود (٤/ ١٩٩) ، أبواب قيام الليل ، باب أي الليل أفضل؟ . ورواه أيضاً (١٣/ ٥٨) ك. السنة ، باب في الرد على الجهمية . ورواه الترمذي (٢/ ٣٠٧-٣٠٨) أبواب الصلاة ، باب ما جاء في نزول الرب عز وجل إلى السماء الدنيا كل ليلة، ورواه أيضاً (٥/ ٤٩٢) ك. الدعوات ، باب رقم (٧٩) وقال : حديث حسن صحيح، ورواه النسائي في الكبرى ك. النعوت انظر تحفة الأشراف (١٠/ ٩٩) . ورواه أيضاً في كتاب عمل اليوم والليلة ص(٣٣٩-٣٤٠) . ورواه ابن ماجه (١/ ٤٣٥) ك. إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء في أي ساعات الليل أفضل؟ . ورواه الدارمي في سننه (١/ ٢٨٦) ك. الصلاة ، باب ينزل الله إلى السماء الدنيا . ورواه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٢٦٤-٢٦٥،٢٦٧،٢٨٢،٤٨٧، ٥٠٤). ورواه البخاري في الأدب المفرد (ص٢٦٤) باب الدعاء إذا بقي ثلث الليل، ورواه عبدالرزاق في مصنفه (١٠/ ٤٤٤)، وابن حبان في صحيحه . كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣/ ١٩٩-٢٠٠) . ورواه البيهقي في الأسماء والصفات ص(٥٦٥) ، وفي السنن الكبرى (٣/ ٢) . وقد جمع كثيراً من ألفاظ هذا الحديث وأسانيده ابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/ ٢٩٢ وما بعدها) .

(٣) ذكر النزول في هذا الموضع فيه نظر، فإنه لم يرد في الآيات التي أخبر الله فيها عن تكليمه =

(كليمه)[١] منها ، وأنه ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة حين تخلو من سكانها ، (وأنه يجيء يوم القيامة، فيفصل بين عباده، وأنه يتجلّى لهم يضحك، وأنهم يريهم نفسه المقدسة)[٢] ، (وأنه يضع رجله على النار (فيضيق بها)[٣] أهلها وينزوي بعضها إلى بعض)[٤] إلى غير ذلك من شؤونه وأفعاله التي من لم يقر بها (لم)[٥] يقر بأنه على كل شيء قدير، فيا لها كلمة من حبر الأمة وترجمان القرآن رضي الله عنه ، وقد كان ابن عباس شديداً على القدرية، وكذلك / الصحابة، كما سنذكر ذلك إن شاء الله تعالى[٦] . ١٣١أ

= لموسى من الشجرة ذكر النزول، وإذا لم يثبت التصريح بالنزول في هذه القصة في كتاب الله سبحانه وتعالى ولا سنة رسولـه ﷺ فالواجب الإمساك والوقوف مع ما نطقت به النصوص.

(١) في ع ، د ، س : كلمة .

(٢) ويدل على ذلك الحديث الذي رواه أبوهريرة وأبوسعيد الخدري عن رسول الله ﷺ وأولـه : أن الناس قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ .. وفيه : « كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتبّعه، فيتبع من كان يعبد الشمس، الشمس .. وفيه : فيأتيهم الله فيقول : أنا ربكم . فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاءنا ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول : أنا ربكم، فيقولون : أنت ربنا .. ، وفيه : ثم يتجلّى حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد ... ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولاً الجنة .. فيقول : أي رب لأكونن أشقى خلقك ، فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه ، فإذا ضحك منه قال له : ادخل الجنة ..» الحديث . وانظر تخريج هذا الحديث في ص(٤٢٤). وانظر كتاب الرد على الجهمية للدارمي ص(٢٣٨، ٤٢٠) .

(٣) في ت، م : فيضيق .

(٤) هذه العبارة مقتبسة من حديث رواه أبوهريرة في احتجاج الجنة والنار . سيأتي تخريجه في ص(٤٢٠) .

(٥) ساقطة من د ، س .

(٦) في ص() .

الباب العاشر

في مراتب القضاء والقدر التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر

الباب العاشر

في مراتب القضاء والقدر

(التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر)[١]

وهي : أربع مراتب :

المرتبة الأولى : علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها .

المرتبة الثانية : كتابته لها قبل كونها .

المرتبة الثالثة : مشيئته لها .

الرابعة[٢] : خلقه لها .

فأما المرتبة الأولى، وهي : العلم السابق ، فقد اتفق عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم ، واتفق عليه جميع الصحابة ومن تبعهم من الأمة ، وخالفهم (في ذلك)[٣] مجوس الأمة .

وكتابته السابقة تدل على علمه بها قبل كونها ، وقد قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٤] **قال مجاهد** : علم من إبليس المعصية وخلقه لها (وعلم من آدم الطاعة وخلقه لها[٥])[٦] .

---

(١) ما بين القوسين ساقطة من م .

(٢) قوله « الرابعة » : هكذا وردت في جميع النسخ ، وسياق الكلام يقتضي أن يقال : المرتبة الرابعة .

(٣) ساقطة من ع، د ، س .

(٤) سورة البقرة ، آية ٣٠ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من ع، د ، س .

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٢١٢) بسنده من طريق عبدالوهاب بن مجاهد عن أبيه، به . وعبدالوهاب هذا ضعيف جداً ، كذبه سفيان الثوري ، وقال وكيع : كانوا =

وقال قتادة(١) : كان في علمه أنه سيكون من تلك (الخليقة)(٢) أنبياء ورسل وقوم صالحون ، وساكنو الجنة(٣) .

وقال ابن مسعود : أعلم ما لا تعلمون من (شأن)(٤) إبليس(٥) .

= يقولون : إنه لم يسمع من أبيه ، وقال أحمد : ليس بشيء ، وضعفه أيضاً ابن معين وأبوحاتم، وقال النسائي : متروك الحديث . انظر تهذيب التهذيب (٦/ ٤٥٣) والضعفاء الصغير للبخاري (ص١٥٦) ، والضعفاء والمتروكين للنسائي ص١٦٣ . ورواه ابن جرير (١/ ٢١٢-٢١٣) من طرق أخرى عن مجاهد، ولكن دون قوله : وعلم من آدم الطاعة وخلقه لها . وقد صحح أغلبها الشيخ أحمد شاكر، وقال عن هذه الزيادة : بأنه لم يجدها في موضع آخر . انظر تفسير ابن جرير الطبري بتحقيقه (١/ ٤٧٧-٤٧٩) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ١١٤) وزاد نسبته إلى وكيع وسفيان بن عيينة وعبدالرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد .

(١) هو : قتادة بن دِعَامة بن قتادة السدوسي ، أبوالخطاب البصري ، ثقة ثبت ، وهو رأس الطبقة الرابعة، مات سنة بضع عشرة ومائة، روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ١٢٣) ، وانظر تهذيب التهذيب (٨/ ٣٥١-٣٥٦) .

(٢) الخليقة ـ بالقاف ـ هكذا وردت في جميع النسخ ما عدا (م) فإنها غير معجمة فيها . وقال أحمد شاكر : ورد عند ابن كثير (١/ ٧٢) ، والدر المنثور (١/ ١١٤) ، وفتح القدير للشوكاني (١/ ٦٤) الخليقة ـ بالقاف ـ وهو خطأ الصواب الخليفة . اهـ . انظر تخريجه لتفسير الطبري (١/ ٤٧٩) .

قلت : وقد ورد عند ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١١٥) الخليفة بالفاء الموحدة . تحقيق د. أحمد الزهراني ، ط. الأولى ١٤٠٨هـ ، نشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، ودار طيبة بالرياض ، ودار ابن القيم بالدمام .

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٢٠٥ ، ٢١٣). وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١١٥) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ١١٤) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد .

(٤) ساقطة من ع ، د ، س .

(٥) روا ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٢١٢) .

وقال مجاهد أيضاً: علم من إبليس أنه لا يسجد لآدم [(١)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [(٢)].

وفي المسند من حديث لقيط [(٣)] بن عامر عن النبي ﷺ أنه قال: يا رسول الله، ما عندك من علم الغيب؟ فقال: «ضنَّ [(٤)] ربُّك بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله» وأشار بيده، فقلت: ما هن؟ قال: «علم المنية (قد علم) [(٥)] متى منية أحدكم (ولا) [(٦)] تعلمونه، وعلم المني حين يكون في الرحم قد علمه ولا تعلمونه، وعلم ما في غد، قد علم ما أنت طاعم ولا تعلمه، وعلم يوم الغيث، يشرف / عليكم مشفقين [(٧)]، فيظل يضحك قد علم أن غوثكم إلى قريب» قال لقيط: لن نعدم من ربٍّ يضحك خيراً - «وعلم يوم الساعة» [(٨)]. ٢١ب

---

(١) لم أعثر له على تخريج.

(٢) سورة لقمان: ٣٤.

(٣) هو: لقيط بن صَبِرَة - بفتح المهملة وكسر الموحدة - صحابي مشهور، ويقال: إنه جده، واسم أبيه عامر، وهو أبورزين العقيلي، والأكثر على أنهما اثنان. روى له البخاري في الأدب المفرد، وروى له الأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ١٣٨)، وانظر تهذيب التهذيب (٨/ ٤٥٦)، وأسد الغابة (٤/ ٢٢٣).

(٤) ضَنَّ: اختص. النهاية لابن الأثير (٣/ ١٠٤).

(٥) في م: وهي.

(٦) في ت: ولم.

(٧) مشفقين: خائفين. النهاية لابن الأثير (٢/ ٤٨٧).

(٨) انظر المسند (٤/ ١٣) وما ذكره المؤلف هنا - كما هو ظاهر من كلامه - طرفٌ من الحديث الطويل الذي رواه لقيط بن عامر في قصة وفادته على النبي ﷺ وأوله: خرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله ﷺ لانسلاخ رجب، فأتينا رسول الله ﷺ فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة (الفجر) فقام في الناس خطيباً، فقال: «أيها الناس ألا إني =

وقد تقدم حديث علي المتفق على صحته : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ

= قد خبأتُ لكم صوتي منذ أربعة أيام ألا لأسمعنكم .. » إلخ . وهذا الحديث رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في زياداته على مسند أبيه (٤/ ١٣) ، وفي كتابه « السنة » له (٢/ ٤٨٥) فقال : كتب إليَّ إبراهيم بن حمزة الزبيري : كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرفته وسمعته على ما كتبت به إليك ، فحدث بذلك عني ، حدثني عبدالرحمن بن المغيرة الحزامي ، حدثني عبدالرحمن بن عياش السمعي الأنصاري القبائي - من بني عمرو بن عوف - عن دلهم بن الأسود بن عبدالله بن حاجب بن عامر بن المنتفق العقيلي عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر . قال دلهم : وحدثنيه ابن أبي الأسود عن عاصم بن لقيط أن لقيطاً خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ .. إلخ . ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٢١١ -٢١٤) من طريق عاصم بن لقيط أن لقيط بن عامر .. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٣٨-٣٤٠) وقال : رواه عبدالله والطبراني بنحوه، وأحد طريقي عبدالله إسنادها متصل ورجالها ثقات . والإسناد الآخر وإسناد الطبراني مرسل عن عاصم بن لقيط أن لقيطاً . ورواه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٨٦-٢٨٩) عن إبراهيم بن المنذر الحزامي عن عبدالرحمن بن المغيرة الحزامي، به . ورواه أيضاً مختصراً (١/ ٢٣١) إلا أنه قال في كلا الموضعين : عن « جده » بدل أبيه وقال الشيخ الألباني : إسناده ضعيف ، دلهم بن الأسود وجده عبدالله بن حاجب، قال الذهبي : لا يعرفان ، ومثلهما عبدالرحمن بن عياش الأنصاري، وكذا الأسود بن عبدالله والد « دلهم » . وانظر تخريجه لكتاب السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢٣١) وميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ٢٨، ٤٠٥، ٥٨٠) و(١/ ٢٥٦) .

ورواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/ ٤٦١-٤٧٠) من طريق يعقوب بن محمد بن عيسى الزهري، عن المغيرة، به . وقال الشيخ الألباني: إسناده ضعيف. انظر تخريجه لكتاب السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢٠٠). ومن الطريق نفسه رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٦٠-٥٦٤) وقال : هذا حديث جامع في الباب صحيح الإسناد، كلهم مدنيون ولم يخرجاه . وتعقبه الذهبي فقال : يعقوب بن محمد بن عيسى الزهري ضعيف . وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ٨٠-٨٣) وقال : هذا حديث غريب جداً ، وألفاظه في بعضها نكارة . وذكره المؤلف (ابن القيم) في كتابه زاد المعاد (٣/ ٥٦-٥٧) وصححه ، وأطال الكلام فيه . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٥٦-٣٥٨) ونسبه إلى عبد الله بن أحمد والحاكم .

مَنفُوسَةٍ إلاَّ وَقَدْ علم مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ أو النَّارِ »[١] .

وقال البزار[٢] : حدثنا محمد بن عمر بن هياج الكوفي[٣] ، حدثنا عبيدالله بن موسى[٤]، حدثنا (فضيل)[٥] بن مرزوق[٦] عن عطية[٧] عن أبي سعيد عن النبي ﷺ أحسبه قال : « يُؤتى بالهالك في الفترة[٨] والمعتوه والمولود ، فيقول الهالك في

(١) في ص(١٥٩-١٦٠) .

(٢) هو : أبوبكر ، أحمد بن عمرو بن عبدالخالق ، البصري ، البزار ، صاحب المسند الكبير ، الذي تكلم على أسانيده ، ولد سنة نيف عشرة ومائتين ، وقد ذكره الدارقطني، فقال : ثقة، يخطئ ويتكل على حفظه ، مات بالرملة سنة اثنتين وتسعين ومائتين . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٥٤-٥٥٧)، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص(٢٨٩-٢٩٠) .

(٣) هو : محمد بن عمر بن هياج الهمْداني أو الأسدي الكوفي ، صدوق ، من الحادية عشرة ، مات سنة خمس وخمسين ومائتين، روى له الترمذي والنسائي وابن ماجه . تقريب التهذيب (٢/ ١٩٤) ، وانظر تهذيب التهذيب (٩/ ٣٦٢-٣٦٣) .

(٤) هو : عبيدالله بن موسى بن أبي المختار، باذام ، العبسي مولاهم ، الكوفي ، أبومحمد، ثقة ، كان يتشيع ، من التاسعة ، قال أبوحاتم : كان أثبت في إسرائيل من أبي نعيم ، مات سنة ثلاث عشرة ومائتين على الصحيح ، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٥٣٩-٥٤٠)، وانظر تهذيب التهذيب (٧/ ٥٠-٥٣) .

(٥) في ت ، م : فضل .

(٦) هو : فضيل بن مرزوق الأغر - بالمعجمة والراء - الرقاشي الكوفي، أبوعبدالرحمن ، صدوق يهم ، ورُمي بالتشيع ، من السابعة ، مات في حدود سنة ستين ومائة ، روى له البخاري في جزء رفع اليدين، روى له مسلم والأربعة . تقريب التهذيب (٢/ ١١٣) ، وانظر تهذيب التهذيب (٨/ ٢٩٨-٣٠٠) .

(٧) هو : عطية بن سعد بن جُنادة - بضم الجيم بعدها نون خفيفة - العوْفي ، الجَدَلي - بفتح الجيم والمهملة - الكوفي ، أبوالحسن ، صدوق يخطئ كثيراً ، كان شيعياً مدلساً، من الثالثة ، مات سنة إحدى عشرة ومائة ، روى له البخاري في الأدب المفرد ، وروى له أبوداود والترمذي وابن ماجه . تقريب التهذيب (٢/ ٢٤) ، وانظر تهذيب التهذيب (٧/ ٢٢٤-٢٢٦) .

(٨) الفترة هي : ما بين الرسولين من رسل الله تعالى من الزمان الذي انقطعت فيه الرسالة . النهاية لابن الأثير (٣/ ٤٠٨) .

الفترة : لم (يأتني)[١] كتاب ولا رسول، ويقول المعتوه : أي رب، لم تجعل لي عقلاً أعقل به خيراً ولا شراً. ويقول المولود: (رب)[٢] لم أدرك العملَ. قال : فترفع لهم نار، فيقال لهم : رِدوها ـ أو قال : ادخلوها ـ فيردها من كان في علم الله سعيداً أن لو أدرك العمل ، قال : ويمسك عنها من كان في علم الله شقياً أن لو أدرك العمل ، فيقول تبارك وتعالى : إياي عصيتم فكيف (برسلي)[٣] بالغيب »[٤].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة (أن)[٥] النبي ﷺ قال : « ما من مولود يُولد إلا على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه كما تنتج البهيمة جمعاء[٦] هل تحسون فيها من جدعاء[٧] حتى تكونوا أنتم تجدعونها » .قالوا : يا رسول الله، أفرأيت من يموت منهم وهو صغير ؟ قال : « الله أعلم بما كانوا عاملين »[٨].

---

(١) في ت : ياتي .

(٢) في ع ، د ، س : أي رب .

(٣) في ع ، د ، س : رسلي .

(٤) انظر كشف الأستار عن زوائد البزار : (٣/ ٣٥) ك. القدر ، باب فيمن لم يبلغه الدعوة وغير ذلك . وقال البزار : لا نعلمه يُروى عن أبي سعيد إلا من حديث فضيل. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢١٦) وقال : رواه البزار ، وفيه عطية ، وهو ضعيف .

(٥) في ع ، د ، س : عن .

(٦) جمعاء : أي سليمة من العيوب ، مجتمعة الأعضاء كاملتها، فلا جدع بها ولا كي . النهاية لابن الأثير (١/ ٢٩٦) .

(٧) جدعاء : أي مقطوعة الأطراف ، أو واحدها . ومعنى الحديث : أن المولود يُولد على نوع من الجِبِلَّة ، وهي فطرة الله تعالى، وكونه متهيئاً لقبول الحق طبعاً وطوعاً ، لو خلَّته شياطين الإنس والجن وما يختار لم يختر غيرها، فضرب لذلك الجمعاء والجدعاء مثلاً . يعني أن البهيمة تولد مجتمعة الخلق ، سوية الأطرف ، سليمة من الجدع، لولا تعرض الناس إليها، لبقيت كما ولدت سليمة . النهاية لابن الأثير (١/ ٢٤٧) .

(٨) انظر : صحيح البخاري (٧/ ٢١١) ك. القدر ، باب : الله أعلم بما كانوا عاملين . عن إسحاق بن نصر . في صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٨) ك. القدر ، باب معنى كل مولود يولد=

ومعنى الحديث : الله أعلم بما كانوا عاملين لو عاشوا .

وقد قال تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾(١) ، قال ابن عباس : علم ما يكون قبل أن يخلقه(٢) .

وقال أيضاً : على علم قد سبق عنده(٣) .

وقال أيضاً : يريد الأمر الذي سبق له في أم الكتاب(٤) .

وقال سعيد بن جبير ومقاتل : على علمه فيه(٥) .

وقال أبوإسحاق(٦) : أي على ما سبق في علمه أنه ضال قبل أن يخلقه(٧) .

وهذا الذي ذكره جمهور المفسرين .

= على الفطرة ، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين ، عن محمد بن رافع ، كلاهما عن عبدالرزاق عن معمر ، عن همام عن أبي هريرة، به . ورواه عبدالرزاق في مصنفه (١١/ ١١٩) ك. القدر .

(١) سورة الجاثية ، آية ٢٣ .

(٢) ذكره الواحدي في تفسيره ق (٢٠) مخطوط، مرجع سابق.

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٥/ ١٥١) .

(٤) رواه اللالكائي في السنة (٤/ ٥٦٦) ، وذكره الواحدي في تفسيره ق(٢٠) المرجع السابق.

(٥) ذكره الواحدي في تفسيره ق(٢٠) مخطوط ، المرجع السابق .

(٦) هو : إبراهيم بن محمد بن السري، أبوإسحاق الزجاج، البغدادي، نحوي زمانه، لزم المبرِّد، فكان يعطيه من عمل الزجاج كل يوم درهماً ، فنصحه وعلَّمه . اخذ عنه علم العربية أبوعلي الفارسي وجماعة، وله تآليف جمة، منها: معاني القرآن وإعرابه، مات سنة (٣١١هـ). سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٠)، وطبقات النحويين واللغويين لمحمد بن الحسن الزبيدي ص(١٢١-١٢٢) تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، ط. الأولى ١٣٧٣هـ ، نشر محمد الخانجي ، مصر .

(٧) انظر كتاب معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج (٤/ ٤٣٣) تحقيق د. عبدالجليل شلبي ، ط. الأولى ١٤٠٨هـ ، نشر عالم الكتب ، بيروت .

٣٢أ وقال الثعلبي[١] : على علم منه بعاقبة أمره . / قال : وقيل : على ما سبق في علمه أنه ضال قبل أن يخلقه[٢] . وكذلك ذكر البغوي[٣][٤] .

---

(١) هو : أبوإسحاق ، أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري ، قال السمعاني : يقال له الثعلبي والثعالبي ، وهو لقب له لا نسب . كان أحد أوعية العلم ، حدث عن ابن خزيمة وغيره ، وكان صادقاً موثقاً ، بصيراً بالعربية ، طويل الباع في الوعظ ، حدَّث عنه أبوالحسن الواحدي وجماعة . له كتاب (الكشف والبيان في تفسير القرآن) . قال ابن تيمية : الثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين ، وكان حاطب ليل، ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع . وقال ابن كثير : كان كثير الحديث، واسع السماع ، ولهذا يوجد في كتبه من الغرائب شيء كثير . مات سنة سبع وعشرين وأربعمائة . انظر سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٣٥-٤٣٦) ، وتذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٩٠) ، وانظر فتاوى ابن تيمية (١٣/ ٣٥٤) ، والبداية والنهاية لابن كثير (١٢/ ٤٠) .

(٢) انظر الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ١٠٣، مخطوط محفوظ بالمكتبة المحمودية بالمدينة النبوية تحت رقم (١٠٥) تفسير ، وتوجد منه صورة محفوظة في قسم المخطوطات بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تحت رقم ٣٨ ف .

(٣) انظر معالم التنزيل (٧/ ٤٤٦) المطبوع مع تفسير ابن كثير، ونص قول البغوي : وأضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك .

(٤) هو : الشيخ الإمام الحافظ ، الملقب بمحيي السنة ، أبومحمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي نسبة إلى (بغا) من قرى خراسان، الشافعي ، الفقيه المحدِّث المفسر، صاحب التصانيف ، كشرح السنة ، ومعالم التنزيل ، والمصابيح ، والتهذيب ، وغيرها ، تفقه على شيخ الشافعية القاضي حسين بن محمد المروذي ، وحدث عنه ، مات بمرو الروذ سنة ست عشرة وخمسمائة عن ثمانين سنة . سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٣٩-٤٤٣) ، طبقات الحفاظ (ص٤٥٦-٤٥٧) . وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ص٢٩. نشر دائرة المعارف العثمانية بالهند سنة ١٣٩٨هـ . وطبقات المفسرين للداودي (١/ ١٥٧). وطبقات المفسرين للسيوطي ص(١٢) ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت .

وأبو الفرج ابن الجوزي[١] قال: على علمه السابق (فيه)[٢] أنه لا يهتدي[٣].

وذكر طائفة؛ منهم المهدوي[٤] وغيره قولين في الآية، هذا أحدهما[٥].

قال المهدوي: فأضله الله على علم علمه منه (وقيل: المعنى أضله عن الثواب على علم منه)[٦] بأنه لا يستحقه. قال: وقيل: على علم من عابد الصنم أنه لا ينفع ولا يضر[٧].

وعلى الأول يكون «على علم» (حال)[٨] من الفاعل، (المعنى)[٩]: أضله الله عالماً بأنه من أهل الضلال في سابق علمه.

---

(١) هو: الإمام العلامة جمال الدين، أبوالفرج عبدالرحمن بن علي بن عبدالرحمن بن علي بن عبدالله القرشي البكري، البغدادي، الحنبلي، الواعظ، صاحب التصانيف، وعرف جدهم بـ «الجوزي»، لجوزة كانت بدارهم لم يكن بواسط سواها، ومن مصنفاته: زاد المسير في التفسير، والموضوعات، والمنتظم، وغيرها. قال السيوطي: وما علمت أحداً من العلماء صنف ما صنف. وكانت له مجالس وعظ مشهورة، ولد سنة عشر وخمسمائة أو قبلها، ومات سنة سبع وتسعين وخمسمائة. طبقات الحفاظ للسيوطي ص٤٨٠، تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/ ١٣٤٢)، وشذرات الذهب (٤/ ٣٢٩).

(٢) في م، ت: منه. وما أثبت من ع، ومن زاد المسير.

(٣) انظر: زاد المسير (٧/ ٣٦٢-٣٦٣) ط. الثالثة ١٤٠٤هـ نشر المكتب الإسلامي، بيروت.

(٤) هو: أحمد بن عمار بن أبي العباس، المهدوي، التميمي، أبوالعباس، مقرئ، أندلسي، أصله من المهدية بالقيروان، رحل إلى الأندلس في حدود سنة ٤٠٨هـ وصنف كتباً، منها: التفصيل الجامع لعلوم التنزيل. مات سنة ٤٤٠هـ. الإعلام (١/ ١٨٤)، وطبقات المفسرين للداودي ص(٥).

(٥) لم أعثر له على تخريج.

(٦) ما بين القوسين ساقط من ع، د، س.

(٧) لم أعثر له على تخريج.

(٨) في د، س: حالاً.

(٩) في د، س: فالمعنى.

وعلى الثاني : (حال)[١] من المفعول ، أي أضله الله في حال علم الكافر بأنه ضال .

(قلت)[٢] : وعلى الوجه الأول، فالمعنى : أضله الله عالماً به وبأقواله وما يناسبه (ويليق)[٣] به، ولا يصلح له غيره قبل خلقه وبعده ، وأنه أهل للضلال وليس أهلاً أن يُهدى ، وأنه لو هُدي لكان قد وضع الهدى في غير محله وعند من لا يستحقه ، والرب تعالى حكيم (إنما)[٤] يضع الأشياء في محالها اللائقة بها، فانتظمت الآية على هذا القول (إثبات)[٥] القدر والحكمة التي لأجلها قدر عليه الضلال . وذكر العلم؛ إذ هو الكاشف المبين لحقائق الأمور ووضع الشيء في (موضعه)[٦] وإعطاء الخير من يستحقه ، ومنعه من لا يستحقه ، فإن هذا لا يحصل بدون العلم ، فهو سبحانه أضله على علمه بأحواله التي تناسب ضلاله وتقتضيه وتستدعيه ، وهو سبحانه كثيراً ما يذكر ذلك مع إخباره بأنه (الذي)[٧] أضل الكافر كما قال تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[٨] ، وقال تعالى : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ / ١٣٢أ

---

(١) في د ، س : حالاً .

(٢) ساقطة من ت .

(٣) في ع : ما لا يليق .

(٤) ساقط من ت .

(٥) في ع ، د ، س : في إثبات .

(٦) في ع، د ، س : مواضعه .

(٧) ساقطة من ع ، د ، س .

(٨) سورة الأنعام ، آية ١٢٥ .

ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢]. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[٣]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾[٤]. ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ﴾[٥]. ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾[٦]. ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[٧]. ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٨].

وقد أخبر الله أنه يفعل ذلك عقوبةً لأرباب هذه الجرائم، وهذا إضلال ثان بعد الإضلال الأول؛ كما قال تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٩]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[١٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[١١]، وقال تعالى: ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ ﴾[١٢]، وقال:

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٦- ٢٧.
(٢) سورة البقرة، آية ٢٥٨، وسورة التوبة، آية ١٠٩، وسورة الجمعة، آية ٥.
(٣) سورة المائدة، آية ١٠٨، وسورة التوبة، آية ٢٤، وآية ٨٠، وسورة الصف، آية ٥.
(٤) سورة الزمر، آية ٣.
(٥) سورة إبراهيم، آية ٢٧.
(٦) سورة غافر، آية ٣٤.
(٧) سورة غافر، آية ٣٥.
(٨) سورة الروم، آية ٥٩.
(٩) سورة النساء، آية ١٥٥.
(١٠) سورة الأنعام، آية ١٠٩-١١٠.
(١١) سورة الصف، آية ٥.
(١٢) سورة البقرة، آية ١٠.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(١) أي : إن تركتم الاستجابة (لله ورسوله عاقبكم بأن يحول بينكم وبين قلوبكم، فلا تقدرون على الاستجابة)(٢) بعد ذلك .

ويشبه هذا إن لم يكن (هو)(٣) بعينه قوله : ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾(٤) .

وفي موضع آخر : ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٥) . وفي هذه الآية ثلاثة أقوال (هذا)(٦) أحدها.

(وقال)(٧) أبوإسحاق : هذا إخبار عن قوم لا يؤمنون ، كما قال عن نوح: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا / مَن قَدْ ءَامَنَ﴾(٨)، واحتج على هذا بقوله : ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٩) قال : وهذا يدل على أنه قد طبع على قلوبهم(١٠) . ٣٢ب

---

(١) سورة الأنفال ، آية ٢٤ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من ت .

(٣)ساقطة من ع ، د ، س .

(٤) سورة يونس ، آية ١٣ .

(٥) سورة الأعراف ، آية ١٠١ .

(٦) ساقطة من ع ، د ، س .

(٧) في م ، ع ، د ، س : قال . دون الواو .

(٨) سورة هود ، آية ٣٦ .

(٩) سورة يونس ، آية ١٣ .

(١٠) انظر معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج (٢/ ٣٦١-٣٦٢) .

وقال ابن عباس : فما كان أولئك الكفار ليؤمنوا عند إرسال الرسل (بما)[١] كذبوا يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم، فآمنوا كرهاً، وأقروا باللسان وأضمروا التكذيب[٢] .

وقال مجاهد : فما كانوا لو أحييناهم بعد هلاكهم ليؤمنوا بما كذبوا به قبل هلاكهم[٣] .

قلت[٤] : وهو نظير قوله : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾[٥] .

وقال آخرون : لما جاءتهم رسلهم بالآيات (التي)[٦] اقترحوها وطلبوها، ما كانوا ليؤمنوا بعد رؤيتها ومعاينتها بما كذبوا به من قبل رؤيتها، فمنعهم تكذيبهم السابق بالحق لما عرفوه من الإيمان (به)[٧] بعد ذلك ، وهذه عقوبة من رد الحق (أو)[٨] أعرض عنه فلم يقبله ، فإنه يصرف عنه، ويحال بينه وبينه ، ويقلب قلبه عنه ، فهذا إضلال العقوبة وهومن عدل الرب تعالى في عبده . وأما الإضلال السابق الذي ضل به عن قبوله أولاً والاهتداء به ، فهو إضلال ناشئ عن علم الله السابق في عبده أنه لا يصلح للهدى ولا يليق به ، وأن محله غير قابل له ، فالله أعلم حيث يضع هداه وتوفيقه ، كما هو أعلم حيث يجعل رسالته ، فهو

---

(١) في د ، س : لما .

(٢) ذكره ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير (٣/ ٢٣٦) .

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٩/ ١١) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٠٧) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) (قلت) هكذا وردت في جميع النسخ ، وفي تفسير ابن جرير ، والدر المنثور : قال : (أي مجاهد) : كقوله : ﴿ ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ﴾ .

(٥) سورة الأنعام ، آية ٢٨ .

(٦) ساقطة من ت .

(٧) ساقطة من م .

(٨) في م : إذ .

أعلم حيث يجعلها أصلاً وميراثاً ، وكما أنه ليس كل محل أهلاً لتحمل الرسالة عنه وأدائها إلى الخلق، فليس كل محل أهلاً لقبولها والتصديق بها، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾[١] ، أي : ابتلينا واختبرنا بعضهم ببعض ، فابتلى الرؤساء والسادة بالأتباع والموالي والضعفاء ، فإذا نظر الرئيس والمطاع إلى المولى والضعيف (قد آمن ، حمى أنفه)[٢] وأنِفَ أن يُسْلِم، وقال : (أهذا)[٣] يمن الله عليه بالهدى والسعادة دوني، قال الله تعالى : ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ وهم الذين يعرفون النعمة وقدرها ، ويشكرون الله / عليها بالاعتراف والذل والخضوع والعبودية ، فلو كانت قلوبكم مثل قلوبهم تعرفون قدر نعمتي ، وتشكرونني عليها، وتذكرونني بها، وتخضعون لي كخضوعهم ، وتحبونني كحبهم ، لَمَنَنْتُ عليكم كما مَنَنْتُ عليهم، ولكن (لِمِنَني)[٤] ونعمي محال لا تليق إلا بها ، ولا تحسن إلا عندها، ولهذا يقرن سبحانه كثيراً (ومطرداً)[٥] بين التخصيص والعلم؛ كقوله ها هنا ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ وقوله: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ (رسالاته)[٦]﴾[٧] ، وقوله تعالى :

٣٣ب

(١) سورة الأنعام ، آية ٥٣ .
(٢) ما بين القوسين ساقط من ع ، د ، س .
(٣) في د ، س : هذا .
(٤) في م : لمنتي ، وفي ت ، د ، س : لمني .
(٥) ساقطة من ع ، د ، س.
(٦) في ع ، د ، س : (رسالته) بالتوحيد ونصب التاء، وهي قراءة ابن كثير المكي وحفص . و(رسالاته) بالجمع وكسر التاء هي قراءة الباقين : (نافع ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وابن عامر ، وأبي عمرو). انظر كتاب التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ص١٠٦) .
(٧) سورة الأنعام ، آية ١٢٤.

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٨ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٦٩ ﴾[1] .

أي : (هو)[2] سبحانه المنفرد بالخلق والاختيار مما خلق، وهو الاصطفاء والاجتباء، ولهذا كان الوقف التام (على)[3] قوله ﴿ وَيَخْتَارُ ﴾[4] ، ثم نفى الاختيار الذي اقترحوه بإرادتهم، وأن ذلك ليس إليه ، بل إلى الخلاّق العليم الذي هو أعلم بمحال الاختيار ومواضعه، لا من قال : ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[5] فأخبر سبحانه أنه لا يبعث الرسل باختيارهم، وأن البشر ليس لهم أن يختاروا على الله ، بل هو الذي يخلق ما يشاء ويختار ، ثم نفى سبحانه أن تكون لهم الخيرة كما ليس لهم الخلق .

ومن زعم أن « ما » مفعول « يختار » فقد غلط، إذ لو كان هذا هو المراد، لكانت الخيرة منصوبة على أنها خبر كان، ولا يصح (أن يقال)[6]: المعنى : (ما كان لهم الخيرة فيه) وحذف العائد (فإن العائد)[7] هاهنا مجرور بحرف لم يجر الموصول بمثله ، فلو حذف مع الحرف لم يكن عليه دليل، فلا يجوز حذفه،

---

(١) سورة القصص ، آية ٦٨-٦٩ .

(٢) سقاطة من ع ، د ، س .

(٣) في ع ، د ، س : عند .

(٤) وهذا اختيار الزجّاج وابن كثير . انظر معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٥١) ، وتفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٧) .

(٥) كما حكاه الله عنه في سورة الزخرف ، آية ٣١ .

(٦) سقاطة من ع ، د ، س .

(٧) ساقطة من م .

وكذلك لم يفهم معنى الآية من قال : إن الاختيار هاهنا هو الإرادة كما (يقول)[١] المتكلمون: إنه سبحانه فاعل بالاختيار، فإن هذا (اصطلاح)[٢] حادث منهم لا يحمل عليه كلام الله، بل لفظ الاختيار ، في القرآن مطابق لمعناه في اللغة، وهو اختيار الشيء على غيره، وهو يقتضي ترجيح ذلك المختار وتخصيصه وتقديمه على / غيره، وهذا أمر أخص من مطلق الإرادة والمشيئة . ١٢٤أ

قال في الصحاح : الخِيَرةُ : الاسم من قولك: (خار اللهُ لك في هذا الأمر) . والخيرة أيضاً يقول محمد خِيَرَةُ الله في خلقه، وخِيْرةُ الله أيضاً بالتسكين .

والاختيار : الاصطفاء ، وكذلك (التَّخيُّرُ)[٣] .

والاستخارة : طلب الخِيَرَة ، يقال : استَخِرِ الله يَخِرْ لك ، وخيَّرته بين الشيئين : فوضت إليه (الخيار)[٤] . انتهى[٥] .

فهذا هو الاختيار في اللغة ، وهو أخص مما اصطلح عليه أهل الكلام، ومن هذا قولـه تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[٦] ، وقولـه تعالى : ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا

---

(١) في ع ، د ، س : يقولـه .

(٢) في م ، د ، س : الاصطلاح .

(٣) في ع ، د ، س : التخيير ، وما أثبت من م ، ت ، والصحاح .

(٤) في ع ، د ، س : الاختيار ، وما أثبت من م ، ت ، والصحاح .

(٥) انظر : الصحاح للجوهري (٢/ ٦٥٢) مادة : خير ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، ط. الثالثة ١٤٠٤هـ ، نشر دار العلم للملايين ، بيروت .

(٦) سورة الأحزاب ، آية ٣٦ .

لِمِيقَٰتِنَا ﴾[١] أي : اختار منهم .

وبهذا يحصل جواب السؤال الذي تورده القدرية (وهو ما)[٢] يقولون في الكفر والمعاصي . هل هي واقعة باختيار الله ، أم بغير اختياره ؟ .

فإن قلتم: باختياره، فكل مختار مرضي مصطفى محبوب ، فتكون مرضية محبوبة له، وإن قلتم بغير اختياره لم تكن بمشيئته واختياره .

وجوابه أن يقال : ما تعنون بالاختيار ؟ (تعنون به الاختيار)[٣] العام في اصطلاح المتكلمين وهو المشيئة والإرادة ؟ أم تعنون به الاختيار الخاص الواقع في القرآن والسنة وكلام العرب ؟ ، (فإن)[٤] أردتم بالاختيار الأول، فهي واقعة باختياره بهذا الاعتبار ، ولكن لا يجوز أن يطلق ذلك عليها، لما في لفظ الاختيار من معنى الاصطفاء والمحبة ، بل يقال: واقعة (بمشيئة وقدرته)[٥] .

(وإن أردتم بالاختيار معناه في القرآن ولغة العرب، فهي غير واقعة)[٦] باختياره بهذا المعنى، وإن كانت واقعة بمشيئته .

فإن قيل : فهل تقولون: إنها واقعة بإرادته أم لا تطلقون ذلك ؟ قيل : لفظ الإرادة في كتاب الله نوعان :

* إرادة كونية شاملة : لجميع المخلوقات، كقوله تعالى : ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[٧]،

---

(١) سورة الأعراف ، آية ١٥٥ .

(٢) ساقطة من ع ، د ، س .

(٣) ساقطة من ع ، س ، وفي د : هو .

(٤) في ع ، د ، س : وإن .

(٥) ما بين القوسين ساقط من ت .

(٦) ما بين القوسين ساقط من ت .

(٧) سورة البروج ، آية ١٦ .

وقوله : ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً﴾[١]، وقوله : ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ﴾[٢] ونظائر ذلك .

* **وإرادة دينية أمرية** : لا يجب وقوع مرادها كقوله : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ﴾[٣] ، وقوله : ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾[٤] ، فهي مرادة بالمعنى الأول غير مرادة بالمعنى الثاني ، وكذلك إن قيل : (هل هي)[٥] واقعة بإذنه أم لا؟

٢٤ب (فالإذن)[٦] أيضاً نوعان : /

* **كوني** : كقوله ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾[٧] .

* **وديني أمري** : كقوله : ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ﴾[٨]، وقوله : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ﴾[٩] ولفظ الاختيار مشتق من الخير المخالف للشر، ولما كان الأصل في الحي أنه يريد ما ينفعه وما هو خير، سميت الإرادة اختياراً ، وهذا يتضمن إن الإرادة لا ترجح نوعاً على نوع إلا (لترجح ذلك)[١٠] النوع عند الفاعل، والمقصود أنه سبحانه يذكر العلم عند التخصيصات كقوله تعالى :

---

(١) سورة الإسراء، آية ١٦ .
(٢) سورة هود ، آية ٣٤ .
(٣) سورة البقرة ، آية ١٨٥ .
(٤) سورة النساء ، آية ٢٧ .
(٥) في ت : هي هل . وفي م : ساقطة (هل) .
(٦) في ع ، د ، س : والأذن .
(٧) سورة البقرة ، آية ١٠٢ .
(٨) سورة يونس ، آية ٥٩ .
(٩) سورة الحج ، آية ٣٩ .
(١٠) في ع : لمرجح ذلك ، وفي د ، س : لمرجح رجح ذلك .

﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[١] لا خلاف بين الناس أن المعنى : على علم منا بأنهم أهل الاختيار، فالجملة في موضع نصب على الحال، أي اخترناهم عالمين بهم وبأحوالهم ، وما يقتضي اختيارهم من قبل خلقهم، (فذكر)[٢] سبحانه اختيارهم . وحكمته في اختياره إياهم ، وذكر علمه الدال على (مواقع)[٣] حكمته واختياره ، ومن هذا قوله سبحانه : ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾[٤]، وأصح الأقوال في الآية أن المعنى : من قبل نزول التوراة ، فإنه سبحانه قال : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٥] ، (ثم قال :)[٦] ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾[٧] ، ثم قال : ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾[٨] . (أي من قبل)[٩] ذلك ، ولهذا قطعت (قبل) عن الإضافة وبُنيت ؛ لأن المضاف منوي معلوم، وإن كان غير مذكور في اللفظ . وذكر سبحانه هؤلاء الثلاثة، وهم أئمة الرسل وأكرم الخلق عليه (وهم)[١٠] (محمد)[١١] وإبراهيم وموسى صلوات الله عليهم وسلامه.

---

(١) سورة الدخان ، آية ٣٢ .

(٢) في ع، د ، س : ذكر .

(٣) في ع ، د ، س : مواضع .

(٤) سورة الأنبياء ، آية ٥١ .

(٥) سورة الأنبياء ، آية ٤٨ .

(٦) في ع ، د ، س : وقال .

(٧) سورة الأنبياء ، آية ٥٠ .

(٨) سورة الأنبياء ، آية ٥١ .

(٩) ما بين القوسين ساقط من م ، ع .

(١٠) ساقطة من ع ، د ، س .

(١١) في د ، س : محمداً .

وقد قيل : (من قبل) أي في حال صغره قبل البلوغ، وليس في اللفظ ما يدل على هذا ، والسياق إنما يقتضي « من قبل ما ذكر » وقيل : المعنيُّ بقوله : (من قبل) أي في سابق علمنا، وليس في الآية أيضاً ما يدل على ذلك، ولا هو أمر مختص بإبراهيم ، بل كل مؤمن فقد قدر الله هداه في سابق علمه، والمقصود قوله : ﴿ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ . قال البغوي : أنه أهل للهداية والنبوة[1] / وقال أبوالفرج : أي عالمين بأنه موضع (لإيتاء)[2] الرشد[3] .

١٣٥أ

وقال صاحب الكشاف[4] : (ومعنى)[5] علمه به : أنه علم منه أحوالاً بديعة وأسراراً عجيبة ، وصفات قد رضيها (وأحمدها)[6] حتى أهّله لمخالته ومخالصته، وهذا كقولك في (خيّر)[7] من الناس : أنا عالم بفلان، (فكلامك)[8] هذا من الاحتواء على محاسن الأوصاف (بمنزل[9])[10] وهذا كقوله : ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ

---

(١) انظر تفسير البغوي المسمى « معالم التنزيل » (٥/ ٤٩٣) المطبوع مع تفسير ابن كثير .

(٢) في ع : لاتيان .

(٣) انظر تفسير أبي الفرج الجوزي المسمى زاد المسير (٥/ ٣٥٧) .

(٤) هو : محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري ، أبوالقاسم ، ولد في زمخشر من قرى خوارزم سنة ٤٦٧هـ وجاور بمكة زمناً، فلقب بجار الله . من كتبه : « الكشاف » في تفسير القرآن الكريم ، و « أساس البلاغة » ، و « الفائق في غريب الحديث » . قال ابن حجر : « صالح، لكنه داعية إلى الاعتزال ـ أجارنا الله ـ فكن حذراً من كشّافه » . توفي سنة ٥٣٨هـ . سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٥١) ، ولسان الميزان (٦/ ٤) .

(٥) في ع، د ، س : المعنى .

(٦) في ع ، د، س : وحمدها . وما أثبت من م ، ت وهو المطابق لما في الكشاف .

(٧) في ع ، د ، س : حر ، وما أثبت من م، ت ، وهو المطابق لما في الكشاف .

(٨) في م : وكلامك .

(٩) إضافة من الكشاف للزمخشري .

(١٠) انظر الكشاف (٢/ ٥٧٥) تفسير آية ٥١ من سورة الأنبياء. نشر مكتبة ومطبعة مصطفى =

يَجۡعَلُ (رسالاته)[١]﴾[٢]. وقوله ﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾[٣] ونظيره قوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٣ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٤].

وقريب منه قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ﴾[٥]. (فلما ذكر ما خص به نبيه سليمان وخص به الأرض التي بارك فيها قال: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ﴾)[٦] حيث وضعنا هذا التخصيص في المحل الذي يليق به من الأماكن والأناسي.

فصل

وهو سبحانه كما هو العليم الحكيم في اختياره من (يختار)[٧] من خلقه، وإضلاله من يضل منهم، فهو العليم الحكيم بما في أمره وشرعه من العواقب الحميدة والغايات العظيمة، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[٨].

= البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٨٥هـ.

(١) في ع، د، س: رسالته. بالإفراد، وقد سبق بيان أن في ذلك قراءتين. انظر ص(٣٣٨).

(٢) سورة الأنعام، آية ١٢٤.

(٣) سورة الدخان، آية ٣٢.

(٤) سورة آل عمران، آية ٣٣، ٣٤.

(٥) سورة الأنبياء، آية ٨١.

(٦) ما بين القوسين ساقط من د، س.

(٧) في م، ع، د، س: يختاره.

(٨) سورة البقرة، آية ٢١٦.

بَيَّنَ الله سبحانه أن ما أمرهم به يعلم ما فيه من المصلحة والمنفعة لهم التي اقتضت (أنه)[1] (يختاره)[2] ويأمرهم به ، وهم قد يكرهونه إما لعدم العلم ، وإما لنفور الطبع ، فهذا علمه بما في عواقب أمره مما لا يعلمونه ، (وذاك)[3] علمه بما في اختياره من خلقه بما لا يعلمونه .

فهذه الآية تضمنت الحض على التزام أمر الله، وإن شق على النفوس ، وعلى الرضا بقضائه ، وإن كرهته النفوس .

وفي حديث الاستخارة : « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ / وَلاَ أَقْدِرُ ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلاَّمُ** ٣٥ب **الغيوب، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ (هَذَا)[4] الأَمْرَ (خَيْراً)[5] لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكَ لِي فيه ، وَإِنْ كُنْتَ (تَعْلَمُهُ)[6] شَراً لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ**»[7] .

---

(١) في م ، د ، س : أن .

(٢) في ع : يختارهم .

(٣) في ع ، د ، س : وذلك .

(٤) في ع ، د، س : أن هذا .

(٥) في ع ، د ، س : خير .

(٦) في ت : تعلم أن هذا .

(٧) رواه البخاري في (٢/ ٥١) ك. التهجد ، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى ، عن قتيبة بن سعيد . وفي (٧/ ١٦٢) ك. الدعوات ، باب الدعاء عند الاستخارة ، عن أبي مصعب مُطرِّف بن عبدالله . وفي (٨/ ١٦٨) ك. التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿قل هو القادر﴾ عن إبراهيم بن المنذر ، عن معن بن عيسى . ورواه أبوداود (٤/ ٣٩٦-٣٩٩) ك. الوتر ، باب الاستخارة عن القعنبي، وعبدالرحمن بن مقاتل ـ خال القعنبي ـ ومحمد بن عيسى بن =

ولما كان العبد (محتاجاً)[١] في فعل ما ينفعه في معاشه ومعاده إلى علم (بما)[٢] فيه من المصلحة وقدرته عليه وتيسره له ، وليس له من نفسه شيء من ذلك، بل علمه ممن علم الإنسان ما لم يعلم ، وقدرته منه ، (فإن)[٣] لم يُقْدره عليه وإلا فهو عاجز ، وتيسيره منه فإن (لم)[٤] ييسره (عليه)[٥] وإلا فهو متعسر عليه بعد إقداره ـ أرشده النبي ﷺ إلى محض العبودية، وهو (طلب)[٦] الخيرة من العالم

= الطبّاع . ورواه الترمذي (٢/ ٣٤٥-٣٤٦) ك. الوتر ، باب ما جاء في صلاة الاستخارة . وقال : وفي الباب عن عبدالله بن مسعود ، وأبي أيوب ، وحديث جابر حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث عبدالرحمن بن أبي الموال، وهو شيخ مدني ثقة . ورواه النسائي (٦/ ٨٠-٨١) ك. النكاح ، باب كيف الاستخارة . ورواه أيضاً في الكبرى، ك. النعوت . انظر تحفة الأشراف للمزي (٢/ ٣٦٩) ، ورواه أيضاً في عمل اليوم والليلة ص(٣٤٦-٣٤٧) جميعاً عن قتيبة . ورواه ابن ماجه (١/ ٤٤٠) ك. إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء في صلاة الاستخارة . عن أحمد بن يوسف السلمي ، عن خالد بن مخلد ـ سبعتهم عن عبدالرحمن بن أبي الموال المدني ، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبدالله السلمي عن رسول الله ﷺ . ورواه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٣٤٤) عن إسحاق بن عيسى عن عبدالرحمن بن أبي الموال، به . ورواه عبدالله بن أحمد في زوائده على مسند أبيه (٣/ ٣٤٤) عن منصور بن أبي مزاحم عن عبدالرحمن بن أبي الموال، به . وقد أطال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ١٨٣) في شرح هذا الحديث والكلام عليه ، وذكر من رواه من الصحابة .

(١) في ع ، د ، س : يحتاج .

(٢) في د ، س : ما .

(٣) في م : وإن .

(٤) ساقطة من م .

(٥) ساقطة من ع .

(٦) في ع ، د، س : جلب .

بعواقب الأمور وتفاصيلها ، وخيرها وشرها، وطلب القدرة منه ، فإنه إن لم يقدره وإلا فهو عاجز ، وطلب فضله منه ، فإن لم ييسره ويهيئه له وإلا فهو متعذر عليه ، ثم إذا اختاره له (بعلمه)(١) وأعانه عليه بقدرته ، ويسره له من فضله (فهو)(٢) يحتاج إلى أن يبقيه عليه ويديمه (بالبركة)(٣) التي يضعها فيه، (والبركة)(٩) تتضمن ثبوته ونموه، وهذا قدر زائد على إقداره عليه وتيسيره له(٤) * (ثم إذا فعل (به)(٥) ذلك كله، فهو محتاج إلى أن يرضيه به ، فإنه قد (يهيئ)(٦) له ما يكرهه، فيظل ساخطاً (له)(٧)، (ويكون)(٨) قد)*(٤) خار الله له فيه .

قال عبدالله بن عمر : (إن الرجل ليستخير الله فيختار له، فيسخط على ربه ، فلا يلبث أن ينظر في العاقبة، فإذا هو قد (خير)(٩) له)(١٠) .

وفي المسند من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ : « **مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ**

---

(١) في م ، ت : فعله .

(٢) في ع : وهو .

(٣) في م : بالذكر .

(٤) ما بين النجمتين ساقط من ع .

(٥) ساقطة من ع ، د ، س .

(٦) في ت : يخير .

(٧) ساقطة من ع ، د ، س .

(٨) ساقطة من م ، ت .

(٩) في د ، س : خار .

(١٠) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الرضا عن الله بقضائه ص(٨٣-٨٤) تحقيق ضياء الحسن السلفي ، ط. الأولى ١٤١٠هـ ، نشر الدار السلفية في بومباي بالهند . ونعيم بن حماد في زياداته على كتاب الزهد لابن المبارك ص(٣٢-٣٣) تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت .

آدَمَ اسْتِخَارَتُهُ اللَّهَ تَعَالَى، وَمِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ رِضَاهُ بِمَا قَضَاهُ اللَّهُ ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ تَرْكُهُ اسْتِخَارَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ سَخَطُهُ بِمَا قَضَى اللَّهُ »[(١)] .

فالمقدور يكتنفه أمران : الاستخارة قبله ، والرضا بعده ، فمن / توفيق الله ١٣٦أ لعبده وإسعاده إياه أن يختار قبل وقوعه ، ويرضى بعد وقوعه، ومن خذلانه له أن (لا)[(٢)] يستخيره قبل وقوعه، ولا يرضى به بعد وقوعه .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « لا أبالي أصبحت على ما أحب أو على ما أكره ، لأني لا أدري الخير فيما أحب أو فيما أكره »[(٣)] .

---

(١) انظر المسند (١/ ١٦٨) وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده ضعيف . فيه ، محمد بن أبي حميد وهو ضعيف . انظر المسند بتحقيقه (٣/ ٢٨) . وقد حسَّن الحافظ ابن حجر إسناده كما في الفتح (١١/ ١٨٤) . ورواه الترمذي (٤/ ٣٩٦) ك. القدر ، باب ما جاء في الرضا بالقدر. وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن أبي حُميد ، ويقال له أيضاً : حماد بن أبي حميد ، وهو أبوإبراهيم المدني ، وليس هو بالقوي عند أهل الحديث . ورواه البزار كما في كشف الأستار (١/ ٣٥٩) . ورواه الحاكم في المستدرك (١/ ٥١٨) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي ، ورواه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٥٢١) تحقيق محمد سعيد زغلول . ط. الأولى ١٤١٠هـ ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت . ورواه البزار كما في كشف الأستار (١/ ٣٥٩) من طريق أخرى رواها عبدالرحمن بن أبي بكر بن عبيدالله . وقال البزار : عبدالرحمن لين الحديث . ومن هذه الطريق رواه أيضاً أبويعلى في مسنده (٢/ ٦٠) . وعبدالرحمن هذا ضعيف . انظر تهذيب التهذيب (٦/ ١٤٦) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٧٩-٢٨٠) وقال : رواه أحمد وأبويعلى والبزار .. وفيه محمد بن أبي حميد، وقال ابن عدي : ضعفه بيِّن على ما يرويه ، وحديث مقارب ، وهو مع ضعفه يكتب حديثه . وقد ضعّفه أحمد والبخاري وجماعة. وانظر الكامل لابن عدي (٦/ ٢٢٠٣) ومن طريق عبدالرحمن ابن أبي بكر بن عبيدالله المذكور رواه اللالكائي في السنة (٣/ ٦١٩-٦٢٠). وقال الذهبي في ميزان الاعتدال (٣/ ٥٢١) عن محمد بن أبي حميد : ضعفوه. ثم أورد له هذا الحديث .

(٢) ساقطة من ع .

(٣) رواه الإمام أحمد في كتاب العلل ومعرفة الرجال (١/ ١٧٥) تحقيق د. طلعت قوج =

وقال الحسن : لا تكرهوا النقمات الواقعة، والبلايا الحادثة ، فلَرُبَّ أمرٍ تكرهه فيه نجاتك ، ولَرُبَّ أمرٍ تؤثره فيه[١] عطبك[٢] .

فصل

ومما يناسب هذا : قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[٣] بيَّنَ سبحانه وتعالى حكمة ما كرهوه عام الحديبية من صد المشركين لهم (عن البيت)[٤] حتى رجعوا ولم يعتمروا[٥] ، وبيَّن لهم أن مطلوبهم يحصل بعد هذا، فحصل في العام القابل ، وقال سبحانه: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[٦] وهو صلح الحديبية، وهو أول الفتح المذكور في قوله : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾[٧] فإنه

= ود. إسماعيل أوغلو، نشر المكتبة الإسلامية، استانبول. والبغوي في شرح السنة (١٤/ ٣٠٦). والدولابي في الكنى (٢/ ١٠٦-١٠٧). وابن المبارك في كتاب الزهد ص(١٤٣)، وأبونعيم في الحلية (٧/ ٢٧١) . وابن أبي الدنيا في كتاب الرضا عن الله بقضائه ص(٦٥-٦٦) ، وفي كتاب الفرج بعد الشدة ص(٢١) تحقيق عماد فره ، نشر مكتبة الصحابة بطنطا في مصر سنة ١٤٠٥هـ.

(١) العطب هو : الهلاك . المصباح المنير ص(٤١٦) مادة (عطب) .

(٢) لم أعثر له على تخريج .

(٣) سورة الفتح، آية ٢٧ .

(٤) ساقطة من ع ، د ، س .

(٥) وذلك في سنة ست من الهجرة النبوية . انظر البداية والنهاية (٤/ ١٦٤) والحديبية : قرية قريبة من مكة ، سميت ببئر فيها . وهي مخففة ، وكثير من المحدثين يشددها . النهاية لابن الأثير (١/ ٣٤٩) .

(٦) سورة الفتح ، آية ٢٧ .

(٧) سورة الفتح ، آية ١ .

بسببه حصل من مصالح الدين والدنيا والنصر وظهور الإسلام وبطلان الكفر ما لم يكونوا يرجونه قبل ذلك، ودخل الناس بعضهم في بعض، وتكلم المسلمون بكلمة الإسلام، وبراهينه، وأدلته، جهرة لا يخافون، ودخل في ذلك الوقت في الإسلام قريب ممن دخل فيه (من أوله)[١] إلى ذلك الوقت، وظهر لكل أحد بغي المشركين (وعدوانهم)[٢] وعنادهم، وعلم الخاص والعام أن محمداً ﷺ وأصحابه (أَوْلَى بالحق)[٣]، وأن أعداءهم ليس بأيديهم إلا العدوان والعناد، فإن البيت الحرام لم يُصد عنه حاج ولا معتمر من زمن إبراهيم - عليه السلام - فتحققت العرب عناد قريش (وعدوانهم)[٤] (وكان)[٥] ذلك داعية لبشر كثير إلى الإسلام، وزاد / عناد القوم وطغيانهم، وذلك من أكبر العون ٣٦ب على نفوسهم، وزاد صبر المؤمنين واحتمالهم والتزامهم (بحكم)[٦] الله وطاعة رسوله، وذلك من أعظم أسباب نصرهم، إلى غير ذلك من الأمور التي علمها الله ولم يعلمها الصحابة، ولهذا سماه الله فتحاً، وسُئل النبي ﷺ: **أفتحٌ هو؟** قال: **« نعم »**[٧].

---

(١) ساقطة من ع، د، س.

(٢) في ع، د، س: وعداواتهم.

(٣) في د، س،: أولو الحق.

(٤) في ع، د، س: وعداوتهم.

(٥) في م: فكان.

(٦) في ع، د، س: لحكم.

(٧) كما ورد في الحديث الذي رواه مجمع بن جارية رضي الله عنه، قال: شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ فلما انصرفنا عنها والناس يهزون بالأباعر، فقال بعض الناس لبعض: مال الناس؟ قالوا: أوحي إلى رسول الله ﷺ، فخرجنا مع الناس نوجف، فوجدنا النبي ﷺ واقفاً على راحلته عند كراع الغميم، فلما اجتمع عليه الناس قرأ عليهم ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ فقال رجل: يا رسول الله، أفتح هو؟ قال: **« نعم والذي نفس محمد بيده، إنه لفتح »** فقسمت خيبر على أهل الحديبية .. والحديث رواه أبوداود =

فصل

فصل : ويشبه هذا قول يوسف الصديق : ﴿ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1] فأخبر أنه يلطف لما يريده، فيأتي بطرق خفية لا يعلمها الناس، واسمه اللطيف يتضمن علمه بالأشياء الدقيقة، وإيصاله الرحمة بالطرق الخفية ، ومنه التلطف كما قال أهل الكهف ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾[2] فكان ظاهر ما امتحن به يوسف من مفارقة أبيه، وإلقائه في (الجب)[3] وبيعه رقيقاً، ثم مراودة التي هو في بيتها (له)[4] عن نفسه، وكذبها عليه، وسجنه محناً ومصائب ، وباطنها نعماً (ومنحاً)[5] جعلها الله سبباً لسعادته في الدنيا والآخرة .

= (٧/ ٤٠٥-٤٠٩) ك. الجهاد، باب فيمن أسهم له سهماً. والإمام أحمد (٣/ ٤٢٠، ٤٨٦) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٣١) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ٤٣٧) . والبيهقي في دلائل النبوة (٤/ ١٥٦) تحقيق عبدالمعطي قلعجي ط. الأولى ١٤٠٥هـ ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥٠٨) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه . وفي الباب عن البراء رضي الله عنه عند البخاري في (٥/ ٦٢) ك. المغازي ، باب غزوة الحديبية. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عند البخاري أيضاً في (٦/ ٤٤) ك. التفسير ، تفسير سورة الفتح ، وعند النسائي في السنن الكبرى ، ك. التفسير (٢/ ٣٠٠) تفسير سورة الفتح .

(١) كما حكى الله عز وجل عنه في سورة يوسف ، آية ١٠٠ .

(٢) كما حكى الله عز وجل عنهم ذلك في سورة الكهف ، آية ١٩ .

(٣) في م ، ع ، د : السجن. والجب هو : البئر. انظر تفسير ابن جرير الطبري (١٢/ ١٥٦) .

(٤) ساقطة من ع، د ، س .

(٥) في م ، ع ، د ، س : وفتحاً .

ومن هذا الباب ما يبتلي به عباده من المصائب، ويأمرهم به من المكاره، وينهاهم عنه من الشهوات (هي)[١] طرق يوصلهم بها إلى سعادتهم في العاجل والآجل، وقد (حجب)[٢] الجنةَ بالمكاره، و(حف)[٣] النار بالشهوات[٤]، وقد قال ﷺ: **« لا يقضي الله للمؤمن قضاءً إلا كان خيراً له، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له، وليس ذلك إلا للمؤمن »**[٥].

---

(١) في م، ت: بين.

(٢) في م، د، س: حفت (في كلا الموضعين).

(٣) ساقطة من ع، د، س.

(٤) وقوله: وقد حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات، موافق لرواية مسلم لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **« حفت النار بالشهوات، وحُفت الجنة بالمكاره»**. انظر صحيح مسلم (٤/ ٢١٧٤) ك. الجنة وصفة نعيمها وأهلها. والحديث بهذا اللفظ.
ورواه أيضاً: أبوداود (١٣/ ٧٥-٧٧) ك. السنة، باب في خلق الجنة والنار. والترمذي (٤/ ٥٩٨) ك. صفة الجنة، باب ما جاء في حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات. والنسائي في سننه (٧/ ٣) ك. الأيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله تعالى. والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٢٦٠، ٣٨٠)، والبغوي في شرح السنة (١٤/ ٣٠٧)، والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٣٣٢). وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢/ ٤٤٩). ورواه البخاري (٧/ ١٨٦) ك. الرقاق، باب حجبت النار بالشهوات، بلفظ « حجبت » بدل « حفت ». وفي الباب عن أنس بن مالك رضي الله عنه عند مسلم (٤/ ٢١٧٤) ك. الجنة وصفة نعيمها. والترمذي (٤/ ٥٩٨) ك. صفة الجنة، باب ما جاء في حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات. والإمام أحمد في مسنده (٣/ ١٥٣، ٢٥٤، ٢٨٤). والدارمي في سننه (٢/ ٢٤٥) في أبواب الجنة، باب حفت الجنة بالمكاره. وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢/ ٤٩٢-٤٩٤). والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٣٣٢-٣٣٣). والبغوي في شرح السنة (١٤/ ٣٠٦).

(٥) هذا الحديث رواه صهيب رضي الله عنه. أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٩٥) ك. الزهد، باب المؤمن =

فالقضاء كله خير لمن أعطي الشكر والصبر ، جالباً ما جلب ، وكذلك ما فعله بآدم وإبراهيم وموسى (وعيسى)[١] ومحمد ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ من الأمور التي هي في الظاهر محن وابتلاء ، وهي في الباطن طرق خفية (أوصلهم بلطفه)[٢] إلى غاية كمالهم وسعادتهم / فتأمل قصة موسى[٣] عليه السلام وما لطف له من إخراجه في وقت ذبح فرعون للأطفال ، ووحيه إلى أمه أن تلقيه في اليم ، وسوقه بلطفه إلى دار عدوه الذي قدر هلاكه على يديه ، وهو يذبح الأطفال في طلبه ، (فرباه)[٤] في بيته وحجره (على فراشه)[٥] ، ثم قدر له

٣٧ب

= أمره كله خير. والإمام أحمد (٤/ ٣٣٢، ٣٣٣) و (٦/ ١٥، ١٦). والدارمي في سننه (٢/ ٢٢٦) . والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٤٧) . وابن حبان في صحيحه ، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٧/ ١٥٥-١٥٦). وأبونعيم في الحلية (١/ ١٥٤) . وفي الباب عن أنس بن مالك رضي الله عنه عند الإمام أحمد في مسنده (٣/ ١١٧، ١٨٤) . وأبي يعلى في مسنده (٧/ ٢٢٠-٢٢١) . والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٣٤٨) . وابن حبان في صحيحه ، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢/ ٥٠٧) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٤٢) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٠٩، ٢١٠) وقال : رواه أحمد وأبويعلى ، ورجال أحمد ثقات ، وأحد أسانيد أبي يعلى رجاله رجال الصحيح غير أبي بحر ثعلبة، وهو ثقة . وفي الباب أيضاً عن سعد بن أبي وقاص عند الإمام أحمد (١/ ١٧٣، ١٧٧، ١٨٢) ، والبغوي في شرح السنة (٥/ ٤٤٨) . والطيالسي في مسنده (ص٢٩) . والبيهقي في سننه (٣/ ٣٧٥، ٣٧٦) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٠٩) وقال : رواه أحمد بأسانيد ، ورجالها كلها رجال الصحيح .

(١) ساقطة من م .
(٢) في ع ، د ، س : ادخلهم .
(٣) التي ذكرها الله عز وجل في سورة القصص من آية ٧-٤٠ .
(٤) في م ، د ، س : فرماه .
(٥) هكذا وردت في جميع النسخ ، ولعلها : (وعلى فراشه) .

سبباً أخرجه (به)[١] (من مصر وأوصله (به)[٢] إلى موضع لا حكم لفرعون عليه (ثم)[٣] قدر له سبباً أوصله به)[٤] إلى النكاح والغنى، بعد العزوبة والعَيْلة، ثم ساقه إلى (بلد)[٥] عدوه فأقام عليه به حجته ، ثم أخرجه وقومه في صورة (الهاربين)[٦] الفارين منه ، وكان ذلك عين نصرتهم على أعدائهم وإهلاكهم وهم ينظرون .

وهذا كله مما يبين أنه سبحانه يفعل ما يفعله لما يريده من العواقب الحميدة، والحكم العظيمة ، التي لا تدركها عقول الخلق ، مع ما في ضمنها من الرحمة التامة، والنعمة السابغة، والتعرف إلى عباده بأسمائه وصفاته، فكم في أكل آدم من الشجرة التي نهي عنها وإخراجه بسببها من الجنة من حكمة بالغة لا تهتدي العقول إلى تفاصيلها ، وكذلك ما قدره لسيد ولده من الأمور التي أوصله بها على أشرف غاياته ، وأوصله بالطرق الخفية فيها إلى أحمد العواقب ، وكذلك فعله بعباده وأوليائه، يوصل إليهم نعمه، ويسوقهم إلى كمالهم وسعادتهم في الطرق الخفية التي (لا يهتدون)[٧] إلى معرفتها إلا إذا لاحت لهم عواقبها ، وهذا أمر يضيق الجنان عن معرفة تفاصيله ، ويحصر اللسان عن التعبير عنه ، وأعرف خلق الله به أنبياؤه ورسله، وأعرفهم به خاتمهم وأفضلهم ، وأمته في العلم به

---

(١) ساقطة من ع ، د ، س .

(٢) ساقطة من ع ، د ، س .

(٣) ساقطة من ع .

(٤) من قولـه: « من مصر » إلى هنا ساقط من ت .

(٥) في ت : ملك .

(٦) ساقطة من د .

(٧) في ع ، م : يهتدون .

على مراتبهم ودرجاتهم ومنازلهم من العلم بالله (وأسمائه)[١] وصفاته ، وهو سبحانه قد أحاط علماً بذلك كله قبل (خلق)[٢] السماوات والأرض، وقدره وكتبه عنده، ثم يأمر ملائكته بكتابة ذلك من الكتاب الأول قبل خلق العبد ، فيطابق حاله وشأنه لما كتب في الكتاب، ولما كتبته الملائكة، لا يزيد ولا ينقص مما كتبه سبحانه وأثبته عنده ، / كان في علمه قبل أن يكتبه ، ثم كتبه كما في علمه، ٣٧ب ثم وَجدَ كما كتبه ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[٣] .

والله سبحانه قد علم قبل أن يوجد عباده أحوالهم، وما هم عاملون، وما هم إليه صائرون ، ثم أخرجهم إلى هذه الدار ليظهر معلومه الذي علمه فيهم كما علمه، وابتلاهم من الأمر والنهي والخير والشر بما أظهر معلومه ، فاستحقوا المدح والذم والثواب والعقاب بما قام بهم من الأفعال والصفات المطابقة للعلم السابق، ولم يكونوا يستحقون ذلك، وهي في علمه قبل أن (يعلموها)[٤] فأرسل رسله، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه إعذاراً إليهم وإقامة للحجة عليهم، لئلا يقولوا: كيف تعاقبنا على علمك فينا (وهو)[٥] لا يدخل تحت كسبنا وقدرتنا، فلما ظهر علمه فيهم بأفعالهم، حصل العقاب على معلومه الذي أظهره (للابتلاء)[٦] والاختيار ، وكما ابتلاهم بأمره ونهيه

---

(١) في ع ، د ، س : وبأسمائه .

(٢) ساقطة من ع، د ، س .

(٣) سورة الحج ، آية ٧٠ .

(٤) في ت : يعلموها .

(٥) في ع ، د ، س : وهذا .

(٦) في ت ، ع ، د ، س : الابتلاء .

ابتلاهم بما (زيَّنه)[١] لهم من الدنيا وبما ركَّب فيهم من الشهوات فذلك ابتلاء بشرعه وأمره وهذا ابتلاء بقضائه وقدره . (قال)[٢] تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[٣] ، وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[٤] ، وقال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[٥] فأخبر في هذه الآية أنه خلق السماوات والأرض ليبتلي عباده بأمره ونهيه ، وهذا من الحق الذي خلق به خلقه .

وأخبر في الآية التي قبلها أنه خلق الموت والحياة ليبتليهم أيضاً، فأحياهم ليبتليهم بأمره ونهيه ، وقدر عليهم الموت الذي (ينالون)[٦] به عاقبة ذلك الابتلاء من الثواب والعقاب .

وأخبر في الآية الأولى (أنه)[٧] زين لهم ما على الأرض ليبتليهم به أيهم يؤثره (على)[٨] ما عنده / (فيكون حظه ، أو يؤثر ما عنده)[٩] عليه ، وابتلى بعضهم ببعض ، وابتلاهم بالنعم والمصائب ، فأظهر هذا الابتلاء علمه السابق فيهم ١٣٨أ

---

(١) في ع ، د ، س : زين .

(٢) في ع ، د ، س : وقال .

(٣) سورة الكهف ، آية ٧ .

(٤) سورة الملك ، آية ٢ .

(٥) سورة هود ، آية ٧ .

(٦) في ت ، ع ، س : ينالوا .

(٧) في ت : إنهم .

(٨) ساقطة من م ، د ، س .

(٩) ما بين القوسين ساقط من م ، د ، س .

موجوداً عياناً بعد أن كان غيباً في علمه ، فابتلى أبوي الإنس والجن (كلاً)[١] منهما بالآخر ، فأظهر ابتلاء ما علمه منه ، وأظهر ابتلاء إبليس ما علمه منه، فلهذا قال للملائكة : ﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٢] واستمر هذا الابتلاء في الذرية إلى يوم القيامة، فابتلى الأنبياء بأممهم ، وابتلى أممهم بهم ، وقال لعبده ورسوله وخليله : « إني مبتليك ومبتل بك »[٣] .

وقال : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[٤] . وقال : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾[٥] .

وفي الحديث الصحيح[٦] : «أن ثلاثة أراد الله أن يبتليهم : أبرص ، وأقرع،

---

(١) في م ، ت ، ع : كل . وما أثبت هو الموافق لقواعد اللغة العربية .

(٢) سورة البقرة ، آية ٣٠ .

(٣) هذا طرف من حديث قدسي طويل ، رواه عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه ، وأوله : أن نبي الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي ـ أو إن ربي ـ أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا كل ما نحلت حلال، وأني خلقت عبادي حنفاء .. وفيه : فقال: يا محمد، إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك»، وقد سبق تخريج هذا الحديث في ص(١١٣).

(٤) سورة الأنبياء ، آية ٣٥ .

(٥) سورة الفرقان ، آية ٢٠ .

(٦) الذي رواه أبوهريرة رضي الله عنه في قصة الثلاثة المذكورين، وأن الله بعث إليهم ملكاً فأتاهم، وأعطى كل واحد منهم مسألته ، وما طلبه من المال ، ثم أتى كل واحد منهم في صورته التي كان عليها وسألهم ، فأما الأبرص والأقرع فجحدا ، وأما الأعمى فاعترف.. وهذا الحديث أخرجه البخاري في ك. الأنبياء (٤/١٤٦-١٤٧) باب حديث أبرص وأقرع وأعمى بني إسرائيل . وفي ك. الأيمان والنذور (٧/ ٢٢٣) باب لا يقول : ما شاء الله وشئت . وهل يقول : أنا بالله ثم بك ؟ . ومسلم (٤/ ٢٢٧٥-٢٢٧) ك. الزهد . وابن حبان في صحيحه ، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢/ ١٣-١٦) ، والبيهقي في سننه (٧/ ٢١٩) .

وأعمى ...» ، فأظهر الابتلاء حقائقهم التي كانت في علمه قبل أن يخلقهم ، فأما الأعمى، فاعترف بإنعام الله عليه (وأنه)[١] كان أعمى فقيراً، فأعطاه الله البصر والغنى ، وبذل للسائل ما طلبه شكراً لله ، وأما الأقرع والأبرص، فكلاهما (جحد)[٢] ما كان عليه (قبل)[٣] ذلك من سوء الحال والفقر، وقال في الغني : إنما أوتيته كابراً عن كابر ، وهذا حال أكثر الناس، لا يعترف بما كان عليه أولاً من نقص وجهل وفقر وذنوب، وإن الله سبحانه نقله من ذلك إلى ضد ما كان عليه، وأنعم بذلك عليه، ولهذا ينبه سبحانه الإنسان على مبدأ خلقه الضعيف من الماء المهين، ثم نقله في أطباق خلقه وأطواره من حال إلى حال ، حتى جعله بشراً سوياً ، يسمع ويبصر (ويعقل)[٤] وينطق ويبطش ويعلم ، فنسي مبدأه وأوله وكيف كان، ولم يعترف بنعم ربه عليه كما قال تعالى : ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴾[٥] وأنت إذا تأملت ارتباط إحدى (هاتين)[٦] الجملتين بالأخرى، وجدت تحتها كنزاً عظيماً من كنوز المعرفة والعلم، فأشار سبحانه بمبدأ / (خلقهم)[٧] مما يعلمون من النطفة وما بعدها إلى موضع الحجة والآية الدالة على (وجوده)[٨] ووحدانيته وكماله، وتفرده بالربوبية والإلهية، وأنه لا يحسن به مع ذلك أن يتركهم سدى ، ولا ٣٨ب

(١) في ع : وإن .

(٢) في د : جحدها .

(٣) في د : من قبل .

(٤) في ع ، د ، س : ويقول .

(٥) سورة المعارج ، آية ٣٨، ٣٩ .

(٦) ساقطة من ع ، د ، س .

(٧) في د ، س : خلقه .

(٨) في م : وجود الله .

يرسل إليهم رسولاً ، ولا ينزل عليهم كتاباً ، وأنه لا يعجز مع ذلك أن يخلقهم بعدما أماتهم خلقاً جديداً، ويبعثهم إلى دار يوفيهم فيها أعمالهم من الخير والشر، فكيف يطمعون في دخول الجنة وهم (يكذبوني)[(١)] ويكذبون رسلي، ويعدلون بي خلقي وهم يعلمون من أي شيء خلقهم .

ويشبه هذا قوله : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾[(٢)] وهم كانوا مصدقين بأنه خالقهم ، ولكن احتج عليهم بخلقه لهم على توحيده ومعرفته وصدق رسله ، فدعاهم (منهم و)[(٣)] من (خلقهم)[(٤)] إلى الإقرار بأسمائه ، وصفاته، وتوحيده ، وصدق رسله، والإيمان بالمعاد، وهو سبحانه يذكر عباده بنعمه عليهم، ويدعوهم بها إلى معرفته ، ومحبته ، وتصديق رسله ، والإيمان بلقائه كما تضمنته سورة النعم[(٥)] وهي سورة النحل من قوله : ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ ﴾[(٦)] إلى قوله : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾[(٧)] .

فذكرهم بأصول النعم وفروعها، وعدّدها عليهم نعمة نعمة ، وأخبر أنه أنعم بذلك عليهم ليسلموا له، فتكمل نعمه عليهم بالإسلام الذي هو رأس النعم،

---

(١) في ع ، د ، س : يكذبون .

(٢) سورة الواقعة ، آية ٥٧ .

(٣) ما بين القوسين يستغني عنه الكلام ، وهو مثبت في جميع النسخ فأثبته .

(٤) في ع ، د ، س : خلقه

(٥) سميت بذلك بسبب ما عدد الله فيها من النعم ، ولذلك جاء فيها قوله تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، وقوله في شأن المشركين: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾، وقوله : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ الآيات : ١٨ ، ٨٢، ٨٣ . وانظر فتح القدير (٣/ ١٤٦) .

(٦) آية : ٤ .

(٧) آية : ٨١ .

ثم أخبر عمن كفره ولم يشكر نعمه بقوله: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾(١) قال مجاهد: المساكن والأنعام وسرابيل الثياب والحديد، يعرفه كفار قريش ثم ينكرونه بأن يقولوا: هذا كان لآبائنا ورثناه عنهم(٢).

وقال عون بن عبدالله(٣): يقولون: لولا فلان لكان كذا (وكذا(٤))(٥).

وقال الفراء(٦) وابن قتيبة(٧): يعرفون أن النعم من الله ولكن يقولون: هذه

---

(١) آية: ٨٣.

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (١٤/١٥٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٥٥) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) هو: عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أبوعبدالله، الكوفي، ثقة عابد، من الرابعة. مات قبل سنة عشرين ومائة. روى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ٩٠)، وتهذيب التهذيب (٨/ ١٧١-١٧٣).

(٤) ساقطة من ت.

(٥) رواه ابن جرير في تفسيره (١٣/١٥٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٥٥) وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) هو يحيى بن زياد بن عبدالله الأسدي، مولاهم، أبوزكريا، المعروف بالفراء، إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، نزيل بغداد، وكان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو، له مصنفات كثيرة، منها: معاني القرآن، وكتاب اللغات، وغيرهما. صدوق من الطبقة التاسعة، مات سنة سبع ومائتين. روى له البخاري تعليقاً. تقريب التهذيب (٢/ ٣٤٨)، وتهذيب التهذيب (١١/ ٢١٢-٢١٣)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١١٨-١٢١).

(٧) هو: أبومحمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، نزل بغداد، وصنف وجمع، وبعد صيته، حدث عن إسحاق بن راهويه وطائفة، وحدث عنه ابنه القاضي أحمد بن عبدالله بديار مصر، وغيره، قال أبوبكر الخطيب: كان ثقة ديناً فاضلاً. قال الذهبي: وليس هو بصاحب حديث، وإنما هو من كبار العلماء المشهورين، عنده فنون جمة، وعلوم مهمة، ولابن قتيبة مصنفات كثيرة، منها «غريب القرآن» و «غريب الحديث» و«كتاب المعارف» =

٢٩أ بشفاعة آلهتنا[١] . وقالت طائفة : النعمة هاهنا : محمد ﷺ / وإنكارها (جحدهم)[٢] نبوته . وهذا يروى عن مجاهد[٣] والسدي[٤] ، وهذا أقرب إلى حقيقة الإنكار؛ فإنه إنكار لما هو (من)[٥] أجل (النعم أن يكون نعمة ، وأما على القول الأول والثاني والثالث، فإنهم لما أضافوا)[٦] النعمة إلى غير الله، فقد أنكروا نعمة الله بنسبتها إلى غيره ، فإن الذي قال : إنما كان هذا لآبائنا ورثناه كابراً عن كابر (جاحد)[٧] لنعمة الله عليهم غير معترف بها، وهو كالأبرص والأقرع (اللذين)[٨] ذكّرهما الملك بنعم الله عليهما، فأنكرا وقالا : إنما ورثنا هذا كابراً عن كابر ، فقال : إن كنتما كاذبين فصيركما الله إلى ما كنتما[٩] .

وكونها موروثة عن الآباء أبلغ في إنعام الله عليهم، إذ أنعم بها على آبائهم ثم ورَّثهم إياها ، فتمتعوا (هم)[١٠] وآباؤهم بنعمته .

و« كتاب مشكل القرآن » ، و« كتاب مشكل الحديث » و«كتاب أدب الكاتب» وكتاب « عيون الأخبار» وغيرها . مات سنة ست وسبعين ومائتين . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٩٦ -٣٠٢) وانظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٠/ ١٧٠-١٧١) .

(١) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٨٢) ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص(٢٤٨) تحقيق أحمد صقر ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة ١٣٩٨هـ .

(٢) في م : جحد .

(٣) لم أعثر له على تخريج .

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره (١٤/ ١٥٧) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٥٥- ١٥٦) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) ساقط من ع ، د ، س .

(٦) ما بين القوسين ساقط من د .

(٧) في د ، س : جاحداً .

(٨) في ت : الذي .

(٩) يشير إلى الحديث الذي سبق تخريجه في ص(٣٥٨) .

(١٠) ساقطة من ع .

وأما قول (الآخر)[١] : (لولا فلان لما كان كذا) فيتضمن قطع إضافة النعمة إلى من لولاه لم تكن ، وإضافتها إلى من لا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً ، (وغايته)[٢] أن يكون جزءاً من أجزاء (السبب)[٣] أجرى الله تعالى نعمته على (يديه)[٤] (والسبب)[٥] لا يستقل بالإيجاد، وجعله سبباً هو من نعم الله (عليه)[٦]، (فهو)[٧] المنعم بتلك النعمة، وهو المنعم بما جعله من أسبابها ، فالسبب والمسبب من إنعامه، وهو سبحانه قد ينعم (بذلك السبب)[٨] وقد ينعم بدونه فلا يكون له أثر ، وقد يسلبه (سببيته)[٩] ، وقد يجعل لها معارضاً يقاومها، وقد يرتب على السبب ضد مقتضاه، فهو وحده المنعم على الحقيقة .

وأما قول القائل : (بشفاعة آلهتنا) فتضمن الشرك مع إضافة النعمة إلى غير وليها، فالآلهة التي تُعبد من دون الله أحقر وأذل من أن تشفع عند الله ، وهي محضرة في العذاب والهوان مع عابديها ، وأقرب الخلق إلى الله وأحبهم إليه لا يشفع عنده إلا من بعد إذنه لمن ارتضاه ، فالشفاعة بإذنه من نعمه ، فهو المنعم بالشفاعة، وهو المنعم بقبولها ، وهو المنعم بتأهيل المشفوع له؛ إذ ليس كل أحد أهلاً أن يشفع له ، فمن المنعم على الحقيقة سواه ؟! .

---

(١) في ع ، د ، س : الآخرين .
(٢) في د : وغايتها .
(٣) في ت : المسبب .
(٤) في م ، ع ، د ، س : يده .
(٥) في ت : المسبب .
(٦) ساقطة من م ، ت .
(٧) في ع ، د ، س : وهو .
(٨) ساقطة من ت .
(٩) في ع ، د ، س : تسبيبيته .

٣٩ب قال تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[١] فالعبد لا خروج / له عن نعمته وفضله ومنته وإحسانه طرفة عين ، لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولهذا ذم الله سبحانه من آتاه شيئاً من نعمه، فقال : ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾[٢] . وفي الآية الأخرى : ﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾[٣] وقال البغوي : على علم من الله أني له أهل[٤] .

(* وقال مقاتل : على خير علمه الله عندي[٥] .

وقال آخرون : على علم من الله أني له أهل[٦] *)[٧] .

ومضمون هذا القول أن الله آتانيه على علمه بأني أهله .

وقال آخرون : بل العلم له نفسه، ومعناه: أوتيته على علم مني بوجوه المكاسب . قاله قتادة وغيره[٨] .

وقيل : المعنى: قد علمت أني لما أوتيت هذا في الدنيا، فلي عند الله منزلة وشرف. وهذا معنى قول مجاهد : أوتيته على شرف[٩] .

---

(١) سورة النحل ، آية ٥٣ .

(٢) كما حكاه الله سبحانه وتعالى عنه في سورة القصص ، آية ٧٨ .

(٣) سورة الزمر ، آية : ٤٩ .

(٤) انظر معالم التنزيل للبغوي (٧/ ٢٥١) .

(٥) لم أعثر له على تخريج عن مقاتل ، ورواه الطبري في تفسيره (٢٤/ ١٢) وعبدالرزاق في تفسيره (٢/ ١٧٤) ونسباه إلى قتادة .

(٦) هذا القول هو قول البغوي الذي سبقت الإشارة إليه .

(٧) ما بين النجمتين ساقط من ت .

(٨) لم أعثر له على تخريج .

(٩) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤/ ١٢) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢٣٤) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

قال تعالى : ﴿ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ ﴾[(١)] أي النعم التي أوتيها فتنة نختبره فيها، ومحنة نمتحنه بها ، لا يدل (ذلك)[(٢)] على اصطفائه واجتبائه، وأنه محبوب لنا مقرب عندنا، ولهذا قال في قصة قارون : ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴾[(٣)] .

فلو كان إعطاء المال والقوة (والجاه)[(٤)] يدل على رضاء الله سبحانه عمن آتاه ذلك ، وشرف قدره ، وعلو منزلته عنده ، لما أهلك من آتاه من ذلك أكثر مما آتى قارون ، فلما أهلكهم مع سعة هذا العطاء وبسطه : ([(٥)] علم أن عطاءه إنما كان ابتلاءً وفتنة (ومحنة)[(٦)] لا محبة ورضاً واصطفاءً لهم على غيرهم)[(١)] ، ولهذا قال في الآية الأخرى : ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ ﴾[(٧)] أي (النعم)[(٨)] فتنة لا كرامة: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[(٩)] ثم أكد هذا المعنى بقوله : ﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ[(١٠)] ۝ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾[(١١)] أي قد قال

---

(١) سورة الزمر ، آية ٤٩ .

(٢) ساقطة من ع ، د ، س .

(٣) سورة القصص ، آية ٧٨ .

(٤) في ت : والحياة .

(٥) ما بين القوسين ساقط من ع .

(٦) إضافة من : ت .

(٧) سورة الزمر ، آية ٤٩ .

(٨) في م ، ع ، د ، س : النعمة .

(٩) سورة الزمر ، آية ٤٩ .

(١٠) بعد قوله يكسبون وردت في نسخة ت العبارة التالية : المعنى أنهم ظنوا أن ما آتيناهم . ولعله انتقال نظر من الناسخ؛ بدليل ورودها فيما بعد، بعد قوله : يكسبون .

(١١) سورة الزمر ، آية ٥٠-٥١ .

هذه المقالة الذين من قبلهم لما آتيناهم نعمنا .

قال ابن عباس : كانوا قد بطروا نعمة الله إذ آتاهم الدنيا وفرحوا بها، وطغوا وقالوا : هذه كرامة من الله لنا[١] .

وقوله : ﴿ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ المعنى أنهم ظنوا أن ما آتيناهم لكرامتهم علينا ، ولم يكن كذلك؛ لأنهم وقعوا في العذاب، ولم يغن عنهم ما كسبوا شيئاً ، وتبيَّن أن تلك النعم لم تكن لكرامتهم / علينا، وهوان من منعناه إياها .

١٤٠

وقال أبوإسحاق : معنى الآية: أن قولهم إنما آتانا الله ذلك لكرامتنا عليه وأنَّا أهله أحبط أعمالهم[٢] فكنى عن إحباط العمل بقوله : ﴿ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ ثم أبطل سبحانه هذا الظن الكاذب منهم بقوله : ﴿ أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ ﴾[٣] .

والمقصود أن قوله : ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴾ (إن)[٤] أريد به علمه نفسه، كان المعنى أوتيته على ما عندي من العلم والخبرة والمعرفة التي توصلت بها إلى ذلك وحصلته بها ، وإن أريد به علم الله، كان المعنى : أوتيته على ما علم الله عندي من الخير والاستحقاق، وأني أهله، وذلك من كرامتي عليه .

وقد يترجح هذا القول بقوله: (أوتيته) ولم يقل : حصّلته واكتسبته بعلمي ومعرفتي، فدلّ على اعترافه بأن غيره آتاه إياه، ويدل عليه قوله سبحانه: ﴿بَلۡ هِيَ

---

(١) ذكره الواحدي في تفسيره ق (٢٢٦) مخطوط ، محفوظ أصله بالمكتبة الأزهرية بمصر تحت رقم (٣٠٣) مغاربة، وتوجد صورة منه بمركز الملك فيصل بالرياض تحت رقم ١٤٢٥/ ف.

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجّاج (٤/ ٣٥٧) .

(٣) سورة الزمر ، آية ٥٢ .

(٤) في ع : بأن .

فِتْنَةٌ ﴾ أي محنة واختبار . والمعنى : أنه لم (يؤت)[١] هذا لكرامته علينا، بل أوتيه امتحاناً منا وابتلاءً واختباراً: هل يشكر فيه أم يكفر .

وأيضاً فهذا يوافق قوله : ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ۝ ﴾[٢] فهو قد اعترف بأن ربه هو الذي آتاه ذلك، ولكن ظن أنه لكرامته عليه .

فالآية على التقدير الأول تتضمن ذم من أضاف النعم إلى نفسه وعلمه وقوته، ولم يضفها إلى فضل الله وإحسانه ، وذلك محض الكفر بها ، فإن رأس الشكر : الاعتراف بالنعمة ، وأنها من المنعم وحده ، فإذا أضيفت إلى غيره كان جحداً لها، فإذا قال: أوتيته على ما عندي من العلم والخبرة التي حصَّلت بها ذلك، فقد أضافها إلى نفسه ، وأعجب بها ، كما أضافها إلى (قدرته)[٣] الذين قالوا : (من أشد منا قوة) ، فهؤلاء اغتروا بقوتهم ، وهذا اغتر بعلمه، فما أغنى عن هؤلاء قوتهم، ولا عن هذا علمه .

وعلى التقدير الثاني : يتضمن ذم من اعتقد أن إنعام الله / عليه لكونه أهلاً ٤٠ب ومستحقاً لها ، فقد جعل سبب النعمة ما قام به من الصفات التي يستحق بها على الله أن ينعم عليه ، وأن تلك النعمة جزاءٌ له على إحسانه وخيره، فقد جعل سببها ما اتصف به هو ، لا ما قام (بربه)[٤] من الجود والإحسان والفضل والمنة ، ولم يعلم أن ذلك ابتلاء واختبار له أيشكر أم يكفر ، ليس ذلك جزاءً (له)[٥] على (ما

---

(١) في م : يوجب .

(٢) سورة الفجر آية : ١٥-١٦ .

(٣) هكذا في جميع النسخ ، ولعل المناسب : وقدرتهم .

(٤) في د : به بربه .

(٥) ساقطة من ع ، د ، س .

منه)[١]، ولو كان ذلك جزاءً على (عمل)[٢] عمله أو (خير)[٣] قام به، فالله سبحانه هو المنعم عليه بذلك السبب ، فهو المنعم (بالسبب)[٤] والجزاء ، والكل محض مِنَّتِه وفضلِه وجُودِه ، وليس للعبد من نفسه مثقال ذرة من الخير .

وعلى التقديرين، فهو لم يضف النعمة إلى الرب من كل وجه وإن أضافها إليه من وجه دون وجه ، وهو سبحانه وحده (المنعم)[٥] من جميع الوجوه على الحقيقة بالنعم وأسبابها ، فأسبابها من نعمه على العبد وإن حصلت بكسبه ، فكسبه من نعمه ، فكل نعمه فمن الله وحده، حتى الشكر فإنه نعمة، وهي منه سبحانه، فلا يطيق أحد أن يشكره إلا بنعمته، وشكره نعمة منه عليه، كما قال داود عليه الصلاة والسلام : يا رب ، كيف أشكرك وشكري لك نعمة من نعمك عليَّ تستوجب شكراً آخر ؟ فقال : الآن شكرتني يا داود . ذكره الإمام أحمد[٦] .

وذكر أيضاً عن الحسن، قال : قال داود : إلهي، لو أن لكل شعرة من شعري لسانين يذكرانك بالليل والنهار والدهر كله، لما أدوا ما لك عليَّ من حق نعمة واحدة[٧] .

---

(١) في د ، س : ما هو منه .

(٢) ساقطة من ع ، د ، س .

(٣) في د : خيراً .

(٤) في د ، س : بالمسبب .

(٥) في ع ، د ، س : هو المنعم .

(٦) انظر كتاب الزهد للإمام أحمد ص(٨٨-٨٩) ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة ١٤٠٣هـ . ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ١٠١) بمثل رواية الإمام أحمد ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٨٠-٦٨١) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٧) انظر كتاب الزهد للإمام أحمد ص٨٨. ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ١٣٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٨١) وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم في كتاب الشكر.

والمقصود: أن حال الشاكر ضد حال القائل: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾[1] ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ ۝ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾[2].

قال ابن عباس: يريد من عندي[3].

وقال مقاتل: يعني أنا أحق بهذا[4].

وقال مجاهد: هذا بعملي، وأنا محقوقٌ به[5].

وقال الزجَّاج: هذا واجب بعملي استحققته[6].

فوصف الإنسان بأقبح صفتين: إن مسَّه الشر صار إلى حال القانط / ووجم ١٤١أ وجوم الآيس، فإذا مسَّه الخير نسي أن الله هو المنعم عليه المتفضل بما أعطاه، فبطر وظن أنه هو المستحق لذلك، ثم أضاف إلى ذلك تكذيبه بالبعث، فقال: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ﴾، ثم أضاف إلى ذلك ظنه الكاذب أنه إن بُعث كان له عند الله الحسنى، فلم يدَع هذا للجهل والغرور موضعاً.

---

(١) سورة القصص، آية ٧٨.

(٢) سورة فصلت آية ٤٩، ٥٠.

(٣) ذكره الواحدي في تفسيره (البسيط) ق(١٤٦) مخطوط محفوظ أصله بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٣) تفسير، وتوجد صورة منه بمركز الملك فيصل بالرياض تحت رقم (١٤٢٥/ ف).

(٤) ذكره الواحدي في المرجع السابق ق (١٤٦).

(٥) رواه الطبري في تفسيره (٢٥/ ٣). وذكره الواحدي في تفسيره المسمى الوسيط المجلد الثاني ص(٤٥٥) (٢/ ٤٥٥) رسالة ماجستير بقسم التفسير بكلية أصول الدين بالرياض أعدها حمد البدر. وفي تفسيره (البسيط) ق(١٤٦) المرجع السابق.

(٦) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٩١).

فصل

وفي قولـه تعالى : ﴿ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ ﴾(١) قول آخر : أنه على علم الضال ، كما قيل: على علم منه أن معبوده لا ينفع ولا يضر ، فيكون المعنى : أضله الله مع علمه الذي تقوم به عليه الحجة ، ولم يضله على جهل وعدم علم ، (وهذا)(٢) يشبه قولـه : ﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾(٣)، وقولـه : ﴿فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴾(٤)، وقولـه : ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ﴾(٥) ، وقولـه : ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ ﴾(٦) ، وقول موسى لفرعون : ﴿ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ﴾(٧) ، وقولـه تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾(٨) ، وقولـه : ﴿ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴾(٩) ، وقولـه : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ ﴾(١٠) ،

---

(١) سورة الجاثية ، آية ٢٣ .

(٢) في د ، س : هذا .

(٣) سورة البقرة ، آية ٢٢ .

(٤) سورة العنكبوت ، آية ٣٨ .

(٥) سورة النمل، آية ١٤ .

(٦) سورة الإسراء ، آية ٥٩ .

(٧) كما حكاه الله عنه في سورة الإسراء آية ١٠٢ .

(٨) سورة البقرة آية ١٤٦ .

(٩) سورة الأنعام ، آية ٣٣ .

(١٠) سورة التوبة آية ١١٥ .

ونظائره كثيرة. وعلى هذا التقدير، فهو ضال عن سلوك طريق رشده وهو يراها عياناً، كما في الحديث: **«أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالِمٌ لم ينفعه الله بعلمه»**[(١)].

فإن الضال عن الطريق قد يكون متبعاً لهواه ، عالماً بأن الرشد والهدى في خلاف ما يعمل، ولما كان الهدى هو معرفة الحق (والعمل به)[(٢)] كان له ضدان: الجهل (بالحق)[(٣)] ، وترك العمل به .

فالأول: ضلالٌ في العلم .

والثاني : ضلالٌ في القصد والعمل ، فقد وقع قوله : ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾[(٤)] ، وفي قوله : ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾[(٥)] ، وفي قوله : ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾[(٦)] ، فالأول يرجع العلم فيه إلى الله

---

(١) هذا الحديث من رواية عثمان بن مقسم عن سعيد المقبري عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ . رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٨٤-٢٨٥) ، وابن عدي في الكامل (٥/ ١٨٠٧) في ترجمة عثمان بن مقسم ، وقال : وعامة حديثه مما لا يتابع عليه إسناداً ومتناً ، وهو ممن يغلط الكثير ، ونسبه قوم إلى الصدق ، وضعفوه للغلط الكثير الذي كان يغلط، إلا أنه في الجملة ضعيف ، ومع ضعفه يكتب حديثه . وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ٥٨/٠٣) في ترجمة عثمان بن مقسم . وذكره السيوطي في الجامع الصغير (١/ ١٣٦) . وقال الألباني : ضعيف جداً . انظر ضعيف الجامع الصغير (١/ ٢٨٠) ط. الثانية ، ١٣٩٩هـ ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت .

(٢) ساقطة من م .

(٣) ساقط من ع ، د ، س .

(٤) سورة الدخان ، آية ٣٢ .

(٥) سورة الجاثية ، آية ٢٣ .

(٦) سورة الزمر ، آية ٤٩ .

سبحانه قولاً واحداً [١] .

٤١ب والثاني والثالث فيهما قولان . والراجح في قوله : ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ / أن يكون كالأول ، هو قول عامة السلف .

والثالث فيه قولان محتملان ، وقد ذُكر (توجيههما [٢])[٣] . والله أعلم .

والمقصود ذكر مراتب القضاء والقدر علماً وكتابةً ومشيئةً وخلقاً .

* * *

---

(١) انظر تفسير ابن جرير (٢٥/ ١٢٧) .

(٢) في م ، د ، س : توجهها .

(٣) انظر : ص(٣٣١) وما بعدها .

الباب الحادي عشر

في ذكر المرتبة الثانية وهي مرتبة الكتابة

الباب الحادي عشر
في ذكر المرتبة الثانية وهي مرتبة الكتابة

وقد تقدم في أول الكتاب[١] ما دلَّ على ذلك من نصوص القرآن والسنة الصريحة، فنذكر هنا بعض ما لم نذكره.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥) إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ (١٠٦)﴾[٢] فالزبور هنا جميع الكتب المنزلة من السماء[٣]، لا تختص بزبور داود[٤]، والذكر أم الكتاب الذي عند الله[٥]، والأرض (هي)[٦] الدنيا[٧]، وعباده الصالحون أمة محمد ﷺ.

(هذا أصح الأقوال في هذه الآية، وهي علم من أعلام نبوة رسول الله ﷺ)[٨] فإنه أخبر بذلك بمكة وأهل الأرض كلهم كفار، أعداء له ولأصحابه، والمشركون قد أخرجوهم من ديارهم ومساكنهم، وشتتوهم في أطراف الأرض، فأخبرهم

---

(١) في الباب الأول.

(٢) سورة الأنبياء آية ١٠٥-١٠٦.

(٣) وهذا قول سعيد بن جبير، ومجاهد، وغيرهما، واختاره ابن جرير الطبري، انظر تفسيره (١٧/ ١٠٣، ١٠٤).

(٤) وممن قال: إنه زبور داود: الشعبي. انظر تفسير ابن جرير (١٧/ ١٠٤).

(٥) وهذا قول مجاهد، وابن زيد، وغيرهما، واختاره ابن جرير. انظر تفسيره (١٧/ ١٠٤).

(٦) ساقطة من د، س.

(٧) وهذا قول ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة عنه، انظر تفسير ابن جرير (١٧/ ١٠٤) وقال أكثر المفسرين ـ ومنهم ابن عباس في رواية مجاهد عنه ـ: إنها أرض الجنة، وممن قال بذلك: أبو العالية، ومجاهد، وسعيد بن جبير وغيرهم. انظر تفسير ابن جرير (١٧/ ١٠٤).

(٨) ما بين القوسين ساقط من ع.

ربهم تبارك وتعالى أنه كتب في الذكر الأول أنهم يرثون الأرض من الكفار، ثم كتب ذلك في الكتب التي أنزلها على رسله، والكتاب (الأول)[١] قد أطلق عليه الذكر في قول النبي ﷺ في الحديث المتفق[٢] على صحته: «**كان الله ولم يكن شيء غيره[٣] وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء**»[٤].

---

(١) ساقطة من ع، د، س.

(٢) مراد المؤلف هنا اتفاق أهل الحديث على صحته، لا اتفاق الشيخين على تخريجه، فإن هذا الحديث أخرجه البخاري فقط.

(٣) قوله ﷺ: «**ولم يكن شيء غيره**». روي: معه، وروي: قبله، والمجلس كان واحداً، فعلم أنه قال أحد الألفاظ والآخران رويا بالمعنى، ولفظ (القَبْل) ثبت عنه في غير هذا الحديث، واللفظان الآخران لم يثبت واحد منهما في موضع آخر. ولهذا كان كثير من أهل الحديث إنما يرويه بلفظ (القَبْل) كالحميدي، والبغوي، وابن الأثير، وغيرهم. انظر شرح الطحاوية (ص١٤٠-١٤١) وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٨/ ٢١٦).

(٤) هذا الحديث رواه عمران بن حصين رضي الله عنه، وأخرجه البخاري في صحيحه في المواضع التالية:

- (٤/ ٧٢-٧٣) ك. بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾.
- ٥/ ١١٥) ك. المغازي، باب وفد بني تميم.
- (٥/ ١٢٢) ك المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن.
- (٨/ ١٧٥) ك التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾.
- والترمذي (٥/ ٦٨٨-٦٨٩) ك المناقب، باب مناقب ثقيف، وبني حنيفة.
- والنسائي في سننه الكبرى، ك التفسير (١/ ٥٨٤) تفسير سورة هود.
- والإمام أحمد ٤/ ٤٢٦، ٤٣١-٤٣٢، ٤٣٣). وابن جرير في تفسيره (١٢/ ٤).
- والبيهقي في الأسماء والصفات ص(٤٧٨)، وفي سننه (٩/ ٢، ٣).
- والدارمي في الرد على الجهمية ص(١٤)، وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٤/ ٧، ١١).
- والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٤٩٧، ٤٩٩، ٥٠٠).

فهذا هو الذكر الذي كتب فيه أن الدنيا تصير لأمة محمد ﷺ والكتب المنزلة قد أطلق عليها الزبر في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾[١] اي: ارسلناهم بالآيات الواضحات والكتب التي فيها الهدى والنور.

والذكر هاهنا الكتابان اللذان أنزلا قبل رسول الله ﷺ وهما التوراة والإنجيل.

والذكر في / قوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٢] ٤٢أ هو القرآن. (ففي)[٣] هذه الآية علمه بما كان قبل كونه، وكتابته له بعد علمه.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[٤].

فجمع بين الكتابين: الكتاب السابق لأعمالهم قبل وجودهم، والكتاب المقارن لأعمالهم، فأخبر سبحانه أنه يحييهم بعدما أماتهم للبعث، ويجازيهم (بأعمالهم)[٥] ونبه بكتابته لها على ذلك.

قال (مقاتل)[٦]: (نكتب)[٧] ما قدموا من خير (وشر)[٨] (فعلوه)[٩] في

---

(١) سورة النحل، آية ٤٣-٤٤.

(٢) سورة النحل، آية ٤٤.

(٣) في ت: معنى.

(٤) سورة يس، آية ١٢.

(٥) ساقطة من م.

(٦) ساقطة من ع، د، س.

(٧) ساقطة من ت.

(٨) في م: أو شر.

(٩) في ع، م: فعملوه.

حياتهم، وآثارهم : ما سنوا من سنة خير أو شر، فاقتدى بهم فيها بعد موتهم[١].

وقال ابن عباس في رواية عطاء[٢]: (آثارهم) ما أثروا من خير أو شر؛ كقوله: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ[٣]﴾[٤].

فإن قلت : قد استفيد هذا من قوله : ﴿مَا قَدَّمُوا۟﴾ فما أفاد قوله : وآثارهم على قوله؟.

قلت : أفاد فائدة جليلة، وهو أنه سبحانه يكتب ما عملوه وما تولد من أعمالهم، (فيكون المتولد عنها كأنهم عملوه في الخير والشر وهو أثر أعمالهم، فآثارهم)[٥] هي (آثار)[٦] أعمالهم المتولدة عنها .

وهذا القول أعم من قول مقاتل، وكأن مقاتلاً أراد التمثيل والبيان على عادة السلف في تفسير اللفظة العامة بنوع أو فرد من أفراد مدلولها تقريباً وتمثيلاً، لا حصراً وإحاطة .

وقال أنس وابن عباس في رواية عكرمة : نزلت هذه الآية في

---

(١) ذكره الواحدي في تفسيره « البسيط » ق(٥٧) مخطوط، محفوظ أصله بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٣) تفسير، وتوجد صورة منه بمركز الملك فيصل بالرياض تحت رقم (١٤٢٥/ ف) .

(٢) هو : عطاء بن أبي رباح، بفتح الراء والموحدة، واسم أبي رباح، أسلم القرشي، مولاهم المكي، ثقة فقيه، فاضل، لكنه كثير الإرسال، من الثالثة، مات سنة أربع عشرة ومائة، على المشهور، وقيل: إنه تغير بأخرة، ولم يكن ذلك منه. روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ٢٢)، وتهذيب التهذيب (٧/ ١٩٩-٢٠٣) .

(٣) سورة القيامة، آية ١٣ .

(٤) ذكره الواحدي في تفسير « البسيط » ق(٥٧) المرجع السابق .

(٥) ما بين القوسين ساقط من م .

(٦) ساقطة من م .

بني سلمة(١) أرادوا أن ينتقلوا إلى قرب المسجد، وكانت منازلهم بعيدة، فلما نزلت، قالوا : بل نمكث مكاننا(٢) .

واحتج أرباب هذا القول بما في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري، قال : كانت بنو سلمة في ناحية المدينة، فأرادوا النُّقْلة إلى قرب المسجد، فنزلت هذه الآية : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ﴾(٣) . فقال رسول الله ﷺ : « يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم »(٤) .

---

(١) هم : بنو سلمة بن سعد بن علي بن راشد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج، بطن من الخزرج من الأزد، ينسب إليهم كثير من الصحابة. معجم قبائل العرب (٢/ ٥٣٧)، واللباب لابن الأثير (٢/ ١٢٩) وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص(٣٣٩) .

(٢) قول ابن عباس : رواه ابن ماجه (١/ ٢٥٨) ك. المساجد والجماعات، باب الأبعد فالأبعد من المسجد أعظم أجراً . وابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢/ ١٥٤) . وذكره ابن حجر العسقلاني في الفتح (٢/ ١٤٠)، ونسبه إلى ابن ماجه وقال : إسناده قوي . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٦) وزاد نسبته إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٩٧) وقال : رواه الطبراني عن شيخه عبدالله ابن محمد بن سعيد بن أبي مريم وهو ضعيف . وقول أنس ذكره الواحدي في تفسيره (البسيط) ق (٥٧) مخطوط، مرجع سابق .

(٣) سورة يس، آية ١٢ .

(٤) لم أعثر على هذا الحديث في صحيح البخاري من رواية أبي سعيد الخدري، وذلك بعد البحث عنه في مظانه من صحيحه، ومن تحفة الأشراف (٣/ ٤٦٥) وذخائر المواريث (٣/ ٢٠٠) نشر ناصر خسرو، إيران . والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ترتيب مجموعة من المستشرقين، نشر مكتبة بريل في هولندا سنة ١٩٣٦م . وقد رواه البخاري من حديث أنس، كما سيأتي بيانه قريباً إن شاء الله . والحديث من رواية أبي سعيد أخرجه الترمذي (٥/ ٣٣٩) ك. التفسير ـ تفسير سورة يس، وقال : هذا حديث حسن غريب من حديث الثوري . والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٨-٤٢٩) . وقال : هذا حديث صحيح عجيب من حديث الثوري، وقد أخرج مسلم بعض هذا المعنى من حديث حميد عن أنس =

وقد روى مسلم (في صحيحه)[١] نحوه من حديث جابر[٢] وأنس[٣].

= وقال الذهبي : تفرد به إسحاق الأزرق عنه . صحيح . اهـ . ورواه ابن جرير في تفسيره (٢٢/ ١٥٤) والواحدي في أسباب النزول ص(٢٧٤) سورة يس، نشر عالم الكتب في بيروت، الطبعة (بدون)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ٥٦٥-٥٦٦) وقال : تفرد بإخراجه الترمذي عند تفسير هذه الآية الكريمة ... ثم قال : وفيه غرابة من حيث ذكر نزول هذه الآية، والسورة بكاملها مكية . فالله أعلم . وذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٧/ ٥٥٨) ونسبه إلى الترمذي .

(١) ساقط من م، ت .

(٢) ولفظه : (عن جابر بن عبدالله قال : خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم : « **بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد** » قالوا : نعم يا رسول الله، قد أردنا ذلك . فقال : « **يا بني سلمة، دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم** » . وانظر صحيح مسلم (١/ ٤٦٢) ك. المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد. ورواه الإمام أحمد (٣/ ٣٣٢-٣٣٣، ٣٧١-٣٧٢) وابن جرير في تفسيره (٢٢/ ١٥٤) . وأبويعلى في مسنده (٤/ ١١٥) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٥/ ٣٩٠) . وأبوعوانة في مسنده (١/ ٣٨٧-٣٨٨). وأبوداود الطيالسي في مسنده كما في منحة المعبود (١/ ٨٢). وأبونعيم في الحلية (٣/ ١٠٠) . والبيهقي في سننه (٣/ ٦٤) ك. الصلاة . والبغوي في شرح السنة (٢/ ٥٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٦) وزاد نسبته إلى ابن مردويه.

(٣) لم أعثر على هذا الحديث من رواية أنس في صحيح مسلم ـ كما ذكر المؤلف ـ وذلك بعد البحث عنه في مظانه من صحيح مسلم ومن تحفة الأشراف وذخائر المواريث والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، والحديث رواه البخاري (١/ ١٦٠) ك. الأذان، باب احتساب الآثار . وفي (٢/ ٢٢٤) ك. فضائل المدينة، باب كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة، ولفظه : (أن بني سلمة أرادوا أن يتحولوا عن منازلهم، فينزلوا قريباً من النبي ﷺ قال: فكره رسول الله ﷺ أن يعروا المدينة، فقال : «**ألا تحتسبوا آثاركم**» . وابن ماجه (١/ ٢٥٨) ك. المساجد والجماعات، باب الأبعد فالأبعد من المسجد أعظم أجراً . والإمام أحمد (٣/ ١٠٦، ١٨٢، ٢٦٣) .

وفي هذا القول نظر، فإن سورة يس مكية، وقصة / بني سلمة بالمدينة، إلا أن ٤٢ب يقال : هذه الآية وحدها مدنية .

واحسن من هذا أن تكون ذكرت عند هذه القصة ، ودلت عليها، وذكروا بها عندها، إما من النبي ﷺ، وإما من جبريل ـ عليه السلام ـ فأطلق على ذلك النزول، ولعل هذا مراد من قال في نظائر ذلك : نزلت مرتين، والمقصود أن خطاهم إلى (المساجد)[1] من آثارهم التي يكتب الله لهم .

قال عمر بن (عبدالعزيز[2])[3]: لو كان الله سبحانه تاركاً (لابن)[4] آدم شيئاً، لترك (له)[5] ما عفت عليه الرياح من أثر[6] .

---

(١) في ع : المسجد . .

(٢) في ع : بياض، وفي د، س : الخطاب .

(٣) هو : عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي، أمير المؤمنين، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، ولي إمرة المدينة للوليد، وكان مع سليمان كالوزير، وولي الخلافة بعده، فعد مع الخلفاء الراشدين، من الرابعة، مات في رجب سنة إحدى ومائة، وله أربعون سنة، ومدة خلافته ستان ونصف . روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٥٩-٦٠)، وانظر تهذيب التهذيب (٧/ ٤٧٥-٤٧٨) .

(٤) ف م : لنبي .

(٥) في م : لهم .

(٦) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ١٤٠) والإمام أحمد في كتاب الزهد (٦١) مخطوط، محفوظ أصله بالمكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم (١١٣١) ويوجد صورة منه بمركز الملك فيصل بالرياض تحت رقم (١١٠٥/ ف) وذكره الواحدي في تفسيره « البسيط » ق (٥٧) مخطوط، سبق ذكره في ص(٣٧٨) . وروى نحوه من قول قتادة ابن جرير في تفسيره (٢٢/ ١٥٥) وذكره من قول قتادة ـ أيضاً ـ السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٧) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم .

وقال مسروق[١] : ما خطا رجل خطوةً إلا كتبت له حسنة أو سيئة[٢] .

والمقصود أن قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[٣] وهو اللوح المحفوظ وهو أم الكتاب، وهو الذكر الذي كتب فيه كل شيء، يتضمن كتابة أعمال العباد قبل أن يعملوها، والإحصاء في الكتاب يتضمن علمه بها، وحفظه لها، والإحاطة بعددها، وإثباتها فيه .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾[٤] وقد اختلف في الكتاب هاهنا: هل هو القرآن ؟ أو اللوح المحفوظ ؟ على قولين :

فقالت طائفة : المراد به القرآن، (قالوا)[٥] : وهذا من العام المراد به الخاص، أي: ما فرطنا فيه من شيء يحتاجون إلى ذكره وبيانه، كقوله : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾[٦] .

---

(١) هو : مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي، أبوعائشة الكوفي، ثقة فقيه عابد، مخضرم، من الثانية، مات سنة اثنتين ، ويقال : سنة ثلاث وستين، روى له : الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٢٤٢) وانظر تهذيب التهذيب (١٠/ ١٠٩-١١١) وتاريخ الثقات ص٢٤٦.

(٢) ذكره الواحدي في تفسيره « البسيط » ق (٥٧) مخطوط. سبق بيان معلومات عنه في ص(٣٧٨) والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٧) ونسبه إلى عبد بن حميد .

(٣) سورة يس، آية ١٢ .

(٤) سورة الأنعام، آية ٣٨ .

(٥) ساقطة من د، س . وفي ع : قال .

(٦) سورة النحل، آية ٨٩ .

ويجوز أن يكون من العام المراد (به)[١] عمومه، والمراد أن كل شيء ذكر فيه مجملاً ومفصلاً، كما قال ابن مسعود وقد لعن الواصلة والمستوصلة[٢] : ما لي (لا ألعن)[٣] من لعنه الله في كتابه ؟! فقالت امرأة[٤] : لقد قرأت (القرآن)[٥] فما وجدته، فقال : إن كنت قرأته فقد وجدته، قال تعالى : ﴿وَمَا ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٦] ولعن رسول الله ﷺ الواصلة والمستوصلة[٧].

---

(١) ساقطة من م، ت .

(٢) الواصلة : هي التي تصل شعرها بشعر آخر زور . والمستوصلة : هي التي تأمر من يفعل بها ذلك . النهاية لابن الأثير (٥/ ١٩٢) .

(٣) في ت : ألا ألعن .

(٤) واسمها أم يعقوب (من بني أسد) كما في صحيح البخاري (٦/ ٥٨) ك. التفسير، باب ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ .

(٥) لفظة (القرآن) لم ترد في م .

(٦) سورة الحشر، آية ٧ .

(٧) رواه البخاري في (٦/ ٥٨-٥٩) ك. التفسير، باب ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ . و(٧/ ٦١-٦٢) ك. اللباس، باب المتفلجات للحسن . و(٧/ ٦٣) ك. اللباس، باب المتنمصات . و(٧/ ٦٣) ك. اللباس، باب الموصولة . و(٧/ ٦٤) ك. اللباس، باب الواشمة . و(٧/ ٦٤) ك. اللباس، باب المستوشمة . ورواه مسلم (٤/ ١٦٧٨) ك. اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجات، والمغيرات خلق الله . وأبوداود : (١١/ ٢٢٥-٢٢٦) ك. الترجل، باب في صلة الشعر . والترمذي (٥/ ٩٦-٩٧) ك. الأدب، باب ما جاء في الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة . والنسائي (٨/ ١٤٥-١٤٧) ك. الزينة، باب المستوصلة، وباب المتنمصات والمتفلجات . وأيضاً في ك. التفسير من سننه الكبرى (٢/ ٤٠٣-٤٠٤) تفسير سورة الحشر . وابن ماجه (١/ ٦٤٠) ك. النكاح، باب الواصلة والواشمة . والطبراني في الأوسط (٣/ ٤٥) .

وقال الشافعي[١] : (ما تنزل)[٢] بأحد من المسلمين نازلة إلا في كتاب الله سبيل الدلالة عليها[٣] .

١٤٣أ وقالت طائفة : / المراد بالكتاب في الآية : اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه كل شيء، وهذا إحدى الروايتين عن ابن عباس[٤] . وكأن هذا القول أظهر في الآية، والسياق يدل عليه، فإنه قال : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾[٥] وهذا يتضمن أنها أمم أمثالنا في الخلق والرزق (والأجل)[٦] والتقدير الأول، وأنها لم تخلق سدى، بل هي (مُعَبَّدة)[٧] مُذَلَّلة، قد قَدَّرَ خلقها وأجلها ورزقها وما تصير إليه، ثم ذكر عاقبتها ومصيرها بعد فنائها، فقال : ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾[٨] . فذكر مبدأها ونهايتها، وأدخل بين هاتين

---

(١) هو : محمد بن إدريس بن عباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبديزيد بن هاشم بن المطلب، المطلبي، أبوعبدالله الشافعي، المكي، نزيل مصر، رأس الطبقة التاسعة، أحد الأئمة الأربعة، وإليه نسبة الشافعية، مات سنة أربع ومائتين، وله أربع وخمسون سنة، روى له البخاري تعليقاً، وروى له مسلم والأربعة . تقريب التهذيب (٢/ ١٤٣)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٢٥-٣١) .

(٢) في ع، د، س : ما نزل . وما أثبت من م، ت، وهو المطابق لما في الرسالة .

(٣) انظر الرسالة للشافعي ص(٢٠) تحقيق أحمد شاكر، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٩هـ نشر مكتبة دار التراث بالقاهرة .

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره (٧/ ١٨٨) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٦٧) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) سورة الأنعام، آية ٣٨ .

(٦) في ع، د، س : والأكل .

(٧) في ت : مقيدة .

(٨) سورة الأنعام، آية ٣٨ .

الحالتين قوله : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[١] أي : كلها (قد)[٢] كتبت وقدرت، وأحصيت قبل أن توجد، فلا يناسب هذا ذكر كتاب الأمر والنهي، وإنما يناسب ذكر الكتاب الأول .

ولمن نصر القول الأول أن يجيب هذا بأن في ذكر القرآن هاهنا الإخبار عن تضمنه لذكر ذلك والإخبار به، فلم نفرط فيه من شيء، بل أخبرناكم بكل ما كان وما هو كائن إجمالاً وتفصيلاً، ويرجحه أمر آخر: وهو أن هذا ذُكر عقيب قوله : ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣] فنبههم على أعظم الآيات وأدلها على صدق رسوله ﷺ، وهو الكتاب الذي يتضمن (تبيان)[٤] كل شيء، ولم يفرط فيه من شيء، ثم نبَّههم بأنهم أمة من جملة الأمم التي في السماوات والأرض، وهذا يتضمن التعريف بوجود الخالق سبحانه، وكمال قدرته وعلمه، وسعة ملكه، وكثرة جنوده، والأمم التي لا يحصيها غيره، وهذا / يتضمن أنه لا إله غيره، ولا رب سواه، وأنه رب ٤٢ب العالمين، فهذا دليل على وحدانيته وصفات كماله من جهة خلقه وقدره، وإنزال الكتاب الذي لم يفرط فيه من شيء دليل من جهة أمره وكلامه، فهذا استدلال بأمره، وذلك بخلقه ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٥]. (ويشهد)[٦] لهذا أيضاً قوله : ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ

---

(١) سورة الأنعام، آية ٣٨ .

(٢) ساقطة من ع .

(٣) سورة الأنعام، آية ٣٧ .

(٤) في ع، د، س : بيان .

(٥) سورة الأعراف، آية ٥٤ .

(٦) في ع، د، س : وشهد .

ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[١] .

ولمن نصر أن المراد بالكتاب : اللوح المحفوظ أن يقول : لما سألوا (آية)[٢] أخبرهم سبحانه بأنه لم يترك إنزالها لعدم قدرته على ذلك ـ فإنه قادر على ذلك ـ وإنما لم ينزلها لحكمته ورحمته بهم وإحسانه إليهم، إذ لو أنزلها على وفق اقتراحهم لعوجلوا بالعقوبة إن لم يؤمنوا . ثم ذكر ما يدل على كمال قدرته بخلق الأمم العظيمة التي لا يحصي (عددها)[٣] إلا هو، فمن قدَرَ على خلق هذه الأمم ـ مع اختلاف أجناسها وأنواعها وصفاتها وهيئاتها، كيف يعجز عن إنزال آية ؟! ثم أخبر عن كمال قدرته وعلمه بأن هؤلاء الأمم قد أحصاهم وكتبهم وقدَّر أرزاقهم وآجالهم (وأحوالهم)[٤] في كتاب لم يفرط فيه من شيء، ثم يميتهم ثم يحشرهم إليه، والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات (عن)[٥] النظر والاعتبار، الذي يؤديهم إلى معرفة ربوبيته ووحدانيته وصدق رسله، ثم أخبر أن الآيات لا تستقل بالهدى ولو أنزلها على وفق اقتراح البشر، بل الأمر كله له، ﴿مَن (يَشَإِ)[٦] ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٧]، (فهذا)[٨] أظهر القولين. والله أعلم .

وقال تعالى : ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا

(١) سورة العنكبوت، آية ٥٠-٥١ .

(٢) في م، ت : الآية .

(٣) في ع : عدتها .

(٤) ساقطة من : ت .

(٥) في ت : في .

(٦) في ت : من يشأ الله .

(٧) اقتباس من آية ٣٩ سورة الأنعام .

(٨) في ع، د، س : فهو .

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[١].

قال ابن عباس: في اللوح المحفوظ (الذي عندنا[٢])[٣].

قال مقاتل: (يقول)[٤] إن نسخته في أصل الكتاب، وهو اللوح المحفوظ[٥].

وأم الكتاب: أصل الكتاب، وأم كل شيء: أصله، والقرآن / كتبه الله في ٤٤أ اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض، كما قال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾[٦] ﴾[٧] وأجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث: أن كل كائن إلى يوم القيامة، فهو مكتوب في أم الكتاب، وقد دلَّ القرآن على أن الرب تبارك وتعالى كتب في أم الكتاب ما يفعله (وما يقولـه)[٨]، فكتب في اللوح أفعاله وكلامه (فتبت يدا أبي لهب) في اللوح المحفوظ قبل وجود أبي لهب.

وقولـه ﴿ لدينا ﴾ يجوز (فيه)[٩] أن يكون من صلة أم الكتـاب، أي: إنه في

---

(١) سورة الزخرف، الآيات من ١-٤.

(٢) في ع، د، س: المقري عندنا.

(٣) ذكره الواحدي في تفسيره «البسيط» ق (٣) مخطوط، محفوظ أصله بالمكتبة الأزهرية بمصر تحت رقم (٣٠٣) مغاربة، وتوجد صورة منه بمركز الملك فيصل بالرياض تحت رقم ١٤٢٥-١ / ف. والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣٦٦) مطولاً ونسبه إلى ابن مردويه.

(٤) ساقطة من ع، د، س.

(٥) ذكره الواحدي في تفسيره «البسيط» ق (٣) المرجع السابق.

(٦) سورة البروج، آية ٢١-٢٢.

(٧) قولـه: وأم الكتاب: أصل الكتاب ... إلخ. هذا هو قول الزجاج في كتابه معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٠٥) واختيار ابن جرير، انظر تفسيره (٢٥/ ٤٨).

(٨) في ت: وهو يقولـه.

(٩) ساقطة من م.

(أم)[١] الكتاب الذي عندنا، وهذا اختيار ابن عباس[٢]، ويجوز أن يكون من صلة الخبر أنه عليٌّ حكيم عندنا، ليس هو كما عند المكذبين به، (أي)[٣] : وإن كذبتم به وكفرتم؛ فهو عندنا في غاية الارتفاع والشرف والإحكام .

وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾[٤] قال سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطية[٥] : أي ما سبق لهم في الكتاب من الشقاوة والسعادة، ثم قرأ عطية : ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۗ[٦] ﴾[٧] . والمعنى أن هؤلاء أدركهم ما كتب لهم من الشقاوة،

---

(١) ساقطة من ع، د، س .

(٢) سبق تخريجه في الصفحة السابقة .

(٣) ساقطة من د .

(٤) سورة الأعراف، آية ٣٧ .

(٥) هو : عطية بن سعد بن جُنادة، بضم الجيم بعدها نون خفيفة، العوفي، الجَدَلي ـ بفتح الجيم والمهملة ـ الكوفي، أبوالحسن، صدوق يخطئ كثيراً، كان شيعياً مدلساً، من الثالثة، مات سنة إحدى عشرة ومائة، روى له البخاري في كتاب الأدب المفرد، وروى له أبوداود والترمذي وابن ماجه . تقريب التهذيب (٢/ ٢٤) وانظر تهذيب التهذيب (٧/ ٢٢٤-٢٢٦) .

(٦) سورة الأعراف، آية ٣٠ .

(٧) قول سعيد بن جبير رواه ابن جرير في تفسيره (٨/ ١٦٩) . والبيهقي في كتاب القدر ص(١٥٧). واللالكائي في السنة (٣/ ٥٥٥). وقول مجاهد: رواه ابن جرير في تفسيره (٨/ ١٦٩) وابن أبي حاتم في تفسيره ق(١٤٥) مخطوط، محفوظ أصله بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة تحت رقم ٤٩ تفسير، وتوجد صورة منه في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تحت رقم ٢٩٥ / ف . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٥١) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد . وقول عطية : رواه ابن جرير في تفسيره (٨/ ١٧٠)، والبيهقي في كتاب القدر ص(١٥٨) .

وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء، قال : يريد ما سبق عليهم في علمي في اللوح المحفوظ[١] .

فالكتاب على هذا القول : الكتاب الأول، ونصيبهم : ما كتب لهم (فيه)[٢] من الشقاوة وأسبابها. وقال ابن زيد[٣]، و(القرظي[٤])[٥]، والربيع بن أنس[٦] : ينالهم ما كتب لهم من الأرزاق والأعمال (والأعمار)[٧] فإذا فني نصيبهم

---

(١) ذكره الواحدي في تفسيره « البسيط » ق (٢١٩) مخطوط، محفوظ أصله في كتبة شستربتي في أيرلندا تحت رقم (٣٧٣٦) وتوجد صورة منه في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تحت الرقم نفسه .

(٢) ساقطة من د، س .

(٣) هو : عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، العدوي، مولاهم، حدَّث عن أبيه وابن المنكدر، وروى عنه أصبغ بن الفرج، وهشام بن عمار، وآخرون . وكان صاحب قرآن وتفسير، وجمع تفسيراً في مجلد، وكتاباً في الناسخ والمنسوخ، ضعيف، من الثامنة، مات سنة ١٨٢هـ روى له الترمذي وابن ماجه . سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٤٩) . تقريب التهذيب (١/ ٤٨٠)، وتهذيب التهذيب (٦/ ١٧٧) . وروى قوله : ابن جرير في تفسيره (٨/ ١٧١-١٧٢) . وذكره القرطبي في تفسير (٧/ ١٣٠) . وابن كثير في تفسير (٢/ ٢١٢) .

(٤) في م، ع، د، س : والقرطبي، وهو خطأ . والصواب ما أثبت .

(٥) هو : محمد بن كعب بن سليم بن أسد، أبوحمزة القُرظي ، المدني ، وكان قد نزل الكوفة مدة، ثقة، عالم، من الثالثة ، ولد سنة أربعين على الصحيح، ووهم من قال : ولد في عهد النبي ﷺ، فقد قال البخاري : إن أباه كان ممن لم ينبت من بني قريظة فترك، مات محمد سنة عشرين ومائة، وقيل: قبل ذلك . روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٢٠٣)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٤٢٠)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٦٥) . وروى قوله : ابن جرير في تفسيره (٨/ ١٧١) . وذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢١٢) .

(٦) سبقت ترجمته في ص (١٦٦) . وذكر قوله : ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢١٢) والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٥١) ونسبه إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم .

(٧) ساقطة من ع، د، س .

واستكملوه جاءتهم رسلنا يتوفونهم . ورجح بعضهم[(١)] هذا القول لمكان (حتى)[(٢)] التي هي (للغاية)[(٣)]. يعني أنهم يستوفون أرزاقهم وأعمارهم إلى الموت.

(ولمن)[(٤)] نصر القول الأول أن يقول : حتى في هذا الموضع هي التي تدخل على الجمل، وينصرف الكلام فيها إلى الابتداء[(٥)] (كما في قولـه)[(٦)] :

فيا عجباً حتى كليبٌ تسبُّني[(٧)]

والصحيح أن نصيبهم من الكتاب يتناول الأمرين، فهو نصيبهم من الشقاوة/ ، ونصيبهم من الأعمال التي هي أسبابها، ونصيبهم من الأعمار التي هي مدة اكتسابها، ونصيبهم من الأرزاق التي استعانوا بها على ذلك، فعمت الآية هذا النصيب كله . ٤٤ب

---

(١) وممن رجح هذا القول ابن جرير الطبري، انظر تفسيره (٨/ ١٧٢) .

(٢) يشير إلى بقية الآية، وهي قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾ .

(٣) في م : للكفاية .

(٤) في ت : ولم، وفي ع : وأما .

(٥) قال الشوكاني : ولكن لا يخفى أن كونها لابتداء الكلام بعدها لا ينافي كونها غاية لما قبلها. انظر فتح القدير (٢/ ٢٠٣) .

(٦) في ت، م، ع : كا ما كقوله .

(٧) هذا صدر بيت قاله الفرزدق يهجو فيه (كُليباً) رهط جرير، وعجزه :

.... كأن أباها نهشل أو مجاشع

ونهشل ومجاشع رهط الفرزدق . انظر ديوان الفرزدق ص(٣٦١) شرح الأستاذ علي فاعور، ط. الأولى ١٤٠٧هـ نشر دار الكتب العلمية، بيروت. ومعاني القرآن للفراء (٤/ ١٣٨) . وخزانة الأدب للبغدادي (٤/ ١٤١) ط. بولاق بمصر ١٢٩٩هـ . ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام (ص١٧٣) تحقيق د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، ط. الخامسة، ١٩٧٩م، نشر دار الفكر، بيروت .

وذكر هؤلاء بعضه، وهؤلاء بعضه، هذا على القول الصحيح، وأن المراد (بالكتاب)[١] ما سبق لهم في أم الكتاب .

وقالت طائفة[٢] : المراد بالكتاب : القرآن .

قال الزجاج : معنى ﴿ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ما أخبر الله عز وجل من جزائهم؛ نحو قوله: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾[٣]. وقوله: ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا[٤]﴾[٥] (ونظائره)[٦] قال أرباب هذا القول : وهذا هو الظاهر؛ لأنه ذكر عذابهم في القرآن في مواضع، ثم أخبر أنه ينالهم نصيبهم منه .

والصحيح القول الأول، وهو : نصيبهم الذي كتب لهم أن ينالوه قبل أن يخلقوا ولهذا القول وجه حسن، وهو أن نصيب المؤمنين منه الرحمة والسعادة، ونصيب هؤلاء منه العذاب والشقاء، فنصيب كل فريق منه ما اختاروه لأنفسهم، وآثروه على غيره، كما أن حظ المؤمنين منه كان الهدى والرحمة، فحظ هؤلاء منه الضلال والخيبة، فكان حظهم من هذه النعمة أن صارت نقمة وحسرة عليهم.

---

(١) ساقطة من ع، د، س .

(٢) منهم الحسين البصري، والسدي، وأبوصالح، وابن قتيبة، والزجّاج، وقد ذكر المؤلف رحمه الله قول الزجّاج، ثم أعقبه بتوجيه قولهم . انظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص(١٦٧)، وتفسير الواحدي « البسيط »، ق (١٨٢) مخطوط محفوظ أصله بمكتبة شستربتي في أيرلندا تحت رقم (٥١٠٥) وتوجد صورة منه بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تحت الرقم نفسه .

(٣) سورة الليل، آية ١٤ .

(٤) سورة الجن، آية ١٧.

(٥) انظر كتاب معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٣٤-٣٣٥) .

(٦) ساقطة من د، س .

وقريب من هذا قوله تعالى : ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[١] أي : تجعلون حظكم من هذا الرزق الذي به حياتكم التكذيب به .

قال الحسن : تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون . قال : وخسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله إلا التكذيب به[٢] .

وقال تعالى : ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾[٣] قال عطاء ومقاتل : كل شيء فعلوه مكتوب عليهم في اللوح المحفوظ[٤] .

وروى حمّاد بن زيد عن داود[٥] بن أبي هند عن الشعبي ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾[٦] قال : كُتب عليهم قبل أن يعملوه[٧] .

وقالت طائفة : المعنى أنه يحصى عليهم في كتب أعمالهم .

وجمع أبوإسحاق بين القولين، فقال : مكتوب عليهم قبل أن يفعلوه، ومكتوب (لهم)[٨] وعليهم إذا فعلوه للجزاء[٩]، وهذا أصح . وبالله التوفيق .

---

(١) سورة الواقعة، آية ٨٢ .

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٧/ ٢٠٩) .

(٣) سورة القمر، آية ٥٢ .

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٠) ونسبه إلى عبد بن حميد .

(٥) هو : داود بن أبي هند، القشيري ، مولاهم ، أبوبكر أو أبومحمد ، البصري ، ثقة متقن، كان يهم بأخرة ، من الخامسة، مات سنة أربعين ومائة، وقيل: قبلها . روى له البخاري تعليقاً، وروى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب (١/ ٢٣٥)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٢٠٤) .

(٦) سورة القمر، آية ٥٢ .

(٧) لم أعثر له على تخريج .

(٨) ساقطة من ع، د، س . وما أثبت من م، ت، ومعاني القرآن للزجّاج .

(٩) انظر كتاب معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج (٥/ ٩٢) .

وفي الصحيحين من حديث / ابن عباس قال : ما (رأيت)[١] شيئاً أشبه ٤٥ أ باللمم[٢] مما قاله أبوهريرة إن النبي ﷺ قال : « **إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فزنا العينين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك ويكذّبه** »[٣] .

وفي (الصحيحين)[٤] أيضاً عن أبي هريرة، قال : قال رسول الله ﷺ : « **كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطى، والقلب يهوى وتمنى، ويصدق الفرج ذلك كله ويكذبه** »[٥] .

---

(١) ساقطة من م .

(٢) قوله: اللمم : يعني قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ سورة النجم آية ٣٢. قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في هدي الساري مقدمة فتح الباري (ص١٨٤): وقد قيل في تفسيره خلاف ما قال ابن عباس، وهو أن يأتي بالذنب ثم لا يعاوده، وقيل : ترك الإصرار، وقيل : كل ما دون الشرك، وقيل ما لم يأت فيه حد في الدنيا ولا وعيد في الأخرى، وقيل : ما كان في الجاهلية . وقول ابن عباس أقوى، وحاصله : أنه ما دون الكبائر .

(٣) رواه البخاري (٧/ ١٣٠) ك. الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج . وفي (٧/ ٢١٤) ك. القدر، باب ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ . ومسلم (٤/ ٢٠٤٦) ك. القدر، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره . وأبوداود (٦/ ١٨٨) ك. النكاح، باب ما يؤمر به من غض البصر . والنسائي في الكبرى، ك. التفسير (٢/ ٣٥٣-٣٥٤) تفسير سورة النجم . والإمام أحمد (٢/ ٢٧٦) . والبيهقي في سننه (٧/ ٨٩) و (١٠/ ١٨٥-١٨٦) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٠/ ٢٦٨) .

(٤) في ع، د، س : الصحيح . وهو خطأ، انظر تخريج هذا الحديث .

(٥) انظر صحيح البخاري (٧/ ٢١٤) ك. القدر، باب ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ معلقاً . قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٥٠٣) : ولم أقف على هذه =

وفي صحيح البخاري وغيره عن عمران بن حصين ، قال : (دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب، فأتاه ناس من بني تميم [١] فقال : « اقبلوا (البشرى)[٢] يا بني تميم »، قالوا : قد بشرتنا فأعطنا، مرتين، ثم دخل عليه ناس من اليمن، فقال : « اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم »، قالوا : قد قبلنا يا رسول الله، قالوا : جئناك لنسألك عن هذا الأمر. قال : « كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض »، فنادى منادٍ : ذهبت ناقتك يا ابن الحصين، فانطلقت فإذا هي ينقطع دونها السراب، فوالله لوددت (أني)[٣] كنت تركتها)[٤] .

فالرب سبحانه وتعالى كتب ما يقوله وما يفعله، وما يكون بقوله وفعله، وكتب مقتضى أسمائه وصفاته وآثارها، كما في الصحيحين من حديث (أبي)[٥] الزناد[٦] (عن)[٧] الأعرج[٨] عن أبي هريرة، قال : قال رسول الله ﷺ : « لما

= الرواية موصولة . وانظر صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٧) ك. القدر، باب قدر على أن آدم حظه من الزنا وغيره . ورواه الإمام أحمد (٢/ ٣٤٣، ٣٧٩) وروايتهما موصولة .

(١) هم : بنو تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . انظر معجم قبائل العرب (١/ ١٢٦) .

(٢) في ع : بالبشرى .

(٣) في ت : أن .

(٤) سبق تخريجه في ص(٣٧٦) عند ذكر طرف منه، وهو قوله ﷺ : «كان الله ولم يكن شيء غيره» .

(٥) في م، ت : ابن . وهو خطأ .

(٦) هو : عبدالله بن ذكوان القرشي، أبوعبدالرحمن، المدني، المعروف بأبي الزناد، ثقة فقيه، من الخامسة، مات سنة ثلاثين ومائة، وقيل: بعدها، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٤١٣) وتهذيب التهذيب (٥/ ٢٠٣) .

(٧) ساقطة من م .

(٨) هو : عبدالرحمن بن هرمز الأعرج، أبوداود المدني، مولى ربيعة بن الحارث، ثقة ثبت =

قضى[١] الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق (العرش)[٢] : إن رحمتي غلبت غضبي»[٣] .

* * *

= عالم، من الثالثة، مات سنة سبع عشرة ومائة، روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٥٠١)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٩٠) .

(١) قولـه ﷺ : «**لما قضى الله الخلق**» أي : أكمله وأتمه، والمراد بالخلق هنا : خلق هذا العالم . بغية المرتاد لشيخ الإسلام ابن تيمية ص(٣٠١-٣٠٢) .

(٢) في م : عرشه .

(٣) انظر صحيح البخاري (٤/ ٧٣) ك. بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾. و(٨/ ١٦٧) ك. التوحيد، باب قوله تعالى : ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ و (٩/ ١٨٧-١٨٨) ك. التوحيد، باب قولـه تعالى : ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾. وصحيح مسلم (٤/ ٢١٠٧-٢١٠٨) ك. التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه، والنسائي في سننه الكبرى، ك. النعوت، كما في تحفة الأشراف (١٠/ ١٩٣) . والإمام أحمد (٢/ ٢٤٢، ٢٥٩) . والبيهقي في الأسماء والصفات ص(٥٠١، ٥٢٥-٥٢٦) كلهم من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً . وروى هذا الحديث من طرق أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، عند البخاري في (٨/ ١٧١) ك. التوحيد، باب قولـه تعالى : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ . وفي (٨/ ٢١٦) باب قول تعالى : ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ . ومسلم (٤/ ٢١٠٨) ك. التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه. والترمذي (٥/ ٥١٣) ك. الدعوات، باب خلق الله مائة رحمة . وابن ماجه (١/ ٦٧) المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية . وفي (٢/ ١٤٣٥) ك. الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة والإمام أحمد (٢/ ٣١٣، ٣٩٦، ٤٦٦) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٤/ ١٢)، والبغوي في شرح السنة (١٤/ ٣٧٥-٣٧٦) .

الباب الثاني عشر

في ذكر المرتبة الثالثة من مراتب القضاء والقدر وهي مرتبة المشيئة

الباب (الثاني)[1] عشر
في ذكر المرتبة الثالثة من مراتب القضاء والقدر
وهي مرتبة المشيئة

وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من / عند الله، والفطرة التي (فطر الله)[2] عليها خلقه، وأدلة ٤٥ب العقول والعيان، وليس في الوجود موجب ومقتض (على الحقيقة)[3] إلا الله وحده، فما شاء (الله)[4] كان وما لم يشأ لم يكن، هذا (عمود)[5] التوحيد الذي لا يقوم إلا به، والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وخالفهم في ذلك من ليس منهم في هذا الموضع، وإن كان منهم في موضع آخر، فجوزوا أن يكون في الوجود ما لا يشاء الله بالكلية، وأن يشاء ما لا يكون وخالف الرسل كلهم وأتباعهم من نفي مشيئة الله، ولم يثبت له سبحانه مشيئة واختياراً أوجد بها الخلق، كما يقوله طائفة من أعداء الرسل من الفلاسفة وأتباعهم. والقرآن والسنة مملوءان بتكذيب الطائفتين (كقوله)[6] تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[7] وقال

---

(١) في ع: الثالث.

(٢) في م: فطر.

(٣) ساقطة من ع، د، س.

(٤) لفظ الجلالة إضافة من م، ت.

(٥) في د، س: عموم.

(٦) في ع، د، س: فقوله.

(٧) سورة البقرة آية ٢٥٣.

تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[(١)] وقال : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[(٢)] وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ﴾[(٣)]، وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةًۖ﴾[(٤)] وقال : ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ﴾[(٥)] ، وقال : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾[(٦)]، وقال : ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾[(٧)]، وقال:﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾[(٨)]، وقال: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَۗ﴾[(٩)]، وقال : ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾[(١٠)]، وقال : ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[(١١)]، وقال عن نوح إنه قال لقومه: ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾[(١٢)]

---

(١) سورة آل عمران آية ٤٠ .

(٢) سورة الأنعام آية :١١٢ .

(٣) سورة يونس آية : ٩٩ .

(٤) سورة هود آية : ١١٨ .

(٥) سورة الأنعام آية : ٣٥ .

(٦) سورة السجدة آية : ١٣ .

(٧) سورة محمد آية : ٤ .

(٨) سورة الإسراء آية : ٨٦ .

(٩) سورة الشورى آية : ٢٤ .

(١٠) سورة النساء آية : ١٣٣ .

(١١) سورة الفتح آية : ٢٧ .

(١٢) سورة هود آية : ٣٣ .

وقال إمام الحنفاء وأبو الأنبياء لقومه : ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ﴾(١)، وقال الذبيح(٢) له: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(٣) ، وقال خطيب الأنبياء شعيب : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ﴾(٤) .

وقال الصديق الكريم ابن الكريم(٥)

---

(١) سورة الأنعام آية : ٨٠ .

(٢) وقد اختلف في تعيين الذبيح: هل هو إسماعيل أو إسحاق؟ على قولين، ذكرهما شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى. ثم قال: وفي الجملة، فالنزاع في هذه المسألة مشهور، لكن الذي يجب القطع به أنه إسماعيل، وهذا الذي عليه الكتاب والسنة والدلائل المشهورة. ثم ساق الأدلة على ذلك . انظر : الفتاوى (٤/ ٣٣١-٣٣٦) .

(٣) سورة الصافات آية : ١٠٢ .

(٤) سورة الأعراف آية : ٨٩ .

(٥) قوله : (الكريم ابن الكريم) : مقتبس من حديث رواه ابن عمر، وأبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: « **الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام** » - ورواية ابن عمر أخرجها :

- البخاري في (٤/ ١٢١) ك الأنبياء - باب ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت﴾.

- والإمام أحمد (٢/ ٩٦) .

ورواية أبي هريرة أخرجها :

- البخاري في (٤/ ١١١) كتاب الأنبياء - باب قول الله تعالى : ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ .

- وفي (٤/ ١١٩-١٢٠) باب﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت﴾.

- وفي (٤/ ١٢٢) باب قول الله تعالى : ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات =

(ابن الكريم)[١] : ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[٢] ، وقال حمو[٣] موسى : ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ / ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٤] وقال كليم الرحمن للخضر : ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾[٥] وقال قوم موسى له: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾[٦] وقال لسيد ولد آدم وأكرمهم عليه صلوات الله وسلامه عليه : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾[٧]، وقال : ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ

٤٦أ

= للسائلين﴾.

- وفي (٤/ ١٦١) ك المناقب، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية .

- وفي (٥/ ٢١٦) ك التفسير - ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾.

- والترمذي (٥/ ٢٧٣) أبواب التفسير - تفسير سورة يوسف .

- وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٣/ ٢).

(١) ساقطة من م .

(٢) سورة يوسف آية : ٩٩ .

(٣) حمو المرأة : أبو زوجها، ومن كان من قبله، والأنثى حماة، وحمو الرجل: أبو المرأة، أو أخوها، أو عمها، أو الأحماء من قبلها خاصة. القاموس المحيط (١٧٤٧) مادة (حمى): اهـ .
وحمو موسى هو الذي زوجه ابنته كما في سورة القصص. قال بعض المفسرين: إنه شعيب، ورجح المحققون أنه غيره . انظر جامع الرسائل لابن تيمية (١/ ٦١-٦٥) تحقيق د. محمد رشاد سالم، ط الثانية ١٤٠٥هـ نشر مطبعة المدني بالقاهرة (١/ ٦١-٦٥) .

(٤) سورة القصص آية : ٢٧ .

(٥) سورة الكهف آية : ٦٩ .

(٦) سورة البقرة آية : ٧٠ .

(٧) سورة الكهف آية : ٢٣-٢٤ .

لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾(١)، وقال: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾(٢)، وقال عن أهل الجنة: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾(٣) وعن أهل النار كذلك، ليبين أن الأمر راجع إلى مشيئته، ولو شاء لكان غير ذلك، وقال: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾(٤) وقال: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾(٥)، وقال: ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ﴾(٦)، وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾(٧)، وقال: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾(٨)، وقال: ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٩)، وقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(١٠)، وقال: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾(١١)، وقال: ﴿وَلَٰكِن

---

(١) سورة يونس آية: ٤٩ .

(٢) سورة الأعلى آية: ٦-٧ .

(٣) سورة هود آية: ١٠٨ .

(٤) سورة الإسراء آية: ٥٤ .

(٥) سورة آل عمران آية: ١٢٩، وسورة المائدة آية ١٨ .

(٦) سورة الشورى آية: ٢٧ .

(٧) سورة الإسراء آية: ٣٠ .

(٨) سورة الرعد آية: ٣٩ .

(٩) سورة الأنعام آية: ٣٩ .

(١٠) سورة إبراهيم آية: ٤ .

(١١) سورة إبراهيم آية: ٢٧ .

جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[١]، وقال: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٢] ، وقال : ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٣]، وقال: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾[٤]، وقال: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾[٥]، وقال: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[٦] وفي الآية الأخرى ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[٧].

٤٦ب فأخبر / أن مشيئتهم وفعلهم (موقوفان)[٨] على مشيئته لهم هذا وهذا. وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[٩]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١٠] ، وقال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾[١١] وقوله : ﴿يَخْتَصُّ

---

(١) سورة الشورى آية : ٥٢ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٤٢ .

(٣) سورة البقرة آية : ٢١٣ .

(٤) سورة يونس آية: ١٦ .

(٥) سورة الإنسان آية : ٢٨ .

(٦) سورة المدثر آية : ٥٦ .

(٧) سورة الإنسان آية : ٣٠ .

(٨) في م : مترتب .

(٩) سورة آل عمران آية : ٢٦ .

(١٠) سورة يونس آية : ٢٥ .

(١١) سورة الأحزاب آية : ٢٤ .

بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾[٣]، وقوله: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾[٤] وقوله: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾[٥] وقوله: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[٨] وقوله: ﴿فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ﴾[٩]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾[١٠]، وقوله: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾[١١]، وقوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾[١٢] وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾[١٣]، وقوله: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ﴾[١٤] وقوله: ﴿لَوْ

---

(١) سورة آل عمران آية: ٧٤.

(٢) سورة النور آية: ٢١.

(٣) سورة البقرة آية: ٢٦١.

(٤) سورة يوسف آية: ٥٦.

(٥) سورة يوسف آية: ٧٦.

(٦) سورة الجمعة آية: ٤.

(٧) سورة إبراهيم: آية ١١.

(٨) سورة الروم آية: ٤٨.

(٩) سورة يوسف آية: ١١٠.

(١٠) سورة يوسف آية: ١٠٠.

(١١) سورة البقرة آية: ٢٦٩.

(١٢) سورة يس آية: ٦٦.

(١٣) سورة البقرة آية ٢٠.

(١٤) سورة الشورى آية: ٣٣.

نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾[١]، وقوله: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾[٢] وقوله: ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾[٣]، وقوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾[٤] وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾[٥]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ﴾[٦] وقوله عن كليمه موسى (إنه قال)[٧] ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾[٨].

وهذه (الآيات)[٩] ونحوها تتضمن الرد على طائفتي الضلال: نفاة المشيئة بالكلية، ونفاة مشيئة أفعال العباد وحركاتهم وهداهم وضلالهم، وهو سبحانه تارة يخبر أن كل ما في الكون بمشيئته، وتارة (أن)[١٠] ما لم يشأ لم يكن، وتارة أنه لو شاء لكان خلاف الواقع، وأنه لو شاء لكان خلاف (القدر)[١١] الذي قدره وكتبه، وأنه لو شاء (لما عصي)[١٢]، وأنه لو شاء لجمع

---

(١) سورة الواقعة آية : ٦٥ .

(٢) سورة الواقعة آية ٧٠ .

(٣) سورة التوبة آية : ٢٨ .

(٤) سورة الأنعام آية : ١٣٣ .

(٥) سورة البقرة آية : ٢٢٠ .

(٦) سورة الشورى آية : ١٣ .

(٧) ساقطة من ع، د، س .

(٨) سورة الأعراف آية : ١٥٥ .

(٩) في ع : الآية .

(١٠) في م : وأن .

(١١) في م : المقدر .

(١٢) في ع، د، س : ما عصى .

خلقه على الهدى وجعلهم أمة واحدة .

فتضمن ذلك أن الوقع بمشيئته، وأن ما لم يقع فهو لعدم مشيئته، وهذا حقيقة الربوبية، (وهو)[١] معنى كونه رب العالمين، وكونه القيوم القائم بتدبيره عباده، فلا خلق ولا رزق ولا عطاء ولا منع ولا قبض ولا بسط ولا موت ولا حياة ولا / إضلال ولا هدى ولا سعادة ولا شقاوة إلا (من)[٢] بعد إذنه، وكل ذلك بمشيئته وتكوينه، إذ لا مالك غيره، ولا مدبر سواه، ولا رب غيره، قال تعالى : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾[٣] وقال : ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾[٤] وقال : ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[٥] وقال : ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾[٦] وقال:﴿يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[٧] .

١٤٧ أ

(وقد)[٨] تقدم (في)[٩] حديث حذيفة بن أسيد في صحيح مسلم في شأن الجنين: (**فيقضي ربك ما يشاء ويكتب الملك**)[١٠] .

---

(١) في ت : وهي .

(٢) ساقطة من ع، د، س .

(٣) سورة القصص آية : ٦٨ .

(٤) سورة الحج آية : ٥ .

(٥) سورة الانفطار آية : ٨ .

(٦) سورة الشورى آية : ٤٩-٥٠ .

(٧) سورة النور آية : ٣٥ .

(٨) ساقطة من ع، د، س .

(٩) في م : من .

(١٠) انظر : ص (٢٣٧) .

وفي (الصحيحين)[١] من حديث أبي موسى[٢] عن النبي ﷺ: «اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه (ما شاء)»[٣][٤].

وفي صحيح البخاري من حديث علي بن أبي طالب حين طرقه النبي ﷺ وفاطمة ليلاً، فقال: «ألا تصليان»؟ فقال علي: إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء

---

(١) في ع، د، س: صحيح البخاري. وهو خطأ. انظر تخريج الحديث.

(٢) سبقت ترجمته ص (١٧٥).

(٣) في ع، د، س: ما يشاء.

(٤) وأوله: كان رسول الله ﷺ إذا أتاه السائل - وربما - قال: جاءه السائل، أو صاحب الحاجة، قال: «اشفعوا فلتؤجروا ..» إلخ. وهذا الحديث رواه البخاري في المواضع التالية:

- (٢/ ١١٨) ك الزكاة - باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها.
- (٧/ ٨٠) ك الأدب - باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً.
- (٧/ ٨٠) ك الأدب - باب قوله تعالى: ﴿من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها﴾.
- (٨/ ١٩٣) ك التوحيد - باب في المشيئة والإرادة.

- ورواه مسلم (٤/ ٢٠٢٦) ك البر والصلة والآداب - باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام. ولفظه: «وليقضي الله على لسان نبيه ما أحب». وأبو داود (١٤/ ٤٠-٩٤١) ك الأدب - باب في الشفاعة. والترمذي (٥/ ٤) ك العلم - باب ما جاء: الدال على الخير كفاعله. وقال: حديث حسن صحيح. والنسائي (٥/ ٧٧-٧٨) ك الزكاة - باب الشفاعة في الصدقة. والإمام أحمد (٤/ ٤٠٠، ٤٠٩، ٤١٣). والحميدي في مسنده (٢/ ٣٤٠). وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: (٢/ ٢٨٤-٢٨٨). وأبو يعلى في مسنده (١٣/ ٢٨٠). والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٣٦٣).

أن (يبعثها بعثها[1])[2] .

وفي صحيحه أيضاً في قصة نومهم في الوادي عنه ﷺ : « إن الله قبض أرواحكم حين شاء، وردها حين شاء »[3] .

وفي حديث ابن مسعود الذي في المسند وغيره في قصة رجوعهم من

---

(١) في م ، ع، د، س : يبعثنا بعثنا . وقد سبقت الإشارة إلى هذا الاختلاف بين النسخ في ص (٢٢٨) .

(٢) سبق تخريجه في ص (٢٢٨) .

(٣) هذا الحديث من رواية أبي قتادة رضي الله عنه قال: سرنا مع النبي ﷺ ليلة، فقال بعض القوم : لو عرست بنا يا رسول الله. قال : « أخاف أن تناموا عن الصلاة » قال بلال: أنا أوقظكم . فاضطجعوا وأسند بلال ظهره إلى راحلته فغلبته عيناه فنام، فاستيقظ النبي ﷺ وقد طلع حاجب الشمس، فقال: يا بلال، أين ما قلت؟ قال: ما ألقيت علي نومة مثلها قط. قال: « إن الله قبض أرواحكم حين شاء ، وردها عليكم حين شاء. يا بلال قم فأذن بالناس بالصلاة ». فتوضأ، فلما ارتفعت الشمس وابياضت قام فصلى. والحديث رواه البخاري (١/ ١٤٧) ك. مواقيت الصلاة – باب الأذان بعد ذهاب الوقت. وفي (٨/ ١٩٢) ك التوحيد – باب في المشيئة والإرادة. ورواه أبوداود (٢/ ١١٢-١١٣) ك الصلاة – باب من نام عن الصلاة أو نسيها. والنسائي (٢/ ١٠٦) ك الإمامة – باب الجماعة للفائت من الصلاة. والنسائي أيضاً في الكبرى ك. التفسير (٢/ ٢٣٣-٢٣٤) تفسير سورة الزمر. وفي ك الصلاة . كما في تحفة الأشراف للمزي (٩/ ٢٤٨). وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٦٦). والإمام أحمد (٥/ ٣٠٧) . والبيهقي في السنن (١/ ٤٠٣) و(٢/ ٢١٦) والبغوي في شرح السنة (٢/ ٣٠٧) وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٤/ ٤٤٨) . والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٤٠١) تحقيق محمد زهري النجار. ط الأولى ١٣٩٩هـ ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت .

الحديبية، ونومهم عن صلاة الصبح، فقال النبي ﷺ : **« إن الله لو شاء لم تناموا عنها، ولكن أراد أن تكون لمن بعدكم، فهذا لمن نام أو نسي »**[(١)] .

وفي لفظ آخر : **« إن الله سبحانه لو شاء أيقظنا، ولكنه أراد أن تكون لمن بعدكم »**[(٢)] .

وفي مسند الإمام أحمد عن طفيل[(٣)] بن سخبرة - أخي عائشة لأمها - أنه رأى فيما يرى النائم كأنه مر برهط من اليهود، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن اليهود. قال إنكم أنتم القوم لولا أنكم تزعمون أن (عزيراً)[(٤)] ابن الله . فقالت: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مر برهط من النصارى، فقال: من أنتم ؟ قالوا : نحن النصارى، قال: إنكم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، قالوا: وأنتم القوم، لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبح أخبر بها من أخبر، ثم أتى / النبي ﷺ فأخبره، (فقال)[(٥)]: **« (هل)[(٦)] أخبرت أحداً »**؟ قال: نعم . فلما صلوا خطبهم، فحمد

٤٧ب

(١) انظر المسند للإمام أحمد (١/ ٣٨٦، ٣٩١، ٤٦٤) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح. المسند بتحقيقه (٥/ ٢٦٥،٢٤٠) . ورواه البزار كما في كشف الأستار (١/ ٢٠٢-٢٠٣) والبيهقي في دلائل النبوة (٤/ ١٥٥-١٥٦) .

(٢) رواه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات ص (١٨١) .

(٣) هو : الطفيل بن سخبرة، ويقال ابن عبد الله بن الحارث بن سخبرة: بفتح المهملة وسكون معجمة، ثم موحدة، أخو عائشة رضي الله عنها لأمها، أمها أم رومان. صحابي له حديث، روى له ابن ماجه. تقريب التهذيب (١/ ٣٧٨) انظر تهذيب التهذيب (٥/ ١٤) وأسد الغابة (٢/ ٤٥٩) .

(٤) في م : عزير . وهو خطأ .

(٥) ساقطة من ت .

(٦) ساقطة من ع، د ، س .

الله وأثنى عليه (ثم قال)[١] : «إن طفيلاً رأى رؤيا، فأخبر بها من أخبر منكم، وأنكم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم»[٢] - زاد البيهقي - « فلا تقولها، ولكن قولوا ما شاء الله وحده لا شريك له »[٣] .

وروى جعفر[٤] (بن)[٥] عون، عن الأجلح[٦] عن يزيد بن الأصم[٧] عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ (فكلمه)[٨] في بعض الأمر. فقال الرجل لرسول الله ﷺ : ما شاء الله وشئت. فقال رسول الله ﷺ : «أجعلتني

---

(١) في ع، د، س : فقال .

(٢) انظر المسند (٥/ ٧٢) . ورواه ابن ماجه (١/ ٦٨٥) ك الكفارات - باب النهي أن يقال: ما شاء الله وشئت. والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٣٨٨-٣٨٩) .

(٣) انظر كتاب الأسماء والصفات ص (١٨١) . ودلائل النبوة (٧/ ٢٢) .

(٤) صدوق سبقت ترجمته في ص (١٨٥) .

(٥) في عن د، س : عن .

(٦) هو: يحيى بن عبد الله، أبو حجية الكندي الأجلح الكوفي الشيعي، روى عن الشعبي وجماعة ، وعنه شعبة ، وعلي بن مسهر، وطائفة . قال ابن عدي: هو عندي صدوق إلا أنه يعد في الشيعة، وهو مستقيم الحديث. وقال ابن معين: لا بأس به، وقال أبوحاتم : لا يحتج به ، ليس بقوي. ميزان الاعتدال (٤/ ٣٨٨) والكامل لابن عدي (١/ ٤١٩).

(٧) يزيد بن الأصم، واسمه عمرو بن عبيد بن معاوية البكائي، بفتح الموحدة والتشديد، أبو عوف ، كوفي نزل الرقة، وهو ابن أخت ميمونة أم المؤمنين، يقال : له رؤية، ولا يثبت، وهو ثقة، من الثالثة، مات سنة ثلاث ومائة، روى له البخاري في الأدب المفرد، ومسلم والأربعة . تقريب التهذيب (٢/ ٣٦٢) وانظر تهذيب التهذيب (١١/ ٣١٣-٣١٤) .

(٨) في م ، ع، د، س : يكلمه . وبكل منهما روي الحديث .

لله عدلاً[١] بل ما شاء الله وحده»[٢] .

وروى (شعبة)[٣] عن منصور[٤] عن عبد الله بن يسار[٥] عن حذيفة عن النبي ﷺ قال : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان »[٦] .

---

(١) العِدْل والعَدْل – بالكسر والفتح – وهما بمعنى المثل والنظير. قيل: هو بالفتح ما عادله من جنسه، وبالكسر ما ليس من جنسه، وقيل : بالعكس. النهاية لابن الأثير (٣/ ١٩١) ومنال الطالب له – أيضاً ص (٢٦٩) تحقيق د. محمود الطناحي نشر جامعة أم القرى. وغريب الحديث للخطابي (١/ ١٩٥) تحقيق د. عبد الكريم العزباوي، نشر جامعة أم القرى سنة ١٤٠٢هـ .

(٢) رواه الإمام البخاري في كتاب الأدب المفرد (ص٢٧٤) . وابن أبي شيبة في مصنفه (٩/ ١١٧-١١٨) ك الأدب – باب في الرجل يقول: ماشاء الله وشاء فلان. والنسائي في عمل اليوم والليلة ص(٥٤٥-٥٤٦) . والإمام أحمد (١/ ٢١٤-٣٤٧) وقال أحمد شاكر : وإسناده صحيح وقد وثق الأجلح. انظر المسند بتحقيقه (٣/ ٢٥٣) ، (٥/ ٨٥) . ورواه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٩٩) . والبيهقي في الأسماء والصفات ص(١٨٢) . وابن ماجة (١/ ٦٨٤) بمعناه في ك الكفارات – باب النهي أن يقال: ما شاء الله وشئت. وابن عدي في الكامل (١/ ٤١٩) . في ترجمة الأجلح، وقال : وهو عندي مستقيم الحديث صدوق. وذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١١/ ٥٤٠).

(٣) في ع، د، س : سعيد . وما أثبته من م ، ت، وهو المطابق لما في المسند .

(٤) هو : منصور بن المعتمر، ثقة ثبت ، مضت ترجمته في ص (١٨٩) .

(٥) هو : عبد الله بن يسار الجهني ، الكوفي، ثقة ، من كبار الثالثة، روى له أبو داود والنسائي . تقريب التهذيب (١/ ٤٦٢) وانظر تهذيب التهذيب (٦/ ٨٤-٨٥) .

(٦) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٩/ ١١٧) . والإمام أحمد (٥/ ٣٨٤، ٣٩٤، ٣٩٨) وأبو داود (١٣/ ٣٢٦) ك الأدب. والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص٥٤٤) .

قال الشافعي : في رواية الربيع [١] عنه : المشيئة إرادة الله. (قال الله)[٢] عز وجل : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[٣] فأعلم الله خلقه أن المشيئة له: دون خلقه، وأن مشيئتهم لا تكون إلا أن يشاء (الله)[٤] فيقال لرسول الله ﷺ: ما شاء الله ثم شئت، ولا يقال : ما شاء الله وشئت .

قال: ويقال : من يطع الله ورسوله. فإن الله تعبد العباد بأن فرض عليهم طاعة رسوله، فإذا أطيع رسول الله ﷺ فقد أطيع الله بطاعة رسوله[٥] .

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو: عن النبي ﷺ « قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها كيف يشاء »، ثم قال رسول الله ﷺ : « يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك »[٦] .

---

(١) هو : الربيع بن سليمان بن عبد الجبار المرادي، أبو محمد المصري، المؤذن، صاحب الشافعي، ثقة، من الحادية عشرة، مات سنة مائتين وسبعين، وله ست وتسعون سنة. روى له أبو داود والنسائي وابن ماجه. تقريب التهذيب (١/ ٢٤٥) وانظر تهذيب التهذيب (٣/ ٢٤٥-٢٤٦) .

(٢) ما بين القوسين ساقط من د .

(٣) سورة الإنسان آية : ٣٠ .

(٤) لفظ الجلالة لم يرد في نسخة ت .

(٥) رواه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات ص (١٨٢) .

(٦) انظر صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٥) ك القدر - باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء . ورواه النسائي في الكبرى ك النعوت كما في تحفة الأشراف (٦/ ٣٥١)، والإمام أحمد (٢/ ١٦٨، ١٧٣) . والآجري في الشريعة ص (٣١٦) . والبيهقي في الأسماء والصفات ص (١٤٧) وفي كتاب القدر ص (١٨٣) وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٠٠) وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣/ ١٨٤) .

وفي حديث النواس بن سمعان[١] سمعت النبي ﷺ يقول : « **ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه**»، وكان رسول الله ﷺ يقول : « **اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، والميزان بيد الرحمن يرفع/ أقواماً ويخفض آخرين إلى يوم القيامة** »[٢] . ٤٨أ

وفي الصحيحين[٣] من حديث عبد الله بن (عمر)[٤] سمعت النبي ﷺ

(١) هو : النواس – بتشديد الواو ثم المهملة – ابن سمعان بن خالد الكلابي، أو الأنصاري، صحابي مشهور سكن الشام . روى له البخاري في الأدب المفرد، وروى له مسلم والأربعة . تقريب التهذيب (٢/ ٣٠٨) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٤٨٠-٤٨١) وأسد الغابة (٤/ ٥٩١) .

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى – ك النعوت كما في تحفة الأشراف (٩/ ٦١) . وابن ماجه في سننه (١/ ٧٢) المقدمة – باب فيما أنكرت الجهمية. والإمام أحمد في مسنده (٤/ ١٨٢) . والحاكم في المستدرك (١/ ٥٢٥) و(٤/ ٣٢١) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجـاه ، ووافقه الذهبي ، ورواه – أيضاً – في (٢/ ٢٨٩) وقال : صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي . ورواه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات ص (١٨٨) . وفي كتاب القدر ص ١٨٣ وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣/ ٢٢٢-٢٢٣) . وابن خزيمة في كتاب التوحيد ص (١/ ١٨٩) . وابن منده في الرد على الجهمية (ص٨٧) وقال: إنه حديث ثابت رواه الأئمة المشاهير ممن لا يمكن الطعن على واحد منهم . ورواه الآجري في الشريعة ص ٣١٧ .

(٣) لم أعثر على هذا الحديث في صحيح مسلم، وذلك بعد البحث عنه في مظانه منه، وفي كتب تخريج الحديث وفهارسه .

(٤) في ع، د، س : عمرو ، وهو خطأ . والصواب ما أثبت .

وهو قائم على المنبر يقول : « **إنما بقاؤكم فيما** [١] **سلف من الأمم قبلكم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس** ..» (فذكر)[٢] الحديث[٣] وقال في آخره : « **فذلك فضلي أوتيه من أشاء**»[٤] .

---

(١) قوله: «**إنما بقاؤكم فيما سلف** ..» إلخ قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢/ ٣٩) : معناه: أن نسبة مدة هذه الأمة إلى مدة من تقدم من الأمم مثل ما بين صلاة العصر وغروب الشمس إلى بقية النهار، فكأنه قال: إنما بقاؤكم بالنسبة إلى ما سلف ...إلخ، وحاصله أن (في) بمعنى (إلى) وحذف المضاف وهو لفظ نسبه .

(٢) في ع، د، س ك وذكر .

(٣) وتمامه: «... **أعطي أهل التوراة التوارة، فعملوا بها حتى انتصف النهار، ثم عجزوا، فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أعطي أهل الأنجيل الأنجيل، فعملوا به حتى صلاة العصر ثم عجزوا، فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أعطيتم القرآن، فعملتم به حتى غروب الشمس، فأعطيتم قيراطين قيراطين. قال أهل التوراة : ربنا هؤلاء أقل أعمالاً وأكثر أجراً. قال: هل ظلمتكم من أجركم من شيء ؟ قالوا لا. فقال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء** » .

(٤) انظر صحيح البخاري (٨/ ١٩١) ك التوحيد – باب في المشيئة والإرادة . و(٨/ ٢١١) ك التوحيد – باب قول الله تعالى : ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها﴾ وقول النبي ﷺ : « **أعطي أهل التوراة التوراة فعملوا بها** ...» و(١/ ١٣٩) ك مواقيت الصلاة – باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب. و(٦/ ١٠٧) ك فضائل القرآن – باب فضل القرآن على سائر الكلام. و(٣/ ٤٩-٥٠) ك الإجارة – باب الإجارة إلى نصف النهار. و(٣/ ٥٠) ك الإجارة – باب الإجارة إلى صلاة العصر. و(٤/ ١٤٥) ك الأنبياء – باب ما ذكر عن بني إسرائيل .ورواه الترمذي (٥/ ١٤١) ك الأمثال- باب ما جاء في مثل ابن آدم وأجله وأمله. وقال : حديث حسن صحيح. والإمام أحمد (٢/ ٦، ١١١، ١٢٩) وابن حبان في صحيحه، كما الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان(١٥/ ١٠) و(١٦/ ٢٠٥) والطيالسي في مسنده (ص٢٥٠). والبيهقي في =

وفي صحيح البخاري مرفوعاً : **« مثل الكافر كمثل الأَرْزَة[1] صَمَّاء معتدلة، يقصمها الله إذا شاء »**[2] .

السنن الكبرى (٦/ ١١٨) وفي كتاب الأسماء والصفات ١٨٨، وأبو يعلى في مسنده (٩/ ٣٤٣، ٤١٧). (١٠/ ٢٠٨-٢٠٩) .

(١) الأَرْزَة ـ بفتح أوله وسكون ثانيه بعدها زاي ـ : هي شجرة قوية عظيمة، وهي من أشجار الأحراج، من فصيلة الصنوبريات، يشتهر بصلابة خشبة وجودته، وهو على أنواع كثيرة، أشهرها أرز لبنان والأطلس وأرز جبال هملايا. انظر: هدي الساري مقدمة فتح الباري ص (٧٧) . والنهاية لابن الأثير (١/ ٣٨) والمنجد في اللغة والأعلام ص (٨) في طبعته التاسعة والعشرين، نشر دار المشرق، بيروت .

(٢) انظر صحيح البخاري (٨/ ١٩١) ك التوحيد – باب في المشيئة والإرادة. ورواه أيضاً في (٧/ ٣) ك المرضى – باب ما جاء في كفارة المرض . وفيه الفاجر بدل الكافر. وهذا الحديث من رواية أبي هريرة رضي الله عنه وأوله قال رسول الله ﷺ : **« مثل المؤمن كمثل خامة الزرع يفيء ورقه من حيث أتتها الريح تُكفئها فإذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء، ومثل الكافر ...»** إلخ . ورواه أيضاً – مسلم (٤/ ٢١٦٣) ك صفات المنافقين وأحكامهم – باب مثل المؤمن كالزرع، ومثل الكافر كشجرة الأرز. والترمذي (٥/ ١٣٨-١٣٩) ك الأمثال – باب ما جاء في مثل المؤمن القارئ للقرآن وغير القارئ. والإمام أحمد (٢/ ٢٣٤، ٢٨٣، ٢٨٤، ٥٢٣). وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٧/ ١٧٨) . والبغوي في شرح السنة: (٥/ ٢٤٦-٢٤٧). ورواه البخاري – أيضاً – في (٧/ ٢) ك المرضى – باب ما جاء في كفارة المرض، من رواية عبد الله بن كعب عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: **«مثل المؤمن كالخامة من الزرع، تفيئها الريح مرة، وتعدلها مرة، ومثل المنافق كالأرزة لا تزال حتى يكون انجعافها مرة واحدة»**. ومسلم (٤/ ٢١٦٣-٢١٦٤) ك صفات المنافقين وأحكامهم – باب مثل المؤمن كالزرع، ومثل الكافر كشجر الأرز. والبيهقي في الأسماء والصفات (١٨٩) . والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٢٨٢) .

قال (عبد الرزاق[١])[٢]: عن معمر[٣] عن همام[٤]: هذا ما حدثنا أبوهريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « **قال الله تبارك وتعالى: لا يقل ابن آدم: يا خيبة الدهر فإني أنا الدهر[٥] أرسل الليل والنهار فإذا شئت قبضتهما** »[٦].

---

(١) في م: عبد الله الرزاق وهو سهو من الناسخ.

(٢) هو: عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، مولاهم، أبو بكر الصنعاني، ثقة حافظ مصنف شهير، جامع المصنف وغيره، عمي بأخرة فتغير، وكان يتشيع، من التاسعة، مات سنة إحدى عشرة ومائتين، وله خمس وثمانون سنة. روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٥٠٥) وتهذيب التهذيب (٦/ ٣١٠) وسير أعلام النبلاء (٩/ ٥٦٣-٥٨٠).

(٣) هو: معمر بن راشد، الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن، ثقة ثبت فاضل، إلا أن في روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيئاً. وكذا فيما حدث به بالبصرة، من كبار السابعة، مات سنة أربع وخمسين ومائة، وهو ابن ثمان وخمسين سنة. روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ٢٦٦) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢٤٣ -٢٤٦).

(٤) هو: همام بن منبه بن كامل الصنعاني، أبو عتبة، أخو وهب، ثقة، من الرابعة، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة على الصحيح. روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ٣٢١) وتهذيب التهذيب (١١/ ٦٧).

(٥) معنى قوله: (أنا الدهر): أي: مالكه ومصرفه. غريب الحديث للخطابي (١/ ٤٩٠).

(٦) رواه عبد الرازق في تفسيره (٢/ ٢١٢-٢١٣) تفسير سورة الجاثية. ورواه أيضاً في مصنفه (١١/ ٤٣٦) من طريق آخر. ورواه الإمام أحمد (٢/ ٣١٨) في صحيفة همام ابن منبه. وابن جرير في تفسيره (٢٥/ ١٥٣). ومسلم ((٤/ ١٧٦٢) ك الألفاظ من الأدب وغيرها ـ باب النهي عن سب الدهر، من طريق معمر عن الزهري عن، سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة. والإمام مالك بنحوه في الموطأ ص (٦٠٩) ك الكلام – باب ما يكره من الكلام. والبخاري بنحوه في (٧/ ١١٥) ك الأدب – باب =

قال الشافعي : تأويله – والله أعلم – أن العرب كان شأنها أن تذم الدهر وتسبه عند المصائب التي تنزل بهم من موت أو هرم أو تلف أو غير ذلك، فيقولون: إنما يهلكنا الدهر، وهو الليل والنهار، ويقولون : أصابتهم قوارع الدهر، وأبادهم الدهر، فيجعلون الليل والنهار (اللذين)[١] يفعلان الأشياء، فيذمون الدهر بأنه الذي يفنيهم ويفعل بهم، فقال رسول الله ﷺ : « **لا تسبوا الدهر** » على أنه (الذي)[٢] يفنيكم، والذي يفعل بكم هذه الأشياء، فإنكم إذا سببتم فاعل هذه الأشياء، فإنما تسبون الله تبارك وتعالى، فإنه فاعل هذه الأشياء[٣] .

وفي حديث أنس يرفعه : « **اطلبوا الخير دهركم كله، وتعرضوا لنفحات رحمة الله ؛ فإن لله عز وجل (نفحات)[٤] من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، وسلوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم** »[٥] .

= لا تسبوا الدهر. وفي (٦/ ٤١) ك التفسير – تفسير سورة الجاثية. والإمام أحمد (٢/ ٢٥٩، ٢٧٢، ٢٧٥، ٣٩٤) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٣/ ٢٣-٢٤) .

(١) ساقطة من ع، د، س .

(٢) ساقطة من م ، ت .

(٣) رواه البيهقي في الأسماء والصفات ص (١٩٠-١٩١) .

(٤) في ع، د، س : سحائب .

(٥) رواه القضاعي في مسند الشهاب (١/ ٤٠٧-٤٠٨) . والبيهقي في الأسماء والصفات ص(١٩١) . وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٦٢) . والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٢٣) . كلهم من طريق عيسى بن موسى بن إياس بن بكير عن صفوان بن سليم، عن أنس مرفوعاً. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٣١) وقال: رواه الطبراني وإسناده رجاله رجال الصحيح غير عيسى بن موسى بن إياس بن البكير =

وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت، قال: كنا عند النبي ﷺ فقال: **«تبايعوني على أن لا تشركوا شيئاً ولا تزنوا، ولا تسرقوا، فمن وفّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب في ذلك شيئاً فعوقب به، فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله، فهو إلى الله: إن شاء / عذبه، وإن شاء غفر له»**(١) . ٤٨ب

= هو ثقة، وقال الألباني: هذا إسناد ضعيف، رجاله ثقات غير عيسى بن موسى، فقال ابن أبي حاتم سئل أبي عنه، فقال: ضعيف. وأما ابن حبان فذكره في الثقات. وهو عمدة الهيثمي في قوله . ثم إن في الحديث انقطاعاً بين صفوان وأنس. فقد قال أبو حاتم: لم يرَ صفوان أنساً، ولا تصح روايته عنه، وقال أبو داود: لم ير أحداً من الصحابة، إلا أبا أمامة وعبد الله بن بسر، لكن الحديث عندي حسن. ثم ذكر شواهده. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٥١٢) .

(١) انظر صحيح البخاري في المواضع التالية :

- (١/ ١٠) ك الإيمان – باب (١١) .(٦/ ٦١) ك التفسير – تفسير سورة الممتحنة.
- (٨/ ١٥) ك الحدود – باب الحدود كفارة .
- (٨/ ١٨) ك الحدود – باب توبة السارق .
- (٨/ ١٢٥) ك الأحكام – باب بيعة النساء .
- (٨/ ١٩١) ك التوحيد – باب في المشيئة والإرادة .

وصحيح مسلم (٣/ ١٣٣٣) ك الحدود – باب الحدود كفارات لأهلها. ورواه الترمذي (٤/ ٣٦) ك الحدود – باب ما جاء في أن الحدود كفارة لأهلها. وقال: حديث حسن صحيح. ونقل عن الشافعي أنه قال: لم أسمع في هذا الباب أن الحدود تكون كفارة لأهلها شيئاً أحسن من هذا الحديث. ورواه النسائي (٧/ ١٤١-١٤٢) ك البيعة – باب البيعة على الجهاد. وفي (٧/ ١٤٨) ك البيعة – باب البيعة على فراق المشرك. وفي (٧/ ١٦١-١٦٢) ك البيعة – ثواب من وفّى بما بايع عليه. وفي (٨/ ١٠٨-١٠٩) ك الإيمان وشرائعه – باب البيعة على الإسلام . وعزاه المزي في تحفة الأشراف =

وفيهما أيضاً (في)[1] حديث احتجاج الجنة والنار قول الله للجنة : « **أنت رحمتي أرحم بك من أشاء، وللنار : أنت عذابي أعذب بك من أشاء** »[2] .

= (٤/ ٢٥٣) إلى النسائي في السنن الكبرى – كتاب الرجم. ورواه النسائي أيضاً في كتاب التفسير من سننه الكبرى(٢/ ٤١٩-٤٢٠) تفسير سورة الممتحنة. ورواه الدارمي في سننه (٢/ ١٣٩) ك السير – باب في بيعة النبي ﷺ . ورواه البيهقي في الأسماء والصفات (ص٢٠١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ١٣٩) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن مردويه وابن المنذر .

(١) في د، س : من .

(٢) هذ الحديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه. وأخرجه : البخاري (٦/ ٤٤٨) ك التفسير – تفسير سورة ق. وفي (٨/ ١٨٦-١٨٧) ك التوحيد – باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ . ومسلم (٤/ ٢١٨٦-٢١٨٧) ك الجنة وصفة نعيمها وأهلها – باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء. والنسائي في سننه الكبرى – ك التفسير (٢/ ٣٢٨) تفسير سورة ق . والإمام أحمد (٢/ ٣١٤، ٤٥٠، ٥٠٧) وابن جرير الطبري في تفسيره (٢٦/ ١٧٠) والبيهقي في الأسماء والصفات ص (٢٠١) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٠٢) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه. وفي الباب عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عند البخاري (٧/ ٢٢٤-٢٢٥) ك الإيمان والنذور – باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته. ومسلم (٤/ ٢١٨٧-٢١٨٨) ك الجنة وصفة نعيمها وأهلها – باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء. والترمذي (٥/ ٣٦٤) ك التفسير – تفسير سورة ق . وقال : حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. والإمام أحمد (٣/ ٢٣٤) ، وابن جرير الطبري في تفسيره (٢٦/ ١٧١) ، وأبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني في كتاب البعث ص (٥٣) تحقيق محمد السعيد زغلول، ط الأولى ١٤٠٧هـ ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت. وذكره السيوطي في الدر المنثور =

(وفيهما)[(١)] أيضاً من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ : « **لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، وارحمني إن شئت، وارزقني إن شئت، ليعزم مسألته، إنه يفعل ما يشاء لا مكره له** »[(٢)] .

وفي صحيح مسلم عنه يرفعه : « **المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن**

= (٧/ ٦٠٢) وزاد نسبته إلى ابن مردويه. وفي الباب – أيضاً – عن أبي سعيد الخدري، عند مسلم (٤/ ٢١٨٧) ك الجنة وصفة نعيمها وأهلها – باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء . والإمام أحمد (٣/ ١٣، ٧٨) .

(١) في ع، د، س : وفيه .

(٢) رواه البخاري (٧/ ١٥٣) ك الدعوات – باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له. وفي (٨/ ١٩٣) ك التوحيد – باب في المشيئة والإرادة. ورواه مسلم (٤/ ٢٠٦٣) ك الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. باب العزم بالدعاء، ولا يقل إن شئت. وأبو داود (٤/ ٣٥٦) أبواب الوتر – باب الدعاء. والترمذي (٥/ ٤٩١) ك الدعوات ـ باب العزم في المسألة. وقال: حديث حسن صحيح. والنسائي في عمل اليوم والليلة ص(٣٨٧-٣٨٨) باب النهي أن يقول الرجل: اللهم ارحمني إن شئت، وباب النهي أن يقول الرجل: اللهم اغفر لي إن شئت. وابن ماجه (٢/ ١٢٦٧) ك الدعاء – باب لا يقول الرجل: اللهم اغفر لي إن شئت. والإمام مالك في الموطأ ص (١٤٩) ك القرآن – باب ما جاء في الدعاء. وأحمد في المسند (٢/ ٢٤٣، ٣١٨، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٨٦، ٥٠٠) وعبد الرزاق في المصنف (١٠/ ٤٤١) . وأبو يعلى في مسنده (١١/ ٣٨١) والبغوي في شرح السنة (٥/ ١٩٢-١٩٤) . وفي الباب عن أنس عند البخاري (٧/ ١٥٣) ك الدعوات ـ باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له. وعند مسلم (٤/ ٢٠٦٣) ك الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار – باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت. وعند النسائي في عمل اليوم الليلة ص(٣٨٨) باب النهي أن يقول الرجل: اللهم اغفر لي إن شئت .

الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»(١).

في حديث أبي ذر: «يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته». الحديث، وفي آخره: «ذلك بأني جواد (ماجد)(٢) أفعل ما أشاء، عطائي كلام، فإذا أردت شيئاً، فإنما أقول له: كن، فيكون»(٣).

وفي حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ: «ما أنعم الله على عبد من نعمة:

---

(١) سبق تخريجه في ص (٢٣٠).

(٢) ساقطة من ع، د، س.

(٣) هذا طرف من حديث قدسي طويل، رواه أبو ذر عن النبي ﷺ، فيما رواه عن ربه تبارك وتعالى، وأوله: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ...» الحديث. أخرجه مسلم في (٤/ ١٩٩٤-١٩٩٥) ك البر والصلة والآداب - باب تحريم الظلم. والبخاري في الأدب المفرد ص(١٧٢) باب الظلم ظلمات، والترمذي (٤/ ٥٦٦-٥٦٧) ك صفة القيامة والرقائق والورع، وقال: هذا حديث حسن. وابن ماجه (٢/ ١٤٢٢) ك الزهد - باب ذكر التوبة. والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٤١) وقال الذهبي: هو في مسلم. وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ١٨٢). والبيهقي في الأسماء والصفات ص (٢٧٦). وفي كتاب القدر ص (٢٢٢-٢٢٣). وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢/ ٣٨٥-٣٨٦). وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٢٥-١٢٦). والنووي في آخر كتاب الأذكار ص (٣٥٥-٣٥٦) تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، نشر دار الملاح، دمشق، وقال: رجال إسناده مني إلى أبي ذر رضي الله عنه كلهم دمشقيون، ودخل أبو ذر رضي الله عنه دمشق، فاجتمع في هذا الحديث جمل من الفوائد؛ منها: صحة إسناده ومتنه، وعلوه، وتسلسله بالدمشقيين رضي الله عنهم وبارك فيهم.

أهل وولد، فيقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، فيرى فيه (آفة)[(١)] دون الموت»[(٢)] .

وهذا الحديث الصحيح مشتق من قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[(٣)] .

وفي حديث الشفاعة : « **فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني** »[(٤)] .

---

(١) في د، س : آية . وهو خطأ. والصواب ما أثبت .

(٢) رواه البيهقي في الأسماء والصفات ص(٢٠٧) . وفي شعب الإيمان (٤/ ٨٩-٩٠، ١٢٤) من طريق عيسى بن عون عن عبد الملك بن زرارة عن أنس مرفوعاً. وذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ٨٤) ونقل عن الحافظ أبي الفتح الأزدي قوله: عيسى بن عون عن عبد الملك بن زرارة عن أنس لا يصح حديثه . وانظر ميزان الاعتدال (٣/ ٣١٩) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٩٢) وزاد نسبته إلى ابن مردويه. وذكره أيضاً في الجامع الصغير، وقال الألباني : ضعيف . انظر ضعيف الجامع الصغير (٥/ ٨٦) .

(٣) سورة الكهف آية : ٣٩ .

(٤) هذا طرف من حديث الشفاعة الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه وأخرجه البخاري في المواضع التالية :

- (٥/ ١٤٦-١٤٧) ك التفسير – تفسير سورة البقرة – باب قول الله تعالى : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾.
- (٧/ ٢٠٣) ك الرقاق – باب صفة الجنة والنار .
- (٨/ ١٧٢) ك التوحيد – باب قول الله تعالى : ﴿لما خلقت بيدي﴾ .
- (٨/ ١٨٣) ك التوحيد – باب قول الله تعالى : ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾ تعليقاً .
- (٨/ ١٨٧) ك التوحيد – باب قول الله تعالى:﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ وذكره مختصراً جداً .

=

وفي حديث آخر أهل الجنة دخولاً إليها: **«فيسكت ما شاء الله أن يسكت»** وفيه قوله سبحانه : **«لا أهزأ بك ولكني على ما أشاء قدير»**(١) . والحديثان في

= - (٨/ ٢٠٣) ك التوحيد – باب قول الله تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ مختصراً.

- ومسلم (١/ ١٨٠-١٨٤) ك الإيمان – باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها. والنسائي في الكبرى ك التفسير (١/ ١٦١) تفسير سورة البقرة – باب قول الله تعالى : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾، والإمام أحمد (٣/ ١١٦، ٢٤٤). وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢/ ٧١٠-٧٢٢). وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٣٧٣-٣٧٩). وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٤/ ٣٧٧-٣٧٩). واللالكائي في شرح السنة (٣/ ٤٧٧-٤٧٨) وعبد بن حميد في المنتخب (٣/ ٩٣-٩٤) تحقيق مصطفى شلباية، ط الأولى ١٤٠٨هـ، نشر مكتبة ابن حجر بمكة المكرمة، والبيهقي في الأسماء والصفات ص(٢٥٠-٢٥١) وفي الاعتقاد ص (٨٩، ١٩٢-١٩٤). والبغوي في شرح السنة (١٥/ ١٥٧-١٦٢) . وقد روى حديث الشفاعة عدد من الصحابة رضي الله عنهم، منهم: ابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وعبادة بن الصامت، وسلمان الفارسي، وأشار الحافظ ابن حجر في فتح لباري (١١/ ٤٣٢) إلى ذلك، وذكر من خرجها، وقال: وعند كل واحد منهم ما ليس عند الآخر .

(١) هذا الحديث من رواية أبي هريرة رضي الله عنه ، وأوله : أن أناساً قالوا لرسول الله ﷺ : يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ **« هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟»** قالوا: لا يا رسول الله ... الحديث. أخرجه البخاري في المواضع التالية :

- (١/ ١٩٥-١٩٦) ك الأذان – باب فضل السجود .

- (٨/ ١٧٩-١٨١) ك التوحيد – باب قوله تعالى : ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾ .

- (٧/ ٢٠٥-٢٠٦) ك الرقاق – باب الصراط جسر جهنم . =

الصحيحين .

وفيهما من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: **« لكل نبي دعوة، فأريد إن شاء الله أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة »**[(١)] .

= ومسلم (١/ ١٦٣-١٦٧) ك الإيمان - باب معرفة طريق الرؤية. والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٢٧٥-٢٧٦، ٢٩٣، ٥٣٣-٥٣٤) . وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٠٦-٢٠٨، ٢٤٤-٢٤٥) . وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٤٠٧-٤٠٩) . والبيهقي في الأسماء والصفات ص (٢٠٧-٢٠٨) . وأبو يعلى في مسنده (١١/ ٢٤١-٢٤٣) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٦/ ٤٥٠-٤٥٢) . وفي الباب عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عند البخاري (٧/ ٢٠٤) ك الرقاق - باب صفة الجنة والنار. وعند مسلم (١/ ١٧٣-١٧٥) ك الإيمان - باب آخر أهل النار خروجاً . والترمذي (٤/ ٦١٤) ك صفة جهنم - باب آخر أهل النار خروجاً. وان ماجه (٢/ ١٤٥٢-١٤٥٣) ك الزهد باب - صفة الجنة. والإمام أحمد (١/ ٣٩١-٣٩٢، ٤١٠-٤١١) . وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٤٥) . وأبي يعلى الفراء في كتاب إبطال التأويلات لأخبار الصفات (١/ ٢١٥) تحقيق محمد النجدي، ط الأولى ١٤١٠هـ نشر مكتبة الإمام الذهبي بالكويت، عن أبي ذر رضي الله عنه عند الترمذي (٤/ ٦١٤) ك صفة جهنم - باب آخر أهل النار خروجاً .

(١) انظر صحيح البخاري (٨/ ١٩٢-١٩٣) ك التوحيد - باب في المشيئة والإرادة. وفي (٧/ ١٤٥) ك الدعوات - باب لكل نبي دعوة مستجابة. وصحيح مسلم (١/ ١٨٨-١٩٠) ك الإيمان - باب اختباء النبي ﷺ دعـوة الشفـاعـة لأمتـه. ورواه الترمذي في (٥/ ٥٤١-٥٤٢) ك الدعوات، باب فضل لا حول ولا قوة إلا بالله. وقال : حديث حسن صحيح. وابن ماجه (٢/ ١٤٤٠) ك الزهد - باب ذكر الشفاعة . والإمام مالك في الموطأ (ص١٤٩) ك القرآن - باب ما جاء في الدعاء. والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٢٧٥، ٣٨١، ٣٩٦، ٤٢٦). والدارمي في مسنده (٢/ ٢٣٥) ك الرقاق -باب إن =

وقال : « لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها أحد »[1] .

= لكل نبي دعوة. وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٤/ ٣٧٤) وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٦٢٢-٦٢٦) . والبغوي في شرح السنة (٥/ ٥-٦) . وأبو يعلى في مسنده (٦/ ١٣) و(٥/ ٢٢٩) والبيهقي في الأسماء والصفات ص(٢١٣) وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٣٧١) . والآجري في الشريعة ص(٣٤٢) . والطبراني في المعجم الأوسط (٢/ ٤٣٣). والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ١٣٣-١٣٤) . وفي الباب عن جابر بن عبد الله عند مسلم في (١/ ١٩٠) ك لإيمان - باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمتـه. والإمام أحمد (٣/ ٣٨٤، ٣٩٦). وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٦٣٠) . وعن أنس بن مالك عند البخاري في (٨/ ١٤٥) ك الدعوات - باب لكل نبي دعوة مستجابة - معلقاً بصيغة الجزم. ومسلم (١/ ١٩٠) ك الإيمان - باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته. وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٦٢٧). والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ١٣٢-١٣٤). والبغوي في شرح السنة (٥/ ٧) .

(١) هذا الحديث رواه جابر عن أم مبشر - امرأة زيد بن حارثة - رضي الله عنهم أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة ... الحديث، وأخرجه : مسلم(٤/ ١٩٤٢) ك فضائل الصحابة - باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان رضي الله عنهم . والنسائي في الكبرى - ك التفسير (٢/ ٣٦) تفسير سورة مريم، باب قوله تعالى : ﴿ونذر الظالمين فيها جثياً﴾. وابن ماجه (٢/ ١٤٣١) ك الزهد - باب ذكر البعث. والإمام أحمد (٦/ ٢٨٥، ٣٦٢، ٤٢٠) وابن جرير في تفسيره (١٦/ ١١٢) . والطبراني في المعجم الكبير (٢٣/ ٢٠٧، ٢٠٨) و(٢٥/ ١٠٢) وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١١/ ١٢٥) . والبغوي في تفسيره (٣/ ٢٠٧) والبيهقي في الأسماء والصفات ص (٢١٤). ورواه جابر أيضاً =

وقال : « **إني لأطمع أن يكون حوضي إن شاء الله أوسع ما بين أيلة**[(١)] **إلى كذا** »[(٢)] .

وقال في المدينة : « **لا يدخلها الطاعون ولا الدجال إن شاء الله** »[(٣)] .

= عن رسول الله ﷺ . وأخرجه : أبو داود (١٢/ ٤٠٤) ك السنة – باب في الخلفاء . والترمذي (٥/ ٦٥٢) ك المناقب – باب في فضل من بايع تحت الشجرة، وقال : هذا حديث حسن صحيح. والإمام أحمد (٣/ ٣٥٠) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١١/ ١٢٧) . وأربعتهم دون قوله : (إن شاء الله) .

(١) أيلة : هي مدينة بطرف بحر القلزم (البحر الأحمر) من طرف الشام، وإليها تنسب العقبة المشهورة عند المصريين . انظر فتح الباري (١١/ ٤٧٠) ومعجم البلدان (١/ ٢٩٢) .

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص (٢١٤) من رواية أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً. وقد روى عدد من الصحابة رضوان الله عليهم أحاديث كثيرة صحيحة في إثبات حوض نبينا محمد ﷺ وبيان صفته أخرجها البخاري في (٧/ ٢٠٦-٢٠٩) ك الرقاق – باب في الحوض. ومسلم (٤/ ١٧٩٢-١٨٠٢) ك. الفضائل ـ باب إثبات حوض نبينا ﷺ. وأخرجها أيضاً غيرهما من المحدثين. انظر فتح الباري (١١/ ٤٦٧-٤٧٦) .

(٣) هذا الحديث رواه أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « **المدينة يأتيها الدجال فيجد الملائكة يحرسونها ...** » الحديث، وأخرجه البخاري (٨/ ١٠٣) ك الفتن – باب لا يدخل الدجال المدينة. وفي (٨/ ١٩٢) ك التوحيد – باب في المشيئة والإرادة. والترمذي (٤/ ٤٤٦) ك الفتن – باب ما جاء في الدجال لا يدخل المدينة. وقال : هذا حديث صحيح، وفي الباب عن أبي هريرة، وفاطمة بنت قيس، وأسامة ابن زيد، وسمرة بن جندب، ومحجن . ورواه الإمام أحمد (٣/ ١٢٣، ٢٠٢، ٢٧٧، ٣٩٣) وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٥/ ٢١٥) ، والبيهقي في الأسماء والصفات ص(٢١٤-٢١٥) . وأبو يعلى في مسنده (٥/ ٣٩٠) .

وقال في زيارة المقابر: « **إنا إن شاء الله بكم لاحقون** »(١) .

---

(١) هذه العبارة طرف من حديث رواه أبو هريرة، وحديث روته عائشة، وحديث رواه بريدة رضي الله عنهم.

وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، فأوله: أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة، فقال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين. إنا إن شاء الله بكم لاحقون** ...» الحديث. أخرجه: مسلم (١/ ٢١٨) ك الطهارة – باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء. وأبو داود (٩/ ٦٢) ك الجنائز – باب ما يقول إذا زار القبور أو مر بها. والنسائي (١/ ٩٣-٩٥) ك الطهارة – باب حلية الوضوء. وابن ماجه (٢/ ١٤٣٩-١٤٤٠) ك الزهد ـ باب ذكر الحوض. والإمام مالك في الموطأ ص (٤٤) ك الطهارة – باب جامع الوضوء. والإمام أحمد (٢/ ٣٠٠، ٣٧٥، ٤٠٨) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٧/ ٤٤٣-٤٤٤). وابن السني في عمل اليوم والليلة ص(٥٩٣) تحقيق عبد الرحمن كوثر البرني، نشر دار القبلة بجدة. والبيهقي في سننه (٤/ ٧٨) .

وأما حديث عائشة رضي الله عنها، فنصه: كان رسول الله ﷺ - كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ - يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: « **السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون غداً. مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكلم لاحقون. اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد** » . وأخرجه: مسلم (٢/ ٦٦٩-٦٧١) ك الجنائز – باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها. والنسائي (٤/ ٩١-٩٤) ك الجنائز – باب الأمر بالاستغفـــار للمؤمنـــين ، وفي كتاب عمل اليوم والليلـة ص(٥٨٨) . والإمام أحمد (٦/ ٧١، ١١١، ٢٢١) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٧/ ٤٤٤-٤٤٥) . وعبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٥٧١-٥٧٢) . والبيهقي في سننه (٤/ ٧٩) .

وأما حديث بريدة رضي الله عنه ، فنصه: قال كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر، فكان قائلهم يقول: «**السلام عليكم أهل الديار، من المؤمنين والمسلمين. وإنا إن** =

وقال لما حاصر (أهل)[(١)] الطائف : « إنا قافلون غداً إن شاء الله »[(٢)] .

وقال لما قَدِم مكة : « منزلنا غدًا إن شاء الله بخيف[(٣)] بني كنانة »[(٤)] .

= شاء الله للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية» . أخرجه: مسلم (٢/ ٦٧١) ك الجنائز - باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها. والنسائي (٤/ ٩٤) ك الجنائز - باب ما جاء فيما يقال إذا دخل المقابر. والإمام أحمد (٥/ ٣٥٣، ٣٥٩-٣٦٠) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٧/ ٤٤٥-٤٤٦) . والبغوي في شرح السنة (٥/ ٤٦٨) وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٣٤٠) والبيهقي في سننه (٤/ ٧٩) وفي الأسماء والصفات ص (٢١٤) .

(١) إضافة من ت .

(٢) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري (٥/ ١٠٢) ك المغازي - باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان. وفي (٧/ ٩٣) ك الأدب - باب التبسم والضحك. وفي (٨/ ١٩٤) ك التوحيد - باب في المشيئة والإرادة . ومسلم (٣/ ١٤٠٢-١٤٠٣) ك الجهاد والسير - باب غزوة الطائف. والإمام أحمد (٢/ ١١) . وسعيد بن منصور في سننه (٢/ ٣١٠) وابن أبي شية في مصنفه (١٤/ ٥٠٧) . والبيهقي في سننه (٩/ ٤٣)، وفي الأسماء والصفات ص (٢١٥)، وفي دلائل النبوة (٥/ ١٦٥، ١٦٧) وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١١/ ١٠١) وابو يعلى في مسنده (١٠/ ١٥٠) .

(٣) خيف بني كنانة : هو الوادي المعروف بالمحصب، وهو بطحاء مكة، وقيل: مبتدأ الأبطح . هدي الساري مقدمة فتح الباري ص(١١٥). ومعجم البلدان (٢/ ٤١٢).

(٤) هذا طرف من حديث رواه أبو هريرة . وأخرجه : البخاري في (٢/ ١٥٨) ك الحج - باب نزول النبي ﷺ مكة، وفي (٨/ ١٩٤) ك التوحيد - باب في المشيئة والإرادة. والبيهقي في الأسماء والصفات ص (٢١٥) . وأبو يعلى في مسنده (١١/ ٢٣٢) . وابن مردويه في أماليه ص (١٦٢) تحقيق د.محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ط الأولى ١٤١٠هـ ، نشر دار علوم الحديث بدولة الإمارات العربية المتحدة .

وقال (في)[(١)] يوم بدر: «هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله، وهذا مصرع (فلان)[(٢)] إن شاء الله»[(٣)].

وقال في بعض أسفاره: «إنكم تسيرون عشيتكم وليلتكم (ثم)[(٤)] تأتون الماء غداً إن شاء الله»[(٥)].

وقال للأعرابي الذي عاده من الحمى: «لا بأس طهور إن شاء الله»[(٦)].

---

(١) ساقطة من م، ع، د، س.

(٢) في د، س: فلان غداً.

(٣) هذا طرف من حديث رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كنا مع عمر بين مكة والمدينة، فتراأينا الهلال، وكنت رجلاً حديد البصر فرأيته، وليس أحد يزعم أنه رآه غيري، قال فجعلت أقول لعمر: أما تراه؟ فجعل يراه. قال يقول عمر: سأراه وأنا مستلق على فراشي، ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر، فقال: إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس، يقول: «هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله» قال فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما أخطؤوا الحدود التي حدَّ رسول الله ﷺ... الحديث. وأخرجه: مسلم (٤/ ٢٢٠٢-٢٢٠٣) ك الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه. والنسائي (٤/ ١٠٩) ك الجنائز - باب أرواح المؤمنين. والإمام أحمد (١/ ٢٦-٢٧). وأبو يعلى في مسنده (١/ ١٣٠) والبيهقي في الأسماء والصفات ص (٢١٦) وفي دلائل النبوة (٣/ ٤٨).

(٤) في ع، د، س: ثم إنكم.

(٥) هذا الحديث من رواية أبي قتادة رضي الله عنه وهذا أوله، ومما ورد فيه قصة نومهم عن صلاة الفجر. وقد سبق تخريجه في ص (٢٢٩، و٤٠٩).

(٦) هذا الحديث رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: إن رسول الله ﷺ دخل على أعرابي يعوده، فقال: «لا بأس عليك...» الحديث. وأخرجه البخاري في (٤/ ١٨١) ك المناقب - باب علامات النبوة في الإسلام. وفي (٧/ ٥-٦) ك المرضى =

وأخبر عن سليمان بن داود أنه قال : « **لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس يقاتل في سبيل الله، فقال له الملك، قل إن شاء الله، فلم يقل، فطاف عليهن (جميعاً)[1] فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، وأيم الذي نفس محمد بيده، لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون** »[2] .

وقال : « **من حلف، فقال: إن شاء الله، فإن شاء مضى ، وإن شاء رجع غير**

= والطب – باب عيادة الأعراب. وفي (٧/ ٧) ك المرضى والطب – باب ما يقال للمريض وما يجيب . وفي (٨/ ١٩٢) ك التوحيد – باب في المشيئة والإرادة . وأخرجه البخاري أيضاً في كتاب الأدب المفرد ص (١٨١) باب عيادة الأعراب. وفي ص (١٨٦) باب ما يقول للمريض. والنسائي في الكبرى ك الطب كما في تحفة الأشراف (٥/ ١٢٧) وفي كتاب عمل اليوم والليلة (ص٥٦٧) . وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٧/ ٢٢٥-٢٢٦) . والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٨٢-٣٨٣) ك الجنائز – باب قول العائد للمريض : كيف تجدك . وفي الأسماء والصفات ص (٢١٧) والبغوي في شرح السنة (٥/ ٢٢٣) . والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٣٤٢) .

(١) ساقطة من م .

(٢) هذا الحديث من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه : البخاري في المواضع التالية :

- (٣/ ٢٠٨) ك الجهاد والسير – باب من طلب الولد للجهاد .
- (٤/ ١٣٥) ك أحاديث الأنبياء – باب قول الله تعالى: ﴿ووهبنا لداود سليمان﴾.
- (٦/ ١٦٠) ك النكاح – باب قول الرجل لأطوفن الليلة على نسائه .
- (٧/ ٢٢٠) ك الإيمان والنذور – باب كيف كانت يمين النبي ﷺ .
- (٧/ ٢٣٨) ك كفارات الأيمان – باب الاستثناء في الأيمان .
- (٨/ ١٩١) ك التوحيد – باب في المشيئة والإرادة . =

حنث[1] »[2] .

وقال : « **لأغزون قريشاً** » ، ثم قال في الثالثة : « **إن شاء الله** »[3] .

= ومسلم (٣/ ١٢٧٥-١٢٧٦) ك الإيمان - باب الاستثناء . والنسائي (٧/ ٣١) ك الإيمان - باب الاستثناء. ورواه أيضاً في الكبرى ك التفسير (٢/ ٣) تفسير سورة الكهف، والإمام أحمد (٢/ ٢٧٥) . والبغوي في شرح السنة (١/ ١٤٧) . والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٤٤) ك الإيمان - باب من قال : وايم الله. وفي الأسماء والصفات ص(٢١٧) .

(١) الحنث في اليمين نقضها، والنكث فيها. ويقال : حنث في يمينه يحنث ، وكأنه من الحنث: الإثم والمعصية. النهاية لابن الأثير (١/ ٤٤٩) .

(٢) هذا الحديث من رواية أيوب السختياني عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً . وأخرجه أبو داود (٩/ ٨٨) ك الأيمان والنذور - باب الاستثناء في اليمين. والترمذي: (٤/ ٩١) ك النذور والأيمان - باب ما جاء في الاستثناء في اليمين. وقال: حديث حسن. وقد روي موقوفاً، ولا نعلم أحداً رفعه غير أيوب السختياني، وقال إسماعيل بن إبراهيم: وكان أيوب أحياناً يرفعه وأحياناً لا يرفعه. والنسائي : (٧/ ١٢) ك الأيمان والنذور - باب من حلف فاستثنى . وابن ماجه : (١/ ٦٨٠) ك الكفارات - باب الاستثناء في اليمين. والإمام أحمد في مسنده، وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح. انظر المسند بتحقيقه (٦/ ٢٣٦-٢٣٧) . والدارمي في سننه : (٢/ ١٠٦) ك النذور والأيمان - باب في الاستثناء في اليمين. والبيهقي في سننه : (١٠/ ٤٦) . وفي الأسماء والصفات ص (٢١٨) . وابن حبان في صحيحه ، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٠/ ١٨٤) .

(٣) هذا الحديث من رواية ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ. وأخرجه : أبو داود (٩/ ١٦٧) ك الأيمان والنذور - باب الاستثناء في اليمين بعد السكوت. وقال: وقد أسند هذا الحديث غير واحد عن شريك، عن سماك ، عن عكرمة، عن ابن =

وقال : « **ألا مشمر**[١] **للجنة** » (فقال)[٢] الصحابة : نحن المشمرون لها يا رسول الله . فقال : « **قولوا: إن شاء الله** »[٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾[٤] . قال الحسن : إذا نسيت أن

عباس أسنده عن النبي ﷺ . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٠/ ١٨٥) . والطبراني في الأوسط (٢/ ٩) وأبو يعلى في مسنده (٥/ ٧٨) ، والبيهقي في سننه (١٠/ ٤٧-٤٨) ، وفي الأسماء والصفات ص(٢١٨-٢١٩) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد : (٤/ ١٨٢) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح، ورواه أبو يعلى أيضاً. ورواه عبدالرزاق في مصنفه (٨/ ٥١٨) ك الأيمان والنذور – باب الاستثناء في اليمين ، مرسلاً .

(١) التشمير : الجد والاجتهاد . انظر النهاية لابن الأثير (٢/ ٥٠٠) .

(٢) في د، س : فقالت .

(٣) هذا الحديث رواه الضحاك المعافري عن سليمان بن موسى عن كريب مولى ابن عباس عن أسامة بن زيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ وأخرجه : ابن ماجه (٢/ ١٤٤٨) ك الزهد – باب صفة الجنة . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٦/ ٣٨٩) . والبغوي في شرح السنة (١٥/ ٢٢٣) والطبراني في المعجم الكبير (١/ ١٢٦). وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ١١٠٥-١١٠٦). والبيهقي في الأسماء والصفات ص (٢١٩) . وأبو بكر عبد الله بن أبي داود في كتاب البعث ص (٦٠-٦١) تحقيق محمد السعيد بن بسيوني ط الأولى سنة ١٤٠٧هـ نشر دار الكتب العليمة – بيروت. وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٩١) وزاد نسبته إلى ابن أبي الدنيا في صفة الجنة ، والبزار ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وذكره السيوطي – أيضاً – في الجامع الصغير ، وقال الشيخ الألباني: ضعيف . انظر ضعيف الجامع الصغير (٢/ ٢٥١) .

(٤) سورة الكهف آية : ٢٤ .

تقول إن شاء الله [١] .

وهذا هو الاستثناء (الذي)[٢] كان يجوزه ابن عباس متراخياً، ويتأول عليه الآية، لا الاستثناء في الإقرار واليمين والطلاق والعتاق. وهذا من كمال علم ابن عباس وفقهه في القرآن .

وقد أجمع المسلمون على أن الحالف إذا استثنى في يمينه متصلاً بها، فقال: لأفعلن كذا، أو لا أفعله إن شاء الله، أنه لا يحنث إذا خالف ما حلف عليه؛ لأن من أصل أهل الإسلام أنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله، فإذا علق الحالف الفعل أو الترك بالمشيئة، لم يحنث عند عدم المشيئة، ولا تجب عليه الكفارة. ولو ذهبنا نذكر كل حديث أو أثر فيه لفظ المشيئة وتعليق فعل الرب تعالى بها، لطال الكتاب جداً .

وأما الإرادة، فورودها في نصوص القرآن والسنة معلوم أيضاً؛ كقوله تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[٣] وقال : ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾[٤] وقال : ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً ﴾[٥] ، وقال : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[٦]، وقال : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ / ٤٩ب

(١) رواه البيهـقي في الأسماء والصفات ص (٢١٩) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٧٨) ولم ينسبه إلى أحد غير البيهقي .

(٢) في ت : في الذي .

(٣) سورة هود آية : ١٠٧ وسورة البروج آية : ١٦ .

(٤) سورة الكهف آية : ٨٢ .

(٥) سورة الإسراء آية : ١٦ .

(٦) سورة البقرة آية : ١٨٥ .

لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[١] وقال : ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ﴾[٢]، وقول نوح : ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[٣] ، وقوله : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[٤]، وقوله : ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ﴾[٥]، وقوله : ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾[٦] .

وأخبر أنه إذا لم يرد تطهير قلوب عباده لم يكن لهم سبيل إلى تطهيرها، فقال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[٧]، وقال : ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ﴾[٨] ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[٩] ، وقال :﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ ﴾[١٠] ، وقوله : ﴿فَمَن يَمۡلِكُ

(١) سورة يس آية : ٨٢ .

(٢) سورة المائدة آية : ٤١ .

(٣) كما حكاه الله عز وجل عنه في سورة هود آية : ٣٤ .

(٤) سورة الأنعام آية : ١٢٥ .

(٥) سورة الرعد آية : ١١ .

(٦) سورة النساء آية : ٢٧-٢٨ .

(٧) سورة المائدة آية : ٤١ .

(٨) سورة الحج آية : ١٦ .

(٩) سورة المائدة آية : (١) .

(١٠) سورة المائدة آية : (٦) .

مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾(١) ، وقوله : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾(٢) ، وقوله :﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾(٣) ، وقول صاحب يس: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾(٤)، وقوله : ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾(٥)، وقوله : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾(٦)، وقوله : ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾(٧) .

والنصوص النبوية في إثبات إرادة الله سبحانه أكثر من أن تحصر، كقوله: **« من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين »**(٨) .

---

(١) سورة المائدة آية : (١٧) .

(٢) سورة الأحزاب آية : ٣٣ .

(٣) سورة الأحزاب آية : ١٧ .

(٤) سورة يس آية : ٢٣ .

(٥) سورة الزمر آية : ٣٨ .

(٦) سورة آل عمران آية : ١٧٦ .

(٧) سورة الإسراء آية : ١٨ .

(٨) أخرجه البخاري من رواية معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في المواضع التالية :

- (١/ ٢٥-٢٦) ك العلم – باب من يرد الله به خيراً يفقهه .
- (٤/ ٤٩) ك فرض الخمس – باب قول الله تعالى:﴿فإن لله خمسه وللرسول﴾ .
- (٨/ ١٤٩) ك الاعتصام بالكتاب والسنة – باب قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من =

« من يرد الله به خيراً يصب[1] منه »[2] .

= أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون » .

ومسلم (٢/ ٧١٨-٧١٩) ك الزكاة - باب النهي عن المسألة . وفي (٣/ ١٥٢٤) ك الإمارة - باب قوله ﷺ : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم » . والترمذي (٥/ ٢٨) ك العلم - باب إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين. وابن ماجة (١/ ٨٠) المقدمة - باب فضل العلماء والحث على طلب العلم. والإمام مالك في الموطأ ص (٥٦١-٥٦٢) ك القدر - باب جامع ما جاء في أهل القدر. والإمام أحمد (٤/ ٩٢-١٠١) . وابن حبان في صحيحه ، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١/ ٢٩١) والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٢٢٥) . والبغوي في شرح السنة (١/ ٢٨٤) . والبيهقي في الأسماء والصفات ص ١٩٤. وفي الباب عن ابن عباس عند أحمد (١/ ٣٠٦) والترمذي (٥/ ٢٨) ك العلم - باب إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين. والدارمي (٢/ ٢٠٨) ك الرقاق باب من يرد الله به خيراً فقهه في دينه. والبغوي في شرح السنة (١/ ٢٨٥) . وعن أبي هريرة عند أحمد (٢/ ٢٣٤) وابن ماجه (١/ ٨٠) المقدمة - باب فضل العلماء والحث على طلب العلم. والطبراني في المعجم الصغير (٢/ ١٨) ط الأولى، نشر دار الكتب العلمية. بيروت سنة ١٤٠٣هـ . والطحاوي في مشكل الآثار (٢/ ٢٨٠) نشر دائرة المعارف النظامية بالهند ١٣٣٣هـ . والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٢٢٤) وأبي يعلى في مسنده (١٠/ ٢٣٨) .

(١) معنى يصب منه، أي: يبتليه بالمصائب ليثبته عليها. انظر النهاية لابن الأثير (٣/ ٥٧)

(٢) هذا الحديث من رواية أبي هريرة وأخرجه البخاري (٧/ ٣) ك المرضى - باب ما جاء في كفارة المرضى. والنسائي في الكبرى ك الطب . كما في تحفة الأشراف (١٠/ ٧٧) . والإمام مالك في الموطأ ص (٥٨٥) ك العين - باب ما جاء في أجر المريض. والإمام أحمد (٢/ ٢٣٧) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب =

« إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق »[(١)] .

«إذا أراد الله رحمة أمة قبض نبيها قبلها، وإذا أراد الله هلكة أمة عذبها ونبيها حي فأقر عينه (بهلكتها)[(٢)(٣)] **»** / .

١٥٠أ

= صحيح ابن حبان (٧/ ١٦٨) . والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٢٢٤) . والبيهقي في الأسماء والصفات ص (١٩٤-١٩٥) .

(١) هذا الحديث من رواية عائشة رضي الله عنها، وأخرجه : أبو داود (٨/ ١٥٠-١٥١) ك الخراج والفيء والإمارة – باب في اتخاذ الوزير . والنسائي (٧/ ١٥٩) ك البيعة – باب وزير الإمام . والإمام أحمد (٦/ ٧٠) وابن حبان في صحيحه ، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٠/ ٣٤٥-٣٤٦) . والبيهقي في سننه (١٠/ ١١١-١١٢) وفي الأسماء والصفات ص (١٩٥) . وابن عدي في الكامل (٣/ ١٠٧٦) وذكره السيوطي في الجامع الصغير (١/ ٥٤)، وقال الألباني : صحيح . انظر صحيح الجامع الصغير (١/ ١٤٢) .

(٢) في ت ، ع ، د، س : بهلكها .

(٣) هذا جزء من حديث رواه أبو موسى عن النبي ﷺ وأخرجه مسلم (٤/ ١٧٩١-١٧٩٢) كتاب الفضائل – باب إذا أراد الله تعالى رحمة أمة قبض نبيها قبلها . فقال: وحدثت عن أبي أسامة. وممن روى ذلك عنه إبراهيم بن سعيد الجوهري. حدثنا أبوأسامة، حدثني بريد بن عبد الله، عن أبي بردة، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: **« إن الله عز وجل إذا أراد رحمة أمة من عباده، قبض نبيها قبلها، فجعله لها فرطاً وسلفاً وبين يديها، وإذا أراد هلكة أمة، عذبها ونبيها حي، فأهلكها وهو ينظر، فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره»** . وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: قال أبو عوانة في (مستخرجه) : روى مسلم عن إبراهيم بن سعيد الجوهري، عن أسامة ... فذكره. ولم أقف في شيء من نسخ مسلم على ما قال، بل جزم بعضهم بأنه ما سمعه من إبراهيم بن سعيد، بل إنما سمعه من محمد بن المسيب، وقد وقع لنا بعلو من طريق=

« إذا أراد الله بعبد خيراً عجَّل له العقوبة في الدنيا »[١] .

« إذا أراد الله بعبد شراً أمسك عنه (بذنبه)[٢] حتى يُوافى (به)[٣] يوم القيامة كأنه عير[٤] »[٥] .

= محمد بن المسيب الأرغياني، وأخرجه البزار في (مسنده) عن إبراهيم بن سعيد. وأخرجه أبو نعيم في (المستخرج) من طريق أبي يعلى وأبي عروبة وغيرهما (أي محمد بن المسيب ومحمد بن علي بن حرب) عن إبراهيم بن سعيد. النكت الظراف لابن حجر، المطبوع مع تحفة الأشراف للمزي (٦/ ٤٤٥-٤٤٦) . ورواه - أيضاً - ابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٥/ ٢٢) . والبيهقي في الأسماء والصفات ص (١٩٦) . وفي دلائل النبوة (٣/ ٧٦-٧٧) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٢٦) في ترجمة محمد بن المسيب الأرغياني.

(١) هذا الحديث من رواية سعد بن سنان عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وأخرجه الترمذي (٤/ ٥١٩) ك الزهد - باب ما جاء في الصبر على البلاء. وقال: حديث حسن غريب. وقال الألباني: هو كما قال. انظر تعليقه على كتاب السنة للبغوي (٥/ ٢٤٥) . ورواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٦٠٨) ك الأهوال. وسكت عنه هو والذهبي. والبيهقي في الأسماء والصفات ص (١٩٦) . وابن عدي في الكامل (٣/ ١١٩٢) في ترجمة سعد بن سنان. والبغوي في شرح السنة (٥/ ٢٤٥) . وسعد بن سنان ، صدوق له أفراد، كما قال الحافظ ابن حجر في التقريب (١/ ٢٨٧) .

(٢) في ع، د، س : توبته .

(٣) ساقطة من ع، د ، س .

(٤) العير : الحمار الوحشي. وقيل : أراد الجبل الذي بالمدينة اسمه عيْر، شبه عظم ذنوبه به. انظر النهاية لابن الأثير (٣/ ٣٢٨) .

(٥) هذا الحديث من رواية عبد الله بن مغفل رضي الله عنه ، وأخرجه الإمام أحمد (٤/ ٨٧) ، والحاكم في مستدركه (١/ ٣٤٩) و(٤/ ٣٧٧) وقال : حديث صحيح على شرط =

« إذا أراد الله قبض عبد بأرض له جعل إليها حاجة »(١) .

« إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم باب الرفق »(٢) .

« إذا أراد الله بقوم عذاباً أصاب من كان فيهم، ثم بعثوا على نياتهم »(٣) والآثار النبوية في ذلك أكثر من أن نستوعبها .

= مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي . والبيهقي في الأسماء والصفات ص(١٩٦) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٧/ ١٧٣). وذكره الهيثمي في مجمع الزائد (١٠/ ١٩١) وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح، وكذلك أحد إسنادي الطبراني. وذكره السيوطي في الجامع الصغير (١/ ٥٢) وقال الألباني : إسناده صحيح. انظر صحيح الجامع الصغير (١/ ١٤٤) .

(١) هذا الحديث من رواية أبي عزة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ وأخرجه البخاري في الأدب المفرد ص (٤٣٦-٤٣٧) . والترمذي في جامعه (٤/ ٣٩٤) ك القدر- باب ما جاء في أن النفس تموت حيث ما كتب لها، وقال : هذا حديث صحيح، وأبو عزة له صحبة . والإمام أحمد في مسنده (٣/ ٤٢٩) . والدولابي في الكنى (١/ ٤٤). وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٢٢٨) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٤/ ١٩) . والحاكم في المستدرك (١/ ٤٢) وقال: صحيح، ورواته عن آخرهم ثقات، ووافقه الذهبي. وقال الألباني: وهو كما قال . انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ٢٢١) .

(٢) هذا الحديث من رواية عائشة رضي الله عنها . وأخرجه: الإمام أحمد (٦/ ٧١، ١٠٤ -١٠٥) والبخاري في التاريخ الكبير: (١/ ٤١٦) . والبيهقي في الأسماء والصفات ص (١٩٧) وفي شعب الإيمان: (٥/ ٢٥٣) و(٦/ ١٣٩، ٣٣٧) . وذكره السيوطي في الجامع الصغير (١/ ٥٣-٥٤) وقال الألباني : صحيح ، انظر صحيح الجامع الصغير (١/ ١٤٣) .

(٣) هذا الحديث من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وأخرجه : مسلم في (٤/ ٢٢٠٦) ك الجنة وصفة نعيمها وأهلها ـ باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت . والإمام أحمد (٢/ ٤٠) . والبيهقي في الأسماء والصفات ص (١٩٧) .

فصل

وهاهنا أمر يجب التنبيه عليه والتنبه له، وبمعرفته تزول إشكالات كثرة تعرض لمن لم يحط به علماً ، وهو أن الله سبحانه له الخلق والأمر، وأمره سبحانه نوعان :

* أمر كوني قدري .
* وأمر ديني شرعي .

فمشيئته سبحانه متعلقة بخلقه وأمره الكوني، وكذلك تتعلق بما (يحبه)[1] وبما يكرهه، كله داخل تحت مشيئته، كما خلق إبليس وهو يبغضه، وخلق الشياطين والكفر والأعيان والأفعال المسخوطة له، وهو يبغضها. فمشيئته سبحانه شاملة لذلك كله. وأما محبته ورضاه فمتعلقة بأمره الديني (وشرعه)[2] الذي شرعه على ألسنة رسله، فما وجد منه تعلقت به المحبة والمشيئة جميعاً، فهو محبوب للرب واقع بمشيئته، كطاعات الملائكة والأنبياء والمؤمنين، وما لم يوجد منه تعلقت به محبته وأمره الديني، ولم تتعلق به مشيئته، وما وجد من الكفر والفسوق والمعاصي تعلقت به مشيئته، ولم تتعلق به محبته ولا رضاه ولا أمره الديني، وما لم يوجد منها لم تتعلق به مشيئته ولا محبته، (فلفظ)[3] المشيئة كوني، ولفظ الإرادة ينقسم إلى إرادة كونية فتكون هي المشيئة وإرادة دينية فتكون هي المحبة .

---

(١) في ع، د، س : يحب .

(٢) في ت : وشرعه الديني .

(٣) في ت : ولفظ .

إذا (عُرف)[١] هذا (فقوله تعالى)[٢] ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[٣] .
وقوله : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[٤] . وقوله : ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٥]
ولا يناقض نصوص القدر والمشيئة (العامة)[٦] الدالة على وقوع ذلك بمشيئته وقضائه وقدره، فإن المحبة (غير)[٧] المشيئة، والأمر (غير)[٨] الخلق.
ونظير هذا لفظ الأمر، فإنه نوعان :

* أمر تكوين .
* وأمر تشريع .

والثاني قد يعصى ويخالف، بخلاف الأول، فقوله تعالى : ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾[٩] ولا يناقض قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾[١٠] ولا حاجة إلى تكلف تقدير أمرنا مترفيها بالطاعة فعصونا وفسقوا فيها، بل الأمر هاهنا أمر تكوين وتقدير لا أمر تشريع، لوجوه :

---

(١) في ع، د، س : عرفت .

(٢) في ت : بقوله .

(٣) سورة الزمر آية : ٧ .

(٤) سورة البقرة آية : ٢٠٥ .

(٥) سورة البقرة آية : ١٨٥ .

(٦) في د، س : العاملة .

(٧) في ت : عين .

(٨) في ت، م : عين .

(٩) سورة الإسراء آية ١٦ .

(١٠) سورة الأعراف آية : ٢٨ .

أحدها : أن المستعمل في مثل هذه التركيب أن يكون ما بعد الفاء هو المأمور به، كما تقول أمرته فقام، وأمرته فأكل، كما لو صرح بلفظة افعل كقولـه تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟﴾[١] وهذا كما تقول: دعوته فأقبل. قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾[٢] .

الثاني : أن الأمر بالطاعة لا يخص المترفين، فلا يصح حمل الآية عليه، بل تسقط فائدة ذكر المترفين، فإن جميع المبعوث إليهم مأمورون بالطاعة، فلا يصح أن يكون أمر المترفين علة إهلاك جميعهم .

الثالث : أن هذا النسق العجيب والتركيب البديع مقتض ترتب ما بعد الفاء على ما قبلها ترتب المسبب على سببه، والمعمول على علته، ألا ترى أن الفسق علة « حق القول عليهم » و « حق القول عليهم » علة لتدميرهم، فهكذا الأمر سبب لفسقهم ومقتض له، وذلك هو أمر التكوين، لا التشريع .

الرابع : أن إرادته سبحانه لإهلاكهم إنما كانت بعد معصيتهم ومخالفتهم لرسله، فمعصيتهم ومخالفتهم قد تقدمت، فأراد الله سبحانه إهلاكهم، فعاقبهم بأن قدر عليهم الأعمال التي يتحتم معها هلاكهم .

فإن قيل : فمعصيتهم السابقة سبب لهلاكهم، فما الفائدة في قوله : ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾[٣] وقد تقدم الفسق منهم ؟ .

قيل : المعصية السابقة، وإن كانت سبباً للهلاك، لكن يجوز تخلف الهلاك عنها ولا يتحتم، كما هو عادة الرب تعالى معلومة في خلقه أنه (لا يتحتم)[٤]

---

(١) سورة الإسراء آية : ٦١ .

(٢) سورة الإسراء آية : ٥٢ .

(٣) سورة الإسراء آية : ١٦ .

(٤) في م ، ت : يحتم .

هلاكهم بمعاصيهم، فإذا أراد هلاكهم ـ ولا بد ـ أحدث سبباً آخر يتحتم معه الهلاك، ألا ترى أن ثمود / لم يهلكهم بكفرهم السابق حتى أخرج لهم الناقة فعقروها فأهلكوا حينئذ[١]، وقوم فرعون لم يهلكهم بكفرهم السابق بموسى حتى أراهم الآيات المتتابعات. واستحكم بغيهم وعنادهم، فحينئذ أهلكوا[٢].

٥١أ

وكذلك قوم لوط لما أراد هلاكهم أرسل الملائكة إلى لوط في صورة الأضياف فقصدوهم بالفاحشة، ونالوا من لوط وتواعدوه[٣]، وكذلك سائر الأمم إذا أراد الله هلاكها أحدث لها بغياً وعدواناً (وظلماً)[٤] يأخذها على أثره.

و(هذه)[٥] عادته مع عباده عموماً وخصوصاً، فيعصيه العبد وهو يحلم عنه ولا يعاجله، حتى إذا أراد أخذه قيض له عملاً يأخذه به مضافاً إلى أعماله الأولى، فيظن الظان أنه أخذه بذلك العمل وحده، وليس كذلك، بل حق عليه القول بذلك (العمل)[٦] وكان قبل ذلك لم يحق عليه القول (فأعماله الأول تقتضي)[٧] ثبوت الحق عليه، ولكن لم يحكم به أحكم الحاكمين ولم يمض الحكم، فإذ عمل بعد ذلك ما يقرر غضب الرب عليه، أمضى حكمه وأنفذه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾[٨] وقد

---

(١) كما قص الله ذلك في كتابه الكريم سورة هود الآيات من ٦١-٦٨.

(٢) كما قص الله ذلك في كتابه الكريم سورة هود الآيات من ٩٦-٩٩.

(٣) كما قص الله ذلك في كتابه الكريم سورة هود الآيات ٧٧-٨٣.

(٤) ساقطة من ع، د، س.

(٥) ساقطة من ع، د، س.

(٦) ساقطة من ع، د، س.

(٧) في ع: بأعماله الأولى يقتضي. وفي د، س: بأعماله الأولى حيث عمل ما يقتضي. وما أثبت من ت، م.

(٨) سورة الزخرف آية: ٥٥.

كانوا قبل ذلك أغضبوه بمعصية رسله، ولكن لم يكن غضبه سبحانه قد استقر واستحكم عليه، إذ كان بصدد أن يزول بإيمانهم، فلما أيس من إيمانهم تقرر الغضب واستحكم، فحلت العقوبة، (وهذا)[1] الموضع من أسرار القرآن، وأسرار التقدير الإلهي، وفكر العبد فيه من أنفع الأمور له، فإنه لا يدري أي المعاصي هي الموجبة التي يتحتم عندها عقوبته، فلا يقال بعدها، والله المستعان .

وسنعقد لهذا الفصل باباً[2] في الفرق بين القضاء الكوني والديني، نشبع الكلام فيه إن شاء الله لشدة الحاجة إليه، إذ المقصود في هذا الباب (ذكر)[3] مشيئة الرب تعالى، وأنها الموجبة لكل موجود، كما أن عدم مشيئته (موجب)[4] لعدم وجود الشيء، فهما الموجبتان، ما شاء الله وجب وجوده، وما لم يشأ وجب عدمه وامتناعه، وهذا أمر يعم / كل مقدور من الأعيان ٥١ب والأفعال والحركات والسكنات، فسبحانه أن يكون في مملكته ما لا يشاء، أو أن يشاء فلا يكون، وإن كان فيها ما لا يحبه ولا يرضاه، وإن كان يحب الشيء فلا يكون لعدم مشيئته له ، ولو شاءه لوجد .

* * *

---

(١) في ع، د، س : فهذا .

(٢) وهو الباب التاسع والعشرون من هذا الكتاب .

(٣) ساقطة من ع، د، س .

(٤) في ت : توجب .

شفاء العليل
في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل

للإمام العلامة
شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية
٦٩١هـ - ٧٥١هـ

تحقيق ودراسة
الدكتور/ أحمد بن صالح بن علي الصمعاني
من أول الكتاب إلى نهاية الباب العشرين

والدكتور/ علي بن محمد بن عبد الله العجلان
من الباب الحادي والعشرين إلى آخر الكتاب

تقديم
معالي الشيخ/ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ
وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

المجلد الثاني

دار الصميعي
للنشر والتوزيع

شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل

للإمام العلامة

شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية

٦٩١هـ - ٧٥١هـ

من أول الكتاب إلى نهاية الباب العشرين - تحقيقاً ودراسة

تحقيق ودراسة

الدكتور/ أحمد بن صالح بن علي الصمعاني

المجلد الثاني

دار الصميعي

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

دار الصميعي للنشر والتوزيع

هاتف ٤٢٦٢٩٤٥ - ٤٢٥١٤٥٩ فاكس ٤٢٤٥٣٤١
المركز الرئيس : الرياض - شارع السويدي العام
ص.ب ٤٩٦٧ الرمز البريدي ١١٤١٢
المملكة العربية السعودية
فرع القصيم : عنيزة ، أمام جامع الشيخ (بن عثيمين) يرحمه الله
هاتف ٣٦٢٤٤٢٨ تلفاكس ٣٦٢١٧٢٨

الباب الثالث عشر

في ذكر المرتبة الرابعة من مراتب القضاء والقدر وهي مرتبة خلق الله سبحانه للأعمال وتكوينه وإيجاده لها

الباب الثالث عشر

في ذكر المرتبة الرابعة من مراتب القضاء والقدر

وهي: مرتبة خلق الله سبحانه (للأعمال)[١]

وتكوينه وإيجاده لها

وهذا أمر متفق عليه بين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وعليه اتفقت الكتب الإلهية ودلت (عليه أدلة)[٢] العقول والفطر والاعتبار، وخالف في ذلك مجوس الأمة، فأخرجت طاعات ملائكته وأنبيائه ورسله وعباده المؤمنين - وهي أشرف ما في العالم - عن ربوبيته وتكوينه ومشيئته، بل جعلوهم هم (الخالقون)[٣] لها ولا تعلق لها بمشيئته، ولا تدخل تحت قدرته، وكذلك قالوا في جميع أفعال الحيوانات الاختيارية. فعندهم أنه سبحانه لا يقدر أن يهدي ضالاً، ولا يضل مهتدياً، ولا يقدر أن يجعل المسلم مسلماً، والكافر كافراً، والمصلي مصلياً، وإنما ذلك بجعلهم أنفسهم كذلك، لا بجعله تعالى[٤].

وقد نادى القرآن بل الكتب السماوية كلها والسنة وأدلة التوحيد والعقول على بطلان قولهم، وصاح بهم أهل العلم والإيمان من أقطار الأرض، وصنف (برك)[٥] الإسلام وعصابة الرسول وعسكره التصانيف في الرد

---

(١) في م، ع، د، س: الأعمال.

(٢) ما بين القوسين ساقط من م، ع، د، س.

(٣) هكذا في جميع النسخ الخطية، ويكون إعرابها على أنها خبر والمبتدأ (هم)، والأولى (الخالقين) كما في المطبوعة (د) حيث إنه مفعول ثان لجعل، (وهم) ضمير فصل.

(٤) انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص(٣٢٣) ومقالات الإسلاميين ص(٢٢٧-٢٢٨) والملل والنحل (١/ ٤٥، ٤٧، ٦٦، ٧٢).

(٥) في د، س: حزب. والبرك: وهي إبل أهل الحواء كلها التي تروح عليهم بالغة ما بلغت، =

عليهم، وهي أكثر من أن يحصيها إلا الله، ولم تزل أيدي السلف وأئمة السنة في أقفيتهم، ونواصيهم تحت أرجلهم، إذ كانوا يردون باطلهم بالحق المحض، وبدعتهم بالسنة، والسنة لا يقوم لها شيء، فكانوا معهم كالذمة مع المسلمين، إلى أن (نبغت)[1] نابغة ردوا بدعتهم ببدعة تقابلها، وقابلوا باطلهم بباطل من جنسه، وقالوا: العبد مجبور على (أفعاله)[2] مقهور عليها، لا تأثير له في وجودها البتة، (ولا)[3] هي واقعة بإرادته واختياره، وغلا غلاتهم، فقالوا: بل هي عين أفعال / الله، ولا تنسب إلى العبد إلا على (وجه)[4] المجاز، والله سبحانه وتعالى يلوم العبد ويعاقبه ويخلده في النار على ما لم يكن للعبد فيه صنع، ولا هو فعله، بل هو محض فعل الله[5].

١٥٢أ

وهذا قول الجبرية، وهو إن لم يكن شراً من (قول)[6] القدرية، فليس هو بدونه في البطلان، وإجماع الرسل واتفاق الكتب الإلهية وأدلة العقول والفطر والعيان تكذب هذا القول وترده.

= وإن كانت ألوفاً ، أو جماعة الإبل الباركة، أو الكثيرة. انظر القاموس المحيط (ص١٢٠٤) مادة (برك) .

(١) في ع : بلغت .

(٢) في م : أفعال له . وفي ع : أفعال .

(٣) ساقطة من د، س .

(٤) ساقطة من ع، د، س .

(٥) انظر مقالات الإسلاميين ص (٢٧٩)، والملل والنحل (١/ ٨٥، ٨٧)، واعتقادات فرق المسلمين ص (٦٨)، والأربعين في أصول الدين للغزالي ص (٨) ط الأولى ١٤٠٩هـ ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت .

(٦) ساقطة من ع، د، س .

والطائفتان في عمى عن الحق (القويم)[1] (والصراط)[2] المستقيم. ولما رأى[3] القاضي[4] وغيره بطلان هذا القول (ومناقضته)[5] للشرائع والعدل (والحكمة)[6] قالوا: قدرة العبد وإن لم تؤثر (في)[7] وجود الفعل، فهي مؤثرة في صفة من صفاته، وتلك الصفة تسمى كسباً، وهي متعلق الأمر والنهي والثواب والعقاب، فإن الحركة التي هي (من)[8] طاعته، والحركة التي هي (من)[9] معصيته قد (اشتركتا)[10] في نفس الحركة، وامتازت (إحداهما)[11] عن الأخرى بالطاعة والمعصية، فذات الحركة ووجودها واقع بقدرة الله

(١) ساقطة من م، ت.

(٢) ساقطة من م.

(٣) في هامش ع تعليق نصه (أبو بكر الباقلاني).

(٤) هو: أبو بكر، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، ابن الباقلاني، قاض من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرئاسة في مذهب الأشاعرة، ولد في البصرة، وسكن بغداد وتوفي بها سنة ٤٠٣هـ. له مؤلفات كثيرة منها: إعجاز القرآن، والإنصاف، والاستبصار، والتمهيد، وغيرها. سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩٠) تاريخ بغدد (٣/ ٢٩٤)، وفيات الأعيان ١/ ٤٨١).

(٥) في ع، د، س: وتناقضه.

(٦) في ع، د، س: والجبلة.

(٧) ساقطة من م، ع.

(٨) ساقطة من م، ع.

(٩) ساقطة من م، ت.

(١٠) في ع، د، س: اشتركا.

(١١) في ع، م: أحدهما.

وإيجاده، وكونها طاعة ومعصية واقع بقدرة العبد وتأثيره [١] .

وهذا وإن كان أقرب إلى الصواب، فالقائل به لم يوفه حقه، فإن كونها طاعة ومعصية هو موافقة الأمر ومخالفته، فهذه الموافقة والمخالفة إما أن تكون فعلاً للعبد يتعلق بقدرته واختياره (أو لا تكون كذلك، فإن كان الأول ثبت أن فعل العبد واقع بقدرته واختياره)[٢]، وإن كان (الثاني)[٣] لم يكن للعبد (اختيار)[٤]، ولا فعل ولا كسب البتة، فلم يثبت هؤلاء من الكسب أمراً معقولاً، ولهذا يقال: (محالات)[٥] الكلام ثلاثة: كسب الأشعري[٦]، وأحوال[٧]

---

(١) انظر : الإنصاف للباقلاني ص (٤٠-٤١) تعليق محمد زاهد الكوثري، نشر المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة. والمطالب العالية (٩/ ٩، ١٠) والمواقف ص (٣١١-٣١٢) والمحصل للرازي ص (٤٥٥) تحقيق د. حسين أتاي ط الأولى ١٤١١هـ نشر مكتبة دار التراث بالقاهرة. والملل والنحل (١/ ٩٧-٩٨) .

(٢) ما بين القوسين ساقط من ع، د، س .

(٣) ساقطة من ع، د، س .

(٤) في ع : اختياراً .

(٥) في م : من محالات .

(٦) الكسب عند الأشاعرة : ما وقع بقدرة محدثة، وهذه القدرة لا أثر لها في إيجاد الفعل، وإنما هو اقتران عادي، بحيث إن الله سبحانه أجرى سنته بأن يحقق هذا الفعل عقيب القدرة الحادثة. انظر مقالات الإسلاميين ص (٥٣٩) والمطالب العالية (٩/ ١٠) والملل والنحل (١/ ٩٧) . وإثبات قدرة لا أثر لها، إنما هو نفي للقدرة أصلاً، ولهذا قيل عن كسب الأشعري هذا إنه من الأمور التي لا تعقل . وانظر ص (٦١١) من هذا الكتاب، فقد ذكر المؤلف تعريف الأشاعرة للكسب .

(٧) الأحوال : جمع حال، وهو الواسطة بين الموجود والمعدوم، وبه يقول أبو هاشم ابن الجبائي من المعتزلة. وبه قالت الأشعرية، حيث قالوا: إن هاهنا أحوالاً ليست حقاً ولا =

أبي هاشم[١] وطفرة النظام[٢].

ولما رأى طائفة فساد هذا قالوا: المؤثر في وجود الفعل هو قدرة الرب على سبيل الاستقلال (وقدرة العبد على سبيل الاستقلال)[٣][٤].

= باطلاً، ولا هي مخلوقة ولا غير مخلوقة، ولا هي موجودة ولا معدومة، ولا هي معلومة ولا هي مجهولة، ولا هي أشياء ولا هي لا أشياء، وقالوا: من ذلك علم العالم بأن له علماء ووجوده لوجوده. وفناء الفاني، وظهور الظاهر، وذلك لأنه يلزم منه وجود أشياء لا نهاية لها. انظر تفصيل ذلك في الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/ ٤٩) نشر دار الفكر، بيروت سنة ١٤٠٠هـ.

(١) أبو هاشم هو: عبد السلام بن أبي علي محمد الجبائي بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان، مولى عثمان بن عفان. من كبار المعتزلة. ولد سنة ٢٤٧هـ. أخذ عن والده، وإليه تنسب فرقة البهشمية من المعتزلة، له مصنفات منها: الجامع الكبير، والمسائل العسكرية، وغيرها. توفي سنة (٣٢١هـ) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٦٣-٦٤) والملل والنحل (١/ ٧٨-٨٤).

(٢) نسبة إلى إبراهيم النظام، حيث نسب إليه قوم من المتكلمين أنه قال: إن المار على سطح الجسم يسير من مكان إلى مكان، بينهما أماكن لم يقطعها هذا المار، ولا مر عليها، ولا حاذاها، ولا حل فيها. انظر الفصل (٥/ ١٨٩). والفرق بين الفرق ص ١٢٤.

والنظام هو: إبراهيم بن سيار بن هاني البصري، أبو إسحاق النظام، من أئمة المعتزلة، وإليه تنسب طائفة النظامية، إحدى طوائف المعتزلة، تتلمذ على أبي الهذيل العلاف، وكان شاعراً وفقيهاً وفيلسوفاً. توفي سنة ٢٣١هـ. سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤١-٥٤٢). الأعـلام (١/ ٤٣).

(٣) ما بين القوسين ساقط من ع، د، س.

(٤) انظر المواقف للإيجي ص (٣١٢) والمحصل للرازي ص (٤٥٥) والمطالب العالية للرازي (٩/ ١٠).

قالوا : لا يمتنع اجتماع (المؤثرين)[١] على أثر واحد. ولم يستوحش هؤلاء من القول بقول مفعول بين فاعلين، ولا مقدور بين قادرين / قالوا : كما ٥٢ب (لم)[٢] يمتنع وقع معلوم بين عالمين، ومراد بين مريدين، ومحبوب بين محبين ومكروه بين كارهين .

قالوا : ونحن نشاهد قادرين مستقلين، كل منهما يمكنه أن يستقل بالفعل يقع بينهما مفعول واحد يشتركان في فعله والتأثير فيه .

قالوا : وليس معكم ما يبطل هذا إلا قولكم: إن إضافته إلى أحدهما على سبيل الاستقلال تمنع إضافته إلى الآخر، (فإضافته)[٣] إليهما (تمنع إضافته إليهما)[٤] .

وهذه الحجة (فيها)[٥] إجمال لابد (من)[٦] (تفصيله)[٧] فيجوز وقوع مفعول بين فاعلين لا يستقل أحدهما به، كالمتعاونين على الأمر لا يقدر عليه أحدهما وحده، ويجوز وقوع مفعول بين فاعلين[٨] كل منهما يستقل به على سبيل البدل، وهذا ظاهر أيضاً .

ويجوز وقوع مفعول بين فاعلين يشتركان فيه، وكل منهما يقدر عليه حال

---

(١) في ت : المؤثر .

(٢) في ت، م ، ع : مكروهين .

(٣) في ع، د، س : وإضافته .

(٤) ما بين القوسين ساقط من ع، د، س .

(٥) ساقطة من ع، د، س .

(٦) في د، س : له من .

(٧) في ع، د، س : تفصيل .

(٨) في ع، د، س : زيادة : يشتركان فيه .

الانفراد، كمحمول يحمله اثنان كل منهما يمكنه أن يستقل بحمله وحده .

فكل هذه الأقسام ممكنة بل واقعة، بقي قسم واحد وهو مفعول بين فاعلين، كل منهما على سبيل الاستقلال، فهذا محال، فإن استقلال كل منهما بفعله، ينفي فعل الآخر له، فاستقلالهما ينافي استقلالهما. وأكثر الطوائف تقر بوقوع مقدور بين قادرين وإن اختلفوا في كيفية وقوعه .

فقالت طائفة : الفعل يضاف إلى قدرة الله سبحانه على وجه الاستقلال بالتأثير، ويضاف إلى قدرة العبد، لكنها غير مستقلة، فإذا انضمت قدرة الله على قدرة العبد صارت قدرة العبد مؤثرة على سبيل الاستقلال بتوسط إعانة قدرة الله وجعل قدرة العبد مؤثرة [١] .

والقائل بهذا لم يتخلص من الخطأ؛ حيث زعم أن قدرة العبد مستقلة بإعانة قدرة الله له، فعاد الأمر إلى اجتماع مؤثرين على أثر واحد، لكن قدرة أحدهما وتأثيره مستند إلى قدرة الآخر/ وتأثيره، وكأنه - والله أعلم - أراد ١٥٢ أ أن قدرة الرب تعالى مستقلة بالتأثير في إيجاد (قدرة العبد، ثم قدرة العبد مستقلة بالتأثير في إيجاد)[٢] الفعل. وهذا قد قاله طائفة من (العقلاء)[٣] .

وقائل هذا لم يتخلص من الخطأ، حيث جعل قدرة العبد مستقلة بالتأثير في إيجاد المقدور، وهذا باطل، إذ غاية قدرة العبد أن تكون سبباً، بل جزاءً من السبب، والسبب لا يستقل بحصول المسبب ولا يوجبه، وليس في الوجود ما يوجب حصول المقدور إلا مشيئة الله وحده .

---

(١) وبهذا قال أبو إسحاق الإسفراييني . انظر المطالب العالية من العلم الإلهي للرازي (٩/ ١١) .

(٢) ما بين القوسين ساقط من ع، د، س .

(٣) في ع، د، س : العلماء .

وأصحاب هذا القول زعموا أن الله سبحانه أعطى العبد قدرة وإرادة، وفوض إليه بهما الفعل والترك، وخلاه وما يريد، فهو يفعل ويترك بقدرته وإرادته اللتين فوض إليه الفعل والترك بهما .

وقالت طائفة أخرى: مقدور العبد هو عين مقدور الرب، بشرط أن يفعله العبد إذا تركه الرب ولم يفعله، لا على أنه يفعله والرب له فاعل، لاستحالة خلق بين خالقين، وهذا (هو)[١] بعينه مذهب من يقول بوقوع مفعول بين فاعلين على سبيل (البدل)[٢] . (وهذا)[٣] مذهب كثير من القدرية، منهم الشحام[٤] وغيره[٥] .

وقالت طائفة : يجوز وقوع فعل بين فاعلين بنسبتين مختلفتين، (أحدهما)[٦] يكون محدثاً، (والآخر)[٧] يكون كاسباً. وهذا مذهب النجار[٨]

---

(١) ساقطة من ع، د، س .

(٢) ساقطة من ع، د .

(٣) في ت : وهو .

(٤) هو : يوسف بن عبد الله ، أبو يعقوب الشحام، من أهل البصرة، كان رئيس المعتزلة في أيامه، أخذ عن أبي الهذيل العلاف، ومن تلاميذه أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي، ولي الخراج في أيام الواثق، وكان من أحذق الناس بالجدل، وله كتاب في تفسير القرآن، توفي نحو سنة ٢٨٠هـ وعمره ثمانون سنة. سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٥٢) والفرق بين الفرق ص (١٦٣) ولسان الميزان (٦/ ٣٢٥) .

(٥) انظر مقالات الإسلاميين ص (١٩٩) .

(٦) في د، س : بإحداهما .

(٧) في د، س : وبالأخرى .

(٨) هو : أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله النجار، رأس الفرقة النجارية من المعتزلة، وإليه تنسب، كان حائكاً، وقيل : كان يعمل الموازين، وهو من متكلمي الجبرة، وله مع =

وضرار بن عمرو[١]، ومحمد بن[٢] (عيسى وحفص[٣])[٤][٥] .

والفرق بين هذه المذاهب، ومذهب (الأشعري)[٦] من وجهتين:

أحدهما: أن (أصحاب)[٧] هذا المذهب (يقولون)[٨]: العبد فاعل حقيقة، وإن لم يكن محدثاً مختاراً للفعل، والأشعري يقول: العبد ليس بفاعل وإن

= النظام عدة مناظرات، له كتب؛ منها: إثبات الرسل، وكتاب القضاء والقدر، وغيرهما. توفي سنة ٢٢٠هـ. سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٥٤) والأعلام (٢/ ٥٥٣).

(١) هو: ضرار بن عمرو الغطفاني، من رؤوس المعتزلة، شيخ الضرارية، طمع برئاسة المعتزلة في بلده فلم يدركها، فخالفهم، فكفروه، وصنف نحو ثلاثين كتاباً بعضها في الرد عليهم وعلى الخوارج، وفيها ما هو مقالات خبيثة. سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤٤-٥٤٦) وميزان الاعتدال (٢/ ٣٢٨-٣٢٩). والفرق بين الفرق ص(٢٠١) والأعلام (٣/ ٢١٥).

(٢) هو: أبو عبد الله محمد بن عيسى، الملقب برغوث رأس البدعة، أحد من كان يناظر الإمام أحمد في وقت المحنة. وإليه تنسب فرقة البرغوثية إحدى فرق المعتزلة. صنف كتاب (الاستطاعة)، وكتاب (المقالات) وغيرهما، قيل: توفي سنة أربعين ومائتين، وقيل: سنة إحدى وأربعين ومائتين، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٥٤). والفرق بين الفرق ص(١٩٧).

(٣) في ع، د، س ك عيسى بن حفص.

(٤) هو: أبويحيى: حفص الفرد البصري، المصري، من أصحاب أبي يوسف، ومن أتباع ضرار بن عمرو، سمع من أبي الهذيل العلاف، من كتبه: كتاب الاستطاعة، وكتاب التوحيد وغيرهما. لسان الميزان (٢/ ٣٣٠-٣٣١).

(٥) انظر مقالات الإسلاميين ص (٤٠٨، ٥٤٠، ٥٦٦). والملل والنحل (١/ ٨٨-٨٩، ٩٠-٩١).

(٦) في ع، د، س: الأشعريين.

(٧) في ع، د، س: صاحب.

(٨) في ع، د، س: يقول.

نسب إليه الفعل، وإنما الفاعل في الحقيقة هو الله، فلا فاعل سواه.

الثاني : أنهم يقولون: الرب هو المحدث، والعبد هو الفاعل .

وقالت فرقة : بل أفعال العباد فعل (الله)[١] على الحقيقة، وفعل العبد على المجاز. وهذا أحد قولي الأشعري .

وقالت فرقة أخرى، منهم القلانسي[٢] ، وأبو إسحاق[٣] في بعض كتبه: إنها فعل (الله)[٤] على الحقيقة وفعل (الإنسان)[٥] على الحقيقة، لا معنى أنه أحدثها، بل على معنى أنها كسب له[٦] .

---

(١) في ع، د، س : لله .

(٢) ذكر ابن عساكر في (تبيين كذب المفتري ص ٣٩٨) نشر مطبعة التوفيق بدمشق سنة ١٣٤٧هـ القلانسي، فقال: أبو العباس أحمد بن عبدالرحمن بن خالد القلانسي الرازي، من معاصري أبي الحسن الأشعري رحمه الله، لا من تلامذته، كما قال الأهوازي. وهو من جلة العلماء الكبار الأثبات. واعتقاده موافق لاعتقاد (الأشعري) في الإثبات أ.هـ . وهو من أصحاب عبد الله بن سعيد بن كلاب . انظر التدمرية لابن تيمية ص (١٩١) ، والفرق بين الفرق ص ١١٥، ١٤٥، ٣٤٤ .

(٣) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الإسفراييني، الفقيه، المتكلم، الأصولي الشافعي، الملقب: ركن الدين، شيخ أهل خراسان، سمع من دعلج السجزي، وعبد الخالق بن أبي روبا، وعدة . حدث عنه : البيهقي وطائفة، وكان ثقة ثبتاً في الحديث، مات بنيسابور يوم عاشوراء من سنة ٤١٨هـ ، وقد نيف على الثمانين. له مؤلفات منها: الحلى في أصول الدين، والرد على الملحدين. سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٥٣) والعبر (٣/ ١٢٨) وطبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١١١) .

(٤) في م ، د، س : لله .

(٥) في م ، للإنسان .

(٦) انظر المواقف للإيجي ص (٣١١) والمحصل للرازي ص (٤٥٥) والإنصاف للباقلاني ص (١٢٧) .

وقالت طائفة أخرى: وهم/ جهم[1] وأتباعه: إن القادر على الحقيقة هو ٥٣ب الله وحده، وهو الفاعل حقاً، ومن سواه ليس بفاعل على الحقيقة ولا كاسب أصلاً، بل هو مضطر إلى جميع ما فيه من حركة وسكون، وقول القائل: قام وقعد، وأكل وشرب، مجاز بمنزلة (قوله)[2] مات وكبر ووقع، وطلعت الشمس وغربت، وهذا قول الجبرية الغلاة[3].

وقابله طائفة أخرى، فقالوا: العباد موجدون لأفعالهم، مخترعون لها (بقدرتهم)[4] وإرادتهم، والرب تعالى لا يوصف بالقدرة على مقدور العبد، ولا تدخل أفعالهم تحت قدرته، كما لا يوصف العباد بمقدور الرب، ولا تدخل أفعاله تحت قدرهم. وهذا قول جمهور القدرية، وكلهم متفقون على

---

(١) هو: جهم بن صفوان السمرقندي، أبو محرز الراسبي، مولاهم، رأس الجهمية، وإليه تنسب، قال الذهبي: الضال المبتدع، رأس الجهمية، هلك في زمان أصغر التابعين، وما علمته روى شيئاً، ولكنه زرع شراً عظيماً. قيل: إن سلم بن أحوز قتله لإنكاره أن الله تعالى كلّم موسى. وذلك في سنة ١٢٨هـ، وكان يقول: إنه لا يجوز وصف الباري تعالى بصفة يوصف به خلقه، لأن ذلك يقضي تشبيهاً. فنفى كونه حياً عالماً. وأثبت كونه قادراً خالقاً، لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة والخلق. وإن الإنسان مجبور في أفعاله، وأن الجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلها فيهما، وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، وأن الكفر هو الجهل به فقط، وأنه لا ينقسم إلى: عقد، وقول، وعمل، وأنه لا يتفاضل أهله فيه. انظر سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٦-٢٧). وميزان الاعتدال (١/ ٤٢٦) والملل والنحل (١/ ٨٦-٨٨). والفرق بين الفرق ص (١٩٩).

(٢) ساقطة من ع، د، س.

(٣) انظر الملل والنحل (١/ ٨٧) والفرق بين الفرق ص (١٩٩).

(٤) في م، ع، د، س: بقدرهم.

أن الله سبحانه غير فاعل لأفعال العباد[١]، واختلفوا: هل يوصف بأنه مخترعها ومحدثها، وأنه قادر عليها، وخالق لها؟ فجمهورهم نفوا ذلك[٢]، ومن يقرب منهم إلى السنة أثبت كونها مقدورة لله، وأن الله سبحانه قادر على أعيانها، وأن العباد أحدثوها بإقدار الله لهم على إحداثها. وليس معنى قدرة الله عليها عندهم أنه قادر على فعلها، هذا عندهم عين المحال، بل قدرته عليها إقدارهم على إحداثها، فإنما أحدثوها بقدرته واقتداره وتمكينه، وهؤلاء أقرب القدرية إلى السنة[٣].

وأرباب هذه المذهب مع كل طائفة منهم خطأ وصواب (وبعضهم أقرب إلى الصواب)[٤] وبعضهم أقرب إلى الخطأ، وأدلة كل منهم وحججه إنما تنهض على بطلان خطأ الطائفة الأخرى، لا على إبطال ما أصابوا فيه، فكل دليل صحيح للجبرية إنما يدل على إثبات قدرة الرب تعالى ومشيئته، وأنه لا خالق غيره، وأنه على كل شيء قدير، ولا يستثنى من هذا العموم فرد واحد من أفراد (الممكنات)[٥]، وهذا حق ولكن ليس معهم دليل صحيح ينفي أن يكون العبد قادراً مريداً فاعلاً بمشيئته وقدرته، وأنه هو الفاعل حقيقة وأفعاله قائمة به، وأنها / فعل له لا لله، وأنها قائمة به لا بالله. وكل دليل صحيح يقيمه القدرية فإنما يدل على أن أفعال العباد فعل لهم قائم بهم بقدرتهم ومشيئتهم وإرادتهم، وأنهم مختارون لها غير مضطرين ولا مجبورين. ١٥٤أ

---

(١) انظر مقالات الإسلاميين ص (٢٧٧) والفرق بين الفرق ص (٩٤).

(٢) انظر مقالات الإسلاميين ص (٥٣٩).

(٣) انظر مقالات الإسلاميين ص (١٩٩-٢٠٠).

(٤) ما بين القوسين ساقط من ع، د.

(٥) في م، ت: الكتاب.

وليس معهم دليل صحيح ينفي أن يكون الله سبحانه قادراً على أفعالهم، وهو الذي جعلهم فاعلين .

فأدلة الجبرية متضافرة صحيحة على من نفى قدرة الرب تعالى على كل شيء من الأعيان والأفعال، ونفى عموم مشيئته وخلقه لكل موجود، وأثبت في الوجود شيئاً بدون مشيئته وخلقه. وأدلة القدرية متضافرة صحيحة على من نفى فعل العبد وقدرته ومشيئته واختياره، وقال: إنه ليس بفاعل شيئاً، والله يعاقبه على ما لم يفعله ولا له قدرة عليه، بل هو مضطر إليه مجبور عليه.

وأهل السنة وحزب الرسول وعسكر الإيمان لا مع هؤلاء، ولا مع هؤلاء، بل هم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه، وهم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه، وكل حق مع طائفة من الطوائف فهم يوافقونهم فيه، وهم برآء من باطلهم، فمذهبهم جمع حق الطوائف بعضه إلى بعض، والقول به ونصره وموالاة أهله من ذلك الوجه (ونفي باطل كل طائفة من الطوائف وكسره، ومعاداة أهله من هذا الوجه)[1] ، فهم حكام بين الطوائف، لا يتحيزون إلى فئة منهم على الإطلاق، ولا يردون حق طائفة من الطوائف، ولا يقابلون بدعة ببدعة، ولا يردون باطلاً بباطل، ولا يحملهم شنآن قوم يعادونهم ويكفرونهم على أن لا يعدلوا فيهم، بل يقولون فيهم الحق، ويحكمون في مقالاتهم بالعدل، والله سبحانه تعالى أمر رسوله أن يعدل بين الطوائف فقال : ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ﴾[2]. فأمره سبحانه أن يدعو إلى دينه وكتابه،

---

(١) ما بين القوسين ساقط من م ، ت .

(٢) سورة الشورى آية : ١٥ .

وأن يستقيم في نفسه كما أمره، وأن لا يتبع هوى أحد من الفرق، وأن يؤمن بالحق جميعه، لا يؤمن ببعضه دون بعض، وأن يعدل بين أرباب المقالات والديانات.

٥٤ب وأنت إذا تأملت هذه الآية/ وجدت أهل الكلام الباطل وأهل الأهواء والبدع من جميع الطوائف أبخس الناس منها حظاً وأقلهم نصيباً، ووجدت حزب الله ورسوله وأنصار سنته (هم)[1] أحق بها وأهلها، وهم في هذه المسألة وغيرها من السائل أسعد بالحق من جميع الطوائف، فإنهم يثبتون قدرة الله على جميع الموجودات من الأعيان والأفعال، ومشيئته العامة، وينزهونه أن يكون في ملكه ما لا يقدر عليه، ولا وهو واقع تحت مشيئته، ويثبتون القدر السابق، وأن العباد يعملون على ما قدره الله وقضاه وفرغ منه، وأنه لا يشاؤون إلا أن يشاء الله (لهم)[2] ، ولا يفعلون إلا من بعد مشيئته، وأنه ما شاء (الله)[3] كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا تخصيص عندهم في هاتين القضيتين بوجه من الوجوه. والقدر عندهم قدرة الله وعلمه ومشيئته وخلقه، فلا تتحرك ذرة فما فوقها إلا بمشيئته وعلمه وقدرته، فهم المؤمنون بلا حول ولا قوة إلا بالله على الحقيقة إذا قالها غيرهم على المجاز، إذ العالم علويه وسفليه وكل حي يفعل فعلاً (فإنه يفعله)[4] بقوة (فيه)[5] على الفعل، وهو في حول من ترك إلى فعل ، ومن فعل إلى ترك، ومن فعل إلى فعل، وذلك كله

---

(١) ساقطة من م .

(٢) إضافة من م ، ت .

(٣) لفظ الجلالة إضافة من م ، ت .

(٤) في ع، د، س : فإن فعله .

(٥) ساقطة من م .

بالله تعالى لا بالعبد، ويؤمنون بأن من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأنه هو الذي يجعل المسلم مسلماً (والكافر كافراً)[١]، والمصلي مصلياً، والمتحرك متحركاً، وهو الذي يسير عبده في البر والبحر، وهو المسير، والعبد السائر، وهو المحرك، والعبد المتحرك، وهو المقيم، والعبد القائم، وهو الهادي، والعبد المهتدي، وأنه المطعم، والعبد الطاعم، وهو المحيي المميت، والعبد الذي يحيى ويموت. ويثبتون مع ذلك قدرة العبد، وإرادته، واختياره، وفعله، حقيقة لا مجازاً، وهم متفقون على أن الفعل غير المفعول، كما حكاه عنهم البغوي وغيره[٢]، فحركاتهم واعتقاداتهم أفعالهم حقيقة، وهي مفعولة لله سبحانه، مخلوقة / له حقيقة، فالذي قام بالرب عز وجل علمه وقدرته ٥٥أ ومشيئته وتكوينه، والذي قام بهم هو فعلهم وكسبهم وحركاتهم وسكناتهم، فهم المسلمون المصلون القائمون القاعدون حقيقة، وهو سبحانه هو المقدر لهم على ذلك، القادر عليه، الذي شاءه منهم وخلقه لهم (ومشيئتهم)[٣] (وفعلهم)[٤] بعد مشيئته، فما يشاؤون إلا أن يشاء الله، وما يفعلون إلا أن يشاء الله.

وإذا وازنت بين هذا المذهب وبين ما عداه من المذاهب، وجدته هو المذهب الوسط والصراط المستقيم، ووجدت سائر المذاهب خطوطاً عن يمينه وعن شماله، فقريب منه، وبعيد، وبين ذلك.

وإذا أعطيت الفاتحة حقها وجدتها من أولها إلى آخرها منادية على ذلك،

---

(١) ما بين القوسين ساقط من م، ت.

(٢) بحثت عن حكاية البغوي لذلك الإجماع في مظانه من كتابه (شرح السنة) ومن تفسيره (معالم التنزيل) ولم أجده.

(٣) في ت، م: بمشيئتهم. وفي س: ومشيئته.

(٤) في ع: وفعلها. وفي س: وفعله.

دالة عليه، صريحة فيه (فإن كمال)[١] حمده لا يقتضي غير ذلك، وكذلك كمال ربوبيته للعالمين لا يقتضي غير ذلك، فكيف يكون الحمد كله لمن لا يقدر على مقدور أهل سماواته وأرضه من الملائكة والجن والإنس والطير والوحش؟! بل يفعلون ما لا يقدر عليه ولا يشاؤه، ويشاء ما لا يفعله كثير منهم، فيشاء ما لا يكون، ويكون ما لا يشاء، وهل يقتضي كمال حمده ذلك؟! وهل يقتضيه كمال ربوبيته؟! ثم قوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٢] مبطل لقول الطائفتين المنحرفتين عن قصد السبيل، فإنه يتضمن إثبات فعل العبد وقيام العبادة به حقيقة، فهو العابد على الحقيقة، وإن ذلك لا يحصل له إلا بإعانة رب العالمين عز وجل له، فإن لم يعنه ولم يقدره ولم يشأ له العبادة لم يتمكن منها ولم توجد منه البتة، فالفعل منه، والاقتدار والإعانة من الرب عز وجل، ثم قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[٣] يتضمن طلب الهداية ممن هو قادر عليها، وهي بيده: إن شاء أعطاها عبده، وإن شاء منعه إياها، والهداية معرفة الحق والعمل به، فمن لم يجعله الله تعالى عالماً بالحق عاملاً به، لم يكن له سبيل إلى الاهتداء، فهو سبحانه المتفرد / بالهداية الموجبة للاهتداء التي لا يتخلف عنها، وهي جعل العبد مريداً للهدى، محباً له مؤثراً له، عاملاً به، فهذه الهداية ليست إلى ملك مقرب ولا نبي مرسل، وهي التي قال سبحانه فيها : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[٤] مع قوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٥] فهذه هداية الدعوة والتعليم والإرشاد، وهي التي هدى

٥٥ب

(١) في ع، د، س : وإن كان .

(٢) سورة الفاتحة آية : ٥ .

(٣) سورة الفاتحة آية : ٦ .

(٤) سورة القصص آية : ٥٦ .

(٥) سورة الشورى آية : ٥٢ .

بها ثمود فاستحبوا العمى[1] عليها، وهي التي قال تعالى فيها : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾[2] . فهداهم هدى البيان الذي تقوم به حجته عليهم، ومنعهم الهداية الموجبة للاهتداء، التي لا يضل من هداه بها، فذاك عدله فيهم وهذه حكمته، فأعطاهم ما تقوم به الحجة عليهم، ومنعهم ما ليسوا له بأهل ولا يليق بهم.

وسنذكر في الباب الذي بعد هذا ـ إن شاء الله تعالى ـ ذكر الهدى والضلال ومراتبهما وأقسامهما، فإن عليه مدار مسائل القدر .

والمقصود ذكر بعض ما يدل على إثبات هذه المرتبة الرابعة من مراتب القضاء والقدر، وهي خلق الله تعالى لأفعال المكلفين، ودخولها تحت قدرته ومشيئته كما دخلت تحت علمه (وكتابته)[3] قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾[4] . وهذا عام محفوظ لا يخرج عنه شيء من العالم، وأعيانه وأفعاله وحركاته وسكناته، وليس مخصوصاً بذاته وصفاته، فإنه الخالق بذاته وصفاته، وما سواه مخلوق له، واللفظ قد فرق بين الخالق والمخلوق، وصفاته سبحانه داخلة في مسمى اسمه، فإن الله سبحانه اسم للإله الموصوف بكل صفة كمال، المنزه عن كل صفة نقص ومثال، والعالم قسمان : أعيان، وأفعال، وهو الخالق لأعيانه وما يصدر عنها من الأفعال، كما أنه العالم بتفاصيل ذلك، فلا يخرج شيء منه عن قدرته ولا عن خلقه ومشيئته .

---

(١) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ سورة فصلت آية (١٧).

(٢) سورة التوبة آية : ١١٥ .

(٣) في م، ع، د، س : وكتابه .

(٤) سورة الزمر آية : ٦٢ .

قالت القدرية : نحن نقول: إن الله خالق أفعال العباد لا على (معنى)[١] أنه محدثها ومخترعها، ولكن على / معنى أنه مقدرها، فإن الخلق: التقدير، كما قال تعالى : ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[٢] وقال الشاعر :

٥٦أ

ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري[٣]

أي : لأنت تمضي ما قدرته وتنفذه بعزمك وقدرتك، وبعض القوم يقدر ثم لا قوة له، ولا عزيمة على إنفاذ ما قدره وإمضائه. فالله تعالى مقدر أفعال العباد ، وهم الذين أوجدوها وأحدثوها[٤] .

قال أهل السنة : قدماؤكم ينكرون تقدير الله سبحانه وتعالى لأعمال العباد البتة، فلا يمكنهم أن يجيبوا بذلك، ومن اعترف منكم بالتقدير فهو تقدير لا يرجع إلى تأثير، وإنما هو مجرد العلم بها والخبر عنها، وليس التقدير عندكم جعلها على قدر كذا وكذا (وصفة كذا وكذا)[٥] ، فإن هذا عندكم غير مقدور للرب ولا مصنوع له، وإنما هو صنع لعبد وإحداثه، فرجع التقدير إلى مجرد العلم والخبر، وهذا لا يسمى خلقاً في لغة أمة من الأمم، ولو كان هذا خلقاً لكان من علم شيئاً وعلم أسماءه وصفاته وأخبر عنه بذلك خالقاً له،

---

(١) ساقطة من ع، د، س .

(٢) سورة المؤمنون آية : ١٤ .

(٣) هذ البيت لزهير بن أبي سلمى من قصيدة قالها في مدح هرم بن سنان، انظر شرح ديوان زهير (٨٢) صنعه أحمد بن يحيى الشيباني (ثعلب) تحقيق د.فخر الدين قباوة، ط الأولى، ١٤٠٢هـ ، نشر دار الآفاق الجديدة بيروت .

(٤) انظر شرح الأصول الخمسة ص (٣٢٣، ٣٨٠، ٥٤٨، ٧٧١) والتمهيد للباقلاني ص (٣٤٩-٣٥٠) .

(٥) ساقطة من ع، د، س .

فالتقدير الذي أثبتموه إن كان متضمناً للتأثير في إيجاد الفعل فهو خلاف مذهبكم، وإن لم يتضمن تأثيراً في إيجاده، فهو راجع إلى محض العلم والخبر .

قالت القدرية : قوله : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[(١)] من العام المراد به الخاص، ولا سيما فإنكم قلتم : إن القرآن لم يدخل في هذا العموم، وهو من أعظم الأشياء وأجلها، فخصصنا منه أفعال العباد بالأدلة الدالة على كونها فعلهم (وصنعهم[(٢)])[(٣)] .

قالت أهل السنة : القرآن كلام الله سبحانه، وكلامه صفة من صفاته، وصفات الخالق وذاته لم تدخل في المخلوق، فإن الخالق غير مخلوق، فليس هاهنا تخصيص البتة، بل الله سبحانه بذاته وصفاته الخالق، وكل ما عداه مخلوق، وذلك عموم لا تخصيص فيه بوجه، إذ ليس إلا الخالق والمخلوق والله وحده الخالق وما سواه كله/ مخلوق . ٥٦ب

وأما الأدلة الدالة على أن أفعال العباد صنع لهم (وأنها)[(٤)] أفعالهم القائمة بهم، وأنهم هم الذين فعلوها، فكلها حق نقول بموجبها، ولكن لا ننفي أن تكون أفعالاً لهم ومخلوقة مفعولة لله تعالى، فإن الفعل غير المفعول، ولا نقول: إنها فعل لله، ولعبد مضطر مجبور عليها، ولا نقول: (إنها فعل للعبد والله غير قادر عليها، ولا جاعل العبد فاعلاً لها، ولا نقول)[(٥)] إنها مخلوقة بين خالقين مستقلين بالإيجاد والتأثير، (وكل هذه أقوال)[(٦)] باطلة .

---

(١) سورة الزمر آية : ٦٢ .

(٢) في د، س : ومنعهم .

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة (ص٣٨٣) .

(٤) في ع، د، س : وإنما .

(٥) ساقطة من م .

(٦) في ع، د، س : وهذه الأقوال كلها .

قالت القدرية : (يعني)[(١)] قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[(٢)] لا يقدر عليه غيره، وأما (الأفعال)[(٣)] التي يقدر عليها العباد. فإضافتها إليهم تنفي إضافتها إليه، وإلا لزم وقوع (مفعول)[(٤)] بين فاعلين وهو محال[(٥)] .

قال أهل السنة : إضافتها إليهم فعلاً وكسباً لا ينفي إضافتها إليه سبحانه خلقاً ومشيئة ، فهو سبحانه الذي شاءها وخلقها، وهم الذين فعلوها وكسبوها حقيقة، فلو لم تكن مضافة إلى مشيئته وقدرته، وخلقه لاستحال وقوعها منهم، إذ العباد أعجز (وأقل)[(٦)] (أن يفعلوا)[(٧)] ما لم يشأه ولم يقدر عليه ولا خلقه .

فصل

ومما يدل على قدرته سبحانه على أفعالهم قولـه : ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[(٨)]. واعتراض القدرية على الاستدلال بذلك والجواب عنه نظير

---

(١) ساقطة من ع، د.

(٢) سورة الزمر آية : ٦٢ .

(٣) في ع، د، س : أفعال العباد .

(٤) في د، س : مفعولين .

(٥) انظر مقالات الإسلاميين ص ٢٢٧ .

(٦) ساقطة من ع، د، س: وأضعف. وفي هامش (ع) تعليق نصه : (هكذا في الأصل، ولعل الظاهر أنه أعجز وأوهن أن يفعلوا) .

(٧) في د، س : من أن يفعلوا . بزيادة (من) .

(٨) جزء من الآيات التالية : آية : ٢٨٤ من سورة البقرة ، وآية ٢٩ من سورة آل عمران ، وآية ٨٩ من سورة آل عمران ، وآية ١٧ من سورة المائدة ، وآية ١٩ من سورة المائدة ، وآية ٤٠ من سورة المائدة ، وآية ٤١ من سورة الأنفال ، وآية ٣٩ من سورة التوبة ، وآية ٦ من سورة الحشر .

الاعتراض على قولـه : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ﴾(١) .

وجوابه ـ ونزيده تقريراً ـ : أن أفعالهم أشياء ممكنة، والله تعالى قادر على كل ممكن، فهو الذي جعلهم فاعلين بقدرته ومشيئته، ولو شاء لحال بينهم وبين الفعل مع سلامة آلة الفعل منهم، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ﴾(٣) وقال : ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ ﴾(٤) .

فهو سبحانه يحول بين المرء وقلبه، وبين (اللسان)(٥) ونطقه، وبين اليد وبطشها، وبين الرجل ومشيها، فكيف يظن به ظن السوء ويجعل له مثل السوء أنه لا يقدر على ما يقدر عليه عباده، ولا تدخل أفعالهم تحت قدرته، تعالى الله عما يقول (الجاهلون)(٦) والجاحدون لقدرته علواً كبيراً. نعم ولا نظن به ظن السوء ونجعل له المثل السوء، أنه يعاقب عباده على ما لم يفعلوه ولا قدرة لهم على فعله، بل على ما فعله هو دونهم، واضطرهم إليه وجبرهم (عليه، وذلك بمنزلة عقوبة الزَّمِنِ إذ لم يطر إلى السماء، وعقوبة أشل اليد على ترك الكتابة)(٧)، وعقوبة الأخرس على ترك الكلام، فتعالى الله عن

---

(١) سورة الزمر آية ٦٢ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٣ .

(٣) سورة الأنعام آية : ١١٢ .

(٤) سورة يونس آية : ٩٩ .

(٥) في ع، دن س : الإنسان .

(٦) في ع، د، س : الظالمون .

(٧) ما بين القوسين ساقط من ت .

هذين المذهبين الباطلين المنحرفين عن سوء السبيل .

فصل

ومن الدليل على خلق أعمال العباد: قوله سبحانه : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾(١) فأخبر أنه هو الذي جعل السرابيل، وهي الدروع والثياب المصنوعة، ومادتها لا تسمى سرابيل. (ولا تسمى بذلك)(٢) إلا بعد أن تحيلها صنعة الآدميين وعلمهم، فإذا كانت مجعولة لله فهي مخلوقة له بجملتها ؛ صورتها ومادتها وهيئاتها. ونظيره هذا قوله : ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ﴾(٣) .

فأخبر سبحانه أن البيوت المصنوعة المستقرة والمتنقلة مجعولة له، وهي إنما صارت بيوتاً بالصنعة الآدمية. ونظيره قوله تعالى : ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾(٤). فأخبر سبحانه أنه خالق الفلك المصنوع للعباد.

وأبعد من قال : إن المراد بمثله هو الإبل(٥)، فإنه إخراج

---

(١) سورة النحل آية : ٨١ .

(٢) إضافة من م، ت . وفي ع: ولا تسمى بعد لكن .

(٣) سورة النحل آية : ٨٠ .

(٤) سورة يس آية : ٤١-٤٢ .

(٥) وهذا أحد قولي ابن عباس، وقول عبد الله بن شداد والحسن البصري وعكرمة ومجاهد. انظر تفسير ابن جرير الطبري (٢٣/ ١١) وتفسير ابن كثير (٣/ ٥٧٣) والدر المنثور (٧/ ٦٠).

(للمماثل)[1] حقيقة واعتبار لما هو بعيد عن المماثلة. ونظير ذلك قوله تعالى حكاية عن خليله أنه قال لقومه: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦)﴾[2] فإن كانت (ما) مصدرية كما قدره بعضهم، فالاستدلال ظاهر وليس بقوي/ إذ لا تناسب بين إنكاره عليهم عبادة ما ينحتونه بأيديهم ٥٧ب وبين إخباره بأن الله خالق أعمالهم من عبادة تلك الآلهة ونحتها وغير ذلك، فالأولى أن تكون (ما) موصولة، أي: والله خلقكم وخلق آلهتكم التي عملتموها بأيديكم[3]، فهي مخلوقة له لا آلهة شركاء معه، فأخبر أنه خلق معمولهم وقد حله عملهم وصنعهم، ولا يقال: المراد مادته، فإن مادته غير

---

(١) في ع، د، س: المماثل.

(٢) سورة الصافات آية: ٩٥-٩٦.

(٣) قال ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٣/ ٧٥): وفي قوله: ﴿وما تعملون﴾ وجهان:

أحدهما: أن تكون (ما) بمعنى المصدر، فيكون معنى الكلام حينئذ ـ والله ـ: خلقكم وعملكم.

والآخر: أن تكون بمعنى الذي، فيكون معنى الكلام عند ذلك: والله خلقكم والذي تعملونه، أي: والذي تعملون منه الأصنام. وهذا المعنى الثاني قصد إن شاء الله قتادة بقوله ﴿وما تعملون﴾: بأيديكم ا.هـ.

وذكر هذين الوجهين أبو جعفر النحاس في كتابه معاني القرآن الكريم (٦/ ٤٥) تحقيق محمد الصابوني، ط الأولى ١٤١٠هـ نشر جامعة أم القرى.

وزاد وجهين آخرين:

أحدهما: أن تكون (ما) نافية، أي: إن العمل في الحقيقة ليس لكم، فأنتم لا تعملون شيئاً.

والآخر: أن تكون استفهاماً فيه معنى التوبيخ، أي: وأي شيء تعملون. والقولان الأخيران ضعيفان، سيما قول من قال: إنها نافية، فإنه يقتضي نفي أفعال العباد.

وذكر هذه الأوجه الأربعة الشوكاني في فتح القدير (٤/ ٤٠٢). ثم قال: وجعلها موصولة أولى بالمقام وأوفق بسياق الكلام.

معمولة لهم، وإنما يصير معمولاً بعد علمهم .

فصل

وقد أخبر سبحانه أنه هو الذي جعل أئمة الخير يدعون إلى الهدى، وأئمة الشر يدعون إلى النار، فتلك الإمامة والدعوة بجعله، فهي مجعولة له وفعل لهم. قال تعالى عن آل فرعون : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾(١) وقال عن أئمة الهدى : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾(٢) فأخبر أن هذا وهذا بجعله مع كونه كسباً وفعلاً للأئمة.

ونظير ذلك قول الخليل عليه السلام : ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾(٣) فأخبر الخليل أن الله سبحانه هو الذي يجعل المسلم مسلماً، وعند القدرية هو الذي جعل نفسه مسلماً، لا أن الله جعله مسلماً، ولا جعله إماماً يهدي بأمره، ولا جعل الآخر إماماً يدعو إلى النار على الحقيقة، بل هم الجاعلون لأنفسهم كذلك حقيقة، ونسبة هذا الجعل إلى الله تعالى مجاز بمعنى التسمية، أي (سمنا)(٤) مسلمين لك، وكذلك ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾ أي سميناهم كذلك، وهم جعلوا أنفسهم أئمة رشد وضلال، فمنهم الحقيقة ومنه تعالى المجاز والتعبير .

فصل

ومن ذلك: إخباره سبحانه بأنه هو الذي يلهم العبد فجوره وتقواه .

والإلهام : الإلقاء في القلب ، لا مجرد (البيان)(٥) والتعليم ،

---

(١) سورة القصص آية : ٤١ .

(٢) سورة الأنبياء آية : ٧٣ .

(٣) سورة البقرة آية : ١٢٨ .

(٤) في ت : سمانا .

(٥) في م ، ت : النيابة .

كما قاله طائفة من المفسرين[١]، إذ لا يقال لمن بين لغيره شيئاً وعلمه إياه إنه قد ألهمه ذلك، وهذا لا يعرف في اللغة (البتة)[٢]، بل الصواب ما قاله ابن زيد[٣]، قال: جعل فيها فجورها وتقواها[٤].

وعليه (يدل)[٥] حديث / عمران بن حصين أن رجلاً من مزينة[٦] أو (من)[٧] جهينة[٨] أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس فيه (ويكدحون)[٩] أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر (سبق)[١٠] أو فيما يستقبلون مما أتاهم (به)[١١] نبيهم ؟ قال: «بل شيء قضي عليهم ومضى»، قال: ففيم العمل؟ قال : «من خلقه (الله)[١٢] لإحدى المنزلتين استعمله بعمل أهلها، وتصديق ذلك في كتاب الله : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا

١٥٨أ

(١) منهم ابن عباس ، ومجاهد، وقتادة ، والضحاك ، والثوري ، انظر تفسير ابن جرير الطبري (٣٠/ ٢١٠) وتفسير ابن كثير (٤/ ٥١٦) .

(٢) ساقطة من م .

(٣) سبقت ترجمته في ص (٣٨٩) .

(٤) انظر تفسير ابن جرير الطبري (٣٠/ ٢١٠) وتفسير ابن كثير (٤/ ٥١٦) .

(٥) ساقطة من ع، د، س .

(٦) سبق التعريف بها في ص (١٦٢) .

(٧) ساقطة من ع، د، س .

(٨) هم : بنو جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاعة، حي من قضاعة من القحطانية. معجم قبائل العرب (١/ ٢١٦) .

(٩) في ت، م : ويتكادحون. وفي ع: ويكادحون .

(١٠) في ع، د، س : سابق .

(١١) ساقطة من م .

(١٢) لفظ الجلالة لم يرد في م .

وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾[١]»[٢] .

فقراءته هذه الآية عقيب إخباره (بتقدم)[٣] القضاء والقدر السابق يدل على أن المراد بالإلهام استعمالها فيما سبق لها لا مجرد تعريفها، فإن التعريف والبيان لا يستلزم وقوع ما سبق (من)[٤] القضاء والقدر .

ومن فسر الآية من السلف بالتعليم والتعريف، فمراده تعريف مستلزم لحصول ذلك، لا تعريف مجرد عن الحصول، فإنه لا يسمى إلهاماً. (والله أعلم)[٥] .

فصل

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[٦]، وذات الصدور كلمة (جامعة)[٧] لما تشمل عليه (الصدور)[٨] من الاعتقادات والإرادات والحب والبغض، أي صاحبة الصدور، فإنها لما كانت فيها قائمة (بها)[٩] نسبت إليها نسبة الصحبة والملازمة .

---

(١) سورة الشمس آية : ٧، ٨ .

(٢) سبق تخريجه في ص (١٦٢) .

(٣) في ع، د، س : بتقديم .

(٤) في ت، ع، د، س : به .

(٥) في ع، د، س : وبالله التوفيق .

(٦) سورة الملك آية : ١٣-١٤ .

(٧) ساقطة من ع، د، س .

(٨) في ع، د، س : الصدر .

(٩) ساقطة من م .

وقد اختلف في إعراب ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ (هل)[١] هو (النصب أو الرفع)[٢] ، فإن كان مرفوعاً، فهو استدلال على علمه بذلك (بخلقه)[٣] له، والتقدير أنه يعلم ما تضمنته الصدور، وكيف لا يعلم الخلاق ما خلقه.

وهذا الاستدلال في غاية الظهور والصحة، فإن الخلق يستلزم حياة الخالق وقدرته وعلمه ومشيئته .

وإن كان منصوباً، فالمعنى: ألا يعلم مخلوقه، وذكر لفظة (من) تغليباً ليتناول العلم العاقل وصفاته .

(وعلى)[٤] التقديرين، فالآية دالة على (خلق)[٥] ما في الصدور (كما هي دالة على علمه سبحانه به، وأيضاً فإنه سبحانه خلقه لما في الصدور)[٦] دليلاً على علمه بها، فقال :﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ أي كيف يخفى عليه ما في الصدور ٥٨ب وهو الذي خلقه، فلو كان ذلك غير مخلوق له (بطل)[٧] الاستدلال به على العلم، فخلقه سبحانه للشيء من أعظم الأدلة على علمه به، فإذا انتفى الخلق انتفى دليل العلم، فلم يبق (معكم)[٨] ما يدل على علمه بما تنطوي

(١) ساقطة من ع، د، س .

(٢) في ت: الرفع أو النصب .

(٣) في ع، د، س : لخلقه .

(٤) في د، س : على . (دون الواو).

(٥) ساقطة من د .

(٦) ما بين القوسين ساقط من ت .

(٧) في ع، د، س : لبطل .

(٨) ساقطة من د، س .

عليه (الصدور)[١] إذا كان غير خالق لذلك، وهذا من أعظم الكفر برب العالمين، وجحد لما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، وعلم بالضرورة أنهم ألقوه إلى الأمم كما ألقوا إليهم أنه إله واحد لا شريك له .

فصل

ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن خليله إبراهيم أنه قال : ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾[٢]، وقوله : ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾[٣]، وقوله : ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾[٤]، وقوله تعالى حكاية عن زكريا أنه قال عن ولده : ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[٥] (أي مرضياً)[٦] وقال في الطرف الآخر : ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾[٧]، (وقال)[٨] : ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾[٩] ، وهذه الأكنة والوقر هي شدة البغض والنفرة والإعراض التي لا يستطيعون معها سمعاً ولا عقلاً .

---

(١) في ع ، س : الصدر .

(٢) سورة إبراهيم آية : ٤٠ .

(٣) سورة إبراهيم آية : ٣٧ .

(٤) سورة الحديد آية : ٢٧ .

(٥) سورة مريم آية : ٦ .

(٦) ساقطة من ع، د، س .

(٧) سورة المائدة آية: ١٣ .

(٨) ساقطة من م .

(٩) سورة الأنعام آية : ٢٥ .

والتحقيق أن هذا (ناشئ)[١] عن الأكنة والوقر، فهو موجب ذلك ومقتضاه.

فمن فسر الأكنة والوقر به، فقد فسرهما بموجبهما ومقتضاهما، وبكل حال فتلك النفرة والإعراض والبغض من أفعالهم، وهي مجعولة لله سبحانه، كما أن الرأفة والرحمة وميل الأفئدة إلى بيته هو من أفعالهم والله جاعله، فهو الجاعل للذوات وصفاتها وأفعالها وإرادتها واعتقاداتها، فذلك كله مخلوق له، وإن كان العبد فاعلاً له باختياره وإرادته .

فإن قيل : هذا كله معارض بقوله تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾[٢] . والبحيرة والسائبة إنما صارت كذلك بجعل العباد (لها)[٣] ، فأخبر/ سبحانه أن ذلك لم يكن بجعله . ٥٩ أ

قيل : لا تعارض ـ بحمد الله ـ بين نصوص الكتاب بوجه ما، والجعل هاهنا جعل شرعي أمري، لا كوني قدري، فإن الجعل في كتاب الله ينقسم إلى (هذين)[٤] النوعين كما ينقسم إليهما الأمر والإذن والقضاء والكتابة والتحريم، كما سيأتي بيانه إن شاء الله[٥] .

فنفى سبحانه عن البحيرة والسائبة جعله الديني والشرعي، أي لم يشرع ذلك ولا أمر به، ولكن الذين كفروا افتروا عليه الكذب، وجعلوا ذلك ديناً له بلا علم.

---

(١) في م ، ت : باين .

(٢) سورة المائدة آية : ١٠٣ .

(٣) في ت: له .

(٤) في ع : هذه .

(٥) في الباب التاسع والعشرين .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾[١] فأخبر سبحانه أن هذه الفتنة الحاصلة بما ألقى الشيطان هي بجعله سبحانه، وهذا جعل كوني قدري. ومن هذا قوله ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وابن حبان[٢] في صحيحه : « **اللهم اجعلني لك شكّاراً، لك ذكّاراً، لك رهّاباً، لك مطواعاً، لك مخبتاً، إليك أوّاهاً منيباً**»[٣]

---

(١) سورة الحج آية : ٥٣ .

(٢) هو : محمد بن حبان بن أحمد، التميمي، البستي، أبو حاتم، سمع من أبي عبد الرحمن النسائي، ومحمد بن خزيمة، وغيرهما، وحدث عنه أبو عبد الله بن مندة، وأبو عبد الله الحاكم وغيرهما، ولي قضاء سمرقند مدة، وكان عارفاً بالطب والكلام والفقه، رأساً في معرفة الحديث. له مؤلفات كثيرة، منها: الجرح والتعديل، وتاريخ الثقات، وكتاب الأنواع والتقاسيم، والذي رتبه الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، وسماه: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان. مات في مدينة بست سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، وهو في عشر الثمانين. سير أعلام النبلاء (١٦/ ٩٢-١٠٤) والبداية والنهاية (١١/ ٢٥٩) .

(٣) انظر مسند الإمام أحمد (١/ ٢٢٧) ، وقال فيه أحمد شاكر: إسناده صحيح . المسند بتحقيقه(٣/ ٣٠٩). وانظر الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣/ ٢٢٧-٢٢٩) ورواه أيضاً أبو داود: (٤/ ٣٧٥-٣٧٦) ك. الصلاة – باب ما يقول الرجل إذا سلم. والترمذي (٥/ ٥١٧-٥١٨) ك الدعاء – باب في دعاء النبي ﷺ وقال: حديث حسن صحيح. والنسائي في عمل اليوم والليلة ص(٣٩٥) باب الاستنصار عند اللقاء. وابن ماجه (٢/ ١٢٥٩) ك الدعاء ـ في دعاء النبي ﷺ. والبخاري في الأدب المفرد ص(٢٣١-٢٣٢) باب دعوات النبي ﷺ . والحاكم في المستدرك (١/ ٥١٩-٥٢٠) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٨٦) وقال الألباني: إسناده صحيح. وعبد بن حميد كما في المنتخب (١/ ٦٠١) وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٢٨٠).

فسأل ربه أن يجعله كذلك، وهذه أفعال اختيارية واقعة بإرادة العبد واختياره. وفي هذا الحديث: «وسدد لساني» (فتسديد)[١] اللسان جعله ناطقاً بالسداد من القول .

ومثله (قوله)[٢] في الحديث الآخر : « اللهم اجعلني لك مخلصاً »[٣] .

ومثله قوله : « اللهم اجعلني أعظم شكرك، وأكثر ذكرك، وأتبع نصيحتك، وأحفظ وصيتك »[٤] .

---

(١) في ع، د، س : وتسديد .

(٢) ساقطة من م .

(٣) هذا طرف من حديث رواه داود الطفاوي، قال: حدثني أبو مسلم البجلي عن زيد بن أرقم، قال: سمعت نبي الله ﷺ يقول في دبر صلاته: « اللهم ربنا ورب كل شيء، أنا شهيد أنك أنت الرب وحدك لا شريك لك، اللهم ربنا ورب كل شيء، أنا شهيد أن محمداً عبدك ورسولك، اللهم ربنا ورب كل شيء، أنا شهيد أن العباد كلهم أخوة، اللهم ربنا ورب كل شيء، اجعلني مخلصاً لك وأهلي في كل ساعة في الدنيا والآخرة، يا ذا الجلال والإكرام اسمع واستجب، الله أكبر، اللهم نور السماوات والأرض » . أخرجه أبو داود (٤/ ٣٧٣-٣٧٤) ك الوتر – باب ما يقول الرجل إذا سلم. والنسائي في علم اليوم الليلة ص(١٨٣-١٨٤) . والإمام أحمد (٤/ ٣٦٩) . وابن السني في عمل اليوم والليلة ص (١٠٢) . والطبراني في المعجم الكبير (٥/ ٢٣٨) . والبيهقي في الأسماء والصفات ص(١٧٠-١٧١) . والمزي في تهذيب الكمال(٨/ ٣٨٧) في ترجمة داود الطفاوي. وداود بن راشد الطفاوي، قال فيه ابن معين: ليس بشيء، وذكره ابن حبان في الثقات. ولينه الحافظ ابن حجر. انظر ميزان الاعتدال (٢/ ٧) وتقريب التهذيب (١/ ٢٣١) .

(٤) هذا الحديث من رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال: دعاء حفظته من رسول الله ﷺ لا أدعه: «اللهم اجعلني أعظم شكرك، وأكثر ذكرك ...» إلخ. وأخرجه الترمذي (٥/ ٧٨٠) وقال: هذا حديث غريب. والإمام أحمد(٢/ ٣١١، ٤٧٧) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده =

ومثله قول المؤمنين : ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا﴾[١] .

فالصبر وثبات الأقدام فعلان اختياريان، ولكن التصبير والتثبيت فعل الرب تعالى، وهو المسؤول، والصبر والثبات فعلهم القائم بهم حقيقة .

ومثله قوله : ﴿ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ ﴾[٢] .

(قال)[٣] ابن عباس، والمفسرون بعده: ألهمني[٤] .

قال أبو إسحاق : تأويله في اللغة: كفني عن الأشياء إلا (نفس)[٥] شكر نعمتك[٦] ولهذا / يقال في تفسير (الـمُوزع)[٧] أنه المولع، ومنه الحديث : كان ٥٩ب

ضعيف جداً؛ لأن فيه الفرج بن فضالة، انظر المسند بتحقيقه (١٥/ ٢٣٦-٢٣٧) . وأبوداود الطيالسي في مسنده ص(٣٣٢-٣٣٣) . والبيهقي في الدعوات ص(١٧٠-١٧١) . وذكره السيوطي في الجامع الصغير (١/ ١٩٧) . وقال الشيخ الألباني: إسناده ضعيف. انظر ضعيف الجامع الصغير (١/ ٣٥٤) . والحديث في سنده فرج بن فضالة بن النعمان التنوخي، الشامي، قال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: ضعيف. انظر: كتاب الضعفاء الصغير للبخاري ص (١٩٣) والضعفاء والمتروكين للنسائي ص(١٩٨) وميزان الاعتدال (٣/ ٣٤٣-٣٤٥) وتقريب التهذيب (٢/ ١٠٨) .

(١) كما حكاه الله عز وجل عنهم في سورة البقرة آية (٢٥٠) .

(٢) سورة النمل آية ١٩، وسورة الأحقاف آية : ١٥ .

(٣) في د ، س : وقال .

(٤) انظر تفسير ابن جرير الطبري (١٩/ ١٤٣) .

(٥) في معاني القرآن وإعرابه للزجاج : عن .

(٦) انظر معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج (٤/ ١١٢-١١٣) .

(٧) في ت، م : الوزع .

رسول الله ﷺ مُوزعاً (بالسواك[١])[٢] أي: مولعاً به، كأنه كف ومنع إلا منه .

وقال في الصحاح: (وَزعْتُهُ أزَعُه وَزْعاً : كففته، فاتَّزَعَ عنه[٣] أي كَفَّ، وأوزَعْتُهُ بالشيء: أغريته به، فأُوزِعَ به، فهو مُوزَعٌ به (أي مُغْرىً به)[٤] واستوزعت الله شكره فأوزعني، أي استلهمته فألهمني[٥]، فقد دار معنى اللفظة على معنى ألهمني ذلك واجعلني مغرى به، وكفني عما سواه. وعند القدرية أن هذا غير مقدور للرب، بل هو (عين)[٦] مقدور (العبد)[٧] .

فصل

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾[٨] .

فتحبيبه سبحانه الإيمان إلى عباده المؤمنين هو إلقاء محبته في قلوبهم، وهذا

---

(١) في ع، د، س : بالسؤال .

(٢) لم أعثر لهذا الحديث على تخريج ، وقد راجعت بالإضافة إلى كتب الحديث وفهارسها كتب غريب الحديث في مادة (وزع) فلم أجد من ذكره إلا ابن الأثير في النهاية (٥/ ١٨١) . والأحاديث الواردة عن الرسول ﷺ بهذا المعنى كثيرة ومشهورة.

(٣) في الصحاح : هو .

(٤) ساقطة من ع، د، س .

(٥) انظر الصحاح للجوهري (٣/ ١٢٩٧) .

(٦) في م ، د، س : غير . وفي ع كذلك، إلا أنها شطبت وكتب في الهامش تعليق نصه : في الأصل لفظ غير، والظاهر أنها زائدة .

(٧) في ع، د، س : للعبد .

(٨) سورة الحجرات آية : ٧ .

لا يقدر عليه سواه، وأما تحبيب العبد الشيء إلى غيره، فإنما هو بتزيينه وذكر أوصافه وما يدعو إلى محبته. فأخبر سبحانه أنه جعل في قلوب عباده المؤمنين الأمرين: حبه، وحسنه الداعي إلى حبه، وألقى في قلوبهم كراهة ضده من الكفر والفسوق والعصيان، وأن ذلك محض فضله ومنته عليهم، حيث لم يكلهم إلى أنفسهم بل تولى هو سبحانه هذا التحبيب والتزيين وتكريه ضده، فجاد به فضلاً منه ونعمة، والله عليم بمواقع فضله، ومن صلح له ومن لا يصلح، حكيم بجعله في مواضعه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[١]. (وقال)[٢]: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[٣].

٦٠أ وتأليف القلوب جعل بعضها يألف (بعضاً)[٤] / ويميل إليه ويحبه، وهو من أفعالها الاختيارية، وقد أخبر سبحانه أنه هو الذي فعل ذلك لا غيره، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾[٥].

(أخبر)[٦] سبحانه بفعلهم، وهو الهَمُّ، وبفعله وهو كفهم عما همُّوا به،

---

(١) سورة الأنفال آية: ٦٢-٦٣.

(٢) ساقطة من ع، د، س.

(٣) سورة آل عمران آية: ١٠٣.

(٤) في ت، م: بعضها.

(٥) سورة المائدة آية: ١١.

(٦) في د، س: فأخبر.

ولا يصح أن يقال: إنه سبحانه (أشل)[1] أيديهم (أو أماتهم أو أنزل)[2] عليهم عذاباً حال بينهم وبين ما هموا به، بل كف قدرتهم وإرادتهم، مع سلامة حواسهم وبنيتهم وصحة آلات الفعل منهم.

وعند القدرية هذا محال، بل هم الذين يكفون أنفسهم، والقرآن صريح في إبطال قولهم .

ومثله قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾[3] .

فهذا كف أيدي الفريقين مع (سلامتها وصحتها)[4]، وهو بأن حال بينهم وبين الفعل، فكف بعضهم عن بعض .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[5] والإيمان والطاعة من أجل النعم، بل هما أجل النعم على الإطلاق، فهما منه سبحانه تعليماً وإرشاداً وإلهاماً وتوفيقاً ومشيئة وخلقاً، ولا يصح أن يقال: (إنهما)[6] أمراً وبياناً فقط، فإن ذلك حاصل بالنسبة إلى الكفار والعصاة، فتكون نعمته على أكفر الخلق كنعمته على أهل الإيمان والطاعة والبر منهم، إذ نعمة البيان والإرشاد مشتركة، وهذا قول القدرية ، وقد صرح به كثير منهم، ولم يجعلوا

---

(١) في ت : اسكن .

(٢) في د، س : وأماتهم وأنزل .

(٣) سورة الفتح آية : ٢٤ .

(٤) في ع، د، س : سلامتهما وصحتهما .

(٥) سورة النحل آية : ٥٣ .

(٦) في ع، د، س : إنها .

لله على العبد نعمة في مشيئته (له)[١] وخلقه فعله وتوفيقه إياه (حتى)[٢] فعله، وهذا من قولهم (الذي باينوا)[٣] به جميع الرسل والكتب، وطردوا ذلك (حتى)[٤] لم يجعلوا لله على العبد منة في إعطائه الجزاء ، بل قالوا: ذلك محض حقه الذي لا منة لله عليه فيه، واحتجوا بقوله : ﴿ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾[٥]

٦٠ب قالوا : أي غير منون به عليهم إذ هو جزاء أعمالهم وأجورها / .

قالوا : المنة تكدر النعمة والعطية، ولم يدعوا هؤلاء للجهل بالله موضعاً، وقاسوا منته على منة المخلوق، فإنهم مشبهة في الأفعال، معطلة في الصفات، وليست المنة في الحقيقة إلا لله[*] فهو المان بفضله وأهل سماواته وأهل أرضه في محض منته عليهم، قال تعالى : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[٦] ، وقال تعالى لكليمه موسى : ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴾[٧]، وقال : ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾[٨] ، وقال : ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[٩] .

---

(١) ساقطة من ع ، د ، س .

(٢) في ع، ، س : حين .

(٣) في ت : الذين باينون .

(٤) في ع ، د ، س : حين

(٥) سورة الانشقاق آية : ٢٥ .

* بداية سقط نسخة ع. الذي ينتهي في ص (٥٩٩) .

(٦) سورة الحجرات آية : ١٧ .

(٧) سورة طه آية : ٣٧ .

(٨) سورة الصافات آية : ١١٤ .

(٩) سورة القصص آية : ٥ .

ولما قال النبي ﷺ للأنصار: «**ألم أجدكم ضُلالاً فهداكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي**»، قالوا: الله ورسوله أمَنّ[1]).

(وقالت)[2] الرسل لقومهم: ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[3] فمنته سبحانه محض إحسانه وتفضيله ورحمته، وما طاب عيش أهل الجنة فيها إلا بمنته عليهم، ولهذا قال أهلها وقد أقبل بعضهم على بعض يتساءلون: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾[4]. فأخبروا لمعرفتهم بربهم وحقه عليهم أن نجاهم من عذاب السموم بمحض منّته عليهم.

وقد قال أعلم الخلق بالله، وأحبهم إليه، وأقربهم منه وأطوعهم له: «**لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله**»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة[5] منه وفضل**»[6].

---

(١) هذا الحديث من رواية عبد الله بن زيد بن عاصم، قال: لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئاً، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال: «**يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي ...**» الحديث. وأخرجه البخاري في (٥/ ١٠٤) ك المغازي - باب غزوة الطائف. ومسلم في (٢/ ٧٣٨-٧٣٩) ك الزكاة - باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه. والإمام أحمد (٤/ ٤٢).

(٢) في د، س: وقال.

(٣) كما حكاه الله عز وجل عنهم في سورة إبراهيم آية: ١١.

(٤) كما حكاه الله عز وجل عنهم في سورة الطور آية: ٢٦-٢٧.

(٥) يتغمدني الله برحمة منه وفضل: أي يلبسنيها ويسترني بها، مأخوذ من غمد السيف، وهو غلافه. والنهاية لابن الأثير(٣/ ٣٨٣).

(٦) رواه البخاري (٧/ ١٠) ك المرض - باب تمني المريض الموت. وفي (٧/ ١٨١-١٨٢) ك الرقاق - باب القصد والمداومة على العمل. ومسلم (٤/ ٢١٧٠) ك صفات المنافقين =

وقال : « إن الله لو عذب أهل سماواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيراً من أعمالهم »(١) .

= وأحكامهم – باب لن يدخل الجنة أحد بعمله، بل رحمة الله تعالى. وابن ماجه (٢/ ١٤٠٥) ك الزهد – باب التوقي على العمل. والإمام أحمد (٢/ ٢٣٥، ٢٥٦، ٢٦٤، ٣١٩، ٣٢٦، ٣٤٤، ٣٨٦، ٣٩٠، ٤٥١ – ٤٥٢، ٤٦٦، ٤٦٩، ٤٨٢، ٤٨٨، ٤٩٥، ٥٠٣، ٥٠٩، ٥١٤، ٥١٩، ٥٢٤) . كلهم من رواية أبي هريرة . ورواه أيضاً البخاري (٧/ ١٨٢) ك الرقاق – باب القصد والمداومة على العمل. ومسلم (٤/ ٢١٧١) ك صفات المنافقين وأحكامهم – باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى. والإمام أحمد (٦/ ١٢٥) كلهم عن عائشة رضي الله عنها. ورواه مسلم (٤/ ٢١٧١) ك صفات المنافقين وأحكامهم – باب لن يدخل الجنة أحد بعمله بل برحمة الله تعالى. والإمام أحمد (٣/ ٣٣٧) والإمام الدارمي في سننه (٢/ ٢١٥) ك الرقاق – باب لن ينجي أحدكم عمله، عن جابر. ورواه أيضاً الإمام أحمد (٣/ ٥٢) عن أبي سعيد الخدري .

(١) رواه أبو داود (١٢/ ٤٦٦-٤٦٧) ك السنة – باب في القدر. وابن ماجة (١/ ٢٩-٣٠) المقدمة – باب في القدر . والإمام أحمد (٥/ ١٨٥،١٨٢، ١٨٩) وابن حبان في صحيحه. كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢/ ٥٠٥-٥٠٦) وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٠٩) وقال الألباني: إسناده صحيح. والآجري في الشريعة (ص١٨٧) وعبدالله بن الإمام أحمد في كتاب السنة (ص١٢١) مراجعة محمد السعيد زغلول، ط الأولى ١٤٠٥هـ نشر دار الكتب العلمية، بيروت، واللالكائي في السنة (٤/ ٦١٢-٦١٣) والطبراني في المعجم الكبير (٥/ ١٧٨-١٧٩)، و البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٠٤)، وفي كتاب الاعتقاد ص (١٤٩) . وذكره الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح (١/ ٤١) وقال الألباني: وسنده صحيح. وقد صححه المؤلف كما حكاه في هذا الكتاب، ولم أعثر عليه في المستدرك للحاكم. وذلك بعد البحث عنه في مظانه من المستدرك، ومن فهرس المستدرك، وموسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف .

والأول في الصحيح، والثاني في المسند والسنن. وصححه الحاكم وغيره. فأخبر سيد (العالمين)[١] والعاملين أنه لا يدخل الجنة بعمله .

وقالت القدرية : إنهم يدخلونها بأعمالهم لئلا يتكدر (نعيمهم)[٢] عليهم (بمنة)[٣] / الله، بل يكون ذلك النعيم عوضاً . ١٦١أ

وما رمى السلفُ من الصحابة والتابعين من بعدهم القدرية عن قوس واحدة إلا لعظم (بدعتهم)[٤] ومنافاتها لما بعث الله به أنبياءه ورسله، فلو أتى العباد بكل طاعة، وكانت أنفاسهم كلها طاعات لله ؛ لكانوا في محض منته وفضله وكانت له المنة عليهم. وكلما عظمت طاعة العبد، كانت منة الله عليه أعظم، فهو المانُّ بفضله، فمن أنكر منَّته فقد أنكر إحسانه. وأما قوله تعالى : ﴿ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[٥] فلم يختلف أهل العلم بالله ورسوله وكتابه أن معناه : غير مقطوع . ومنه: ريب المنون وهو الموت؛ لأنه يقطع العمر .

فصل

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[٦] ، وقوله : ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[٧] .

وهذا الإغراء والإلقاء محض فعله سبحانه، والتعادي والتباغض أثره،

(١) ساقطة من د .

(٢) في ت : نعمتهم .

(٣) في د، س: بمشيئته .

(٤) في د، س : بدعهم .

(٥) سورة فصلت آية : ٨، وسورة الانشقاق آية : ٢٥ .

(٦) سورة المائدة آية : ١٤ .

(٧) سورة المائدة آية : ٦٤ .

وهو محض فعلهم، وأصل ضلال القدرية والجبرية من عدم اهتدائهم إلى الفرق بين فعله سبحانه وفعل العبد .

فالجبرية جعلوا التعادي والتباغض فعل الرب دون المتعادين والمتباغضين.

والقدرية جعلوا ذلك محض فعلهم، الذي لا صنع لله فيه ولا قدرة ولا مشيئة. وأهل الصراط السوي جعلوا ذلك فعلهم وأثر فعل الله وقدرته ومشيئته، كما قال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾(١) فالتسيير فعله، والسير فعل العباد، وهو أثر التسيير. وكذلك الهدى والإضلال فعله، والاهتداء والضلال أثر فعله، وهما أفعالنا القائمة بنا، فهو الهادي والعبد المهتدي، وهو الذي يضل من يشاء والعبد الضال، وهذا حقيقة، والطائفتان عن الصراط المستقيم ناكبتان .

فصل

ومن ذلك قوله تعالى عن خليله إبراهيم أنه قال : ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾(٢) / . [٦١ب]

فهاهنا أمران : تجنيب عبادتها، واجتنابه، فسأل الخليل ربه تعالى أن يجنبه وبنيه عبادتها، ليحصل منهم اجتنابها، فالاجتناب فعلهم والتجنيب فعله، ولا سبيل إلى فعلهم إلا بعد فعله .

ونظير ذلك قول يوسف الصديق : ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾(٣) وصرف كيدهن (هو

---

(١) سورة يونس آية : ٢٢ .

(٢) سورة إبراهيم آية : ٣٥ .

(٣) كما حكاه الله عز وجل عنه في سورة يوسف آية : ٣٣-٣٤.

صرف)[١] دواعي قلوبهن ومكرهن بألسنتهن وأعمالهن، وتلك أفعال اختيارية، وهو سبحانه الصارف لها فالصرف فعله والانصراف أثر فعله وهو فعل النبوة ومن ذلك قوله سبحانه لنبيه محمد ﷺ ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾[٢] فالتثبيت فعله سبحانه، والثبات فعل رسوله، فهو سبحانه المثبت وعبده الثابت. ومثله قوله : ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[٣] .

(فأخبر سبحانه أن تثبيت المؤمنين وإضلال الظالمين فعله، فإنه يفعل ما يشاء)[٤] .

وأما الثبات والضلال، فمحض أفعالهم. ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ ﴾[٥] فأخبر أنه هو الذي قسى قلوبهم حتى صارت قاسية، فالقساوة وصفها وفعلها، وهي أثر فعله، وهو جعلها قاسية، وذلك أثر معاصيهم ونقضهم ميثاقهم وتركهم بعض ما ذكروا به، فالآية مبطلة لقول القدرية والجبرية .

---

(١) في ت : موصوف .

(٢) سورة الإسراء آية : ٧٤ .

(٣) سورة إبراهيم آية : ٢٧ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من ت .

(٥) سورة المائدة آية : ١٣ .

فصل

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾(١) وهم إنما خرجوا باختيارهم، وقد أخبر أنه هو الذي أخرجهم، فالإخراج فعله حقيقة، والخروج فعلهم حقيقة، ولولا إخراجه لما خرجوا. وهذا بخلاف قوله : ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾(٢)، وقوله : ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾(٣) ، وقوله : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾(٤)، فإن هذا إخراج لا صنع لهم فيه، فإنه بغير اختيارهم وإرادتهم. وأما قوله : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾(٥)، فيحتمل أن يكون إخراجاً بقدره ومشيئته، فيكون من الأول، ويحتمل أن يكون إخراجاً يوجبه بأمره فلا يكون من هذا .

فيكون الإخراج في كتاب الله ثلاثة أنواع :

أحدها : إخراج الخارج باختياره ومشيئته .

الثاني : إخراجه قهراً وكرهاً .

والثالث : إخراجه أمراً وشرعاً .

فصل

وقد ظن طائفة من الناس أن من هذا الباب قوله تعالى : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ

---

(١) سورة الشعراء آية : ٥٧، ٥٨.

(٢) سورة نوح آية : ١٧-١٨ .

(٣) سورة الحشر آية : ٢ .

(٤) سورة النحل آية : ٧٨ .

(٥) سورة الأنفال آية : ٥ .

وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾[١] .

وجعلوا ذلك من أدلتهم على القدرية، ولم يفهموا مراد الآية، وليست من هذا الباب؛ فإن هذا خطاب لهم في وقعة بدر؛ حيث أنزل الله سبحانه ملائكته، فقتلوا أعداءه، فلم (ينفرد)[٢] المسلمون بقتلهم، بل قتلتهم الملائكة، (وأما رمية النبي ﷺ)[٣] فمقدوره كان هو الحذف والإلقاء، وأما إيصال ما رمى به إلى وجوه العدو مع البعد وإيصال وذلك إلى وجوه جميعهم، فلم يكن من فعله، ولكنه فعل الله وحده، فالرمي يراد به الحذف والإيصال، فأثبت له الحذف بقولـه : ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ ونفي عنه الإيصال بقولـه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ .

فصل

ومن ذلك قولـه: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾[٤] والضحك والبكاء فعلان اختياريان (للعبد)[٥] فهو سبحانه المضحك المبكي حقيقة، والعبد هو الضاحك الباكي حقيقة. وتأويله الآية بخلاف ذلك إخراج للكلام عن ظاهره بغير موجب، ولا منافاة بين ما يذكر من تلك التأويلات وبين ظاهره، فإن إضحاك الأرض بالنبات، وإبكاء السماء بالمطر / وإضحاك العبد وإبكاءه ٦٢ب بخلق آلات الضحك والبكاء له، لا ينافي حقيقة اللفظ وموضوعه ومعناه، من أنه جاعل الضحك والبكاء فيه، بل الجميع حق .

---

(١) سورة الأنفال آية : ١٧ .

(٢) في د، س : يفرد .

(٣) في د ، س : وأما رميه ﷺ .

(٤) سورة النجم آية : ٤٣ .

(٥) ساقطة من د، س .

فصل

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾(١) ورؤية البرق أمر واقع (باختيارهم، فالإرادة)(٢) فعله والرؤية فعلنا، ولا يقال: إراءة البرق: خلقه، فإن خلقه لا يسمى إراءة، ولا يستلزم رؤيتنا له، بل إراءتنا له جعلنا نراه، وذلك فعله سبحانه، ومن ذلك قول الخضر لموسى : ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا ﴾(٣) .

فبلوغ الأشد ليس من فعلهما، واستخراج الكنز من أفعالهما الاختيارية، وقد أخبر أن كليهما بإرادته سبحانه.

ومن ذلك: قوله تعالى عن السحرة :﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾(٤) وليس إذنه هاهنا أمره وشرعه، بل قضاؤه وقدره ومشيئته، فهو (إذن)(٥) كوني قدري ، لا ديني أمري .

فصل

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾(٦) .

وكلمة التقوى هي الكلمة التي يتقى الله بها، وأعلى أنواع هذه الكلمة هي

---

(١) سورة الرعد آية : ١٢ .

(٢) في د: بإحساسهم ، فالإرادة وفي س : بإحساسهن .

(٣) سورة الكهف آية : ٨٢ .

(٤) سورة البقرة آية : ١٠٢ .

(٥) في د، س : إذاً .

(٦) سورة الفتح آية : ٢٦ .

قول: لا إله إلا الله، ثم كل كلمة يتقى الله بها بعدها فهي من كلمة التقوى .

وقد أخبر سبحانه أنه ألزمها عباده المؤمنين، فجعلها لازمة لهم، لا ينفكون عنها، فبإلزامه التزموها، ولولا إلزامه لهم إياها لما التزموها، والتزامها فعل اختياري تابع لإراداتهم واختيارهم، فهو الملزم وهم الملتزمون .

فصل

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾[1].

وهذا تفسير الهلوع، (والهلع)[2] شدة (الحرص)[3] الذي يترتب عليه الجزع والمنع، فأخبر سبحانه / أنه خلق الإنسان كذلك، وذلك صريح في أن ٦٦٣أ هلعه مخلوق لله كما أن ذاته مخلوقة، فالإنسان بجملته ذاته وصفاته وأفعاله وأخلاقه مخلوق لله، ليس فيه شيء خلق لله وشيء خلق لغيره، بل الله خالق الإنسان بجملته وأحواله كلها، فالهلع فعله حقيقة، والله خالق ذلك فيه حقيقة، فليس الله سبحانه بهلوع، ولا العبد هو الخالق لذلك .

فصل

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[4] .

وإذنه هاهنا قضاؤه وقدره لا مجرد أمره وشرعه.

---

(١) سورة المعارج الآيات ١٩-٢١ .

(٢) ساقطة من د، س .

(٣) ساقطة من م .

(٤) سورة يونس الآية ١٠٠.

كذلك قال السلف في تفسير هذه الآية، قال ابن المبارك[١] عن الثوري: بقضاء الله [٢] .

وقال محمد[٣] بن جرير : يقول جل ذكره لنبيه: وما لنفس (خلقتها)[٤] من سبيل إلى أن تصدقك إلا (بأن آذن)[٥] لها في ذلك، فلا تجهدن نفسك في طلب هداها وبلغها وعيد الله، ثم خلّها، فإن هداها بيد خالقها [٦] .

---

(١) هو : عبد الله بن المبارك بن واضح ، أبو عبد الرحمن الحنظلي، مولاهم، التركي، ثم المروزي، ثقة ثبت فقيه، عالم جواد مجتهد، شاعر، ولد سنة ثمان عشرة ومائة، وطلب العلم وهو ابن عشرين سنة، فسمع من الربيع بن أنس، وعاصم الأحول، وحميد الطويل، وغيرهم، وحدث عنه معمر وابن وهب وأبو داود وغيرهم، من الطبقة الثامنة، مات سنة إحدى وثمانين ومائة، وله ثلاث وستون سنة، روى له الستة. سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٨-٤٢١) وتقريب التهذيب (١/ ٤٤٥) .

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/ ١٧٤) .

(٣) هو : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري، من أهل آمل، أكبر مدينة بطبرستان. ولد سنة أربع وعشرين ومائتين، وطلب العلم بعد الأربعين ومائتين، وأكثر الترحال، سمع من محمد بن أبي معشر، ومحمد بن حميد الرازي، وغيرهما. وحدث عنه أبو القاسم الطبراني، وأبو أحمد بن عدي وغيرهما. قال الذهبي: كان ثقة، صادقاً، حافظاً، رأساً في التفسير، إماماً في الفقه والإجماع والاختلاف، وعلامة في التاريخ وأيام الناس، عارفاً بالقراءات وباللغة وغير ذلك، له مؤلفات كثيرة، منها: تفسيره المسمى جامع البيان، وكتاب تاريخ الأمم والملوك، توفي عشية الأحد ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاثمائة . سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧-٢٨٢) . ومعجم البلدان(١/ ٥٧) . وطبقات الحفاظ ص (٣١٠-٣١١) .

(٤) في د، س : خلقها، وما أثبت من م، ت ، وتفسير الطبري .

(٥) في د، س : أن يأذن، وما أثبت من م، ت، تفسير الطبري .

(٦) انظر تفسير الطبري (١١/ ١٧٤) .

وما قبل الآية وما بعدها لا يدل إلا على ذلك، فإنه سبحانه قال: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ﴾[1]. أي لا تكفي دعوتك في حصول الإيمان حتى يأذن الله لمن دعوته أن يؤمن. ثم قال: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[2] .

وقال ابن جرير: يقول الله تعالى: يا محمد، قل لهؤلاء (المشركين)[3] السائلين الآيات على صحة ما تدعوهم إليه من توحيد الله وخلع الأنداد والأوثان: انظروا أيها القوم ماذا في السماوات من الآيات الدالة على (حقيقة)[4] ما أدعوكم إليه من توحيد الله، من شمسها وقمرها، واختلاف ليلها ونهارها، ونزول الغيث بأرزاق العباد من سحابها، وفي الأرض من جبالها وتصدعها / بنباتها وأقوات أهلها وسائر صنوف عجائبها، فإن في ذلك ٦٣ب لكم - إن عقلتم وتدبرتم - عظة ومعتبراً، ودلالة على أن ذلك من فعل من لا يجوز أن يكون له في ملكه شريك، ولا له على حفظه وتدبيره ظهير، يغنيكم عما سواها من الآيات، وما يغني (ذلك)[5] عن قوم قد سبق لهم من الله الشقاء، وقضى عليهم في أم الكتاب أنهم من أهل النار، فهم لا يؤمنون

---

(١) سورة يونس آية: ٩٩-١٠٠ .

(٢) سورة يونس آية: ١٠١ .

(٣) ساقطة من د، س .

(٤) في د، س: حقية .

(٥) ساقطة من د، س .

بشيء من ذلك ولا يصدقون به ﴿ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ[1] ﴾[2] .

فصل

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾[3] .

قال ابن جرير : كل إنسان ألزمناه ما قضي له أنه عامله، وما هو صائر إليه من شقاء أو سعادة بعمله في عنقه لا يفارقه[4] .

وهذا (يجمع)[5] ما قاله الناس في الآية، وهو ما طار له من الشقاء والسعادة، وما طار عنه من العمل، ثم ذكر عن ابن عباس، قال: (طائره) عمله وما قدر عليه، فهو ملازمه أينما كان، وزائل معه أينما زال. وكذلك قال ابن (جريج)[6]. وقال قتادة ومجاهد: هو عمله، وزاد مجاهد : وما كتب (الله)[7] له. وقال قتادة أيضاً : سعادته وشقاوته بعمله[8] .

قال ابن جرير : فإن قال قائل : فكيف قال : ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ ﴾

---

(١) سورة يونس : آية ٩٧ .

(٢) انظر تفسير ابن جرير (١١/ ١٧٥) .

(٣) سورة الإسراء آية : ١٣ .

(٤) انظر تفسير ابن جرير الطبري (١٥/ ٥٠) .

(٥) ساقطة من د، س .

(٦) في ت : جرير والصواب ما أثبت .

(٧) لفظ الجلالة إضافة من ت .

(٨) روى هذه الأقوال ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٥١) .

إن كان الأمر على ما وصفت، ولم يقل: في يديه أو رجليه أو غير ذلك من أعضاء الجسد؟ قيل: إن العنق هي موضع السمات، وموضع القلائد والأطوقة وغير ذلك مما يزين أو يشين، فجرى كلام العرب بنسبة الأشياء اللازمة (لبني آدم وغيرهم إلى أعناقهم، وكثر استعمالهم ذلك حتى أضافوا الأشياء اللازمة)[١] سائر الأبدان إلى الأعناق، كما أضافوا جنايات الأبدان إلى اليد، فقالوا: ذلك بما كسبت يداه ، وإن كان الذي جره عليه لسانه أو فرجه ، فكذلك قوله تعالى : ﴿ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾[٢] .

وقال الفراء : الطائر معناه/ عندهم: العمل[٣] . ٦٤أ

(و)[٤] قال الأزهري[٥] : والأصل في هذا أن الله سبحانه لما خلق آدم علم المطيع من ذريته والعاصي، فكتب ما علمه منهم أجمعين، وقضى بسعادة من علمه مطيعاً وشقاوة من علمه عاصياً، فطار لكل ما هو صائر إليه عند خلقه وإنشائه[٦] .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من د، س .

(٢) انظر تفسير ابن جرير (١٥/ ٥١) .

(٣) انظر كتاب معاني القرآن للفراء (٢/ ١١٨) .

(٤) ساقطة من م ، د، س .

(٥) هو : محمد بن أحمد الأزهر الهروي، أبو منصور، أحد الأئمة في اللغة والأدب، مولده ووفاته في هراة بخراسان. نسبته إلى جده (الأزهر). عني بالفقه فاشتهر به أولاً، ثم غلب عليه التبحر في العربية فرحل في طلبها وقصد القبائل، وتوسع في أخبارهم. له مؤلفات منها: تهذيب اللغة، وغريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء. وغيرهما. توفي سنة ٣٧٠هـ . سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣١٥) والأعلام (٥/ ٣١١) .

(٦) انظر تهذيب اللغة (١٤/ ١١-١٢) مادة (طير) تحقيق عبد السلام هارون، مراجعة علي سامي النجار، نشر الدار المصرية العامة للتأليف بالقاهرة سنة ١٣٨٧هـ.

وأما قوله: (في عنقه) فقال أبو إسحاق: إنما يقال للشيء اللازم: هذا في عنق فلان، أي لزومه له كلزوم القلادة من بين ما يلبس في العنق(١) .

قال أبوعلي(٢) : هذا مثل قولهم: طوقتك كذا (وقلدتك كذا)(٣)، أي صرفته نحوك وألزمتك إياه، ومنه قلده السلطان كذا، أي صارت الولاية في لزومها له في موضع القلادة ومكان الطوق(٤) .

وقيل : إنما خص العنق؛ لأن عمله لا يخلو إما أن يكون خيراً أو شراً، وذلك مما يزين أو يشين كالحلي والغل، فأضيف إلى الأعناق .

قالت القدرية : إلزامه ذلك: وَسْمُهُ به، وتعليمه بعلامة يعرف الملائكة أنه سعيد أو شقي والخبر عنه (بذلك)(٥) لا أنه ألزمه العمل، فجعله لازماً له .

قال أهل السنة : هذه طريقة لكم معروفة في تحريف الكلم عن مواضعه سلكتموها في الجسم والطبع والعقل، وهذا لا يعرفه أهل اللغة، وهو خلاف حقيقة اللفظ، وما فسره به أعلم الأمة بالقرآن، ولا يعرف ما قلتموه عن أحد من سلف الأمة البتة، ولا فسر الآية غيركم به، ولا يصح حمل الآية عليه،

---

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج (٣/ ٢٣٠) .

(٢) هو : أبو علي ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، الفارسي، الفسوي، أحد أئمة النحو، ولد في (فسا) إحدى مدن فارس سنة (٢٨٨هـ) وقدم بغداد شاباً، فأخذ عن الزجاج وغيره، وأخذ عنه أبو الفتح بن جني وغيره، له مؤلفات، منها: الإيضاح، والحجة في علل القراءات وغيرهما. مات في شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعين وثلاثمائة . سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٧٩-٣٨٠) والبداية والنهاية (١١/ ٣٠٦) .

(٣) ساقطة من م .

(٤) لم أعثر على هذا القول فيما رجعت إليه من مراجع .

(٥) إضافة من ت .

فإن الخبر عنه بذلك والعلامة (التي)[1] أعلم بها إنما حصل بعد طائره اللازم له من عمله، فلما لزمه ذلك الطائر ولم ينفك عنه، أخبر عنه بذلك، وصارت عليه علامة وسمة، ونحن قد أريناكم أقوال أئمة الهدى وسلف الأمة في الطائر، فأرونا قولكم عن واحد منهم قاله قبلكم، وكل طائفة من أهل البدع تجر القرآن إلى بدعها وضلالها، وتفسيره بمذاهبها وآرائها والقرآن بريء من ذلك، وبالله التوفيق .

فصل

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا / كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[2]. ٦٤ب

وقد وقع هذا المعنى في القرآن في موضعين، هذا أحدهما، والثاني في سورة الشعراء في قوله : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ ﴾[3] .

قال ابن عباس: المعنى . سلك الشرك في قلوب المكذبين كما سلك الخرزة في الخيط[4] .

وقال أبو إسحاق : أي كما فعل بالمجرمين الذين استهزؤوا بمن تقدم من

---

(١) ساقطة من م ، د، س .

(٢) سورة الحجر آية : ١١-١٣ .

(٣) سورة الشعراء آية : ١٩٨-٢٠١ .

(٤) ذكره الواحدي في تفسيره البسيط ق (١٠٦) مخطوط، مرجع سابق . انظر ص(٣٨٧).

الرسل، كذلك سلك الضلال في قلوب المجرمين[١] .

واختلفوا في مفسر الضمير في قوله : ﴿نَسْلُكُهُ﴾ فقال ابن عباس: سلكنا الشرك[٢] . وهو قول الحسن[٣] ، وقال الزجاج[٤] وغيره : هو الضلال، وقال الربيع: يعني الاستهزاء[٥] وقال الفراء : التكذيب[٦] .

وهذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد، والتكذيب والاستهزاء والشرك كل ذلك فعلهم حقيقة. وقد أخبر أنه سبحانه هو الذي سلكه في قلوبهم .

وعندي في هذه الأقوال شيء ، فإن الظاهر أن الضمير في قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ هو الضمير في قوله: ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾ فلا يصح أن يكون المعنى : لا يؤمنون بالشرك والتكذيب والاستهزاء، فلا تصح تلك الأقوال إلا باختلاف مفسر الضميرين، والظاهر اتحاده، فالذين لا يؤمنون به هو الذي سلكه في قلوبهم، وهو القرآن.

فإن قيل: فما معنى سلكه إياه في قلوبهم وهم ينكرونه؟ قيل: سلكه في قلوبهم بهذه الحال، أي: سلكناه غير مؤمنين به، فدخل في قلوبهم مكذباً به

---

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج (٣/ ١٧٤) .

(٢) كما سبق ذكره في الصفحة السابقة .

(٣) رواه أبو داود في سننه (١٢/ ٣٧٧) ك السنة – باب من دعا إلى السنة. وابن جرير الطبري في تفسيره (١٤/ ٩) و(١٩/ ١١٥) . وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٤٥-٣٤٦). واللالكائي في السنة (٣/ ٥٥٥). والبيهقي في كتاب القدر ص(١٩٥، ٢٩١، ٢٩٢) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٢٣) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد .

(٤) هو : أبو إسحاق . وسبق توثيق قوله في رقم (١) .

(٥) ذكره الواحدي في تفسيره ق (١٠٦) مخطوط، مرجع سابق انظر ص (٣٨٧) .

(٦) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ٨٥) .

كما دخل في قلوب المؤمنين مصدقاً به، وهذا مراد من قال: إن الذي سلكه في قلوبهم هو التكذيب والضلال، ولكن فسر الآية بالمعنى، فإنه إذا دخل في قلوبهم مكذبين به فقد دخل التكذيب والضلال في قلوبهم.

فإن قيل: فما معنى إدخاله في قلوبهم وهم لا يؤمنون به؟ قيل/: لتقوم عليهم بذلك حجة الله، فدخل في قلوبهم، وعلموا أنه حق، وكذبوا به، فلم يدخل في قلوبهم مصدق به، مؤمن به، مرضي به، وتكذيبهم به بعد دخوله في قلوبهم أعظم كفراً من تكذيبهم به قبل أن يدخل في قلوبهم، فإن المكذب بالحق بعد معرفته له شر من المكذب به ولم يعرفه[1]. ١٦٥أ

فتأمله فإنه من فقه التفسير، والله الموفق للصواب.

فصل

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[2] فالإرسال هاهنا إرسال كوني قدري، كإرسال الرياح، وليس بإرسال ديني شرعي، فهو إرسال تسليط بخلاف قوله في المؤمنين: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾[3].

---

(١) ذكر الأقوال السابقة في تفسير هذه الآية أبو جعفر النحاس، ثم قال: وهذا القول - يعني قول من قال: نسلك الشرك، والتكذيب - هو الذي عليه أهل التفسير، وأهل اللغة، إلا من شذ منهم، فإن بعضهم قال: المعنى: كذلك نسلك القرآن، وقال القرطبي - بعد أن ذكر قول الجمهور -: وقيل: كذلك نسلك القرآن في قلوبهم فيكذبون به. انظر معاني القرآن الكريم لأبي جعفر النحاس (٤/ ١٢) والجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (١٠/ ٧).

(٢) سورة مريم آية: ٨٣.

(٣) سورة الحجر آية: ٤٢.

فهذا المنفي عنه على المؤمنين هو الذي أرسل به جنده على الكافرين.

قال أبو إسحاق : ومعنى الإرسال هاهنا: التسليط، تقول : قد أرسلت فلاناً على فلان، إذا سلطته عليه، كما قال : ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[1] فاعلم أن من اتبعه هو مسلط عليه[2].

قلت : ويشهد له قول تعالى : ﴿إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾[3] .

وقوله : ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ فالأز في اللغة : التحريك والتهييج، ومنه يقال لغليان القدر: الأزيز، لتحريك الماء عند الغليان[4] .

وفي الحديث : كان لصدر رسول الله ﷺ أزيز[5] كأزيز المرجل[6] من البكاء[7] . وعبارات السلف تدور على هذا المعنى، قال ابن عباس: تغريهم

---

(١) سورة الحجر آية : ٤٢ .

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج (٣/ ٣٤٥-٣٤٦) .

(٣) سورة النحل آية : ١٠٠ .

(٤) انظر الصحاح للجوهري (٣/ ٨٦٤) مادة (أزز) .

(٥) أزيز : أي خنين من الخوف - بالخاء المعجمة - وهو صوت البكاء . وقيل: هو أن يجيش جوفه ويغلي بالبكاء. النهاية لابن الأثير (١/ ٤٥) .

(٦) المرجل : بالكسر: قدر من نحاس، وقيل: يطلق على كل قدر يطبخ فيها . المصباح المنير (١/ ٢٢١) مادة (رجل) .

(٧) هذا الحديث من رواية مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه. رواه أبو داود في (٣/ ١٧٢) ك الصلاة - باب البكاء في الصلاة . والنسائي في (٣/ ١٣) ك السهو - باب البكاء في الصلاة . وفي الكبرى في ك الصلاة، وكتاب الرقائق كما ذكره المزي في تحفة الأشراف (٤/ ٣٥٩). والإمام أحمد (٤/ ٢٥-٢٦) . وابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ١٢٦) =

إغراء[1].

وفي رواية أخرى عنه، (تشليهم إشلاء[2])[3]. وفي رواية أخرى: تحرضهم تحريضاً[4]. وفي أخرى: تزعجهم للمعاصي إزعاجاً[5]. وفي أخرى: توقدهم

= وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٥٣). والحاكم في المستدرك (١/ ٢٦٤) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. والبيهقي في سننه (٢/ ٢٥١). والبغوي في شرح السنة (٣/ ٢٤٤-٢٤٥). وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان(٢/ ٤٣٩-٤٤٠)، و(٣/ ٣٠-٣١).

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ١٢٥). والواحدي في تفسيره الوسيط المجلد الأول ص (٢١٧) تفسير سورة مريم، رسالة ماجستير مقدمة الكلية أصول الدين بالرياض قسم القرآن وعلومه، أعدها أحمد الطريقي.

(٢) في د، س: تسلهم سلا. وما أثبت من م، ت، ولعله الصواب، حيث إن معنى (أشليته): أغريته، وهو المناسب لسياق الكلام، كما أنه الموافق لقول مجاهد الآتي تخريجه. انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٢٠٩) والمصباح المنير (١/ ٣٢٢) مادة (شلو).

(٣) ورد هذا القول منسوباً لمجاهد، عند ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٣٦) والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٣٨) ونسب تخريجه إلى ابن أبي حاتم. وذكره القرطبي في تفسيره (١١/ ١٠٠) ولم أجده منسوباً إلى ابن عباس.

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٣٦) والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٣٨) ونسبه إلى ابن أبي حاتم.

(٥) رواه الواحدي في تفسيره الوسيط المجلد الأول تفسير سورة مريم ص ٢١٧ مرجع سابق انظر رقم (١). وذكره القرطبي في تفسيره (١١/ ١٠٠). وورد هذا القول منسوباً لقتادة عند عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٢) وابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ١٢٥) وابن كثير في تفسيره (٣/ ١٣٦) والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٣٨) ونسب تخريجه إلى ابن المنذر، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم.

إيقاداً[١] . أي كما يتحرك الماء بالوقد تحته .

قال أبو عبيد[٢] : الأزيز : الالتهاب والحركة كالتهاب النار في الحطب، يقال: إز قدرك، أي ألهب تحتها النار: وائتزت القدر : إذ اشتد غليانها[٣] / ٦٥ب وهذا اختيار الأخفش[٤][٥] .

والتحقيق أن اللفظة تجمع المعنيين جميعاً .

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٣٨) ونسبه إلى ابن الأنباري في الوقف.

(٢) هو : القاسم بن سلام – بالتشديد – بن عبد الله، الهروي، البغدادي، أبو عبيد، ولد سنة سبع وخمسين ومائة، سمع من سفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك، وغيرهما، وقرأ القرآن على أبي الحسن الكسائي، وغيره، وأخذ اللغة عن أبي عبيدة وأبي زيد وجماعة، وحدث عنه علي بن عبد العزيز البغوي، وعباس الدوري وغيرهما. له مؤلفات كثيرة؛ منها: كتاب الأموال، وكتاب غريب الحديث، وغيرهما. وكان ثقة فاضلاً من كبار العلماء بالحديث واللغة والفقه. توفي بمكة سنة أربع وعشرين ومائتين. سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٠-٥٠٩) وتقريب التهذيب (٢/ ١١٧) .

(٣) انظر غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (١/ ٢٢٢) .

(٤) هو : سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، أبو الحسن، المعروف بالأخفش الأوسط، نحوي، عالم باللغة والأدب، من أهل بلخ، سكن البصرة، وأخذ العربية عن سيبويه، وصنف كتباً، منها: معاني القرآن، وكتاب شرح أبيات المعاني، وزاد في العروض بحر (الخبب) وكان الخليل قد جعل البحور خمسة عشرة، فأصبحت ستة عشر. توفي سنة ٢١٥هـ . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٠٦) . والأعلام (٣/ ١٠١-١٠٢) .

(٥) ذكره الواحدي في تفسيره (البسيط) ، ق (١٥١) مخطوط، محفوظ أصله بدار الكتب المصرية ، تحت رقم (٥٣ تفسير) ، وتوجد صورة منه في مركز الملك فيصل بالرياض تحت رقم (١٤٤٤/ ف) .

قالت القدرية : معنى : ﴿أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ خلينا بينهم وبينها، ليس معناه التسليط .

قال أبو علي : الإرسال يستعمل بمعنى التخلية بين المرسل وما يريد، فمعنى الآية: خلينا بين الشياطين وبين الكافرين، ولم يمنعهم منهم، ولم يعذهم، بخلاف المؤمنين الذين قيل فيهم : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ[(١)]﴾[(٢)].

قال الواحدي[(٣)] : وإلى هذا الوجه يذهب القدرية في معنى الآية، قال: وليس المعنى على ما ذهبوا إليه[(٤)] .

وقال أبو إسحاق : والمختار أنهم أرسلوا عليهم، وقيضوا لهم بكفرهم، كما قال تعالى : ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ[(٥)]﴾[(٦)]، وقال : ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾[(٧)] .

---

(١) سورة الحجر آية : ٤٢ .

(٢) ذكره الواحدي في تفسيره « البسيط » ق(١٥٠) مخطوط. المرجع السابق .

(٣) هو : علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متويه، أبو الحسن الواحدي، مفسر، عالم بالأدب، نعته الذهبي بإمام علماء التأويل. وأصله من ساوه - بين الري وهمذان - ومولده ووفاته بنيسابور. له كتب، منها : الوسيط، والوجيز في التفسير، وأسباب النزول. مات سنة ٤٦٨هـ . سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٣٩) والأعلام (٤/ ٢٥٥) .

(٤) انظر تفسير الواحدي (البسيط) ق (١٥٠) المرجع السابق .

(٥) سورة الزخرف آية : ٣٦ .

(٦) انظر معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج (٣/ ٣٤٥) .

(٧) سورة فصلت آية : ٢٥ .

وإنما معنى (الإرسال)[١] التسليط .

قلت : وهذا هو المفهوم من معنى الإرسال كما في الحديث : « **إذا أرسلت كلبك المعلم** »[٢] – أي سلطته – ولو خلى بينه وبين الصيد من غير إرسال منه لم يبح صيد. وكذلك قولـه : ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴾[٣] . أي: سلطناها وسخرناها عليهم. وكذلك قولـه: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾[٤] . وكذلك قوله : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾[٥] والتخلية بين المرسل وبين

---

(١) في ت: الآية .

(٢) هذا الحديث رواه عدي بن حاتم رضي الله عنه، وأخرجه البخاري في (١/ ٥١) ك الوضوء – باب إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً. ورواه أيضاً في (٦/ ٢١٨) . ك. الصيد والذبائح – باب صيد المعراض . وفي باب إذا أكل الكلب (٦/ ٢٢٠). وفي باب الصيد إذا غاب عنه يومين أو ثلاثة (٦/ ٢٢٠) وفي باب إذا وجد مع الصيد كلباً آخر (٦/ ٢٢٠-٢٢١). وفي باب ما جاء في التصيد (٦/ ٢٢١). وفي (٨/ ١٧٠) ك التوحيد – باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها. ورواه مسلم (١٥٢٩-١٥٣١) ك الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان – باب الصيد بالكلاب المعلمة. وأبو داود (٨/ ٤٩-٥٣) ك الصيد – باب في الصيد . والترمذي (٤/ ٥٤-٥٦) ك الصيد – باب ما جاء فيما يؤكل من صيد الكلب وما لا يؤكل. وقال : حديث حسن صحيح، وفي باب ما جاء في الكلب يأكل من الصيد. والنسائي (٧/ ١٧٩-١٨٤) ك الصيد . وابن ماجه (٢/ ١٠٧٠) ك الصيد – باب صيد الكلب. والإمام أحمد (٤/ ٢٥٦-٢٥٨، ٣٧٧-٣٨٠) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٣/ ١٩٥) .

(٣) سورة الذاريات آية : ٤١ .

(٤) سورة الفيل آية : ٣ .

(٥) سورة القمر آية : ٣١ .

ما أرسل عليه من لوازم هذا المعنى، ولا يتم التسليط إلا به، فإذا أرسل الشيء (الذي)[1] من طبعه وشأنه أن يفعل فعلاً ولم يمنعه من فعله فهذا هو التسليط، ثم إن القدرية تناقضوا في هذا القول، فإنهم إن جوزوا منعهم منهم وعصمتهم وإعاذتهم فقد نقضوا أصلهم، فإن منع المختار من فعله الاختياري مع سلامة (آلته)[2] وصحة بنيته يدل على أن فعله وتركه مقدور للرب، وهذا عين قول أهل السنة، وإن قالوا: لا يقدر على منعهم وعصمتهم وإعاذتهم، فقد جعلوا (قدرتهم ومشيئتهم)[3] بفعل ما لا يقدر الرب على المنع منه / وهذا أبطل الباطل. ٦٦أ

ثم قال القدرية: (معنى)[4]: ﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ تأمرهم بالمعاصي أمراً، وحكوا ذلك عن الضحاك[5]، وهذا لا يلتفت إليه، إذ لا يقال لمن أمر غيره بشيء: قد أزه، ولا تساعد اللغة على ذلك[6]، ولو كان ذلك صحيحاً لكان يؤز المؤمنين أيضاً، فإنه يأمرهم بالمعاصي أكثر من أمر الكافرين، فإن الكافر سريع الطاعة والقبول من الشيطان، فلا يحتاج من أمره (إلى)[7] ما يحتاج إليه من أمر المؤمنين، بل يأمر الكافر مرة وتأمر المؤمن مرات، فلو كان الأز الأمر

(١) ساقطة من: ت.
(٢) في د، س: النية.
(٣) في د، س: قدرتها ومشيئتها.
(٤) ساقطة من د، س.
(٥) لم اعثر على تخريج له.
(٦) حيث إن الأمر ليس من معاني الأز. انظر الصحاح (٣/ ٨٦٤) مادة (أزز).
(٧) ساقطة من د، س.

لم يكن له اختصاص بالكافرين .

فصل

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦ ﴾(١) . وقوله : ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ۝٩٨ ﴾(٢) . وقوله : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾(٣) .

ومن المعلوم أن الإعاذة من الشيطان الرجيم ليست بإماتته ولا تعطيل آلات كيده، وإنما هي بأن يعصم المستعيذ من أذاه له، ويحول بينه وبين فعله الاختياري (به)(٤)، فدل على أن فعله مقدور له سبحانه، إن شاء سلطه على العبد، وإن شاء حال بينه وبينه . وهذا على أصول القدرية باطل، فلا يثبتون حقيقة الإعاذة وإن أثبتوا حقيقة الاستعاذة من العبد، وجعلوا الآية رداً على الجبرية، والجبرية أثبتوا حقيقة الإعاذة، ولم يثبتوا حقيقة الاستعاذة من العبد، بل الاستعاذة فعل الرب حقيقة، كما أن الإعاذة فعله.

وقد ضل الطائفتان عن الصراط المستقيم، وأصابت كل طائفة منهما فيما أثبتته من الحق .

---

(١) سورة الناس آية : ١-٦ .

(٢) سورة المؤمنون آية : ٩٧-٩٨ .

(٣) سورة النحل آية : ٩٨ .

(٤) في د، س : له .

فصل

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[(١)] وقول هود عليه السلام: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[(٢)] ومعلوم أن الصبر/ والتوفيق فعل ٦٦ب اختياري للعبد، وقد أخبر أنه به سبحانه لا بالعبد، وهذا (لا ينفي)[(٣)] أن يكون فعلاً للعبد حقيقة، ولهذا أمر به، وهو لا يأمر عبده بفعل نفسه سبحانه، وإنما يؤمر العبد بفعله هو، ومع هذا فليس فعله واقعاً به، وإنما هو بالخالق لكل شيء، والذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فالتصبير منه سبحانه، وهو فعله، والصبر هو القائم بالعبد، وهو فعل العبد، ولهذا أثنى سبحانه على من (سأله)[(٤)] أن يصبره، فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[(٥)]، ففي الآية أربعة أدلة:

أحدها: قولهم: ﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ والصبر فعلهم الاختياري، فسألوه ممن هو بيده ومشيئته وإذنه، وإن شاء أعطاهموه وإن شاء منعهموه.

الثاني: قولهم: ﴿ وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾ وثبات الأقدام فعل اختياري، ولكن التثبيت فعله، والثبات فعلهم، ولا سبيل إلى فعلهم إلا بعد فعله.

الثالث: قولهم: ﴿ وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ فسألوه النصر، وذلك بأن يقوي عزائمهم، ويشجعهم، ويصبرهم، ويثبتهم، ويلقي في قلوب

---

(١) سورة النحل آية: ١٢٧.

(٢) كما حكاه الله عز وجل عنه في سورة هود، آية: ٨٨.

(٣) في د، س: لا ينبغي.

(٤) في د، س: يسأله.

(٥) سورة البقرة آية: ٢٥٠-٢٥١.

أعدائهم الخور، والخوف والرعب، فيحصل النصر، وأيضاً فإن كون الإنسان منصوراً على غيره إما أن يكون بأفعال الجوارح، وهو واقع بقدرة العبد واختياره، وإما أن يكون بالحجة والبيان والعلم وذلك أيضاً فعل العبد. وقد أخبر سبحانه أن النصر بجملته من عنده، وأثنى على من طلبه منه. وعند القدرية لا يدخل تحت مقدور الرب .

الرابع : قوله: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ . وإذنه هاهنا هو : الإذن الكوني القدري، أي بمشيئته وقضائه (وقدره)[١] ، ليس هو الإذن الشرعي الذي (هو)[٢] بمعنى الأمر، فإن ذلك لا يستلزم الهزيمة، بخلاف إذنه الكوني وأمره الكوني، فإن المأمور (الكوني) [٣] لا يتخلف عنه / البتة . ١٦٧أ

فصل

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾[٤] .

وفي الآية رد ظاهر على الطائفتين وإبطال لقولهما، فإنه سبحانه أغفل قلب العبد عن ذكره فغفل هو، فالإغفال فعل الله، والغفلة فعل العبد، ثم أخبر عن اتباعه هواه، وذلك فعل العبد حقيقة . والقدرية تحرف هذا النص وأمثاله بالتسمية والعلم، فيقولون: معنى ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾ : سميناه غافلاً، أو وجدناه غافلاً، أي : علمناه كذلك .

وهذا من تحريفهم، بل أغفلته مثل أقمته وأقعدته وأغنيته وأفقرته، أي:

---

(١) في ت : وقدرته .

(٢) إضافة من ت .

(٣) في م ، د ، س : المكون .

(٤) سورة الكهف آية : ٢٨ .

جعلته كذلك، وأما أفعلته (إذا)[١] وجدته كذلك؛ كأحمدته وأجبنته وأبخلته وأعجزته فلا يقع في أفعال الله البتة، إنما يقع في أفعال العاجز أن يجعل (غيره)[٢] جباناً وبخيلاً وعاجزاً، فيكون معناه صادفته كذلك. وهل يخطر بقلب الداعي: اللهم أقدرني (و)[٣] أوزعني وألهمني، أي سمني (وأعلمني)[٤] كذلك؟ وهل هذا إلا كذب عليه وعلى المدعو سبحانه؟ والعقلاء يعلمون علماً ضرورياً أن الداعي إنما سأل الله أن يخلق له ذلك، ويشاءه له ، ويقدره عليه، حتى القدري إذا غابت عنه بدعته وما تقلده من أشياخه وأسلافه، وبقي وفطرته، لم يخطر بقلبه سوى ذلك. وأيضاً فلا يمكن أن يكون العبد هو المغفل لنفسه عن الشيء، فإن إغفاله نفسه (عنه)[٥] مشروط بشعوره به، وذلك مضاد لغفلته عنه، بخلاف إغفال الرب تعالى له؛ فإنه لا يضاد علم (الرب)[٦] بما يغفل عنه العبد، وبخلاف غفلة العبد فإنها لا تكون إلا مع عدم شعوره بالمغفول عنه، وهذا ظاهر جداً، فثبت أن الإغفال فعل الله بعبده، والغفلة فعل العبد .

فصل

ومن ذلك قوله تعالى إخباراً عن نبيه شعيب أنه قال لقومه : ﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا

(١) في م، د، س : أو .

(٢) ساقطة من د، س .

(٣) في ت : أو .

(٤) ساقطة من ت .

(٥) ساقط من ت .

(٦) في د، س : علمه .

عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ﴾[1] /، وهذا يبطل تأويل القدرية المشيئة في مثل ذلك ٦٧ب بمعنى (الأمر)[2] ، فقد علمت (الرسل)[3] أنه من الممتنع على الله أن يأمر بالدخول في ملة الكفر والشرك به، ولكن استثنوا بمشيئته التي يضل بها من يشاء ويهدي من يشاء.

ثم قال شعيب: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ﴾[4] فرد الأمر إلى مشيئته وعلمه، فإن له سبحانه في خلقه (علماً محيطاً)[5] ومشيئته نافذة وراء ما يعلمه الخلائق، فامتناعنا من العود فيها هو مبلغ علومنا ومشيئتنا، ولله علم آخر ومشيئة أخرى وراء علومنا ومشيئتنا، فلذلك رد الأمر إليه.

ومثله قول إبراهيم عليه السلام : ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾[6].

فأعادت الرسل بكمال معرفتها بالله أمورها إلى مشيئة الرب وعلمه، ولهذا أمر الله رسوله أن لا يقول لشيء إنه فاعله حتى يستثني بمشيئة الله [7] فإنه إن

---

(١) سورة الأعراف آية : ٨٩ .

(٢) في ت : الآخر .

(٣) ساقطة من د، س .

(٤) سورة الأعراف آية : ٨٩ .

(٥) في م ، ت : علم محيط . والصواب ما أثبت حيث إنه اسم إن .

(٦) كما حكاه الله عز وجل عنه في سورة الأنعام آية ٨٠ .

(٧) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ سورة الكهف آية ٢٣-٢٤ .

شاء فعله وإن شاء لم يفعله، وقد تقدم تقرير هذا المعنى [١] .

وبالجملة كل دليل في القرآن على التوحيد، فهو دليل على القدر وخلق (أعمال)[٢] العباد، ولهذا كان إثبات القدر أساس التوحيد .

قال ابن عباس : الإيمان بالقدر نظام التوحيد (فمن)[٣] كذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده [٤] .

* * *

(١) في الباب الثاني عشر - في ذكر المرتبة الثالثة من مراتب القضاء والقدر، وهي مرتبة المشيئة .

(٢) في د، س : أفعال .

(٣) في د : من .

(٤) رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في كتاب السنة (٢/ ٤٢٢) . والآجري في الشريعة ص(٢١٥) واللالكائي في السنة (٣/ ٦٢٣) و(٤/ ٦٧٠) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٩٧) وقال : رواه الطبراني في الأوسط، وفيه هانئ بن المتوكل ، وهو ضعيف .

الباب الرابع عشر

في الهدى والضلال ومراتبهما والمقدور منهما للخلق وغير المقدور لهم

الباب الرابع عشر
في الهـــدى والضلال ومراتبهما
والمقدور منهما للخلق وغير المقدور لهم

(هذا المذهب)[1] هو قلب أبواب القدر ومسائله، فإن أفضل ما يقدِّر الله لعبده وأجل ما يقسمه له: الهدى، وأعظم ما يبتليه به ويقدره عليه: الضلال، وكل نعمة دون نعمة الهدى، وكل مصيبة دون مصيبة الضلال، وقد اتفقت رسل الله من أولهم إلى آخرهم وكتبه المنزلة عليهم على أنه سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأن الهدى والإضلال بيده / لا بيد العبد، وأن العبد هو الضال أو المهتدي، فالهداية والإضلال فعله سبحانه وقدره، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه، ولا بد قبل الخوض في تقرير ذلك من ذكر مراتب الهدى والضلال في القرآن. ١٦٨أ

فأما مراتب الهدى فأربعة :

إحداها : الهدى العام، وهو هداية كل نفس إلى مصالح معاشها وما يقيمها، وهذا أعم مراتبه .

المرتبة الثانية : الهدى بمعنى البيان والدلالة والتعليم، والدعوة إلى مصالح العبد في معاده، وهذا خاص بالمكلفين، وهذه المرتبة أخص من المرتبة الأولى، وأعم من الثالثة .

المرتبة الثالثة: الهداية المستلزمة للاهتداء ، وهي هداية التوفيق ومشيئة الله لعبده الهداية، وخلقه دواعي الهدى وإرادته، والقدرة (عليه للعبد، وهذه

---

(١) قوله : (هذا المذهب) هكذا في جميع النسخ الخطية والمطبوعة والمناسب للسياق أن يقال: (هذا الباب) .

الهداية التي لا يقدر عليها إلا الله عز وجل .

والمرتبة الرابعة: الهداية)[١] يوم المعاد إلى طريق الجنة والنار .

فصل

فأما المرتبة الأولى : فقد قال سبحانه : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ ﴾[٢] فذكر سبحانه أربعة أمور عامة: الخلق، والتسوية، والتقدير، والهداية، وجعل التسوية من تمام الخلق، والهداية من تمام التقدير.

قال عطاء : ﴿خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾، أحسن ما خلقه . وشاهده قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ[٣] ﴾[٤] فإحسان خلقه يتضمن تسويته وتناسب خلقه وأجزائه، بحيث لم يحصل بينها تفاوت يخل بالتناسب والاعتدال. فالخلق: الإيجاد، والتسوية: إتقانه وإحسان خلقه .

قال الكلبي : خلق كل ذي روح، فجمع خلقه وسواه باليدين والعينين والرجلين[٥] .

وقال مقاتل : خلق لكل دابة ما يصلح لها من الخلق[٦] .

وقال أبو إسحاق : خلق الإنسان مستوياً[٧] .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من د.

(٢) سورة الأعلى آية : ١-٣ .

(٣) سورة السجدة آية : ٧ .

(٤) ذكره الواحدي في تفسير (البسيط) ق(١٨٠ مخطوط) مرجع سابق.

(٥) ذكره الواحدي في تفسيره (البسيط) ق(١٨٠) المرجع السابق والبغوي في تفسيره معالم التنزيل (٤/ ٤٧٥) .

(٦) ذكره الواحدي في تفسيره (البسيط) ق (١٨٠) المرجع السابق .

(٧) انظر معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج (٥/ ٣١٥) .

وهذا تمثيل، وإلا فالخلق والتسوية شامل للإنسان وغيره، قال تعالى : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾[١] . وقال : ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾[٢] فالتسوية شاملة لجميع مخلوقاته ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾[٣] وما يوجد من التفاوت وعدم التسوية، فهو راجع إلى عدم إعطاء التسوية للمخلوق، فإن التسوية أمر وجودي، تتعلق بالتأثير والإبداع، فما عدم منها (فلعدم إرادة)[٤] الخالق للتسوية، وذلك أمر عدمي يكفي فيه عدم الإبداع والتأثير، فتأمل ذلك، فإنه يزيل عنك الإشكال في قوله : ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾[٥] فالتفاوت حاصل بسبب عدم مشيئة التسوية، كما أن الجهل والصمم والعمى والخرس والبكم يكفي فيها عدم مشيئة خلقها وإيجادها. وتمام هذا يأتي إن شاء الله في باب دخول الشر في القضاء (الإلهي)[٦] عند قول النبي ﷺ «والشر ليس إليك[٧]»[٨] . والمقصود أن كل مخلوق فقد سوّاه خالقه سبحانه في مرتبة خلقه، وإن فاتته التسوية من وجه آخر لم يخلق له.

---

(١) سورة الشمس آية ٧ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٩ .

(٣) سورة الملك آية : ٣ .

(٤) في د : فالعدم بإرادة .

(٥) سورة الملك آية ٣ .

(٦) ساقطة من م، د، س .

(٧) طرف من حديث سبق تخريجه.

(٨) وهو الباب الحادي والعشرون ، وقد سماه المؤلف في موضعه، وفي المقدمة: (في تنزيه القضاء الإلهي عن الشر ودخوله في المقضي).

فصل

وأما التقدير والهداية ، فقال مقاتل: قدر خلق الذكر والأنثى (من الدواب)[(١)] فهدى الذكر للأنثى كيف يأتيها[(٢)] (قاله)[(٣)] ابن عباس والكلبي[(٤)].

وكذلك قال عطاء : قدر من النسل ما أراد ثم هدى الذكر للأنثى[(٥)] .

واختار هذا القول صاحب النظم[(٦)] فقال : معنى (هدى) هداية الذكر لإتيان الأنثى كيف يأتيها، لأن إتيان ذكران الحيوان لإناثه مختلف لاختلاف الصور والخلق والهيئات، فلولا أنه سبحانه جبل كل ذكر على معرفة كيف يأتي أنثى جنسه، لما اهتدى إلى ذلك[(٧)] .

وقال مقاتل أيضاً : هداه لمعيشته ومرعاه[(٨)] .

وقال السدي : قدر مدة الجنين في الرحم ثم (هداه)[(٩)] للخروج[(١٠)] .

---

(١) ساقطة من م ، د، س .

(٢) ذكره الواحدي في تفسير (البسيط) ق (١٨٠) مخطوط مرجع سابق انظر ص(٣٨٧). وابن الجوزي في تفسيره (زاد المسير) (٩/ ٨٨) تفسير سورة الأعلى.

(٣) في د، س : وقال .

(٤) روى قول ابن عباس الطبري في تفسيره (١٦/ ١٧١-١٧٢) تفسير سورة طه . وروى قول الكلبي عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٧) .

(٥) ذكره الواحدي في تفسيره (البسيط) ق(١٨٠) المرجع السابق .

(٦) هو : أبو علي، الحسين بن يحيى بن نصر، الجرجاني، روى عن العباس بن يحيى العقيلي، روى عنه أبو النضر محمد بن محمد بن يوسف الطوسي، له تصانيف عدة، منها : نظم القرآن في مجلدتين . انظر تاريخ جرجان للسهمي ص(١٨٧-١٨٨) ط الثالثة، نشر عالم الكتب ، بيروت سنة ١٤٠١هـ .

(٧) ذكره الواحدي في تفسيره (البسيط) ق (١٨٠) المرجع السابق.

(٨)ذكره الواحدي في تفسيره (البسيط) ق (١٨٠) المرجع السابق .

(٩) في م ، ت : هدى .

(١٠) ذكره ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير (٩/ ٨٨) تفسير سورة الأعلى . والبغوي في تفسيره معالم التنزيل (٤/ ٤٧٥) .

وقال مجاهد : هدى الإنسان لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة[١] .

وقال الفراء: التقدير: فهدى وأضل، فاكتفى من ذكر أحدهما بالآخر[٢] .

قلت : الآية أعم من هذا كله، وأضعف الأقوال فيها قول الفراء، إذ المراد هاهنا الهداية العامة لمصالح الحيوان / في معاشه، ليس المراد هداية الإيمان ١٦٩أ والضلالة (بمشيئته)[٣] وهو نظير قوله : ﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[٤]. فإعطاء الخلق : إيجاده في الخارج، والهداية: التعليم والدلالة على سبيل بقائه وما يحفظه ويقيمه .

(وما ذكره)[٥] مجاهد فهو تمثيل[٦] منه، لا تفسير مطابق للآية، فإن الآية شاملة لهداية الحيوان كله ناطقِه وبهيمِه، وطيره ودوابه، فصيحه وأعجمه، وكذلك قول من قال: إنه هداية الذكر لإتيان الأنثى تمثيل أيضاً، وهو فرد واحد من أفراد الهداية التي لا يحصيها إلا الله. وكذلك قول من قال: هداه للمرعى، فإن ذلك من الهداية (فأين الهداية)[٧] إلى التقام الثدي عند خروجه من بطن أمه، والهداية إلى معرفته أمه دون غيرها حتى يتبعها أين ذهبت،

---

(١) ذكره ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير (٩/ ٨٨) تفسير سورة الأعلى . والبغوي في تفسيره معالم التنزيل (٤/ ٤٧٥) .

(٢)انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٥٦) .

(٣) في ت : عنه .

(٤) سورة طه آية : ٥٠ .

(٥) في د، س : وما ذكر .

(٦) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (١٦/ ١٤٧) : وهكذا كثير من تفسير السلف يذكرون من النوع مثالاً لينبهوا به على غيره، أو لحاجة المستمع إلى معرفته، أو لكونه هو الذي يعرفه .

(٧) ما بين القوسين ساقط من د، وفي س : فإن الهداية .

والهداية إلى قصد ما ينفعه من المرعى دون ما يضره منه، وهداية الطير والوحش والدواب إلى الأفعال العجيبة التي يعجز عنها الإنسان، كهداية النحل إلى سلوك السبل التي فيها مراعيها على تباينها، ثم عوده إلى بيوتها من الشجر والجبل وما يغرس بنو آدم .

وأمر النحل في هدايتها من أعجب العجب ، وذكر أن لها أميراً ومدبراً وهو اليعسوب[١] وهو أكبر جسماً من جميع النحل، وأحسن لوناً وشكلاً.

وإناث النحل تلد [٢] في إقبال الربيع، وأكثر أولادها يكنَّ إناثاً ، وإذا وقع فيها ذكر لم تدعه بينها، بل إما أن تطرده وإما أن تقتله، إلا طائفة يسيرة منها تكون حول الملك، وذلك أن (الذكر)[٣] منها لا يعمل شيئاً ولا يكسب . ثم تجتمع الأمهات وفراخها عند الملك، فيخرج بها إلى المراعي من المروج والرياض والبساتين والمراتع في أقصد الطرق وأقربها، فتجتني منها كفايتها فيرجع بها الملك، فإذا انتهوا إلى الخلايا وقف على بابها، ولم يدع ذكراً ولا نحلة غريبة تدخلها، فإذا تكامل دخولها بعدها (وقد أخذت)[٤] النحل مقاعدها وأماكنها، فيبتدئ الملك بالعمل كأنه يعلمها إياه / فيأخذ النحل في ٦٩ب العمل ويتسارع إليه، ويترك الملك العمل، ويجلس ناحية بحيث يشاهد النحل، فيأخذ النحل في إيجاد الشمع من لزوجات الأوراق والأنوار[٥] ، ثم تقتسم النحل فرقاً، فمنها فرقة تلزم الملك ولا تفارقه ولا تعمل ولا تكسب، وهم

(١) اليعسوب هو : فحل النحل، انظر أدب الكاتب لابن قتيبة ص (١٩٤) .

(٢) لعل المؤلف رحمه الله يقصد أنها تبيض في إقبال الربيع .

(٣) في د : الذكور .

(٤) في م، د، س : وتواجدت .

(٥) الأنوار : جمع النور، وهو زهر النبات. المصباح المنير (٢/ ٦٣٠) مادة (نور) .

النحل فرقاً، فمنها فرقة تلزم الملك ولا تفارقه ولا تعمل ولا تكسب، وهم حاشية الملك من الذكورة، ومنها فرقة تهيئ الشمع (وتصفيه)[١]، والشمع هو ثفل[٢] العسل، وفيه حلاوة كحلاوة التين، وللنحل به عناية شديدة فوق عنايتها بالعسل، فينظفه النحل، ويصفيه ويخلصه (مما يخالطه)[٣] من أبوالها وغيرها، وفرقة تبني البيوت، وفرقة تسقي الماء وتحمله على متنها، وفرقة تكنس الخلايا وتنظفها من الأوساخ والجيف والزبل، وإذا رأت بينها نحلة مهينة باطلة قطعتها وقتلتها؛ حتى لا تفسد عليهن بقية العمال وتعديهن ببطالتها ومهانتها. وأول ما يبنى في الخلية مقعد الملك وبيته، فيبني له بيتاً مربعاً يشبه السرير والتخت، فيجلس عليه ويستدير حوله طائفة من النحل يشبه الأمراء والخدم والخواص لا يفارقنه، ويجعل النحل بين يديه شيئاً يشبه الحوض يصب فيه من العسل أصفى ما يقدر عليه، ويملأ منه الحوض يكون ذلك طعاماً للملك وخواصه، ثم يأخذن في (بناء)[٤] البيوت على خطوط مستوية كأنها سكك ومحال، وتبني بيوتها مسدسة (الأشكال)[٥] متساوية الأضلاع، كأنها قرأت كتاب إقليدس[٦] حتى عرفت أوفق الأشكال

---

(١) في د، س: وتصنعه.

(٢) الثفل هو: حثالة الشيء، وهو الثخين الذي يبقى أسفل الصافي. المصباح المنير (١/ ٨٢) مادة (ثفل).

(٣) ساقطة من: د.

(٤) في م، د، س: ابتناء.

(٥) ساقطة من م، د، س.

(٦) هو: إقليدس بن نوقطرس بن برنيقس، المظهر للهندسة، المبرز فيها، أقدم من أرشميدس وغيره، وهو من الفلاسفة الرياضيين. الفهرست للنديم ص(٣٢٥). =

(لثبوتها)[١]، لأن المطلوب من بناء الدور هو الوثاقة والسعة، والشكل المسدس دون سائر الأشكال إذا انضمت بعض أشكاله إلى بعض (صارت)[٢] شكلاً مستديراً كاستدارة الرحى، ولا يبقى فيه فروج ولا خلل ويشد بعضه بعضاً، حتى يصير طبقاً محكماً لا يدخل بين بيوته رؤوس الإبر، فتبارك الله الذي ألهمها أن تبني بيوتها هذا البناء المحكم الذي يعجز البشر عن صنع مثله، فعلمت أنها محتاجة إلى/ أن تبني بيوتها (هذا البناء المحكم)[٣] من أشكال موصوفة بصفتين: ٧٠أ

إحداهما: أن تكون زواياها ضيقة حتى لا يبقى الموضع الضيق معطلاً.

الثانية: أن تكون تلك البيوت مشكلة بأشكال إذا انضم بعضها إلى بعض امتلأت العرصة[٤] منها (فلا)[٥] يبقى شيء منها ضائعاً.

ثم إنها علمت أن الشكل الموصوف بهاتين الصفتين هو المسدس فقط، فإن المثلثات والمربعات، وإن أمكن امتلاء العرصة منها إلا أن زواياها ضيقة، وأما سائر الأشكال وإن كانت زواياها واسعة، إلا أنها لا تمتلئ العرصة منها، بل يبقى فيما بينها فروج خالية ضائعة. وأما المسدس فهو موصوف

= وقد عرب كتابه هذا حنين بن إسحاق العبادي المتوفى سنة (٢٦٠هـ) وحرره بعده ثابت بن قرة المتوفى سنة (٢٨٨هـ). انظر البداية والنهاية (١١/ ٣٢، ٨٥).

(١) في م، د، س: لبيوتها.

(٢) في م، د، س: صار.

(٣) ما بين القوسين ساقط من م، د، س.

(٤) العرصة هي: البقعة الواسعة التي ليس فيها بناء. المصباح المنير (٢/ ٤٠٢) مادة (عرص).

(٥) ساقطة من م.

بهاتين الصفتين، فهداها سبحانه (على)[١] بناء بيوتها على هذا الشكل من غير (تسطير)[٢] ولا آلة ولا مثال يحتذى عليه. وأصنع بني آدم لا يقدر على بناء البيت المسدس إلا بالآلات الكبيرة، فتبارك الذي هداها أن تسلك سبل مراعيها (على)[٣] (قوتها)[٤] وتأتيها ذللاً لا تستعصي عليها ولا تضل عنها، وأن تجتني أطيب ما في المرعى والطفه، وأن تعود إلى بيوتها الخالية فتصب فيها شراباً مختلفاً ألوانه فيه شفاء للناس، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون[٥] .

فإذا فرغت من بناء البيوت خرجت خماصاً تسيح سهلاً وجبلاً، فأكلت من الحلاوات المرتفعة على رؤوس الأزهار وورق الأشجار، فترجع بطاناً، وجعل سبحانه في أفواهها حرارة منضجة، تنضج ما جنته، فتعيده حلاوة ونضجاً ، ثم تمجه في البيوت، حتى إذا امتلأت ختمتها وسدت رؤوسها بالشمع المصفى، فإذا امتلأت تلك البيوت عمدت إلى مكان آخر إن صادفته فاتخذت فيه بيوتاً، وفعلت كما فعلت في البيوت الأولى، فإذا برد الهواء (وأخلف)[٦] المرعى وحيل بينها وبين الكسب، لزمت بيوتها واغتذت بما ادخرته من العسل .

---

(١) في د،س : إلى .

(٢) في د، س : مسطرة .

(٣) في د : إلى .

(٤) في ت: قربها .

(٥) اقتباس من آية ٦٩ سورة النحل .

(٦) في ت: واختلف، ومعنى (أخلف المرعى): فسد، انظر القاموس المحيط ص (١٠٤٤) مادة (خلف) .

وهي في أيام الكسب والسعي تخرج بكرة، وتسيح في المراتع (وتشتغل)[١] كل/ فرقة منها بما يخصها من العمل فإذا أمست رجعت إلى بيوتها ، فإذا كان وقت رجوعها وقف على باب الخلية بواب منها ومعه أعوان (له)[٢] فكل نحلة تريد الدخول يشمها البواب ويتفقدها، فإن وجد منها رائحة منكرة، أو رأى لطخة من قذر، منعها من الدخول، وعزلها ناحية إلى أن يدخل الجميع، فيرجع إلى المعزولات الممنوعات من الدخول، فيتفقدهن ويكشف أحوالهن مرة ثانية، فمن وجده قد وقع على شيء منتن أو نجس قدَّه نصفين، ومن كانت جنايته خفيفة تركه خارج الخلية، هذا دأب البواب كل عشيَّة، وأما الملك فلا يكثر الخروج من الخلية إلا نادراً، إذا اشتهى التنزه، فيخرج ومعه أمراء النحل والخدم، فيطوف في المروج والرياض والبساتين ساعة من النهار ثم يعود إلى مكانه .

٧٠ب

ومن عجيب أمره أنه ربما لحقه أذى من النحل، أو من صاحب الخلية، أو من خدمه، فيغضب ويخرج من الخلية، ويتباعد عنها، ويتبعه جميع النحل، وتبقى الخلية خاوية، فإذا رأى صاحبها ذلك، وخاف أن يأخذ النحل، ويذهب بها إلى مكان آخر، احتال لاسترجاعه وطلب رضاه، فيتعرف موضعه الذي صار إليه (بالنحل)[٣] فيعرفه باجتماع النحل إليه، فإنها لا تفارقه، وتجتمع عليه حتى تصير عليه عنقوداً، وهو إذا خرج (غضبان)[٤] جلس على مكان مرتفع من الشجرة، وطافت به النحل، وانضمت إليه حتى يصير كالكرة، فيأخذ صاحب النحل رمحاً أو قصبة طويلة، ويشد على رأسه حزمة من النبات الطيب الرائحة العطر النظيف، ويدنيه إلى محل الملك،

---

(١) في د، س : وتستعمل .

(٢) ساقطة من د، س .

(٣) في د : النحل .

(٤) في د، س : غضبا .

ويكون معه إما مزهر[1] أو يراع أو شيء من آلات الطرب، فيحركه وقد أدنى إليه ذلك الحشيش، فلا يزال كذلك إلى أن يرضى الملك، فإذ رضي وزال غضبه طفر ووقع على (ذلك)[2] الضغث[3] وتبعه خدمه وسائر النحل، فيحمله صاحبه إلى الخلية، فينزل ويدخلها هو وجنوده/ ولا يقع النحل على جيفة، ولا حيوان، ولا طعام . ١٧١أ

ومن عجيب أمرها: أنها تقتل الملوك الظلمة المفسدة، ولا تدين (بطاعتها)[4] والنحل الصغار المجتمعة الخلق هي العسالة، وهي تحاول مقاتلة الطوال القليلة النفع، وإخراجها ونفيها عن الخلايا، وإذا فعلت ذلك جاد العسل، وتجتهد أن تقتل ما تريد قتله خارج الخلية صيانة للخلية عن جيفته .

ومنها صنف (قليلة)[5] النفع (كبيرة)[6] الجسم. وبينها وبين العسالة حرب، فهي تقصدها وتغتالها، وتفتح عليها بيوتها، وتقصد هلاكها، والعسالة شديدة التيقظ والتحفظ منها، فإذا هجمت عليها في بيوتها (حاولتها)[7] وألجأتها إلى أبواب البيوت، فتتلطخ بالعسل فلا تقدر على الطيران، ولا يفلت منها إلا كل طويل العمر، فإذا انقضت الحرب وبرد القتال عادت إلى القتلى، فحملتها وألقتها خارج الخلية، وقد ذكرنا أن الملك لا يخرج إلا في الأحايين، وإذا

---

(١) المزهر واليراع من آلات الملاهي، ولا يخفى أن المؤلف رحمه الله يحكي الواقع، وليس هو بصدد تقرير حكم آلات الطرب .

(٢) ساقطة من م، د، س .

(٣) الضغث هو: قبضة حشيش مختلف رطبها بيابسها. المصباح المنير (٢/ ٣٦٢) مادة (ضغث).

(٤) في د ، س : لطاعتها .

(٥) في د ، س : قليل .

(٦) في د ، س : كبير .

(٧) في د: حاورتها .

خرج خرج في مجموع[(١)] من الفراخ والشباب، وإذا عزم على الخروج ظل قبل ذلك بيوم أو يومين يعلم الفراخ وينزلها منازلها ويرتبها، فيخرج ويخرجن معه على ترتيب ونظام قد دبره معهن لا يخرجن عنه، وإذا تولدت عنده ذكران عرف (أنهن يطلبن) [(٢)] الملك فيجعل كل واحد منهن على طائفة من الفراخ ، ولا يقتل ملك منها ملكاً آخر ، لما في ذلك من فساد الرعية وهلاكها وتفرقها، وإذا رأى صاحب الخلية الملوك قد كثرت في الخلية، وخاف من تفرق النحل بسببهم، احتال عليهم وأخذ الملوك كلها إلا واحداً، ويحبس الباقي عنده في إناء ويدع عندهم من العسل ما يكفيهم، حتى إذا حدث بالملك المنصوب حدث (من) [(٣)] مرض أو موت أو كان مفسداً فقتلته النحل، أخذ من هؤلاء المحبوسين واحداً، وجعله مكانه لئلا يبقى النحل بلا ملك، فيتشتت أمرها.

ومن عجيب أمرها أن الملك إذا خرج متنزهاً ومعه الأمراء والجنود ربما لحقه إعياء، فتحمله / الفراخ، وفي النحل كرامٌ عمال ، لها سعي وهمة واجتهاد، وفيها لئام كسالى قليلة النفع مؤثرة للبطالة ، فالكرام دائماً تطردها، وتنفيها عن الخلية، ولا تساكنها خشية أن تعدي كرامها وتفسدها . ٧١ب

والنحل من (أنظف)[(٤)] الحيوان وأنقاه، ولذلك لا تلقى زبلها إلا (وهي)[(٥)] تطير، وتكره النتن والروائح الخبيثة، وأبكارها وفراخها أحرص وأشد اجتهاداً من الكبار، وأقل لسعاً وأجود عسلاً، ولسعها إذا لسعت أقل ضرراً من لسع الكبار .

ولما كانت النحل من أنفع الحيوان وأبركه – وقد خصت من وحي الرب

---

(١) في م : جموع .

(٢) في د : أنهم يتطلبن . وفي س : أنهن يتطلبن .

(٣) ساقطة من م ، د، س .

(٤) في د، س : ألطف .

(٥) في د، س : حين .

تعالى (وهدايته)[١] بما لم يشركها فيه غيرها، وكان الخارج من بطونها مادة الشفاء من الأسقام، والنور الذي يضيء في الظلام[٢] بمنزلة الهداة من الأنام - (كانت)[٣] أكثر الحيوان (أعداءً)[٤] وكان أعداؤها من أقل الحيوان منفعة وبركة، وهذه سنة الله في خلقه، وهو العزيز الحكيم .

فصل

وهذه النمل من أهدى الحيوانات، وهدايتها من أعجب شيء، فإن النملة الصغيرة تخرج من بيتها وتطلب قوتها، وإن بعدت عليها الطريق، فإذا ظفرت به حملته وساقته في طريق معوجة بعيدة، ذات صعود وهبوط، في غاية من التوعر حتى تصل إلى بيوتها، فتخزن فيها أقواتها في وقت الإمكان، فإذا خزنتها؛ عمدت إلى ما ينبت منها ففلقته فلقتين لئلا ينبت ، فإن كان ينبت مع فلقة باثنين فلقته بأربعة، فإذا أصابه بلل وخافت عليه العفن والفساد وانتظرت به يوماً ذا شمس، فخرجت به فنشرته على أبواب بيوتها ثم أعادته إليه، ولا تتغذى منها نملة (على ما)[٥] جمعه غيرها.

ويكفي في هداية النمل ما حكاه الله سبحانه في القرآن عن النملة التي سمع سليمان كلامها وخطابها لأصحابها بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾[٦] فاستفتحت خطابها بالنداء الذي يسمعه من خاطبته، ثم أتت / بالاسم المبهم، ثم أتبعته ١٧٢

(١) في م : وهدى الله .

(٢) حيث إن الشمع يستعمل للإضاءة. انظر القاموس المحيط ص(٤٩٤) مادة (شمع) .

(٣) في م، د، س : كان .

(٤) في د: أعداءها .

(٥) في د، س : مما .

(٦) كما في سورة النمل آية : ١٨ .

بما يثبته من اسم الجنس وإرادة للعموم، ثم أمرتهم بأن يدخلوا مساكنهم (فيتحصنون)[١] من العسكر، ثم أخبرت عن سبب هذا الدخول، وهو خشية أن تصيبهم (معرة)[٢] الجيش، فيحطمهم سليمان وجنوده، ثم اعتذرت عن نبي الله وجنوده بأنهم لا يشعرون بذلك، وهذا من أعجب الهداية .

وتأمل كيف عظم الله سبحانه شأن النملة بقوله: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[٣].

ثم قال : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾[٤] . فأخبر أنهم بأجمعهم مروا على ذلك الوادي، ودل على أن ذلك الوادي (معروفاً)[٥] بالنمل كوادي السباع[٦] ونحوه، ثم أخبر (عما)[٧] دل على شدة فطنة هذه النملة ودقة معرفتها، حيث أمرتهم أن يدخلوا مساكنهم المختصة بهم، فقد عرفت هي والنمل أن لكل طائفة منها مسكناً لا يدخل عليهم فيه سواهم، ثم قالت : ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ فجمعت بين اسمه وعينه، وعرفته بهما، وعرفت جنوده وقائدها، ثم قالت : ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ فكأنها جمعت بين الاعتذار عن (معرة)[٨] الجيش بكونهم لا يشعرون وبين لوم أمة النمل حيث

---

(١) في د : فيتحصنوا .

(٢) في د: مضرة .

(٣) سورة النمل آية : ١٧ .

(٤) سورة النمل آية : ١٨ .

(٥) في د: معروف .

(٦) وادي السباع : موضع بين مكة والبصرة ، وبينه وبين البصرة خمسة أميال، وهو الذي قتل فيه الزبير بن العوام ﷺ ، انظر معجم البلدان (٥/ ٣٤٣) .

(٧) في د، س : بما .

(٨) في د، س : مضرة .

لم يأخذوا حذرهم ويدخلوا مساكنهم، ولذلك تبسم نبي الله سليمان ضاحكاً من قولها، وإنه لموضع تعجب وتبسم .

وقد روى الزهري عن (عبيد الله)[1] بن عبد الله بن (عتبة)[2] [3] عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ نهى عن قتل (أربع)[4] : (النملة)[5] والنحلة والهدهد والصُّرَد [6][7] .

وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **« نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة، فقرصته نملة، فأمر بجهازه فأخرج، وأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه: أمن أجل أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح، فهلا نملة واحدة»**[8] .

---

(١) في د، س : عبد الله. وهو تصحيف، انظر ترجمته الآتي ذكرها .

(٢) في د، س : عيينة. وهو تصحيف .

(٣) هو: عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أبو عبد الله، المدني، ثقة فقيه، ثبت، من الثالثة، مات سنة أربع وتسعين، وقيل: ثمان، وقيل: غير ذلك، روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٥٣٥) وتهذيب التهذيب (٧/ ٢٣-٢٤) .

(٤) ساقطة من د، س .

(٥) في د، س : النمل .

(٦) الصرد هو : طائر ضخم الرأس والمنقار، له ريش عظيم، نصفه أبيض، ونصفه أسود، النهاية لابن الأثير (٣/ ٢١) .

(٧) رواه أبو داود (١٤/ ١٧٨) ك الأدب- باب في قتل الذر، وابن ماجه (٢/ ١٠٧٤) ك الصيد – باب ما ينهى عن قتله. والإمام أحمد (١/ ٣٣٢-٣٤٧) وقال الشيخ أحمد شاكر: وإسناده صحيح . انظر المسند بتحقيقه (٥/ ٢٩-٣٠). والدارمي في سننه (٢/ ١٦) ك الأضاحي – باب النهي عن قتل الضفدع والنحلة. وعبد الرزاق في مصنفه (٤/ ٤٥١) . والطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٣٧٠-٣٧١) والبغوي في شرح السنة (١٢/ ١٩٨) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٢/ ٤٦٢) . والبيهقي في سننه (٩/ ٣١٧) .

(٨) رواه البخاري (٤/ ٢٢) ك الجهاد والسير. وفي (٤/ ١٠٠) ك بدء الخلق. ومسلم =

وذكر هشام بن حسان[١] أن أهل الأحنف بن قيس[٢] لقوا من النمل شدة، فأمر الأحنف بكرسي/ فوضع عند (بيوتهن)[٣] فجلس عليه، ثم تشهد، ثم قال : لتنتهن أو لنحرقن عليكن ونفعل ونفعل، قال: فذهبن[٤] . ٧٢ب

وروى عوف بن أبي جميلة[٥] عن قسامة بن زهير[٦] قال : قال أبو موسى

= في (٤/ ١٧٥٩) ك السلام - باب النهي عن قتل النمل. وأبو داود (١٤/ ١٧٦-١٧٧) ك الأدب - باب في قتل الذر. والنسائي (٧/ ٢١٠-٢١١) ك الصيد والذبائح - باب قتل النمل. وابن ماجة (٢/ ١٠٧٥) ك الصيد - باب ما ينهى عن قتله. والإمام أحمد (٢/ ٣١٣، ٤٤٩) وعبد الرزاق في مصنفه (٤/ ٤٥٠) . والطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٣٧٣) . وأبو يعلى في مسنده (١١/ ١٩٥) . والبغوي في شرح السنة (١٢/ ١٩٧) ك الطب والرقى - باب قتل الذر . والبيهقي في سننه (٥/ ٢١٤) .

(١) هو : هشام بن حسان الأزدي سبقت ترجمته في ص (٢٤٦) .

(٢) هو : الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المري السعدي المنقري التميمي، أبو بحر ، أحد الدهاة الفصحاء الشجعان، يضرب به المثل في الحلم، أدرك النبي ﷺ ولم يره، شهد الفتوح في خراسان، واعتزل الفتنة يوم الجمل. توفي سنة سبع وستين. وقيل: اثنتين وسبعين. روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٤٩) وتهذيب التهذيب (١/ ١٩١) .

(٣) في م ، د، س : تنورين .

(٤) ذكره الجاحظ في كتاب الحيوان (٤/ ١٨) تحقيق عبد السلام هارون، ط الثانية، نشر مطبعة البابي الحلبي بمصر. والدميري في حياة الحيوان الكبرى (٢/ ٣٦٩) نشر دار الفكر، بيروت .

(٥) ثقة سبقت ترجمته في ص (٣١٧) .

(٦) هو : قسامة بن زهير المازني، البصري، ثقة، من الثالثة، مات بعد الثمانين، روى له أبو داود والترمذي والنسائي. تقريب التهذيب(٢/ ١٢٦) وانظر تهذيب التهذيب (٨/ ٣٧٨) .

الأشعري: إن لكل شيء سادة، حتى للنمل سادة[١] .

ومن عجيب هدايتها أنها تعرف ربها بأنه فوق سماواته على عرشه، كما رواه الإمام أحمد في كتاب الزهد من حديث أبي هريرة يرفعه، قال: «خرج نبي من الأنبياء بالناس يستسقون، فإذا هم بنملة رافعة قوائمها إلى السماء تدعو مستلقية على ظهرها، فقال: ارجعوا، فقد كفيتم، أو سقيتم بغيركم». ولهذا الأثر عدة طرق، ورواه الطحاوي[٢] في التهذيب وغيره[٣] .

وقال الإمام أحمد: حدثنا (وكيع[٤] حدثنا مسعر[٥] عن زيد العمي[٦] عن

---

(١) ذكره الجاحظ في كتاب الحيوان (٤/ ١٩) و(٥/ ٤٢٢) .

(٢) هو : الإمام المحدث الفقيه، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبدالملك، الأزدي الحجري، المصري الطحاوي، الحنفي، ابن أخت المزني، من أهل قرية طحا من قرى مصر، كان ثقة ثبتاً فقيها، انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة في مصر، ولد سنة (٢٣٧) سبع وثلاثين ومائتين، وتوفي سنة (٣٢١هـ) إحدى وعشرين وثلاثمائة. وله مصنفات منها: مشكل الآثار، وشرح معاني الآثار وغيرهما. سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧-٣٣) وطبقات الحافظ ص (٣٣٩) والأعلام (١/ ٢٠٦) .

(٣) انظر مشكل الآثار (١/ ٣٧٣) وسيذكر المؤلف بعد هذا الأثر رواية الإمام أحمد له بسندها .

(٤) هو : وكيع بن الجراح الرؤاسي، ثقة سبقت ترجمته في ص (١٨٧) .

(٥) هو : مسعر بن كدام، بكسر أوله وتخفيف ثانيه، ابن ظهير، الهلالي، أبو سلمة الكوفي، ثقة ثبت فاضل، من السابعة، مات سنة ثلاث أو خمس وخمسين ومائة. روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ٢٤٣) . انظر تهذيب التهذيب (١٠/ ١١٣-١١٥) .

(٦) هو : زيد بن الحواري ، أبو الحواري، العمي، البصري، قاضي هراة، يقال: اسم أبيه مرة، وقيل له: العمي؛ لأنه إذا سئل عن شيء قال: لا حتى أسأل عمي، ضعيف من الخامسة. تقريب التهذيب (١/ ٢٧٤) . وتهذيب التهذيب (٣/ ٤٠٧-٤٠٩) .

أبي الصديق[١] الناجي)[٢] : خرج سليمان بن داود يستسقي، فرأى نملة مستلقية على ظهرها ، رافعة قوائمها إلى السماء، وهي تقول: اللهم إنا خلق من خلقك، ليس بنا غنى عن سقياك ورزقك، فإما أن تسقينا وترزقنا، وإما أن تهلكنا، فقال: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم)[٣] .

ولقد حدثني (من أثق به)[٤] أن نملة خرجت من بيتها، فصادفت شق جرادة، فحاولت أن تحمله فلم تطق، فذهبت وجاءت معها بأعوان يحملنه معها ، قال : فرفعت ذلك من الأرض، فطافت في مكانه فلم تجده فانصرفوا وتركوها، قال: فوضعته فعادت تحاول حمله، فلم تقدر، فذهبت وجاءت بهم فرفعته، فطافت فلم تجده، فانصرفوا . قال: فعلت ذلك مراراً، فلما كان في المرة الأخيرة استدار النمل حلقة، ووضعوها في وسطها وقطعوها عضواً عضواً .

قال شيخنا[٥] وقد حكيت له هذه الحكاية: هذه النمل فطرها الله سبحانه على قبح الكذب وعقوبة الكذاب .

والنمل من أحرص الحيوان، ويضرب بحرصه المثل، ويذكر أن سليمان

---

(١) هو : بكر بن عمرو ، قيل: ابن قيس ، أبو الصديق الناجي – بالنون والجيم – بصري ثقة، من الثالثة، مات سنة ثمان ومائة، روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ١٠٦) وتهذيب التهذيب (١/ ٤٨٦) .

(٢) ما بين القوسين بياض في م، ت، س، وما أثبت من كتاب الزهد للإمام أحمد، وانظر أيضاً مصنف ابن أبي شيبة (١٠/ ٣١٢) فقد رواه عن وكيع ... به .

(٣) انظر كتاب الزهد للإمام أحمد ص (١١٠) . ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٣١٢)

(٤) ساقطة من د، س .

(٥) يعني شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

(بن داود)[١] صلوات الله وسلامه عليه لما رأى حرص النملة وشدة ادخارها للغذاء استحضر نملة وسألها: كم تأكل النملة من الطعام كل سنة؟ قالت: ثلاث حبات من / الحنطة، فأمر بإلقائها في قارورة وسد فم القارورة، وجعل ١٧٣أ معها ثلاث حبات حنطة، وتركها سنة (بعدما قالت)[٢]، ثم أمر بفتح القارورة عند فراغ السنة فوجد (فيها)[٣] حبة ونصف حبة فقال[٤] : أنتِ زعمت أن قوتك كل سنة ثلاث حبات، فقالت: نعم (ولقد صدقتك)[٥] ولكن لما رأيتك مشغولاً بمصالح أبناء جنسك، حسبت الذي (معي)[٦] فوجدته أكثر من المدة المضروبة، فاقتصرت على نصف القوت، واستبقيت نصفه استبقاء لنفسي، فعجب سليمان من شدة حرصها ، وهذا من أعجب الهداية (والفطنة)[٧] .

ومن حرصها: أنها تكد طول الصيف وتجمع للشتاء، علماً منها بإعواز الطلب في الشتاء وتعذر الكسب فيه، وهي ـ على ضعفها ـ شديدة القوى ؛ فإنها تحمل أضعاف أضعاف وزنها وتجره إلى بيتها .

ومن عجيب أمرها: أنك إذا أخذت عضو (جرادة يابس)[٨] فأدنيته إلى

---

(١) إضافة من ت .

(٢) ساقطة من ت .

(٣) في م بياض، وساقطة من د، س .

(٤) في د، س زيادة : أين زعمك .

(٥) ساقطة من م، د، س .

(٦) في د، س : بقي من عمري .

(٧) في د، س : والعطية .

(٨) في د، س : كزبرة يابساً .

أنفك لم تشم له رائحة، فإذا وضعته على الأرض أقبلت النملة من مكان بعيد إليه (فاحتملته)[١] ، فإن عجزت عن حمله ذهبت وأتت معها بصف من النمل يحملونه، فكيف وجدت رائحة ذلك من جوف بيتها حتى أقبلت بسرعة إليه، فهي تدرك بالشم من البعد ما يدركه غيرها بالبصر أو بالسمع، فتأتي من مكان بعيد إلى موضع أكل فيه الإنسان وبقي فيه فتات من الخبز أو غيره، فتحمله وتذهب به وإن كان أكبر منها، فإن عجزت عن حمله ذهبت إلى جحرها وجاءت معها بطائفة من أصحابها فجاؤوا كخيط أسود يتبع بعضهم بعضاً حتى يساعدوا على حمله ونقله، وهي تأتي إلى السنبلة فتشمها، فإن وجدتها حنطة قطعتها (وفرقتها)[٢] وإن وجدتها شعيراً (فلا)[٣] ، ولها صدق الشم، وبعد الهمة، وشدة الحرص، والجرأة على محاولة نقل ما هو أضعاف أضعاف وزنها .

وليس للنمل قائد ورئيس يدبرها كما يكون للنحل، إلا أن لها رائداً يطلب الرزق، فإذا وقف عليه أخبر أصحابه، فيخرجن مجتمعات. وكل نملة تجتهد في صلاح العامة منها، غير مختلسة من الحب شيئاً لنفسها دون صواحباتها .

ومن عجيب أمرها أن الرجل إذا أراد أن يحترز من (الذر)[٤] لا تسقط في

---

(١) ساقطة من م، د، س .

(٢) في د، س : ومزقتها .

(٣) في ت: تركتها فلها أولا. ومن عجائب النمل ما ذكره الجاحظ في كتاب الحيوان (٦/٤) : بأنها تفلق الحب كله أنصافاً . فأما إذا كان الحب من حب الكزبرة فلقته أرباعاً، لأن أنصاف الكزبرة ينبت من بين جميع الحبوب.

(٤) في د، س : النمل. والذر هو : صغار النمل. انظر القاموس المحيط (٢/ ٣٤) مادة (ذر).

عسل أو نحوه، فإنه يحفر حفيرة ويجعل حولها ماء، أو يتخذ إناء كبيرًا ويملأه ماءً، ثم يضع فيه ذلك الشيء، فتأتي (الذر)[1] تطيف به فلا تقدر عليه، فتتسلق في الحائط وتمشي على السقف إلى أن تحاذي ذلك الشيء فتلقى نفسها عليه، وجربنا نحن ذلك .

وأحمى صانعٌ مرة طوقاً بالنار، ورماه على الأرض ليبرد، واتفق أن (أسفل)[2] الطوق (نمل)[3] فتوجه في الجهات ليخرج (فيلحقه)[4] وهج النار فلزم المركز ووسط الطوق، وكان (فيه)[5] (وكان)[6] ذلك مركزاً له، وهو أبعد مكان من المحيط .

فصل

وهذا الهدهد من أهدى الحيوان وأبصره بمواضع الماء تحت الأرض (حيث)[7] لا يراه غيره. ومن هدايته ما حكاه الله سبحانه عنه في كتابه أنه قال لنبي الله سليمان، وقد فقده وتوعده فلما جاءه بدره بالعذر قبل أن (يبدره)[8] سليمان بالعقوبة، وخاطبه خطاباً هيجه به إلى الإصغاء إليه والقبول منه، فقال : ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ﴾[9] وفي ضمن هذا أني

---

(١) في د، س : الذي .

(٢) في م، أشمل، وفي د، س : اشتمل .

(٣) في د، س : على نمل .

(٤) في م ، د، س : فلحقه .

(٥) ساقطة من د، س .

(٦) ساقطة من م ، د، س .

(٧) ساقطة من م، د، س .

(٨) في م ، د، س : ينذره .

(٩) سورة النمل آية : ٢٢ .

أتيتك بأمر قد عرفته حق المعرفة بحيث أحطت به، وهو خبر عظيم له شأن، فلذلك قال: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[١] والنبأ هو الخبر الذي له شأن، والنفوس متطلعة إلى معرفته، ثم وصفه بأنه نبأ يقين لا شك فيه ولا ريب، فهذه مقدمة بين يدي إخباره لنبي الله بذلك النبأ استفرغت قلب المخبر لتلقي الخبر (وقبوله)[٢] وأوجبت له التشوق التام إلى سماعه ومعرفته، وهذا نوع من براعة الاستهلال وخطاب التهييج، ثم كشف (له)[٣] عن حقيقة الخبر كشفاً مؤكداً (بأداة)[٤] التأكيد، فقال: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾[٥]، ثم أخبر عن شأن تلك الملكة، وأنها من أجل الملوك، بحيث أوتيت من كل/ ١٧٤أ شيء يصلح أن تؤتاه الملوك، ثم زاد في تعظيم شأنها بذكر عرشها (التي)[٦] تجلس عليه وأنه عرش عظيم، ثم أخبره بما (يدعوه)[٧] إلى قصدهم وغزوهم في (عقر)[٨] دارهم بعد عودتهم إلى الله، فقال: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[٩]. وحذف أداة العطف من هذه الجملة، وأتى بها مستقلة غير معطوفة على ما قبلها إيذاناً بأنها هي المقصودة وما قبلها توطئة لها، ثم أخبر عن المغوي لهم، الحامل لهم على ذلك هو تزيين الشيطان لهم

---

(١) سورة النمل آية :٢٢ .

(٢) ساقطة من د، س .

(٣) ساقطة من م، دن س .

(٤) سورة النمل آية : ٢٣ .

(٥) في م ، د، س : بأدلة .

(٦) في د: الذي .

(٧) في د، س : يدعوهم .

(٨) في ت: غير .

(٩) سورة النمل آية : ٢٤ .

أعمالهم حتى صدهم عن السبيل المستقيم، وهو السجود لله وحده، ثم أخبر أن ذلك الصد حال بينهم وبين الهداية والسجود لله ، الذي لا ينبغي السجود إلا له، ثم ذكر من أفعاله سبحانه إخراج الخبء في السموات والأرض، وهو المخبوء فيهما من المطر والنبات والمعادن وأنواع ما ينزل من السماء، وما يخرج من الأرض. وفي ذكر الهدهد هذا الشأن من أفعال الرب تعالى بخصوصه إشعار بما خصه الله به من إخراج الماء المخبوء تحت الأرض .

قال صاحب الكشاف[1]: وفي إخراج الخبء على أنه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الأرض، وذلك بإلهام من يخرج الخبء في السماوات والأرض جلت قدرته ولطف علمه .

ولا يكاد يخفي على ذي الفراسة، الناظر بنور الله مخايل كل (مختص)[2] بصناعة أو فن من العلم في إروائه ومنطقه وشمائله، فما علم آدمي عملاً إلا ألقى الله عليه رداء عمله[3] .

فصل

وهذا الحمام من أعجب الحيوان هداية، حتى قال الشافعي : أعقل الطير (الحمام)[4] . وبُرُد[5] الحمام هي التي تحمل الرسائل والكتب، ربما زادت قيمة الطير منها على قيمة المملوك والعبد، فإن الغرض الذي يحصل به لا يحصل بمملوك ولا بحيوان غيره، لأنه يذهب ويرجع إلى مكانه من مسيرة

(١)هو : محمود بن عمر الزمخشري ، سبقت ترجمته في ص (٣٤٤) .

(٢) في م ، ت ، د، س : شخص. وما أثبت من الكشاف .

(٣) انظر الكشاف (٣/ ١٤٥).

(٤) ساقطة من د.

(٥) بُرُد : – بضمتين – جمع بريد . انظر المصباح المنير ص (٤٣) مادة (برد) .

٧٤ب ألف فرسخ[١] فما دونها. وتنهي الأخبار والأغراض والمقاصد/ التي تتعلق بها مهمات الممالك والدول. والقيِّمون بأمرها يعتنون بأنسابها اعتناء عظيماً، فيفرقون بين ذكورها وإناثها وقت السفاد، وتنقل الذكور عن إناثها إلى غيرها، والإناث عن ذكورها، ويخافون عليها من فساد أنسابها وحملها من غيرها، ويتعرفون صحة طرقها ومحلها (لأنهم)[٢] لا يأمنون أن تفسد الأنثى ذكراً من عرض الحمام فتعتريها الهجنة)[٣] .

والقيّمون بأمرها لا يحفظون أرحام نسائهم، ويحتاطون لها كما يحفظون أرحام حمامهم، ويحتاطون لها. والقيمون (بأمرها)[٤] لهم في ذلك قواعد وطرق يعتنون بها غاية الاعتناء، بحيث إذا رأوا حماماً ساقطاً لم يخف عليهم حسبها، ونسبها، وبلدها، ويعظمون صاحب التجربة والمعرفة، وتسمح أنفسهم بالجعل[٥] الوافر له، ويختارون لحمل الكتب والرسائل الذكور منها، ويقولون : هو أحنّ إلى بيته لمكان أنثاه، وهو أشد متناً، وأقوى بدناً، وأحسن اهتداء . وطائفة منهم تختار لذلك الإناث؛ يقولون: الذكر إذا سافر وبعد

---

(١) فرسخ الطريق: ثلاثة أميال هاشمية، وقيل : اثنا عشر ألف ذراع، وهي ثمانية كيلات من الأمتار تقريباً. انظر القاموس المحيط ص (٣٢٩) والمنجد (٥٧٦) مادة (فرس) .

(٢) ساقطة من م، د، س .

(٣) هكذا في جميع النسخ ، ولعل صحة العبارة ان يقال: (لأنهم لا يأمنون أن يفسد الأنثى ذكر من عرض الحمام، فتعتري الهجنة فراخها). انظر الحيوان للجاحظ (٣/ ٢١٣-٢١٤) فقد ورد فيه هذا الكلام مع اختلاف يسير.

(٤) ساقطة من د .

(٥) الجعل – بالضم ـ : الأجر . انظر المصباح المنير (١/ ١٠٢) مادة (جعل) .

عهده حنّ إلى الإناث وتاقت نفسه إليهن، فربما رأى أنثى في طريقه ومجيئه، فلا يصبر عنها، فترك المسير ومال إلى قضاء وطره منها .

(وهداية الحمام)[١] على قدر التعليم والتوطين، والحمام موصوف باليُمن والإلف (والتأنس)[٢] ، ويحب الناس ويحبونه، ويألف المكان، ويثبت على العهد والوفاء لصاحبه وإن أساء إليه، ويعود إليه من مسافات (شاسعة)[٣] وربما صُدَّ (واحتول)[٤] (عن)[٥] وطنه عشر حجج، وهو ثابت على الوفاء، حتى إذا وجد فرصة واستطاعة عاد إليه .

والحمام إذا أراد السفاد يلطف للأنثى غاية اللطف، فيبدأ بنشر ذنبه وإرخاء (جناحيه)[٦]، ثم يدنو من الأنثى، فيهدر لها ويقبلها (ويزقها)[٧] وينتفش ويرفع صدره، ثم يعتريه ضرب من (الحكة والفلي)[٨] والأنثى في ذلك مرسلة جناحها وكتفها على الأرض، فإذا قضى حاجته منها ركبته الأنثى، وليس / ذلك في شيء من الحيوان سواه. وإذا علم الذكر أنه أودع رحم ١٧٥أ الأنثى ما يكون منه الولد، يقوم هو والأنثى بطلب القصب والحشيش وصغار العيدان منه فيعملان منه أفحوصة، وينسجاها نسجاً متداخلاً في الموضع الذي يكون بقدر جثمان الحمامة، ويجعلان حروفها شاخصة مرتفعة

---

(١) في م ، د، س : وهدايته .
(٢) في د، س : للناس .
(٣) في د، س : بعيده .
(٤) ساقطة من م، د، س .
(٥) في م، د، س : فترك .
(٦) في د، س: جناحه .
(٧) في د، س : ويزفها .
(٨) في د، س : الوله .

لئلا يتدحرج عنها البيض، وتكون حضناً للحاضن، ثم يتعاودان ذلك المكان، ويتعاقبان الأفحوص يسخنانه ويطيبانه، وينفيان طباعه (الأول)[١] ويحدثان فيه طبعاً آخر مشتقاً ومستخرجاً من طباع أبدانهما ورائحتهما، لكي تقع البيضة إذا وقعت في مكان هو أشبه المواضع بأرحام الحمام، ويكون على مقدار من الحر والبرد والرخاوة والصلابة، ثم إذا ضربها المخاض بادرت إلى ذلك المكان (ووضعت فيه البيض، فإذا أفزعها رعد قاصف رمت بالبيضة دون ذلك المكان)[٢] الذي هيأته، كالمرأة التي تسقط من الفزع، فإذا وضعت البيض في ذلك المكان، لم يزالا يتعاقبان الحضن، حتى إذا بلغ الحضن مداه وانتهت أيامه، انصدع عن الفرخ فأعاناه على خروجه، فيبدآن أولاً بنفخ الريح في حلقه حتى تتسع (حوصلته)[٣] علماً منهما بأن (الحوصلة)[٤] تضيق عن الغذاء، فتتسع (الحوصلة)[٤] بعد التحامها وتتفق بعد ارتتاقها، ثم يعلمان أن (الحوصلة)[٤] وإن كانت قد اتسعت شيئاً، فإنها في أول الأمر لا تحتمل الغذاء، فيزقانه[٥] بلعابهما المختلط بالغذاء وفيه قوى الطعم، ثم يعلمان أن طبع (الحوصلة)[٦] يضعف عن استمرار الغذاء، وأنها تحتاج إلى دفع وتقوية، لتكون لها بعض المتانة، فيلقطان من (أصول الحيطان)[٧] الحب اللين الرخو،

---

(١) في د: الأولى .

(٢) ما بين القوسين ساقط من ت .

(٣) في د: حويصلته .

(٤) في د: الحويصلة .

(٥) الزَّقّ - بفتح الراء المشددة -: إطعام الطائر لفراخه . انظر القاموس المحيط ص(١١٥٠) مادة (زقق) .

(٦) في د : الحويصلة .

(٧) في د، س : الغيطان .

ويزقانه الفرخ، ثم يزقانه بعد ذلك الحب الذي هو أقوى وأشد، ولا يزالان يزقانه بالحب والماء على تدريج بحسب قوة الفرخ، وهو يطلب ذلك منهما، حتى إذا علما أنه قد أطاق اللقط منعاه بعض المنع ليحتاج إلى اللقط ويعتاده، وإذا علما أن (أدواته)[1] قد قويت ونمت، وأنهما إن فطماه/ فطاماً تاماً، قوي على اللقط وتبلّغ لنفسه، ضرباه إذا سألهما الزق ومعناه، ثم تنزع تلك الرحمة العجيبة منهما، وينسيان ذلك (التعطف)[2] المتمكن حين يعلمان أنه قد أطاق القيام بنفسه والتكسب، ثم يبتدئان العمل ابتداءً على ذلك النظام[3] . ٧٥ب

والحمام (مشاكل)[4] الناس في أكثر طباعه ومذاهبه، فإن (في)[5] إناثه أنثى لا تريد إلا زوجها، وفيه أخرى لا ترد يد لامس، وأخرى لا تنال إلا بعد الطلب الحثيث، وأخرى تُركب من أول وهلة وأول طلب، وأخرى لها ذكر معروف بها، وهي تمكن ذكراً آخر منها (عند غيبة ذكرها لا تعدوه، قد اتخذته خدناً، وأخرى مسافحة)[6] إذا غاب زوجها لم تمتنع ممن ركبها، وأخرى تمكن من (نفسها غير)[7] زوجها وهو يراهما ويشاهدهما ولا تبالي بحضوره، وأخرى (تقمط[8])[9] الذكر وتدعوه إلى نفسها، وأنثى تركب أنثى وتساحقها،

(١) في د، س : رئته .
(٢) في د: العطف .
(٣) ذكر ذلك الجاحظ في كتاب الحيوان (٣/ ١٤٩-١٥٤) .
(٤) في د، س : يشاكل .
(٥) ساقطة من م. وفي د، س : من .
(٦) ما بين القوسين ساقط من د، س .
(٧) في د، س : يغنيها عن .
(٨) في د، تغري .
(٩) القمط : السفاد والجماع، وسفاد الطائر قمط. انظر معجم مقاييس اللغة (٥/ ٢٧) والقاموس المحيط ص (٨٨٣) مادة (قمط) .

وذكر يركب ذكراً ويعسفه.

وكل حالة توجد في الناس ذكورهم وإناثهم توجد في الحمام. وفيها من لا تبيض ، وإن باضت أفسدت البيضة، كالمرأة التي لا تريد الولد كيلا يشغلها عن شأنها. وفي إناث الحمام من إذا عرض لها ذكر، أي ذكر كان، أسرعت هاربة، ولا تواتي غير زوجها البتة، بمنزلة المرأة الحرة. ومنها ما يأخذ أنثى يتمتع بها (مدة)[1] ثم ينتقل إلى غيرها، وكذلك الأنثى توافق ذكراً آخر غير زوجها وتنتقل عنه، وإن كانوا جميعاً في برج واحد. ومنها ما يتصالح على الأنثى منها ذكران أو أكثر (فتعاشرهم)[2] كلهم، حتى إذا غلب واحد منهم رفيقه وقهره، مالت إليه وأعرضت عن المغلوب[3] .

وفي الحديث أن النبي ﷺ رأى حمامة[4] تتبع حمامة، فقال: « **شيطان يتبع شيطانة** »[5] .

ومنها ما يزق فراخه خاصة، ومنها ما فيه شفقة ورحمة بالغة ويزق فراخه وغيرها .

---

(١) إضافة من ت .

(٢) في د، س : فتعايرهم .

(٣) انظر معنى هذا الكلام في كتاب الحيوان للجاحظ (٣/ ١٦٥-١٦٨) .

(٤) قوله: (رأى حمامة) هكذا وردت في جميع النسخ، وفي كتب تخريج الحديث وردت بلفظ (رأى رجلاً) .

(٥) هذا الحديث من رواية أبي هريرة رضي الله عنه . وأخرجه : أبو داود (١٣/ ٢٨٤) ك الأدب - باب في اللعب بالحمام. وابن ماجة (٢/ ١٢٣٨) ك الأدب - باب اللعب بالحمام. والإمام أحمد (٢/ ٣٤٥) . والبخاري في الأدب المفرد ص (٤٤١) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٣/ ١٨٣) . والبيهقي في سننه (١٠/ ١٩، ٢١٣). وفي شعب الإيمان (٥/ ٢٤٤). وذكره الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح (٢/ ١٢٧٦) وقال الألباني : إسناده حسن .

ومن عجيب / هداها أنها إذا حملت الرسائل سلكت الطرق البعيدة عن ١٧٦أ القرى ومواضع الناس؛ لئلا يعرض لها من يصدها. ولا ترد مياههم، بل ترد المياه التي لا يردها الناس.

ومن (هدايته)[١] أيضاً أنه إذا رأى (البازي)[٢] في الهواء عرف أي (البزاة هو)[٣] وأي نوع من الأنواع صده، فيخالف فعله ليسلم منه.

ومن (كيسه)[٤] أنه في أول نهوضه (يعقل ويميز)[٥] بين النسر والعقاب، وبين الرخم والبازي، وبين الغراب والصقر، فيعرف من يقصده ومن لا يقصده. وإن رأى الشاهين، فكأنه (رأى)[٦] السم الناقع، ويأخذه (تحير)[٧] كما يأخذ الشاة عند رؤية الذئب، والحمار عند مشاهدة الأسد[٨] .

ومن هداية الحمام أن الذكر والأنثى تتقاسمان أمر الفراخ، فتكون الحضانة والتربية والكفالة على الأنثى، وجلب القوت والرزق على الذكر، فإن الأب هو صاحب العيال والكاسب لهم، والأم هي التي تحبل وتلد وترضع .

---

(١) في م، د ، س : هدايتها.

(٢) في م، د، س : الناس. وما أثبت من ت. وهو مطابق لما في كتاب الحيوان للجاحظ .

(٣) في د، س : صنف يريده. وما أثبت من ت، م ، وهو مطابق لما في كتاب الحيوان للجاحظ .

(٤) في د، س : هدايته .

(٥) في د، س : يغفل ويمر. وفي كتاب الحيوان للجاحظ: يفصل .

(٦) في د، س : يرى .

(٧) في د، س : حيرة .

(٨) انظر معنى هذا الكلام في كتاب الحيوان للجاحظ (٣/ ١٨٧، ٢٢٠) .

ومن عجيب أمرها ما ذكره الجاحظ[١] أن رجلاً كان له زوج حمام مقصوص وزوج (حمام)[٢] طيار، وللطيار فرخان، قال: ففتحت لهما في أعلى الغرفة كوة للدخول والخروج وزق فراخهما، قال: فحبسني السلطان فجأة، فاهتممت بشأن المقصوص غاية الاهتمام، ولم أشك في موتهما؛ لأنهما لا يقدران على الخروج من الكوة، وليس عندهما ما يأكلان ويشربان، قال: فلما خلي سبيلي ولم يكن لي هم غيرهما، فتحت البيت، فوجدت الفراخ قد كبرت، ووجدت المقصوص على أحسن حال، فعجبت ، فلم ألبث أن جاء الزوج الطيار، فدنا الزوج المقصوص إلى أفواههما يستطعمانهما كما يستطعم الفرخ فزقاهما[٣] .

فانظر إلى هذه الهداية، فإن المقصوصين لما شاهدا تلطف الفراخ للأبوين، وكيف يستطيعانهما، (و)[٤] اشتد بهما الجوع والعطش فعلا كفعل الفرخين ، فأدركتهما رحمة الطيارين، فزقاهما كما يزقان فرخيهما .

٧٦ب ونظير ذلك ما ذكره الجاحظ وغيره، قال الجاحظ: وهو أمر/ مشهور عندنا بالبصرة، إنه لما وقع الطاعون الجارف (أتى)[٥] على أهل (دار)[٦] فلم يشك

---

(١) هو : عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء ، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، كبير أئمة الأدب، رئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. توفي في البصرة سنة ٢٥٥هـ . له مصنفات كثيرة؛ منها :الحيوان، والبيان والتبيين، والبخلاء، وغيرها. سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٢٦-٥٣٠). والفرق بين الفرق ص(١٦٠). والأعلام (٥/ ٧٤) .

(٢) ساقطة من م ، د، س .

(٣) انظر كتاب الحيوان (٢/ ١٥٦-١٥٨) .

(٤) في د، س : إذا .

(٥) ساقطة من د.

(٦) في د : محلة .

(أهل تلك المحلة)[١] أنه لم يبق منهم (أحداً)[٢] فعمدوا إلى باب الدار فسدوه، وكان قد بقي صبي صغير يرضع ولم يفطنوا له، فلما كان بعد ذلك بمدة تحول إليها بعض ورثة القوم، ففتح الباب فلما أفضى إلى عرصة[٣] الدار، إذا هو بصبي يلعب مع جراء[٤] كلبة قد كانت لأهل الدار، فراعه ذلك، فلم يلبث أن أقبلت كلبة قد كانت لأهل الدار، فلما رآها الصبي حبا إليها فأمكنته من أطبائها[٥] فمصها. وذلك أن الصبي لما اشتد جوعه، ورأى جراء الكلبة يرتضعون من (أطبائها)[٦] حبا إليها فعطفت عليه، فلما سقته مرة أدامت له ذلك وأدام هو الطلب. ولا يستبعد هذا وما هو أعجب منه، فإن الذي هدى المولود إلى مص إبهامه ساعة يولد، ثم هداه إلى التقام حلمة ثدي لم يتقدم به عادة، كأنه قد قيل له: هذه خزانة طعامك وشرابك التي كأنك لم تزل بها عارفاً[٧].

وفي هدايته للحيوان إلى مصالحه ما هو أعجب من ذلك، ومن ذلك أن الديك الشاب إذا (ألقي له حب)[٨] لم يأكله حتى يفرقه، فإذا هرم وشاخ

---

(١) في د : أهلها .

(٢) في د، س : أحد بالرفع، ولعله على اعتبار أنه فاعل. والفعل مبني للمعلوم .

(٣) عرصة الدار: ساحتها.وسبق تعريفها في ص (٥٢٤) .

(٤) الجراء: جمع جرو، وهو ولد الكلبة الصغير ، انظر المصباح المنير (١/ ٩٨) مادة (جرى) .

(٥) أطباؤها : جمع طبي ـ بالكسر والضم ـ : حلمات الضرع التي من خف وظلف وحافر وسبع. القاموس المحيط ص (١٦٨٤) مادة (طبى) .

(٦) في م، د، س : أطباء الكلبة .

(٧) انظر كتاب الحيوان للجاحظ (٢/ ١٥٥-١٥٦) .

(٨) في م : لقي حب . وفي د، س : لقي حبا .

أكله من غير تفريق، كما قال المدائني[(١)] : إن إياس بن معاوية[(٢)] مر بديك ينقر حباً ولا يفرقه، فقال: ينبغي أن يكون هرماً ، فإن الديك الشاب يفرق الحب ليجتمع الدجاج حوله (فيصبن)[(٣)] منه، والهرم قد فنيت رغبته (فيهن)[(٤)] فليس له همة إلا نفسه[(٥)] .

قال إياس : والديك (الشاب)[(٦)] يأخذ الحبة (فيؤثرها)[(٧)] الدجاجة حتى يلقيها من فيه، والهرم يبتلعها ولا يلقيها للدجاجة[(٨)] .

وذكر ابن الأعرابي[(٩)] قال: أكلت حية بيض مكاء[(١٠)] فجعل المكاء

---

(١) هو : علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني، أبو الحسن، سكن المدائن ثم انتقل إلى بغداد، وكان عالماً بالفتوح والمغازي والشعر والأنساب وأيام العرب، مصدقاً فيما ينقله، عالي الإسناد، وله مصنفات كثيرة، توفي ببغداد سنة (٢٢٥) خمس وعشرين ومائتين، وكان مولده سنة (١٣٢) اثنتين وثلاثين ومائة. سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٠٠-٤٠٢) والأعلام (٤/ ٣٢٣) .

(٢) هو : إياس بن معاوية بن قرة بن إياس المزني، أبو واثلة البصري، القاضي المشهور بالذكاء، ثقة من الخامسة. مات سنة اثنتين وعشرين ومائة. روى له البخاري تعليقاً، ومسلم في المقدمة. تقريب التهذيب (١/ ٨٧) انظر سير أعلام النبلاء (٥/ ١٥٥).

(٣) د، س : فتصيب .

(٤) ساقطة من د، س .

(٥) ذكره الجاحظ في كتاب الحيوان (٢/ ١٥٢) .

(٦) ساقطة من م، د، س .

(٧) في م، د ، س : فهو يريها .

(٨) لم أعثر له على تخريج

(٩) هو : محمد بن زياد، أبو عبد الله، المعروف بابن الأعرابي، ولد بالكوفة سنة ١٥٠هـ، من علماء اللغة وأهل الرواية، من كتبه (تفسير الأمثال) و(معاني الشعر). توفي بسامراء سنة ٢٣١هـ . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٨٧-٦٨٨) والأعلام (٦/ ١٣١) .

(١٠) المكاء ـ بالضم والتشديد ـ هو: طائر يسقط في الرياض ويمكو ، أي يصفر ، وهو مثل =

(يوسوس)[١] ويطير على رأسها ويدنو منها، حتى إذا فتحت فاها وهمت به ألقى (فيه)[٢] حسكة[٣] فأخذت بحلقها حتى ماتت .

وأنشد أبو (عمرو[٤] الشيباني)[٥] في ذلك قول الأسدي[٦] : / ١٧٧أ

إن كنت أبصرتني عيلاً ومصطلماً ... فربما قتل المكاءُ ثعبانا[٧]

= القنبرة إلا أن في جناحيه بلقاً. أدب الكاتب لابن قتيبة ص (١٩٣) تحقيق محمد الدالي، ط. الأولى ١٤٠٢هـ. نشر مؤسسة الرسالة، بيروت وهامش كتاب الحيوان (٧/ ٢٣) .

(١) في د، س : يصوت .

(٢) ساقطة من د، س .

(٣) الحسكة هي : نبات تعلق ثمرته بصوف الغنم، ورقه كورق الرجلة وأدق، وعند ورقه شوك ملزز صلب، ذو ثلاث شعب، وله ثمر. القاموس المحيط ص (١٢٠٩) مادة (حسك) .

(٤) في ت: أبو عمران البناني .

(٥) هو : إسحاق بن مرار – بكسر أوله والتخفيف – الشيباني، وقيل: لم يكن شيبانياً، بل أدَّب بعض أولادهم فنسب إليهم، كوفي نزل بغداد، وكان نحوياً لغوياً، عالماً بالشعر، صدوقاً في رواية الحديث، وكان الإمام أحمد يلزم مجالسه ويكتب أماليه، له تصانيف، منها: كتاب اللغات، والنوادر المعروف بكتاب الجيم، وكتاب غريب الحديث وغيرها، مات سنة عشر ، أو ست ومائتين، وقد قارب مائة وعشرين سنة. روى له مسلم. ميزان الاعتدال (٤/ ٥٥٧) وتقريب التهذيب (٢/ ٤٥٥) وتهذيب التهذيب (١٢/ ١٨٢-١٨٤) والأعلام (١/ ٢٩٦) .

(٦) لم أقف على ترجمة له .

(٧) في كتاب الحيوان : (فذاً) بدلاً من عيلاً. ويوضح الجاحظ معنى هذا البيت بقوله : يقول: قد يظفر القليل بالكثير، والقليل الأعوان بالكثير الأعوان، والمكاء من أصغر الطير وأضعفه، وقد احتال للثعبان حتى قتله. انظر كتاب الحيوان (٧/ ٢٣) وقد ذكر فيه هذه القصة وبيت الشعر. وذكر القصة دون بيت الشعر الدميري في كتابه حياة الحيوان الكبرى (٢/ ٣٢٩) .

وهداية الحيوانات إلى مصالح معاشهما كالبحر، حدِّث عنه ولا حرج .

ومن عجيب هدايتها أن الثعلب إذا امتلأ من البراغيث أخذ صوفة بفمه، ثم عمد إلى ماء رقيق، فنزل فيه قليلاً حتى ترتفع البراغيث إلى الصوفة، فيلقيها في الماء ويخرج[(١)] .

ومن عجيب أمره أن ذئباً أكل أولاده، وكان للذئب أولاد وهناك زبية[(٢)] فعمد الثعلب وألقى نفسه فيها وحفر فيها سرداباً يخرج منه، ثم عمد إلى أولاد الذئب، فقتلهم وجلس ناحية ينتظر الذئب، فلما أقبل وعرف أنها فعلته هرب قدامه وهو يتبعه فألقى نفسه في الزبية ثم خرج من السرداب، فألقى الذئب نفسه وراءه، فلم يجده ولم يطق الخروج فقتله أهل الناحية .

ومن عجيب أمره أن رجلاً كان معه دجاجتان، فاختفى له وخطف إحداهما وفر، ثم أعمل فكره في أخذ الأخرى فتراءى لصاحبها من بعيد (وفي فمه)[(٣)] شبيه بالطائر، وأطمعه في استعادتها، بأن تركه وفر، فظن الرجل أنها الدجاجة، فأسرع نحوها، وخالفه الثعلب إلى أختها فأخذها وذهب.

ومن عجيب أمره أنه أتى إلى جزيرة فيها طير، فأعمل الحيلة كيف يأخذ منها شيئاً فلم يطق، فذهب وجاء بضغث[(٤)] من الحشيش وألقاه في مجرى الماء الذي نحو الطير، ففزع (الطير)[(٥)] منه، فلما عرفت أنه حشيش رجعت إلى

---

(١) ذكر ذلك الجاحظ في كتاب الحيوان (٦/ ٣٠٦) .

(٢) الزبية : حفرة في موضع عال يصاد فيها الأسد ونحوه. المصباح المنير ص (٢٥١) مادة: (زبي) .

(٣) في د، س : وفي فمه شيء، بزيادة (شيء) .

(٤) الضغث هو : قبضة حشيش مختلط رطبها بيابسها. وسبق بيان ذلك في ص (٥٢٧).

(٥) ساقطة من د، س .

أماكنها، فعاد لذلك مرة ثانية وثالثة ورابعة حتى (توطنت)[١] الطير على ذلك وألفته، فعمد إلى جزرة أكبر من ذلك، فدخل فيها وعبر إلى الطير، فلم يشك الطير أنه من جنس ما قبله، فلم تنفر منه، فوثب على (طير)[٢] منها وعدا به .

ومن عجيب أمر الذئب أنه عرض لإنسان يريد قتله، فرأى معه قوساً (وسهاماً)[٣] فذهب وجاء بعظم رأس جمل في فيه، وأقبل نحو الرجل، فجعل الرجل كلما رماه بسهم اتقاه بذلك العظم / حتى أعجزه وعاين نفاد سهامه، ٧٧ب فصادف من استعان به على طرد الذئب .

ومن عجيب أمر القرد ما ذكره البخاري في صحيحه عن عمرو بن ميمون الأودي[٤] قال: رأيتُ في الجاهلية قرداً وقردة زنيا، فاجتمع عليهما القرود فرجموهما حتى (ماتا)[٥] .

---

(١) في م، د، س : تواظب .

(٢) في م ، د، س : طائر .

(٣) في د، س : وسهما .

(٤) هو: عمرو بن ميمون الأودي، أبو عبد الله، ويقال أبو يحيى، مخضرم مشهور، ثقة، عابد ، نزل الكوفة ، مات سنة أربع وسبعين، وقيل: بعدها. روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ٨٠) وتهذيب التهذيب (٨/ ١٠٩-١١٠) وأسد الغابة (٣/ ٧٧٢) .

(٥) انظر صحيح البخاري (٤/ ٢٣٨) ك مناقب الأنصار. ك القسامة في الجاهلية. ونصه: رأيت في الجاهلية قردة اجتمع عليها قردة قد زنت فرجموها فرجمتها معهم. ا.هـ . وقد استنكر بعض العلماء - كابن عبد البر وابن الأثير الجزري - هذه القصة، وقالوا: فيها إضافة الزنا إلى غير مكلف وإقامة الحد على البهائم، وهذا منكر عند أهل العلم. ولو صحت طريق رواية هذه القصة، لكان هؤلاء من الجن؛ لأنهم من جملة المكلفين. وأجيب عن هذا بأن طريق الرواية صحيحة، كما أنه لا يلزم من كون صورة الواقعة صورة الزنا والرجم أن يكون ذلك زنا حقيقة ولا حداً، وإنما أطلق ذلك عليه لشبهه به، =

فهؤلاء القرود أقاموا حدَّ الله حين عطله بنو آدم[١] .

وهذه البقرة يضرب ببلادتها المثل . وقد أخبر النبي ﷺ : « **أن رجلاً بينا هو يسوق بقرة إذ ركبها، فقالت: (إنا)[٢] لم (نخلق)[٣] لهذا** » . فقال الناس: سبحان الله بقرة تتكلم! فقال : « **فإني أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر** »، وماهما ثَمّ[٤] . قال : « **وبينا رجل يرعى غنماً له إذ عدا الذئب على شاة منه فاستنقذها منه، فقال الذئب: فمن لها يوم السبع، يوم لا راعي لها غيري** »، فقال الناس : سبحان الله، ذئب يتكلم! فقال رسول الله ﷺ : « **إني أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر** »، وما هما ثَمّ[٥][٦] .

= فلا يستلزم ذلك إيقاع التكليف على الحيوان. كما أن فعل القردة ذلك محمول على ما جبلت عليه من شدة الغيرة، والرجم هو وسيلتها في الانتقام مع كل أحد .

(١) مما سبق ذكره في التعليق قبل هذا يتبين أن فعل هؤلاء القردة ليس هو إقامة حد الله في الزنا، حيث إنها غير مكلفة ، ولعل المؤلف رحمه الله أطلق عليه ذلك لمشابهته له، من حيث إن الرجم وقع على ما هو انحراف في فطرة هذه الحيوانات .

(٢) ساقطة من م ، د، س . وما أثبت من ت، وصحيح البخاري .

(٣) في م، ت، د، س : أخلق ، وما أثبت من صحيح البخاري .

(٤) قوله: (وما هما ثَمّ) قال الحافظ ابن حجر : بفتح المثلثة، أي: ليسا حاضرين، وهو من كلام الراوي، ولم يقع ذلك في رواية الزهري. ومثله أيضاً قوله: (وما هما ثَمّ) التي وردت في آخر الحديث. انظر فتح الباري (٦/ ٥١٨) .

(٥) قوله : (ثم) وردت في (د) بالتاء، وبعد إغلاق قوس الحديث. وهو خطأ .

(٦) هذا الحديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه وأخرجه البخاري في (٤/ ١٤٩) ك الأنبياء الباب الذي يلي باب حديث الغار وفي (٤/ ١٩٢-١٩٣) ك. فضائل الصحابة - باب قول النبي ﷺ : « لو كنت متخذاً خليلاً » وفي (٣/ ٦٧) ك الحرث والمزارعة - باب استعمال البقر للحراثة. ومسلم (٤/ ١٨٥٧-١٨٥٨) ك فضائل الصحابة - باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه . والترمذي (٥/ ٥٧٥) ك المناقب . والإمام أحمد (٢/ ٢٤٥-٢٤٦).

ومن هداية الحمار الذي هو من أبلد الحيوان: أن الرجل يسير به، ويأتي به إلى منزله من البعد في ليلة مظلمة فيعرف المنزل فإذا خلي جاء إليه، ويفرق بين الصوت الذي يستوقف به، والصوت الذي يحث به على السير .

ومن عجيب أمر الفأر أنها إذا شربت من الزيت الذي في أعلى الجرة، فنقص وعز عليها الوصول إليه، ذهبت وحملت في أفواهها ماء وصبته في الجرة حتى يرتفع الزيت فتشربه.

والأطباء تزعم أن الحقنة أخذت من طائر طويل المنقار، إذا تعسر عليه الذرق جاء على البحر المالح، وأخذ بمنقاره منه واحتقن به فيخرج الذرق بسرعة[(١)] .

وهذا الثعلب إذا اشتد به الجوع، انتفخ ورمى بنفسه في الصحراء كأنه جيفة (فتدنو منه)[(٢)] الطير، فلا يظهر حركة ولا نَفَس (فلا) تشك أنه ميت، حتى إذا (نقرته بمنقارها)[(٣)] وثب عليها فضمها ضمة الموت .

وهذا ابن عرس[(٤)] والقنفذ إذا أكلا /الأفاعي والحيات ، عمدا إلى الصعتر[(٥)] (البري)[(٦)] فأكلاه كالترياق لذلك[(٧)] . ٧٨ أ

(١) ذكر ذلك الجاحظ في كتاب الحيوان (٧/ ٣٢) .

(٢) في د، س : فتتداوله .

(٣) في م، د، س : نقر بمنقاره .

(٤) ابن عرس هو : دويبة تشبه الفأر. المصباح المنير (٢/ ٤٠٢) مادة عرس .

(٥) الصعتر أو السعتر: نبات من فصيلة الشفويات، طيب الرائحة ، زهره أبيض إلى الغبرة، يستعمل بعض أنواعه في الطب، وفي صنع العطور. المنجد ص(٣٣٣) مادة (سعت).

(٦) في م، د، س : النهري. وما أثبت من ت وهو مطابق لما في كتاب الحيوان للجاحظ.

(٧) ذكر ذلك الجاحظ في كتاب الحيوان(٧/ ٣٣) .

ومن عجيب أمر الثعلب أنه إذا أصاب القنفذ قَلَبه لظهره لأجل شوكه فيجتمع القنفذ حتى يصير كبة شوك، فيبول الثعلب على بطنه ما بين مغرز عجبه إلى فكيه، فإذا أصابه البول اعتراه الأسر[١] فانبسط، فيسلخه الثعلب من بطنه ويأكل مسلوخه[٢] .

فصل

وكثير من العقلاء يتعلم من الحيوانات البُهم أموراً تنفعه في معاشه وأخلاقه وصناعته وحربه وحزمه وصبره .

وهداية الحيوان فوق هداية أكثر الناس، قال تعالى : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[٣] .

قال أبو جعفر الباقر[٤] : والله ما اقتصر على تشبيههم بالأنعام حتى جعلهم أضل سبيلاً منها[٥] . فمن هدى الأنثى من السباع إذا وضعت ولدها أن ترفعه في الهواء أياماً، تهرب به من الذر والنمل؛ لأنها تضعه (كفدرة[٦])[٧] من لحم، فهي تخاف عليه من الذر والنمل، فلا تزال ترفعه وتضعه، وتحوله من

(١) الأسر ـ بالضم ـ: احتباس البول . القاموس المحيط ص(٤٣٧) مادة (أسر) .

(٢) ذكر ذلك الجاحظ في كتاب الحيوان (٧/ ٣٣) .

(٣) سورة الفرقان آية : ٤٤ .

(٤) هو : محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر الباقر، ثقة فاضل، ولد بالمدينة سنة ٥٧هـ ، وتوفي سنة ١١٤هـ . تقريب التهذيب (٢/ ١٩٢) وتهذيب التهذيب (٩/ ٣٥٠-٣٥٢) والأعلام (٦/ ٢٧٠-٢٧١) .

(٥) لم أعثر له على تخريج .

(٦) في د، س : كقطعة. وما أثبت من م، ت. وهو مطابق لما في كتاب الحيوان للجاحظ.

(٧) الفدرة ـ بالكسر ـ: هي القطعة من اللحم. القاموس المحيط ص(٥٨٥) مادة (فدر).

مكان إلى مكان حتى يشتد[١] .

وقال ابن الأعرابي : قيل لشيخ من قريش : من علمك هذا كله، وإنما يعرف مثله أصحاب التجارب والتكسب ؟ .

قال: علمني الله ما علم الحمامة (تقليب)[٢] بيضها حتى تعطي الوجهين جميعاً نصيبهما من حضانتها، ولخوف طباع الأرض على البيض إذا استمر على جانب واحد[٣] .

وقيل لآخر : (ما)[٤] علمك اللجاج في الحاجة والصبر عليها وإن استعصت حتى تظفر بها؟

قال: من علم الخنفساء إذا صعدت في الحائط تسقط، ثم تصعد، ثم تسقط مراراً عديدة حتى تستمر صاعدة .

وقيل لآخر : من علمك البكور في حوائجك أول النهار لا تخل به؟

قال : من علم الطير تغدو خماصاً كل بكرة في طلب أقواتها على قربها وبُعدها لا تسأم ذلك ولا تخاف ما يعرض لها في الجو والأرض .

وقيل / لآخر : من علمك السكون والتحفظ والتماوت حتى تظفر ٧٨ب بأربك، فإذا ظفرت به وثبت وثوب الأسد على فريسته؟

فقال: الذي علم (السنورة)[٥] أن ترصد جحر الفأرة، فلا تتحرك ولا

---

(١) ذكر ذلك الجاحظ في كتاب الحيوان (٧/ ٣٦) .

(٢) في د، س : تقلب .

(٣) ذكر ذلك الجاحظ في كتاب الحيوان (٧/ ٣٥) .

(٤) في د، س : من .

(٥) في د : الهرة . وفي س : السهر. والسنور : الهر ، والأنثى : سنورة . المصباح المنير ص (٢٩١) مادة (سنر) .

(تموء)[١] ولا تختلج كأنها ميتة، حتى إذا برزت لها الفأرة وثبت عليها كالأسد .

وقيل لآخر : من علمك الصبر والجَلَد والاحتمال وعدم (الشكوى)[٢]؟ .

قال : من علّم أبا أيوب[٣] صبره على الأثقال والأحمال الثقيلة والمشي (بها على ظهره من بلد إلى بلد، ماداً عنقه، مستسلماً صابراً على الجوع والعطش)[٤] والتعب وغلظة الجمال وضربه ، فالثقل والكَلّ[٥] على ظهره، ومرارة الجوع والعطش في كبده، وجهد التعب والمشقة ملء جوارحه، ولا يعدل (له)[٦] عن الصبر .

وقيل لآخر : من علّمك حُسن الإيثار والسماحة بالبذل؟ .

قال: من علّم الديك يصادف الحبة في الأرض، وهو (محتاج)[٧] إليها، فلا يأكلها، بل يستدعي (بالدجاج)[٨] ويطلبهن طلباً حثيثاً حتى تجيء الواحدة منهن، فتلتقطها وهو مسرور بذلك طيب النفس به، وإذا وضع (له)[٩] الحب الكثير فرقه وهاهنا، وإن لم يكن هناك دجاج، لأن طبعه قد ألف البذل

---

(١) في م: ولا تنوي . وفي د، س : ولا تتلوى . والمواء : صوت الهر. وانظر : أدب الكاتب لابن قتيبة ص (١٦١) .

(٢) في د، س : السكون .

(٣) يظهر من وصف المؤلف لمن سماه : (أبا أيوب) أنه يقصد به الجمل، ولم أقف على تسميته بهذا الاسم عند غيره .

(٤) ما بين القوسين ساقط من د، س .

(٥) الكَلّ : الثقل، انظر المصباح المنير ص (٥٣٨) مادة (كلل) .

(٦) في د، س : به ذلك .

(٧) في م، د، س : يحتاج .

(٨) في د، س : الدجاج .

(٩) ساقطة من م .

والجود، فهو يرى من اللؤم أن يستبد وحده بالطعام .

وقيل لآخر : من علّمك هذا التحيل في طلب الرزق ووجوه تحصيلة؟ .

قال: من علَّم الثعلب تلك الحيل التي يعجز العقلاء عن علمها وعملها، وهي أكثر من أن تذكر .

ومن علَّم الأسد إذا مشى وخاف أن (يقتص)[1] أثره (ويطلب)[2] عفى (على)[3] أثر مشيته بذنبه، ومن علمه أن يأتي إلى شبله في اليوم الثالث من وضعه، فينفخ في منخره (فيتحرك)[4] ؛ لأن اللبوة تضعه جرواً كالميت، فلا تزال تحرسه حتى يأتي أبوه فيفعل به ذلك، ومن ألهم كرام الأسود وأشرافها أن لا تأكل إلا من فريستها، وإذا مر بفريسة غيره لم يدنُ منها ولو جهده الجوع، ومن علم الأسد أن يخضع للببر[5] ويذل له إذا اجتمعا / حتى (ينجو)[6] منه . ١٧٩

ومن عجيب أمره أنه إذا (عصى)[7] عليه شيء من السباع، دعا الأسد، فأجابه إجابة المملوك لمالكه، ثم أمره فربض بين يديه، فيبول في (أذنه)[8] فإذا رأت السباع ذلك أذعنت (للببر)[9] بالطاعة والخضوع.

---

(١) في د، س : يقتفى .

(٢) ساقطة من ت .

(٣) سقطة من د، س .

(٤) ساقطة من م، د، س .

(٥) الببر : نوع من السباع الهندية ، وهو أبيض البطن والجانبين، ومخطط بخطوط سود. المنجد في اللغة والأعلام ص (٢٥) .

(٦) في م، س : ينال منه له . وفي د: ينال منه سؤله .

(٧) في د، س : استعصى .

(٨) في د، س : أذنيه .

(٩) في د، س : له .

ومن علّم الثعلب إذا اشتد به الجوع أن يستلقي على ظهره ويختلس نفسه إلى داخل بدنه حتى ينتفخ، فيظن (الطير)[١] أنه ميتة، فتقع عليه، فيثب على من انقضى عمره منها .

ومن علّمه إذا أصابه صدع أو جرح أن يأتي إلى (صبغ)[٢] معروف، فيأخذ منه ويضعه على جرحه كالمرهم.

ومن علّم الدب إذا أصابه كَلْم أن يأتي إلى نبت قد عرفه وجهله صاحب الحشائش، فيتداوى به فيبرأ .

ومن علّم الأنثى من الفيلة إذا دنا وقت ولادها أن تأتي إلى الماء فتلد فيه؛ لأنها دون (سائر)[٣] الحيوانات لا تلد إلا قائمة، لأن أوصالها على خلاف أوصال الحيوان، وهي عالية، فتخاف أن تسقطه على الأرض فينصدع أو ينشق، فتأتي (ماءً وسطاً فتضعه)[٤] فيه يكون كالفراش اللين والوطاء الناعم.

ومن علّم الكلب إذا عاين الظباء أن يعرف المعتل من غيره، والذكر من الأنثى، فيقصد الذكر مع علمه بأن عدوه أشد، وأبعد وثبة، ويدع الأنثى على نقصان عدوها؛ لأنه قد علم أن الذكر إذا عدا شوطاً أو شوطين (حقب)[٥] ببوله، وكل حيوان إذا اشتد فزعه، فإنه يدركه

---

(١) في م، د، س : الظن .

(٢) في ت : موضع .

(٣) إضافة من ت .

(٤) في ت: إلى وسط ماء فتضعه .

(٥) في د، س : حقن . وما أثبت من م، ت. وهو المطابق لما في كتاب الحيوان. وقد ورد في هامش ت تعليقٌ نصُّه: يقال : حقب البعير: إذا احتبس بوله، وانظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٨٩) مادة : (حقب) فقد وردت فيه هذه العبارة بنصها .

(الحقب)[١]، وإذا (حقب)[٢] الذكر لم يستطع البول مع شدة العدو، فيقل عدوه، فيدركه الكلب، وأما الأنثى (فإنها تحذف)[٣] بولها؛ لسعة القُبُل وسهولة المخرج، فيدوم عدوها[٤] .

ومَنْ علَّمه إذا كسا الثلجُ الأرض أن يتأمل الموضع الرقيق الذي قد انخسف/ فيعلم أن تحته جحر الأرنب، فينبشه ويصطادها، علماً منه بأن حرارة أنفاسها تذيب بعض الثلج فيرق[٥] . ٧٩ب

ومن علَّم الذئب إذا نام أن يجعل النوم نوباً بين عينيه، فينام بإحداهما، حتى إذا (تعبت)[٦] الأخرى نام بها وفتح النائمة، حتى قال (فيه)[٧] بعض العرب:

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي ... بأخرى المنايا فهو يقظان (هاجع[٨])[٩]

ومَنْ علَّم العصفورة إذا سقط فرخها أن تستغيث، فلا يبقى عصفور بجوارها حتى يجيء فيطيرون حول الفرخ، ويحركونه بأفعالهم، ويحدثون له قوة وهمة وحركة حتى يطير معهم[١٠] .

---

(١) د، س : الحقن .

(٢) في د، س : حقن .

(٣) في د، س : فتحذف .

(٤) ذكر ذلك الجاحظ في كتاب الحيوان (٢/ ١١٧-١١٨) .

(٥) ذكر ذلك الجاحظ في كتاب الحيوان (٢/ ١١٩) .

(٦) في د، س : نعست .

(٧) ساقطة من م، د، س .

(٨) في د، س : نائم . وهي كذلك في العقد الفريد (٤/ ٢٦١) .

(٩) هذا البيت من قصيدة قالها حميد بن ثور الهلالي . وقد ذكر هذا الكلام مع بيت الشعر الجاحظ في كتاب الحيوان (٦/ ٤٦٧) .

(١٠) انظر معنى هذا الكلام في كتاب الحيوان (٥/ ٢١١) .

قال بعض الصيادين : ربما رأيت العصفور على الحائط، فأومئ بيدي كأني أرميه فلا يطير، وربما أهويت إلى الأرض كأني أتناول شيئاً فلا يتحرك، فإن مسست بيدي أدنى حصاة أو حجر أو نواة، طار قبل أن تتمكن منها يدي[١] .

ومن علّم الحمامة إذا حملت أن تأخذ هي والأب في بناء العش، وأن يقيما له حروفاً تشبه الحائط، ثم يسخناه ويحدثا فيه طبيعة أخرى ثم (يقلبان)[٢] البيض في الأيام، ومن قسم بينهما الحضانة والكد، فأكثر ساعات الحضانة على الأنثى، وأكثر ساعات جلب القوت على الأب، وإذا خرج الفرخ علما ضيقَ حوصلته عن الطعام فنفخا فيه نفخاً متداركاً حتى تتسع حوصلته، ثم يزقانه اللعاب (أول شيء)[٣] قبل الطعام، وهو كاللبأ[٤] للطفل، ثم يعلمان احتياج الحوصلة إلى دباغ، فيزقانه من أصل الحيطان من شيء بين الملح والتارب، تندبغ به الحوصلة، فإذا اندبغت زقاه الحب، فإذا علما أنه أطاق اللقط منعاه الزق على التدريج فإذا تكاملت قوته وسألهما الكفالة ضرباه.

ومن علّمها إذا أرادا السفاد أن يبتدئ الذكر بالدعاء، فتتطارد له الأنثى قليلاً لتذيقه حلاوة المواصلة، ثم تطمعه في نفسها، ثم تمتنع بعض التمنع ليشتد طلبه وحبه، ثم تتهادى وتتكسل وتريه معاطفها / وتعرض محاسنها، ثم يحدث بينهما من التغزل والعشق والتقبيل والرشف ما هو مشاهد بالعيان[٥].

٨٠ أ

(١) ذكر ذلك الجاحظ في كتاب الحيون (٢/ ٣٢٩) .
(٢) في د، س : يقلبا .
(٣) في م ، د، س : أو شيئاً .
(٤) اللبأ : أول اللبن. الصحاح للجوهري (١/ ٧٠) مادة (لبأ) .
(٥) كلام المؤلف هنا عن الحمام ، سبق أن ذكره في سياق كلامه عن هداية الحمام في

من علَّم المرسلة منها إذا سافرت ليلاً أن تستدل ببطون الأودية، ومجاري المياه والجبال، ومهاب الريح، ومطلع الشمس ومغربها، فتستدل بذلك وبغيره إذا ضلت، فإذا عرفت الطريق مرت (مر الريح)[١].

من علَّم (الليث[٢])[٣] - وهو صنف من العناكب - أن يلطأ[٤] بالأرض ويجمع نفسه، فيري الذبابة أنه لاهٍ عنها، ثم يثب عليها وثوب الفهد[٥].

ومن علم العنكبوت أن ينسج تلك الشبكة الرفيعة المحكمة، ويجعل في أعلاها خيطاً ثم يتعلق به، فإذا تعرقلت البعوضة في الشبكة (نزل)[٦] إليها فاصطادها.

ومن علَّم الظبي أنه لا يدخل كناسه[٧] إلا مستدبراً ليستقبل بعينيه ما يخافه على نفسه[٨] وخشفه[٩].

ومن علَّم السنورة إذا (رأت)[١٠] فأرة في السقف أن ترفع

---

(١) في د، س : كالريح .

(٢) في د، س : اللبب . وهو خطأ ، وما أثبت الصواب .

(٣) قال ابن قتيبة: الليث: ضرب من العناكب، قصير الأرجل، كثير العيون، يصيد الذباب وثباً. أدب الكتاب ص(١٩٤) .

(٤) يلطأ بالأرض: أي يلصق بها. المصباح المنير (٢/ ٥٥٣) مادة (لطئ)

(٥) ذكر ذلك الجاحظ في كتاب الحيوان (٥/ ٤١٢) و(٣/ ٣٣٧) .

(٦) في د، س : تدلت .

(٧) كناس الظبي: بيته. المصباح المنير (٢/ ٥٤٢) مادة (كنس) .

(٨) الخشف : ولد الغزال ، يطلق على الذكر والأنثى. المصباح المنير (١/ ١٧٠) مادة (خشف).

(٩) ذكر ذلك الجاحظ في كتاب الحيوان (٦/ ٤٤) .

(١٠) في م ، د، س : رأى .

(يديهـــا)[١] (كالمشيرة)[٢] إليها بالعود، ثم تشير (إليها)[٣] بالرجوع، وإنما تريد أن (ترهبها)[٤] فتزلق فتسقط[٥] .

ومن علَّم اليربوع[٦] أن يحفر بيته في سفح الوادي حيث يرتفع عن مجرى السيل، ليسلم من مدق الحافر، ومجرى الماء، ويعمقه، ثم يتخذ في زواياه أبواباً عديدة، ويجعل بينها وبين وجه الأرض حاجزاً رقيقاً ، فإذا أحس بالشر فتح بعضها بأيسر شيء وخرج منه[٧] . ولما كان كثير النسيان[٨] لم يحفر بيته إلا عند أكمة أو صخرة (أو شجرة)[٩] علامة له على البيت إذا ضل عنه .

ومن علم الفهد إذا سمن أن يتوارى لثقل الحركة عليه حتى يذهب ذلك السمن ثم يظهر[١٠] .

ومن علَّم الأيل إذا سقط قرنه أن يتوارى؛ لأن سلاحه قد ذهب، فيسمن لذلك، فإذا كمل نبات قرنه تعرض للشمس وللريح وأكثر من الحركة ليشتد

(١) في م : يدها، وفي د، س : رأسه .

(٢) في م ، د، س : كالمشير .

(٣) في ت: عليها .

(٤) في م، د، س : تدهشها .

(٥) ذكر ذلك الجاحظ في كتاب الحيوان (٥/ ٢٥٢) .

(٦) اليربوع هو : دويبة نحو الفأرة، لكن ذنبه وأذناه أطول منها، ورجلاه أطول من يديه. المصباح المنير (١/ ٢١٧) مادة (ربع) .

(٧) ذكر ذلك الجاحظ في كتاب الحيوان (٥/ ٢٧٧) و(٦/ ٤٣) .

(٨) المعروف بكثرة النسيان هو الضب، وليس اليربوع، انظر كتاب الحيوان للجاحظ (٦/ ٤٢) .

(٩) ساقطة من م، د، س .

(١٠) ذكر ذلك الجاحظ في كتاب الحيوان (٧/ ٤٢-٤٣) .

لحمه، ويزول السمن المانع له من العَدْو[(١)] .

وهذا باب واسع جداً، ويكفي فيه قوله سبحانه : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ ﴾[(٢)] ، وقد قال النبي ﷺ : «**لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها**»[(٣)] .

٨٠ب

وهذا يحتمل وجهين :

إحداهما : أن يكون إخباراً عن أمر غير ممكن فعله، وهو أن الكلاب أمة

---

(١) ذكر ذلك الجاحظ في كتاب الحيوان (٧/ ٤٢-٤٣) .

(٢) سورة الأنعام آية ٣٨-٣٩.

(٣) هذا الحديث من رواية عبد الله بن مغفل رضي الله عنه ، وأخرجه : أبو داود (٨/ ٤٧) ك الصيد – باب اتخاذ الكلب للصيد وغيره. والترمذي (٤/ ٦٦) ك الأحكام والفوائد – باب ما جاء في قتل الكلب. وقال : هذا حديث حسن صحيح. والنسائي (٧/ ١٨٥) ك الصيد والذبائح – باب صفة الكلاب التي أمر بقتلها. وابن ماجه (٢/ ١٠٦٩) ك الصيد – باب النهي عن اقتناء الكلاب إلا كلب صيد أو حرث أو ماشية. والإمام أحمد (٤/ ٨٥) و(٥/ ٥٤، ٥٦، ٥٧) .والدارمي في سننه (٢/ ١٨) ك الصيد – باب في قتل الكلاب. وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٢/ ٤٧٢-٤٧٣) . والبيهقي في سننه (٦/ ١٠) ، وعبد بن حميد في المنتخب (١/ ٤٥٣) والطبراني في المعجم الأوسط (١/ ٣١١) ، والبغوي في شرح السنة (١١/ ٢١١) . وذكره السيوطي في الجامع الصغير ، وصححه الألباني، انظر صحيح الجامع الصغير (٥/ ٧٥) . قال الترمذي (٤/ ٦٦): وفي الباب عن ابن عمر وجابر وأبي رافع وأبي أيوب رضي الله عنهم. ا.هـ، وفي الباب أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنه عند الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٣٤٩) .

لا يمكن إفناؤها لكثرتها في الأرض، فلو أمكن إعدامها من الأرض لأمرت بقتلها .

والثاني : أن يكون مثل قوله : « من أجل أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح ؟ »(١) فهي أمة مخلوقة بحكمة ومصلحة، فإعدامها وإفناؤها يناقض ما خلقت لأجله، والله أعلم بما أراد رسوله .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ﴾ يريد: يعرفونني ويوحدونني ويسبحونني (ويحمدونني)(٢) مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ ﴾(٣) ومثل قوله تعالى : ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ ﴾(٤)، (فعلى هذا جعلت أمماً أمثالنا في التوحيد والمعرفة بربها وتسبيحه(٥))(٦). ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾(٧)، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ ﴾(٨)، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ

---

(١) قوله : «أمن أجل أن قرصتك نملة ...» إلخ طرف من حديث سبق تخريجه في ص(٥٣١).

(٢) في ت: ويمجدونني .

(٣) سورة الإسراء آية : ٤٤ .

(٤) سورة النور آية ٤١ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من د، س .

(٦) قول ابن عباس هذا ذكره الواحدي في تفسيره «البسيط» ق(١١٦) مخطوط ، محفوظ أصله بمكتبة شستربتي في أيرلندا تحت رقم (٥١٠٥) وتوجد صورة منه في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تحت الرقم نفسه .

(٧) سورة الحج آية : ١٨ .

(٨) سورة النحل آية : ٤٩ .

وَٱلطَّيْرَ﴾[١] ويدل عليه قوله : ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾[٢] وقوله: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ﴾[٣] وقول سليمان عليه السلام : ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾[٤] وقال مجاهد: ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ أصناف مصنفة تعرف بأسمائها[٥] .

وقال الزَّجَّاج : ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ : في أنها تبعث[٦] .

وقال ابن قتيبة : ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ : في طلب الغذاء وابتغاء الرزق وتوقي المهالك[٧] .

وقال سفيان بن عيينة[٨] : ما في الأرض آدمي إلا وفيه شبه من البهائم، فمنهم من يهتصر اهتصار الأسد، ومن من يعدو عدو الذئب، ومنهم / من ١٨١أ ينبح نباح الكلب، ومنهم يتطوس كفعل الطاووس، ومنهم من يشبه الخنازير

---

(١) سورة سبأ آية : ١٠ .

(٢) سورة النحل آية : ٦٨ .

(٣) سورة النمل آية : ١٨ .

(٤) كما حكاه الله عز وجل عنه في سورة النمل آية : ١٦ .

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ١٨٧) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٦٦) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد والفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٦) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٢٤٥) .

(٧) انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص(٤٤٥) شرح أحمد صقر، ط الثانية ١٣٩٣ هـ، نشر دار التراث بالقاهرة .

(٨) هو : سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي، ثم المكي، ثقة حافظ ، فقيه، إمام حجة، إلا أنه تغير حفظه بأخرة، وكان ربما دلس، لكن في غير الثقات. من رؤوس الطبقة الثامنة، وكان أثبت الناس في عمرو بن دينار. مات في رجب سنة ثمان وتسعين ومائة، وله إحدى وتسعون سنة. وروى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٣١٢) وتهذيب التهذيب (٤/ ١١٧-١٢٢) .

التي لو ألقي إليها الطعام الطيب عافته، فإذا قام الرجل عن رجيعه وَلَغَتْ فيه، فكذلك تجد من الآدميين، من لو سمع خمسين حكمة لم يحفظ واحدة منها، وإن أخطأ رجل تروَّاه وحفظه[١] .

قال الخطابي[٢] : ما أحسن ما تأول سفيان هذه الآية واستنبط منها هذه الحكمة؛ وذلك أن الكلام إذا لم يكن حكمه مطاوعاً لظاهره وجب المصير إلى باطنه، وقد أخبر الله تعالى عن وجود المماثلة (بيننا)[٣] وبين كل طائر ودابة، (وذلك ممتنع)[٤] من جهة الخلقة والصورة، (وعدم)[٥] من جهة (النطق)[٦] والمعرفة، فوجب أن يكون منصرفاً إلى المماثلة في الطباع والأخلاق .

وإذا كان الأمر كذلك، فاعلم أنك إنما تعاشر البهائم والسباع فليكن

---

(١) رواه الخطابي في كتاب العزلة ص١٥٩، تحقيق ياسين السواس، ط الثانية ١٤١٠هـ، نشر دار ابن كثير ، دمشق . وذكر قول سفيان بن عيينة وقول الخطابي الذي ذكره المؤلف بعده: الواحدي في تفسيره البسيط ق (١١٦-١١٧) مخطوط ، المرجع السابق.

(٢) هو : الإمام المحدث الرحال، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي، صاحب التصانيف ، كان ثقة ثبتاً ، من أوعية العلم، أخذ اللغة عن أبي عمر الزاهد، والفقه عن القفال وابن أبي هريرة، ووهم من سماه أحمد، وله شعر جيد، وله مؤلفات؛ منها: غريب الحديث، ومعالم سنن أبي داود، توفي ببست سنة ٣٨٨هـ . طبقات الحفاظ للسيوطي ص(٤٠٤-٤٠٥) وانظر سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٣) .

(٣) في د، س : بين الإنسان . وما أثبت من م، ت ، وهو المطابق لما في كتاب العزلة للخطابي .

(٤) في كتاب العزلة : وكان ذلك ممتنعاً .

(٥) في دن س : منعدم. وفي كتاب العزلة : عدماً .

(٦) في ت: المنطق. وما أثبت من م، وهو المطابق لما في كتاب العزلة.

حذرك منهم ومباعدتك إياهم على حسب ذلك، انتهى كلامه[١].

والله سبحانه قد جعل بعض الدواب كسوباً محتالاً، وبعضها متوكلاً غير محتال. وبعض الحشرات يدخر لنفسه قوت سنته، وبعضها يتكل على الثقة بأن له في كل يوم قدر كفايته رزقاً مضموناً، وأمراً مقطوعاً، وبعضها يدخر، وبعضها لا تكسب له، وبعض الذكورة يعول ولده، وبعضها لا يعرف ولده البتة، وبعض الإناث تكفل ولدها لا تعدوه، وبعضها (تضيع)[٢] ولدها وتكفل ولد غيرها، وبعضها لا تعرف ولدها إذا استغنى عنها، وبعضها لا تزال تعرفه وتعطف عليه، وجعل بعض الحيوانات يتمها من قبل أمهاتها، وبعضها يتمها من قبل آبائها، وبعضها لا يلتمس الولد، وبعضها يستفرغ الهم في طلبه[٣]، وبعضها يعرف الإحسان ويشكره وبعضها (لا يؤثر)[٤] ذلك عنده شيئاً، وبعضها يؤثر على نفسه، وبعضها إذا ظفر بما يكفي أمة من جنسه لم يدع أحداً يدنو منه، وبعضها يحب السفاد ويكثر منه، وبعضها لا يفعله في السنة إلا مرة، وبعضها / يقتصر على أنثاه، وبعضها (لا يعف عن)[٥] ٨١ب أنثى ولو كانت أمه أو أخته، وبعضها لا تمكن غير زوجها من نفسها، وبعضها لا ترد يد لامس، وبعضها يألف بني آدم ويأنس بهم، وبعضها يستوحش منهم وينفر غاية النفار، وبعضها لا يأكل إلا الطيب، وبعضها لا

---

(١) انظر كتاب العزلة للخطابي ص (١٥٩-١٦٠).

(٢) في د، س: تضع. وما أثبت مطابق لما في كتاب الحيوان للجاحظ.

(٣) قوله: والله سبحانه قد جعل بعض الدواب كسوباً ... إلى قوله: يستفرغ الهم في طلبه. ذكره الجاحظ في كتاب الحيوان (٢/ ١١٤) مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه.

(٤) في د، س: ليس.

(٥) في م، د، س: لا يقف على.

يأكل إلا الخبائث، وبعضها يجمع بين الأمرين، وبعضها لا يؤذي إلا من بالغ في أذاها، وبعضها يؤذي من لا يؤذيها، وبعضها حقود لا ينسى الإساءة، وبعضها لا يذكرها البتة، وبعضها لا يغضب، وبعضها يشتد غضبه، فلا يزال يُسترضى حتى يرضى، وبعضها عنده علم ومعرفة بأمور دقيقة لا يهتدي إليها أكثر الناس، وبعضها لا معرفة له بشيء من ذلك البتة، وبعضها يستقبح القبيح وينفر منه، وبعضها الحسن والقبيح سواء عنده، وبعضها يقبل التعليم بسرعة، وبعضها مع الطول، وبعضها لا يقبل ذلك بحال .

وهذا كله من أدل الدلائل على الخالق لها سبحانه، وعلى إتقان صنعه، وعجيب تدبيره، ولطيف حكمته، فإن فيما أودعها من غرائب المعارف، وغوامض الحيل، وحسن التدبير، والتأتي لما تريده؛ ما يستنطق الأفواه بالتسبيح، ويملأ القلوب من معرفته ، ومعرفة حكمته وقدرته، وما يعلم به كل عاقل أنه لم يخلق عبثاً، ولم يترك سدى، وأن (الله)[١] سبحانه له في كل مخلوق (حكم)[٢] باهرة، (وآيات)[٣] ظاهرة، (وبرهان قاطع)[٤] يدل على أنه رب كل شيء ومليكه، وأنه المنفرد بكل كمال دون خلقه، وأنه على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم .

---

(١) في د، س : له .

(٢) في د، س : حكمة .

(٣) في د،س : وآية .

(٤) في د، س : وبرهاناً قاطعاً .

فصل

فلنرجع إلى ما ساقنا إلى هذا الموضع، هو الكلام على الهداية العامة، التي هي قرينة الخلق في الدلالة على الرب تبارك وتعالى وأسمائه وصفاته وتوحيده. قال تعالى إخباراً عن فرعون أنه قال: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾[١].

قال مجاهد: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾: لم يُعط / الإنسان خلق البهائم، ولا البهائم خلق الإنسان[٢]. ١٨٢أ

وأقوال أكثر المفسرين تدور على هذا المعنى. قال عطية ومقاتل: أعطى كل شيء صورته[٣].

وقال الحسن وقتادة: أعطى كل شيء صلاحه[٤].

(ومعنى هذا)[٥] أعطاه من الخلق والتصوير ما يصلح به لما خلق له، ثم

---

(١) سورة طه آية: (٤٩-٥٠).

(٢) قال ابن الجوزي في تفسيره - زاد المسير (٥/ ٢٩١) تفسير سورة طه: روى هذا المعنى الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وسعيد بن جبير. ا.هـ وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٨١-٥٨٢) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) سبق تخريج قول مقاتل في ص (٥١٨).

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٠/ ١٧) تفسير سورة طه. ولكنه قال: أنبأنا معمر عن قتادة عن الحسن. وذكره ابن الجوزي في تفسيره (زاد المسير) (٥/ ٢٩١) تفسير سورة طه ونسبه إلى قتادة. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٨١) وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) في م: ومعنى. وفي د، س: والمعنى.

هداه لما خلق له، وهداه لما يصلحه (من)[١] معيشته ومطعمه ومشربه ومنكحه وتقلبه وتصرفه . هذا هو القول الصحيح الذي عليه جمهور المفسرين، فيكون نظير قوله: ﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[٢] .

وقال الكلبي والسدي: أعطى الرجل المرأة ، والبعير الناقة، والذكر الأنثى من جنسه[٣] .

ولفظ السدي : أعطى الذكر الأنثى مثل خلقه، ثم هدى إلى الجماع[٤] . وهذا القول اختيار ابن قتيبة[٥] والفراء .

قال الفراء : أعطى الذكر من الناس امرأة مثله، والشاة شاة، والثور بقرة، ثم ألهم الذكر كيف يأتيها[٦] .

قال أبو إسحاق : وهذا التفسير جائز؛ لأنا نرى الذكر من الحيوان يأتي الأنثى، ولم ير ذكراً قد أتى أنثى قبله، فألهمه الله ذلك وهداه إليه. قال: والقول الأول ينتظم هذا المعنى؛ لأنه إذا هداه لمصلحته، فهذا داخل في المصلحة[٧] .

---

(١) في د، س : في .

(٢)سورة الأعلى آية ٣ .

(٣) قول الكلبي رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٧) تفسير سورة طه .

(٤)قول السدي : رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ١٧٢) . وقال ابن الجوزي في تفسيره – زاد المسير (٥٠/ ٢٩١) تفسير سورة طه: (أعطى كل ذكر زوجه) رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس ، وبه قال السدي .

(٥) انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص (٤٤٤) .

(٦) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٨١) . وفي نسخة ت (ثم ألهم الذكر من الحيوان) بزيادة (من الحيوان) وهذه الزيادة ليست عند الفراء .

(٧) انظر معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج (٣/ ٣٩٥) .

قلت : أرباب هذا القول هضموا الآية معناها، فإن معناها أجل وأعظم مما ذكروه. وقوله : ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ﴾ يأبى هذا التفسير؛ فإن حمل ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ على ذكور الحيوان وإناثه خاصة ممتنع لا وجه له، وكيف يخرج من هذا اللفظ الملائكة والجن، ومن لم يتزوج من بني آدم ومن لم يسافد من الحيوان، وكيف يسمى الحيوان الذي يأتيه الذكر خلقاً له، وأين نظير هذا في القرآن، وهو سبحانه لما أراد التعبير عن هذا المعنى الذي ذكروه ذكرَه بأدلِّ عبارة عليه وأوضحها، فقال : ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴾(١) وقال : ﴿ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾(٢) ، وقال : ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾(٣) فحمل قوله: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ﴾(٤) على هذا المعنى غير صحيح ، فتأمله .

وفي الآية قول آخر، قاله الضحاك ، قال : ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ﴾ أعطى اليد البطش، والرجل المشي، واللسان النطق /، والعين البصر، والأذن ٨٢ب السمع(٥). ومعنى هذا القول: أعطى كل عضو من الأعضاء ما خلق له، والخلق على هذا بمعنى المفعول، أي أعطى كل عضو مخلوقه الذي خلقه له، فإن هذه المعاني كلها مخلوقة لله أودعها الأعضاء .

وهذا المعنى – وإن كان صحيحاً في نفسه – لكن معنى الآية أعم، والقول هو الأول، وأنه سبحانه أعطى كل شيء خلقه المختص به، ثم هداه لما خلق له، ولا خالق سواه سبحانه، ولا هادي غيره، فهذا الخلق، وهذه الهداية من

---

(١) سورة النجم آية : ٤٥ .

(٢) سورة الليل آية : ٣ .

(٣) سورة القيامة آية : ٣٩ .

(٤) سورة طه آية ٥٠ .

(٥) ذكره الواحدي في تفسيره البسيط ق(١٣٠) مخطوط، مرجع سابق انظر ص(٥٠٤).

آيات (ربوبيته)[١] ووحدانيته، فهذا وجه الاستدلال على عدو الله فرعون، ولهذا لما (عرف)[٢] فرعون أن هذه حجة قاطعة لا مطعن فيها بوجه من الوجوه، عدل إلى سؤال فاسد غير وارد، فقال: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾[٣] أي: فما للقرون الأولى لم تقر بهذا الرب ولم تعبده، بل عبدت الأوثان، والمعنى: لو كان ما تقوله حقاً لم يخف على القرون الأولى، ولم يهملوه، فاحتج عليه (موسى عليه السلام)[٤] بما يشاهده هو وغيره من آثار ربوبية رب العالمين، فعارضه عدو الله بكفر الكافرين به، وشرك المشركين، وهذا شأن كل مبطل، ولهذا صار (ميراثاً)[٥] في ورثته يعارضون نصوص الأنبياء بأقوال الزنادقة[٦] والملاحدة[٧] وأفراخ الفلاسفة والصابئة[٨] والسحرة،

---

(١) في م، د، س : الربوبية .

(٢) في م ، د، س : علم .

(٣) كما حكاه الله عز وجل عنه في سورة طه، آية : ٥١ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من م، د، س .

(٥) في د، س : ميزاناً .

(٦) الزنادقة: جمع زنديق، قال بعضهم: فارسي معرب، والمشهور على ألسنة الناس أن الزنديق هو الذي لا يتمسك بشريعة، ويقول بدوام الدهر، ولا يؤمن بالآخرة، ولا بواحدانية الخالق. المصباح المنير (١/ ٢٥٦) مادة (زندق) .

(٧) الملاحدة: جمع ملحد . والإلحاد في اللغة : الميل، يقال : ألحد الرجل، إذا مال عن طريق الحق والإيمان، والمشهور على ألسنة الناس أن الإلحاد مذهب من ينكر وجود الله. معجم مقاييس اللغة (٥/ ٢٣٦) لسان العرب(٥/ ٤٠٥) والصحاح (٢/ ٥٣٤) مادة (لحد) . وانظر الموسوعة الفلسفية للدكتور عبد المنعم الحنفي ص (٤٤٧) ط. الأولى ، نشر دار ابن زيدون ، بيروت .

(٨) الصابئة هم : قوم إبراهيم الخليل عليه السلام، وأهل دعوته، وكانوا بحران، وينقسمون إلى قسمين: صابئة حنفاء، وصابئة مشركين، والذين ذكرهم المؤلف هنا =

ومبتدعة الأمة وأهل الضلال منهم، فأجابه موسى عليه الصلاة والسلام عن معارضته بأحسن جواب، فقال : ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ﴾[(١)] أي أعمال تلك القرون وكفرهم وشركهم معلوم لربي، قد أحصاه وحفظه وأودعه في كتاب، فيجازيهم عليه يوم القيامة، ولم يودعه في كتاب خشية النسيان والضلال؛ فإنه سبحانه لا يضل ولا ينسى، وعلى هذا فالكتاب هاهنا كتاب الأعمال .

وقال الكلبي : يعني به اللوح المحفوظ[(٢)] .

وعلى هذا؛ فهو كتاب القدر السابق، والمعنى على هذا: أنه سبحانه قد علم أعمالهم وكتبها عنده قبل أن يعملوها / فيكون هذا من تمام قوله: ٨٣ب ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[(٣)] فتأمله .

فصل

وهو سبحانه في القرآن كثيراً ما يجمع بين الخلق والهداية، كقوله في أول سورة أنزلها على رسوله : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾[(٤)] ،

= هم الصابئة المشركون الذين يعظمون الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر، ويصورونها في هياكلهم ، وأصل دينهم – فيما زعموا – أنهم يأخذون بمحاسن ديانات العالم ومذاهبهم، ولهذا سموا صابئة، أي خارجين، فقد خرجوا عن تقيدهم بجملة كل دين وتفصيله. نظر إغاثة اللهفان للمؤلف (٢/ ٢٥٠-٢٥١) واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص (٩٠) . والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان للسكسكي ص (٩٢-٩٣) . والفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٧) .

(١) كما حكاه الله عز وجل عنه في سورة طه آية : ٥٢ .

(٢) ذكره الواحدي في تفسيره ق (١٣١) مخطوط، مرجع سابق انظر ص (٣٦٤) .

(٣) سورة طه آية : ٥٠ .

(٤) سورة العلق الآيات : ١-٥ .

وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾(١)، وقوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾(٢)، وقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾(٣)، وقوله: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾(٤) الآيات، ثم قال: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾(٥) فالخلق: إعطاء الوجود العيني الخارجي، والهدى: إعطاء الوجود العلمي الذهني، فهذا خلقه، وهذا هداه وتعليمه.

فصل

المرتبة الثانية من مراتب الهداية: هداية الإرشاد للمكلفين، وهذه الهداية لا تستلزم حصول التوفيق واتباع الحق، وإن كانت شرطاً فيه، أو جزء سبب، وذلك لا يستلزم حصول المشروط والمسبب، بل قد يتخلف عنه المقتضي؛ إما لعدم كمال السبب، أو لوجود مانع، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾(٦) وقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾(٧) فهداهم هدى البيان والدلالة، فلم

(١) سورة الرحمن آية: ١-٤.

(٢) سورة البلد آية: ٨-١٠.

(٣) سورة الإنسان آية: ٢-٣.

(٤) سورة النمل آية: ٦٠.

(٥) سورة النمل آية: ٦٣.

(٦) سورة فصلت آية: ١٧.

(٧) سورة التوبة آية: ١١٥.

يهتدوا، فأضلهم عقوبة لهم على ترك الاهتداء أولاً بعد أن عرفوا الهدى، فأعرضوا عنه، فأعماهم عنه بعد أن أراهموه.

وهذا شأنه سبحانه في كل من أنعم عليه بنعمة فكفرها، فإن يسلبه إياها بعد أن كانت نصيبه وحظه، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[١] وقال تعالى عن قوم فرعون: ٨ب ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[٢] أي: جحدوا بآياتنا بعد أن تيقنوا صحتها. وقال: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٣]، وهذه الهداية هي التي أثبتها لرسوله، حيث قال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٤] ونفى عنه (ملك)[٥] الهداية الموجبة، وهي هداية التوفيق والإلهام بقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[٦] ولهذا قال ﷺ: **«بعثت دعياً ومبلغاً وليس إليّ من الهداية شيء، وبعث إبليس مزيناً ومغوياً وليس إليه من الضلالة شيء»**[٧].

---

(١) سورة الأنفال آية: ٥٣.

(٢) سورة النمل آية: ١٤.

(٣) سورة آل عمران آية: ٨٦.

(٤) سورة الشورى آية: ٥٢.

(٥) في د: تلك.

(٦) سورة القصص آية: ٥٦.

(٧) هذا الحديث من رواية أبي الهيثم خالد بن عبد الرحمن العبدي عن سماك بن حرب، عن طارق بن شهاب، عن عمر بن الخطاب قال، قال رسول الله ﷺ ... إلخ. وقد أخرجه: =

....

= - ابن عدي في الكامل(٣/ ٩١٠) وقال: في قلبي من هذا الحديث شيء، ولا أدري سمع خالد من سماك، أو لحقه أم لا؟ ولا أشك أن خالداً هذا هو الخراساني، فكأن الحديث مرسل عنه عن سماك.

- والعقيلي في الضعفاء الكبير (٢/ ٩) وقال: خالد بن عبد الرحمن العبدي : ليس بمعروف بالنقل، وحديثه غير محفوظ ولا يعرف له أصل .

- والدولابي في الكنى والأسماء (٢/ ١٥٧) .

- والبيهقي في كتاب القدر ص (١٠٢) وذكر قول ابن عدي فيه.

- واللالكائي في السنة (٤/ ٦٠٦) .

- وأبو القاسم إسماعيل التيمي في كتابه الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٦) . تحقيق محمد أبورحيم، ط الأولى ١٤١١هـ نشر دار الراية بالرياض .

- وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٧٢-٢٧٣) تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، ط الثانية ١٤٠٣هـ ، نشر دار الفكر، بيروت. وذكر قول العقيلي فيه.

- والذهبي في ميزان الاعتدال (١/ ٦٣٤) ونقل عن الدارقطني قوله في خالد ابن عبدالرحمن العبدي : لا أعلمه روى غير هذا الحديث الباطل، يعني هذا الحديث.

- وذكره ابن القيسراني في كتاب معرفة التذكرة في الأحاديث الموضوعة ص(١٣٧) ط. الأولى ١٤٠٦هـ نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، وقال: فيه خالد بن عبد الرحمن العبدي ترك حديثه لأجل هذا الحديث .

- وذكره السيوطي في اللالئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (١/ ٢٥٤) ط الثالثة سنة ١٤٠١هـ ، نشر دار المعرفة ، بيروت. ونقل قول العقيلي وابن عدي فيه ثم قال: وخالد الخراساني روى له أبو داود والنسائي، ووثقه ابن معين وقال أبو حاتم: لا بأس به، وحينئذ فليس في الحديث إلا الإرسال، والله أعلم .

وذكره أيضاً أبو الحسن بن عراق في تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة (١/ ٣١٥) ط الثانية ١٤٠١هـ ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت . ونقل قول العقيلي وابن عدي والسيوطي، وتعقبهم فقال فرق الحفاظ : الدارقطني والمزي والذهبي وابن حجر بين الخراساني والذي في هذا الإسناد. وقالوا : إن هذا هو العبدي العطار الكوفي ، وقال الدارقطني وابن حجر : إنه مجهول . والله أعلم . =

قال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]، فجمع سبحانه بين الهدايتين: العامة والخاصة، فعم بالدعوة حجة (منه)[2] وعدلاً، وخص بالهداية نعمة (منه)[3] وفضلاً، وهذه المرتبة أخص من (المرتبة)[4] التي قبلها؛ فإنها هداية تخص المكلفين، وهي حجة الله على خلقه التي لا يعذب أحداً إلا بعد إقامتها عليه، قال تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[5] ، وقال : ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[6] ، وقال : ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾﴾[7] ، وقال : ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ

- وذكره المزي في تهذيب الكمال (٨/ ١٢٣) للتمييز بينه وبين خالد بن عبدالرحمن الخراساني. ميزان الاعتدال للذهبي (١/ ٦٣٤) وتهذيب التهذيب لابن حجر (٣/ ١٠٤)، وتقريب التهذيب له أيضاً (١/ ٢١٥) وذكر المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير (٣/ ٢٠٤-٢٠٥) نشر دار المعرفة ، بيروت سنة ١٣٩١هـ قول العقيلي وابن عدي، وتعقب السيوطي لهما، ثم أعقبه بقول الدارقطني الذي نقله عنه الذهبي .
- وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص (٥٠٥-٥٠٦) تحقيق عبد الرحمن المعلمي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت. ونقل قول العقيلي وابن عدي، وتعقب السيوطي لهما .
- قال الألباني في ضعيف الجامع الصغير (٣/ ١٠-١١) عن هذا الحديث: إنه موضوع .

(١) سورة يونس آية : ٢٥ .

(٢) في د، س : مشيئة

(٣)في د، س : مشيئة .

(٤) ساقطة من م، د، س .

(٥) سورة الإسراء آية : ١٥ .

(٦) سورة النساء آية : ١٦٥ .

(٧) سورة الزمر آية ٥٦-٥٧ .

نَذِيرٌ ۝ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ كَبِيرٍ ۝ ﴾[١] .

فإن قيل: فكيف تقوم حجته عليهم وقد منعهم من الهدى، وحال بينهم وبينه؟.

قيل: حجته قائمة عليهم بتخليته بينهم وبين الهدى وبيان الرسل لهم، وإراءتهم (الطريق)[٢] المستقيم حتى كأنهم يشاهدونه عياناً، وأقام لهم أسباب الهداية ظاهراً وباطناً ولم يحل بينهم وبين تلك الأسباب، ومن حال بينه وبينها / ١٨٤أ منهم بزوال عقل أو صغر لا تمييز معه أو كونه بناحية من الأرض لم تبلغه دعوة رسله، فإنه لا يعذبه حتى يقيم عليه حجته، فلم يمنعهم من هذا الهدى ولم يحل بينهم وبينه .

نعم قطع عنهم توفيقه ولم يرد من نفسه إعانتهم والإقبال بقلوبهم إليه، فلم يحل بينهم وبين ما هو مقدور لهم، وإن حال بينهم وبين ما لا يقدرون عليه، وهو فعله ومشيئته وتوفيقه، فهذا غير مقدور لهم، وهو الذي منعوه وحيل بينهم وبينه. فتأمل هذا الموضع واعرف قدره، والله المستعان .

فصل

المرتبة الثالثة من مراتب الهداية هداية التوفيق والإلهام، وخلق المشيئة المستلزمة للفعل .

وهذه المرتبة أخص من التي قبلها، وهي التي ضل جهال القدرية بإنكارها، وصاح عليهم سلف الأمة وأهل السنة منهم من نواحي الأرض عصراً بعد عصر إلى وقتنا هذا. ولكن الجبرية ظلمتهم ولم تنصفهم، كما ظلموا

---

(١) سورة الملك آية : ٨-٩ .

(٢) في د، س : الصراط .

أنفسهم بإنكار الأسباب والقوى، وإنكار فعل العبد وقدرته، وأن يكون له تأثير في الفعل البتة، فلم (يهتد القدرية)[1] لقول هؤلاء بل زادهم ضلالاً على ضلالتهم وتمسكاً بما هم عليه. وهذا شأن المبطل إذا دعا مبطلاً آخر إلى (أن يترك)[2] مذهبه لقوله ومذهبه الباطل، كالنصراني إذا دعا اليهودي إلى التثليث وعبادة الصليب، وأن المسيح إله تام غير مخلوق، وإلى أمثال ذلك من الباطل الذي هو عليه .

وهذه المرتبة تستلزم أمرين :

أحدهما : فعل الرب تعالى، وهو الهدى .

والثاني : فعل العبد، وهو الاهتداء، وهو أثر فعله سبحانه؛ فهو الهادي والعبد المهتدي، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ﴾[3] ولا سبيل إلى وجود الأثر إلا بمؤثره التـام ، فإن لم يحصل فعله لم يحصل فعل العبد، ولهذا قال تعالى : ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ﴾[4] وهذا صريح في أن هذا الهدى ليس (إليه)[5] ﷺ / ولو حرص عليه، ولا إلى أحد ٨٤ب غير الله، وأن الله سبحانه إذا أضل عبداً، لم يكن لأحد سبيل إلى هدايته، كما قال تعالى : ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ﴾[6] وقال تعالى : ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[7] ، وقال تعالى : ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ

---

(١) في م، د، س : يهتدوا .

(٢) في م ، د، س : ترك .

(٣) سورة الإسراء آية ٩٧ .

(٤) سورة النحل آية : ٣٧ .

(٥) في م، د، س : له .

(٦) سورة الأعراف آية : ١٨٦ .

(٧) سورة الأنعام آية : ٣٩ .

سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[2] ، (وقال تعالى : ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ[3]﴾)[4] ، وقال تعالى : ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُۗ﴾)[5] ، وقال : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾[6] وقال : ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۗ﴾[7] وقال : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِۚ﴾[8] ، وقال أهل الجنة : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾[9] ولم يريدوا أن بعض (أنواع)[10] الهدى منه (وبعضها)[11] منهم، بل الهدى كله منه ولولا هدايته لهم لما اهتدوا، وقال تعالى:

---

(١) سورة فاطر آية : ٨ .

(٢) سورة الجاثية آية : ٢٣ .

(٣) سورة الروم آية : ٢٩ .

(٤) ما بين القوسين غير موجود في د، س .

(٥) سورة البقرة آية : ٢٧٢ .

(٦) سورة السجدة آية : ١٣ .

(٧) سورة الرعد آية : ٣١ .

(٨) سورة الأنعام آية : ١٢٥ .

(٩) كما حكاه الله سبحانه وتعالى عنهم في سورة الأعراف آية : ٤٣ .

(١٠) ساقطة من م، د، س .

(١١) في د ، س : وبعضه .

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ ﴾(١) وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(٢) وقال : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۚ ﴾(٣) وقال تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾(٤) ، وقال / ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾(٥) وقال : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾(٦) وقال : ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٧) ١٨٥

وأمر سبحانه عباده كلهم أن يسألوه هدايتهم الصراط المستقيم كل يوم وليلة في الصلوات الخمس، وذلك يتضمن الهداية إلى الصراط، والهداية فيه. كما أن الضلال نوعان :

---

(١) سورة الزمر آية : ٣٦-٣٧ .

(٢) سورة إبراهيم آية : ٤ .

(٣) سورة النحل آية : ٣٦ .

(٤) سورة إبراهيم آية : ٢٧ .

(٥) سورة المدثر آية : ٣١ .

(٦) سورة البقرة آية : ٢٦ .

(٧) سورة المائدة آية : ١٦ .

سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾(١) ، وقال تعالى : ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾(٢) ، (وقال تعالى : ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾(٣))(٤) ، وقال تعالى : ﴿۞لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾(٥) ، وقال : ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾(٦) وقال : ﴿أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ﴾(٧) وقال : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾(٨) ، وقال أهل الجنة : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾(٩) ولم يريدوا أن بعض (أنواع)(١٠) الهدى منه (وبعضها)(١١) منهم، بل الهدى كله منه ولولا هدايته لهم لما اهتدوا، وقال تعالى:

---

(١) سورة فاطر آية : ٨ .

(٢) سورة الجاثية آية : ٢٣ .

(٣) سورة الروم آية : ٢٩ .

(٤) ما بين القوسين غير موجود في د، س .

(٥) سورة البقرة آية : ٢٧٢ .

(٦) سورة السجدة آية : ١٣ .

(٧) سورة الرعد آية : ٣١ .

(٨) سورة الأنعام آية : ١٢٥ .

(٩) كما حكاه الله سبحانه وتعالى عنهم في سورة الأعراف آية : ٤٣ .

(١٠) ساقطة من م، د، س .

(١١) في د ، س : وبعضه .

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2] وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ﴾[3] وقال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[4]، وقال / ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ﴾[5] وقال: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[6] وقال: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[7] ١٨٥ أ

وأمر سبحانه عباده كلهم أن يسألوه هدايتهم الصراط المستقيم كل يوم وليلة في الصلوات الخمس، وذلك يتضمن الهداية إلى الصراط، والهداية فيه. كما أن الضلال نوعان:

---

(١) سورة الزمر آية: ٣٦-٣٧.

(٢) سورة إبراهيم آية: ٤.

(٣) سورة النحل آية: ٣٦.

(٤) سورة إبراهيم آية: ٢٧.

(٥) سورة المدثر آية: ٣١.

(٦) سورة البقرة آية: ٢٦.

(٧) سورة المائدة آية: ١٦.

ـ ضلال عن الصراط، فلا يهتدي إليه .

ـ وضلال فيه .

فالأول ضلال عن معرفته، والثاني ضلال عن تفاصيله أو بعضها.

قال شيخنا[١] : «ولما كان العبد في كل حال مفتقراً إلى هذه الهداية في جميع ما يأتيه ويذره من أمور قد أتاها على غير الهداية، فهو محتاج إلى التوبة منها، وأمور هدي إلى أصلها دون تفصيلها، أو هدي إليها من وجه دون وجه، فهو محتاج إلى تمام الهداية فيها ليزداد هدى، وأمور هو محتاج إلى أن يحصل له من الهدية فيها في المستقبل مثل ما حصل له في الماضي، وأمور هو خال عن اعتقاد فيها، فهو محتاج إلى الهداية فيها، وأمور لم يفعلها فهو محتاج إلى فعلها على وجه الهداية، إلى غير ذلك من أنواع الهدايات، فرض الله عليه أن يسأله هذه الهداية في أفضل أحواله، وهي الصلاة، مرات متعددة في اليوم والليلة». انتهى كلامه[٢] .

ولا يتم المقصود إلا بالهداية إلى الطريق والهداية فيها، فإن العبد قد يهتدي إلى طريق (قصده وتتميز له الطريق)[٣] عن غيرها، ولا يهتدي إلى تفاصيل سيره فيها، وأوقات السير من غيره، وزاد المسير وآفات الطريق. ولهذا قال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[٤] قال : سبيلاً وسنة[٥] . وهذا التفسير يحتاج إلى تفسير، فالسبيل : الطريق / وهي المنهاج، ٨٥ب

---

(١) هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

(٢) انظر معنى هذا الكلام في الفتاوى (١٠/ ١٠٩) .

(٣) في م، س : قصده وتنزيله، وفي د، : تصده وتزيله .

(٤) سورة المائدة آية : ٤٨ .

(٥) رواه البخاري (١/ ٨) ك الإيمان – باب قول النبي ﷺ : بني الإسلام على خمس، معلقاً بصيغة الجزم ورواه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٩٢) . وابن جرير في تفسيره (٦/ ٢٧١) وقال الحافظ ابن حجر: وصل هذا التعليق عبدالرزاق في تفسيره بسند =

والسنة : الشرعة، وهي تفاصيل الطريق وحزوناته[1] ، وكيفية السير فيه، وأوقات المسير، وعلى هذا، فقوله : (سبيلاً وسنة) يكون السبيل: المنهاج، والسنة : الشرعة، فالمقدم في الآية للمؤخر في التفسير. وفي لفظ آخر (سنة وسبيلاً)[2] فيكون المقدم (للمقدم)[3] والمؤخر للثاني .

فصل

ومن هذا إخباره سبحانه بأنه طبع على قلوب الكافرين وختم عليها، وأنه أصمها عن الحق، وأعمى أبصارها عنه، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ ﴾[4] . والوقف التام هنا[5] . ثم قال : ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ ﴾[6] كقوله : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾[7]، وقال تعالى : ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ

= صحيح. انظر فتح الباري (١/ ٤٨) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٩٦) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وسعيد بن منصور والفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه من طرق .

(١) حزوناته : جمع حزن، والحزن: ما غلظ من الأرض، وهو خلاف السهل. المصباح المنير (١/ ١٣٤) مادة (حزن) .

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٢٧٠-٢٧١) .

(٣) ساقطة من ت .

(٤) سورة البقرة آية ٦، ٧ .

(٥) انظر تفسير ابن جرير (١/ ١١٣-١١٤) . وتفسير ابن كثير (١/ ٤٦) .

(٦) سورة البقرة آية ٦، ٧ .

(٧) سورة الجاثية آية ٢٣ .

عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾[١] ، وقال تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٢] ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[٣] ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾[٤] وأخبر سبحانه أن على بعض القلوب أقفالاً تمنعها من أن تنفتح لدخول الهدى إليها، وقال : ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ ﴾[٥] فهذا الوقر والعمى حال بينهم وبين أن يكون لهم هدى وشفاء؛ قال تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ ﴾[٦]، وقال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ﴾[٧] قرأها الكوفيون (وصُدّ) – بضم الصاد – حملاً على (زُيِّن)[٨] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾[٩] وقال : ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١٠]

---

(١) سورة النساء آية : ١٥٥ .

(٢) سورة الأعراف آية : ١٠١ .

(٣) سورة يونس آية : ٧٤ .

(٤) سورة الأعراف آية ١٠٠ .

(٥) سورة فصلت آية : ٤٤ .

(٦) سورة الكهف آية : ٥٧ .

(٧) سورة غافر آية : ٣٧ .

(٨) وقرأ حميد وأبو عمرو وعامة قراء البصرة (وصَدُّ) بفتح الصاد، قال ابن جرير: والصواب أنهما قراءتان معروفتان في قراءة الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . انظر تفسير ابن جرير (٦٦/٢٤) .

(٩) سورة غافر آية : ٢٨ .

(١٠) جزء من الآيات التالية : – آية ٢٥٨ سورة البقرة . وآية ٨٦ سورة آل عمران ، وآية ١٩، ١٠٩ سورة التوبة وآية ٧ سورة الصف، وآية ٥ سورة الجمعة.

ومعلوم أنه لم ينف هدى البيان والدلالة الذي تقوم به الحجة، فإنه حجته على عباده. والقدرية ترد هذا كله إلى المتشابه، وتجعله من متشابه القرآن، وتتأوله على غير / تأويله بل تتأوله بما يقطع ببطلانه وعدم إرادة المتكلم له. ١٨٦أ كقول بعضهم: « المراد من ذلك تسمية الله تعالى العبد مهتدياً وضالاً » فجعلوا هداه وإضلاله مجرد تسمية العبد بذلك، وهذا مما يعلم قطعاً أنه لا يصح حمل هذه الآيات عليه. وأنت إذا تأملتها وجدتها لا تحتمل ما ذكروه البتة، وليس في لغة أمة من الأمم ـ فضلاً عن أفصح اللغات وأكملها ـ (هداه) بمعنى سماه مهتدياً، و(أضله) سماه ضالاً، وهل يصح أن يقال: (علمه) إذا سماه عالماً، و(فهمه) إذا سماه فهماً، وكيف يصح هذا في مثل قوله : ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[1] فهل فهم أحد غير القدرية المحرفة للقرآن من هذا: ليس عليك تسميتهم مهتدين، ولكن الله يسمي من يشاء مهتدياً، وهل فهم أحد قط من قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[2] لا تسميه مهتدياً، ولكن الله يسميه بهذا الاسم، وهل فهم أحد من قول الداعي : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾، وقوله: (اللهم اهدني من عندك) ونحوه: اللهم سمني مهتدياً؟!.

وهذا من جناية القدرية على القرآن ومعناه نظير جناية إخوانهم من الجهمية[3] على نصوص الصفات وتحريفها عن مواضعها ، وفتحوا

(١) سورة البقرة آية ٢٧٢ .

(٢) سورة القصص آية : ٥٦ .

(٣) هم أتباع جهم بن صفوان الضال المبتدع، سبقت ترجمته في ص (٤٥٩) والكلام عن مذهبه .

للزنادقة(١) والملاحدة(٢) جنايتهم على نصوص المعاد وتأويلها إن لم تكن أقوى من تأويلاتهم لم تكون دونها. وفتحوا للقرامطة(٣) والباطنية(٤) تأويل

---

(١) سبق التعريف بهم ص (٥٧٢) .

(٢) سبق التعريف بهم في ص (٥٧٢).

(٣) هم أتباع حمدان بن الأشعث، الملقب بقرمط - بكسر القاف والميم - بينهما راء ساكنة، أو بفتحهما؛ لأن خطوه متقارب، وقيل غير ذلك، وكان رجلٌ متوارياً صار إليه أحد دعاة الباطنية، ودعوه إلى معتقدهم فقبل الدعوة، ثم صار يدعو الناس إليها وضل بسببه خلق كثير. وكان أول ظهورهم في سنة ٢٧٨هـ، ثم استفحل أمرهم حتى آل بهم الحال إلى أن دخلوا المسجد الحرام فسفكوا دم الحجيج حول الكبة واقتلعوا الحجر الأسود من موضعه وذهبوا به إلى بلادهم (الإحساء) في سنة ٣١٧هـ، ثم لم يزل عندهم إلى سنة ٣٣٩هـ. ومن أشهر دعاتهم أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي، وزكرويه بن مهروية. انظر : انتقادات فرق المسلمين والمشركين ص (٧٩) والكامل لابن الأثير (٧/ ٤٤٤) والمنتظم لابن الجوزي (٥/ ١١٠-١١٩) ط (١) نشر دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد في الهند، سنة ١٣٥٧هـ . وكشف أسرار الباطنية لأبي الفضائل اليماني، تحقيق د.محمد زنيهم ط الأولى ١٤٠٦هـ نشر دار الصحوة، بمصر. والبداية والنهاية (١١/ ٦١-٦٢) والرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص (٨٠) . والفرق بين الفرق ص (٢٦٦-٢٦٧) . والنجوم الزاهرة (٣/ ٧٨) .

(٤) سموا بذلك ؛ لأنهم يقولون : إن للنصوص ظاهراً وباطناً ولكل تنزيل تأويلاً، وإن الإله لا يوصف بوجود ولا عدم، ولا هو معلوم ولا مجهول، ومذهبهم في النبوات قريب من مذهب الفلاسفة، ويقولون : إنه لابد في كل عصر من إمام معصوم قائم بالحق، يرجع إليه في تأويل الظواهر واتفقوا على إنكار القيامة، والمنقول عنهم الإباحة المطلقة، ورفع الحجاب واستباحة المحظورات وإنكار الشرائع، وهم ينكرون ذلك إذا نسب إليهم. الفرق بين الفرق ص٢٦٥ وما بعدها. واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٧٦ ، وفضائح الباطنية ص١١، ٤٠، ٤٦ .

نصوص الأمر والنهي بنحو تأويلاتهم. فتأمل التحريف الذي (سلكته)[1] هذه الطوائف هو أصل فساد (الدنيا)[2] والدين، وخراب العالم. وسنفرد إن شاء الله كتاباً نذكر فيه جنية المتأولين على الدنيا والدين[3].

وأنت إذا وازنت بين تأويلات القدرية والجهمية [4] والرافضة [5] لم تجد بينها وبين تأويلات الملاحدة والزنادقة من القرامطة (الباطنية)[6] وأمثالهم كبير فرق. والتأويل الباطل يتضمن ما جاء به الرسول ﷺ/ والكذب على ٨٦ب المتكلم أنه أراد ذلك المعنى، فيتضمن إبطال الحق، وتحقيق الباطل، ونسبة المتكلم إلى ما لا يليق به من التلبيس والإلغاز، مع القول عليه بلا علم إنه أراد هذا المعنى.

فالمتأول عليه أن يبين صلاحية اللفظ للمعنى الذي ذكره أولاً، واستعمال المتكلم (به)[7] في ذلك المعنى في أكثر المواضع، حتى إذا استعمله فيما يحتم غيره، حمل على ما عهد منه استعماله فيه. وعليه أن يقيم دليلاً سالماً عن المعارض على الموجب لصرف اللفظ عن ظاهره وحقيقته، إلى مجازه واستعارته، وإلا كان ذلك مجرد دعوى منه فلا تقبل.

وتأول بعضهم هذه النصوص على أن المراد بها هداية البيان والتعريف

---

(١) في م، د، س: سلسلته.

(٢) ساقطة من م، د، س.

(٣) هو كتاب الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، وقد طبع القسم الأول منه بتحقيق الدكتور علي الدخيل الله.

(٤) سبق التعريف بهم في ص (٤٥٩).

(٥) سبق التعريف بهم في ص (٢٠٩).

(٦) في د، س: والباطنية. وبزيادة الواو.

(٧) في د، س: له.

لا خلق الهدى في القلب، فإن الله سبحانه لا يقدر على ذلك عند هذه الطائفة .

وهذا التأويل من أبطل الباطل، فإن الله سبحانه يخبر أنه قسم هدايته للعبد قسمين: قسماً لا يقدر عليه غيره، وقسماً مقدوراً للعبد، فقل في القسم المقدور (للبشر)(١) : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى :٥٢] وقال في غير المقدور (للبشر)(٢) : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص : ٥٦] وقال: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ ﴾ [الأعراف : ١٨٦] . ومعلوم قطعاً أن البيان والدلالة قد تحصل له ولا تنفى عنه، وكذلك قوله : ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ﴾[النحل : ٣٧] لا يصح حمله على هدية الدعوة والبيان، فإن هذا يهدى، - وإن أضله الله - بالدعوة والبيان. وكذا قوله : ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ﴾ [الجاثية : ٢٣] هل يجوز حمله على معنى فمن يدعوه إلى الهدى ويبين له ما تقوم به حجة الله عليه؟ وكيف يصنع هؤلاء بالنصوص التي فيها أنه سبحانه هو لذي أضلهم، أيجوز لهم حملها على أنه دعاهم إلى الضلال، فإن قالوا : ليس ذلك معناها وإنما معناها ألفاهم ووجدهم كذلك، أو أعلم ملائكته ورسله بضلالهم، أو جعل على قلوبهم علامة / يعرف الملائكة بها أنهم ضلال . ١٨٧

قيل هذا من جنس قولكم إن هداه سبحانه وإضلال بتسميتهم مهتدين وضالين، فهذه أربع تحريفات لكم (وهي)(٣) أنه سماهم بذلك، وعلمهم بعلامة يعرفهم بها الملائكة، وأخبر عنهم بذلك، ووجدهم كذلك . فالأخبار من جنس التسمية، وقد بينا أن اللغة لا تحتمل ذلك، وأن النصوص إذا

---

(١) في د، س : للغير .

(٢) في د، س : لخير .

(٣) في د، س : وهذا .

تأملها المتأمل أبعد شيء (عن)[١] هذا المعنى.

وأما العلامة فيا عجباً لفرقة التحريف وما جنت على القرآن والإيمان، ففي أي لغة وأي لسان يدل قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] على معنى إنك لا تعلمه بعلامة ولكن الله هو الذي يعلمه بها، قوله: ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ [الأعراف: ١٨٦] من يعلمه الله بعلامة الضلال لم يعلمه غيره بعلامة الهدى، وقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة :١٣] لعلمنها بعلامة الهدى الذي خلقته هي لنفسها وأعطته نفسها. وفي أي لغة يفهم قوله الداعي: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ علمنا بعلامة يعرف الملائكة بها أننا مهتدون، وقولهم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ لا تعلمها بعلامة أهل الزيغ. وقوله عليه أفضل الصلاة والسلام: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»[٢]، «**يا مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك**»[٣]. وأمثال ذلك من النصوص، ففي أي لغة وأي لسان يفهم من هذا علمنا بعلامة الثبات والتصريف على طاعتك؟ وفي أي لغة يكون معنى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣] علمناها بعلامة القسوة أو وجدناها كذلك؟ نعم لو نزل القرآن بلغة القدرية والجهمية وأهل البدع لأمكن حمله على ذلك، وكان الحق تابعاً لأهوائهم، وكانت نصوصه تبعاً لبدع المبتدعين وآراء المتحيرين.

وأنت تجد جميع هذه الطوائف تنزل القرآن على مذهبنا وبدعها وآرائها،

---

(١) في د، س: من.

(٢) سبق تخريجه في ص (٤١٤).

(٣) سبق تخريجه في ص (٤١٣).

٨٧ب فالقرآن عند الجهمية جهمي، وعند المعتزلة معتزلي / وعند القدرية قدري، وعند الرافضة رافضي، وكذلك هو عند جميع أهل الباطل، وما كانوا أولياءه: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [١].

وأما تحريفهم هذه النصوص وأمثالها بأن المعنى ألفاهم ووجدهم، ففي أي لسان وأي لغة وجدتم (هديت) الرجل: إذا وجدته مهتدياً، وختم الله على قلبه وسمعه، وجعل على بصره غشاوة : وجد كذلك؟ وهل هذا إلا افتراء محض على القرآن واللغة. فإن قالوا: نحن لم نقل هذا في نحو ذلك، وإنما قلناه في نحو (أضله) أي : وجده ضالاً. كما يقال : أحمدت الرجل وأبخلته (وأجبنته)[٢] ، إذا وجدته كذلك، أو نسبته إليه، فيقال لفرقة التحريف: هذا إنما ورد في ألفاظ معدودة نادرة، وإذاً فوضع هذا البناء على أنك فعلت ذلك به، ولا سيما إذا كانت الهمزة للتعدية من الثلاثي، كقام وأقمته، (وقعد وأقعدته)[٣] ، وذهب وأذهبته، وسمع وأسمعته، ونام وأنمته، وكذا ضل أضله الله، وأسعده وأشقاه، وأعطاه وأخزاه، وأماته وأحياه، وأزاغ قلبه وأقامه إلى طاعته، وأيقظه من غفلته واراه آياته، وأنزله منزلاً مباركاً وأسكنه جنته، إلى أضعاف ذلك ، وهل تجد فيها لفظاً واحداً معناه أنه وجده كذلك، تعالى الله عما يقول المحرفون .

ثم انظر في كتاب (فعل وأفعل) هل تظفر فيه بأفعلته بمعنى وجدته ـ مع سعة الباب ـ إلا في الحرفين أو الثلاثة نقلاً عن أهل اللغة؟

ثم انظر هل قال أحد من الأولين والآخرين من أهل اللغة إن العرب

---

(١) في ت: وبعد وأبعدته .

(٢) في د ن س: وأجننته .

(٣) اقتباس من آية : ٣٤ من سورة الأنفال .

وضعت أضله الله وهداه، وختم على سمعه وقلبه، وأزاغ قلبه وصرفه (على)[1] طاعته، ونحو ذلك (بمعنى)[2] وجده كذلك؟ ولما أراد سبحانه الإبانة عن هذا المعنى قال : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ [الضحى : ٧] ولم يقل: وأضلك. وقال في حق من خالف الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام وكفر بما جاء به : ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية :٢٣] ولم يقل : ووجده الله ضالاً.

ثم أي توحيد وتمدح وتعريف للعباد أن الأمر كله لله وبيده، وأنه ليس لأحد من أمره شيء، إلا مجرد التسمية والعلامة،ومصادفة الرب تعالى عباده كذلك، ووجوده لهم على هذه الصفات، من غير أن يكون له فيها صنع أو خلق أو مشيئة؟، وهل يعجز البشر عن التسمية والمصادفة والوجود، كذلك فأي مدح وأي ثناء يحسن على الرب تعالى بمجرد ذلك؟ فأنتم وإخونكم من الجبرية لم تمدحوا الرب بما يستحق أن يمدح به، ولم تثنوا عليه بأوصاف كماله، ولم تقدروه حق قدره. وأتباع الرسول وحزبه وخاصته بريؤون منكم ومنهم في باطلكم وباطلهم، وهم معكم ومعهم فيما عندكم من الحق لا يتحيزون إلى (فئة غير الرسول وما جاء به)[3] ولا ينحرفون عنه نصرة لآراء الرجال المختلفة، وأهوائهم المتشتتة. و﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد : ٢١] .

قل ابن مسعود: علمنا رسول الله ﷺ التشهد في الصلاة والتشهد في الحاجة : إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، واشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً

---

(١) في د، س : عن .

(٢) في د، س : لمعنى .

(٣) في د، س : غير ما بينه الرسول وجاء به .

عبده ورسوله، ويقرأ ثلاث آيات:﴿واتقوا الله حق تقاته﴾ [آل عمران : ١٠٢] الآية ، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء : ١] ، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب : ٧٠] الآية قال الترمذي: هذا حديث صحيح(١) .

قال أبو داود : حدثنا محمد بن كثير(٢)، أخبرنا سفيان(٣) عن خالد الحذاء(٤)

---

(١) انظر جامع الترمذي (٣/ ٤١٣-٤١٤) ك النكاح – باب ما جاء في خطبة النكاح. وقال: وفي الباب عن عدي بن حاتم ، وحديث عبد الله حديث حسن رواه الأعمش عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، عن النبي ﷺ. ورواه شعبة عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله عن النبي ﷺ وكلا الحديثين صحيح. ورواه أبو داود في سننه (٦/ ١٥٣-١٥٥) ك النكاح – باب في خطبة النكاح. والنسائي ي سننه (٦/ ٨٩) ك النكاح – باب ما يستحب من الكلام عند النكاح. وابن ماجة في سننه (١/ ٦٠٩-٦١٠) ك النكاح – باب خبطة النكاح. والإمام أحمد (١/ ٣٩٢، ٤٣٢) . والبيهقي في سننه (٣/ ٢١٤) ك النكاح – باب ما جاء في خطبة النكاح. وفي كتاب القدر ص(٢٠٠) . والآجري في الشريعة ص ١٩٧. والبغوي ي شرح السنة (٩/ ٤٩) . وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١١٤) وصححه الألباني . واللالكائي في السنة ٠٤/ ٦٥٨) . والطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٤) . وعبد الرازق في مصنفه (١١/ ١٦٢-١٦٣) باب خطبة الحاجة. والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ١٢١) .

(٢) هو : محمد بن كثير العبدي البصري، ثقة ، لم يصب من ضعفه، من كبار الطبقة العاشرة، مات سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وله تسعون سنة. روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ٢٠٣) وانظر تهذيب التهذيب (٩/ ٤١٧) وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٨٣) .

(٣) هو : سفيان الثوري، ثقة حافظ ، سبقت ترجمته في ص (٢٦٧).

(٤) هو : خالد بن مهران أبو المنازل – بفتح الميم وقيل بضمها وكسر الزاي – البصري الحذاء ، قيل له ذلك لأنه كان يجلس عندهم، وقيل لأنه كان يقول : أحذ على هذا النحو، وهو ثقة يرسل، من الخامسة. روى له الستة. توفي سنة ١٤٢هـ. تقريب التهذيب (١/ ٢١٩) وتهذيب التهذيب (٣/ ١٢٠-١٢٢) .

عن عبد الأعلى[١] عن عبد الله بن الحارث[٢] قال: خطب عمر بن الخطاب بالجابية[٣] فحمد الله وأثنى عليه وعنده جاثليق[٤] يترجم له ما يقول، فقال: من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، فنفض (جبته)[٥] كالمنكر لما يقول، قال عمر: ما يقول؟ قالوا:يا أمير المؤمنين يزعم أن الله لا يضل أحداً، قال / عمر : كذبت أي عدو الله، بل الله خلقك وقد أضلك ثم يدخلك النار، وأما والله لولا عهد لك لضربت عنقك، إن الله عز وجل خلق أهل الجنة وما هم عاملون، وخلق أهل النار وما هم عاملون، فقال: هؤلاء لهذه، وهؤلاء لهذه. قال : فتفرق الناس وما يختلفون في القدر[٦]. ٨٨ب

---

(١) هو : عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كريز - بالتصغير - أبو عبد لرحمن البصري، مقبول من الخامسة. روى له أبو داود في كتاب القدر. تقريب التهذيب (١/ ٤٦٤) وانظر تهذيب التهذيب (٦/ ٩٥) .

(٢) هو : عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي، أبو محمد المدني، أمير البصرة، له رؤية ، ولأبيه وجده صحبة، قال ابن عبد البر : أجمعوا على توثيقه، مات سنة تسع وتسعين، ويقال سنة أربع وثمانين. روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٤٠٨) وانظر تهذيب التهذيب (٥/ ١٨٠-١٨١) .

(٣) الجابية : قرية من أعمال دمشق . معجم البلدان (٢/ ٩١) .

(٤) الجاثليق: بفتح الثاء المثلثة: رئيس للنصارى في بلاد الإسلام، ويكون تحت يد البطريق، ثم المطران تحت يده، ثم الأسقف يكون في كل بلد تحت المطران، ثم القسيس ثم الشماس. القاموس المحيط ص (١١٢٥) مادة (جثق) .

(٥) في د، س : جبينه. والصواب ما أثبت حيث ورد في إحدى روايات هذا الأثر (ثوبه)، وفي الأخرى (قميصه) كما أن النفض يناسب الجبة .

(٦) رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في السنة (٢/ ٦٥٩-٦٦١) . والدارمي في كتاب الرد على الجهمية ص (٧٨) مختصراً. والبيهقي في كتاب القدر ص ٢١٠-٢١١. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦١٩) ونسبه إلى ابن أبي حاتم وبي الشيخ. وقد ذكر المؤلف رحمه الله أبا داود - صاحب السنن - ي أول السند، ولم أعثر على هذا الأثر في السنن، ولعله رواه

فصل

المرتبة الرابعة من مراتب الهداية : الهداية إلى الجنة والنار يوم القيامة . قال تعالى : ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ [الصافات : ٢٢-٢٣] ، وقال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾﴾ [محمد : ٤-٥] فهذه هداية بعد قتلهم . فقيل المعنى : سيهديهم إلى طريق الجنة ويصلح (حالهم)(١) في الآخرة بإرضاء خصومهم وقبول أعمالهم(٢) .

وقال ابن عباس : سيهديهم إلى أرشد الأمور ويعصمهم أيام حياتهم في الدنيا(٣) .

واستُشكِل هذا القول ؛ لأنه أخبر عن المقتولين في سبيله بأنه سيهديهم ، واختاره الزجّاج ، وقال : يصلح بالهم في المعاش وأحكام الدنيا . قال : وأراد به : يجمع لهم خير الدنيا والآخرة(٤) .

وعلى هذا القول فلابد من حمل قولـه : ﴿قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ على معنى يصح معه إثبات الهداية وإصلاح البال .

* * *

في كتاب القدر ومما يؤكد ذلك ما ورد في ترجمة أحد الرواة – وهو عبد الأعلى بن عامر – من أن أبا داود خرّج له في كتاب القدر فقط . والله أعلم.

(١) في د ، س : بالهم .

(٢) بهذا فسر هذه الآية البغوي في تفسيره معالم التنزيل (٤/ ١٧٩) .

(٣) ذكره ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير (٧/ ٣٩٨) .

(٤) انظر : معاني القرآن و إعرابه للزجّاج (٥/ ٧) .

الباب الخامس عشر

في الطبع والختم والقفل والغل والسد والغشاوة الحائل بين الكافر وبين الإيمان وأن ذلك مجعول للرب تبارك وتعالى

الباب الخامس عشر

في الطبع والختم والقفل والغل والسد والغشاوة (الحائل)[١] بين الكافر وبين الإيمان[٢] وأن ذلك مجعول[٣] للرب تبارك وتعالى

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧﴾[٤] وقال تعالى : ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٢٣﴾[٥] وقال تعالى : ﴿وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ﴾[٦]. وقال تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[٧] وقال : ﴿وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾[٨]، وقال ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾[٩] وقال : ﴿لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ

١٨٩أ

---

(١) في د . س : والحائل . بزيادة الواو.

(٢) قوله : الحائل بين الكافر وبين الإيمان . لم يرد في المقدمة عند ذكر المؤلف رحمه الله لأبواب الكتاب.

(٣) في المقدمة ص (١٣٠) : مفعول.

(٤) سورة البقرة آية ٦-٧.

(٥) سورة الجاثية آية ٢٣.

(٦) سورة النساء آية ١٥٥.

(٧) سورة الأعراف آية ١٠١.

(٨) سورة الأعراف آية ١٠٠.

(٩) سورة محمد آية ٢٤.

لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾[1].

وقد (ضل بهذه)[2] الآيات ونحوها طائفتا القدرية والجبرية، فحرفها القدرية بأنواع من التحريف المبطل لمعانيها وما أريد منها. وزعمت الجبرية أن الله أكرهها على ذلك، وقهرها عليه، وأجبرها من غير فعل منها، ولا إرادة، ولا اختيار، ولا كسب البتة، بل حال بينها وبين الهدى ابتداءً من غير ذنب ولا سبب من العبد يقتضي ذلك، بل أمره وحال مع أمره بينه وبين الهدى، فلم ييسر إليه سبيلاً، ولا أعطاه عليه قدرة، ولا مكنه منه بوجه.

(وزاد)[3] بعضهم : بل أحب له الضلال والكفر والمعاصي ورضيه منه. فهدى أهل السنة والحديث وأتباع الرسول لما اختلف فيه هاتان الطائفتان من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

قالت القدرية : لا يجوز حمل هذه الآيات على أنه منعهم من الإيمان، وحال بينهم وبينه، إذ يكون لهم الحجة على الله، ويقولون: كيف يأمرنا بأمر، ثم يحول بيننا وبينه ويعاقبنا عليه وقد منعنا من فعله؟! وكيف يكلفنا بأمر لا قدرة لنا عليه؟! وهل هذا إلا بمثابة من أمر عبده بالدخول من باب ثم سد عليه (ذلك)[4] الباب سداً محكماً لا يمكنه الدخول معه البتة، ثم عاقبه أشد العقوبة على عدم الدخول؟! ومنزلة من أمره بالمشي إلى مكان، ثم قيده (تقييداً)[5] لا يمكنه معه نقل قدمه، ثم أخذ يعاقبه على ترك المشي؟! وإذا كان

---

(١) سورة يس الآيات : ٧ - ١٠.

(٢) في د ، س : دخل هذه .

(٣) في د ، س : وأراد .

(٤) ساقطة من د، س : بقيد .

(٥) في د، س : بقيد .

هذا قبيحاً في حق المخلوق فكيف* ينسب إلى الرب تعالى ، مع كمال غناه وعلمه وإحسانه ورحمته.

قالوا : وقد كذّب اللهُ سبحانه الذين قالوا: قلوبنا غلف، وفي أكنة، وأنها قد طبع عليها، وذمهم على هذا القول، / فكيف ينسب إليه تعالى. ولكن ٨٩ب القوم لما أعرضوا وتركوا الاهتداء بهداه الذي بعث به رسله، حتى صار ذلك الإعراض والنفار كالإلف والطبيعة والسجية أشبه حالهم حال من منع عن الشيء وصد عنه، وصار هذا وقراً في آذانهم، وختماً على قلوبهم، وغشاوة على أعينهم، فلا يخلص إليها الهدى، وإنما أضاف الله تعالى ذلك إليه لأن هذه الصفة قد صارت في تمكنها وقوة ثباتها كالخلقة التي خلق عليها العبد. وقالوا : ولهذا قال تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[1] وقال : ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾[2] وقال : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾[3] وقال:﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾[4].

ولعمر الله إن الذي قاله هؤلاء حقه أكثر من باطله، وصحيحه أكثر من سقيمه، ولكن لم يوفوه حقه، وعظموا الله من جهة وأخلوا بتعظيمه من جهة، فعظموه بتنزيهه عن الظلم وخلاف الحكمة، وأخلوا بتعظيمه من جهة

* نهاية سقط نسخة (ع) الذي بدأ في ص (٤٨٤) .

(١) سورة المطففين آية ١٤.

(٢) سورة النساء آية ١٥٥.

(٣) سورة الصف آية ٥.

(٤) سورة التوبة آية ٧٧.

التوحيد وكمال القدرة ونفوذ المشيئة. والقرآن يدل على صحة ما قالوه في الران والطبع والختم من وجه، (وعلى)[١] بطلانه من وجه.

أما صحته؛ فإنه سبحانه جعل ذلك عقوبة لهم، وجزاءً على كفرهم وإعراضهم عن الحق بعد أن عرفوه، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾[٢] وقال: ﴿ كَلَّاۖ بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[٣] وقال: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[٤] وقال: ﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾[٥].

وقد اعترف بعض القدرية بأن ذلك خلق الله سبحانه، ولكنه عقوبة على كفرهم وإعراضهم السابق، فإنه سبحانه يعاقب على الضلال المقدور بإضلال بعده، ويثيب على الهدى بهدى بعده، كما يعاقب على السيئة بسيئة مثلها، ويثيب على الحسنة بحسنة مثلها. / قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾[٦] وقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴾[٧]. وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾[٨] ومن الفرقان: الهدى الذي يفرق به بين الحق والباطل، ١٩٠أ

---

(١) ساقطة من د،س.

(٢) سورة الصف آية ٥.

(٣) سورة المطففين آية ١٤.

(٤) سورة الأنعام آية ١١٠.

(٥) سورة التوبة آية ١٢٧.

(٦) سورة محمد آية ١٧.

(٧) سورة الأحزاب آية ٧٠-٧١.

(٨) سورة الأنفال آية ٢٩.

وقال في ضد ذلك: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾[(١)] وقال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾[(٢)] وقال: ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾[(٣)].

وهذا الذي ذهب إليه هؤلاء حق، والقرآن دل عليه وهو موجب العدل، والله سبحانه ماض في العبد حكمه، وعدل في عبده قضاؤه، فإنه إذا دعا عبده إلى معرفته ومحبته وذكره وشكره، فأبى العبد إلا إعراضاً وكفراً، قضى عليه بأن أغفل قلبه عن ذكره، وصده عن الإيمان به، وحال بين قلبه وبين قبول الهدى، وذلك عدل منه فيه، وتكون عقوبته بالختم والطبع والصد عن الإيمان كعقوبته له بذلك في الآخرة مع دخول النار، كما قال تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ۝١٦﴾[(٤)] فحجابه عنهم إضلال لهم وصد عن رؤيته وكمال معرفته، كما عاقب قلوبهم في هذه الدار بصدها عن الإيمان. وكذلك عقوبته لهم بصدهم عن السجود له يوم القيامة مع الساجدين هو جزاء امتناعهم من السجود له في الدنيا، وكذلك عماهم عن الهدى في الآخرة عقوبة لهم على عماهم في الدنيا (عنه)[(٥)] ولكن (الفرق أن)[(٦)] أسباب هذه الجرائم في الدنيا كانت مقدورة لهم واقعة لاختيارهم وإرادتهم وفعلهم، فإذا وقعت عقوبات لم تكن مقدورة، بل قضاء جار عليهم ماض عدل فيهم. قال تعالى : ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ

(١) سورة النساء آية ٨٨.

(٢) سورة البقرة آية ١٠.

(٣) سورة التوبة آية ١٢٧.

(٤) سورة المطففين آية ١٥-١٦.

(٥) ساقطة من د،س.

(٦) ساقطة من د ، س .

﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[١] ومن هاهنا ينفتح للعبد باب واسع عظيم النفع جداً في قضاء الله المعصية والكفر والفسوق على العبد، وأن ذلك بمحض عدل فيه، وليس المراد بالعدل ما يقوله الجبرية / إنه من الممكن، فكل ما يمكن فعله بالعبد فهو عندهم عدل، والظلم هو الممتنع لذاته، فهؤلاء قد سدوا على أنفسهم باب الكلام في الأسباب والحكم. ولا المراد به ما يقوله القدرية النفاة: إنه إنكار عموم قدرة الله ومشيئته على أفعال عباده وهدايتهم وإضلالهم، وعموم مشيئته لذلك، وأن الأمر إليهم لا إليه.

.هـب

وتأمل قول النبي ﷺ : «ماض فيّ حكمك، عدل فيّ قضاؤك»[٢] كيف ذكر العدل في القضاء مع الحكم النافذ، وفي ذلك رد لقول الطائفتين القدرية والجبرية، فإن العدل الذي أثبتته القدرية مناف للتوحيد، معطل لكمال قدرة الرب وعموم مشيئته، والعدل الذي أثبتته الجبرية مناف للحكمة والرحمة ولحقيقة العدل .

والعدل الذي هو اسمه وصفته ونعته سبحانه خارج عن هذا وهذا، ولم يعرفه إلا الرسل وأتباعهم. ولهذا قال هود ﷺ لقومه: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٣] فأخبر عن عموم قدرته ونفوذ مشيئته وتصرفه في خلقه كيف شاء، ثم أخبر أنه في هذا التصرف والحكم على صراط مستقيم.

قال أبو إسحاق : أي هو سبحانه وإن كانت قدرته تناهم بما شاء (فهو)[٤]

---

(١) سورة الإسراء آية ٧٢.

(٢) هذا جزء من حديث رواه ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: « ما أصاب أحد قط هم ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيّ حكمك، عدل فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك ...» إلخ. والحديث سبق تخريجه في ص(١٣٣).

(٣) كما حكاه الله عز وجل عنه في سورة هود آية ٥٦.

(٤) في ع، د، س: فإنه. وما أثبت من م، ت، ومعاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج.

لا يشاء إلا العدل[١] .

وقال ابن الأنباري [٢] : لما قال ﴿هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ كان في معنى لا يخرج (عن)[٣] قبضته وأنه قاهر بعظيم سلطانه لكل دابة، فأتبعه قوله: ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. (أي على الحق) [٤] قال: وهذا نحو كلام العرب إذا (وصفوه)[٥] بحسن السيرة والعدل والإنصاف، قالوا: فلان على طريقة حسنة، وليس ثم طريق. ثم ذكر وجهاً آخر، فقال: لما ذكر سلطانه قد قهر كل دابة أتبع هذا قوله : ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، أي (أنه)[٦] لا يخفى عليه مشتبه، ولا يعدل عنه هارب، فذكر الصراط المستقيم، وهو يعني به الطريق الذي لا يكون لأحد مسلك إلا عليه، كما قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾[٧][٨] .

---

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق للزجاج (٣/ ٥٨).

(٢) هو: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبوبكر الأنباري، من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، ومن أكثر الناس حفظاً للشعر والأخبار ، قيل : كان يحفظ ثلاثمائة ألف شاهد في القرآن. ولد في الأنبار (بلد على الفرات) وتوفي ببغداد سنة ٣٢٨هـ. وله مؤلفات، منها : إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، وعجائب علوم القرآن ، وغريب الحديث ، وغيرها . سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧٤) تذكرة الحفاظ (٣/ ٥٧)، الأعلام (٦/ ٣٣٤).

(٣) في د ، س : من .

(٤) إضافة من م .

(٥) هكذا في جميع النسخ الخطية والمطبوعة. وفي تفسير الواحدي (البسيط) وصفوا رجلاً.

(٦) ساقطة من ع ، د ، س .

(٧) سورة الفجر آية ١٤ .

(٨) ذكره الواحدي في تفسير (البسيط) ق(٣٢-٣٣) مخطوط. مرجع سابق انظر ص(٣٨٧).

قلت : فعلى (القول)[١] الأول يكون المراد أنه في تصرفه في ملكه يتصرف بالعدل ومجازاة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، ولا يظلم مثقال ذرة ، ولا يعاقب أحداً بما لم يجنه ولا يهضمه ثواب ما علمه، ولا يحمل عليه ذنب غيره، ولا يأخذ أحداً بجريرة أحد. ولا يكلف نفساً ما لا تطيقه، فيكون من باب :(له الملك وله الحمد) ومن باب: (ماض فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك) ، ومن باب: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي كما أنه رب العالمين المتصرف فيهم بقدرته ومشيئته، فهو المحمود على هذا التصرف وله الحمد على جميعه .

وعلى القول الثاني، فالمراد به التهديد والوعيد وأن مصير العباد وطريقهم عليه لا يفوته منهم أحد، كما قال تعالى :﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾[٢] .

قال الفراء : يقول مرجعهم إليّ فأجازيهم، كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾[٣] .

قال: وهذا كما تقول في الكلام : طريقك عليّ وأنا على طريقك، لمن أوعدته[٤] وكذلك قال الكلبي، والكسائي[٥][٦] . ٩١أ

(١) في ع ، د ، س : هذا القول .

(٢) سورة الحجر آية ٤١ .

(٣) سورة الفجر آية ١٤.

(٤) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ٨٩).

(٥) هو : علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء، الكوفي، أبو الحسن الكسائي، إمام في اللغة والنحو والقراءة، من أهل الكوفة، ولد في إحدى قراها، وتعلّم وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقل في البادية، وسكن بغداد، وتوفي بالري عن سبعين عاماً، وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الأمين . له تصانيف، منها: معاني القرآن ، والمصادر، والحروف . توفي سنة ١٨٩هـ . انظر سير أعلام النبلاء(٩/ ١٣١) وطبقات النحويين للزبيدي ص١٣٨. والأعلام (٤/ ٢٨٣).

(٦) ذكره الواحدي في تفسيره (البسيط) ق(٣٣) المرجع السابق .

ومثل قوله : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ﴾[١] على أحد القولين في الآية.

قال مجاهد : الحق يرجع إلى الله وعليه طريقه[٢]. و(منها) أي: ومن السبل ما هو جائر عن الحق، ﴿ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٣] . فأخبر عن عموم مشيئته (وقدرته)[٤] وأن طريق الحق موصلة إليه، فمن سلكها فإليه يصل، ومن عدل عنها فإنه يضل عنه .

والمقصود أن هذه الآيات تتضمن عدل الرب تعالى وتوحيده، (وأنه)[٥] يتصرف في خلقه بملكه وحمده وعدله وإحسانه، فهو على صراط مستقيم؛ في قوله، وفعله، وشرعه، وقدره، وثوابه، وعقابه، يقول الحق ويفعل العدل، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾[٦] .

فهذا العدل والتوحيد (الذي)[٧] دل (عليه)[٨] القرآن لا يتناقضان، وأما توحيد أهل القدر والجبر وعدلهم، فكل منهما يبطل الآخر ويناقضه .

---

(١) سورة النحل، آية ٩ .

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٤/ ٨٤) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٩) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) سورة النحل ، آية ٩ .

(٤) ساقطة من ع ، د ، س .

(٥) في ع ، د ، س : والله .

(٦) سورة الأحزاب، آية ٤ .

(٧) في د : اللذان، وفي س : الذين .

(٨) في د ، س : عليهما .

فصل

ومن سلك من القدرية هذه الطريقة، فقد توسط بين الطائفتين ، لكنه يلزمه الرجوع إلى (قول)[١] مثبتي القدر قطعاً، وإلا تناقض أبين تناقض، فإنه إذا زعم أن الضلال والطبع والختم والقفل والوقر وما يحول / بين العبد وبين الإيمان مخلوق لله، وهو واقع بقدرته ومشيئته، فقد أعطى أن أفعال (العبد)[٢] مخلوقة ، وأنها (واقعة)[٣] بمشيئته، فلا فرق بين الفعل الابتدائي والفعل الجزائي إن كان هذا مقدوراً لله واقعاً بمشيئته (فالآخر)[٤] كذلك، وإن لم يكن ذاك مقدوراً، ولا يصح دخوله تحت المشيئة ، فهذا كذلك. والتفريق بين النوعين تناقض محض .

٩١ب

وقد حكى هذا التفريق عن بعض القدرية أبو القاسم الأنصاري [٥] في (شرح)[٦] الإرشاد ، فقال : ولقد اعترف (طوائف من)[٧] القدرية بأن الختم والطبع (موانع)[٨] غير أنها (عقوبات)[٩] من الله لأصحاب الجرائم. قال:

---

(١) ساقطة من ع ، د ، س .

(٢) في ع ، د ، س : العباد

(٣) ساقطة من م .

(٤) في ع ، د ، س : والآخر

(٥) هو سليمان بن ناصر بن عمران بن محمد الأنصاري النيسابوري، أبو القاسم، كان فقيهاً شافعياً ومفسراً متكلماً. من تلاميذ إمام الحرمين الجويني. له كتب منها: (الغنية) في فروع الشافعية، وشرح الإرشاد في أصول الدين. توفي في نيسابور سنة ٥١١هـ. شذرات الذهب (٤/ ٣٤) العبر (٤/ ٢٧-٢٨). سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤١٢).

(٦) في ع، د ، س : شرحه .

(٧) في ع ، د ، س : بعض القدرية .

(٨) في ع ، د ، س : توابع .

(٩) في م : عقوبة .

وممن صار إلى هذا المذهب عبد الواحد بن زيد البصري[(١)] وبكر ابن أخته[(٢)] قال : وسبيل المعاقبين بذلك سبيل المعاقبين بالنار[(٣)]، وهؤلاء (بقي)[(٤)] عليهم درجة واحدة، وقد تحيزوا إلى أهل السنة والحديث .

فصل

وقالت طائفة منهم : الكافر هو الذي طبع على (قلب نفسه)[(٥)] في الحقيقة وختم على قلبه، والشيطان أيضاً فعل ذلك، ولكن لما كان الله سبحانه هو الذي أقدر العبد والشيطان على ذلك، نسب الفعل إليه (لإقداره)[(٦)] للفاعل

---

(١) هو عبد الواحد بن زيد البصري، أبو عبيدة ، حدث عن الحسن البصري وغيره، وحدث عنه محمد بن السماك ووكيع وغيرهما. قال البخاري: تركوه. وقال النسائي متروك الحديث. وقال الذهبي: فارق عمرو بن عبيد لاعتزاله، وقال بصحة الاكتساب، وقد نسب إلى شيء من القدر، ولم يشهر، بل نصب نفسه للكلام في مذاهب النساك، وتبعه خلق . وكان صاحب فنون، داخلاً في معاني المحبة والخصوص، وقد بقي عليه شيء من رؤية الاكتساب، وفي ذلك شيء من أصول أهل القدر، فإن عندهم : لا نجاة إلا بعمل. فأما أهل السنة فيحضون على الاجتهاد في العمل، وليس به النجاة وحده دون رحمة الله. مات بعد الخمسين ومائة . سير أعلام النبلاء (٧/ ١٧٨-١٨٠) وميزان الاعتدال (٢/ ٦٧٢-٦٧٣). والتاريخ الكبير للبخاري (٦/ ٦٢) الضعفاء والمتروكين للنسائي ص (١٦٢) .

(٢) لم أقف له على ترجمة. وإليه تنسب البكرية. وانظر عن آرائه الفرق بين الفرق ص (٢٠٠).

(٣) انظر شرح الإرشاد ق(١٨٠) مخطوط، توجد صورة منه بمركز الملك فيصل بالرياض تحت رقم (٤٢٥/ ف) ولم يشر فيها إلى مكان وجود النسخة الأصل .

(٤) في ع ، د ، س : قد بقي .

(٥) في د : قلبه بنفسه .

(٦) في ع ، س : لإقراره .

على ذلك (لا)[١] لأنه هو الذي فعله .

قال أهل السنة والعدل : هذا الكلام فيه حق وباطل، فلا يقبل مطلقاً، ولا يرد مطلقاً. فقولكم : إن الله سبحانه أقدر الكافر والشيطان على الطبع والختم كلام باطل، فإنه لم يقدره إلا على التزيين والوسوسة والدعوة إلى الكفر، ولم يقدره على خلق ذلك في قلب العبد البتة، وهو أقل من ذلك وأعجز، وقد قال النبي ﷺ : « بُعثت داعياً ومبلّغاً، وليس إليّ من الهداية شيء، وخلق إبليس مزيناً، وليس إليه من الضلالة شيء »[٢] .

فمقدور الشيطان أن يدعو العبد إلى فعل الأسباب التي إذا فعلها ختم الله على قلبه وسمعه، وطبع عليه، كما يدعوه إلى الأسباب التي إذا فعلها عاقبه الله بالنار، فعقابه بالنار / كعقابه بالختم والطبع، وأسباب العقاب فعله، وتزيينها وتحسينها فعل الشيطان، والجميع مخلوق لله . ١٩٢أ

وأما ما في هذا الكلام من الحق، فهو أن الله سبحانه أقدر العبد على الفعل الذي أوجب الطبع والختم على قلبه، فلولا إقدار الله (له)[٣] على ذلك لم يفعله.

وهذا حق، لكن القدرية لم توف هذا الموضع حقه. وقالت : أقدره قدرة تصلح للضدين، فكان فعل أحدهما باختياره ومشيئته التي لا تدخل تحت مقدور الرب، وإن دخلت قدرته الصالحة لهما تحت مقدوره سبحانه، فمشيئته واختياره وفعله غير واقع تحت مقدور الرب. وهذا من أبطل الباطل، فإن كل ما سواه مخلوق له، داخل تحت قدرته، واقع بمشيئته، فلو لم يشأ لم يكن .

---

(١) ساقطة من : م ، ع ، س .

(٢) سبق تخريج هذا الحديث في ص (٥٧٥) .

(٣) ساقطة من م .

(قالت)[١] القدرية : لما أعرضوا عن التدبر، ولم يصغوا إلى التذكر، وكان ذلك مقارناً لإيراد الله سبحانه حجته عليهم، أضيفت أفعالهم إلى الله تعالى؛ لأن حدوثها إنما اتفق عند إيراد الحجة عليهم .

قال أهل السنة : هذا من أمحل المحال، أن يضيف الرب إلى نفسه أمراً لا يضاف إليه البتة لمقارنته ما هو من فعله. ومن المعلوم أن الضد يقارن الضد، فالشر يقارن الخير، والحق يقارن الباطل، والصدق يقارن الكذب، وهل يقال: إن الله سبحانه يحب الكفر والفسوق والعصيان لمقارنتها ما يحبه من الإيمان والطاعة، وإنه يحب إبليس لمقارنة وجوده لوجود الملائكة؟! .

فإن قيل : قد ينسب الشيء إلى الشيء لمقارنته له، وإن لم يكن له فيه تأثير، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾[٢] . ومعلوم أن السورة لم تحدث لهم زيادة رجس، بل قارن زيادة رجسهم (لنزولها)[٣] فنسب إليها.

قيل : لم ينحصر الأمر (في)[٤] هذين الأمرين اللذين ذكرتهما / وهما ٩٢ب إحداث السورة الرجس، والثاني: مقارنته لنزولها، بل ها هنا أمر ثالث ، وهو أن السورة لما أنزلت اقتضى نزولها الإيمان بها، والتصديق والإذعان لأوامرها ونواهيها، والعمل بما فيها، فوطّن المؤمنون أنفسهم على ذلك، فزادوا إيماناً بسببها. فنسبت زيادة الإيمان إليها، إذ هي السبب في زيادته، وكذّب بها

---

(١) في ع ، س : قلت، وفي د : قال .

(٢) سورة التوبة آية ١٢٤-١٢٥ .

(٣) في د ، س : نزولها .

(٤) في ع : إلا في .

الكافرون وجحدوها، وكذبوا من جاء بها، ووطنوا أنفسهم على مخالفة ما تضمنته وإنكاره، فازدادوا بذلك رجساً، فنسب إليها؛ إذ كان نزولها ووصولها إليهم هو السبب في تلك الزيادة، فأين هذا من نسبة الأفعال القبيحة عندكم، التي لا تجوز نسبتها إلى الله عند دعوتهم إلى الإيمان وتدبر آياته. على أن أفعالهم القبيحة لا تنسب إلى الله سبحانه، وإنما هي منسوبة إليهم، والمنسوب إليه سبحانه أفعاله الحسنة الجميلة المتضمنة للغايات المحمودة والحكم المطلوبة. فالختم والطبع والقفل والإضلال أفعال حسنة من الله، ووضعها في أليق المواضع بها؛ إذ لا يليق بذلك المحل الخبيث غيرها. والشرك والكفر والمعاصي والظلم أفعالهم القبيحة التي لا تنسب إلى الله فعلاً، وإن نسبت إليه خلقاً، فخلقها غيرها والخلق غير المخلوق، والفعل غير المفعول والقضاء غير المقضي، والقدر غير المقدور، وتستمر بك هذه المسألة مستوفاة إن شاء الله في باب اجتماع الرضا بالقضاء وسخط الكفر والفسوق والعصيان إنشاء الله[1] .

(قالت)[2] القدرية : لما بلغوا في الكفر إلى حيث لم يبق طريق إلى (تحصيل)[3] الإيمان لهم إلا بالقسر والإلجاء، ولم تقتض حكمته تعالى أن يقسرهم على الإيمان لئلا تزول حكمة التكليف، عبر عن ترك الإلجاء والقسر بالختم والطبع إعلاماً (بأنهم)[4] انتهوا في الكفر والإعراض إلى حيث لا ينتهون عنه إلا بالقسر، وتلك الغاية (في)[5] وصف لجاجهم وتماديهم في الكفر .

١٩٣أ قال أهل السنة : هذا كلام باطل؛ فإنه سبحانه قادر على أن يخلق / فيهم

(١) سيذكر المؤلف ذلك في الباب الثامن والعشرين .

(٢) في ع ، د : قال .

(٣) ساقطة من ع ، د ، س .

(٤) في ع ، د س : لهم بأنهم .

(٥) ساقطة من م ، ت .

مشيئة الإيمان وإرادته ومحبته، فيؤمنون بغير قسر ولا إلجاء، بل إيمان اختيار وطاعة، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾(١) وإيمان القسر والإلجاء لا يسمى إيماناً، ولهذا يؤمن الناس كلهم يوم القيامة، ولا يسمى ذلك إيماناً؛ لأنه عن إلجاء واضطرار، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾(٢) وما يحصل للنفوس من المعرفة والتصديق بطريق الإلجاء والاضطرار والقسر لا يسمى هدى، وكذلك قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾(٣) فقولكم: لم يبق طريق إلى (إيمانهم)(٤) إلا القسر باطل، فإنه بقي إلى إيمانهم طريق لم يرهم الله إياه وهو مشيئته وتوفيقه وإلهامه، وإمالة قلوبهم إلى الهدى وإقامتها على الصراط المستقيم، وذلك أمر لا يعجز عنه رب كل شيء ومليكه، بل هو القادر عليه كقدرته على (خلق)(٥) ذواتهم وصفاتهم وذرياتهم، ولكن منعهم ذلك لحكمته وعدله فيهم وعدم استحقاقهم وأهليتهم لبذل ذلك لهم، كما منع السفل خصائص العلو، ومنع الحار خصائص البارد، ومنع الخبيث خصائص الطيب. ولا يقال: فلم فعل هذا؟ فإن ذلك من لوازم ملكه وربوبيته ومن مقتضيات أسمائه وصفاته، وهل يليق بحكمته أن يسوي بين الطيب والخبيث، والحسن والقبيح، والجيد والرديء ؟! ومن لوازم الربوبية خلق الزوجين وتنويع المخلوقات وأخلاقها .

---

(١) سورة يونس آية ٩٩ .

(٢) سورة السجدة آية ١٣ .

(٣) سورة الرعد آية ٣١ .

(٤) في ع ، د س : الإيمان .

(٥) في ع ، د س : خلقه .

فقول القائل : لم خلق الرديء والخبيث واللئيم ؟ سؤال جاهل بأسمائه وصفاته، وملكه وربوبيته، وهو سبحانه فرق بين خلقه أعظم تفريق، وذلك من كمال قدرته وربوبيته فجعل منه ما يقبل جميع الكمال الممكن، ومنه ما لا يقبل شيئاً منه، وبين ذلك درجات متفاوتة لا يحصيها إلا الخلاق العليم. وهدى / كل نفس إلى حصول ما هي قابلة له، والقابل والمقبول كله مفعوله ومخلوقه، وأثر فعله وخلقه. وهذا هو الذي ذهب عن الجبرية والقدرية، ولم يهتدوا إليه، وبالله التوفيق .

٨٣ب

قالت القدرية : الختم والطبع هو شهادته سبحانه عليهم بأنهم لا يؤمنون، وعلى أسماعهم وعلى قلوبهم .

قال أهل السنة : هذا قولكم بأن الختم والطبع هو الإخبار عنهم بذلك، وقد تقدم فساد هذا بما فيه كفاية، وأنه لا يقال في لغة من لغات الأمم لمن أخبر عن غيره بأنه مطبوع على قلبه وأن عليه (ختماً)[1] إنه قد طبع على قلبه وختم عليه، بل هذا كذب على اللغات وعلى القرآن، وكذلك قول من قال : إن ختمه على قلوبهم اطلاعه على ما فيها من الكفر. وكذلك قول من قال : إنه إحصاؤه عليهم حتى يجازيهم به، وقول من قال : إنه إعلامها بعلامة تعرفها بها الملائكة. وقد بينا بطلان ذلك بما فيه كفاية .

قالت القدرية : لا يلزم من الطبع والختم والقفل أن تكون مانعة من الإيمان، بل يجوز أن يجعل الله فيهم ذلك من غير أن يكون منعهم من الإيمان، بل يكون ذلك من جنس الغفلة والبلادة والعشى في البصر، فيورث ذلك إعراضاً عن الحق وتعامياً / عنه، ولو أنعم النظر، وتفكر وتدبر لما آثر على الإيمان غيره .

١٩٤أ

(١) في م ، ت : ختم .

وهذا الذي قالوه يجوز أن يكون في أول الأمر، فإذا تمكن واستحكم من القلب ورسخ فيه امتنع معه الإيمان، ومع هذا فهو أثر فعله وإعراضه وغفلته وإيثار شهوته، وكبره على الحق والهدى، فلما تمكن واستحكم صار صفة راسخة وطبعاً وختماً وقفلاً وراناً، فكان مبدؤه غير حائل بينهم وبين الإيمان، والإيمان ممكن معه، ولو شاؤوا لآمنوا مع مبادئ تلك الموانع، فلما استحكمت لم يبق إلى الإيمان سبيل. ونظير هذا أن العبد يستحسن ما يهواه، فيميل إليه بعض الميل، ففي هذا الحال يمكن صرف (دواعيه وعشقه)[1] له؛ إذ الأسباب لم تستحكم، فإذا استمر على ميله ، واستدعى أسبابه (واستحكمت)[2] لم يمكنه صرف قلبه عن الهوى والمحبة، فيطبع على قلبه ويختم عليه، فلا يبقى فيه محل لغير ما يهواه ويحبه، فكان الانصراف (عن الغي)[3] مقدوراً له في أول الأمر، فلما تمكنت أسبابه، لم يبق مقدوراً له كما قال الشاعر :

تولع بالعشق حتى عشق ... فلما استقل به لم يطق
رأى لجة ظنها موجة ... فلما تمكن منها غرق[4]

فلو أنهم بادروا في مبدأ الأمر إلى مخالفة الأسباب الصادة عن الهدى؛ لسهل

---

(١) في ع ، د ، س : الداعية .
(٢) في ع ، د ، س : واستمكنت .
(٣) ساقطة من ع ، د ، س .
(٤) لم أقف على اسم قائلهما ، وقد ذكرهما المؤلف في كتابه روضة المحبين ص ١٦٣، تحقيق د.سيد الجميلي ، ط الثالثة ١٤١٢هـ ، نشر دار الكتاب العربي، بيروت. وفي كتابه الكلام على مسألة السماع ص (٣٦٤) تحقيق الشيخ راشد بن عبدالعزيز الحمد، طب الأولى ١٤٠٩هـ ، نشر دار العاصمة بالرياض. وسيذكرهما في هذا الكتاب ـ مرة أخرى ـ في ص(٦٦٥).

عليهم ولما استعصى عليهم، ولقدروا عليه .

ونظير ذلك المبادرة إلى إزالة العلة قبل استحكام أسبابها، ولزومها للبدن لزوماً لا ينفك منها، فإذا استحكمت العلة وصارت كالجزء من البدن عز على الطبيب استنقاذ العليل منها .

ونظير ذلك المتوحل في حمأة[١]، فإنه ما لم يدخل تحتها، فهو قادر على التخلص، فإذا توسط معظمها عز عليه وعلى غيره إنقاذه، فمبادئ الأمور مقدورة للعبد، فإذا (تحكمت)[٢] أسبابها (منه)[٣] وتمكنت لم يبق (الأمر)[٤] مقدور له . فتأمل هذا الموضوع حق التأمل، فإنه من أنفع الأشياء في باب القدر، والله الموفق للصواب.

٩٤ب والله سبحانه جاعل ذلك كله وخالقه / فيهم بأسباب منهم، وتلك الأسباب قد تكون أموراً عديمة يكفي فيها عدم مشيئة أضدادها، فلا يشاء سبحانه أن يخلق للعبد أسباب الهدى، فيبقى على العدم الأصلي، وإن أراد من عبده الهداية، فهي لا تحصل حتى يريد من نفسه إعانته وتوفيقه، فإذا لم يرد سبحانه من (نفسه)[٥] ذلك لم تحصل له الهداية .

فصل

ومما ينبغي أن يعلم أنه لا يمتنع مع الطبع والختم والقفل حصول الإيمان، بأن يفك الذي ختم على القلب وطبع عليه وضرب عليه القفل ذلك الختم

---

(١) الحمأة : طين أسود . المصباح المنير ص (١٥٣) مادة (حمي) .

(٢) في ع ، د ، س : استحكمت .

(٣) ساقطة من ع ، د ، س .

(٤) في م ، ت : الأثر .

(٥) في م : عنده .

والطابع والقفل، ويهديه بعد (ضلاله)[١] ، ويعلمه بعد جهله، ويرشده بعد غيه، ويفتح قفل قلبه بمفاتيح توفيقه التي هي بيده، حتى لو كتب على جبينه الشقاوة والكفر لم يمتنع أن يمحوها ويكتب عليه السعادة والإيمان.

وقرأ قارئ عند عمر بن الخطاب: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[٢] وعنده شاب فقال: اللهم عليها أقفالها، ومفاتيحها بيدك لا يفتحها سواك[٣]، فعرفها له عمر وزادته عنده خيراً .

وكان عمر رضي الله عنه يقول في دعائه : « **اللهم إن كنت كتبتني شقياً فامحني، واكتبني سعيداً، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت** »[٤] .

---

(١) في م ، ت : ضلالته .

(٢) سورة محمد آية ٢٤ .

(٣) أورد المؤلف الأثر على أنه موقوف على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولم أعثر له على تخريج، وقد روى سهل بن سعد رضي الله عنه أنه عند رسول الله ﷺ حيث قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ وغلامٌ جالس عند رسول الله ﷺ فقال : بلى والله يا رسول الله : إن عليها لأقفال لا يفتحها إلا الذي أقفلها، فلما وَلِيَ عمرُ طَلَبَه ليستعمله، وقال: إنه لم يقل ذلك إلا من عقل. ورواية سهل بن سعد هذه أخرجها: اللالكائي في السنة (٣/ ٥٥١) . والبغوي في شرح السنة (٣/ ٥٥). والبيهقي في كتاب القدر ص(٢٢٥). والطبري في تفسيره (٢٦/ ٥٨). والذهبي في ميزان الاعتدال (٤/ ١٧٦) في ترجمة مقدام بن داود. والسيوطي في الدر المنثور (٥٠١٧) ونسبها إلى الدارقطني في الأفراد. وابن مردويه. وفي سند هذا الحديث ذؤيب ابن عمامة. قال الذهبي: ضعيف. وفي سنده ـ أيضاً مقدام بن داود. قال فيه النسائي: ليس بثقة، وقال ابن يونس وغيره: تكلموا فيه، وقال محمد بن يوسف الكندي : كان فقيهاً مفتياً لم يكن بالمحمود في الرواية. ميزان الاعتدال (٤/ ١٧٦) .

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره (١٣/ ١٦٧-١٦٨). واللالكائي في السنة (٤/ ٦٦٣-٦٦٤) والبخاري في التاريخ الكبير (٧/ ٦٣). والدولابي في الكنى (ص١٥٥) والبيهقي =

فالرب تعالى فعال لما يريد، لا حجر عليه. وقد ضل ها هنا فريقان: القدرية حيث زعمت أن ذلك ليس مقدوراً للرب، ولا يدخل تحت فعله، إذ لو كان مقدوراً له ومنعه العبد لناقض جوده ولطفه. والجبرية حيث زعمت أنه سبحانه إذا قدر قدراً أو علم شيئاً، فإنه لا يغيره بعد هذا، ولا يتصرف فيه بخلاف ما قدره وعلمه.

والطائفتان حجرت على من لا يدخل تحت حجر أحد أصلاً. وجميع خلقه تحت حجره شرعاً وقدراً.

وهذه المسألة من أكبر مسائل القدر، وسيمر بك إن شاء الله في باب المحو والإثبات ما يشفيك فيها. والمقصود أنه مع الطبع والختم والقفل لو تعرض العبد (لفك)[1] ذلك الختم والطابع. وفتح ذلك القفل، (لفتحه)[2] من بيده مفاتيح كل / شيء، وأسباب الفتح مقدورة للعبد غير ممتنعة عليه، وإن كان فك الختم وفتح القفل غير مقدور له، كما أن شرب الدواء مقدور له، وزوال العلة وحصول العافية غير مقدورة (له)[3]، فإذا استحكم به المرض وصار صفة (لازمة)[4] لم يكن له عذر في تعاطي ما إليه من أسباب الشفاء وإن كان غير مقدور له، ولكن لما ألف العلة وساكنها، ولم يحب

195أ

= (ص١٤٩-١٥٠) وذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥١٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٦٦١) ونسبه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(١) في: ع: أمكنه، وفي د، س: أمكنه فك ذلك.

(٢) في ع، د، س: يفتحه.

(٣) ساقطة من ع، د، س.

(٤) في ع، د، س: لازمة له.

زوالها، ولا آثر ضدها عليها، مع معرفته بما بينها وبين ضدها من التفاوت، فقد سد على نفسه باب الشفاء بالكلية، والله سبحانه يهدي عبده إذا كان ضالاً، وهو يحسب أنه على هدى، فإذا تبين له الهدى لم يعدل عنه لمحبته (له)[١] وملاءمته لنفسه. فإذا عرف الهدى فلم يحبه ولم يرض به، وآثر عليه الضلال مع تكرر تعريفه منفعة هذا وخيره، ومضرة هذا وشره، فقد سد على نفسه باب الهدى بالكلية، فلو أنه في هذه الحال تعرض وافتقر إلى من بيده هداه، وعلم أنه ليس إليه هدى نفسه، وأنه إن لم يهده فهو ضال، سأل الله أن (يقبل بقلبه)[٢] وأن يقيه شر نفسه (لوفقه)[٣] وهداه. بل لو علم الله منه كراهية لما هو عليه من الضلال ، وأنه مرض قاتل (له)[٤] وإن لم يشفه منه أهلكه، لكانت كراهته (له)[٥] وبغضه إياه ـ مع كونه مبتلى به ـ من أسباب الشفاء والهداية ولكن من أعظم أسباب الشقاء والضلال محبته له ورضاه به وكراهته (للهدى)[٦] والحق، فلو أن المطبوع على قلبه المختوم عليه كره ذلك، ورغب إلى الله في فك ذلك عنه، وفعل مقدوره؛ لكان هداه أقرب شيء إليه، لكن إذا استحكم الطبع والختم (والقفل)[٧] حال بينه وبين كراهة ذلك وسؤال الرب فكه وفتح قلبه.

---

(١) ساقطة من ع ، د ، س .
(٢) في د ، يقيل قلبه .
(٣) في ع ، د ،س : وفقه .
(٤) ساقطة من ع ، د ، س .
(٥) في ع ، د ، س : الهدى .
(٦) إضافة من ع .
(٧) إضافة من ع .

فصل

فإن قيل : فإذا جوزتم أن يكون الطبع والختم والقفل عقوبة وجزاءً على الجرائم والإعراض والكفر السابق (فكيف يمكنكم طرد ذلك في الختم والطبع السابق على فعل /)[1] الجرائم؟!. ٩٥ب

قيل : هذا موضع يغلط فيه أكثر الناس، ويظنون بالله سبحانه خلاف موجب أسمائه وصفاته. والقرآن من أوله إلى آخره إنما يدل على أن الطبع والختم والغشاوة لم يفعلها الرب سبحانه بعبده من أول وهلة حين أمره بالإيمان (و)[2] بينه له، وإنما فعله (به)[3] بعد (تكرر)[4] الدعوة منه سبحانه والتأكيد في البيان والإرشاد (وتكرر)[5] الإعراض منهم والمبالغة في الكفر والعناد، فحينئذ يطبع على قلوبهم ويختم عليها، فلا تقبل الهدى بعد ذلك.

والإعراض والكفر الأول لم يكن مع ختم وطبع، بل كان اختياراً فلما تكرر منهم صار طبيعة وسجية، فتأمل هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[6] . ومعلوم أن هذا ليس حكماً يعم جميع الكفار، بل الذين آمنوا وصدقوا الرسل كان أكثرهم كفاراً قبل ذلك، ولم يختم على قلوبهم وأسماعهم . فهذه

(١) ما بين القوسين ساقط من ع ، د ، س .

(٢) في ع ، د ، س : أو .

(٣) ساقطة من ع ، د ، س .

(٤) في ع ، د ، س : تكرار .

(٥) في د ، س : تكرار .

(٦) سورة البقرة آية ٦-٧ .

الآيات في حق أقوام مخصوصين من الكفار، فعل الله بهم ذلك عقوبة منه لهم في الدنيا بهذا النوع من العقوبة العاجلة، فهو سبحانه يعاقب بعضهم بالمسخ قردة وخنازير، وبعضهم بالطمس على أعينهم: فهو سبحانه يعاقب بالطمس على القلوب، كما يعاقب بالطمس على الأعين، فهو سبحانه قد يعاقب بالضلال عن الحق عقوبة دائمة مستمرة، وقد يعاقب به إلى وقت، ثم يعافي عبده ويهديه، كما يعاقب بالعذاب كذلك .

فصل

وهاهنا عدة أمور عاقب بها الكفار بمنعهم عن الإيمان، وهي الختم، والطبع، والأكنة، والغطاء، والغلاف، والحجاب، والغشاوة، والران، والغل، والسد، والقفل، والصمم، والوقر، والبكم، والعمى، والصد (والصرف، والشد على القلوب، والضلال)[1] وإزاغة القلوب، والخذلان والإغفال، والمرض، وتقليب الأفئدة، والحول بين المرء وقلبه، والإركاس، والتثبيط والتزيين / وعدم إرادة هداهم وتطهيرهم، وإماتة قلوبهم (بعدم)[2] خلق ١٩٦أ الحياة فيها، فتبقى على الموت الأصلي، وإمساك النور عنها فتبقى في الظلمة الأصلية، وجعل (القلب)[3] قاسياً لا ينطبع فيه مثال الهدى وصورته، وجعل الصدر ضيقاً حرجاً لا يقبل الإيمان .

وهذه الأمور منها ما يرجع إلى القلب كالختم والطبع والقفل والأكنة والإغفال والمرض ونحوها، (ومنها)[4] ما يرجع إلى رسوله الموصل إليه الهدى؛

---

(١) ما بين القوسين ساقط من ت .

(٢) في ع ، د ، س : بعد .

(٣) في د : القلب قلباً .

(٤) ساقط من ع ، د .

كالصمم والوقر، (ومنها ما يرجع إلى طليعته ورائده كالعمى والعشا)[١] ومنها ما يرجع إلى ترجمانه ورسوله المبلغ عنه كالبكم النطقي، وهو نتيجة البكم القلبي، فإذا بكم القلب بكم اللسان. ولا تصغ إلى قول من يقول: إن هذه مجازات واستعارات، فإنه قال بحسب مبلغه من العلم والفهم عن الله ورسوله . كأن هذا القائل حقيقة القفل عنده أن يكون من حديد، والختم أن يكون بشمع أو طين، والمرض أن يكون حمى بنافض أو قولنج[٢] أو غيرهما من أمراض البدن، والموت هو مفارقة الروح البدن ليس إلا، والعمى ذهاب ضوء العين الذي تبصر به . وهذه الفرقة من أغلظ الناس حجاباً، فإن هذه الأمور إذا أضيفت إلى محالها كانت بحسب تلك المحال، فنسبة قفل القلب إلى القلب كنسبة قفل الباب إليه، وكذلك الختم والطابع الذي هو عليه هو بالنسبة إليه كالختم والطابع الذي على الباب والصندوق ونحوهما، وكذلك نسبة الصمم والعمى (إليه : نسبة الصمم والعمى)[٣] إلا الأذن والعين، وكذلك موته وحياته نظير موت البدن وحياته، بل هذه الأمور ألزم للقلب منها للبدن، فلو قيل: إنها حقيقة في ذلك، مجاز في الأجسام المحسوسة، لكان مثل قول هؤلاء وأقوى منه. وكلاهما باطل، فالعمى في الحقيقة والبكم والموت والقفل للقلب، ثم قال تعالى:﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾[٤] / * (وهذا النفي يحتمل وجهين : ٩٦ب

---

(١) ساقط من م .

(٢) القولنج ـ بفتح اللام أو كسرها، وفتح القاف وضمها ـ: مرض معوي مؤلم يعسر معه خروج الثفل والريح. القاموس المحيط ص (٢٥٩) مادة (قلج) .

(٣) ساقطة من ع ، د ، س ، .

(٤) سورة الحج آية ٤٦ .

أحدهما: أن يكون المعنى أن أبصارهم لم تعم عن رؤية آياتنا، بل (رأوها)(١) عياناً، ولكن عميت قلوبهم عنها ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾(٢) ثم قال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ أي قد رأوا وأبصروا، ولكن عميت قلوبهم ولم يبصروا.

الوجه الثاني: أن يكون المعنى أنه ليس العمى في الحقيقة عمى البصر إذا كان القلب مبصراً، وإنما العمى الحقيقي عمى القلب الذي في الصدر)*(٣). والمعنى أنه معظم العمى، وأصله، وهذا كقوله ﷺ: «**إنما الربا في النسيئة**»(٤)، وقوله: «**إنما الماء من الماء**(٥)»(٦) وقوله: «**ليس الغنى عن كثرة**

---

(١) في ت: ورأيها.

(٢) سورة الحج آية ٤٦.

(٣) ما بين النجمتين ساقط من ع، د، س.

(٤) هذا الحديث أوله قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: الدينار بالدينار والدرهم بالدرهم مثلاً بمثل، من زاد أو ازداد فقد أربى، وقول أبي سعيد عندما قيل له: إن ابن عباس يقول غير هذا: لقد لقيت ابن عباس، فقلت: أرأيت هذا الذي تقول، أشيء سمعته من رسول الله ﷺ أو وجدته في كتاب الله عز وجل؟ فقال: لم أسمعه من رسول الله ﷺ، ولم أجده في كتاب الله، ولكن حدثني أسامة بن زيد أن النبي ﷺ قال: «الربا في النسيئة». وهذا اللفظ لمسلم. وفي رواية: «إنما الربا في النسيئة». والحديث أخرجه:
- البخاري (٣/ ٣١) ك البيوع ـ باب بيع الدينار بالدينار نساءً.
- ومسلم (٣/ ١٢١٧-١٢١٩) ك المساقاة ـ باب بيع الطعام مثلاً بمثل.
- والنسائي (٧/ ٢٨١) ك البيوع ـ باب بيع الفضة بالذهب وبيع الذهب بالفضة.
- وابن ماجة (٢/ ٧٥٨) ك التجارات ـ باب من قال: لا ربا إلا في النسيئة.
- والإمام أحمد (٥/ ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٠٩).

(٥) قوله: «إنما الماء من الماء» قال ابن حجر في فتح الباري (١/ ٣٩٨): المراد بالماء الأول: ماء الغسل، وبالثاني: المني.

(٦) هذا الحديث رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه وأخرجه مسلم (١/ ٢٦٩) ك الحيض ـ باب إنما الماء من الماء بلفظ «**إنما الماء من الماء**». وأخرجه أيضاً مطولاً (١/ ٢٦٩) =

....

ولفظه: قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه خرجت مع رسول الله ﷺ يوم الاثنين إلى قباء، حتى إذا كنا في بني سالم وقف رسول الله ﷺ على باب عتبان فصرخ به، فخرج يجر إزاره، فقال رسول الله ﷺ : «أعجلنا الرجل» فقال عتبان: يا رسول الله أرأيت الرجل يعجل امرأته ولم يمن ماذا عليه؟ قال رسول الله ﷺ : «إنما الماء من الماء» . وأخرجه أبو داود (١/ ٣٦٦) ك الطهارة ـ باب في الإكسال . مختصراً. والترمذي (١/ ١٨٦) ك الطهارة ـ باب ما جاء أن الماء من الماء. والإمام أحمد (٣/ ٢٩، ٣٦) مختصراً. وابن خزيمة في صحيحه (١/ ١١٧) مختصراً. وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣/ ٤٤٣) مختصراً والبيهقي في سننه (١/ ١٦٧). وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٤٣٢) مطولاً، ورواه البخاري في صحيحه (١/ ٥٢-٥٣) ك الوضوء ـ باب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين القبل والدبر. مقتصراً على ذكر القصة فقط. ومثله الإمام أحمد في المسند (١/ ٢٣) . وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣/ ٤٤٥-٤٤٦) . وفي الباب عن أبي أيوب رضي الله عنه، عند النسائي(١/ ١١٥) ك الوضوء ـ باب الذي يحتلم ولا يرى الماء. وابن ماجه(١/ ١٩٩) ك الطهارة ـ باب الماء من الماء. والإمام أحمد(٥/ ٤١٦، ٤٢١) والدارمي(١/ ١٩٤). والطبراني في المعجم الكبير(٤/ ٣١٧) . وفي الباب أيضاً عن رافع بن خديج. وعتبان بن مالك، وأبي هريرة. وقد جمع طرق هذا الحديث الحازمي في الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ص (١٢٤-١٢٨) تحقيق د.عبد المعطي قلعجي، ط الثانية ١٤١٠هـ، نشر جامعة الدراسات الإسلامية بالباكستان. وانظر التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير لابن حجر العسقلاني (١/ ١٣٤-١٣٥) نشر دار الكتب الإسلامية بلاهور بالباكستان. قال الترمذي(١/ ١٨٥): وإنما كان الماء من الماء في أول الإسلام، ثم نسخ بعد ذلك، وهكذا روى غير واحد من أصحاب النبي ﷺ منهم : أبي بن كعب ورافع بن خديج. والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم: على أنه إذا جامع الرجل امرأته في الفرج وجب عليهما الغسل وإن لم ينزلا. انظر: فتح الباري(١/ ٣٩٧-٣٩٨). وعون المعبود شرح سنن أبي داود لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي (١/ ٣٦٣-٣٦٨). وشرح أحمد شاكر لجامع الترمذي(١/ ١٨٦-١٨٩).

العرض[1] إنما الغنى غنى النفس »[2].

وقوله: **«ليس المسكين الطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، إنما المسكين الذي لا يجد ما يغنيه، ولا يفطن له فيتصدق عليه»[3].**

---

(١) العرض بالتحريك: متاع الدنيا وحطامها. النهاية لابن الأثير (٣/ ٢١٤).

(٢) هذا الحديث من رواية أبي هريرة رضي الله عنه ، وأخرجه البخاري(٧/ ١٧٨) ك الرقاق ـ باب الغنى غنى النفس . ومسلم (٢/ ٧٢٦) ك الزكاة ـ باب ليس الغنى عن كثرة العرض . والترمذي(٤/ ٥٠٦) ك الزهد ـ باب ما جاء أن الغنى غنى النفس. وقال : هذا حديث حسن صحيح . وابن ماجه (٢/ ١٣٨٦) ك الزهد ـ باب القناعة. والإمام أحمد (٢/ ٢٤٣، ٢٦١، ٣١٥، ٣٩٠، ٤٣٨، ٤٤٣، ٥٣٩، ٥٤٠). وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢/ ٤٥٣). والقاضي محمد بن سلامة القضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٢١١-٢١٢) . وأبو يعلى في مسنده (١١/ ١٣٣)، (٥/ ٤٠٤). وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٩٩). والبغوي في شرح السنة:(١٤/ ٢٤٣).

(٣) هذا الحديث من رواية أبي هريرة ، وأخرجه : البخاري(٢/ ١٣٢) ك الزكاة ـ باب من سأل الناس تكثراً. وفي (٥/ ١٦٤) ك تفسير القرآن ـ تفسير سورة البقرة. باب قول الله تعالى: ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾، ومسلم (٢/ ٧١٩-٧٢٠)ك الزكاة ـ باب المسكين الذي لا يجد غنى ، ولا يفطن له فيتصدق عليه. وأبو داود (٥/ ٣٩-٤٠) ك الزكاة ـ باب من يعطى من الصدقة وحد الغنى، المطبوع مع شرحه عون المعبود. والنسائي في سننه الكبرى ـ كتاب التفسير(١/ ٢٨٤) تفسير سورة البقرة. وفي المجتبى(٥/ ٨٥) ك الزكاة ـ باب تفسير المسكين. والإمام مالك في الموطأ ص (٥٧٥) ك صفة النبي ﷺ باب ما جاء في المساكين. والإمام أحمد (٢/ ٢٦٠، ٣١٦، ٣٩٣ ، ٣٩٥ ،٤٤٥، ٤٥٧، ٤٦٩ ،٥٠٦). والدارمي (١/ ٣١٨) ك الزكاة ـ باب المسكين الذي يتصدق عليه. وأبو يعلى في مسنده(١١/ ٢٢٠-٢٢١). والبيهقي في سننه (٧/ ١١) ك الصدقات ـ باب ما يستدل به على أن الفقير أمس حاجة من المسكين. والبغوي في تفسيره(١/ ٢٦٠) تفسير سورة البقرة. وفي شرح السنة (٦/ ٨٦-٨٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور(٢/ ٩٠) وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن المنذر.

وقوله : «ليس الشديد بالصرعة[١] إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب »[٢] .

ولم يرد نفي الاسم عن هذه المسميات ، وإنما أراد أن هؤلاء أولى بهذه الأسماء وأحق ممن يسمونه بها، فهكذا قوله تعالى: ﴿لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾[٣] . وقريب من هذا قوله تعالى : ﴿۞لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[٤] الآية. وعلى التقديرين فقد أثبت للقلب عمى حقيقة، وهكذا جميع ما نسب إليه.

ولما كان القلب ملك الأعضاء، وهي جنوده، وهو الذي يحركها ويستعملها، والإرادة والقوى والحركة الاختيارية (منه)[٥] تنبعث، كانت هذه (الأشياء له)[٦] أصلاً (وللأعضاء)[٧] تبعاً .

---

(١) الصرعة ـ بضم الصاد وفتح الراء ـ: المبالغ في الصراع الذي لا يغلب ، فنقله إلى الذي يغلب نفسه عند الغضب ويقهرها، فإنه إذا ملكها كان قد قهر أقوى أعدائه وشر خصومه. النهاية لابن الأثير(٣/ ٢٤).

(٢) هذا الحديث من رواية أبي هريرة، وأخرجه البخاري (٧/ ٩٩) ك الأدب باب الحذر من الغضب . ومسلم (٤/ ٢٠١٤) ك البر والصلة والآداب ـ باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب. والنسائي في عمل اليوم والليلة ص ٣٠٧-٣٠٨. والإمام أحمد (٢/ ٥١٧،٢٦٨،٢٣٦). وفي الباب عند عبد الله بن مسعود عند أبي داود (١٣/ ١٣٧) ك الأدب ـ باب في كظم الغيظ. والإمام أحمد (١/ ٣٨٢).

(٣) سورة الحج آية ٤٦.

(٤) سورة البقرة آية ١٧٧ .

(٥) ساقطة من ع ، د ، س .

(٦) في ع ، د ، س : الأمثال .

(٧) في م ، ت : والأعضاء .

فلنذكر هذه الأمور مفصلة ومواقعها في القرآن فقد تقدم الختم . قال الأزهري : أصله التغطية ، وختم البذر في الأرض: إذا غطاه[١] .

وقال أبو إسحاق: معنى ختم وطبع في اللغة واحد، / وهو التغطية على ١٩٧أ الشيء والاستيثاق منه، فلا يدخله شيء، كما قال تعالى: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[٢] وكذلك قوله تعالى: ﴿ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ[٣]﴾[٤] .

قلت : الختم والطبع يشتركان فيما ذكر، ويفترقان في معنى آخر، وهو أن الطبع ختم يصير سجية وطبيعة ، فهو تأثير لازم لا يفارق.

وأما الأكنة، ففي قوله تعالى :﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾[٥] وهي جمع كنان، كعنان وأعنة، وأصله من الستر والتغطية، ويقال: كنه وأكنه وليسا بمعنى واحد، بل بينهما فرق، فأكنه إذا ستره وأخفاه، كقوله تعالى:﴿ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾[٦] وكنّه: إذا صانه وحفظه، كقوله: ﴿بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾[٧] ويشتركان في الستر . والكنان: ما أكن الشيء وستره، وهو كالغلاف. وقد أقروا على أنفسهم بذلك، فقالوا: ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾[٨] فذكروا غطاء القلب، وهي

---

(١) انظر تهذيب اللغة للأزهري (٣١٦/٧) مادة (ختم) .

(٢) سورة محمد آية ٢٤

(٣) سورة النحل آية ١٠٨ ، وسورة محمد آية ١٦ .

(٤) انظر معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج (٨٢/١).

(٥) سورة الأنعام آية ٢٥، وسورة الإسراء آية ٤٦ .

(٦) سورة البقرة آية ٢٣٥.

(٧) سورة الصافات آية ٤٩ .

(٨) كما حكى الله عنهم ذلك في سورة فصلت آية ٥.

الأكنة، وغطاء الأذن وهو الوقر، وغطاء العين وهو الحجاب. والمعنى: لا نفقه كلامك، ولا نسمعه، ولا نراك، والمعنى: إنا في ترك القبول منك بمنزلة من لا يفقه ما تقول (ولا يسمعه)[1] ولا يراك .

قال ابن عباس : قلوبنا في أكنة مثل الكنانة التي فيها السهام[2] .

وقال مجاهد : كجعبة النبل[3] .

وقال مقاتل : عليها غطاء، فلا نفقه ما تقول[4] .

فصل

وأما الغطاء، فقال تعالى: ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا (١٠٠) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) ﴾[5] . وهذا يتضمن معنيين :

أحدهما : أن أعينهم في غطاء عما تضمنه الذكر من آيات الله وأدلة توحيده وعجائب قدرته .

والثاني : أن أعين قلوبهم في غطاء عن فهم القرآن وتدبره والاهتداء (به)[6] وهذا الغطاء للقلب أولاً ثم يسري منه إلى العين .

---

(١) ساقطة من ع ، د ، س .

(٢) ذكره الواحدي في تفسيره «البسيط» ق (٢٣٧) مخطوط، مرجع سابق انظر ص(٣٨٧).

(٣) رواه عبد الرازق في تفسيره (٢/ ١٨٣) وابن جرير الطبري في تفسيره(٢٤/ ٩١) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣١٢) ونسبه إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) ذكره الواحدي في تفسيره « البسيط » ق (٢٣٧) مخطوط، المرجع السابق .

(٥) سورة الكهف آية ١٠٠-١٠١ .

(٦) ساقطة من م .

فصل

وأما الغلاف، فقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾[(١)] / ٩٧ب وقد اختلف في معنى قولهم : (غُلْف) . فقالت طائفة : المعنى: قلوبنا أوعية للحكمة والعلم ، فما بالها لا تفهم عنك ما أتيت به أو لا تحتاج إليك، وعلى هذا يكون الغُلف جمع غلاف[(٢)] .

والصحيح قول أكثر المفسرين: إن المعنى : قلوبنا لا تفقه ولا تفهم ما تقول، وعلى هذا فهو جمع أغلف كأحمر وحمر[(٣)] .

قال أبو عبيدة[(٤)] : كل شيء في غلاف فهو أغلف، كما يقال : سيف أغلف، وقوس (غلفاء)[(٥)] ، ورجل أغلف غير مختون[(٦)] .

---

(١) سورة البقرة آية ٨٨ .

(٢) وهذا تأويل من قرأ (غُلُف) بتحريك اللام وضمها، وهذا التأويل منقول عن ابن عباس ، وعطيــة العوفي. انظر تفسير ابن جرير (١/ ٤٠٧) . والدر المنثور للسيوطي (١/ ٢١٤) .

(٣) وهذا تأويل من قرأ (غُلْف) بسكون اللام وتخفيفها، وهي قراءة عامة الأمصار التي لا يجوز غيرها لاجتماع الحجة من القراء وأهل التأويل على صحتها . انظر تفسير ابن جرير الطبري (١/ ٤٠٩،٤٠٦).

(٤) هو: معمر بن المثنى ، أبو عبيدة ، التيمي مولاهم ، البصري، النحوي، اللغوي ، صدوق، أخباري، وقد رمي برأي الخوارج، من السابعة ، مات سنة ثمان ومائتين، وقيل: بعد ذلك، وقد قارب المائة. روى له البخاري تعليقاً ، وأبو داود . تقريب التهذيب(٢/ ٢٦٦) وتهذيب التهذيب(١٠/ ٢٤٦).

(٥) في ع ، د ، س : أغلف ما أثبت من م ، ت ، والمجاز لأبي عبيدة .

(٦) انظر كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٤٦) . تحقيق د. محمد فؤاد سزكين . نشر مكتبة الخانجي بمصر .

قال ابن عباس وقتادة ومجاهد : على قلوبنا غشاوة، فهي في أوعية، فلا تعي ولا تفقه ما تقول [١] .

وهذا هو الصواب في معنى الآية لتكرر نظائره في القرآن؛ كقوله: ﴿ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِى﴾[٣] ونظائر ذلك.

وأما قول من قال : هي أوعية للحكمة، فليس في اللفظ ما يدل عليه البتة، وليس له في القرآن نظير يحمل عليه، ولا يقال مثل هذا اللفظ في مدح الإنسان نفسه بالعلم والحكمة، فأين وجدتم في الاستعمال قول القائل: قلبي غلاف، وقلوب المؤمنين العالمين غلف، أي أوعية للعلم؟

والغلاف قد يكون وعاء للجيد والرديء ، فلا يلزم من كون القلب غلافاً أن يكون داخله العلم والحكمة . وهذا ظاهر جداً .

فإن قيل : فالإضراب ببل على هذا القول الذي قويتموه ما معناه؟.

وأما على القول الآخر فظاهر ، أي ليست قلوبكم محلاً للعلم والحكمة، بل مطبوع عليها ؟

قيل[٤] وجه الإضراب في غاية الظهور، وهو أنهم احتجوا بأن الله لم يفتح

---

(١) قول ابن عباس رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٤٠٦). وذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ١٢٣) . وقول قتادة: رواه ابن جرير الطبري (١/ ٤٠٧) . وذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ١٢٣). والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢١٤) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد . وقول مجاهد : رواه ابن جرير الطبري(١/ ٤٠٧) وذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ١٢٣) والسيوطي في الدر المنثور(١/ ٢١٤) ولم ينسبه إلى غير ابن جرير .

(٢) سورة فصلت آية ٥ .

(٣) سورة الكهف آية ١٠١ .

(٤) في م : قيل من وجه ـ بزيادة (من).

لهم الطريق إلى فهم ما جاء به الرسول ومعرفته، بل جعل قلوبهم (داخلة في غلف فلا تفقهه، فكيف تقوم به عليهم الحجة ، وكأنهم ادعوا أن قلوبهم)[١] خلقت في غلف، فهم معذورون في عدم الإيمان فأكذبهم الله سبحانه وتعالى وقال: ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾[٢] وفي آية الأخرى ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾[٣] فأخبر سبحانه أن الطبع والإبعاد عن توفيقه وفضله إنما كان بكفرهم / الذي اختاروه لأنفسهم وآثروه على الإيمان، فعاقبهم عليه بالطبع ١٩٨أ واللعنة، والمعنى: لم نخلق قلوبهم غلفاً لا تعي ولا تفقه، ثم نأمرهم بالإيمان وهم لا يفهمونه ولا يفقهونه، بل اكتسبوا أعمالاً عاقبناهم عليها بالطبع على القلوب والختم عليها .

فصل

وأما الحجاب، ففي قوله تعالى حكاية عنهم:﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾[٤] وقوله:﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾[٥] على أصح القولين ، والمعنى : جعلنا بين القرآن إذا قرأته وبينهم حجاباً يحول بينهم وبين فهمه وتدبره والإيمان به، ويبينه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾[٦] .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من م .

(٢) سورة النساء آية ١٥٥ .

(٣) سورة البقرة آية ٨٨ .

(٤) سورة فصلت آية ٥ .

(٥) سورة الإسراء آية ٤٥ .

(٦) سورة الإسراء آية ٤٦ .

وهذه الثلاثة (هي الثلاثة)[١] المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾[٢] . فأخبر سبحانه أن ذلك بجعله، فالحجاب يمنع (من)[٣] رؤية الحق، والأكنة تمنع من فهمه، والوقر يمنع من سماعه.

وقال الكلبي : الحجاب هاهنا مانع يمنعهم (عن)[٤] الوصول إلى رسول الله ﷺ بالأذى من الرعب ونحوه مما يصدهم عن الإقدام عليه، ووصفه بكونه مستوراً، فقيل: بمعنى ساتر، وقيل: على النسب، أي ذو ستر، والصحيح أنه على بابه، أي مستوراً عن الأبصار فلا يرى ، ومجيء مفعول بمعنى فاعل لا يثبت، والنسب في مفعول لم يشتق من فعله، كمكان مهول، أي ذي هول، ورجل مرطوب، أي ذي رطوبة، فأما مفعول فهو جار على فعله الذي وقع عليه الفعل، كمضروب ومجروح ومستور.

فصل

وأما الران فقد قال تعالى: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[٥] قال أبو عبيدة: غلب عليها، والخمر ترين على عقل السكران، والموت يرين على الميت فيذهب به[٦] ، ومن هذا حديث أسيفع جهينة[٧] وقول عمر : (فأصبح

---

(١) ساقط من ت ، د .

(٢) سورة فصلت آية ٥ .

(٣) ساقط من ع ، د ، س . وفي م : عن .

(٤) في ع ، د ، س : من .

(٥) سورة المطففين آية ١٤ .

(٦) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٢٨٩) .

(٧) لم أعثر له على ترجمة، وقد ورد ذكره في الموطأ ، وفي تهذيب اللغة لما ركبه الدين، وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : فأصبح قد رين به، أي احاط به الدين .

قد رين به)[١] أي غلب عليه وأحاط به (الدين)[٢] .

وقال أبو معاذ النحوي[٣]: الرين: أن يسْوَدَّ القلب / من الذنوب، والطبع: ٩٨ب أن يطبع على القلوب وهو أشد من الرين، والإقفال أشد من الطبع، وهو أن يقفل على القلب[٤] .

قال الفراء : كثرت الذنوب والمعاصي منهم، فأحاطت بقلوبهم، فذلك الرين عليها[٥] .

وقال أبو إسحاق: ران: غطى، يقال: ران على قلبه الذنب يرين ريناً، أي: غشيه، قال : والرين كالغشاء يغشي القلب، ومثله الغين[٦] .

قلت: أخطأ أبو إسحاق، فالغين ألطف شيء (يكون)[٧] وأرقه، قال

---

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ ص(٤٨١) ك الوصية - باب جامع القضاء وكراهيته. ونصه : أن رجلاً من جهينة كان يسبق الحاج، فيشتري الرواحل فيغلي بها. ثم يسرع السير فيسبق الحاج فأفلس، فرفع أمره إلى عمر بن الخطاب ، فقال : أما بعد أيها الناس، فإن الأسيفع، أسيفع جهينة رضي من دينه وأمانته بأن يقال : سبق الحاج، ألا وإنه قد كان معرضاً ، فأصبح قد رين به، فمن كان له عليه دين، فليأتنا بالغداة نقسم ماله بينهم، وإياكم والدَّيْن، فإن أوله هَمٌّ وآخره حرب .

(٢) في ت ، ع ، د ، س : الرين .

(٣) هو الفضل بن خالد ، أبو معاذ، النحوي، المروزي، مولى باهلة، روى عن عبدالله بن المبارك وداود بن أبي هند، وروى عنه محمد بن شقيق ، والأزهري، وأكثر عنه في تهذيب اللغة، وذكره ابن أبي حاتم، ولم يقل فيه شيئاً من الجرح والتعديل ، مات سنة(٢١١هـ). انظر الجرح والتعديل(٧/ ٦١) وبغية الوعاة (٢/ ٢٤٥) .

(٤) رواه الأزهري في تهذيب اللغة (١٥/ ٢٥٥) مادة (رين) .

(٥) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ٤٦) .

(٦) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢٩٩) .

(٧) ساقطة من ع ، د ، س .

رسول الله ﷺ: «**إنه ليُغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**»[(١)].

وأما الرين، فهو من أغلظ الحجب على القلب وأكثفها .

قال مجاهد : هو الذنب على الذنب حتى تحيط الذنوب بالقلب وتغشاه، فيموت القلب[(٢)] .

وقال مقاتل : غمرت القلوب أعمالهم الخبيثة[(٣)] .

وفي سنن النسائي والترمذي من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : «**إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت**[(٤)] **في قلبه نكتة سوداء ، فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، وإن (عاد)**[(٥)] **زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكره الله تعالى** :﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾»[(٦)]: قال الترمذي : هذا حديث صحيح[(٧)] .

---

(١) هذا الحديث من رواية الأغر المزني. وأخرجه مسلم(٤/ ٢٠٧٥) ك الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ـ باب استحباب الاستغفار والإكثار منه . وأبو داود (٤/ ٣٧٩) ك الوتر ـ باب في الاستغفار . والنسائي في عمل اليوم والليلة ص(٣٢٥-٣٢٦). والإمام أحمد(٤/ ٢١١، ٢٦٠). وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان(٣/ ٢١١). والبيهقي في سننه(٧/ ٥٢). والطبراني في المعجم الكبير(١/ ٢٨٠) .

(٢) رواه بمعناه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٤٤٢). وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٨٥) .

(٣) ذكره الواحدي في تفسيره «البسيط » ق(١٧٥)مخطوط، مرجع سابق انظر ص( ) .

(٤) النكت: هو الأثر القليل كالنقطة ، شبه الوسخ في المرآة والسيف ونحوهما. النهاية لابن الأثير(٥/ ١١٤).

(٥) في ع ، د ، س : زاد، وما أثبت من م ، ت ، ومصادر التخريج .

(٦) سورة المطففين آية ١٤ .

(٧) انظر جامع الترمذي(٥/ ٤٠٤) ك تفسير القرآن ـ تفسير سورة المطففين. والسنن =

وقال عبد الله بن مسعود : كلما أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود القلب كله [(١)] .

فأخبر سبحانه أن ذنوبهم التي كسبوها أوجبت لهم ريناً على قلوبهم، فكان سبب الران منهم، وهو خلق الله فيهم، فهو خالق السبب ومسببه، لكن السبب باختيار العبد والمسبب خارج عن قدرته واختياره .

فصل

وأما الغل، فقال تعالى:﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ ﴾[(٢)] .

وقال الفراء : حبسناهم على الإنفاق في سبيل الله[(٣)] .

وقال أبوعبيدة : منعنـاهم عن الإيمان بموانع ، ولما كان الغل مانعاً للمغلول / ١٩٩أ من التصرف والتقلب، كان الغل الذي على القلب مانعاً من الإيمان.

= الكبرى للنسائي ك التفسير(٢/ ٥٠٥) ـ تفسير سورة المطففين. وكتاب عمل اليوم والليلة ص(٣١٧) . ورواه ابن ماجه (٢/ ١٤١٨) ك الزهد ـ باب ذكر الذنوب . وابن حبان في صحيحة كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان(٣/ ٢١٠) والطبري في تفسيره (٣٠/ ٩٨) تفسير سورة المطففين. والحاكم في المستدرك (٢/ ٥١٧) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٤٤٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور(٨/ ٤٤٥) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه .

(١) رواه الإمام مالك بلاغاً في الموطأ ص٦١٢ ك الكلام ـ باب ما جاء في الصدق والكذب .

(٢) سورة يس من آية ٧-٩.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء : (٢/ ٣٧٣) .

فإن قيل : الغل المانع من الإيمان هو الذي في القلب، فكيف ذكر الغل في العنق؟

قيل : لما كان عادة الغل أن يوضع في العنق ناسب (ذكره)[١] ذكر محله والمراد به القلب، كقوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾[٢]. ومن هذا قولهم: إثمي في عنقك، وهذا في عنقك. ومن هذا قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾[٣] شبه الإمساك عن الإنفاق باليد إذا غلت إلى العنق.

ومن هذا قال الفراء : إن جعلنا في أعناقهم أغلالاً ، فحبسناهم عن الإنفاق .

قال أبو إسحاق : وإنما يقال للشيء اللازم: هذا في عنق فلان، أي لزومه كلزوم القلادة من بين ما يلبس في العنق[٤] .

قال أبو علي : هذا مثل قولهم : طوقتك كذا ، وقلدتك كذا وكذا، ومنه: قلده السلطان كذا، أي: صارت الولاية في لزومها له في موضع القلادة ومكان الطوق[٥] .

قلت : ومن هذا قولهم : قلدت فلاناً حكم كذا وكذا ، كأنك جعلته طوقاً في عنقه. وقد سمى سبحانه التكاليف الشاقة أغلالاً في قوله ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾[٦] فشبهها بالأغلال لشدتها وصعوبتها .

---

(١) ساقطة من م ، د ، س .

(٢) سورة الإسراء آية ١٣ .

(٣) سورة الإسراء آية ٢٩ .

(٤) سبق ذكر هذا القول وتوثيقه في ص (٤٩٨) .

(٥) سبق ذكر هذا القول في ص (٤٩٨) .

(٦) سورة الأعراف آية ١٥٧ .

قال الحسن : هي الشدائد التي كانت في العبادة كقطع أثر البول، وقتل النفس في (التوبة)[(١)]، وقطع الأعضاء الخاطئة ، وتتبع العروق من اللحم[(٢)] .

وقال ابن قتيبة: هي تحريم الله سبحانه عليهم كثيراً مما أطلقه لأمة محمد ﷺ وجعلها أغلالاً؛ لأن التحريم يمنع كما يقبض الغل اليد[(٣)]. وقوله: ﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ قالت طائفة : الضمير يعود إلى الأيدي، وإن لم تذكر، لدلالة السياق عليها، قالوا : لأن الغل يكون في العنق فتجتمع إليه اليد، ولذلك سمي جامعه، وعلى هذا فالمعنى : فأيديهم أو فأيمانهم مضمومة إلى أذقانهم. هذا قول الفراء[(٤)] والزجاج[(٥)] / . ٩٩ب

وقالت طائفة : الضمير يرجع إلى الأغلال ، وهذا هو الظاهر ، وقوله : ﴿ فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ ﴾ أي واصلة (وملزوزة)[(٦)] إليها، فهو غل عريض قد أحاط بالعنق حتى وصل إلى الذقن[(٧)] .

---

(١) في م : النفس .

(٢) ذكره الواحدي في تفسيره «البسيط» ق(٢٣٣) مخطوط، محفوظ أصله بمكتبة شيستربتي في بريطانيا تحت رقم(٥١٠٥) وتوجد صورة منه بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تحت الرقم نفسه .

(٣) انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص١٤٨) .

(٤) انظر معاني القرآن للفراء(٢/ ٢٧٢-٢٧٣) .

(٥) انظر معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج(٤/ ٢٧٩) .

(٦) في ت : وملزومة .

(٧) وممن قال بهذا الزمخشري في الكشاف(٢/ ٤٦٦) ط الثانية، نشر مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣١٧هـ ، وأبو حيان في تفسيره البحر المحيط (٧/ ٣٢٢) نشر مكتبة النصر بالرياض .

وقوله : ﴿ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ﴾. قال الفراء[١] والزجاج[٢] : المقمح هو : الغاض بصره بعد رفع رأسه. ومعنى الإقماح في اللغة: رفع الرأس وغض البصر، يقال: أقمح البعير رأسه وقمح[٣] .

وقال الأصمعي[٤] : بعير قامح: إذا رفع رأسه عن الحوض ولم يشرب[٥] .

قال الأزهري : لما غلت أيديهم إلى أعناقهم رفعت الأغلال أذقانهم ورؤوسهم صعداً، كالإبل الرافعة رؤوسها . انتهى[٦] .

فإن قيل : فما وجه التشبيه بين هذا وبين حبس القلب عن الهدى والإيمان؟

قيل : أحسنُ وجه وأبيَنُه، فإن الغل إذا كان في العنق واليد مجموعة إليها منع اليد عن التصرف والبطش، فإذا كان عريضاً قد ملأ العنق ووصل إلى الذقن منع الرأس من تصويبه، وجعل صاحبه شاخص الرأس منتصبه، لا

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٧٢ ، ٢٧٣) .

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج (٤/ ٢٧٩) .

(٣) انظر الصحاح للجوهري(١/ ٣٩٧) مادة (قمح) .

(٤) هو عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي، راوية العرب ، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. نسبته إلى جده أصمع ، كان كثير التطواف في البوادي ، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، قال الأخفش: ما رأينا أحداً أعلم بالشعر من الأصمعي، له مؤلفات كثيرة، منها: الإبل، وخلق الإنسان، والمترادف، والخيل، وغيرها. توفي بالبصرة سنة ٢١٦هـ . تاريخ بغداد(١٠/ ٤١٠) وسير أعلام النبلاء(١٠/ ١٧٥) . والأعلام (٤/ ١٦٢) .

(٥) انظر كتاب الأضداد للأصمعي ص (١٦) تحقيق أوغست هفنر، طبع سنة ١٩١٣م في بيروت .

(٦) انظر كتاب تهذيب اللغة للأزهري (٤/ ٨٢) مادة (قمح) .

يستطيع له حركة، ثم أكد هذا (المنع)[1] والحبس بقوله : ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾[2] .

قال ابن عباس : منعهم من الهدى لما سبق في علمه[3] .

والسد الذي جعل من بين أيديهم ومن خلفهم هو الذي سد عليهم طريق الهدى. فأخبر سبحانه عن الموانع التي منعهم بها من الإيمان عقوبة لهم، ومثلها (أحسن)[4] تمثيل وأبلغه.

وذلك حال قوم قد وضعت الأغلال العريضة الواصلة إلى الأذقان في أعناقهم، وضمت أيديهم إليها، وجعلوا بين السدين لا يستطيعون النفوذ من بينها، وأغشيت أبصارهم، فهم لا يرون شيئاً، وإذا تأملت حال الكافر الذي عرف الحق وتبين له ثم جحده وكفر به وعاداه أعظم معاداة، وجدت هذا المثل مطابقاً له أتم مطابقة، وأنه قد حيل بينه وبين الإيمان كما حيل بين هذا وبين التصرف، والله المستعان .

فصل /

١٠٠أ

وأما القفل: قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[5] .

قال ابن عباس : يريد: على قلوب هؤلاء أقفال[6] .

---

(١) في ع : المعنى .

(٢) سورة يس آية ٩ .

(٣) ذكره الواحدي في تفسيره «البسيط» ق(١٧٩) مخطوط، مرجع سابق انظر ص(٣٨٧).

(٤) في ع ، د ، س : بأحسن .

(٥) سورة محمد آية ٢٤ .

(٦) ذكره الواحدي في تفسيره «البسيط» ق(٣٣) مخطوط، مرجع سابق انظر ص(٣٨٧) .

وقال مقاتل : يعني الطبع على القلب(١) . وكأن القلب بمنزلة المرتج الذي قد ضرب عليه قفل، فإنه ما لم يفتح القفل لا يمكن فتح الباب والوصول إلى ما وراءه، وكذلك ما لم يرفع الختم والقفل عن القلب لم يدخله الإيمان والقرآن. وتأمل تنكير (القلوب)(٢) وتعريف الأقفال، فإن تنكير القلوب يتضمن إرادة قلوب هؤلاء وقلوب من هم بهذه الصفة، ولو قال: أم على (قلوبهم)(٣) لم تدخل قلوب غيرهم في (هذه)(٤) الجملة .

وفي قوله: ﴿أَقْفَالُهَآ﴾ بالتعريف نوع تأكيد، فإنه لو قال: (أقفال) لذهب الوهم إلى ما يعرف بهذا الاسم، فلما أضافها إلى القلوب علم أن المراد بها ما هو للقلب بمنزلة القفل للباب، فكأنه أراد أقفالها المختصة بها التي لا تكون لغيره، والله أعلم .

فصل

وأما الصمم والوقر، ففي قوله تعالى:﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾(٥) وقوله : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾(٦) وقوله : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾(٧) وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ

(١) ذكره الواحدي في تفسيره « البسيط » (٣٣) مخطوط، مرجع سابق ص(٣٨٧).
(٢) في د . س : القلب .
(٣) في ع ، د ، س : القلوب أقفالها .
(٤) ساقطة من ع ، د ، س .
(٥) سورة البقرة آية ١٨، ١٧١ .
(٦) سورة محمد آية ٢٣ .
(٧) سورة الأعراف آية ١٧٩ .

عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾[١] .

قال ابن عباس : في آذانهم صمم عن استماع القرآن، ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ : أعمى الله قلوبهم فلا يفقهونه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ مثل البهيمة التي لا تفهم إلاَّ دعاءً ونداءً[٢] .

وقال مجاهد : بعيد من قلوبهم[٣] .

وقال الفراء : تقول للرجل الذي لا يفهم (كلامك)[٤] : أنت تنادي من مكان بعيد. قال: وجاء في التفسير : كأنما ينادون من السماء فلا يسمعون[٥]. انتهى .

والمعنى: أنهم لا يسمعون ولا يفهمون ، كما أن من دعي من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم .

فصل

وأما البكم، فقال تعالى: ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾[٦] والبكم جمع أبكم، وهو الذي / ١٠٠ب لا ينطق . والبكم نوعان : بكم القلب، وبكم اللسان . كما أن النطق نطقان: نطق القلب، ونطق اللسان . وأشدهما بكم القلب، كما أن عماه وصممه أشد من عمى العين وصمم الأذن، فوصفهم سبحانه بأنهم لا يفقهون الحق

---

(١) سورة فصلت آية ٤٤ .

(٢) ذكره الواحدي في تفسيره (البسيط) ق(٢٤٣) مخطوط، مرجع سابق انظر ص(٣٨٧).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٢٨/٢٤) .

(٤) في ع ، د ، س : كذلك، وفي معاني القرآن للفراء : قولك .

(٥) انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٠) .

(٦) سورة البقرة آية ١٨، ١٧١ .

ولا تنطق به ألسنتهم.

والعلم يدخل إلى العبد من ثلاثة أبواب : من سمعه ، وبصره، وقلبه. وقد سدت عليه هذه الأبواب الثلاثة، فسد السمع بالصمم، والبصر بالعمى، والقلب بالبكم. ونظيره قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ﴾[1] وقد جمع سبحانه بين الثلاثة في قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾[2]. فإذا أراد الله سبحانه هداية عبد فتح قلبه وسمعه وبصره، وإذا أراد ضلاله أصمه وأعماه وأبكمه، وبالله التوفيق .

فصل

وأما الغشاوة، فهي غطـاء العين، كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً﴾[3] وهذا الغطاء سرى إليها من غطاء القلب، فإن ما في القلب يظهر على العين من الخير والشر، فالعين مرآة القلب تظهر ما فيه، وأنت إذا أبغضت رجلاً بغضاً شديداً وأبغضت كلامه ومجالسته تجد على عينك غشاوة وعند رؤيته (ومخاطبته)[4]، فتلك أثر البغض والإعراض عنه. وغلظت على الكفار عقوبة لهم على إعراضهم ونفورهم عن الرسول. وجعل الغشاوة

(١) سورة الأعراف آية ١٧٩ .

(٢) سورة الأحقاف آية ٢٦ .

(٣) سورة الجاثية آية ٢٣ .

(٤) في م ، د ، س : ومخالطته .

عليها يشعر بالإحاطة على ما تحته ، كالعمامة، ولما عشوا عن ذكره الذي أنزله صار ذلك العشا غشاوة على أعينهم ، فلا تبصر مواقع الهدى.

فصل

وأما الصد، فقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[1] (قرأها)[2] أهل (الكوفة)[3] (وصُدَّ)[4] على البناء للمفعول حملاً على زين، وقرأ الباقون وصَدَّ ـ بفتح الصاد ـ[5] ويحتمل وجهين :

أحدهما : أعرض / فيكون لازماً. ١٠١أ

والثاني : صد غيره فيكون متعدياً .

والقراءتان كالآيتين لا تتناقضان .

وأما الشد على القلب ففي قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾[6] فهذا الشد على القلب هو الصد والمنع. ولهذا قال ابن عباس : يريد أمنعها[7] . والمعنى: قسِّها واطبع عليها حتى لا تلين ولا

(١) سورة غافر آية ٣٧ .

(٢) في ع ، د ، س : قرأ .

(٣) في ع : مكة . وهو خطأ .

(٤) ساقطة من ع ، د ، س .

(٥) سبقت الإشارة إلى ذلك ص(٥٨٤) .

(٦) سورة يونس آية ٨٨ ، ٨٩ .

(٧) ذكره الواحدي في تفسيره «البسيط» ق(١٦) مخطوط مرجع سابق انظر ص(٣٨٧).

تنشرح للإيمان .

وهذا مطابق لما في التوراة أن الله سبحانه قال لموسى : اذهب إلى فرعون، فإني سأقسي قلبه، فلا يؤمن حتى تظهر آياتي وعجائبي بمصر[(١)] .

وهذا الشد والتقسية من كمال عدل الرب تعالى في أعدائه ، جعله عقوبة لهم على كفرهم وإعراضهم كعقوبة لهم بالمصائب، ولهذا كان محموداً عليه، وهو حسن منه سبحانه وأقبح شيء منهم، فإنه عدل وحكمة، وهو ظلم منهم وسفه.

فالقضاء والقدر فعل عادل حكيم غني عليم، يضع الخير والشر في أليق المواضع بهما، والمقضي المقدر ظلماً وجوراً وسفهاً وهو فعل جاهل ظالم سفيه .

فصل

وأما الصرف، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾[(٢)] فأخبر سبحانه عن فعلهم وهو الانصراف، وعن فعله فيهم، وهو صرف قلوبهم عن القرآن وتدبره، لأنهم ليسوا أهلاً له، فالمحل غير صالح ولا قابل، فإن صلاحية المحل بشيئين، حسن فهم، وحسن قصد، وهؤلاء قلوبهم لا تفقه، وقصودهم سيئة، وقد صرح سبحانه بهذا في قوله:

---

(١) انظر التوراة السامرية ص(١٢١) ترجمة الكاهن السامري : أبو إسحاق الصوري، عرف بها د. أحمد حجازي السقا، ط الأولى ١٣٩٨هـ ، نشر دار الأنصار بالقاهرة .

(٢) سورة التوبة آية ١٢٧ .

﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾[1] فأخبر سبحانه عن عدم قابلية الإيمان فيهم ، وأنهم لا خير فيهم يدخل بسببه (الإيمان)[2] إلى قلوبهم، فلم يسمعهم سماع / إفهام ينتفعون به، وإن سمعوه ١٠١ب سماعاً تقوم به عليهم حجته، فسماع الفهم الذي سمعه به المؤمنون لم يحصل لهم.

ثم أخبر سبحانه عن مانع آخر قام بقلوبهم يمنعهم من الإيمان لو أسمعهم هذا السماع الخاص، وهو الكبر والتولي والإعراض، فالأول مانع من الفهم، والثاني مانع من الانقياد والإذعان، فأفهام سيئة، وقصود رديئة، وهذه نسخة الضلال وعلم الشقاء، كما أن نسخة الهدى وعلم السعادة فهم صحيح وقصد صالح، والله المستعان .

وتأمل قوله سبحانه: ﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ كيف جعل هذه الجملة الثانية سواءً كانت خبراً أو (دعاءً)[3] عقبة لانصرافهم، فعاقبهم عليه بصرف آخر غير الصرف الأول، (فإن انصرافهم)[4] كان لعدم إرادته سبحانه ومشيئته لإقبالهم، لأنه لا صلاحية فيهم ولا قبول، فلم (يشأ لهم)[5] الإقبال والإذعان، فانصرفت قلوبهم بما فيها من الجهل والظلم عن القرآن، فجازاهم على ذلك صرفاً آخر غير الصرف الأول، كما جازاهم على زيغ قلوبهم عن الهدى إزاغة (أخرى)[6] غير الزيغ الأول، كما قال تعالى : ﴿فَلَمَّا

---

(١) سورة الأنفال آية ٢٣ .

(٢) ساقطة من ع ، د ، س .

(٣) في ع ، د ، س : إعادة .

(٤) في ع : فانصرافهم .

(٥) في ع ، د ، س : ينلهم .

(٦) ساقطة من ع ، د ، س .

زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾[١] وهكذا إذا أعرض العبد عن ربه جازاه سبحانه بأن يعرض (بقلبه)[٢] عنه، فلا يمكنه من الإقبال عليه.

ولتكن قصة إبليس منك على ذكر تنتفع بها أتم انتفاع، فإنه لما عصى ربه تعالى ولم ينقد لأمره وأصر على ذلك، عاقبه بأن جعله داعياً إلى كل معصية، فعاقبه على معصيته الأولى (بأصول المعاصي)[٣] وفروعها، صغيرها وكبيرها، وصار هذا الإعراض والكفر منه عقوبة لذلك الإعراض والكفر السابق.

فمن عقاب السيئة: السيئة بعدها، كما أن من (ثواب)[٤] الحسنة : الحسنة بعدها.

فإن قيل : كيف يلتئم إنكاره سبحانه عليه الانصراف والإعراض (وهو)[٥] (منه)[٦] . وقد قال تعالى:﴿ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾[٧] ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾[٨] وقال : ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾[٩] فإذا كان هو الذي صرفهم / وجعلهم معرضين ومأفوكين، فكيف (ينفي)[١٠] ذلك عليهم.

١٠٢أ

---

(١) سورة الصف آية ٥ .
(٢) ساقطة من ع ، د ، س .
(٣) في ع ، د ، س : بأن جعله داعياً إلى كل معصية .
(٤) في د ، س : عقاب .
(٥) ساقطة من ع ، د ، س .
(٦) في د ، س : عنه .
(٧) سورة يونس آية ٣٢ .
(٨) سورة الأنعام آية ٩٥ ، وسورة يونس آية ٣٤ ، وسورة فاطر آية ٣، وسورة غافر آية ٦٢ .
(٩) سورة المدثر آية ٤٩ .
(١٠) في ت : ينفي إنكار . ومعنى الكلام : فكيف ينكر ذلك عليهم .

قيل : هم دائرون بين عدله (فيهم)[١] وحجته عليهم، فمكنهم وفتح لهم الباب ، ونهج لهم الطريق، وهيأ لهم الأسباب، (وأرسل)[٢] إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، ودعاهم على ألسنة رسله، وجعل لهم عقولاً تميز بين الخير والشر، والنافع والضار، وأسباب الردى، وأسباب الفلاح، وجعل لهم أسماعاً وأبصاراً، فآثروا الهوى على التقى، واستحبوا العمى على الهدى، وقالوا معصيتك آثر عندنا من طاعتك، والشرك (بك)[٣] أحب إلينا من توحيدك، وعبادة سواك أنفع لنا في دنيانا من عبادتك. فأعرضت قلوبهم عن ربهم وخالقهم ومليكهم، وانصرفت عن طاعته ومحبته وتوحيده وانفكت عن هداه فلما رآها سبحانه كذلك عدل فيها بأن صرفها وأعرض بها عنه، وصدها عن الإقبال عليه وعن معرفته ومحبته)[٤]، فهذا عدله فيهم وتلك حجته عليهم، فهم سدوا على نفوسهم باب الهدى إرادة منهم واختياراً، فسده عليهم اضطراراً، فخلاهم وما اختاروا لأنفسهم، وولاهم ما تولوه، ومكنهم فيما ارتضوه، وأدخلهم من الباب الذي استبقوا إليه، وأغلق عنهم الباب الذي تولوا عنه وهم معرضون، فلا أقبح من فعلهم، ولا أحسن من فعله، ولو شاء لخلقهم على غير هذه الصفة ولأنشأهم غير هذه النشأة، ولكنه سبحانه خالق العلو والسفل، والنور والظلمة، والنافع والضار، والطيب والخبيث، والملائكة والشياطين، والشاة والذئاب، ومعطيها آلاتها وصفاتها وقواها وأفعالها، ومستعملها فيما خلقت له، فبعضها بطباعها، وبعضها بإرادتها ومشيئتها، وكل ذلك جار على وفق حكمته، وهو موجب

---

(١) ساقطة من ع ، د ، س .

(٢) في ع ن د ، س : فأرسل .

(٣) ساقطة من ع ، د ، س .

(٤) ما بين القوسين ساقط من ع ، د ، س .

حمده ومقتضى كماله المقدس وملكه التام، ولا نسبة لما علمه الخلق من ذلك إلى ما خفي (عنهم)[١] بوجه ما، إن هو إلا كنقرة عصفور من البحر / . ١٠٢ب

فصل

وأما الإغفال، فقال تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾[٢] .

سئل أبو العباس ثعلب[٣] عن قوله: ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ فقال: من جعلناه غافلاً. قال: ويكون في الكلام: (أغفلته: سميته غافلاً، ووجدته غافلاً)[٤] .

قلت : الغفل الشيء الفارغ ، والأرض الغفل: التي لا علامة بها، والكتاب الغفل الذي لا شكل عليه[٥] فأغفلناه تركناه غفلاً عن الذكر فارغاً منه، فهو إبقاء له على العدم الأصلي؛ لأنه سبحانه لم يشأ له الذكر فبقي غافلاً، فالغفلة وصفه، والإغفال فعل الله فيه بمشيئته (لغفلته)[٦] وعدم

---

(١) في ع ، د ، س : عليهم .

(٢) سورة الكهف آية ٢٨ .

(٣) هو: أحمد بن يحيى بن يزيد بن سيار الشيباني، مولاهم البغدادي، أبو العباس، المعروف بثعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة، كان راوية للشعر، قال الخطيب : ثقة حجة ، دين صالح ، مشهور بالحفظ ، ولد سنة (٢٠٠هـ) وتوفي ببغداد سنة (٢٩١هـ) له مؤلفات؛ منها: كتاب الفصيح، وقواعد الشعر، والمجالس. سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥-٧) وتاريخ بغداد (٥/ ٢٠٤-٢١٢) وتذكرة الحفاظ (٢/ ٦٦) .

(٤) رواه الأزهري في تهذيب اللغة(٨/ ١٣٦) مادة (غفل). والواحدي في تفسيره (البسيط) ق (٧١-٧٢) مخطوط، محفوظ أصله في دار الكتب المصرية تحت رقم (٥٣) تفسير، وتوجد صورة منه بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تحت رقم ١٠٨٤٣/ ف.

(٥) انظر الصحاح (٥/ ١٧٨٣) مادة (غفل) .

(٦) ساقطة من ع ، د ، س .

مشيئته لتذكره، فكل منهما مقتض لغفلته، فإذا لم يشأ له التذكر لم يتذكر، وإذا شاء غفلته امتنع منه التذكر.

فإن قيل : فهل تضاف الغفلة والكفر والإعراض ونحوها إلى عدم مشيئة الرب أضدادها، أم إلى مشيئته لوقوعها ؟.

قيل: القرآن قد نطق بهذا وهذا، قال الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾(١) وقال : ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾(٢) وقال: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ ﴾(٣) .

فإن قيل : فكيف يكون عدم السبب المقتضي موجباً للأثر ؟

قيل : الأثر إن كان وجودياً، فلا بد له من مؤثر وجودي، وأما العدم، فيكفي فيه عدم سببه وموجبه، فيبقى على العدم الأصلي ، فإذا أضيف إليه كان من باب إضافة الشيء إلى دليله، فعدم السبب دليل على عدم المسبب، وإذا سمي موجباً ومقتضياً بها الاعتبار، فلا مشاحة في ذلك، وأما أن يكون العدم أثراً ومؤثراً فلا .

وهذا الإغفال ترتب عليه اتباع هواه وتفريطه في أمره .

قال مجاهد : كان أمره فرطاً : أي ضياعاً(٤) .

وقال قتادة : أضاع أكبر الضيعة(٥) .

---

(١) سورة المائدة آية ٤١ .

(٢) سورة المائدة آية ٤١ .

(٣) سورة الأنعام آية ١٢٥ .

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٣٦) . وذكره السيوطي في الدر المنثور(٥/ ٣٨٤) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) ذكره الواحدي في تفسيره (البسيط) ق(٧٢) مخطوط، المرجع السابق.

وقال السدي : هلاكاً[(١)] .

وقال أبو الهيثم[(٢)] : أمره فرط : أي متهاون به مضيع ، والتفريط: تقديم العجز[(٣)] .

قال أبو إسحاق : من قدم العجز في أمر أضاعه (وأهلكه[(٤)])[(٥)] .

قال الليث[(٦)] : الفرط : الأمر الذي يفرط فيه، (يقول)[(٧)] : كل أمر فلان فرط [(٨)] .

١٠٣أ قال / الفراء : فرطاً : متروكاً[(٩)] .

(ففرط)[(١٠)] فيما لا ينبغي التفريط فيه، واتبع ما لا ينبغي اتباعه، وغفل عما لا يحسن الغفلة عنه .

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٥/ ٢٣٧).

(٢) هو : سليمان بن عمرو بن عبد أو عبيد ، الليثي، أبو الهيثم المصري، ثقة، روى عن أبي سعيد الخدري وكان في حجره، وأبي هريرة، وعنه كعب بن علقمة وغيره. روى له البخاري في الأدب المفرد، والأربعة . تقريب التهذيب (١/ ٣٢٩) وتهذيب التهذيب (٤/ ٢١٢-٢١٣).

(٣) ذكره الواحدي في تفسيره (البسيط) ق(٧٢) المرجع السابق.

(٤) في د ، س : وأهله .

(٥) نص عبارة أبي إسحاق الزجاج في كتاب معاني القرآن وإعرابه(٣/ ٢٨١) : (أي كان أمره التفريط، والتفريط تقديم العجز).

(٦) هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي . سبقت ترجمته في ص(١٦٤).

(٧) في د . يقال .

(٨) ذكره الواحدي في تفسيره (البسيط) ق(٧٢) المرجع السابق .

(٩) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٤٠) .

(١٠) في ع ، د ، س : يفرط .

فصل

وأما المرض، فقال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾[(١)] وقال: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾[(٢)] وقال: ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۚ﴾[(٣)] .

ومرض (القلوب خروجها عن كمال صحتها واعتدالها)[(٤)] فإن (صحتها)[(٥)] أن تكون (عارفة)[(٦)] بالحق ، (محبة له، مؤثرة)[(٧)] له على غيره، (فمرضها)[(٨)] إما بالشك فيه، وإما بإيثار غيره عليه، فمرض المنافقين مرض شك وريب، ومرض العصاة مرض غي وشهوة . وقد سمى الله سبحانه كلاً منهما (بالمرض)[(٩)] .

قال ابن الأنباري[(١٠)] : أصل المرض في اللغة : الفساد، مرض فلان: فسد جسمه، وتغيرت حاله . ومرضت الأرض: تغيرت وفسدت[(١١)] .

---

(١) سورة البقرة آية ١٠ .

(٢) سورة الأحزاب آية ٣٢ .

(٣) سورة المدثر آية ٣١ .

(٤) في ع : القلب خروج عن صحتها واعتدالها. وفي د ، س : القلب خروج عن صحته واعتداله .

(٥) في د ، س : صحته .

(٦) في د ، س : عارفاً .

(٧) في د ، س : محباً له مؤثراً .

(٨) في د ، س : فمرضه .

(٩) في د ، س : مرضاً .

(١٠) هو محمد بن القاسم . سبقت ترجمته في ص(٦٠٣) .

(١١) ذكره الواحدي في تفسيره ق (٢٨) مخطوط ، محفوظ أصله بمكتبة شهيد علي بتركيا تحت رقم(٩٣) وتوجد صورة منه بمركز الملك فيصل بالرياض تحت رقم (٢٢٥/ ف).

قالت ليلى الأخيلية[١] :

إذا هبط الحَجَّاجُ[٢] أرضاً مريضةً ... تَتَبَّعَ أقصى دائها فشفاها[٣]

وقال آخر[٤] :

ألم تر أن الأرض أضحت مريضة ... لفقد الحسين والبلاد اقشعرّت[٥]

---

(١) هي ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب، الأخيلية ، من بني عامر بن صعصعة، شاعرة فصيحة ذكية، وفدت على الحجاج بن يوسف مرات، فكان يكرمها، وطبقتها في الشعر تلي طبقة الخنساء، توفيت سنة ٨٠هـ تقريباً . الشعر والشعراء(١/ ٤٤٨) . فوات الوفيات للكتبي(٣/ ٢٢٦-٢٢٨) تحقيق د.إحسان عباس، نشر دار الثقافة، بيروت. الأعلام(٥/ ٢٤٩) .

(٢) قال ابن حجر رحمه الله : الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي، الأمير المشهور، الظالم، المبير، وقع ذكره وكلامه في الصحيحين وغيرهما، وليس بأهل بأن يروى عنه، ولي إمرة العراق عشرين سنة، ومات سنة خمس وتسعين، قال الذهبي : وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه وأمره إلى الله. سير أعلام النبلاء(٤/ ٣٤٣) وتهذيب التهذيب (٢/ ٢١٠-٢١٣) وتقريب التهذيب(١/ ١٥٤).

(٣) هذا البيت من قصيدة قالتها ليلى الأخيلية ، تمدح بها الحجاج بن يوسف الثقفي ، ومطلعها :

أحجاج لا يفلل سلاحك إنما ... المنايا بكف الله حيث يراها

انظر فوات الوفيات ص (٣/ ٢٢٧).

(٤) هو سليمان بن حبيب المحاربي ، يعرف بابن قتة ـ بالفتح وتشديد المثناة ـ نسبة إلى أمه ، من فحول الشعراء، روى عن ابن عباس وعمرو بن العاص وغيرهما، وروى عنه حميد الطويل وغيره، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٦) وتبصير المنتبه(٣/ ١١٢٢) .

(٥) هذا من ضمن عدة أبيات قالها ابن قتة في رثاء الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ وقد ورد هذا البيت في الاستيعاب (١/ ٢٧٩) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣١٩) والبداية والنهاية (٨/ ٢١١) .

والمرض يدور على أربعة أشياء: فساد، وضعف، ونقصان، وظلمة. ومنه: مرض الرجل في الأمر: إذا ضعف فيه ولم يبالغ ، وعين مريضة النظر: أي فاترة ضعيفة، وريح مريضة: إذا ضعف هبوبها كما قال :

راحت لأربعك الرياح مريضة[1] ....

أي : لينة ضعيفة حتى لا يعفى أثرها .

وقال ابن الأعرابي : أصل المرض : النقصان ، ومنه بدن مريض، أي ناقص القوة، وقلب مريض : ناقص الدين، ومرض في حاجتي : إذا نقصت حركته (فيها[2])[3] .

وقال الأزهري عن المنذري[4] عن بعض أصحابه : المرض: إظلام الطبيعة واضطرابها بعد صفائها. قال : والمرض الظلمة، وأنشد : / ١٠٣ب

وليلة مرضت من كل ناحية (فما)[5] يضيء لها شمس ولا قمر[6]

---

(١) لم أعرف اسم قائله .

(٢) ساقطة من م ، ع ، د ، س : وما أثبت من ت، وهو المطابق لرواية الأزهري لهذا القول في تهذيب اللغة .

(٣) انظر قول ابن الأعربي هذا في تهذيب اللغة للأزهري (١٢/ ٣٤) مادة(مرض) .

(٤) هو : محمد بن أبي جعفر ، أبو الفضل المنذري الهروي ، اللغوي الأديب، أخذ العربية عن ثعلب والمبرد، وله عدة مصنفات؛ منها : نظم الجمان ، والملتقط، والشامل، روى عنه الأزهري فأكثر إملاء التهذيب بالرواية عنه. مات سنة تسع وعشرين وثلاثمائة. بغية الوعاة للسيوطي (١/ ٧٢) .

(٥) في تهذيب اللغة للأزهري (١٢/ ٣٥) فلا .

(٦) انظر تهذيب اللغة للأزهري (١٢/ ٣٤-٣٥) مادة (مرض) ومعنى قوله : (وليلة مرضت) فيما فسره ثعلب ونقله الأزهري : أظلمت ونقص نورها. والبيت للهيثم ابن الربيع بن زرارة ، من بني عامر، أبو حية النميري، شاعر مجيد من أهل البصرة،=

هذا أصله في اللغة ، ثم الشك والجهل والحيرة والضلال وإرادة (الغي)(١) وشهوة الفجور في القلب تعود إلى هذه الأمور الأربعة، فيتعاطى العبد أسباب المرض حتى يمرض، فيعاقبه الله بزيادة المرض لإيثاره أسبابه وتعاطيه لها .

فصل

أما تقليب الأفئدة، فقال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(٢) وهذا عطف على أنها إذا جاءت لا يؤمنون(٣) ، أي نحول بينهم وبين الإيمان لو جاءتهم تلك الآية، فلا يؤمنون . واختلف في قوله : ﴿ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ فقال كثير من المفسرين : المعنى نحول بينهم وبين الإيمان لو جاءتهم الآية ، كما حلنا بينهم وبين الإيمان أول مرة(٤) .

قال ابن عباس في رواية عطاء عنه : ونقلب أفئدتهم وأبصارهم حتى يرجعوا إلى ما سبق عليهم من علمي. قال : وهذا كقوله: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ(٥)﴾(٦) .

= من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، مات سنة بضع وثمانين ومائة . فوات الوفيات (٤/ ٢٤٢-٢٤٤) ، والأعلام (٨/ ١٠٣).

(١) في ت : العمى .

(٢) سورة الأنعام آية ١١٠ .

(٣) يعني قول الله عز وجل في الآية التي قبلها : ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ آية ١٠٩ الأنعام .

(٤) وهذا القول مروي عن ابن عباس ، وابن زيد، ومجاهد ، انظر تفسير ابن جرير الطبري (٧/ ٣١٤) والدر المنثور للسيوطي (٣/ ٣٤٠) .

(٥) سورة الأنفال آية ٢٤ .

(٦) رواه ابن جرير الطبري (٧/ ٣١٥) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٤١) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

وقال آخرون : المعنى : ونقلب أفئدتهم وأبصارهم لتركهم الإيمان به أول مرة، فعاقبناهم بتقليب أفئدتهم وأبصارهم[1] .

وهذا معنى حسن ، فإن كاف التشبيه تتضمن نوعاً من التعليل كقوله : ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[2] وقوله : ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾[3] .

والذي حسَّنَ اجتماع التعليل والتشبيه الإعلام بأن الجزاء من جنس العمل في الخير والشر .

والتقليب : تحويل الشيء من وجه إلى وجه . وكان الواجب من مقتضى إنزال الآية (ووصولها إليهم)[4] كما سألوا ، أن يؤمنوا إذا جاءتهم ، لأنهم رأوها عياناً وعرفوا (دلالتها)[5] وتحققوا صدقها، فإذا لم يؤمنوا كان ذلك تقليباً لقلوبهم وأبصارهم عن وجهها الذي / ينبغي أن تكون عليه. وقد روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء » ، ثم قال رسول الله ﷺ : « اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك »[6] .

١٠٤أ

---

(١) وهذا اختيار ابن جرير الطبري . انظر : تفسيره (٧/ ٣١٥) .

(٢) سورة القصص آية ٧٧ .

(٣) سورة البقرة آية ١٥١-١٥٢ .

(٤) في ع ، د ، س : ووصولهم إليها .

(٥) في ع ، د ، س : أدلتها .

(٦) سبق تخريجه في ص (٤١٣) .

وروى الترمذي من حديث أنس قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك »، فقلت : يا رسول الله، آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا ؟ قال : « نعم . إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء ». قال : هذا حديث حسن[١] .

وروى حماد[٢] عن (أيوب)[٣] وهشام[٤] و(المعلى[٥])[٦] بن زياد عن الحسن[٧] قال : قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ : دعوة كان رسول الله ﷺ يكثر أن يدعو بها : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » ، فقالت: يا

(١) انظر جامع الترمذي(٤/ ٣٩٠- ٣٩١) ك القدر ـ باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، ورواه الإمام أحمد (٣/ ١١٢، ٢٥٧)، والبخاري في الأدب المفرد(ص٢٣٧) وابن ماجه (٢/ ١٢٦٠) ك. الدعاء باب دعاء الرسول ﷺ . والطبري في تفسيره (٣/ ١٨٨). وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٠١) وقال الألباني: حديث صحيح. والآجري في الشريعة ص٣١٧. وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٢٠٩) ك الدعاء ـ باب من كان يقول : يا مقلب القلوب. والحاكم في المستدرك (١/ ٥٢٦) وصححه . ووافقه الذهبي ، ورواه البغوي في شرح السنة (١/ ١٦٥) ، وأبويعلى في مسنده (٦/ ٣٥٩-٣٦٠). والبيهقي في كتاب القدر ص(٢٢٣) .

(٢) هو حماد بن زيد . سبقت ترجمته في ص (١٩٥) .

(٣) هو : أيوب بن أبي تميمة السختياني، ثقة ثبت حجة، روى عن الحسن البصري، وروى عنه حماد بن زيد، سبقت ترجمته في ص(١٩٤).

(٤) هو : هشام بن حسان، ثقة سبقت ترجمته في ص (٢٤٦) .

(٥) في جميع النسخ :(ويعلى) وما أثبت من المسند .

(٦) هو : معلى بن زياد القردوسي ـ بقاف ـ أبو الحسين البصري، صدوق ، قليل الحديث، زاهد ، اختلف قول ابن معين فيه، روى عن الحسن البصري، وروى عنه حماد بن زيد، من السابعة، روى له البخاري تعليقاً، وروى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب(٢/ ٢٦٥) وتهذيب التهذيب(١٠/ ٢٣٧) وتهذيب الكمال(٢٨/ ٢٧٨) .

(٧) هو الحسن البصري، ثقة مشهور، وكان يرسل كثيراً ويدلس، سبقت ترجمته في ص(١٤٧).

رسول الله، دعوة كثيراً ما تدعو بها، قال: « **إنه ليس من عبد إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، فإذا شاء أن يقيمه أقامه، وإذا شاء أن يزيغه أزاغه** »(١) .

وقوله : ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(٢) .

قال ابن عباس : أخذلهم وأدعهم في ضلالتهم يتمادون (٣) .

فصل

وأما إزاغة القلوب، فقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾(٤) وقال عن عباده المؤمنين إنه سألوه : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾(٥) وأصل الزيغ: الميل، ومنه: زاغت الشمس: إذا مالت(٦)، فإزاغة القلب: إمالته،

---

(١) رواه الإمام أحمد(٦/ ٩١) من طريق حماد بن زيد ... به . ورجال إسناده ثقات رجال مسلم، إلا أن الحسن البصري كان يرسل كثيراً ويدلس. قال الحافظ المزي في تهذيب الكمال (٦/ ٩٧): رأى الحسن البصري علي بن أبي طالب وطلحة بن عبيدالله وعائشة ، ولم يصح له سماع من أحد منهم. ورواه الإمام أحمد أيضاً في المسند (٦/ ٢٥٠-٢٥١) من طريق علي بن زيد عن أم محمد عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ مرفوعاً. ومن هذا الطريق رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٢١٠) . وابن أبي عاصم في السنة(١/ ١٠٠-١٠١) . وأبو يعلى في مسنده (٨/ ١٢٩). والآجري في الشريعة ص(٣١٧). وعلي بن زيد هو ابن جدعان ، ضعيف. كما في التقريب (٢/ ٣٧) وانظر تهذيب الكمال (٢٠/ ٤٣٤-٤٤٥). والحديث سبق تخريجه في ص( ) بلفظ مقارب من رواية النواس بن سمعان رضي الله عنه .

(٢) سورة الأنعام آية ١١٠ .

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٣١٤).

(٤) سورة الصف آية ٥ .

(٥) سورة آل عمران آية ٨ .

(٦) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٤٠-٤١) مادة (زيغ) .

وزيغه: ميله عن الهدى إلى الضلال. والزيغ يوصف به القلب والبصر كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾[١]. قال قتادة ومقاتل: شخصت فرقاً[٢][٣].

وهذا تقريب للمعنى، فإن الشخوص غير الزيغ، وهو أن يفتح عينيه ينظر إلى الشيء فلا يطرف. ومنه: شخص بصر الميت. ولما مالت الأبصار عن كل شيء، فلم تنظر إلا إلى / هؤلاء الذين أقبلوا إليهم من كل جانب اشتغلت عن النظر إلى شيء آخر، فمالت عنه وشخصت بالنظر إلى الأحزاب. ١٠٤ب

قال الكلبي : مالت أبصارهم إلا من النظر إليهم[٤].

وقال الفراء : زاغت عن كل شيء، فلم تلتفت إلا إلى عدوها متحيرة تنظر إليه[٥].

قلت : القلب إذا امتلأ رعباً شغله ذلك عن ملاحظة ما سوى المخوف، فزاغ البصر عن الوقوع عليه وهو مقابله .

فصل

وأما الخذلان، فقال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ

---

(١) سورة الأحزاب آية ١٠ .

(٢) الفرق : الخوف . المصباح المنير(٢/ ٤٧١) مادة (فرق).

(٣) قول قتادة رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢١/ ١٣١) وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١١٣) وذكره السيوطي في الدر المنثور، وزاد نسبته إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم. وذكره الواحدي في تفسيره ق(١٤٦) مخطوط مرجع سابق انظر ص(٣٨٧) كما ذكر قول مقاتل .

(٤) ذكره الواحدي في تفسيره (البسيط) ق(١٤٦) مخطوط ، المرجع السابق.

(٥) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٣٦) .

﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾(١) . وأصل الخذلان : الترك والتخلية. ويقال للبقرة والشاة إذا تخلفت مع ولدها في المرعى وتركت صواحباتها : خذول(٢) .

قال محمد بن إسحاق(٣) في هذه الآية : إن ينصرك الله فلا غالب لك من الناس، ولن يضرك خذلان من خذلك ، وإن يخذلك فلن ينصرك الناس، أي لا تترك أمري للناس وارفض الناس لأمري(٤) .

فالخذلان أن يخلي الله تعالى بين العبد وبين نفسه ويكله إليها، والتوفيق ضده أن لا يدعه ونفسه ولا يكله إليها، بل يصنع له ويلطف به ويعينه ويدفع عنه ويكلؤه كلاءة الوالد الشفيق للولد العاجز عن نفسه، فمن خلى بينه وبين نفسه، فقد هلك كل الهلاك، ولهذا كان من دعائه ﷺ: « **يا حي يا قيوم، يا بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا أنت، برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، ولا إلى أحد من خلقك** »(٥) فالعبد مطروح بين الله وبين عدوه إبليس، فإن تولاه الله لم يظفر

---

(١) سورة آل عمران آية ١٦٠ .

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ١٦٥) مادة (خذل) .

(٣) هو : محمد بن إسحاق بن يسار ، أبو بكر ، المطلبي ، مولاهم ، المدني، نزيل العراق، إمام المغازي ، صدوق يدلس، ورمي بالتشيع والقدر، من صغار الخامسة، مات سنة خمسين ومائة، ويقال: بعدها . روى له البخاري تعليقاً، وروى له مسلم والأربعة. له كتب؛ منها : السيرة النبوية. تقريب التهذيب (٢/ ١٤٤) وانظر تهذيب التهذيب (٩/ ٣٨).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٦٣٦) . ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤/ ١٥٤) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٦١) وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

(٥) هذا الحديث من رواية عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه، في دعاء النبي ﷺ عند الكرب. رواه أبو داود (١٣/ ٤٣٤) ك الأدب ـ باب ما يقول إذا أصبح. والترمذي (٥/ ٥٠٤) ك الدعوات ـ باب(٩٢) وقال : هذا حديث غريب ، وقد روي عن =

به عدوه، وإن خذله وأعرض عنه افترسه الشيطان كما يفترس الذئب الشاة (إذا خلى الراعي بينه وبينها. فالشيطان ذئب الإنسان)[١] .

فإن قيل : فما ذنب الشاة إذا خلى الراعي بين الذئب وبينها، وهل يمكنها أن تقوى على الذئب وتنجو منه ؟ / . ١٠٥أ

قيل: لعمر الله (إن الشيطان ذئب الإنسان) كما قاله الصادق المصدوق[٢]. ولكن لم يجعل الله لهذا الذئب اللعين على هذه الشاة سلطاناً مع ضعفها، فإذا أعطت بيدها وسالمت الذئب ، ودعاها فلبت دعوته ، وأجابت أمره ولم

= أنس من غير وجه. والنسائي في عمل اليوم والليلة ص (٤١٣). والإمام أحمد (٥/ ٤٢). والبخاري في الأدب المفرد ص (٢٤٥). وأبو داود الطيالسي في مسنده ص١١٧ . وابن حبان في صحيحه ، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣/ ٢٥٠) . وابن أبي شيبة في مصنفه(١٠/ ١٩٦) ك الدعاء ـ باب ما كان النبي ﷺ يقوله عند الكرب. وابن السني في عمل اليوم والليلة ص(٩٢) بنحوه مختصراً. والبيهقي في كتاب الدعوات الكبير (ص١٢٣) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٣٧) وقال : رواه الطبراني وإسناده حسن . والطبراني في المعجم الصغير (١/ ١٥٩). وذكره الخطيب التبريزي في المشكاة (٢/ ٧٥٨). وكلاهما من رواية أنس ابن مالك رضي الله عنه .

(١) ما بين القوسين ساقط من ع ، د ، س .

(٢) هذا الحديث من رواية العلاء عن زياد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، وتكملته: «كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية، فإياكم والشعاب، وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد» . ورواه الإمام أحمد (٥/ ٢٣٣-٢٤٣) . وأبونعيم في الحلية (٢/ ٢٤٧) في ترجمة العلاء بن زياد. والطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ١٦٤-١٦٥) . وذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٤٠) والسيوطي في الجامع الصغير، وضعفه الألباني، انظر ضعيف الجامع الصغير (٢/ ٥٣) والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٣) (٥/ ٢١٩) وقال : رواه أحمد، والطبراني، ورجال أحمد ثقات، إلا أن العلاء بن زياد قيل: لم يسمع من معاذ. وذكره الخطيب التبريزي في المشكاة (١/ ٦٥) وضعفه الألباني .

تتخلف، بل أقبلت نحوه سريعة مطيعة، وفارقت حمى الراعي الذي ليس للذئاب الذي ليس عليه سبيل ، ودخلت في محل الذئاب الذي من دخله كان صيداً لهم، فهل الذنب كل الذنب إلا (للشاة)[1]، فكيف والراعي يحذرها ويخوفها وينذرها ، وقد أراها مصارع الشاء التي انفردت عن الراعي ودخلت وادي الذئاب .

قال أحمد بن مروان[2] المالكي في كتاب المجالسة: سمعت ابن أبي الدنيا[3] يقول : إن لله سبحانه من العلوم ما لا يحصى ، يعطي كل واحد من ذلك ما لا يعطي غيره. لقد حدثنا أبو عبدالله أحمد بن محمد ابن سعيد[4] (القطان)[5] حدثنا (عبدالله)[6] بن بكر السهمي[7] عن

---

(١) في م ، د : على الشاة .

(٢) هو : أحمد بن مروان الدينوري المالكي، أبو بكر : قاض ، من رجال الحديث، كان على قضاء (القلزم) ثم ولي قضاء (أسوان) بمصر عدة سنين. وتوفي بالقاهرة سنة ٣٣٣هـ . من كتبه (المجالسة وجواهر العلم) و(مناقب مالك) وغيرهما. سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٢٧) والأعلام(١/ ٢٥٦).

(٣) هو عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان، القرشي، مولاهم أبو بكر بن أبي الدنيا ، البغدادي، صدوق حافظ ، صاحب تصانيف ، من الطبقة الثانية عشرة ، مات سنة إحدى وثمانين ومائتين، وله ثلاث وسبعون سنة. روى له ابن ماجه في التفسير، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٩٧) وتهذيب التهذيب (٦/ ١٢) وتقريب التهذيب (١/ ٤٤٧).

(٤) سبقت ترجمته في ص (٣٠٦) .

(٥) في ت ، م : الطائي .

(٦) في ع ، د ، س : عبيد الله .

(٧) هو : عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي الباهلي، أبو وهب البصري، نزيل بغداد، امتنع من القضاء، ثقة حافظ، من التاسعة، مات في المحرم سنة ثمان ومائتين ، روى له الستة. تقريب التهذيب(٢/ ٤٠٤) وتهذيب التهذيب(٥/ ١٦٢).

أبيه أن قوماً كانوا في سفر، فكان فيهم رجل يمر الطائر، فيقول : أتدرون ما تقول هؤلاء ؟ فيقولون: لا، فيقول : تقول كذا وكذا، فيحيلنا على شيء لا ندري أصادق هو أم كاذب، إلى أن مروا على غنم وفيها شاة قد تخلفت على سخلة[١] لها فجعلت تحنو[٢] عنقها إليها وتثغو ، فقال: أتدرون ما تقول هذه الشاة؟ قلنا: لا، قال : تقول للسخلة: الحقي لا يأكلك الذئب كما أكل أخاك عام أول في هذا المكان. قال : فانتهينا إلى الراعي، فقلنا له : ولدت هذه الشاة قبل عامك هذا؟ قال نعم. ولدت سخلة عام أول، فأكلها الذئب بهذا المكان. ثم أتينا على قوم فيهم ظعينة على جمل لها وهو يرغو ويحنو عنقه إليها، فقال : أتدرون ما يقول هذا البعير ؟ قلنا : لا . قال : فإنه يلعن راكبته ويزعم أنها رحلته على مخيط وهو في سنامه، قال : فانتهينا إليهم، فقلنا : يا هؤلاء إن صاحبنا هذا يزعم أن هذا البعير يلعن راكبته، ويزعم أنها رحلته / ١٠٥ب على مخيط، وأنه في سنامه، قال : فأناخوا البعير وحطوا عنه، فإذا هو كما قال[٣] .

فهذه شاة قد حذرت سخلتها من الذئب مرة فحذرت . وقد حذر الله

---

(١) السخلة : تطلق على الذكر والأنثى من أولاد الضأن والمعز ساعة تولد. المصباح المنير(١/ ٢٦٩) .

(٢) يقال :حنوت العود، أحنيه حنيا، وحنوته أحنوه حنواً : إذا ثنيته. المصباح المنير (١/ ١٥٥) ماد (حنا) .

(٣) انظر كتاب المجالسة وجواهر العلم ص (٣٠٥) الجزء الرابع عشر، وهو عن مخطوطة محفوظة بمكتبة طوب قابوسراي في استانبول بتركيا، نشره معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في جامعة فرانكفورت بألمانيا، وأصدره الدكتور فؤاد سزكين سنة ١٤٠٧هـ .

سبحانه وتعالى ابن آدم من ذنبه مرة بعد مرة ، وهو يأبى إلا أن يستجيب له إذا دعاه، ويبيت معه ويصبح ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1] .

فصل

وأما الإركاس، فقال تعالى: ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾[2] .

قال الفراء : أركسهم : ردهم إلى الكفر[3] .

قال أبو عبيد : يقال ركست الشيء وأركسته، لغتان، إذا رددته[4] .

والركس : قلب الشيء على رأسه. أو رد أوله على آخره، والارتكاس: الارتداد. قال أمية[5] :

---

(١) سورة إبراهيم آية ٢٢ .

(٢) سورة النساء آية ٨٨ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء (١/ ٢٨١) .

(٤) انظر : غريب الحديث لأبي عبيد الهروي (١/ ٢٧٥) .

(٥) هو أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي: شاعر جاهلي ، من أهل الطائف. قدم دمشق قبل الإسلام ، وكان مطلعاً على الكتب القديمة، يلبس المسوح تعبداً، وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر، ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية، ورحل إلى البحرين فأقام ثماني سنين ظهر في أثنائها الإسلام ، وعاد إلى =

فأركسوا في حميم النار أنهم　　كانوا عصاة وقالوا الإفك والزورا[١]

ومن هذا يقال للروث : الركس ، لأنه رد إلى حال النجاسة ، ولهذا المعنى سمي رجيعاً . والركس والنكس، والمركوس والمنكوس بمعنى واحد[٢] .

قال الزجاج : أركسهم : نكسهم وردهم[٣] .

والمعنى: أنه ردهم إلى حكم الكفر من الذل والصغار . وأخبر سبحانه عن حكمه وقضائه فيهم وعدله، وأن (إركاسهم)[٤] كان بسبب كسبهم وأعمالهم، كما قال تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[٥] فهذا توحيده وهذا عدله، لا ما تقوله القدرية المعطلة أن التوحيد: إنكار الصفات. والعدل : التكذيب بالقدر .

= الطائف ، فسأل عن خبر النبي ﷺ ، فقيل له: يزعم أنه نبي، فخرج حتى قدم عليه بمكة وسمع منه آيات من القرآن وانصرف عنه ، فتبعته قريش تسأله عن رأيه فيه، فقال أشهد أنه على الحق، قالوا: فهل تتبعه، فقال: حتى أنظر في أمره. وخرج إلى الشام وهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وحدثت وقعة بدر، وعاد أمية من الشام، يريد الإسلام، فعلم بمقتل أهل بدر وفيهم ابنا خال له، فامتنع وأقام في الطائف إلى أن مات سنة خمس من الهجرة. الأعلام (٢/ ٢٣) والشعر والشعراء لابن قتيبة ص(١٧٦) .

(١) انظر ديوان أمية بن أبي الصلت ص (٤٠٨) جمع وتحقيق د . عبد الحفيظ السطلي، ط (بدون) ونص البيت فيه هكذا :

أركسوا في جهنم أنهم كا　　نوا عتاة تقول إفكاً وزوراً

وورد عند الطبري في تفسيره (٥/ ١٩٢) باللفظ الذي ذكره المؤلف .

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة (٢/ ٤٣٤) و(٥/ ٤٧٧) مادة : (ركس) و(نكس).

(٣) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٨٨) .

(٤) في ع ، د ، س : كان إركاسه .

(٥) سورة المطففين آية ١٤ .

فصل

وأما التثبيط، فقال تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾[(١)] .

والتثبيط / : رد الإنسان عن الشيء الذي يفعله . ١٠٦أ

قال ابن عباس : يريد خذلهم وكسلهم عن الخروج[(٢)] .

وقال في رواية أخرى : حبسهم[(٣)] .

قال مقاتل : وأوحي إلى قلوبهم اقعدوا مع القاعدين[(٤)] .

وقد بين سبحانه حكمته في هذا التثبيط والخذلان قبل وبعد، فقال : ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ﴾ (يعني في التخلف عنك)[(٥)] ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[(٦)] .

فلما تركوا الإيمان به وبلقائه، وارتابوا بما لا ريب فيه، ولم يريدوا الخروج في (طاعته)[(٧)] ولم يستعدوا له ولا أخذوا أهبة ذلك، كره سبحانه انبعاث من هذا شأنه، فإن من لم يرفع به وبرسوله وكتابه رأساً، ولم يقبل هديته التي

---

(١) سورة التوبة آية ٤٦ .

(٢) لم أعثر له على تخريج .

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ق(٥٣) مخطوط، محفوظ أصله بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة تحت رقم(٥٠) تفسير ، وتوجد صورة منه بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تحت رقم ٢٩٦/ ف .

(٤) لم أعثر له على تخريج .

(٥) ما بين القوسين ساقط من ع ، د ، س .

(٦) سورة التوبة آية ٤٥ .

(٧) في ع ، د ، س : طاعة الله .

أهداها إليه على يد أحب خلقه إليه وأكرمهم عليه، ولم يعرف قدر هذه النعمة ولا شكرها، بل بدلها كفراً ، فإن طاعة هذا وخروجه مع رسوله يكرهه الله سبحانه، فثبطه لئلا يقع ما يكره من خروجه ، وأوحى إلى قلبه قدراً وكوناً أن يقعد مع القاعدين .

ثم أخبر سبحانه عن الحكمة التي تتعلق بالمؤمنين في تثبيط هؤلاء عنهم، فقال : ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾[١]، والخبال: الفساد والاضطراب ، فلو خرجوا مع المؤمنين؛ لأفسدوا عليهم أمرهم، وأوقعوا بينهم الاضطراب والاختلاف .

قال ابن عباس :﴿ مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ : عجزاً وجبناً [٢]، يعني يجبنونهم عن لقاء العدو بتهويل أمرهم (عليهم)[٣] وتعظيمهم في صدورهم.

ثم قال : ﴿وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ﴾ أي : أسرعوا في الدخول بينكم (للتضريب)[٤] والإفساد .

قال ابن عباس : يريد : أضعفوا شجعانكم، يعني (بالتضريب)[٥] بينهم لتفرق الكلمة فيجبنوا عن العدو[٦] .

وقال الحسن : لأوضعوا خلالكم بالنميمة لإفساد ذات البين[٧] .

---

(١) سورة التوبة آية ٤٧ .

(٢) لم أعثر له على تخريج .

(٣) ساقطة من ع ، د ، س .

(٤) في د ، س : للتفريق. والتضريب هو : الإفساد . انظر المصباح المنير ص (٣٥٩) مادة (ضرب).

(٥) في د ، س : للتفريق .

(٦) لم أعثر له على تخريج .

(٧) ذكره ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير (٣/ ٤٤٨) .

وقال الكلبي : ساروا بينكم يبغونكم (العنت[1])[2] .

قال (امرؤ القيس[3])[4] / : ١٠٦ ب

أرانا موضعين لحتم غيب ونسحر بالطعام وبالشراب[5]

أي مسرعين ، ومنه قول عمر بن أبي ربيعة [6] :

---

(١) في م ، ع ، د ، س : العيب .

(٢) لم أعثر له على تخريج .

(٣) في ت : لبيد .

(٤) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي ، من بني آكل المرار، أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يماني الأصل ، مولده بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن ، اشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه، فقيل: حندج، وقيل: مليكة، وقيل: عدي، وكان أبوه ملك أسد وغطفان، وأمه أخت المهلهل الشاعر، قال الشعر وهو غلام، وجعل يشبب ويلهو فبلغ ذلك أباه فنهاه عن سيرته فلم ينته، فأبعده إلى دمون بحضرموت، وثار بنو أسد على أبيه وقتلوه، فبلغ ذلك امرأ القيس، ونهض من غده، فلم يزل حتى ثار لأبيه من بني أسد، وقال في ذلك شعراً كثيراً، ذهب إلى قيصر الروم للاستعانة به على الفرس، وفي طريق عودته ظهرت في جسمه قروح، فأقام إلى أن مات في أنقرة نحو سنة ٨٠ قبل الهجرة، ويعرف امرؤ القيس بالملك الضليل (لاضطراب أمره طول حياته) وذي القروح (لما أصابه في مرض موته) وكتب الأدب مشحونة بأخباره. الأعلام (٢/ ١١-١٢) والشعر والشعراء لابن قتيبة ص(٣٦) .

(٥) انظر ديوان امرئ القيس ص(٩٧) وفيه: (أرانا موضعين لأمر غيب ...)إلخ. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، نشر دار المعارف بمصر، ط (بدون).

(٦) هو : عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، أبو الخطاب، من طبقة جرير والفرزدق، ولم يكن في قريش أشعر منه، وولد في الليلة التي توفي بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فسمي باسمه، وكان يفد على عبد الملك بن مروان فيكرمه ويقربه، ورفع إلى عمر بن عبد العزيز أنه يتعرض لنساء الحاج ويشبب بهن ، فنفاه إلى (دهلك) ثم غزا في البحر فاحترقت السفينة به وبمن معه، فمات فيها غرقاً. سنة ٩٣هـ . الشعر والشعراء لابن قتيبة ص (٢٧٦) . الأعلام (٥/ ٥٢) .

تباً لهن بالعرفان لما عرفنني   وقلن امرؤ باغٍ أكل وأوضعا[(١)]

أي : أسرع حتى كلت مطيته .

﴿ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ﴾[(٢)] .

وقال قتادة : وفيكم من يسمع كلامهم ويطيعهم[(٣)] .

وقال ابن إسحاق[(٤)] : وفيكم قوم أهل محبة لهم وطاعة فيما يدعونهم إليه لشرفهم فيهم[(٥)] .

ومعناه على هذا القول : وفيكم أهل سمع وطاعة لهم، لو صحبهم هؤلاء المنافقون أفسدوهم عليكم .

قلت : فضمن (سمَّاعين) معنى (مستجبين).

وقال مجاهد وابن زيد والكلبي : المعنى : وفيكم عيون لهم ينقلون إليهم ما يسمعون ، أي جواسيس[(٦)] .

والقول هو الأول، كما قال تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾[(٧)] أي: قابلون له، ولم يكن في المؤمنين جواسيس للمنافقين، فإن المنافقين كانوا مختلطين بالمؤمنين، ينزلون معهم ، ويرحلون ويصلون معهم، ويجالسونهم، ولم يكونوا (متحيزين)[(٨)] عنهم قد أرسوا فيهم العيون ينقلون إليهم أخبارهم ، فإن هذا

---

(١) انظر ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٢٢٨ نشر دار صادر بيروت ط (بدون)

(٢) سورة التوبة آية ٤٧ .

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٠/١٤٦) .

(٤) سبقت ترجمته في ص(٦٦٦) .

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٠/١٤٦) .

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٠/١٤٦) .

(٧) سورة المائدة آية (٤٢) .

(٨) في ع : متحيزون .

إنما يفعله من انحاز عن طائفة ولم يخالطها وأرصد بينهم عيوناً له .

فالقول قول قتادة وابن إسحاق، والله أعلم .

فإن قيل : انبعاثهم إلى طاعته طاعة له، فكيف يكرهها ؟ فإذا كان سبحانه يكرهها، فهو يحب ضدها لا محالة، إذ كراهة أحد الضدين تستلزم محبة الضد الآخر، فيكون قعودهم محبوباً له فكيف يعاقبهم عليه؟ .

قيل: هذا سؤال له شأن ، وهو من أكبر الأسئلة في هذا الباب، وأجوبة الطوائف (عنه)[1] على حسب أصولهم .

فالجبرية تجيب عنه بأن أفعاله لا تعلل بالحكم والمصالح، وكل ممكن فهو جائز عليه ، ويجوز أن يعذبهم على فعل ما يحبه ويرضاه وترك ما يبغضه ويسخطه ، والجميع بالنسبة إليه سواء[2] .

وهذه الفرقة قد سدت / على أنفسها باب الحكمة والتعليل . ١٠٧أ

والقدرية تجيب عنه على أصولها بأنه سبحانه لم يثبطهم حقيقة ولم يمنعهم بل هم منعوا أنفسهم وثبطوها على الخروج، وفعلوا ما لا يريد، ولما كان في خروجهم المفسدة التي ذكرها الله سبحانه ألقى في نفوسهم كراهة الخروج مع رسوله.

قالوا: وجعل سبحانه إلقاء كراهة الانبعاث في قلوبهم كراهة (منه)[3]

---

(١) ساقطة من د ، س .

(٢) انظر في عدم تعليل أفعال الله سبحانه وتعالى بالمصالح عندهم : المواقف للإيجي ص(٣٢٤،٣٢٨،٣٢٩،٣٣١) وكتاب المسائل الخمسون في أصول الدين للرازي ص(٦٢) تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ط الأولى ١٩٨٩م، نشر المكتب الثقافي بالقاهرة.

(٣) ساقطة من ع ، د ، س .

(لذلك)(١) من غير أن يكره هو سبحانه انبعاثهم، فإنه أمرهم به، قالوا : وكيف يأمرهم بما يكرهه؟!

ولا يخفى على من نور الله تعالى بصيرته فساد هذين الجوابين وبعدهما من دلالة القرآن، فالجواب الصحيح أنه سبحانه أمرهم بالخروج طاعة له ولأمره، واتباعاً لرسوله ﷺ، ونصرة له وللمؤمنين، وأحب ذلك منهم، ورضيه لهم ديناً، وعلم سبحانه أن خروجهم لو خرجوا لم يقع على هذا الوجه، بل يكون (خروج)(٢) خذلان لرسوله وللمؤمنين ، فكان خروجاً يتضمن خلاف ما يحبه ويرضاه، ويستلزم وقوع ما يكرهه ويبغضه، وكان مكروهاً (له)(٣) من هذا الوجه ومحبوباً له من الوجه الذي خرج عليه أولياؤه. (وهو)(٤) يعلم أنه لا يقع منهم إلا على الوجه المكروه إليه فكرهه، وعاقبهم على ترك الخروج الذي يحبه ويرضاه، لا على ترك الخروج الذي يبغضه ويسخطه. وعلى هذا، فليس الخروج الذي كرهه منهم طاعة حتى لو فعلوه لم يثبهم عليه ولم يرضه منهم. وهذا الخروج المكروه له ضدان.

أحدهما: الخروج المرضي المحبوب ، وهذا الضد هو الذي يحبه .

والثاني: التخلف عن رسوله والقعود عن الغزو معه .

وهذا الضد يبغضه ويكرهه أيضاً . وكراهته للخروج على الوجه الذي كانوا يخرجون عليه لا ينافي كراهته لهذا الضد .

فنقول للسائل : قعودهم (يكون محبوباً له ليس بصحيح، بل

---

(١) في ع ، د ، س : مشيئة .

(٢) في ع ، د ، س : خروجهم خروج .

(٣) ساقطة من د .

(٤) في ت : لم .

قعودهم)[١] مبغوض له. ولكن هاهنا أمران مكروهان له سبحانه/ وأحدهما ١٠٧ب أكره (إليه)[٢] من الآخر؛ لأنه أعظم مفسدة. فإن قعودهم مكروه له، وخروجهم على الوجه الذي ذكره أكره إليه، ولم يكن لهم بد من أحد المكروهين إليه سبحانه، فدفع المكروه الأعلى بالمكروه الأدنى، فإن مفسدة قعودهم عنه أصغر من مفسدة خروجهم معه، فإن مفسدة قعودهم تختص بهم ، ومفسدة خروجهم تعود على المؤمنين ، فتأمل هذا الموضع .

فإن قلت : فهلا وفقهم للخروج الذي يحبه ويرضاه، وهو الذي خرج عليه المؤمنون ؟

قلت : قد تقدم جواب مثل هذا السؤال مراراً . وإن حكمته تأبى أن يضع التوفيق في غير محله وعند غير أهله، فالله أعلم حيث يجعل هداه وتوفيقه وفضله ، وليس كل محل يصلح لذلك ، ووضع الشيء في غير محله لا يليق بحكمته .

فإن قلت : وعلى ذلك، فهلا جعل المحال كلها صالحة ؟

قلت : يأباه كمال ربوبيته وملكه، وظهور (آثار)[٣] أسمائه وصفاته في الخلق والأمر . وهو سبحانه لو فعل ذلك لكان محبوباً له، فإنه يحب أن يذكر ويشكر، ويطاع ويوحد ويعبد، ولكن كان ذلك يستلزم فوات ما هو أحب إليه من استواء أقدام الخلائق في الطاعة والإيمان، وهو محبته لجهاد أعدائه، والانتقام منهم، وإظهار قدر أوليائه وشرفهم، وتخصيصهم بفضله، وبذل

(١) ما بين القوسين ساقط من ع ، د ، س.
(٢) في ع ، د ، س : له .
(٣) ساقطة من د .

نفوسهم له في معاداة من عاداه، وظهور عزته وقدرته وسطوته، وشدة أخذه وأليم عقابه، وأضعاف أضعاف هذه الحكم التي لا سبيل للخلق ولو تناهوا في العلم والمعرفة إلى الإحاطة بها، ونسبة ما عقلوه منها إلى ما خفي عنهم كنقرة عصفور في بحر .

فصل

وأما التزيين، فقال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾[(١)] . وقال : ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾[(٢)]. وقال: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[(٣)] فأضاف التزيين إليه سبحانه خلقاً، ومشيئة، وحذف فاعله تارة، ونسبه إلى سببه ومن أجراه على يده تارة.

١٠٨أ وهذا التزيين منه سبحانه جزاء وابتلاء واختبار / (لعبيده لتمييز)[(٤)] المطيع منهم من العاصي، والمؤمن من الكافر، كما قال تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[(٥)] . وهو من الشيطان قبيح. وأيضاً فتزيينه سبحانه للعبد عمله السيِّئ عقوبة منه له على إعراضه عن توحيده وعبوديته وإيثاره سيِّئ العمل على حسنه، فإنه لابد أن يعرفه سبحانه السيِّئ من الحسن، فإذا آثر القبيح واختاره وأحبه ورضيه لنفسه، زيَّنه سبحانه له وأعماه عن رؤية قبحِهِ بعد أن رآه قبيحاً، وكل ظالم وفاجر فاسق لابد أن يريه الله تعالى ظلمه وفجوره وفسقه قبيحاً، فإذا تمادى عليه ارتفعت رؤية

---

(١) سورة الأنعام آية ١٠٨ .

(٢) سورة فاطر آية ٨ .

(٣) سورة الأنعام آية ٤٣ .

(٤) في د ، س : بعيد ليتميز .

(٥) سورة الكهف آية ٧ .

قبحه من قلبه، فربما رآه حسناً عقوبة له، فإنه إنما يكشف له عن قبحه بالنور الذي في قلبه وحجة الله عليه، فإذا تمادى في غيِّه وظلمه ذهب ذلك النور، فلم ير قبحه في ظلمات الجهل والفسوق والظلم . ومع هذا فحجة الله قائمة عليه بالرسالة وبالتعريف الأول، فتزيين الرب تعالى عدل (وعقوبة وحكمة)(١) وتزيين الشيطان إغواء وظلم ، وهو السبب الخارج عن العبد، والسبب الداخل فيه حبه وبغضه وإعراضه . والرب سبحانه خالق الجميع ، والجميع (واقع)(٢) بمشيئته وقدرته، ولو شاء لهدى خلقه أجمعين. والمعصوم من عصمه الله، والمخذول من خذله الله (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)(٣).

فصل

وأما عدم مشيئته سبحانه وإرادته، فكما قال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ ﴾(٤) وقال : ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾(٥) . ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ ﴾(٦) وعدم مشيئته للشيء مستلزم لعدم وجوده، كما أن مشيئته (له)(٧) تستلزم وجوده. فما شاء الله وجب وجوده، وما لم يشأ امتنع وجوده، وقد أخبر سبحانه أن العباد لا يشاؤون إلا بعد مشيئته، ولا يفعلون (إلا)(٨) بعد مشيئته . فقال :

---

(١) في د . س : وعقوبته حكمة .
(٢) ساقطة من م .
(٣) اقتباس من آية ٥٤ سورة الأعراف .
(٤) سورة المائدة آية ٤١ .
(٥) سورة السجدة آية ١٣ .
(٦) سورة يونس آية ٩٩ .
(٧) ساقطة من ع ، د ، س .
(٨) في ع ، د ، س : شيئاً إلا .

١٠٨ب/ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[1] و(قال)[2] : ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[3] .

فإن قيل: فهل يكون الفعل مقدوراً للعبد في حال عدم مشيئة الله له أن يفعله؟

قيل : إن العبد أريد بكونه مقدوراً سلامة آلة العبد التي يتمكن بها من الفعل، وصحة أعضائه ، ووجود قواه ، وتمكينه من أسباب الفعل (وتعريفه)[4] طريق فعله وفتح الطريق له. فنعم هو مقدور بهذا الاعتبار .

وإن أريد بكونه مقدوراً القدرة المقارنة للفعل، وهي الموجبة له، التي إذا وجدت لم يتخلف عنها الفعل، فليس بمقدور بهذا الاعتبار .

وتقرير ذلك أن القدرة نوعان :

قدرة مصححة : وهي قدرة الأسباب والشروط وسلامة الآلة، وهي مناط التكليف، وهذه متقدمة على الفعل غير موجبة له .

وقدرة مقارنة للفعل مستلزمة له، لا يتخلف الفعل عنها ، وهذه ليست شرطاً في التكليف، فلا يتوقف صحته وحسنه عليها، فإيمان من لم يشأ الله إيمانه، وطاعة من لم يشأ الله طاعته مقدور بالاعتبار الأول، غير مقدور بالاعتبار الثاني .

وبهذا التحقيق تزول الشبهة في تكليف ما لا يطاق، كما يأتي بيانه في

---

(١) سورة الإنسان آية ٣٠ .

(٢) ساقطة من ع ، د ، س .

(٣) سورة المدثر آية ٥٦ .

(٤) في ع ، د ، س : وتهيئة .

موضعه إنشاء الله تعالى .

فإن قيل : هل خلق لمن علم أنه لا يؤمن قدرة على الإيمان أم لم يخلق له قدرة؟

قيل : خلق قدرة مصححة متقدمة على الفعل هي مناط الأمر والنهي، ولم يخلق له قدرة موجبة للفعل مستلزمة له لا يتخلف عنها ، فهذا فضله يؤتيه من يشاء ، وتلك عدله التي تقوم بها حجته على عبده .

فإن قيل : هل يمكنه الفعل ولم يخلق له هذه القدرة ؟

قيل : هذا هو السؤال السابق بعينه، وقد عرفت جوابه ، وبالله التوفيق .

فصل

وأما إماتة قلوبهم، ففي قوله : ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾(١) وقوله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾(٢) وقوله: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾(٣) وقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾(٤).

فوصف الكافر / بأنه ميت وأنه بمنزلة أصحاب القبور ، وذلك أن القلب ١٠٩أ الحي هو الذي يعرف الحق ويقبله ويحبه ويؤثره على غيره، فإذا مات القلب لم يبق فيه إحساس ولا تمييز بين الحق والباطل، ولا إرادة للحق وكراهة للباطل، بمنزلة الجسد الميت الذي لا يحس بلذة الطعام والشراب وألم فقدهما .

---

(١) سورة النمل آية ٨٠ .

(٢) سورة الأنعام آية ١٢٢ .

(٣) سورة يس آية ٧٠ .

(٤) سورة فاطر آية ٢٢ .

وكذلك وصف سبحانه كتابه ووحيه بأنه روح، لحصول حياة القلب به، فيكون القلب حياً، ويزداد حياة بروح الوحي، فيحصل له حياة على حياة، ونور على نور، ونور الوحي على نور الفطرة. قال تعالى: ﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾[1] وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2] فجعله روحاً لما يحصل له من الحياة، ونوراً لما يحصل به من الهدى والإضاءة، وذلك نور وحياة (زائد)[3] على نور الفطرة وحياتها، فهو نور على نور، وحياة على حياة. ولهذا يضرب سبحانه لمن عدم ذلك مثلاً بمستوقد النار التي ذهب عنه ضوؤها ، وبصاحب الصيب الذي كان حظه منه الصواعق والظلمات والرعد والبرق، فلا استنار بما أوقد من النار ولا حيي بما في الصيب من الماء[4] .

وكذلك ضرب هذين المثلين في سورة الرعد[5] لمن استجاب له، فحصل على الحياة والنور، ولمن لم يستجب له وكان حظه الموت والظلمة.

---

(١) سورة غافر آية ١٥ .

(٢) سورة الشورى آية ٥٢ .

(٣) في ع ، د ، س : زائدة .

(٤) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ۝ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ۝ ﴾ سورة البقر آية ١٧-١٩ .

(٥) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ۝ ﴾الرعد آية ١٦ .

(وأخبر[(١)]) عمن أمسك عن نوره بأنه في الظلمة ليس له من نفسه نور، فقال تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ﴾[(٢)].

ثم ذكر من أمسك عنه هذا النور ولم يجعله له، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾[(٣)]. ١٠٩ب

وفي المسند من حديث عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق خلقه في ظلمة، ثم ألقى عليهم نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل، فلذلك أقول: جف القلم على علم الله»[(٤)].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[(٥)].

---

(١) في ع، د، س: فأخبر.

(٢) سورة النور آية ٣٥.

(٣) سورة النور آية ٣٩، ٤٠.

(٤) سبق تخريجه في ص (١٤٩).

(٥) سورة الأنعام آية ٣٩.

وهذه الظلمات ضد الأنوار التي يتقلب فيها المؤمن؛ فإن نور الإيمان في قلبه، ومدخله نور، ومخرجه نور، (وعلمه)[(١)] نور، و(مشيه)[(٢)] في الناس(نور)[(٣)] ، وكلامه نور، ومصيره إلى (النور)[(٤)] ،والكافر بالضد، ولَمّا كان النور من أسمائه سبحانه الحسنى وصفاته كان دينه نوراً، ورسوله نوراً، وكلامه نوراً وداره نوراً يتلألأ، والنور يتوقد في قلوب عباده المؤمنين، ويجري على ألسنتهم، ويظهر على وجوههم، وكذلك لما كان الإيمان (صفته)[(٥)] واسمه المؤمن لم يعطه إلا أحب خلقه إليه. وكذلك الإحسان وصفته وهو المحسن ويحب المحسنين، وهو صابر يحب الصابرين، شاكر يحب الشاكرين ، عفو يحب أهل العفو، حيي يحب أهل الحياء، ستير يحب أهل الستر، قوي يحب أهل القوة من المؤمنين، عليم يحب أهل العلم من عباده، جواد يحب أهل الجود، جميل يحب المتجملين، بر يحب الأبرار، رحيم يحب الرحماء، عدل يحب أهل العدل، رشيد يحب أهل الرشد، وهو الذي جعل من يحبه من خلقه كذلك، وأعطاه من هذه الصفات ما شاء ، وأمسكها عمن يبغضه، وجعله على أضدادها، فهذا / عدله ، وذلك فضله، والله ذو الفضل العظيم . ١١٠أ

فصل

وأما جعله القلب قاسياً، فقال تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا

(١) في ع ، د ، س : وعلمه .
(٢) في ع ، س ، ومشيئة ، وفي د ، : ومشيئته .
(٣) في م : بالنور ، وفي ت : في النور .
(٤) في ع ، د ، س : نور .
(٥) ساقطة من ع ، س .

﴿مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِۦ﴾[١] والقسوة: الشدة والصلابة في كل شيء، يقال: حجر قاس، وأرض قاسية: لا تنبت شيئاً[٢].

قال ابن عباس: قاسية عن الإيمان[٣].

وقال الحسن: طبع عليها[٤].

والقلوب ثلاثة: قلب قاس، وهو اليابس الصلب الذي لا يقبل صورة الحق، ولا تنطبع فيه (ليبسه)[٥]، وضده القلب اللين المتماسك، وهو السليم من المرض الذي يقبل صورة الحق بلينه (يحفظها)[٦] بتماسكه، بخلاف المريض الذي لا يحفظ ما ينطبع فيه، لميعانه ورخاوته، كالمائع الذي إذا طبعت فيه الشيء قبل صورته بما فيه من اللين ولكن رخاوته تمنعه من حفظها، فخير القلوب الصلب الصافي اللين، فهو يرى الحق بصفائه، ويقبله بلينه، ويحفظه بصلابته.

وفي المسند وغيره عن النبي ﷺ: «**القلوب آنية الله في أرضه، فأحبها إليه أصلبها وأرقها وأصفاها**»[٧].

---

(١) سورة المائدة آية ١٣.

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٨٧) والصحاح للجوهري (٦/ ٢٤٦٢) مادة (قسا).

(٣) ذكره الواحدي في تفسيره (البسيط) ق(٢٠) مخطوط، محفوظ أصله بمكتبة شستربتي في بريطانيا تحت رقم (٥١٠٥) وتوجد صورة منه بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تحت الرقم نفسه.

(٤) ذكره الواحدي في تفسيره (البسيط) ق(٢٠) المرجع السابق.

(٥) ساقطة من ع، د، س.

(٦) في ع، د، س: ويحفظه.

(٧) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في زوائده على كتاب الزهد للإمام أحمد ص١٩١ بسنده =

وقد ذكر سبحانه أنواع القلوب في قوله تعالى: ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ ﴾[1].

= عن أبي أمامة مرفوعاً. ومن طريقه رواه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٩٧). قال الألباني: وفي سنده محمد بن القاسم الأسدي، وهو ضعيف جداً، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٢٦٤). ورواه الطبراني في المعجم الكبير كما في المنتقى منه (ق٤٠/ ١) مخطوط محفوظ أصله بالمكتبة الظاهرية بدمشق ضمن مجموع تحت رقم (٧١) بسنده عن أبي عنبة الخولاني. وقال الألباني: إسناده قوي. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٢٦٣). وذكره المناوي في فيض القدير (٢/ ٤٩٦) ونقل عن الهيثمي ـ وأقره ـ قوله: إسناده حسن. وذكره أيضاً السيوطي في الجامع الصغير. وقال الألباني: إسناده حسن. انظر صحيح الجامع الصغير (١/ ٢٣٠). ولم أعثر على هذا الحديث في مسند الإمام أحمد ـ كما ذكر المؤلف رحمه الله تعالى ـ وذلك بعد البحث عنه في مظانه وفي فهرس المسند، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، وموسوعة أطراف الحديث النبوي، وغيرها من كتب الفهرسة والتخريج. وقد روي هذا الحديث موقوفاً على خالد بن معدان. وممن رواه: الإمام أحمد في كتاب الزهد ص٤٦٠ حيث قال: إن لله تبارك في الأرض، وأحب آنية الله إليه ما رق منها وصفا، وآنية الله في الأرض قلوب عباده الصالحين. قال الألباني: وهذا إسناد صحيح. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة(٤/ ٢٦٤). وقد ذكر المؤلف رحمه الله تعالى هذه الرواية الموقوفة ونسبها إلى بعض السلف في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية ص٥٢. كما ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في الفتاوى (٩/ ٣١٥) بقوله: وبلغنا عن بعض السلف، قال: القلوب آنية الله في الأرض ... إلخ. ثم قال: وهذا مثل حسن، فإن القلب إذا كان رقيقاً ليناً كان قبوله للعلم سهلاً ويسيراً، ورسخ العلم فيه وثبت وأثر، وإن كان قاسياً غليظاً كان قبوله للعلم صعباً عسيراً.

(١) سورة الحج آية ٥٣-٥٤.

فذكر القلب المريض ، وهو الضعيف المنحل الذي لا تثبت فيه صورة الحق، والقلب القاسي اليابس الذي لا يقبلها ولا تنطبع فيه، فهذان القلبان شقيان معذبان. ثم ذكر القلب المخبت المطمئن إليه ، وهو الذي ينتفع بالقرآن ويزكو به.

قال الكلبي : ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْۗ﴾ فترق للقرآن قلوبهم[(١)] .

وقد بين سبحانه حقيقة الإخبات ووصف المخبتين في قوله تعالى:﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾[(٢)] / فذكر للمخبتين أربع ١١٠ب علامات: وجل قلوبهم عند ذكره ـ والوجل خوف مقرون بهيبة ومحبة ـ وصبرهم على أقداره ، وإتيانهم بالصلاة قائمة الأركان، ظاهراً وباطناً ، وإحسانهم إلى عباده بالإنفاق مما آتاهم . وهذا إنما يتأتى للقلب المخبت .

قال ابن عباس : (المخبتين) : المتواضعين[(٣)] .

وقال مجاهد : المطمئنين إلى الله[(٤)] .

وقال الأخفش : الخاشعين[(٥)] .

---

(١) ذكره الواحدي في تفسيره (البسيط) ق(٣٤) مخطوط، محفوظ أصله بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٣) تفسير ، وتوجد صورة منه بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تحت رقم (١٠٨٤٤/ ف) .

(٢) سورة الحج آية ٣٤ ، ٣٥ .

(٣) ذكره الواحدي في تفسيره (البسيط) ق(٢٥) المرجع السابق .

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ١٦١) . وذكره في الدر المنثور (٦/ ٤٨) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) ذكره الواحدي في تفسيره (البسيط) ق(٢٥) المرجع السابق .

وقال ابن جرير : الخاضعين[1] .

وقال الزجَّاج : اشتقاقه من الخبت، وهو المنخفض من الأرض، وكل مخبت متواضع[2] . فالإخبات سكون الجوارح على وجه التواضع والخشوع لله تعالى.

فإن قيل : فإذا كان معناه: التواضع والخشوع ، فكيف عدي بإلى في قوله : ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾[3] .

قيل : ضمن معنى أنابوا واطمأنوا وتابوا ، وهذه عبارات السلف في هذا الموضع. والمقصود أن القلب المخبت ضد القاسي والمريض ، وهو سبحانه الذي جعل بعض القلوب مخبتاً إليه (وبعضها مريضاً)[4] وبعضها قاسياً، وجعل للقسوة: آثاراً وللإخبات آثاراً. فمن آثار القسوة تحريف الكلم عن مواضعه، وذلك من سوء الفهم وسوء القصد، وكلاهما ناشئ عن قسوة القلب، ومنها : نسيان ما ذكر به، وهو ترك ما أمر به علماً وعملاً . ومن آثار الإخبات: وجل القلوب لذكره سبحانه ، والصبر على أقداره، والإخلاص في عبوديته، والإحسان إلى خلقه .

فصل

وأما تضييق الصدر وجعله حرجاً لا يقبل الإيمان، فقال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا

(١) انظر تفسير ابن جرير الطبري (١٧/ ١٦١) .

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢٧) .

(٣) سورة هود آية ٢٣ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من د ، س .

حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[١] والحرج هو : الشديد الضيق في قول أهل اللغة جميعهم، يقال: رجل حرج، وحرج أي ضيق الصدر، قال الشاعر[٢] :

لا حرج الصدر ولا عنيف[٣]

قال عبيد بن عمير[٤]: قرأ ابن عباس هذه الآية، فقال : هاهنا أحد من / ١١١أ بني بكر[٥] ؟ قال رجل : نعم. قال : ما الحرجة فيكم ؟ قالوا : الوادي الكثير الشجر الذي لا طريق فيه. فقال ابن عباس : كذلك قلب الكافر[٦] .

وقرأ عمر بن الخطاب الآية، فقال: (إيتوني)[٧] رجلاً من كنانة[٨] واجعلوه

---

(١) سورة الأنعام آية ١٢٥ .

(٢) لم أقف على اسمه .

(٣) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (٤/ ١٣٧) وابن منظور في لسان العرب(٢/ ٢٣٣) مادة (حرج).

(٤) هو : عبيد بن عمير بن قتادة الليثي سبقت ترجمته في ص (٢٧٦) .

(٥) هم : بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان ، بطن من كنانة بن خزيـمة العدنانيـة . جمهرة أنساب العرب ص(١٧٠-١٧٦) . ومعجم قبائل العرب (١/ ٩٢) .

(٦) ذكره الواحدي في تفسيره (البسيط) ق(٧٩) مخطوط، مرجع سابق. انظر ص(٣٨٧) وأشار إليه الأزهري في تهذيب اللغة (٤/ ١٣٧) مادة (حرج).

(٧) في م ،ع : ايفوني .

(٨) كنانة : قبيلة عظيمة من العدنانية ، وهم بنو كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. كانت ديارهم بجهات مكة ، وينقسمون إلى عدة بطون . جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص(١٠) معجم قبائل العرب (٣/ ٩٩٦) .

راعياً. فأتوه به ، فقال (له)[١] عمر : يا فتى ما الحرجة فيكم ؟ فقال: الشجرة تحدق بها الأشجار (الكثيرة)[٢] فلا تصل إليها راعية ولا وحشية ، فقال عمر: كذلك قلب الكافر لا يصل إليه شيء من الخير[٣] .

قال ابن عباس : يجعل صدره ضيقاً حرجاً ، إذا سمع ذكر الله اشمأز قلبه، (ونفسه، وإذا)[٤] ذكر شيء من عبادة الأصنام ارتاح إلى ذلك[٥] .

ولما كان القلب محلاً للمعرفة والعلم والمحبة والإنابة ، وكانت هذه الأشياء إنما تدخل في القلب إذا اتسع لها، فإذا أراد الله هداية (عبده)[٦] وسع صدره وشرحه، فدخلت فيه وسكنته ، وإذا أراد ضلاله ضيق صدره وأحرجه، فلم تجد محلاً تدخل فيه فتعدل عنه ولا تساكنه.

وكل إناء فارغ إذا دخل (فيه)[٧] الشيء ضاق به، وكلما أفرغت فيه الشيء ضاق ، إلا القلب (اللين)[٨]، فكلما أفرغ فيه الإيمان والعلم اتسع وانفسخ، هذا من آيات قدرة الرب تعالى .

وفي الترمذي وغيره عن النبي ﷺ: «إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح».

---

(١) ساقطة من ع ، د ، س .

(٢) ساقطة من م .

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٨) . وذكره ابن كثير في تفسيره(٢/ ١٧٥) . والسيوطي في الدر المنثور(٣/ ٣٥٦) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٤) ساقطة من ع ، د ، س .

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره مختصراً (ق١٠٩) مخطوط، مرجع سابق .

(٦) في ع ، د ، س : عبد .

(٧) ساقطة من د .

(٨) ساقطة من م ، ت .

قالوا: فما علامة ذلك يا رسول الله ؟ قال: **«الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزوله»**[1] .

---

(١) لم أعثر على رواية الترمذي لهذا الحديث ، وذلك بعد البحث عنه في مظانه من جامع الترمذي ، وغيره من كتب فهرسة الحديث وتخريجه. وقد عزاه المؤلف رحمه الله ـ أيضاً ـ في كتابه الفوائد ص(٢٧) إلى الترمذي . وقد عثرت عليه بعد ذلك في كتاب العلل للترمذي، وقد رجح نور الدين عتر ـ محقق شرح علل الترمذي ـ ما رآه بعض الشراح من أن كتاب العلل بحث تابع للجامع كالخاتمة له للتعريف بمصطلحاته، ولعل هذا هو السبب في نسبة المؤلف رحمه الله هذا الحديث إلى الترمذي. انظر: شرح علل الترمذي لابن رجب الحنبلي(٢/ ٢٧٢). ومقدمة محقق شرح العلل (١/ ١٨) . والحديث رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣١١) ك الرقاق ـ من طريق عدي بن الفضل عن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً، وسكت عنه . وتعقبه الذهبي، فقال: عدي ساقط. ورواه البيهقي في كتاب الزهد الكبير ص٣٥٦. وفي كتاب القدر ص٢٢٧-٢٢٨. وابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٧) . وقد روي هذا الحديث مرسلاً من رواية أبي جعفر المدائني، وأخرج هذه الرواية : ابن المبارك في كتاب الزهد ص١٠٦. وابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٦-٢٧) وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢١٨) . والبيهقي في الأسماء والصفات ص ١٩٨-١٩٩ . وسئل عنه الدارقطني، فقال ـ بعد أن ذكر الاختلاف في طرق روايته ـ: والصواب عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر عبدالله بن المسور مرسلاً عن النبي ﷺ. كذلك قاله الثوري. وعبدالله بن المسور بن عون بن جعفر بن أبي طالب هذا متروك. انظر العلل للدار قطني (٥/ ١٨٩-١٩٠) وذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٧٥) وقال بعد أن ذكر بعض طرقه : فهذه طرق لهذا الحديث مرسلة ومتصلة يشد بعضها بعضاً والله أعلم، وقال الشيخ محمود شاكر: وأخطأ الحفاظ جداً ، فإن حديث أبي جعفر الهاشمي أحاديث كذاب وضاع لا تشد شيئاً ولا تحله. انظر تفسير ابن جرير بتحقيقه(١٢/ ٩٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور(٣/ ٣٥٤) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه . وقد جمع طرق هذا الحديث وفصَّل القول=

فشرح الصدر من أعظم أسباب الهدى، وتضييقه من أسباب الضلال، كما أن شرحه من أجل النعم، وتضييقه من أعظم النقم ، فالمؤمن مشروح الصدر منفسحة في هذه الدار على ما ناله من مكروهها ، وإذا قوي الإيمان وخالطت بشاشته القلوب، كان على مكارهها أشرح صدراً منه على شهواتها ومحابها. فإذا فارقها كان انفساح روحه والشرح الحاصل له بفراقها أعظم بكثير . كحال من خرج من سجن ضيق إلى فضاء واسع موافق / له ، ١١١ب فإنها سجن المؤمن، فإذا بعثه الله يوم القيامة، فرأى من انشراح صدره وسعته ما لا نسبة لما قبله إليه، فشرح الصدر كما أنه سبب الهداية، فهو أصل كل نعمة وأساس كل خير . وقد سأل كليم الرحمن موسى بن عمران ربه أن يشرح له صدره لما علم أنه لا يتمكن من تبليغ رسالته والقيام بأعبائها إلا إذا شرح له صدره[1] . وقد عدد سبحانه من نعمه على خاتم أنبيائه ورسله شرح

= فيها الشيخ الألباني في كتابه سلسلة الأحاديث الضعيفة (٢/ ٣٨٣-٣٨٧) ثم قال :
« وجملة القول: إن هذا الحديث ضعيف لا يطمئن القلب لثبوته عن رسول الله ﷺ ؛ لشدة ضعفه الذي في جميع طرقه ، وبعضها أشد ضعفاً من بعض ، فليس فيها ما ضعفه يسير يمكن أن ينجبر، خلافاً لما ذهب إليه ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٧٥) ، وإن قلده في ذلك جماعة ممن ألفوا في التفسير كالشوكاني في فتح القدير (٢/ ١٥٤) ، وصديق حسن خان في فتح البيان (٣/ ٢٣٤) ، وجزم الآلوسي في روح المعاني (٨/ ٢٢) بنسبته إلى رسول الله ﷺ ، ومن قبله ابن القيم في الفوائد ص(٢٧) وعزاه للترمذي ! فجاء بوهم آخر . والعصمة لله وحده » اهـ .
قلت : وقد سبق بيان أن الترمذي ذكره في كتاب العلل .

(١) يشير إلى قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ ﴾سورة طه آية ٢٥ ، ٢٦ .

صدره لـه[١] . وأخبر عن أتباعه أنه شرح صدورهم للإسلام[٢] .

فإن قلت : فما الأسباب التي تشرح الصدر والتي تضيقه ؟

قلت: السبب الذي يشرح الصدر : النور الذي يقذفه الله سبحانه فيه، فإذا دخله ذلك النور (اتسع بحسب قوة النور وضعفه، وإذا فقد النور)[٣] أظلم وتضايق .

فإن قلت : فهل (يمكن)[٤] اكتساب هذا النور أم هو وهبي؟

قلت : هو وهبي وكسبي ، واكتسابه أيضاً مجرد موهبة من الله تعالى، فالأمر كله لله، والحمد كله له، والخير كله بيده، وليس مع العبد من نفسه شيء البتة، بل الله واهب الأسباب ومسبباتها، وجاعلها أسباباً، ومانحها من يشاء، ومانعها من يشاء ، فإذا أراد بعبده خيراً وفقه لاستفراغ وسعه ، وبذل جهده في الرغبة والرهبة إليه، فإنها مادتا التوفيق، فبقدر قيام الرغبة والرهبة في القلب يحصل التوفيق .

فإن قلت : فالرغبة والرهبة بيده لا بيد العبد .

قلت : نعم والله، وهما مجرد فضله ومنته، وإنما يجعلهما في المحل الذي يليق بهما ويحبسهما عمن (لا يصلح)[٥] .

فإن قلت : فما ذنب من لا يصلح ؟

---

(١) يشير إلى قوله تعالى ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ سورة الشرح آية ١ .

(٢) يشير إلى قوله تعالى :﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ الزمر آية ٢٢ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من د .

(٤) في د ، يمكنه .

(٥) في ع ، د ، س : لا يصلح لهما .

قلت : (أكبر)[١] ذنوبه أنه لا يصلح، لأن (عدم)[٢] صلاحيته بما اختاره لنفسه وآثره وأحبه من الضلال والغي على بصيرة من أمره، فآثر هواه على حق ربه ومرضاته، واستحب العمى على الهدى ، وكان كفر المنعم عليه (بصرف)[٣] النعم وجحد إلهيته والشرك به، والسعي في مساخطه أحب إليه من شكره / وتوحيده والسعي في مرضاته، فهذا من عدم صلاحيته لتوفيق خالقه ومالكه، وأي ذنب فوق هذا ؟ فإذا أمسك الحكم العدل توفيقه عمن هذا شأنه، كان قد عدل فيه وانسدت عليه أبواب الهداية وطرق الرشاد، فأظلم قلبه، فضاق عن دخول الإسلام والإيمان فيه، فلو جاءته كل آية لم تزده إلا ضلالاً وكفراً. وإذا تأمل من شرح الله صدره للإسلام والإيمان هذه الآية وما تضمنته من أسرار التوحيد والقدر والعدل وعظمة شأن الربوبية صار لقلبه عبودية أخرى ومعرفة خاصة، وعلم أنه عبد من كل وجه وبكل اعتبار، وأن الرب تعالى رب كل شيء ومليكه من الأعيان والصفات والأفعال ، والأمر كله بيده، والحمد كله له ، وأزمة الأمور بيده، ومرجعها كلها إليه.

١١٢أ

ولهذه الآية شأن فوق عقولنا، وأجل من أفهامنا، وأعظم مما قال فيها المتكلمون، الذين ظلموها معناها وأنفسهم كانوا يظلمون. تالله لقد غلظ عنها حجابهم، وكثفت عنها أفهامهم، ومنعتهم الوصول إلى المراد بها أصولهم التي أصلوها وقواعدهم التي أسسوها، فإنها تضمنت إثبات التوحيد والعدل الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه، (لا التوحيد)[٤] والعدل الذي

(١) في ع ، د ، س : أكثر .
(٢) ساقطة من ع ، د ، س .
(٣) في م ، ع ، د ، س : بصنوف .
(٤) ساقطة من ع ، س .

يقوله معطلو الصفات ونفاة القدر[١] .

وتضمنت إثبات الحكمة والقدرة ، والشرع والقدر، والسبب والحكم، والذنب والعقوبة ، ففتحت للقلب الصحيح باباً واسعاً من معرفة الرب تعالى بأسمائه وصفات كماله، ونعوت جلاله، وحكمته في شرعه وقدره ، وعدله في عقابه، وفضله في (ثوابه)[٢] وتضمنت كمال توحيده (في)[٣] (ربوبيته)[٤] وقيوميته. وإلهيته، وأن مصادر الأمور كلها عن محض إرادته ومردها إلى كمال حكمته ، وأن (المهدي)[٥] من خصه بهدايته وشرح صدره لدينه وشريعته ، وأن الضال من / جعل صدره ضيقاً حرجاً عن معرفته ١١٢ب ومحبته كأنما يصعد في السماء، وليس ذلك في قدرته، وأن ذلك عدل (منه)[٦] في عقوبته لمن لم يقدره حق قدره وجحد كمال ربوبيته وكفر بنعمته وآثر عبادة الشيطان على عبوديته، فسد عليه باب توفيقه وهدايته، وفتح عليه أبواب غيه وضلالته، فضاق صدره، وقسا قلبه، وتعطلت من عبودية ربها وجوارحه، وامتلأت بالظلمة جوانحه، والذنب له حيث أعرض عن الإيمان واستبدل به الكفر والفسوق والعصيان، ورضي بموالاة الشيطان، وهانت عليه معاداة الرحمن، لا يحدث نفسه بالرجوع إلى مولاه، ولا (يعزم)[٧] يوماً عن إقلاعه عن هواه، وقد ضاد الله في أمره بحب ما يبغضه وببغض ما يحبه،

---

(١) هم المعتزلة وقد سبق التعريف بهم .

(٢) في ت : براءته .

(٣) ساقطة من ع ، د ، س .

(٤) في ت : ديمومته .

(٥) في م : المهتدي .

(٦) ساقطة من ع ، د ، س .

(٧) في م ، يقوم .

ويوالي من يعاديه ، ويعادي من يواليه، ويغضب إذا رضي الرب، ويرضى إذا غضب . هذا وهو يتقلب في إحسانه، ويسكن في داره (يغتذي)[١] برزقه، ويتقوى على معاصيه بنعمه، فمن أعدل منه سبحانه عما يصفه به الجاهلون والظالمون إذا جعل (الرجس) على أمثال هذا من الذين لا يؤمنون .

فصل

إذا شرح الله صدر عبده بنوره الذي يقذفه في قلبه، أراه في ضوء ذلك النور حقائق الأسماء والصفات التي تصل (إليها)[٢] معرفة العبد، إذ لا يمكن أن يعرفها العبد على ما هي عليه في نفس الأمر ، وأراه في ضوء ذلك النور حقائق الإيمان وحقائق العبودية وما يصححها وما يفسدها ، (وتفاوت)[٣] (الناس في)[٤] معرفة الأسماء والصفات والإيمان والإخلاص وأحكام العبودية بحسب تفاوتهم في هذا النور. قال تعالى : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾[٥] وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ﴾[٦] . / ١١٣أ

فيكشف لقلب المؤمن في ضوء ذلك النور عن حقيقة المثل الأعلى مستوياً على عرش الإيمان في قلب العبد المؤمن، فيشهد بقلبه رباً عظيماً قاهراً قادراً

(١) في د ، س : ويتغذى .

(٢) في د ، س : فيها .

(٣) في د ، وتفاوتت .

(٤) ساقطة من د ، س .

(٥) سورة الأنعام آية ١٢٢ .

(٦) سورة الحديد آية ٢٨ .

أكبر من كل شيء في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله. السماوات السبع قبضة إحدى يديه (والأرضون)[١] السبع قبضة اليد الأخرى، فيمسك السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر على إصبع، والثرى على إصبع، ثم يهزهن ثم يقول: أنا الملك[٢].

---

(١) في م: والأرضين.

(٢) قول المؤلف رحمه الله تعالى: يمسك السماوات على إصبع ...إلخ. مقتبس من الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد (أو يا أبا القاسم)! إن الله تعالى يمسك السماوات يوم القيامة على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، أنا الملك. فضحك رسول الله ﷺ تعجباً مما قال الحبر، تصديقاً له، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ سورة الزمر آية ٦٧ (هذا لفظ مسلم). والحديث رواه البخاري (٦/ ٣٣) ك التفسير ـ تفسير سورة الزمر ـ باب قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾. وفي كتاب التوحيد (٨/ ١٧٤) باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ وفي (٨/ ١٨٧) باب قول الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾. وفي (٨/ ٢٠٢) باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم. ومسلم (٤/ ٢١٤٧-٢١٤٨) ك صفات المنافقين وأحكامهم ـ كتاب صفة القيامة والجنة والنار. والترمذي (٥/ ٣٤٥-٣٤٦) ك التفسير، تفسير سورة الزمر. والنسائي في سننه الكبرى ـ كتاب التفسير (٢/ ٢٣٦-٢٣٨) تفسير سورة الزمر ـ باب قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾. وكتاب النعوت كما عزاه إليه المزي في تحفة الأشراف(٧/ ٩٢) والإمام أحمد في مسنده (١/ ٤٢٩، ٤٥٧). وابن خزيمة في التوحيد (١/ ١٨٠-١٨١). وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٣٨-٢٣٩). والبيهقي في الأسماء والصفات ص (٤٢١-٤٢٣) باب ما ذكر في الأصابع. وابن منده في الرد على الجهمية ص(٨٣-٨٥). والآجري في الشريعة ص(٣١٨) وعبد الله ابن الإمام أحمد في السنة (١/ ٢٦٤).=

فالسماوات السبع في كفه كخردلة في كف العبد [(١)] ، ويحيط ولا يحاط به، ويحصر خلقه ولا يحصرونه ، ويدركهم ولا يدركونه، لو أن الناس من لدن آدم إلى آخر الخلق قاموا صفاً واحداً ما أحاطوا به سبحانه، ثم يشهده في علمه فوق كل عليم، وفي قدرته فوق كل قدير، وفي جوده فوق كل جواد، وفي رحمته فوق كل رحيم، وفي جماله فوق كل جميل، حتى لو كان جمال الخلائق كلهم على شخص واحد، منهم ثم أعطي الخلق كلهم مثل ذلك الجمال، لكان نسبته إلى جمال الرب تبارك وتعالى دون نسبة سراج ضعيف إلى ضوء الشمس. ولو اجتمعت قوى الخلائق على شخص واحد منهم، ثم أعطي كل واحد منهم مثل تلك القوة، لكانت نسبتها إلى قوته سبحانه دون نسبة قوة البعوض إلى (الأسد)[(٢)] . ولو كان جودهم على رجل واحد وكل الخلائق على ذلك الجود، لكانت نسبته إلى جوده دون نسبة قطرة إلى البحر. وكذلك علم الخلائق إذا نسب إلى علمه كان كنقرة عصفور في البحر.

= وابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤/ ٢٦) تفسير سورة الزمر. والدارقطني في كتاب الصفات ص(٣٨-٤٥) تحقيق د. علي الفقيهي، ط الأولى، ١٤٠٣هـ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢٤٦) وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

(١) قول المؤلف رحمه الله تعالى : فالسماوات السبع في كفة كخردلة في كف العبد. مقتبس من قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ الذي أخرجه ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره (٢٤/ ٢٥) ونصه : ما السماوات السبع، والأرضون السبع في يد الله إلا كخردلة في يد أحدكم . وقد ذكر المؤلف هذا القول وصرح بنسبته إلى ابن عباس في كتابه الصواعق المرسلة (١/ ٢٨٢) .

(٢) في ع ، د ، س : حملة العرش .

(وهكذا)[١] سائر صفاته؛ كحياته وسمعه وبصره وإرادته، فلو فرض البحر المحيط بالأرض مداداً تحيط به سبع أبحر، وجميع أشجار الأرض شيئاً بعد شيء أقلاماً، لفني ذلك المداد والأقلام ولا تفنى كلماته ولا تنفد[٢]، فهو أكبر / في علمه من كل عالم ، وفي قدرته من كل قادر، وفي جوده من كل ١١٣ب جواد. وفي غناه من كل غني، وفي علوه من كل عال، وفي رحمته من كل رحيم. استوى على عرشه واستولى على خلقه، منفرد بتدبير مملكته، فلا قبض ولا بسط (ولا عطاء)[٣] ولا منع، ولا هدى ولا ضلال، ولا سعادة ولا شقاوة، ولا موت ولا حياة، ولا نفع ولا ضر إلا بيده، ولا مالك غيره ، ولا مدبر سواه، ولا يستقل أحد بملك مثقال ذرة في السماوات والأرض، (ولا يشركه)[٤] في ملكها. ولا يحتاج إلى وزير ولا ظهير ولا معين ، (ولا يغيب)[٥] فيخلفه غيره، (ولا يعي)[٦] فيعينه سواه. ولا يتقدم أحد بالشفاعة بين يديه إلا من بعد إذنه لمن شاء فيمن شاء.

(فهذا)[٧] أول مشاهد المعرفة، ثم يترقى منه إلى مشهد (آخر)[٨] فوقه لا

---

(١) في ع ، د ، س : كذلك .

(٢) هذه العبارة مقتبسة من معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ سورة لقمان آية ٢٧.

(٣) ساقطة من ع ، د ، س .

(٤) في ع ، د ، س : ولا له شركة .

(٥) في م ، ت : ولا مغيث .

(٦) في م ، ت : ولا معين .

(٧) ساقطة من ع ، س : فهو .

(٨) ساقطة من ع ، د ، س .

يتم (الإيمان)[١] إلا به، وهو مشهد الإلهية، فيشهده سبحانه متجلياً في (كلامه)[٢] بأمره ونهيه، ووعده ووعيده، وثوابه وعقابه، (وعدله في عقابه)[٣] وفضله في ثوابه، فيشهد رباً قيوماً متكلماً آمراً ناهياً، يحب ويبغض ، ويرضى ويغضب، قد أرسل رسله، وأنزل كتبه، وأقام على عباده (حجته)[٤] البالغة، وأتم عليهم نعمته السابغة، يهدي من يشاء (نعمة منه)[٥] وفضلاً، ويضل من يشاء حكمة منه وعدلاً، (ينزل إليهم أوامره وتعرض عليه أعمالهم . لم يخلقهم عبثاً، ولم يتركهم سدى، بل أمره)[٦] جار عليهم في حركاتهم وسكناتهم وظواهرهم وبواطنهم، فلله عليهم حكم وأمر في كل تحريكة وتسكينة، ولحظة ولفظة ، وينكشف له في (هذا النور)[٧] عدله وحكمته، ورحمته ولطفه، وإحسانه وبره، (في)[٨] شرعه وأحكامه، وأنها أحكام رب رحيم محسن لطيف حكيم، قد بهرت (حكمته)[٩] العقول، وأقرت بها الفطر، وشهدت لمنزلها بالوحدانية ولمن جاء بها بالرسالة والنبوة، فينكشف له في ضوء ذلك النور إثبات صفات الكمال وتنزيهه سبحانه عن

---

(١) ساقطة من د ، س .

(٢) في د ، س : كماله .

(٣) ما بين القوسين ساقط من ع ، د ، س .

(٤) في ع ، د ، س : الحجة .

(٥) في ع ، د ، س : منه نعمة .

(٦) ما بين القوسين ساقط من ت .

(٧) في م : ضوء هذا النور ، بزيادة (ضوء).

(٨) في م : و .

(٩) ساقطة من م .

(النقائص)[1] والمثال، وأن كل / كمال في الوجود فمعطيه وخالقه أحق به ١١١٤أ وأولى، وكل نقص وعيب فهو سبحانه منزه (عنه)[2] متعال عنه، وتنكشف له في ضوء هذا النور حقائق المعاد واليوم الآخر، وما أخبر به الرسول عنه حتى كأنه يشاهده عياناً وكأنه يخبر عن الله وأسمائه وصفاته وأمره ونهيه ووعده ووعيده إخبار من كأنه قد رأى وعاين وشاهد ما أخبر به.

فمن أراد الله سبحانه هدايته شرح صدره لهذا، فاتسع له وانفسح، ومن أراد ضلالته جعل صدره من ذلك ضيق وحرج لا يجد فيه مسلكاً ولا منفذاً، والله الموفق المعين.

وهذا الباب يكفي اللبيب في معرفة القدر والحكمة، ويطلعه على العدل والتوحيد اللذين تضمنهما قوله: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[3].

* * *

---

(١) في د، س: النقص.

(٢) ساقطة من ع، د، س.

(٣) سورة آل عمران آية ١٨-١٩.

الباب السادس عشر

ما جاء في السنة من تفرد الرب تعالى بخلق أعمال العباد كما هو منفرد بخلق ذواتهم وصفاتهم

الباب السادس عشر
(ما)[١] جاء في السنة (من)[٢] تفرد الرب تعالى بخلق أعمال العباد كما هو منفرد بخلق ذواتهم وصفاتهم

قال البخاري في كتاب خلق أفعال العباد : حدثنا علي بن عبد الله[٣] حدثنا مروان بن معاوية[٤] حدثنا أبو مالك[٥] عن ربعي بن حراش[٦] عن حذيفة، قال: قال النبي ﷺ: «إن الله يصنع كل صانع وصنعته». قال البخاري : وتلا بعضهم عند ذلك ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ[٧] ﴾[٨] .

---

(١) في ع ، س : فيما .

(٢) في م ، ت : في .

(٣) هو : علي بن عبد الله المديني . ثقة ثبت إمام. سبقت ترجمته في ص(٣٠٢) .

(٤) هو : مروان بن معاوية بن الحارث بن أسماء الفزاري، أبو عبد الله الكوفي ، نزيل مكة ثم دمشق، ثقة حافظ ، وكان يدلس أسماء الشيوخ، من الثامنة مات سنة ثلاث وتسعين ومائة. روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ٢٣٩) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٩٦) وسير أعلام النبلاء (٩/ ٥١) .

(٥) هو سعيد بن طارق أبو مالك الأشجعي الكوفي ، ثقة من الرابعة، مات في حدود الأربعين ومائة. روى له البخاري تعليقاً، وروى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب (١/ ٢٨٧) وتهذيب التهذيب (٣/ ٤٧٢-٤٧٣) وسير أعلام النبلاء (٦/ ١٨٤) .

(٦) هو : ربعي بن حراش ـ بكسر المهملة وآخره معجمة ـ أبو مريم العبسي الكوفي ، ثقة عابد مخضرم ، من الثانية . مات سنة مائة . وقيل: غير ذلك . روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٢٤٣). تهذيب التهذيب (٣/ ٢٣٦-٢٣٧). سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٥٩-٣٦٢).

(٧) سورة الصافات آية ٩٦ .

(٨) انظر كتاب خلق أفعال العباد ص(٣٩-٤٠) تخريج بدر البدر، نشر الدار السلفية بالكويت. والحديث رواه أيضاً : الحاكم في المستدرك : (١/ ٣١-٣٢) وقال : هذا =

حدثنا محمد(١) حدثنا أبو معاوية(٢) عن الأعمش(٣) عن شقيق(٤) عن حذيفة نحوه موقوفاً عليه(٥).

أما استشهاد بعضهم بقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾(٦) بحمل (ما) على المصدر، أي خلقكم وأعمالكم، فالظاهر خلاف هذا وأنها موصولة، أي خلقكم وخلق الأصنام التي تعملونها، فهو يدل على خلق أعمالهم من جهة اللزوم، فإن الصنم اسم للآلة التي حل فيها العمل / ١١٤ب المخصوص، فإذا كان مخلوقاً لله كان خلقه متناولاً لمادته وصورته.

= حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الألباني: وهو كما قالا. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ١٨١) ورواه البيهقي في الأسماء والصفات ص(٤٣، ٤٩١) وفي كتاب القدر ص(٨٣) وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٥٨). وقال الألباني: حديث صحيح.

(١) هو: محمد بن المثنى بن عبيد، العنزي - بفتح النون والزاي أبو موسى البصري، المعروف بالزمن، مشهور بكنيته وباسمه، ثقة ثبت، من العاشرة، وكان هو وبندار فرسَي رهان، وماتا في سنة واحدة، روى له الستة، تقريب التهذيب (٢/ ٢٠٤) وتهذيب التهذيب (٩/ ٤٢٥-٤٢٧).

(٢) هو: محمد بن خازم - بمعجمتين - أبو معاوية الضرير الكوفي، عمي وهو صغير، ثقة من أحفظ الناس بحديث الأعمش، وقد يهم في حديث غيره، من كبار التاسعة، مات سنة خمس وتسعين ومائة، وله اثنتان وثمانون سنة، وقد رمي بالإرجاء. روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ١٥٧) وتهذيب التهذيب (٩/ ١٣٧-١٣٩).

(٣) هو سليمان بن مهران، الأعمش، ثقة، سبقت ترجمته في ص(١٤١).

(٤) هو شقيق بن سلمة الأسدي، أبو وائل الكوفي، ثقة مخضرم، مات في خلافة عمر بن عبد العزيز، وله مائة سنة. تقريب التهذيب (١/ ٣٥٤) وتهذيب التهذيب (٤/ ٣٦١-٣٦٣) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٦١).

(٥) انظر كتاب خلق أفعال العباد ص(٤٠).

(٦) سورة الصافات آية ٩٦.

قال البخاري : وحدثنا عمرو بن محمد(١) حدثنا ابن عيينة(٢) عن عمرو(٣) عن طاوس(٤) عن ابن عمر : « كل شيء بقدر، حتى وضعك يدك على خدك »(٥) .

قال البخاري: وحدثني إسماعيل(٦) قال: حدثني مالك(٧) عن زياد بن سعد(٨)

---

(١) هو : عمرو بن محمد بن بكير الناقد، أبو عثمان البغدادي، نزيل الرقة، ثقة حافظ ، وهم في حديث ، من العاشرة، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . روى له البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي. تقريب التهذيب(٢/ ٧٨) وتهذيب التهذيب (٨/ ٩٦-٩٧) .

(٢) هو : سفيان بن عيينه ، ثقة ، فقيه، سبقت ترجمته في ص(٥٦٥) .

(٣) هو : عمرو بن مسلم الجندي ـ بفتح الجيم والنون ـ اليماني ، صدوق له أوهام، من السادسة، روى له البخاري في خلق أفعال العباد، وروى له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي، تقريب التهذيب (٢/ ٧٩) وتهذيب التهذيب (٨/ ١٠٤-١٠٥)

(٤) هو : طاوس بن كيسان اليماني، أبو عبد الرحمن الحميري مولاهم الفارسي، يقال: اسمه ذكوان ، وطاووس لقبه، ثقة فقيه فاضل، من الثالثة، مات سنة ست ومائة، وقيل بعد ذلك ، روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٣٧٧) وتهذيب التهذيب (٥/ ٨-١٠).

(٥) في كتاب خلق أفعال العباد ذكر هذا الأثر منسوباً إلى ابن عباس، وذكر قبله ـ بالسند نفسه ـ أثراً منسوباً إلى ابن عمر لم يذكره المؤلف هنا. انظر كتاب خلق أفعال العباد ص(٤١) .

(٦) هو : إسماعيل بن عبد الله بن أويس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي ، أبو عبد الله بن أبي أويس المدني، صدوق، أخطأ في أحاديث من حفظه، من العاشرة، مات سنة ست وعشرين ومائتين. روى له البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه . تقريب التهذيب (١/ ٧١) وتهذيب التهذيب (١/ ٣١٠-٣١٢).

(٧) هو : مالك بن أنس إمام دار الهجرة . سبقت ترجمته في ص (١٧٠) .

(٨) هو : زياد بن سعد بن عبد الرحمن الخراساني، نزيل مكة ثم اليمن، ثقة ثبت. قال ابن عيينه: كان أثبت أصحاب الزهري، من السادسة. روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٢٦٨) وتهذيب التهذيب (٣/ ٣٦٩-٣٧٠) .

عن عمرو بن مسلم[١] عن طاووس[٢] قال : أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون كل شيء بقدر، حتى العجز[٣] والكيس[٤] .

رواه مسلم في صحيحه عن طاووس وقال : سمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس » . قال البخاري : وقال ليث[٥] عن طاووس عن ابن عباس ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ

---

(١) سبقت ترجمته في الصفحة السابقة .

(٢) العجز : يحتمل أن يريد به عدم القدرة، وقيل : هو ترك ما يجب فعله بالتسويف به وتأخيره عن وقته، وقيل : ويحتمل أن يريد بذلك العجز والكيس في الطاعات، ويحتمل أن يريد به أمور الدين والدنيا، والكيس: بفتح الكاف ، ضد العجز، ومعناه الحذق في الأمور ، ويتناول أمور الدنيا والآخرة، انظر مشارق الأنوار للقاضي عياض(٢/ ٦٨) نشر المكتبة العتيقة بتونس ودار التراث بالقاهرة. وفتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٧٨) .

(٣) قوله : « حتى العجز والكيس » هذه زيادة لم أجدها عند البخاري في كتاب خلق أفعال العباد، ولا عند مسلم وغيره ممن خرجوا هذا الأثر . وهي موجودة في الحديث المرفوع الذي بعد هذا الأثر .

(٤) انظر كتاب خلق أفعال العباد (ص٤٠) . وصحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٥) ك القدر ـ باب كل شيء بقدر. ورواه أيضاً : الإمام مالك في الموطأ ص(٥٦١) ك القدر ـ باب النهي عن القول بالقدر. وهو المذكور بالسند. والإمام أحمد في المسند (٢/ ١١٠) . والفريابي في القدر ص(٣٢٦-٣٢٧) . والآجري في الشريعة ص(٢١٣) . وعبد الله ابن الإمام أحمد في السنة (٢/ ٤١٧) . واللالكائي في السنة (٤/ ٥٨٠) . والبيهقي في سننه (١٠/ ٢٠٥) ك (الشهادات ـ باب ما ترد به شهادة أهل الأهواء ، ورواه أيضاً في كتاب القدر ص(١٠٩). وفي كتاب الاعتقاد ص (١٣٥-١٣٦). والبغوي في شرح السنة (١/ ١٣٤).

(٥) هو ليث بن أبي سليم بن زنيم ـ بالزاي والنون مصغراً ـ واسم أبيه : أيمن ، وقيل: غير ذلك ، صدوق اختلط أخيراً ، ولم يتميز حديثه فترك ، من السادسة، مات سنة ثمان وأربعين ومائة . روى له البخاري تعليقاً . وروى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ١٣٨) وتهذيب التهذيب (٨/ ٤٦٥-٤٦٨) .

بِقَدَرٍ﴾[١] حتى العجز والكيس[٢].

قال البخاري: سمعت عبيدالله بن سعيد[٣] يقول سمعت يحيى ابن سعيد[٤] يقول: ما زلت أسمع أصحابنا يقولون: أفعال العباد مخلوقة. قال البخاري: حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة[٥].

قال جابر بن عبد الله: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: « إذا هم أحدكم بالأمر، فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فيسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به ». قال: ويسمي حاجته، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[٦].

---

(١) سورة القمر آية ٤٩.

(٢) رواه الآجري في الشريعة ص(٢١٣) موقوفاً على طاوس بلفظ: العجز والكيس من القدر. ورواه عبد الرزاق في مصنفه (١١/ ١١٧-١١٨) من طريق آخر عن ابن عباس.

(٣) هو عبيد الله بن سعيد بن يحيى اليشكري، أبو قدامة السرخسي، نزيل نيسابور، ثقة مأمون، من العاشرة، مات سنة إحدى وأربعين ومائتين. روى له البخاري ومسلم، والنسائي، تقريب التهذيب (١/ ٥٣٣) وتهذيب التهذيب (٧/ ١٦-١٧).

(٤) هو: يحيى بن سعيد بن فروخ ـ بفتح الفاء وتشديد الراء المضمومة ـ بسكون الواو ثم المعجمة ـ التميمي، أبو سعيد القطان البصري، ثقة متقن حافظ، إمام قدوة من كبار التاسعة. مات سنة ثمان وتسعين ومائة. روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ٣٤٨) وتهذيب التهذيب (١١-٢١٦-٢٢٠). وسير أعلام النبلاء (٩/ ١٧٥).

(٥) انظر كتاب خلق أفعال العباد ص(٤١-٤٢).

(٦) سبق تخريجه في ص (٣٤٦).

فقوله : « **إذا هم أحدكم بالأمر** » صريح في أنه الفعل الاختياري المتعلق بإرادة العبد. وإذا علم ذلك، فقوله : « **أستقدرك بقدرتك** » أي: أسألك أن تقدرني على فعله بقدرتك .

ومعلوم أنه لم يسأل القدرة المصححة التي هي سلامة الأعضاء وصحة البنية، وإنما سأل القدرة التي توجب الفعل، فعلم أنها مقدورة لله ومخلوقة له، وأكد ذلك بقوله: « **فإنك تقدر ولا أقدر** » (أي)[1] تقدر أن تجعلني قادراً فاعلاً ولا أقدر أن أجعل نفسي كذلك.

وكذلك قولـه: « **تعلم ولا أعلم** » أي: حقيقة العلم بعواقب الأمور ومآلها، والنافع منها والضار عندك وليس عندي.

وقولـه : « **يسره لي أو اصرفه عني** » فإنه طلب من الله تيسيره « إن كان له فيه مصلحة وصرفه عنه إن كان عليه فيه مفسدة. وهذا التيسير»[2] والصرف متضمن إلقاء داعية الفعل في القلب، أو إلقاء داعية الترك فيه، ومتى حصلت داعية الفعل حصل الفعل، وداعية الترك امتنع الفعل .

وعند القدرية ترجيح فاعلية العبد على تركه منه ليس للرب فيه صنع ولا تأثير ، فطلب هذا التيسير منه لا معنى له عندهم، فإن تيسير الأسباب التي لا قدرة للعبد عليها موجود ولم يسأله العبد.

وقوله: « **ثم رضني به** » يدل على أن حصول الرضا ـ وهو فعل اختيار من أفعال القلوب ـ أمر مقدور للرب تعالى ، وهو الذي (يلقيه في قلب عبده، فيجعله راضياً وعند القدرية هو الذي)[3] يجعل نفسه راضياً .

وقوله : « **فاصرفه عني واصرفني عنه**» صريح في أنه سبحانه وتعالى هو

---

(١) ساقطة من د .

(٢) ما بين القوسين ساقط من م .

(٣) ما بين القوسين ساقط من د ، س .

الذي يصرف عبده عن فعله الاختياري إذا شاء صرفه عنه، كما قال تعالى في حق يوسف الصديق: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾[1] وصرف السوء والفحشاء هو صرف دواعي القلب وميله إليهما فينصرفان عنه بصرف دواعيهما.

وقولـه: «**اقدر لي الخير حيث كان**» يعم الخير المقدور للعبد من طاعته وغير المقدور له، فعلم أن فعل / العبد للطاعة والخير إما مقدور لله إن لم يقدره ١١٥ب الله للعبد لم يقع من العبد. ففي هذا الحديث الشفاء في مسألة القدر.

وأمر النبي ﷺ الداعي به أن يقدم بين يدي هذا الدعاء ركعتين عبودية منه بين يدي نجواه، وأن يكونا من غير الفريضة، ليتجرد فعلهما لهذا الغرض المطلوب .

ولما كان الفعل الاختياري متوقفاً على العلم والقدرة والإرادة لا يحصل إلا بها، توسل الداعي إلى الله بعلمه وقدرته وإرادته التي يؤتيه بها من فضله، وأكد هذا المعنى بتجرده وبراءته من ذلك، فقال: « **إنك تعلم ولا أعلم، وتقدر ولا أقدر** » وأمر الداعي أن يعلق (التيسير والصرف بالشرط)[2] .

وهو علم الله سبحانه تحقيقاً للتفويض إليه واعترافاً بجهل العبد بعواقب الأمور كما اعترف بعجزه. ففي هذا الدعاء إعطاء العبودية حقها (وإعطاء الربوبية حقها)[3] . والله المستعان .

وفي الترمذي وغيره من حديث الحسن بن علي[4] قال: علمني رسول الله

---

(١) سورة يوسف آية ٢٤ .

(٢) في د ، س : التيسير بالخير والصرف بالشر .

(٣) ما بين القوسين ساقط من د ، س :

(٤) هو الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي، سبط رسول الله ﷺ ، وريحانته، وقد =

ﷺ كلمات أقولهن في الوتر : « **اللهم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، تباركت وتعاليت** »(١).

فقولـه : «**اهدني**» سؤال للهداية المطلقة التي لا يتخلف عنها الاهتداء .

وعند القدرية أن الرب ـ سبحانه وتعالى عن قولهم ـ لا يقدر على هذه الهداية، وإنما يقدر على هداية البيان والدلالة المشتركة بين المؤمنين والكفار .

وقوله : « **فيمن هديت** » فيه فوائد :

= صحبه وحفظ عنه، مات شهيداً بالسم، سنة تسع وأربعين ، وهو ابن سبع وأربعين ، وقيل : بل مات سنة خمسين، وقيل: بعدها. روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ١٦٨) وتهذيب التهذيب (٢/ ٢٩٥-٣٠١) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢٤٥) والاستيعاب (١/ ٣٦٩) والإصابة (١/ ٣٢٨) .

(١) انظر جامع الترمذي (٢/ ٣٢٨) أبواب الوتر ـ باب ما جاء في القنوت في الوتر. وقال: هذا حديث حسن ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، من حديث أبي الحوراء السعدي، واسمه (ربيعة بن شيبان) ولا نعرف عن النبي ﷺ في القنوت في الوتر شيئاً أحسن من هذا. وقال الألباني: إسناده صحيح. انظر مشكاة المصابيح (١/ ٣٩٨) بتحقيقه . ورواه أبو داود في سننه (٣/ ٢٤٨) ك قيام الليل وتطوع النهار ـ باب الدعاء في الوتر. وابن ماجه في سننه (١/ ٣٧٢) ك إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما جاء في القنوت في الوتر. والإمام أحمد في مسنده(١/ ١٩٩) وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح. وانظر المسند بتحقيقه (٣/ ١٦٧). وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ١٥١-١٥٢) باب جماع أبواب الدعاء في القنوت. وأبو داود الطيالسي في مسنده (ص١٦٣) والحاكم في المستدرك (٣/ ١١٧-١١٨) . وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٣٠٠) ك الصلوات ـ باب في قنوت الوتر من الدعاء. وابن حبان في صحيحه ، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣/ ٢٢٥) . والبغوي في شرح السنة (٣/ ١٢٩) باب الدعاء في القنوت .

أحدها : أنه سؤال له أن يدخله في جملة (المهتدين)[١] وزمرتهم ورفقتهم .

والثانية : توسل إليه بإحسانه وإنعامه ، أي (إنك)[٢] قد هديت من عبادك بشراً كثيراً فضلاً منك وإحساناً إليّ كما أحسنت إليهم . كما يقول الرجل للملك اجعلني من جملة من أغنيته وأعطيته / وأحسنت إليه . ١١٦أ

الثالثة : أن ما حصل لأولئك من الهدى لم يكن منهم ولا بأنفسهم ، وإنما كان منك فأنت الذي هديتهم .

وقوله : « **وعافني فيمن عافيت** » إنما يسأل العافية المطلقة، وهي العافية من الكفر والفسوق والعصيان والغفلة والإعراض، وفعل ما لا يحبه، وترك ما يحبه، فهذا حقيقة العافية ، ولهذا ما سئل الرب سبحانه شيئاً أحب إليه من العافية، لأنها كلمة جامعة للتخلص من الشر كله وأسبابه .

وقوله: «**وتولني فيمن توليت**» سؤال للتولي الكامل ليس المراد به ما فعله بالكافرين من خلق القدرة وسلامة الآلة وبيان الطرق، فإن كان هذا هو ولايته للمؤمنين، فهو ولي الكفار كما ولي المؤمنين، وهو سبحانه يتولى أولياءه بأمور لا توجد في حق الكفار من توفيقهم وإلهامهم وجعلهم مهتدين مطعين.

ويدل عليه قوله : «**إنه لا يذل من واليت**» فإنه منصور عزيز غالب بسبب توليك له، وفي هذا تنبيه على أن من حصل له (ذل)[٣] في الناس فهو بنقصان ما فاته من تولي الله (له)[٤]، وإلا فمع الولاية الكاملة ينتفي الذل كله ولو سلط عليه بالأذى من في أقطارها، فهو العزيز غير الذليل .

---

(١) في ع ، د ، س : المهديين .

(٢) في ع ، : أي يا رب .

(٣) في د : ذلك .

(٤) ساقطة من ع ، د ، س .

وقوله : « **وقني شر ما قضيت** » يتضمن أن الشر بقضائه ، وأنه هو الذي يقي منه .

وفي المسند وغيره أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ بن جبل : « **يا معاذ ، والله إني لأحبك، فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك** »[1] .

وهذه أفعال اختيارية ، قد يسأل الله أن يعينه على فعلها . وهذا الطلب لا معنى له عند القدرية، فإن الإعانة عندهم الإقرار والتمكين وإزاحة الأعذار وسلامة الآلة، هذا حاصل للمسلم وللكافر أيضاً . والإعانة التي سألها أن يجعله ذاكراً (له)[2] (شاكراً)[3] محسناً لعبادته كما في حديث ابن عباس عنه ﷺ في دعائه / المشهور : « **يا رب أعني ولا تعن علي ، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي ، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني على من بغى علي، رب اجعلني لك شكاراً ولك ذكاراً، ولك رهاباً مطواعاً، ولك** ١١٦ب

---

(١) انظر مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٤٤-٢٤٥، ٢٤٧) ورواه أبو داود في سننه (٤/ ٣٨٤) أبواب الوتر ـ باب في الاستغفار . والنسائي في سننه (٣/ ٥٣) ك السهو ـ باب الدعاء بعد الذكر. وفي كتاب عمل اليوم والليلة ص(١٨٧) وابن خزيمة في صحيحه (١/ ٣٦٩) ك الصلاة ـ باب الأمر بمسألة الرب عز وجل في دبر الصلوات، والمعونة على ذكره وشكره وحسن عبادته والوصية بذلك. وابن حبان في صحيحه ، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٥/ ٣٦٤-٣٦٦) وابن السني في عمل اليوم والليلة ص(٣٣) . وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٤١) و(٥/ ١٣٠) والحاكم في المستدرك (١/ ٢٧٣) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي . ورواه أيضاً (٣/ ٢٧٣-٢٧٤) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . ورواه البيهقي في كتاب الدعوات الكبير (ص٦٨) . والطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٦٠ ، ١١١، ١٢٥) .

(٢) ساقطة من ع ، د ، س .

(٣) ساقطة من د .

مخبتاً[(١)]، إليك أواهاً[(٢)] منيباً ، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي[(٣)]، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، واهد قلبي، وسدد لساني، واسلل[(٤)] سخيمة[(٥)] صدري». رواه الإمام أحمد في المسند (والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح[(٦)])[(٧)] وفيه أحد وعشرون دليلاً فتأملها[(٨)] .

وفي الصحيحين أنه ﷺ كان يقول بعد انقضاء صلاته : «لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك[(٩)] الجد »[(١٠)] وكان يقول

---

(١) مخبتاً : أي خاشعاً مطيعاً، والإخبات: الخشوع والتواضع ، النهاية لابن الأثير (٢/ ٤).

(٢) الأواه : المتأوه المتضرع، وقيل : هو الكثير البكاء، وقيل: الكثير الدعاء، النهاية لابن الأثير: (١/ ٨٢) .

(٣) حوبتي : من الحوب، وهو الإثم . انظر الأمالي لأبي علي القالي(٢/ ٢٦٣) نشر دار الكتاب العربي، بيروت .

(٤) اسلل : يقال : سل البعير وغيره في جوف الليل: إذا انتزعه من بين الإبل. النهاية لابن الأثير (٢/ ٣٩٢) .

(٥) السخيمة : الحقد ، انظر الأمالي لأبي علي القالي (٢/ ٢٦٣) .

(٦) ما بين القوسين ساقط من ع ، د ، س .

(٧) سبق تخريجه في ص (٤٧٨) .

(٨) الأدلة التي أشار إليها المؤلف رحمه الله تأتي من اشتمال هذا الحديث على واحد وعشرين دعوة كلها تتضمن طلب فعل من الرب سبحانه ، عاماً أو خاصاً ، يجعل العبد فاعلاً لما يصلحه، تاركاً لما يفسده، مصروفاً عنه ما يضره ، ميسراً له ما ينفعه .

(٩) ولا ينفع ذا الجد منك الجد : أي لا ينفع ذا الغنى منك غناه، وإنما ينفعه الإيمان والطاعة. النهاية لابن الأثير (١/ ٢٤٤) .

(١٠) هذا الحديث من رواية ورَّاد ـ كاتب المغيرة ـ قال : كتب معاوية إلى المغيرة: اكتب إلي ما سمعت من رسول الله ﷺ فكتب إليه أن النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة: «لا =

ذلك الدعاء عند اعتداله من الركوع ، ففي هذا نفي الشريك عنه بكل اعتبار، وإثبات عموم الملك له بكل اعتبار، وإثبات عموم الحمد ، وإثبات عموم القدرة ، وأن الله سبحانه إذا أعطى عبداً فلا مانع له، وإذا منعه فلا معطي له .

وعند القدرية أن العبد قد يمنع من أعطى الله، ويعطي من منعه، فإنه يفعل باختياره عطاءً ومنعاً لم يشأه الله، ولم يجعله معطياً مانعاً، فيتصور أن يكون لمن أعطى مانع ولمن منع معط .

وفي الصحيح (عنه)[1] أن رجلاً سأله أن يدله على عمل يدخل به الجنة

= إله إلا الله وحده لا شريك له ...» إلخ . وأخرجه البخاري في المواضع التالية : (١/ ٢٠٥) ك الأذان ـ باب الذكر بعد الصلاة. و(٧/ ١٥١) ك الدعوات ـ باب الدعاء بعد الصلاة. و(٧/ ١٨٤) ك الرقاق ـ باب ما يكره من قيل وقال. (٧/ ٢١٤-٢١٥) كتاب القدر ـ باب لا مانع لما أعطى الله . ومسلم (١/ ٤١٤-٤١٥) ك المساجد ومواضيع الصلاة ـ باب استحباب الذكر بعد الصلاة ، وبيان صفته. وأبو داود : (٤/ ٣٧١) ك الصلاة ـ باب ما يقول الرجل إذا سلم . والنسائي في سننه (٣/ ٧٠-٧١) ك السهو ـ باب نوع آخر من القول بعد انقضاء الصلاة . وفي كتاب عمل اليوم والليلة ص(١٩٧) باب ما يقول عند انصرافه من الصلاة. والإمام أحمد في مسنده (٤/ ٢٤٥، ٢٥٠،٢٥١، ٢٥٥) . وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٢٣١). والحميدي في مسنده (٢/ ٣٣٧). وابن خزيمة في صحيحه: (١/ ٣٦٥) . وأبو عوانة في مسنده (٢/ ٢٤٣-٢٤٤) . وعبد الرزاق في مصنفه(٢/ ٢٤٤) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٥/ ٣٤٥-٣٤٩). والبيهقي في سننه (٢/ ١٨٥). وفي كتاب الدعوات الكبير ص(٧٢). والطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٣٨٦، ٣٨٩، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٥،٣٩٦). والبغوي في شرح السنة (٣/ ٢٢٥).

(١) ساقطة من ع ، د ، س .

فقال: «إنه ليسير على من يسره الله عليه»[١] فدل على أن التيسير الصادر من قبله سبحانه يوجب اليسر في العمل، وعدم التيسير يستلزم عدم العمل، لأنه ملزومه والملزوم ينتفي لانتفاء لازمه. والتيسير بمعنى التمكين، وخلق الفعل، وإزاحة الأعذار، وسلامة الأعضاء حاصل للمؤمن والكافر. والتيسير المذكور في الحديث أمر آخر وراء ذلك، وبالله التوفيق والتيسير.

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال لأبي موسى: «ألا أدلك على كنز من / كنوز ١١٧أ الجنة، لا حول ولا قوة إلا بالله»[٢].

---

(١) هذا الحديث من رواية معاذ بن جبل، قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر، فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، قال: «لقد سألتني عن عظيم، أنه ليسير على من يسره الله عليه ..» الخ. وهو حديث طويل. والحديث أخرجه: الترمذي (٥/ ١٣-١٤) ك الإيمان ـ باب ما جاء في حرمة الصلاة، وقال: حديث حسن صحيح. والنسائي في الكبرى ـ ك التفسير(٢/ ١٥٧) تفسير سورة السجدة آية ١٦. وابن ماجه (٢/ ١٣١٤) ك الفتن ـ باب كف اللسان في الفتنة. والإمام أحمد (٥/ ٢٣١، ٢٣٧، ٢٤٥). وابن أبي شيبة في كتاب الإيمان ص(٢) وفي المصنف (١١/ ٧) والحاكم في المستدرك (٢/ ٧٦، ٤١٢) مختصراً ومطولاً، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٢٠) وفي شعب الإيمان (٣/ ٢١٣) و(٤/ ٢٤٧-٢٤٨). والطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ١٠٣، ١٣٠-١٣١، ١٤٢-١٤٤، ١٤٧-١٤٨) وابن جرير في تفسيره (٢١/ ١٠٢) مختصراً. وذكره السيوطي في الدر المنثور(٦/ ٥٤٧) وزاد نسبته إلى ابن نصر في كتاب الصلاة وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) هذا الحديث رواه أبو موسى الأشعري، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فرفعوا أصواتهم بالدعاء، فقال رسول الله ﷺ: «إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون قريباً مجيباً يسمع دعاءكم ويستجيب». ثم قال: «يا عبد الله بن قيس، أو يا أبا موسى، ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة: لا حول ولا قوة إلا بالله» لفظ الإمام أحمد في المسند). وأخرجه =

....

= البخاري في المواضع التالية: (٥/ ٧٥) ك المغازي ـ باب غزوة خيبر .(٧/ ١٦٢) ك الدعوات ـ باب الدعاء إذا علا عقبة . (٧/ ١٦٩) ك الدعوات ـ باب قول لا حول ولا قوة إلا بالله . (٧/ ٢١٣) ك القدر ـ باب لا حول ولا قوة إلا بالله. (٨/ ١٦٧-١٦٨) ك التوحيد باب ﴿وكان الله سميعاً بصيراً﴾. وفي كتاب خلق أفعال العباد ص(٩١). ومسلم (٤/ ٢٠٧٦-٢٠٧٨) ك الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ـ باب استحباب خفض الصوت بالذكر. وأبو داود (٤/ ٣٨٦-٣٨٨٩ ك الصلاة ـ باب في الاستغفار. والترمذي (٥/ ٤٧٥-٤٧٦) ك الدعوات ـ باب ما جاء في فضل النعوت في ثلاثة مواضع ، و في ك السير في موضعين ، كما في تحفة الأشراف للمزي (٦/ ٤٢٦) وفي ك التفسير (٢/ ٢٠٠-٢٠١) تفسير سورة سبأ آية (٥٠) وفي كتاب عمل اليوم والليلة ص(٣٦٤-٣٦٥، ٣٧٢). وابن ماجه (٢/ ١٢٥٦) ك الأدب ـ باب ما جاء في (لا حول ولا قوة إلا بالله). والإمام أحمد (٤/ ٤٠٠، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٧، ٤١٧-٤١٨، ٤١٩). وابن أبي شيبة في المصنف(١٠/ ٣٧٦) مختصراً . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان(٣/ ٨٤) . وعبد الرازق في المصنف(٥/ ١٥٩-١٦٠) مختصراً . وابن السني في عمل اليوم والليلة ص(١٣٨، ١٣٩) . وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٧٤، ٢٧٥) مختصراً . والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ١٨٤). وفي كتاب الدعوات الكبير ص (١٠١) وفي الأسماء والصفات ص(٦٢) . وفي شعب الإيمان (١/ ٤٤٥) والبغوي في شرح السنة (٥/ ٦٦) .

وفي الباب عن أبي ذر، قال كنت أمشي خلف النبي ﷺ فقال: «يا أبا ذر ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟»... الحديث رواه النسائي في سننه الكبرى ـ ك التفسير (٢/ ٥) تفسير سورة الكهف آية ٣٩ . وفي عمل اليوم والليلة ص(١٤١) . وابن ماجة (٢/ ١٢٥٦) ك الأدب ـ باب ما جاء في (لا حول ولا قوة إلا بالله). والإمام أحمد(٥/ ١٤٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٧٩) . وابن حبان في صحيحه ، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣/ ١٠١ ـ ١٠٢) . والبغوي في شرح السنة (٥/ ٦٧-٦٨) . الحميدي في مسنده (١/ ٧٢) . والطبراني في المعجم الكبير (٢/ ١٦٣-١٦٤) .

وقد أجمع المسلمون على هذه الكلمة وتلقيها بالقبول ، وهي شافية في إثبات القدر وإبطال قول القدرية. وفي بعض الحديث: «**إذا قالها العبد قال الله: أسلم عبدي واستسلم**»(١) وفي بعضه « **فوض إلي عبدي** »(٢) قال بعض

= وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « **ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ...** » رواه الترمذي (٥/ ٥٤١) ك الدعوات ـ باب فضل لا حول ولا قوة إلا بالله . وقال : ليس إسناده بمتصل ، مكحول لم يسمع من أبي هريرة. والحاكم في المستدرك(١/ ٥١٧) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه هكذا. ووافقه الذهبي . وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٥٠١): وإسناده قوي. والنسائي في عمل اليوم والليلة ص(١٤٠-١٤١، ٢٩٥). والإمام أحمد (٢/ ٢٩٨، ٣٣٥، ٥٢٠). وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، انظر المسند بتحقيقه (١٥/ ١١٥) . وإسحاق بن راهويه في مسنده (١/ ٢٨٠) تحقيق د. عبد الغفور البلوشي، ط الأولى ١٤١٢هـ توزيع مكتبة الإيمان بالمدينة المنورة . وعبدالرزاق في مصنفه (١١/ ٢٨٣) مطولاً. والبيهقي في كتاب الدعوات الكبير ص(١٠١) والطيالسي في مسنده (ص٣٢٢).

وعن معاذ رضي الله عنه رواه البيهقي في كتاب الدعوات الكبير ص(١٠١) والطيالسي في مسنده (ص٣٢٢). والنسائي في عمل اليوم والليلة ص(٢٩٥). والإمام أحمد (٥/ ٢٤٤). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٩٧) وقال : رواه أحمد والطبراني، ورجالهما رجال الصحيح غير عطاء بن السائب . وقد حدث عنه حماد بن سلمة قبل الاختلاط.

وعن أبي أيوب الأنصاري عند الطبراني في المعجم الأوسط(٢/ ٥٦٢) انظر المطالب العالية (٣/ ١١٣، ٢٦١، ٢٦٢) ومجمع الزوائد (١٠/ ٩٧ – ٩٩). وفتح الباري (١١/ ٥٠١) .

(١) وردت هذه الزيادة في رواية المسند عن أبي هريرة رضي الله عنه (٢/ ٢٩٨، ٣٣٥، ٥٢٠) . ورواية إسحاق بن راهويه في مسنده (١/ ٢٨٠) . وعند البزار، كما في كشف الأستار (٤/ ١٥). وعند البيهقي في كتاب الدعوات الكبير ص(١٠١) . وذكرها السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٩٢) ولم ينسبها إلى غير الإمام أحمد .

(٢) لم أعثر على هذه اللفظة فيما رجعت إليه من كتب التخريج .

(المثبتين)[١] للقدر: لما كانت القدرة بالنسبة إلى الفعل وإلى (الترك)[٢] على السوية، وما دام الأمر كذلك، امتنع صدور الفعل، فإذا رجح جانب الفعل على الترك بحصول الدواعي وإزالة الصوارف حصل الفعل، وهذه القوة هي المشار إليها بقولنا: (لا حول ولا قوة إلا بالله)[٣]. وشأن الكلمة أعظم مما قال، فإن العالم العلوي والسفلي (في)[٤] تحول من حال، وذلك التحول لا يقع إلا بقوة يقع بها التحول، فكذلك الحول، وتلك القوة (عليه)[٥] بالله وحده، ليست بالتحول، فيدخل في هذا كل حركة في العالم العلوي والسفلي، وكل قوة على تلك الحركة (سواء كانت الحركة)[٦] قسرية أو إرادية أو طبيعية، وسواء كانت من الوسط أو إلى الوسط أو على الوسط، وسواء كانت في الكم[٧] أو (في)[٨] الكيف[٩] أو في الأين[١٠]، وحركة الطبيعة، وحركة الحيوان، وحركة الفلك، وحركة النفس والقلب، والقوة على هذه الحركات

---

(١) في م ن ع ، د ، س : المتسبين .

(٢) في د ، س : الترك بحصول الدواعي .

(٣) في ع ، د ، س : زيادة (العلي العظيم) .

(٤) في ع ، د ، س : له .

(٥) في د ، س : قائمة .

(٦) ما بين القوسين ساقط من د .

(٧) الكم عند أهل الكلام هو العرض الذي لا يقبل القسمة لذاته . انظر المواقف للإيجي ص(٩٧) والمحصل للرازي ص(٢١٧-٢١٨) .

(٨) ساقطة من ع ، د ، س .

(٩) الكيف عند أهل الكلام هو : العرض الذي لا يقبل القسمة والنسبة لذاته . انظر المواقف ص(٩٧) . والمحصل ص (٢١٨)

(١٠) الأين عند أهل الكلام هو : حصول الجسم في المكان، أي الحيز الذي يخصه ، انظر المواقف ص(٢٩٧) والمحصل (ص٢١٧) .

التي هي حول، ولا حول ولا قوة إلا بالله . ولما كان الكنز هو المال النفيس المجتمع الذي يخفى على أكثر الناس، وكان هذا شأن هذه الكلمة ، كانت كنزاً من كنوز الجنة، وأوتيها النبي ﷺ من كنز تحت العرش. وكأن قائلها أسلم واستسلم لمن أزمة الأمور بيديه وفوض أمره إليه.

وفي المسند والسنن عن (ابن)[1] الديلمي، قال: أتيت أبي بن كعب، فقلت: في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي، فقال: إن الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم / ولو أنفقت مثل أحد ذهباً ١١٧ب ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو مت على ذلك لكنت من أهل النار. قال: فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت فكل منهم حدثني بمثل ذلك عن رسول الله ﷺ . وهذا الحديث حديث صحيح ، رواه الحاكم في صحيحه[2] وله شأن عظيم ، وهو دال على أن من تكلم به أعرف الخلق بالله، وأعظمهم له توحيداً ، وأكثرهم له تعظيماً ، وفيه الشفاء التام في باب العدل والتوحيد، فإنه لا يزال يجول في نفوس كثير من الناس كيف يجتمع القضاء والقدر ، والأمر والنهي ، وكيف يجتمع العدل والعقاب على المقضي المقدر الذي لا للعبد من فعله .

ثم سلك كل طائفة في هذا المقام وادياً وطريقاً ، فسلكت الجبرية وادي الجبر وطريق المشيئة المحضة (التي)[3] ترجح مثلاً على مثل من غير اعتبار علة

---

(١) في ع ، د ، س : أبي . والصواب ما أثبت . انظر ترجمته في ص (١٥١) .

(٢) سبق تخريجه في ص(٤٨٦) . وقد ذكرت في ذلك الموضع أني لم أعثر عليه في المستدرك للحاكم .

(٣) في ع ، د ، س : الذي .

ولا غاية ولا حكمة .

قالوا : وكل ممكن عدل، والظلم هو الممتنع لذاته، فلو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لكان متصرفاً في ملكه، والظلم : تصرف القادر في غير ملكه، وذلك مستحيل عليه سبحانه . قالوا: ولما كان الأمر راجعاً إلى محض المشيئة لم تكن الأعمال سبباً للنجاة ، فكانت رحمته للعباد هي المستقلة بنجاتهم (لا أعمالهم)[١]، فكانت رحمته خيراً من أعمالهم[٢] . وهؤلاء راعوا جانب الملك وعطلوا جانب الحمد، والله سبحانه له الملك وله الحمد.

وسلكت القدرية وادي العدل والحكمة ، ولم يوفوه حقه، وعطلوا جانب التوحيد، (والملك)[٣] وحاروا في هذا الحديث ولم يدروا ما وجهه . وربما قابله كثير منهم بالتكذيب والرد له، وأن الرسول ﷺ لم يقل ذلك .

قالوا : وأي ظلم يكون أعظم من تعذيب من استنفد أوقات عمره كلها، واستفرد قواه في طاعته، وفعل ما يحبه ولم يعصه طرفة عين، وكان يعمل بأمره دائماً؟ فكيف يقول الرسول ﷺ: إن تعذيب هذا يكون عدلاً لا ظلماً؟ قالوا: ولا يقال إن حقه عليهم ، وما ينبغي له أعظم من طاعتهم، فلا تقع تلك الطاعات في مقابلة نعمه وحقوقه فلو عذبهم لعذبهم بحقه عليهم، لأنهم إذا فعلوا مقدورهم من طاعته لم يكلفوا بغيره، فكيف يعذبون على ترك ما لا قدرة لهم عليه ؟ وهل ذلك إلا بمنزلة تعذيبهم على كونهم لم يخلقوا السماوات والأرض، ونحو ذلك مما لا يدخل تحت مقدورهم ؟ .

قالوا : فلا وجه لهذا الحدث إلا رده أو تأويله وحمله على معنى يصح،

---

(١) ساقطة من ع ، د ، س .

(٢) انظر المواقف ص(٣١٤، ٣١٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨) .

(٣) ساقطة من ع ، د ، س .

وهو أنه لو أراد تعذيبهم لجعلهم أمة واحدة على الكفر ، فلو عذبهم في هذه الحال لكان غير ظالم لهم ، وهو لم يقل: لو عذبهم مع كونهم مطيعين له عابدين له لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ثم أخبر أنه لو عمهم بالرحمة لكانت رحمته لهم خيراً من أعمالهم، ثم أخبر أنه لا يقبل من العبد عمل حتى يؤمن بالقدر، والقدر هو علم الله بالكائنات وحكمه فيها، ووقفت طائفة أخرى في وادي الحيرة بين القدر والأمر، والثواب والعقاب، فتارة يغلب عليهم شهود (القدر)[١] فيغيبون به عن (الأمر)[٢]، (وتارة يغلب عليهم شهود الأمر، فيغيبون (به)[٣] عن القدر)[٤] وتارة يبقون في حيرة وعمى. وهذا كله إنما سببه الأصول الفاسدة والقواعد الباطلة التي بنوا عليها . ولو جمعوا بين الملك والحمد، والربوبية والإلهية، والحكمة والقدرة، وأثبتوا له الكمال المطلق، ووصفوه بالقدرة التامة الشاملة، والمشيئة العامة النافذة التي لا يوجد كائن إلا بعد وجودها والحكمة البالغة التي ظهرت في كل موجود لعلموا حقيقة الأمر، وزالت عنهم الحيرة، ودخلوا إلى الله سبحانه من باب أوسع من السماوات / السبع، وعرفوا أنه لا يليق بكماله المقدس إلا ما أخبر به عن نفسه على ألسنة رسله، وأن ما خالفه ظنون كاذبة وأوهام تولدت (من)[٥] بين أفكار باطلة وآراء مظلمة . ١١٨ب

فنقول، وبالله التوفيق، وهو المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به، تبارك اسمه وتعالى جده، ولا إله غيره، هو المنعم على الحقيقة

(١) في ع ، الأمر .

(٢) في ع : القدر .

(٣) ساقطة من د ، س .

(٤) ما بين القوسين ساقطة من ع .

(٥) ساقطة من ع ، د ، س .

بصنوف النعم التي لا يحصيها أهل سماواته وأرضه، فإيجادهم نعمة منه ، وجعلهم أحياء ناطقين نعمة منه، وإعطاؤهم الأسماع والأبصار والعقول نعمة منه، وإدرار الأرزاق عليهم على اختلاف أنواعها وأصنافها نعمة منه، وتعريفهم نفسه بأسمائه وصفاته وأفعاله نعمة منه، وإجراء ذكره على ألسنتهم ومحبته ومعرفته على قلوبهم نعمة منه، وحفظهم بعد إيجادهم نعمة منه، وقيامه بمصالحهم دقيقها وجليلها نعمة منه، وهدايتهم إلى أسباب مصالحهم ومعاشهم نعمة منه، وذكر نعمه على سبيل التفصيل لا سبيل إليه ولا قدرة للبشر عليه ويكفي أن النفَس من أدنى نعمه التي لا يكادون (يتعدون بها)[1] وهو أربعة وعشرون ألف نَفَسٍ في كل يوم وليلة. فلله تعالى على العبد في النفس خاصة أربعة وعشرون ألف نعمة كل يوم وليلة ، دع ما عدا ذلك من أصناف نعمه على العبد .

ولكل نعمة من هذه النعم حق من الشكر تستدعيه وتقتضيه، فإذا وزعت طاعات العبد كلها على هذه النعم، لم يخرج قسط كل نعمة منها إلا جزءاً يسيراً جداً لا نسبة (له)[2] إلى قدر تلك النعمة بوجه من الوجوه .

قال أنس بن مالك : ينشر للعبد يوم القيامة ثلاثة دواوين، ديوان فيه ذنوبه (وديوان فيه النعم)[3]، وديوان فيه العمل الصالح، فيأمر الله تعالى أصغر نعمة من نعمه فتقوم فتستوعب عمله كله، ثم تقول: أي رب، وعزتك وجلالك ما استوفيت ثمني وقد بقيت الذنوب والنعم . فإذا أراد الله بعبد خيراً قال : ابن آدم / ضعَّفت حسناتك، وتجاوزت عن سيئاتك ووهبت لك ١١٩أ

---

(١) في ع ، د ، س يعدونها .

(٢) ساقطة من ع ، د ، س .

(٣) ما بين القوسين ساقطة من ع ، د ، س .

نعمي فيما بيني وبينك[1].

وفي صحيح الحاكم حديث صاحب الرمانة الذي عبد الله تعالى خمسمائة سنة يأكل كل يوم رمانة تخرج له من شجرة، ثم يقوم إلى صلاته، فسأل ربه وقت الأجل أن يقبضه ساجداً، وأن لا يجعل للأرض عليه سبيلاً، حتى يبعث وهو ساجد، فإذا كان يوم القيامة وقف بين يدي الرب، فيقول تعالى: «أدخلوا عبدي الجنة برحمتي، فيقول: رب، بل بعملي، فيقول الرب جل جلاله: قايسوا عبدي بنعمتي عليه وبعمله، (فتوجد)[2] نعمة البصر (قد أحاطت)[3] بعبادة خمسمائة سنة، وبقيت نعمة الجسد فضلاً عليه، فيقول: أدخلوا عبدي النار، فيجر إلى النار، فينادي (رب برحمتك)[4]، رب برحمتك أدخلني الجنة فيقول: ردوه. فيوقف بين يديه، فيقول: يا عبدي، من خلقك ولم تك شيئاً؟ فيقول: : أنت يارب[5]، فيقول: من قواك على عبادة خمسمائة سنة[6]؟ فيقول: أنت يا رب، فيقول: من أنزلك في جبل وسط اللجة وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح، وأخرج لك كل يوم[7] رمانة، وإنما تخرج مرة

---

(١) رواه البزار، كما في كشف الأستار: (٤/ ١٦٠) ك البعث ـ باب في الحساب. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٥٧) وقال: رواه البزار، وفيه صالح المري، وهو ضعيف.

(٢) في م، ع، د، س: فتؤخذ، وما أثبت من ت. وهو المطابق لما في المستدرك للحاكم.

(٣) ساقطة من ع، د، س.

(٤) ما بين القوسين لم يرد في المستدرك.

(٥) وردت في هذا الموضع من المستدرك عبارة ساقطة هنا، ونصها: (فيقول: كان ذلك من قبلك، أو برحمتي، فيقول: بل برحمتك).

(٦) في المستدرك: لعبادة خمسمائة عام.

(٧) في المستدرك ليلة.

في السنة، وسألتني أن أقبضك ساجداً ففعلت ذلك بك؟ فيقول : أنت يا رب، فيقول الله[(١)] : فذلك برحمتي، وبرحمتي أدخلتك الجنة).

رواه من طريق يحيى بن بكير[(٢)]، حدثنا الليث بن سعد[(٣)] عن سليمان بن هرم[(٤)] عن محمد بن المنكدر[(٥)] عن جابر[(٦)] عن النبي ﷺ[(٧)]، والإسناد

---

(١) في المستدرك : فقال .

(٢) هو : يحيى بن عبد الله بن بكير المخزومي، مولاهم ، المصري، وقد ينسب إلى جده ، ثقة في الليث، وتكلموا في سماعه من مالك ، من كبار العاشرة، مات سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، وله سبع وسبعون سنة، روى له البخاري ومسلم وابن ماجه . تقريب التهذيب (٢/ ٣٥١) وتهذيب التهذيب (١١/ ٢٣٨) .

(٣) الليث بن سعد ، ثقة ، ثبت ، فقيه ، سبقت ترجمته في ص(١٦٤).

(٤) قال الذهبي في ميزان الاعتدال (٢/ ٢٢٧) : سلميان بن هرم. عن محمد بن المنكدر الأزدي : لا يصح حديثه . وقال العقيلي : مجهول ، وحديثه غير محفوظ . وانظر الضعفاء الكبير للعقيلي (٢/ ١٤٤) .

(٥) هو : محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير ـ بالتصغير ـ التيمي المدني، ثقة فاضل، من الثالثة، مات سنة ثلاثين ومائة أو بعدها ، روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٢١٠)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٤٧٣) . وسير أعلام النبلاء (٥/ ٣٥٣) . وتاريخ الثقات للعجلي ص(٤١٤) .

(٦) هو : جابر بن عبد الله بن حرام، الصحابي المشهور. سبقت ترجمته في ص (١٧٦) .

(٧) انظر المستدرك للحاكم (٤/ ٢٥٠-٢٥١) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، فإن سليمان ابن هرم العابد من زهاد أهل الشام، والليث بن سعد لا يروي عن المجهولين. وتعقبه الذهبي، فقال: لا والله، وسليمان غير معتمد . ورواه الخرائطي في كتاب فضيلة الشكر لله على نعمه ص(٥١-٥٣) تحقيق محمد مطيع الحافظ ط الأولى ١٤٠٢هـ نشر دار الفكر، بيروت، والعقيلي في كتاب الضعفاء الكبير (٢/ ١٤٤-١٤٥) ، في ترجمة سليمان بن هرم، وقال: مجهول في الرواية، حديثه غير محفوظ. والذهبي في ميزان الاعتدال (٢/ ٢٢٧-٢٢٨) في ترجمة سليمان بن هرم، وقال : لم يصح هذا والله تعالى يقول: ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم =

صحيح[١] ومعناه صحيح لا ريب فيه، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : «لن ينجو أحد منكم بعمله»، وفي لفظ : «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله» . قالوا : ولا أنت يا رسول الله؟ قال : «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»[٢] فقد أخبر ﷺ أنه لا ينجي أحداً عمله (لا)[٣] من الأولين ولا من الآخرين إلا برحمة ربه تبارك وتعالى، فتكون / رحمته له خيراً من عمله، لأن رحمته ١١٩ب تنجيه وعمله لا ينجيه. فعلم أنه سبحانه لو عذب أهل سماواته وأرضه لعذبهم ببعض حقه عليهم .

ومما يوضحه أنه كلما كملت نعمة الله على العبد عظم حقه عليه، وكان ما يطالب به من الشكر أكثر مما يطالب (به)[٤] من (هو)[٥] دونه، فيكون حق الله عليه أعظم وأعماله لا تفي بحقه عليه .

وهذا إنما يعرفه حق المعرفة من عرف الله وعرف نفسه، هذا كله لو لم يحصل للعبد من الغفلة والإعراض والذنوب ما يكون في قبالة طاعاته، فكيف إذا حصل له من ذلك ما (يوازي)[٦] طاعاته أو يزيد عليها، فإن من حق الله على عبده أن يعبده لا يشرك به شيئاً، وأن يذكره ولا ينساه، وأن يشكره ولا يكفره ، وأن يرضى به رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً .

= تعملون﴾ ولكن لا ينجي أحداً عمله من عذاب الله، كما صح، بل أعمالنا الصالحة هي من فضل الله علينا ومن نعمه ، لا بحول منا ولا بقوة، فله الحمد على الحمد له .

(١) إسناده فيه : سليمان بن هرم، ضعيف. كما سبق ذكره في الحاشية السابقة .

(٢) سبق تخريجه في ص(٤٨٥) .

(٣) ساقطة من ع ، د ، س .

(٤) ساقطة من ع ، د ، س .

(٥) ساقطة من ع ، د ، س .

(٦) في ت : ما يوازن .

وليس الرضا بذلك مجرد إطلاق هذا اللفظ وحاله وإرادته تكذبه به وتخالفه، فكيف يرضى به رباً، من يسخط ما يقضيه له إذا لم يكن موافقاً لإرادته وهواه فيظل ساخطاً به متبرماً، يرضى وربه غضبان، ويغضب وربه راض، فهذا إنما رضي (بحظه)[1] من ربه حظاً لم يرض بالله رباً ؟ وكيف يدعي الرضا بالإسلام ديناً من ينبذ أصوله خلف ظهره، إذ خالفت بدعته وهواه، وفروعه وراءه إذ لم توافق غرضه وشهوته ؟ وكيف يصح الرضا بمحمد رسولاً (لمن)[2] لم يحكمه على ظاهره وباطنه، ويتلقى أصول دينه وفروعه من مشكاته وحده ؟ وكيف يرضى به رسولاً من يترك ما جاء به لقول غيره، ولا يترك قول غيره لقوله، ولا يحكمه ويحتج بقوله إلا إذا وافق تقليده ومذهبه، فإذا خالفه لم يلتفت إلى قوله؟ .

والمقصود أن من حقه سبحانه على كل أحد من عبيده أن يرضى به رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً، وأن يكون حبه كله لله، وبغضه في الله، (وفعله)[3] لله، وتركه لله، وأن يذكره ولا ينساه، ويطيعه ولا يعصيه، ويشكره / ولا يكفره، وإذا قام بذلك كله كانت نعم الله عليه أكثر من عمله، بل ذلك نفسه من نعم الله عليه، حيث وفقه له ويسره وأعانه عليه، وجعله من أهله واختصه به على غيره ، فهو يستدعي شكراً آخر عليه، ولا سبيل له إلى القيام بما يجب لله من الشكر أبداً .

١٢٠أ

فنعم الله تطالبه بالشكر وأعماله لا تقابلها، وذنوبه وغفلته وتقصيره قد تستنفد عمله، فديوان النعم وديوان الذنوب يستنفدان طاعاته كلها .

(١) ساقطة من ع ، د ، س .

(٢) في ع ، د ، س : ممن .

(٣) في ع ، د ، س : وقوله .

هذا وأعمال العبد مستحقة عليه . بمقتضى كونه عبداً مملوكاً فيما يأمره به سيده ، فنفسه مملوكة ، وأعماله مستحقة بموجب العبودية، فليس له شيء من أعماله، كما أنه ليس له ذرة من نفسه، فلا هو مالك لنفسه ولا لصفاته ولا أعماله، ولا لما بيده في الحقيقة، بل كل ذلك مملوك عليه، مستحق عليه لمالكه، أعظم استحقاقاً من سيد اشترى عبداً بخالص ماله ثم قال: اعمل وأدِّ إلي فليس لك في نفسك ولا في كسبك شيء. فلو عمل هذا العبد من الأعمال ما عمل (لرأى)[1] (ذلك)[2] كله (مستحقاً)[3] عليه لسيده (وحقاً)[4] من حقوقه عليه، فكيف بالمنعم المالك على الحقيقة، الذي لا تعد نعمه وحقوقه على عبده، ولا يمكن أن تقابلها طاعاته بوجهه، فلو عذبه سبحانه لعذبه وهو غير ظالم له، وإذا رحمه فرحمته خير له من أعماله ، ولا تكون أعماله ثمناً لرحمته البتة، فلولا فضل الله ورحمته ومغفرته ما هنأ أحداً عيشٌ البتة ، ولا عرف (خالقه)[5] ولا ذكره، ولا آمن به ، ولا أطاعه ، فكما أن وجود العبد محض (جوده)[6] وفضله ومنته عليه، وهو المحمود على إيجاده، فتوابع وجوده كلها كذلك، ليس للعبد منها شيء، كما ليس في وجوده شيء، فالحمد كله لله، والفضل كله له، والإنعام كله له، والحق له على جميع خلقه، ومن لم ينظر في حقه / عليه (ويرى)[7] تقصيره وعجزه عن القيام به فهو من أجهل الخلق ١٢٠ب

---

(١) في ع ، د ، س : فإن .

(٢) إضافة من ع .

(٣) في د ، س : مستحق .

(٤) في م ، ت ، د ، س : وحق .

(٥) في د : أحد خالقه .

(٦) في د ، س : وجوده .

(٧) ساقطة من ع ، د ، س .

بربه وبنفسه، ولا تنفعه طاعاته ولا يُسمع دعاؤه .

قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج[(١)] حدثنا جرير بن حازم[(٢)] عن وهب[(٣)] قال : بلغني أن نبي الله موسى ﷺ مر برجل يدعو ويتضرع، فقال: يا رب ارحمه فإني قد رحمته ، فأوحى الله تعالى إليه : لو دعاني حتى ينقطع (فؤاده)[(٤)] ما استجبت له حتى ينظر في حقي عليه[(٥)] .

والعبد يسير إلى الله بين مشاهدة منته عليه ونعمه وحقوقه، وبين رؤية عيب نفسه وعمله وتفريطه وإضاعته، وهو يعلم أن ربه لو عذبه أشد العذاب لكان قد عدل فيه، وأن أقضيته كلها عدل فيه، وأن ما هو فيه من الخير فمجرد فضله ومنته وصدقه عليه .

ولهذا كان في حديث سيد الاستغفار : «أبوء[(٦)] لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي »[(٧)] فلا يرى نفسه إلا مقصراً مذنباً، ولا يرى ربه إلا محسناً متفضلاً،

---

(١) هو : حجاج بن محمد المصيصي . ثقة ثبت ، لكنه اختلط في آخر عمره . سبقت ترجمته في ص(١٨٨) .

(٢) هو جرير بن حازم بن زيد بن عبد الله الأزدي ، ثقة، وله أوهام إذا حدث من حفظه. سبقت ترجمته ص(١٩٣) .

(٣) هو : وهب بن منبه بن كامل اليماني ، أبو عبد الله الأنباري ـ بفتح الهمزة وسكون الموحدة بعدها نون ـ ثقة ، من الثالثة . مات سنة بضع عشرة ومائة. روى له البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجة في التفسير . تقريب التهذيب (٢/ ٣٣٩) وتهذيب التهذيب (١١/ ١٦٦-١٦٨). وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٤٤-٥٥٧) .

(٤) في م ، ت : قواه .

(٥) لم أعثر له على تخريج . وهو بهذا السند من أخبار بني إسرائيل.

(٦) أبوء : أي: التزم وأرجع وأقر، وأصل البواء: اللزوم ، النهاية لابن الأثير (١/ ١٥٩).

(٧) هذا طرف من حديث رواه شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «سيد الاستغفار =

وقد قسم الله خلقه إلى قسمين لا ثالث لهما: تائبين ، وظالمين، فقال : ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(١) .

وكذلك جعلهم قسمين : معذبين ، وتائبين، فمن لم يتب فهو معذب ولا بد، قال تعالى:﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾(٢) .

= **أن تقول : اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت ، وأبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. قال: من قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة».**
والحديث رواه البخاري (٧/ ١٤٥) ك الدعوات ـ باب فضل الاستغفار ، وفي باب ما يقول إذا أصبح(٧/ ١٥٠) . ورواه أيضاً في كتاب الأدب المفردص(٢١٦-٢١٧) باب سيد الاستغفار . والترمذي (٥/ ٤٣٦-٤٣٧) ك الدعوات باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى . قال : هذا حديث حسن غريب. والنسائي في سننه (٧/ ٢٧٩) ك الاستعاذة ـ باب الاستعاذة من شر ما صنع. وفي عمل اليوم والليلة ص (١٤٣-١٤٤-٣٣٣-٣٣٤-٣٨٧)، والإمام أحمد (٤/ ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥) . وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٢٩٦) . الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٥٨) وصححه ، وأقره الذهبي . والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤٤٧) . وفي كتاب الدعوات الكبير ص(١٠٤) وفي كتاب القدر ص(١٧٣). والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٣٥٠-٣٥١-٣٥٦) . وفي المعجم الأوسط (٢/ ١٣) . وعبد بن حميد ، كما في المنتخب (٣/ ٣٢) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣/ ٢١٢) . والبغوي في شرح السنة (٥/ ٩٣-٩٤) . وقال الترمذي (٥/ ٤٣٦): وفي الباب عن أبي هريرة، وابن عمر، وابن مسعود، وابن أبزى، وبريدة رضي الله عنهم .

(١) سورة الحجرات آية ١١ .

(٢) سورة الأحزاب آية ٧٣ .

وأمر جميع المؤمنين من أولهم إلى آخرهم بالتوبة، ولا يُستثنى من ذلك أحد، وعلق فلاحهم بها، قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[(١)] وعدد سبحانه من جملة نعمه على خير خلقه وأكرمهم عليه وأطوعهم له وأخشاهم له أن تاب الله عليه وعلى خواص أتباعه فقال: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾[(٢)] .

ثم كرر توبته عليهم، فقال: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[(٣)] / وقدم توبته عليه على توبة الثلاثة الذين خلفوا[(٤)] وأخبر سبحانه أن الجنة التي وعدها أهلها في التوراة والإنجيل (والقرآن إنما[(٥)]) يدخلها التائبون، فذكر عموم التائبين أولاً، ثم خص النبي والمهاجرين والأنصار بها، ثم خص الثلاثة الذين خلفوا، فعلم بذلك احتياج جميع الخلق إلى توبته عليهم ومغفرته لهم وعفوه عنهم. [١٢١ا]

وقد قال تعالى لسيد ولد آدم وأحب خلقه إليه: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾[(٦)]

---

(١) سورة النور آية ٣١ .

(٢) سورة التوبة آية ١١٧ .

(٣) يشير إلى قوله تعالى بعد الآية السابقة من سورة التوبة ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ..﴾ الآية . سورة التوبة آية ١١٨ .

(٤) ساقطة من د ، س .

(٥) يشير إلى قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ الآية ثم قال : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ... ﴾ سورة التوبة آية ١١١ -١١٢ .

(٦) سورة التوبة ، آية ٤٣ .

فهذا خبر منه سبحانه، وهو أصدق القائلين، أو دعاء لرسوله بعفوه عنه، وهو طلب من نفسه. وكان صلوات الله عليه وسلم يقول في سجوده، أقرب ما يكون من ربه : « أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بعفوك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك»[١] .

وقال لأطوع نساء الأمة وأفضلهن وخيرهن الصديقة بنت الصديق، وقد قالت له: يا رسول الله، إن وافقت ليلة القدر، فما أدعو به؟ قال : «قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني». قال الترمذي: حديث حسن صحيح[٢] .

وهو سبحانه لمحبته للعفو وللتوبة خلقه على صفات وهيئات وأحوال تقتضي توبتهم إليه واستغفارهم، وطلبهم عفوه مغفرته . وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « (والذي نفسي

(١) سبق تخريجه في المقدمة ص(١٣١) عند سرد المؤلف لأبواب الكتاب ـ الباب (٢٦).

(٢) انظر جامع الترمذي(٥/ ٤٩٩) ك الدعوات ـ باب (٨٥) . ورواه النسائي في سننه الكبرى ـ كتاب النعوت، في خمسة مواضع منه، كما في تحفة الأشراف للمزي(١١/ ٤٣٤ -٤٣٥). وفي ك التفسير (٢/ ٥٣٨-٥٣٩) تفسير سورة القدر. وفي كتاب عمل اليوم والليلة ص(٤٩٩-٥٠٠) . وابن ماجه (٢/ ١٢٦٥) ك الدعاء بالعفو والعافية. والإمام أحمد (٦/ ١٧١، ١٨٢، ١٨٣، ٢٥٨) . والحاكم في المستدرك (١/ ٥٣٠) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. ورواه البيهقي في كتاب الدعوات الكبير ص(١٥٠) وفي الأسماء والصفات ص(٧٥) وفي شعب الإيمان (٣/ ٣٣٨-٣٣٩). والقضاعي في مسند الشهاب(٢/ ٣٣٥) . ومحمد بن نصر في قيام الليل، كما في مختصره لأحمد بن علي المقريزي ص (٢٣٩) ط الأولى ١٤٠٢هـ ، نشر حديث أكاديمي بالباكستان باب ما يدعى به في ليلة القدر. والبغوي في تفسيره معالم التنزيل (٤/ ٥١٢) تفسير سورة (القدر). وابن السني في عمل اليوم والليلة ص(٢٠٧) . وذكره السيوطي في الجامع الصغير، وصححه الألباني : انظر صحيح الجامع الصغير(٤/ ١٤٥) .

بيده)[(١)] لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون ، فيستغفرون الله، فيغفر لهم »[(٢)] .

والله تعالى يحب التوابين . والتوبة من أحب الطاعات إليه، ويكفي في محبتها شدة فرحه بها سبحانه، كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه (حيث)[(٣)] يذكرني والله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته / في الفلاة »[(٤)].** ١٢١ب

---

(١) ما بين القوسين ساقط من ع ن د ، س .

(٢) انظر صحيح مسلم (٤/ ٢١٠٦) ك التوبة ـ باب سقوط الذنوب بالاستغفار، توبة. ورواه الإمام أحمد (٢/ ٣٠٩) . والبيهقي في كتاب الأدب ص(٥١٧-٥١٨) . وفي الأسماء والصفات ص(٧٥-٧٦) وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ١٨١-١٨٢) . وفي الباب عن أبي أيوب الأنصار رضي الله عنه، عند مسلم (٤/ ٢١٠٥-٢١٠٦) ك التوبة باب سقوط الذنوب بالاستغفار ، توبة وعند الترمذي (٥/ ٥١٢) ك الدعوات ـ باب في فضل التوبة والاستغفار ، وما ذكر من رحمة الله لعباده .

(٣) في ع ، د ، س : حين ، وقد وردت في إحدى روايتي مسلم .

(٤) انظر صحيح مسلم (٤/ ٢١٠٢) ك التوبة ـ باب في الحض على التوبة والفرح بها . وتكملة هذا الحديث: **« ومن تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً ، ومن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإذا أقبل إليّ يمشي، أقبلت إليه أهرول»**. ورواه مسلم أيضاً في(٤/ ٢٠٦١) ك. الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ـ باب الحث على ذكر الله تعالى. دون قوله : **«والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته في الفلاة »** . وبمثله رواه البخاري في صحيحه(٨/ ١٧١) ك التوحيد ـ باب قول الله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾. والترمذي (٥/ ٥٤٢) ك الدعوات ـ باب في حسن الظن بالله عز وجل. وابن ماجه (٢/ ١٢٥٥-١٢٥٦) ك الأدب ـ باب فضل العمل. وابن خزيمة في كتاب التوحيد(١/ ١٥-١٦). والإمام أحمد (٢/ ٢٥١، ٤١٦، ٥١٦، ٥١٧، ٥٢٤، ٥٣٤، ٥٣٥) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب ابن حبان(٣/ ٩٣). والبغوي في شرح السنة =

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ : **«لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض (دوية)[1] مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ وقد ذهبت، فطلبها حتى أدركه العطش، ثم قال: أرجع إلى المكان الذي كنت فيه فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ وعنده راحلته عليها زاده وطعامه وشرابه، فالله أشد فرحاً بتوبة المؤمن من هذا براحلته وزاده»**[2] .

= (٥/ ٢٤) والبيهقي في الأسماء والصفات ص(٢٧٢) . وأبو يعلى في مسنده(١١/ ٤٧٨ -٤٧٩) . ورواه البخاري مختصراً في (٨/ ٢١٢) ك التوحيد ـ باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه. وفي كتاب خلق أفعال العباد ص(٨٥) .

(١) دوية : الدّو : الصحراء التي لا نبات بها، والدّوية منسوبة إليها. النهاية لابن الأثير (٢/ ١٤٣) .

(٢) انظر صحيح البخاري (٧/ ١٤٥-١٤٦) ك الدعوات ـ باب التوبة. (فقد رواه موصولاً، ومعلقاً) وفيه زيادة عما ذكره المؤلف، ونصها: حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا أبو شهاب عن الأعمش، عن عمارة بن عمير، عن الحارث عن سويد، حدثنا عبد الله ابن مسعود حديثين أحدهما عن النبي ﷺ والآخر عن نفسه، قال : إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه، فقال به هكذا، قال أبو شهاب بيده فوق أنفه. ورواه مسلم دون هذه الزيادة في(٤/ ٢١٠٣) ك التوبة ـ باب في الحض على التوبة والفرح بها. والترمذي (٤/ ٥٦٨) ك صفة القيامة. باب (٤٩) بالزيادة المذكورة. والنسائي في سننه الكبرى ك النعوت، دون الزيادة، انظر تحفة الأشراف(٧/ ١٥) والإمام أحمد (١/ ٣٨٣) بالزيادة المذكورة . والبغوي في شرح السنة(٥/ ٨٤-٨٦) بمثل رواية البخاري. وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٢٩) بالزيادة المذكورة ، وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢/ ٣٨٤) دون الزيادة .

وفي صحيح مسلم عن النعمان بن بشير[1] يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل حمل زاده ومزاده[2] على بعير ثم سار حتى كان بفلاة (من الأرض)[3] فأدركته القائلة فنزل (فقال)[4] تحت شجرة، فغلبته عينه وانسل[5] بعيره، فاستيقظ فسعى شرفاً[6] فلم ير شيئاً، ثم سعى شرفاً ثانياً، ثم سعى شرفاً ثالثاً، فلم ير شيئاً، فأقبل حتى أتى مكانه الذي قال فيه، فبينا هو قاعد فيه إذ جاء بعيره يمشي حتى وضع خطامه في يده، فلله أشد فرحاً بتوبة العبد من هذا حين وجد بعيره (على حاله[7])»[8] .

فتأمل محبته سبحانه لهذه الطاعة التي هي أصل الطاعات وأساسها. (وإن)[9] من زعم أن أحداً من الناس يستغني عنها ولا حاجة به إليها، فقد جهل حق الربوبية، ومرتبة العبودية ، (وينقص بمن)[10] أغناه بزعمه عن

---

(١) هو : النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري ، الخزرجي ، له ولأبويه صحبة، سكن الشام، ثم ولي إمرة الكوفة، ثم قتل بحمص سنة خمس وستين وله أربع وستون سنة. روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ٣٠٣) وتهذيب التهذيب(١٠/ ٤٤٧-٤٤٩) .

(٢) المزادة : الظرف الذي يحمل فيه الماء، كالراوية والقربة. النهاية لابن الأثير (٤/ ٣٢٤) .

(٣) ما بين القوسين ساقط من ع ، د ، س .

(٤) ساقطة من م ، وقوله: (فقال) من القيلولة : وهي نوم نصف النهار. انظر الصحاح (٥/ ١٨٠٨) والمصباح المنير (٢/ ٥٢١) مادة (قيل) .

(٥) وانسل بعيره : أي ذهب في خفية . شرح النووي لصحيح مسلم (٧/ ٦٢١) .

(٦) ساقطة من ع ، د ، س .

(٧) الشرف : المكان العالي . الصحاح (٤/ ١٣٧٩) مادة (شرف) .

(٨) انظر صحيح مسلم (٤/ ٢١٠٣-٢١٠٤) ك التوبة ـ باب الحض على التوبة . وذكره المزي في تحفة الأشراف (٩/ ٢٥) ولم ينسبه إلى غير مسلم .

(٩) في ع ، د ، س : فإن .

(١٠) في ع ، د ، س : وينتقص من .

التوبة من حيث زعم أنه معظم له، إذ عطله عن هذه الطاعة العظيمة التي هي من أجل الطاعات، والقربة الشريفة التي هي من أجل القربات، وقال: لست من أهل هذه الطاعة ولا حاجة بك إليها، فلا قدر الله حق قدره، ولا قدر العبد حق قدره، وجعل بعض عباده غنياً عن مغفرة الله وعفوه وتوبته إليه، وزعم (أنه)[1] لا يحتاج إلى ربه في ذلك.

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب(إليه)[2] (من)[3] (أحدكم)[4] كان على راحلته/ ١٢٢أ بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع (في ظلها)[5] وقد يئس من راحلته، فبينا هو كذلك إذ بها قائمة عنده (فأخذ بخطامها)[6] ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي، وأنا ربك، أخطأ من شدة (الفرح)»**[7] وأكمل الخلق: أكملهم توبة، وأكثرهم استغفاراً.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) ساقطة من م، ت.

(٢) ساقطة من د، س.

(٣) في د، س: عن.

(٤) في د، س: أحدكم من رجل.

(٥) ساقطة من ع، د، س.

(٦) ساقطة من ع، د، س.

(٧) انظر صحيح البخاري (٧/ ١٤٦) ك الدعوات ـ باب التوبة. وصحيح مسلم (٤/ ٢١٠٤) ك التوبة ـ باب في الحض على التوبة والفرح بها. ورواه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٢١٣). والبغوي في شرح السنة (٥/ ٨٧). وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان(٢/ ٢٨٣).

يقول : «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»[١] .
ولما سمع أبو هريرة هذا من النبي ﷺ كان يقول ما رواه الإمام أحمد في كتاب الزهد عنه : (إني أستغفر الله في اليوم والليلة اثني شر ألف مرة بقدر ديتي).
ثم ساقه من طريق آخر وقال: (بقدر ديته)[٢] .

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد : (حدثنا أبي)[٣] ، حدثنا يزيد بن هارون[٤] أخبرنا محمد بن راشد[٥] عن مكحول[٦] عن رجل عن أبي هريرة، قال : (ما جلست إلى أحد أكثر استغفاراً من رسول الله ﷺ). قال الرجل: وما جلست

---

(١) انظر صحيح البخاري (٧/ ١٤٥) ك الدعوات ـ باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة ص(٣٢٣-٣٢٤). وابن ماجه (٢/ ١٢٥٤) ك الأدب ـ باب الاستغفار . والإمام أحمد (٢/ ٢٨٢، ٣٤١، ٤٥٠) . وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٢٩٧) . والبغوي في شرح السنة (٥/ ٦٧). وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣/ ٢٠٤) والإصابة (١/ ٥٥).

(٢) لم أجده في كتاب الزهد للإمام أحمد. ورواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٨٣).

(٣) ما بين القوسين إضافة من كتاب الزهد.

(٤) هو : يزيد بن هارون بن زاذان ، السلمي ، مولاهم ، أبو خالد الوسطي ، ثقة متقن ، عابد ، من التاسعة، مات سنة ست ومائتين، وقد قارب التسعين، روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ٣٧٢)، وتهذيب التهذيب (١١/ ٣٦٦-٣٦٩).

(٥) هو محمد بن راشد المكحول الخزاعي ، الدمشقي نزيل البصرة، صدوق يهم، رمي بالقدر، من السابعة، مات بعد الستين. روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ١٦٠) ، وتهذيب التهذيب (٩/ ١٥٨-١٦٠) .

(٦) هو مكحول الشامي، أبو عبد الله، ثقة ، فقيه، كثير الإرسال، مشهور، من الخامسة، مات سنة بضع عشر ومائة. روى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ٢٧٣)، وتهذيب التهذيب(١٠/ ٢٨٩-٢٩٣) . وسير أعلام النبلاء (٥/ ١٥٥) .

إلى أحد أكثر استغفاراً من أبي هريرة)[١] .

وفي صحيح مسلم عن الأغر المزني[٢] أن رسول الله ﷺ قال: «**إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**»[٣] وفي السنن والمسند من حديث ابن عمر قال: كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة «**رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم**» . قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[٤] .

---

(١) انظر الزهد للإمام أحمد ص(٥٠) وفي إسناده رجل لم يسم. ورواه ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣/ ٢٠٧-٢٠٨) من طريق خالد بن عبدالله بن الحسين، عن أبي هريرة مرفوعاً .

(٢) هو : الأغر بن عبد الله ، المزني، ويقال: الجهني، ومنهم من فرق بينهما، صحابي، قال البخاري: المزني أصح. روى له البخاري في الأدب المفرد، وروى له مسلم، وأبو داود والنسائي، تقريب التهذيب (١/ ٨٢) وتهذيب التهذيب (١/ ٣٦٥) ، والإصابة (١/ ٥٥) .

(٣) سبق تخريجه في ص (٦٣٢) .

(٤) انظر جامع الترمذي (٥/ ٤٦١) ك الدعوات ـ باب ما يقول إذا قام من المجلس. وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. ولفظه: (إنك أنت التواب الغفور . ومسند الإمام أحمد ، وقال الشيخ أحمد شاكر : وإسناده صحيح. انظر المسند بتحقيقه (٦/ ٣٢٨)، (٧/ ١٩٠) ورواه أبو داود (٤/ ٣٧٩-٣٨٠) ك الوتر ـ باب في الاستغفار . والنسائي في عمل اليوم والليلة ص(٣٣١-٣٣٢). وفيه (..إنك أنت التواب الغفور). وابن ماجه (٢/ ١٢٥٣) ك الأدب ـ باب الاستغفار . وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٢٩٧-٢٩٨) ك الدعاء ـ باب ما ذكر في الاستغفار ولفظه (.. إنك أنت التواب الغفور) . والبخاري في الأدب المفرد ص(٢١٧) . وعبد بن حميد في المنتخب (٢/ ٢٩) بلفظ (إنك أنت التواب الغفور). والبغوي في شرح السنة (٥/ ٧١) . وقال الألباني: إسناده صحيح . وابن حبان في صحيحه ، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣/ ٢٠٦) . والبيهقي في الأسماء والصفات ص(٩٩) . وفي كتاب الدعوات الكبير ص(١٠٧) .

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل[١] حدثنا يونس[٢] عن حميد بن هلال[٣] عن أبي بردة[٤] : جلست إلى شيخ[٥] من أصحاب رسول الله ﷺ في مسجد الكوفة، فحدثني قال : سمعت رسول الله ﷺ، أو قال: قال رسول الله ﷺ: « **يا أيها الناس توبوا إلى الله عز وجل، واستغفروه، فإني أتوب إلى الله وأستغفره كل يوم / مائة مرة** »[٦] . ١٢٢ب

قال الإمام أحمد: وحدثنا يحيى[٧] عن شعبة[٨] حدثنا عمرو بن مرة[٩] قال

---

(١) هو : إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي ، مولاهم ، المعروف بابن علية ، ثقة حافظ ، سبقت ترجمته في ص (٢٦٨) .

(٢) هو : يونس بن عبيد بن دينار العبدي ، أبو عبيدة البصري ، ثقة ثبت فاضل ورع ، من الخامسة ، مات سنة تسع وثلاثين ومائة ، روى له الستة . تقريب التهذيب (٢/ ٣٨٥) تهذيب التهذيب (١١/ ٤٤٢-٤٤٥) .

(٣) هو : حميد بن هلال العدوي ، أبو نصر البصري ، ثقة عالم ، توقف فيه ابن سيرين لدخوله عمل السلطان ، من الثالثة . روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٤٠٤)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٥١) .

(٤) هو : أبو بردة بن أبي موسى الأشعري ، قيل : اسمه عامر ، وقيل: الحارث، ثقة من الثالثة، مات سنة أربع مائة، وقيل: غير ذلك، وقد جاز الثمانين . روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ٣٩٤) وتهذيب التهذيب (١٢/ ١٨) .

(٥) هذا الشيخ هو الأغر : المزني، كما بينته روايتا الحديث السابقة واللاحقة، وأشار إلى ذلك الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب (١٢/ ٣٩٢) .

(٦) انظر مسند الإمام أحمد : (٥/ ٤١١) ورواه الإمام أحمد أيضاً في مسنده بسند آخر (٤/ ٢٦٠-٣٦١) والنسائي في عمل اليوم والليلة ص(٣٢٦). والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٧٩). وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٢٩٩) ك الدعاء ـ باب ما ذكر في الاستغفار .

(٧) هو : يحيى بن سعيد بن فروخ ، أبو سعيد القطان البصري، ثقة متقن حافظ ، سبقت ترجمته في ص (٧٠١) .

(٨) هو : شعبة بن الحجاج ، ثقة حافظ متقن، سبقت ترجمته في ص(٢٤٩) .

(٩) هو : عمرو بن مرة بن عبد الله بن طارق، الجَمَلي، بفتح الجيم والميم المرادي، أبوعبدالله الكوفي، الأعمى ثقة عابد ، كان لا يدلس ، ورمي بالإرجاء من الخامسة ، مات سنة =

سمعت أبا بردة قال: سمعت الأغر يحدث ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**يا أيها الناس توبوا إلى ربكم عز وجل، فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة**»(١).

وقال أحمد: حدثنا يزيد(٢) أخبرنا حماد بن سلمة(٣) عن علي بن زيد(٤) عن أبي عثمان النهدي(٥) عن عائشة، قالت: كان النبي ﷺ يقول: «**اللهم اجعلني من الذين إذ أحسنوا استبشروا، وإذا أساؤوا استغفروا**»(٦).

= ثمان عشرة ومائة، وقيل: قبلها. روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ٧٨) وتهذيب التهذيب (٨/ ١٠٢-١٠٣).

(١) انظر المسند (٤/ ٢١١) وكتاب الزهد ص (٥٠). ورواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧٥-٢٠٧٦) ك الذكر الدعاء والتوبة والاستغفار - باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه. والبخاري في الأدب المفرد ص(٢١٨). والنسائي في عمل اليوم والليلة ص(٣٢٧). وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٢٩٨). والبغوي في شرح السنة (٥/ ٧١). وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣/ ٢٠٩). وأبو داود الطيالسي في مسنده (ص١٦٦-١٦٧) والبيهقي في الدعوات الكبير ص(١٠٣).

(٢) هو: يزيد بن هارون، ثقة متقن عابد، سبقت ترجمته في ص (٧٣٠).

(٣) ثقة عباد، سبقت ترجمته في ص (١٨١).

(٤) هو: علي بن زيد بن عبد الله بن زهير بن عبد الله بن جدعان التيمي البصري، أصله حجازي، وهو المعروف بعلي بن زيد بن جدعان، نسب أبوه إلى جد جده، ضعيف من الرابعة، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة، وقيل: قبلها، روى له البخاري في الأدب المفرد، وروى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب (٢/ ٣٧). وتهذيب التهذيب (٧/ ٣٢٢-٣٢٤).

(٥) هو: عبد الرحمن بن مل بن عمرو النهدي، ثقة، ثبت عابد، مضت ترجمته في ص(٧٣٣).

(٦) انظر مسند الإمام أحمد(٦/ ١٤٥، ٢٣٩) وكتاب الزهد له ص(٥٠)، ورواه الإمام أحمد بطرق أخرى في مسنده (٦/ ١٢٩، ١٨٨). ورواه ابن ماجه (٢/ ١٢٥٥) ك الأدب - =

وكان من دعائه ﷺ في أول الصلاة عن الاستفتاح بعد التكبير : « **اللهم أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي ، فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئ الأخلاق لا يصرف عني سيئها إلا أنت ، لبيك وسعديك، والخير في يديك، وأنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك** » . رواه مسلم[(١)] .

وفي الصحيحين عنه أنه كان يقول في (دعاء الاستفتاح)[(٢)] : «**اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد**» . وكان يقول هذا سراً لم يعلم به من خلفه حتى سأله عنه أبو هريرة[(٣)] .

= باب الاستغفار . وأبو يعلى في مسنده (٧/ ٤٤٦) . وذكره السيوطي في الجامع الصغير ، وقال الألباني : ضعيف ، انظر ضعيف الجامع الصغير (١/ ٣٥٥). والحديث في إسناده علي بن زيد ، وهو ضعيف . انظر الضعفاء للعقيلي (٣/ ٢٢٩، ٢٣١) والكامل لابن عدي (٥/ ١٨٤٠-١٨٤٥) .

(١) سبق تخريج هذا الحديث في ص (١٢٥) عند ورود جزء منه، وهو قول النبي ﷺ : «**والشر ليس إليك** » .

(٢) في ع ، د ، س : دعائه .

(٣) هذا الحديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسكت بين التكبيرة وبين القراءة إسكاتة ، قال: أحسبه قال : هنيهة، فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله، إسكاتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟ قال : « **أقول: اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب ...** » إلخ . وأخرجه البخاري (١/ ١٨١) ك الأذان ـ باب ما يقول بعد التكبير . ومسلم (١/ ١٤٩) ك المساجد ومواضع الصلاة ـ باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة ، وأبو داود (٢/ ٤٨٥-٤٨٦) ك الصلاة ـ باب السكتة عند الافتتاح . والنسائي (١/ ٥٠-٥١) ك الطهارة ـ باب الوضوء بالثلج وفي (٢/ ١٢٨-١٢٩) =

وروى عنه علي بن أبي طالب أنه كان إذا استفتح الصلاة قال: «لا إله إلا أنت سبحانك، ظلمت نفسي وعملت سوءاً ، فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت »[1] .

وفي الصحيحين أنه كان يقول في ركوعه وسجوده : «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي »[2] .

= ك الافتتاح ـ باب الدعاء بين التكبيرة. والقراءة وابن ماجة (١/ ٢٦٤-٢٦٥) ك إقامة الصلاة ـ باب افتتاح الصلاة . والإمام أحمد (٢/ ٢٣١، ٤٩٤). وأبو عوانة في مسنده (٢/ ١٠٧-١٠٨) ك الصلاة ـ باب ما يقال في السكتة لتكبيرة الافتتاح. والدارمي في سننه (١/ ٢٨٣) . وابن خزيمة في صحيحه (١/ ٢٣٧) و(٢/ ٣٩، ٦٣) . والبغوي في شرح السنة (٣/ ٣٩-٤٠) وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب ابن حبان (٥/ ٧٥-٧٨) نشر دار نشر الكتب الإسلامية بلاهور في الباكستان ـ باب السكوت بين التكبير والقراءة والدارقطني في سننه (١/ ٣٣٦) ك الصلاة ـ باب موضع سكتات الإمام لقراءة المأموم .

(١) أخرجه البيهقي في سننه (٢/ ٢٣) ك الصلاة ـ باب افتتاح الصلاة بعد التكبير ـ من طريق عمرو بن عون عن هشيم عن شعبة عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً ، وقال : وقد حكاه الشافعي عن هشيم من غير سماع عن بعض أصحابه عن أبي إسحاق عن أبي الخليل، عن علي. فإن كان محفوظاً، فيحتمل أن يكون أبو إسحاق سمعه منهما، والله أعلم . وذكره النووي في كتاب الأذكار ص (٣٦) وقال : هو حديث ضعيف ، فإن الحارث الأعور : متفق على ضعفه .

(٢) هذا الحديث من رواية عائشة رضي الله عنها . وأخرجه البخاري في (١/ ١٩٣) ك الأذان ـ باب الدعاء في الركوع ـ وفي (١/ ١٩٩) باب التسبيح والدعاء في السجود . وفي (٥/ ٩٤) ك المغازي ـ باب رقم (٥١) . وفي (٦/ ٩٣) ك التفسير ـ تفسير سورة ﴿إذا جاء نصر الله﴾ ومسلم (١/ ٣٥٠-٣٥١) ك الصلاة ـ باب ما يقال في الركوع والسجود. وأبو داود (٣/ ١٣٠) ك الصلاة ـ باب الدعاء في الركوع والسجود . والنسائي (٢/ ١٩٠) ك الافتتاح ـ باب نوع آخر من الذكر في الركوع وفي (٢/ ٢١٩- ٢٢٠) =

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن أبي أوفى[١] أنه ﷺ كان إذا رفع رأسه من الركوع قال: **«سمع الله لمن حمده، اللهم ربنا لك الحمد ملء/ السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد ، اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد، اللهم طهرني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الوسخ »**[٢] .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول في سجوده : **«اللهم اغفر ذنبي كله، دقه وجله، أوله وآخره، علانيته وسره »**[٣] .

= ك الافتتاح باب الدعاء في السجود، وفي سننه الكبرى كتاب التفسير (٢/ ٥٦٤-٥٦٥) تفسير سورة ﴿إذا جاء نصر الله﴾ وابن ماجه (١/ ٢٨٧) ك إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب التسبيح في الركوع والسجود والإمام أحمد (٦/ ٤٣، ٤٩). وعبد الرازق في مصنفه (٢/ ١٥٥-١٥٦) وابن خزيمة في صحيحه (١/ ٣٠٥) و(٢/ ٣٠) ، وأبو عوانة في مسنده (٢/ ٢٠٣-٢٠٤). والبيهقي في سننه (٢/ ٨٦، ١٠٩) والبغوي في شرح السنة (٣/ ١٠٠). وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٥/ ٢٥٦) .

(١) هو عبد الله بن أبي أوفى ، علقمة بن خالد الحارث الأسلمي ، صحابي شهد الحديبية، وعمر بعد النبي ﷺ مات سنة سبع وثمانين، وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة . روى له الستة . تقريب التهذيب (١/ ٤٠٢). وتهذيب التهذيب (٥/ ١٥١-١٥٢) وأسد الغابة (٣/ ٧٨) .

(٢) انظر صحيح مسلم (١/ ٣٤٦) ك الصلاة ـ باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع . ورواه ابن ماجه (١/ ٢٨٤) ك إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع. والإمام أحمد (٤/ ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٨١) .

(٣) انظر صحيح مسلم (١/ ٣٥٠) ك الصلاة ـ باب ما يقال في الركوع والسجود . ورواه أبو داود (٣/ ١٣١) ك الصلاة ـ باب الدعاء في الركوع والسجود . وابن خزيمة في صحيحه(١/ ٣٣٥) والبغـوي في شرح السنة (٣/ ١٠١-١٠٢) . وأبو عوانة في مسنده (٢/ ٢٠٣) باب قول المصلي في سجوده. والطحاوي في شرح معاني الآثار: (١/ ٢٣٤) =

وفي مسند الإمام أحمد أنه كان يقول في صلاته :**«اللهم اغفر لي ذنبي ، ووسّع علي في ذاتي، وبارك لي فيما رزقتني »**(١) .

وفي صحيح مسلم عن فروة بن نوفل(٢) قال: قلت لعائشة : حدثيني بشيء كان رسول الله ﷺ يدعو به في صلاته، قالت: نعم كان يقول:**«اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل»**(٣) .

وكان يقول بين السجدتين : **«اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني واهدني وارزقني »**(٤) .

= ك الصلاة ـ باب ما ينبغي أن يقال في الركوع والسجود . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٥/ ٢٥٧-٢٥٨). والبيهقي في سننه (٢/ ١١٠).

(١) هذا الحديث من رواية سعيد الجريري، قال: سمعت عبيد بن القعقاع يحدث رجلاً من بني حنظلة، قال : رمق رجل رسول الله ﷺ وهو يصلي، فجعل يقول في صلاته ...إلخ. انظر مسند الإمام أحمد (٥/ ٣٧٥، ٣٧٧) .

(٢) هو : فروة بن نوفل الأشجعي مختلف في صحبته، والصواب أن الصحبة لأبيه وهو من الثالثة، قتل في خلافة معاوية . روى له مسلم وأبوداود والنسائي وابن ماجه. تقريب التهذيب (٢/ ١٠٩) وتهذيب التهذيب (٨/ ٢٦٦) .

(٣) انظر صحيح مسلم (٤/ ٢٠٨٥-٢٠٨٦) ك الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ـ باب التعوذ من شر ما عمل ، ومن شر ما لم يعمل . ورواه أبو داود (٤/ ٤٠) ك الصلاة ـ باب في الاستعاذة والنسائي (٣/ ٥٦) ك السهو ـ باب التعوذ في الصلاة . وفي (٨/ ٢٨٠ -٢٨١) ك الاستعاذة ـ باب الاستعاذة من شر ما عمل. وابن ماجه (٢/ ١٢٦٢) ك الدعاء ـ باب ما تعوذ منه رسول الله ﷺ . والإمام أحمد (٦/ ٣١، ١٠٠، ١٣٩، ٢١٣، ٢٥٧، ٢٧٨) . وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ١٨٦-١٨٧) ك الدعاء . وابن حبان في صحيحه ، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣/ ٣٠٥-٣٠٦) . والبغوي في شرح السنة (٥/ ١٦٩) .

(٤) هذا الحديث من رواية ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ يقول بين السجدتين في =

وكان يقول في قيامه إلى صلاة الليل « اللهم لك الحمد ...» الحديث. وفيه : «فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت»(١) .

= صلاة الليل : « اللهم ...» الحديث. وأخرجه أبو داود (٣/ ٨٧) ك الصلاة ـ باب الدعاء بين السجدتين ـ والترمذي (٢/ ٧٦). أبواب الصلاة ـ باب ما يقال بين السجدتين. وقال : هذا حديث غريب . وابن ماجة (١/ ٢٩٠) ك إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما يقول بين السجدتين . والإمام أحمد (١/ ٣٧١) . وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح. انظر المسند بتحقيقه (٥/ ١٧٢-١٧٣) . والحاكم في المستدرك (١/ ٢٦٢ -٢٧١) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(١) هذا الحديث من رواية عبد الله بن عباس رضي الله عنهما . وأخرجه : البخاري (٢/ ٤١-٤٢) ك التهجد ـ باب التهجد في الليل. وفي (٧/ ١٤٨) ك الدعوات ـ باب الدعاء إذا انتبه من الليل . وفي (٨/ ١٦٧) ك التوحيد ـ باب قوله تعالى: ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق﴾. وفي (٨/ ١٨٤) ك التوحيد ـ باب قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾. وفي (٨/ ١٩٨) ك التوحيد باب قوله تعالى: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ . ومسلم (١/ ٥٣٢-٥٣٣) ك الصلاة ـ باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء . والترمذي (٥/ ٤٤٩) ك الدعوات ـ باب ما يقول إذا قام من الليل إلى الصلاة. وقال: حديث حسن صحيح. والنسائي في سننه (٣/ ٢٠٩-٢١٠) ك قيام الليل ـ باب ذكر ما يستفتح به القيام . وفي عمل اليوم والليلة ص(٤٩٧) . وابن ماجه (١/ ٤٣٠-٤٣١) ك إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما جاء في الدعاء إذا قام الرجل من الليل. والإمام مالك في الموطأ ص(١٥٠-١٥١) ك القرآن ـ باب ما جاء في الدعاء . والإمام أحمد في مسنده (١/ ٢٩٨، ٣٠٨، ٣٥٨، ٣٦٦) ، والدارمي في سننه (١/ ٢٨٧-٢٨٨) ك الصلاة ـ باب الدعاء عند التهجد. والحميدي في مسنده (١/ ٢٣١) . وعبد الرزاق في مصنفه (٢/ ٧٩) . والبيهقي في سننه (٣/ ٤،٥) ك الصلاة ـ باب ما يقول إذا قام من الليل يتهجد. وأبو عوانة في مسنده (٢/ ٢٩٩-٣٠٠-٣٠١) وابن السني في عمل=

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء : «**اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري ، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر ، وأنت على كل شيء قدير**»[1] .

وحقيقة الأمر أن العبد فقير إلى الله (من كل)[2] وجه وبكل اعتبار ، فهو فقير (إليه من جهة ربوبيته له ، وإحسانه إليه، وقيامه بمصالحه، وتدبيره له، وفقير إليه)[3] من جهة إلهيته وكونه معبوده وإلهه ومحبوبه الأعظم، الذي لا صلاح له ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلا بأن يكون أحب شيء إليه، فيكون أحب إليه من نفسه وأهله وماله وولده ومن الخلق كلهم. (وفقير إليه من جهة معافاته له من أنواع البلاء، فإنه إن لم يعافه منها هلك ببعضها)[4]

= اليوم والليلة ص(٦٨٤-٦٨٦) . وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ١٨٤-١٨٥) أبواب صلاة التطوع بالليل ـ باب التحميد والثناء عند افتتاح صلاة الليل. وابن حبان في صحيحه ، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٦/ ٣٣٢-٣٣٥). وأبو يعلى في مسنده (٤/ ٢٩٢). والطبراني في المعجم الكبير(١١/ ٤٣، ٤٤، ٥٠، ٥١). والبغوي في شرح السنة (٤/ ٦٨-٦٩) .

(١) انظر صحيح البخاري : (٧/ ١٦٦) ك الدعوات ـ باب قول النبي ﷺ اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت . وصحيح مسلم (٤/ ٢٠٨٧) ك الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار . ورواه البخاري أيضاً في كتاب الأدب المفرد ص(٢٢٩). والإمام أحمد في مسنده (٤/ ٤١٧). وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٢٨١) ك الدعاء ـ باب ما كان يدعو به النبي ﷺ والبغوي في شرح السنة (٥/ ١٧٢) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب ابن حبان (٣/ ٢٣٥، ٢٣٨) . والبيهقي في الأسماء والصفات ص(١٠٧) .

(٢) في ع ، د : بكل .

(٣) ما بين القوسين ساقط من ت.

(٤) ما بين القوسين ساقط من ت.

وفقير إليه من جهة عفوه عنه، ومغفرته له ، (فإن)[١] لم يعف عن العبد ويغفر له / فلا سبيل (له)[٢] إلى النجاة ، فما نجا أحد إلا بعفو الله، ولا ١٢٣ب دخل الجنة إلا برحمة الله، وكثير من الناس ينظر إلى نفس ما يتاب منه فيراه نقصاً، وينظر إلى كمال الغاية والحاصلة بالتوبة، وأن العبد بعد التوبة النصوح خير منه قبل الذنب، ولا ينظر إلى كمال الربوبية وتفرد الرب بالكمال وحده، وأن لزوم البشرية لا ينفك منها البشر، وأن التوبة غاية كل أحد من ولد آدم وكماله كما كانت هي غايته وكماله، فليس للعبد كمال بدون التوبة البتة، كما أنه سبحانه ليس له انفكاك عن سببها (فالله)[٣] سبحانه هو المتفرد المستأثر بالغنى والحمد من كل وجه وبكل اعتبار (والعبد هو الفقير المحتاج إليه (المضطر إليه)[٤] بكل وجه وبكل اعتبار)[٥]، فرحمته للعبد خير له من عمله، فإن عمله لا يستقل بنجاته ولا سعادته ، ولو وكل إلى عمله لم ينج به (البتة)[٦]. فهذا بعض ما يتعلق بقوله ﷺ: «إن الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم»[٧] .

ومما يوضحه: أن شكره سبحانه مستحق عليه بجهة ربوبيته لهم وكونهم عبيده ومماليكه، وذلك يوجب عليهم أن يعرفوه ويعظموه ويوحدوه ويتقربوا

---

(١) في ع ، د : فإنه .

(٢) ساقطة من ع ، د ، س . في ع ، د ، س : فإنه

(٣) ما بين القوسين ساقطة من د .

(٤) ما بين القوسين ساقط من م .

(٥) ما بين القوسين ساقط من د .

(٦) ساقطة من ت .

(٧) سبق تخريجه في ص (٤٨٦) .

إليه تقرب العبد المحب (لسيده)[١] الذي يتقلب في نعمه لا غنى به عنه طرفة عين ، فهو يدأب في التقرب إليه بجهده ، ويستفرغ في ذلك وسعه وطاقته ، ولا يعدل به سواه في شيء من الأشياء، ويؤثر رضا سيده على إرادته وهواه، بل لا هوى له ولا إرادة إلا فيما يريد سيده ويحبه .

وهذا يستلزم علوماً وأعمالاً وإرادات وعزائم لا يعارضها غيرها، ولا يبقى له معها التفات إلى غيره بوجه. ومعلوم أن ما (طبع)[٢] عليه البشر لا يفي بذلك، وما يستحقه الرب جل جلاله لذاته، وأنه أهل أن يعبد أعظم مما يستحقه لإحسانه ، فهو المستحق لنهاية العبادة (والمحبة)[٣] / والخضوع ١٢٤أ والذل لذاته ولإحسانه وإنعامه. وفي بعض الآثار : (لو لم أخلق جنة ولا ناراً (أما كنت)[٤] أهلاً أن أعبد)[٥] ولهذا يقول أعبد خلقه له يوم القيامة وهم الملائكة: (سبحانك ما عبدناك حق عبادتك) فمن كرمه وجوده ورحمته أن رضي من عباده بدون اليسير مما ينبغي أن يعبد به ويستحقه لذاته وإحسانه، فلا نسبة للواقع منهم إلى ما يستحقه بوجه من الوجوه، فلا يسعهم إلا عفوه وتجاوزه. وهو سبحانه أعلم بعباده منهم بأنفسهم، فلو عذبهم لعذبهم بما

---

(١) ساقطة من ع ، د ، س : .

(٢) في ع ، د ، س : يطبع .

(٣) ساقطة من ع، س .

(٤) في د ، س : لكنت .

(٥) هذا أثر إلهي، وهو في الغالب مما يروى عن بني إسرائيل، ولم أقف له على تخريج، وهو مما يتمسك به الصوفية القائلون : إنا لا نعبده رغبة في جنته ولا خوفاً من ناره. هذا القول مخالف لمنهج الرسل الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ..﴾ آية ٩٠ من سورة الأنبياء . وقال: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ سورة الإسراء آية ٥٧ .

يعلمه منهم ، وإن لم يحيطوا به علماً ، ولو عذبهم قبل (إرسال)[١] رسله إليهم على أعمالهم لم يكن ظالماً لهم، كما أنه لم يظلمهم بمقته لهم قبل إرسال رسوله على كفرهم وشركهم وقبائحهم، فإنه سبحانه نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم عربهم وعجمهم إلاّ بقايا من أهل الكتاب[٢] ولكن أوجب على نفسه إذ كتب عليها الرحمة أنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه برسالته.

وسر المسألة أنه لما كان شكر المنعم على قدره ، وعلى قدر نعمه ، ولا يقوم بذلك أحد، كان حقه سبحانه على كل أحد، وله المطالبة به، فإن لم يغفر له ويرحمه وإلاّ عذبه . فحاجتهم إلى مغفرته ورحمته وعفوه كحاجتهم إلى حفظه وكلاءته ورزقه، فإن لم يحفظهم هلكوا، وإن لم يرزقهم هلكوا، وإن لم يغفر لهم ويرحمهم هلكوا وخسروا . ولهذا قال أبوهم آدم عليه السلام (وأمهم)[٣] : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٤]. وهذا شأن ولده من بعده، وقد قال موسى كليمه: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[٥] وقال: ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٦]. وقال: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾[٧] وقال:﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾[٨] / ١١٠أ

---

(١) في ع ، د ، س : أن يرسل .

(٢) قوله : (إنه سبحانه نظر إلى أهل الأرض ـ إشارة إلى حديث عياض بن حمار رضي الله عنه وقد سبق تخريجه في ص(١١٣) .

(٣) في د : وأمهم حواء .

(٤) كما حكاه الله عز وجل عنهما في سورة الأعراف آية ٢٣ .

(٥) كما حكاه الله عز وجل عنه في سورة الأعراف آية ١٥١ .

(٦) كما حكاه الله عز وجل في سورة الأعراف آية ١٤٣ .

(٧) كما حكاه الله عز وجل عنه في القصص آية ١٦ .

(٨) كما حكاه الله عز وجل عنه في سورة الأعراف آية ١٥٥ .

وقال خليله إبراهيم: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾[1] وقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾[2] وقال أول رسله إلى أهل الأرض: ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[3] وقال تعالى لأكرم خلقه وأحبهم إليه: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ﴾[4].

وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾[5] وقال: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾[6].

وقد تقدم حديث ابن عباس في دعائه ﷺ: «ربي أعني ولا تعن علي» وفيه: «رب تقبل توبتي واغسل حوبتي»[7].

وقد أخبر سبحانه أن أعبد البشر داود أنه (استغفر ربه وخر راكعاً وأناب). وقال تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ﴾[8] وقال عن نبيه سليمان: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا

---

(١) كما حكاه الله عز وجل في سورة إبراهيم آية ٤٠-٤١ .

(٢) كما حكاه الله عز وجل في سورة الشعراء الآيات ٧٨-٨٢ .

(٣) وهو نوح عليه السلام كما حكاه الله عز وجل عنه في سورة هود آية ٤٧ .

(٤) سورة محمد آية ١٩ .

(٥) سورة النساء آية ١٠٥-١٠٦ .

(٦) سورة الفتح آية ١-٢ .

(٧) في ص (٤٧٨) .

(٨) سورة ص آية ٢٤-٢٥ .

سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾[1] وقال عن نبيه يونس إنه ناداه في الظلمات: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2] وقال (له)[3] صديق[4] الأمة وخيرها وأبرها وأتقاها لله بعد رسوله : يا رسول الله، علمني دعاءً أدعو به في صلاتي، فقال: « **قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كبيراً**[5] ، **ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت (الغفور الرحيم**[6]**)**[7]. فاستفتح الخبر عن نفسه بأداة التوكيد

---

(١) سورة ص آية ٣٤-٣٥ .

(٢) سورة الأنبياء آية ٨٧ .

(٣) ساقطة من ع ، د ، س .

(٤) هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

(٥) في ت : كثيراً .

(٦) في ت : أرحم الراحمين . وما أثبت من بقية النسخ، وهو المطابق لما ورد في كتب التخريج .

(٧) رواه البخاري (١/ ٢٠٣) ك الأذان ـ باب الدعاء قبل السلام. وفي (٧/ ١٥٠) ك الدعوات ـ باب الدعاء في الصلاة ، وفي (٨/ ١٦٨) ك التوحيد ـ باب قول الله تعالى : ﴿وكان الله سميعاً بصيراً﴾. ومسلم (٤/ ٢٠٧٨) ك الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ـ باب استحباب خفض الصوت بالذكر. والترمذي (٥/ ٥٠٧) ك الدعوات ـ باب (٩٧). النسائي (٣/ ٥٣) ك السهو ـ باب نوع آخر من الدعاء . وفي سننه الكبرى ـ ك النعوت ، كما جاء في تحفة الأشراف (٥/ ٢٩٧)، وفي باب دعاء رسول الله ﷺ. والإمام أحمد (١/ ٣-٤، ٧) والمروزي في مسند أبي بكر الصديق ص(١٠١-١٠٢). وابن خزيمة في صحيحه ص(٢/ ٢٩-٣٠) . والبغوي في شرح السنة (٣/ ٢٠٢) . والبيهقي في سننه (٢/ ١٥٤) وفي كتاب الأسماء والصفات ص (٧٧) . وفي كتاب الدعوات الكبير ص(٧٠) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٥/ ٣١٤) . وأبو يعلى في مسنده (١/ ٣٧-٣٨) .

التي تقتضي تقرير ما بعدها، ثم ثنى بالإخبار عن ظلمه لنفسه، ثم وصف ذلك الظلم (بكونه)[1] ظلماً (كبيراً)[2]، ثم طلب من ربه / أن يغفر له ١٢٥أ مغفرة من عنده، أي لا يبلغها (عمله)[3] ولا سعيه، بل هي محض منته وإحسانه، وأكبر من علمه، فإذا كان هذا شأن من وزن بالأمة فرجح[4] بهم، فكيف بمن دونه *(وأيضاً فإن حق الله على عبده أن يطيعه ولا يعصيه، ويذكره ولا ينساه، ويشكره ولا يكفره، فتكون هذه حاله دائماً لا يغير عنها ولا يفارقها طرفة عين ولا نفساً واحداً. ومعلوم أن الغفلة والذهول والاشتغال أحياناً (بعد)[5] ذلك واقع لابد، وهو سبب التعذيب الذي هو الألم وليس في الحديث أنه لو عذبهم في النار سرمداً[6] لكان غير ظالم لهم، والأعم لا يستلزم الأخص، بل لو آلم من غفل عن ذكره وشكره وعبادته، وأوصل إليه عذاباً بحينه، لكان غير ظالم له.

---

(١) في م، ت: بأنه.

(٢) في ت: كثيرا.

(٣) في ع، د، س: علمه.

(٤) قوله: «فإذا كان شأن من وزن بالأمة فرجح بهم» يعني أبا بكر الصديق رضي الله عنه، كما ورد في الحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنهما، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات غداة بعد طلوع الشمس، فقال: **«رأيت قبيل الفجر كأني أعطيت المقاليد والموازين، فأما المقاليد فهذه المفاتيح، وأما الموازين فهذه التي تزنون بها، فوضعت في كفة ووضعت أمتي في كفة، فوزنت بها فرجحت، وجيء بأبي بكر فوزن بهم فوزن ...»** الحديث. وأخرجه الإمام أحمد (٢/٧٦). وقال الشيخ أحمد شاكر: وإسناده صحيح. وذكره الهيثمي في مجمع الزائد (٩/٥٨) وقال: رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات.

(٥) في ت: بعض.

(٦) في م: سرمداً أبداً.

وعلى كل حال فكمال حقوقه على أهل السماوات والأرض تستلزم وجوب (كمال)[١] عبوديته (التي)[٢] تقتضيها عظمة المنعم وكثرة نعمه ودوامها، وذلك غير مقدور (والمقدور)[٣] منه لابد أن يعرض فيه من النقص ما يناسب نقص المخلوق ، فلا يسعه إلا المغفرة والرحمة [٤] * .

* * *

(١) ساقطة من م .

(٢) في ت : الذي .

(٣) ساقطة من م .

(٤) ما بين النجمتين ساقطة من ع ، د ، س .

الباب السابع عشر

في الكسب والجبر ومعناهما لغة واصطلاحاً وإطلاقهما نفيا وإثباتا وما دل عليه السمع والعقل من ذلك

الباب السابع عشر
في الكسب والجبر ومعناهما لغة واصطلاحاً وإطلاقهما نفياً وإثباتاً وما دلَّ عليه السمع والعقل (من)[١] ذلك

أما الكسب، فأصله في اللغة: الجمع، قاله الجوهري[٢]، (قال)[٣]: وهو طلب الرزق، يقال: كسبت شيئاً واكتسبته، بمعنى، وكسبت أهلي خيراً، وكسبت الرجل مالاً فكسبه. وهذا مما جاء على فعلته ففعل . والكواسب: الجوارح[٤] . وتكسب: تكلف الكسب . انتهى[٥] .

والكسب: قد وقع في القرآن على ثلاثة أوجه :

أحدها: عقد القلب وعزمه، كقوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[٦] أي بما عزمتم عليه وقصدتموه .

---

(١) في، ع: في .

(٢) هو: إسماعيل بن حماد التركي، أبو نصر الأتراري، وأترار هي مدينة فاراب، مصنف كتاب الصحاح، وأحد من يضرب به المثل في ضبط اللغة، وفي الخط، وكان يحب الأسفار، دخل بلاد ربيعة في تطلب لسان العرب، ودار الشام والعراق، ثم عاد إلى خراسان، فأقام بنيسابور يدرس ويصنف، ويعلم الكتابة، وينسخ المصاحف. وقد أخذ العربية عن أبي سعيد السيرافي وغيره، مات متردياً من سطح داره في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة . سير أعلام النبلاء (١٧/ ٨٠-٨٢) .

(٣) ساقطة من ع، د، س .

(٤) الجوارح من السباع والطير: ذوات الصيد، وقيل لها: كواسب، لأنها تكتسب بيدها . انظر: الصحاح للجوهري (١/ ٣٥٨) والمصباح المنير (١/ ٩٥) مادة (جرح) .

(٥) انظر الصحاح للجوهري (١/ ٢١٢-٢١٣) مادة (كسب) .

(٦) سورة البقرة آية ٢٢٥ .

وقال الزجاج: أي: يؤاخذكم بعزمكم على ألا تبروا، وألا تتقوا، وأن تعتلُّوا في ذلك بأنكم حلفتم[(١)] .

١٢٥ب وكأنه التفت إلى لفظ المؤاخذة، وأنها تقتضي تعذيباً / فجعل كسب قلوبهم عزمهم على ترك البر والتقوى لمكان اليمين، والقول الأول أصح، وهو قو جمهور أهل التفسير[(٢)]، فإنه قابل به لغو اليمين، وهو أنه لا يقصد اليمين، فكسب القلب المقابل نحو اليمين هو عقده وعزمه، كما في الآية الأخرى: ﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ﴾[(٣)] فتعقيد الإيمان هو كسب القلب .

الوجه الثاني من الكسب: كسب المال من التجارة قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾[(٤)] . فالأول للتجارة والثاني للزرع .

والوجه الثالث من الكسب: السعي والعمل؛ كقوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾[(٥)] وقوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾[(٦)]، (وقوله)[(٧)] : ﴿ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ ﴾[(٨)]

---

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٩٩) .

(٢) انظر تفسير ابن جرير (٢/ ٤٠٤) .

(٣) سورة المائدة آية ٨٩ .

(٤) سورة البقرة آية ٢٦٧ .

(٥) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

(٦) سورة الأعراف آية ٣٩ .

(٧) ساقطة من د، س .

(٨) سورة الأنعام آية ٧٠ .

(وقولـه: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[١])[٢] فهذا كله للعمل .

واختلف الناس في الكسب والاكتساب هل هما بمعنى واحد أم بينهما فرق ؟ .

فقالت طائفة: معناهما واحد. قال أبو الحسن علي بن أحمد (الواحدي[٣])[٤] وهو صحيح عند أهل اللغة ولا فرق بينهما[٥] . قال ذو الرمة[٦]:

ألفى أباه (بذاك) الكسب يكتسب[٧] .

وقال آخرون: الاكتساب أخص من الكسب، لأن الكسب ينقسم إلى كسبه لنفسه، ولغيره، ولا يقال (أهله)[٨] . قال الحطيئة[٩] :

---

(١) سورة الشورى آية ٣٠ .

(٢) ما بين القوسين لم يرد في ع، د، س .

(٣) ساقطة من ع، د، س .

(٤) سبقت ترجمته في ص(٥٠٥) .

(٥) انظر تفسير « البسيط » للواحدي (٢٢٧) مخطوط، مرجع سابق .

(٦) هو: غيلان بن عقبة بن هيس بن مسعود العدوي، من مضر، أبو الحارث، ذو الرمة، شاعر، من فحول الطبقة الثانية في عصره، قال أبو عمرو بن العلاء: فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة، وكان شديد القصر، دميماً، يضرب لونه إلى السواد، أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين، وكان مقيماً بالبادية يحضر إلى اليمامة والبصرة كثيراً، وامتاز بإجادة التشبيه. توفي بأصبهان، وقيل بالبادية سنة ١١٧هـ . الأعلام (٥/ ١٢٤) . والشعر والشعراء (٢٠٦) وفيات الأعيان (١/ ٤٠٤) .

(٧) هذا عجز بيت وصدره: ومطعم الصيد هبال لبغيته. انظر ديوان ذي الرمة(١/ ٩٩) تحقيق د/ عبد القدوس أبو صالح، طبع مجمع اللغة بدمشق، ١٣٩٢هـ .

(٨) ساقطة من ع، د، س .

(٩) هو: جرول بن أوس بن مالك العبسي، أبو مليكة: شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية =

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر هداك مليك الناس يا عمر[(١)]

قلت: والاكتساب افتعال، وهو يستدعي اهتماماً وتعملاً واجتهاداً .

وأما الكسب فتصح نسبته بأدنى شيء، ففي جانب الفضل جعل لها (ما لها)[(٢)] فيه أدنى سعي، وفي جانب العدل لم يجعل عليها إلا ما لها فيه اجتهاد واهتمام .

وأما الجبر، فيرجع في اللغة إلى ثلاثة أصول :

أحدها: أن يغني الرجل من فقره، أو يجبر عظمه من كسر . وهذا من (الإصلاح)[(٣)] وهذا الأصل يستعمل / لازماً ومتعدياً. ويقال: جبرت العظم، وجبر (العظم)[(٤)] . وقد جمع العجاج[(٥)] بينهما في قوله : ١٢٦أ

= والإسلام. كان هجاءً عنيفاً، لم يكد يسلم من لسانه أحد. توفي نحو سنة ٤٥هـ. فوات الوفيات (١/ ٩٩) والشعر والشعراء (١١٠) . والأعلام (٢/ ١١٨) .

(١) انظر ديوان الحطيئة ص(٢٠٨) ـ تحقيق نعمان طه، نشر مكتبة البابي الحلبي بمصر ط(١) سنة ١٣٧٨هـ ونص البيت فيه :

غيبت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر

(٢) ساقطة من ت .

(٣) في م: الاصطلاح .

(٤) ساقطة من ع، د، س .

(٥) هو: عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي، أبو الشعثاء، العجاج: راجز مجيد، من الشعراء . ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها، ثم أسلم، وعاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك، ففلج وأقعد، وهو أول من رفع الرجز وشبهه بالقصيد، وكان لا يهجو . وهو والد (رؤبة) الراجز المشهور أيضاً . توفي نحو سنة ٩٠هـ. الشعر والشعراء لابن قتيبة ص(٢٩٥) . الأعلام (٤/ ٨٦-٨٧) .

قد جَبَر الدِّينَ الإلهُ فَجَبَرْ[١][٢]

الأصل الثاني: الإكراه والقهر، وأكثر ما يستعمل هذا على أفعال، يقال: أجبرته على كذا: إذا أكرهته عليه، ولا يكاد يجيء إلا قليلاً[٣] .

والأصل الثالث: من العز والامتناع، ومنه: نخلة جبارة . قال الجوهري: والجبار من النخل: ما طال وفات اليد[٤]. قال الأعشى[٥]:

---

(١) هذا البيت في مطلع أرجوزة قالها العجاج في مدح عمر بن عبيد الله بن معمر، وكان عبد الملك بن مروان وجهه إلى أبي فديك الحروري فقتله وأصحابه. انظر ديوان العجاج ص(١٥) طبع ليبسج سنة ١٩٠٣م . وتكملته هي:

وعور الرحمن من ولي العور .

(٢) انظر الصحاح للجوهري (٢/ ٦٠٧) مادة (جبر)

(٣) انظر الصحاح للجوهري (٢/ ٦٠٨) مادة (جبر).

(٤) انظر الصحاح للجوهري (٢/ ٦٠٨) مادة (جبر).

(٥) هو: ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له: أعشى بكر بن وائل، والأعشى الكبير، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات، غزير الشعر، عاش عمراً طويلاً، وأدرك الإسلام ولم يسلم، ولقب بالأعشى لضعف بصره، وعمي في أواخر عمره، مولده ووفاته في منفوحة .قال ياقوت الحموي: منفوحة قرية مشهورة من نواحي اليمامة، كان يسكنها وبها قبره . ا.هـ.

قلت : وقد دخلت الآن في مدينة الرياض. وما زالت تعرف بهذا الاسم حتى الآن. وتوفي الأعشى سنة ٧ هـ . معجم البلدان (٥/ ٢١٤-٢١٥) . وخزانة الأدب البغدادي (١/ ١٧٥) تحقيق عبدالسلام هارون، ط الثانية، ١٩٧٩م مكتبة الخانجي بالقاهرة، وجمهرة أشعار العرب ص (٦٧) لابن أبي الخطاب القرشي، نشر دار صادر، ببيروت سنة ١٣٨٣ هـ والشعر والشعراء لابن قتيبة ص(١١٤) والأعلام (٧/ ٣٤١) .

طريق وجبار رواءٌ أصولـه ... عليه أبابيل من الطير تنعب[١]

وقال الأخفش في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾[٢] قال: أراد الطول والقوة والعظم[٣]. ذهب في هذا إلى الجبار من النخل، وهو الطويل الذي فات الأيدي. ويقال: رجل جبار، إذا كان طويلاً عظيماً قوياً، تشبيهاً بالجبار من النخل.

قال قتادة: كانت لهم أجسام وخلق عجيبة ليست لغيرهم[٤].

وقيل: الجبار هاهنا: من جبره على الأمر، إذا أكرهه عليه. قال الأزهري: وهي لغة معروفة، وكثير من الحجازيين يقولونها، وكان الشافعي رحمه الله يقول: جبره السلطان، ويجوز أن يكون الجبار من أجبره على الأمر، إذا أكرهه[٥].

قال الفراء: لم أسمع فعالاً من أفعل إلا في حرفين، وهما: جبار من أجبر، والدراك من أدرك[٦]. وهذا اختيار الزجاج، قال: الجبار من الناس: العاتي

---

(١) هذا البيت من قصيدة قالها الأعشى يهجو فيها الحارث بن وعلة، ومطلعها:

تصابيت أم بانت بعقلك زينب ... وقد جعل الود الذي كان يذهب

ومعنى قوله: (طريق وجبار): أي نخل طويل. (عليه أبابيل) أي: جماعات. انظر ديوان الأعشى ص (١٠-١١) طبع دار صادر - بيروت.

(٢) سورة المائدة آية ٢٢.

(٣) ذكره الواحدي في تفسيره «البسيط» ق (٢٥) مخطوط، محفوظ أصله بمكتبة شستربتي في بريطانيا تحت رقم (٥١٠٥) وتوجد صورة بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تحت الرقم نفسه.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٦/ ١٧٤).

(٥) انظر تهذيب اللغة (١١/ ٦٠) مادة (جبر).

(٦) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (١١/٥٨) مادة (جبر)، والواحدي في تفسيره =

الذي يجبر الناس على ما يريد[١] . وأما الجبار (في)[٢] أسماء الرب تعالى (فسر)[٣] بأنه الذي يجبر الكسير، ويغني الفقير، والرب تبارك وتعالى كذلك، ولكن ليس هذا معنى اسمه الجبار، ولهذا قرنه باسمه المتكبر، وإنما هو (من)[٤] الجبروت .

وكان النبي ﷺ يقول: **«سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة»**[٥] .

= (البسيط) ق (١٠٨)، مخطوط محفوظ أصله بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٣) تفسير، وتوجد صورة منه بمركز الملك فيصل بالرياض تحت رقم ١٤٢٥/ ف .

(١) انظر معاني القرآن للزجاج (٢/ ١٦٣) .

(٢) في ع، د، س: من .

(٣) في ع، د، س: فسره .

(٤) ساقطة من ع، د، س .

(٥) هذا الحديث من رواية عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: قمت مع رسول الله ﷺ ليلة، فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ، قال: ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه: **« سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة »**، ثم سجد بقدر قيامه، ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرأ بآل عمران، ثم قرأ سورة سورة . وهذا الحديث أخرجه أبوداود (٣/ ١٢٥) ك الصلاة ـ باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده . والنسائي (٢/ ٢٢٣) ك الافتتاح ـ باب الدعاء في السجود . والإمام أحمد في مسنده (٦/ ٢٤) . والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٦١) والبغوي في شرح السنة (٤/ ٢٢) والبيهقي في سننه (٢/ ٣١٠) . وفي كتاب الأسماء والصفات ص(١٧٢) وذكره التبريزي في مشكاة المصابيح (١/ ٢٧٨) وقال الألباني: رواه النسائي وأبو داود بسند صحيح . وذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ٥٨٣) في تفسير آخر سورة يس .

وفي هذا الباب عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه رأى رسول الله ﷺ يصلي في الليل ، =

فالجبار اسم من أسماء التعظيم كالمتكبر والملك والعظيم والقهار .

قال ابن / عباس في قوله تعالى: ﴿ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ﴾[(١)] هو العظيم . ١٣٦ب

وجبروت الله عظمته[(٢)]. والجبار من أسماء الملوك . والجبر: الملك. والجبابرة: الملوك. قال الشاعر :

وأنعم صباحاً أيها الجَبْرُ[(٣)]

أي: أيها الملك . وقال السدي: الذي يجبر الناس ويقهرهم على ما يريد[(٤)]

= فكان يقول: « الله أكبر (ثلاثاً) ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة». ثم استفتح فقرأ البقرة .. الحديث. وأخرجه أبو داود (٣/ ١٢٥-١٢٧) ك الصلاة ـ باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده. والنسائي (٢/ ١٩٩-٢٠٠) ك الافتتاح ـ باب ما يقول في قيامه ذلك . والإمام أحمد (٥/ ٣٩٨). والبغوي في شرح السنة (٤/ ٢٠) وابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٢٣١) مختصراً . والبيهقي في الأسماء ص(١٧٢) .

(١) سورة الحشر آية ٢٣ .

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٢٧) والواحدي في تفسيره (البسيط) ق(١٠٨) مرجع سابق انظر ص (٦٠٤) .

(٣) وصدره: أسلم براووق حييت به . وقائله هو: عمرو بن أحمر بن العمرد بن عامر الباهلي، أبو الخطاب، كان من شعراء الجاهلية، أدرك الإسلام فأسلم وغزا مغازي الروم، ونزل بالشام مع خيل خالد بن الوليد حين وجهه إليها أبو بكر، ثم سكن الجزيرة، وأدرك أيام عبد الملك بن مروان، مات نحو سنة خمس وستين من الهجرة ، انظر الشعر والشعراء (١/ ٣١٥-٣١٨) ومعجم الشعراء للدكتور عفيف عبدالرحمن، نشر دار العلوم بالرياض سنة ١٤٠٣هـ ص (٢١٨) .

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٢٧) والواحدي في تفسير (البسيط) ق(١٠٨) مرجع سابق انظر ص(٧٥٤) .

وعلى هذا، فالجبار معناه: القهار .

قال محمد بن كعب: إنما سمي الجبار؛ لأنه جبر الخلق على ما أراد، والخلق أدق شأناً من أن يعصوا ربهم طرفة عين إلا بمشيئته[١] .

وقال الزجاج: الجبار الذي جبر الخلق على ما أراد[٢] .

وقال ابن الأنباري: الجبار في صفة الرب سبحانه الذي لا ينال، ومنه قولهم: نخلة جبارة: إذا فاتت يد المتناول[٣] .

فالجبار في صفة الرب سبحانه وتعالى يرجع إلى (ثلاثة)[٤] معان: الملك، والقهر، والعلو، فإن النخل إذا طالت وارتفعت وفاتت الأيدي سميت جبارة، ولهذا جعل سبحانه اسمه الجبار مقروناً بالعزيز والمتكبر . وكل واحد من هذه الأسماء الثلاثة يتضمن الاسمين الآخرين . وهذه الأسماء الثلاثة نظير الأسماء الثلاثة، وهي الخالق البارئ المصور. فالجبار المتكبر يجريان مجرى التفصيل لمعنى اسم العزيز، كما أن البارئ المصور تفصيل لمعنى اسم الخالق، فالجبار من أوصافه يرجع إلى كمال القدرة والعزة والملك، ولهذا كان من أسمائه الحسنى .

---

(١) رواه الخلال في كتاب السنة ص(٥٥٧) . والبيهقي في الأسماء والصفات ص(٤٨). وذكره الواحدي في تفسيره (البسيط) ق(١٠٨) المرجع السابق .والسيوطي في الدر المنثور (٨/ ٢٣) وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن المنذر .

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٥١) .

(٣) انظر قول ابن الأنباري في تهذيب اللغة لتلميذه الأزهري (١١/ ٥٨) مادة (جبر)، وفي تفسير الواحدي (البسيط) ق (١٠٨) المرجع السابق .

(٤) في ت: ثلاث .

وأما المخلوق، فاتصافه بالجبار ذم له ونقص (قال)[1] تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[2] قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾[3] أي مسلط تقهرهم وتكرههم على الإيمان.

وفي الترمذي وغيره عن النبي ﷺ: **« يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يطؤهم الناس »**[4].

فصل

إذا عرف هذا، فلفظ الكسب تطلقه القدرية على معنى، والجبرية على معنى، وأهل السنة والحديث على معنى.

---

(١) في ع، د، س: كما قال.

(٢) سورة غافر آية ٣٥.

(٣) سورة ق آية ٤٥.

(٤) انظر جامع الترمذي (٤/ ٥٦٥) ك صفة القيامة والرقائق والورع ـ باب ما جاء في شدة الوعيد للمتكبرين. وقال: هذا حديث حسن صحيح. وهذا الحديث من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: **« يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار، طينة الخبال»**. والحديث أخرجه أيضاً النسائي في سننه الكبرى ـ ك الرقائق، كما في تحفة الأشراف (٦/ ٣٣٧). والإمام أحمد في مسنده، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، انظر المسند بتحقيقه (١٠/ ١٥٦-١٥٧). ومن طريق الإمام أحمد ذكره ابن كثير في تفسير (١/ ١٢٥) و(٤/ ٨٦). وذكره الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح (٣/ ١٤١٤) والسيوطي في زيادات الجامع الصغير، وقال الألباني إسناده حسن، انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته (٦/ ٣٢٧).

فكسب القدرية هو وقوع الفعل عندهم بإيجاد / العبد وإحداثه ومشيئته، ١٢٧أ من غير أن يكون الله شاءه أو أوجده[١] .

وكسب الجبرية لفظ لا معنى له ولا حاصل تحته، وقد اختلفت عباراتهم فيه، وضربوا له الأمثال وأطالوا فيه المقال، فقال القاضي[٢]: الكسب ما وجد وعليه قدرة محدثة، وقيل: إنه المتعلق بالقادر على غير جهة الحدوث، وقيل: إنه المقدور بالقدرة الحادثة، قالوا: ولسنا نريد بقولنا: (ما وجد وعليه قدرة محدثة) أنها قدرة على وجوده، فإن القادر على وجوده هو الله وحده، وإنما نعني بذلك أن للكسب تعلقاً بالقدرة الحادثة لا من باب الحدوث والوجود[٣].

وقال الإسفرائيني[٤]: (حقيقة الخلق من الخالق: وقوعه بقدرته من حيث صح انفراده به، وحقيقة الفعل: وقوعه بقدرته، وحقيقة الكسب من المكتسب: وقوعه بقدرته مع انفراده به . ويختص القديم تعالى بالخلق، ويشترك القديم والمحدث في الفعل، ويختص المحدث بالكسب)[٥] .

قلت: مراده أن إطلاق لفظ الخلق لا يجوز إلا على الله وحده، وإطلاق لفظ الكسب يختص بالمحدث، وإطلاق لفظ الفعل يصح على الرب سبحانه وعلى العبد .

---

(١) انظر الملل والنحل (١/ ٤٥) .

(٢) هو: أبو بكر الباقلاني، مضت ترجمته في ص (٤٥١) .

(٣) انظر التمهيد للباقلاني ص (٣٢٤، ٣٤٧)، ومقالات الإسلاميين ص(٥٤٢) . والملل والنحل (١/ ٩٧-٩٨) .

(٤) سبقت ترجمته في ص (٤٥٨) .

(٥) لم أجد له كتباً مطبوعة. وانظر معنى هذا الكلام في مقالات الإسلاميين ص(٥٣٩، ٥٤١).

وقال أيضاً: كل فعل يقع على التعاون كان كسباً من المستعين .

قلت: يريد أن الخالق يستقل بالخلق والإيجاد، والكاسب إنما يقع منه الفعل على جهة المعاونة والمشاركة منه ومن غيره، لا يمكن أن يستقل بإيجاد شيء البتة .

وقال آخرون : قدرة المكتسب تتعلق بمقدور، على وجه ما، وقدرة الخالق تتعلق من جميع الوجوه .

قالوا: ليس كون الفعل كسباً من حقائقه التي تخصه، بل هو معنى طرأ عليه، كما يقول منازعونا من المعتزلة: إن هذه الحركة لطف، وهذا الفعل لطف، وصيغة (افعل) تصير أمراً بالإرادة (لا أنها)[1] حدثت بالإرادة، واعتقاد الشيء على ما هو به يصير / علماً بسكون النفس إليه، لا أنه يحدث كذلك به، والأشياء قد تقترن في الوجود، فتتغير أوصافها وأحكامها . ١٣٧ب

قالوا: فالحركة إذا صادفت المتحرك بها على وجه مخصوص، تسمى سباحة مثلاً، ولطماً، ومشياً، ورقصاً .

وقال الأشعري[2] وابن الباقلاني[3]: الواقع بالقدرة الحادثة هو كون الفعل

---

(١) في ع، س: لأنها .

(٢) هو علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري، وإليه ينسب مذهب الأشاعرة، كان من الأئمة المتكلمين، ولد في البصرة سنة ٢٦٠هـ وتلقى مذهب المعتزلة، وتقدم فيهم، ثم رجع وجاهر بخلافهم. وتوفي ببغداد سنة ٣٢٤هـ . وله مؤلفات كثيرة؛ منها: مقالات الإسلاميين، والإبانة عن أصول الديانة. وغيرهما . طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٢٤٥) وتبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري. وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٨٥) . والأعلام (٤/ ٢٦٣) .

(٣) سبقت ترجمته في ص (٤٥١) .

كسباً، دون كونه موجوداً ومحدثاً، فكونه كسباً وصف للوجود بمثابة كونه معلوماً[(١)] . ولخص بعض المتأخرين هذه العبارات بأن قال: الكسب عبارة عن الاقتران العادي بين القدرة المحدثة والفعل، فإن الله سبحانه أجرى العادة بخلق الفعل عند قدرة العبد وإرادته لا بهما، فهذا الاقتران هو الكسب[(٢)] .
ولهذا قال كثير من العقلاء: إن هذا من محالات الكلام، وإنه شقيق أحوال أبي هاشم[(٣)]، وطفرة النظام[(٤)]، والمعنى القائم بالنفس الذي يسميه القائلون به كلاماً[(٥)] . وشيء من ذلك غير معقول ولا متصور . والذي استقر عليه قول الأشعري: إن القدرة الحادثة لا تؤثر في مقدورها، ولم يقع (المقدور)[(٦)] ولا صفة من صفاته (بها)[(٧)]، بل المقدور بجميع صفاته واقع بالقدرة القديمة، ولا تأثير للقدرة الحادثة فيه[(٨)] . وتابعه على ذلك عامة أصحابه ، والقاضي

---

(١) انظر مقالات الإسلاميين ص ٥٣٩ لأبي الحسن الأشعري، والتمهيد لأبي بكر الباقلاني ص(٣٤٧) .
(٢) انظر مقالات الإسلاميين ص(٥٣٩) . والتمهيد للباقلاني ص(٣٤٧) والملل والنحل (١/ ٩١) .
(٣) سبق التعريف به في ص (٤٥٣) .
(٤) سبق التعريف به في ص (٤٥٣) .
(٥) انظر الملل والنحل (١/ ٥٥، ٩٦) والمواقف ص(٢٩٣-٢٩٤) والمحصل ص(٢٥٧-٤٣٤) والإنصاف ص(٩٤، ٦٢، ٨٧) .
(٦) في د: بها المقدور .
(٧) ساقطة من ع، د، س .
(٨) انظر مقالات الإسلاميين ص (٥٣٩، ٥٤٢) والمطالب العالية (٩/ ٩-١٠) والمحصل ص(٤٥٥) ولمع الأدلة للجويني ص(١٢١) تحقيق فوقية حسين محمود، ط، الثانية ١٤٠٧هـ نشر عالم الكتب ، بيروت ، والمواقف ص (٣١١-٣١٢) والملل والنحل (١/ ٩٦-٩٧) .

أبو بكر[١] يوافقه مرة، ومرة يقول: القدرة الحادثة لا تؤثر في إثبات الذات وإحداثها، ولكنها تقتضي صفة للمقدور زائدة على ذاته تكون حالاً له. ثم تارة يقول: تلك الصفة التي هي من أثر القدرة الحادثة مقدور لله تعالى. ولم يمتنع من إثبات هذا المقدور بين قادرين على هذا الوجه[٢] . وقد اضطربت آراء أتباع الأشعري في الكسب اضطراباً عظيماً، واختلفت عباراتهم فيه اختلافاً كثيراً . وقد ذكره كله أبو القاسم سليمان بن (ناصر)[٣] الأنصاري في (شرح الإرشاد) وذكر اختلاف طرائقهم واضطرابهم / فيه ثم قال: وقد قال الأستاذ[٤] في (المختصر)[٥]: يقول أهل الحق في الكسب لا يرجع إلى إثبات قدرة للعبد عليه كما يقال إنه معلوم له، إلا أن الإمام[٦] ادعى على الأستاذ أنه أثبت للقدرة الحادثة أثراً في الحدوث، فإنه لما نفى الأحوال وأثبت للقدرة الحادثة أثراً ، فلا يعقل الجمع بينهما إلا أن يكون الأثر في الحدوث . ثم ذكر

١٢٨أ

(١) هو أبو بكر الباقلاني سبقت ترجمته في ص (٤٥١) .

(٢) انظر الإنصاف للباقلاني ص(٤٠) والمطالب العالية (٩/ ٩) والمحصل ص(٤٥٥، ٤٦٩، ٤٧١) والمواقف ص (٣١٢، ١٥٠، ١٥١) والملل والنحل (١/ ٩٦-٩٨) .

(٣) في م، ماجد، وفي ت، ماجه، وما أثبت من ع، وانظر ترجمته في ص (٦٠٦) .

(٤) هو أبو إسحاق الإسفرائيني . سبقت ترجمته في ص (٤٥٨) .

(٥) لم أقف على هذا الكتاب .

(٦) هو: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، إمام الحرمين، شيخ الشافعية، ولد في (جوين) من نواحي نيسابور سنة (٤١٩هـ) ورحل إلى بغداد وغيرها ثم عاد إلى نيسابور، فبنى له الوزير نظام الملك (المدرسة النظامية) فدرس بها. وله مؤلفات منها: العقيدة النظامية، والإرشاد في أصول الدين، والشامل في أصول الدين، وغيرها . توفي في نيسابور سنة (٤٧٨هـ) . سير أعلام النبلاء(١٨/ ٤٦٨-٤٧٧)، وفيات الأعيان (٣/ ١٦٧-١٧٠)، الأعلام (٤/ ١٦٠) .

لنفسه مذهباً ذكره في الكتاب المترجم (بالنظامية)[١]، وانفرد به عن الأصحاب، وهو قريب من مذهب المعتزلة، والخلاف بينه وبينهم فيه (في)[٢] الاسم[٣][٤] . قال: وهذه العقدة التي تورط الأصحاب فيها في الكسب شبيهة بالعقدة التي وقعت بين الأئمة في القراءة والمقروء[٥] .

قال: وما ذكره الإمام في (النظامية) له وجه، غير أنه مما انفرد بإطلاقه، ولكل ناظر نظره، والله يرحمنا وإياه .

قلت: الذي قاله الإمام في النظامية أقرب إلى الحق مما قاله الأشعري وابن الباقلاني ومن تابعهما . ونحن نذكر كلامه بلفظه . قال : (قد تقرر عند كل

---

(١) واسمه: العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، وقد طبع بالقاهرة سنة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م بمطبعة الأنوار . كما نشر سنة ١٣٩٨هـ بتحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا، تولت نشره مكتبة الكليات الأزهرية .

(٢) في ت: من .

(٣) انظر شرح الإرشاد ق (١٦٣) مخطوط، مرجع سابق انظر ص(٦٠٧) .

(٤) إذ يتفق كلاهما في أن الفاعل للفعل الجزئي هو الإنسان .

(٥) يشير بذلك إلى مسألة اللفظ بالقرآن والتلاوة والقراءة بالقرآن، وهي مسألة مشهورة، ومذهب أهل السنة فيها معروف، قال الإمام أحمد وغيره من العلماء: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع، وكذلك قالوا في التلاوة والقراءة، وذلك لأن اللفظ والتلاوة يراد بها المصدر الذي هو فعل العبد، وأفعال العباد مخلوقة، فمن جعل شيئاً من أفعالهم وأصواتهم غير مخلوقة فهو مبتدع، ويراد باللفظ نفس الملفوظ، كما يراد بالتلاوة والقراءة نفس الكلام وهو القرآن. ومن قال: كلام الله الذي أنزله على نبيه ﷺ وقرأه المسلمون مخلوق فهو جهمي. انظر فتاوى شيخ الإسلام (٢/ ١٧٠-١٧١، ٢١٠-٢١١، ٢٣٧ وما بعدها و٢٦٣ وما بعدها و٣٠٦ وما بعدها و٣٢٥ وما بعدها).

حاظ بعقله، مترق عن مراتب التقليد في قواعد التوحيد، أن الرب سبحانه مطالب عباده بأعمالهم في حياتهم وداعيهم إليها، ومثيبهم ومعاقبهم عليها في مآلهم . وتبين بالنصوص التي لا تتعرض للتأويلات أنه أقدرهم على الوفاء بما طالبهم به، ومكنهم من التوصل إلى امتثال (الأمر)[١] والانفكاك عن مواقع الزجر.

ولو ذهبت أتلو الآي المتضمنة لهذه المعاني لطال المقام، ولا حاجة إلى ذلك مع قطع اللبيب المنصف به، ومن نظر في كليات الشرائع وما فيها من الاستحثاث (على المكرمات)[٢]، والزواجر (عن)[٣] الفواحش والموبقات، وما نيط ببعضها من الحدود والعقوبات، ثم تلفت على الوعد والوعيد، وما يجب عقده من تصديق المسلمين في الإنباء عما يتوجه على المردة / العتاة من الحساب والعقاب وسوء المنقلب والمآب، وقول الله لهم: لم تعديتم وعصيتم وأبيتم؟ ! وقد أرخيت لكم الطول، وفسحت لكم المهل، وأرسلت الرسل، وأوضحت المحجة، لئلا يكون للناس (عليَّ)[٤] حجة. (وأحاط)[٥] بذلك كله ثم استراب في أن أفعال العباد واقعة على حسب إيثارهم واختيارهم واقتدارهم، فهو مصاب في عقله، أو مستقر على تقليده، مصمم على جهله، ففي المصير (إلى)[٦] أنه لا أثر لقدرة العبد في فعله، قطع طلبات الشرائع والتكذيب بما جاء به المرسلون.

١٢٨ب

---

(١) في م: الأوامر

(٢) ساقطة من ع، د، س .

(٣) في ت: على .

(٤) في ع: على الله . وهو المطابق لما في النسخة المطبوعة من العقيد النظامية ص ٤٤ .

(٥) في النسخة المطبوعة من العقيدة النظامية: فمن أحاط .

(٦) في ع ، د، س: إليه .

فإن زعم من لم يوفق لمنهج إرشاد أنه لا أثر لقدرة العبد في مقدوره أصلاً، وإذا طولب بمتعلق طلب الله بفعل العبد تحريماً وفرضاً، ذهب في الجواب طولاً وعرضاً، وقال: لله أن يفعل ما يشاء، ولا يتعرض للاعتراض عليه المعترضون ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء :٢٣] .

قيل له: ليس لما جئت به حاصل، كلمة حق أريد بها باطل. نعم، يفعل الله ما يشاء، ويحكم ما يريد، ولكن يتقدس عن الخلف ونقيض الصدق، وقد فهمنا بضرورات (العقول)[1] من الشرع المنقول أنه ـ عزت قدرته ـ طالب عباده بما أخبر أنهم متمكنون من الوفاء به، فلم يكلفهم إلا على مبلغ الطاقة والوسع في موارد الشرع . ومن زعم أنه لا أثر للقدرة الحاثة في مقدورها كما لا أثر للعلم في معلومه، فوجه مطالبة العبد بأفعاله عنده كوجه مطالبته بأن يثبت في نفسه ألواناً وإدراكات، وهذا خروج من حد الاعتدال إلى التزام الباطل والمحال، وفيه إبطال الشرائع، ورد ما جاء به النبيون عليهم الصلاة والسلام. فإذا لزم المصير بأن القدرة الحادثة تؤثر في مقدورها، واستحال إطلاق القول بأن العبد خالق أعماله، فإن فيه الخروج عما درج عليه سلف الأمة، واقتحام ورطات الضلال، ولا سبيل إلى المصير إلى وقوع فعل العبد بقدرته / الحاثة، والقدرة القديمة، فإن (الفعل)[2] الواحد يستحيل حدوثه ١٢٩أ بقادرين، إذ الواحد لا ينقسم، فإن وقع بقدرة الله تعالى استقل بها (ويسقط)[3] أثر القدرة الحادثة، ويستحيل أن يقع بعضه بقدرة الله تعالى، فإن الفعل الواحد لا بعض له .

---

(١) في ع، د، س : المعقول .

(٢) في ت: فعل .

(٣) في ع، د، س: وأسقط .

وهذه مهواة لا يسلم من غوائلها إلا مرشد موفق، إذ المرء بين أن يدعي الاستبداد (بالخلق)[(١)]، وبين أن يخرج نفسه عن كونه مطالباً بالشرائع ـ وفيه إبطال دعوة المرسلين ـ وبين أن يثبت نفسه شريكاً لله تعالى في إيجاد الفعل الواحد.

وهذه الأقسام بجملتها باطلة، ولا ينجي من هذا الملتطم ذكر اسم محض، ولقب مجرد من غير تحصيل معنى. وذلك أن قائلاً لو قال: العبد (مكتسب)[(٢)] وأثر قدرته الاكتساب، والرب سبحانه وتعالى (مخترع)[(٣)] خالق لما العبد مكتسب له.

قيل له: فما الكسب وما معناه؟ وأديرت الأقسام المتقدمة على هذا القائل، فلا يجد عنها مهرباً.

ثم قال: فنقول: قدرة العبد مخلوقة لله تعالى باتفاق القائلين بالصانع، والفعل المقدور بالقدرة الحادثة واقع بها قطعاً، ولكنه يضاف إلى الله سبحانه تقديراً وخلقاً، فإنه وقع بفعل الله وهو القدرة، (وليست القدرة)[(٤)] فعلاً للعبد، وإنما هي صفته، وهي ملك لله وخلق له، فإذا كان موقع الفعل خلقاً لله تعالى، فالواقع به مضاف خلقاً إلى الله تعالى وتقديراً. وقد ملك الله تعالى العبد اختياراً يصرف به القدرة، فإذا وقع بالقدرة شيئاً آل الواقع إلى حكم الله من حيث إنه وقع بفعل الله تعالى، ولو اهتدت إلى هذا الفرقة الضالة لم يكن بيننا وبينهم خلاف، ولكنهم ادعوا استبداداً بالاختراع، وانفراداً بالخلق

---

(١) ساقطة من ع، د، س. وفي م، ت: بالحق. وما أثبت من النظامية.

(٢) في ت، ع، د، س: يكتسب.

(٣) ساقطة من د، س.

(٤) ما بين القوسين من م، ت، د، س.

والابتداع، فضلوا وأضلوا، ونبين تميزنا عنه بتفريع المذهبين، فإنا لما أضفنا فعل العبد إلى تقدير الإله سبحانه، قلنا: أحدث الله تعالى القدرة في العبد على أقدار أحاط / بها علمه، وهيأ أسباب الفعل، وسلب العبد العلم بالتفاصيل، ١٢٩ب وأراد من العبد أن يفعل فأحدث فيه دواعي مستحثة وخيرة وإرادة، وعلم أن الأفعال ستقع على قدر معلوم، فوقعت بالقدرة التي اخترعها (للعبد)[1] على ما علم وأراد، فاختيارهم واتصافهم بالاقتدار والقدرة خلق الله ابتداء، ومقدورها مضاف إليه مشيئة وعلماً وقضاءً وخلقاً (وفعلاً)[2] من حيث إنه نتيجة ما انفرد بخلقه، وهو القدرة، ولو لم يرد وقوع مقدوراً لما أقدره عليه ولما هيأ أسباب وقوعه . ومن هُدي لهذا استمر له الحق المبين، فالعبد فاعل مختار مطالب منهي، وفعله تقدير لله تعالى (مراد له)[3] خلق مقتضى.

ونحن نضرب في ذلك مثلاً شرعياً يستريح إليه الناظر في ذلك، فنقول: العبد لا يملك أن يتصرف في مال سيده، ولو استبد بالتصرف فيه لم ينفذ تصرفه، فإذا أذن له في بيع ماله فباعه نفذ، والبيع في التحقيق معزو إلى السيد من حيث إن سببه إذنه، ولولا إذنه لم ينفذ التصرف، ولكن العبد يؤمر بالتصرف وينهى، ويوبخ على المخالفة ويعاقب. فهذا ـ والله ـ الحق الذي لا غطاء دونه، ولا مراء فيه لمن وعاه حق وعيه. ولا يكابر فيه . وأما الفرقة الضالة، فإنهم اعتقدوا انفراد العبد بالخلق، ثم صاروا إلى أنه فقد انفرد بخلق فعله، والرب كاره له، فكان العبد على هذا الرأي الفاسد مزاحماً لربه في التدبير، موقعاً ما أراد إيقاعه، شاء الرب أو كره.

---

(١) في د، س: العبد .

(٢) ساقطة من ع، د، س .

(٣) في د، س: من أدلة .

فإن قيل: على ماذا تحملون آيات الطبع والختم (والإضلال)[1] في القرآن وهي متضمنة اضطرار الرب تعالى (الأشقياء)[2] إلى ضلالتهم؟ .

قلنا : إذا أتاح الله حل هذا الإشكال، والجواب عن هذا السؤال، لم يبق على ذوي البصائر بعده غموض. فنقول أولاً: من أنبأ الله سبحانه عن الطبع على قلوبهم كانوا / مخاطبين بالإيمان، مطالبين بالإسلام، والتزام الأحكام، مطالبة تكليف ودعاء، مع وصفهم بالتمكين والاقتدار والإيثار كما سبق تقريره، ومن اعتقد أنهم كانوا ممنوعين مأمورين مصدودين قهراً ومدعوين، فالتكليف عنه إذاً بمثابة ما لو شد من الرجل يداه ورجلاه رباطاً، وألقي في البحر ثم قيل له لا تبتل. وهذا أمر لا يحمل شرائع الرسل عليه إلا عابث بنفسه، مجترئ على ربه، ولا فرق عند هذا القائل بين أمر التسخير والتكوين في قوله: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾[3] وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[4] وبين أمر التكليف، فإذا بطل ذلك، فالوجه في الكلام على هذا الآي ـ قد غوي في (معانيها)[5] أكثر الفرق ـ أن نقول: إذا أراد الله بعبد خيراً أكمل عقله وأتم بصيرته، ثم صرف عنه العوائق والدوافع، وأزاح عنه الموانع، ووفق له قرناء الخير، وسهل له سبله، وقطع عنه الملهيات، وأسباب الغفلات (والذهول)[6] وقيض له ما يقربه إلى القربات فيوافقها، ثم يعتادها ويمرن عليها، وإذا أراد الله بعبده شراً قدر له ما يبعده عن الخير

١٣٠أ

---

(١) في م: الضلال .

(٢) في ع، د، س: للأشقياء .

(٣) آية ٦٥ سورة البقرة، آية ١٦٦ سورة الأعراف .

(٤) سورة يس آية ٨٢ .

(٥) في د، س: حقائقها .

(٦) ساقطة من ع، د، س .

ويقصيه، وهيّأ له أسباب تماديه في الغيّ،وحبّب إليه التشوق إلى الشهوات، وعرّضه للآفات، وكلما غلبت (دواعي)[١] النفس خنست دواعي الخير، ثم يستمر على الشرور على مر الدهور، (هاوياً في مهاويها)[٢] وتعاون عليه الوساوس ونزغات الشيطان (ونزوات)[٣] النفس الأمارة بالسوء، فتنسج الغفلة على قلبه غشاوة بقضاء الله وقدره . فذلكم الطبع والختم والأكنة.

وأنا أضرب في ذلك مثلاً، فأقول: لو فرضنا شاباً حديث العهد بحلمه لم تهذّبه المذاهب، ولم تحنّكه التجارب، وهو على (نهايته في غُلمته)[٤] وشهوته، وقد استمكن من بلغة الحطام، وخص / بمسحة من الجمال، ولم يقم عليه ١٣٠ب قوام يزعه عن ورطات الردى، ويمنعه عن الارتباك في شبكات الهوى، ووافاه أخدان الفساد وهو في غلواء شبابه يحدث نفسه بالبقاء أمداً بعيداً، فما أقرب من هذا وصفه من (خلع)[٥] العذار، والبدار إلى شيم الأشرار، وهو مع ذلك كله مؤثر مختار، ليس مجبراً على المعاصي والزلات، ولا مصدوداً عن الطاعات، ومعه من العقل ما يستوجب به اللائمة إذا عصى، فمن هذا سبيله لا يستحيل في العقل تكليفه، فإنه ليس ممنوعاً، ولكن إن سبق له من الله سوء القضاء، فهو صائر إلى حكم الله الجزم، وقضائه الفصل، (محجوجاً)[٦] بحجة الله، إلا أن يتغمده الله برحمته وهو أرحم الراحمين .

وهذا الذي ذكرته بين في معاني الآيات لا يتمارى فيه موفق. قال الله

---

(١) في ع، د، س: عليه دواعي .

(٢) في ع، د، س: يأتي مهاويها .

(٣) في د: ونزعات . وفي س: ونزفات .

(٤) في م، د، س: نهاية في غلمته وفي ع: نهايته وغلمته .

(٥) في ت: خلق .

(٦) في د، س: محجوج .

تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ ﴾[١] أراد أنهم استمروا على المخالفات، وأصروا بانتهاك الحرمات، فقست قلوبهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا ﴾[٢] فقد جمعت بين تفويض الأمور كلها، نفعها وضرها، خيرها وشرها، إلى الإله جلت قدرته، وبين إثبات حقائق التكليف، وتقرير قواعد الشرع على الوجه المعقول . ألست في هذا أهدى سبيلاً، وأقوم قيلاً ممن يقدر الطبع منعاً، والختم صداً ودفعاً، فذهب ثم ينفي التكاليف بزعمه ؟! .

وقد افترق الخلق في هذا المقام فرقاً، فذهب ذاهبون إلى أن المخذولين ممنوعين مدفوعون، لا اقتدار لهم على إجابة دعاة الحق، وهم مع ذلك ملزمون.

وهذا خطب جسيم وأمر عظيم ، وهو طعن في الشرائع وإبطال للدعوات، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ ﴾[٣] وقال لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ ﴾[٤] نعوذ بالله من سوء النظر إلى موقع الخطر.

١٢١أ وذهبت طوائف من / الضلال إلى أن العبد يعصي، والرب يأتي به كاره، فهذا خبط في الأحكام الإلهية، ومزاحمة في الربوبية، ولو لم يرد الرب من الفجار ما علمه منهم في (أزله)[٥] لما فطرهم مع علمه بهم، كيف وقد أكمل قواهم، وأمدهم بالعَدَد، والعُدَد، والعتاد، وسهل لهم طريق الحيد عن السداد.

---

(١) سورة البقرة آية ٧٤ .

(٢) سورة الكهف آية ٢٨ .

(٣) سورة الكهف آية ٥٥ .

(٤) سورة ص، آية ٧٥ .

(٥) في م: إزالة، وفي ع، د، س: أزليته .

فإن قيل: فعل ذلك بهم ليطيعوه.

قلنا: أنى يستقيم ذلك؟ وقد علم أنهم يعصونه ويهلكون أنفسهم، ويهلكون أولياءه وأنبياءه، ويشقون شقاوة لا يسعدون (بعدها)[١] أبداً، ولو علم سيد عن وحي، أو إخبار نبي أنه لو أمده بالمال لطغى وأبق، وقطع الطريق، فأمده بالمال زاعماً أنه يريد منه ابتناء القناطر والمساجد، وهو مع ذلك يقول: أعلم أنه لا يفعل ذلك قطعاً، فهذا السيد مفسد عبده، وليس مصلحاً له باتفاق من أرباب الألباب. فقد زاغت الفئتان، وضلت الفرقتان، واعترضت إحداهما على القواعد الشرعية، وزاحمت الأخرى أحكام الربوبية، واقتصد الموفقون، فقالوا: مراد الله من عباده ما علم أنهم إليه (يصيرون)[٢]، ولكنه لم يسلبهم قدرهم، ولم يمنعهم مرشدهم، فقرت الشريعة في نصابها، وجرت العقيدة في الأحكام الإلهية على صوابها .

فإن قيل: كيف يريد الحكيم السفه ؟

فقد أوضحنا أن الأفعال متساوية في حق من لا ينتفع ولا يتضرر، ولكن إذا أخبر أنه مكلف، مطالب عباده، مزيح عللهم، فقوله الحق، وكلامه الصدق. وأقرب أمر يعارضون به: أن الحكيم منا إذا رأى جواريه وعباده[٣] يمرج بعضهم في بعض، وهم على (مخازيهم)[٤] بمرأى منه ومسمع، فلا يحسن تركهم على ما هم عليه، والرب تعالى (مطلع)[٥] على سوء (أفعال العباد)[٦]

---

(١) في ع، د، س: بها .

(٢) في م: صائرون .

(٣) عباده: جمع (عبد) وهو المملوك: انظر المصباح المنير (ص٣٨٩) مادة (عبد).

(٤) في د، س: محارمهم .

(٥) في م، ع، د، س: يطلع .

(٦) في ع، د، س: أفعالهم .

ويستدرجهم من حيث لا يعلمون .

١٣١ب ثم قال: (وقد (أطلت)[١] أنفاسي (قليلاً)[٢] ولكن لو وجدت / في اقتباس هذا العلم من يسرد لي هذا الفصل لكان ـ وحق القائم على كل نفس بما كسبت ـ أحب إلي من ملك الدنيا بحذافيرها (طول)[٣] أمدها). انتهى كلامه بلفظه[٤] .

وهذا توسط حسن بين الفريقين. وقد أنكره عليه عامة أصحابه، منهم الأنصاري، شارح الإرشاد[٥] وغيره[٦] . وقالوا: هو (قريب)[٧] من مذهب المعتزلة، ولا يرجع الخلاف بينه وبينهم إلا إلى الاسم فقط، وإن هذا مما انفرد به .

ولكن بقي عليه فيه أمور، منها :

نفي كراهة الله لما قدره من المعاصي بناء على أصله أن كل مراد له فهو محبوب له، وأنه إذا كان قد قدر الكفر والفسوق والعصيان، فهو يريده ويحبه ولا يكرهه، وإن كانت قدرة العبد واختياره مؤثر في إيجاد الفعل عنده باقتدار الرب تعالى، وقد أصاب في هذا وأجاد، لكن القول بأن الله سبحانه يحب

---

(١) في ع، د، س: أطلقت .

(٢) ساقطة من ع، د، س.

(٣) في ع، د، س: أطول .

(٤) انظر كتاب العقيدة النظامية ص (٤٣-٥٦) للإمام الجويني ـ تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ط الأولى ١٣٩٨هـ -١٩٧٨م .

(٥) سبق ذكر ذلك في ص (٧٦٣) .

(٦) انظر الملل والنحل (١/ ٩٨-٩٩) .

(٧) في ع، د، س: أقرب .

الكفر والفسوق العصيان ولا يكرهه إذا كان واقعاً قول في غاية البطلان، وهو مخالف لصريح العقل والنقل. والذي قاده إلى ذلك قوله : إن المحبة هي الإرادة والمشيئة، وإن كل ما شاءه فقد أراده وأحبه. ومن لم يفرق بين المشيئة والمحبة، لزمه أحد أمرين باطلين لا بد له من التزامه، إما القول بأن الله سبحانه يحب الكفر والفسوق والعصيان، أو القول بأنه ما شاء ذلك ولا قدره ولا قضاه. وقد قال بكل من التلازمين طائفة .

قالت طائفة[1]: لا يحبها ولا يرضاها فما شاءها ولا قضاها .

وقالت طائفة: هي واقعة بمشيئته وإرادته، فهو يحبها ويرضاها .

فاشترك الطائفتان في هذا الأصل وتباينا في لازمه، وقد أنكر الله سبحانه على من احتج على محبته بمشيئته في ثلاثة مواضع من كتابه في سورة الأنعام والنحل والزخرف، فقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾[2] وكذلك حكى الله عنهم في النحل، ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[3] وقال في الزخرف: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[4] فاحتجوا على محبته لشركهم ورضاهم به بكونه أقرهم عليه،

---

(١) وهم المعتزلة. انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص(٤٥٩، وما بعدها وص٤٣١) .

(٢) سورة الأنعام آية ١٤٨ .

(٣) سورة النحل آية ٣٥ .

(٤) سورة الزخرف آية ٢٠ .

وأنه لولا محبته له ورضاه به لما شاءه منهم، وعارضوا بذلك أمره ونهيه ودعوة الرسل .

وقالوا: كيف (يأمرنا بشيء)[١] قد شاء منا خلافه ؟ وكيف يكره منا (ما)[٢] قد شاء وقوعه، (فلو)[٣] كرهه لم يمكنا منه والحال بيننا وبينه؟ فكذبهم سبحانه في ذلك، وأخبر أن هذا تكذيب منهم لرسله، وأن رسله متفقون على أنه سبحانه يكره شركهم ويبغضه ويمقته، وأنه لولا بغضه وكراهته (له)[٤] لما أذاق المشركين (بأسه)[٥]، (فإنه لا)[٦] يعذب عبده على ما يحبه .

ثم طالبهم بالعلم على صحة مذهبهم بأن الله أذن فيه، وأنه يحبه (ويرضاه)[٧]، ومجرد إقراره لهم قدراً لا يدل على ذلك عند أحد من العقلاء، وإلا كان الظلم والفواحش (والسعي)[٨] في الأرض بالفساد، والبغي، محبوباً له مرضياً .

ثم أخبر سبحانه (أن)[٩] مستندهم في ذلك إنما هو الظن، وهو أكذب الحديث، وأنهم لذلك كانوا أهل الخرص والكذب، ثم أخبر سبحانه أن له

---

(١) في د، س: يأمر بالشيء .
(٢) في ع، د، س: شيئاً .
(٣) في ع، د، س: ولو .
(٤) ساقطة من ع، د، س .
(٥) في د، س: بالله عذابه .
(٦) في م: فلا .
(٧) في ع، د، س: ويرضى .
(٨) في ت: والبغي .
(٩) في د: أنه .

الحجة عليهم من جهتين:

إحداهما: ما ركبه فيهم من العقول التي يفرقون بها بين الحسن والقبيح، والحق والباطل، والأسماع والأبصار التي هي آلة إدراك الحق، والتي يفرق بها بينه وبين الباطل .

والثانية: إرسال رسله، وإنزال كتبه، وتمكينهم من الإيمان والإسلام، ولم يؤاخذهم بأحد الأمرين بل بمجموعهما، لكمال عدله، وقطعاً لعذرهم من جميع الوجوه. ولذلك سمى حجته عليه بالغة، أي قد / بلغت غاية البيان ١٣٢ب وأقصاه، بحيث لم يبق معها مقالٌ لقائل ولا عذر لمعتذر، ومن اعتذر إليه سبحانه بعذر صحيح قبله .

ثم ختم الآية بقوله: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1] وأنه لا يكون شيء إلا بمشيئته، وهذا من تمام حجته البالغة، فإنه إذا امتنع الشيء لعدم مشيئته لزم وجوده عند مشيئته[*]، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. كان هذا من أعظم أدلة التوحيد، ومن أبين أدلة بطلان ما أنتم عليه من الشرك، واتخاذ الأنداد من دونه، فما احتججتم به من المشيئة على ما أنتم عليه من الشرك (واتخاذ الأنداد من دونه)[2] هو من أظهر الأدلة على بطلانه وفساده، فلو أنهم ذكروا القدر والمشيئة توحيداً له، وافتقاراً والتجاءً إليه، وبراءة من الحول والقوة إلا به، ورغبة إليه أن (يقيلهم)[3] مما لو شاء أن يقع منهم لما وقع، لنفعهم ذلك، ولفتح لهم باب الهداية، ولكن ذكروه معارضين به أمره،

---

(١) سورة الأنعام آية ١٤٩ .

(*) بداية سقط في نسخة ع، والذي ينتهي في ص(٧٨٩) .

(٢) ما بين القوسين ساقط من م، د، س .

(٣) في د: يلقيهم .

ومبطلين به دعوة الرسل، فما ازدادوا به إلا ضلالاً. والمقصود أنه سبحانه قد فرق بين (محبته)[١] ومشيئته. وقد حكى أبو الحسن الأشعري في مقالاته اتفاق أهل السنة والحديث على ذلك[٢] والذي حكى عنه ابن فورك[٣] في كتابه تجريده لمقالاته أنه كان (لا)[٤] يفرق بين ذلك، قال: (وكان لا يفرق بين الود والحب، والإرادة والمشيئة والرضا. وكان لا يقول: إن شيئاً منها لا يخص بعض المرادات دون بعض، بل كان يقول إن كل واحد منها بمعنى صاحبه على وجه التقييد الذي يزول معه الإيهام، وهو أن المؤمن محبوب لله أن يكون مؤمناً من أهل الخير كما (علمه)[٥]، والكافر أيضاً مراد أن يكون كافراً كما علم من أهل الشر، ويجب أن يكون ذلك كذلك كما علم، وكذلك كان يقول في الرضا والاصطفاء والاختيار، ويقيد اللفظ بذلك حتى لا يتوهم فيه الخطأ، انتهى[٦].

١٣٣أ والذي عليه / أهل الحديث والسنة قاطبة والفقهاء كلهم، وجمهور المتكلمين والصوفية أنه سبحانه يكره بعض الأعيان والأفعال والصفات، وإن

---

(١) في د، س: حجته .

(٢) انظر مقالات الإسلاميين ص(٢٩١، ٢٩٤).

(٣) هو: أبو بكر بن محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، سمع مسند أبي داود الطيالسي من عبد الله بن جعفر بن فارس. وسمع من ابن خرازذ الأهوازي، حدث عنه البيهقي وآخرون. قال الذهبي: كان أشعرياً، رأساً في فن الكلام، أخذ عن أبي الحسن الباهلي، صاحب الأشعري، مات سنة أربع وأربعمائة. سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢١٤) .

(٤) ساقطة من م، د، س .

(٥) في د، س: علم .

(٦) انظر كتاب تجريد مقالات أبي الحسن الأشعري المطبوع باسم: مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري لابن فورك ص (٥١) تحقيق دانيال جيماريه، نشر دار المشرق، بيروت .

كانت واقعة بمشيئته، فهو يبغضها ويمقتها كما يبغض ذات إبليس وذوات جنوده، ويبغض أعمالهم، ولا يحب ذلك وإن وجد بمشيئته. قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾(١)، وقال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٢) وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾(٣) وقال: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾(٤) وقال: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾(٥) وقال: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾(٦).

فهذا إخبار عن عدم محبته (هذه)(٧) الأمور ورضاه بها بعد وقوعها، فهذا صريح في إبطال قول من تأوّل هذه النصوص على أنه لا يحبها ممن لم تقع منه، وهذا من أعظم الباطل والكذب على الله، بل هو سبحانه يكرهها ويبغضها قبل وقوعها، وحال وقوعها، وبعد وقوعها، فإنها قبائح وخبائث، والله منزه عن محبة القبيح والخبيث، بل (هو)(٨) أكره شيء إليه. قال تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾(٩).

وقد أخبر أنه يكره طاعات المنافقين، ولأجل ذلك (ثبطهم)(١٠) عنها،

---

(١) سورة البقرة آية ٢٠٥ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٤٠ .

(٣) سورة لقمان آية ١٨ .

(٤) سورة النساء آية ١٤٨ .

(٥) سورة البقرة آية ١٩٠، وسورة المائدة آية ٨٧ .

(٦) سورة الزمر آية ٧ .

(٧) ساقطة من د، س .

(٨) ساقطة من د .

(٩) سورة الإسراء آية ٣٨ .

(١٠) في د، س: يثبطهم .

فكيف يحب نفاقهم ويرضاه، ويكون أهله محبوبين له، مصطفين عنده، مرضيين.

ومن هذا الأصل الباطل نشأ قولهم باستواء الأفعال بالنسبة إلى الرب سبحانه، وأنها لا تنقسم في نفسها إلى حسن وقبيح، فلا فرق بالنسبة إليه سبحانه بين الشكر والكفر، ولذلك قالوا: لا يجب شكره على نعمه عقلاً.

(فعن)[(١)] هذا الأصل قالوا: إن مشيئته هي عين (محبته)[(٢)]، وإن كل ما شاء فهو محبوب له، ومرضي له، ومصطفى ومختار، فلم يمكنهم بعد تأصل هذا الأصل أن يقولوا إنه يبغض (بعض)[(٣)] الأعيان والأفعال التي خلقها / ١٣٣ب ويحب بعضها، بل كل ما فعله وخلقه فهو محبوب له، والمكروه المبغوض ما لم يشأه ولم يخلقه. وإنما أصلوا هذا الأصل محافظة منهم على القدر (فجنوا)[(٤)] به على الشرع والقدر، والتزموا لأجله لوازم شوشوا بها القدر والحكمة، وكابروا لأجلها صريح العقل، وسووا بين أقبح القبائح وأحسن الحسنات في نفس الأمر، وقالوا: هما سواء لا فرق بينهما إلا بمجرد الأمر والنهي، فالكذب عندهم والظلم والبغي والعدوان مساو للصدق والعدل والإحسان في نفس الأمر. ليس في هذا ما يقتضي حسنه ولا في هذا ما يقتضي قبحه، وجعلوا هذا المذهب شعاراً لأهل السنة والقول بخلاف قول أهل البدع من المعتزلة وغيرهم.

ولعمر الله إنه لمن أبطل الأقوال وأشدها منافاة للعقل والشرع، ولفطرة الله التي فطر عليها خلقه. وقد بينا بطلانه من أكثر من خمسين وجهاً في كتاب

---

(١) في د، س: فمن .

(٢) في ت: مشيئته .

(٣) ساقطة من د، س .

(٤) في د، س: فحثوا .

المفتاح[١] .

والمقصود أنه لما انضم القول به إلى القول بأنه سبحانه لا يحب شيئاً ويبغض شيئاً، بل كل موجود فهو محبوب له، وكل معدوم فهو مكروه له، وانضم إلى هذين (الأمرين)[٢] إنكار الحكم والغايات المطلوبة في أفعاله سبحانه، وأنه لا يفعل شيئاً (لشيء)[٣] البتة، وانضم إلى ذلك في إنكار الأسباب، وأنه لا يفعل شيء، وإنكار القوى والطبائع والغرائز، وأن تكون أسباباً أو يكون لها أثر انسد عليهم باب الصواب في مسائل القدر، والتزموا لهذه الأصول الباطلة لوازم هي أظهر بطلاناً وفساداً، وهي من أدل شيء على فساد هذه الأصول وبطلانها، فإن الفساد اللازم من فساد ملزومه .

فإن قيل: الكراهة والمحبة ترجع إلى المنافرة والملاءمة للطبع،وذلك مُحَال في حق من لا يوصف بطبع ولا ملاءمة ولا منافرة .

قيل: قد دلت النصوص التي لا تدفع على وصفه تعالى بالمحبة والكراهة، (فنفيكم)[٤] حقائق ما دلت عليه بالتعبير عنها بملاءمة الطبع ومنافرته / ١٢٤أ باطل وهو كنفي كل مبطل حقائق أسمائه وصفاته بالتعبير عنها بعبارات اصطلاحية توصل بها إلى نفي ما وصف به نفسه، كتسمية الجهمية المعطلة صفاته تعالى أعراضاً، ثم توصلوا بهذه التسمية إلى نفيها، وسموا أفعال القائمة به حوادث ثم توصلوا بهذه التسمية على نفيها، وقالوا: لا تحله الحوادث، كما قالت المعطلة: لا تقوم به الأعراض، وسموا علوه على خلقه،

---

(١) انظر كتاب مفتاح دار السعادة (٢/ ٣٥-١٦٥) وقد طبع مفتاح دار السعادة عدة طبعات منها في مصر طبعة زكريا علي يوسف بمطبعة الإمام، دون تاريخ .

(٢) في د، س: الآخرين .

(٣) في د، س: لمعنى .

(٤) في د، س: فتبيينكم .

واستواءه على عرشه، وكونه (قاهراً)[١] فوق عباده تحيزاً (وتجسيماً)[٢] ثم توصلوا بنفي ذلك إلى نفي علوه (على)[٣] خلقه واستوائه على عرشه، وسموا ما أخبر به عن نفسه من الوجه واليدين والإصبع جوارح وأعضاء، ثم نفوا ما أثبته لنفسه بتسميتهم له بغير تلك الأسماء، ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾[٤]. فتوصلوا بالتجسيم والتشبيه والتركيب والحوادث والأعراض والتحيز إلى تعطيل صفات كماله ونعوت جلاله وأفعاله، وأخلوا تلك الأسماء من معانيها، وعطلوها من حقائقها. فيقال لمن نفى محبته وكراهته لاستلزامها ميل الطبع ونفرته: ما الفرق بينك وبين من نفى مريداً لاستلزام الإرادة حركة النفس إلى جلب ما ينفعها (ودفع ما يضرها، ونفي سمعه وبصره لاستلزام ذلك تأثر السميع البصير)[٥] بالمسموع والمبصر، وانطباع صورة علمه لاستلزام ذلك حركة القلب وانفعاله بما يرد عليه من المؤلم والسار، ونفي كلامه لاستلزام الكلام محلاً يقوم به، ويظهر منه شفة ولسان ولهوات. ولما لم (يمكن)[٦] أحداً أقر بوجود / [١٣٤ب] رب العالمين طرد ذلك وقع في التناقض ولابد، فإنه أي شيء أثبته لزمه (ما التزمه)[٧] كمن(أثبت)[٨] ما نفاه من غير فرق البتة.

---

(١) ساقطة من ت .

(٢) في د، س: وتجسماً .

(٣) في م، د، س: عن .

(٤) اقتباس من سورة النجم آية ٢٣ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من د .

(٦) في د: يكن .

(٧) في د، س: ما التزم .

(٨) في ت: لا يثبت .

(ولهذا لما تفطن بعض المعطلة لذلك طرد هذا الأصل، وقال: لا أثبت شيئاً البتة)[١] ولهذا قال الإمام أحمد وغيره من أئمة السنة: لا نزيل عن الله صفة من صفاته لأجل شناعة المشنعين[٢].

والمقصود أنا لا نجحد محبته سبحانه (لما يحبه)[٣]، وكراهته لما يكرهه لتسمية النفاة لذلك ملاءمة ومنافرة. فينبغي التفطن لهذا الموضع، فإنه من أعظم أصول الضلال. فلا نسمي العرش حيزاً، ولا نسمي الاستواء تحيزاً، ولا نسمي الصفات أعرضاً، ولا الأفعال حوادث، ولا الوجه واليدين والأصابع جوارح وأعضاء، ولا إثبات صفات كماله التي وصف بها نفسه (ووصفه بها رسوله)[٤] تجسيماً وتشبيهاً، فنجني جنايتين عظيمتين: جناية على اللفظ، وجناية على المعنى، فنبدل الاسم، ونعطل معناه.

ونظير هذا تسمية خلقه سبحانه لأفعال عباده وقضائه السابق جبراً، ولذلك أنكر أئمة السنة، كالأوزاعي وسفيان الثوري وعبد الرحمن بن

---

(١) ما بين القوسين ساقط من د، س.

(٢) قول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٣١-٣٢) وفي بيان تلبيس الجهمية (ص٤٣١-٤٣٢) تصحيح محمد بن قاسم، ط الأولى ١٣٩١هـ، بمطبعة الحكومة بمكة المكرمة. وذكره أيضاً المؤلف في اجتماع الجيوش الإسلامية ص(٢١٢) ونسبا روايته إلى الخلال في كتاب السنة، وقد رجعت إلى كتاب السنة، ولم أجده في القسم المطبوع منه، ط الأولى ١٤١٠هـ، تحقيق د. عطية الزهراني، نشر دار الراية بالرياض، ولعله في القسم الذي لم يطبع بعد.

(٣) في ت: طاعته.

(٤) ما بين القوسين ساقط من د، س.

مهدي[١] والإمام أحمد وغيرهم هذا اللفظ .

قال الأوزاعي والزبيدي[٢]: ليس في الكتاب والسنة لفظ (جبر)، وإنما جاءت السنة بلفظ (الجبل)[٣]، كما في الصحيح أن النبي ﷺ قال لأشج عبدالقيس[٤]: «إن فيك خُلقين يحبهما الله: الحلم والأناة »، فقال: أخلقين

(١) هو عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري، مولاهم أبو سعيد البصري، ثقة ثبت حافظ، عارف بالرجال والحديث. قال ابن المديني: ما رأيت أعلم منه، من التاسعة، مات سنة ثمان وتسعين ومائة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٤٩٩) وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٧٩-٢٨١) ، وقوله رواه الخلال في كتاب السنة ص(٥٥٣) .

(٢) هو: محمد بن الوليد، سبقت ترجمته في ص (١٧٩) .

(٣) أخرجه الخلال في كتاب السنة ص(٥٥٥). وهذا قول الأوزاعي، وأما الزبيدي، فقال:أمر الله أعظم، وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل، ولكن يقضي ويقدر ويخلق ويجبل عبده على ما أحبه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بعد أن ذكر هذين القولين: وهذان الجوابان اللذان ذكرهما الإمامان في عصر تابعي التابعين من أحسن الأجوبة ... وذلك لأن الجبر المعروف في اللغة: هو إلزام الإنسان بخلاف رضاه، ... والله سبحانه قادر على أن يجعل العبد مختاراً راضياً لما يفعله، ومبغضاً وكارهاً لما يتركه، كما هو الواقع ... وأيضاً فهذا اللفظ (جبر) لم يكن له أصل في الكتاب والسنة، وإطلاقه يفضي إلى إطلاق لفظ مبتدع ظاهر في إرادة الباطل، وذلك لا يسوغ. وإن قيل: إنه يراد به معنى صحيح. انظر درء تعارض العقل والنقل(١/ ٦٧) . وقد نقلت كلامه بتصرف .

(٤) هو: المنذر بن عائذ بن الحارث العصري، بمهملتين مفتوحتين، أشج عبد القيس، صحابي نزل البصرة ومات بها. روى له البخاري في الأدب المفرد، وروى له النسائي. تقريب التهذيب (٢/ ٢٧٤) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٣٠١) وأسد الغابة (١/ ١١٦) و(٤/ ٤٩١) .

تخلَّقتُ بهما أم جُبلتُ عليهما؟ فقال: « **بل جبلت عليهما** »، فقال: الحمد لله الذي جبلني على ما يحب[1] .

(١) هذا الحديث رواه الأشج، وأخرجه: الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٢٠٥-٢٠٦) . وابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/ ٢٠٢). والبخاري في الأدب المفرد ص(٢٠٥). والنسائي في كتاب النعوت من سننه الكبرى، كما في تحفة الأشراف(٨/ ٥١٣). وأبو يعلى في مسنده (١٢/ ٢٤٢-٢٤٤). وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٦/ ١٧٨-١٧٩) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد(٩/ ٣٨٧-٣٨٨) وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، إلا أن ابن بكرة لم يدرك الأشج .
ورواه مطر بن عبد الرحمن الأعنق، عن أم أبان بنت الوازع بن زارع، عن جدها زارع، وكان في وفد عبد القيس، قال: لما قدمنا المدينة جعلنا نتبادر من رواحلنا، فنقبل يد النبي ﷺ ورجله، قال: وانتظر الأشج حتى أتى عيبته فلبس ثوبيه، ثم أتى النبي ﷺ فقال له: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة**». قال: يا رسول الله: أنا أتخلق بهما أم جبلني الله عليهما؟ قال: « **بل جبلك الله عليهما** » . قال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله، وأخرجه أبو داود في سننه(١٤/ ١٣٥) ك الأدب ـ في قبلة الرجل. والطبراني في المعجم الكبير (٥/ ٣١٧) والبزار، كما في كشف الأستار (٣/ ٢٧٨-٢٧٩) . والبيهقي في سننه (٧/ ١٠٢) وفي دلائل النبوة (٥/ ٣٢٧-٣٢٨) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد(٩/ ٣٨٩-٣٩٠) وقال: عند أبي داود طرف منه، ورواه البزار، وفيه أم أبان بنت الوازع روى لها أبو داود وسكت على حديثها فهو حسن، وبقية رجاله ثقات.
وروى قوله ﷺ : «**إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة**» أبوسعيد الخدري رضي الله عنه، وأخرجه: مسلم (١/ ٤٨، ٤٩) ك الإيمان ـ باب الأمر بالإيمان بالله تعالى . والبخاري في الأدب المفرد (٢٠٥) والبيهقي في سننه (١٠/ ١٠٤، ١٩٤)، وفي الدلائل (٥/ ٣٢٥-٣٢٦) .
وبمثله رواه ابن عباس رضي الله عنهما وأخرجه مسلم (١/ ٤٨) ك الإيمان ـ باب الأمر بالإيمان بالله تعالى.

=

فأخبر النبي ﷺ أن الله جبله على الحلم والأناة، وهما من الأفعال الاختيارية، وإن كان خلقين قائمين بالعبد، فإن من الأخلاق ما هو كسبي، ومنها ما لا يدخل تحت الكسب، والنوعان قد جبل الله العبد عليهما، وهو سبحانه يحب ما جبل عبده عليه من محاسن الأخلاق / ويكره ما جبله عليه من مساوئها، فكلاهما بجبله وهذا محبوب له، وهذا مكروه، كما أن جبريل صلوات الله عليه مخلوق له، وإبليس عليه لعائن الله مخلوق له، وجبريل محبوب له، مصطفى عنده، وإبليس أبغض خلقه إليه.

١٣٥أ

ومما يوضح ذلك أن لفظ جبر لفظٌ مجملٌ، فإنه يقال: أجبر الأب ابنته على النكاح، وجبر الحاكم الرجل على البيع، ومعنى هذا الجبر: أكرهه عليه، ليس معناه أنه جعله محباً لذلك راضياً به (مختاراً له. والله تعالى إذا خلق فعل العبد جعله محباً له، مختاراً لإيقاعه، راضياً به، كارهاً لعدمه)[1]، فإطلاق لفظ

= والبخاري في الأدب المفرد (ص٢٠٦) والترمذي (٤/ ٣٢٢) ك البر والصلة ـ باب ما جاء في التأني والعجلة، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٦/ ٨١) . وابن ماجه (٢/ ١٤٠١) ك الزهد ـ باب في الحلم. والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٢٣٠) . والبيهقي في سننه (١٠/ ١٠٤) .

وفي الباب عن ابن عمر، ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٨٨) وقال: رواه الطبراني من طريقين، ورجال أحدهما رجال الصحيح غير نعيم بن يعقوب وهو ثقة، ورواه في الأوسط من طريق حسنة الإسناد.

وعن مزيدة بن جبر العبدي العصري. عند البخاري في الأدب المفرد (ص٢٠٦). وأبي يعلى في مسنده (١٢/ ٢٤٥-٢٤٧) . والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٣٢٧) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: رواه الطبراني وأبو يعلى، ورجالهما ثقات، وفي بعضهم خلاف .

(١) ما بين القوسين ساقط من ت .

الجبر على ذلك فاسد لفظاً ومعنى، فإن الله سبحانه أجل (وأعدل)[١] من أن يجبر عبده بذلك المعنى، وإنما يجبر العاجز عن أن يجعل غيره فاعلاً بإرادته ومحبته ورضاه، وأما من جعل (العبد)[٢] مريداً محباً مؤثراً لما يفعله، فكيف يقال: إنه جبره عليه، فهو سبحانه أجل وأعظم وأقدر من أن يجبر عبده ويكرهه على فعل ما يشاؤه منه، بل إذا شاء من عبده أن يفعل فعلاً جعله قادراً عليه، مريداً له، محباً مختاراً لإيقاعه، وهو أيضاً قادر على أن (يجعله)[٣] فاعلاً له باختياره مع كراهته له وبغضه ونفرته عنه.

وكل ما يقع من العباد بإرادتهم ومشيئتهم، فهو سبحانه الذي جعلهم فاعلين له؛ سواء أحبوه أو أبغضوه (وكرهوه، وهو سبحانه لم يجبرهم، في النوعين كما يجبر غيره من لا يقدر على جعله فاعلاً)[٤] بإرادته ومشيئته، نعم نحن لا ننكر استعمال لفظ الجبر فيما هو أعم من ذلك، بحيث يتناول من قهر غيره وقدر على جعله فاعلاً لما يشاء فعله، وتاركاً لما لا يشاء فعله، فإنه سبحانه المحدث لإرادته له وقدرته عليه (كما)[٥] قال محمد بن كعب (القرظي)[٦] في اسم (الجبار) سبحانه: هو الذي جبر العباد على ما أراد[٧] .

وفي الدعاء المعروف عن علي رضي الله عنه: (اللهم داحي المدحوات، وبارئ

---

(١) في م، د، س: وأعز .

(٢) في م، س: فعل العبد .

(٣) في د: جعله .

(٤) ما بين القوسين ساقط من ت .

(٥) ساقطة من د، س .

(٦) في د، س: القرطبي، وهو خطأ ،. انظر ترجمة محمد بن كعب القرظي في ص (٣٨٩).

(٧) سبق تخريجه في ص (٧٥٦) .

المسموكات، جبار القلوب على فطراتها شقيها وسعيدها)[١] .

١٢٥ب فالجبر بهذا (الاعتبار)[٢] معناه: القهر / والقدرة، وأنه سبحانه قادر على أن يفعل بعبده ما شاء، إذا شاء منه شيئاً وقع ولا بد، وإن لم يشأه لم يكن، ليس كالعاجز الذي يشاء ما لا يكون، ويكون ما لا يشاء .

والفرق بين هذا الجبر وجبر المخلوق لغيره من وجوه:

أحدها: أن المخلوق لا قدرة له (على)[٣] جعل الغير مريداً للفعل محباً له، والرب تعالى قادر على جعل عبده كذلك .

الثاني: أن المخلوق قد يجبر غيره إجباراً يكون به ظالماً (له)[٤] معتدياً عليه، والرب تعالى أعدل من ذلك، فإنه لا يظلم أحداً من خلقه، بل مشيئته نافذة فيهم بالعدل والإحسان، بل عدله فيهم من إحسانه إليهم، كما سنبينه إن شاء الله .

الثالث: أن المخلوق يكون في جبره لغيره سفيهاً أو عاتياً أو جاهلاً، والرب تعالى إذا (جبل)[٥] عبده على أمر من الأمور كان له في ذلك من الحكمة والعدل والإحسان والرحمة ما هو محمود عليه بجميع وجوه

---

(١) ذكره ابن عبد البر رحمه الله في التمهيد (١٨/ ٧٩) وأبو القاسم إسماعيل التيمي رحمه الله في كتاب الحجة في بيان المحجة (١/ ١٣١) وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى (٨/ ١٣٢، ٣٩٥، ٤٦٥) .

(٢) في د، س: المعنى .

(٣) ساقطة من د .

(٤) ساقطة من م، د، س .

(٥) في د، س: جبر .

الحمد[١].

الرابع: أن المخلوق يجبر غيره لحاجته إلى ما يجبره عليه، ولانتفاعه بذلك، وهذا لأنه فقير بالذات، وأما الرب تعالى، فهو الغني (بذاته)[٢] الذي كل ما سواه محتاج إليه، وليس به حاجة إلى أحد.

الخامس: أن المخلوق يجبر غيره لنقصه، فيجبره ليحصل له الكمال بما أجبره عليه، والرب تعالى له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وكماله من لوازم ذاته لم يستفده من خلقه، بل هو الذي أعطاهم من الكمال ما يليق بهم، فالمخلوق يجبر غيره ليكتمل (نقصه به)[٣]، والرب تعالى منزه عن كل نقص، فكماله المقدس ينفي الجبر.

السادس: أن المخلوق يجبر غيره على فعل يعينه على غرضه لعجزه عن التوصل إليه (إلا)[٤] بمعاونته له، فصار الفعل من هذا، والإكراه والقهر من هذا، محصلاً لغرض المكره كما أن المعين لغيره باختياره شريك له في الفعل، والرب / تعالى غني عما سواه بكل وجه فيستحيل في حقه الجبر. ١٣٦أ

السابع: أن المجبور على (فعل)[٥] ما لا يريد فعله يجد من نفسه فرقاً ضرورياً بينه وبين ما يريد فعله باختياره ومحبته، فالتسوية بين الأمرين تسوية بين ما علم بالحس والاضطرار والفرق بينهما، وهو كالتسوية بين حركة المرتعش وحركة الكاتب، وهذا من أبطل الباطل.

---

(١) انظر الفروق الثلاثة في فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/ ٤٦٥).

(٢) ساقط من ت.

(٣) ما بين القوسين ساقط من م، د، س.

(٤) ساقط من ت.

(٥) ساقطة من م، د، س.

الثامن: أن الله سبحانه قد فطر العباد على أن المجبور المكره على الفعل معذور لا يستحق الذم والعقوبة، ويقولون: قد أكره على كذا وجبره عليه السلطان، وكما أنهم مفطورون على هذا فهم مفطورون أيضاً على ذم من فعل القبائح باختياره (وإرادته وعدم عذره، ولا يقولون: هو معذور ولا فاعل بغير اختياره)[١]، وشريعته سبحانه موافقة لفطرته في ذلك، فمن سوى بين الأمرين، فقد خرج عن موجب الشرع والعقل والفطرة .

التاسع: أن من أمر غيره بمصلحة المأمور وما هو محتاج إليه ولا سعادة له ولا فلاح إلا به، لا يقال جبره على ذلك، وإنما يقال: نصحه وأرشده ونفعه وهداه ونحو ذلك، وقد لا يختار المأمور المنهي ذلك، فيجبره الناصح له على ذلك من له ولاية الإجبار، وهذا جبر (بحق)[٢] وهو جائز؛ بل واقع في شرع الرب، وقدره وحكمته ورحمته وإحسانه لا تمنع هذا الجبر .

العاشر: أن الرب ليس كمثله شيء في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فجعله العبد فاعلاً لقدرته ومشيئته واختياره أمر يختص به تبارك وتعالى، والمخلوق لا يقدر أن يجعل غيره فاعلاً إلا بإكراهه له على ذلك، فإن لم يكرهه لم يقدر على غير الدعاء والأمر بالفعل، وذلك لا يصير العبد فاعلاً، فالمخلوق هو الذي يجبر غيره على الفعل ويكرهه عليه، فنسبة ذلك إلى الرب / تشبيه له في أفعاله بالمخلوق الذي لا يجعل غيره فاعلاً إلا بجبره له وإكراهه، فكمال قدرته تعالى وكمال علمه وكمال مشيئته، وكمال عدله وإحسانه، وكمال غناه، وكمال ملكه، وكمال حجته على عبده تنفي الجبر. ١٣٦ب

(١) ما بين القوسين ساقط من م، د، س .

(٢) في د، س: الحق .

فصل

فالطوائف كلها متفقة على الكسب، ومختلفون في حقيقته.

فقالت القدرية هو: إحداث العبد لفعله بقدرته ومشيئته استقلالاً، وليس للرب صنع فيه، ولا هو خالق فعله، ولا مكونه، ولا مريداً له [١] .

وقالت الجبرية: الكسب اقتران الفعل بالقدرة الحادثة من غير أن يكون لها فيه (أثر)[٢]* وكلا الطائفتين فرق بين الخلق والكسب، ثم اختلفوا فيما وقع به الفرق .

فقال الأشعري في عامة كتبه: الكسب أن يكون الفعل بقدرة محدثة، فمن (وقع منه)[٣] الفعل بقدرة قديمة، فهو فاعل خالق، ومن وقع منه بقدرة محدثة، فهو مكتسب[٤] .

وقال قائلون: من يفعل بغير آلة ولا جارحة فهو خالق، ومن يحتاج في فعله إلى الآلات والجوارح فهو مكتسب. وهذا قول الإسكافي[٥] وطوائف من المعتزلة .

---

(١) انظر شرح الأصول الخمسة ص (٣٢٣، ٣٨٠) .

(٢) في د ،س: أمر .

(*) نهاية سقط نسخة ع . والذي بدأ من ص (٧٧٥) .

(٣) في د، منع .

(٤) سبق توثيق القول انظر ص (٧٥٨) وما بعدها .

(٥) هو: محمد بن عبد الله، أبو جعفر الإسكافي، من متكلمي المعتزلة، وأحد أئمتهم، تنسب إليه الطائفة الإسكافية منهم. وهو بغدادي، أصله من سمرقند، مات سنة ٢٤٠هـ لسان الميزان (٥/ ٢٢١) والأعلام (٦/ ٢٢١) .

قال: واختلفوا هل يقال: إن الإنسان فاعل على الحقيقة، فقالت المعتزلة كلها إلا الناشئ[١]: إن الإنسان فاعل محدث ومخترع ومنشئ على الحقيقة دون المجاز[٢].

وقال الناشئ: الإنسان لا يفعل في الحقيقة، ولا يحدث في الحقيقة، وكان يقول: إن البارئ أحدث كسب الإنسان. قال: فلزمه محدث لا لمحدث في الحقيقة، ومفعول لا لفاعل في الحقيقة[٣].

قلت: وجه إلزامه ذلك أنه قد أعطى أن الإنسان غير فاعل لفعله، وفعله محدث مفعول، وليس هو فعلاً لله، ولا فعلاً للعبد، فلزمه مفعول من غير فاعل. ولعمر الله، إن هذا الإلزام لأبي الحسن والجبرية. فإن عندهم الإنسان ليس بفاعل حقيقة، والفاعل هو الله، وأفعال الإنسان قائمة به لم تقم / بالله، ١٣٧أ فإذا لم يكن الإنسان فاعلها مع قيامها به فكيف يكون الله سبحانه هو فاعلها، ولو كان هو فاعلها، لعادت أحكامه عليه، واشتقت له منها أسماء، وذلك ممتنع مستحيل على الله، فيلزمك أن تكون أفعالاً لا فاعل لها، فإن العبد ليس بفاعل عندك ولو كان الرب فاعلاً لها لاشتقت لها منها أسماء وعاد حكمها عليه.

فإن قيل: فما تقولون أنتم في هذا المقام؟

قلنا: لا نقول بواحد من القولين، بل نقول: هي أفعال للعباد حقيقة

---

(١) هو: عبد الله بن محمد، الناشئ الأنباري، أبو العباس: شاعر مجيد، يعد في طبقة ابن الرومي والبحتري، أصله من الأنبار. أقام ببغداد مدة طويلة، وخرج إلى مصر، فسكنها وتوفي بها سنة ٢٩٣هـ وهو من العلماء بالأدب والمنطق. تاريخ بغداد (١٠/ ٩٢) وفيات الأعيان (١/ ٢٦٣) الأعلام (٤/ ١١٨).

(٢) انظر مقالات الإسلاميين ص (٥٣٩).

(٣) انظر مقالات الإسلاميين ص (٥٣٩).

ومفعول للرب، فالفاعل عندنا غير المفعول، وهو إجماع من أهل السنة، حكاه الحسين بن مسعود البغوي[١] وغيره[٢].

فالعبد فعلها حقيقة، والله خالقه وخالق ما فعل به من القدرة والإرادة وخالق فاعليته. وسر المسألة أن العبد فاعل منفعل باعتبارين، (بل)[٣] هو منفعل في (فاعليته)[٤] فربه تعالى هو الذي جعله فاعلاً بقدرته ومشيئته وأقدره على الفعل، وأحدث له المشيئة التي يفعل بها.

قال الأشعري: وكثير من أهل الإثبات يقولون إن الإنسان فاعل في الحقيقة بمعنى مكتسب، ويمنعون أنه محدث[٥].

قلت: هؤلاء وقفوا (عند)[٦] ألفاظ الكتاب والسنة، فإنهما مملوآن من نسبة الأفعال إلى العبد باسمها العام، وأسمائها الخاصة، فالاسم العام كقوله تعالى: ﴿ تَعْمَلُونَ ﴾[٧] ﴿ تَفْعَلُونَ ﴾[٨] ﴿ تَكْسِبُونَ ﴾[٩]، والأسماء الخاصة

---

(١) سبقت ترجمته في ص (٣٣٢).

(٢) لم أعثر على حكاية البغوي لهذا الإجماع.

(٣) في ع، د، س: هل.

(٤) في ع، د، س: في فاعليه.

(٥) انظر مقالات الإسلاميين ص ٥٤٠.

(٦) في م، ت، مع.

(٧) وردت في آيات كثيرة منها ٧٤، ٨٥، ١١٠، ١٤٠، ١٤٩، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٦٥، ٢٧١، ٢٨٣ من سورة البقرة. انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٦١٥-٦١٧.

(٨) وردت في سورة النحل آية ٩١، والنمل آية ٨٨، والشورى آية ٢٥، والصف آية ٢، ٣، والانفطار آية ١٢.

(٩) وردت في سورة الأنعام آية ٣، والأعراف آية٣٩، ويونس آية ٥٢، والزمر آية ٢٤.

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾(١) ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾(٢) ﴿يُؤْمِنُونَ﴾(٣) ﴿يَخَافُونَ﴾(٤) ﴿يَتُوبُونَ﴾(٥) ﴿يُجَٰهِدُونَ﴾(٦) .

وأما لفظ الإحداث فلم يجئ إلا في الذم، كقوله ﷺ: « لعن الله من أحدث حدثاً، أو آوى محدثاً »(٧) فهذا ليس بمعنى الفعل والكسب .

---

(١) وردت في سورة البقرة آية ٣، والمائدة آية ٥٥، والأنفال آية ٣، والتوبة آية ٧١، والنمل آية ٣، ولقمان آية ٤ .

(٢) وردت هذه اللفظة في سورة المائدة آية ٥٥، وسورة الأعراف آية ١٥٦، وسورة التوبة آية ٧١، وسورة النمل آية ٣، وسورة لقمان آية ٤ .

(٣) وردت هذه اللفظة في آيات كثيرة، انظر المعجم المفهـرس لألفاظ القرآن الكريم ص(١١١-١١٢) .

(٤) وردت هذه اللفظة في سورة المائدة آية ٢٣، ٥٤، وسورة الأنعام آية ٥١، وسورة الرعد آية ٢١، وسورة النحل آية ٥٠، وسورة الإسراء آية ٥٧، وسورة النور آية ٣٧، ٥٠، وسورة الذاريات آية ٣٧، وسورة المدثر آية ٥٣، وسورة الإنسان آية ٧.

(٥) وردت هذه اللفظة في سورة النساء آية ١٧، وسورة المائدة آية ٧٤، وسورة التوبة آية ١٢٦ .

(٦) وردت هذه اللفظة في سورة المائدة آية ٥٤ .

(٧) هذا طرف من حديث رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ما عندنا شيء إلا كتاب الله وهذه الصحيفة عن النبي ﷺ: « المدينة حرم ما بين عائر إلى كذا، من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ...» إلخ. وهذا الحديث أخرجه: البخاري (٢/ ٢٢١) ك فضائل المدينة ـ باب حرم المدينة. وفي (٤/ ٦٧) ك الجزية والموادعة مع أهل الذمة والكتاب والحرب ـ باب ذمة المسلمين وجوارهم واحدة يسعى بها أدناهم. وفي (٤/ ٦٩) إثم من عاهد ثم غدر، وفي (٨/ ١٠) ك الفرائض ـ باب إثم من تبرأ من مواليه. وفي (٨/ ١٤٤-١٤٥) ك الاعتصام بالسنة ـ باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع، ومسلم (٢/ ٩٩٤-٩٩٨) ك الحج ـ باب فضل المدينة، وفي =

وكذلك قول عبد الله بن مغفل[١] لابنه[٢]: (إياك والحدث في الإسلام)[٣].

ولا يمتنع إطلاقه على فعل الخير مع التقييد (كما)[٤] قال بعض السلف: (إذا أحدث الله لك نعمة، فأحدث لها شكراً، وإذا أحدثت ذنباً فأحدث/ له١٣٧ب توبة)[٥]. ومنه قول: (هل أحدثت توبة، وأحدث للذنب استغفاراً)[٦].

ولا يلزم من ذلك إطلاق اسم (المحدث)[٧] عليه، والإحداث على فعله.

قال الأشعري: (بلغني أن بعضهم أطلق في الإنسان أنه محدث (على)[٨]

= (٢/ ١١٤٧) ك العتق ـ باب تحريم تولي العتيق غير مواليه، وأبو داود (٦/ ١٧-٢٠) ك المناسك ـ باب في تحريم المدينة، والنسائي في سننه الكبرى ـ كتاب الحج، كما في تحفة الأشراف (٧/ ٣٥٠، ٣٥٨)، والترمذي (٤/ ٣٨١-٣٨٢) ك الولاء والهبة ـ باب ما جاء فيمن تولى غير مواليه أو ادعى إلى غير أبيه. والإمام أحمد (١/ ٨١، ١٢٦) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٩/ ٣٠-٣٣) وأبو يعلى في مسنده (١/ ٢٢٨، ٢٨٢) . وفي الباب عن أنس عند البخاري (٨/ ١٤٨-١٤٩) ك الاعتصام بالسنة ـ باب إثم من آوى محدثاً.

(١) هو: عبد الله بن مغفل: بمعجمة وفاء ثقيلة، ابن عبيد بن نهم: بفتح النون وسكون الهاء، أبو عبد الرحمن المزني، صحابي، بايع تحت الشجرة، ونزل البصرة، مات سنة سبع وخمسين، وقيل: بعد ذلك. روى له الستة تقريب التهذيب(١/ ٤٥٣) وتهذيب التهذيب (٦/ ٤٢) وأسد الغابة (٣/ ٢٩٤) والإصابة (٢/ ٤٧٢) .

(٢) لم أعثر له على ترجمة .

(٣) لم أعثر له على تخريج .

(٤) ساقطة من د، س .

(٥) لم أعثر له على تخريج .

(٦) لم عثر له على تخريج .

(٧) في د: الحدث .

(٨) في ع، د، س: في .

الحقيقة، بمعنى مكتسب)[١] .

قلت: هاهنا ألفاظ، وهي فاعل، وعامل، ومكتسب، وصانع، ومحدث، وجاعل، ومؤثر، ومنشئ، وموجد، وخالق، وبارئ، ومصور، وقادر، ومريد، وهذه الألفاظ ثلاثة أقسام :

قسم لم يطلق إلا على الرب سبحانه، كالبارئ والبديع والمبدع .

وقسم لا يطلق إلا على العبد كالكاسب والمكتسب .

وقسم وقع إطلاقه على الرب والعبد، كاسم صانع وفاعل وعامل ومنشئ ومريد وقادر، وأما الخالق والمصور، فإن استعملا مطلقين غير مقيدين لم يطلقا إلا على الرب سبحانه؛ كقوله ﴿ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ﴾[٢] . وإن استعملا مقيدين أطلقا على العبد (كما)[٣] يقال لمن قدر شيئاً في نفسه إنه خلقه قال:

ولأنت تفرِي ما خَلَقتَ وبعـ ـضُ القَومِ يخلُق ثم لا يَفرِي[٤]

أي: لك قدرة تمضي وتنفذ بها ما قدرته في نفسك، وغيرك يقدر أشياء، وهو عاجز عن إنفاذها وإمضائها .

وبهذا الاعتبار صح إطلاق (خالق) على العبد في قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾[٥] أي أحسن المصورين والمقدرين، (والعرب)[٦] تقول:

---

(١) انظر مقالات الإسلاميين ص (٥٤٠) .

(٢) سورة الحشر آية ٢٤ .

(٣) ساقطة من د .

(٤) سبق تخريجه في ص (٤٦٦) .

(٥) سورة المؤمنون آية ١٤ .

(٦) في د: والعرف .

(قدرت الأديم وخلقته: إذا قسته لتقطع منه مزادة أو قربة أو نحوها)[١].

قال مجاهد: ((يصنعون)[٢] ويصنع الله، والله خير الصانعين)[٣].

وقال الليث: رجل خالق: أي صانع، وهن الخالقات، للنساء[٤].

وقال مقاتل: يقول الله تعالى: هو أحسن خلقاً من الذين يخلقون التماثيل وغيرها التي لا يتحرك منها شيء[٥].

وأما البارئ، فلا يصح إطلاقه إلا عليه سبحانه، فإنه الذي برأ الخليقة وأوجدها بعد عدمها، والعبد لا تتعلق قدرته بذلك، إذ غاية مقدوره التصرف في بعض صفات ما أوجده الرب تعالى / وبرأه، وتغييرها من حال ١٢٨أ إلى حال على وجه مخصوص لا تتعداه قدرته، وليس من هذا (بريت القلم) لأنه معتل لا مهموز، ولا (برأت من المرض) لأنه فعل لازم غير متعد.

وكذلك مبدع الشيء وبديعه لا يصح إطلاقه إلا على الرب تعالى، كقوله: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٦]. والإبداع: إيجاد المبدع على غير مثال سابق. والعبد يسمى مبتدعاً، لكونه أحدث قولاً لم تمض به سنة، ثم يقال لمن اتبعه عليه: مبتدع أيضاً.

---

(١) انظر الصحاح (٤/ ١٤٧٠) مادة (خلق).

(٢) في م: يصنع.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ١١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٩٤) ولم ينسبه إلى أحد غير ابن جرير.

(٤) ذكره الواحدي في تفسيره (البسيط)٩ ق(٤٢) مخطوط، محفوظ أصله، وتوجد صورة منه بمركز الملك فيصل بالرياض تحت رقم ١٣٩١/ ف.

(٥) المرجع السابق (ق٤٢-٤٣).

(٦) سورة البقرة آية ١١٧، وسورة الأنعام آية ١٠١.

وأما لفظ الموجد، فلم يقع في أسمائه سبحانه، وإن كان هو الموجد على الحقيقة .

ووقع في أسمائه الواجد، وهو بمعنى الغني الذي له الود، وأما الموجد، فهو مفعل من أوجد، وله معنيان:

أحدهما: أن يجعل الشيء موجوداً، وهو تعدية وجده وأوجده. قال الجوهري: وجد الشيء من عدم، فهو (موجود)، مثل: حم فهو محموم، وأوجده الله. ولا يقال: وجده[١] .

والمعنى الثاني: أوجده: جعل له جدة وغنى، وهذا يتعدى إلى مفعولين. قال في الصحاح: أوجده الله مطلوبه. أي أظفره به، وأوجده، أي أغناه[٢] .

قلت: وهذا يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون من باب حذف أحد المفعولين، أي أوجده مالاً وغنى. وأن يكون من باب صيَّره واجداً. مثل أغناه وأفقره: إذا صيره غنياً وفقيراً. فعلى التقدير الأول يكون تعدية وجد مالاً وغنى وأوجده الله إياه .

وعلى **الثاني:** يكون تعدية وجد وجداً: إذا استغنى . ومصدر هذا الوجد بالضم والفتح والكسر. قال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾[٣] فغير ممتنع أن يطلق على من يفعل بالقدرة المحدثة أنه أوجد مقدوره، كما يطلق عليه أنه فعله وعلمه وصنعه وأحدثه، لا على سبيل الاستقلال. وكذلك لفظ المؤثر لم يرد إطلاقه في أسماء الرب، وقد وقع إطلاق الأثر والتأثير على فعل العبد، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا

(١) انظر الصحاح (٢/ ٥٤٧) مادة (وجد) .

(٢) انظر الصحاح (٢/ ٥٤٧) مادة (وجد) .

(٣) سورة الطلاق آية ٦ .

﴿قَدَّمُوا وَءَاثَٰرَهُمْ﴾[١] قال ابن عباس: ما أثروا / من خير أو شر[٢]. فسمى ١٣٨ب ذلك آثاراً لحصوله بتأثيرهم .

ومن العجيب أن المتكلمين يمتنعون من إطلاق التأثير والمؤثر على من أطلق عليه في القرآن والسنـة، كما قال النبي ﷺ: «يا بني[٣] سلمة: دياركم تكتب آثاركم»[٤] . أي الزموا دياركم. ويخصونه بمن لم يقع إطلاقه عليه في كتاب ولا سنة، وإن استعمل في حقه الإيثار والاستئثار كما قال (أخوة)[٥] يوسف ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ﴾[٦] .

وفي الأثر: (إذا استأثر الله بشيء فاله عنه)[٧] وقال الناظم[٨] :

استأثر الله بالثناء وبالحمد وولى الملامة الرجــلا[٩] .

ولما كان التأثير تفعيلاً من أثرت كذا تأثيراً، فأنا مؤثر لم يمتنع إطلاقه على العبد. قال في الصحاح التأثير: إبقاء الأثر في الشيء[١٠] .

---

(١) سورة يس آية ١٢ .

(٢) سبق تخريجه في ص (٣٧٨) .

(٣) في ع، د، س: لبنى .

(٤) سبق تخريجه في ص (٣٧٩) .

(٥) في ع، د، س: أخو .

(٦) كما حكاه الله عز وجل عنهم في سورة يوسف آية ٩١ .

(٧) لم أعثر له على تخريج .

(٨) هو: الأعشى ميمون بن قيس، سبقت ترجمته في ص (٧٥٣) .

(٩) انظر ديوان الأعشى ص(٢٣٣) شرح وتعليق د. محمد محمد حسين، نشر مكتبة الآداب بالجماميز .

(١٠) انظر الصحاح (٢/ ٥٧٦) مادة (أثر) .

وأما لفظ الصانع، فلم يرد في أسماء الله تعالى ولا يمكن وروده، فإن الصانع من صنع شيئاً عدلاً كان أو ظلماً، سفهاً أو حكمة، جائزاً أو غير جائز، وما انقسم مسماه إلى مدح وذم لم يجيء اسمه المطلق في الأسماء الحسنى، كالفاعل، والعامل، والصانع، والمريد، والمتكلم، لانقسام معاني هذه الأسماء إلى محمود ومذموم، بخلاف العالم والقادر والحي والسميع والبصير. وقد سمى النبي ﷺ العبد صانعاً. قال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا مروان بن معاوية، حدثنا أبو مالك، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة قال: قال النبي ﷺ: « إن الله يصنع كل صانع وصنعته »[1].

وقد أطلق سبحانه على فعله اسم الصنع، فقال: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾[2] وهو منصوب على المصدر، لأن قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾[3] يدل على الصنعة[4]. وقيل: هو نصب على المفعولية، أي انظروا صنع الله، فعلى الأول يكون صنع الله مصدراً بمعنى الفعل، وعلى الثاني يكون بمعنى المصنوع (المفعول)[5]، فإنه الذي / ١٣٩أ يمكن وقوع النظر الرؤية عليه.

وأما الإنشاء، فإنما وقع إطلاقه عليه سبحانه فعلاً كقوله: ﴿ وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴾[6] وقوله: ﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّـٰتٍ ﴾[7] وقوله: ﴿وَنُنشِئَكُمْ

(١) سبق تخريجه والترجمة لرجال إسناده في ص(٦٩٧).

(٢) سورة النمل آية ٨٨.

(٣) سورة النمل آية ٨٨.

(٤) كأنه قيل: صنع الله ذلك صنعاً. انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٣٠).

(٥) في د: والمفعول. بزيادة الواو.

(٦) سورة الرعد آية ١٢.

(٧) سورة المؤمنون آية ١٩.

فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[١] وهو كثير، ولم يرد لفظ المنشئ .

وأما العبد، فيطلق عليه الإنشاء باعتبار آخر، وهو شروعه في الفعل ابتداؤه لـه، يقول: أنشأ يحدثنا، وأنشأ الشي، فهو منشئ لذلك، وهذا إنشاء مقيد، وإنشاء الرب إنشاء مطلق .

وهذه اللفظة تدور على معنى الابتداء، أنشأه الله أي: ابتدأ خلقه، وأنشأ يفعل كذا، وابتدأ، وفلان ينشئ الأحاديث، أي: يبتدئ وضعها، والناشئ: أول ما ينشأ من السحاب. قال الجوهري: وناشئة الليل أول ساعته[٢] .

(قلت: هذا قد قاله غير واحد من السلف: إن ناشئة الليل أوله)[٣] التي منها ينشأ الليل[٤]، والصحيح أنها لا تختص بالساعة الأولى، بل هي ساعاته ناشئة بعد ناشئة، كما انقضت ساعة نشأت بعدها أخرى .

قال أبو عبيدة: ناشئة الليل: ساعاته وآناؤه، ناشئة بعد ناشئة[٥] .

قال الزجاج: ناشئة الليل: كل ما نشأ منه، أي حدث منه، فهو ناشئة[٦] .

قال ابن قتيبة[٧]: هي آناء الليل وساعاته، مأخوذة من نشأت تنشأ نشئاً،

---

(١) سورة الواقعة آية ٦١ .

(٢) انظر الصحاح (١/ ٧٨) مادة (نشأ) .

(٣) ما بين القوسين ساقط من د .

(٤) كابن عمر، وأنس بن مالك، وعلي بن الحسين، وعطاء، وعكرمة . انظر تفسير القرطبي (١٩/ ٢٧) .

(٥) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٢٧٣) . ورواه أيضاً أبو إسحاق الحربي في كتابه غريب الحديث (٢/ ٨٨٢) والأزهري في تهذيب اللغة (١١/ ٤١٩) مادة (نشأ) .

(٦) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢٤٠) .

(٧) سبقت ترجمته في (٥٠٤) .

أي: ابتدأت وأقبلت شيئاً بعد شيء، ونشأها الله فنشأت[١]. والمعنى أن ساعات الليل: الناشئة. وقول صاحب الصحاح منقول عن كثير من السلف. قال علي بن الحسين[٢]: ناشئة الليل ما بين المغرب إلى العشاء[٣].

وهذا قول أنس[٤] وثابت[٥] وسعيد بن جبير[٦] والضحاك[٧] (والحكم[٨])[٩]

---

(١) انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص (٣٦٥).

(٢) هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، زين العابدين، ثقة ثبت، عابد فقيه، فاضل مشهور، قال ابن عيينة عن الزهري: ما رأيت قرشياً أفضل منه، من الثالثة، مات سنة ثلاث وتسعين، وقيل: غير ذلك، وروى له الستة تقريب التهذيب (٢/ ٣٥) وتهذيب التهذيب (٧/ ٣٠٤-٣٠٧) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٨٦-٤٠١).

(٣) رواه محمد بن نصر في قيام الليل، كما في مختصره للمقريزي ص٢٦، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣١٧). وتحرف فيه اسم علي بن الحسين إلى حسين بن علي، وزاد نسبته إلى البيهقي وابن المنذر.

(٤) قول أنس: رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ١٩٧) ك الصلوات ـ باب في الصلاة بين المغرب والعشاء. ومحمد بن نصر في قيام الليل، كما في مختصره للمقريزي ص٢٦. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣١٧) وزاد نسبته إلى البيهقي.

(٥) هو: ثابت بن أسلم البناني: بضم الموحدة، أبو محمد البصري، ثقة عابد، من الرابعة، مات سنة بضع وعشرين ومائة، وله ست وثمانون. روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ٢-٤). ولم أعثر على تخريج لقوله هذا، وفي المصنف لابن أبي شيبة (٢/ ١٩٧) رواية له عن أنس لهذا القول، وكذا في قيام الليل لابن نصر كما في مختصره ص٢٦.

(٦) سبقت ترجمته في ص (١٨٦)، وقوله: رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ١٩٧) باب في الصلاة بين المغرب والعشاء. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣١٧) ولم ينسبه إلى غير ابن أبي شيبة.

(٧) سبقت ترجمته في ص(١٩٩).

(٨) هو الحكم بن عتبة، سبقت ترجمته في ص (٢٥٨).

(٩) في ت: والحاكم.

واختيار الكسائي[١]. قالوا: ناشئة الليل: أوله[٢]. وهؤلاء راعوا معنى الأولية في الناشئة.

وفيها قول ثالث: إن الليل كله ناشئة، وهذا قول عكرمة[٣] وأبي مجلز[٤] ومجاهد[٥] والسدي[٦] وابن الزبير[٧] وابن عباس في رواية.

قال ابن أبي مليكة[٨]: سألت ابن الزبير وابن عباس عن ناشئة الليل،

---

(١) سبقت ترجمته في ص (٦٠٤).

(٢) انظر تهذيب اللغة (١١/ ٤١٩) مادة (نشأ). ورواه أيضاً أبو إسحاق الحربي في كتابه غريب الحديث (٢/ ٨٨١).

(٣) سبقت ترجمته في ص(٣٠١). وروى قوله هذا: ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٩/ ١٢٨).

(٤) هو: لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي البصري، أبو مجلز، بكسر الميم، وسكون الجيم وفتح اللام بعدها زاي، مشهور بكنيته، ثقة، من كبار الثالثة، مات سنة ست وقيل: تسع ومائة، وقيل: قبل ذلك. روى له الستة، تقريب التهذيب (٢/ ٣٤٠) وتهذيب التهذيب (١١/ ١٧١-١٧٢). وروى قوله هذا: ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٩/ ١٢٩). ومحمد بن نصر في قيام الليل كما في مختصره للمقريزي ص٢٦. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣١٧) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد.

(٥) سبقت ترجمته في ص (١٩٠). وروى قوله هذا ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٩/ ١٢٨-١٢٩). ومحمد بن نصر في قيام الليل، كما في مختصره للمقريزي (ص٢٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣١٧) وزاد نسبته إلى الفريابي، وعبد بن حميد.

(٦) رواه محمد بن نصر في قيام الليل، كما في مختصره للمقريزي ص٢٦.

(٧) رواه أبوإسحاق الحربي في كتابه غريب الحديث (٢/ ٨٨١).

(٨) هو: عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أبي مليكة ـ بالتصغير ـ ابن عبد الله بن جدعان، ويقال: اسم أبي مليكة زهير التيمي المدني، أدرك ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ، ثقة فقيه، من الثالثة، مات سنة سبع عشرة ومائة. روى له الستة: تقريب التهذيب (١/ ٤٣١) وتهذيب التهذيب(٥/ ٣٠٦-٣٠٧).

١٣٩ب فقالا: الليل / كله ناشئة[١] .

فهذه أقوال من جعل ناشئة الليل زماناً .

وأما من جعلها فعلاً ينشأ بالليل، فالناشئة عندهم اسم لما يفعل بالليل من القيام. وهذا قول ابن مسعود[٢]، ومعاوية بن قرة[٣] .

وجماعة. قالوا: ناشئة الليل: قيام الليل[٤] .

وقال آخرون، منهم عائشة: إنما يكون القيام ناشئة إذا تقدمه نوم، قالت عائشة: ناشئة الليل: القيام بعد النوم[٥]. (وهو)[٦] قول ابن الأعرابي[٧]، قال: إذا نمت من أول الليل نومة ثم قمت فتلك النشأة، ومنه ناشئة الليل[٨] .

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٩/ ١٢٨) والبيهقي في سننه (٢/ ٥٠٠) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣١٦) وزاد نسبته إلى الفريابي وابن أبي حاتم .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٠٥) وقال: حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣١٦) وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٣) هو: معاوية بن قرة بن إياس بن هلال المزني، أبو إياس البصري، ثقة عالم، من الثالثة، مات سنة ثلاث عشرة ومائة، وهو ابن ست وسبعين سنة. روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ٢٦١) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢١٦-٢١٧) . وروى قوله هذا: محمد بن نصر في قيام الليل كما في مختصره للمقريزي ص (٢٦) .

(٤) ذكر هذه الأقوال الأزهري في تهذيب اللغة (١١/ ٤١٩) مادة (نشأ) . وأبو إسحاق الحربي في كتابه غريب الحديث (٢/ ٨٨١) .

(٥) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (١١/ ٤١٩) مادة (نشأ). والقرطبي في تفسيره (١٩/ ٢٧-٢٨) والواحدي في تفسيره (البسيط) ق(١٤٤) مرجع سابق انظر ص(٢٥٤).

(٦) في ع، د س: وهذا .

(٧) سبقت ترجمته في ص (٥٤٨) .

(٨) ذكره الواحدي في تفسيره (البسيط) ق(١٤٤). مرجع سابق .

فعلى قول الأولين ناشئة الليل (إضافة)[١] بمعنى (من)، إضافة نوع إلى جنسه أي ناشئة منه .

وعلى قول هؤلاء إضافة بمعنى (في)، أي طاعة ناشئة فيه، والمقصود أن الإنشاء ابتداء، سواء تقدمه مثله كالنشأة الثانية، أو لم يتقدمه كالنشأة الأولى.

وأما الجعل، فقد أطلق على الله سبحانه بمعنيين:

أحدهما: الإيجاد والخلق .

والثاني: التصيير، فالأول يتعدى إلى مفعول؛ كقوله: ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾[٢] والثاني أكثر ما يتعدى إلى مفعولين؛ كقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[٣] وأطلق على العبد بالمعنى الثاني خاصة كقوله: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا ﴾[٤] وغالب ما يستعمل في حق العبد في جعل التسمية والاعتقاد حيث لا يكون له صنع في المجعول، كقوله: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾[٥] وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا ﴾[٦] .

وهذا (متعد)[٧] إلى واحد وهو جعل اعتقاد وتسمية .

---

(١) ساقطة من د، س .

(٢) سورة الأنعام آية ١ .

(٣) سورة الزخرف آية ٣

(٤) سورة الأنعام آية ١٣٦ .

(٥) سورة الزخرف آية ١٩ .

(٦) سورة يونس آية ٥٩ .

(٧) في ع، د، س: يتعدى .

وأما الفعل والعلم، فإطلاقه على العبد كثير، ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[(١)] وقوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[(٢)] ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[(٣)].

وأطلق على نفسه فعلاً واسماً، فالأول كقوله: ﴿ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾[(٤)] والثاني كقوله: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[(٥)]. وقوله: ﴿ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ في موضعين من كتابه:

أحدهما: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾[(٦)].

١٤٠أ **والثاني:** / قوله: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[(٧)].

فتأمل قوله: ﴿كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ في هذين الموضعين المتضمنين للصنع العجيب الخارج عن العادة كيف تجده كالدليل على ما أخبر به، وأنه لا يستعصي على الفاعل حقيقة، أي شأننا الفعل كما لا يخفى الجهر والإسرار

---

(١) سورة المائدة آية ٧٩ .

(٢) سورة المائدة آية ٦٢ .

(٣) سورة المائدة آية ١٠٥، وسورة الأنعام آية ٦٠، وسورة الأعراف آية ٤٣، وسورة التوبة آية ٩٤، ١٠٥، وسورة يونس آية ٢٣، وسورة النحل آية ٢٨، ٣٢، وسورة العنكبوت آية ٨، وسورة لقمان آية ١٥، وسورة السجدة آية ١٤، وسورة الزمر آية ٧، وسورة الزخرف آية ٧٢، وسورة الطور آية ١٩، وسورة المرسلات آية ٤٣.

(٤) سورة إبراهيم آية ٢٧ .

(٥) سورة هود آية ١٠٧، وسورة البروج آية ١٦ .

(٦) سورة الأنبياء آية ٧٩ .

(٧) سورة الأنبياء آية ١٠٤ .

بالقول على من شأنه العلم والخبرة، ولا تصعب المغفرة على من شأنه أن يغفر الذنوب، ولا الرزق على من شأنه أن يرزق العباد.

وقد وقع الزَّجَّاج على هذا المعنى بعينه، فقال: ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (أي)[١] قادرين على فعل ما نشاء[٢][٣].

* * *

(١) ساقطة من ع، د، س.

(٢) في ت: زيادة: به.

(٣) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٤٠٧).

الباب الثامن عشر

في فعل وأفعل في القضاء والقدر والكسب وذكر الفعل والانفعـــال

الباب الثامن عشر
في فعل وأفعل في القضاء والقدر والكسب وذكر الفعل والانفعال

ينبغي الاعتناء بكشف هذا الباب وتحقيق معناه، فبذلك ينحل عن العبد أنواع من ضلالات القدرية والجبرية، حيث لم يعطوا هذا الباب حقه من العرفان.

اعلم أن الرب تعالى فاعل غير منفعل، والعبد فاعل منفعل، وهو في فاعليته منفعل للفاعل الذي لا ينفعل بوجه .

فالجبرية شهدت كونه منفعلاً يجري عليه الحكم بمنزلة الآلة والمحل، وجعلوا حركته بمنزلة حركات الأشجار، ولم يجعلوه فاعلاً إلا على سبيل المجاز، فقام وقعد، وأكل وشرب، وصلى وصام، عندهم بمنزلة مرض، وألم ومات، ونحو ذلك مما هو فيه منفعل (محض)[١] .

والقدرية شهدت كونه فاعلاً محضاً غير منفعل في فعله .

وكل من الطائفتين نظر بعين عوراء، وأهل العلم والاعتدال أعطوا كلا المقامين حقه، ولم يبطلوا أحد الأمرين بالآخر، فاستقام لهم نظرهم ومناظرتهم، واستقر عندهم الشرع والقدر في نصابه، (وشهدوا)[٢] وقوع الثواب والعقاب على من هو أولى به، فأثبتوا نطق العبد حقيقة، وإنطاق / ١٤٠ب الله له حقيقة، قال تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ

---

(١) في د : محضاً .

(٢) في ع ، د، س :ومهدوا .

﴿ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾(١) فالإنطاق (فعل)(٢) الله الذي لا يجوز تعطيله، والنطق فعل العبد الذي لا يمكن إنكاره، كما قال تعالى : ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾(٣) فعلم أن كونهم ينطقون هو أمر حقيقي (حتى)(٤) شبه في تحقيق (كونه)(٥) ما أخبر به، وأن هذا حقيقة (لا مجاز. ومن جعل إضافة نطق العبد إليه مجازاً لم يكن ناطقاً عنده حقيقة)(٦) فلا يكون التشبيه بنطقه محققاً لما أخبر به فتأمله .

ونظير هذا قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾(٧) فهو المضحك المبكي حقيقة، والعبد هو الضاحك الباكي حقيقة، كما قال تعالى : ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾(٨) ، وقال تعالى : ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾(٩) فلولا المنطق الذي أنطق، والمضحك، المبكي الذي أضحك وأبكى لم يوجد ناطق ولا ضاحك ولا باك. فإذا أحب (عبده)(١٠) أنطقه بما يحب

(١) سورة فصلت آية ٢١ .

(٢) في ت : قول .

(٣) سورة الذريات آية ٢٣ .

(٤) في ع : حين .

(٥) في د ، س : كون .

(٦) ما بين القوسين ساقط من م .

(٧) سورة النجم آية ٤٣ .

(٨) سورة التوبة آية ٨٢ .

(٩) سورة النجم آية ٥٩-٦٠ .

(١٠) في ع ، د ، س : عبداً .

(فأثابه)[١] عليه، وإذ أبغضه أنطقه بما يكره على لسان هذا، كما أنه أجرى على قلب هذا ما أضحكه، وعلى قلب هذا ما أبكاه .

وكذلك قوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾[٢] وقوله : ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٣] فالتسيير فعله حقيقة، والسير فعل العبد حقيقة، فالتسيير فعل محض، والسير فعل وانفعال. ومن هذا قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾[٤] فهو سبحانه المزوج ، ورسوله المتزوج. وكذلك قولـه : ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾[٥] فهو المزوج، وهم المتزوجون. وقد جمع سبحانه بين الأمرين في قولـه : ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾[٦] فالإزاغة فعله، والزيغ فعلهم .

فإن قيل : أنتم قررتم أنه لم يقع منهم / الفعل إلا بعد فعله، وأنه لولا ١٤١أ إنطاقه لهم، وإضحاكه وإبكاؤه، لما نطقوا ولا ضحكوا ولا بكوا، وقد دلت هذه الآية على أن فعله بعد فعلهم، وأنه أزاغ قلوبهم بعد أن زاغوا، وهذا يدل على أن إزاغة قلوبهم هو حكمه عليها بالزيغ لا جعلها زائغة، وكذلك

---

(١) في ع، د، س : وأثابه .

(٢) سورة يونس آية ٢٢ .

(٣) سورة الأنعام آية ١١ . وسورة النمل آية ٦٩، وسورة العنكبوت آية ٢٠ . وسورة الروم آية ٤٢ .

(٤) سورة الأحزاب آية ٣٧ .

(٥) سورة الدخان آية ٥٤ .

(٦) سورة الصف آية ٥ .

قولـه : ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ﴾(١) والمراد (به)(٢) جعل لنا آلة النطـق، (و)(٣) ﴿أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾(٤) جعل لهم آلة الضحك والبكاء .

قيل : أما الإزاغة المترتبة على زيغهم، فهي إزاغة أخرى غير الإزاغة التي زاغوا بها أولاً عقوبة لهم على زيغهم والرب تعالى يعاقب على السيئة بمثلها كما يثيب على الحسنة بمثلها. فحدث لهم زيغ آخر غير الزيغ الأول، فهم زاغوا أولاً، فجازاهم الله بإزاغة فوق زيغهم (فأحدثت لهم تلك الإزاغة زيغاً فوق زيغهم)(٥) .

فإن قيل : فالزيغ الأول من فعلهم، وهو مخلوق لله فيهم على غير وجه الجزاء وإلا تسلسل الأمر .

قيل : بل الزيغ الأول وقع جزاءً لهم وعقوبة على تركهم الإيمان والتصديق لما جاءهم (الهدى)(٦)، وهذا الترك أمر عدمي لا يستدعي فاعلاً، فإن تأثير الفاعل إنما (هو)(٧) في الوجود لا في العدم .

فإن قيل : فهذا الترك العدمي له سبب أو لا سبب له .

قيل : سببه عدم سبب ضده، فبقي على العدم الأصلي، ويشبه هذا قوله

---

(١) سورة فصلت آية ٢١ .

(٢) ساقطة من د ، س .

(٣) ساقطة من د .

(٤) سورة النجم آية ٤٣ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من ع ، د ، س .

(٦) في ع ، د، س : من الهدى .

(٧) ساقطة من د .

سبحانه: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾(١) عاقبهم على نسيانهم له بأن أنساهم أنفسهم، فنسوا مصالحها أن يفعلوها، وعيوبها أن يصلحوها، وحظوظها أن يتناولوها. ومن أعظم مصالحها وأنفع حظوظها ذكرها لربها وفاطرها، (ومن)(٢) لا نعيم لها ولا سرور ولا فلاح ولا صلاح إلا بذكره وحبه وطاعته، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، فأنساهم ذلك لما نسوه، وأحدث لهم هذا النسيان نسياناً آخر، وهذا / ضد حال الذين ١٤١ب ذكروه ولم ينسوه، فذكرهم مصالح نفوسهم ففعلوها، وأوقفهم على عيوبها فأصلحوها، وعرفهم حظوظها العالية، فبادروا إليها، فجازى أولئك على نسيانهم بأن أنساهم الإيمان (به)(٣) ومحبته وذكره وشكره، فلما خلت قلوبهم لم (يجدوا)(٤) عن ضده محيصاً. وهذا يبين لك كمال عدله سبحانه في تقدير الكفر والذنوب عليها. وإذا كان قضاؤه عليها بالكفر والذنوب عدلاً منه (فيها)(٥) فقضاؤه عليها بالعقوبة أعدل وأعدل، فهو سبحانه ماض في عدله وحكمه، وعدل فيه قضاؤه. وله فيها قضاءان : قضاء السبب، وقضاء المسبب، وكلاهما عدل فيه، فإنه لما ترك ذكره وترك فعل ما يحبه عاقبه بنسيان نفسه، فأحدث له هذا النسيان ارتكاب ما يبغضه ويسخطه بقضائه، الذي هو عدل، فترتبت له على الفعل والترك عقوبات وآلام لم يكن له منها بد، بل

---

(١) سورة الحشر آية ١٩ .

(٢) في ع ، د ، س: وهي .

(٣) ساقطة من ع ، د ، س .

(٤) في م ، ت : يجد .

(٥) في ع ، د ، س : عليها .

هي مترتبة عليه ترتب المسببات على أسبابها. (فهي)[١] عدل محض من الرب تعالى، فعدل في العبد أولاً وآخراً، فهو محسن في عدله محبوب عليه محمود فيه، ويحمده من عدل فيه طوعاً وكرهاً، قال الحسن : لقد دخلوا النار وإن حمده لفي قلوبهم ما وجدوا عليه سبيلاً[٢] .

وسنزيد هذا الموضع بسطاً وتبياناً في باب دخول الشر في القضاء (الإلهي)[٣] إن شاء الله[٤]، إذ المقصود هاهنا بيان كون العبد فاعلاً منفعلاً، والفرق في هذا الباب بين فعل وأفعل وأن الله سبحانه أفعل، والعبد فعل، فهو الذي أقام العبد وأضله وأماته، والعبد هو الذي قام وضل ومات .

وأما قولكم: إن معنى أنطقه وأضحكه وأبكاه: جعل له آلة ينطق بها ويضحك ويبكي، فإعطاؤه الآلة وحدها لا يكفي في صدق (الفعل)[٥] بأنه أنطقه وأضحكه، فلو أن رجلاً صمت يوماً كاملاً / فحلف حالف أن الله ١٤٢أ أنطقه، لكان كاذباً حانثاً، ولو دعوت كافرين إلى الإسلام فنطق أحدهما بكلمة الشهادة، وسكت الآخر، لم يقل أحد قط : إن الله قد أنطق الساكت كما أنطق المتكلم، وكلاهما قد أعطي آلة النطق، ومتعلق الأمر والنهي والثواب والعقاب، والفعل لا الإفعال .

---

(١) في ع ، د ، س : فهو .

(٢) لم أعثر له على تخريج .

(٣) في م ، ت : الأكبر .

(٤) وهو الباب الحدي والعشرون من هذا الكتاب .

(٥) في د : القول .

فإن قيل: هل تطردون هذا في جميع أفعال العبد من كفره وزناه وسرقته، فتقولون: إن الله أفعله، وهو الذي فعل، أم تخصون ذلك ببعض الأفعال فيظهر تناقضكم؟

قيل: هاهنا أمران: أمر لغوي، وأمر معنوي، فأمّا اللغوي، فإن ذلك لا يطرد في لغة العرب، ولا يقولون: أزنى الله الرجل وأسرقه وأشربه وأقتله إذا جعله يزني ويسرق ويشرب ويقتل، وإن كان في لغتها: أقامه وأقعده وأنطقه وأضحكه وأبكاه أضله، وقد يأتي هذا مضاعفاً كفهَّمه وعلَّمه وسيَّره، قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾[١] فالتفهيم منه سبحانه والفهم من نبيه سليمان، وكذلك قوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[٢] فالتعليم منه سبحانه، وكذلك التيسير، والسير والتعلم من العبد، فهذا المعنى ثابت في جميع الأفعال، فهو سبحانه الذي جعل العبد فاعلاً كما قال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[٣]، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾[٤] فهو سبحانه الذي جعل أئمة الهدى يهتدون بأمره، وجعل أئمة الضلال والبدع يدعون إلى النار، فامتناع إطلاق أكلمه فتكلم، لا يمنع من إطلاق أنطقه فنطق. وكذلك امتناع إطلاق أهداه بأمره وأدعاه إلى النار (لا يمنع)[٥] إطلاق جعله يهدي بأمره ويدعو إلى النار.

---

(١) سورة الأنبياء آية ٧٩.

(٢) سورة الكهف آية ٦٥.

(٣) سورة الأنبياء آية ٧٣.

(٤) سورة القصص آية ٤١.

(٥) في د، س: لا يمنع من إطلاق - بزيادة (من).

فإن قيل : ومع ذلك كله تقولون إن الله سبحانه هو الذي جعل الزانيين يزنيان، وهو الذي جمع بينهما على الفعل، وساق أحدهما إلى صاحبه ؟

١٤٢ب قيل : أصل / بلاء أكثر الناس من جهة الألفاظ المجملة التي تشتمل على حق وباطل، فيطلقها من يريد حقها، فينكرها من يريد باطلها . فيرد عليه من يريد حقها. وهذا باب إذا تأمله الذكي الفطن رأى منه عجائب، وخلصه من ورطات تورط فيها أكثر الطوائف. فالجعل المضاف إلى الله سبحانه يراد به الجعل الذي يحبه ويرضاه، والجعل الذي قدره وقضاه، قال الله تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾[1] فهذا (نفي)[2] لجعله الشرعي الديني، أي ما شرع ذلك ولا أمر به ولا أحبه ورضيه، قال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾[3] فهذا جعل كوني قدري، أي: قدرنا ذلك وقضيناه، وجعل العبد إماماً يدعو إلى النار أبلغ من جعله يزني ويسرق ويقتل. وجعله أيضاً كذلك لفظ مجمل[4] يراد به أنه جبره وأكرهه عليه، واضطره إليه، وهذا محال في حق الرب تعالى وكماله المقدس يأبى ذلك، وصفات كماله تمنع منه كما تقدم، ويراد به أنه مكنه من ذلك، وأقدره عليه من غير أن يضطره إليه ولا أكرهه ولا أجبره، فهذا حق.

فإن قيل : هذا كله عدول عن المقصود، فمن أحدث معصيته وأوجدها

---

(١) سورة المائدة آية ١٠٣ .

(٢) في ت : بمعنى .

(٣) سورة القصص آية ٤١ .

(٤) في د : لفظ مجمل (لا) يراد به ، والصواب ما أثبت .

وأبرزها من العدم إلى الوجود ؟

قيل : الفاعل لها هو الذي أوجدها وأحدثها وأبرزها من العدم إلى الوجود بإقدار الله له ذلك، وتمكينه منه، من غير إلجاء له ولا اضطرار منه (له)[1] إلى فعلها.

فإن قيل: فمن الذي خلقها إذاً ؟

قيل لكم : ومن الذي فعلها؟

فإن قلتم الرب تعالى هو الفاعل للفسوق والعصيان أكذبتم العقل والفطرة، وكتب الله المنزلة، وإجماع رسله، وإثبات حمده وصفات كماله، فإن فعله سبحانه كله خير، وتعالى أن يفعل شراً بوجه من الوجوه فالشر / ليس ١٤٢أ إليه والخير هو الذي إليه، ولا يفعل إلا خيراً، ولا يريد إلا خيراً (ولا يشاء إلا خيراً)[2] ولو شاء لفعل غير ذلك، لكنه تعالى (منزه)[3] عن فعل ما لا ينبغي وإرادته ومشيئته، كما هو منزه عن الوصف به والتسمية (باسمه)[4] .

(وإن قلتم : العبد هو الذي فعلها بما خلق فيه من الإرادة والمشيئة)[5] قيل: فالله تعالى خالق أفعال العباد كلها بهذا الاعتبار. ولو سلك الجبري مع القدري هذا المسلك لاستراح معه وأراحه، وكذلك القدري معه ولكن

---

(١) ساقطة من ع ، د ، س .

(٢) ما بين القوسين ساقط من ع ، د ، س .

(٣) في ع ، د، س : تنزه .

(٤) في ع ، د ، س : به .

(٥) ما بين القوسين ساقط من م .

انحرف الفريقان عن سواء السبيل (كما قال)[١] .

سارت مشرقة وسرت مغرباً   شتان بين مشرق ومغرب[٢]

فإن قيل : فهل يمكنه الامتناع منها وقد خلقت فيه نفسها أو أسبابها الموجبة لها، وخلق السبب الموجب، خلق لمسببه وموجبه ؟

قيل : هذا السؤال يورد على وجهين :

أحدهما : أن يراد به أنه يصير مضطراً إليها، ملجأ إلى فعلها بخلقها أو خلق أسببها (فيه)[٣]، بحيث لا يبقى له اختيار في نفسه ولا إرادة، وتبقى حركته قسرية لا إرادية .

والثاني : أنه هل لاختياره وإرادته وقدرته تأثير فيها ؟

أو التأثير لقدرة الرب ومشيئته فقط؟ ، وذلك هو السبب الواجب للفعل.

فإن أوردتموه على الوجه الأول، فجوابه أنه يمكنه أن يفعل وأن لا يفعل ولا يصير مضطراً ملجأ (بخلقها)[٤] فيه ولا بخلق أسبابها ودواعيها، فإنها إنما خلقت فيه على وجه يمكنه فعلها وتركها (فلو)[٥] لم يمكنه الترك لزم اجتماع النقيضين، وأن يكون مريداً غير مريد، فاعلاً غير فاعل، ملجأ غير ملجئ. وإن أوردتموه على الوجه الثاني، فجوابه أن لإرادته وإخباره وقدرته (أثراً)[٦]

---

(١)ساقط من م، ت .

(٢)ذكره المؤلف في كتابه الكلام على مسألة السماع ، ولم أعرف قائله .

(٣) ساقطة من ع ، د ، س .

(٤) ساقطة من م .

(٥) في ع ، د ، س : ولو .

(٦) في م ، ت : أثر ، ولعله سهو من الناسخ .

فيها، وهي السبب الذي خلقها الله به في العبد، فقولكم إنه لا يمكنه الترك مع الاعتراف بكونه متمكناً من الفعل جمع بين النقيضين، فإنه إذا تمكن من الفعل كان الفعل اختيارياً إن شاء / فعله وإن شاء لم يفعله، فكيف يصح أن ١٤٣ب يقال: لا يمكنه ترك الفعل الاختياري الممكن؟ هذا خلف من القول، وحقيقة الأمر أنه يمكنه الترك لو أراده، لكنه لا يريده، فصار لازماً بالإرادة الجازمة.

فإن قيل : فهذا يكفي في كونه مجبوراً عليه، قيل: (بل)[1] هذا من أدل شيء على بطلان الجبر، فإنه إنما لزم بإرادته المنافية للجبر، ولو كان وجوب الفعل بالإرادة يقتضي الجبر، لكان الرب تعالى وتقدس مجبوراً على أفعاله لوجوبها بإرادته ومشيئته، وذلك محال .

فإن قيل: الفرق أن إرادة الرب تعالى من نفسه لم يجعله غيره مريداً، والعبد إرادته من ربه، إذ هي مخلوقة له، فإنه هو الذي جعله مريداً.

قيل : هذا موضع اضطرب فيه الناس، فسلكت فيه القدرية وادياً، وسلكت الجبرية وادياً . فقالت القدرية : العبد هو الذي يحدث إرادته وليست مخلوقة لله ، والله مكنه من إحداث إرادته بأن خلقه كذلك .

وقالت الجبرية : بل الله تعالى هو الذي يحدث إرادات العبد شيئاً بعد شيء، وإحداث الإرادات فيه كإحداث لونه، وطوله، وقصره، وسواده، وبياضه، مما لا صنع له فيه البتة. فلو أراد أن لا يريد لما أمكنه ذلك، وكان كما لو أراد أن يكون طوله وقصره ولونه على غير ما هو عليه، فهو مضطر إلى الإرادة . وكل إرادة من إراداته، فهي متوقفة على مشيئة الرب تعالى لها

---

(١) ساقطة من ع ، د ، س .

بخصوصها، فهي مرادة له سبحانه كما هي معلومة مقدورة، فلزمهم القول بالجبر من هذه الجهة، ومن جهة نفيهم أن يكون لإرادة العبد وقدرته أثر في الفعل .

فإن قيل : فأي وادٍ تسلكونه غير هذين الواديين، وأي طريق تمرون فيها سوى هذين الطريقين ؟

قيل : نعم، هاهنا طريق ثالثة لم يسلكها الفريقان، ولم تهتد إليها الطائفتان، ولو حكمت كل طائفة ما معها من الحق / والتزمت لوازمه وطردته، لساقها إلى هذه الطريق، ولأوقعها على المحجة المستقيمة. فنقول وبالله التوفيق، وهو المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله : العبد بجملته مخلوق لله، جسمه وروحه، وصفاته، وأفعاله، وأحواله، فهو مخلوق من جميع الوجوه، وخلق على نشأة وصفة يتمكن بها من إحداث إرادته وأفعاله. وتلك النشأة بمشيئة الله وقدرته وتكوينه، فهو الذي خلقه وكونه كذلك، وهو لم يجعل نفسه كذلك، بل خالقه وبارئه جعله محدثاً لإرادته وأفعاله، وبذلك أمره ونهاه، وأقام عليه حجته وعرضه للثواب والعقاب، فأمره بما هو متمكن من إحداثه ونهاه عما هو متمكن من تركه، ورتب ثوابه وعقابه على هذه الأفعال والتروك التي مكنه منها، وأقدره عليها، وناطها به، وفطر خلقه على مدحه وذمه عليها، مؤمنهم وكافرهم، المقر بالشرائع منهم والجاحد لها، فكان مريداً شائياً (بمشيئة الله له، ولولا مشيئة الله أن يكون شائياً، لكان أعجز وأضعف من أن يجعل نفسه شائياً)[1] .

١٤٤أ

(١) ما بين القوسين ساقط من ت .

فالربُّ تعالى أعطاه مشيئة وقدرة وإرادة ، وعرفه ما ينفعه وما يضره، وأمره أن يجري مشيئته وإرادته وقدرته في الطريق التي يصل بها إلى غاية صلاحه، فإجراؤها في طريق هلاكه بمنزلة من أعطى عبده فرساً يركبها وأوقفه على طريق نجاة وهلكة، وقال: أجرها في هذا الطريق، فعدل بها إلى الطريق الأخرى، وأجراها فيها، فغلبته بقوة بأسها وشدة سيرها، وعز عليه ردها عن جهة جريها، وحيل بينه وبين (إدارتها)[1] إلى ورائها مع اختيارها وإرادتها. فلو قلت: كان ردها عن طريقها ممكناً له مقدوراً أصبت، وإن قلت: لم يبق في هذه الحال بيده من أمرها شيء، ولا هو متمكن (منه)[2] أصبت، بل قد حال بينه وبين ردها من يحول بين المرء وقلبه، ومن يقلب أفئدة المعاندين وأبصارهم، وإذا / أردت فهم هذا على الحقيقة، فتأمل حال ١٤٤ب من عرضت له صورة بارعة الجمال، فدعاه حسنها إلى محبتها، فنهاه عقله وذكره ما في ذلك من التلف والعطب، وأراه مصارع العشاق عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه، فعاد يعاود النظر مرة (بعد)[3] مرة، ويحث نفسه على التعلق وقوة الإرادة (ويحرص)[4] على أسباب المحبة، ويدني الوقود من النار ، حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها، ورمت بشررها، وقد أحاطت به ، طلب الخلاص، قال له القلب هيهات لات حين مناص، وأنشده :

---

(١) في ع ، ت : إرادتها .
(٢) ساقطة من ع ، د ، س .
(٣) ساقطة من د ، س .
(٤) في د : يحرضها .

تولـع بالعشـق حـتى عشـق ... فـلما اسـتقل بـه لم يطـق

رأى لـجـة ظـنهـا موجـة ... فـلما تمكـن مـنها غـرق[(١)]

فكان الترك أولاً مقدوراً له لما لم يوجد السبب التام والإرادة الجازمة الموجبة للفعل، فلما تمكن الداعي واستحكمت الإرادة قال المحب لعاذله :

يـا عـاذلي والأمـر في يـده ... هـلا عذلـت وفي يـدي الأمـر[(٢)]

فكان أول الأمر إرادة واختياراً ومحبة، ووسطه اضطراراً، وآخره عقوبة وبلاءً. ومثل هذا برجل ركب فرساً لا يملكه راكبه، ولا يتمكن من رده، وأجراه في طريق ينتهي به إلى موضع هلاك، فكان الأمر إليه قبل ركوبها، فلما توسطت به الميدان خرج الأمر عن يده، فلما وصلت به إلى الغاية حصل على الهلاك. ويشبه هذا حال السكران الذي قد زال عقله إذا (جنى)[(٣)] في حال سكره لم يكن معذوراً لتعاطيه السبب اختياراً، فلم يكن معذوراً بما ترتب عليه اضطراراً. وهذا مأخذ من أوقع طلاقه من الأئمة[(٤)] ،

---

(١) سبق ذكر هذين البيتين في ص (٦١٣) .

(٢) لم أعرف اسم قائله .

(٣) في ع : كان عليه ، وفي د ، س : جنى عليه .

(٤) منهم الإمام مالك، والشافعي، وأبو حنيفة. انظر للمالكية بداية المجتهد (٢/ ٨٣) للقاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد ط (٣) نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٧٩هـ . وللشافعية شرح المنهج للأنصاري (٣/ ٢٢٣) المطبوع مع حاشية سليمان الجمل، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت . وللحنفية المختار وشرحه الاختيار لابن مودود الموصلي (٣/ ١٢٤) ط الأولى ، نشر مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة .

ولهذا قالوا: إذا زال عقله بسبب يعذر فيه لم يقع طلاقه، فجعلوا وقوع الطلاق عليه من تمام عقوبته(١) .

والذين لم يوقعوا الطلاق قولهم أفقه، كما أفتى به عثمان(٢) بن عفان(٣)، ولم يعلم له في الصحابة مخالف، ورجع (إليه)(٤) الإمام أحمد، واستقر / عليه قوله(٥)، ١٤٥أ فإن الطلاق ما كان عن وطر(٦)، والسكران لا وطر له في الطلاق. وقد حكم

---

(١) ولهم مآخذ أخرى ذكرها المؤلف في كتابه زاد المعاد (٤/ ٤٠-٤١) ورد عليها .

(٢) هو : عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي، أمير المؤمنين، ذو النورين، أحد السابقين الأولين، والخلفاء الأربعة، والعشرة المبشرين بالجنة، استشهد في ذي الحجة، بعد عيد الأضحى سنة خمس وثلاثين، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة، وعمره ثمانون، وقيل: أكثر ، وقيل: أقل. روى له الستة. تقريب التهذيب (٢/ ١٢) وتهذيب التهذيب (٧/ ١٣٩-١٤٢) وأسد الغابة (٣/ ٤٨٠-٤٩٢) والإصابة (٢/ ٤٦٢-٤٦٣) .

(٣) رواه البخاري في (٦/ ١٦٨) ك الطلاق - باب الطلاق في الإغلاق والكره والسكران والمجنون معلقاً بصيغة الجزم . ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٩) ك الطلاق - باب من كان يرى طلاق السكران جائزاً. والبيهقي في سننه (٧/ ٣٥٩) ك الخلع والطلاق - باب من قال : لا يجوز طلاق السكران ولا عتقه. وقد نقل ابن قدامة في المغني (١٠/ ٣٤٧) تحقيق د. عبد الله التركي ود. عبد الفتاح الحلو ، ط الأولى ١٤١١هـ نشر دار هجر بالقاهرة، عن ابن المنذر، قوله: هذا ثابت عن عثمان، ولا نعلم أحداً من الصحابة خالفه .

(٤) في ع ، د ، س : عليه .

(٥) لم أعثر على هذا القول في المغني، ولا في مسائل الإمام أحمد لابن هانئ تحقيق زهير الشاويش، ط (١) ١٤٠٠هـ نشر المكتب الإسلامي، بيروت ولا في مسائل الإمام أحمد لأبي داود سليمان بن الأشعث (صاحب السنن) نشر دار المعرفة ، بيروت.

(٦) قوله: (فإن الطلاق ما كان عن وطر) مقتبس من قول ابن عباس رضي الله عنهما: =

النبي ﷺ بعدم وقوع الطلاق في حال الغَلَقِ[١]، والسُّكْر من الغَلَقِ، كما أن

= الطلاق عن وطر . الذي رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٦٩) ك الطلق ـ باب الطلاق في الإغلاق والكره والسكران والمجنون، معلقاً بصيغة الجزم. ولم يذكر الحافظ في الفتح عن وصله شيئاً. وذكره المؤلف في كتابه إعلام الموقعين (٣/ ٥٣) ونسبه إلى ابن عباس . وفسر الوطر بأنه ما كان عن غرض من المطلق في وقوعه. ثم قال: وهذا من كمال فقه ابن عباس رضي الله عنهما وأجابة الله عز وجل دعاء رسوله ﷺ له .

(١) كما في الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: **«لا طلاق، ولا عتاق في إغلاق»**، الحديث أخرجه : أبو داود في سننه (٦/ ٢٦١) ك الطلاق ـ باب في الطلاق على غضب . وابن ماجه (١/ ٦٥٩-٦٦٠) ك الطلاق باب طلاق المكره والناسي. والإمام أحمد (٦/ ٢٧٦) . وابن أبي شيبة (٥/ ٤٩) ك الطلاق باب من لم ير طلاق المكره شيئاً، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٩٨) ك الطلاق، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي فقال: محمد بن عبيد لم يحتج به مسلم ، وقال أبوحاتم: ضعيف. وقال الحاكم أيضاً (٢/ ١٩٨) (وقد تابع) أبو صفوان الأموي محمد بن إسحاق على روايته عن ثور بن يزيد فأسقط من الإسناد محمد بن عبيد . ثم ذكر هذه الرواية . وتعقبه الذهبي، فقال: نعيم صاحب مناكير، يعني نعيم بن حماد الراوي عن أبي صفوان الأموي. ورواه الدارقطني في سننه (٤/ ٣٦) ك الطلاق والخلع والإيلاء وغيره. والبغوي في شرح السنة (٩/ ٢٢٢) وقال الألباني: في سنده محمد بن عبيد بن أبي صالح وهو ضعيف . والبيهقي في سننه (٧/ ٣٥٧) ك الخلع والطلاق ـ باب ما جاء في طلاق المكره و(١٠/ ٦١) ك الإيمان ـ باب جامع الأيمان من حنث ناسياً ليمينه أو مكرهاً عليه. وأبو يعلى في مسنده (٧/ ٤٢١) و(٨/ ٥٢-٥٣) . وذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني في التلخيص الحبير (٣/ ٢١٠) وقال : في إسناده محمد بن عبيد بن أبي صالح، وقد ضعفه أبو حاتم الرازي، ورواه البيهقي من طريق ليس فيها ، ولكن لم يذكر عائشة .

الإكراه والجنون من الغلق، بل قد نص الإمام أحمد وأبو عبيد[١] وأبو داود على (أن)[٢] الغضب إغلاق، وفسر به الإمام أحمد الحديث في رواية أبي طالب[٣]، وهذا يدل على أن مذهبه أن طلاق الغضبان لا يقع، وهذا هو الصحيح الذي يفتى به إذا كان الغضب شديداً قد أغلق عليه قصده، فإنه يصير بمنزلة السكران والمكره، بل قد يكونان أحسن حالاً منه، فإن العبد في حال شدة غضبه يصدر منه ما لا يصدر من السكران من الأقوال والأفعال[٤].

وقد أخبر الله سبحانه أنه لا يجيب دعاءه على نفسه وولده في هذه الحال، ولو أجابه لقضي إليه أجله[٥]، وقد عذر سبحانه من اشتد به الفرح بوجود

---

(١) لم أعثر على قول أبي عبيد في كتابه غريب الحديث. وذكره ابن قدامة في المغني (١٠/ ٣٥١).

(٢) ساقطة من م.

(٣) هو: أحمد بن حميد المشكاني، المتخصص بصحبة الإمام أحمد، روى عنه مسائل كثيرة لم تنتشر، لقرب موته من موت الإمام أحمد، كان أحمد يكرمه ويقدره، وكان رجلاً صالحاً، توفي سنة ٢٤٢هـ. طبقات الحنابلة (١/ ٣٩-٤٠)، ومناقب الإمام أحمد ص١٢٥، تحقيق د. عبد الله التركي ط الأولى ١٣٩٩هـ، نشر مكتبة الخانجي بمصر، والمنهج الأحمد (١/ ١٧٦) تأليف عبد الرحمن العليمي، تحقيق محمد يحيى عبدالحميد، ط الثانية ١٤٠٤هـ، نشر عالم الكتب، بيروت.

(٤) وقد فصل المؤلف رحمه الله القول في هذه المسألة في كتابه إغاثة اللهفان، في حكم طلاق الغضبان ص(٢٧ وما بعدها) تصحيح محمد عفيفي، ط الأولى ١٤٠٦هـ، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، وفي إعلام الموقعين (٣/ ٥٢-٥٣) و(٤/ ٥٠) تعليق طه عبدالرؤوف سعد، نشر دار الجيل بيروت.

(٥) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ سورة يونس آية (١١) قال مجاهد: هو قول الإنسان لولده وماله =

راحلته في الأرض المهلكة بعد ما يئس منها فقال من شدة فرحه: « اللهم أنت عبدي وأنا ربك »[(١)] ولم يجعله بذلك كافراً، لأنه أخطأ بهذا القول من شدة الفرح.

فكمال رحمته وإحسانه وجوده يقتضي أن لا يؤاخذ من اشتد غضبه بدعائه على نفسه وأهله وولده، ولا بطلاقه لزوجته، وأما إذا زال عنه عقله بالغضب، فلم يعقل ما يقول، فإن الأمة متفقة على أنه لا يقع طلاقه ولا عتقه ، ولا يكفر بما يجري على لسانه من كلمة الكفر .

* * *

= إذا غضب عليه : اللهم لا تبارك فيه والعنه. رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/ ٩٢) .

(١) يشير إلى الحديث الذي رواه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، بهذا المعنى ، وقد سبق تخريجه في ص(٧٢٧) .

الباب التاسع عشر

في ذكر مناظرة جرت بين جبري وسني جمعهما مجلس مذاكرة

الباب التاسع عشر
في ذكر مناظرة جرت بين جبري وسني جمعهما مجلس مذاكرة

قال الجبري : القول بالجبر لازم لصحة التوحيد، ولا يستقيم التوحيد إلا به، لأنا إن لم نقل بالجبر أثبتنا فاعلاً للحوادث مع الله، إن شاء فعل، وإن لم يشأ لم يفعل / وهذا شرك ظاهر لا يخلص منه إلا (بالقول)[1] بالجبر[2] . ١٤٥ب

قال السني : بل القول بالجبر مناف للتوحيد، ومع منافاته للتوحيد، فهو مناف للشرائع ودعوة الرسل والثواب والعقاب، فلو صح الجبر لبطلت الشرائع، وبطل الأمر والنهي، ويلزم من بطلان ذلك بطلان الثواب والعقاب.

قال الجبري: ليس[3] العجب دعواك منافاة الجبر للأمر والنهي والثواب والعقاب، فإن هذا لم يزل يقال، وإنما العجب دعواك منافاته للتوحيد، وهو من أقوى أدلة التوحيد، فكيف يكون (المقرر)[4] (للشيء)[5] المقوي له منافياً له ؟

قال السني : منافاته للتوحيد من أظهر الأمور، ولعلها أظهر من منافاته (للأمر)[6] والنهي . وبيان ذلك أن أصل عقد التوحيد و(أساسه)[7] هو

---

(١) في م ، ع ، د ، س : القول .

(٢) انظر المطالب العالية (٩/ ١٦-١٧، ٢٢) .

(٣) في ع ، د ، س : ليس من . بزيادة (من)

(٤) في م ، : القدر ، وفي ع ، د، س : المصور .

(٥) ساقطة من م .

(٦) في ع ، د ، س : الأمر .

(٧) في ع ، د ، س : وإثباته .

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والجبر ينافي الكلمتين، فإن الإله المستحق لصفات الكمال المنعوت بنعوت الجلال، وهو الذي تألهه القلوب، وتصمد إليه بالحب والخوف والرجاء، فالتوحيد الذي جاءت به الرسل هو إفراد الرب بالتأله الذي هو كمال الذل والخضوع والانقياد له، مع كمال الإنابة وبذل الجهد في طاعته ومرضاته، وإيثار محابه ومراده على محبة العبد ومراده، فهذا أصل دعوة الرسل، وإليه دعوا الأمم، وهو التوحيد الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه، لا من الأولين، ولا من أحد من الآخرين، وهو الذي أمر به رسله، وأنزل به كتبه، ودعا إليه عباده، ووضع (لهم دار)[1] الثواب والعقاب لأجله، وشرع الشرائع لتكميله وتحصيله. (ولزم)[2] من قولك أيها الجبري إن العبد لا قدرة له على هذا البتة، ولا أثر له فيه، ولا هو فعله، وأمره بهذا أمر له بما لا يطيق، بل أمر له بإيجاد فعل الرب، وأن الرب تعالى أمره بذلك وأجبره على ضده، وحال بينه وبين ما أمره به، ومنعه / منه وصده عنه ولم يجعل له إليه سبيلاً بوجه من الوجوه، ١٤٦أ مع قولك إنه لا يُحِبُّ ولا يُحَبُّ، فلا تتألهه القلوب بالمحبة والود والشوق والطلب وإرادة وجهه. والتوحيد معنى ينتظم من إثبات الإلهية وإثبات العبودية، فرفعت معنى الإلهية بإنكار كونه محبوباً مودوداً، تتنافس القلوب في محبته وإرادة وجهه، والشوق إلى لقائه، ورفعت حقيقة العبودية (بإنكارك)[3] كون العبد فاعلاً وعابداً ومحباً، فإن هذا كله مجاز لا حقيقة له عندك، فضاع التوحيد بين الجبر وإنكار محبته وإرادة وجهه، لا سيما والوصف الذي وصفته به منفر للقلوب عنه، حائل بينها وبين محبته، فإنك وصفته بأنه يأمر عبده بما لا

(١) ما بين القوسين ساقط من د .

(٢) في م ، ع ، د ، س : وكان .

(٣) في ع ، د ، س : بإنكار .

قدرة له على فعله، وينهاه عما لا يقدر على تركه، بل يأمره بفعله هو سبحانه، وينهاه عن فعله هو، ثم يعاقبه أشد العقوبة على ما لم يفعله البتة، بل يعاقبه على أفعاله هو سبحانه.

وصرحت بأن عقوبته على ترك ما أمره وفعل ما نهاه بمنزلة عقوبته (له)[1] على ترك طيرانه إلى السماء، وترك تحويله الجبال عن أماكنها، ونقله مياه البحار عن مواضعها، بمنزلة عقوبته له على ما لا صنع له فيه من لونه وطوله وقصره، وصرحت بأنه يجوز عليه أن يعذب أشد العذاب لمن لم يعصه طرفة عين، وأن حكمته ورحمته لا تمنع ذلك، بل هو جائز علي، ولولا خبره عن نفسه بأنه لا يفعل ذلك لم تنزهه عنه .

وقلت : إن تكليفه عباده بما كلفهم به بمنزلة تكليف الأعمى للكتابة، والزمِن للطيران، فبغَّضت الرب إلى من دعوته إلى هذا الاعتقاد، ونفرته عنه وزعمت أنك تقرر بذلك توحيده، وقد قلعت شجرة التوحيد من أصلها.

وأما منافاة الجبر للشرائع، فأمر ظاهر لا خفاء به، فإن مبنى / الشرائع ١٤٦ب على الأمر والنهي، وأمر الآمر لغيره بفعل نفسه لا بفعل المأمور، ونهيه عن فعله لا فعل المنهي عبث ظاهر، فإن متعلق الأمر والنهي فعل العبد وطاعته ومعصيته، فمن لا فعل له كيف يتصور أن (يوصف)[2] بطاعة أو معصية، وإذا ارتفعت حقيقة الطاعة والمعصية، وإذا ارتفعت حقيقة الثواب والعقاب، وكان ما يفعله الله بعباده يوم القيامة من النعيم والعذب أحكاماً جارية عليهم بمحض المشيئة والقدرة، لا أنها بأسباب طاعتهم ومعاصيهم، بل هاهنا

---

(١) ساقطة من ع ، د ، س .

(٢) في ع ، د ، س : يوقعه .

أمر آخر، وهو أن الجبر مناف للخلق كما أنه منافٍ للأمر، فإن الله سبحانه له الخلق والأمر، وما قامت السماوات (والأرض)[١] إلا بعدله، فالخلق قام بعدله، وبعدله ظهر، كما أن الأمر بعدله، وبعدله وجد، فالعدل سبب وجود الخلق والأمر وغايته، (فيه العلة)[٢] الفاعلية والغائية، والجبر لا يجامع العدل (كما)[٣] لا يجامع الشرع والتوحيد.

قال الجبري: لقد نطقت أيها السني بعظيم، وفهت بكبير، وناقضت بين متوافقين، وخالفت بين متلازمين، فإن أدلة العقول والشرع المنقول قائمة على الجبر، وما دل عليه العقل والنقل كيف ينافي موجب العقل والشرع؟ فاسمع الآن الدليل الباهر، والبرهان القاهر على الجبر، ثم نتبعه بأمثال، فنقول: صدور الفعل عند حصول القدرة والداعي إما أن يكون واجباً أو لا يكون واجباً، فإن كان واجباً كان فعل العبد اضطرارياً، وذلك عين الجبر؛ لأن حصول القدرة والداعي ليس بالعبد، وإلا لزم التسلسل، وهو ظاهر، وإذا كان كذلك، فعند حصولهما يكون (الفعل)[٤] واجباً، وعند عدم حصولهما يكون الفعل ممكناً، فكان الجبر لازماً لا محالة.

وأما إن لم يكن حصول الفعل عند حصول القدرة والداعي واجباً، فإما أن / يتوقف رجحان الفعل على رجحان الترك على مرجح، أو لا يتوقف، ١٤٧أ فإن توقف كان حصول ذلك الفعل عند حصول المرجح واجباً، وإلا عاد الكلام ولزم التسلسل، وإذا كان واجباً اضطرارياً، وهو عين الجبر. وإن لم

---

(١) ساقطة من ع، د، س.

(٢) في م، ع، س: فهو عليه، وفي د، فهو علة.

(٣) في ع، د، س: ولا.

(٤) ساقطة من ع، د، س.

يتوقف على مرجح كان جائز الوقوع وجائز العدم، فوقوعه بغير مرجح يستلزم حصول الأثر بلا مؤثر وذلك محال.

فإن قلت : المرجح هو إرادة العبد.

قلت لك : إرادة العبد حادثة، والكلام في حدوثها كالكلام في (حدوث)[1] المراد بها، ويلزم التسلسل[2] .

قال السني : هذا أحدُ سهم في كنانته، وهو بحمد الله سهم لا ريش له ولا نصل، مع عوجه وعدم استقامته، وأنا أستفسرك عما في هذه الحجة من الألفاظ المجملة (المشتملة)[3] على حق وباطل، وأبيِّنُ (لك)[4] فسادها. فما تعني بقولك: إن كان الفعل عند القدرة والداعي واجباً كان فعل العبد اضطرارياً وهو عين الجبر ؟ أتعني به (أنه)[5] يكون مع القدرة والداعي بمنزلة حركة المرتعش، وحركة من نفضته الحمى، وحركة من رمي به من مكان عالٍ فهو يتحرك في نزوله اضطراراً منه ؟ أم تعني به أن الفعل عند اجتماع القدرة والداعي (يكون)[6] لازم الوقوع بالقدرة (والداعي)[7]؟ فإن أردت بكونه اضطرارياً المعنى الأول كذبتك العقول والفطر والحس والعيان، فإن الله فطر عباده على التفريق بين حركة من رمي به من شاهق، فهو يتحرك إلى أسفل،

---

(١) في د ، حديث .

(٢) انظر المحصل ص (٤٥٦) والمطالب العالية (٩/ ١٤-١٥-١٦) .

(٣) في د، س : المستعملة .

(٤) ساقطة من ع ، د ، س .

(٥) في ع ، د ، س : أن .

(٦) في ع : لا يكون .

(٧) ساقطة من ع ، د ، س .

وبين حركة من يرقى في الجبل إلى علوه، وبين حركة المرتعش وبين حركة المصفق، وبين حركة الزاني والسارق والمجاهد والمصلي، وحركة المكتوف الذي قد أوثق رباطاً وجر على الأرض، فمن سوى بين الحركتين فقد خلع ربقة العقل والفطرة والشرعة من عنقه، وإن أردت المعنى الثاني، وهو كون الفعل لازم الوجود عند (وجود)[١] القدرة والداعي / (فهذا المعنى حق ١٤٧ب ويكون حقيقة قولك إن كان لازم الوجود عند القدرة والداعي)[٢] كان لازم الوجود، وهذا لا فائدة فيه .

وكونه لازماً وواجباً بهذا المعنى لا ينافي كونه مختاراً (للعبد)[٣] مراداً له مقدوراً له، غير مكره عليه ولا مجبور، فهذا الوجوب واللزوم لا ينافي الاختيار. ثم نقول: لو صحت هذه الحجة، لزم أن يكون الرب سبحانه مضطراً على أفعاله، مجبوراً (عليها)[٤] (بعين)[٥] ما ذكرت من مقدماتها، (فإنه)[٦] سبحانه (يفعل)[٧] بقدرته ومشيئته، وما ذكرت من وجوب الفعل عند القدرة والداعي وامتناعه عند (عدمهما)[٨] ثابت في حقه سبحانه. وقد

---

(١) ساقطة من د ، س .

(٢) ما بين القوسين ساقط من د ، س .

(٣) ساقطة من د ، س .

(٤) في م : عليه .

(٥) في ع ، د، س : بمعنى .

(٦) في ع ، د، س : أنه .

(٧) في د : لا يفعل .

(٨) في د : عدمها .

اعترف أصحابك بهذا الإلزام[(١)] وأجابوا عنه بما لا يجدي شيئاً .

قال ابن الخطيب[(٢)] عقيب ذكر هذه الشبهة: فإن قلت: هذا ينفي كونه فاعلاً مختاراً، قلت : الفرق أن إرادة العبد محدثة فافتقرت إلى إرادة يحدثها الله دفعاً للتسلسل، وإرادة البارئ قديمة، فلم تفتقر إلى إرادة أخرى[(٣)] .

ورد هذا الفرق صاحب[(٤)] التحصيل[(٥)] فقال: ولقائل أن يقول : هذا لا

---

(١) انظر المطالب العالية (٩/ ١٥، ٢٣-٢٤) والمواقف ص (٣١٢-٣١٣) .

(٢) هو: محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي، التيمي، البكري، أبو المعالي وأبوعبدالله المعروف بالفخر الرازي، ويقال له: ابن خطيب الري، المتكلم، المفسر، وأحد فقهاء الشافعية المشاهير، ولد بالري سنة أربع وأربعين وخمسمائة، ومات بهراة يوم عيد الفطر سنة ست وستمائة، وله بضع وستون سنة. وله مؤلفات كثيرة؛ منها: تفسير القرآن الكريم المسمى: مفاتيح الغيب، والمطالب العالية. والمباحث المشرفية، والمحصل في أصول الفقه، وغيرها. وقد اعترف في آخر حياته بفساد الطرق الكلامية، فقال: لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ وأقرأ في النفي ﴿ليس كمثله شيء﴾ ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي. سير أعلام النبلاء (٢١/ ٥٠٠-٥٠١) والبداية والنهاية (١٣/ ٥٥-٥٦) .

(٣) انظر المطالب العالية (٩/ ٢٧) والمواقف ص(٣١٣) والمباحث المشرقية للرازي (٢/٥٤٦) تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، ط الأولى ١٤١٠هـ ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت .

(٤) هو : محمد بن أبي بكر بن أحمد الأرموي سراج الدين، أبو الثناء، عالم بالأصول والمنطق من الشافعية، ولد سنة (٥٩٤هـ) وتوفي بقونية سنة (٦٨٢هـ) . وله مؤلفات؛ منها: التحصيل من المحصول، واللباب مختصر الأربعين في أصول الدين . طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥/ ١٥٥) .

(٥) هذا الكتاب مختصر لكتاب المحصل في أصول الفقه لفخر الدين محمد بن عمر =

يدفع التقسيم المذكور[(١)] .

قلت : فإن التقسيم متردد بين لزوم الفعل عند الداعي وامتناعه عند عدمه، وهذا التقسيم ثابت في حق الغائب والشاهد. وكون إرادة الرب تعالى قديمة من لوازم ذاته لا فاعل لها لا يمنع هذا الترديد والتقسيم، فإنه عند تعلقها بالمراد يلزم وقوعه، وعند عدم تعلقها به يمتنع وقوعه، وهذا اللزوم والامتناع لا يخرجه سبحانه عن كونه فاعلاً، ثم نقول : هذا المعنى لا يسمى جبراً ولا اضطراراً، فإن حقيقة الجبر ما حصل بإكراه غير الفاعل له إلى الفعل ، وحمله على إيقاعه بغير رضاه واختياره.

والرب تعالى هو الخالق للإرادة والمحبة والرضا في قلب العبد، فلا يسمى ذلك جبراً، لا لغة ولا عقلاً ولا شرعاً / ومن العجب احتجاجك بالقدرة (المحدثة)[(٢)] والداعي على أن الفعل الواقع بهما اضطراري من العبد والفعل (عندك)[(٣)] لم يقع بهما ولا هو فعل (العبد)[(٤)] بوجه، وإنما هو عين فعل الله، وذلك لا يتوقف على قدرة من العبد ولا داع منه، ولا هناك ترجيح له عند وجودهما، ولا عدم ترجيح عند عدمها، بل نسبة الفعل إلى القدرة والداعي كنسبته إلى (عدمهما)[(٥)]، فالفعل عندك (عين)[(٦)] فعل الله، فلا ترجيح هناك

١٤٨أ

= الرازي، وقد طبع بتحقيق د. عبد الحميد أبو زنيد ونشرته مؤسسة الرسالة ، بيروت سنة ١٩٨٨م .

(١) انظر المواقف ص (٣١٣) .

(٢) ساقطة من ع ، د ، س .

(٣) في م ،ع ، د ، س : عندكم .

(٤) في ت ،ع ، س : للعبد .

(٥) في د : عدمها .

(٦) في م ، د، س : غير .

من العبد ولا مرجح، ولا تأثير ولا أثر *(فالفعل للرب حقيقة عندك، فإذا كان واجباً بقدرته ومشيئته ـ وذلك عين الجبر ـ لزمك أن يكون الرب تعالى مجبوراً على أفعاله، وهذا مما لا محيد لك عنه ولا مفر لك منه)* .

قال السني : وقد أجابك إخوانك من القدرية عن هذه الحجة بأجوبة أخرى، فقال أبو هاشم(١) وأصحابه: لا يتوقف فعل القادر على الداعي بل يكفي في فعله مجرد قدرته(٢) .

قالوا : فقولك عند حصول الداعي إما أن يجب الفعل أو لا يجب وعندنا لا يجب الفعل بالداعي ولا يتوقف عليه، ولا يمكنك أيها الجبري الرد على هؤلاء، فإن الداعي عندك لا تأثير له في الفعل البتة و (لا)(٣) هو متوقف عليه ولا على القدرة، فإن القدرة الحادثة عندك لا تؤثر في مقدورها فكيف يؤثر الداعي في الفعل ؟ فهذه الحجة لا تتوجه على أصولك البتة، وغايتها إلزام خصومك بها على أصولهم .

قال أبو الحسين البصري(٤) وأصحابه : يتوقف الفعل على الداعي. ثم

(*) ما بين النجمتين ساقط من ع، د ، س .

(١) هو : عبدالسلام بن أبي علي الجبائي، مضت ترجمته في ص (٤٥٣) .

(٢) انظر كتاب المطالب العالية (٩/ ١٢) والمواقف ص(٣١٤) وشرح الأصول الخمسة ص(٤٢٥، ٤٢٨) .

(٣) ساقطة من د .

(٤) هو : محمد بن علي بن الطيب، أبو الحسين البصري، شيخ المعتزلة في وقته، وصاحب التصانيف الكلامية، ولد بالبصرة، وسكن بغداد، وكان فصيحاً بليغاً، وله اطلاع كبير، وله مؤلفات، منها : المعتمد في أصول الفقه، وكتاب تصفح الأدلة، وغيرهما. مات ببغداد سنة ست وثلاثين وأربعمائة. سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٨٧). البداية والنهاية (١٢/ ٥٣-٥٤) .

قال أبو الحسين : إذا وجد الداعي وجب وقوع الفعل، ولا يخرج بهذا الوجوب عن كونه اختيارياً[١] .

قال محمود الخوارزمي[٢] صاحبه: لا ينتهي بهذا الداعي إلى حد الوجوب، بل يكون وجوده أولى[٣] . قالوا : فنجيبك عن هذه الشبهة على (الرأيين)[٤] جميعاً :

١٤٨ب أما على رأي أبي هاشم : / فنقول : صدور إحدى الحركتين عنه دون الأخرى لا يحتاج إلى مرجح، بل من شأن القادر أن يوقع الفعل من غير مرجح لجانب وجوده على عدمه، قالوا: ولا استبعاد في العقل (من)[٥] وجود مخلوق (يتمكن)[٦] من الفعل بدلاً عن الترك، وبالضد من غير مرجح، كما أن النائم والساهي (يتحركان)[٧] من غير داع وإرادة. فإن قلتم: بل هناك داع وإرادة لا يذكرها النائم والناسي، كان ذلك مكابرة .

قلت : وأصحاب هذا القول يقولون : إن القادر هو الذي يفعل مع جواز أن لا يفعل . وأصحاب القول الأول يقولون : بل يفعل مع وجوب أن يفعل. ومحمود الخوارزمي توسط بين هذين المذهبين، وقال: بل يفعل مع أولوية أن يفعل ، ولا ينتهي الترجيح إلى الوجوب، فالأقوال خمسة :

أحدها : أن الفعل موقوف على الداعي، فإذا انضمت القدرة إليه وجب

---

(١) انظر المطالب العالية (٩/ ١٢-١٣، ٢٥٥، ٢٥٨) والمواقف ص (٣١٣-٣١٤) .

(٢) مضت ترجمته في ص (٣٤٤) .

(٣) انظر المطالب العالية (٩/ ١٢) والمواقف ص (٢٨٢) .

(٤) في ع : البراهين .

(٥) في ع ، د ، س : في .

(٦) في ع ، د، س : متمكن .

(٧) في م : محركان .

الفعل بمجموع الأمرين. وهذا قول جمهور العقلاء. ولم يصنع ابن الخطيب شيئاً في نسبته له إلى الفلاسفة وأبي الحسين البصري من المعتزلة(١) .

الثاني : أن الفعل يجب بقدرة الله وقدرة العبد. وهذا قول من يقول: إن قدرة العبد مؤثرة في مقدوره مع قدرة الله على عين مقدور العبد. وهذا قول أبي إسحاق(٢) واختيار الجويني في النظامية(٣) .

الثالث : قول من يقول : يجب بقدرة الله فقط. وهذا قول الأشعري والقاضي أبي بكر(٤) . ثم اختلفا، فقال القاضي : كونه فعلاً واقعاً بقدرة الله، وكونه صلاة أو حجاً أو زناً أو سرقة واقع بقدرة العبد، فتأثير قدرة الله في ذات الفعل وتأثير قدرة العبد في صفة الفعل(٥) . قال الأشعري : أصل الفعل ووصفه واقعان بقدرة الله، ولا تأثير لقدرة العبد في هذا ولا هذا(٦) .

الرابع: قول من يقول: لا يجب الفعل من القادر البتة، بل القادر هو الذي يفعل مع جواز أن لا يفعل، فلا ينتهي فعل / القادر المختار إلى الوجوب ١٤٩أ أصلاً. وهذا قول أبي هاشم وأصحابه .

---

(١) انظر المحصل ص(٤٥٥) .

(٢) انظر المحصل ص(٤٥٥) . وأبو إسحاق هذا هو الأسفرائيني .

(٣) انظر العقيدة النظامية ص(٤٣) .

(٤) انظر كتاب المطالب العالية (٩/ ١٠) والمواقف ص(٣١١-٣١٢) والمحصل ص(٤٥٥) والملل والنحل (١/ ٩٧-٩٨) .

(٥) انظر المطالب العالية (٩/ ٩-١٠) والمواقف ص(٣١٢، ١٥٠) والمحصل ص(٤٥٥) والملل والنحل (١/ ٩٧-٩٨) .

(٦) انظر المطالب العالية (٩/ ١٠) والمواقف ص(٣١١، ١٥٠-١٥١) والمحصل ص(٤٥٥) ولمع الأدلة للجويني ص(١٢١) والملل والنحل (١/ ٩٧-٩٨) .

الخامس: أن يكون عند الداعي أولى بالوقوع، ولا ينتهي إلى حد الوجوب.

وهذا قول الخوارزمي . وقد سلم أبو الحسين أن الفعل يجب مع الداعي، وسلم أن الداعي مخلوق لله، وقال: إن العبد مستقل بإيجاد فعله، قال: والعلم بذلك ضروري[1] .

قال ابن الخطيب : هذا غلو منه في القدر، وقوله إنه يتوقف على الداعي، والداعي خلق لله، غلو في الجبر، فجمع بين القدر والجبر مع غلوه فيهما [2].

ولم ينصفه، فليس ما ذهب إليه غلواً في قدر ولا جبر، فإن توقف الفعل على الداعي وجوبه عنده بقدرة العبد ليس جبراً فضلاً أن يكون غلواً فيه، وكون العبد محدثاً لفعله ضرورة بما خلقه الله فيه من القدرة والاختيار ليس قولاً بمذهب القدرية فضلاً عن كونه غلواً فيه .

فصل

قال الجبري : إذا كان الداعي ليس من (أفعالنا)[3] وهو علم القادر أن في ذلك الفعل مصلحة له، وذلك أمر مركوز في طبيعته التي خلق عليها، وذلك مفعول لله فيه، والفعل واجب عنده، فلا معنى للجبر إلا هذا [4] .

قال له السني : أخوك القدري يجيبك عن هذا بأن ذلك الداعي قد يكون (علماً، وقد يكون اعتقاداً، وقد يكون ظناً، وقد يكون)[5] جهلاً وغلطاً، وهذه أمور يحدثها الإنسان في نفسه، فيفعل على حسب ما يتوهم أنه فيه

---

(١) انظر المطالب العالية (٩/ ٢٥٨) والمواقف ص (٣١٤) .

(٢)انظر المطالب العالية (٩/ ٢٥٨) والمواقف ص (٣١٤) .

(٣) في م : أفعالها .

(٤) انظر المطالب ٩/ ٤٢-٤٣ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من ع ،د ،س .

مصلحته، صادفها أو لم يصادفها، فالداعي لا ينحصر في العلم خاصة .

قال الجبري : لا يساوي هذا الجواب شيئاً؛ فإن العطشان مثلاً يدعوه الداعي إلى شرب الماء لعلمه (بنفعه)[1] وشهوته وميله إلى شربه، وذلك العلم وتلك الشهوة والميل إلى الشراب من فعل الله (فيه)[2] فيجب على القدري أن يترك مذهبه صاغراً داخراً ويعترف بأن ذلك الفعل مضاف إلى من / ١٤٩ب خلق فيه الداعي المقتضي .

قال القدري : ذلك الداعي ـ وإن كان من فعل الله تعالى ـ إلا أنه جار مجرى فعل المكلف، لأنه قادر على أن يبطل أثره بأن يستحضر صارفاً عن الشرب([3] مثل أن يحجم عن (الشراب)[4] تجربة هل يقدر على مخالفة الداعي أم لا . فإحجامه لأجل التجربة)[5] أثر داع ثان هو الصارف يعارض الداعي، فالحي قادر على تحصيله، وقادر على إبقاء الداعي الأول بحاله، فإبقاؤه والداعي الأول بحاله، وإعراضه عن إحضار المعارض له أمر لولاه ما حصل الشرب، فمن هذا الوجه كان الشرب فعلاً له، لأنه قادر على تحصيل الأسباب (المختلفة)[6] التي تصدر عنها الآثار. ويصير هذا كمن شاهد إنساناً في نار متأججة وهو قادر على إطفائها عنه من غير مشقة ولا مانع، فإنه إن لم يطفئها استحق الذم، وإن كان الاحتراق من أثر النار. وقد أجاب ابن أبي

---

(١) في د : بنقمه .

(٢) ساقطة من ع ، د ، س .

(٣) ما بين القوسين ساقط من ت .

(٤) في ع ، د : الشرب .

(٥) ما بين القوسين ساقط من ت .

(٦) في م : المختلة .

الحديد[1] بجواب آخر، فقال: ويمكن أن يقال: إذا تجرد الداعي ـ كما ذكرتم في صورة العطشان ـ فإن التكليف بالفعل والترك يسقط؛ لأنه يصير أسوأ حالاً من الملجأ[2].

وهذا من أفسد الأجوبة على أصول جميع الفرق، فإن مقتضى التكليف قائم، فكيف يسقط مع حضور (العقل)[3] والقدرة ؟ وهذا قسم رابع من الذين رفع عنهم التكليف أثبته هذا القدري زائداً على الثلاثة الذين رفع عنهم القلم، وهذا خرق منه لإجماع الأمة المعلوم بالضرورة، ولو سقط التكليف عند تجرد الداعي، لكان كل من تجرد داعيه إلى فعل ما أمر به قد سقط عنه التكليف. وهذا القول أقبح من القول بتكليف ما لا يطاق. ولهذا[4] القائلون به أكثر من هذا القائل، وقولهم يُحكى ويناظر عليه .

---

(١) هو عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين، الكاتب الشاعر، الشيعي الغالي، المعتزلي، ولد بالمدائن سنة (٥٨٦هـ) ثم انتقل إلى بغداد، فكان أحد الكتاب والشعراء بديوان الخليفة المستعصم بالله ـ آخر خلفاء الدولة العباسية ـ وكان حظياً عند الوزير ابن العلقمي ـ الشيعي الخبيث الذي كان له جهد كبير في مساعدة التتار على تدمير بغداد والقضاء على الخلافة العباسية ـ مات ببغداد سنة ٦٥٦هـ ، وله مؤلفات؛ منها : شرح نهج البلاغة، والفلك الدائر على المثل السائر. وغيرهما. البداية والنهاية (١٣/ ١٩٩) وفيات الأعيان (٥/ ٣٩٢) فوات الوفيات (٢/ ٢٥٩) .

(٢) انظر المحصل ص(٢٥٣) والمطالب العالية (٩/ ٢٨) والمباحث المشرقية (١/ ٦٠٦) والمواقف ص(١٤٩) .

(٣) في ع ، د، س : الفعل .

(٤) في د، س زيادة : كان .

قال الجبري : إذا كان الداعي من الله، وهو سبب الفعل، والفعل واجب عنده، كان خالق الفعل هو خالق الداعي، (إن خلق السبب خلق المسبب)(١) .

قال السني : هذا حق ، فإن الداعي مخلوق لله في العبد، وهو سبب الفعل (فالفاعل مضاف)(٢) إلى الفاعل / لأنه صدر منه، ووقع بقدرته ومشيئته ١٥٠أ واختياره، وذلك لا يمنع إضافته بطريق العموم إلى من هو شرط في تأثير القادر في مقدوره، وكون الشرط ليس من العبد لا يخرجه عن كونه فاعلاً ، وغاية قدرة العبد وإرادته الجازمة أن يكون شرطاً أو جزء سبب .

والفعل موقوف على شروط وأسباب لا صنع للعبد فيها البتة، وأسهل الأفعال (فتح)(٣) العين لرؤية الشيء. فهب أن فتح العين فعل العبد، إلا أنه لا يستقل بالإدراك وسلامتها، وصرف الموانع عنها ، فما توقف عليه الرؤية من الأسباب والشروط (٤) التي لا تدخل تحت مقدور العبد أضعاف أضعاف ما يقدر عليه من تقليب حدقته نحو المرئي، فكيف يقول عاقل: إن جزء السبب أو الشرط موجب مستقل لوجود الفعل؟ وهذا الموضع ضل فيه الفريقان؛ حيث زعمت القدرية أنه موجب للفعل، وزعمت الجبرية أنه لا أثر فيه، فخالفت الطائفتان صريح المعقول والمنقول، وخرجت عن السمع والعقل .

والتحقيق أن قدرة العبد وإرادته ودواعيه جزء من أجزاء السبب التام الذي يجب به الفعل. فمن زعم أن العبد مستقل بالفعل، مع أن أكثر أسبابه

---

(١) في ع ، د ، س : أي خالق السبب .

(٢) في ع ، د ، س : والفعل يضاف .

(٣) في ع ، د ، س : دفع .

(٤) في ع ، زيادة : لكن . ولعلها زلة قلم من الناسخ .

ليست إليه، فقد خرج عن موجب العقل والشرع. فهب أن (داعي)[١] حركة الضرب منك مستقل بها، فهل سلامة الآلة منك؟ وهو وجود المحل المنفعل وقبوله منك ؟ وهل خلق الفضاء بينك وبين المضروب وخلوه (عن)[٢] المانع منك؟ وهل إمساك قدرته عن مضاربتك وغلبتك منك؟ (وهل خلق الآلة التي بها تضرب منك ؟ وهل خلق الألم فيه بعد الضرب منك)[٣] ؟ وهل القوة التي / في اليد والرباطات والاتصالات التي بين عظامها وشد أسرها منك؟ ومن زعم أنه لا أثر للعبد بوجه ما في الفعل، وأن وجود قدرته وإرادته وعدمها بالنسبة إلى الفعل على السواء، فقد كابر العقل والحس . ١٥٠ب

قال الجبري : إن انتهت سلسلة (المرجحات)[٤] (إلى مرجح من الله يجب عنده الفعل لزم الجبر، وإن انتهت)[٥] إلى مرجح من العبد، فذلك المرجح ممكن لا محالة، فإن ترجح بلا مرجح انسد عليكم باب إثبات الصانع؛ إذ جوزتم رجحان أحد طرفي الممكن (بلا مرجح)[٦] وإن توقف على مرجح آخر لزم التسلسل، فلا بد من انتهائه إلى مرجح من الله لا صنع للعبد فيه[٧].

قال السني : أما إخوانك القدرية فإنهم يقولون: القادر المختار يحدث إرادته وداعيه بلا مرجح من غيره. قالوا : والفطرة شاهدة بذلك ، فإنا لا

---

(١) في ع ، د ، س : دواعي .

(٢) في ع ، د ، س : من .

(٣) ما بين القوسين ساقط من ع ، د ، س .

(٤) في ع ، د ، س : الترجيحات .

(٥) ما بين القوسين ساقط من ع ، د ، س .

(٦) ساقطة من ع ، د ، س .

(٧) انظر المطالب العالية (٩/ ١٣ وما بعدها) و(٩/ ٢١ وما بعدها) والمواقف ص(٣١٢ -٣١٣) .

نفعل ما لم نرد، ولا نريد ما لا نعلم أن في الفعل منفعة (لنا)[١] أو دفع مضرة، ولا نجد لهذه الإرادة إرادة أحدثتها، ولا لعلمنا بأن ذلك نافع علماً آخر أحدثه. فالمرجح هو ما خلق العبد وفطر عليه من صفاته القائمة به. فالله سبحانه أنشأ العبد نشأة يتحرك فيها بالطبع، فحركته بالإرادة والمشيئة من لوازم (نشأته)[٢] وكونه حيواناً، (فإرادته وميوله)[٣] من لوازم كونه حياً، فأفعال العبد الخاصة به هي الدواعي والإرادات لا غير، وما يقع بها من الأفعال شبيه بالفعل المتولد من حيث كان المتولد (مسبباً)[٤] وهذه الأفعال صادرة عن الدواعي التي (يحدثها)[٥] العبد ابتداء من غير واسطة، فاشتراكهما في أن كل واحد منهما مستند إلى فعل خاص بالعبد، فهما متماثلان من هذه الجهة.

قال السني : وهذا جواب باطل بأبطل منه، ورد فاسد بأفسد منه، ومعاذ الله ـ والله أكبر وأجل وأعظم وأعز ـ أن يكون في عبده شيء غير / مخلوق ١٥١أ له، ولا هو داخل تحت مشيئته وقدرته. فما قدر الله حق قدره من زعم ذلك، ولا عرفه (حق)[٦] معرفته ولا عظمه حق تعظيمه، بل العبد جسمه وروحه وصفاته وأفعاله ودواعيه، وكل ذرة فيه مخلوق لله خلقاً تصرف به في عبده.

وقد بينا أن قدرته وإرادته ودواعيه جزء من أجزاء سبب الفعل غير

---

(١) ساقطة من ت ، وفي ع : لها .

(٢) في ت : شأنه ، وفي ع ، س : نشئه .

(٣) في د ، س : فإرادته وميله .

(٤) في ع ، د ، س : سبباً

(٥) في ع ، د ، س : عرفها . وفي ت : عدبها .

(٦) في ع ، د ، س : حتى .

مستقل بإيجاده، ومع ذلك فهذا الجزء مخلوق لله فيه. فهو عبد مخلوق من كل وجه وبكل اعتبار، فقره إلى خالقه وبارئه من لوازم ذاته، وقلبه بيد خالقه وبين إصبعين من أصابعه يقلبه كيف يشاء، فيجعله مريداً لما شاء وقوعه منه، كارهاً لما لم يشأ وقوعه، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. ونعم والله، سلسلة المرجحات تنتهي إلى أمر الله الكوني، ومشيئته النافذة، التي لا سبيل لمخلوق إلى الخروج عنها، ولكن الجبر لفظ مجمل يراد به حق وباطل كما تقدم .

فإن أردتم أن العبد مضطر في أفعاله، وحركته في الصعود في السلم، كحركته في وقوعه منه، فهذا مكابرة للعقول والفطر. وإن أردتم به أنه لا حول ولا قوة إلا بربه وفاطره، فنعم لا حول ولا قوة إلا بالله، وهي كلمة عامة لا تخصيص فيها بوجه ما، فالقوة (القدرة)[١] ، والحول (الفعل)[٢] ، فلا قدرة له ولا فعل إلا بالله، فلا ننكر هذا ولا نجحده لتسمية القدري له جبراً، فليس الشأن في الأسماء ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾[٣] فلا نترك لهذا الأسماء مقتضى العقل والإيمان. والمحذور كل المحذور أن نقول: إن الله يعذب عبده على (ما لا صنع)[٤] له فيه، ولا قدرة له عليه، ولا تأثير له في فعله بوجه ما، بل يعذبه على فعله هو سبحانه[٥] وعلى حركته إذا سقط من علو إلى أسفل . نعم / لا يمتنع أن يعذبه إذا كان تعاطى أسبابه بإرادته ومحبته، كما يعاقب السكران على ما جناه في حال

١٥١ب

---

(١) في ع ، د ، س : والقدرة .

(٢) في د ، س : بالله .

(٣) سورة النجم آية ٢٣ .

(٤) في م : كل ما لا صنع .

(٥) في ت زيادة : به .

سكره لتفريطه وعدوانه بارتكاب السبب، وكما يعاقب العاشق الذي غلب على صبره وعقله، وخرج الأمر (عن)[١] يده لتفريطه السابق بتعاطي أسباب العشق، وكما يعاقب الذي آل به إعراضه وبغضه للحق إلى أن صار طبعاً وقفلاً وريناً على قلبه، فخرج الأمر عن يده وحيل بينه وبين الهدى، فيعاقبه على ما لم يبق له قدرة عليه ولا إرادة، بل هو ممنوع منه، وعقوبته عليه عدل محض لا ظلم فيه بوجه ما .

فإن قيل : فهل يصير في هذا الحال مكلفاً وقد حيل بينه وبين ما أمر به وصد عنه ومنع منه، أم يزول التكليف ؟

قيل : سنقف على الجواب الشافي إن شاء الله عن هذا السؤال في باب القول في تكليف ما لا يطاق قريباً [٢]، فإنه سؤال جيد، إذ المقصود هاهنا الكلام في الجبر وما (في)[٣] لفظه من الإجمال وما في معناه من الهدى والضلال .

فصل

قال الجبري: إذا صدر من العبد حركة معينة، فإما أن تكون مقدورة للرب وحده، أو العبد وحده، أو للرب (وللعبد)[٤] أو لا للرب ولا للعبد، وهذا القسم الأخير باطل قطعاً.

والأقسام الثلاثة قد قال بكل واحد منها طائفة . فإن كانت مقدورة للرب وحده، فهو الذي يقوله، وذلك عين الجبر. وإن كانت مقدورة للعبد وحده، فذلك إخراج لبعض الأشياء عن قدرة الرب تعالى، فلا يكون على كل شيء

(١) في ت : من .

(٢) تعرَّض المؤلف رحمه الله لذلك في الباب الذي بعد هذا الباب .

(٣) ساقطة من د .

(٤) في ع ، د ، س : والعبد .

(قديراً)[١]، ويكون العبد المخلوق الضعيف قادراً على ما لم يقدر عليه خالقه وفاطره. وهذا هو الذي فارقت به القدرية (للتوحيد)[٢] وضاهت به المجوس. وإن كانت مقدورة للرب (وللعبد)[٣] لزمت الشركة ووقوع مفعول بين فاعلين، ومقدور بين قادرين / وأثر بين مأثورين، وذلك محال؛ لأن المأثورين ١٥٢أ إذا اجتمعا استقلالاً[٤] على أثر واحد، فهو غني عن كل منهم بكل منهما، فيكون محتاجاً إليهما مستغنياً عنهما[٥].

قال السني : قد افترق الناس في هذا المقام فرقاً شتى .

ففرقة قالت : إنما تقع الحركة بقدرة الله وحده لا بقدرة العبد، وتأثير قدرة العبد في كونها طاعة أو معصية، فقدرة الرب وحده اقتضت وجودها، وقدرة العبد اقتضت صفتها. وهذا قول القاضي (أبي)[٦] بكر ومن اتبعه[٧] . ولعمر الله إنه لغير شاف ولا كاف، فإن صفة الحركة إن كان أثراً وجودياً، فقد أثرت قدرته في أمر موجود فلا يمتنع تأثيرها في نفس الحركة، وإن كان صفتها أمراً عدمياً كان متعلق قدرته عدماً لا وجوداً ، وذلك ممتنع؛ إذ أثر القدر لا يكون عدماً صرفاً .

وفرقة أخرى قالت : بل الفعل وصفته واقع بمحض قدرة الله وحده، ولا

---

(١) في م ، ت ، ع : قدير .

(٢) في د : التوحيد .

(٣) في ع ، د ، س : والعبد .

(٤) في ع : استقلالاً له .

(٥) انظر المطالب العالية (٩/ ٧٧ وما بعدها) والمواقف ص(٣١٢) .

(٦) في ت ، ع : أبو .

(٧) سبق توثيق هذا القول في ص (٤٥٠، ٤٥١، ٧٥٩) .

تأثير لقدرة العبد في هذا ولا (في)[1] هذا، وهذا قول الأشعري ومن اتبعه[2].

وفرقة قالت: بل المؤثر قدرة العبد وحده دون قدرة الرب[3]. ثم انقسمت هذه الفرقة إلى فرقتين:

فرقة قالت: إن قدرة العبد هي المؤثرة مع كون الرب تعالى قادراً على الحركة، وقالت: إن مقدورات العباد مقدورة لله عز وجل، وهذا قول أبي الحسين البصري وأتباعه الحسينية[4].

وفرقة قالت: إن قدرة العبد هي المؤثرة، والله سبحانه غير قادر على مقدور العبد، وهذا قول المشائخية أتباع أبي علي[5] وأبي هاشم[6]. وليس عند ابن الخطيب[7] وجمهور المتكلمين غير هذه الأقوال التي لا تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً وليس عند أربابها إلا مناقضة بعضهم بعضاً[8].

وقد أجاب بعض أصحاب / أبي الحسين عن هذا السؤال بأن قال[9]: إنه ١٥٢ب

---

(١) ساقطة من ع، د، س.

(٢) سبق توثيق هذا القول ص(٧٦٠، ٧٦٢، ٨٣٩).

(٣) سبق توثيق هذا القول ص(٤٥٨، ٨٣٣).

(٤) هم أتباع أبي الحسين البصري، انظر اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص(٨٣٧).

(٥) أبو علي هو: محمد بن عبد الوهاب الجبائي سبقت ترجمته في ص (٢٠٧).

(٦) هو عبد السلام بن محمد الجبائي، سبقت ترجمته في ص (٤٥٣).

(٧) هو: محمد بن عمر الرازي، تقدمت ترجمته ص(٨٣٥).

(٨) انظر مقالات الإسلاميين ص(٥٤٩ وما بعدها، ١٩٩-٢٠٠). والمطالب العالية (٩/ ١٢). والمحصل ص (٤٢٠، ٤٥٥). والمواقف ص (٣١١). والملل والنحل (١/ ٥٤، ٦٦).

(٩) ما بين القوسين ساقطة من ع، د، س.

وإن كان يقول بمقدور بين قادرين، فله أن يقول في هذا المقام: إن كان الدليل الذي ذكرته دليلاً صحيحاً على استحالة اجتماعهما على فعل واحد، فإنما يدل على استحالته على فعلهما على سبيل الجمع، ولا يستحيل (أن يفعلاه)[١] على سبيل البدل، كما يستحيل حصول جوهرين في مكان واحد، ولا يستحيل حصولهما فيه على البدل.

وهذا جواب باطل قطعاً، فإن مضمونه أن أحدهما لا يقدر عليه إلا إذا (تركه)[٢] الآخر . فحال تلبس العبد بالفعل بقدرته وإرادته إن كان مقدوراً لله، فهو القول بمقدور بين قادرين، وإن لم يكن مقدوراً له سبحانه، لزم إخراج بعض الممكنات عن قدرته.

فإن قلت : هو قادر (عليه)[٣] بشرط أن لا يقدر عليه العبد (قيل لك)[٤]: فهذا تصريح منك بأنه في حال قدرة العبد عليه لا يقدر عليه الرب، فلا ينفعك القول بأنه قادر عليه على البدل. وأيضاً فإن قدر عليه (عندك)[٥] (بشرط أن)[٦] لا يقدر عليه العبد، فإذا قدر العبد عليه انتفت قدرة الرب لانتفاء شرطها، وهذا مما صاح به عليكم أهل التوحيد من أقطار الأرض، ورموكم به عن قوس واحدة، وإنما صانعتم به أهل السنة مصانعة، وإلا فحقيقة هذا القول أن العبد يقدر عليه الرب، وحكاية هذا الرأي الباطل كافية في فساده .

---

(١) ساقطة من ع ، د ، س .
(٢) في د : تركت .
(٣) ساقطة من : م .
(٤) في د : قبل ذلك
(٥) ساقطة من ع ، د ، س .
(٦) في ت: بشروطه بأن ، وفي م : مشروطة .

فإن قلت : كما لا يمتنع معلوم واحد بين عالمين، ومراد واحدة بين مريدين (فلا يمتنع مقدور واحد بين قادرين)[(١)] .

قيل : هذا من أفسد القياس، لأن المعلوم لا يتأثر بالعالم، والمراد لا يتأثر بالمريد، فيصح الاشتراك في المعلوم والمراد، كما يصح الاشتراك في المرئي والمسموع، أما المقدور فيجوز اشتراك القادرين فيه بالقدرة المصححة / وهي صحة وقوعه من كل واحد منهما، (فصحة)[(٢)] التأثير من أحدهما لا تنافي صحته من الآخر. أما اشتراكهما فيه بالقدرة الموجبة المقارنة لمقدورها، فهو عين الحال، إلا أن يراد الاشتراك على البدل، فيكون (ترك)[(٣)] تأثير أحدهما فيه شرطاً في تأثير الآخر.

١٥٣ا

ولما تفطن أبو الحسين لهذا قال: لست أقول: إن إضافته إلى أحدهما هي إضافة إلى الآخر، كما أن الشيء الواحد يكون معلوماً لعالمين، ويمتنع أن يكون علم أحدهما به هو علم (الآخر)[(٤)] ، فهكذا أقول في المقدور بين قادرين، ليست قدرة أحدهما عليه هي قدرة الآخر، والمفعول بين فاعلين ليس فعل أحدهما فيه هو فعل الآخر، وإنما معنى قولي [(٥)] إنه فعل لهذا وتأثير له أنه لقدرته (وداعيه)[(٦)] وجد، وليس معنى كونه وجد لقدرة هذا (وداعيه) هو معنى كونه وجد لقدرة

---

(١) ما بين القوسين ساقط من ع، د، س .

(٢) في ع ، د ، س : وصحة .

(٣) ساقطة من ع ، د ، س .

(٤) في د : الآخر .

(٥) في د، س : قولي هذا .

(٦) في د ، س : وداعيته .

الآخر (وداعيه) قال : وليس يمتنع في (العقل)[١] إضافة شيء واحد إلى شيئين لكنه يمتنع أن تكون إضافته إلى أحدهما هي عين إضافته إلى الآخر .

وهذا لا يجدي عنه شيئاً ؛ فإن التقسيم المذكور دائر فيه. ونحن نقول : قد دل الدليل على شمول قدرة الرب تبارك وتعالى لكل من الذوات والصفات والأفعال، وأنه لا يخرج شيء عن مقدوره البتة . ودل الدليل أيضاً على أن العبد فاعل لفعله بقدرته وإرادته، وأنه فعل له حقيقة يمدح به ويذم عقلاً (وعرفاً)[٢] وشرعاً، وفطرة فطر الله عليها العباد حتى الحيوان البهيم. ودل الدليل على استحالة مفعول واحد بالعين بين فاعلين مستقلين، وأثر واحد بين مؤثرين فيه على سبيل الاستقلال. ودل الدليل أيضاً على استحالة وقوع حادث لا محدث له، ورجحان راجح لا مرجح له، وهذه أمور (ركبها)[٣]/ ١٥٣ب الله سبحانه في العقول، وحجج العقل لا تتناقض ولا تتعارض، ولا يجوز أن يضرب بعضها ببعض، بل يقال بها كلها ويذهب إلى موجبها، فإنها يصدق بعضها بعضاً . وإنما يعارض (بينها)[٤] من ضعفت بصيرته وإن كثر كلامه وكثرت شكوكه، (فالعلم)[٥] أمر آخر وراء الشكوك والإشكالات، ولهذا تناقض الخصوم، وهذا رأس مال المتكلمين .

والقول الحق لم ينحصر في هذه الأقوال التي حكوها في المسألة. والصواب أن يقال: تقع الحركة بقدرة العبد وإرادته التي جعلها الله فيه، فالله سبحانه إذا

---

(١) في م ، ت: الفعل .

(٢) ساقطة من: م .

(٣) في ع ، د ، س: كتبها .

(٤) في ع ، د ، س: بينهما .

(٥) في ع ، د ، س: والعلم .

أراد فعل العبد خلق له القدرة والداعي إلى فعله، فيضاف الفعل إلى قدرة العبد إضافة (المسبب إلى سببه)[1]، ويضاف إلى قدرة الرب إضافة المخلوق إلى الخالق، فلا يمتنع وقوع مقدور بين قادرين، وقدرة أحدهما أثر لقدرة الآخر وهي جزء سبب، وقدرة القادر الآخر مستقلة بالتأثير . والتعبير عن هذا المعنى بمقدور بين قادرين تعبير فاسد وتلبيس، فإنه يوهم أنهما متكافئان في القدرة، كما (تقول)[2] : هذا الثوب بين هذين الرجلين، وهذه الدار بين هذين الشريكين، وإنما المقدور واقع بالقدرة الحادثة وقوع المسبب بسببه، والسبب (و)[3] المسبب والفاعل والآلة كله أثر القدرة القديمة .(فلا)[4] نعطل قدرة الرب تعالى عن شمولها وكمالها وتناولها لكل ممكن، ولا نعطل قدرة (العبد)[5] التي هي سبب عما جعلها الله سبباً له ومؤثرة فيه، وليس في الوجود شيء مستقل بالتأثير سوى (مشيئة)[6] الرب تعالى وقدرته، وكل ما سواه مخلوق له، وهو أثر قدرته ومشيئته، ومن أنكر ذلك لزمه إثبات خالق سوى الله، أو القول بوجود مخلوق لا خالق له، فإن فعل العبد إن لم يكن مخلوقاً للعبد، إما استقلالاً وإما على / سبيل الشركة، وإما أن يقع بغير خالق، ولا مخلص عن ١٥٤أ هذه الأقسام لمنكر دخول الأفعال تحت قدرة الرب تعالى ومشيئته وخلقه .

وإذا عرف هذا، فنقول: الفعل وقع بقدرة الرب خلقاً وتكويناً كما وقعت

---

(١) في ت، ع ، د، س : السبب إلى سببه .

(٢) في م : يقال .

(٣) في ع ، د، س : أو .

(٤) في ع ، د، س : ولا .

(٥) في د ، س : الرب .

(٦) ساقطة من م .

سائر المخلوقات بقدرته وتكوينه، وبقدرة العبد سبباً ومباشرة، (فالله)[١] خلق الفعل، والعبد فعله وباشره، (فالقدرة)[٢] الحادثة وأثرها واقعان بقدرة الرب ومشيئته .

فصل

قال الجبري : لو كان العبد فاعلاً لأفعاله؛ لكان عالماً بتفاصيلها، لأنه يمكن أن يكون الفعل أزيد مما فعله أو أنقص، فوقوعه على ذلك الوجه مشروط بالعلم بتفصيله، ومعلوم أن النائم والغافل قد يفعل ولا يشعر (بكيفيته)[٣] ولا قدره، وأيضاً فالمتحرك يقطع المسافة ولا شعور له بتفاصيل الحركة ولا أجزاء المسافة، ومحرك إصبعه محرك لأجزائها ولا يشعر بعدد أجزائها ولا بعد أحيازها، والمتنفس يتنفس باختياره ولا يشعر في الغالب بنفسه، فضلاً عن أن يشعر بكميته وكيفيته ومبدئه ونهايته، (والغافل)[٤] قد يتكلم بالكلمة ويفعل الفعل باختياره، ثم بعد فراغه منه يعلم أنه لم يكن قاصداً له، فنحن نعلم علماً ضرورياً من أنفسنا عدم علمنا بموجود أكثر حركاتنا [٥] في حالة المشي والقيام والقعود، ولو أردنا فصل كل جزء من أجزاء حركاتنا في حالة إسراعنا بالمشي والحركة والإحاطة به لم يمكنا ذلك، بل ونعلم ذلك في حال أكمل العقلاء فما الظن بالحيوانات العجم في مشيها وطيرانها، وسباحتها، حتى الذر والبعوض[٦]، وهذا مشاهد في السكران ومن اشتد به الغضب، ولهذا قال تعالى:

---

(١) في ع ، د ، س : والله .

(٢) في ع ، د ، س : والقدرة .

(٣) في ع ، د ، س : بكيفية .

(٤) في ع ، د، س : والعاقل .

(٥) في ع ، د ، س زيادة : وسكناتنا .

(٦) انظر المطالب العالية (٩/ ٨٤-٨٩) .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾[1] فدل على أن السكران يصدر منه أقوال لا يعلم بها فكيف يكون هو المحدث لتلك الأقوال / وهو لا يشعر بها، والإرادة فرع الشعور، ولهذا أفتى الصحابة بأنه لا يقع طلاق السكران[2]، ونزّلوا حركة لسانه منزلة تحريك غيره له بغير إرادة، ولهذا قال النبي ﷺ : «لا طلاق في (إغلاق)[3]»[4]؛ لأن الإغلاق يمنع العلم والإرادة، فكيف يكون التطليق فعله وهو غير عالم به، ولا مريد له. وأيضاً، فقد قال جمهور الفقهاء: إن الناسي غير مكلف؛ لأن فعله لا يدخل تحت الاختيار[5]، ففعله غير مضاف إليه مع أنه وقع باختياره. وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى بعينه في قولـه : « من أكل أو شرب ناسياً فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه»[6] فأضاف فعله إلى الله سبحانه لا إليه، فلم يكن له فل في الأكل والشرب، فلم يفطر به .

١٥٤ب

---

(١) سورة النساء آية ٤٣ .

(٢) سبق ذكر ذلك في ص (٨٢٤) .

(٣) في ع ، د، س : الإغلاق .

(٤) سبق تخريجه في ص (٨٢٤) .

(٥) انظر روضة الناظر لابن قدامة ص(٤٨) .

(٦) هذا الحديث من رواية أبي هريرة رضي الله عنه وأخرجه: البخاري (٢/ ٢٣٤) ك الصوم ـ باب الصائم إذا أكل أو شرب ناسياً. وفي (٧/ ٢٢٦) ك الأيمان والنذور ـ باب إذا حنث ناسياً في الأيمان وقول الله تعالى: ﴿ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به﴾. ومسلم (٢/ ٨٠٩) ك الصيام ـ باب أكل الناسي وشربه وجماعه لا يفطر. وأبو داود (٧/ ٣٠) ك الصيام ـ باب من أكل ناسياً . والترمذي (٣/ ١٠٠) ك الصوم ـ باب ما جاء في الصائم ـ يأكل أو يشرب ناسياً. وقال : حديث حسن صحيح. والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم، وبه يقول سفيان الثوري، والشافعي، وأحمد، وإسحاق . وقال مالك بن أنس: إذا أكل في رمضان ناسياً فعليه القضاء. والقول الأول أصح .

قال السني : هذا موضع تفصيل لا يليق به الإجمال، فنقول : ما يصدر (عن)[١] العبد من الأفعال ينقسم أقساماً متعددة بحسب قدرته وعلمه (وداعيه)[٢] وإرادته، فتارة يكون ملجأ إلى الفعل لا إرادة له فيه بوجه ما، كمن أمسكت يده وضرب لها غيره، أو أمسكت إصبعه وقلع بها عين غيره، فهذا فعله بمنزلة حركات الأشجار بالريح، ولهذا لا يترتب عليه حكم البتة، ولا يمدح عليه ولا يذم، ولا يثاب ولا يعاقب، وهذا لا يسمى فاعلاً عقلاً ولا شرعاً ولا عرفاً، وتارة يكون مكرهاً على أن يفعل، فهذا فعله يضاف إليه، وليس كالملجأ الذي لا فعل له .

واختلف الناس: هل يقال: إنه فعل باختياره وإنه يختار (في)[٣] فعله أو لا يطلق عليه ذلك ؟ (على قولين)[٤]، والتحقيق أن النزاع لفظي، فإنه فعل بإرادة هو محمول عليها مكره عليها. فهو مختار، مكره على (أن يفعل)[٥] (بإرادته)، مريد

= ورواه النسائي في ك الصوم من سننه الكبرى ، كما في تحفة الأشراف (١٠/ ٣٥٤) . وابن ماجة (١/ ٥٣٥) ك الصيام ـ باب ما جاء فيمن أفطر ناسياً. والإمام أحمد (٢/ ٤٨٩، ٤٩١، ٥٤١). وابن خزيمة في صحيحه (٣/ ٢٣٨)، والدارقطني في سننه (٢/ ١٧٨-١٨٠) . وعبد الرزاق في مصنفه (٤/ ١٧٣) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٨/ ٢٨٦-٢٨٧). والبغوي في شرح السنة (٦/ ٢٩١). والبيهقي في سننه (٤/ ٢٢٩) ك الصيام ـ باب من أكل أو شرب ناسياً. وأبو يعلى في مسنده (١٠/ ٤٢٥) .

(١) في د ، س : من .

(٢) في د، س : وداعيته .

(٣) في ع ، د ، س : ما .

(٤) ما بين القوسين ساقط من ت .

(٥) في ع ، د ، س : ليفعل .

(لفعل)[١] ما أكره عليه. فإن أريد بالمختار (من)[٢] يختار من نفسه أن يفعل)[٣] من غير أن يحمله غيره على الإرادة فليس المكره بمختار، وإن أريد المختار)[٤] من يفعل بإرادته وإن كان كارهاً للفعل / فالمكره مختار، وأيضاً فهو مختار ١٥٥أ (لفعل)[٥] ما أكره (عليه)[٦] لتخلصه (به)[٧] مما هو أكره من الفعل، فلما رضي له مكروهان أحدهما أكره إليه من الآخر، اختار أيسرهما دفعاً لأشقاهما، ولهذا يقتل قصاصاً إذا قتل عند الجمهور[٨]، والملجأ لا يقتل باتفاق الناس.

ومما يوضح هذا أن المكره على التكلم لا يأتي منه التكلم إلا باختياره وإرادته، ولهذا أوقع طلاقه وعتاقه بعض العلماء[٩]، والجمهور قالوا: لا يقع[١٠]؛ لأن الله سبحانه جعل كلام المكره على كلمة الكفر (لغواً)[١١] لا

---

(١) في ع ، د ، س : ليفعل .

(٢) في ع ، د ، س : ما .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ن) .

(٤) من قوله « يختار من نفسه » إلى هنا ساقط من ع، د، س.

(٥) في ع ، د ، س : ليفعل .

(٦) ساقطة من ع ، د ، س . وفي ت : عليه به .

(٧) ساقطة من ت .

(٨) وهذا مذهب المالكية والشافعية والحنابلة. انظر بداية المجتهد (٢/ ٣٩٦) وشرح المنهج (٢/ ١٢٧) والروض الندي لأحمد بن عبد الله البعلي ص(٤٤٥) نشر المكتبة السلفية بالقاهرة. وعند الحنفية لا يقتل وإن كان آثماً . انظر مختصر القدوري (٤/ ١١٢) المطبوع مع شرحه اللباب لعبد الغني الغنيمي، نشر المكتبة العلمية ، بيروت سنة ١٤٠٠هـ .

(٩) وهذا مذهب الحنفية في العتق والطلاق . انظر مختصر القدوري (٤/ ١١٢) .

(١٠) وهذا مذهب المالكية والشافعية والحنابلة. انظر بداية المجتهد (١/ ٨١) وشرح المنهج (٢/ ٢٣٥) . والروض الندي ص (٣٨٩) والمغني (١٠/ ٣٥٠) .

(١١) في ت ، ع : لغو .

يترتب عليه أثره؛ لأنه وإن قصد التكلم باللفظ دفعاً عن نفسه، فلم يقصد معناه وموجبه، حتى قال بعض الفقهاء: لو قصد (الطلاق)[١] بقلبه مع الإكراه لم يقع طلاقه؛ لأن قوله هذر ولغو عند الشارع، فوجوده كعدمه في حكمه، فبقي مجرد القصد، وهو غير موجب للطلاق[٢] . وهذا ضعيف، فإن الشارع إنما ألغى قول المكره إذا تجرد عن القصد، وكان قلبه مطمئناً بضده، فأما إذا قارن اللفظ القصد ، واطمأن القلب بموجبه، فإنه لا يعذر .

فإن قيل: فما تقولون فيمن ظن أن الإكراه لا يمنع وقوع الطلاق، فقصده جاهلاً بأن الإكراه مانع (من)[٣] وقوعه؟.

قيل : هذا لا يقع طلاقه[٤] لأنه لما ظن أن الإكراه على الطلاق يوجب وقوعه إذا تكلم به كان حكم قصده حكم لفظه، فإنه إنما قصده دفعاً عن نفسه لما علم أنه لا يتخلص إلا به، ولم يظن أن الكلمة بدون القصد لغو، أو دهش عن ذلك ولا وطر له في الطلاق ، فهذا لا يقع بخلاف الأول، فإنه لما أكره على الطلاق نشأ له قصد طلاقها؛ إذ لا غرض له أن يقيم مع امرأة أكره على طلاقها، وإن كان لو لم يكره لم يبتدئ طلاقها، والمقصود أن المكره مريد لفعله غير ملجأ إليه / . ١٥٥ب

فصل

وأما أفعال النائم، فلا ريب في وقوع الفعل القليل منه والكلام المفيد. واختلف الناس هل تلك الأفعال مقدورة له أو مكتسبة أو ضرورية بعد

---

(١) ساقطة من م .

(٢) انظر المغني (١٠/ ٣٥٣-٣٥٤) .

(٣) ساقطة من م .

(٤) في ت زيادة :لأن اللفظ موجب لوقوعه .

اتفاقهم على أنها داخلة تحت التكليف .

فقالت المعتزلة وبعض الأشعرية: هي مقدورة له، والنوم لا يضاد القدرة وإن كان يضاد العلم وغيره من الإدراكات[١] .

وذهب أبو إسحاق وغيره إلى أن الفعل غير مقدور له، وأن النوم يضاد القدرة كما يضاد العلم[٢] .

وذهب القاضي أبو بكر وكثير من الأشعرية إلى أن فعل النائم لا يقطع بكونه مكتسباً ولا بكونه ضرورياً. وكل من الأمرين ممكن[٣] .

قال أصحاب القدرة : كان النائم قادراً في يقظته، وقدرته باقية، والنوم لا ينافيها، فوجب استصحاب حكمها. وقالوا : وأيضاً فالنائم إذا انتبه فهو على ما كان عليه في نومه، ولم يتجدد أمر رواء زوال النوم وهو قادر بعد الانتباه، وزوال النوم غير موجب للاقتدار، ولا وجوده نافياً للقدرة . وقالوا: وأيضاً قد يوجد من النائم ما لو وجد منه في حال اليقظة: لكان واقعاً على حسب الداعي والاختيار، والنوم وإن نافى القصد لا ينافي القدرة.

قال النافون للقدرة: قولكم: النوم لا ينافي القدرة دعوى كاذبة، فإن النائم منفعل محض متأثر (غير مؤثر)[٤]، ولهذا لا يمتنع ممن يؤثر فيه .

وقولكم : لم يتجدد له أمر غير زوال النوم، فالمتجدد زوال (النوم)[٥] المانع من القدرة، فعاد إلى ما كان عليه، كمن أوثق غيره رباطاً ومنعه من الحركة،

---

(١) انظر المواقف ص (١٥٥) .

(٢) المرجع السابق ص (١٥٥) .

(٣) المرجع السابق ص (١٥٥)

(٤) في ع : بياض ، وفي د ، س : صرف .

(٥) ساقطة من م ،ع ، د ، س .

فإذا حل رباطه تجدد زوال المانع .

قالوا : نجد تفرقة ضرورية بين حركة النائم (وبين)[١] حركة المرتعش والمفلوج، وما ذاك إلا (أن)[٢] حركته مقدورة له، وحركة المرتعش غير مقدورة له .

١٥٦أ والتحقيق أن حركة / النائم ضرورية له غير مكتسبة، وكما فرقنا في حق المستيقظ بين حركة ارتعاشه وحركة تصفيقه، كذلك نجد تفرقة ضرورية بين حركة النائم وحركة المستيقظ .

فصل

وأما زائل العقل بجنون أو سكر، فليست أفعاله اضطرارية (كأفعال)[٣] الملجأ ولا اختيارية بمنزلة أفعال (العاقل)[٤] بما يفعله، بل هي قسم آخر (بين)[٥] الاضطرارية (والاختيارية)[٦]، وهي جارية مجرى أفعال الحيوان وفعل الصبي الذي لا تمييز له، بل لكل واحد من هؤلاء داعية إلى الفعل يتصورها، وله إرادة يقصد بها، وقدرة ينفذ بها وإن كان داعيه (نوع)[٧] آخر غير داعي العاقل العالم بما يفعله، فلا بد أن يتصور ما في الفعل من الغرض، ثم يريده ويفعله (فهذه)[٨] أفعال طبيعية واقعة بالداعي والإرادة والقدرة،

---

(١) ساقطة من ع ، د ، س .
(٢) في ع ، د، س : أن .
(٣) في م : كما فعال ، وفي ع كما فعل .
(٤) في ع ، د ، س : العامل .
(٥) في ع ، د، س : من .
(٦) ساقطة من ع ، د ، س .
(٧) في د : نوعاً .
(٨) في ع ، د، س : وهذه .

والدواعي والإرادات تختلف، ولهذا لا يكلف أحد هؤلاء بالفعل، فأفعاله لا تدخل تحت التكليف، وليست كأفعال الملجأ ولا المكره، وهي مضافة إليهم مباشرة، وإلى خالق ذواتهم وصفاتهم خلقاً، فهي مفعولة (له)[١] (وأفعال)[٢] لهم .

(فصل)[٣]

(وأما الغافل)[٤] والساهي الذي يفعل الفعل مع غفلته (وذهوله، فهو إنما يفعله بقدرته ، إذ لو كان عاجزاً لما تأتى منه الفعل وله إرادة)[٥] لكنه غافل عنها، فالإرادة شيء، والشعور بها شيء آخر، فالعبد قد يكون له إرادة وهو ذاهل عن شعوره بها لاشتغال محل التصور منه بأمر آخر منعه من الشعور بالإرادة فعملت عملها، وهي غير مشعور بها، وإن كان لابد من الشعور بأصلها فلا يلزم (في)[٦] صحة وقوع الفعل استمرار ذلك الشعور)[٧] عند كل جزء من أجزائه، وبالله التوفيق .

وبالجملة، فالفعل الاختياري يستلزم الشعور بالفعل في الجملة، وأما الشعور به على التفصيل (من كل وجه)[٨] فلا يستلزمه .

---

(١) ساقطة من ع ، د ، س .

(٢) في د: وأفعاله .

(٣) ما بين القوسين ساقط من ع ، د ، س .

(٤) ما بين القوسين ساقط من ع ، د ، س .

(٥) ما بين القوسين ساقط من ت .

(٦) في م : من .

(٧) ما بين القوسين ساقط من ع، د، س .

(٨) ما بين القوسين ساقط من ع ، د ، س .

فصل

١٥٦ب قال الجبري : ضلال الكافر وجهله /عند القدري مخلوق له موجود بإيجاده اختيارياً، وهذا ممتنع، فإنه لو كان كذلك، لكان قاصداً له، إذ القصد من لوازم الفعل اختياراً، واللازم ممتنع، فإن عاقلاً لا يريد لنفسه الضلال والجهل، فلا يكون فاعلاً له اختياراً[١] .

قال السني : عجباً لك أيها الجبري، تنزه العبد أن يكون فاعلاً للكفر والجهل والظلم، ثم تجعل ذلك كله فعل الله سبحانه . ومن العجب قولك : إن العاقل لا يقصد لنفسه الكفر والجهل، وأنت ترى كثيراً من الناس يقصد لنفسه ذلك عناداً وبغياً وحسداً، مع علمه بأن الرشد والحق في خلافه، فيطيع (داعي)[٢] هواه وغيه وجهله، ويخالف داعي رشده وهداه، ويسلك طريق الضلال، ويتنكب عن طريق الهدى، وهو يراهما جميعاً، قال أصدق القائلين : ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾[٣] وقال تعالى : ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾[٤] وقال تعالى عن قوم فرعون: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[٥] وقال تعالى : ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ

---

(١) انظر المطالب العالية (١٠٩/٩) .

(٢) في ع ، د، س : دواعي .

(٣) سورة الأعراف آية ١٤٦ .

(٤) سورة فصلت آية ١٧ .

(٥) سورة النمل آية ١٣، ١٤ .

أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾[١] ، وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾[٢] ، وقال : ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾[٣] ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤] / وقال تعالى : ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ﴾[٥] وهذا في القرآن كثير يبين سبحانه فيه اختيارهم الضلال والكفر عمداً (على)[٦] علم. هذا وكم من قاصد أمراً يظن أنه رشد وهو ضلال وغي . ١٥٧أ

فصل

قال الجبري : لو جاز تأثير قدرة العبد في (الفعل)[٧] بالإيجاد، لجاز تأثيرها في (إيجاد)[٨] كل موجود؛ لأن الوجود قضية واحدة مشتركة بين الموجودات الممكنة، وإن اختلفت محاله وجهاته. ويلزم صحة تأثير القدرة في بعضه صحة تأثيرها في جميعه لاتحاد المتعلق، وإن ما ثبت لأحد المثلين ثبت للآخر. وأيضاً

---

(١) سورة العنكبوت آية ٣٨ .

(٢) سورة البقرة آية ١٠٢ .

(٣) سورة البقرة آية ٩٠ .

(٤) سورة آل عمران آية ٧٠-٧١ .

(٥) سورة آل عمران آية ٩٩ .

(٦) ساقطة من ع .

(٧) في ع ، د ، س : القول .

(٨) ساقطة من م .

فالمصحح للتأثير هو الإمكان، ويلزم من الاشتراك في المصحح للتأثير والاشتراك في الصحة، ومعلوم قطعاً أن قدرة العبد لا تتعلق بإيجاد الأجسام وأكثر الأعراض، إنما تتعلق ببعض الأعراض القائمة بمحل قدرته [(١)] .

قال السني : لقد كشف الله عوار مذهب يكون (إثباته مستنداً)[(٢)] إلى مثل هذه الخرافات التي حاصلها أنه يلزم من صحة قدرة العبد على قلع حصاة من الأرض صحة قدرته على قلع الجبل، ومن إمكان حمله لرطل، إمكان حمله لمائة ألف رطل، ومن إيجاده للفعل القائم به من الأكل والشرب والصلاة وغيرها صحة إيجاده لخلق السماوات والأرض وما بينهما .

وهل سمع في الهذيان بأسمج من هذا (وأغث)[(٣)] منه. واشتراك الموجودات في مسمى الوجود الكلي العام لا يلزم منه أن ما جاز على موجود (ما)[(٤)]، جاز على كل موجود . وهذا أسمج من الأول وأبين فساداً. ولا يلزم من ذلك تماثل البعوضة والفيل ، وتماثل الأجسام والأرض. ومن يجعل من الجبرية للقدرة الحادثة تعلقاً ما بفعل العبد يعترف بالفرق، ويقول : قدرته تتعلق ببعض الأعراض ولا تتعلق بالأجسام، ولا بكل الأعراض. فإن ١٥٧ب احتج / على إبطال التأثير، بهذه الشبهة الغثة، ألزم بعينها في عموم تعلق قدرته بكل موجود .

فصل

قال الجبري : دليل التوحيد ينفي كون العبد فاعلاً ، وأن يكون لقدرته

---

(١) انظر المطالب العالية (٩/ ٩١-٩٣) .

(٢) في م : استناده .

(٣) في م ، ت : وأغر .

(٤) في ت : بنا .

تأثير في فعله وتقريره بدليل التمانع [١] .

قال السني : دليل التوحيد إنما ينفي وجود رب ثان، ويدل على أن لا رب إلا هو سبحانه، ولا يدل على امتناع وجود مخلوق له قدرة وإرادة مخلوقة يحدث بها هو وقدرته وإرادته وفعله مخلوق لله ، فهو بعد طول مقدمات واعتراف فضائلكم بالعجز عن تقريره، وذكر ما في مقدماته من منع ومعارضة، إنما ينفي وجود قادرين متكافئين، قدرة كل واحد منهما من لوازم ذاته ليست مستفادة من الآخر، وهو دليل صحيح في نفسه، وإن عجزتم عن تقريره، ولكن ليس فيه ما ينفي أن تكون قدرة العبد وإرادته سبباً لوجود مقدرة، وتأثيرها فيه تأثير الأسباب في مسبباتها، فلا للتوحيد قررتم بدليل التمانع ولا للجبر. وقد كفانا أفضل متأخريكم[٢] بيان (ما في)[٣] هذا الدليل من (المنوع)[٤] والمعارضات[٥] .

قال الجبري : دعنا من هذا كله، أليس في القول بتأثير قدرة العبد في مقدوره، مع الاعتراف بأن الله سبحانه قادر على مقدور العبد إلزام وقوع الواحد بين القادرين والدليل ينفيه ؟

قال السني : ما تعني بقولك: يلزم وقوع مقدور بين قادرين ؟ أتعني به قادرين مستقلين متكافئين ؟ أم تعني به قادرين تكون قدرة أحدهما مستفادة

---

(١) انظر المطالب العالية (٩/ ١٦-١٧، ٨٣-٨٤) .

(٢) هو : محمد بن عمر الرازي سبقت ترجمته في ص (٨٣٥) .

(٣) في ع ، د ، س : تنافي .

(٤) في م : الممنوع .

(٥) انظر المطالب العالية للرازي (٢/ ١٣٥ وما بعدها) والمحصل للرازي ص(٤٥٢) والمواقف للإيجي . ص (٢٧٩، ٢٨٥) .

من الآخر ؟

فإن عنيت الأول منعت الملازمة، وإن عنيت الثاني منع انتفاء اللازم . ومثبتو الكسب يجيبون عن هذا بأنه لا يمتنع وقوع مقدور بين قادرين لقدرة أحدهما تأثير في إيجاده، ولقدرة الآخر تأثير في صفته، كما يقوله القاضي أبو بكر ومن تبعه [١] / والأشعري يجيب عنه على أصله بأن الفعل وقع بين قادرين لا تأثير لقدرة أحدهم في المقدور[٢] . بل تعلق قدرته بمقدورها كتعلق العلم بمعلومه، وإنما الممتنع عنده وقوع مقدور بين قادرين مؤثرين، وهذا الاعتذار لا يخرج عن الجبر، وإن زخرفت له العبارات . ١٥٨أ

(وأجابت)[٣] عنه الحسينية[٤] بما حكيناه أنه لا يمتنع مقدور على سبيل البدل، ويمتنع على سبيل الجمع، وقد تقدم فساده[٥] .

وأجاب عنه المشايخية[٦] بأنه مقدور للعبد وليس مقدوراً للرب، وهذا أبطل الأجوبة وأفسدها، والقائلون به يقولون: إن الله ـ سبحانه عن إفكهم ـ يريد الشيء فلا يكون، ويكون الشيء بغير إرادته ومشيئته، فيريد ما لا

---

(١) انظر المطالب العالية للرازي (٩/ ١٠) والمواقف للإيجي ص (٣١٢، ١٥٠) والإنصاف للباقلاني ص (٤٠-٤١) والمحصل للرازي ص(٤٥٥) والملل والنحل (١/ ٩٧-٩٨) .

(٢) انظر المطالب والمحصل ص (٤٥٥) والمواقف ص(٣١١، ١٥٠-١٥١) ولمع الأدلة للجويني ص(١٢) والملل والنحل (١/ ٩٧-٩٨) .

(٣) في ت ، ع ، د ، س : وأجاب .

(٤) سبق التعريف بهم في ص (٨٤٩) .

(٥) انظر ص (٨٤٩ وما بعدها) .

(٦) سبق أن ذكرهم المؤلف في ص (٨٤٩) .

يكون، ويكون ما لا يريد، وكفى بهذا بطلاناً وفساداً .

قال الجبري : الفعل عند المرجح التام واجب، والمرجح ليس من العبد، وإلا لزم التسلسل، فهو من الرب تعالى، فإذا وجب الفعل عنده فهو الجبر بعينه[1] .

قال السني : قد تقدم هذا الدليل وبيان ما فيه، وحيث أعدتموه بهذه العبارة الوجيزة المختصرة، فنحن نذكر الأجوبة عنه كذلك :

قولكم : لا بد من مرجح[2] الفعل على الترك أو بالعكس مسلَّم .

قولكم : المرجح إن كان من العبد لزم التسلسل، وإن كان من الرب لزم الجبر، جوابه ما المانع أن يكون من فعل العبد، ولا يلزم التسلسل، بأن يكون من فعله على وجه لا يكون الترك ممكناً له حينئذ. ولا يلزم من سلب الاختيار عنه (في)[3] فعل المرجح سلبه عنه مطلقاً، ثم ما المانع المرجح من فعل الله، ولا يلزم الجبر، فإنكم إن عنيتم بالجبر أنه غير مختار للفعل، ولا مريد له لم يلزم الجبر بهذا الاعتبار ، لأن الرب تعالى جعل المرجح اختيار العبد ومشيئته، فانتفى الجبر، وإن عنيتم / (بالجبر أنه وجد لا بإيجاد العبد لم ١٥٨ب يلزم الجبر أيضاً بهذا الاعتبار، وإن عنيتم)[4] أنه يجب عند وجود المرجح، وإنه لابد منه، فنحن لا ننفي الجبر بهذا الاعتبار. وتسمية ذلك جبراً اصطلاح (محض)[5]، وهو اصطلاح فاسد، فإن فعل الرب سبحانه يجب عند

---

(١) انظر المطالب العالية (٩/ ١٣، ٢٢) .

(٢) في د ، س : مرجح يرجح .

(٣) في ت : من .

(٤) ما بين القوسين ساقطة من م .

(٥) في ع ، د ، س : يختص بكم .

وجود مرجحه التام، ولا يكون ذلك جبراً بالنسبة إليه سبحانه، ثم هذا لازم على من أثبت الكسب منكم، فنقول له في الكسب ما قاله في أصل الفعل سواء، ومن لم يثبت الكسب (لزمه)[1] ذلك في فعل الرب كما تقدم .

فإن قلتم : الفرق أن صدور الفعل عن القادر موقوف على الإرادة، وإرادة العبد محدثة، فافتقرت إلى محدث، فإن كان ذلك المحدث هو العبد لزم التسلسل، فوجب انتهاء جميع الإرادات إلى إرادة ضرورية يخلقها الله في القلب ابتداء، ويلزم منه الجبر بخلاف إرادة الرب تعالى، فإنها قديمة مستغنية عن إرادة أخرى، فلا تسلسل[2] .

قيل لكم : لا يجدي هذا عليكم في دفع الإلزام، فإن الإرادة القديمة إما أن يصح معها الفعل بدلاً عن الترك وبالعكس، أو لا ، فإن كان الأول، فلابد لأحد الطرفين من مرجح، والكلام في ذلك المرجح كالكلام في الأول، ويلزم التسلسل، وإن كان الثاني لزم الجبر.

قال الجبري : معتمدي في الجبر على حرف لا خلاص لكم منه إلا (بالتزام)[3] الجبر، وهو أن العبد لو كان فاعلاً فعله لكان محدثاً له، ولو كان محدثاً له لكان خالقاً له، (والشرع)[4] والعقل ينفيه، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾[5] .

---

(١) في ع ، د، س : لزم .

(٢) انظر المطالب العالية (٩/ ٢٧) .

(٣) في م ، ع ، د ، س : بإلزام .

(٤) ساقطة من ت .

(٥) سورة فاطر آية ٣ .

قال السني : قد دل العقل والشرع والحس على أن العبد فاعل لفعله)[1] وأنه يستحق عليه الذم واللعن، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه رأى حماراً قد وُسِم[2] (في)[3] وجهه، فقال : « ألم أنه /عن هذا؟ لعن الله من فعل هذا »[4]. ١٥٩أ

وقال تعالى : ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ ﴾[5]، وقال : ﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[6] ، وقال : ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ﴾[7] .

وهذا في القرآن أكثر من أن يذكر، والحس شاهد به، فلا تقبل شبهة تقام على خلافه، ويكون حكم تلك الشبهة حكم القدح في (الضروريات)[8] فلا

---

(١) في ع ، د ، س : له .

(٢) وسم : أي علم عليه بالكي . انظر النهاية لابن الأثير (٥/ ١٨٦)

(٣) في ع : على .

(٤) هذا الحديث من رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه وأخرجه : مسلم (٣/ ١٦٧٣) ك اللباس والزينة ـ باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه. وأبو داود (٧/ ٢٣٢) ك الجهاد ـ باب النهي عن الوسم في الوجه والضرب في الوجه، والترمذي (٤/ ١٨٣) باب ما جاء في كراهية التحريش بين البهائم والضرب والوسم في الوجه . وقال: هذا حديث حسن صحيح . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٢/ ٤٤٣) . وعبد الرزاق في مصنفه (٤/ ٤٥٨-٤٥٩) ك المناسك ـ باب الوسم. والإمام أحمد في المسند (٣/ ٢٩٦-٢٩٧، ٣١٨، ٣٧٨) وأبو يعلى في مسنده (٤/ ٧٦) .

(٥) سورة الأنبياء آية ٧٤ .

(٦) سورة النمل آية ٩٠ .

(٧) سورة الزمر آية ٧٠ .

(٨) في ت : الضرورات .

يلتفت إليه، ولا يجب على العالم حل كل شبهة تعرض لكل أحد، فإن هذا لا آخر له .

فقولكم : لو كان فاعلاً لفعله لكان محدثاً له، إن أردتم (بكونه)[١] محدثاً صدور الفعل منه اتحد اللازم والملزم، وصار حقيقة قولكم لو كان فاعلاً لكان فاعلاً . وإن أردتم بكونه محدثاً كونه خالقاً، سألناكم: ما تعنون بكونه خالقاً؟ هل تعنون به كونه فاعلاً (أم)[٢] تعنون به أمراً آخر ؟ (فإن أردتم الأول، كان اللازم فيه عين الملزوم، وإن أردتم أمراً آخر)[٣] غير كونه فاعلاً فبينوه . فإن قلتم : نعني به كونه موجداً للفعل من العدم إلى الوجود، قيل: هذا معنى كونه فاعلاً ، فما الدليل على إحالة هذا المعنى، فسموه ما شئتم إحداثاً، أو إيجاداً أو خلقاً، فليس الشأن في التسميات، وليس الممتنع إلا أن يكون مستقلاً بالإيجاد، وهذا غير لازم لكونه فاعلاً فإنا قد بيَّنا أن غاية قدرة العبد وإرادته وداعيه وحركته أن تكون جزء سبب، وما توقف عليه الفعل من الأسباب التي لا تدخل تحت قدرته (وكسبه)[٤] أكثر من الجزء الذي إليه بأضعاف مضاعفة، والفعل لا يتم إلا بها .

فإن قيل : فهذا الجبر بعينه، قيل : ذلك السبب الذي أعني به من القدرة والإرادة هو الذي أخرجه من الجبر وأدخله في الاختيار، وكون ذلك السبب من خالقه وفاطره (ومنشئه)[٥] هو الذي أخرجه من الشرك والتعطيل،

---

(١) ساقطة من م .

(٢) في ت : أو .

(٣) ما بين القوسين ساقطة من د .

(٤) ساقطة من ع ، د ، س .

(٥) في د : ولمنشئه .

وأدخله في باب التوحيد، (فالأول أدخله في باب العدل، والثاني أدخله في باب التوحيد)[1] ، ولم يكن ممن نقض التوحيد بالعدل ولا / ممن نقض العدل ١٥٩ب بالتوحيد، فهؤلاء جنوا على التوحيد، وهؤلاء جنوا على العدل . وهدى الله أهل السنة للتوحيد والعدل، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

* * *

(١) ما بين القوسين ساقطة من ت .

الباب العشـرون

في ذكر مناظرة بـين قـدري وسنـي

الباب العشرون

في ذكر مناظرة بين قدري وسني

قال القدري : قد أضاف الله سبحانه الأعمال إلى العباد بأنواع الإضافة العامة والخاصة، فأضافها إليهم بالاستطاعة تارة، كقوله : ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾[١] وبالمشيئة، كقوله : ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾[٢] وبالإرادة تارة، كقوله : ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾[٣] وبالفعل (والعمل)[٤] والكسب والصنع، كقوله: ﴿تَفْعَلُونَ﴾[٥] ﴿تَعْمَلُونَ﴾[٦] ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾[٧]، ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[٨] وأما بالإضافة الخاصة؛ فكإضافة الصلاة والصيام والحج والطهارة والزنا والسرقة والقتل والكذب والكفر والفسوق وسائر أفعالهم إليهم، وهذه بالإضافة (تمنع)[٩] إضافتها إليه، كما أن إضافة أفعاله (إليه)[١٠] سبحانه تمتنع إضافتها إليهم، فلا تجوز إضافة أفعالهم إليه سبحانه دونهم ولا إليه معهم، فهي إذاً مضافة إليهم دونه.

---

(١) سورة النساء آية ٢٥.

(٢) سورة التكوير آية ٢٨.

(٣) كما حكاه الله عنه في سورة الكهف آية ٧٩.

(٤) ساقطة من ع، د، س.

(٥) وردت هذه اللفظة في عدد كثير من الآيات سبق ذكرها .

(٦) وردت هذه اللفظة في عدد كثير من الآيات سبق ذكرها .

(٧) وردت هذه اللفظة في عدد كثير من الآيات سبق ذكرها .

(٨) سورة المائدة آية ٦٣.

(٩) في ع، د، س : تمتنع.

(١٠) ساقطة من ع، د، س.

قال السني: هذا الكلام مشتمل على حق وباطل، أما قولك إنه أضاف الأفعال إليهم، فحق لا ريب فيه، وهذا حجة لك على خصومك من الجبرية، وهم يجيبونك (عن ذلك)[١] بأن هذا الإسناد لا حقيقة له، وإنما هو نسبة مجازية صححها قيام الأفعال بهم، كما يقال: جرى الماء وبرد وسخن، ومات زيد. ونحن نساعدك على بطلان هذا الجواب ومنافاته للعقول والشرائع والفطر.

ولكن قولك: هذه الإضافة تمنع إضافتها إليه سبحانه كلام فيه إجمال وتلبيس، فإن أردت بمنع الإضافة إليه منع قيامها به ووصفه بها (وجريان)[٢] أحكامها عليه واشتقاق الأسماء (منها)[٣] فنعم هي غير / مضافة إليه بشيء ١٦٠أ من هذه الاعتبارات والوجوه، وإن أردت بعدم إضافتها إليه عدم إضافتها إلى علمه بها وقدرته عليها ومشيئته العامة وخلقه، فهذا باطل، فإنها (معلومة)[٤] له سبحانه، مقدورة له، مخلوقة (له)[٥] وإضافتها إليهم لا تمنع هذه الإضافة، كالأموال فإنها مخلوقة له سبحانه، وهي ملكه حقيقة قد أضافها إليهم، فالأعمال والأموال خلقه وملكه، وهو سبحانه يضيفها إلى (عبيده)[٦]، وهو الذي جعلهم (مالكيها وعامليها)[٧]، فصحت النسبتان، وحصول الأموال

---

(١) ساقطة من ع، د، س.

(٢) في د : وجريا.

(٣) في ع، د، س: منه.

(٤) في م : تعلق به.

(٥) ساقطة من ع، د، س.

(٦) في م، ت : عبده.

(٧) في م، ت : مالكها وعاملها.

بكسبهم وإرادتهم كحصول الأعمال، وهو الذي خلق الأموال وكاسبيها، والأعمال وعامليها، فأموالهم وأعمالهم ملكه وبيده، كما أن أسماعهم وأبصارهم وأنفسهم ملكه وبيده، فهو الذي جعلهم يسمعون ويبصرون ويعملون، فأعطاهم حاسة السمع والبصر، وقوة السمع والبصر، (وجعل)[1] الأبصار والأسماع، وأعطاهم آلة العمل، وقوة العمل، ونفس العمل، فنسبة قوة العمل إلى اليد والكلام إلى اللسان كنسبة قوة السمع إلى الأذن، والبصر إلى العين، ونسبة الرؤية والاستماع اختياراً إلى محلهما كنسبة الكلام والبطش إلى محلهما، (فإن)[2] كانوا هم الذين خلقوا لأنفسهم الرؤية والسمع، فهل خلقوا (محلهما)[3]، وقوى المحل والأسباب الكثيرة التي (تصح)[4] معها الرؤية والسمع؟! أم الكل خلق من هو خالق (كل)[5] شيء وهو الواحد القهار.

قال القدري: لو كان الله سبحانه هو الفاعل لأفعالهم، لاشتقت له منها الأسماء، وكان أولى بأسمائهم منهم، إذ لا يعقل الناس على اختلاف لغاتهم وعاداتهم ودياناتهم قائماً إلا من فعل القيام، وآكلاً إلا من فعل الأكل، وسارقاً إلا من فعل السرقة، وهكذا جميع الأفعال لازمها ومتعديها (فقلبتم)[6] / أنتم الأمر، وقلبتم الحقائق، فقلتم من فعل هذه الأفعال حقيقة ١٦٠ب

(١) في ت، ع، د، س: وفعل.
(٢) في ع، د، س: وإن.
(٣) في د: محلها.
(٤) في د، س: تصلح.
(٥) ساقطة من م.
(٦) في م: فعكستم

لا يشتق له منها اسم، وإنما يشتق منها الأسماء لمن لم يفعلها ولم يحدثها، وهذا خلاف (العقول)[١] واللغات وما تتعارفه الأمم.

قال السني : هذا إنما يلزم إخوانك وخصومك الجبرية القائلين بأن العبد لم يفعل شيئاً البتة، وأما من قال: العبد فاعل لفعله حقيقة، والله خالقه وخالق آلات فعله الظاهرة والباطنة، فإنه إنما يشتق الأسماء لمن فعل تلك الأفعال، فهو القائم (والقاعد)[٢] والمصلي والسارق والزاني حقيقة، فإن الفعل إذا قام (بالفاعل)[٣] عاد حكمه إليه ولم يعد إلى غيره، واشتق له منه اسم ولم يشتق لمن لم يقم به. فهاهنا أربعة أمور:

أمران معنويان في النفي والإثبات، وأمران لفظيان فيهما. فلما قام الأكل والشرب والزنا والسرقة بالعبد، عادت أحكام هذه الأفعال إليه، واشتقت له منها الأسماء، وامتنع عود أحكامها إلى الرب، واشتقاق أسمائها له، ولكن من أين يمنع هذا أن تكون معلومة للرب تعالى، مقدورة له، (مكونة له)[٤]، واقعة من العباد بقدرة ربهم وتكوينه؟

قال (القدري)[٥] : لو كان خالقاً لها (لزمته)[٦] هذه الأمور.

قال السني : هذا باطل ودعوى كاذبة، فإنه سبحانه لا يشتق له اسم مما

---

(١) في د : المعقول.

(٢) في ت : والفاعل.

(٣) في م، ت : بالفعل.

(٤) ساقطة من ت.

(٥) في ت : الجبري. وهو خطأ.

(٦) في م، ت : لزمت.

خلقه في غيره، ولا يعود حكمه عليه، وإنما يشتق الاسم لمن قام به ذلك، فإنه سبحانه خلق الألوان، (والطعوم)[١] والروائح والحركات في محالها، ولم يشتق له منها اسم، ولا عادت أحكامها إليه. ومعنى عود الحكم إلى محل: الإخبار عنه بأنه يقوم ويقعد ويأكل ويشرب.

قال السني : ومن هاهنا (عُلمَ)[٢] ضلال المعتزلة الذين يقولون: (إن)[٣] القرآن مخلوق خلقه الله في محل، ثم اشتق له اسم المتكلم باعتبار خلقه له، وعاد حكمه إليه / فأخبر عنه أنه تكلم به. ومعلوم أن الله سبحانه خالق ١٦١أ صفات الأجسام وأعراضها، وقواها فكيف جاز أن يشتق له اسم مما خلقه من الكلام في غيره، ولم يشتق له اسم مما خلقه من الصفات والأعراض في غيره؟ فأنت أيها القدري نقضت أصولك بعضها ببعض، وأفسدت قولك في مسألة الكلام بقولك في مسألة القدر، وقولك (في القدر)[٤] بقولك في الكلام. فجعلته متكلماً بكلام قام بغيره، وأبطلت أن يكون (فاعلاً بفعل)[٥] قائم بغيره. فإن كنت أصبت في مسألة الكلام، فقد نقضت أصلك في القدر، وإن أصبت في هذا الأصل لزم خطأك في مسألة الكلام، فأنت مخطئ على التقديرين.

قال (القدري)[٦] : فما تقول أنت في هذا المقام؟

---

(١) في ع : العلوم.

(٢) ساقطة من م.

(٣) إضافة من ع.

(٤) في ع : بالقدر.

(٥) في ع، د، س : فاعل الفعل.

(٦) في م، ت: الجبري. وهو خطأ.

قال السني : (أنا)[١] (لا أتناقض)[٢] في هذا ولا في هذا، بل أصفه سبحانه بما قام به، وأمتنع من وصفه بما لم يقم (به)[٣] .

قال (القدري)[٤] : فالآن حمي الوطيس، فأنت والمسلمون وسائر الخلق تسمونه تعالى خالقاً ورازقاً ومميتاً. والخلق والرزق والموت قائم بالمخلوق المرزوق الميت، إذ لو قام ذلك بالرب سبحانه، فالخلق إما قديم وإما حادث، فإن كان قديماً لزم قدم المخلوق لأنه نسبة بين الخالق والمخلوق، ويلزم من كونها قديمة قدم المصحح لها، وإن كان حادثاً لزم قيام الحوادث به، وافتقر ذلك الخلق إلى خلق آخر (ولزم)[٥] التسلسل، فثبت أن الخلق غير قائم به سبحانه، وقد اشتق له منه اسم.

قال السني : أي لازم من هذه اللوازم التزمه المرء كان خيراً من أن ينفي صفة الخالقية عن الرب تعالى، فإن حقيقة هذا القول أنه غير خالق، فإن إثبات خالق بلا خلق إثبات اسم لا معنى له، وهو كإثبات سميع لا سمع له، وبصير لا بصر له، ومتكلم وقادر لا كلام له ولا قدرة، فتعطيل الرب تعالى (عن)[٦] فعله القائم به / كتعطيله (عن)[٧] صفاته القائمة به. ١٦١ب

(١) ساقطة من م، ع، د، س.

(٢) في ع، د، س: لا تناقض.

(٣) ساقطة من ع، د، س.

(٤) في م، ت: الجبري، وهو خطأ.

(٥) في د، س : فلزم.

(٦) في د : على.

(٧) في د : على.

والتعطيل أنواع : تعطيل المصنوع عن الصانع، وهو تعطيل الدهرية والزنادقة، وتعطيل الصانع عن صفات كماله ونعوت جلاله، وهو تعطيل الجهمية نفاة الصفات، وتعطيله عن أفعاله، وهو أيضاً تعطيل الجهمية (وهم أساسه)[1] ودب فيمن عداهم من الطوائف، فقالوا : لا يقوم بذاته فعل؛ لأن الفعل حادث، وليس محلاً للحوادث كما قال إخوانهم : لا تقوم بذاته صفة؛ لأن الصفة عرض وليس محلاً للأعراض، فلو التزم الملتزم أي قول التزمه كان خيراً من تعطيل صفات الرب وأفعاله. فالمشبهة (على)[2] ضلالهم (وبدعهم)[3] خير من المعطلة. ومعطلة الصفات خير من معطلة الذات، وإن كان التعطيلان متلازمين لاستحالة وجود ذات قائمة بنفسها لا توصف بصفة، فوجود هذه محال في الذهن وفي الخارج. ومعطلة الأفعال خير من معطلة الصفات، فإن هؤلاء نفوا صفة الفعل وإخوانهم نفوا صفات الذات. وأهل السمع (والعقل)[4] (حزب)[5] الرسول والفرقة الناجية براء من تعطيل هؤلاء كلهم، فإنهم أثبتوا الذات والصفات والأفعال وحقائق الأسماء الحسنى؛ إذ جعلها المعطلة مجازاً لا حقيقة له. فشر هذه الفرق لخيرها الفداء.

والمقصود أنه أي قول (التزمه)[6] الملتزم كان خيراً من نفي الخلق وتعطيل

---

(١) في ت، ع: وهم انباته. وفي د : أصل إنباته. وفي س : وهم أبنائه.

(٢) ساقطة من ت، ع، د، س.

(٣) في م، ع، د، س : وبدعتهم.

(٤) في م : والعقول.

(٥) في ع، د، س: وحزب.

(٦) في ع، د، س : لزمه.

هذه الصفة عن الله. وإذا عرض على العقل السليم (مفعول لا فاعل له)[١] ومفعول (لا فعل لفاعله)[٢] لم يجد بين الأمرين فرقاً في الإحالة، فمفعول بلا فعل لفاعله كمفعول بلا فاعل لا فرق بينهما البتة، فليعرض العاقل على نفسه القول بتسلسل الحوادث، والقول بقيام الأفعال بذات الرب سبحانه، والقول بوجود مخلوق حادث عن خلق قديم قائم بذات الرب سبحانه، والقول بوجود مفعول / بلا فعل، ولينظر أي هذه الأقوال أبعد عن العقل والسمع وأيها أقرب إليهما. ١٦٢أ

ونحن نذكر أجوبة الطوائف عن هذا السؤال، فقالت طائفة: نختار من هذا التقسيم والترديد كون الخلق والتكوين قديماً قائماً بذات الرب تعالى، ولا يلزمنا قدم المخلوق المكون كما نقول نحن وأنتم: إن الإرادة قديمة، ولا يلزم من قدمها قدم المراد. وكل ما أجبتم به [٣] في صورة الإلزام فهو جوابنا بعينه في مسألة المكون، وهذا جواب سديد، وهو جواب جمهور الحنفية والصوفية وأتباع الأئمة [٤] .

فإن قلتم: إنما (لم)[٥] يلزم من قدم الإرادة قدم المراد، لأنها تتعلق بوجود المراد في وقته، فهو يريد كون الشيء في ذلك الوقت، وأما تكوينه وخلقه قبل وجوده فمحال.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من ع.

(٢) في ع، د، س : لا فاعل لفعله.

(٣) في ت زيادة : فهو.

(٤) انظر المحصل ص (٤٣٥).

(٥) في ع ، د ، س : لا .

قيل لكم : لسنا نقول إنه كونه قبل وقت كونه، بل التكوين القديم اقتضى كونه في وقته، كما اقتضت الإرادة القديمة كونه في وقته.

فإن قلتم : كيف يعقل تكوين ولا (مُكَوَّن)(١) ؟

قيل : كما عقلتم إرادة ولا مراد.

فإن قلتم : المريد قد يريد الشيء قبل كونه، ولا يكونه قبل كونه.

قيل : كلامنا في الإرادة المستلزمة لوجوده (لا)(٢) في الإرادة التي لا تستلزم المراد، وإرادة الرب تعالى ومشيئته تستلزم وجود مراده، وكذلك التكوين يوضحه أن التكوين هو اجتماع القدرة والإرادة وكلمة التكوين، وذلك كله قديم، (ولم)(٣) يلزم منه قدم المكون.

قالوا : وإذا عرضنا هذا على العقول السليمة، وعرضنا عليها مفعولاً بلا فعل بادرت إلى قبول ذلك وإنكار هذا. فهذا جواب هؤلاء.

قالت الكرامية(٤) : بل نختار من هذا الترديد كون التكوين حادثاً،

---

(١) في م : تكوين ، وفي ت : يكون .

(٢) ساقطة من ع.

(٣) في د، س : ولا.

(٤) هم أتباع أبي عبد الله محمد بن كرام السجستاني، المتوفى سنة ٢٥٥هـ، وهم يوافقون السلف في إثبات الصفات، لكنهم يبالغون في ذلك إلى حد التشبيه والتجسيم، وكذلك يوافقون السلف في إثبات القدر والقول بالحكمة، ولكنهم يوافقون المعتزلة في وجوب معرفة الله تعالى بالعقل، وفي الحسن والقبح العقليين. انظر اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٦٧. والملل والنحل (١/١٠٨) والتبصير في الدين لطاهر بن محمد الأسفرائيني، تحقيق محمد زاهد الكوثري، نشر مكتب نشر الثقافة الإسلامية بالقاهرة سنة ١٣٥٩هـ. ص(٦٥-٧٠). والفرق بين =

وقولكم: يلزم من ذلك قيام الحوادث بذات الرب سبحانه، فالتكوين هو فعله وهو قائم / به، وكأنكم قلتم يلزم من قيام فعله به قيامه به، وسميتم ١٦٢ب أفعاله حوادث، وتوسلتم بهذه التسمية إلى تعطيلها كما سمى إخوانكم صفاته أعراضاً، وتوسلوا بهذه التسمية إلى نفيها عنه، وكما سموا علوه على مخلوقاته واستواءه على عرشه تحيزاً (٢) وتوسلوا بهذه (التسمية)(١) إلى نفيه، وكما سموا وجهه الأعلى)(٢) ويديه جوارح، وتوسلوا بذلك إلى نفيها.

قالوا : ونحن لا ننكر أفعال خالق السماوات والأرض وما بينهما، وكلامه، وتكليمه، ونزوله إلى السماء، واستواءه على عرشه، ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده، ونداءه لأنبيائه ورسله وملائكته، وفعله ما شاء بتسميتكم لهذا كله حوادث. ومن أنكر ذلك فقد أنكر كونه رب العالمين، فإنه لا يتقرر في العقول والفطر كونه رباً للعالمين إلا بأن يثبت له الأفعال الاختيارية وذات لا تفعل ليست مستحقة للربوبية ولا للإلهية، (فالإجلال عن)(٣) هذا (الإجلال)(٤) واجب، والتنزيه عن هذا التنزيه متعين.

= الفرق ص(٢٠٢) والبداية والنهاية (١١/ ٢٠) وميزان الاعتدال (٤/ ٢١-٢٢) وذكر فيه الخلاف في ضبط (كرام): هل هو بتشديد الراء. أم تخفيفها. وقولهم بكون التكوين حادثاً وجواز قيام الحوادث بالله عز وجل. انظره في الملل والنحل (١/ ١٠٩-١١١) والمواقف ص(٢٧٥، ٤٢٩) والمحصل ص (٣٦٥) ولمع الأدلة ص(١٠٩) واعتقادات فرق المسلمين ص(٤٣) والغنية لأبي سعيد النيسابوري، المعروف بالمتولي الشافعي ص(٨٢) تحقيق عماد الدين حيدر، ط الأولى ١٤٠٦هـ نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

(١) ساقطة من م، ع، د، س.

(٢-٢) ما بين القوسين ساقط من م.

(٣) في ع، د، س: فالإضلال من.

(٤) في ع، د، س : الإضلال.

فتنزيه الرب تعالى عن قيام الأفعال به تنزيه له عن (ربوبيته)[1] وملكه.

قالوا : ولنا على صحة هذه المسألة أكثر من ألف دليل من القرآن والسنة والعقول، وقد اعترف (أفضل متأخريكم)[2] بفساد شبههكم كلها على إنكار هذه (المسألة)[3]، وذكرها شبهة شبهة وأفسدها، (وألزم)[4] بها جميع الطوائف حتى الفلاسفة الذين هم أبعد الطوائف من إثبات الصفات والأفعال[5] .

قالوا : ولا يمكن إثبات حدوث العالم، وكون الرب خالقاً، ومتكلماً وسامعاً، ومبصراً ومجيباً للدعوات، ومدبراً للمخلوقات، وقادراً ومريداً، إلا (بالقول)[6] بأنه فعال وأن أفعاله قائمة به، فإذا بطل أن يكون له فعل، وأن تقوم بذاته الأمور المتجددة بطل هذا كله.

فصل

وقد أجاب عن هذا عبد العزيز بن يحيى / الكناني[7] في حيدته فقال في . ١٦٢أ

---

(١) في ت، ع، د، س : الربوبية.

(٢) في م : متأخروكم.

(٣) ساقطة من د، س.

(٤) في ع، د، س : والتزم

(٥) انظر المطالب العالية للرازي (٢/ ١٠٦ وما بعدها)

(٦) في ع، د، س : القول.

(٧) هو : عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم الكناني، المكي، صاحب كتاب الحيدة، صحب الشافعي، وناظر بشراً المريسي في مسائل القول بخلق القرآن، صدوق، فاضل، من العاشرة، مات بعد الثلاثين ومائتين، تقريب التهذيب (١٠/ ٥١٣) وتهذيب التهذيب (٦/ ٣٦٣).

سؤاله للمريسي[١] : بأي شيء حدثت الأشياء؟ فقال له: أحدثها الله بقدرته التي لم تزل. فقلت له : أحدثها بقدرته كما ذكرت، (أفليس)[٢] تقول إنه لم يزل قادراً؟ قال : بلى، قلت : فتقول إنه لم يزل يفعل؟ قال : لا أقول هذا. (قلت)[٣] : فلابد أن نلزمك أن تقول : إنه خلق بالفعل الذي كان بالقدرة؛ لأن القدرة صفة.

ثم قال عبد العزيز : لم أقل: لم يزل الخالق يخلق، ولم يزل الفاعل يفعل، وإنما الفعل صفة، والله يقدر عليه ولا يمنعه (منه)[٤] مانع[٥] .

فأثبت عبد العزيز فعلاً مقدوراً لله هو صفة (له)[٦]، ليس من المخلوقات، وأنه به خلق المخلوقات، وهذا صريح في أن مذهبه كمذهب السلف وأهل الحديث (أن)[٧] الخلق غير المخلوق، والفعل غير المفعول، كما حكاه البغوي إجماعاً لأهل السنة[٨] .

وقد صرح عبد العزيز أنه فعله سبحانه القائم به (مقدور له)[٩] وأنه خلق

---

(١) هو : بشر بن غياث بن أبي كريمة عبد الرحمن المريسي، سبقت ترجمته في ص(٢٧٨).

(٢) في ع، د، س : أو ليس. وفي كتاب الحيدة : فلست.

(٣) ساقطة من م.

(٤) ساقطة من م.

(٥) انظر كتاب الحيدة ص ٦٠ - ٦١، ط الأولى ١٣٩٩هـ، نشر المطبعة السلفية، القاهرة. وقد أورد المؤلف كلام الكناني مختصراً.

(٦) ساقطة من ع، د، س.

(٧) في ع، د، س : لأن .

(٨) سبق ذكره في ص (٧٩١) .

(٩) ساقطة من ع، د ، س .

به المخلوقات، كما صرح به البخاري في آخر صحيحه، وفي كتاب خلق الأفعال[١]، (فقال)[٢] في صحيحه : (باب ما جاء في تخليق السماوات والأرض وغيرها من الخلائق، و (هو)[٣] فعل الرب وأمره، فالرب سبحانه بصفاته وفعله وأمره (وكلامه)[٤] وهو الخالق المكون غير مخلوق، وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه، فهو مفعول ومخلوق ومكون[٥] .

فصرح إمام السنة أن صفة التخليق هي فعل الرب وأمره، وأنه خالق بفعله وكلامه، وجميع (برك)[٦] الرسول وحزبه مع محمد بن إسماعيل في هذا. والقرآن مملوء من الدلالة عليه، كما دل عليه العقل والفطرة، قال تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾[٧] ثم أجاب نفسه بقوله : ﴿بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٨] فأخبر أنه قادر على نفس

---

(١) باب أفعال العباد ص (٢٥) وما بعدها .

(٢) في ع، د، س : قال .

(٣) ساقطة من ع ، د .

(٤) قوله : (وكلامه) زيادة لم أجدها في النسخة التي رجعت إليها من صحيح البخاري، إلا أن ابن حجر ـ رحمه الله ـ قال ـ بعد أن ذكر قوله: فالرب سبحانه بصفاته وفعله وأمره ـ : كذا ثبت للجميع . وزاد أبو ذر في روايته: (وكلامه) . ا هـ وأبو ذر هو : عبد الله بن أحمد الهروي المتوفى سنة ٤٣٤هـ راوي صحيح البخاري عن المستملي، والحموي، والكشميهني. ورواية أبي ذر هي التي اعتمدها ابن حجر في شرحه لصحيح البخاري. انظر فتح الباري: (١٣/ ٤٣٩) و(١/ ٦-٧) وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٧/ ٥٥٥)

(٥) انظر صحيح البخاري (٨/ ١٨٧) ك التوحيد .

(٦) في د، س : جند . وانظر ص (٤٤٩-٤٥٠) فقد سبق بيان معنى (برك) .

(٧) سورة يس آية ٨١ .

(٨) سورة يس آية ٨١ .

١٦٣ب فعله وهو أن يخلق، فنفس (أن يخلق) فعل له وهو قادر عليه. ومن / يقول: لا فعل له، وأن الفعل هو عين المفعول، يقول: لا يقدر على فعل يقوم به البتة، بل لا يقدر إلا على المفعول المباين له الحادث بغير فعل (منه)[١] سبحانه. وهذا أبلغ في الإحالة من حدوثه بغير قدرة، بل هو في الإحالة كحدوثه بغير فاعل، فإن المفعول يدل على قدرة الفاعل باللزوم العقلي، ويدل على فعله الذي وجد به بالتضمن، فإذا سلبت دلالته التضمنية كان (سلب)[٢] دلالته اللزومية أسهل، ودلالة المفعول على فاعله وفعله دلالة واحدة، وهي أظهر بكثير من دلالته على قدرته وإرادته. وذكر قدرة الرب تعالى على أفعاله وتكوينه في القرآن كثير، كقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾[٣] (فإن)[٤] ﴿أَن يَبْعَثَ﴾ هو نفس فعله، والعذاب هو مفعوله والمباين له، وكذلك قوله: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[٥] فإحياء الموتى نفس فعله، وحياتهم مفعوله المباين له، وكلاهما مقدور له. وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾[٦] فتسوية البنان فعله، واستواؤها مفعوله. ومنكرو الأفعال يقولون: الرب سبحانه يقدر على المفعولات المباينة له، ولا يقدر على فعل يقوم بنفسه لا لازم ولا متعد. وأهل السنة يقولون: الرب تعالى يقدر على هذا، وعلى هذا وهو سبحانه له

---

(١) في ت: له وهو.

(٢) في د: سبب.

(٣) سورة الأنعام آية ٦٥.

(٤) ساقطة من ع، د، س.

(٥) سورة القيامة آية ٤٠.

(٦) سورة القيامة آية ٤.

الخلق والأمر. فالجهمية أنكرت خلقه وأمره، وقالوا : خلقه نفس مخلوقه، وأمره مخلوق من مخلوقاته، فلا خلق ولا أمر[1]. ومن أثبت له الكلام القائم بذاته ونفى أن يكون له فعل، فقد أثبت الأمر دون الخلق، ولم يقل أحد بقيام أفعاله به، ونفي صفة الكلام عنه فيثبت الأمر دون الخلق. وأهل السنة يثبتون له سبحانه ما أثبته لنفسه من الخلق والأمر، فالخلق فعله، والأمر قوله، وهو سبحانه يقول / ويفعل. ١٦٤أ

وأجابت طائفة أخرى من أهل السنة والحديث عن هذا بالتزام التسلسل، وقالوا: ليس في العقل ولا في الشرع ما ينفي دوام فاعلية الرب تعالى وتعاقب أفعاله شيئاً قبل شيء إلى غير غاية، كما تتعاقب شيئاً بعد شيء إلى غير غاية، فلم يزل (فعالاً)[2] . قالوا : والفعل صفة كمال، ومن يفعل أكمل ممن لا يفعل قالوا : ولا يقتضي صريح العقل إلا هذا، ومن زعم أن الفعل كان ممتنعاً عليه سبحانه في مدد (غير مقدرة)[3] لا نهاية لها، ولا يقدر أن يفعل ثم انقلب الفعل من الاستحالة الذاتية إلى الإمكان الذاتي من غير حدوث سبب ولا تغير في الفاعل، فقد نادى على عقله بين الأنام. قالوا : وإذا (جاز)[4] هذا في العقول جاز أن ينقلب العالم من العدم إلى الوجود من غير فاعل، وإن امتنع هذا في (بدائه)[5] العقول، فكذلك نجد إمكان الفعل وانقلابه من الامتناع الذاتي إلى الإمكان الذاتي بلا سبب. وأما أن يكون هذا ممكناً وذاك ممتنعاً، فليس في العقول ما يقضي بذلك.

---

(١) انظر الملل والنحل (١/٨٦) والتدمرية ص (١٨٢) .

(٢) في ع، د، س : أفعالاً.

(٣) في ت : مقدورة، وفي م : مقدرة.

(٤) في ت، ع، د ، س : كان.

(٥) في د : بداهة .

قالوا: والتسلسل لفظ مجمل لم يرد بنفيه ولا إثباته كتاب ناطق ولا سنة متبعة، فيجب مراعاة لفظه. وهو ينقسم إلى واجب وممتنع وممكن، كالتسلسل في (المؤثرين)[١] محال ممتنع لذاته، وهو أن يكون (مؤثرين)[٢] كل واحد منهم استفاد تأثيره ممن قبله (لا)[٣] إلى غاية.

والتسلسل الواجب ما دل عليه العقل والشرع من دوام أفعال الرب تعالى في الأبد، وأنه كلما انقضى لأهل الجنة نعيم أحدث لهم نعيماً آخر لا نفادَ له. وكذلك التسلسل في أفعاله سبحانه من طرف الأزل، وأن كل فعل مسبوق بفعل آخر، فهذا واجب في كلامه، فإنه لم يزل متكلماً إذا شاء، ولم تحدث له صفة الكلام في وقت، وهكذا أفعاله التي هي من لوازم حياته، فإن كل حي ١٦٤ب فعال، والفرق بين الحي والميت بالفعل، ولهذا / قال غير واحد من السلف[٤]: الحي الفعال. وقال عثمان بن سعيد[٥] : كل حي فعال[٦]. ولم يكن ربنا تبارك وتعالى قط في وقت من الأوقات المحققة أو المقدرة معطلاً عن كماله من الكلام والإرادة والفعل.

وأما التسلسل الممكن، فالتسلسل في مفعولاته من هذا الطرف، كما

---

(١) في ع ، د ، س : المؤثر .

(٢)هكذا وردت في جميع النسخ الخطية، وفي د، س : مؤثران. والصواب (مؤثرون) لأنها فاعل، والمعنى لا يستقيم إلا بها، وانظر شرح الطحاوية ص (١٣٠) فقد نقل كلام المؤلف هذا دون أن ينسبه – ووردت هذه اللفظة عنده (مؤثرون).

(٣) ساقطة من م .

(٤) منهم نعيم بن حماد، كما في كتاب خلق أفعال العباد للبخاري ص٧١.

(٥) هو عثمان بن سعيد الدارمي، سبقت ترجمته في ص (٢٧٨) .

(٦) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية عن الدارمي بمعناه في الفتاوى (٨/ ٢١).

يتسلسل في طرف الأبد، فإن لم يزل حياً قادراً مريداً متكلماً، وذلك من لوازم ذاته، فالفعل ممكن له (بوجوب)[1] هذه الصفات له، وأن يفعل أكمل من أن لا يفعل. ولا يلزم من هذا أنه لم يزل الخلق معه، فإنه سبحانه متقدم على كل فرد من مخلوقاته (تقدماً)[2] لا أول له، فلكل مخلوق/ له أول، والخالق سبحانه لا أول له، فهو وحده الخالق، وكل ما سواه مخلوق كائن بعد أن لم يكن.

قالوا: وكل قول سوى هذا، فصريح العقل يرده ويقضي ببطلانه، وكل من اعترف بأن الرب تعالى لم يزل قادراً على الفعل لزمه أحد (أمرين)[3] لابد له منهما: إما أن يقول بأن الفعل لم يزل ممكناً، وإما أن يقول: لم يزل واقعاً، وإلا تناقض تناقضاً بيناً حيث زعم (أنه)[4] تعالى لم يزل قادراً على الفعل، والفعل محال ممتنع لذاته، ولو أراده لم يمكن وجوده، بل فرض إرادته عنده محال وهو مقدور له، وهذا قول ينقض بعضه بعضاً.

وأجابت طائفة أخرى بالجواب المركب على جميع التقارير، فقالوا: تسلسل الآثار إما أن يكون ممكناً أو ممتنعاً، فإن كان ممكناً، فلا محذور في التزامه، وإن كان ممتنعاً لم يلزم من بطلانه بطلان الفعل الذي لا يكون المخلوق إلا به، فإنا نعلم أن المفعول المنفصل لا يكون إلا بفعل، والمخلوق لا يكون إلا بخلق، قبل العلم بجواز التسلسل وبطلانه، ولهذا كثير من الطوائف يقولون: الخلق غير المخلوق، والفعل غير المفعول، مع قولهم

---

(١) في ع: بوجود.

(٢) في ع، س: تقدم. وفي د: تقدم من.

(٣) في ع، د س: الأمرين.

(٤) في ع، د، س: أن الرب.

١٦٥أ ببطلان التسلسل، مثل كثير من أتباع الأئمة الأربعة، وكثير / من أهل الحديث والصوفية والمتكلمين، ثم من هؤلاء من يقول: الخلق الذي هو التكوين صفة (قديمة)[١] كالإرادة. ومنهم من يقول : بل هي حادثة بعد أن لم تكن كالكلام والإرادة، وهي قائمة (بذاته)[٢] سبحانه، وهم الكرّامية[٣] ومن وافقهم، أثبتوا حدوثها وقيامها بذاته وأبطلوا دوامها من القول بحوادث لا أول لها، وكلا الفريقين لا يقول إن ذلك التكوين والخلق مخلوق، بل يقول: إن المخلوق وجد به كما وجد بالقدرة. قالوا : فإذا كان القول بالتسلسل لازماً لكل من قال: إن الرب تعالى لم يزل قادراً على الخلق يمكنه أن يفعل بلا ممانع، فهو لازم لك كما ألزمته لخصومك، فلا ينفردون بجوار دونك. وأما ما ألزموك به من وجود مفعول بلا فعل، ومخلوق بلا (خلق)[٤]، فهو لازم لك وحدك. قالوا : ونحن إنما قلنا: الفعل صفة قائمة به سبحانه، وهو قادر عليه لا يمنعه منه مانع، والفعل القائم به ليس هو المخلوق المنفصل عنه، فلا يلزم أن يكون معه مخلوق في الأزل إلا إذا ثبت أن الفعل اللازم يستلزم الفعل المتعدي، وأن المتعدي يستلزم دوام نوع المفعولات، ودوام نوعها يستلزم أن يكون معه سبحانه في الأزل شيء منها، وهذه الأمور لا سبيل لك ولا لغيرك إلى الاستدلال على ثبوتها كلها. وحينئذ فنقول: أي لازم لزم من إثبات فعله سبحانه كان القول به خيراً من نفي الفعل وتعطيله (عنه)[٥] فإن

---

(١) ساقطة من ع، د، س.

(٢) في ع، د، س : به.

(٣) سبق التعريف بهم في ص (٨٨٣).

(٤) في م : خالق.

(٥) ساقطة من ع، د، س.

ثبت قيام فعله به من غير قيام الحوادث به كما (يقول)[١] كثير من الناس، بطل قولكم. وإن لزم من إثبات فعله قيام الأمور الاختيارية به والقول بأنها مفتتحة ولها أول، فهو خير من قولكم، كما تقوله الكرامية، وإن لزم تسلسلها وعدم أوليتها في الأفعال / اللازمة، فهو خير من قولكم، وإن لزم تسلسل ١٦٥ب الآثار وكونه أنه يلزم أن الخلق لم يزل مع الله قديماً بقدمه كان خيراً من قولكم، مع أن هذا لا يلزم ولم يقل به أحد من أهل الإسلام، بل ولا أهل الملل فكلهم متفقون على أن الله سبحانه وحده الخالق وكل ما سواه مخلوق، موجود بعد عدمه وليس معه غيره من المخلوقات يكون وجوده مساوياً لوجوده، فما لزم بعد هذا من إثبات خلقه وأمره وصفات كماله ونعوت جلاله وكونه رب العالمين، وأن كماله المقدس من لوازم ذاته، فإنا به قائلون، وله ملتزمون، كما أنا ملتزمون لكل ما لزم من كونه حياً عليماً قديراً سميعاً بصيراً متكلماً آمراً ناهياً فوق عرشه بائناً من خلقه، يراه المؤمنون بأبصارهم عياناً في الجنة، وفي عرصات القيامة ويكلمهم ويكلمونه. فإن هذا حق، ولازم الحق مثله. وما لم يلزم من إثبات ذلك من الباطل الذي تتخيله خفافيش[٢] العقول، فنحن له منكرون، وعن القول به عادلون، وبالله التوفيق.

قال القدري: كون العبد موجداً لأفعاله، وهو الفاعل لها من أجلى الضروريات والبدهيات؛ فإن كل عاقل يعلم من نفسه أنه فاعل لما يصدر (عنه)[٣] من الأفعال الواقعة على وفق قصده وداعيته، بخلاف حركة المرتعش

---

(١) في ع، د، س: يقوله.

(٢) خفافيش جمع خفاش وهو الوطواط، سمي بذلك لصغر عينيه وضعف بصره ودماغه. القاموس المحيط ص (٧٦٥) مادة (خفش).

(٣) في ع، د، س: منه.

والمجرور على وجهه، وهذا لا يتمارى فيه العاقل، ولا يقبل التشكيك (فالقدح)[١] في ذلك والاستدلال على خلافه استدلال على بطلان ما علمت صحته بالضرورة، فلا يكون مقبولاً.

١٦٦أ / قال السني : قد (أجابك)[٢] خصومك من الجبرية عن هذا بأن العاقل يعلم من نفسه وقوع الفعل مقارناً لقدرته، ولا يعلم من نفسه أنه واقع بقدرته، والفرق بين الأمرين ظاهر، ولو كان وقوعه بقدرته هو المعلوم بالضرورة، لما خالف فيه جمع عظيم من العقلاء يستحيل عليهم الإطباق على جحد الضروريات[٣].

وهذا الجواب مما لا يشفي عليلاً، ولا يروي غليلاً، وهو عبارات لا حاصل تحتها، فإن كل عاقل يجد من نفسه وقوع الفعل بقدرته وإرادته وداعيته، (وإن)[٤] ذلك هو المؤثر في الفعل، ويجد تفرقة ضرورية بين مقارنة القدرة والداعية للفعل ومقارنة طوله ولونه وشمه وغير ذلك من صفاته للفعل، ونسبة ذلك كله عند الجبري إلى الفعل نسبة واحدة، والله سبحانه أجرى العادة بخلق الفعل عند القدرة والداعي لا بهما، وإنما اقترن الداعي والقدرة بالفعل اقتراناً مجرداً. ومعلوم أن هذا قدح في الضروريات، ولا ريب أن من نظر إلى تصرفات العقلاء ومعاملاتهم مع بعضهم بعضاً وجدهم يطلبون الفعل من غيرهم طلب عالم بالاضطرار أن المطلوب منه الفعل هو

---

(١) في ع، د، س : والقدح.

(٢) في ع : أجاب.

(٣) انظر المطالب العالية (٩/ ٢٥٧، ٢٥٨) .

(٤) في ع ، د ، س : فإن .

المحصل لـه، الواقع بقدرته وإرادته. ولذلك يتلطفون لوقوع الفعل منه بكل لطيفة، ويحتالون عليه بكل حيلة، فيعطونه تارة، ويزجرونه تارة (ويوبخونه)[(١)] تارة، ويتوصلون إلى إخراج الفعل منه بأنواع الرغبة والرهبة، ويقولون (قد فعل فلان)[(٢)] كذا، فما لك لا تفعل كما فعل. وهذا أمر مشاهد بالحس والضرورة، فالعقلاء ساكنو الأنفس إلى أن الفعل من العبد يقع، وبه يحصل، ولو حرك أحدهم أصبعه فشتمت المحرك لها لغضب وشتمك، وقال: كيف تشتمني ولم يقل (لم)[(٣)] تشتم ربي. وهذا أوضح من أن يضرب له الأمثال، أو يبسط فيه المقال. وما يعرض / في ذلك من الشبه جار مجرى السفسطة[(٤)]. ١٦٦ب
وقد فطر الله العقلاء على ذمِّ فاعل الإساءة ومدح فاعل الإحسان، وهذا يدل على أنهم مفطورون على العلم بأنه فاعل؛ لأن الذم فرع عليه[(٥)] ويستحيل أن يكون الفرع معلوماً باضطرار والأصل ليس كذلك، والعقلاء قاطبة يعلمون أن الكاتب مثلاً يكتب إذا أراد ويمسك إذا أراد، وكذلك الباني والصانع، وأنه إذا عجزت قدرته أو عدمت إرادته بطل فعله، فإن عادت إليه القدرة والإرادة عاد الفعل.

وقولك: لو كان ذلك أمراً ضرورياً لاشترك العقلاء فيه، جوابك: أنه لا

---

(١) في ع، د، س : ويخوفونه.

(٢) م، ت (قد فعل).

(٣) ساقطة من م .

(٤) السفسطة هي : قياس مركب من الوهميات، والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته. انظر التعريفات للجرجاني ص (١٢٤).

(٥) المراد : لأن الذم والمدح فرع عليه، ولكنه اكتفى بأحد المتقابلين لدلالته على الآخر كما قيل في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ﴾ سورة النحل آية (٨١) أي والبرد.

يجب الاشتراك في الضروريات، فكثير من العقلاء يخالفون كثيراً من الضروريات لدخول شبهة عليهم، ولا سيما إذا تواطؤوا عليها وتناقلوها كمخالفة الفلاسفة في (الإثبات)[١] (لكثير)[٢] من الضروريات، وهم جمع كثير من العقلاء. وهؤلاء النصارى (مذهبهم مما)[٣] يعلم فساده بضرورة العقل، وهم يناظرون عليه وينصرونه. وهؤلاء الرافضة يزعمون أن أبا بكر[٤] وعمر رضي الله عنهما لم يؤمنا بالله ورسوله طرفة عين، ولم يزالا عدوين لرسول الله ﷺ مترصدين لقتله، وأن رسول الله ﷺ أقام علياً على رؤوس جميع الصحابة وهم ينظرون إليه جهرة (فقال)[٥] : (هذا وصيِّي وولي العهد (بعدي)[٦] فكلكم له تسمعون)[٧]

---

(١) في ع، د: الإلهيات.

(٢) في ع، د : بكثير. وفي س : بيسير.

(٣) في ع، د، س: يقولون ما.

(٤) هو : عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، التيمي، القرشي، أبو بكر الصديق، خليفة رسول الله ﷺ وصاحبه في الغار، وأول من آمن من الرجال، ولي الخلافة بعد رسول الله ﷺ سنتين وبضعة أشهر، وحارب المرتدين، وتم في خلافته فتح الشام وجزء كبير من العراق، ومناقبه وفضائله كثيرة جداً، توفي يوم الاثنين من شهر جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستين سنة. تقريب التهذيب (١/ ٤٣٢) وتهذيب التهذيب (٥/ ٣١٥-٣١٧) وأسد الغابة (٣/ ٢٠٥-٢٣١).

(٥) في ع، د، س : وقال.

(٦) في ع، د، س : من بعدي.

(٧) انظر الكافي للكليني (٦/ ١٠٦-١٢٠) نشر المكتبة الإسلامية بطهران سنة ١٣٨٥هـ، ومجمع البيان في تفسير القرآن لأبي علي الطبرسي، المجلد الخامس، الجزء التاسع عشر ص (١٨٨) نشر دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ.

(فأطبقوا)[١] على كتمان هذا النص وعصيانه.

وهؤلاء الجهمية ومن قال بقولهم يقولون ما يخالف صريح (المعقول)[٢] من وجود مفعول بلا فعل، ومخلوق بلا خلق[٣] .

وهؤلاء الفلاسفة، وهم المدلون بعقولهم، يثبتون ذواتاً قائمة بأنفسها خارج الذهن ليست في العالم ولا خارجة عن العالم، ولا متصلة به، ولا منفصلة / ١٦٧أ عنه، ولا مباينة له، ولا محايثة، وهو (مما)[٤] يعلم بصريح العقل فساده.

وهؤلاء طائفة الاتحادية تزعم أن الله هو هذا الوجود (المشهود)[٥] ، وأن التعدد والتكثير فيه وهم محض.

وهؤلاء منكرو الأسباب يزعمون أن لا حرارة في النار تحرق بها، ولا رطوبة في الماء يروي بها، وليس في الأجسام أصلاً (قوى)[٦] ، ولا طبائع ولا في العالم شيء يكون سبباً لشيء آخر البتة.

وإن لم تكن هذه الأمور جحداً للضروريات، فليس في العالم مَنْ جَحَدَ الضروريات. وإن كانت جحداً للضروريات بطل قولكم: إن جمعاً من العقلاء لا يتفقون على ذلك. والأقوال التي (جحد بها)[٧] المتكلمون الضروريات أضعاف ما ذكرناه. فهم أجحد الناس لما يعلم بضرورة العقل،

---

(١) في ع، د، س : وأطبقوا.

(٢) في ع، د، س : العقل.

(٣) لأنهم ينفون جميع الصفات ومنها : الخلق، انظر الملل والنحل (١/ ٨٦).

(٤) في ع، د، س : ما.

(٥) ساقطة من ع، د، س.

(٦) في ع، د، س : لا قوي.

(٧) في ع، د، س: يجحد بها.

وكيف يصح في عقل سليم : سميع لا سمع له، بصير لا بصر له، حي لا حياة له[١]. أم كيف يصح عند (ذي)[٢] عقل : مرئي بالأبصار عياناً، لا فوق الرائي ولا تحته، ولا عن يمينه ولا عن شماله، ولا خلفه ولا أمامه[٣] . أم كيف يصح عند ذي عقل: إثبات كلام قديم أزلي، لو كان البحر يمده من بعده سبعة أبحر وجميع أشجار الأرض على اختلافها وكبرها وصغرها أقلام يكتب (بها)[٤] لنفدت البحار وفنيت الأقلام ولم يفن ذلك الكلام، ومع هذا فهو واحد لا جزء له ولا ينقسم، (وهو)[٥] والنهي فيه عين (الأمر، والنفي عين)[٦] الإثبات، والخبر عين الاستخبار، والتوراة فيه عين الإنجيل وعين القرآن، وذلك كله أمر واحد (و)[٧] إنما يختلف بمسمياته ونسبه، وقد أطبق على هذا جمع عظيم من العقلاء، وكفروا من خالفهم فيه، واستحلوا منهم ما حرمه الله[٨] .

---

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى قول المعتزلة في نفيهم الصفات وإثبات الأسماء. انظر شرح الأصول الخمسة ص (١٦١، وما بعدها)، والمحيط بالتكليف للقاضي عبدالجبار ص(١٣٦) تحقيق عمر عزمي. نشر الدار المصرية للتأليف.

(٢) في م : ذوي.

(٣) يشير المؤلف رحمه الله إلى قول الأشاعرة بأن الله سبحانه يرى لا في جهة . انظر المحصل (١/ ٤٤١-٤٥٢) والغنية ص (١٤٢) والملل والنحل (١/ ١٠٠).

(٤) في ت، ع، د، س : به.

(٥) ساقطة من م.

(٦) ما بين القوسين ساقط من ع.

(٧) ساقطة من ع، د، س.

(٨) يشير المؤلف بذلك إلى قول الأشاعرة بأن كلام الله سبحانه وتعالى معنى واحد قائم بنفسه...إلخ. وقد سبق أن ذكره وبين أن ذلك من المحالات كطفرة النظام. انظر ص(٧٦١).

وهؤلاء الجهمية يقولون : إن للعالم صانعاً قائماً بذاته ليس في العالم، ولا هو خارج العالم، ولا فوق العالم ولا تحته، ولا خلفه ولا أمامه، ولا عن يمينه ولا عن (يساره)[1] / ولا هو مباين له ولا محيث له، فوصفوا واجب الوجود بصفة ممتنع الوجود، وكفروا من خالفهم في ذلك، واستحلوا دمه، وقالوا ما يعلم فساده بصريح العقل[2]، ولو ذهبنا نذكر (كل)[3] ما جحد فيه أكثر الطوائف الضروريات لطال الكتاب جداً. ١٦٧ب

وهؤلاء النصارى (أمة)[4] قد طبقت شرق الأرض وغربها، وهم من أعظم الناس جحداً (للضروريات)[5] .

وهؤلاء الفلاسفة هم أهل المعقولات، وهم من أكثر الناس جحداً للضروريات.

فاتفاق طائفة من الطوائف على المقالة لا يدل على مخالفتها لصريح العقل[6] وبالله التوفيق .

---

(١) في م، ت، د، س : يسرته.

(٢) انظر المطالب العالية (٢/ ٩ وما بعدها) والتدمرية ص (١٦، ٣٦، ٥٩، ٦٠، ٦٣، ٦٤).

(٣) ساقطة من ع، د، س.

(٤) ساقطة من ع، د، س.

(٥) في م : للضروريات.

(٦) قوله : فاتفاق طائفة من الطوائف على المقالة لا يدل على مخالفتها لصريح العقل... إلخ. هكذا وردت هذه العبارة في جميع النسخ، وسياق الكلام يقتضي أن تكون العبارة هكذا : فاتفاق طائفة من الطوائف على المقالة لا يدل على (عدم) مخالفتها لصريح العقل.

فصل

قال القدري : قال الله عز وجل : ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[(١)] وعند الجبري أن الكل فعل لله، وليس من العبد شيء.

قال الجبري : في الكلام استفهام مقدر تقديره: (أفمن نفسك) فهو إنكار لا إثبات[(٢)] . وقرأها بعضهم (فمن نفسك) – بفتح الميم ورفع نفسك – أي من أنت حتى تفعلها[(٣)] .

قال : ولابد من تأويل الآية، وإلا ناقض قوله في الآية التي قبلها ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[(٤)] فأخبر أن الحسنات والسيئات جميعاً من عنده لا من (العبد)[(٥)(٦)] .

قال السني: أخطأتما جميعاً في فهم الآية أقبح الخطأ. ومنشأ غلطكما (ظنكما)[(٧)]

---

(١) سورة النساء آية ٧٩.

(٢) وهذا الوجه ذكره ابن الأنباري، فقال: أفمن نفسك، فأضمرت ألف الاستفهام كما أضمرت في قوله تعالى: ﴿وتلك نعمة﴾ آية ٢٢ سورة الشعراء أي: أوَتلك نعمة. انظر زاد المسير لابن الجوزي (٢/ ١٣٩) وذكره القرطبي في تفسيره (٥/ ١٨٤).

(٣) ذكر هذه القراءة ابن خالويه في كتابه القراءات الشاذة ص(٢٧) وقال : حكاها الكسائي عن بعضهم. طبع هذا الكتاب بالمطبعة الرحمانية بمصر، بعناية برجستراسر سنة ١٩٣٤م.

(٤) سورة النساء آية ٧٨.

(٥) في ع، د، س : عند العبد.

(٦) انظر المطالب العالية للرازي (٩/ ١٩٣).

(٧) ساقطة من ع، د، س.

أن الحسنات والسيئات في الآية[١] المراد بها الطاعات والمعاصي، التي هي فعل العبد الاختياري، وهذا وهم محض في (هذه)[٢] الآية، وإنما المراد بها النعم والمصائب، ولفظ الحسنات والسيئات في كتاب الله يراد به هذا تارة، وهذا تارة. فقوله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾[٣]. وقوله تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾[٤] وقوله: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾[٥] وقوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ﴾[٦]، وقوله: ﴿فَإِذَا / جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾[٧]، وقوله: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[٨] (المراد)[٩] في هذا كله النعم والمصائب. ١٦٨أ

وأما قوله: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ

---

(١) في د: ليس المراد، بزيادة (ليس).

(٢) ساقطة من ت، ع، د، س.

(٣) سورة آل عمران آية ١٢٠.

(٤) سورة التوبة آية ٥٠.

(٥) سورة الأعراف، آية ١٦٨.

(٦) سورة الشورى، آية ٤٨.

(٧) سورة الأعراف، آية ١٣١.

(٨) سورة النساء آية ٧٩.

(٩) في د: المراد به.

إِلَّا مِثْلَهَا﴾[(١)]، وقوله : ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[(٢)] ، وقوله : ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾[(٣)] (فالمراد)[(٤)] به في هذا كله الأعمال المأمور بها والمنهي عنها، وهو سبحانه إنما قال: ﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾ ولم يقل: ما أصبت وما كسبت، فما يفعله العبد يقال فيه ما أصبت وكسبت وعملت كقوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[(٥)] ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾[(٦)] ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا﴾[(٧)] وقول المذنب التائب: (يا رسول الله أصبت ذنباً فأقم علي كتاب الله)[(٨)]. ولا يقال في هذا: أصابك ذنب

---

(١) سورة الأنعام ، آية ١٦٠.

(٢) سورة هود ، آية ١١٤ .

(٣) سورة الفرقان آية ٧٠.

(٤) في م، ت : المراد.

(٥) سورة النساء آية ١٢٤، وسورة طه آية ١١٢. وقد وردت في ع، د، س : ﴿ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن﴾ وهذه آية ١١٢ سورة طه.

(٦) سورة النساء آية ١٢٣ .

(٧) سورة النساء آية ١١٢ .

(٨) يشير إلى ما ورد في الحديث الذي رواه أنس بن مالك ، وأبوأمامة رضي الله عنهما ؛ ولفظه : (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، أصبتُ حدًّا) . ورواية أنس أخرجها : البخاري في صحيحه (٨/ ٢٣) ك الحدود ، باب : إذا أقرَّ بالحد ولم يبيِّن هل للإمام أن يستر عليه . ومسلم (٤/ ٢١١٧) ك. التوبة ، باب : قولـه تعالى : ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾. ورواية أبي أمامة أخرجها : مسلم (٤/ ٢١١٧-٢١١٨) ك التوبة ، باب قولـه تعالى : ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ . وأبوداود (١٢/ ٤٦) ك الحدود، باب في الرجل يعترف بحد ولا يسميه. والإمام أحمد (٥/ ٢٥١،٢٥٢،٢٦٢،٢٦٣، ٢٦٥) .

وأصابتك سيئة. وما يفعل به بغير اختياره يقال فيه: أصابك (كقوله)[1] : ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[2] وقوله: ﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾[3] وقوله : ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾[4] فجمع الله في الآية بين (ما أصابوه)[5] بفعلهم وكسبهم، وما أصابهم مما ليس فعلاً لهم، وقوله : ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾[6] ، وقوله : ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ﴾[7] ، وقوله : ﴿فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[8] .

فقوله تعالى : ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾[9] هو من هذا القسم (لا من القسم)[10] الذي يصيبه العبد (باختياره)[11] . وهذا إجماع من السلف في تفسير هذه الآية.

---

(١) ساقطة من م .

(٢) سورة الشورى آية، ٣٠.

(٣) سورة التوبة، آية ٥٠ .

(٤) سورة آل عمران آية ١٦٥.

(٥) في ع، د، س : ما أصابوا .

(٦) سورة التوبة آية ٥٢.

(٧) سورة الرعد آية ٣١.

(٨) سورة المائدة آية ١٠٦.

(٩) سورة النساء آية ٧٩.

(١٠) ما بين القوسين ساقط من ع، د، س.

(١١) في ع ، د ، س : لا باختياره .

قال أبو العالية[١] : (وإن تصبهم)[٢] حسنة)، هذا في السراء، (وإن (تصبهم)[٣] سيئة) هذا في الضراء[٤] .

قال السدي[٥] : الحسنة : الخصب، تنتج مواشيهم وأنعامهم، ويحسن حالهم (وتلد)[٦] نساؤهم الغلمان. قالوا : هذا من عند الله، وإن تصبهم سيئة قال : الضر / في أموالهم، تشاءموا بمحمد ﷺ وقالوا : (هذا)[٧] من عنده. ١٦٨ب (يقولون)[٨] : بتركنا ديننا واتباعنا محمداً ﷺ أصابنا ما أصابنا، فأنزل الله تعالى رداً عليهم ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ الحسنة والسيئة.

وقال الوالبي[٩] عن ابن عباس : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ قال: ما فتح الله عليك يوم بدر. وقال أيضاً : هو الغنيمة والفتح، والسيئة ما أصابه يوم أحد: شج في وجهه وكسرت رباعيته[١٠]. وقال (أيضاً)[١١] : أما الحسنة

---

(١) سبقت ترجمته في ص (١٦٦).

(٢) في م، ع، د، س : تصبكم. وما أثبت من ت وكتب التخريج.

(٣) في ع : تصبكم. وما أثبت من ت، د ، س ، وكتب التخريج.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥/ ١٧٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) سبقت ترجمته في ص (١٩٠) .

(٦) في ع، د، س : فتلد.

(٧) في ع، د، س : هذه، وهو المطابق لما في تفسير ابن أبي حاتم.

(٨) في ع، د، س : قالوا. وما أثبت من م، ت، وهو المطابق لما في تفسير ابن أبي حاتم.

(٩) سبقت ترجمته في ص (٣١٠).

(١٠) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥/ ١٧٥) والبيهقي في كتاب القدر ص (٣٢٠) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٩٧) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١١) ساقطة من ع، د، س.

فأنعم الله بها عليك، وأما السيئة فابتلاك بها. وقال أيضاً : ما أصابك من نكبة فبذنبك وأنا قدرت ذلك عليك. ذكر ذلك كله ابن أبي حاتم[١].

وفي تفسير أبي صالح[٢] عن ابن عباس: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ[٣] حَسَنَةٌ﴾ حسنة : الخصب، ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ سيئة : الجدب والبلاء[٤].

وقال ابن قتيبة في هذه الآية : الحسنة : النعمة، والسيئة : البلية[٥].

فإن قيل : فقد حكى أبو الفرج بن الجوزي[٦] عن أبي العالية أنه فسر الحسنة والسيئة في هذه الآية بالطاعة والمعصية[٧]، وهو من أعلم التابعين، فالجواب أنه لم يذكر بذلك إسناداً، ولا نعلم صحته عن أبي العالية، وقد ذكر ابن أبي حاتم بإسناده عن أبي العالية ما تقدم حكايته أن ذلك في السراء والضراء، وهذا هو المعروف عن أبي العالية، ولم يذكر ابن أبي حاتم عنه غيره، وهو الذي حكاه ابن قتيبة عنه[٨].

---

(١) انظر تفسير ابن أبي حاتم ق (١٥٥) مخطوط، محفوظ أصله بمكتبه أيا صوفيا باسطنبول في تركيا تحت رقم (١٧٥)، وتوجد صورة منه بمكتبة جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بالرياض تحت رقم (٢٦٧٦/ ف). ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥/ ١٧٥) والبيهقي في كتاب القدر ص(٣١٩) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٩٧) وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

(٢) هو : باذام ، مولى أم هانئ ، سبقت ترجمته في ص (١٩١).

(٣) في ع، د، س : تصبك.

(٤) ذكره ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير (٢/ ١٣٧).

(٥) انظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٣٠-١٣١.

(٦) سبقت ترجمته ص (٣٣٣).

(٧) انظر تفسير ابن الجوزي، المسمى زاد المسير في علم التفسير (٢/ ١٣٨-١٣٩).

(٨) لم أعثر على حكاية ابن قتيبة لهذا القول.

وقد يقال: إن المعنيين جميعاً مرادان باعتبار أن ما يوفقه الله (له)[١] من الطاعات، فهو نعمة في حقه أصابته من الله، كما قال: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[٢] فهذا يدخل فيه نعم الدين والدنيا. وما يقع منه من المعصية، فهو مصيبة أصابته من الله وإن كان سببها منه. والذي يوضح ذلك أن الله سبحانه إذا جعل السيئة (التي)[٣] هي الجزاء على المعصية من نفس العبد بقوله: ﴿وَمَا أَصَابَكَ / مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[٤] فالعمل الذي أوجب الجزاء أولى أن يكون من نفسه، فلا منافاة بين أن تكون سيئة العمل من نفسه، وسيئة الجزاء من نفسه، ولا (ينفي)[٥] ذلك أن يكون الجميع من الله قضاء وقدراً، ولكن هو من الله عدل وحكمة ومصلحة وحسن، ومن العبد سيئة وقبيح، وقد روي عن ابن عباس أنه كان يقرأها: (وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأنا قدرتها عليك)[٦] وهذه القراءة زيادة بيان، وإلا فقد دل

١٦٩أ

---

(١) ساقطة من ع، د، س.

(٢) سورة النحل آية ٥٣.

(٣) ساقطة من ع، د، س.

(٤) سورة النساء آية ٧٩.

(٥) في ع، د، س: ولا ينافي.

(٦) ذكر هذه القراءة البيهقي في كتاب القدر ص(٣٢٠) وذكرها القرطبي في تفسيره (٥/ ١٨٤) من طريق عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس وأبي، وابن مسعود، وقال: وهذه قراءة على التفسير، وقد أثبتها بعض أهل الزيغ من القرآن، والحديث بذلك عن ابن مسعود وأبي منقطع؛ لأن مجاهداً لم ير عبدالله ولا أبياً. اهـ. وذكرها ابن الجوزي في تفسيره المسمى زاد المسير (٢/ ١٣٩). والنحاس في معاني القرآن (٢/ ١٣٦). والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٩٧) ونسب تخريجها إلى ابن المنذر وابن الأنباري في المصاحف. وذكرها الشوكاني في فتح القدير (١/ ٤٩٠). وعبدالوهاب بن مجاهد: متروك. انظر تقريب التهذيب (١/ ٥٢٨).

قوله قبل ذلك: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ على القضاء السابق والقدر النافذ.

والمعاصي قد يكون بعضها عقوبة بعض، فيكون (لله)[1] على المعصية عقوبتان: عقوبة بمعصية تتولد منها، وتكون الأولى سبباً فيها، وعقوبة بمؤلم يكون جزاؤها، كما في الحديث المتفق على صحته عن ابن مسعود عن النبي ﷺ: « عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً »[2].

وقد ذكر الله سبحانه في غير موضع من كتابه أن الحسنة الثانية قد تكون من ثواب الحسنة الأولى، وأن المعصية[3] قد تكون عقوبة للمعصية الأولى، فالأول كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّـَٔاتَيْنَـٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَـٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[5]، وقال تعالى: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ

(١) في ت: ذلك، وفي ع: من.

(٢) سبق تخرجه في ص (٢٥٥).

(٣) يعني: المعصية الثانية.

(٤) سورة النساء آية ٦٦-٦٨.

(٥) سورة العنكبوت آية ٦٩.

١٦٩ب ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾[١]، وأما قوله: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝ / سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝﴾[٢] فيحتمل أن يكون من هذا، وتكون الهداية في الآخرة إلى طريق الجنة، فإنه رتب هذا الجزاء على قتلهم. ويحتمل أن يكون منه، ويكون قوله: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ إخباراً منه سبحانه عما يفعله بهؤلاء الذين قتلوا في سبيله قبل أن قتلوا، وأتى به بصيغة المستقبل (إعلاماً)[٣] بأنه يجدد له كل وقت (من أنواع)[٤] الهداية وإصلاح البال شيئاً بعد شيء.

فإن قلت : فكيف يكون ذلك المستقبل خبراً عن الذين قتلوا؟

قلت : الخبر قوله : ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[٥] أي أنه لا يبطلها عليهم ولا يَتِرُهم إياها . هذا بعد أن قتلوا. ثم أخبر سبحانه خبراً مستأنفاً عنهم أنه سيهديهم ويصلح بالهم لما علم أنهم سيقتلون في سبيله، وأنهم بذلوا أنفسهم له، فلهم جزاءان: جزاء في الدنيا بالهداية على الجهاد، وجزاء في الآخرة بدخول الجنة، فيرد السامع كل جملة إلى وقتها لظهور المعنى وعدم التباسه (وهو كثير في القرآن)[٦] ، والله أعلم.

وقد قال تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا

---

(١) سورة المائدة آية ١٦.

(٢) سورة محمد آية ٤-٥.

(٣) في ع، د، س : إعلاماً منه.

(٤) في ع: نوع من أنواع، وفي د، س : نوعاً من أنواع.

(٥) سورة محمد آية ٤ .

(٦) في ع، د، س : وهو في القرآن كثير.

ﭐلْمُخْلَصِينَ ﴾[١] (فجازاه على إخلاصه بصرف السوء والفحشاء عنه)[٢]، وقال: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٣] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[٤]، وقال : ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ﴾[٥]، وقال : ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[٦] فضمن التمام معنى الإنعام فعدَّاه بعلى، (أي)[٧] إنعاماً منا على الذي أحسن (فهذا)[٨] جزاء على الطاعات بالطاعات.

وأما الجزاء (على المعاصي بالمعاصي)[٩] فكقوله : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾[١٠]، وقوله : ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾[١١]، وقوله: / ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[١٢]، وقوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ١٧٠أ

---

(١) سورة يوسف آية ٢٤.
(٢) ما بين القوسين ساقط من ع، د، س.
(٣) سورة يوسف آية ٢٢.
(٤) سورة الأحزاب آية ٧٠ – ٧١.
(٥) سورة النور آية ٥٤.
(٦) سورة الأنعام آية ١٥٤.
(٧) ساقطة من د.
(٨) في ع، د، س : وهذا.
(٩) في ع، د، س : بالمعاصي على المعاصي.
(١٠) سورة الصف آية ٥.
(١١) سورة الحشر آية ١٩.
(١٢) سورة الأنعام آية ١١٠.

إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ﴾[١]، وقوله : ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾[٣] وهو كثير في القرآن.

وعلى هذا، فيكون النوعان من السيئات، أعني المصائب والمعايب، من نفس الإنسان، وكلاهما بقدر الله، فشر النفس هو الذي أوجب هذا وهذا. وكان النبي ﷺ يقول في خطبته المعروفة : « ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا »[٤] فشر النفس نوعان: صفة، وعمل، والعمل ينشأ عن الصفة، والصفة تتأكد وتقوى بالعمل، فكل منها يمد الآخر. وسيئات الأعمال نوعان قد (فسر بهما)[٥] الحديث، أحدهما: مساوئها وقبائحها، فتكون الإضافة فيه من (إضافة)[٦] النوع (إلى)[٧] جنسه، وهي إضافة بمعنى من، أي السيئات من أعمالنا. والثاني : (أنها) ما يسوء العامل مما يعود عليه من عقوبة عمله، فيكون من إضافة المسبب إلى سببه، وتكون الإضافة على معنى اللام.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٥٥.

(٢) سورة البقرة آية ٨٨.

(٣) سورة التوبة آية ٢٥.

(٤) سبق تخريجه في ص (٥٩٢).

(٥) في د، س : قد فسرهما.

(٦) ساقطة من ت ع، د، س.

(٧) ساقطة من م.

وقد (يرجح)[1] الأول بأنه يكون قد استعاذ من الصفة والعمل الناشئ عنها، وذلك يتضمن الاستعاذة من الجزاء السيئ المترتب على ذلك، فتضمنت الاستعاذة ثلاثة أمور : الاستعاذة من العذاب، ومن سببه الذي هو العمل، ومن سبب العمل الذي هو الصفة.

وقد يرجح الثاني أن شر النفس يعم النوعين كما تقدم، فسيئات الأعمال ما يسوء من جزائها، ونبه بقوله : (سيئات أعمالنا) على أن الذي يسوء من الجزاء إنما هو بسبب الأعمال الإرادية، لا من الصفات التي ليست من أعمالنا، ولما كانت تلك الصفة شراً استعاذ منها / وأدخلها في شر النفس. ١٧٠ب

وقال الصديق رضي الله تعالى عنه للنبي ﷺ: (علمني دعاءً أدعو به في صلاتي، قال : « قل: اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه[2]، وأن أقترف (على نفسي)[3] سوءاً أو أجره إلى مسلم. قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك »[4] .

ولما كان الشر له مصدر يبتدئ منه، وغاية ينتهي إليها، وكان مصدره إما من نفس الإنسان، وإما من الشيطان، وغايته أن يعود على صاحبه أو على أخيه المسلم، تضمن (هذا)[5] الدعاء هذه المراتب الأربعة[6] بأوجز لفظ

---

(١) في ت : رجح.

(٢) وشِرْكِه : أي ما يدعو إليه ويوسوس به من الإشراك بالله تعالى. ويروي بفتح الشين والراء : أي حبائله ومصايده. النهاية لابن الأثير (٢/ ٤٦٧).

(٣) ما بين القوسين ساقط من م.

(٤) سبق تخرجه في ص (٧٤٤).

(٥) ساقطة من ع، د، س.

(٦) المراتب الأربعة : هكذا ورد في جميع النسخ. والمناسب (المراتب الأربع) لأن المعدود مؤنث وهو مراتب.

(وأفصحه)[١] وأبينه.

فصل

قال السني: فليس لك أيها القدري أن تحتج بالآية التي نحن فيها لمذهبك لوجوه:

أحدها : أنك تقول: فعل العبد حسنه كان أو سيئه هو منه لا من الله، بل الله سبحانه (قد)[٢] أعطى كل واحد من الاستطاعة ما يفعل به الحسنات والسيئات، لكن هذا أحدث من عند نفسه إرادة فعل بها الحسنات، وهذا أحدث إرادة فعل بها السيئات، وليست واحدة من الإرادتين من إحداث الرب البتة ولا أوجبتها مشيئته، والآية قد فرقت بين الحسنة والسيئة، وأنتم لا تفرقون بينهما، فإن الله عندكم لم يشأ هذا ولا هذا (ولم يخلق هذا ولا هذا)[٣] .

قال القدري : إضافة السيئة إلى نفس العبد لكونه هو الذي أحدثها وأوجدها، (وإضافة)[٤] الحسنة إليه سبحانه لكونه هو الذي أمر بها وشرعها.

قال السني : الله سبحانه أضاف إلى العبد (ما أصابه من سيئة، وأضاف إلى نفسه ما أصاب العبد)[٥] من حسنة. ومعلوم أن الذي أصاب العبد هو الذي قام به، والأمر لم يقم بالعبد، وإنما قام به المأمور وهو الذي أصابه، فالذي أصابه لا تصح إضافته إلى الرب عندكم، والمضاف إلى الرب لم يقم بالعبد، فعلم أن الذي أصابه من هذا وهذا أمر قائم به / . فلو كان المراد به الأفعال ١٧١أ

(١) في ع، د، س : وأوضحه.

(٢) ساقطة من ع، د .

(٣) ما بين القوسين ساقط من ع ، د ، س .

(٤) في م، ع، د، س : وأضاف.

(٥) ما بين القوسين ساقط من ت.

الاختيارية من الطاعات والمعاصي لاستوت الإضافة ولم يصح الفرق وإن افترقا في كون أحدهما مأموراً به والآخر منهياً عنه. على أن النهي أيضاً من الله كما أن الأمر منه، فلو كانت الإضافة لأجل الأمر لاستوى المأمور والمنهي في الإضافة؛ لأن هذا مطلوب إيجاده، وهذا مطلوب إعدامه.

وقال القدري: أنا أجوز تعلق الطاعة والمعصية بمشيئة الرب تعالى، وإحداثه على وجه الجزاء، لا على سبيل الابتداء، وذلك أن الله سبحانه يعاقب عبده بما شاء ويثيبه (بما شاء)[1]، فكما يعاقبه بخلق الجزاء الذي يسوؤه، وخلق الثواب الذي يسره، فكذلك يحسن أن يعاقبه بخلق المعصية وخلق الطاعة، فإن هذا يكون عدلاً منه. وأما أن يخلق فيه الكفر والمعصية ابتداءً بلا سبب فمعاذ الله من ذلك.

قال السني: هذا توسط حسن جداً لا يأباه العقل ولا الشرع، ولكن من أعدى الأول[2] وليس هو عندك مقدوراً لله ولا واقعاً بمشيئته، فقد أثبت في

---

(١) ساقطة من ع، د، س. وفي ت: بما يشاء.

(٢) قوله: من أعدى الأول. مقتبس من الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا عدوى ولا صفر ولا هامة». فقال أعرابي: يا رسول الله، فما بال إبلي تكون في الرمل كأنها الظباء، فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها، فقال: «فمن أعدى الأول؟». والحديث أخرجه البخاري في (١٩/٧) ك الطب - باب لا صفر. وفي (٣١/٧) باب لا هامة ولا عدوى. ومسلم في (١٧٤٢/٤) ك السلام باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر. وأبو داود في (٤٠٧/١٠) ك الطب - باب في الطيرة. وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٤٨٤/١٣) والبغوي في شرح السنة (١٦٧/١٢). قال الخطابي في معالم السنن المطبوع مع مختصر سنن أبي داود للمنذري (٣٧٦/٥): يقول: إن أول بعير جرب=

ملكه ما لا يقدر عليه، وأدخلت فيه ما لم يشأه، ونقضت أصلك كله، فإنك أصلت أن فعل العبد (الاختياري قدرة العبد)[١] عليه، واختياره له ومشيئته تمنع قدرة الرب عليه ومشيئته له، وهذا الأصل لا فرق فيه بين الابتدائي والجزائي.

قال القدري : فالقرآن قد فرق بين النوعين وجعل الكفر والفسوق الثاني جزاءً على الأول، فعلم أن الأول من العبد قطعاً، وإلا لم يستقم جعل أحدهما عقوبة على الآخر. وقد صرح تعالى بذلك في قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾[٢] فأضاف نقض الميثاق إليهم وتقسية القلوب إليه. فالأول سبب منهم. والثاني جزاء منه سبحانه . (و)[٣] قال تعالى : ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٤] . فأضاف عدم الإيمان أولاً إليهم إذ هو السبب، وتقليب القلوب وتركهم في طغيانهم (إليه إذ)[٥] هو الجزاء. ومثله قوله : ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[٦] والآيات التي (سقتموها)[٧] آنفاً إنما تدل على هذا.

= من الإبل لم يكن قبله بعير أجرب فيعديه، وإنما كان أول ما ظهر الجرب في أول بعير منها بقضاء الله وقدره، فكذلك ما ظهر منه في سائر الإبل بعد.

(١) ما بين القوسين ساقط من م.

(٢) سورة المائدة آية ١٣ .

(٣) الواو ساقطة من ع، د، س.

(٤) سورة الأنعام آية ١١٠ .

(٥) ساقطة من ع، د، س.

(٦) سورة الصف آية ٥.

(٧) في ع، س : سمعتموها.

قال السني: نعم هذا حق، (و)[١] لكن ليس فيه إخراج السبب عن كونه مقدوراً للرب تعالى واقعاً بمشيئته. ولو شاء لحال بين العبد وبينه ووفقه لضده، (فهذه)[٢] البقية التي بقيت عليك من القدر، كما أن إنكار (إثبات)[٣] الأسباب واقتضائها لمسبباتها وترتيبها عليها (هي)[٤] البقية التي بقيت على الجبري في المسألة أيضاً. (فكلاكما)[٥] مصيب من وجه، مخطئ من وجه، ولو تخلص كل منكما من البقية التي بقيت عليه لوجدتما روح الوفاق، واصطلحتما على الحق، وبالله التوفيق.

قال القدري: فما تقول أنت أيها السني في الفعل الأول إذا لم يكن جزاءً فما وجهه وأنت ممن يقول بالحكمة والتعليل، وتنزه الرب تعالى عن الظلم الذي هو ظلم، لا ما يقوله الجبري إنه الجمع بين النقيضين؟

قال السني: لا يلزمني في هذا المقام بيان ذلك، فإني لم أنتصب له، إنما أنتصب لإبطال احتجاجك بالآية لمذهبك الباطل، وقد وفيت به، ولله تعالى في ذلك حكم وغايات محمودة لا تبلغها عقول العقلاء ومباحث الأذكياء، فالله سبحانه إنما يضع فضله وتوفيقه وإمداده في المحل الذي يصلح له، وما لا يصلح له من المحال يدعه غُلْفاً فارغاً من الهدى والتوفيق، فيجري مع طبعه الذي خلق عليه ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم

---

(١) إضافة من ت.

(٢) في ع، د، س: فهي.

(٣) ساقطة من م.

(٤) في م: بين.

(٥) في ع، د، س: وكلاكما

مُعْرِضُونَ ﴾(١).

قال القدري : فإذا كان الله سبحانه قد أحدث فيهم تلك الإرادة والمشيئة المستلزمة لوجود / الفعل كان ذلك إيجاداً منه سبحانه لذلك فيهم، كما أوجد الهدى والإيمان في أهله. ١٧٢أ

قال السني : هذا معترك النزال (ومفرق)(٢) طرق العالم، والله سبحانه أعطى العبد مشيئة وقدرة وإرادة تصلح لهذا ولهذا، ثم (أمد)(٣) أهل الفضل بأمور وجودية زائدة على ذلك المشترك. أوجب (لهم)(٤) الهداية والإيمان، وأمسك ذلك الإمداد عن من علم أنه لا يصلح له ولا يليق به، فانصرفت قوى إرادته ومشيئته إلى ضده اختياراً منه (وإرادة)(٥) ومحبة، لا كرهاً واضطراراً.

قال القدري : فهل كان يمكنه إرادة ما لم يعن عليه ولم يوفق له بإمداد زائد على خلق الإرادة.

قال السني : إن أردت بالإمكان أنه يمكنه فعله لو أراده فنعم، هو ممكن بهذا الاعتبار مقدور له. وإن أردت به أنه ممكن وقوعه بدون مشيئة الرب وإذنه، فليس (بممكن)(٦) ، فإنه ما شاء الله كان ووجب وجوده، وما لم يشأ لم يكن وامتنع وجوده.

---

(١) اقتباس من آية ٢٣ سورة الأنفال.

(٢) في م، ع، د، س : وتفرق.

(٣) ساقطة من ع.

(٤) في ع، د، س : له.

(٥) ساقطة من ع، د، س.

(٦) في ع، د، س : يمكن.

قال القدري : فقد سلمت حينئذ أنه غير ممكن للعبد إذا لم يشأ الله منه أن يفعله فصار غير مقدور للعبد، فقد عوقب على ترك ما لا يقدر على فعله.

قال السني : عدم إرادة الله سبحانه للعبد ومشيئته أن يفعل لا يوجب كون الفعل غير مقدور له، فإنه سبحانه لا يريد من نفسه أن يعينه عليه مع كونه أقدره عليه، ولا يلزم من إقادره عليه وقوعه حتى توجد منه إعانة أخرى. فانتقاء تلك الإعانة لا يخرج الفعل عن كونه مقدوراً للعبد، فإنه قد يكون قادراً على الفعل، لكن يتركه كسلاً وتهاوناً وإيثاراً لفعل ضده، فلا يصرف الله عنه (تلك)[1] (الموانع)[2] ، ولا يوجب عدم (صرفها)[3] كونه عاجزاً عن الفعل، فإن الله سبحانه يعلم أنه قادر عليه بالقدرة التي أقدره بها، ويعلم أنه لا يريده مع كونه / قادراً عليه، فهو سبحانه مريد له ومنه الفعل، ولا يريد١٧٢ب من نفسه إعانته وتوفيقه. وقطع هذه الإعانة والتوفيق لا يخرج الفعل عن كونه مقدوراً له وإن جعلته غير مراد. وسر المسألة الفرق بين تعلق الإرادة بفعل العبد وتعلقها بفعله هو سبحانه (بعبده)[4] . فمن لم يحط معرفة بهذا الفرق لم (يتكشف)[5] له حجاب المسألة.

قال الجبري : إما أن تقول : إن الله علم أن العبد لا يفعل أو لم (يعلم)[6]

---

(١) في د، س : ترك.

(٢) في ع، د، س : الواقع.

(٣) في د، س : صرفه.

(٤) في ع، د، س : بعده.

(٥) في ع، د، س : يكشف.

(٦) في م : يفعل.

ذلك والثاني محال. وإذا كان قد علم أنه لا يفعله صار الفعل ممتنعاً قطعاً إذ لو فعله لانقلب العلم القديم جهلاً.

قال السني : هذه حجة باطلة من وجوه :

أحدها : أن هذا بعينه يقال فيما علم الله أنه لا يفعله وهو مقدور له فإنه (لا يقع)[١] البتة مع كونه مقدوراً له، فما كان جوابك عن ذلك فهو جوابنا لك.

(وثانيها)[٢] : أن الله سبحانه يعلم الأمور على ما هي عليه، فهو يعلم أنه لا يفعله لعدم إرادته له، لا لعدم قدرته عليه.

وثالثها : أن العلم كاشف لا موجب، وإنما الموجب مشيئة الرب تعالى، والعلم يكشف حقائق المعلومات.

عدنا إلى الكلام على الآية التي احتج بها القدري وبيان أنه لا حجة فيها من ثلاثة أوجه:

أحدها : أنه قال : ما أصابك، ولم يقل: ما أصبت.

الثاني : أن المراد بالحسنة والسيئة : النعمة والمصيبة.

الثالث : أنه قال : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[٣] فالإنسان هو فاعل السيئات، ويستحق عليها العقاب، والله هو المنعم عليه بالحسنات عملاً وجزاءً، والعادل فيه بالسيئات قضاءً وجزاءً، ولو كان العمل الصالح من نفس العبد

---

(١) في ع، د، س : لا ينفع.

(٢) في د، وثانيهما.

(٣) سورة النساء آية ٧٨.

كما كان السيئ (من نفسه)[١] لكان الأمران كلاهما من نفسه، والله سبحانه قد فرق بين النوعين. وفي الحديث الصحيح الإلهي: «يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد / خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[٢]. ١٧٢أ

فصل

قال : الجبري أول الآية محكم، وهو قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[٣] وآخرها متشابه، وهو قوله : ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[٤] .

(و)[٥] قال القدري : (بل)[٦] آخرها محكم وأولها متشابه.

قال السني : أخطأتما جميعاً. بل كلاهما محكم مبين، وإنما أُتيتما من قلة الفهم في القرآن وتدبره، فليس بين اللفظين تناقض؛ لا في المعنى ولا في العبارة، فإنه سبحانه وتعالى ذكر عن هؤلاء الناكبين عن الجهاد أنهم إن تصبهم حسنة يقولوا: هذه من عند الله، وإن تصبهم سيئة يقولوا لرسوله ﷺ: هذه من عندك، أي بسبب ما أمرتنا به من دينك، وتركنا ما كنا عليه، أصابتنا

---

(١) ما بين القوسين ساقط من م.

(٢) هذا طرف من حديث قدسي طويل رواه أبو ذر رضي الله عنه، وأوله: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ...» وسبق تخرجه في ص (٤٢٢) .

(٣) سورة النساء آية ٧٨.

(٤) سورة النساء آية ٧٩.

(٥) الواو ساقطة من ع، د، س.

(٦) ساقطة من م، ع، د، س.

هذه السيئات؛ لأنك أمرتنا بما أوجبها، (فالسيئات)[١] هاهنا هي المصائب، والأعمال التي ظنوا أنها سبب المصائب هي التي أمروا بها. وقولهم في السيئة التي تصيبهم : هذه من عندك تتناول مصائب الجهاد التي حصلت لهم من الهزيمة والجراح وقتل من قتل منهم، وتتناول مصائب الرزق على وجه التطير والتشاؤم، أي أصابنا هذا بسبب دينك، كما قال تعالى عن قوم فرعون : ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾[٢] . أي : إذا جاءهم ما يسرون به ويتنعمون به من النعم، قالوا: نحن أهل ذلك ومستحقوه، وإن أصابهم ما يسوؤهم قالوا: هذا بسبب ما جاء به موسى. وقال أهل القرية للمرسلين : ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾[٣] . وقال قوم صالح له : ﴿ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾[٤] وكانوا يقولون لما ينالهم (بسبب)[٥] الحرب: هذا منك؛ لأنك أمرتنا بالأعمال الموجبة له، وللمصائب الحاصلة من غير جهة العدو، وهذا منك أيضاً، أي بسبب مفارقتنا لديننا ودين آبائنا والدخول في / طاعتك، وهذا حال كل من جعل طاعة الرسول ﷺ سبباً لشر أصابه من السماء أو من الأرض. وهؤلاء كثير (في)[٦] الناس، وهم الأقلون عند الله قدراً (الأرذلون)[٧] عنده. ومعلوم أنهم لم يقولوا: هذه من

١٧٣ب

(١) في د : السيئات دون الفاء.
(٢) سورة الأعراف آية ١٣١.
(٣) كما حكاه الله عز وجل عنهم في سورة يس آية ١٨.
(٤) كما حكاه الله عز وجل عنهم في سورة النمل آية ٤٧.
(٥) في ع، د، س : من سبب.
(٦) في د : من.
(٧) في ع : الأذلون.

عندك بمعنى (أنك)[1] أحدثتها.

ومن فهم هذا تبين له أن قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[2] لا يناقض قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[3] بل هذا تحقيق له، فإنه سبحانه بين أن النعم والمصائب كلها من عنده، فهو الخالق لها، المقدر لها، المبتلي خلقه بها، فهي عنده، ليس بعضها (خلقا له)[4] وبعضها خلقاً لغيره. فكيف يضاف بعضها إلى الرسول ﷺ (وبعضها إلى الله تعالى، ومعلوم أن الرسول ﷺ)[5] لم يحدثها. فلم يبق إلا ظنهم أنه سبب حصولها: إما في الجملة كحال أهل التطير، وإما في الواقعة المعينة كحال اللائمين له في الجهاد، فأبطل الله سبحانه ذلك الوهم الكاذب والظن الباطل، وبين أن ما جاء به لا يوجب (شراً)[6] البتة، بل الخير كله فيما جاء (به)[7] والشر بسبب أعمالهم وذنوبهم، كما قال الرسل عليهم السلام لأهل القرية: ﴿طَـٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾[8] ولا يناقض هذا قول صالح عليه السلام لقومه: ﴿طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾[9] وقوله تعالى عن قوم فرعون : ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ

---

(١) ساقطة من ع، د، س.

(٢) سورة النساء آية ٧٩.

(٣) سورة النساء آية ٧٨.

(٤) في ع، د، س : من عنده.

(٥) ما بين القوسين ساقط من د.

(٦) في د، س : الشر.

(٧) ساقطة من د، س.

(٨) كما حكاه الله عز وجل عنهم في سورة يس آية ١٩.

(٩) كما حكاه الله عز وجل عنه في سورة النمل آية ٤٧.

يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[(١)] بل (هاتان)[(٢)] النسبتان نظير هاتين النسبتين في هذه الآية، وهي نسبة السيئة إلى نفس العبد، ونسبة الحسنة والسيئة إلى أنهما من عند الله عز وجل. فتأمل اتفاق القرآن وتصديق بعضه بعضاً. فحيث جعل الطائر معهم، والسيئة من نفس العبد، فهو على جهة السبب (و)[(٣)] الموجب، أي الشر والشؤم الذي أصابكم هو منكم ومعكم، فإن أسبابه قائمة بكم، كما تقول: شرك منك وشؤمك فيك[(٤)] وطائرك معك، وحيث جعل ذلك (كله من عنده فهو لأنه الخالق له، المجازي به / عدلاً وحكمة فالطائر يراد)[(٥)] به العمل وجزاؤه، فالمضاف إلى العبد العمل، والمضاف إلى الرب الجزاء، فطائركم معكم طائر العمل، وطائركم عند الله (طائر)[(٦)] الجزاء، فما جاءت به الرسل ليس سبباً لشيء من المصائب، ولا تكون طاعة الله ورسوله سبباً لمصيبة قط، بل طاعة الله ورسوله لا توجب إلا خيراً في الدنيا والآخرة، ولكن قد يصيب المؤمنين بالله ورسوله مصائب بسبب ذنوبهم وتقصيرهم في طاعة الله ورسوله كما لحقهم يوم أحد[(٧)]، ويوم

١٧٤أ

---

(١) سورة الأعراف آية ١٣١.

(٢) في م : هذا، وفي ع: هذه .

(٣) الواو ساقطة من د.

(٤) في د، س : زيادة في هذا الموضع نصها : يراد به العمل.

(٥) ما بين القوسين ساقط من د.

(٦) ساقطة من د، س.

(٧) يشير المؤلف رحمه الله إلى ما حدث في غزوة أحد عندما خالف الرماة أمر الرسول ﷺ لهم بأن لا يبرحوا، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ =

حنين[1] وكذلك ما امتحنوا به من الضراء وأذى الكفار لهم ليس هو بسبب نفس إيمانهم ولا هو موجبه، وإنما امتحنوا به ليخلص (ما فيهم من الشر

= مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾ سورة آل عمران آية ١٥٢. وقد روى هذه القصة البخاري في صحيحه (٤/ ٢٦-٢٧) ك الجهاد – باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه، وقول الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾. وفي (٥/ ١١١) ك المغازي – باب (١٠). وفي (٥/ ٢٩ -٣٠) ك المغازي – باب غزوة أحد. وفي (٥/ ٣٥) ك المغازي – باب ﴿۞إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ ـ إلى قوله ـ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ مختصراً. وفي (٥/ ١٧١) ك التفسير باب ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ ﴾ مختصراً. وأخرجه أبو داود (٧/ ٣٢٣-٣٢٤) ك الجهاد – باب في الكمناء. والنسائي في سننه الكبرى – ك التفسير (١/ ٣٣٤-٣٣٦) تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ آية ١٥٣ من سورة آل عمران وفي ك السير، كما ذكر المزي في تحفه الأشراف (٢/ ٤٦) برقم (١٨٣٧)، والإمام أحمد (٤/ ٢٩٣-٢٩٤)، والطبري في تفسيره (٤/ ١٢٥) تفسير سورة آل عمران آية (١٥٢). وفي تاريخه (٢/ ٥٠٧-٥٠٨، ٥٢٦-٥٢٧). والطيالسي في مسنده ص (٩٩) برقم ٧٢٥. والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٢٩-٢٣٠).

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى ما حصل على المسلمين من الهزيمة، كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾. سورة التوبة آية (٢٥) وقد روى قصة غزو حنين عدد من الصحابة، منهم أنس بن مالك، وأخرج روايته البخاري في (٥/ ١٠٦) ك المغازي، باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان. ومسلم (٢/ ٧٣٥) ك الزكاة – باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه. والإمام أحمد (٣/ ٢٧٩-٢٨٠) وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١١/ ٨٧-٨٨).

فامتحنوا بذلك كما يمتحن الذهب بالنار ليخلص)[١] من غشه والنفوس فيها ما هو من مقتضى (طبيعتها)[٢] فالامتحان يمحص المؤمن من ذلك الذي هو من موجبات طبعه، كما قال تعالى ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[٣] وقال : ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ﴾[٤] فطاعة الله ورسوله لا تجلب إلا خيراً، ومعصيته لا تجلب إلا شراً. ولهذا قال سبحانه: ﴿فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[٥] فإنهم لو فقهوا الحديث لعلموا أنه ليس في الحديث الذي أنزله الله على رسوله ما يوجب شراً البتة، ولعلموا أنه سبب كل خير، ولو فقهوا لعلموا أن العقول والفطر تشهد بأن مصالح المعاش والمعاد متعلقة بما جاء به الرسول، فلو فقهوا القرآن علموا أنه أمرهم بكل خير، ونهاهم عن كل شر، وهذا مما يبين أن ما أمر الله به يعلم حسنه بالعقل، وأنه كله مصلحة ورحمة ومنفعة وإحسان، بخلاف ما يقوله كثير من أهل الكلام الباطل : إنه سبحانه (قد)[٦] يأمر العباد بما لا مصلحة لهم فيه، بل يأمرهم بما فيه مضرة لهم. وقول هؤلاء تصديق وتقرير لقول المتطيرين بالرسل.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من ت.

(٢) في ع، د، س : طبعها.

(٣) سورة آل عمران، آية ١٤١ .

(٤) سورة آل عمران ، آية ١٥٤ .

(٥) سورة النساء ، آية ٧٨ .

(٦) ساقطة من ع ، د ، س .

فصل

ومما يوضح الأمر في ذلك أنه سبحانه لما قال : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾[1] عقب ذلك بقوله : ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[2] (وذلك)[3] يتضمن أشياء:

منها تنبيه أمته على أن رسوله الذي شهد له بالرسالة إذا أصابه ما يكره فمن نفسه، فما الظن بغيره؟

ومنها : أن حجة الله قامت عليهم بإرساله، فإذا أصابهم سبحانه بما يسوؤهم لم يكن ظالماً لهم في ذلك؛ لأنه قد أرسل رسوله إليهم يعلمهم بما فيه مصالحهم (وما يجلبها لهم)[4] وما فيه مضرتهم وما يجلبها لهم، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

ومنها: أنه سبحانه قد شهد له بالرسالة بما أظهره على يديه من الآيات الدالة على صدقه، وأنه رسوله حقاً، فلا يضره جحد هؤلاء الجاهلين الظالمين المتطيرين به لرسالته، (وقد)[5] شهد له رب السماوات والأرض.

ومنها : أنهم أرادوا أن يجعلوا سيئاتهم وعقوباتهم حجة على إبطال رسالته، فشهد (الله[6] له بالرسالة، وأخبر أن شهادته كافية، فكان في ضمن ذلك إبطال قولهم: إن المصائب من عند الرسول ﷺ وإثبات أنها من عند

---

(١) سورة النساء ، آية ٧٩ .

(٢) سورة النساء آية ٧٩.

(٣) ساقطة من ت.

(٤) ساقطة من ت.

(٥) في ع، س : ومن، وفي د : وهو من.

(٦) لفظ الجلالة لم يذكر في ع، د، س.

أنفسهم بطريق الأولى.

ومنها : إبطال قول الجهمية[١] الجبرة ومن وافقهم في قولهم : إن الله قد يعذب العباد بلا ذنب.

ومنها : إبطال قول القدرية الذين يقولون : إن أسباب الحسنات والسيئات ليست من الله، بل هي من العبد.

ومنها : ذم من لم يتدبر القرآن (ولم)[٢] يفقهه، وأن إعراضه عن تدبره يوجب له من الضلال والشقاء بحسب إعراضه.

ومنها : إثبات الأسباب، وإبطال قول من ينفيها ولا يرى لها ارتباطاً بمسبباتها.

ومنها: أن الخير كله من الله، والشر كله من النفس، فإن الشر هو الذنوب (وعقوباتها)[٣] ، والذنوب من النفس، (وعقوباتها)[٤] مترتبة عليها، والله (هو)[٥] الذي قدر ذلك (كله)[٦] وقضاه، وكل من عنده قضاءً وقدراً، وإن كانت نفس العبد (سببه بخلاف الخير والحسنات، فإن)[٧] سببها مجرد فضل الله (ومنه)[٨] وتوفيقه كما تقدم تقريره.

---

(١) سبق التعريف بهم في ص (٤٥٩).

(٢) في ع، ت : و.

(٣) في ع ، د، س : وعقوبتها.

(٤) في د، س : وعقوبتها.

(٥) ساقطة من م.

(٦) ساقطة من ع، د، س.

(٧) ما بين القوسين ساقط من د.

(٨) في م : ومنته.

ومنها : أنه سبحانه لما ردَّ قولهم : إن الحسنة من الله والسيئة من رسوله، وأبطله بقوله : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[(١)] (دفع)[(٢)] وَهْم من توهَّم أن نفسه لا تأثير لها في السيئة ولا هي منها أصلاً بقوله : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾[(٣)] وخاطبه بهذا تنبيهاً لغيره كما تقدم.

ومنها : أنه قال في الرد عليهم : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[(٤)] ولم يقل: من الله لما جمع بين الحسنات والسيئات، والحسنة مضافة إلى الله من كل وجه، والسيئة إنما تضاف إليه قضاءً وقدراً وخلقاً، وأنه خالقها كما هو خالق الحسنة، فلهذا قال: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[(٥)] وهو سبحانه إنما خلقها لحكمة، فلا تضاف إليه من جهة كونها سيئة، بل من جهة ما تضمنته من الحكمة والعدل والحمد، وتضاف إلى النفس (كونها)[(٦)] سيئة. ولما ذكر الحسنة مفردة عن السيئة، قال : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[(٧)] ولم يقل: من عند الله، فالخير منه، وإنه موجب أسمائه وصفاته، والشر (الذي)[(٨)] هو بالنسبة إلى العبد شر من عنده سبحانه، (فإنه)[(٩)] مخلوق له (خلقه)[(١٠)] عدلاً منه

(١) سورة النساء آية ٧٨.
(٢) في م، ع، د، س : رفع.
(٣) سورة النساء آية ٧٩.
(٤) سورة النساء آية ٧٨.
(٥)سورة النساء آية ٧٨.
(٦) في د، س : من جهة كونها.
(٧) سورة النساء آية ٧٩.
(٨) ساقطة من م .
(٩) ساقطة من م.
(١٠) في م : وانه .

وحكمة، ثم قال : ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[(١)] ولم يقل: من عندك، لأن النفس طبيعتها ومقتضاها ذلك فهو من نفسها، والجميع من عند الله، فالسيئة من نفس الإنسان بلا ريب، والحسنة من الله بلا ريب، وكلاهما من عنده سبحانه قضاءً وقدراً وخلقاً، ففرق بين ما من الله وبين ما من عنده. والشر لا يضاف إلى الله إرادة ولا محبة ولا فعلاً ولا وصفاً ولا اسماً. فإنه لا يريد إلا الخير (ولا يحب إلا الخير)[(٢)] ولا يفعل شراً، ولا يوصف به، ولا يسمى باسمه.

١٧٥ب وسنذكر في باب دخول / الشر في القضاء الإلهي وجه نسبته إلى قضائه وقدره إن شاء الله[(٣)] .

فصل

وقد اختلف في كاف الخطاب في قوله : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾[(٤)] هل هي لرسول الله ﷺ؟ أو هي لكل واحد من الآدميين؟[(٥)].

فقال ابن عباس في رواية الوالبي[(٦)] عنه : الحسنة ما فتح الله عليه يوم بدر

---

(١) ساقطة من ع، د، س.

(٢) ما بين القوسين ساقط من ت.

(٣) وهو الباب الحادي والعشرون..

(٤) سورة النساء آية ٧٩.

(٥) انظر تفسير القرطبي (٥/ ١٨٤) وتفسير الماوردي الموسوم بالنكت والعيون (١/ ٥٠٨) ط الأولى ١٤١٢هـ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٤/ ٢٧٣).

(٦) سبقت ترجمته في ص (٣١٠) .

من الغنيمة والفتح، والسيئة ما أصابه يوم أحد أن شج في وجهه وكسرت رباعيته عليه الصلاة والسلام.

وقالت طائفة: بل المراد جنس ابن آدم، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾[١] (روى)[٢] سعيد[٣] عن قتادة : ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ قال : عقوبة يا ابن آدم بذنبك[٤] .

ورجحت طائفة القول الأول، واحتجوا بقوله : ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾[٥] قالوا : وأيضاً إنه لم يتقدم ذكر الإنسان ولا خطابه. وإنما تقدم ذكر (طائفة)[٦] قالوا ما حكاه الله عنهم، فلو كانوا هم المرادين لقال: ما أصابهم أو ما أصابكم على طريق الالتفات.

قالوا: وهذا من باب (التنبيه)[٧] لأنه إذا كان سيد ولد آدم (وهذا)[٨]

---

(١) سورة الانفطار آية ٦.

(٢) في م : ثم ورى.

(٣) هو : سعيد بن أبي عروبة، مهران : اليشكري، مولاهم، أبو النضر البصري، ثقة حافظ، له تصانيف، لكنه كثير التدليس، واختلط، وكان من أثبت الناس في قتادة، من السادسة، مات سنة ست، وقيل: سبع وخمسين ومائة. روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٣٠٢) وتهذيب التهذيب (٤/ ٦٣-٦٦).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥/ ١٧٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٩٧) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد.

(٥) سورة النساء آية ٧٩.

(٦) في ع، د، س : الطائفة.

(٧) في ع، د، س : السبب.

(٨) في د، س : وهكذا.

حكمه فكيف بغيره[١].

ورجحت طائفة القول الآخر، واحتجت بأن رسول الله ﷺ معصوم لا يصدر عنه ما يوجب أن تصيبه (سيئة)[٢]. قالوا: والخطاب وإن كان له في الصورة فالمراد به الأمة، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[٣]. قالوا: ولما كان أول الآية خطاباً له أجري الخطاب جميعه على وجه واحد، فأفرده في الثاني والمراد (الجمع)[٤] والمعنى: (وما أصابكم من سيئة فمن أنفسكم، فالأول له، والثاني لأمته، ولهذا لما أفرد إصابة السيئة قال)[٥]: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾[٦] وقال: ﴿أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾[٧] وقال: ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ۝٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٨] فأخبر أن الهزيمة بذنوبهم وإعجابهم، وأن النصر (بما)[٩] أنزله على رسوله وأيده، إذ لم يكن منه من سبب الهزيمة ما كان

---

(١) انظر فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٤/ ٢٧٣).

(٢) في د، س: به سيئة.

(٣) سورة الطلاق آية ١.

(٤) في ع، د، س: به الجميع.

(٥) ما بين القوسين ساقط من ت.

(٦) سورة الشورى آية ٣٠.

(٧) سورة آل عمران آية ١٦٥.

(٨) سورة التوبة آية ٢٥، ٢٦.

(٩) في ت: مما.

(منهم)[١] .

وجمعت طائفة ثالثة بين القولين، وقالوا : صورة الخطاب له ﷺ والمراد العموم[٢] كقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾[٣] ، ثم قال : ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[٤] ثم قال : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[٥] وكقولـه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾[٦] . وقولـه: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾[٧] قالوا : وهذا الخطاب نوعان : نوع يختص لفظه به، لكن يتناول غيره بطريق الأولى، كقوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾[٨] ثم قال : ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ﴾[٩] ونوع يكون الخطاب له (وللأمة، فأفرده)[١٠] بالخطاب لكونه هو المواجه بالوحي، وهو

---

(١) في ع، د، س : منه.

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٧٩). وتفسير الماوردي، الموسوم بالنكت والعيون (١/ ٥٠٨)، وتفسير ابن الجوزي، زاد المسير (٢/ ١٣٨).

(٣) سورة الأحزاب آية ١.

(٤) سورة الأحزاب آية ٢.

(٥) سورة الأحزاب آية ٣ .

(٦) سورة الزمر آية ٦٥، ٦٦.

(٧) سورة يونس آية ٩٤.

(٨) سورة التحريم آية ١.

(٩) سورة التحريم آية ٢.

(١٠) في م : ولأمته وأفرده.

الأصل فيه والمبلغ للأمة والسفير بينهم وبين الله. وهذا معنى قول كثير من المفسرين : الخطاب له والمراد غيره. ولم يريدوا بذلك أنه لم يخاطب بذلك أصلاً ولم يرد به البتة، بل المراد (به)[1] أنه لما كان (إمام الخلائق)[2] ومقدمهم ومتبوعهم أفرد بالخطاب وتبعته الأمة في حكمه، كما يقول السلطان لمقدم العساكر: اخرج غداً، وانزل بمكان كذا، واحمل على وقت كذا، قالوا : فقوله ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[3] (هو)[4] خطاب له ، وجميع الأمة داخلون في ذلك بطريق الأولى ، بخلاف قوله : ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾[5] فإن هذا له خاصة. قالوا : وهذه الشرطية لا تستلزم الوقوع بل (ربط)[6] الجزاء بالشرط / وأما وقوع الشرط والجزاء فلا يدل عليه، (فهو)[7] (مقدور)[8] في حقه، محقق في حق غيره، والله أعلم. ١٧٦ب

قال القدري : إذا كان الطاعات والمعاصي مقدرة، والنعم والمصائب مقدرة، فلم فرق سبحانه بين الحسنات ـ التي هم النعم ـ والسيئات ـ التي هي المصائب ـ فجعل هذه منه سبحانه، وهذه من نفس الإنسان، والجميع مقدر؟.

---

(١) ساقطة من ت، ع، س.

(٢) في م : إماماً للخلائق.

(٣) سورة النساء آية ٧٩.

(٤) إضافة من ت.

(٥) سورة النساء آية ٧٩.

(٦) في ع، د، س : تربط.

(٧) ساقطة من م.

(٨) في م : يقدر.

قال السني : بينهما فروق:

الفرق الأول : أن نعم الله وإحسانه إلى عباده يقع بلا (كسب)(١) منهم أصلاً، بل الرب سبحانه ينعم عليهم بالعافية والرزق والنصر، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وأسباب الهداية، فيفعل ذلك (بمن)(٢) لم يكن منه سبب يقتضيه، وينشئ للجنة (في الآخرة)(٣) خلقاً يسكنهم إياها بغير سبب منهم، ويدخل أطفال المؤمنين ومجانينهم الجنة بلا عمل، وأما العقاب فلا يعاقب أحداً إلا بعمله.

الفرق الثاني : أن عمل الحسنات من إحسان الله ومَنّه وتفضله عليه بالهداية والإيمان، كما قال أهل الجنة : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾(٤) فخلْقُ الربِّ تعالى لهم الحياة والسمع والبصر والعقول والأفئدة، وإرسال الرسل، وتبليغهم البلاغ الذي اهتدوا به، وإلهامهم الإيمان، وتحبيبه إليهم، وتزيينه في قلوبهم، وتكريه ضده عليهم، كل ذلك من نعمه، كما قال تعالى : ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ﴾(٥)

---

(١) في د : كتب، وهو خطأ. وفي فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٤/ ٢٦٠) (سبب) ولعله هو الصواب.

(٢) في ع، د، س : من ، وهو خطأ.

(٣) ساقطة من ع، د، س.

(٤) كما حكاه الله عنهم في سورة الأعراف آية ٤٣.

(٥) سورة الحجرات آية ٧، ٨.

فجميع ما يتقلب فيه العالم من خير الدنيا والآخرة هو نعمة محضة بلا سبب سابق يوجب ذلك لهم، ومن غير حول (ولا قوة)[1] منهم إلا به، وهو (خالق نفوسهم، وخالق أعمالها الصالحة، وخالق جزائها)[2] وهذا كله منه سبحانه بخلاف الشر، فإنه لا يكون إلا بذنوب العبد، وذنبه من نفسه / . ١٧٧أ

وإذا تدبر العبد هذا علم أن ما هو فيه من الحسنات من فضل الله، فشكر ربه على ذلك، فزاده من فضله عملاً صالحاً ونعماً يفيضها عليه، وإذا علم أن الشر لا يحصل له إلا من نفسه وبذنوبه، استغفر (ربه)[3] وتاب فزال عنه سبب الشر، فيكون دائماً شاكراً مستغفراً، فلا يزال الخير يتضاعف له، والشر يندفع عنه، كما كان النبي ﷺ يقول في خطبته : «الحمد لله» فيشكر الله، ثم يقول : «نستعينه ونستغفره» نستعينه على طاعته، ونستغفره من معصيته، ونحمده على فضله وإحسانه . ثم قال : « ونعوذ بالله من شرور أنفسنا » لَمَّا استغفره من الذنوب الماضية استعاذ من الذنوب التي لم تقع بعد، ثم قال : « ومن سيئات أعمالنا » فهذه استعاذة من عقوبتها كما تقدم، ثم قال : « من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له »، فهذه شهادة للرب تعالى بأنه المتصرف في خلقه بمشيئته وقدرته وحكمته وعلمه، وأنه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، فإذا هدى عبداً لم يضله أحد، وإذا أضله لم يهده أحد. وفي ذلك إثبات ربوبيته وقدرته وعلمه وحكمته وقضائه (وقدره)[4] الذي هو عقد نظام التوحيد

(١) في ت، ع، د، س : وقوة .

(٢) ما بين القوسين ساقط من د.

(٣) في م : الله.

(٤) في ت : وقدرته.

وأساسه. وكل هذا مقدمة بين يدي قوله : « واشهد أن لا إله إلا الله (وحده لا شريك له»[١] وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»[٢] فإن الشهادتين إنما (تتحقق)[٣] بحمد الله واستعانته واستغفاره واللجوء إليه والإيمان بأقداره.

والمقصود أنه سبحانه فرق بين الحسنات والسيئات بعد أن جمع بينهما في قوله : ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[٤] فجمع بينهما الجمع الذي لا يتم الإيمان إلا به)[٥] وهو أن هذا الخير والحسنة نعمة منه، فاشكروه عليه يزدكم من فضله ونعمه، وهذا الشر والسيئة / بذنوبكم فاستغفروه يرفعه عنكم، وأصله من ١٧٧ب شرور أنفسكم، فاستعيذوا به يخلصكم منها، ولا يتم ذلك إلا بالإيمان (بأنه)[٦] وحده (هو)[٧] الذي يهدي ويضل، وهو الإيمان بالقدر، فادخلوا عليه من بابه، فإن أزمة الأمور (بيدي)[٨]، فإذا فعلتم ذلك صدق (منكم)[٩] شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

فهذه الخطبة العظيمة عقد نظام الإسلام والإيمان. فلو اقتصر لهم على

---

(١) ما بين القوسين ساقط من ع ، د ، س .

(٢) سبق تخريج هذا الحديث في ص (٥٩٢) .

(٣) في د، س : تتحققان. في ع، د، س : بالله.

(٤) سورة النساء آية ٧٨.

(٥) ما بين القوسين ساقط من د.

(٦) في ع ، د ، س : بالله .

(٧) في ع ، د، س : وهو . في ع ، د ، س : بالله .

(٨) في ع ، د ، س : بيده .

(٩) ساقطة من م، ت.

الجمع دون الفرق أعرض (العاصي)[١] والمذنب عن ذم نفسه، والتوبة من ذنوبه، والاستعاذة من شرها، وقام في قلبه شاهد الاحتجاج على ربه بالقدر، وتلك حجة داحضة تبع الأشقياء فيها إبليس، وهي لا تزيد صاحبها إلا شقاءً وعذاباً كما زادت إبليس بعداً وطرداً[٢] عن ربه، وكما زادت المشركين ضلالاً وشقاءً (حتى)[٣] قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾[٤] وكما تزيد الذي يقول يوم القيامة: ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾[٥] حسرة وعذاباً. ولو اقتصر لهم على الفرق دون الجمع لغابوا به (عن)[٦] التوحيد والإيمان بالقدر واللجوء إلى الله في الهداية والتوفيق، والاستعاذة به من شر النفس وسيئات العمل والافتقار التام إلى (إعانته)[٧] وفضله. (فكان)[٨] في الجمع والفرق بيان حق العبودية. وسيأتي تمام (الكلام)[٩] على هذا الموضع العظيم القدر إن شاء الله، (في باب)[١٠] اجتماع القدر والشرع وافتراقهما[١١].

الفرق الثالث: أن الحسنة يضاعفها الله سبحانه، وينميها ويكتبها للعبد

(١) في ت: للعاصي.
(٢) في ع، د، س: طرداً وبعداً.
(٣) في ع، د، س: حين.
(٤) كما حكاه الله تعالى عنهم في سورة الأنعام آية ١٤٨.
(٥) كما حكاه الله تعالى عنه في سورة الزمر آية ٥٧.
(٦) في ع، د،: من. وفي س: في.
(٧) في م إعانة الله. في ع، د، س: بإثبات.
(٨) في ع، د، س: وكان.
(٩) في ع، د، س: هذا الكلام. بزيادة. (هذا).
(١٠) في ع، د، س: بإثبات.
(١١) في الباب التاسع والعشرين.

بأدنى سعي (ويثيب)[1] على الهم بها، والسيئة لا يؤاخذ على الهم بها، ولا يضاعفها، ويبطلها بالتوبة والحسنة الماحية والمصائب المكفرة، فكانت الحسنة أولى بالإضافة إليه والسيئة أولى بالإضافة إلى النفس.

الفرق الرابع : أن الحسنة التي هي الطاعة والنعمة يحبها ويرضاها، فهو سبحانه وتعالى يحب أن يطاع، ويحب أن / ينعم ويحسن ويجود، وإن قدر المعصية وأراد المنع، فالطاعة أحب إليه، والبذل والعطاء آثر عنده، فكان إضافة نوعي الحسنة (إليه)[2] وإضافة نوعي السيئة إلى النفس أولى. ولهذا تأدب العارفون من عباده بهذا الأدب، فأضافوا إليه النعم والخيرات، وأضافوا الشرور إلى محلها كما قال إمام الحنفاء ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾[3] فأضاف المرض إلى نفسه والشفاء إلى ربه وقال الخضر : ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا... ﴾[4] ثم قال : ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا ﴾[5] وقال مؤمنو الجن : ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾[6] .

الفرق الخامس: أن الحسنة مضافة إليه، لأنه أحسن بها من كل وجه وبكل

---

(١) في د : ويثبت.

(٢) في ع، د ، س : له . كما حكاه الله عنه في سورة الكهف آية ٨٢.

(٣) كما حكاه الله تعالى عنه في سورة الشعراء من آية ٧٨ - ٨٠.

(٤) كما حكاه الله عنه في سورة الكهف آية ٧٩.

(٥) كما حكاه الله عنه في سورة الكهف آية ٨٢.

(٦) كما حكاه الله عنهم في سورة الجن آية ١٠.

اعتبار كما تقدم. فما من وجه من وجوهها إلا وهو يقتضي الإضافة إليه، وأما السيئة فهو سبحانه إنما قدرها وقضاها (بحكمة)[(١)] وهي باعتبار تلك الحكمة من إحسانه، فإن الرب سبحانه لا يفعل سوءً قط، كما لا يوصف به ولا يسمى باسمه، بل فعله كله حسن وخير وحكمة (ومصلحة)[(٢)] كما قال تعالى: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾[(٣)]، وقال أعرف الخلق به: «والشر ليس إليك»[(٤)] فهو لا يخلق شراً محضاً من كل وجه، بل كل ما خلقه ففي خلقه (مصلحة)[(٥)] وحكمة، وإن كان في بعضه شر جزئي إضافي، وأما الشر الكلي المطلق من كل وجه، فهو تعالى منزه عنه وليس إليه.

الفرق السادس: أن ما يحصل للإنسان من الحسنات التي يعملها، فهي أمور وجودية متعلقة بمشيئة الرب (وقدرته)[(٦)] ورحمته وحكمته، وليست أموراً عدمية تضاف إلى غير الله، بل هي كلها أمور وجودية، وكل موجود حادث (فالله)[(٧)] محدثه / وخالقه، وذلك (لأن)[(٨)] الحسنات إما فعل مأمور، ١٧٨ب أو ترك محظور، والترك أمر وجودي، فترك الإنسان لما نهى عنه ومعرفته بأنه ذنب قبيح وبأنه سبب العذاب (وبغضه)[(٩)] له وكراهته له ومنع نفسه إذا

---

(١) في ع، د، س: لحكمته.

(٢) ساقطة من ع، د، س.

(٣) سورة آل عمران آية ٢٦. وورد في جميع النسخ: بيده الخير.

(٤) طرف من حديث سبق تخريجه في ص(١٢٥).

(٥) ساقطة من ت.

(٦) في ع، د، س: وقدره.

(٧) في ع، د، س: والله.

(٨) في ع، د، س: أن.

(٩) في ع، د، س: فبغضه.

هويته وطلبته منه أمور وجودية، كما أن معرفته (بأن الحسنات)[1] كالعدل والصدق حسنة، وفعله لها أمر وجودي، والإنسان إنما يثاب على ترك السيئات إذا تركها على وجه الكراهة لها والامتناع منها وكف النفس عنها. قال تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾[3] وقال : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[4] .
وفي الصحيحين عنه ﷺ : **«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار»**[5] . وقد جعل ﷺ البغض في الله من أوثق عرى الإيمان، وهو أصل

---

(١) في ع، د، س : بالحسنات.

(٢) سورة الحجرات آية ٧.

(٣) سورة النازعات آية ٤٠.

(٤) سورة العنكبوت آية ٤٥.

(٥) هذا الحديث من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه. وأخرجه : البخاري في (١/ ٩-١٠) ك الإيمان – باب حلاوة الإيمان. وفي (١/ ١١) باب من كره أن يعود في الكفر كما كره أن يلقى في النار من الإيمان. وفي (٧/ ٨٣) ك الأدب – باب الحب في الله. وفي (٨/ ٥٦) ك الإكراه – باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر. ومسلم في (١/ ٦٦) ك الإيمان – باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان. والترمذي (١٦/٥) ك الإيمان – باب (١٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح. والنسائي (٨/ ٩٤-٩٥) ك الإيمان وشرائعه – باب طعم الإيمان. وفي (٨/ ٩٦) باب حلاوة الإيمان. (٨/ ٩٧) باب حلاوة الإسلام. وابن ماجه (٢/ ١٣٣٨) ك الفتن – باب الصبر على البلاء. والإمام أحمد (٣/ ١٠٣، ١١٣، ١١٤،١٧٢، ١٧٤، ٢٣٠، ٢٤٨، =

الترك، وجعل المنع لله من كمال الإيمان، وهو أصل الترك، فقال : **«من أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله»**[(١)]. وقال: **«من أحب لله، وأبغض**

= ٢٧٥، ٢٨٨). وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١/ ٤٧٤) ك الإيمان باب ما جاء في صفات المؤمنين. والبغوي في شرح السنة (١/ ٤٩) ك الإيمان – باب حلاوة الإيمان وحب الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ. وابن المبارك في الزهد ص ٢٨٥. وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٧) و (٢/ ٢٨٨). والبيهقي في القدر ص (٢٢٣). وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٢٠٠). وأبو يعلى في مسنده (٥/ ١٩٤، ٣٥٥-٣٥٦، ٤٤٠) و(٦/ ٢٣) والطيالسي في مسنده ص(٢٦٤).

(١) هذا الحديث من رواية حنش عن عكرمة عن ابن عباس، قال : قال رسول ﷺ لأبي ذر: أي عرى الإيمان أظنه قال أوثق ؟ قال: رسول الله أعلم. قال : **«الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله»**. وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٢١٥). وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٣٠٧): إسناده واه، ولكن له شواهد تدل على أن له أصلاً، من حديث عبد الله بن مسعود، والبراء بن عازب: أما حديث ابن مسعود، فأخرجه الطيالسي في مسنده ص (٥٠). وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٧٧). والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٨٠) من طريق الصعق ابن حزن عن عقيل بن يحيى، عن أبي إسحاق الهمداني، عن سويد بن غفلة، عن ابن مسعود مرفوعاً. وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي، فقال : ليس بصحيح، فإن الصعق ـ وإن كان موثقاً ـ فإن شيخه منكر الحديث، قاله البخاري. وأما حديث البراء، فأخرجه الإمام أحمد (٤/ ٢٨٦). والطيالسي في مسنده ص(١٠١). وابن أبي شيبة في كتاب الإيمان ص (٣٦) تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر دار الأرقم بالكويت. والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٦٩-٧٠). وهذا الحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٨٩-٩٠) وقال : رواه أحمد، وفيه ليث بن أبي سليم وضعفه الأكثر. وقال الألباني بعد أن ذكر طرق هذا الحديث : والحديث بمجموع طرقه يرتقي إلى درجة الحسن على الأقل، والله أعلم. انظر الأحاديث الصحيحة (٤/ ٣٠٧).

لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان »[1] . وجعل إنكار المنكر بالقلب من مراتب الإيمان، وهو بغضه وكراهته المستلزم لتركه، فلم يكن الترك من الإيمان إلا بهذه الكراهة والبغض والامتناع والمنع لله، وكذلك براءة الخليل من قومه المشركين (ومعبودهم)[2] ليست تركاً محضاً؛ بل تركاً صادراً عن بغض ومعاداة وكراهة (وهي)[3] أمور وجودية، هي عبودية للقلب يترتب عليها خلو الجوارح من العمل، كما أن التصديق والإرادة والمحبة للطاعة (هي)[4] / عبودية للقلب يترتب عليها آثارها في الجوارح. ١٧٩أ

وهذا الحب والبغض تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله. وهو إثبات تأله

---

(١) هذا الحديث من رواية أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول ﷺ. وأخرجه: أبو داود في سننه (١٢/ ٤٣٨) ك السنة – باب الدليل على زيادة الإيمان. والبغوي في شرح السنة (١/ ٣٩) ك الإيمان – باب بيان أن الأعمال من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص والرد على المرجئة. وقال الألباني : وإسناده حسن. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٩٠) وقال : رواه الطبراني في الأوسط، وفيه صدقه بن عبد الله السمين، ضعفه البخاري وأحمد وغيرهما، وقال أبو حاتم: محله الصدق. وذكره أيضاً الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح (١/ ١٦-١٧). وللحديث طريق آخر من رواية سهل ابن معاذ الجهني عن أبيه، وزاد فيه : (وأنكح لله). أخرجه : الترمذي (٤/ ٥٧٨) ك صفة القيامة – باب (٦٠)، وقال : هذا حديث حسن. والإمام أحمد (٤/ ٤٣٨-٤٤٠). والحاكم في المستدرك (٢/ ١٦٤) ك النكاح، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقال الألباني: والحديث بمجموع الطريقين صحيح. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٩٧-٩٨).

(٢) في م: ومعبوديهم.

(٣) في ع، د، س : هي.

(٤) في ع، د، س : من .

القلب لله ومحبته، ونفي تألهه لغيره وكراهته، فلا يكفي أن العبد يعبد الله ويحبه ويتوكل عليه وينيب إليه ويخافه ويرجوه حتى يترك عبادة غيره والتوكل (عليه)[١] والإنابة إليه وخوفه ورجاءه، ويبغض ذلك (فهذه)[٢] كلها أمور وجودية، وهي الحسنات التي يثيب الله عليها.

وأما مجرد عدم السيئات من غير أن يعرف أنها سيئة، ولا يكرهها بقلبه، ويكف نفسه عنها، بل يكون تركها لعدم خطورتها بقلبه، (فلا يثاب على هذا الترك)[٣] فهذا تكون السيئات في حقه بمنزلتها في حق الطفل والنائم، ولكن قد يثاب على اعتقاد تحريمها، وإن لم يكن له إليها داعية البتة.

فالترك ثلاثة أقسام.

- قسم يثاب عليه.
- وقسم يعاقب عليه.
- وقسم لا يثاب ولا يعاقب.

فالأول: ترك العالم بتحريمها الكاف نفسه عنها لله مع قدرته عليها.

والثاني : كترك من يتركها لغير الله، لا لله. فهذا يعاقب على تركه لغير الله، كما يعاقب على فعله لغير الله، فإن ذلك الترك والامتناع فعل من أفعال القلب، فإذا عبد به غير الله استحق العقوبة.

والثالث: كترك من لم يخطر على قلبه علماً ولا محبة ولا كراهة، بل بمنزلة ترك النائم والطفل.

---

(١) ساقطة من م .

(٢) في ع، د، س : وهذه .

(٣) ما بين القوسين ورد في (د) بعد قوله في حق الطفل والنائم .

فإن قيل: كيف يعاقب على ترك المعصية حياءً من الخلق، وإبقاءً على جاهه بينهم، وخوفاً منهم أن يتسلطوا عليه، والله سبحانه لا يذم على ذلك ولا يمنعه منه.

قيل: لا ريب (أنه)[١] لا يعاقب على ذلك، وإنما يعاقب على تقربه إلى الناس بالترك ومراءاتهم به (وأنه)[٢] تركها خوفاً من الله ومراقبة (له)[٣] وهو في الباطن بخلاف ذلك.

فالفرق بَيِّنٌ بين ترك يتقرب به إليهم ويرائيهم به، وترك يكون مصدره الحياء منهم، وخوف أذاهم له، وسقوطه من أعينهم، (فهذا لا يعاقب / ١٧٩ب عليه)[٤] إذا كان له فيه غرض يحبه الله من حفظ مقام الدعوة إلى الله وقبولهم منه ونحو ذلك.

وقد تنازع الناس في الترك: هل هو أمر وجودي أم عدمي؟ والأكثرون على أنه وجودي.

وقال أبو هاشم وأتباعه: هو عدمي، وإن المأمور يعاقب على مجرد عدم الفعل لا على ترك يقوم بقلبه[٥].

وهؤلاء رتبوا الذم والعقاب على العدم المحض. والأكثرون يقولون: إنما يثاب من ترك المحظور على ترك وجودي يقوم بنفسه، ويعاقب تارك المأمور على ترك وجودي يقوم بنفسه، وهو امتناعه وكفه نفسه (عن) فعل ما أمر به.

---

(١) في د: فإنه.

(٢) في د: وبأنه.

(٣) في م، ع، د، س: الفعل.

(٤) ما بين القوسين ساقط من ع.

(٥) انظر شرح الأصول الخمسة ص (٤٢٥).

إذا تبين هذا ، فالحسنات التي يثاب عليها كلها وجودية، فهو سبحانه الذي حبب الإيمان والطاعة إلى العبد، وزينه في قلبه وكرَّه إليه أضدادها.

وأما السيئات، فمنشؤها من الجهل والظلم، فإن العبد لا يفعل القبيح إلا لعدم علمه بكونه قبيحاً، أو لهواه وشهوته مع علمه بقبحه. فالأول جهل، والثاني ظلم. ولا يترك حسنة إلا لجهله بكونها حسنة، أو لرغبته في ضدها لموافقته هواه وغرضه.

وفي الحقيقة، فالسيئات ترجع إلى الجهل، وإلا فلو كان علمه تاماً برجحان ضررها لم يفعلها، فإن هذا خاصة (العقل)[1] ، فإنه إذا علم أن إلقاءه (نفسه)[2] من مكان عال يضره؛ لم يقدم عليه، وكذلك لبثه تحت حائط مائل، وإلقاؤه نفسه في ماء (يغرق)[3] وأكله طعاماً مسموماً، لا يفعله لعلمه التام بمضرته الراجحة، بل هذه فطرة فطر الله عليها الحيوان بهيمة وناطقة، ومن لم يعلم أن ذلك يضره كالطفل والمجنون والسكران الذي انتهى سكره، فقد (يفعل ذلك)[4]. وأما من أقدم على ما يضره ـ مع علمه بما فيه من الضرر ـ فلا بد أن يقوم بقلبه أن منفعته له راجحة (فلابد)[5] من رجحان المنفعة عنده إما في الظن وإما في المظنون. / ولو جزم راكب البحر بأنه يغرق، ويذهب ماله، لم (يركبه)[6] ١٨٠أ

(١) في م ، ع ، د ، س : الفعل .

(٢) في ع ، د ، س : بنفسه .

(٣) في د ، س : يغرق فيه .

(٤) في ع : يفعل ، وفي د ، س : يفعله .

(٥) في عن ، د ، س : ولابد .

(٦) في ع، د ، س : يركب .

أبداً. بل لابد من رجحان الانتفاع (في ظنه)[١] وإن أخطأ في ذلك. وكذلك الذنوب والمعاصي. فلو جزم السارق بأنه يؤخذ ويقطع لم يقدم على السرقة، بل يظن أنه يسلم ويظفر بالمال. وكذلك القاتل (والشارب)[٢] والزاني، فلو جزم طالب الذنب بأنه يحصل له الضرر الراجح لم يفعله، بل إما أن لا يكون جازماً بتحريمه أو لا يجزم بعقوبته، بل يرجو العفو والمغفرة وأن يتوب ويأتي بحسنات تمحو أثره. وقد يغفل عن هذا كله بقوة وإرادة الشهوة واستيلاء سلطانها على قلبه بحيث (غيبه)[٣] عن مطالعة مضرة الذنب، والغفلة من أضداد العلم.

والشهوة أصل الشر كله. قال تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾[٤]. وينبغي أن يعلم أن الهوى وحده لا يستقل (بفعل)[٥] السيئات إلا مع الجهل، وإلا فصاحب الهوى لو جزم بأن ارتكاب هواه يضره ولابد، ضرراً راجحاً لانصرفت نفسه عن طاعته له بالطبع؛ فإن الله سبحانه جعل في النفس حباً لما ينفعها، وبغضاً لما يضرها، فلا تفعل مع حضور عقلها ما تجزم بأنه يضرها ضرراً راجحاً. ولهذا يوصف تارك ذلك بالعقل والحجى (والنهي)[٦] واللب، فالبلاء مركب من تزيين الشيطان وجهل النفس، فإنه يزين لها السيئات، ويريها أنها في صور المنافع واللذات

---

(١) ساقطة من م .
(٢) في ت : والسارق .
(٣) في د ، س : تغيبه .
(٤) سورة الكهف آية ٢٨ .
(٥) في ع ، د ، س : بفساد .
(٦) ساقطة من ع ، د ، س .

والطيبات، ويغفلها عن مطالعتها لمضرتها، فتولد من بين هذا التزيين وهذا الإغفال والإنساء لها إرادة وشهوة، ثم يمدها بأنواع التزيين، فلا يزال يقوى حتى يصير عزماً جازماً يقترن به الفعل، كما زين للأبوين الأكل من الشجرة، وأغفلهما عن مطالعة مضرة المعصية، فالتزيين هو سبب إيثار الخير والشر، كما قال تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1] / وقال: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾[2] وقال في تزيين الخير: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ﴾[3]. وقال في تزيين النوعين: ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[4]. (فتزيين)[5] الخير والهدى بواسطة الملائكة والمؤمنين، وتزيين الشر والضلال بواسطة الشياطين من الجن والإنس، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾[6]. وحقيقة الأمر أن التزيين إنما يغتر به الجاهل؛ لأنه يلبس له الباطل والضار المؤذي صورة الحق والنافع الملائم، فأصل البلاء كله من الجهل وعدم العلم. ولهذا قال الصحابة: (كل من عصى الله فهو جاهل)[7].

١٨٠ب

(١) سورة الأنعام آية ٤٣.
(٢) سورة فاطر آية ٨.
(٣) سورة الحجرات آية ٧.
(٤) سورة الأنعام آية ١٠٨.
(٥) في ع، د، س: وتزيين.
(٦) سورة الأنعام آية ١٣٧.
(٧) رواه ابن جرير الطبري (٤/ ٢٩٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٥٩) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(قال)(١) تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾(٢) . وقال تعالى : ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٣) . قال أبو العالية : سألت أصحاب محمد ﷺ عن قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾(٤) فقالوا : كل من عصى الله فهو جاهل، ومن تاب قبل الموت فقد تاب من قريب .

وقال قتادة : أجمع أصحاب رسول الله ﷺ على أن كل من عصي الله به فهو جهالة، عمداً كان أو لم يكن، وكل من عصى الله فهو جاهل(٥) .

وقال مجاهد : (من عمل ذنباً)(٦) من شيخ أو شاب فهو بجهالة. وقال من عصى ربه فهو جاهل حتى ينزع عن (معصيته (٧))(٨) .

---

(١) في ع، د، س : وقال .

(٢) سورة النساء آية ١٧ .

(٣) سورة الأنعام آية ٥٤ .

(٤) سورة النساء آية ١٧ .

(٥) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٥١) وابن جرير في تفسيره (٤/ ٢٩٨) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٥٩) ولم ينسبه إلى غيرهما.

(٦) ساقطة من ع ، د ، س .

(٧) في ع، د ، س : خطيئته .

(٨) رواه ابن جرير في تفسيره (٤/ ٢٩٨-٢٩٩) والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٤٠٠) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٥٩) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقال هو وعطاء : الجهالة : العمد[(١)] .

وقال مجاهد: من عمل سوءاً خطأ أو عمداً فهو جاهل حتى ينزع منه[(٢)] .

ذكر هذه الآثار ابن أبي حاتم. (ثم)[(٣)] قال : وروي عن قتادة وعمرو[(٤)] ابن مرة (والثوري)[(٥)] نحو ذلك خطأ أو عمداً[(٦)] .

١٨١أ وروى عن مجاهد والضحاك : / ليس من جهالته أن لا يعلم حلالاً ولا حراماً، ولكن من جهالته حين دخل فيه[(٧)] .

وقال عكرمة : (الدنيا)[(٨)] كلها جهالة[(٩)] .

ومما يبين ذلك قوله: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[(١٠)] . وكل من (خشيه)[(١١)] فأطاعه بفعل أوامره وترك (مناهيه)[(١٢)] فهو عالم، كما قال تعالى:

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٤/ ٢٩٩) .

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (٤/ ٢٩٨-٢٩٩) .

(٣) ساقطة من م ، ت .

(٤) سبقت ترجمته في ص(٧٣٢) .

(٥) في د : النووي . وهو خطأ .

(٦) انظر تفسير ابن أبي حاتم ق(١١٦) مخطوط، مرجع سابق .

(٧) انظر تفسير ابن أبي حاتم ق (١١٦) المرجع السابق .

(٨) في م، ع، د، س: الدماء. وما ثبت من ت، وهو المطابق لما في تفسير ابن أبي حاتم .

(٩) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه : (١/ ٧٥٠) ك الزهد. وابن جرير في تفسيره (٤/ ٢٩٩) وابن أبي حاتم في تفسيره ق (١١٦) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٢٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٥٩) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد.

(١٠) سورة فاطر آية ٢٨ .

(١١) في م : خشي الله .

(١٢) في ع ، د ، س : نواهيه.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾[١].

وقال رجل للشعبي[٢] : أيها العالم، فقال : لسنا بعلماء، إنما العالم من يخشى الله[٣].

وقال ابن مسعود : كفى بخشية الله علماً، وبالاغترار بالله جهلاً[٤].

وقوله : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ﴾[٥] يقتضي الحصر من الطرفين أن لا يخشاه إلا العلماء، ولا يكون عالماً إلا من يخشاه (فلا يخشاه)[٦] إلا عالم، وما من عالم إلا وهو يخشاه فإذا انتفى العلم انتفت الخشية، وإذا انتفت الخشية؛ دلت على انتفاء العلم، لكن وقع الغلط في مسمى العلم (الملازم)[٧] للخشية ؛ حيث يظن أنه يحصل بدونها، وهذا ممتنع، فإنه ليس في الطبيعة أن لا يخشى النار والأسد والعدو من هو عالم بها مواجه لها، وأنه لا

---

(١) سورة سورة الزمر ، آية ٩ .

(٢) هو : عامر بن شراحيل الشعبي : بفتح المعجمة، أبو عمرو، ثقة مشهور فقيه فاضل، من الثالثة، قال مكحول : ما رأيت أفقه منه، مات بعد المائة، وله نحو من ثمانين. روى له الستة. تقريب التهذيب (١/ ٣٨٧) وتهذيب التهذيب (٥/ ٣١١).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٤/ ٤٨) ك الزهد. وأبونعيم في الحلية (٤/ ٣١١) .

(٤) رواه ابن المبارك في كتاب الزهد (ص ١٥) وابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ٢٩١) ك الزهد. والإمام أحمد في كتاب الزهد (ص١٩٧). والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٢١١-٢١٢) .. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢٠)، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد.

(٥) سورة فاطر آية ٢٨.

(٦) ساقطة من ت .

(٧) في ع ، د ، س : اللازم .

يخشى الموت من ألقى نفسه من شاهق، ونحو ذلك، فأمنه في هذه المواطن دليل عدم علمه، وأحسن أحواله أن يكون معه ظن (لا يصل)[١] إلى رتبة العلم اليقيني.

فإن قيل : (فهذا)[٢] ينتقض عليكم بمعصية إبليس؛ فإنها كانت عن علم لا عن جهل، وبقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾[٣] وقال : ﴿ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾[٤] وقال عن قوم فرعون: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[٥] وقال : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾[٦] وقال موسى لفرعون : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٧] وقال : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ﴾[٨]، وقال : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ ﴾[٩] يعني القرآن ومحمداً ﷺ، وقال:

---

(١) في ع : أن لا يصل بزيادة (أن) .

(٢) في م : هذا .

(٣) سورة فصلت آية ١٧ .

(٤) سورة الإسراء آية ٥٩ .

(٥) سورة النمل آية ١٤ .

(٦) سورة العنكبوت آية ٣٨ .

(٧) كما حكاه الله عز وجل عنه في سورة الإسراء آية ١٠٢ .

(٨) سورة التوبة آية ١١٥ .

(٩) سورة الأنعام ٢٠.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[1]. وقال: ﴿فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾[2]. والجحود: إنكار الحق بعد معرفته. وهذا كثير في القرآن.

قيل: حجج الله لا تتناقض، بل كلها يصدق بعضها بعضاً، (فإذا)[3] كان سبحانه قد أثبت الجهالة لمن عمل السوء وقد أقر به وبرسالته وبأنه حرم ذلك وتوعد عليه بالعقاب، ومع ذلك (حكم)[4] عليه بالجهالة التي لأجلها عمل السوء. فكيف بمن أشرك به وكفر بآياته وعادى رسله، أليس ذلك أجهل الجاهلين. وقد سمَّى تعالى أعداءه جاهلين بعد إقامة الحجة عليهم فقال: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾[5] فأمره بالإعراض عنهم بعد (أن أقام)[6] عليهم الحجة وعلموا أنه صادق. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ فالجاهلون هنا: الكفار الذين علموا أنه رسول الله. فهذا العلم لا ينافي الحكم على صاحبه بالجهل، بل يثبت له العلم (وينفي)[7] عنه في موضع واحد، كما قال تعالى عن السحرة من اليهود: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ

(١) سورة آل عمران آية ٧١.

(٢) سورة الأنعام آية ٣٣.

(٣) في ع، د، س: وإذا.

(٤) في ع، د، س: يحكم.

(٥) سورة الأعراف آية ١٩٩.

(٦) في م: إقامة.

(٧) في د، س: وينافي.

بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾[١] . فأثبت لهم العلم الذي تقوم به عليهم الحجة، ونفى عنهم العلم النافع الموجب لترك الضار، وهذا نكتة المسألة وسر الجواب، فما دخل النار إلا عالم، ولا دخلها إلا جاهل. وهذا العلم (لا)[٢] يجتمع مع الجهل في الرجل الواحد، يوضحه أن الهوى والغفلة والإعراض تصد عن كماله واستحضاره ومعرفة موجبه على التفصيل، وتقيم لصاحبه شبهاً وتأويلات تعارضه، (فلا)[٣] يزال المقتضي يضعف / ١٨٢أ (والمعارض)[٤] يعمل عمله حتى كأنه لم يكن، ويصير صاحبه بمنزلة الجاهل من كل وجه، فلو علم إبليس أن تركه (السجود)[٥] لآدم يبلغ به ما بلغ، وأنه يوجب له أعظم العقوبة، وتيقن ذلك لم يتركه، ولكن حال الله بينه وبين هذا العلم ليقضي أمره وينفذ قضاؤه وقدره. ولو ظن آدم وحواء أنهما إذا أكلا من الشجرة خرجا من الجنة وجرى عليهما ما جرى ما قرباها. ولو علم أعداء الرسل تفاصيل ما (جرى)[٦] عليهم وما يصيبهم يوم القيامة، وجزموا بذلك لما عادوهم، قال تعالى عن قوم فرعون: ﴿ وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ ﴾[٧]، وقال تعالى : ﴿ وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن

---

(١) سورة البقرة آية ١٠٢ .

(٢) ساقطة من م .

(٣) في م : ولا .

(٤) في ع ، د، س : والعارض .

(٥) في م ، ع، د ، س : للسجود .

(٦) في د ، س : يجري .

(٧) سورة القمر آية ٣٦ .

﴿قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾[١]، وقال عن المنافقين وقد شاهدوا آيات الرسول وبراهين صدقه عياناً: ﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[٢]، وقال: ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ﴾[٣]، وقال ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾[٤] وهو. (مرض)[٥] الشك، ولو كان هذا لعدم العلم الذي تقوم به الحجة عليهم لما كانوا في الدرك الأسفل من النار، بل هذا بعد قيام الحجة عليهم وعلمهم الذي لم ينفعهم، فالعلم يضعف قطعاً بالغفلة والإعراض واتباع الهوى وإيثار الشهوات. وهذه الأمور توجب شبهات وتأويلات تضاده. فتأمل هذا الموضع حق التأمل فإنه من أسرار القدر والشرع والعدل (والحكمة)[٦] .

فالعلم يراد به العلم التام المستلزم لأثره، (و)[٧] يراد به المقتضي، وإن لم يتم بوجود (شروطه)[٨] وانتفاء موانعه. فالثاني يجامع الجهل دون الأول.

---

(١) سورة سبأ آية ٥٤ .

(٢) سورة التوبة آية ٤٥ .

(٣)سورة الحديد آية ١٤ .

(٤) قوله تعالى: ﴿في قلوبهم مرض﴾ ورد في الآيات التالية : آية ١٠ من سورة البقرة. آية ٥٢ من سورة المائدة. آية ٤٩ من سورة الأنفال. آية ١٢٥ من سورة التوبة. آية ٥٣ من سورة الحج. آية ١٢-٦٠ من سورة الأحزاب. آية ٢٠-٢٩ من سورة محمد. آية ٣١ من سورة المدثر في د، س : وإن.

(٥) ساقطة من ع، د ، س .

(٦) ساقطة من ع، د، س .

(٧) ساقطة من د . في الحديث الذي رواه أبو هريرة وسبق تخريجه في ص (٣٣٠).

(٨) في ع: شرطه.

فتبين أن أصل السيئات : الجهل وعدم العلم. (وإذا)[١] كان كذلك، فعدم العلم ليس أمراً وجودياً بل هو لعدم السمع والبصر والقدرة والإرادة. والعدم ليس شيئاً حتى يستدعي فاعلاً مؤثراً فيه، بل يكفي فيه عدم مشيئة ضده وعدم السبب الموجب لضده. والعدم / المحض لا يضاف إلى الله؛ فإنه شر، والشر ليس إليه. فإذا انتفى هذا (العلم)[٢] الجازم عن العبد ونفسه بطبعها متحركة مريدة، وذلك من لوازم (نشأتها)[٣] تحركت بمقتضى الطبع والشهوة، وغلب ذلك فيها على داعي العلم والمعرفة، فوقعت في أسباب الشر ولابد.

١٨٣أ

فصل

والله سبحانه قد أنعم على عباده من جملة إحسانه ونعمه بأمرين هما أصل السعادة :

أحدهما: أن خلقهم في أصل النشأة على الفطرة السليمة، فكل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يخرجانه عنها، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ، وشبه ذلك بخروج البهيمة صحيحة، سالمة حتى يجدعها صاحبها. وثبت عنه أنه قال: يقول الله تعالى: **«إني خلقت عبادي حنفاء[٤] فأتتهم الشياطين فاجتالتهم[٥] عن دينهم، وحرمن عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم**

(١) في د، س : وإن .
(٢) ساقطة من ع، د ، س .
(٣) في م ، ع، د ، س : شأنها .
(٤) أي طاهري الأعضاء من المعاصي، وقيل : مؤمنين، والحنفاء جمع حنيف، وهو المائل إلى الإسلام، الثابت عليه. وأصل الحنف : الميل. النهاية لابن الأثير (١/ ٤٥١).
(٥) أي : استخفتهم ، فجالوا معهم في الضلال. النهاية لابن الأثير (١/ ٣١٧).

أن يشركوا بي ما لم ينزل به سلطاناً »[١] . فإذا تركت النفس وفطرتها لم تؤثر على محبة بارئها وفاطرها وعبادته وحده شيئاً، ولم تشرك به، ولم تجحد (كماله وربوبيته)[٢]، وكان أحب شيء إليها وأطوع شيء لها، وآثر شيء عندها ، ولكن (يفسدها)[٣] من يقترن بها شياطين الجن والإنس بتزيينه وإغوائه حتى ينغمس موجبها وحكمها.

الأمر الثاني : أنه سبحانه هدى الناس هداية عامة بما أودعه فيهم من المعرفة، ومكنهم من أسبابها، وبما أنزل إليهم من الكتب، وأرسل إليهم من الرسل، وعلمهم ما لم يكونوا يعلمونه، ففي كل نفس ما يقتضي معرفتها بالحق ومحبتها له. وقد هدى الله كل عبد إلى أنواع من العلم يمكنه التوصل بها إلى سعادة الآخرة / وجعل في فطرته محبة لذلك، لكن قد يعرض العبد ١٨٣أ عن طلب علم ما ينفعه، فلا يريده ولا يعرفه. وكونه لا يريد ذلك ولا يعرفه أمر عدمي، فلا يضاف إلى الرب لا هذا ولا هذا، فإنه من هذه الحيثية شر، والذي يضاف إلى الرب علمه به وقضاؤه له بعدم مشيئته لضده، (وإبقاؤه)[٤] على العدم الأصلي. وهو من هذه الجهة خير ؛ فإن العلم بالشر خير من

---

(١) هذا طرف من حديث طويل رواه عياض بن حمار المجاشعي أن رسول ﷺ قال ذات يوم في خطبته : « الا إن ربي أمرني أن اعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبداً حلال. وإني خلقت عبادي حنفاء ..» ، ومنه: «وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم...» الحديث. وقد سبق تخريجه في ص (١١٣).

(٢) في ع، د ، س : كمال ربوبيته.

(٣)في م، ع، س : يعدها. وفي د : يعدنا.

(٤) هكذا في جميع النسخ، ولعل الصواب (وإبقاؤه) لأنها معطوفة على (علمه به) وهي في موضع رفع. في م : ولا هو.

الجهل به. وعدم رفعه (بإثبات)[١] ضده إذا كان مقتضى الحكمة كان خيراً، وإن كان شراً بالنسبة إلى محله. وسيأتي تمام تقرير هذا في باب دخول الشر في القضاء الإلهي إن شاء الله سبحانه[٢].

فصل

وهاهنا حياة أخرى غير الحياة الطبيعية الحَيوانية، نسبتها إلى القلب كنسبة حياة البدن إليه. فإذا أمد عبده بتلك الحياة أثمرت له من محبته وإجلاله وتعظيمه والحياء منه ومراقبته وطاعته مثل ما تثمر حياة البدن له من التصرف والفعل وسعادة النفس ونجاتها وفلاحها بهذه الحياة. وهي حياة دائمة سرمدية لا تنقطع. ومتى فقدت هذه الحياة واعتاضت عنها بحياتها الطبيعية الحيوانية كانت ضالة معذبة شقية، ولم تسترح راحة الأموات، ولم تعش عيش الأحياء، كما قال تعالى: ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾[٣] فإن الجزاء من جنس العمل، فإنه في الدنيا لما لم يحي الحياة النافعة الحقيقية التي خلق لها، بل كانت حياته من جنس حياة البهائم، ولم يكن ميتاً عديم الإحساس، كانت حياته في الآخرة كذلك، فإن مقصود الحياة حصول مكان ينتفع به ويلذ به، ١٨٣ب كمن هو حي في الدنيا وبه أمراض عظيمة تحول بينه وبين / التنعم بما يتنعم به الأصحاء، فهو يختار الموت ويتمناه، ولا يحصل له، فلا هو مع الأحياء (ولا)[٤] مع الأموات.

---

(١) في م: باتيان.

(٢) وهو في الباب الحادي والعشرين.

(٣) سورة الأعلى الآيات من ١٠-١٣

(٤) في م: ولا هو.

(و)[١] إذا عرف هذا (فالشر)[٢] من لوازم (عدم)[٣] هذه الحياة، وعدمها شر، وهو ليس بشيء حتى يكون مخلوقاً، والله خالق كل شيء، فإذا أمسك عن (عبد)[٤] هذه الحياة، كان إمساكها خيراً بالنسبة إليه سبحانه، وإن كان شراً بالإضافة إلى العبد لفوات ما يلذ ويتنعم به، فالسيئات من طبيعة النفس ولم يمد بهذه الحياة التي تحول بينها وبينها، فصار الشر كله من النفس، والخير كله من الله، والجميع بقضائه (وقدرته)[٥] وحكمته، وبالله التوفيق.

فصل

قال القدري : (نحن)[٦] نعترف بهذا جميعه، ونقر بأن الله خلق الإنسان، ولكن جعله على خلقةٍ يريد بها، (فهو)[٧] مريد بالقوة والقبول، أي خلقه قابلاً لأن يريد هذا وهذا. وأما كونه مريداً لهذا المعنى (وهذا المعنى)[٨] فليس ذلك بخلق (لله)[٩]، ولكنه هو الذي أحدثه بنفسه، ليس هو من إحداث الله (فيه)[١٠] .

---

(١) ساقطة من م، ع، د، س .

(٢) في د : بالشر .

(٣) ساقطة من ت ، ع ، د ، س .

(٤) في م : عبده .

(٥) في م ، ع ، د ، س : وقدره .

(٦) في ع ، د ، س : ونحن .

(٧) في م ، ع ، د ، س : وهو .

(٨) ما بين القوسين ساقط من د ، س .

(٩) في ع ، د ، س : الله .

(١٠) ساقطة من ع، د ، س .

قال الجبري: (هذه)[1] الإرادة حادثة، فلا بد لها من محدث، فالمحدث لها إما أن يكون نفس الإنسان أو مخلوق عنها أو ربها وفاطرها وخالقها. والقسمان الأولان محال فتعين الثالث.

أما المقدمة الأولى فظاهرة، إذ المحدث إما النفس، وإما أمر خارج عنها، والخارج عنها إما الخالق (وإما)[2] المخلوق.

وأما المقدمة الثانية، فبيانها أن النفس لا يصح أن تكون هي المحدثة لإرادتها، فإنها إما أن تحدثها بإرادة أو بغير إرادة، وكلاهما ممتنع، فإنها لو توقف إحداثها (لها)[3] على إرادة أخرى، فالكلام فيها كالكلام في الأولى، ويلزم التسلسل إلى غير نهاية، فلا توجد إرادة حتى يتقدمها إرادات لا تتناهى، وإن لم يتوقف إحداثها على إرادة منها، بطل أن تكون / هي المؤثرة ١٨٤أ في إحداثها (إذ)[4] وقوع الحادث بلا إرادة (من الفاعل المختار محال. وإذا بطل أن تكون محدثة للإرادة بإرادة)[5] وأن تحدثها بغير إرادة تعين أن يكون المحدث (لتلك)[6] الإرادة أمراً خارجاً عنها. فحينئذ إما أن يكون مخلوقاً أو يكون هو الخالق سبحانه، والأول محال، لأن ذلك المحدث إن كان غير مريد لم يمكنه جعل الإنسان مريداً، وإن كان مريداً، فالكلام في إرادته كالكلام في

---

(١) ساقطة من م .

(٢) في ع ، د ، س : أو .

(٣) في ع ، د ، س : أو .

(٤) ساقطة من د ، س .

(٥) ما بين القوسين ساقط من ت .

(٦) في د : لملك .

إرادة الإنسان سواء. فتعين أن يكون المحدث لتلك (الإرادة)[1] هو الخالق لكل شيء، الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

قال القدري: قد (اختلفت)[2] طرق أصحابنا في الجواب عن هذا الإلزام. فقال (أبو عثمان)[3] الجاحظ: العبد يحدث أفعاله بغير إرادة منه، بل (بمجرد)[4] قدرته وعلمه بما في الفعل من الملاءمة، فإذا علم موافقة الفعل له وهو قادر عليه أحدثه بقدرته وعلمه، وأنكر توقفه على إرادة محدثة، وأنكر حقيقة الإرادة في الشاهد، ولم ينكر الميل والشهوة، ولكن لا يتوقف إحداث (الفعل)[5](عليهما)[6]، فإن الإنسان قد يفعل ما لا يشتهيه ولا يميل إليه[7]. وخالفه جميع الأصحاب، وأثبتوا الإرادة الحادثة، ثم اختلفوا في سبب حدوثها، فقال طائفة منهم : كون النفس مريدة أمر ذاتي لها، وما بالذات لا يعلل ولا يطلب سبب وجوده، وطريقة التعليل تسلك ما لم يمنع منها مانع، واختصاص الذات بالصفة الذاتية لا يعلل، فهكذا اختصاص النفس بكونها مريدة هو أمر ذاتي لها، وبذلك كانت نفساً. فقول القائل: لم أرادت كذا؟ وما الذي أوجب لها إرادته؟ كقوله : لم كانت نفساً؟ وكقوله: لم كانت النار محرقة أو متحركة؟ ولِمَ كان الماء مائعاً سيالاً؟ ولِمَ كان الهواء خفيفاً؟

---

(١) في ع: الأمور .

(٢) في ت : اختلف.

(٣) إضافة من م، ت .

(٤) في ع، د ، س : مجرد .

(٥) ساقطة من ع، د ، س .

(٦) في ع، د ، س : عليها .

(٧) انظر الملل والنحل (١/ ٧٥) .

فكون النفس مريدة متحركة بالإرادة هو معنى كونها نفساً، فهو بمنزلة
١٨٤ب قول القائل: لم كانت/ نفساً وحركتها بمنزلة حركة الفلك، فهي خلقت هكذا.

وقالت طائفة أخرى: بل الله سبحانه أحدث فيها الإرادة، والإرادة صالحة للضدين، فخلق منها إرادة تصلح للخير والشر، فآثرت هي أحدهما على (الآخر)(١) بشهوتها وميلها، فأعطاها قدرة صالحة للضدين وإرادة صالحة لهما، فكانت القدرة والإرادة من إحداثه سبحانه، واختيارها أحد المقدورين المرادين من قبلها، فهي التي رجحته.

قالوا : والقادر المختار يرجح أحد مقدوريه على الآخر بغير مرجح، كالعطشان إذا قدم له قدحان متساويان من كل وجه، والهارب إذا عَنَّ له طريقان كذلك، فإنه يرجح أحدهما بلا مرجح، فالله سبحانه أحدث فيه إرادة الفعل ولكن الإرادة لا توجب المراد (فأحدثها)(٢) فيه امتحاناً له وابتلاءً، (وأقدره)(٣) على خلافها، وأمره بمخالفتها، ولا ريب أنه قادر على مخالفتها، فلا يلزم من كونها مخلوقة لله (حاصلة)(٤) بإحداثه وجوب الفعل عندها.

وقال أبو (الحسين)(٥) البصري(٦): إن (فعل العبد)(٧) يتوقف على الداعي

(١) في ع : الأخرى .
(٢) في ع : فإحداثها
(٣) في ع : وإقداره .
(٤) في ت : خالصة .
(٥) في ت : الحسن وهو تصحيف .
(٦) سبقت ترجمته في ص (٨٣٧) .
(٧) في ع ، د ، س : الفعل .

والقدرة، وهما من الله خلقاً فيه، وعندهما يجب وجود الفعل باختيار العبد وداعيته، فيكون هو المحدث له بما فيه من (الداعي)[1] والقدرة. فهذه طرق أصحابنا في الجواب عما ذكرتم.

قال السني : لم تتخلصوا بذلك من الإلزام، ولم (تثبتوا)[2] به بطلان حجتهم المذكورة، فلا منعتم مقدماتها، وبينتم فسادها، ولا عارضتموها بما هو أقوى منها، كما أنهم لم يتخلصوا من إلزامكم، ولم (يثبتوا)[3] بطلان دليلكم، وكان غاية ما عندكم وعندهم المعارضة وبيان كل منكم تناقض الآخر، وهذا لا يفيد نصرة الحق وإبطال الباطل، بل يفيد خطأكم وخطأهم وعدولكم وإياهم عن منهج الصواب.

فنقول وبالله التوفيق: مع كل / منكما صواب من وجه، وخطأ من وجه؛ ١٨٥أ فأما صواب الجبري، فمن جهة (إسناد)[4] الحوادث كلها إلى مشيئة الله وخلقه وقضائه وقدره. والقدري خالف الضرورة في ذلك، فإن كون العبد مريداً فاعلاً بعد أن لم يكن أمر حادث. فإما أن يكون له محدث، وإما أن لا يكون، فإن لم يكن له محدث لزم حدوث (حوادث)[5] بلا محدث، وإن كان له محدث، فإما أن يكون هو العبد، أو الله سبحانه، أو غيرهما. فإن كان هو العبد، فالقول في إحداثه لتلك الفاعلية كالقول في إحداث سببها، ويلزم التسلسل، وهو باطل هاهنا بالاتفاق، لأن العبد كائن بعد أن لم يكن، فيمتنع أن

(١) في ع، د ، س : الدواعي .
(٢) في م ، ع ، د ، س : تبينوا .
(٣) في م ، ع ، د ، س : يبينوا .
(٤) في د، س : إسناده .
(٥) في ع، د ، س : الحوادث .

تقوم به حوادث لا أول لها. وإن كان غير الله، فالقول فيه كالقول في العبد، فتعين أن يكون الله هو (الخالق لإرادة)[١] العبد وقدرته وإحداثه وفعله.

وهذه مقدمات يقينية لا يمكن القدح فيها. فمن قال: إن إرادة العبد وإحداثه حصل بغير سبب اقتضى حدوث ذلك، (وإن العبد)[٢] أحدث ذلك، وحاله عند إحداثه كما كان قبله، بل خص (أحد)[٣] القوتين بالإحداث من غير سبب اقتضى تخصيصه، وإنه صار مريداً فاعلاً محدثاً بعد أن لم يكن كذلك من غير من جعله كذلك، فقد قال ما لا يعقل، بل (يخالف)[٤] صريح (العقل)[٥]، وقال بحدوث حوادث بلا محدث. وقولكم: إن الإرادة لا تعلل كلام باطل لا حقيقة له؛ فإن الإرادة أمر حادث، فلابد له من محدث.

ونظير هذا المحال قولكم في فعل الرب تعالى إنه بواسطة إرادة يحدثها لا في محل من غير سبب اقتضى حدوثها يكون مريداً بها للمخلوقات. فارتكبتم ثلاث محالات:

- حدوث حادث بلا إرادة من الفاعل.
- وحدوث حادث بلا سبب حادث.
- وقيام الصفة بنفسها، لا في محل.

---

(١) في ع، د، س: الخالق المكون لإرادة.

(٢) في ت: فإن العبد، وفي ع، د، س: والعبد.

(٣) ساقطة من ع.

(٤) في د: خالف.

(٥) في د: الفعل.

وادعيتم مع ذلك أنكم أرباب (المعقول)[١] والنظر. فأي معقول أفسد من هذا، وأي نظر أعمى منه؟ .

وإن شئت قلت : كون العبد مريداً أمر ممكن، والممكن لا يترجح وجوده على عدمه إلا (بمرجح)[٢] تام. والمرجح التام إما من العبد، وإما من مخلوق آخر، وإما من الله سبحانه. والقسمان الأولان باطلان، فتعين الثالث كما تقدم. فهذه الحجة لا يمكن دفعها، ولا يمكن دفع العلم الضروري باستناد أفعالنا الاختيارية إلى أرادتنا وقدرتنا. وإنا إذا أردنا الحركة يمنة لم تقع يسرة، وبالعكس. فهذه الحجة لا يمكن دفعها، والجمع بين الحجتين هو الحق، فإن الله سبحانه خالق إرادة العبد وقدرته وجاعلهما سبباً لإحداثه الفعل، (والعبد)[٣] محدث لفعله بإرادته واختياره وقدرته حقيقة، (والله خالق ذلك له حقيقة)[٤] وخالق السبب خالق للمسبب، ولو لم يشأ سبحانه وجود فعله لما خلق له السبب الموجد له.

قال الفريقان للسني : كيف يكون الرب محدثاً لها والعبد (محدثاً لها)[٥] أيضاً؟

قال السني : إحداث الله سبحانه لها بمعنى أنه خلقها منفصلة عنه، قائمة بمحلها وهو العبد، فجعل العبد فاعلاً لها بما (أحدث)[٦] فيه من القدرة

---

(١) في ت، ع، د ، س : العقول .

(٢) في ع، د ، س : لمرجح .

(٣) في ع، د، س : فالعبد .

(٤) ما بين القوسين ساقط من ع، د ، س .

(٥) ما بين القوسين ساقط من ع، د ، س .

(٦) في ع: أحدثت .

والمشيئة، وإحداث العبد لها بمعنى أنها قامت به، وحدثت بإرادته وقدرته، وكل من الإحداثين (مستلزم)[1] للآخر، ولكن جهة الإضافة مختلفة، فما أحدثه الرب تعالى من ذلك، فهو مباين له، قائم بالمخلوق، مفعول له لا فعل. وما أحدثه العبد فهو فعل له، قائم به، يعود إليه حكمه، ويشتق له منه اسمه، وقد أضاف الله سبحانه كثيراً من الحوادث إليه، وأضافها إلى بعض مخلوقاته؛ كقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾[3]، وقال: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾[4]، وقال: ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ ﴾[5]، وقال: / ١٨٦أ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾[6]، وقال: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾[7]، وقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾[8]، وقال: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾[9] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾[10]وقال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا

(١) في م: يستلزم.

(٢) سورة الزمر آية ٤٢.

(٣) سورة السجدة آية ١١.

(٤) سورة الأنعام آية ٦١.

(٥) سورة الأنفال آية ١٢.

(٦) سورة إبراهيم آية ٢٧.

(٧) سورة النساء آية ١١٣.

(٨) سورة النحل آية ١٠٢.

(٩) سورة النحل آية ١١٣، وسورة الشعراء آية ١٥٨.

(١٠) جزء من الآيات التالية: آية ٧٣، ٨٣، سورة الحجر. آية ٤١، سورة المؤمنون.

بِذَنۢبِهِۦ﴾[١] ﴿فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ﴾[٢] وهذا كثير. فأضاف هذه الأفعال إلى نفسه، إذ هي واقعة بخلقه ومشيئته وقضائه، وأضافها إلى أسبابها، إذ هو الذي جعلها أسباباً لحصولها (فلا تنافي)[٣] بين الإضافتين، ولا تناقض بين السببين.

(وإذا)[٤] كان ذلك تبين أن إضافة الفعل الاختياري إلى الحيوان بطريق التسبب، وقيامه به ووقوعه بإرادته لا ينافي إضافته إلى الرب تعالى خلقاً ومشيئة وقدراً. ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ﴾[٥] وقال لنوح : ﴿ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾[٦] فالرب تعالى هو الذي حملهم فيها (بإرادته)[٧] وأمره ومشيئته ونوح حملهم بفعله ومباشرته.

فصل

وأما قول الجاحظ : إن العبد يحدث أفعاله الاختيارية من غير إرادة منه، بل بمجرد القدرة والداعي فإن أراد نفي إرادة العبد وجحد هذه الصفة عنه، فمكابرة لا تنكر من طوائف (المتكلمين)[٨] (فهم)[٩] أكثر الناس مكابرة

---

(١) سورة العنكبوت آية ٤٠.

(٢) سورة القمر آية ٤٢ .

(٣) ساقطة من د، س .

(٤) في م : فإذا .

(٥) سورة الحاقة آية ١١ .

(٦) سورة هود آية ٤٠ .

(٧) في م ، ع ، د ، س : بإذنه .

(٨) ساقطة من ع، د ، س .

(٩) في د ، س : هم .

وجحداً للمعلوم بالضرورة، فلا أرخص من ذلك عندهم، وإن اراد أن الإرادة أمر عدمي، (وهي)[١] كونه (غير)[٢] مغلوب لا ملجأ، فيقال : هذا العدم من لوازم الإرادة لا أنه نفسها. وكون الإرادة أمراً عدمياً مكابرة أخرى، وهي بمنزلة قول القائل : القدرة أمر عدمي؛ لأنها بمعنى عدم العجز. والكلام عدمي؛ لأنه عدم الخرس والسمع والبصر عدمي؛ لأنهما عدم الصمم والعمى.

وأما قوله : إن الفعل يقع بمجرد القدرة، وعلم الفاعل بما فيه من الملاءمة، فمكابرة ثالثة، فإن العبد يجد من نفسه قدرة على الفعل وعلماً بمصلحته، ولا يفعله لعدم إرادته له لما في فعله من فوات محبوب له / ، أو حصول مكروه إليه، فلا توجب القدرة والعلم وقوع الفعل ما لم (تقارنهما)[٣] الإرادة. ١٨٦ب

فصل

أما قوله الآخر : إن كون النفس مريدة أمر ذاتي لها فلا يعلل، إلى آخره، (كلام)[٤] في غاية البطلان. فهب أنا لا نطلب علة كونها مريدة، فكونها كذلك هو مخلوق فيها أم غير مخلوق، وهي التي جعلت نفسها كذلك، أم فاطرها وخالقها هو الذي جعلها كذلك، وإذا كان سبحانه هو الذي أنشأها بجميع صفاتها وطبيعتها وهيئاتها، فكونها مريدة هو وصف لها، وخالقها خالق لأوصافها، فهو خالق لصفة المريدية فيها. فإذاً كانت تلك الصفة سبباً

(١) في ع، د ، س : وهو .

(٢) ساقطة من د .

(٣) في م، ت : تفارقهما .

(٤) في د: فهو كلام .

للفعل، وخالق السبب خالق للمسبب، (فالمسبب)[١] واقع بقدرته ومشيئته وتكوينه. وهذا مما لا ينكره إلا مكابر معاند.

فصل

وأما قول الطائفة الأخرى: إن الله سبحانه خلق فيه إرادة صالحة للضدين، فاختار (هو)[٢] أحدهما على الآخر (فلا)[٣] ريب أن الأمر كذلك، ولكن وقوع أحد الضدين باختياره وإيثاره له (وداعيته)[٤] إليه (لا)[٥] يخرجه عن كونه مخلوقاً للرب تعالى مقدوراً له، مقدراً على العبد واقعاً بقضاء الرب (وقدرته)[٦]، وإنه لو شاء لصرف داعية العبد، وإرادته عنه إلى ضده، فهذه هي البقية التي بقيت على هذه الفرقة من إنكار القدر، فلو ضموها إلى قولهم لأصابوا كل الإصابة، ولكانوا أسعد بالحق من هذه (المسألة)[٧] من سائر الطوائف. وتحقيق ذلك أن الله سبحانه بعدله وحكمته أعطى العبد قدرة وإرادة يتمكن بها من جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، فأعانه بأسباب ظاهرة وباطنة. ومن جملة تلك الأسباب : القدرة والإرادة. وعرفه طريق الخير والشر ونهج له الطريق، وأعانه بإرسال رسله وإنزال كتبه، وقرن به ملائكته، وأزال عنه كل علة يحتج / بها عليه، ثم فطرهم سبحانه على إرادة ما ينفعهم ١٨٧أ

(١) في ع، د، س . والمسبب .
(٢) ساقطة من ع، د ، س .
(٣) في ع، د، س : لا .
(٤) في ع، د، س : ودعية .
(٥) في ت: فلا .
(٦) في م، ع، د، س : قدره .
(٧) في ع : المسألتين .

وكراهة ما يؤذيهم ويضرهم ، كما فطر على ذلك الحيوان البهيم. ثم كان كثير مما ينفعهم لا علم لهم به على التفصيل. والذي يعلمونه من المنافع أمر مشترك بينهم وبين الحيوانات. وثم أمور عظيمة هي أنفع شيء لهم، لا صلاح لهم ولا فلاح ولا سعادة إلا بمعرفتها وطلبها وفعلها، ولا سبيل لهم إلى ذلك إلا بوحي منه وتعريف خاص، فأرسل، (إليهم)[1] رسله، وأنزل عليهم كتبه، فعرفهم ما هو الأنفع لهم وما فيه سعادتهم وفلاحهم، فصادفتهم الرسل مشتغلين بأضدادها قد ألفوها وساكَنوها، وجرت عليها عوائدهم (حتى)[2] ألفتها الطباع، فأخبرتهم الرسل أنها أضر شيء عليهم، وأنها من أعظم أسباب ألمهم وفوات (لذتهم)[3] وسرورهم، فنهضت الإرادة طالبة للسعادة والفلاح، إذ الدعوة إلى ذلك محركة للقلوب والأسماع والأبصار إلى الاستجابة، فقام داعي الطبع والإلف والعادة في وجه ذلك الداعي معارضاً له، يعد النفس (ويمنِّيها)[4] (ويرغبها)[5](ويرهبها)[6]ويزين لها ما ألفته واعتادته لكونه ملائماً (لها)[7]. وهو نقد عاجل، وراحة مؤثرة، ولذة مطلوبة، ولهو ولعب وزينة وتفاخر وتكاثر، وداعي (الفلاح)[8] يدعو إلى أمر آجل في

(١) ساقطة من م .

(٢) في ع، د، س : حين .

(٣) في ع، د، س : أربهم .

(٤) في ع: ويحثها .

(٥) ساقطة من م .

(٦) ساقطة من ع، د، س .

(٧) في ع، د، س : له .

(٨) في م : الصلاح .

دار غير هذا الدار لا ينال إلا بمفارقة ملاذها وطيباتها ومسراتها، وتجرع مرارتها والتعرض لآفاتها (وإيثار الغير)[(١)] (بمحبوباتها)[(٢)] ومشتهياتها وتجرع مرارتها والتعرض لآفاتها (وإيثار الغير)[(٣)](بمحبوباتها)[(٤)] ومشتهياتها، (وجعل) يقول:

خذ ما تراه ودع (شيئاً)[(٥)] سمعت به[(٦)] .

فقامت الإرادة بين الداعين تصغي إلى هذا مرة، وإلى هذا مرة.

فهاهنا معركة الحرب ومحل المحنة، فقتيل وأسير، وفائز بالظفر والغنيمة. فإذا شاء الله عز وجل رحمة عبد جذب قوى إرادته وعزيمته إلى ما ينفعه ويحييه الحياة الطيبة، فأوحى إلى ملائكته أن ثبتوا عبدي واصرفوا / همته وإرادته إلى مرضاتي وطاعتي. كما قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[(٧)] وقال النبي ﷺ : **«إن للملك بقلب ابن آدم لمة**[(٨)]**، وللشيطان**

١٨٧ب

(١) في م : وانتشار الفتن .

(٢) في ت، ع، د، س : لمحبوبتها .

(٣) ساقطة من م، ع، د، س .

(٤) في ع، د، س : ما .

(٥) في ع، د، س : ما .

(٦) قوله : خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به: صدر بيت من قصيدة قالها المتنبي يمدح بها سيف الدولة سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة. وعجزه : في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل. انظر شرح ديوان المتنبئ لعبد الرحمن البرقوقي (٣/ ٢٠٥) نشر دار الكتاب العربي ، بيروت . ط (بدون).

(٧) سورة الأنفال آية ١٢ .

(٨) اللمة : هي الهمة والخطرة، تقع في القلب، أراد إلمام الملك أو الشيطان به، والقرب منه. النهاية لابن الأثير (٤/ ٢٧٣) .

لمة، فلمة الملك إيعاد بالخير وتصديق بالوعد(١)، ولمة الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب (بالوعد(٢))، ثم قرأ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ﴾(٣)(٤).

وإذا أراد خذلان عبد أمسك عنه تأييده وتثبيته، وخلى بينه وبين نفسه، ولم يكن بذلك (ظالماً)(٥) له؛ لأنه قد أعطاه قدرة وإرادة، وعرفه الخير والشر، وحذره طريق الهلاك وعرفه بها، وحضه على سلوك طريق النجاة وعرفه بها، ثم تركه وما اختار لنفسه وولاه ما تولى، فإذا وجد شراً، فلا يلومن إلا نفسه.

---

(١) هكذا في جميع النسخ الخطية، وفي مراجع التخريج (بالحق).

(٢) في ع، د، س ومراجع التخريج (بالحق).

(٣) سورة البقرة آية ٢٦٨ .

(٤) هذا الحديث من رواية أبي الأحوص عن عطاء عن مرة عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً. وأخرجه الترمذي (٥/ ٢٠٤) ك التفسير - تفسير سورة البقرة، وقال: هذا حديث حسن غريب، وهو حديث أبي الأحوص، لا نعلمه مرفوعاً إلا من حديث أبي الأحوص. والنسائي في سننه الكبرى - ك التفسير (١/ ٢٧٩) تفسير سورة البقرة، وأبو يعلى في مسنده (٨/ ٤١٧) . وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣/ ٢٧٨). والطبري في تفسيره (٣/ ٨٨). وأبو بكر بن مردويه، وابن أبي حاتم في تفسيريهما، نقله عنهما بسندهما ابن كثير في تفسيره (١/ ٣٢١). وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ١٢٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦٥) وزاد نسبته إلى ابن المنذر. وقد روي موقوفاً على ابن مسعود، رواه الطبري في تفسيره (٣/ ٨٨-٨٩) . وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٠٩) والإمام أحمد في كتاب الزهد ص (١٩٦) .

(٥) في ع، د: مضلاً . وفي س : ضالاً .

قال القدري : فتلك الإرادة المعينة المستلزمة للفعل المعين إن كانت بإحداث العبد فهو قولنا، وإن كانت بإحداث الرب فهو قول الجبري، وإن كانت بغير محدث لزم المحال.

قال السني : لا تفتقر كل إرادة من العبد إلى مشيئة خاصة من الله توجب حدوثها، بل يكفي في ذلك المشيئة العامة لجعله مريداً، فإن الإرادة (هي)[١] حركة النفس، والله سبحانه شاء أن تكون متحركة، وأما أن تكون كل حركة تستدعي مشيئة مفردة فلا، وهذا كما أنه سبحانه شاء أن يكون الحي متنفساً ولا يفتقر كل نفس من أنفاسه إلى مشيئة خاصة (وكذلك شاء أن يكون هذا الماء بجملته جارياً، ولا تفتقر كل قطرة منه إلى مشيئة خاصة)[٢] يجري بها الماء، وكذلك مشيئته (لحركة)[٣] الأفلاك وهبوب الرياح ونزول الغيث، وكذلك خطرات القلوب ووساوس (الصدور)[٤]، وكذلك مشيئته أن يكون العبد متكلماً لا يستلزم أن (يفرد)[٥] كل حرف بمشيئة غير / مشيئة الحرف ١٨٨أ الآخر، وإذا تبين ذلك، فهو سبحانه شاء أن يكون عبده شائياً مريداً. وتلك الإرادة والمشيئة صالحة للضدين. فإذا شاء أن يهدي (عبده)[٦] صرف داعيه ومشيئته وإرادته إلى (ما ينفعه في)[٧] معاشه ومعاده. وإذا شاء أن يضله تركه

---

(١) في ت : من .

(٢) ما بين القوسين ساقط من م .

(٣) في ت، ع، د، س : لحركات .

(٤) في ، د، س : النفس .

(٥) في ع، د، س : يكون .

(٦) في ع، د، س : عبداً .

(٧) ما بين القوسين ساقط من ع، د، س .

ونفسه وتخلى عنه. والنفس متحركة (بطبعها)[١] لابد لها من مراد محبوب هو مألوهها ومعبودها، فإن لم يكن الله وحده هو معبودها ومرادها، وإلا كان غيره لها معبوداً ومراداً ولابد، فإن حركتها ومحبتها من لوازم ذاتها، (وإن)[٢] لم تحب ربها وفاطرها وتعبده أحبت غيره وعبدته، وإن لم تتعلق إرادتها بما ينفعها في معادها تعلقت بما يضرها فيها ولابد، فلا تعطيل في طبيعتها وهكذا خلقت.

فإن قلت : فأين مشيئة الله لهداها وضلالها؟

قلت : إذا شاء إضلالها تركها ودواعيها وخلى بينها وبين ما تختاره، وإذا شاء هداها جذب دواعيها وإرادتها إليه وصرف عنها موانع القبول، فيمدها على القدر المشترك بينها (وبين سائر النفوس بإمداد وجودي، ويصرف عنها الموانع التي خلى بينها)[٣] وبين غيرها فيها، وهذا بمشيئته وقدرته، (وهذا بمشيئته وقدرته)[٤] ، فلم يخرج شيء من الموجودات عن مشيئته وقدرته وتكوينه البتة. لكن يكون ما يشاء بأسباب وحكم. ولو أن الجبرية أثبتت الأسباب والحكم لانحلت عنها عقد هذه المسألة، ولو أن القدرية سحبت ذيل المشيئة والقدر والخلق على جميع الكائنات، مع إثبات (الأسباب)[٥] والحكم والغايات المحمودة في أفعال الرب تعالى، لانحلت عنها عقدها. وبالله التوفيق.

* * *

---

(١) في د : لا بطبعها .

(٢) في ،ع، د، س : فإن .

(٣) ما بين القوسين ساقط من ت.

(٤) ما بين القوسين ساقط من د، س .

(٥) ساقطة من ع، د، س .

شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل

للإمام العلامة

شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية

٦٩١هـ - ٧٥١هـ

تحقيق ودراسة

الدكتور/ أحمد بن صالح بن علي الصمعاني

من أول الكتاب إلى نهاية الباب العشرين

والدكتور/ علي بن محمد بن عبد الله العجلان

من الباب الحادي والعشرين إلى آخر الكتاب

تقديم

معالي الشيخ/ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

المجلد الثالث

دار الصميعي
للنشر والتوزيع

شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل

للإمام العلامة

شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية

٦٩١هـ - ٧٥١هـ

من الباب الحادي والعشرين إلى آخر الكتاب - تحقيقاً ودراسة

تحقيق ودراسة

الدكتور/ علي بن محمد بن عبدالله العجلان

المجلد الثالث

دار الصميعي
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

دار الصميعي للنشر والتوزيع

هاتف ٤٢٦٢٩٤٥ - ٤٢٥١٤٥٩ فاكس ٤٢٤٥٣٤١
المركز الرئيس ، الرياض - شارع السويدي العام
ص.ب ٤٩٦٧ الرمز البريدي ١١٤١٢
المملكة العربية السعودية
فرع القصيم ، عنيزة ، أمام جامع الشيخ (بن عثيمين) يرحمه الله
هاتف ٣٦٢٤٤٢٨ تلفاكس ٣٦٢١٧٢٨

الباب الحادي والعشرون

في تنزيه القضاء الإلهي عن الشر ودخوله في المقضي

الباب الحادي والعشرون

في تنزيه القضاء الإلهي عن الشر (ودخوله في المقضي)[١]

قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[آل عمران/ ٢٦] .

(فصدر سبحانه الآية)[٢] بتفرده بالملك كله، وأنه هو سبحانه[٣] الذي يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء لا غيره، فالأول تفرده [بالملك][٤] والثاني تفرده بالتصرف فيه، وأنه سبحانه هو الذي يعز من يشاء بما يشاء من أنواع العز، ويذل من يشاء بسلب ذلك العز عنه. وأن الخير كله (بيديه)[٥]، ليس لأحد معه منه شيء .

ثم ختمها بقوله: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فتناولت الآية ملكه وحده، وتصرفه، وعموم قدرته، وتضمنت أن هذه الصفات كلها بيده، وأنها كلها خير، فسلبه الملك عمن يشاء، وإذلاله من يشاء خير، وإن كان شراً بالنسبة إلى المسلوب الذليل، فإن هذا التصرف دائر بين العدل والفضل والحكمة والمصلحة، لا يخرج عن ذلك، وهذا كله خير يحمد عليه الرب، ويثنى عليه به، كما يحمد ويثنى عليه بتنزيهه عن الشر، وأنه ليس إليه، كما ثبت في

---

(١) ما بينهما ساقط من ع ، ط .

(٢) في ع ، ط (فصدر الآية سبحانه) .

(٣) في ع، ط (هو الذي) .

(٤) في الأصل، م (بالمملكة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٥) في م ، (بيده) .

صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ كان يثني على ربه بذلك في دعاء الاستفتاح في قوله: «لبيك وسعديك، والخير في يديك والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت»(١)، فتبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه، بل كل ما نسب إليه فهو خير. والشر إنما صار شراً لانقطاع (نسبته)(٢) وإضافته إليه (وإلا)(٣) فلو أضيف إليه، لم يكن شراً كما سيأتي بيانه(٤) وهو سبحانه خالق الخير والشر. فالشر في بعض مخلوقاته لا في خلقه وفعله. وخلقه وفعله وقضاؤه وقدره خير كله .

ولهذا تنزه سبحانه عن الظلم، الذي حقيقته: وضع الشيء في غير موضعه(٥) كما تقدم(٦)، فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها، وذلك خير كله. والشر وضع الشيء في غير محله، فإذا وضع في محله لم يكن شراً .

فعلم أن الشر ليس إليه، وأسماؤه الحسنى تشهد بذلك، فإن منها القدوس، السلام، العزيز، الجبار، المتكبر(٧) .

---

(١) شطر من حديث رواه مسلم في صحيحه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في كتاب (صلاة المسافرين وقصرها) باب (الدعاء في صلاة الليل وقيامه) ح (٧٧١) .

(٢) في م: نشبيه .

(٣) زيادة من (ع) .

(٤) انظر: صفحات ص (١٨٢) وما بعدها .

(٥) انظر: تفسير الطبري ١٠/ ٥٢٣)، منهاج السنة النبوية لابن تيمية (١/ ١٣٩) ، الصحاح للجوهري، مادة ظلم (٥/ ١٩٧٧) .

(٦) انظر: مثلاً الباب السادس عشر من الكتاب .

(٧) وردت هذه الأسماء في الكتاب والسنة: قال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر/ ٢٣] . ومن السنة :

- القدوس: ورد في صحيح مسلم في كاب (الصلاة) باب (ما يقال في الركوع والسجود) ح(٤٨٧)(١/ ٣٥٣).

فالقدوس المنزه [عن كل شر ونقص وعيب، كما قال أهل التفسير: هو الطاهر من كل عيب، المنزَّه][(١)] عما لا يليق به[(٢)]. وهذا قول أهل اللغة.

= - السلام: ورد في صحيح البخاري في كتاب (الأذان) باب (التشهد الأخير) ح(١٤٨) ١/ ٢٠٢ .

- العزيز: ورد في صحيح مسلم في كتاب (الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار) باب ١٠ ح(٢٦٩٦) ٢٠٧٢ .

- الجبار: ورد في صحيح البخاري في كتاب (التوحيد) باب (قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ ح(٢٤) ٨/ ١٧٩ .

- المتكبر: ورد في مسند الإمام أحمد (٢/ ٧٢،٨٨) من حديث ابن عمر، وإسناده صحيح على شرط مسلم.

انظر الموسوعة الحديثية، مسند الإمام أحمد (٩/ ٣٠٤-٣٠٥) والحديث أخرجه مسلم في صحيحه (باختلاف يسير) في كتاب (صفات المنافقين) ح(٢٧٨٨) ٣/ ٢١٤٨ .

- وقد وردت هذه الأسماء في حديث التسعة والتسعين اسماً، وهو: (إن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل لجنة)... إلخ ثم ذكر الأسماء.

والحديث من دون ذكر الأسماء قد أخرجه البخاري في كتاب (التوحيد) باب (١٣) (٨/ ١٦٩) ، ومسلم في كتاب (الذكر والدعاء) باب (في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها) ح(٢٦٧٧) ٣/ ٢٠٦٢ .

والحديث مع ذكر الأسماء ضعيف؛ أخرجه الترمذي في كتاب (الدعوات) باب (٨٣) ح(٣٥٠٧) ، ٥/ ٥٣٠ وقال: (قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صال،ح ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند أهل الحديث) ، وابن ماجة في كتاب (الدعاء) باب (١٠) ح(٣٨٦١) ٢/ ١٢٦٩) كما ضعَّفه شيخ الإسلام ابن تيمية . انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٩٦-٩٧، ٢٢/ ٤٨٢) ، وابن القيم في (شفاء العليل) ص٢٥٦، والألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته ح(١٩٤٣) ٢/ ١٧٩ .

(١) زيادة من باقي النسخ .

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٥)، زاد المسير (٨/ ٢٥٥)، تفسير البغوي (٨/ ٨٧).

وأصل الكلمة من الطهارة والنزاهة[1]، ومنه بيت المقدس؛ لأنه مكان يتطهر فيه من الذنوب[2]، ومن أمَّه لا يريد إلا الصلاة فيه، رجع من خطيئته كيوم ولدته أمه[3]، ومنه سميت الجنة حظيرة القدس لطهارتها من آفات الدنيا[4]. ومنه سمي جبريل روح الله القدس[5] لأنه طاهر من كل

---

(١) انظر القاموس المحيط مادة (قدس) (٢/ ٢٣٩) ، الصحاح (قدس) (٣/ ٩٦٠) ، زاد المسير (١/ ٦١، ١١٢) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٧٧) ، زاد المسير (٨/ ٢٥٥) .

(٣) رواه أحمد بنحوه (٢/ ١٧٦) والنسائي في سننه في كتاب (المساجد)، باب (فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه) ح(٢/ ٣٤) ، وابن ماجة في كتاب (إقامة الصلاة والسنة فيها) باب (ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس) ح(١٤٠٨)(١/ ٤٥١) ، والحاكم في مستدركه في كتاب (الإيمان) (١/ ٣١) . وقال: هذا حديث صحيح قد تداوله الأئمة وقد احتجا بجميع رواته، ثم لم يخرجـاه ولا أعلم له علة . وذكره الهيثمي في (مجمع الزوائـد) (٤/ ٨) وقال: وفيه محمد بن أيوب بن سويد الرملي، وهم متهم بالوضع . وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٢٠٨٦) .

(٤) وردت تسمية الجنة بحظيرة القدس في حديث أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٥٧) في شارب الخمر بلفظ (لا يدعها عبد من عبيدي من مخافتي إلا أسقيتها إياه من حظيرة القدس) وانظر: الصحاح (٣/ ٩٦٠) ، زاد المسير (٨/ ٢٢٥) .

(٥) وردت تسمية جبريل عليه السلام (بروح القدس) في الكتاب والسنة؛ قال سبحانه: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة / ٨٧]، وقال: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل/ ١٠٢] وورد تسميته (روح القدس) في حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وفيه (اللهم أيده بروح القدس) رواه البخاري في كتاب(الأدب) باب(٩١) ٧/ ١٠٩) وفي حديث البراء، وفيه: (قال لحسان: اهجهم أو قال هاجهم وجبريل معك) رواه البخاري في كتاب (فضائل الصحابة) باب(فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه) برقم(٢/ ٢٤٨٥)، ومن حديث البراء برقم (٢/ ٢٤٨٦). وانظر: الصحاح (٣/ ٩٦٠) .

عيب[١]. ومنه قول الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة/ ٣٠].

فقيل: المعنى: ونقدس أنفسنا لك، فعُدِّيَ باللام. وهذا ليس بشيء. والصواب أن المعنى: نقدسك وننزهك عما لا يليق بك، هذا قول جمهور أهل التفسير[٢].

قال ابن جرير[٣]: ونقدس لك: ننسبك إلى ما هو من صفاتك من الطهارة من الأدناس، (ومما)[٤] أضاف إليك أهل الكفر بك[٥]. [قال][٦]: وقال بعضهم: نعظمك ونمجدك. قاله أبو صالح[٧][٨].

وقال مجاهد[٩]: نعظمك ونكبرك. انتهى[١٠].

---

(١) انظر: زاد المسير (١/ ١١٢)، الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٧٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١/ ٤٧٥)، الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٧٧).

(٣) سبقت ترجمته ص (٤٩٤).

(٤) في الأصل (ما) والصواب ما أثبته من ع، ط.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١/ ٤٧٥)، تفسير القرآن العظيم (١/ ١١٠).

(٦) زيادة من باقي النسخ.

(٧) هو: أبو صالح السمان، الحافظ القدوة، ذكوان بن عبد الله، مولى أم المؤمنين جويرية الغطفانية. كان من كبار العلماء بالمدينة ولد في خلافة عمر وسمع من سعد بن أبي وقاص، وعائشة، وأبي هريرة، وخلق كثير. حدَّث عنه ابنه سهيل بن أبي صالح، والأعمش، وزيد بن أسلم، وغيرهم كثير، وثقه جمع من أهل العلم. وهو من الثالثة. مات سنة إحدى ومائة. انظر: تقريب التهذيب (١/ ٢٣٨)، طبقات ابن سعد (٥/ ٣٠١)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٦).

(٨) انظر: تفسير الطبري (١/ ٤٧٥)، زاد المسير (١/ ٤٧٥).

(٩) سبقت ترجمته ص(١٩٠).

(١٠) انظر تفسير الطبري (١/ ٤٧٥)، زاد المسير (١).

وقال بعضهم: ننزهك عن السوء، فلا ننسبه إليك(١). واللام فيه على (حدها)(٢)(٣) في قوله ﴿ رَدِفَ لَكُم ﴾ [النمل/ ٧٣]، (لأن)(٤) المعنى تنزيه الله لا تنزيه نفوسهم لأجله.

قلت: ولهذا قرن هذا اللفظ بقولهم: ﴿ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ فإن التسبيح تنزيه الله سبحانه [عن](٥) كل سوء. قال ميمون بن مهران(٦): سبحان الله كلمة يعظم بها الرب ويحاشى بها من السوء(٧).

وقال ابن عباس(٨): هي تنزيه

---

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ٧٩)

(٢) في (م) (ضدها).

(٣) قيل: اللام صلة: انظر تفسير البغوي (١/ ٧٩) وقيل: زائدة، أي نقدسك. وقيل: لام العلة متعلقة بنقدس. قيل: أو بنسبح. قيل معدية للفعل مثلها في « سجدت لله » وقيل للبيان كاللام بعد سقياً لك. فتعلق بمحذوف دل عليه ما قبله، أي: تقديسنا لك. والأحسن أن تكون معدية للفعل، كهي في قوله ﴿سبح لله﴾ و﴿وسبح لله﴾. انظر البحر المحيط (١/ ١٩١-٢٩٢).

(٤) في (م) (لن).

(٥) في الأصل (على) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) أبو أيوب ميمون بن مهران الرقي، إمام أهل الجزيرة. ولد سنة (٤٠هـ)، روى عن عائشة وأبي هريرة وطائفة. وثقه علماء الجرح والتعديل، ولي خراج بيت المال في عهد عمر بن عبد العزيز. توفي سنة (١١٧هـ). انظر: طبقات ابن سعد (٧/ ٤٧٧)، حلية الأولياء (٤/ ٨٢-٩٧)، العبر (١/ ١١٢).

(٧) انظر: الضوء المنير على التفسير ص (١٩٤).

(٨) هو: حبر الأمة وترجمان القرآن. عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي الصحابي الجليل. لازم الرسول ﷺ وروى عنه الأحاديث الكثيرة، له في الصحيحين =

(الله)[١] من كل سوء [٢].

وأصل اللفظة من المباعدة، من قولهم: سبحت في الأرض، إذا تباعدت فيها[٣]، ومن: ﴿ (كُلٌّ)[٤] فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [الأنبياء/ ٣٣] فمن أثنى على الله ونزهه عن السوء فقد سبحه، ويقال: سبح الله وسبح له، وقدسه وقدس له.

وكذلك اسمه (السلام)[٥]، فإنه الذي سلم من العيوب والنقائص[٦]. ووصفه بالسلام أبلغ في ذلك من وصفه بالسالم. ومن موجبات وصفه بذلك سلامة خلقه من ظلمه لهم[٧]، فسلم سبحانه من إرادة الظلم والشر، ومن التسمية به، ومن فعله، ومن نسبته إليه. فهو السالم من صفات النقص وأفعال النقص (وأسماء النقص)[٨] المسلم لخلقه من لظلم، ولهذا وصف سبحانه ليلة القدر بأنها سلام[٩] والجنة بأنها دار السلام[١٠]، وتحية أهلها السلام[١١]،

= وغيرهما (١٦٦٠) حديثاً، وهو من أوعية العلم والفقه . توفي سنة (٦٨هـ). انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٣٣٠-٣٣٤) .

(١) في (ع) (الرب) .

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٦) .

(٣)انظر: تفسير الطبري (٢٨/ ٣٦) .

(٤) في الأصل (فكل) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٥) انظر هامش رقم (٧) ص (٩٧٦) .

(٦)انظر: تفسير البغوي (٨/ ٨٧) ، زاد المسير (٨/ ٢٢٥) .

(٧) انظر: تفسير الطبري (٢٨/ ٣٦)، الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٦) .

(٨) ساقطة من (م) .

(٩) يشير إلى قوله سبحانه ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ [القدر/ ٥].

(١٠) يشير إلى قوله سبحانه ﴿ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام ١٢٧] وإلى قوله ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [يونس/ ٢٥] .

(١١) يشير إلى قوله سبحانه ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ [يونس :١٠] ، وقوله: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ [إبراهيم/ ٢٣] .

وأثنى على أوليائه بالقول السلام[(١)]، كل ذلك السالم من العيوب. وكذلك الكبير[(٢)] من أسمائه والمتكبر[(٣)]. قال قتادة[(٤)] وغيره: هو الذي تكبر عن السوء[(٥)]. وقال أيضاً: الذي تكبر عن السيئات[(٦)]. وقال مقاتل[(٧)]: المتعظم عن كل سوء[(٨)]. وقال أبو إسحاق[(٩)]: الذي تكبر عن ظلم عباده[(١٠)].

---

(١) هذا كثير في القرآن من ذلك قوله سبحانه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات/ ٧٩]. ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الصافات/ ١٠٩]، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[الصافات/ ١٨١].

(٢) ورد في القرآن في أكثر من آية من ذلك قوله سبحانه:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [لقمان/ ٣٠]. وقد ورد اسم الكبير في حديث التسعة والتسعين اسماً، انظر ص (٩٧٦) هامش(٧).

(٣) ورد ذلك في الكتاب والسنة. انظر: ص (٩٧٦) هامش (٧).

(٤) سبقت ترجمته ص (٣٢٦).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٣٦).

(٦) انظر: زد المسير (٨/ ٢٢٧).

(٧) هو: مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني البلخي صاحب التفسير، نزيل مرو، يروي على ضعفه البين عن الضحاك بن مزاحم ومجاهد وابن بريدة وعطاء وغيرهم. وروى عنه سعد بن الصلت، وبقية، وعبد الرزاق، وغيرهم. قال ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة، وقال البخاري: مقاتل لا شيء البتة. مات سنة خمس ومائة. وكان يرمى بالتجسيم. انظر: طبقات ابن سعد (٧/ ٣٧٣)، التقريب (٢/ ٢٧٢)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٢١٠-٢٠٢).

(٨) انظر تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٣٦).

(٩) أبو إسحاق هو العلامة إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الإسفراييني الفقيه الأصولي الشافعي، أحد المجتهدين في عصره، سمع الحديث من أبي بكر الإسماعيلي ودعلج السجزي وغيرهما، وأخذ عنه البيهقي وأبوالطيب الطبري والحاكم النيسابوري، وأثنى عليه. من تصانيفه كتاب (الحلي في أصول الدين والرد على الملحدين) توفي بنيسابور سنة ثماني عشرة وأربع مائة، انظر: البداية والنهاية (١٢/ ٢٦)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٥٣-٣٥٦)، طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١١١).

(١٠) انظر: تفسير البغوي (٨/ ٨٨)، زاد المسير (٨/ ٢٢٧)، الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٧).

وكذلك اسمه « العزيز »(١) الذي له العزة التامة. ومن تمام عزته براءته عن كل سوء وشر وعيب، فإن ذلك ينافي العزة التامة(٢) .

وكذلك اسمه « العلي »(٣) الذي علا عن كل عيب وسوء ونقص(٤). ومن كمال علوه أن لا يكون فوقه شيء، بل يكون فوق كل شيء.

وكذلك اسمه « الحميد »(٥)، وهو الذي له الحمد كله، فكمال حمده يوجب أن لا ينسب إليه شر ولا سوء ولا نقص، لا في أسمائه، ولا في أفعاله، ولا في صفاته .

فأسماؤه الحسنى تمنع نسبة الشر والسوء والظلم إليه، مع أنه سبحانه الخالق لكل شيء، فهو الخالق للعباد وأفعالهم وحركاتهم وأقوالهم، والعبد إذا فعل القبيح المنهي عنه كان قد فعل الشر والسوء، والرب تعالى هو الذي جعله فاعلاً لذلك، وهذا الجعل منه عدل وحكمة وصواب، فجعله فاعلاً خير، والمفعول شر وقبيح. وهو سبحانه بهذا الجعل قد وضع الشيء موضعه(٦)

---

(١) انظر: (٩٧٦) هامش (٧) .

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٨٨)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٣١)، زاد المسير (١/ ١٤٧).

(٣) ورد اسم (العلي) في كتاب الله في مواضع كثيرة، قال سبحانه: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥] . وورد في السنة في حديث التسعة والتسعين اسماً – انظر ص (٩٧٦) هامش (٧) .

(٤) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٤٠٥)، تفسير البغوي (١/ ٣١٣)، زاد المسير (١/ ٣٠٤) .

(٥) ورد اسم (الحميد) في القرآن كثيراً، من ذلك قوله سبحانه :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة/ ٢٦٧] . كما ورد ذلك في السنة في حديث التسعة والتسعين اسماً . انظر: ص (٩٧٦) هامش (٧) .

(٦) في م ، (في موضعه) .

لما له في ذلك من الحكمة البالغة التي يحمد عليها، فهو خير وحكمة ومصلحة، وإن كان وقوعه من العبد عيباً ونقصاً وشراً .

وهذا أمر معقول في الشاهد، فإن الصانع الخبير إذا أخذ الخشبة العوجاء والحجر المكسور واللبنة الناقصة، فوضع ذلك في موضع يليق به ويناسبه، كان ذلك منه عدلاً وصواباً يمدح به، وإن [كان][1] في المحل عوج ونقص وعيب يذم به المحل .

ومن وضع الخبائث في موضعها ومحلها اللائق بها، كان ذلك حكمة وعللاً وصواباً، وإنما السفه والظلم أن يضعها في غير موضعها، فمن وضع العمامة على الرأس، والنعل في الرجل، والكحل في العين. والزبالة في الكناسة، فقد (وضع)[2] الشيء موضعه، ولم يظلم النعل والزبالة؛ إذ هذا محلها .

ومن أسمائه سبحانه: العدل[3] [الحكيم][4][5] الذي لا يضع الشيء إلا في موضعه[6]، فهو المحسن الجواد الحكيم [الحكم][7][8] العدل في كل ما خلقه

---

(١) زيادة من ع، ط .

(٢) ساقطة من (م) .

(٣) ورد اسم (العدل) في حديث التسعة والتسعين اسماً انظر ص (٩٧٦) هامش (٧) .

(٤) ورد في آيات كثيرة منها قوله سبحانه: ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة/ ٣٢] . وورد في حديث التسعة والتسعين اسماً ص(٩٧٦) هامش (٧) .

(٥) في الأصل (الحليم) والصواب ما أثبته .

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٨٧)، تفسير البغوي (١/ ٨٠)، زاد المسير (١/ ٦٣).

(٧) ساقطة من ع، ط .

(٨) قال سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [الرعد/ ٤١]. وورد تسميته في حديث أبي شريح « أنه كان يكنى أبا الحكم، فقال: له النبي ﷺ: إن الله هو الحكم، وإليه الحكم » الحديث ذكره الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد باب (احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك) .

وفي كل ما وضعه في محله وهيأه له، وهو سبحانه له الخلق والأمر .

فكما أنه في أمره لا يأمر إلا بأرجح الأمرين، يأمر بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وإذا تعارض أمران رجح أحسنهما وأصلحهما، وليس في الشريعة أمر يفعل إلا ووجوده للمأمور خير من عدمه، ولا نهي عن فعل إلا وعدمه خير من وجوده .

فإن قلت: فإذا كان وجوده خيراً من عدمه، فكيف لا يشاء وجوده؟ وإذا كان عدمه خيراً من وجوده فكيف (يشاء)[1] وجوده؟ فالمشيئة العامة تنقض عليك هذه القاعدة الكلية .

قلت: لا تنقضها؛ لأن وجوده، وإن كان خيراً من عدمه، فقد يستلزم وجوده فوات محبوب له هو أحب إليه من وقوع هذا المأمور من هذا المعنى، وعدم المنهي وإن كان خيراً من وجوده، فقد يكون وسيلة وسبباً إلى ما هو أحب إليه من عدمه، وسيأتي تمام تقرير ذلك في باب اجتماع القدر والشرع وافتراقهما إن شاء الله .

والرب سبحانه إذا أمر بشيء، فقد أحبه ورضيه وأراده إرادةً (دينية)[2] وهو لا يحب شيئاً إلا ووجوده خير من عدمه. وما نهى عنه فقد أبغضه وكرهه، وهو لا يبغض شيئاً إلا وعدمه خير من وجوده، هذا بالنظر إلى ذات هذا وهذا، وأما باعتبار إفضائه إلى ما يحب ويكره فله حكم آخر، ولهذا أمر سبحانه عباده أن يأخذوا بأحسن ما أنزل إليهم، فالأحسن هو المأمور به، وهو خير من المنهي عنه .

---

(١) في الأصل (لا يشاء) والصواب من م ، ع .

(٢) في ع، ط، (بينه) .

و(إذا)[(١)] كانت هذه سنته في أمره (ونهيه)[(٢)] وشرعه، فهكذا سنته في خلقه وقضائه وقدره. فما أراد أن يخلقه أو يفعله كان أن يخلقه ويفعله خيراً من أن لا يخلقه ولا يفعله، وبالعكس، وما كان عدمه خيراً من[(٣)] وجوده شر وهو لا يفعله، بل هو منزه عنه، والشر ليس إليه .

فإن قلت: فلم خلقه وهو شر ؟ قلت: خلقه له وفعله خير لا شر، فإن الخلق والفعل [قائم به سبحانه، والشر يستحيل قيامه به واتصافه به، وما كان في المخلوق من شر فلعدم إضافته ونسبته إليه، والفعل والخلق][(٤)] (مضاف)[(٥)] إليه، فكان خيراً. والذي شاءه كله خير، والذي لم يشأ وجوده بقي على العدم الأصلي وهو الشر، فإن الشر كله عدم، فإن سببه جهل، وهو عدم العلم، أو ظلم وهو عدم العدل، وما يترتب على ذلك من الآلام (فهي)[(٦)] من عدم استعداد المحل وقبوله لأسباب الخيرات واللذات .

فإن قلت: كثير من الناس يطلق القول بأن الخير كله من الوجود ولوازمه، والشرُّ كله من العدم ولوازمه، والوجود خير، والشر المحض لا يكون إلا عدماً .

قلت: هذا اللفظ فيه إجمال؛ فإن أريد به أن كل ما خلقه الله وأوجده، ففيه الخير ووجوده خير من عدمه، وما لم يخلقه ولم يشأه فهو (المعدوم)[(٧)] الباقي

---

(١) في م (وإن) .

(٢) زيادة من (م) .

(٣) زاد في (م) (من لا يخلقه ولا يفعله) .

(٤) زيادة من باقي النسخ .

(٥) في باقي النسخ (يضاف) .

(٦) في (ط) (فهو) .

(٧) في (م) (العدم) .

على عدم (هو)[١] ، لا خير فيه، إذ لو كان فيه خير لفعله. فإنه (سبحانه)[٢] بيده الخير، فهذا صحيح، فالشر العدمي هو عدم الخير .

وإن أريد أنَّ كل ما يلزم الوجود فهو خير، وكل ما يلزم العدم فهو شر، فليس بصحيح، فإن الوجود قد يلزمه شر مرجوح، والعدم قد يلزمه خير راجح. مثل الأول: النار والمطر والحر والبرد والثلج ووجود الحيوانات، فإن هذا موجود، ويلزمه شر جزئي مغمور بالنسبة إلى ما في وجود ذلك (من)[٣] الخير، وكذلك المأمور به قد يلزمه من الألم والمشقة ما هو شر جزئي مغمور بالنسبة إلى ما فيه من الخير .

فصل

وتحقيق الأمر أن الشر نوعان: شر محض حقيقي من كل وجه، وشر نسبي إضافي من وجه دون وجه؛ فالأول لا يدخل في الوجود؛ (إذا)[٤] لو دخل في (الوجود)[٥] لم يكن شراً محضاً. والثاني هو الذي يدخل في الوجود. فالأمور التي يقال : هي شرور؛ إما أن تكون أموراً عدمية، أو أموراً وجودية. فإن كانت عدمية، فإنها إما أن تكون عدماً لأمور ضرورية للشيء في وجوده، أو ضرورية له في دوام وجوده وبقائه، أو ضرورية له في كماله، وإما أن تكون غير ضرورية له في وجوده ولا بقائه ولا كماله، وإن كان وجودها خيراً من

---

(١) ساقطة من ع ، ط .

(٢) ساقطة من ع ، ط .

(٣) ساقطة من (م) .

(٤) ساقطة من (م) .

(٥) ساقطة من (م) .

عدمها، فهذه أربعة أقسام :

فالأول: كالإحساس والحركة (والتنفس)[١] للحيوان .

والثاني: كقوة الاغتذاء والنمو للحيوان (المغتذي)[٢] النامي .

والثالث: (كصحته)[٣] وسمعه وبصره وقوته .

والرابع: كالعلم بدقائق المعلومات التي العلم بها خير من الجهل، ليست ضرورية (له)[٤] .

وأما الأمور الوجودية، فوجود كل ما يضاد (الحياة)[٥] والبقاء والكمال، كالأمراض وأسبابها، والآلام وأسبابها، والموانع الوجودية التي تمنع حصول الخير ووصوله إلى المحل القابل له المستعد لحصوله، كالمواد الرديئة المانعة من وصول الغذاء إلى أعضاء البدن وانتفاعها (به)[٦] كالعقائد الباطلة والإرادات الفاسدة المانعة لحصول أضدادها للقلب .

إذا عرف هذا، فالشر بالذات هو عدم ما هو ضروري للشيء في وجوده أو بقائه أو كماله. ولهذا العدم لوازم (هي)[٧] شر أيضاً، فإن عدم العلم

---

(١) في الأصل ، ط (النفس) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) في الأصل (المتعدي) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) في الأصل (لصحته) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) ساقطة من (م) .

(٥) في (ع) (الحيوة) .

(٦) ساقطة من (م) .

(٧) في ع، ط (من) .

والعدل يلزمهما من الجهل والظلم ما هو شرور وجودية. وعدم الصحة والاعتدال يلزمهما من الألم (والضرر)[١] ما هو شر وجودي .

وأما عدم الأمور المستغنى عنها؛ كعدم الغنى المفرط، والعلوم التي لا يضر الجهل بها، فليس بشرٍ في الحقيقة، ولا وجودها سبباً [للشر][٢]. فإن العلم من حيث هو علم؛ والغنى من حيث هو غنى لم يوضع سبباً للشر، وإنما يترتب الشر من عدم صفة تقتضي الخير، كعدم العفة والصبر والعدل في حق (الغني)[٣] فيحصل الشر كله في غناه بعدم هذه الصفات.

وكذلك عدم الحكمة ووضع الشيء موضعه . وعدم إرادة (الخير)[٤] في حق صاحب العلم، يوجب ترتب الشر له على ذلك (في علمه)[٥] فظهر أن الشر لم يترتب إلا على عدم، وإلا فالموجود من حيث وجوده لا يكون شراً ولا سبباً للشر.

فالأمور الوجودية ليست شروراً بالذات، بل بالعرض من حيث إنها تتضمن عدم أمور ضرورية أو [نافعة][٦] فإنك لا تجد شيئاً من الأفعال التي هي شر إلا (وهي)[٧] كمال بالنسبة إلى (الفاعل)[٨] وجهة الشر فيه بالنسبة إلى أمور أخر . مثال بالنسبة إلى (الفاعل)[٩] وجهة الظلم يصدر عن قوة

(١) في الأصل (الضرر) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) زيادة من باقي النسخ .

(٣) في (م) (المعنى) .

(٤) في ع، ط، (الحكمة) .

(٥) ساقطة من ع، ط .

(٦) في الأصل ، م (مانعة) .

(٧) في الأصل ، م ،ع (وهو) والصواب ما أثبته من (ط) .

(٨) ساقطة من ع ، ط .

(٩) في الأصل (أثرلها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

تطلب الغلبة والقهر، وهي القوة الغضبية التي كمالها بالغلبة، ولهذا خلقت، وليس في ترتب أثرها عليها شر من حيث وجوده، بل الشر عدم ترتب (أثرها)[١] عليها البتة، فتكون ضعيفة عاجزة مقهورة، وإنما الشر الوجودي الحاصل شر إضافي بالنسبة إلى المظلوم؛ لفوات (ماله أو نفسه)[٢] أو تصرفه، وبالنسبة إلى الظالم لا من حيث الغلبة والاستيلاء، ولكن من حيث وضع الغلبة والقهر والاستيلاء في غير موضعه. فعدل به (عن)[٣] محله إلى غير محله. فلو (نفذ)[٤] قوة الغضب في قهر المؤذي الباغي من الحيوانات الناطقة والبهيمية، لكان ذلك خيراً، ولكن عدل به إلى غير محله، فوضع القهر موضع العدل والنَّصَفَة، ووضع الغلظة موضع الرحمة، فلم يكن الشر في وجود هذه لقوة ولا في ترتب أثرها (عليها)[٥] من حيث هما كذلك، بل في إجرائها في غير مجراها. ومثال ذلك: ماءٌ جارٍ في نهر إلى أرض يسقيها وينفعها، فكماله في جريانه حتى يصل إليها، فإذا عدل به عن مجراه وطريقه إلى أرض يضرها ويخرب دورها [كان][٦] الشر في العدول به عما أعد له وعدم وصوله إليه. فهكذا الإرادة والغضب أعين بهما العبد ليتوصل بهما إلى حصول ما ينفعه، وقهر ما يؤذيه ويهلكه، فإذا استعملا في ذلك فهو (كمالها)[٧] وهو خير. وإذا صرفا عن ذلك إلى استعمال هذه القوة في غير محلها، وهذه في غير محلها،

---

(١) في ع، ط (نفسه أو ماله)

(٢) في ط (من) .

(٣) في ط (من) .

(٤) في ع، ط ، (استعمل) .

(٥) في ع (عليه) .

(٦) زيادة من باقي النسخ .

(٧) في ع، ط، (كمالها) .

صار ذلك شراً إضافياً نسبياً .

وكذلك النار كمالها في إحراقها، فإذا أحرقت ما ينبغي إحراقه فهو خير، وإن صادفت ما لا ينبغي إحراقه فأفسدته، فهو شر إضافي بالنسبة إلى المحل المعين .

وكذلك القتل مثلاً : هو استعمال الآلة (القاطعة)[١] في تفريق اتصال البدن، فقوة الإنسان على استعمال الآلة خير، وكون الآلة قابلة للتأثير خير، وكون المحل قابلاً لذلك خير، وإنما الشر نسبي إضافي، وهو وضع هذا التأثير في غير موضعه، والعدول به عن المحل المؤذي[٢] إلى غيره، وهذا بالنسبة إلى الفاعل، وأما بالنسبة إلى المفعول، فهو شر إضافي أيضاً، وهو ما حصل له من التألم وفاته من الحياة، وقد يكون ذلك خيراً له من جهة أخرى وخيراً لغيره .

وكذلك الوطء فإن قوة الفاعل وقبول المحل كمال، ولكن الشر في العدول به عن المحل الذي يليق به إلى محل لا يحسن ولا يليق، وهكذا حركة اللسان، وحركات الجوارح كلها جارية هذا[٣] المجرى .

فظهر أن دخول الشر في الأمور الوجودية إنما هو بالنسبة والإضافة، لا أنها من حيث ذاته ووجوده. فإذا أضيف إلى غير الله ، كان شراً بهذه النسبة والإضافة، وكذلك كل ما وجده كفر وشرك إنما كان شراً بإضافته إلى ما جعله كذلك، كتعظيم الأصنام، فالتعظيم من (حيث)[٤] هو تعظيم (لا

---

(١) في باقي النسخ (القطاعة) .

(٢) في ع (المؤذي به) .

(٣) في ع، ط (على هذا) .

(٤) ساقطة من (م) .

يمدح)[١] ولا يزم إلا باعتبار متعلقه، فإذا كان تعظيماً لله وكتابه ودينه ورسوله كان خيراً محضاً، وإن كان تعظيماً للصنم والشيطان[٢] فإضافته إلى هذا المحل جعلته شراً ، كما أن إضافة السجود إلى غير الله جعلته كذلك .

فصل

ومما ينبغي أن يعلم أن الأشياء المكونة من موادها شيئاً فشيئاً ـ كالنبات والحيوان ـ إما أن يعرض لها النقص الذي هو شر في ابتدائها أو بعد (تكوينها)[٣]:

فالأول: هو بأن يعرض لمادتها من الأسباب ما يجعلها رديئة المزاج، ناقصة الاستعداد، فيقع الشر فيها والنقص في (خلقتها)[٤] بذلك السبب، وليس ذلك بأن الفاعل حرمه وأذهب عنه أمراً وجودياً به كماله، بل لأن المنفعل لم يقبل الكمال والتمام، وعدم قبوله أمر عَدَمِيٌّ ليس بالفاعل (وإما)[٥] الذي بالفاعل فهو الخير الوجودي الذي (يقبل)[٦] به كماله وتمامه فنقصه، والشر الذي حصل فيه هو من عدم إمداده بسبب الكمال، فبقي على العدم الأصلي.

وبهذا يفهم سر قوله تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك/ ٣] فإن ما خلقه فهو أمر وجودي به كمال المخلوق وتمامه.

---

(١) مكررة في (م) .

(٢) في باقي النسخ (للشيطان) .

(٣) في (م): (كونها) .

(٤) في باقي النسخ (خلقها) .

(٥) في (ط) (أما) .

(٦) في ع ، ط (يتقبل) .

وأما عيبه ونقصه، فمن عدم قبوله، وعدم القبول ليس أمراً مخلوقاً يتعلق بفعل الفاعل، فالخلق الوجودي ليس فيه تفاوت، والتفاوت إنما حصل بسبب (فقد)[1] الخلق، فإن الخالق سبحانه لم يخلق له استعداداً، فحصل التفاوت فيه من عدم الخلق، لا من نفس الخلق، فتأمله. والذي إلى الرب سبحانه هو الخلق، وأما العدم فليس هو بفاعل[2] . فإذا لم تكمل[3] مادة الجنين في الرحم (بما)[4] يقتضي كماله وسلامة أعضائه واعتدالها حصل فيه التفاوت، وكذلك النبات .

فصل

وأما الثاني ـ وهو الشر الحاصل بعد (تكوينه)[5] وإيجاده ـ: فهو نوعان أيضاً:

أحدهما: أن يقطع عنه الإمداد الذي به كماله بعد وجوده، كما يقطع عن النبات إمداده بالسقي، وعن الحيوان إمداده بالغذاء، (فهذا)[6] شر مضاف إلى العدم أيضاً، وهو عدم ما يكمل به.

الثاني: حصول مضاد مناف، وهو نوعان:

أحدهما: قيام مانع في المحل يمنع تأثير الأسباب الصالحة فيه، كما تقوم

(١) في م ، ط (هذا) .
(٢) في (ط) (بفاعل له) .
(٣) في (ط) (يكمل في) .
(٤) في ع ، ط، (ما) .
(٥) في م (كونه) .
(٦) في ع، ط (فهو) .

بالبدن أخلاط رديئة تمنع تأثير الغذاء فيه وانتفاعه(١) به، وكما يقوم بالقلب إرادات واعتقادات فاسدة تمنع انتفاعه بالهدى والعلم.

فهذا الشر، وإن كان وجودياً وأسبابه وجودية، فهو أيضاً من عدم القوة أو الإرادة التي يدفع بها ذلك المانع. فلو وجدت (قوة)(٢) إرادة تدفعه لم يتأثر المحل به. (مثال ذلك)(٣): أن غلبة الأخلاط واستيلاءها من عدم القوة المنضجة لها (أو)(٤) القوة الدافعة لما يحتاج إلى خروج، وكذلك استيلاء الإرادات الفاسدة (هو)(٥) لضعف قوة العفة (والشجاعة)(٦) والصبر واستيلاء الاعتقادات الباطلة لعدم العلم المطابق لمعلومه. فكل شر ونقص فإنما حصل لعدم سبب ضده، وعدم سبب ضده ليس فاعلاً له، بل يكفي فيه بقاؤه على العدم الأصلي.

الثاني: مانع من خارج كالبرد الشديد (والحريق)(٧) والغرق، ونحو ذلك مما يصيب الحيوان والنبات، فيحدث فيه الفساد، فهذا لا ريب أنه شر وجودي، ولكنه شر نسبي إضافي. [وهو خير من وجه آخر، فإن وجود ذلك الحر والبرد والماء يترتب عليه مصالح](٨) وخيرات كلية، هذا الشر بالنسبة إليها جزئي .

---

(١) في (ع) (ولانتفاعه) .

(٢) ساقطة من (م) .

(٣) في ع، ط (مثاله) .

(٤) ساقطة من (م) .

(٥) ساقطة من ع، ط .

(٦) ساقطة من (ط) .

(٧) في ع، ط (الحرق) .

(٨) زيادة من باقي النسخ .

فتعطيل تلك الأسباب لتفويت هذا الشر الجزئي يتضمن شراً أكثر منه، وهو فوات تلك الخيرات الحاصلة بها، فإن ما يحصل بالشمس والريح والمطر والثلج والحر والبرد من مصالح الخلق أضعاف أضعاف ما يحصل بذلك من مفاسد جزئية، هي في جنب تلك المصالح كقطرة في بحر [لجي][(١)] هذا لو كان شرها حقيقياً، (فكيف)[(٢)] وهي خير من وجه وشر من وجه، وإن لم يعلم الخير كثير من الناس، فما قدَّرها الرب تعالى سدى، ولا خلقها باطلاً.

وعند هذا، فيقال: الوجود إما أن يكون خيراً من كل وجه، أو شراً من كل وجه، أو خيراً من وجه [وشراً من وجه][(٣)] .

وهذا على ثلاثة أقسام: قسم خيره راجح على شره، وعكسه، وقسم مستو خيره وشره ، وإما أن لا يكون فيه خير ولا شر.

فهذه ستة أقسام. لا مزيد عليها، فبعضها واقع ، وبعضها غير واقع . فأما القسم الأول: هو الخير (المحض)[(٤)] من كل وجه، الذي لا شر فيه بوجه ما، فهو أشرف الموجودات على الإطلاق وأكملها (وأجلها)[(٥)]، وكل (خير وكمال)[(٦)] فيها، فهو مستفاد من خيره وكماله في نفسه، وهي تستمد منه، وهو لا يستمد منها، وهي فقيرة إليه، وهو غني عنها، كل منها يسأله كماله.

---

(١) زيادة من (م) .

(٢) ساقطة من (م) .

(٣) زيادة من باقي النسخ .

(٤) ساقطة من (م) .

(٥) في م (وأجملها) .

(٦) في ع ، ط (كمال وخير)

فالملائكة تسأله ما لا حياة لها إلا به، (من)[١] (إعانته)[٢] على ذكره وشكره وحسن عبادته، وتنفيذ أوامره، والقيام بما جعل إليهم من مصالح العالم العلوي والسفلي، وتسأله أن يغفر لبني آدم .

والرسل تسأله أن يعينهم على أداء (رسالاته)[٣] وتبليغها، وأن ينصرهم على أعدائهم، وغير ذلك من مصالحهم في معاشهم ومعادهم. وبنو آدم كلهم يسألونه مصالحهم على تنوعها واختلافها. والحيوان كله يسأله رزقه وغذاءه وقوته وما يقيمه، ويسأله الدفع عنه. والشجر والنبات يسأله غذاءه وما يكمل به .

والكون كله يسأله إمداده بقاءه وحياته: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾[الرحمن/ ٢٩] .

فأكف جميع العالم ممتدة إليه بالطلب والسؤال، ويده مبسوطة لهم بالعطاء والنوال. يمينه ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء[٤] الليل والنهار[٥]، وعطاؤه

(١) ساقطة من (ط) .

(٢) في (ع) (إعانة) .

(٣) في (م) الرسالة .

(٤) في (ط) (أناء) .

(٥) يشير إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « يد الله ملأى لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار» ، وقال: « أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يده (قال) وعرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان يخفض، ويرفع». أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب (١٩) (٨/ ١٧٣) . ومسلم في كتاب الزكاة باب الزكاة باب (١١) ح(٩٩٣) ١/ ٦٩٠ .

وخيره مبذول للأبرار والفجار[١]، له كل كمال، ومنه كل خير، له الحمد كله، (وله الملك كله)[٢]، وله الثناء كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، تبارك اسمه، وتباركت أوصافه، وتباركت أفعاله، وتباركت ذاته، فالبركة كلها له ومنه، لا يتعاظمه خير سُئِلَه، ولا تنقص خزائنه على كثرة عطائه وبذله، فلو صور كل كمال في العالم صورة واحدة، ثم كان العالم كله على تلك الصورة، لكان (نسبة)[٣] ذلك إلى كماله[٤] وجلاله وجماله دون نسبة سراج [ضعيف][٥] إلى عين الشمس[٦].

فصل

وأما الأقسام الخمسة الباقية، فلا يدخل منها في الوجود إلا ما

---

(١) روى عقبة بن عامر عن النبي ﷺ أنه قال: « إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج » . ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام/ ٤٤]. اخرجه أحمد (٤/ ١٤٥) . وأخرجه الترمذي عن حذيفة بن اليمان أن رسول الله ﷺ قال في الحديث: « ويرث دنياكم شراركم » . قال أبو عيسى: (هذا حديث حسن، إنما نعرفه من حديث عمر بن أبي عمر). سنن الترمذي ، كتاب الفتن باب (٩) ح(٢١٧٠-٤/ ٤٦٨) .

(٢) ساقطة من ع، ط .

(٣) في م (منه) .

(٤) مكررة في الأصل ، م .

(٥) زيادة من ع، ط .

(٦) عن أبي هريرة ﷺ أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: « هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟» . قالوا: لا يا رسول الله قال: « فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ » قالوا: لا . قال: « فإنكم ترونه كذلك ...» الحديث أخرجه البخاري في كتاب (الأذان) باب (١٢٩) ١/ ١٩٥ .

(كانت)[١] المصلحة والحكمة والخير في إيجاده أكثر من المفسدة.

والأقسام الأربعة لا تدخل في الوجود. أما الشر المحض الذي لا خير فيه فذاك ليس له حقيقة، بل هو العدم المحض .

فإن قيل: فإبليس شر محض، والكفر والشرك كذلك، وقد (دخلوا)[٢] في الوجود، فأي خير في إبليس وفي وجود الكفر؟ قيل: في خلق إبليس من الحكم والمصالح والخيرات التي ترتبت على وجوده ما لا يعلمه إلا الله، كما سننبه على بعضه، فالله سبحانه لم يخلقه عبثاً ولا قصد بخلقه إضرار عباده وهلاكهم، فكم لله في خلقه من حكمة باهرة، وحجة قاهرة، وآية ظاهره، ونعمة سابغة ، وهو إن كان للأديان والإيمان كالسموم للأبدان ففي إيجاد السموم من المصالح والحكم ما هو خير من تفويتها .

وأما الذي لا خير فيه ولا شر، فلا يدخل أيضاً في الوجود فإنه عبث، فتعالى الله عنه. وإذا امتنع (دخول)[٣] هذا القسم في الوجود، فدخول ما الشر (في)[٤] إيجاده أغلب من الخير أولى بالامتناع .

ومن تأمل هذا الوجود، علم أن الخير فيه غالب، فإن الأمراض ـ وإن كثرت ـ فالصحة أكثر منها، واللذات أكثر من الآلام، والعافية أعظم من البلاء، والغرق (والحرق)[٥] والهدم ونحوها ـ وإن كثرت ـ فالسلامة أكثر . ولو لم يوجد هذا القسم الذي خيره غالب لأجل ما يعرض فيه من الشر لفات الخير الغالب، وفوات الخير الغالب شر غالب؛ ومثال ذلك النار، فإن

---

(١) في م (ما كان) .

(٢) في الأصل ، م (دخل) .

(٣) في ط (وجود) .

(٤) ساقطة من (م) .

(٥) في ع (والحق) .

في وجودها منافع كثيرة، وفيها مفاسد، ولكن إذا قابلنا بين مصالحها ومفاسدها لم تكن لمفاسدها نسبة إلى مصالحها، وكذلك المطر والرياح والحر والبرد .

وبالجملة فعناصر هذا العالم السفلي خيرها ممتزج بشرها، ولكن خيرها غالب، وأما العالم العلوي فبريء من ذلك.

فإن قيل: فهلا خلق الخلائق الحكيم هذه خالية من الشر، بحيث تكون خيرات محضة؟

فإن قلتم: اقتضت الحكمة خلق هذا العالم ممتزجاً فيه اللذة بالألم والخير بالشر، فقد كان يمكن خلقه على حالة لا يكون فيه شراً كالعالم العلوي ـ سلمنا أن وجود رأس الشر كله ومنبعه وقدوة أهله فيه إبليس؟ وأي خير في إبقائه إلى آخر الدهر؟ وأي خير يغلب في نشأة يكون (منها)[1] تسعة وتسعون (في)[2] النار (وواحدة)[3] في الجنة[4]؟ وأي خير غالب حصل بإخراج الأبوين من الجنة حتى جرى على الأولاد ما جرى، ولو داما في الجنة لارتفع الشر بالكلية؟ وإذا كان قد خلقهم لعبادته، فكيف اقتضت حكمته (أن)[5] صرف [أكثرهم][6]

---

(١) في ع ، ط (فيها) .

(٢) في ع ، ط (إلى).

(٣) في باقي النسخ (واحد) .

(٤) يشير إلى حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « يقول الله تعالى يا آدم . فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك ، فيقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار. قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، فعنده يشيب الصغير ، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد...» الحديث أخرجه البخاري في كتاب (الأنبياء) باب (٧) ٤/ ١٠٩ . ومسلم في كتاب (الإيمان) باب (٩٦) ح(٣٧٩)١/ ٢٠١ .

(٥) ساقطة من م .

(٦) زيادة من م ، ع .

(عنها)[1] ووفق لها الأقل من الناس؟ وأي خير يغلب في خلق الكفر والفسوق والعصيان والظلم والبغي؟ وأي خير في إيلام غير المكلفين كالأطفال والمجانين .

فإن قلتم: فائدته التعويض، انتقض عليكم إيلام البهائم، ثم وأي خير في خلق الدجال وتمكينه من الظهور والافتتان به؟ وإذ قد اقتضت الحكمة ذلك، فأي خير حصل في تمكينه من إظهار تلك الخوارق والعجائب؟ وأي خير في السحر وما يترتب عليه من المفاسد والمضار؟ وأي خير في إلباس الخلق شيعاً، وإذاقة بعضهم بأس بعض؟ وأي خير في خلق السموم وذوات[2] السموم والحيوانات العادية المؤذية بطبعها؟ وأي (خير في)[3] خراب هذه البنية بعد خلقها في أحسن تقويم، وردها إلى أرذل العمر بعد استقامتها وصلاحها؟ وكذلك خراب هذه الدار ومحو أثرها .

فإن كان وجود ذلك خيراً غالباً، فإبطاله إبطال للخير الغالب . دع هذا كله، فأي خير راجح أو مرجوح في النار، وهي دار الشر الأعظم والبلاء (الأكبر)؟.

ولا خلاص لكم عن هذه الأسئلة إلا بسد باب الحكمة[4] والتعليل، وإسناد الكون إلى محض المشيئة، أو القول بالإيجاب الذاتي، وأن الرب لا يفعل باختياره ومشيئته .

وهذه الأسئلة إنما ترد على من يقول بالفاعل المختار، فلهذا (ألجأ)[5]

---

(١) في ط (عنا) .

(٢) في ع، ط (وذات)

(٣) ساقطة من (م) .

(٤) في باقي النسخ (الحكم).

(٥) في ع، ط، (لجأ) .

القائلون (به)[١] إلى إنكار التعليل جملةً، فاختاروا أحد المذهبين، وتحيزوا إلى (إحدى)[٢] الفئتين، وإلا فكيف تجمعون بين القول بالحكمة والتعليل، وبين هذه الأمور؟

فالجواب بعد أن نقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر: بل في تحقيق هذه الكلمات الجواب (الشافي)[٣]: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ [فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ][٤]﴾ [آل عمران/ ١٩١] ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [الدخان/ ٣٨-٣٩]. ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص :٢٧] . ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المؤمنون ١١٥-١١٦] . ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق١٢]. ﴿[جَعَلَ][٥] اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة ٩٧] . ﴿ صُنْعَ[٦] اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ ﴾ [النمل/ ٨٨] .

---

(١) ساقطة من ع، ط .

(٢) في ع، (أحد).

(٣) ساقطة من م .

(٤) زيادة من ع، ط .

(٥) مكررة في الأصل .

(٦) في م (ذلك صنع) .

﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾[السجدة/ ٧]. (فما في خلقه سبحانه من تفاوت)[١]. [﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾][٢] [الملك/ ٣] . بل هو في غاية التناسب، واقع على [أكمل][٣] الوجوه وأقربها إلى حصول الغايات المحمودة والحكم المطلوبة. فلم تكن تحصل تلك الحكم والغايات التي انفرد الله سبحانه بعلمها على التفصيل ، وأطلع من شاء من عباده على أيسر اليسير منها إلا بهذه الأسباب (والبدايات)[٤] . وقد سأله الملائكة المقربون عن جنس هذه الأسئلة وأصلها، فقال: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة/ ٣٠] فأقروا له بكمال العلم والحكمة، وأنه في جميع أفعاله على صراط مستقيم. وقالوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة/ ٣٢] .

ولما ظهر (لهم)[٥] بعض حكمته فيما (سألوه عنه)[٦] (وأنهم)[٧] لم يكونوا يعلمون قال: ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة/ ٣٣] .

فصل

ونحن نذكر [إن شاء الله تعالى][٨] أصولاً مهمة (يتبيَّن)[٩] بها جواب هذه

---

(١) ما بينهما ساقط من ع، ط .

(٢) زيادة من ع، ط .

(٣) في الأصل (اجمل) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) في (م) (والهدايات) .

(٥) ساقطة من (ع) .

(٦) في (م) سألوه).

(٧) مكررة في الأصل .

(٨) زيادة (ع) .

(٩) في باقي النسخ (نبين) .

الأسئلة. وقد اعترف كثير من المتكلمين ممن له نظر في (الفلسفة)[١][٢] والكلام أنه لا يمكن الجواب عنها إلا بالتزام (القول)[٣] بالموجب بالذات[٤]، أو القول بإبطال الحكمة، والتعليل، وأنه سبحانه لا يفعل شيئاً لشيء، ولا يأمر بشيء لحكمة ولا جعل شيئاً من الأشياء سبباً لغيره، وما ثم إلا مشيئة محضة وقدرة ترجح مثلاً على مثل بلا سبب (ولا علة)[٥]، وأنه لا يقال في فعله: لم، ولا كيف، ولا لأي سبب وحكمة، ولا هو (معلل)[٦] بالمصال[٧] .

قال الرازي[٨] في مباحثه: « (فإن قيل)[٩]: فلم لم يخلق الخالق هذه الأشياء عرية عن كل الشرور؟

---

(١) في الأصل (الفلفسة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) كلمة يونانية مركبة من كلمتين (فليوس) أي محب (سوفيا) أي الحكمة، فمعناها: محب للحكمة. ومباحث الفلسفة تشمل الإلهيات، والطبيعيات، والمنطق، والفلك، والرياضيات. انظر: دائرة المعارف (٧/ ٤٠-٤٨١) .

(٣) ساقطة من م .

(٤) وهو قول أكثر الفلاسفة الذين نفوا الاختيار عن الله، وقالوا: إنه تعالى موجب بالذات. معنى (موجب بالذات) أي تصدر عنه الأفعال على سبيل الإيجاب، من دون قصد لا اختيار. وهؤلاء ينكرون أن يفعل لحكمة أو غرض؛ لأنهم ينكرون أن يكون مختاراً، والحكمة لا تكون إلا من فاعل بالاختيار .

(٥) في (م) (لا علمه) .

(٦) في الأصل (تعليل) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٧) يقول بهذا القول كثير ممن يثبت القدر، وينتسب إلى السنة من أهل الكلام والفقه وغيرهم. وقد قال بهذا طائفة من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم، وهو قول الأشعري وأصحابه وقول كثير من نفاة « القياس » كابن حزم وأمثاله .

(٨) سبقت ترجمته ص(٨٣٥) .

(٩) ساقطة من م .

فنقول: لأنه لو جعلها كذلك، لكان هذا هو القسم الأول، وذلك مما (فرغ)[١] عنه [٢]. يعني: كان [ذلك][٣] هو القسم الذي يكون خيره غالباً على شره. وقد بينا أن (الأولى)[٤] بهذا القسم أن يكون موجوداً. قال: وهذا الجواب لا يعجبني، لأن لقائل أن يقول: إن جميع هذه الخيرات والشرور إنما توجد باختيار الله تعالى وإرادته، فالاحتراق الحاصل عقيب النار ليس موجباً عن النار، بل الله تعالى اختار خلقه عقيب مماسة النار. وإذا كان حصول الاحتراق عقيب مماسة النار باختيار الله وإرادته، فكان يمكنه أن يختار الاحتراق عندما يكون خيراً، ولا يختار خلقه عندما يكون شراً . ولا خلاص من هذه المطالبة إلا ببيان كونه سبحانه فاعلاً بالذات، لا بالقصد والاختيار. ويرجع حاصل الكلام في هذه المسألة إلى مسألة (القدم)[٥] والحدوث)[٦] .

فانظر كيف اعترف بأنه لا خلاص عن هذه الأسئلة إلا بتكذيب جميع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وإبطال جميع الكتب المنزلة من عند الله، ومخالفة صريح العقل في (أن)[٧] خالق العالم سبحانه مريد مختار، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن (لعدم)[٨] مشيئته، وأنه ليس في الكون شيء حاصل بدون

(١) في ع، ط، (خرج) .

(٢) المباحث المشرقية (٢/ ٥٥٠) .

(٣) زيادة من باقي النسخ .

(٤) في م: (الأول) .

(٥) في ع: (القدوم) .

(٦) المباحث المشرقية (٢/ ٥٥٠-٥٥١) .

(٧) ساقطة من (م) .

(٨) في م: (لعدم الفعل).

مشيئته البتة. فأقرَّ على نفسه أنه لا خلاص له (عن)[١] تلك الأسئلة إلا بالتزام طريقة أعداء الرسل والملل، القائلين بأن الله لم يخلق السماوات والأرض في ستة أيام، ولا أوجد العالم بعد عدمه، ولا يفنيه بعد إيجاده، وصدور ما صدر عنه بغير اختياره ومشيئته، فلم يكون مختاراً مريداً للعالم[٢] .

وليس عنده إلا هذا القول، أو قول الجبرية[٣] منكري الأسباب والحكم والتعليل، أو قول المعتزلة[٤] الذين أثبتوا حكمة لا ترجع إلى الفاعل، وأوجبوا رعاية مصالح شبهوا فيها الخالق بالمخلوق، وجعلوا له بعقولهم شريعة أوجبوا عليه فيها، وحرموا وحجروا عليه[٥]، فالأقوال الثلاثة تتردد في صدره، وتتقاذف به أمواجها تقاذُفَ السفينة إذا لعبت بها الرياح الشديدة. والعاقل لا يرضى لنفسه بواحد من هذه الأقوال لمنافاتها للعقل والنقل والفطرة .

والقول الحق في هذه الأقوال كيوم الجمعة في الأيام، أضلَّ الله عنه أهل الكتابين قبل هذه الأمة، وهداهم إليه كما قال النبي ﷺ في الجمعة: « أضل الله عنها من كان قبلنا، فاليوم لنا، وغداً لليهود، وبعد غد للنصارى »[٦] .

ونحن هكذا نقول بحمد الله ومَـنِّه، القول الوسط والصواب لنا، وإنكار

---

(١) في (ت) (في) .

(٢) هذا قول الفلاسفة .

(٣) سبق تعريفهم .

(٤) سبق تعريفهم .

(٥) انظر: مقالات الإسلاميين ص (٢٤٦-٢٤٧) ، دار السعادة (٢/ ٤٥٦) .

(٦) شطر من حديث رواه البخاري بنحوه في (كتاب الجمعة) باب (١)(١/ ٢١١) ، ومسلم بنحوه في كتاب الجمعة باب (٦) ح(٨٥٥)(١/ ٥٨٥) من حديث أبي هريرة .

الفاعل بالمشيئة والاختيار لأعداء الرسل، وإنكار الحكمة والمصلحة والتعليل والأسباب للجهمية(١) والجبرية(٢)، وإنكار عموم القدرة والمشيئة (والحكمة)(٣) العائدة إلى الرب تعالى من محبته وكراهته، وموجب حمده، ومقتضى أسمائه وصفاته ومعانيها وآثارها للقدرية المجوسية(٤)، ونحن نبرأ إلى الله تعالى من هذه الأقوال وقائلها، إلا من حق يتضمنه مقالة كل فرقة منهم، فنحن به قائلون، وإليه منقادون، وله (مذعنون)(٥) .

فصل

الأصل الأول: إثبات علمه سبحانه، وإحاطته بكل معلوم، وأنه لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات (ولا في)(٦) الأرض، بل قد أحاط بكل شيء علماً؛ وأحصى كل شيء عدداً . والخلاف في هذا

---

(١) الجهمية: أتباع الجهم بن صفوان، وهو من الجبرية الخالصة، وهي فرقة معطلة، تنكر أسماء الله وصفاته. وتزعم أن الإنسان مجبور على أفعاله، وأن الجنة والنار تفنيان، وأن الإيمان هو المعرفة بالقلب، وغير ذلك من الضلالات . انظر: الملل والنحل ، بهامش الفصل -١ (١٠٩-١١٢) .

(٢) سبق تعريفها .

(٣) ساقطة من ع، ط .

(٤) القدرية المجوسية: هم الذين يجعلون لله شركاء في خلقه فيقولون: خالق الخير غير خالق الشر. ويقولون إن الذنوب الواقعة ليست واقعة بمشيئة الله تعالى، وربما قالوا: لا يعلمها أيضاً . ويقولون: إن جميع أفعال الحيوان واقع بغير قدرته ولا صفة فيجحدون مشيئته النافذة وقدرتــه الشاملــة . انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/ ٢٥٨) ، الصفدية (٢/ ١٠٦-١٠٩) .

(٥) في ع، ط: (ذاهبون) .

(٦) ساقطة من ع، ط .

الأصل مع فرقتين :

إحداهما أعداء الرسل كلهم: وهم الفلاسفة الذين ينفون علمه بالجزئيات .

وحاصل قولهم: إنه لا يعلم موجوداً البتة، فإن كل موجود جزئي معين، فإذا لم يعلم الجزئيات لم يكن عالماً بشيء من العالم العلوي والسفلي[١] .

والفرقة الثانية: غلاة القدرية[٢]: الذين اتفق السلف على كفرهم، وحكموا بقتلهم، الذين يقولون: (لا يعلم أعمال العباد حتى (يعملوها)[٣]، ولم يعلمها قبل ذلك ولا كتبها، ولا قدرها، فضلاً عن أن يكون (قد)[٤] (شاءها)[٥] وكونها .

---

(١) هم الفلاسفة ، انظر: درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٩٧) والصفدية (١/ ٧) .

(٢) غلاة القدرية فريقان:

فريق: أقروا بالأمر والنهي ، والثواب والعقاب، وأنكروا أن يتقدم بذلك قضاء وقدر وكتاب. وهؤلاء نبغوا في أواخر عصر الصحابة . فلما سمع الصحابة بدعهم تبرؤوا منهم كما تبرأ منهم، ورد عليهم عبدالله بن عمر، وعبدالله بن عباس، وجابر بن عبدالله، وواثلة بن الأسقع رضي الله عنهم، وغيرهم. وقد نص الأئمة ـ كمالك والشافعي وأحمد ـ على كفر هؤلاء الذين ينكرون علم الله القديم .

والفريق الثاني: من يقر بتقدم علم الله وكتابه لكن يزعم أن ذلك يغني عن الأمر والنهي والعمل، وأنه لا يحتاج إلى العمل، بل من قضي له بالسعادة دخل الجنة، بلا عمل أصلاً، ومن قضي عليه بالشقاوة شقي بلا عمل . فهؤلاء ليسوا طائفة معدودة من طوائف أهل المقالات وإنما يقوله كثير من جهال الناس، وهؤلاء أكفر من أولئك وأضل سبيلاً. ومضمون قول هؤلاء تعطيل الأمر والنهي، والحلال والحرام، والوعد والوعيد، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى بكثير . انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/ ٢٨٨) .

(٣) في الأصل (لا نعلم أعمال عباده حتى يعلموها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) ساقطة من ع ، ط .

(٥) في الأصل (نشاءها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

وقول هؤلاء معلوم البطلان بالضرورة من (أديان)[١] جميع المرسلين، وكتب الله المنزلة[٢]. وكلام الرسول ﷺ مملوء بتكذيبهم وإبطال قولهم، وإثبات عموم علمه الذي لا يشاركه فيه خلقه، ولا يحيطون بشيء منه إلا بما شاء أن يطلعهم عليه ويعلمهم به.

وما أخفاه عنهم ولم يطلعهم عليه لا نسبة لما عرفوه إليه إلا دون نسبة قطرة واحدة إلى البحار كلها. كما قال الخضر لموسى ـ عليهما السلام ـ وهما أعلم أهل الأرض [حينئذ][٣]: « ما نقص علمي وعلمك من علم الله [إلا][٤] (كما نقص)[٥] هذا العصفور من هذا[٦] البحر »[٧].

ويكفي أن ما يتكلم به (من علمه)[٨] لو قدر أن البحر يمده من بعده سبعة أبحر مداداً، وأشجار الأرض كلها من أول الدهر إلى آخره أقلام يكتب به ما يتكلم به مما يعلمه، لنفدت البحار وفنيت الأقلام، ولم تنفد كلماته[٩].

---

(١) في الأصل (أرباب) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) انظر فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/ ٢٥٨-٢٨٨).

(٣) في الأصل، م، ع (إذا) والصواب ما أثبته من (ط).

(٤) زيادة من باقي النسخ.

(٥) في الأصل (كما لا نقص) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) ساقطة من ع، ط.

(٧) جزء من حديث أخرجه البخاري في (كتاب الأنبياء) باب (٢٧) (٤/ ١٢٦-١٢٩) وكتاب (تفسير القرآن) تفسير سورة الكهف (١٨) باب (٢) ٥/ ٢٣٠-٢٣١). ومسلم في كتاب (الفضائل) باب (٤٦) ح(٢٣٨٠) ٢/ ١٨٤٧-١٨٥٣) (من حديث ابن عباس).

(٨) في م (علم الله).

(٩) يشير إلى قوله سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان/ ٢٧].

فنسبة علوم الخلائق إلى عمله سبحانه كنسبة قدرتهم إلى قدرته، وغناهم إلى غناه، وحكمتهم إلى حكمته. وإذا كان أعلم (خلقه)(١) على الإطلاق يقول: « لا أحصي ثناءً عليك، أنت كم أثنيت على نفسك »(٢) .

ويقول في دعاء الاستخارة: « فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب »(٣) .

ويقول سبحانه للملائكة: ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة/ ٣٠]، ويقول سبحانه لأعلم الأمم وهم أمة محمد ﷺ: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[البقرة/٢١٦] ، ويقول لأهل الكتاب: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [الإسراء/ ٨٥] وتقول رسله يوم القيامة حين يسألهم ماذا أجبتم: ﴿قَالُواْ(٤) لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة/ ١٠٩] .

---

(١) في ع، ط (الخلق به) .

(٢) ورد في حديث عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: « اللهم أعوذ برضاك من سخطك . وبمعافاتك من عقوبتك. وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » . أخرجه مسلم (سبق تخريجه ص١٣١).

وحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول في آخر وتره ... نحو حديث عائشة . أخرجه أبو داود في كتاب (الصلاة) باب (١١٣) ح(٣٥٦٦) ٥/ ٥٦١. وقال (هذا حديث حسن غريب من حديث علي لا نعرفه إلا من هذا الوجه). وابن ماجة في كتاب (إقامة الصلاة والسنة فيها) باب (١١٧) ح (١١٧٩)١/ ٣٧٣).

(٣) من حديث الاستخارة رواه البخاري في كتاب (الدعوات) باب (٤٨) ٧/ ١٦٢) وفي كتاب (التهجد) باب (٢٥)٢/ ٥١ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

(٤) ساقطة من (م) .

وهذا هو الأدب المطابق للحق في نفس الأمر، فإن علومهم وعلوم الخلائق تضمحل وتتلاشى في علمه سبحانه، كما يضمحل ضوء السراج الضعيف في عين الشمس، فمن أظلم الظلم وأبين الجهل وأقبح القبيح وأعظم القِحَةِ (والجرأة)[١] أن يعترض من لا نسبة لعلمه إلى علوم الناس، التي لا نسبة لها [إلى][٢] علوم الرسل، التي لا نسبة لها إلى علم رب العالمين عليه، ويقدح في حكمته، ويظن أن الصواب والأولى أن يكون غير ما جرى به قلمه وسبق به علمه، وأن يكون الأمر بخلاف ذلك. فسبحان الله رب العالمين، تنزيهاً لربوبيته وإلهيته وعظمته جلاله عما لا يليق به من كل ما نسبه إليه الجاهلون الظالمون .

فسبحان الله كلمة يحاشى الله بها عن كل ما يخالف كماله من سوء ونقص وعيب، فهو المنزه (التنزيه)[٣] التام من كلِّ وجه، وبكل اعتبار عن كل نقص متوهم[٤]. وإثبات عموم حمده وكماله وتمامه ينفي ذلك، واتصافه بصفات الإلهية التي لا تكون لغيره، وكونه أكبر من كل شيء في ذواته وأوصافه وأفعاله تنفي ذلك، فمن رسخت معرفته في معنى سبحان الله والحمد الله ولا إله إلا الله والله أكبر، وسافر قلبه في منازلها، وتلقى معانيها من مشكاة النبوة، لا من مشكاة (الفلسفة)[٥] والكلام الباطل وآراء المتكلمين .

فهذا أصل يجب التمسك به (في)[٦] هذا المقام. وأن (يعرف)[٧] أن عقول

---

(١) في (ط) (الجراءة) .

(٢) زيادة من باقي النسخ .

(٣) في الأصل (التنزيه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) انظر: تفسير الطبري (١/ ٤٧٤) .

(٥) سبق تعريفها ص (١٠٠٣) .

(٦) في م (من) .

(٧) في ع ، ط (يعلم) .

العالمين ومعارفهم وعلومهم وحكمهم تقصر عن الإحاطة بتفاصيل حكمة الرب تعالى في أصغر مخلوقاته .

الأصل الثاني: أنه سبحانه (حي)[١] حقيقة، وحياته أكمل الحياة وأتمها، وهي حياة تستلزم الفعل الاختياري، فإن كل حي فعال، وصدور الفعل عن الحي بحسب كمال حياته ونقصها، وكل من كانت حياته أكمل من غيره (كان)[٢] فعله أقوى وأكمل، وكذلك قدرته. (ولهذا)[٣] كان الرب تعالى على كل شيء قدير، وهو (فعال)[٤] لما يريد .

وقد ذكر (البخاري)[٥] في كتاب خلق الأفعال عن (نعيم بن حماد)[٦] أنه

---

(١) قال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

(٢) في الأصل (فإن) والأولى ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) في ع، ط (ولذلك) .

(٤) في ع ، (وهو الفعال).

(٥) هو: الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبوعبدالله الجعفي البخاري ، صاحب الجامع الصحيح والتاريخ وغيرهما من التصانيف، روى عن عبيدالله بن موسى، ومحمد بن عبد الله الأنصاري، ومكي بن إبراهيم، وخلق كثير غيرهم. روى عنه الترمذي، ومسلم ، والنسائي ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم، وغيرهم خلق كثير. ولد سنة (١٩٤هـ) وتوفي (٢٥٦هـ) خدم سنة المصطفى ﷺ فرحمه الله رحمة واسعة. انظر: تاريخ بغداد (٢/ ٤)، طبقات الحنابلة (١/ ٢٧١)، تهذيب التهذيب (٩/ ٤٧)، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٩١) .

(٦) نعيم بن حماد بن معاوية الخزاعي المروزي أبوعبدالله. أول من جمع (المسند) في الحديث، أحد الأئمة الأعلام. خرج له البخاري مقروناً بغيره، وروى عنه يحيى بن معين والدارمي، وأبو زرعة، وحمزة الكاتب وخلق. رد على الجهمية، مات سنة (٢٢٨هـ) انظر: تاريخ بغداد (١٣/ ٣٠٦)، ميزان الاعتدال (٤/ ٢٦٧)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٥٨) .

قال: « الحي: هو الفعال، وكل حي فعال»[١] فلا فرق بين الحي والميت إلا بالفعل والشعور .

وإذا كانت الحياة مستلزمة للفعل، وهو **الأصل الثالث**، فالفعل الذي لا يعقل الناس سواه هو الفعل الاختياري الإرادي الحاصل بقدرة (الفاعل)[٢] وإرادته ومشيئته . وما يصدر عن الذات من (غير قدرة)[٣] منها ولا إرادة لا يسميه أحد من العقلاء فعلاً، وإن كان أثراً من آثارها ومتولداً عنها، كتأثير النار في الإحراق، والماء في الإغراق، والشمس في الحرارة، فهذه آثار صادرة عن هذه الأجسام، وليست أفعالاً لها، وإن (كانت)[٤] بقوى وطبائع جعلها الله فيها .

فالفعل والعمل من الحي العالم لا يقع إلا بمشيئته وقدرته، وكون الرب تعالى حياً فاعلاً مختار مريداً مما اتفقت عليه الرسل والكتب، ودل عليه العقل والفطرة، وشهدت به (الموجودات)[٥] ناطقها وصامتها، جمادها وحيوانها، (علويها وسفليها)[٦]. فمن أنكر فعل الرب الواقع بمشيئته واختياره [وفعله][٧] فقد جحد ربه وفاطره، وأنكر أن يكون للعالم رب .

---

(١) انظر: خلق أفعال العباد للإمام البخاري ص (٧١) باختلاف يسير .

(٢) في الأصل (الفاعلين) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) في ع (عن سفير قدره) وفي (ط) (غير سفير قدره) .

(٤) في ع (كان) .

(٥) في الأصل (الموجدات) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٦) في الأصل ، م (علوها وسفلها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٧) زيادة من ع، ط .

الأصل الرابع: أنه سبحانه ربط الأسباب بمسبباتها شرعاً وقدراً وجعل الأسباب محل حكمته في أمره الديني الشرعي، (وأمره الكوني القدري)[1]، ومحل ملكه وتصرفه. فإنكار الأسباب والقوى والطبائع جحد للضروريات، وقدح في العقول والفطر، ومكابرة للحس، وجحد للشرع والجزاء، فقد جعل الله تعالى مصالح العباد في معاشهم ومعادهم، والثواب والعقاب، والحدود والكفارات، والأوامر والنواهي، والحل والحرمة، كل ذلك مرتبطاً بالأسباب قائماً بها، بل العبد نفسه وصفاته وأفعاله سبب لما يصدر عنه، بل الموجودات كلها أسباب ومسببات، والشرع كله أسباب ومسببات، والمقادير أسباب ومسببات، والقدر جار عليها، متصرف فيها؛ فالأسباب محل الشرع، والقدر والقرآن مملوء من إثبات الأسباب؛ كقوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان/ ١٥]. ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾[آل عمران/ ٣٩] . ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج/ ١٠] ﴿ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾[الشورى/ ٣٠] . ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا (هَنِيئًا)[2] بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة/ ٢٤] . ﴿جَزَاءً وِفَاقًا ﴾ [النبا/ ٢٦] . ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء ١٦٠/ ١٦١] . ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ إلى قوله: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ (عِيسَى)[3] ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [النساء

---

(١) في (م) (الديني الكوني القدري) .

(٢) ساقطة من ع، ط .

(٣) لم ترد في م ،ع .

١٥٥-١٥٧]. وقوله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران/ ١٥٩] . وقوله :﴿ذَٰلِكَ (بِأَنَّهُمْ)(١) كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [غافر/ ٢٢] ، وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾ [البقرة/ ٢٧٥] ، وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد/ ٣] ، وقوله :﴿ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴾ [الحاقة/ ١٠] ، وقوله: ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾ [المؤمنون/ ٤٨] ، ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾ [المزمل/ ١٦] ، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ [الشمس/ ١٤]، وقوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ [الزخرف/ ٥٥-٥٦] ، وقوله: ﴿(وَنَزَّلْنَا)(٢) مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴾ [ق/ ٩] ، وقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [الأعراف/ ٥٧]، وقوله: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ (سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ)(٣)﴾[المائدة/ ١٦]، وقوله: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ (وَيُخْزِهِمْ)(٤) [التوبة/ ١٤]، وقوله: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ [النبأ/ ١٤-١٦] .

(١) في الأصل ، م (بانه) .

(٢) في الأصل ، م، ع (وأنزلنا) .

(٣) لم ترد في (م) .

(٤) ساقطة من الأصل م .

وكل موضع رتب فيه الحكم الشرعي أو الجزائي على الوصف أفاد كونه سبباً له، كقوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة/ ٣٨] ، وقوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور/ ٢] ، وقوله :﴿ وَٱلَّذِينَ (يُمَسِّكُونَ)[١] بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف/ ١٧٠]، وقوله :﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴾ [النحل/ ٨٨] . وهذا أكثر من أن يستوعب .

وكل موضع تضمن الشرط والجزاء أفاد سببه الشرط والجزاء، وهو أكثر من أن يستوعب، كقولـه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال/ ٢٩] ، وقوله: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم/ ٧] .

وكل موضع رتب فيه الحكم على ما قبله بحرف (الفاء)[٢] أفاد التسبيب وقد تقدم، وكل (موضع رتب فيه الحكم على ما قبله)[٣] وذكرت فيه الباءُ تعليلاً لما قبلها بما بعدها أفاد التسبب، وكل موضع صرح فيه بأن كذا لكذا أفاد التسبيب، (وكل موضع ذكرت فيه حكمة الحكم وعلته الغائية فيها أفادت التسبب)[٤]، فإن العلة الغائية علة للعلة الفاعلية[٥] .

---

(١) في (م) (يمكسون) .

(٢) ساقطة من ع ، ط .

(٣) ما بينهما ساقط من باقي النسخ .

(٤) ما بينهما ساقط من ع ، ط .

(٥) انظر: أصول الفقه الإسلامي للدكتور وهبة الزحيلي ص (٦٦٧-٦٦٨) .

ولو تتبعنا ما يفيد إثبات الأسباب من القرآن والسنة، لزاد على عشرة آلاف موضع . ولم نقل ذلك مبالغة بل حقيقة، ويكفي شهادة الحس والعقل والفطر، ولهذا قال من قال من أهل العلم: تكلم قوم في إنكار الأسباب، فأضحكوا ذوي العقول على عقولهم[١]، وظنوا أنهم بذلك ينصرون التوحيد، فشابهوا المعطلة، الذين أنكروا صفات الرب، ونعوت كماله، وعلوه على خلقه واستواءه على عرشه، وتكلمه بكتبه، وتكليمه لملائكته وعباده، وظنوا أنهم بذلك ينصرون التوحيد، فما أفادهم إلا تكذيب الله ورسوله، وتنزيهه عن كل كمال، ووصفه بصفات (المعدوم)[٢] والمستحيل .

ونظير من نزه الله عن أفعاله، وأن يقوم به فعل البتة، وظن أنه ينصر بذلك حدوث العالم، وكونه مخلوقاً بعد أن لم يكن، وقد أنكر أصل الفعل والخلق جملة.

ثم من أعظم الجناية على الشرائع والنبوات والتوحيد إيهام الناس أن التوحيد لا يتم إلا بإنكار الأسباب، فإذا رأى العقلاء أنه لا يمكن إثبات توحيد الرب سبحانه إلا بإبطال الأسباب (ساءت)[٣] ظنونهم بالتوحيد وبمن جاء به .

وأنت لا تجد كتاباً من الكتب أعظم إثباتاً من القرآن، ويا لله ! العجب إذا كان الله خالق السبب والمسبب، وهو الذي جعل هذا سبباً لهذا، والأسباب والمسببات طوع مشيئته وقدرته، ومنقادة لحكمه، إن شاء الله أن يبطل سببية الشيء أبطلها، كما أبطل إحراق النار على خليله إبراهيم[٤]، وإغراق الماء

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية باختلاف يسير (٨/ ١٣٧) .

(٢) في م (العدم) .

(٣) في الأصل (ساتظنون) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) قال سبحانه: ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء/ ٦٩] .

على كليمه وقومه[١]، وإن شاء أقام لتلك الأسباب موانع تمنع تأثيرها مع بقاء قواها، وإن شاء خلى بينها وبين اقتضائه لآثارها، فهو سبحانه يفعل هذا وهذا وهذا.

فأي قدح يوجب (ذلك)[٢] في التوحيد؟ وأي شرك يترتب على ذلك بوجه من الوجوه؟ ولكن ضعفاء العقول إذا سمعوا أن النار لا تحرق، والماء لا يغرق، والخبز لا يشبع، والسيف لا يقطع، ولا تأثير لشيء من ذلك البتة، ولا هو سبب لهذا الأثر، وليس فيه قوة، وإنما الخالق المختار يشاء حصول كل أثر من هذه الآثار عند ملاقاة كذا لكذا، (قال)[٣]: هذا هو التوحيد وإفراد الرب بالخلق والتأثير. ولم يدر هذا القائل[٤] أن هذا إساءة ظن بالتوحيد، وتسليط لأعداء الرسل على ما جاؤوا به كما تراه عياناً في كتبهم، ينفرون به الناس عن الإيمان.

ولا ريب أن الصديق الجاهل قد يضر ما لا يضره العدو العاقل، (وقد)[٥] قال تعالى عن ذي القرنين: ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ [الكهف/ ٨٤] .

---

(١) قال سبحانه: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الشعراء ٦٣-٦٦]

(٢) في الأصل (دليل) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) في ع ، ط (قالت) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) من الذين يرون أن التوحيد لا يتم إلا بإنكار الأسباب .

(٥) ساقطة من ع، ط .

قال: علي بن أبي طلحة[(١)] عن ابن عباس: علماً[(٢)]، قال قتادة [(٣)] وابن زيد[(٤)] وابن جريج[(٥)] والضحاك[(٦)] ، علماً يتسبب به إلى ما يريد[(٧)]، وكذلك قال (أبو)[(٨)] (إسحاق)[(٩)(١٠)]: علماً يوصله إلى

(١) علي بن أبي طلحة، واسمه سالم بن المخارمة الهاشمي الوابلي، أصله من الجزيرة، وانتقل إلى حمص. روى عن ابن عباس ولم يسمع منه، بينهما مجاهد وغيره، وثقه بعض العلماء، وضعفه آخرون . توفي سنة ١٤٣هـ . انظر: ميزان الاعتدال (٣/ ١٣٤) ، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٣٩) ، التقريب (٢/ ٣٩) ، كشف النون (١/ ٤٦٠) .

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٦/ ٨- تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٦٤) .

(٣) سبقت ترجمته ص (٣٢٦) .

(٤) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي، مولاهم. ضعيف من الثامنة حدث عن أبيه وابن المنكدر وغيرهم، وروى عنه مالك بن مغول ويونس بن عبيد وزهير التميمي وغيرهم. كان صاحب قرآن وتفسير، جمع تفسيراً في مجلد وكتاباً في الناسخ والمنسوخ، توفي سنة (١٨٢هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٤٩)، ميزان الاعتدال (٢/ ٥٦٤)، التهذيب (٦/ ١٧٧) .

(٥) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي – مولاهم – الإمام العلامة الحافظ أصله رومي، ولد سنة (٨٠هـ) صاحب التصانيف حدث عن عطاء بن أبي رباح ونافع مولى ابن عمر وطاوس وصفية بنت شيبة ومجاهد وغيرهم، وحدث عنه ثور بن يزيد والأوزاعي والليث وابن وهب ووكيع وغيرهم . توفي سنة (١٥٠هـ) ، انظر سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٢٥-٣٣٦) ، ميزان الاعتدال (٢/ ٦٥٩) ، التهذيب (٦/ ٤٠٢-٤٠٦) .

(٦) سبقت ترجمته ص (١٩٩) .

(٧) ورد عن ابن عباس : انظر : الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٤٨) – زاد المسير (٥/ ١٨٥) .

(٨) ساقطة من ع، ط .

(٩) في جميع النسخ (اسحق) .

(١٠) هو الزجّاج ، سبقت ترجمته انظر ص (٣٣١) .

حيث يريد[(١)]. وقال المبرد[(٢)]: وكل ما وصل شيئاً بشيء فهو سبب[(٣)].

وقال كثير من المفسرين: آتيناه من كل ما بالخلق إليه حاجة علماً ومعونة له[(٤)].

وقد سمى [الله][(٥)] سبحانه الطريق سبباً في قوله ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ [الكهف/ ٨٥] قال مجاهد[(٦)]: طريقاً[(٧)].

وقيل: السبب الثاني: هو الأول أي أتبع سبباً من تلك الأسباب التي أوتيها[(٨)] مما يوصله إلى مقصوده. وسمّى سبحانه أبواب السماء أسباباً؛ إذ

---

(١) الأقوال عند الطبري وقتادة والضحاك (علماً) . وابن زيد (من كل شيء علماً) وابن جريج (علم كل شيء) . انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٨) ، الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٤٨) ، زاد المسير(٥/ ١٨٥) ، تفسير البغوي (٥/ ١٩٨) .

(٢) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، المعروف بالمبرد، شيخ أهل النحو، وحافظ علم العربية، روى عن أبي عثمان المازني، وأبي حاتم السجستاني وغيرهما من الأدباء، وكان عالماً فاضلاً موثوقاً به في الرواية، حدث عنه نفطويه النحوي، ومحمد ابن أبي الأزهر، وأبو بكر الصولي وغيرهم، له مصنفات منها (الكامل) و(المذكر والمؤنث) و(إعراب القرآن) وغيرها . ولد سنة (٢١٠هـ) وتوفي (٢٨٥هـ). انظر: تاريخ بغداد (٣/ ٣٨٠)، الأعلام (٧/ ١٤٤) .

(٣) قال في المعجم الوسيط ص (٤١١) السبب: الحبل، وكل شيء يتوصل به .

(٤) انظر: تفسير البغوي (٥/ ١٩٨) ، الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٤٨) ، تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٦٤) .

(٥) زيادة من ع ، ط .

(٦) سبقت ترجمته انظر ص (١٩٠) .

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٩) .

(٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٤٨) .

منها يدخل إلى السماء. قال تعالى عن فرعون: ﴿ لَعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [غافر/٣٦-٣٧] أي أبوابها التي أدخل منها إليها[١]، وقال زهير[٢]:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه (ولو رام)[٣] أسباب السماء بسلم[٤]

وسمى الحبل سبباً لإيصاله إلى المقصود[٥]، قال تعالى: ﴿ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الحج/ ١٥] .

قال بعض أهل اللغة[٦]: السبب من الحبال: القوي الطويل. قال: ولا يدعى الحبل سبباً حتى يصعد به وينزل .

ثم قيل لكل شيء وصلت به إلى موضع أو حاجة تريدها: سبب. يقال: ما بيني وبين فلان سبب، أي آصرة رحم، أو عاطفة مودة.

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢٤/ ٤٣) ، الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٣١٤) ، زاد المسير (٧/ ٢٢٣) .

(٢) هو: زهير بن أبي سلمى بن ربيعة بن رباح المزني من مضر ، من فحول شعراء الجاهلية ومن أصحاب المعلقات السبع، قال ابن الأعرابي: كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره. كان أبوه شاعراً وخاله شاعراً وأخته شاعرة وابناه شاعرين وأخته الخنساء شاعرة. ولد في بلاد مزينة قرب المدينة .انظر الشعر والشعراء ص(٥١-٥٨) والأغاني (١٠/ ٢٨٨-٣١٦) والأعلام (٣/ ٥٢) .

(٣) في الديوان (وأن يرقى) .

(٤) انظر: ديوان زهير بن أبي سلمة ص(٣٠). ذكره القرطبي في تفسيره، ونسبه إلى زهير (٢/ ٢٠٦) ، وانظر شرح القصائد التسع لأبي جعفر النحاس ص(٣٤٨) تحقيق أحمد خطاب.

(٥) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٢٩٢) ، الصحاح مادة (سبب) (١/ ١٤٥) .

(٦) هو: خالد بن جنبه انظر: تهذيب اللغة (١٢/ ٣١٤) - تحقيق أحمد البردوني .

وقد سمى تعالى وصل الناس بينهم أسباباً، وهي التي (يتسببون)[١] بها إلى قضاء (حوائج)[٢] بعضهم من بعض. قال تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ (بِهِمُ)[٣] ٱلْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة/ ١٦٦]، يعني[٤] الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا[٥] .

[قال ابن عباس وأصحابه: يعني أسباب المودة والواصلات التي كانت بينهم في الدنيا][٦][٧] .

وقال ابن زيد[٨]: [(هي الأعمال التي)[٩] كانوا يؤملون أن يصلوا بها إلى ثواب الله][١٠] .وقيل: هي الأرحام التي كانوا يتعاطفون بها[١١] .

وبالجملة فسمى الله سبحانه ذلك كله أسباباً؛ لأنها كانت يتوصل بها إلى مسبباتها. وهذا كله عند نفاة الأسباب مجاز لا حقيقة له. وبالله التوفيق .

* * *

---

(١) في الأصل (ينسبون) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) في ع، ط (حوائجهم) .

(٣) في (م) (به) .

(٤) في الأصل، م (كما يعني) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٥) ذكره الطبري في تفسيره (٣/ ٢٨٩-٢٩٠)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٠٦) .

(٦) زيادة من باقي النسخ .

(٧) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٢٩٠)-الدر المنثور (١/ ١٧١) .

(٨) سبقت ترجمته انظر ص (٣٨٩، ١٠١٨) .

(٩) مكررة في (م) .

(١٠) زيادة من باقي النسخ .

(١١) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٢٩١)، الدر المنثور (١/ ١٧١)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٠٧) .

الباب الثاني والعشرون

في إثبات حكمة الرب تعالى في خلقه وأمره وذكر الغايات المطلوبة له ..

الباب الثاني والعشرون[١]

(في إثبات حكمة الرب تعالى في خلقه وأمره وذكر الغايات المطلوبة له بذلك والعواقب الحميدة التي يفعل لأجلها ويأمر (لأجلها)[٢] .

فنقول: قد دلت أدلة العقول الصحيحة والفطر (السليمة)[٣] على ما دلّ (عليه)[٤] القرآن والسنة)[٥] أنه سبحانه حكيم، لا يفعل شيئاً عبثاً، ولا لغير معنى ومصلحة وحكمة (هي)[٦] الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل. وقد دل كلامه وكلام رسوله ـ صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ـ على هذا وهذا في مواضع لا تكاد تحصى، ولا سبيل إلى استيعاب أفرادها، فنذكر بعض أنواعها.

---

(١) بداية الباب الثاني والعشرين كما جاء في الاصل، م، وأما في ع، ط فليس فيهما إشارة إلى بداية الباب (الثاني والعشرين) بل أدخل فيهما الباب ضمن الباب الذي قبله (الحادي والعشرين) فصار كأنه فصل منه، وهذا ما أدى إلى الخطأ في ترتيب أبواب الكتابين ، أوهم بسقوط أحد الأبواب.

(٢) في م (وما هو لأجلها).

(٣) ساقطة من (م).

(٤) ساقطة من (م).

(٥) ما بينهما ساقط من (ع، ط) وفي (ع، ط) (فصل – الأصل الخامس) وفي (م) لم يشر إلى أنه بداية باب ولا فصل. ولكنه وضح أن هذا الباب يتصل بالباب الثاني والعشرين. والصواب أن هذا الباب هو الثاني والعشرون، وليس بفصل كما اتضح ذلك في النسخة الأصلية، والله أعلم. وبهذا يتضح أنه لم يسقط أحد الأبواب من الكتاب.

(٦) في الأصل (في).

النوع الأول: التصريح بلفظ الحكمة وما تصرف منه؛ كقوله: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ [القمر / ٥] . وقوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء / ١١٣] ، وقوله: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة/ ٢٦٩] .

والحكمة هي العلم النافع، والعمل الصالح. وسمي حكمة؛ لأن العلم والعمل قد تعلقا بمتعلقهما وأوصلا إلى غايتهما، ولذلك لا يكون الكلام حكمة حتى يكون (موصلاً)[١] إلى الغايات المحمودة والمطالب النافعة، فيكون مرشداً إلى العلم النافع والعمل الصالح، فتحصل الغاية المطلوبة.

فإذا كان المتكلم به لم يقصد مصلحة المخاطبين، ولا هداهم، ولا إيصالهم إلى سعادتهم ودلالتهم على أسبابها (وموانعها)[٢] ولا كان ذلك هو الغاية المقصودة المطلوبة، ولا تكلم لأجلها، ولا أرسل الرسل وأنزل الكتب لأجلها، (ولا نصب)[٣] الثواب والعقاب لأجلها، لم يكن (حكيماً)[٤] ولا كلامه حكمة، فضلاً عن أن تكون بالغة.

النوع الثاني: إخباره أنه فعل كذا لكذا، وأنه أمر بكذا لكذا، كقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة / ٩٧] وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق/ ١٢].

---

(١) في الأصل (متوصلاً) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.
(٢) في الأصل، م (وتوابعها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.
(٣) في الأصل (ولا يصب) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.
(٤) في الأصل، م (حكماً) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

وقوله: ﴿[۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْيَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ]﴾(١) [المائدة / ٩٧] . وقوله: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ (لِئَلَّا)(٢) يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء/ ١٦٥]. وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء/ ١٠٥] وقوله: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ (أَلَّا يَقْدِرُونَ)(٣) عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد / ٢٩]. وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ﴾ [البقرة / ١٤٣] . وقوله: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ [الجن/ ٢٧ -٢٨] . أي ليتمكنوا بهذا الحفظ والرصد من تبليغ رسالاته فيعلم الله ذلك واقعاً. وقوله: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ (وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ)(٤) وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال/ ١١] .

وقوله: ﴿ (لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ)(٥) وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ ﴾ [الأنفال/ ٨] . وقوله: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ﴾ [آل عمران/ ١٢٦] . وقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [النحل/ ١٠٢] . وقوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟

---

(١) زيادة من باقي النسخ.

(٢) في الأصل (ليلاً) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) في الأصل، ع، ط، (أن لا يقدرون) وفي (م) (يقدرون) والصواب ما أثبته.

(٤) ما بينهما ساقط من ع، م، ط.

(٥) ما بينهما ساقط من ع، ط.

لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾. [المدثر/ ٣١] . وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة/ ١٤٣] . وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل/ ٤٤]. وقوله: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم/ ٥٢] . وقوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا (رُسُلَنَا)[١] بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ﴾ [الحديد/ ٢٥] . وقوله: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام/ ٧٥] . وقوله: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً (وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[٢]﴾ [النحل/ ٨].

وهذا في القرآن (كثير جداً)[٣] فإن قيل: اللام في هذا كله لام العاقبة[٤] كقوله: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ [القصص/ ٨] ، وقوله: ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ﴾ [الأنعام/ ٥٣] ، وقوله: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الحج / ٥٣] ، وقوله: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال/ ٤٢] . وقوله ﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام/ ١١٣] .

---

(١) ساقطة من (ع).

(٢) ما بينهما ساقط من الأصل، م.

(٣) ما بينهما ساقط من ع، ط.

(٤) في ص ٥٨ وضع معنى لام العاقبة.

فإن ما بعد اللام في هذا (ليس)[1] هو الغاية المطلوبة، ولكن لما كان الفعل منتهياً إليه، وكان عاقبة الفعل دخلت عليه لام التعليل، وهي في الحقيقة لام العاقبة، فالجواب من وجهين:

أحدهما أن لام العاقبة إنما تكون في حق من (هو)[2] جاهل (بالعاقبة)[3] (أو)[4] عاجز عم دفعها.

فالأول: كقوله: ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ﴾ [القصص/٨] والثاني كقول الشاعر[5]:

لِدُوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير إلى (ذهاب)[6][7]

وأما من هو بكل شيء عليم، (وهو)[8] على كل شيء قدير، فيستحيل في حقه دخول هذه اللام، وإنما اللام الواردة في أفعاله وأحكامه لام الحكمة والغاية المطلوبة.

الجواب الثاني: إفراد كل موضع من تلك المواضع بالجواب، أما قوله تعالى: ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ﴾ [القصص/٨] فهو تعليل لقضاء الله سبحانه بالتقاطه وتقديره له، فإن التقاطهم له إنما كان

---

(١) ساقطة من (م).

(٢) ساقطة من (م).

(٣) ساقطة من ع، ط.

(٤) في ع، ط (أو هو).

(٥) هو أبو العتاهية، إسماعيل بن قاسم بن سويد بن كيسان.

(٦) في الديوان (تباب).

(٧) انظر ديوان أبي العتاهية ص٤٦.

(٨) ساقطة من باقي النسخ.

بقضائه وقدره، فهو سبحانه قدر ذلك وقضى به، ليكون لهم عدواً وحزناً، وذكر فعلهم دون قضائه؛ لأنه أبلغ في كونه حزناً لهم وحسرة عليهم، فإن من اختار أخذ ما يكون هلاكه على يديه إذا أصيب به، كان أعظم لحزنه وغمه وحسرته من أن لا يكون (له)[1] فيه صنع ولا اختيار، فإنه سبحانه أراد أن يظهر لفرعون وقومه ولغيرهم من خلقه كمال قدرته وعلمه وحكمته الباهرة، وأن هذا الذي يذبح فرعون الأبناء في طلبه هو الذي يتولى تربيته في حجره وبيته باختياره وإرادته، ويكون في قبضته وتحت تصرفه، فذكر فعلهم (به)[2] في هذا أبلغ وأعجب من أن يذكر القضاء والقدر، وقد أعلمنا الله سبحانه أن أفعال عباده كلها واقعة بقضائه وقدره.

وأما قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ [الأنعام/ ٥٣] ، فلا ريب أن هذا تعليل لفعله المذكور، وهو امتحان بعض خلقه ببعض، كما امتحن السادات والأشراف بالعبيد والضعفاء والموالي، فإذا نظر الشريف والسيد إلى العبد والضعيف والمسكين قد أسلم أنف وحمي أن يسلم معه أو بعده، ويقول: (أهذا)[3] يسبقني إلى الخير والفلاح، وأتخلف أنا، فلو كان ذلك خيراً وسعادةً ما سبقنا هؤلاء إليه[4]. فهذا القول منهم هو بعض الحكم والغاية المطلوبة بهذا الامتحان، فإن هذا القول

(١) ساقطة من ع، ط.

(٢) ساقطة من (م).

(٣) في ع، ط (هذا).

(٤) يشير إلى قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف/ ١١] .

دال على إباء واستكبار، وترك الانقياد لحق بعد المعرفة التامة به. وهذا وإن كان علة فهو مطلوب لغيره.

والعلل (الغائيَّة)[١] تارةً تطلب لنفسها، وتارةً تطلب لغيرها، فتكون وسيلةً إلى مطلوب لنفسه. وقول هؤلاء ما قالوه، وما يترتب (على)[٢] هذا القول موجب لآثار مطلوبة للفاعل من إظهار عدله وحكمته (وعزه)[٣] وقهره وسلطانه (وعطائه)[٤] من يستحق عطاءه ويحسن[٥] وضعه عنده، ومنعه من يستحق المنع ولا يليق به غيره، ولهذا قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام/ ٥٣] الذين يعرفون قدر النعمة ويشكرون المنعم عليهم (فيما من)[٦] عليهم، من بين من لا يعرفها ولا يشكر ربه عليها، فكانت فتنة بعضهم ببعض (سبباً)[٧] لحصول هذا التمييز الذي ترتب عليه شكر هؤلاء وكفر هؤلاء.

فصل

وأما قوله: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج/ ٥٣]، فهي على بابها، وهي لام الحكمة والتعليل[٨] أخبر

---

(١) في الأصل (الغاية) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في ع، ط (عليه).

(٣) ساقطة من (م).

(٤) ساقطة من (م).

(٥) في الأصل (وعن وضعه عنده) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) في الأصل، (بها فيمن) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٧) ساقطة من ع، ط.

(٨) انظر: البحر المحيط ٦/ ٣٥٣، رصف المباني في شرح حروف المعاني / للمالقي ص ٢٩٩-٣٠٠ تحقيق أحمد خراط.

الله سبحانه أنه جعل ما ألقاه الشيطان في أمنية الرسول محنة واختباراً لعباده، فافتتن به فريقان، وهم الذين في قلوبهم مرضاً والقاسية قلوبهم، وعلم المؤمنون أن القرآن والرسول حق، وأن إلقاء الشيطان باطل، فآمنوا بذلك، فأخبتت له قلوبهم. فهذه غاية مطلوبة مقصودة بهذا القضاء والقدر.

فالله سبحانه جعل القلوب على (ثلاثة)[1] أقسام: مريضة وقاسية ومخبته. وذلك لأنها إما أن تكون يابسة جامدة، لا تلين للحق اعترافاً وإذعاناً، أو لا تكون كذلك.

فالأول: حال القلوب القاسية (الحجرية)[2] التي لا تقبل ما يبث فيها، ولا ينطبع فيها الحق، ولا ترتسم فيها العلوم النافعة، ولا تلين لإعطاء الأعمال الصالحة.

وأما **النوع الثاني**: فلا يخلو إما أن يكون الحق ثابتاً فيه ولا يزول عنه، لقوته مع لينه، أو يكون (لينه)[3] مع ضعف وانحلال. والثاني هو القلب المريض. والأول هو الصحيح [المخبت، وهو الذي جمع الصلابة والصفاء واللين، فيبصر الحق بقضائه][4]، ويشتد فيه بصلابته، ويرحم الخلق بلينه. كما في أثر مروي: « القلوب آنية الله في أرضه، فأحبها (إليه)[5] أصلبها وأرقها وأصفاها »[6].

---

(١) في الأصل، م (ثلثه).

(٢) في الأصل (المحجوبة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) ساقطة من ع، وفي (ط) (ثابتاً).

(٤) ما بينهما زيادة من باقي النسخ.

(٥) في ع، ط (إلى الله).

(٦) روى أبو نعيم بنحوه في الحلية ٦/ ٩٧ وقال: (غريب من حديث ثور، لم نكتبه إلا من حديث محمد بن القاسم). وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوي ٩/ ٣١٥ =

كما قال تعالى في أصحاب هذه القلوب: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح/ ٢٩]، فهذا وصف منه للمؤمنين الذين عرفوا الإيمان بصفاء قلوبهم، (واشتدوا على الكفار)[١] بصلابتها، وتراحموا فيما بينهم بلينها.

وذلك أن (القلب)[٢] عضو من أعضاء البدن، وهو أشرف أعضائه وملكها المطاع. وكل عضو كاليد مثلاً، إما أن تكون جامدةً يابسةً لا تلتوي ولا تبطش، أو تبطش (بعنف)[٣]، فذلك مثل القلب القاسي، أو تكون مريضةً ضعيفة عاجزة، لضعفها ومرضها، فذلك مثل الذي فيه مرض، أو تكون باطشةً بقوة ولين، فذلك مثل القلب العليم الرحيم، فبالعلم خرج عن المرض [الذي][٤] ينشأ من الشهوة (والشبهة)[٥]، وبالرحمة خرج عن القسوة،

= بقوله: وبلغنا عن بعض السلف ثم ذكره. وبنحوه ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ح (١٦٩١) ٤/ ٢٦٣ بلفظ: (إن لله آنية من أهل الأرض، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين، وأحبها إليه ألينها وأرقها). وقال: أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (ق/ ٤٠/ ١ - المنتقى منه). ثم قال: قلت: (وهذا إسناد قوي، رجاله كلهم ثقات أثبات غير بقية. وهو صدوق كثير التدليس عن الضعفاء كما قال الحافظ. وهو هنا قد صرح بالتحديث كما ترى، فأمنا بذلك شر تدليسه، ولذلك قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء ٢/ ١٥٤: رواه الطبراني وإسناده جيد. وقال في مكان آخر ٣/ ١٣: (فيه بقية بن الوليد، ولكنه مدلس، ولكنه صرح بالتحديث). ولذلك قال الهيثمي فيما نقله المناوي وأقره: (إسناده جيد).

(١) في الأصل (وأسندوا أعضاء البدن على الكفار) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في ع (القلوب).

(٣) في ع، ط (يضعف).

(٤) زيادة من ع، ط.

(٥) في الأصل (الشبه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

ولهذا وصف سبحانه من عدا أصحاب القلوب المريضة والقاسية بالعلم والإيمان والإخبات.

فتأمل ظهور حكمته سبحانه في أصحاب هذه القلوب، وهم كل الأمة فأخبر أن الذين أوتوا العلم علموا أنه الحق من ربهم، كما أخبر أنهم (في المتشابه يقولون)[1]: ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران/ ٧] وكلا (الموضعين)[2] موضع شبهة. فكان حظهم منه الإيمان، وحظ أرباب (القلوب)[3] المنحرفة عن (الصحة)[4] الافتتان.

ولهذا جعل سبحانه إحكام آياته في مقابلة ما يلقي الشيطان بإزاء الآيات المحكمات في مقابلة المتشابهات. فالإحكام هاهنا بمنزلة إنزال المحكمات هناك، ونسخ ما يلقي الشيطان هاهنا في مقابلة رد المتشابه إلى المحكم هناك (والنسخ)[5] هاهنا رفع ما ألقاه الشيطان، لا رفع ما شرعه الرب سبحانه.

وللنسخ معنى آخر، وهو النسخ من أفهام المخاطبين (ما فهموه)[6] مما لم يرده، ولا دل عليه وإن أوهمه، كما أطلق الصحابة رضي الله عنهم النسخ على قوله: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ (وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ)[7]﴾ [البقرة/ ٢٨٤]، قالوا نسخها قوله: ﴿رَبَّنَا

---

(١) في (م) (يقولون في المتشابه).

(٢) في ع، ط (الوصفين).

(٣) في (م) (العلوم).

(٤) ساقطة من (م).

(٥) في الأصل (المنسخ) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) في (م) (ما نفوه).

(٧) ما بينهما ساقط من ع، ط.

لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة/ ٢٨٦] الآية.

فهذا نسخ من الفهم لا نسخ للحكم الثابت، فإن المحاسبة لا تستلزم العقاب في الآخرة، ولا في الدنيا أيضاً، ولهذا عمهم بالمحاسبة ثم (أخبر أنه بعدها)[١] يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، ففهم المؤاخذة التي هي (المعاقبة)[٢] من الآية تحميل (لها)[٣] فوق وسعها، فرفع هذا المعنى من فهم من (فهمه)[٤] بقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة/ ٢٨٦]. إلى آخرها. فهذا رفع لفهم غير المراد من إلقاء الملك. وذاك رفع لما ألقاه غير الملك في أسماعهم أو في التمني.

وللنسخ معنى ثالث عند الصحابة والتابعين، وهو ترك الظاهر؛ إما بتخصيص عام (وإما)[٥] بتقييد مطلق. وهذا كثير في كلامهم جداً.

وله معنى رابع وهو الذي يعرفه المتأخرون ، وعليه اصطلحوا، وهو رفع الحكم (بجملته)[٦] بعد ثبـوته بدليـل رافع له.

فهذه أربعة معان للنسخ[٧].

---

(١) في (ط)، (ع) (أخبر بعدها أنه).

(٢) في الأصل، (م) (العاقبة).

(٣) ساقطة من (م).

(٤) في باقي النسخ (فرفع هذا المعنى من فهمه بقوله).

(٥) في ع، ط (أو).

(٦) في الأصل (بجملة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٧) انظر في معنى النسخ مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣/ ٢٧٢، ١٤/ ١٠١، أعلام الموقعين لابن القيم ١/ ٣٥ ، الموافقات للشاطبي ٣/ ١٠٨ – ١١٧.

والإحكام له ثلاثة معان:

أحدها: الإحكام (الذي)(١) في مقابلة المتشابه، كقوله تعالى: ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران/ ٧] .

الثاني: الإحكام في مقابلة نسخ ما يلقي الشيطان؛ كقوله: ﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [الحج/ ٥٢]. وهذا الإحكام يعم جميع آياته، وهو إثباتها وتقريرها وبيانها. ومنه قوله: ﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ [هود/ ١] .

الثالث: إحكام في مقابلة الآيات المنسوخة، كما يقوله السلف كثيراً: هذه الآية محكمة غير منسوخة(٢). وذلك لأن الإحكام تارةً [يكون](٣) في التنزيل، فيكون في مقابلة ما يلقيه الشيطان في أمنية(٤) المبلغ أو في سمع المبلغ. فالحكم هنا هو المنزل من عند الله أحكمه الله، أي فصله من اشتباهه بغير المنزل، وفصل منه ما ليس منه بإبطاله.

وتارةً يكون في إبقاء المنزل واستمراره، فلا ينسخ (بعد)(٥) بعد ثبوته.

وتارة يكون في معنى المنزل وتأويله، وهو تمييز المعنى المقصود من غيره حتى لا يشتبه به.

والمقصود أن قوله تعالى: ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى

---

(١) في الأصل (التي) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) انظر رسالة الإكليل في المتشابه والتأويل ضمن مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ٣/ ٢٧٤

(٣) زيادة من باقي النسخ.

(٤) في ع، ط (أمنية ما يلقيه).

(٥) ساقطة من (م).

قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [الحج/ ٥٣] . هي لام التعليل على بابها[(١)] .

وهذا الاختبار والامتحان مظهر لمختلف القلوب الثلاثة، فالقاسية والمريضة ظهر (خبؤها)[(٢)] من الشك والكفر، والمخبتة ظهر خبؤها من الإيمان والهدى، وزيادة بغض الكفر والشرك والنفرة عنه، وهذا من أعظم (حكم)[(٣)] هذا الإلقاء.

فصل

وأما اللام في قوله: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾ [الأنفال/ ٤٢] . فلام التعليل على بابها؛ فإنها (مذكورة)[(٤)] في بيان حكمته في (جمع)[(٥)] أوليائه وأعدائه على غير ميعاد، ونصرة أوليائه مع قلتهم ورقتهم وضعف عددهم (وعدتهم)[(٦)] على أصحاب الشوكة والعدد والحد والحديد (الذي)[(٧)] لا يتوهم بشر أنهم ينصرون عليهم؛ فكانت (تلك)[(٨)] آية من أعظم آيات الرب سبحانه، صدق بها رسوله وكتابه ليهلك بعدها من اختار لنفسه الكفر والعناد عن بينة، فلا يكون له على الله حجةٌ، ويحيا من حيَّ بالإيمان بالله ورسوله عن بينة، فلا يبقى عنده شك ولا ريب، وهذا من

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية لابن تبمية ١/ ١٤٢.

(٢) ساقطة من (م).

(٣) في ع، ط (حكم).

(٤) في م (تذكرة).

(٥) في الأصل (جميع) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) في الأصل، م (وعددهم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٧) في م، (الذين).

(٨) ساقطة من (م).

أعظم الحكم. ونظير هذا قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝٦٩ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧٠﴾ [يس/ ٦٩-٧٠] .

فصل

وأما اللام في قوله تعالى: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ (الآية) [الأنعام/ ١١٣] ، فهي على بابها للتعليل. فإنها إن كانت تعليلاً لفعل العدو، وهو (إيحاء)[١] بعضهم إلى بعض (فظاهر)[٢].

وعلى هذا، فيكون عطفاً على قوله: ﴿غُرُورًا﴾ [الأنعام/ ١١٢]، فإنه مفعول لأجله، أي ليغروهم بهذا الوحي، ولتصغى إليه أفئدة من يلقي إليه فيرضاه ويعمل بموجبه[٣]، فيكون سبحانه قد أخبر بمقصودهم من الإيحاء المذكور، وهو أربعة أمور: غرور من (يوحون)[٤] إليه، وإصغاء أفئدتهم إليهم، ومحبتهم لذلك، وانفعالهم (عنده)[٥] (بالاقتراف)[٦].

وإن كان ذلك تعليلاً لجعله سبحانه لكل نبي عدواً، فيكون هذا الحكم من جملة الغايات والحكم المطلوبة (له)[٧] بهذا الجعل، وهي (غايات وحكم)[٨] مقصودة لغيرها؛ لأنها مفضية إلى أمور هي محبوبة مطلوبة للرب سبحانه،

---

(١) في الأصل (إعلاء) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.
(٢) مكررة في الأصل.
(٣) جاء بمعناه في تفسير الطبري ١٢/ ٧٥ – ٧٦.
(٤) في الأصل (يرجون) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.
(٥) في الأصل، م (عنه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.
(٦) في ع، (بالاقتران).
(٧) ساقطة من ع، ط.
(٨) في ع، ط (غاية وحكمة).

وفواتها يستلزم فوات ما هو أحب إليه من حصولها. وعلى التقديرين فاللام لام التعليل والحكمة.

فصل

النوع الثالث: الإتيان بكي الصريحة في التعليل؛ كقوله تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ (كَىْ لَا)[1] يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾ [الحشر/ ٧].

فعلل سبحانه (قسمة)[2] الفيء[3] بين هذه الأصناف (كي لا)[4] يتداوله الأغنياء دون الفقراء، والأقوياء دون الضعفاء.

وقوله سبحانه: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى (ٱللَّهِ)[5] (يَسِيرٌ)[6] ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا

---

(١) في الأصل، م (كيلا).

(٢) في ع، ط (تسمية).

(٣) قال ابن كثير رحمه الله: « يقول تعالى مبيناً ما الفيء؟ وما وصفته؟ وما حكمه؟ فالفيء كل مال أخذ من الكفار من غير قتال، ولا إيجاف خيل ولا ركاب؛ كأموال بني النضير هذه، فإنها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، أي: لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة، بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم من هيبة رسول ﷺ فأفاء الله على رسوله؛ ولهذا تصرف فيه كما يشاء، فرده على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآيات؛ قال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ ﴾ إلخ الآية ». انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٥٢٣

(٤) في الأصل، م، ع (كيلا).

(٥) لا توجد في (م).

(٦) لا توجد في (م).

تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ ﴾ [الحديد/ ٢٢-٢٣] .

فأخبر سبحانه أنه قدر ما يصيبهم من البلاء في أنفسهم قبل أن يبرأ الأنفس، أو المصيبة، أو الأرض، أو المجموع، وهو الأحسن[١].

(ثم)[٢] أخبر أن مصدر ذلك قدرته عليه، وأنه (هين)[٣] (عليه)[٤] وحكمته البالغة، التي منها أن لا يحزن عباده على ما فاتهم (ولا يفرحوا بما آتاهم فإنهم)[٥] إذا علموا أن المصيبة فيه مقدرة[٦] (كائنة)[٧] (و) لابد، وقد كتبت قبل خلقهم، هان عليهم الفائت، فلم يأسوا عليهم ولم يفرحوا بالحاصل لعلمهم أن المصيبة مقدرة في كل ما على الأرض، فكيف يفرح بشيء قد قدرت المصيبة فيه قبل خلقه.

ولما كانت المصيبة تتضمن فوات محبوب، أو خوف فواته، أو حصول مكروه، (أو خوف حصوله)[٨]، نبه (بالأسى)[٩] على الفائت على مفارقة المحبوب بعد حصوله وعلى (فواته)[١٠] حيث لم يحصل، ونبه بعدم الفرح به إذا وجد على توطين النفس لمفارقته قبل وقوعها، وعلى الصبر على مرارتها

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٢٥٧.
(٢) مكروه في (م).
(٣) في باقي النسخ (يسير).
(٤) في (م) (ميز عليه حكمته).
(٥) ما بينهما ساقط من ع، ط.
(٦) في (م) (ط) (بقدره).
(٧) في (ط) (وكتابته).
(٨) في الأصل، م، ع (أو خوفه).
(٩) في ع (بالآتي).
(١٠) في ع، ط (فوته).

بعد الوقوع. وهذه هي أنواع المصائب، فإذا تيقن العبد أنها مكتوبة مقدرة، وأن ما أصابه منها لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، هانت عليه، وخف حملها، وأنزلها منزلة الحر والبرد.

فصل

النوع الرابع: ذكر المفعول له، وهو علة للفعل المعلل به كقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا[١] عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [النحل/ ٨٩]. ونصيب ذلك على المفعول له أحسن من غيره[٢] كما صرح به قوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ[٣]﴾ [النحل/ ٤٤]، وفي قوله[٤]: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة/ ١٥٠]، فإتمام النعمة هو الرحمة[٥]. قوله: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا (مُنذِرُونَ)[٦] ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ﴾ [الشعراء/ ٢٠٨، ٢٠٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر/ ١٧] أي لأجل الذكر، كما قال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان/ ٥٨][٧] وقوله:

---

(١) في جميع النسخ (وأنزلنا) والصواب ما أثبته.

(٢) انظر الدر المصون في علوم الكتاب المكنون / للسمين الحلبي ٧/ ٢٧٩.

(٣) الآية لا توجد في (م).

(٤) ساقطة من (م).

(٥) قال البغوي رحمه الله: « ولكي اتم نعمتي عليكم بهدايتي إياكم إلى قبلة إبراهيم، فتتم لكم الملة الحنيفية وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه: «تمام النعمة الموت على الإسلام». وقال سعيد بن جبير: « لا يتم نعمة على المسلم إلا أن يدخله الله الجنة » انتهى. انظر تفسير البغوي ٢/ ١٦٦.

(٦) في الأصل (منذرون).

(٧) في (ع) (يذكرون).

﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۝ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ [المرسلات/ ٥-٦] أي للإعذار والإنذار(١).
وقوله: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام/ ١٥٤] فهذا كله مفعول لأجله(٢) وقوله: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ [عبس/ ٢٥] إلى قوله: ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [عبس/ ٣٢]. والمتاع واقع موقع التمتع، كما يقع السلام (موقع)(٣) التسليم، والعطاء (موقع)(٤) الإعطاء.

وأما قوله تعالى ﴿يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الروم/ ٢٤] فيحتمل أن يكون من ذلك، أي إخافة لكم وإطماعاً، وهو أحسن، ويحتمل أن يكون معمول فعل محذوف، أي فيرونهما خوفاً وطمعاً، (فيكونا)(٥) حالاً(٦).

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ(٧) يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ [ق/ ٦] إلى قوله تعالى: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [ق/ ٨] ، أي لأجل التبصرة (والذكرى)(٨)(٩). والفرق بينهما أن التبصرة توجب العلم والمعرفة والذكرى توجب الإنابة والانقياد، وبهما تتم الهداية.

---

(١) انظر البحر المحيط ٨/ ٣٩٦ – الدر المصون ١٠/ ٦٣٠ – ٦٣١.
(٢) انظر الدر المصون ٥/ ٣٢٦ – ٣٢٨.
(٣) في (م) (موضع).
(٤) في (م) و (ع) و (ط) (موضع).
(٥) في ع، ط (فيكونان).
(٦) انظر: البحر المحيط ٧/ ١٦٣.
(٧) في جميع النسخ (أولم) والصواب ما أثبته.
(٨) في (ع) الذكر.
(٩) انظر: زاد المسير ٨/ ٧ ، تفسير البغوي ٧/ ٣٥٧.

فصل

النوع الخامس: الإتيان بأن (والفعل)[١] المستقبل بعدها تعليلاً لما قبله، كقوله: ﴿ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا ﴾ [الأنعام/ ١٥٦]، وقوله: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ ﴾ [الزمر/ ٥٦]، وقوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة/ ٢٨٢] ونظائره، وفي ذلك طريقان:

أحدهما للكوفيين، والمعنى: لئلا تقولوا، ولئلا تقول نفس.

والثاني للبصريين: أن المفعول له محذوف، أي: كراهية أن تقولوا، (أو)[٢] حذار أن تقولوا [٣].

فإن قيل: فكيف يستقيم الطريقان في قوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ فإنك إن قدرت [لئلا تضل إحداهما لم يستقم (عطف: ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا﴾ عليه، وإن قدرت)[٤] حذار أن تضل إحداهما)[٥] لم يستقم العطف أيضاً، وإن قدرت إرادة أن تضل لم يصح أيضاً.

قيل: هذا من الكلام الذي ظهور معناه مزيل للإشكال؛ فإن المقصود أذكار إحداهما الأخرى إذا ضلت ونسيت فلما كان الضلال سبباً للإذكار جعل موضع العلة، كما تقول: أعددت هذه الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه بها، فإنما أعددتها للدعم لا للميل، وأعددت هذا الدواء أن أمرض

---

(١) مكروه في الأصل

(٢) في (ع) (أي).

(٣) انظر: البحر المحيط ٤/ ٦٩٥.

(٤) ما بينهما زيادة من باقي النسخ.

(٥) ما بينهما ساقط من (م).

(فأتداوى به)[١]. ونحوه هذا قول سيبويه[٢] والبصريين (وقال)[٣] أهل الكوفه: تقديري (كي تذكر)[٤] إحداهما الأخرى إن ضلت، فلما تقدم الجزاء اتصل بما قبله، ففتحت أن.

قال الفراء[٥]: ومثله (قولك إنه)[٦]: «ليعجبني أن يسأل السائل فيعطى»، معناه: ليعجبني أن يعطى السائل (إن اسأل). (لأنه)[٧] إنما يعجبه الإعطاء لا السؤال.

---

(١) في الأصل (فيما يداوي) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي ثم البصري، المعروف بسيبويه النحوي، مولى بني الحارث زميل مولى آل الربيع بن زياد. طلب الحديث والفقه مدة، ثم صحب الخليل بن أحمد، فبرع في النحو، وجرت بينه وبين الكسائي وأصحابه مناظرة، وقد ساد أهل عصره في النحو، وألف فيه كتابه الكبير، وسمي سيبويه؛ لأن وجنتيه كانتا كالتفاحتين، كان فيه فرط ذكاء، عاش اثنتين وثلاثين سنة. وقيل نحو الأربعين. قيل: مات سنة ثمانين ومائة، وقيل: سنة ثمان وثمانين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٥١-٣٥٢، تاريخ بغداد ١٢/ ١٩٥-١٩٦، البداية والنهاية ١٠/ ١٨٢.

(٣) في (ع) (وما قول).

(٤) في الأصل، م (في تذكر) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) الفرّاء هو العلاّمة يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور أبو زكريا الفراء النحوي، مولى بني أسد. كوفي نزل بغداد، روى عن قيس بن الربيع، ومندل بن علي، وعلي بن حمزة الكسائي وغيرهم. روى عنه سلمة بن عاصم، ومحمد بن الجهم السمري وغيرهما، وكان ثقة إماماً، أثنى عليه جمع من أهل العلم، وذكروا أنه كان إماماً في النحو. مات بطريق الحج سنة سبع ومائتين وله ثلاث وستون سنة. انظر: تاريخ بغداد ١٤/ ١٤٩-١٥٥. تهذيب ١١/ ٢١٢-٢١٣، سير أعلام النبلاء ١٠/ ١١٨-١٢١.

(٦) ع، ط (قوله).

(٧) في (ع) (لكنه).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ (ذُرِّيَّتَهُمْ)[1] وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن (تَقُولُوا۟)[2] يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ (تَقُولُوٓا۟)[3] إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ [الأعراف/ ١٧٢-١٧٣] فذكر سبحانه من حكم أخذ الميثاق عليهم أن لا يحتجوا يوم القيامة بغفلتهم عن الأمر ولا بتقليد الأسلاف[4].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الأنعام/ ٧٠] فالضمير في به للقرآن[5]، وأن تبسل في محل نصب على أنه مفعول له. أي: حذار أن سلم نفس إلى الهلكة والعذاب، وترتهن بسوء عملها[6].

فصل

النوع السادس: ذكر ما هو من صرائح التعليل، وهو « من أجل » كقوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة/ ٣٢]. وقد ظن طائفة أن قوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ تعليل لقوله: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة/ ٣١] أي: من

---

(١) في الأصل، م (ذرياتهم).

(٢) في الأصل (يقولوا).

(٣) في الأصل (يقولوا).

(٤) انظر تفسير الطبري ١٣/ ٢٥١.

(٥) انظر تفسير الطبري ١١/ ٤٤٢.

(٦) انظر البحر المحيط ٤/ ٥٤٩.

أجل قتله لأخيه[١] وهذا ليس بشيء، لأنه يشوش صحة النظم، (وتقل)[٢] الفائدة بذكره، ويذهب شأن التعليل بذلك للكتابة المذكورة، وتعظيم شأن القتل (حين)[٣] جعل علةً لهذه الكتابة فتأمله.

فإن قلت: كيف يكون قتل أحد بني آدم للآخر علة (لحكمه)[٤] على أمة أخرى بذلك الحكم؟ وإذا كان علة، فكيف كان قاتل نفس واحدة بمنزلة قاتل الناس كلهم؟

قلت: الرب تعالى يجعل أقضيته وأقداره عللاً وأسباباً لشرعه وأمره، فجعل حكمه الكوني القدري علة لحكمه الديني الأمري، وذلك أن القتل عنده لما كان من أعلى أنواع الظلم والفساد، فخَّم أمره، وعظم شأنه وجعل (إثمه)[٥] أعظم من إثم غيره، ونزل قاتل النفس الواحدة منزلة قاتل الأنفس كلها، ولا يلزم من التشبيه أن يكون المشبه بمنزلة المشبه به من كل الوجوه، فإذا كان قاتل الأنفس كلها يصلى النار، وقاتل النفس الواحدة يصلاها[٦] صح تشبيهه به، كما يأثم من شرب قطرة واحدة من الخمر ومن شرب عدة قناطير، وإن اختلف مقدار الإثم.

وكذلك من زنى مرة واحدة وآخر زنى مراراً كثيرة، كلاهما آثم وإن

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٠/ ٢٣٢، ٣٢٩ ، زاد المسير ٢/ ٣٤٠.

(٢) في الأصل (ويعمل) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) في الأصل، (م) (حتى) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) في (ع) (للحكمة).

(٥) في الأصل، م (أنه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) انظر تفسير الطبري ١٠/ ٢٣٤

اختلف قدر الإثم، وهذا معنى قول مجاهد[١]: من قتل نفساً (واحدة)[٢] يصلى النار بقتلها كما يصلاها من قتل الناس جميعاً[٣].

وعلى هذا، فالتشبيه في أصل العذاب لا في وصفه. وإن شئت قلت: التشبيه في أصل العقوبة الدنيوية وقدرها، (فإنها)[٤] لا تختلف بقلة القتل وكثرته، كما لو شرب قطرة، فإن حده حد من شرب راوية، ومن زنى بامرأة (واحدة)[٥] حده)[٦] حد من زنى بألف. وهذا تأويل الحسن[٧] وابن زيد[٨]. قالا: يجب عليه من القصاص بقتلها مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعاً[٩]. (ذلك) أن يجعل (التشبيه)[١٠] في الأذى (والغم)[١١] الواصل إلى المؤمنين بقتل الواحد منهم، فقد جعلهم كلهم خصماءه، وأوصل إليهم من الأذى والغم ما يشبه القتل. وهذا تأويل ابن الأنباري[١٢] . وفي الآية

---

(١) سبقت ترجمته في ص ١٩٠.

(٢) في الأصل، م، ع (محرمه) والصواب ما أثبته من (ط).

(٣) انظر تفسير الطبري باختلاف يسير ١٠/ ٢٣٥ ، تفسير البغوي ٣/ ٤٦.

(٤) في ع، ط (فانه).

(٥) زيادة من ع، ط.

(٦) ساقطة من (م).

(٧) سبقت ترجمته ص(١٤٧) .

(٨) سبقت ترجمته ص(١٠١٨) .

(٩)انظر تفسير البغوي ٣/ ٤٧ – الدر المنثور ١٠/ ٢٣٧.

(١٠) في الأصل (الشبيه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(١١) في (م) (النعم).

(١٢) هو الإمام الحافظ اللغوي أبوبكر محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري المقرىء النحوي، ولد سنة إحدى وسبعين ومائتين. كان من أعلم الناس النحو والأدب وأكثرهم حفظاً لـه، وكان صدوقاً فاضلاً من أهل السنة ، صنف كتباً كثيرة منها : =

تأويلات أخر[١].

فصل

النوع السابع: التعليل بلعل. وهي في كلام الله سبحانه وتعالى للتعليل (مجردة)[٢] من معنى الترجي. فإنها إنما يقارنها معنى الترجي إذا كانت من المخلوق، وأما في حق من لا يصح عليه الترجي، فهي للتعليل المحض، كقوله: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة/ ٢١] فقيل: هو تعليل لقوله: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾، وقيل: تعليل لقوله ﴿خَلَقَكُمْ﴾ والصواب أنه تعليل للأمرين، لشرعه وخلقه[٣].

ومنه قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة/ ١٨٣]. وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[يوسف/ ٢]. وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[الأعراف/ ٥٧].

وقوله: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ[٤] أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه/ ٤٤] . فلعل في هذا كله قد أخلصت للتعليل والرجاء الذي فيها متعلق بالمخاطبين.

= كتاب (الوقف والابتداء) وكتاب (المشكل) (وغريب الحديث النبوي)، سمع من إسماعيل بن إسحاق القاضي وأحمد بن الهيثم البزار وإبراهيم الحربي، روى عنه الدارقطني، وابن سويد، وأبو عبدالله بن بطة. مات ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة. انظر: سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٧٤-٢٧٩، تاريخ بغداد ٣/ ١٨١-١٨٦، طبقات الحنابلة ٢/ ٦٩-٧٣.

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٦/ ١٤٧ ، زاد المسير ٢/ ٣٤٠-٣٤١.

(٢) في الأصل (مجودة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) انظر: تفسير الطبري ١/ ٣٦٤. زاد المسير ١/ ٤٨.

(٤) في م، ع، ط (يذكر).

فصل

النوع الثامن: ذكر الحكم الكوني أو الشرعي عقب الوصف المناسب له فتارة يذكر بأن، وتارة يقرن بالفاء، وتارة يذكر مجرداً:

فالأول: كقوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ (رَبِّ)[1] لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٨٩ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[الأنبياء/ ٨٩، ٩٠].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾[الذاريات/ ١٥، ١٦].

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[يوسف/ ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف/ ١٧٠].

والثاني: كقوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا﴾[2] [المائدة/ ٣٨].

[وقوله][3]: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ﴾ [النور/ ٢].

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ [النور/ ٤].

---

(١) لا توجد في (ع).

(٢) ما بينهما من (ع)، (ط).

(٣) ساقطة من جميع النسخ، والصواب ما أثبته.

والثالث: كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الذاريات/ ١٥].
وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ (وَلَا خَوْفٌ)[١] عَلَيْهِمْ [وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ]﴾[٢] [البقرة/ ٢٧٧].

وهذا في التنزيل يزيد على عدة (آلاف)[٣] موضع. بل القرآن مملوء منه.

فإن قيل: هذا إنما يفيد كون تلك الأفعال أسباباً لما رتب عليها لا يقتضي إثبات التعليل في فعل الرب وأمره، فأين هذا من هذا؟ .

قيل: لما جعل الرب سبحانه (هذه)[٤] الأوصاف عللاً لهذه الأحكام وأسباباً لها دل ذلك على أنه حكم بها شرعاً وقدراً لأجل تلك الأوصاف، وأنه لم يحكم بها لغير علة ولا حكمة، ولهذا كان كل من نفى التعليل والحكم نفى الأسباب، ولم يجعل لحكم الرب الكوني والديني سبباً ولا حكمة هي (العلة)[٥] الغائية، (فهؤلاء)[٦] ينفون الأسباب والحكم.

ومن تأمل شرع الرب تعالى وقدره وجزاءه، جزم جزماً ضرورياً ببطلان قول النفاة، والله سبحانه قد رتب الأحكام على أسبابها وعللها، (وبين)[٧] ذلك خبراً وحساً وفطرة وعقلاً. ولو ذكرنا ذلك على التفصيل، لقام منه عدة أسفار.

---

(١) ساقطة من (م)، (ع)، (ط).
(٢) ما بينهما لم يرد فيجميع النسخ.
(٣) ساقطة من (م).
(٤) مكررة في الأصل.
(٥) في (م) (الحكمة).
(٦) في (ع) (وهم).
(٧) في الأصل (ورتب).

فصل

النوع التاسع: تعليله سبحانه (عدم)[(١)] الحكم القدري أو (الشرعي)[(٢)] بوجود المانع منه، كقوله: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ ﴾ [الزخرف/ ٣٣].

وقوله: ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى/ ٢٧].

وقوله: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ ﴾ [الإسراء/ ٥٩] أي آيات الاقتراح، لا الآيات الدالة على صدق الرسل التي يقيمها هو سبحانه ابتداءً[(٣)].

وقوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ﴾ [فصلت/ ٤٤]. وقوله: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ[(٤)] مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأنعام/ ٨، ٩]. فأخبر سبحانه عن المانع الذي منع من إنزال الملك عياناً بحيث يشاهدونه. وأن حكمته وعنايته بخلقه منعت من ذلك، فإنه لو أنزل الملك ثم عاينوه ولم يؤمنوا لعوجلوا بالعقوبة ولم يُنظروا[(٥)].

---

(١) ساقطة من (ع).

(٢) في ط (والشرعي).

(٣) انظر زاد المسير ٥/ ٥١.

(٤) في (ع) (ولو جعلنا).

(٥) انظر: تفسير الطبري ١١/ ٢٦٧، ٢٦٨.

وأيضاً فإنه جعل الرسول بشراً، ليمكنهم التلقي عنه والرجوع إليه، ولو جعله ملكاً فإما يدعه على هيئة الملائكة، أو يجعله على هيئة البشر، والأول يمنعهم من التلقي عنه، والثاني لا يحصل به مقصودهم إذا كانوا يقولون هو بشر لا ملك[١] وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾ [الإسراء/ ٩٤، ٩٥]. فأخبر عن المانع من إنزال الملائكة؛ وهو أنه لم يجعل الأرض مسكناً لهم، ولا يستقرون فيها مطمئنين، بل يكون نزولهم (لتنفيذ)[٢] أوامر الرب سبحانه ثم يعرجون إليه.

ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْآيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء/ ٥٩]. فأخبر سبحانه عن حكمته في الامتناع من إرسال رسله بآيات الاقتراح والتشهي، وهي أنها لا توجب الإيمان، فقد سألها الأولون، فلما أوتوها كذبوا بها، فأهلكوا، فليس لهم مصلحة في الإرسال بها، بل حكمته سبحانه تأبى ذلك كل الإباء[٣].

ثم نبه على ما أصاب ثمود من ذلك بأنهم اقترحوا الناقة، فلما أعطوا ما سألوه، ظلموا ولم يؤمنوا، فكان في إجابتهم إلى ما سألوا هلاكهم واستئصالهم، ثم قال: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء/ ٥٩] أي لأجل التخويف، فهو منصوب نصب المفعول لأجله.

---

(١) المصدر السابق ١١/ ٢٦٨، ٣٦٩.

(٢) في ع، ط (لينفذوا).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢٨١، تفسير البغوي ٥/ ١٠٢.

قال قتادة[١]: (إن الله)[٢] يخوف (الناس)[٣] بما شاء من آياته؛ لعلهم يعتبرون أو يذكرون أو يرجعون[٤]. وهذا يعم آياته التي تكون مع الرسل، والتي تقع بعدهم في كل زمان، فإنه سبحانه لا يزال يحدث لعباده من الآيات ما يخوفهم بها ويذكرهم بها.

ومن ذلك قوله: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا (نُزِّلَ)[٥] عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الأنعام/ ٣٧] أي: لا يعلمون حكمته تعالى، ومصلحة عباده في الامتناع من إنزال الآيات التي يقترحها الناس على الأنبياء، وليس المراد أن أكثر الناس لا يعلمون أن الله قادر، فإنه لم ينازع في قدرة الله (في الجملة)[٦] أحد من (المقرين)[٧] بوجوده سبحانه، ولكن حكمته في ذلك لا يعلمها أكثر الناس[٨].

فصل

النوع العاشر: إخباره عن الحكم والغايات التي جعلها في خلقه وأمره.

كقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ

---

(١) سبقت ترجمته ص(٣٢٦).

(٢) ساقطة من (م).

(٣) ساقطة من (م).

(٤) انظر تفسير الطبري ١٥/ ٧٥، تفسير البغوي ٥/ ١٠٢.

(٥) في الأصل، (م) (أنزل).

(٦) ما بينهما ساقط من ع، ط.

(٧) في الأصل (المفسرين) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٨) انظر: تفسير الطبري ١١/ ٣٤٣.

مَآءً(١) فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ(٢) ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ [البقرة/ ٢٢]، وقوله: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ ﴾[النبأ/ ٦-١١] إلى قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾[النبأ/ ١٤-١٦]. وقوله: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ۝٢٦ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ۝٢٧ ﴾[المرسلات/ ٢٥-٢٧]. وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ۝٨٠ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا(٣) وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾ [النحل/ ٨٠-٨١]، وقوله: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ [عبس/ ٢٤]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ۝٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۝٣٣ ﴾ [إبراهيم/ ٣٢، ٣٣]، وقوله: ﴿ [ٱللَّهُ](٤) ٱلَّذِى سَخَّرَ [لَكُمُ](٥) ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ

---

(١) ساقطة من (م).

(٢) ساقطة من (م).

(٣) ما بينهما ساقط من (ع)، (ط).

(٤) لم ترد في جميع النسخ.

(٥) ما بينهما ساقط من (م).

ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ (وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ)[(١)] وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾. [الجاثية/ ١٢].

إلى أضعاف أضعاف ذلك في القرآن، مما يفيد من له أدنى تأمل القطع بأنه سبحانه فعل ذلك (للحكم)[(٢)] والمصالح التي ذكرها وغيرها مما لم يذكره. وقوله: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ (لَءَايَةً)[(٣)] لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل/ ٦٨-٦٩].

وقوله: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾[المؤمنون/ ٢١]. وقوله: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ[(٤)] ﴾ [النحل/ ٦-٨].

فهل يستقيم ذلك ويصح (ممن)[(٥)] لا يفعل لحكمه، ولا لمصلحة، ولا لغاية هي مقصودة بالفعل؟ ومعلوم بالضرورة أن هذا الإثبات (وهذا)[(٦)]

---

(١) زيادة من باقي النسخ.

(٢) في (ع) (للحكمة).

(٣) في (ع)، (م)، (ط) (لآيات).

(٤) ما بينهما زيادة من باقي النسخ.

(٥) في (م)، (ط) (فيمن) وفي (ع) (لأنه).

(٦) ساقطة من (ع).

النفي متقابلان أعظم التقابل.

فصل

النوع الحادي عشر: إنكاره سبحانه على من زعم أنه لم يخلق الخلق لغاية ولا لحكمة؛ كقوله: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾ [المؤمنون/ ١١٥]، وقوله: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة/ ٣٦].

وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الدخان/ ٣٨، ٣٩]، وقال: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ[(١)] ﴾ [الحجر/ ٨٥].

والحق هو الحكم والغايات المحمودة التي لأجلها خلق ذلك (كله)[(٢)].

وهو أنواع كثيرة: منها: أن يعرف [الله][(٣)] تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله وآياته.

ومنها: أن يحب ويعبد ويشكر ويذكر ويطاع.

ومنها: أن يأمر وينهى ويشرع الشرائع.

ومنها: أن يدبر الأمر، ويبرم القضاء ويتصرف في المملكة بأنواع (التصرف)[(٤)].

ومنها: أن يثبت ويعاقب فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، فيوجد أثر (فضله وعدله)[(٥)] موجوداً مشهوداً، فيحمد على ذلك ويشكر.

---

(١) ما بينهما من ع، ط.

(٢) ساقطة من (م).

(٣) زيادة من (م)، (ط).

(٤) في (ع)، (ط) (التصرفات).

(٥) في ط (عدله وفضله).

ومنها أن يعلم خلقه أنه لا إله غيره، ولا رب سواه.

(ومنها: ظهور آثار أسمائه وصفاته على تنوعها وكثرتها في الوجود الذهني والخارجي، فيعلم عباده ذلك علماً مطابقاً لما في الواقع.

ومنها: أن يصدق الصادق فيكرمه، ويكذب الكاذب فيهينه)[١] .

ومنها: شهادة مخلوقاته كلها بأنه وحده ربها وفاطرها ومليكها، وأنه وحده إلهها ومعبودها.

ومنها: ظهور أثر كماله المقدس، فإن الخلق والصنع (لازم)[٢] كماله، فإنه حي (عليم)[٣] قدير، ومن كان كذلك لم يكن إلا فاعلاً مختاراً.

ومنها: أن يظهر أثر حكمته في المخلوقات بوضع كل منها في موضعه الذي يليق به (بمجيئه)[٤] على الوجه الذي تشهد العقول والفطر بحسنه، فتشهد حكمته الباهرة.

ومنها: أنه سبحانه يحب أن يجود وينعم ويعفو ويغفر ويسامح، فلابد من لوازم ذلك خلقاً وشرعاً.

ومنها: أنه يحب أن يثنى عليه ويمدح ويمجد ويسبح ويعظم.

ومنها: كثرة شواهد ربوبيته ووحدانيته وإلهيته.

إلى غير ذلك من الحكم التي تضمنها الخلق. فخلق مخلوقاته بسبب الحق ولأجل الحق ، وخلقها ملتبس بالحق ، وهو في نفسه حق، (فمصدره

---

(١) ما بينهما فيه تقديم وتأخير في ع، ط.

(٢) في (م) (الزم).

(٣) ساقطة من (ع)، (ط).

(٤) في م، ط (ومحبته).

حق)[١] وغايته حق، وهو متضمن للحق[٢]، وقد أثنى تعالى على عباده المؤمنين حيث نزهوه عن إيجاد الخلق لا لشيء ولا لغاية. فقال تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾ [آل عمران/ ١٩١]. وأخبر أن هذا ظن أعدائه (به)[٣] لا ظن أوليائه، فقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا (ٱلسَّمَآءَ)[٤] وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [ص/ ٢٧] وكيف يتوهم أنه عرفه من يقول: إنه لم يخلق لحكمة مطلوبة له، ولا أمر لحكمة، ولا نهى لحكمة، وإنما (يصدر)[٥] الخلق والأمر عن مشيئة وقدرة محضة لا لحكمة (ولا غاية)[٦] مقصودة.

وهل هذا إلا إنكار لحقيقة حمده ؟! بل الخلق والأمر إنما قام بالحكم والغايات. (فهما مظهران)[٧] لحمده وحكمته، فإنكار الحكمة إنكار لحقيقة خلقه وأمره.

فإن الذي أثبته المنكرون من ذلك ينزه عنه الرب، ويتعالى عن نسبته إليه، فإنهم أثبتوا خلقاً وأمراً، لا رحمة فيه ولا مصلحة ولا حكمة، بل يجوز عندهم، (أو يقع)[٨] أن يأمر بما لا مصلحة للمكلف فيه البتة، وينهى عما فيه

---

(١) ما بينهما ساقط من (ع).

(٢) انظر: تفسير الطبري ٢٥/ ٧٧، الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٤٧، تفسير البغوي ٧/ ٢٣٥.

(٣) ساقطة من (ع)، (ط).

(٤) في (م)، (ع)، (ط) (السماوات).

(٥) في (م) (مصدر).

(٦) في (ط) (لغاية).

(٧) في (ع) (فيما يظهران).

(٨) في (ع) (أن يقع).

مصلحته، (والجميع)[١] بالنسبة إليه سواء. ويجوز عندهم أن يأمر بكل ما نهى عنه، وينهى عن جميع ما أمر به، ولا فرق بين هذا وهذا إلا لمجرد الأمر والنهي. ويجوز عندهم أن يعذب من لم يعصه طرفة عين، بل أفنى عمره في طاعته وشكره وذكره، وينعم[٢] من لم يطعه طرفة عين، بل أفنى عمره في الكفر به والشرك والظلم والفجور، ولا سبيل إلى أن يعرف خلاف ذلك منه إلا (بخبر)][٣] الرسول، وإلا فهو جائز عليه[٤].

وهذا من أقبح الظن وأسوئه بالرب تعالى، وتنزيهه عنه، كتنزيهه عن الظلم والجور، بل هذا هو عين الظلم الذي يتعالى الله عنه.

والعجب العجاب أن كثيراً من أرباب هذا المذهب ينزهونه عما وصف به نفسه من صفات الكمال ونعوت الجلال، ويزعمون أن إثباتها تجسيم وتشبيه، ولا ينزهونه عن هذا الظلم والجور، ويزعمون أنه عدل وحق، وأن التوحيد عندهم لا يتم إلا به، كما لا يتم إلا بإنكار استوائه على عرشه، وعلوه فوق سماواته، وتكلمه وتكليمه، وصفات كماله، فلا يتم التوحيد عند هذه الطائفة إلا بهذا النفي [وذلك][٥] الإثبات[٦].

---

(١) في (ع) (والجمع).

(٢) في (ع، ط) (وينعم على).

(٣) في (ع) (غير).

(٤) هذا القول قال به: الجبرية من الجهمية والأشاعرة. انظر: مفتاح دار السعادة ٢/ ٤٥٦.

(٥) زيادة من باقي النسخ.

(٦) هذا قول أهل الكلام المثبتين للقدر ومن وافقهم من الفقهاء أصحاب الأئمة الأربعة. انظر منهاج السنة النبوية ١/ ١٣٥.

فصل

النوع الثاني عشر: إنكاره سبحانه أن يسوي بين المختلفين أو يفرق بين المتماثلين، وأن حكمته وعدله يأبى ذلك.

أما الأول؛ فكقوله: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم/ ٣٥-٣٦] . فأخبر أن هذا حكم باطل جائر، يستحيل نسبته إليه كما يستحيل نسبة الفقر والحاجة والظلم إليه، ومنكرو الحكمة والتعليل يجوزون نسبة ذلك إليه، بل يقولون بوقوعه.

وقال تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص/ ٢٨]. وقال: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ (أَن نَّجْعَلَهُمْ)[١] كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية/ ٢١]. فجعل سبحانه ذلك حكماً سيئاً يتعالى ويتقدس عن أن يجوز عليه، فضلاً [عن][٢] أن ينسب إليه. بل أبلغ من هذا أنه أنكر على من حسب [أنه][٣] يدخل الجنة بغير امتحان له وتكليف يتبين به صبره وشكره، وأن (حكمته)[٤] تأبى ذلك. كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[آل عمران/ ١٤٢]. وقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟﴾ [البقرة/ ٢١٤] وقال: ﴿ أَمْ

(١) في (م) (أم نجعلهم).

(٢) زيادة من ع، ط.

(٣) في الأصل، (م)، (ط) (أن).

(٤) في الأصل (كلمته).

حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا (وَلَمَّا)[1] يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ [التوبة/ ١٦]. فأنكر عليهم هذا الظن والحسبان لمخالفته لحكمته.

وأما الثاني: وهو أنه لا يفرق بين المتماثلين، فكقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء/ ٦٩].

وقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة/ ٧١].

وقوله: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ﴾ [التوبة/ ٦٧].

وقوله: ﴿ (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ)[2] ﴾ [آل عمران/ ١٩٥].

وقوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف/ ٢٢].

وقوله: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ﴾ [القمر/ ٤٣]، وقوله: ﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ [محمد/ ١٠].

وقوله: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء/ ٧٧].

وقوله: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[3] [الفتح/ ٢٣].

---

(١) في ع (ولم).

(٢) ما بينهما ساقط من ع.

(٣) في ع، ط كرر الآية ولم يتمها.

وقوله: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ﴾[1] [الأحزاب/ ٣٨].

فسنته سبحانه عادته المعلومة في أوليائه وأعدائه بإكرام هؤلاء وإعزازهم ونصرهم، وإهانة أولئك وإذلالهم وكبتهم.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [المجادلة/ ٥].

والقرآن مملوء من ذلك. يخبر أن حكم الشيء في حكمته وعدله حكم نظيره ومماثلة، (وضد)[2] حكم مضاده ومخالفه. وكل نوع من هذه الأنواع لو استوعبناه لجاء كتاباً مفرداً.

فصل

النوع الثالث عشر: أمره سبحانه بتدبر كلامه والتفكر فيه، وفي أوامره ونواهيه وزواجره. ولولا ما تضمنه من الحكم والمصالح والغايات المطلوبة، والعواقب الحميدة، التي هل محل (الفكر)[3] لما كان للتفكر فيه معنى، وإنما دعاهم إلى التفكر والتدبر ليطلعهم ذلك على (حكمته)[4] البالغة، وما فيه من (المصالح والغايات)[5] المحمودة التي توجب لمن عرفها إقراره بأنه تنزيل من حكيم حميد. فلول كان الحق ما يقوله النفاة، وأن مرجع ذلك[6] مجرد القدرة والمشيئة التي يجوز عليها تأييد الكاذب بالمعجزة ونصره وإعلاؤه،

---

(١) ما بينهما ساقط من ع، ط.

(٢) في ع، م (وحد).

(٣) في ع (الكفر).

(٤) الأصل (حكمهم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) في ع، ط (من الغايات والمصالح).

(٦) في ع، ط (مرجع ذلك وتصوره).

وإهانة الحق وإذلاله وكسره، لما كان في التدبر والتفكر (ما)[1] يدلهم على صدق رسله، ويقيم عليهم حجته، (وكان)[2] غاية (ما)[3] دعوا إليه القدر المحض، وذلك مشترك بين الصادق والكاذب والبر والفاجر.

فهؤلاء بإنكارهم الحكمة والتعليل سدوا على نفوسهم باب والإيمان والهدى، وفتحوا عليهم باب المكابرة وجحد الضروريات، فإن ما في خلق الله وأمره من الحكم والمصالح المقصودة بالخلق والأمر والغايات (الحميدة)[4] أمر تشهد به الفطر والعقول، ولا ينكره سليم الفطرة، وهم لا ينكرون ذلك، وإنما يقولون: وقع بطريق الاتفاق لا بالقصد، كما تسقط خشبة عظيمة، فيتفق عبور حيوان مؤذ تحتها فتهلكه[5].

ولا ريب أن هذا ينفي حمد الرب سبحانه على حصول هذه المصالح والمنافع والحكم؛ لأنها لم تحصل بقصده وإرادته، بل بطريق الاتفاق الذي لا يحمد عليه صاحبه، ولا يثنى عليه (به)[6]، بل هو عندهم بمثابة ما لو رمى رجل درهماً، لا لغرض ولا لفائدة، بل لمجرد قدرته ومشيئته على طرحه،

(١) في ع، ط (مما).

(٢) في م (وإن كان).

(٣) في الأصل (لما) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) في م (المحمودة).

(٥) يقول بهذا القول كثير ممن يثبت القدر وينتسب إلى السنة من أهل الكلام والفقه وغيرهم. وقد قال بهذا طوائف من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم، وهو قول الأشعري وأصحابه، وقول كثير من نفاة «القياس» كابن حزم وأمثاله. انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٨/ ٨٣.

(٦) ساقطة من ع، ط.

فاتفق أن وقع في يد محتاج انتفع به. فهذا (من)[1] شأن الحكم والمصالح عند المنكرين.

فصل

النوع الرابع عشر: (إخباره)[2] عن صدور الخلق والأمر عن حكمته وعلمه، فيذكر هذين الاسمين عند (ذكر)[3] مصدر خلقه وشرعه تنبيهاً على أنهما إنما صدرا عن حكمة مقصودة مقارنة للعلم المحيط التام؛ كقوله ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [النمل/ ٦]، وقوله: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر/ ١] فذكر العزة المتضمنة لكمال القدرة والتصرف والحكمة المتضمنة لكمال الحمد والعلم، وقوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة/ ٣٨] وسمع بعض الأعراب قارئاً[4] يقرأها: ﴿والله غفور رحيم﴾ فقال: ليس هذا كلام الله، فقال: أتكذب بالقرآن؟ فقال: لا ولكن لا يحسن هذا، فرجع القارىء إلى (حفظه)[5] فقال: ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فقال: صدقت[6].

وإذا تأملت ختم الآيات بالأسماء والصفات وجدت كلامه مختتماً[7]

---

(١) ساقطة من ع.

(٢) في م (عن أخباره).

(٣) ساقطة من ع.

(٤) ذكر أنه الأصمعي. انظر: زاد المسير ٢/ ٣٥٤.

(٥) في (ط) (خطئه).

(٦) انظر: زاد المسير ٢/ ٣٥٤.

(٧) في الأصل: (م) (مختتمة) وفي (ع) (يختتمه) والصواب ما أثبته وهو من (ط).

بذكر الصفة التي (يقتضيها)[١] ذلك [المقام][٢]، حتى كأنها ذكرت دليلاً عليه وموجبة له، وهذا كقوله: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة/ ١١٨] أي: فإن مغفرتك لهم (تصدر)[٣] عن عزة هي كمال القدرة وحكمة هي كمال العلم، لا عن عجز وجهل.

وقوله: ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ في ثلاثة مواضع من القرآن[٤] يذكر ذلك عقب ذكره الأجرام العلوية، وما تضمنه من فلق الإصباح، وجعل الليل (سكناً)[٥] وإجراء الشمس والقمر (بحساب)[٦] لا يعدوانه، وتزيين السماء الدنيا بالنجوم وحراستها بها، وأخبر أن هذا التقدير المحكم المتقن صادر عن عزته وعلمه، ليس أمراً اتفاقياً، لا يمدح به فاعله، ولا يثنى عليه به كسائر الأمور الاتفاقية.

ومن هذا ختمه سبحانه قصص الأنبياء وأممهم في سورة الشعراء (بقوله)[٧]

---

(١) في الأصل (تقتضي).

(٢) زيادة من (ط).

(٣) في (م)، (ط) (مصدر).

(٤) في (ط) (عدة).

والمواضع الثلاثة هي:

﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (الأنعام/ ٩٦).

وقوله: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (يس/ ٣٨).

وقوله: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (فصلت/ ١٢).

(٥) في (ط) (مسكناً).

(٦) في الأصل (بحسبان).

(٧) ساقطة من (م)، (ط).

عقب كل قصة: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(١)، فإن ما حكم به لرسله وأتباعهم ولأعدائهم صادر عن عزة ورحمة، فوضع الرحمة في محلها، وانتقم من أعدائه بعزته، ونجى رسله وأتباعم برحمته. والحكمة الحاصلة من ذلك أمر مطلوب مقصود، (وهي)(٢) غاية الفعل، لا أنها أمر اتفاقي.

فصل

النوع الخامس عشر: إخباره بأن حكمه أحسن الأحكام، وتقديره أحسن التقادير، ولولا مطابقته للحكمة والمصلحة المقصودة المرادة، لما كان كذلك ؛ إذ لو كان حسنه لكونه مقدوراً معلوماً كما يقوله (النفاة)(٣) لكان هو وضده سواء، فإنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، فكان كل معلوم مقدور أحسن الإحكام وأحسن التقادير، وهذا ممتنع(٤). قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة/ ٥٠] ، وقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء/ ١٢٥] ، فجعل هذا (هو أحسن الأديان، ولهذا اختاره لنفسه، وارتضاه لعباده، ويمتنع عليه)(٥) أن يختار لهم ديناً سواه، أو يرتضي ديناً غيره، كما يمتنع عليه (العيب)(٦) والظلم، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت/ ٣٣]. وقال : ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴾ [المرسلات / ٢٣] ، وقال:

---

(١) الشعراء / الآيات ٩، ٦٨، ١٠٤، ١٢٢، ١٤٠، ١٥٩، ١٧٥، ١٩١.

(٢) في الأصل، (م)، (ع) (وهو) والصواب ما أثبته من (ط).

(٣) في الأصل (التقاة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) هنا نهاية المخطوطة العراقية. (ع).

(٥) ما بينهما ساقط من (ط).

(٦) في الأصل (الغيث) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون/ ١٤]، فلا أحسن من تقديره وخلقه لوقوعه على الوجه الذي اقتضته (حكمته)[1] ورحمته وعلمه.

وقال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن (تَفَٰوُتٍۖ)[2] (فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ)[3]﴾ [الملك/ ٣] ولولا مجيئه على أكمل الوجوه وأحسنها، (ومطابقته)[4] (للغايات)[5] المحمودة والحكم المطلوبة، لكان كله متفاوتاً أو كان عدم تفاوته أمراً اتفاقياً لا يحمد فاعله؛ لأنه لم يرده ولم يقصده، وإنما اتفق أن (جاء)[6] كذلك.

فصل

(النوع السادس عشر)[7]: إخباره سبحانه أنه على صراط مستقيم في موضعين من كتابه.

أحدهما: قوله حاكياً عن نبيه هود: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود/ ٥٦] .

والثاني: قوله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ[8] كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ

(١) في الأصل (كلمته) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في الأصل (التفاوة) والصواب ما أثبته.

(٣) ما بينهما ساقط من جميع النسخ.

(٤) في (ط) (مطابقتها).

(٥) في الأصل (للغايات) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) في (ط) (صار).

(٧) في م، ط (السابع عشر).

(٨) في الأصل (وهل) والصواب ما أثبته، وهو من باقي النسخ.

(يَسْتَوِى)[١] ﴿هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل/ ٧٦].

قال أبو إسحاق[٢]: أخبر أنه وإن كانت قدرته تنالهم (بما شاء)[٣] فهو لا يشاء إلا بالعدل. قال ابن الأنباري[٤]: لما قال: ﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود/ ٥٦] كان في معنى لا تخرج عن قبضته[٥] فإنه[٦] قاهر بعظيم سلطانه كل دابة، فأتبع ذلك قوله: ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[هود/ ٥٦] أي إنه على الحق[٧]. قال: وهذا نحو كلام العرب إذا وصفوا رجلاً (بحسن)[٨] السيرة والعدل والإنصاف، قالوا: فلان (على)[٩] طريقة حسنة، وليس ثم طريق.

وذكر في معنى الآية أقوال أخر هي من لوازم هذا المعنى وآثاره، كقول بعضهم: إن ربي يدل على صراط مستقيم[١٠] [فدلالته على الصراط من موجبات كونه في نفسه على صراط مستقيم)[١١]، فإن تلك الدلالة والتعريف من تمام رحمته وإحسانه وعدله وحكمته.

---

(١) ساقطة من (م).

(٢) سبق ترجمته ص ٣٣١.

(٣) في (م) (ط) (بما شاء).

(٤) سبق ترجمته ص ١٠٤٧.

(٥) انظر زاد المسير ٤/ ١١٩.

(٦) ساقطة من م، ط.

(٧) قاله مجاهد. انظر: تفسير الطبري ١٥/ ٣٦٤، زاد المسير ٤/ ١١٨.

(٨) في ط (حسن).

(٩) ساقطة من م، ط.

(١٠) انظر زاد المسير ٤/ ١١٨.

(١١) زيادة من باقي النسخ.

وقال بعضهم: معناه: لا يخفى عليه (شيء)[1]، ولا يعدل عنه هارب. وقال بعضهم: المعنى: لا مسلك لأحد ولا طريق له إلا عليه، كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر/ ١٤] وهذا المعنى حق، ولكن كونه هو المراد بالآية ليس بالبين، فإن الناس كلهم لا يسلكون الصراط المستقيم حتى يقال: إنهم يصلون سلوكه إليه. ولما أراد سبحانه هذا المعنى قال: ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ [يونس/ ٧٠] ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ [الغاشية/ ٢٥] ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر/ ١٤] ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم/ ٤٢].

وأما وصفه سبحانه بأنه على صراط مستقيم، فهو كونه يقول الحق، ويفعل الصواب، فكلماته صدق وعدل، (وفعله)[2] (كله)[3] صواب وخير، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب/ ٤]، فلا يقول إلا ما يحمد عليه، (ولايفعل إلا ما يحمد عليه)[4] لكونه حقاً وعدلاً وصدقاً وحكمةً في نفسه، وهذا معروف في كلام العرب، قال جرير[5] يمدح عمر بن

(١) في الأصل، (م) (مشيئته) والصواب ما أثبته من ط.

(٢) ساقطة من (م)، (ط).

(٣) ساقطة من ط.

(٤) ما بينهما ساقط من (م)، (ط).

(٥) هو شاعر زمانه أبو حزرة جرير بن عطية الخطفي التميمي البصري، قدم دمشق مراراً، ومدح يزيد بن معاوية والخلفاء من بعده، ووفد على عمر بن عبد العزيز، وكان الشعراء الذين يقارنونه في عصره الفرزدق والأخطل، وكان جرير أشعرهم وأخيرهم. قال غير واحد: هو أشعر الثلاثة، وقد مات سنة عشرة ومائة. مات هو والفرزدق في سنة واحدة. انظر: البداية والنهاية ٩/ ٢٧١، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩٠، الأعلام ٢/ ١١٩.

عبدالعزيز[(١)].

أمـــير المؤمـــنين عـــلى صـــراط إذا اعـــوج المـــوارد مســـتقيم[(٢)]

وإذا عرف هذا، فمن ضرورة كونه على صراط مستقيم أنه لا يفعل شيئاً إلا لحكمة يحمد عليها، وغاية هي أولى بالإرادة من غيرها، فلا تخرج أفعاله عن الحكمة والمصلحة والإحسان والرحمة والعدل والصواب، كما لا تخرج أقواله عن العدل والصدق.

فصل

النوع السابع عشر: حمده سبحانه لنفسه على جميع ما يفعله، وأمر عباده (بحمده)[(٣)]. وهذا لما في أفعاله من الغايات والعواقب الحميدة التي يستحق (عليها)[(٤)] الحمد. فهو يحمد على نفس الفعل، وعلى قصد الغاية الحميدة به، وعلى حصولها، فها هنا ثلاثة أمور، ومنكرو الحكم والتعليل ليس عندهم

---

(١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية. الإمام الحافظ، العلامة المجتهد، الخليفة الزاهد، ولد سنة ثلاث وستين، حدَّث عن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب، والسائب بن يزيد، وسهل بن سعد، وسعيد بن المسيب، وعروة وغيرهم، وحدَّث عنه أبو بكر بن حزم، ورجاء بن حيوة، وابن المنكدر، والزهري، وابنه عبد العزيز بن عمر، وعقبة بن سعيد وغيرهم. ولي المدينة في خلافة الوليد وتولى الخلافة سنة تسع وتسعين، وتوفي سنة إحدى ومائة، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام، ومات وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر. انظر: طبقات ابن سعد ٥/ ٣٣٠-٤٠٨ ، حلية الأولياء ٥/ ٢٥٣ - ٣٥٣ ، سير أعلام النبلاء ٥/ ١١٤-١٤٨.

(٢) الصواب أنه يمدح هشام بن عبدالملك. انظر ديوان جرير ص ٤١١.

(٣) زيادة من باقي النسخ.

(٤) في باقي النسخ (فاعلها).

محموداً على قصد الغاية، ولا على حصولها، إذ قصدها عندهم مستحيل عليه، وحصولها عندهم أمر اتفاقي غير مقصود، كما صرحوا به، فلا يحمد على ما (لا)[1] يجوز قصده، ولا على حصوله، فلم يبق إلا نفس الفعل.

ومعلوم أن الفاعل لا يحمد على فعله إن لم يكن له فيه غاية مطلوبة هي أولى من عدمها، وإلا فمجرد الفعل الصادر عن الفاعل إذا لم يكن له غاية يقصده بها (لا يحمد)[2] عليه، بل وقوع هذا الفعل من القادر المختار الحكيم محال، ولا يقع الفعل على هذا الوجه إلا من عائب، والله منزه من العيب، فحمده سبحانه من أعظم الأدلة على كمال حكمته وقصده بما فعل نفع خلقه، والإحسان إليهم، ورحمتهم، وإتمام نعمته عليهم، وغير ذلك من الحكم والغايات التي تعطيلها تعطيل لحقيقة حمده.

فصل

النوع الثامن عشر: إخباره بإنعامه على خلقه وإحسانه إليهم، وأنه خلق لهم ما في السماوات وما في الأرض، وأعطاهم الأسماع والأبصار والأفئدة، ليتم نعمته عليهم.

ومعلوم أن المنعم المحسن لا يكون كذلك، ولا يستحق هذا الاسم حتى يقصد الأنعام على غيره والإحسان إليه، فلو لم يفعل سبحانه لغرض الأنعام والإحسان لم يكن منعماً في الحقيقة ولا محسناً، إذ يستحيل أن يكون كذلك من لم يقصد الأنعام والإحسان، وهذا غني عن التقرير، يوضحه أن سبحانه حيث ذكر إنعامه وإحسانه، فإنما يذكره مقروناً بالحكم والمصالح والمنافع التي

---

(١) زيادة من باقي النسخ.

(٢) في الأصل (لا يحمده) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

خلق الخلق وشرع الشرائع لأجلها؛ كقوله في آخر سورة (النحل)[1]: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل/ ٨١] فهذا في الخلق.

وقال في الشرع في أمره باستقبال الكعبة: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة / ١٥٠].

وقال في أمره بالضوء والتيمم: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ (عَلَيْكُمْ)[2] لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة/ ٦] فجعل تمام نعمته في أن خلق ما خلق للإحسان، وأمر بما أمر لذلك.

فصل

النوع التاسع عشر: اتصافه بالرحمة، وأنه أرحم الراحمين، وأن رحمته وسعت كل شيء، وذلك لا يتحقق إلا بأن يقصد رحمة خلقه بما خلقه لهم، وبما أمرهم به، فلو لم تكن أوامره لأجل الرحمة والحكمة والمصلحة وإرادة الإحسان إليهم لما (كانت)[3] رحمة (ولما كان رسوله رحمة للعالمين. فلو خلت أحكامه عن الحكم والمصالح لما كانت رحمة)[4]، ولو حصلت بها الرحمة، لكانت اتفاقية لا مقصودة، وذلك لا يوجب أن يكون الآمر سبحانه أرحم

(١) في الأصل، (م) (النعم) والصواب ما أثبته.

(٢) في الأصل (ولعلكم) والصواب ما أثبته.

(٣) في (ط) كان.

(٤) ما بينهما ساقط من (م)، (ط).

الراحمين. (فتعطيل)[١] حكمته والغايات المقصودة التي لأجلها يفعل إنكار لرحمته في الحقيقة، وتعطيل لها.

وكان شيخ هذا المذهب (جهم بن صفوان)[٢] يقف على (الجذامى)[٣] ويشاهد ما هم فيه من البلايا، ويقول: أرحم الراحمين يفعل مثل هذا؟ يعني أنه ليس ثم رحمة في الحقيقة، وإنما[٤] الأمر راجع إلى محض (المشيئة الخالية)[٥] عن الحكمة والرحمة، ولا حكمة عنده ولا رحمة، فإن الرحمة لا تعقل إلا من فعل من يفعل الشيء لرحمة ونفعه والإحسان إليه، فإذا لم يفعل لغرض ولا غاية ولا حكمة لم يفعل (لرحمة ولا لإحسان).

فصل

النوع العشرون: جوابه سبحانه لمن (سأله)[٦] عن التخصيص والتمييز الواقع في أفعاله بأنه لحكمة يعلمها هو سبحانه، وإن كان السائل لا يعلمها كما أجاب الملائكة لما قال لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً (قَالُوٓاْ)[٧] أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، فأجابهم بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/ ٣٠] . ولو كان فعله مجرداً

---

(١) في الأصل (فتعطل) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) سبق تعريفه ص٤٥٩.

(٣) في الأصل، (م) (الجذما) والصواب ما أثبته من (ط).

(٤) في ط (وإن).

(٥) في الأصل (السنة الحالية) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) في (م)، (ط) (سأل).

(٧) في (م)، (ط) (فقالوا).

عن الحكم والغايات والمصالح لكان الملائكة أعلم (به)[١] إن سألوا هذا السؤال، ولم يصح جوابهم بتفرده بعلم ما لا يعلمونه من (الحكمة)[٢] والمصلحة التي في خلق (هذا الخليفة، ولهذا كان سؤالهم إنما وقع عن وجه الحكمة، ولم يكن اعتراضاً على الرب تعالى، [ولو قدر أنه][٣] على وجه الاعتراض، فهو دليل على علمهم أنه لا يفعل شيئاً إلا لحكمة، فلما رأوا أن خلق هذا الخليفة مناف للحكمة في الظاهر سألوه عن ذلك.

ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ (رِسَالَتَهُۥ)[٤]﴾ [الأنعام/ ١٢٤]، فأجابهم بأن حكمته وعلمه يأبى أن يضع رسالاته في غير محلها وعند غير أهلها، ولو كان الأمر راجعاً إلى محض المشيئة لم يكن في هذا جواب، بل كان الجواب أن أفعاله لا تعلل، وهو يرجح مثلاً على مثل بغير مرجح، والأمر عائد إلى مجرد القدرة، كما يقوله المنكرون[٥].

وكذلك [قوله][٦]: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ (أَهَٰٓؤُلَآءِ)[٧] مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام/ ٥٣]، فلما

---

(١) في الأصل (من) والصواب ما أثبته من (م)، (ط).
(٢) في (م)، (ط) (الحكم).
(٣) في الأصل (ولو قدر وابه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.
(٤) في جميع النسخ (رسالاته).
(٥) هذا قول الجبرية من الجهمية والأشاعرة. انظر: مفتاح دار السعادة ٢/ ٤٥٦.
(٦) زيادة من باقي النسخ.
(٧) في الأصل (أهؤلاء) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

سألوا عن التخصيص (لمنته)[١] الله وأنكروا ذلك، أجيبوا بأن الله أعلم (بمن)[٢] يصلح (لمنتـه)[٣]، وهو أهل لها وهم الشاكرون الذين يعرفون قدر النعمة ويشكرون عليها المنعم. فهؤلاء يصلحون (لمنته)[٤]، ولو كان الأمر عائداً إلى محض المشيئة، لم يحسن هذا الجواب.

ولهذا يذكر سبحانه صفة العلم، حيث يذكر التخصيص والتفصيل (بينهما)[٥] على أنه إنما حصل بعلمه سبحانه بما في (التخصيص)[٦] المفصل مما يقتضي تخصيصه وتفصيله، وهو الذي جعله أهلاً لذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء/ ٨١] . فذكر علمه عقب ذكر تخصيصه لسليمان بتسخير الريح له، وتخصيصه الأرض المذكورة بالبركة.

ومنه قوله: ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ (وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ)[٧] وَٱلْهَدْيَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة/ ٩٧] . فذكر صفة العلم التي اقتضت تخصيص هذا المكان وهذا الزمان بأمر اختصا به دون سائر الأمكنة والأزمنة.

---

(١) في الأصل (بمنة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في الأصل (من أن) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) في الأصل (لمشيتته) والصواب ما أثبته.

(٤) في باقي النسخ (لمشيئته).

(٥) في الأصل (تبينهما) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) في الأصل (المخصص) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٧) مكررة في (م).

ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الفتح/ ٢٦] . فأخبر أنه وضع هذه الكلمة عند أهلها ومن هم أحق بها، وأنه أعلم بمن يستحقها من غيرهم. فهل هذا وصف من يخص بمحض المشيئة (لا لسبب ولا لغاية)(١).

فصل

النوع الحادي والعشرون: إخباره سبحانه عن تركه بعض مقدوره (أن يفعله)(٢) لما يستلزمه من المفسدة، وأن المصلحة في تركه. ولو كان الأمر راجعاً إلى محض المشيئة، لم يمكن ذلك علة للحكم؛ كقوله تعالى ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢٢، ٢٣]. فعلل سبحانه عدم إسماعهم السماع الذي ينتفعون به، وهو سماع الفهم بأنهم لا خير فيهم يحسن معه أن يسمعهم، وبأن فيهم مانعاً آخر يمنع من الانتفاع بالمسموع لو سمعوه، وهو (الكبر)(٣) والإعراض؛ فالأول من باب تعليل عدم الحكم بعدم (مقتضيه)(٤) والثاني من باب تعليله بوجود مانعه. وهذا إنما يصح ممن يأمر وينهي ويفعل للحكم والمصالح، وأما من تجرد فعله عن

---

(١) في ط (لا بسبب وغاية).

(٢) ما بينهما ساقط من ط.

(٣) الكِبْر: عرفه الرسول ﷺ بقوله: « الكبر بطر الحق وغمط الناس » . أخرجه مسلم في كتاب (الإيمان) باب (تحريم الكبر وبيانه) (٣٩) ١/ ٩٣.

(٤) في (م) (يقتضيه) وفي (ط) (ما يقتضيه).

ذلك، فإنه لا يضاف عدم الحكم إلا إلى مجرد مسببه فقط، ومن هذا تنزيه نفسه سبحانه عن كثير مما يقدر عليه، فلا يفعله لمنافاته لحكمته وحمده، كقوله تعالى: ﴿ (مَا كَانَ)[١] ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران/ ١٧٩] . وقوله: ﴿ (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ)[٢] وَمَا كَانَ ٱللَّهُ (مُعَذِّبَهُمْ)[٣] وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال/ ٣٣] . وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ﴾ [التوبة/ ١١٥]. وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [هود/ ١١٧]. وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ (مُهْلِكَ)[٤] ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ (يَبْعَثَ)[٥] فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ﴾ [القصص/ ٥٩].

فنزّه نفسه عن هذه الأفعال (لأنها)[٦] لا تليق بكماله، وتنافي (حمده، وحكمته)[٧]. وعند النفاة أنها ليست مما ينزه الرب عنه، لأنها مقدورة له، إنما ينزه عما لا يقدر عليه، ولكن علمنا أنها لا تقع لعدم (مشيئة)[٨] لها لا لقبحها في نفسها.

---

(١) في (م) (كما كان).

(٢) ما بينهما ساقط من (ط).

(٣) في (م)، (ط) (ليعذبهم).

(٤) في جميع النسخ (ليهلك).

(٥) ساقطة من (م).

(٦) ساقطة من (م).

(٧) في م، ط (حكمته وحمده).

(٨) في (م)، (ط) (مسببه).

فصل

النوع الثاني والعشرون: أن تعطيل الحكمة والغاية المطلوبة بالفعل إما أن يكون لعدم علم الفاعل بها أو بتفاصيلها، وهذا محال في حق من هو بكل شيء عليم، وإما لعجزه عن تحصيلها، وهذا ممتنع في حق من هو على كل شيء قدير، وإما لعدم إرادته ومشيئته الإحسان إلى غيره، وإيصال النفع إليه، وهذا مستحيل في حق أرحم الراحمين، وإحسانه من لوازم ذاته، فلا يكون إلا محسناً منعماً مناناً. وإما لمانع يمنع من إرادتها وقصدها، وهذا مستحيل في حق من لا يمنعه مانع عن فعل ما يريد/ وإما لاستلزامها نقصاً ومنافاتها كمالاً، وهذا باطل، بل هو قلب للحقائق وعكس (للفطر)[1] ومناقضة لقضايا العقول، فإن من يفعل لحكمة وغاية مطلوبة يحمد عليها أكمل ممن يفعل لا لشيء البتة، كما أن من يخلق أكمل ممن لا يخلق، ومن يعلم أكمل ممن لا يعلم، ومن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم، ومن يقدر ويريد أكمل ممن (لا قدرة له ولا إرادة، ومن يسمع ويبصر ويرضي ويغضب ويحب ويبغض أكمل ممن)[2] لا يتصف بذلك. وهذا (مركوز)[3] في الفطر، مستقر في العقول. فنفي حكمته بمنزلة نفي هذه الأوصاف عنه، وذلك يستلزم وصفه بأضدادها، وهي أنقص النقائص.

---

(١) في الأصل (الفطر) والأولى ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) ما بينهما ساقط م (ط).

(٣) في الأصل (مذكور)، والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

ولهذا صرح كثير من النفاة؛ كالجويني[١] والرازي[٢] بأنه لم يقم على نفي النقائص عن الله دليل عقلي، (وإنما)[٣] مستند النفي السمع والإجماع[٤] وحينئذ فيقال لهؤلاء: إن لم يكن في إثبات الحكمة نقص لم يجز نفيها، وإن كانت نقصاً، فأين في السمع أو في الإجماع نفي هذا النقص؟

وجمهور الأمة يثبت حكمته سبحانه والغايات المحمودة في (أفعاله)[٥]، فليس مع النفاة سمع ولا عقل ولا إجماع، بل السمع والعقل والإجماع والفطرة (تشهد)[٦] ببطلان قولهم. والله الموفق للصواب.

وجماع ذلك أن كمال الرب تعالى وجلاله وحكمته (وعلمه)[٧] ورحمته وقدرته وإحسانه وحمده ومجده وحقائق أسمائه (تمنع كون أفعاله صادرة)[٨] منه بلا حكمة ولا غاية مطلوبة، وجميع أسمائه الحسنى تنفي ذلك، وتشهد

---

(١) هو أبو المعالي عبدالملك ابن الشيخ عبدالله بن يوسف الجويني ثم النيسابوري، إمام الحرمين وشيخ الشافعية، ومن كبار أئمة الأشاعرة. سمع الحديث وتفقه على والده وغيره، وله مصنفات؛ منها «نهاية المطلب»، «الإرشاد في أصول الدين»، «الرسالة النظامية» وغيرها ، توفي سنة ثمان وسبعين وأربع مائة. انظر: تبيين كذب المفتري ٢٧٨-٢٨٧، البداية والنهاية ١٢/ ١٣٦-١٣٧، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٦٨-٤٧٧.

(٢) سبق ترجمته ص٨٣٥ .

(٣) في م، ط (إلا).

(٤) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لشيخ الإسلام ٢/ ٢٩٢ .

(٥) في الأصل (في افعاله جملاً) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) في الأصل (شهد) والصواب ما أثبته، وهو من باقي النسخ.

(٧) في (ط) (وعدله).

(٨) ما بينهما مكرر في الأصل.

ببطلانه. وإنما نبهنا على بعض طرق القرآن، وإلا فالأدلة التي تضمنها[١] إثبات ذلك أضعاف أضعاف ما ذكرنا، وبالله التوفيق.

فصل

وكيف يتوهم ذو فطرة صحيحة خلاف ذلك، وهذا الوجود شاهد بحكمته وعنايته بخلقه أتم عناية، وما في مخلوقاته من الحكم والمصالح والمنافع والغايات المطلوبة والعواقب الحميدة أعظم من أن يحيط به وصف، أو يحصره عقل. ويكفي الإنسان فكره في نفسه وخلقه وأعضائه ومنافعها وقواه وصفاته وهيئاته. فإنه لو استنفد عمره لم يحط علماً بجميع ما تضمنه خلقه من الحكم والمنافع على التفصيل. والعالم كله علويه وسفليه بهذه المثابة، ولكن لشدة ظهور الحكمة ووضوحها، وجد الجاحد السبيل إلى إنكارها، وهذا شأن النفوس الجاهلة الظالمة، كما أنكرت وجود الصانع تعالى مع فرط ظهور آياته ودلائل ربوبيته، بحيث استوعبت كل موجود، ومع هذا فسمحت بالمكابرة في إنكاره.

وهكذا أدلة علوه سبحانه فوق مخلوقاته مع شدة ظهورها وكثرتها سمحت نفوس (الجهمية)[٢] (بإنكارها)[٣].

وهكذا شواهد (صدق)[٤] أنبيائه ورسله، ولاسيما خاتمهم صلوات الله وسلامه عليه، فإن أدلة صدقه في الوضوح للعقول كالشمس في دلالتها على

---

(١) في الأصل (على إثبات).

(٢) سبق تعريفها ص١٠٠٦ .

(٣) ساقطة من م.

(٤) في باقي النسخ (سواها كصدق) .

النهار، ومع هذا فلم (يأنف)[1] الجاحدون والمكابرون من الإنكار.

وهكذا أدلة ثبوت صفات الكمال لمعطي الكمال هي من أظهر الأشياء وأوضحها، وقد أنكرها من أنكرها، ولا يستنكر هذا، فإنك تجد الرجل منغمساً في النعم وقد أحاطت به من كل جانب، وهو يشتكي حاله ويسخط (بما)[2] هو فيه، وربما أنكر النعمة. فضلال النفوس وغيها لا حد له تنتهي إليه، ولا سيما النفوس الجاهلة الظالمة.

ومن أعجب العجب أن تسمح نفس بإنكار الحكم والعلل الغائية والمصالح التي تضمنتها هذه الشريعة الكاملة، التي هي من أدل الدلائل على صدق من جاء بها، وأنه رسول الله حقاً، ولو لم يأت بمعجزة سواها لكانت كافية شافية، فإن ما تضمنته من الحكم والمصالح والغايات الحميدة والعواقب السديدة شاهدة بأن الذي شرعها وأنزلها أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين، وشهود ذلك في تضاعيفها ومضمونها كشهود الحكم والمصالح والمنافع في المخلوقات العلوية والسفلية، وما بينهما من الحيوان والنبات والعناصر والآثار، التي بها انتظام مصالح المعاش. فكيف يرضى أحد لنفسه إنكار ذلك وجحده.

[ومن][3] تجمل واستحى من العقلاء قال: ذلك أمر اتفاقي غير مقصود (بالخلق والأمر)[4] . وسبحان الله! كيف يستجيز أحد أن يظن برب العالمين وأحكم الحاكمين أنه يعذب كثيراً من خلقه بأشد العذاب الأبدي لغير غاية

(١) في الأصل (يأنفه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في الأصل (ما) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) في جميع النسخ (وإن).

(٤) في ط (الأمر والخلق.

ولا حكمة ولا سبب؟ وإنما هو محض مشيئة مجردة عن الحكمة والسبب، فلا سبب هناك ولا حكمة ولا غاية، وهل هذا إلا من أسوأ الظن بالرب تعالى؟

وكيف يستجير أن يظن بربه أنه أمر ونهى، وأباح وحرم، وأحب وكره، وشرع الشرائع، وأمر بالحدود لا لحكمة (ولا لمصلحة)[١] بقصدها، بل ما ثَـمَّ إلا مشيئة محضة رجحت مثلاً على مثل بغير مرجح، وأي رحمة تكون في هذه الشريعة؟

[وكيف يكون المبعوث بها رحمة مهداة للعالمين لو كان الأمر كما يقول النفاة][٢] (وهل)[٣] يكون الأمر والنهي إلا عقوبة وكلفة وعبثاً، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

ولو ذهبنا نذكر ما يطلع عليه أمثالنا من حكمة الله في خلقه وأمره، لزاد ذلك على عشرة آلاف موضع، مع قصور أذهاننا، ونقص (علومنا)[٤] ومعارفنا، وتلاشيها، بل وتلاشي علوم الخلائق جميعهم في علم الله كتلاشي ضوء السراج في عين الشمس. وهذا تقريب، وإلا فالأمر فوق ذلك.

وهل (إبطال)[٥] الحكم والمناسبات والأوصاف التي شرعت الأحكام لأجلها إلا إبطال للشرع جملة؟

وهل يمكن فقيهاً على وجه الأرض أن يتكلم في الفقه مع اعتقاده بطلان الحكمة والمناسبة والتعليل وقصد الشارع بالأحكام مصالح العباد؟

---

(١) في (ط) (ولا مصلحة).

(٢) ما بينهما زيادة من باقي النسخ.

(٣) في الأصل (وكيف) والأولى ما أثبته وهو من باقي النسخ.

(٤) في ط (عقولنا).

(٥) في ط (إبطاله).

وجناية هذا القول على الشرائع من أعظم الجنايات، [فإن العقلاء][(١)] لا يمكنهم إنكار الأسباب والحكم والمصالح والعلل الغائية، فإذا رأوا أن هذا لا يمكن القول به مع موافقة الشرائع، ولا يمكنهم (دفعة)[(٢)] عن نفوسهم، خلوا الشرائع وراء ظهورهم، وأساؤوا بها الظن، وقالوا: لا يمكننا الجمع بينها وبين عقولنا، ولا سبيل لنا إلى الخروج عن عقولنا، ورأوا أن القول بالفاعل المختار لا يمكن إلا مع نفي الأسباب والحكم والقوى والطبائع، ولا سبيل إلى نفيها، (فنفوا)[(٣)] الفاعل (المختار)[(٤)] وأولئك لم يمكنهم القول بنفي الفاعل المختار، ورأوا أنه لا يمكنهم إثباته مع إثبات الأسباب والحكم والقوى والعلل فنفوها. وبين الطائفتين بعد المشرقين[(٥)].

ولا تستهن بأمر هذه المسألة، فإن شأنها أعظم، وخطرها أجل، وفروعها كثيرة (جداً)[(٦)]، ومن فروعها أنهم لما تكلموا فيما يحدثه الله تعالى من المطر والنبات والحيوان، والحر والبرد، والليل والنهار، والإهلال والإبدار[(٧)]،

---

(١) ما بينهما زيادة من باقي النسخ.

(٢) في (م)، (ط) (رفعه).

(٣) في (م) (فنقول).

(٤) ساقطة من (ط).

(٥) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٨/ ٨١-١٥٨.

(٦) ساقطة من (ط).

(٧) بَدَر إلى الشيء: أسرع، وبابه دخل، و(بادر) إليه أيضاً، و(تبادر) القوم: تسارعوا، و(ابتدروا) السلاح: تسارعوا إلى أخذه. وسمي (البدر) بدراً لمبادرته الشمس بالطلوع في ليلته، كأنه يعجلها المغيب، وقيل: سمي به لتمامه. انظر مختار الصحاح ص٣٧.

والكسوف والاستسرار[١]، وحوادث الجو وحوادث الأرض، انقسموا قسمين، وصاروا طائفتين[٢].

فطائفةٌ جعلت الموجب لذلك مجرد ما رأوه علة وسبباً من الحركات الفلكية والقوى الطبيعية والنفوس والعقول، فليس عندهم لذلك فاعل مختار مريد.

وقابلهم طائفة من المتكلمين، فلم (يثبتوا)[٣] لذلك سبباً إلا مجرد المشيئة والقدرة، وأن الفاعل المختار يرجح مثلاً على مثل بلا مرجح ولا سبب ولا حكمة ولا غاية يفعل لأجلها، ونفوا الأسباب والقوى والطبائع (والغرائز)[٤] والحكم والغايات، حتى يقول من أثبت الجوهر الفرد[٥] منهم: إن الفلك والرحى ونحوهما مما يدور (متفكك عند الدوران دائماً)[٦]،

(١) الاستسرار (اسْتَسَرَّ): استتر وخفي. يقال: استسر القمر: خفي ليلة السرار، وربما ليلة، وربما كان ليلتين. واستسر الأمر، وفلاناً: ألقى إليه سره.

(٢) الطائفتان: الفلاسفة والمتكلمون.

(٣) في (ط) (يسبوا).

(٤) ف (ط) (القرائن).

(٥) الجَوهَرُ: ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع، وهو منحصر في خمسة: هيولي ، وصورة ، وجسم ، ونفس ، وعقل . والجوهر ينقسم إلى بسيط روحاني، كالعقول والنفوس المجردة، وإلى بسيط جسماني كالعناصر، وإلى مركب في العقل دون الخارج كالماهيات الجوهرية المركبة من الجنس، والفعل، وإلى مركب منهما كالمولدات الثلاثة. و(الفرد) ما يتناول شيئاً واحداً دون غيره.

انظر: المواقف في علم الكلام ص ١٨٢، التعريفات للجرجاني ص ٧٩، ١٤٩.

وقيل في المعجم الوسيط ص ١٤٩: (الجوهر) جوهر الشيء: حقيقته وذاته.

(٦) في (ط) (متفكك دائماً عن الدوران).

والقادر المختار يعيده كل وقت كما كان، وإن الألوان والمقادير والأشكال والصفات تعدم على تعاقب الآنات، والقادر المختار يعيدها كل وقت، وإن ملوحة ماء البحر كل لحظة تعدم وتذهب، ويعيدها القادر المختار، كل ذلك بلا سبب ولا حكمة ولا علة غائبة، ورأوا أنهم لا يمكنهم التخلص من قول الفلاسفة أعداء الرسل إلا بذلك، ورأى أعداء الرسل أنهم لا يمكنهم الدخول في الشريعة إلا بالتزام أصول هؤلاء.

ولم تهتد الطائفتان للحق الذي لا يجوز غيره، وهو أنه سبحانه يفعل بمشيئته وقدرته وإرادته، ويفعل ما يفعله بأسباب وحكم وغايات محمودة، وقد أودع العالم من القوى والطبائع والغرائز والأسباب والمسببات ما به قام الخلق والأمر. وهذا قول جمهور (أهل)[1] الإسلام، وأكثر طوائف النظار، وهو قول الفقهاء قاطبة إلا من خلى الفقه ناحية وتكلم بأصول النفاة، فعادى فقهه أصول دينه.

* * *

---

(١) في الأصل (هل) والصواب ما أثبته.

الباب الثالث والعشرون

في استيفاء شبه النافين للحكمة والتعليل وذكر الأجوبة عنها

الباب (الثالث)[١] والعشرون

في استيفاء شبه النافين للحكمة والتعليل وذكر الأجوبة عنها

قال النفاة: قد أجلبتم علينا بما استطعتم من خيل الأدلة ورَجِلِها، فاسمعوا الآن ما يبطله، ثم أجيبوا عنه إن أمكنكم الجواب. فنقول ما قاله أفضل متأخريهم محمد بن عمر الرازي[٢]: كل من فعل فعلاً لأجل تحصيل مصلحة أو لدفع مفسدة، فإن كان تحصيل تلك المصلحة أولى من عدم تحصيلها، كان ذلك الفاعل قد استفاد بذلك الفعل تحصيل ذلك.

ومن كان كذلك كان ناقصاً بذاته مستكملاً بغيره، وهو في حق الله محال. وإن كان تحصيلها وعدمه بالنسبة إليه سواءً، فمع ذلك لا يحصل الرجحان، فامتنع تحصيلها.

ثم أورد سؤالاً وهو لا يقال حصولها (واللاحصولها)[٣] بالنسبة إليه، وإن كان (عند)[٤] التساوي إلى حصولها للعبد أولى من عدم حصولها له، فلأجل هذه الأولوية العائدة إلى العبد (يرجح)[٥] الله سبحانه الوجود على العدم.

ثم أجاب بأنا نقول: تحصيل تلك المصلحة وعدم تحصيلها له إما أن يكونا متساويين إلى الله أو لا يستويان، وحينئذ يعود التقسيم المذكور.

قال المثبتون: الجواب عن هذه الشبه من وجوه:

---

(١) في المطبوعة (الثاني والعشرون) والصواب ما أثبته.

(٢) سبقت ترجمته ص ٨٣٥.

(٣) في الأصل، (م) (وإن لا حصول لها) والصواب ما أثبته، وهو من (ط).

(٤) في (م)، (ط) (على).

(٥) في الاصل (فرجح) والصواب ما أثبته من م، ط.

أحدها: أن قولك[١] إن كل من فعل لغرض يكون ناقصاً بذاته مستكملاً بغيره.

ما تعني بقولك إنه يكون ناقصاً بذاته؟ أتعنى به أنه يكون عادماً لشيء من الكمال الذي (كان)[٢] يجب أن يكون له قبل حدوث ذلك المراد؟ أم تعني به أن يكون عادماً لما ليس كمالاً قبل وجوده؟ أم تعني به معنى ثالثاً؟

فإن عنيت الأول لدعوى باطلة، فإنه لا يلزم من فعله لغرض حصوله أولى من عدمه أن يكون عادماً لشيء من (الكمال)[٣] الواجب قبل حدوث المراد، فإنه يمتنع أن يكون كمالاً قبل حصوله. وإن عنيت الثاني، لم يكن عدمه نقصاً، فإن الغرض (أنه)[٤] ليس كمالاً قبل وجوده، وما ليس بكمال في وقت، لا يكون عدمه نقصاً فيه، فما كان قبل وجودِه عدمُه أولى من وجوده، وبعد وجودِه وجودُه أولى من عدمه، لم يكن عدمه قبل وجوده نقصاً، ولا وجوده بعد عدمه نقصاً، بل الكمال عدمه قبل وقت وجوده، ووجوده وقت وجوده، وإذا كان كذلك، فالحكم المطلوبة والغايات من هذا النوع وجودها وقت وجودها هو الكمال، وعدمها حينئذ نقص، وعدمها وقت عدمها كمال، ووجوجها حينئذ نقص. وعلى هذا فالنافي هو الذي نسب النقص إلى الله لا المثبت. وإن عنيت به أمراً ثالثاً، فلابد من بيانه حتى ننظر فيه.

الجواب الثاني: أن قولك: يلزم أن يكون ناقصاً بذاته مستكملاً بغيره؛ أتعني به أن الحكمة التي يجب (وجودها)[٥] إنما حصلت له من شيء خارج

---

(١) يعني الرازي.

(٢) في ط (لا).

(٣) ساقطة من (م).

(٤) ساقطة من (م)، (ط).

(٥) في الأصل (وجوها) والصواب ما أثبته وهو من باقي النسخ.

عنه؟ أم تعني (به)[١] أن تلك الحكمة نفسها غيرٌ له وهو مستكمل بها؟ فإن عنيت الأول فهو باطل، فإنه لا رب غيره ولا خالق سواه، ولم يستفد سبحانه من غيره كمالاً بوجه من الوجوه، بل العالم كله إنما استفاد الكمال الذي فيه منه سبحانه، وهو لم يستفد كماله من غيره، كما لم يستفد [وجوده من غيره. وإن عنيت الثاني فتلك الحكمة صفته سبحانه وصفاته ليست][٢] غيراً له، فإن حكمته قائمة به، وهو الحكيم الذي له الحكمة، كما أنه العليم الذي له العلم، والسميع الذي له السمع، والبصير الذي له البصر، فثبوت حكمته لا يستلزم استكماله بغير منفصل عنه، كما أن كماله سبحانه بصفاته، وهو لم يستفدها من غيره.

الجواب الثالث: أنه سبحانه إذا كان إنما يفعل لأجل أمر هو أحب إليه من عدمه، كان اللازم من ذلك حصول مراده الذي يحبه وفعله لأجله، وهذا غاية الكمال، وعدمه هو النقص، فإن من كان قادراً على تحصيل ما يحبه، وفعله في الوقت الذي يحب، على الوجه الذي يحب، فهو الكامل حقاً، لا من لا محبوب له، أو له محبوب لا يقدر على فعله.

الجواب الرابع: أن يقال: أنت ذكرت[٣] في كتبك أنه لم يقم على نفي النقص عن (الله)[٤] دليل عقلي[٥]، واتبعت في ذلك الجويني[٦] وغيره، وقلتم:

(١) ما بينهما ساقط من (م)، (ط).

(٢) ما بينهما زيادة من باقي النسخ.

(٣) يقصد محمداً بن عمر الرازي، سبقت ترجمته ص٨٣٥.

(٤) مكررة في (م).

(٥) انظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ٢/ ٢٩٢، نهاية العقول للرازي ص.

(٦) هو أبو المعالي الجويني سبقت ترجمته ص١٠٧٩.

إنما ينفى النقص (عن الله)[١] عز وجل بالسمع، وهو الإجماع، فلم تنفوه عن الله عز وجل بالعقول، ولا بنص منقول عن الرسول ﷺ بل بما ذكرتموه من الإجماع، وحينئذ فإنما ينفى بالإجماع ما انعقد الإجماع على نفيه، والفعل بحكمه لم ينعقد الإجماع على نفيه، فلم تجمع الأمة على انتفاء التعليل لأفعال الله.

فإذا سميت أنت ذلك نقصاً، لم تكن هذه التسمية موجبة لانعقاد الإجماع على نفيها. فإن قلت أهل الإجماع أجمعوا على نفي النقص، وهذا نقص. قيل: [نعم][٢]، الأمة مجمعةٌ على ذلك، ولكن الشأن (في هذا الوصف المعين)[٣] [أهو][٤] نقص قد أجمعت على نفيه؟ فهذا أول المسألة. والقائلون بإثباته ليس هو عندهم نقصاً، بل هو عين الكمال، ونفيه عين النقص.

وحينئذ فنقول في **الجواب الخامس**: إن إثبات الحكمة كمال كما تقدم تقريره، ونفيه نقص، والأمة مجمعة على انتفاء النقص عن الله، بل العلم بانتفاء (النقص عنه)[٥] تعالى من (أجل)[٦] العلوم الضرورية المستقرة في فطر الخلق، فلو كانت أفعاله معطلة عن الحكم والغايات المحمودة لزم النقص، وهو محال، ولزوم النقص من انتفاء الحكم أظهر في العقول والفطر والعلوم الضرورة والنظرية من لزوم النقص من إثبات ذلك.

---

(١) في ط (عنه).

(٢) زيادة من باقي النسخ.

(٣) في (ط) (في أن هذا الوصف المعني).

(٤) زيادة من (ط).

(٥) في ط (بانتفائه عن الله).

(٦) في (م)، (ط) (أعلى).

وحينئذ فنقول في **الجواب السادس**: النقص إما أن يكون جائزاً أو ممتنعاً، فإن كان جائزاً بطل دليلك، وإن كان ممتنعاً بطل دليلك أيضاً، فبطل الدليل على التقديرين.

الجواب السابع: أن النقص منتف عن الله عز وجل عقلاً كما هو منتف عنه سمعاً، والعقل [والنقل][1] يوجب اتصافه بصفات الكمال، والنقص هو ما يضاد صفات الكمال. فالعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام والحياة صفات كمال، وأضدادها نقص، فوجب تنزيهه عنها لمنافاتها لكماله، وأما حصول ما يحبه الرب تعالى في الوقت الذي يحبه، فإنما يكون كمالاً إذا حصل على الوجه الذي يحبه، فعدمه قبل ذلك ليس نقصاً، إذ كان لا يحب وجوده قبل ذلك.

الجواب الثامن: أن يقال: الكمال الذي يستحقه سبحانه وتعالى هو الكمال الممكن أو الممتنع. فالأول مسلَّم، والثاني باطل قطعاً، فلم قلت: إن وجود الحادث في غير وقته الذي وجد فيه ممكن، بل وجود الحادث في الأزل ممتنع، فعدمه لا يكون نقصاً؟

الجواب التاسع: أن عدم الممتنع لا يكون كمالاً، فإن الممتنع ليس بشيء في الخارج، وما ليس بشيء لا يكون عدمه نقصاً، فإنه (إذا)[2] كان في المقدور ما لا يحدث إلا شيئاً بعد شيء، كان وجوده في الأزل ممتنعاً، فلا يكون عدمه نقصاً، وإنما يكون الكمال وجوده حين يمكن وجوده.

الجواب العاشر: أن يقال: (لا ريب)[3] أنه تعالى أحدث أشياء بعد أن لم

---

(١) زيادة من (ط).

(٢) في (م)، (ط) (إن).

(٣) ساقطة من (ط).

يكن محدثاً لها كالحوادث المشهودة، حتى يقال: إن القائلين[١] بكون الفلك قديماً عن علة موجبة يقرون بذلك، ويقولون إنه يحدث الحوادث بواسطته، وحينئذ فنقول: هذا الإحداث إما أن يكون صفة كمال [وإما أن لا يكون، فإن كان صفة كمال، فقد كان فاقداً لها قبل ذلك. وإن لم يكن صفة كمال][٢] فقد اتصف بالنقص. فإن قلت: نحن نقول بأنه ليس صفة كمال ولا نقص، قيل: فهلا قلتم ذلك في التعليل!؟

وأيضاً، فهذا محال في حق الرب تعالى، فإن كل (ما يفعله)[٣] يستحق عليه الحمد، وكل ما يقوم (به)[٤] من صفاته، فهو صفة كمال، وضده نقص. وقد ينازع (النظار) في الفاعلية: هل هي صفة كمال أم لا؟ وجمهور المسلمين من جميع الفرق يقولون هي صفة كمال وقالت طائفة ليست صفة كمال ولا نقص، وهو قول (أكثر الأشعرية)[٥]. فإذا التزم هذا القول، قيل له:

---

(١) وهم الفلاسفة سبق تعريفهم ص١٠٠٣.

(٢) ما بينهما زيادة من باقي النسخ.

(٣) في الأصل (ما نفعله) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) في (ط) يكون

(٥) الأشعرية: فرقة تنسب إلى علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم، المشهور بأبي الحسن الأشعري، نسبة إلى أبي موسى الأشعري صاحب رسول ﷺ ولد سنة (٢٦٠هـ)هـ وكان آية في الذكاء والفهم، له مصنفات كثيرة، أوصلها بعضهم إلى ثلاثمائة مصنف. توفي رحمه الله سنة (٣٢٤ هـ) وكان على مذهب المعتزلة ثم تركه ورد عليهم فانتشر مذهبه. وتنسب إليه الأشاعرة، ولكنه في المرحلة الثالثة والأخيرة من حياته رجع إلى قول الحق « قول أهل السنة » في الجملة في كتابه (الإبانة عن أصول الديانة) وله (مقالات الإسلاميين) وغيرها كثير جداً. والأشاعرة فرقة مشهورة منتشرة في العالم الإسلامي، وهي مخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة في مسمى الإيمان والصفات وتقديم العقل على النقل، والقول بأن أفعال العباد مخلوقة لله، وهي كسب لهم . =

الجواب من وجهين[(١)]:

أحدهما: أن من المعلوم بصريح العقل أن من يخلق أكمل ممن لا يخلق، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل/ ١٧] وهذا استفهام إنكار يتضمن الإنكار على من سوّى بين الأمرين، يعلم أن أحدهما أكمل من الآخر قطعاً. ولا ريب أن تفضيل من يخلق على من لا يخلق في الفطر والعقول كتفضيل من يعلم على من لا يعلم، ومن يقدر على من لا يقدر، ومن يسمع ويبصر على من (ليس كذلك)[(٢)].

ولما كان هذا مستقراً في فطر بني آدم جعله الله تعالى من (أدلة)[(٣)] توحيده وحججه على عباده. قال تعالى: ﴿۞ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٧٥ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل/ ٧٥، ٧٦]. وقال تعالى: ﴿(قُلْ)[(٤)] هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا

= وأشهر علماء الأشاعرة: الباقلاني، والجويني، ومن أشهر كتبهم التمهيد للباقلابي، والشامل للجويني والمواقف لعضد الدين الإيجي. انظر: تبيين كذب المفتري ص٣٤، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٨٥-٩٠، طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ٢٤٥-٢٩٧.

(١) لم يذكر المصنف إلا وجهاً واحداً.

(٢) في ط (لا يسمع ولا يبصر).

(٣) في ط (آله).

(٤) ساقطة من (ط).

يَعۡلَمُونَۗ ﴾ [الزمر/ ٩]. وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ ۝٢١ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ ﴾ [فاطر/ ١٩-٢٢] . وقال تعالى: ﴿۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [هود/ ٢٤].

فمن سوَّى بين صفة الخالقية وعدمها، فلم يجعل وجودها كمالاً ولا عدمها نقصاً، فقد أبطل حجج الله وأدلة توحيده، وسوَّى بين ما جعل (الله)[١] بينهما أعظم التفاوت.

وحينئذ فنقول في **الجواب الحادي عشر**: إذا كان الأمر كما ذكرتم، فلم لا يجوز أن يفعل لحكمة يكون وجودها وعدمها بالنسبة إليه سواءً، كما أنه عندكم [لم][٢] يحدث ما يحدثه مع كون الإحداث والخلق وعدمه بالنسبة إليه سواء، (فإنكم إذا جعلتموه فاعلاً بالإرادة ووجود المراد وعدمه بالنسبة إليه سواء)[٣] مع أن هذه إرادة لا تعقل في الشاهد، فقولوا مثل ذلك في الحكمة. وإن (كان)[٤] ذلك لا يعقل، لا سيما والفعل عندكم هو المفعول المنفصل، فجوزوا أيضاً أن يفعل لحكمة منفصلة، وأنتم إنما قلتم ذلك فراراً من قيام الحوادث به ومن التسلسل، فكذلك فقولوا بنظير ذلك في الحكمة، والذي يلزم أولئك، فهو نظير ما يلزمكم سواء.

---

(١) ساقطة من (م) (ط).

(٢) زيادة من باقي النسخ.

(٣) ما بينهما ساقط من (م)، (ط).

(٤) ساقطة من م، ط.

الجواب الثاني عشر: أن يقال: العقل الصريح يقضي بأن ([من][1]) لا حكمة لفعله ولا غاية يقصدها به أولى بالنقص ممن يفعل لحكمة كانت معدومة، ثم صارت موجودة في الوقت الذي اقتضت حكمته إحداث الفعل فيه، فكيف يسوغ لعاقل أن يقول فعله للحكمة يستلزم النقص، وفعله لا لحكمة لا نقص فيه.

الجواب الثالث عشر: أن هؤلاء النفاة يقولون: إنه سبحانه يفعل ما يشاء من غير اعتبار حكمة، فيجوزون عليه كل ممكن، حتى الأمر بالشرك والكذب والظلم والفواحش والنهي عن التوحيد والصدق والعدل والعقاب.

وحينئذ فنقول: إذا جازت عليه هذه المرادات، وليس في إرادتها نقص (لواردها، استحال أن يكون في شيء من المرادات نقص)[2] وهذا مراد، فلا نقص فيه، فقولهم: من فعل شيئاً لشيء كان ناقصاً بدونه قضية كلية ممنوعة العموم، وعمومها أولى بالمنع من قول القائل: من أكرم أهل الجهل والظلم والفساد، وأهان أهل العلم والعدل والبر، كان سفيهاً جائراً. وهذا عند النفاة جائز على الله، ولم يكن به سفيهاً جائراً.

وكذلك قول القائل: من أرسل إماءه وعبيده يفجر بعضهم ببعض ويقتل بعضهم بعضاً، وهو قادر على أن يكفهم، كان سفيهاً، والله (عندهم)[3] قد فعل ذلك، ولم يدخل في عموم هذه القضية، فكذا القضية الكلية[4] التي ادعوا ثبوتها في محل النزاع أولى أن تكون باطلة منتقضة.

---

(١) زيادة من باقي النسخ.

(٢) ما بينهما ساقط من (ط).

(٣) ساقطة من ط.

(٤) يعني قوله: (من فعل شيئاً لشيء كان ناقصاً بدونه).

الجواب الرابع عشر: أنه لو سلم لهم أنه مستكمل بأمر حادث، لكان هذا من الحوادث المرادات، وكل ما هو حادث مراد عندهم، فليس بقبيح، فإن القبح عندهم ليس إلا مخالفة الأمر والنهي، والله ليس فوقه آمر ولا ناه، فلا ينزه عندهم عن شيء من الممكنات البتة، إلا (ما أخبر بأنه)[١] لا يكون، فإنهم ينزهون عن كونه (لمخالفة خبره لا)[٢] لمخالفة حكمته، والقبيح عندهم هو الممتنع الذي [لا][٣] يدخل تحت القدرة، وما دخل تحت القدرة لم يكن قبيحاً، ولا مستلزماً نقصاً عندهم.

وجماع ذلك بالجواب الخامس عشر: أنه ما من محذور يلزم من تجويز فعله لحكمة، إلا والمحاذير التي يلزم من كونه يفعل لا لحكمة أعظم امتناعاً، فإن كانت تلك المحاذير غير ممتنعة كانت محاذير إثبات الحكمة أولى بعدم الامتناع، وإن كانت محاذير إثبات الحكمة ممتنعة، فمحاذير نفيها أولى بالامتناع.

الجواب السادس عشر: أن فعل الحي العالم الاختياري، لا لغاية ولا لغرض يدعوه إلى فعله، لا يُعقَلُ، بل هو من الممتنعات. ولهذا لا يصدر إلا من مجنون أو نائم أو زائل العقل؛ فإن (الحكمة)[٤] والعلة الغائية هي التي تجعل المريد مريداً، فإنه إذا علم بمصلحة الفعل ونفعه وغايته انبعثت إرادته إليه، فإذا لم يعلم في الفعل مصلحة، ولا كان له فيه غرض صحيح ولا داع يدعوه (إليه)[٥] (البتة)[٦] فلا يقع منه إلا على سبيل العبث.

---

(١) في الأصل، (م) (ما أخبرنا به).
(٢) ما بينهما ساقط من (م)، (ط).
(٣) زيادة من باقي النسخ.
(٤) في الأصل (الحكم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.
(٥) ساقطة من (م).
(٦) ساقطة من (ط).

هذا الذي لا يعقل العقلاء سواه. وحينئذ فنفي الحكمة والعلة (الغائبة)[١] عن فعل (أحكم)[٢] الحاكمين نفي لفعله الاختياري في الحقيقة، وذلك أنقص النقص. وقد تقدم تقرير ذلك، وبالله التوفيق.

فصل

قال نفاة الحكمة: هب أن (هذه)[٣] الحجة بطلت، فلا يلزم من بطلان دليل (تعين معنى)[٤] بطلان الحكم. فنحن نذكر حجة غيرها، فنقول: لو كان فعله تعالى معللاً بعلة، فتلك العلة إن كانت قديمة، لزم من قدمها قدم الفعل وهو محال، وإن كانت محدثة، افتقر كونه موجداً لتلك العلة إلى علة أخرى وهو محال، وهذا معنى قول القائل: علة كل شيء صنعه، ولا علة لصنعه.

قالوا: ونحن نقرر هذه الحجة تقريراً أبسط من هذا، فنقول: لو كان فعله تعالى لحكمة، فتلك الحكمة إما قديمة أو محدثة.

فإن كانت قديمة، فإما أن يلزم من قدمها قدم الفعل أو لا يلزم، فإن لزم فهو محال؛ (لأن القدم والفعل متنافيان، وإن لم يلزم من قدمها قدم الفعل كانت موجودة بدون الفعل)[٥] وإن لم يلزم القدم (والفعل موجود بدونها، فالحكمة غير حاصلة من ذلك الفعل)[٦] لحصوله دونها، وما لا تكون الحكمة متوقفة على حصوله، لا يكون متوقفاً عليها، وهو المطلوب.

---

(١) في ط (والغاية).

(٢) ساقطة من (م).

(٣) ساقطة من (م)، (ط).

(٤) ما بينهما ساقطة من (ط)، (ك).

(٥) ما بينهما ساقط من (ط).

(٦) ما بينهما زيادة من باقي النسخ.

وإن كانت الحكمة حادثة بحدوث الفعل، فإما أن تفتقر إلى فاعل، أو لا تفتقر إلى فاعل، فإن لم تفتقر لزم حدوث (حادث)[١] من غير فاعل وهو محال، وإن افتقرت إلى فاعل، فذلك الفاعل إما أن يكون هو الله أو غيره، ولا يجوز أن يكون غيره؛ لأنه لا خالق إلا الله، وإن كان هو الله فإما أن يكون له في فعله غرض أو لا غرض له فيه، فإن كان الأول، فالكلام فيه كالكلام في الأول، ويلزم التسلسل، وإن كان الثاني، فقد خلا فعله عن الغرض، وهو المطلوب.

فإن قلت: فعله لذلك الغرض لغرض هو نفسه، فما خلا عن غرض ولم يلزم التسلسل، قلنا: فيلزم مثله في كل مفعول مخلوق، وهو أن يكون الغرض منه هو نفسه من غير حاجة إلى غرض آخر، وهوالمطلوب. فهذه حجة باهرة وافية بالغرض. قال أهل الحكمة: بل هي حجة داحضة باطلة من [وجوه][٢] والجواب عنها من (وجوه)[٣].

الجواب الأول: أن نقول: لا يخلو: إما [أن يمكن][٤] أن يكون الفعل قديم العين، أو قديم النوع، أو لا يمكن واحد منهما، فإن أمكن أن يكون قديم العين أو النوع، أمكن في الحكمة التي يكون الفعل لأجلها أن تكون كذلك. وإن لم يمكن أن يكون الفعل قديم العين ولا النوع، فيقال: إذا كان فعله حادث العين أو النوع، كانت الحكمة كذلك، فالحكمة [يحذى][٥] بها حذو الفعل، فما جاز عليه جاز عليها، وما امتنع عليه امتنع عليها.

---

(١) ساقط من (م)، (ط).

(٢) زيادة من باقي النسخ.

(٣) ساقطة من (م).

(٤) زيادة من باقي النسخ.

(٥) زيادة من باقي النسخ.

الجواب الثاني: أن من قال: إنه خالق مكون في الأزل لما لم يكن بعد، قال: قولي هذا كقول من قال: هو مريد في الأزل لما لم يكن بعد. (فقولي)(١) بقدم كونه فاعلاً كقول هؤلاء بقدم كونه مريداً، وعلى هذا فيمكنني أن أقول [بقدم](٢) الحكمة التي يخلق (ويريد)(٣) لأجلها، ولا يلزم من قدم الحكمة قدم المفعول، كما لم يلزم من قدم (الإرادة)(٤) قدم المراد، وكما لم يلزم من قدم صفة التكوين قدم المكون، فقولي في قدم الحكمة – مع حدوث الفعل – (التي فعل)(٥) لأجلها كقولكم في قدم الإرادة والتكوين سواء، وما لزمني لزمكم مثله، وجوابكم هو جوابي بعينه، ولا يمتنع ذلك على أصول طائفة من الطوائف، فإن من قال من (الفلاسفة)(٦) إن فعله قديم للمفعول (المعين)(٧) يقول: إن الحكمة قديمة، [ومن قال بحدوث نوع الفعل وقيامه بالرب قال ذلك في الحكمة أيضاً (كما يقوله الكرامية)(٨)(٩). ومن قال

(١) في الأصل (يقول) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) زيادة من باقي النسخ.

(٣) في الأصل، (م) (ويرشد) والصواب ما أثبته من (ط).

(٤) في الأصل (الأراد) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) في الأصل (الذب جعل) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) سبق تعريفها ص١٠٠٣ .

(٧) في (ط) (المعنى).

(٨) ما بينهما زيادة من (م)، (ط).

(٩) الكرّامية: هم أتباع أبي عبدالله بن كرّام – بفتح الكاف وتشديد الراء – المتوفى سنة ٢٥٥هـ. وقد كان ممن يثبت الصفات، إلا أنه ينتهي فيها إلى التجسيم والتشبيه. وهم يوافقون السلف في إثبات القدر والقول بالحكمة، لكنهم يوافقون المعتزلة في وجوب معرفة الله بالعقل، وفي الحسن والقبيح العقليين، كما أنهم يزعمون أن الإيمان هو =

بـحدوث نوع الفعل وعدم قيامه بالرب يقول ذلك في الحكمة أيضاً[١] كما يقوله كثير من النظار، فلا يمتنع على أصل طائفة من الطوائف إثبات الحكمة في فعله سبحانه.

الجواب الثالث: قولك: يفتقر كونه محدثاً لتلك العلة إلى علة أخرى ممنوع، فإن هذا إنما يلزم أن لو قيل: كل حادث فلا بد له من علة ونحن لا نقول هذا، بل نقول يفعله لحكمة. ومعلوم أن المفعول لأجله مراد للفاعل محبوب (إليه)[٢] والمراد المحبوب تارة يكون مراداً لنفسه وتارة يكون مراداً لغيره، والمراد لغيره لابد أن ينتهي إلى المراد لنفسه قطعاً للتسلسل، وهذا كما نقوله في خلقه بالأسباب أنه يخلق كذا بسبب كذا وكذا بسبب كذا، حتى ينتهي الأمر إلى أسباب لا سبب لها سوى مشيئة الرب، فكذلك يخلق لحكمة، وتلك الحكمة لحكمة، حتى ينتهي الأمر إلى[٣] حكمة لا حكمة فوقها.

الجواب الرابع: أن النفاة يقولون: كل مخلوق فهو مراد لنفسه لا لغيره وحينئذ فلا يمتنع أن يكون بعض المخلوقات مراداً لغيره، وينتهي الأمر إلى مراد لنفسه، بل هذا أولى بالجواز من جعل كل مخلوق مراداً لنفسه، وكذلك في الأمر يكون مراداً لغيـره حتى ينتهي إلى أمر مراد لنفسه (وكذلك المحبوبات يكون المحبوب محبوباً لغيره حتى ينتهي إلى محبوب لنفسه)[٤].

= الإقرار والتصديق باللسان دون القلب. وأنكروا أن يكون معرفة القلب أو شيء غير التصديق باللسان إيماناً.. وغير ذلك. انظر: مقالات الإسلاميين ص١٤١، الملل والنحل ١/ ١٤٤، الفرق بين الفرق ص ٢١٥ ، البداية والنهاية ١١/ ٢٢ .

(١) ما بينهما ساقط من (ط).

(٢) في (ط) (له).

(٣) في الأصل (إلى كل مخلوق) ورجحت أن الصواب حذفها.

(٤) ما بينهما ساقط من (ط).

الجواب الخامس: أن يقال: غاية ما ذكرتم أنه يستلزم التسلسل، ولكن أي نوعي التسلسل هو اللازم؟ التسلسل الممتنع أو الجائز؟ فإن عنيتم الأول منع اللزوم، وإن عنيتم الثاني منع انتفاء اللازم، فإن التسلسل في الآثار المستقبلية ممكن، بل واجب، (والتسلسل)[١] في الآثار الماضية فيه قولان للناس، والتسلسل في العلل والفاعلين محال باتفاق العقلاء بأن يكون لهذا الفاعل فاعل قبله (وكذلك)[٢] إلى غير نهاية. وأما أن يكون الفاعل الواحد القديم الأبدي لم يزل يفعل ولا يزال، فهذا غير ممتنع[٣].

إذا عرف هذا، فالحكمة التي لأجلها يفعل الفعل تكون حاصلة بعده. فإذا كان بعدها حكمة أخرى، فغاية ذلك أن يلزم حوادث لا نهاية لها. وهذا جائز بل واجب باتفاق المسلمين، ولم ينازع (فيه)[٤] إلا بعض أهل البدع من الجهمية والمعتزلة[٥].

فإن قيل: فيلزم من هذا أن لا تحصل الغاية المطلوبة أبداً.

قيل: بل اللازم أن لا تزال الغاية المطلوبة حاصلة دائماً، وهو أمر معقول في الشاهد، فإن الواحد من الناس يفعل الشيء لحكمة يحصل بها محبوبه، ثم يلزم من حصول ذلك المحبوب محبوب آخر يفعل لأجله، وهلم جرا، حتى لو تصور دوامه أبداً، لكانت هذه حاله وكماله، فلم تزل محبوباته تحصل شيئاً

---

(١) ساقطة م، ط

(٢) في (ط) (وكذلك ما قبله).

(٣) انظر شرح الطحاوية ص ١٣٠

(٤) ساقطة من (م، ط).

(٥) انظر مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ٨/ ١٤٧ - ١٥٨.

بعد شيء، وهذا هو الكمال الذي (لا ينبغي إلا لله سبحانه وتعالى، فإنه لا يزال مراداً به، ومحابُّه حاصلة على الوجه الذي)[(١)] يريده، مع غناه التام الكامل عن كل ما سواه، وفقر ما سواه إليه من جميع الوجوه، وهل الكمال إلا ذلك، وفواته هو النقص، وهو سبحانه كتب على نفسه الرحمة والإحسان، فرحمته وإحسانه من لوازم ذاته، فلا يكون إلا رحيماً محسناً، وهو سبحانه إنما أمر العباد بما يحبه ويرضاه، وأراد لهم من إحسانه ورحمته ما يحبه ويرضاه.

لكن فرق بين ما يريد هو سبحانه أن يخلقه ويفعله لما يحصل به من الحكمة التي يحبها، فهذا يفعله سبحانه، ولابد من وجوده، وبين ما يريد من العباد أن يفعلوه ويأمرهم بفعله ويحب أن يقع منهم، ولا يشاء خلقه وتكوينه.

ففرق بين ما يريد خلقه وما يأمر به (وقد)[(٢)] لا يريد خلقه، فإن الفرق بين ما يريد الفاعل أن يفعله وما يريد من المأمور أن يفعله فرق واضح، والله سبحانه له الخلق والأمر، فالخلق فعله والأمر قوله، ومتعلَّقه (فعل)[(٣)] عباده، وهو سبحانه قد يأمر عبده، ويريد من نفسه أن يعينه على فعل ما أمره (به)[(٤)] لتحصل حكمته ومحابه من ذلك المأمور به.

وقد يأمره ولا يريد من نفسه إعانته على فعل المأمور لما له من الحكمة التامة[(٥)] في هذا الأمر وهذا الترك، يأمره لئلا يكون له عليه حجة، ولئلا يقول: ما جاءني من نذير، ولو أمرتني لبادرت إلى طاعتك، ولم يرد من نفسه

---

(١) ما بينهما ساقط من (ط).

(٢) ساقطة من م، ط.

(٣) في ط (أفعال).

(٤) ساقطة من م، ط.

(٥) في م، ط (الثانية).

إعانته لأن محله غير قابل لهذه النعمة، والحكمة التامة تقتضي أن لا توضع النعم عند غير أهلها، وأن لا تمنع من أهلها، قال تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح/ ٢٦]. وقال: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام/ ٥٣] وقال: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال/ ٢٣]. ولا يقال: فهلا سوَّى بين خلقه في جعلهم كلهم أهلاً لذلك؟ فإن هذا بمنزلة أن يقال: (هلا)[1] سوى بين صورهم وأشكالهم وأعمارهم وأرزاقهم ومعاشهم؟ وهذا وإن كان ممكناً، فالذي وقع من التفاوت بينهم هو مقتضى حكمته البالغة، وملكه التام وربوبيته. فاقتضت حكمته أن سوى بينهم في الأمر، وفاوت بينهم في الإعانة عليه، كما فاوت بينهم في العلوم والقدر والغنى والحسن والفصاحة وغير ذلك.

والتخصيصاتُ الواقعة في ملكه لا تناقض حكمته، بل هي من أدل شيء على كمال حكمته. ولولاها (لم يعرف)[2] فضله، ومنه قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ (عَلِيمٌ حَكِيمٌ)[3]﴾ [الحجرات/ ٧، ٨] (عليم)[4] بمن يصلح لهذه النعمة، حكيم في وضعها عند أهلها ومنعها غير أهلها.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا

---

(١) في ط (فإن هذا ممكن له. ولا أن يقال فهلا ...)

(٢) في (ط) (لم يظهر).

(٣) ما بينهما لا يوجد في (ط).

(٤) لا توجد في (م).

يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحديد/ ٢٨، ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾[الجمعة ٢ – ٤].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة/ ٥٤].

وقالت الرسل لقومهم: ﴿ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ ﴾[إبراهيم/ ١١].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا (نُزِّلَ)[١] هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾ الآية [الزخرف/ ٣١-٣٢].

وفي حديث مثل (المسلمين)[٢] واليهود والنصارى قال تعالى لأهل الكتاب: هل ظلمتكم من حقكم من شيء؟ قالوا: لا قال، فهو فضلي أوتيه من أشاء[٣]. وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ

(١) في م، ط (أنزل).

(٢) في ط (المؤمنين).

(٣) شطر من حديث أخرجه البخاري في كتاب الإجارة، باب الإجارة إلى نصف النهار، وباب الإجارة إلى صلاة العصر ٣/ ٤٩، ٥٠ .

(عليهم)[(١)] ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء ٦٩-٧٠] أي يعلم أين يضع فضله ومن يصلح له ممن لا يصلح، فلا يمنعه أهله[(٢)]، (ولا يضعه)[(٣)] عند غير أهله، وهذا كثير في القرآن، يذكر أن تخصيصه هو فضله ورحمته، فلو ساوى بين الخلائق لم يعرف قدر فضله ونعمته ورحمته[(٤)].

فهذا بعض ما في تخصيصه من الحكمة، وفي [كتاب][(٥)] الزهد للإمام أحمد[(٦)] أن موسى عليه السلام قال: يا رب، هلا سويت بين عبادك؟ قال: إني أحببت أن أشكر[(٧)].

فمواضع التخصيص ومواقع الفضل (هي)[(٨)] التي يقدح بها نفاة الحكمة، وهي من أدل شيء على كمال حكمته سبحانه، ووضعه للفضل مواضعه، وجعله عند أهله الذين هم أحق به وأولى من غيرهم، وهو الذي جعلهم

---

(١) لا توجد في (م).

(٢) في (م) (بل يمنعه أهله)، وفي ط (بل عيفة غير أهله).

(٣) (مكررة في الأصل).

(٤) انظر: تفسير الطبري ٨/ ٥٣٥، تفسير البغوي ٢/ ٢٤٨.

(٥) زيادة من (ط).

(٦) سبقت ترجمته ص١٤٠.

(٧) ورد هذا الأثر عن آدم عليه السلام بلفظ « رب لولا سويت بين عبادك. قال: إني أحببت أن أشكر » . أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ١٣٥ .
وفي كتاب الزهد لأحمد ص٤٧ قال حدثنا عبد الصمد، حدثنا أبو هلال، حدثنا بكر، قال: لما عرض على آدم ذريته، فرأى فضل بعضهم على بعض قال: « ربي فهلا سويت بينهم، قال: يا آدم إني أحببت أن أشكر » .

(٨) ساقطة من (ط).

كذلك بحكمته وعلمه وعزته وملكه. فتبارك الله رب العالمين، وأحكم الحاكمين، ولا يجب ـ بل لا يمكن ـ المشاركة في حكمته، بل ما حصل للخلائق كلهم من العلم بها كنقرة عصفور من البحر المحيط وأي نقص في دوام حكمته شيئاً بعد شيء كما تدوم إرادته وكلامه وأفعاله وإحسانه وجوده وإنعامه، وهل الكمال إلا في هذا التسلسل؟ فماذا نفر النفاة منه؟ أنفَّرهم أن يقال: لم يزل ولا يزال حياً، عليماً قديراً، حكيماً، متكلماً محسناً، جواداً، ملكاً، موصوفاً بكل كمال، غنياً عن كل ما سواه، لا تنفد كلماته، ولا تناهى حكمته، ولا تعجز قدرته، ولا يبيد ملكه، ولا تنقطع إرادته ومشيئته، بل لم يزل ولا يزال له الخلق والأمر والحكمة والحكم، وهل النقص إلا سلب ذلك (عنه)[١]!؟ والله الموفق بفضله وإعانته.

الجواب السادس: أن الرب تبارك وتعالى إذا خلق شيئاً، فلابد من وجود لوازمه، ولابد من عدم أضداده، فوجود الملزوم بدون لازمه محال، ووجود الضد مع ضده ممتنع. والمحال الممتنع ليس بشيء. ولا يتصور العقل وجوده في الخارج. وإذا كان هذا التسلسل الجائز من لوازم خلقه وحكمته لم يكن في القول (به)[٢] محذور، بل كان المحذور في نفسه (يوضحه)[٣].

الجواب السابع: أنه لم يقم دليل عقلي ولا سمعي على امتناع دوام أفعال الرب في الماضي والمستقبل أصلاً، وكل أدلة النفاة من أولها إلى آخرها باطلة. وقد كفى إبطالها الرازي والآمدي[٤] في أكثر كتبهما وغيرهما. وأما إثبات

(١) زيادة من (ط).

(٢) ساقطة من م، ط.

(٣) زيادة من م، ط.

(٤) هو أبو الحسن علي بن أبي علي، المعروف بسيف الدين الآمدي الشافعي. توفي سنة إحدى وثلاثين وستمائة. انظر: البداية والنهاية ١٣/ ١٥٧، كشف الظنون ١/ ١٧.

الحكمة، فقد قام على صحته العقل والسمع والفطرة وسائر أنواع، كما تقدمت الإشارة إلى بعض ذلك[١]، فكيف يقدح هذا المعلوم الصحيح بذلك النفي، الذي لم يقم على صحته دليل صحيح البتة.

الجواب الثامن: أن التسلسل إما أن يكون ممكناً أو ممتنعاً، فإن كان ممكناً بطل استدلالكم، وإن كان ممتنعاً أمكن أن يقال في دفعه: تنتهي المرادات إلى مراد لنفسه لا لغيره، وينقطع التسلسل.

الجواب التاسع: أن يقال: ما المانع أن تكون الفاعلية معللة بعلة قديمة. قولكم: يلزم من قدمها قدم المعلول ينتقض عليكم بالإرادة، فإنها قديمة، ولم يلزم من قدمها قدم المراد. فإن قلتم: الإرادة القديمة تعلقت بالمراد الحادث في وقت حدوثه، واقتضت وجوده حينئذ، فهلا قلتم: إن الحكمة القديمة تعلقت بالمراد وقت حدوثه كما قلتم في الإرادة؟ فإن قلتم: شأن الإرادة التخصيص. قيل لكم: وكذلك الحكمة شأنها تخصيص الشيء بزمانه ومكانه وصفته، فالتخصيص مصدره الحكمة والإرادة والعلم والقدرة، فإن لزم من قدم الحكمة قدم الفعل، لزم من قدم الإرادة قدمه، وإن لم يلزم (ذاك)[٢] لم يلزم هذا.

الجواب العاشر: أن يقال: لو لم يكن فعله لحكمة وغاية مطلوبة لم يكن مريداً، فإن المريد لا يعقل كونه مريداً إلا إذا كان يريد لغرض وحكمة، فإذا انتفت الحكمة والغرض انتفت الإرادة، ويلزم من انتفاء الإرادة أن يكون موجباً بالذات، وهو علة تامة في الأزل لمعلوله، فيلزم أن يقارنه جميع معلوله، ولا يتأخر فيلزم من ذلك [قدم][٣] الحوادث المشهودة، وإنما لزم ذلك من

---

(١) انظر الباب الثاني والعشرين.

(٢) في ط (ذلك).

(٣) في الأصل، (عدم) والأولى ما أثبته من (ط).

انتفاء الحكمة والغرض المستلزم لنفي الإرادة المستلزمة (للإيجاب)[1] الذاتي المستلزم (لقدم)[2] الحوادث. وتقرير هذا وبسطه في غير هذا الموضع.

فصل

قال نفاة الحكمة: جميع الأغراض يرجع حاصلها إلى شيئين: تحصيل اللذة والسرور، ودفع الألم والحزن والغم، والله سبحانه قادر على تحصيل هذين المطلوبين ابتداءً من غير شيء من الوسائط، ومن كان قادراً على تحصيل المطلوب ابتداءً بغير واسطة، كان توسله إلى تحصيله بالوسائط عبثاً، وهو على الله محال.

قال أصحاب الحكمة: عن هذه الشبهة أجوبة:

الجواب الأول: أن يقال: لا ريب أن الله على كل شيء قدير، لكن لا يلزم إذا كان الشيء مقدوراً ممكناً أن تكون الحكمة المطلوبة لوجوده يمكن تحصيلها مع عدمه، فالموقوف على الشيء يمتنع حصوله بدونه كما يمتنع حصول الابن بكونه ابناً بدون الأب، فإن وجود الملزوم بدون لازمه محال، والجمع بين الضدين محال، ولا يقال: فيلزم العجز؛ لأن المحال ليس بشيء، فلا تتعلق به القدرة، والله على كل شيء قدير، فلا يخرج ممكن عن قدرته البتة.

الجواب الثاني: أن دعوى كون توسط أحد الأمرين إذا كان شرطاً (في الآخر)[3] أو سبباً له عبث دعوى كاذبة باطلة، فإن العبث هو الذي لا فائدة فيه، وأما توسط الشرط أو السبب أو المادة التي يحدث فيها ما يحدثه، فليس بعبث.

---

(١) في ط (للإيمان).

(٢) في الأصل، م (عدم) والأولى ما أثبته من (ط).

(٣) ساقطة من م، ط.

توضيحه: الجواب الثالث:

أن حصول الأعراض والصفات التي يحدثها الله سبحانه في موادها مشروط بحصول تلك المواد، ولا يتصور وجودها بدونها. فتوسطها أمر ضروري لابد منه، فيتقلب عليكم دليلكم، ونقول: هل يقدر سبحانه على إيجاد تلك الحوادث بدون توسط موادها الحاملة لها أو لا يمكن؟ فإن قلتم: يمكن ذلك، كان توسطها عبثاً، وإن قلتم لا يقدر كان تعجيزاً، فإن قلتم: هذا فرض مستحيل والمحال ليس بشيء قيل صدقتم، وهذا جوابكم[١] (بعينه؛ فإن الموقوف على الشيء يمنع حصوله بدونه، فلا يكون توسطه عبثاً)[٢].

الجواب الرابع: أن يقال: إذا كان في خلق [تلك][٣] الوسائط حكم أخرى تحصل بخلقها للفاعل وفي خلقها مصالح ومنافع لتلك الوسائط، لم يكن توسطها عبثاً، ولم تكن الحكمة الحاصلة (بوجودها مساوية للحكمة الحاصلة)[٤] بعدمها. كما أنه سبحانه إذا جعل رزق بعض خلقه في البحارات مثلاً، فاقتضى ذلك أن تخليق (البضائع)[٥] إلى من يحتاج (إليها)[٦] فينتفع هؤلاء بالبضائع وهؤلاء بالثمن[٧] كان في ذلك مصلحة هؤلاء وهؤلاء. وإذا تأملت الوجود رأيته قائماً بذلك شاهداً به على منكري الحكمة، فكم لله

---

(١) في ط (جوابنا).

(٢) ما بينهما ساقط من ط.

(٣) في الأصل (لذلك) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) ما بينهما ساقط من م، ط.

(٥) في باقي النسخ (المصانع).

(٦) ساقطة من (ط).

(٧) في (ط) (باليمن).

سبحانه في إحداث تلك الوسائط من حكم ومصالح ومنافع للعباد، لو بطلت تلك الوسائط، لفاتت تلك الحكم والمصالح.

الجواب الخامس: قولك يلزم العبث وهو على الله محال. فيقال: إن كان العبث عليه محالاً، لزم أن لا يفعل ولا يأمر إلا لمصلحة وحكمة، فبطل قولك بقولك، وإن لم يكن العبث عليه محالاً بطلت هذه الحجة، فيتحقق بطلانها على التقديرين.

الجواب السادس: أن يقال: ما المانع أن يفعل سبحانه أشياء معللة وأشياء غير معللة، بل مرادة لذتها. وإذا جاز أن يقال: إن هذه الوسائط غير معللة، ولا يمكنك نفي هذا القسم إلا بأن تقول: إن شيئاً من أفعاله غير معلل البتة، وأنت إنما نفيت هذا بلزوم العبث في توسط تلك الأمور، ولا يلزم انتفاء التعليل في بعض الأفعال انتفاؤه في الجميع، فإنه لا يجب أن يكون كل شيء لعلة، فأنت نفيت جواز التعليل، وغاية هذه الحجة لو صحت أن تدل على أنه لا يجب في كل شيء أن يكون لعلة فلم [يثبت][1] الحكم والدليل، وهذا كما يقول الفقهاء مع [قولهم][2] بالتعليل: إن من الأحكام ما يفيد[3] غير معلل. فهلا قلت في الخلق كقولهم في الأمر. وهذا إنما هو بطريق الإلزام، وإلا فالحق أن جميع أفعاله وشرعه لها حكم وغايات لأجلها شرع وفعل، وإن لم يعلمها الخلق على التفصيل. فلا يلزم من عدم علمهم بها انتفاؤها في نفسها.

---

(١) في الأصل وباقي النسخ (يلتف) والصواب ما أثبته من (ط).

(٢) في الأصل، م (قوله) والصواب ما أثبته من (ط).

(٣) في الأصل (ما هو يفيد) والأولى ما أثبته من باقي النسخ.

الجواب (السابع)[١]: (أن يقال)[٢] غاية هذه الشبهة أن يكون سبحانه قادراً على تحصيل تلك الحكم بدون تلك الوسائط، كما هو قادر على تحصيلها بها، وإذا كان الأمران (مقدورين)[٣] له لم يكن العدول عن أحد المقدورين إلى الآخر عبثاً، إلا إذا كان المقدور الآخر مساوياً لهذا من كل وجه. ولا يمكن عاقلاً أن يقول: إن تعطيل تلك الوسائط وعدمها مساو من كل وجه لوجودها. وهذا من أعظم البهت وأبطل الباطل، وهو يتضمن القدح في الحس والعقل والشرع، كما هو قدح في الحكمة، فإن من جعل وجود الرسل (وعدمهم)[٤] سواءً، ووجود الشمس والقمر والنجوم والمطر والنبات والحيوان وعدمه سواء، ووجود هذه الوسائط جميعها وعدمها سواء، فلم يدع للمكابرة موضعاً.

الجواب الثامن[٥]: قولك: جميع الأغراض يرجع حاصلها إلى شيئين: تحصيل اللذة، ودفع الهم والحزن، أتريد به الغرض الذي يفعل (لأجله)[٦] الحيوان؟ أو الحكمة التي يفعل الله سبحانه لأجلها؟ أم تريد به ما هو أعم من ذلك؟

فإن أردت الأول لم يفدك شيئاً، وإن أردت الثاني أو الثالث كانت دعوى مجردة لا برهان عليها.

---

(١) في (ط) (السادس) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في م، ط (لا توجد).

(٣) في جميع النسخ (مقدوران) والصواب ما أثبته.

(٤) في ط (وعدمها).

(٥) في ط (السابع).

(٦) في م (لأجل) وفي ط (لأجلها).

فإن حكمة الرب تعالى فوق تحصيل اللذة ودفع الغم والحزن، فإنه يتعالى عن ذلك، بل ليس كمثل حكمته شيء، كما أنه موصوف بالإرادة وليست كإرادة الحيوان، فإن الحيوان يريد ما يريده ليجلب له به منفعة، أو يدفع به عنه مضرة، وكذلك غضبه سبحانه ليس مشابهاً لغضب خلقه، فإن غضب المخلوق هو غليان دم قلبه طلباً للانتقام، والله يتعالى عن ذلك.

وكذلك سائر صفاته، فكما أنه ليس كمثله شيء في إرادته ورضاه وغضبه ورحمته وسائر صفاته، فهكذا حكمته سبحانه لا تماثل حكمة (المخلوق)[١]، بل هي أجل وأعلى من أن يقال: إنها تحصيل لذة أو دفع حزن، فالمخلوق لنقصه يحتاج أن يفعل ذلك؛ لأن مصالحه لا تتم إلا به، والله سبحانه غني بذاته عن كل ما سواه، لا يستفيد من خلقه كمالاً، بل (خلقه)[٢] يستفيدون كمالهم منه.

الجواب التاسع[٣]: أن يقال: قد دل الوحي مع العقل على أنه سبحانه يحب ويبغض، أما الوحي، فالقرآن مملوء من ذلك[٤]. وأما العقل فما نشاهد في العالم من إكرام أوليائه وأهل طاعته، وإهانة أعدائه وأهل معصيته، شاهد لمحبته لهؤلاء ورضاه عنهم، وبغضه لهؤلاء وسخطه عليهم. ومعلوم قطعاً أن من يحب ويبغض أكمل محبة وبغض وهو قادر على تحصيل محابه فإن حكمته فيما يفعله ويتركه أتم حكمه وأكملها. فهو يفعل ما يفعله؛ لأنه يوصل إلى محابه، ويترك ما يتركه، لأنه لا يحبه، وإذا فعل ما يكرهه لم يفعله إلا لإفضائه إلى ما يحب، وإن كان مكروهاً في نفسه.

---

(١) في ط (المخلوقين).

(٢) في م، ط (خلقهم).

(٣) في (ط) (الثامن).

(٤) من ذلك قوله سبحانه: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران/ ٧٦] =

فإن أردت باللذة والسرور والهم والحزن، الحب والبغض، فالرب تعالى يحب (ويبغض، فلا يطلق عليه لذة ولا غم ولا حزن، تعالى الله عن ذلك، وإن أردت حقائق تلك الألفاظ)[١] لم يلزم من كونه يفعل لحكمة أن يتصف بذلك.

الجواب العاشر[٢]: أنه سبحانه إذا كان قادراً على تحصيل ذلك بدون الوسائط، وهو قــادر على تحصيله بها، كان فعل النوعين أكمــل وأبلــغ في القدرة، وأعظم في ملكه وربوبيته من كونه لا يفعل إلا (بأحد)[٣] النوعين، والرب تعالى ينوع أفعاله لكمال قدرته وحكمته وربوبيته، فهو سبحانه قادر على تحصيل تلك الحكمة بواسطة إحداث مخلوق منفصل، وبدون إحداثه، بل بما يقوم به من أفعاله اللازمة وكلماته، وثنائه على نفسه، وحمده لنفسه؛ فمحبوبه يحصل بهذا وهذا. وذلك أكمل [ممن][٤] لا يحصل محبوبه إلا بأحد النوعين.

الجواب الحادي عشر[٥]: أن الرب سبحانه كامل في أوصافه وأسمائه وأفعاله، فلا بد من ظهور آثارها في العالم، فإنه محسن ويستحيل وجود

= وقوله: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران/ ١٣٤]، وقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران/ ٣١]، وغير ذلك كثير وأما البغض، فكقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء/ ٣٦] . وقوله ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء/ ١٤٨] . وقوله: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[المائدة/ ٦٤] .

(١) ما بينهما ساقط من (ط).

(٢) في م، ط (التاسع).

(٣) في الأصل، م (أحد) والصواب ما أثبته من (ط).

(٤) زيادة من باقي النسخ.

(٥) في م، ط (العاشر).

الإحسان من يحسن إليه، رزاق فلابد من وجود من يرزقه، وغفار وحليم، وجـواد، (وبَر)[١]، ولطيف بعباده، ومنان، ووهاب، وقابض وباسط، وخافض، ورافع، ومعز ومذل. وهذه الأسماء (والصفات)[٢] تقتضي متعلقات تتعلق بها، وآثاراً تتحقق بها. فلم يكن بد من وجود متعلقاتها، وإلا تعطلت تلك الأوصاف، [وبطلت تلك الأسماء، فتوسط تلك الآثار لابد منه في تحقق معاني تلك الأسماء والصفات][٣] فكيف يقال: إنه عبث لا فائدة فيه، وبالله التوفيق.

فصل

قال نفاة الحكمة: لو وجب أن يكون خلقه وأمره معللاً بحكمة وغرض، لكان خلق الله العالم في وقت معين دون ما قبله ودون ما بعده معللاً برعاية غرض ومصلحة، ثم ذلك الغرض والمصلحة إما أن يقال: كان حاصلاً قبل ذلك الوقت، أو لم يكن حاصلاً قبله.

فإن كان ما لأجله أوجد الله العالم في ذلك الوقت حاصلاً قبل أن أوجده، فيلزم أن يقال: إنه كان [موجداً][٤] قبل أن لم يكن موجداً له، وذلك محال.

وإن قلنا: إن ذلك الغرض والمصلحة لم يكن حاصلاً قبل ذلك الوقت، وإنما حدث في ذلك الوقت، فنقول: حصول ذلك الغرض في ذلك الوقت إما أن يكون مفتقراً إلى المحدث أو لا يفتقر. فإن لم يفتقر، فقد حدث الشيء

---

(١) ساقطة من م، ط.

(٢) ساقطة من م، ط.

(٣) ما بينهما ساقط من الأصل والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) في الأصل (موجوداً) والأولى ما أثبته من باقي النسخ.

لا عن موجد ومحدث، وهو محال. وإن افتقر إلى محدث، فإن افتقر تخصص إحداث ذلك الغرض بذلك الوقت إلى غرض آخر عاد التقسيم الأول فيه، ولزم التسلسل. وإن لم يفتقر إلى رعاية غرض آخر، فحينئذ تكون موجدية الله سبحانه وخالقيته غنية عن الأغراض والمصالح، وهذا هو المطلوب.

قالوا: وهذه الحجة كما (أنها)[١] قائمة في اختصاص العالم بذلك الوقت المعين، فهي قائمة في اختصاص كل حادث من الحوادث بوقته المعين، وملخصها أن إحداث الحادث في وقته إن كان لغرض، فإن كان ذلك الغرض حاصلاً قبله، لزم حدوثه قبل حدوثه، وإلا افتقر إلى الإحداث، [فإحداثه][٢] إن كان لغرض تسلسل، وإلا ثبت المطلوب.

قال أهل الحكمة: هذه الحجة بعينها مذكورة في ضمن الحجة الثانية التي تقدمت، وكأنكم يعجبكم التشبع (بكثرة)[٣] الباطل، وجميع ما أجبناكم به هناك فهو الجواب هاهنا بعينه، فغاية هذا أنه تسلسل في الآثار لا في المؤثرات، وتسلسل في الحوادث المستقبلية، وذلك جائز، بل واجب باتفاق المسلمين، سوى قول [جهم[٤] والعلاف[٥]][٦].

وغاية الأمر أن يكون في الحوادث ما يراد لنفسه، وفيها ما يراد لغيره، والحكمة المطلوبة لنفسها لا تفتقر إلى أخرى تراد لأجلها، وإن هذا

---

(١) في م (كأنها).

(٢) زيادة من باقي النسخ.

(٣) في ط (بكرة).

(٤) سبقت ترجمته ص٤٥٩.

(٥) سبقت ترجمته ص٤٥٩.

(٦) في الأصل (الجهمية والعلاف) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(الدليل)[١] لو صحت مقدماته، وهيهات، فإنما يدل على أن أفعاله تعالى لا يجب تعليلها. ولا يلزم من ذلك أن لا يجوز تعليلها، فنفي الوجوب شيء، ونفي الجواز شيء، فهب أنا سلمنا الأول، فأين دليل الثاني، وغايتها أنها تدل على عدم تعليل بعض الحوادث لا على عدم [تعليل][٢] جميعها.

وبالجملة، فما تقدم هناك[٣] مغن (لنا)[٤] عن الإطالة في الأجوبة. وسر المسألة أن دوام (فاعلية الرب تعالى تبطل هذه الشبهة من أصلها، وقد اتفق المسلمون على دوام)[٥] فاعليته في المستقبل، (متفق عليه)[٦] والسلف على دوامها في الماضي، وإنما خالف في ذلك كثير من أهل الكلام[٧].

فصل

قال نفاة الحكمة: قد قام الدليل على أنه خالق كل شيء، فأي حكمة أو مصلحة في خلق الكفر والفسوق والعصيان؟

وأي حكمة في خلقة من علم أنه يكفر ويفسق ويظلم ويفسد الدنيا والدين؟

وأي حكمة في خلق كثير من الجمادات التي وجودها وعدمها سواء؟ وكذلك كثير من الأشجار والنبات، والمعادن المعطلة، والحيوانات المهملة، بل العادية المؤذية؟

---

(١) في الأصل (دليل) والأولى ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) زيادة من (ط).

(٣) انظر الصفحات من (١٠٩٣ إلى ١٠٩٩) من هذا البحث.

(٤) ساقطة من (ط).

(٥) ما بينهما ساقط من (ط).

(٦) هذه الكلمة لا حاجة لها فيما يظهر.

(٧) انظر (شرح الطحاوية) ص ١٢٩.

وأي حكمة في خلق السموم والأشياء المضرة؟

وأي حكمة في خلق إبليس والشياطين؟ وإن كان في خلقهم حكمة، فأي حكمة في إبقائه إلى آخر الدهر؟ (وإماتة)[١] الرسل والأنبياء؟

وأي حكمة في إخراج آدم وحواء من الجنة، وتعريض الذرية لهذا البلاء العظيم. وقد أمكن أن يكونوا في أعظم العافية؟

وأي حكمة في إيلام الحيوانات؟ وإن كان في إيلام المكلفين[٢] منها حكمة، فما الحكمة في إيلام غير المكلف كالبهائم والأطفال والمجانين؟

وأي حكمة له في خلقه خلقاً[٣] يعذبهم بأنواع العذاب الدائم الذي لا ينقطع؟

وأي حكمة في تسليط أعدائه على أوليائه يسومونهم سوء العذاب قتلاً وأسراً وعقوبة واستعباداً؟

وأي حكمة في تكليف الثقلين وتعريضهما بالتكليف لأنواع المشاق والعذاب؟

قالوا: ونحن العقلاء نعلم علماً ضرورياً أن خلود أهل النار فيها فعل الله، ونعلم ضرورة أنه لا فائدة في ذلك تعود إليه ولا إلى المعذبين ولا إلى غيرهم. قالوا: ويكفينا في ذلك مناظرة[٤] الأشعري[٥] لأبي هاشم الجبائي[٦] حين

---

(١) في الأصل (وإهانة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في الأصل، م(المتكلفين) والصواب ما أثبته من (ط).

(٣) في الأصل (خلقها) والصواب ما اثبته من باقي النسخ.

(٤) ذكر الذهبي هذه المناظرة في ترجمة الأشعري . انظر: سير أعلام النبلاء ١٥/ ٨٩.

(٥) سبقت ترجمته ص١٠٩٤ .

(٦) هو أبو هاشم بن أبي علي الجبائي المتكلم الضال، ابن شيخ المتكلمين عبدالسلام بن =

ساله عن ثلاثة إخوة مات أحدهم مسلماً قبل البلوغ، وبلغ الآخران، فمات أحدهما مسلماً والآخر كافراً، فاجتمعوا عند رب العالمين، فبلغ المسلم البالغ المرتبة العلية بعمله وإسلامه، فقال أخوه: يا رب، هلا رفعتني إلى منزلة أخي المسلم، فقال: إنه عمل أعمالاً لم (تعملها)[1] . فقال: يا رب، فهلا أحييتني حتى أعمل مثله عمله، فقال: علمت أن موتك صغيراً خير لك؛ إذ لو بلغت لكفرت، فصاح الأخ الثالث من أطباق الجحيم، وقال: يا رب، فهلا أمتني صغيراً قبل البلوغ كما فعلت بأخي، فما جوابه؟ قال: فانقطع الشيخ ولم يذكر جواباً.

قال نفاة الحكمة: وهذا قاطع في المسألة لا غبار عليه، وقد قال تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ﴾ [العنكبوت/ ٢١].

وقال: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ﴾ [البقرة/ ٢٨٤].

﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ﴾ [الأنبياء/ ٢٣]. فرد الأمر إلى محض مشيئته، وأخبر أن صدور الأشياء كلها عنها.

وقالوا: وأصل ضلال الخلق هو طلب تعليل أفعال الرب، كما قال شيخ الإسلام[2] في تائيته:

= محمد بن عبدالوهاب البصري. أخذ عن والده. وله كتاب «الجامع الكبير» ، وكتاب «العرض»، وكتاب «المسائل العسكرية» . هلك ببغداد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة. انظر: تاريخ بغداد ١١/ ٥٥-٥٦ ، الملل والنحل ١/ ٩٨ ، الفرق بين الفرق ص١٨٣، العبر ٢/ ١٢.

(١) في الأصل (لا يعلمها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) سبقت ترجمته .

واصـــل ضـــلال الخلـــق مـــن كـــل فـــرقة

هـــو الخـــوض في فعـــل الإلـــه (بعلـــة)[(١)(٢)]

فإنهم لما طلبوا علة أفعاله، فأعجزهم العلم بها، افترقوا بعد ذلك؛ فطائفة ردت الأمر إلى الطبيعة والأفلاك[(٣)]، وطائفة[(٤)] التزمت مكابرة الحس والعقل، وقالوا: إن خلود أهل النار في النار أنفع لهم وأصلح من كونهم في الجنة، وإن إبقاء إبليس يغوي الخلق ويضلهم أنفع لهم من إماتته، وإن إماتة الأنبياء أصلح للأمم من إبقائهم بينهم، وإن تعذيب الأطفال خير لهم من رحمتهم، إلى غير ذلك من المحالات التي قادهم إليها الخوض في تعليل أفعال من لا يسأل عما يفعل، فلذلك قلنا: إن الصواب القول بعدم التعليل[(٥)]، وتخلصنا من الحبائل والأشراك التي وقعتهم فيها.

قال أهل الحكمة: ليست هذه الأسئلة والاعتراضات التي قد جئتم بها في حكمة أحكم الحاكمين بأقوى من الأسئلة والاعتراضات التي قدح بها أهل الإلحاد في وجوده سبحانه. وقد أقاموا أربعين شبهة تنفي وجوده، وكذلك اعتراضات المكذبين لرسله، وقد حكيتم أنتم عنهم ثمانين اعتراضاً، وكذلك الاعتراضات التي قدح بها المعطلة في إثبات صفات كماله قد علمتم شأنها

---

(١) في (م) يعلمه، والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) انظر مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ٨/ ٢٤٦.

(٣) وهم الفلاسفة.

(٤) ساقطة من (ط).

(٥) يرى الفلاسفة (نفي التعليل لأفعاله سبحانه) . انظر: الإشارات والتنبيهات لابن سيناء (٣/ ١٥٠، ١٥١)، كما يقول بذلك الأشاعرة ، المواقف للإيجي (٨/ ٢٠٢)، غاية المرام في علم الكلام ص٢٢٤ للآمدي.

(وكثرتها)[١]، وكذلك الاعتراضات التي نفى بها الجهمية علوه على خلقه، واستواءه على عرشه، وتكلمه بكتبه، وتكليمه لعباده[٢].

ولقد علمتم الاعتراضات التي اعترض بها أهل الفلسفة في كونه خالقاً للعالم في ستة أيام، وعلى كونه يقيم الناس من قبورهم، ويبعثهم إلى دار السعادة أو الشقاء، (ويبدل هذا العالم ويأتي بغيره. واعتراضات هؤلاء)[٣] وأسئلتهم أضعاف اعتراضات نفاة حكمته[٤] وغايات أفعاله المقصودة، وكذلك اعتراضات نفاة القدر وأسئلتهم، إلى غير ذلك.

وقد اقتضت حكمة (أحكم)[٥] الحاكمين أن أقام في هذا العالم لكل حق جاحداً، ولكل صواب معانداً، كما أقام لكل نعمة حاسداً، ولكل شر رائداً، وهذا من تمام حكمته الباهرة وقدرته القاهرة، ليتم عليهم كلمته، وينفذ فيهم مشيئته، ويظهر فيهم حكمته، ويقضي بينهم (بحكمه)[٦]، ويفاضل بينهم (بعلمه)[٧]، ويظهر فيهم آثار صفاته العليا وأسمائه الحسنى، ويتبين لأوليائه وأعدائه يوم القيامة أنه لم يخل حكمة، ولم يخلق خلقه عبثاً، ولا تركهم سدى، وأنه لم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، وأن له الحمد التام

---

(١) في (ط) (وكبرها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ٢/ ٥، ٢٠ ، كتاب الصفدية ٢/ ٥٤.

(٣) في الأصل تقديم وتأخير يسير في العبارة. ورجحت ما أثبته، وهو من باقي النسخ.

(٤) في (ط) (الحكمة) والصواب ما أثبته، وهو من باقي النسخ.

(٥) في الأصل (أحد) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) في الأصل (بحكمته) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٧) في الأصل (فعله) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

الكامل على جميع ما خلقه وقدره وقضاه، وعلى ما أمر به ونهى عنه، وعلى ثوابه وعقابه، وأنه لم يضع من ذلك شيئاً إلا في محله الذي[1] لا يليق به سواه.

قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ (النحل ٣٨-٣٩).

وإذا تبين لأهل الموقف، ونفذ فيهم قضاؤه الفصل وحكمه العدل نطق الكون أجمعه بحمده؛ كما قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الزمر/ ٧٥).

وجواب هذه الأسئلة من وجوه:

أحدها: أن الحكمة إنما تتعلق بالحدوث والوجود. والكفر والشرور، وأنواع المعاصي راجعة إلى مخالفة نهي الله ورسوله، وترك ما أمر به، وليس ذلك من متعلق الإيجاد في شيء، ونحن إنما التزمنا أن ما فعله الله وأوجده فله فيه حكمة وغاية مطلوبة. وأما ما تركه سبحانه ولم يفعله، فإنه وإن كان تركه لحكمة في ذلك، فلم يدخل في كلامنا، فلا يرد علينا. وقد قدمنا [2][3] أن الشر ليس إليه بوجه، فإنه عدم الخير وأسبابه، والعدم ليس بشيء كاسمه. فإذا قلنا: إن أفعال الرب تعالى واقعة لحكمة وغاية محمودة، لم يرد علينا تركه.

يوضحه **الجواب الثاني**، وهو: أنه سبحانه قد ترك ما لو خلقه لكان في خلقه له حكمة، فيتركه لعدم محبته لوجوده، أو لكون وجوده يضاد ما هو

(١) زيادة من باقي النسخ.

(٢) ساقطة من (م) وفي (ط) (قيل).

(٣) انظر الباب الحادي والعشرين، والرابع والعشرين، والخامس والعشرين.

(إليه)[١] أو لاستلزام وجوده فوات محبوب له آخر. وعلى هذا، فتكون حكمته في عدم خلقه أرجح من حكمته في خلقه، والجمع بين الضدين مستحيل، فرجح سبحانه أعلى الحكمتين بتفويت أدناهما، وهذا غاية الحكمة، فخلقه وأمره مبني على تحصيل المصالح الخالصة أو الراجحة بتفويت المرجوحة، التي لا يمكن الجمع بينهما وبين تلك الراجحة، وعلى دفع المفاسد الخالصة أو الراجحة، وإن وجدت المفاسد المرجوحة التي لا يمكن الجمع بين عدمها وعدم تلك الراجحة، وخلاف هذا هو خلاف الصواب والحكمة.

الجواب الثالث: أن يقال: غاية ذلك انتفاء الحكمة في هذا النوع من المقدورات. أفيلزم من ذلك انتفاؤها في جميع خلقه وحكمه. فهب أن هذا النوع لا حكمة فيه، فمن أين يستلزم ذلك نفي الحكمة والغرض في كل شيء؟ كيف وفيه من الحكم والغايات المحمودة ما هو معلوم لأهل البصائر الراسخين في العلم، كما سننبه على (اليسير منه إن شاء الله)[٢].

الجواب الرابع: أنا لم ندع حكمة يجب، أو يمكن، إطلاع الخلق على تفاصيلها، فإن حكمة الله أعظم وأجل من ذلك، فما المانع من اشتمال ما ذكرتم من الصور وغيرها على الحكم، حجة ينفرد الله بعلمها، كما قال للملائكة وقد سالوه عن ذلك: ﴿إِنِّىٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ (البقرة/ ٣٠) فمن يقول بلزوم الحكمة لأفعاله وأحكامه مطلقاً لا يوجب مشاركة خلقه له في العلم بها.

الجواب الخامس: إن الله سبحانه ليس كمثله شيء في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فله في جميع ما ذكرتم وغيره حكمة ليست من جنس الحكمة

(١) لا توجد في م، ط.

(٢) في العبارة اختلاف يسير، ورجحت أن الأولى ما أثبته.

التي للمخلوقين، كما أن فعله ليس مماثلاً لفعلهم، ولا قدرته وإرادته ومشيئته ومحبته ورضاه وغضبه مماثلاً لصفات المخلوقين.

الجواب السادس: أن الحكمة تابعة للعلم والقدرة، فمن كان أعلم وأقدر كانت أفعاله أحكم وأكمل. والرب تعالى منفرد بكمال العلم والقدرة، فحكمته بحسب علمه وقدرته، كما تقدم تقريره، فحكمته متعلقة بكل ما تعلق به علمه وقدرته.

الجواب السابع: أن الأدلة القاطعة قد قامت على أنه حكيم (في أفعاله وأحكامه، فيجب القول بموجبها. وعدم العلم بحكمته في الصور المذكورة)[١] (ولا يكون)[٢] مسوغاً لمخالفة تلك الأدلة القاطعة، لاسيما وعدم العلم بالشيء لا يستلزم العلم بعدمه.

الجواب الثامن: أن كماله المقدس يمنع خلو هذه الصور التي تقصيتم (بها)[٣] عن الحكمة، وكماله أيضاً يأبى إطلاع خلقه على جميع حكمته، فحكمته تمنع إطلاع خلقه على جميع حكمته، بل الواحد منا لو أطلع غيره على جميع شأنه وأمره عد سفيهاً جاهلاً، وشأن الرب تعالى أعظم من أن يطلع كل واحد من خلقه على تفاصيل حكمته.

الجواب التاسع: أنكم إما أن تعترفوا بأن له حكمة في شيء من خلقه وأمره، أو تنكروا أن يكون له في شيء من خلقه وأمره حكمة، فإن أنكرتم ذلك ـ وما هو من الظالمين ببعيد ـ كذبتم جميع كتب الله ورسله والعقل

---

(١) مكررة في (م).

(٢) ساقطة من (م).

(٣) ساقطة من م، ط.

والفطرة والحس، وكذبتم عقولكم قبل تكذيب العقلاء (لكم)[١]. فإن جحد (حكمة)[٢] الله الباهرة في خلقه وأمره بمنزلة جحد الشمس والقمر والليل والنهار، وغير مستنكر لكثير من طوائف أهل الكلام المكابرة في جحد الضروريات.

وإن أقررتم بحكمته في بعض خلقه وأمره، قيل لكم: فأي (الأمرين)[٣] أولى به، وجود تلك الحكمة أم عدمها؟ فإن قلتم: عدمها أولى من وجدوها، كان هذا غاية الكذب والبهت والمحال. وإن قلتم: وجودها أكمل، قيل: فهل هو قادر على تحصيلها في جميع حلقه وأحكامه أم غير قادر؟ فإن قلتم: غير قادر جئتم بالعظيمة في العقل والدين، وانسلختم من عقولكم (وأديانكم)[٤]، وإن قلتم: بل هو قادر على ذلك، قيل: فإذا كان قادراً على كل شيء، وهو كمالٌ في نفسه ووجودُه خير من عدمه، وهو أولى به، فكيف يجوز نفيه عنه؟ فإن قلتم: إنما نفيناه لأنا لم نطلع على حقيقته، قيل: صدقتم (هذا)[٥] والله (شانكم)[٦] في جميع ما تنفونه عن الله، إنما مستندكم في نفيه عدم الاطلاع على حقيقته، ولم تكتفوا بقبول قول الرسل، فصرتم إلى النفي.

الجواب العاشر: أن العقلاء قاطبة متفقون على أن الفاعل (منهم)[٧] إذا

---

(١) ساقطة من م، ط.

(٢) في الأصل (كلمة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) في الأصل (الكافرين) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) في ط (وأذهانكم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) ساقطة من (ط).

(٦) في ط (سائلكم) والأولى ما أثبته من باقي النسخ.

(٧) ساقطة من (ط).

فعل أفعالاً ظهرت فيها حكمته ووقعت على أتم (الوجوه)[١] وأوفقها للمصالح المقصودة بها، ثم (إذا)[٢] رأوا أفعاله قد تكررت كذلك، ثم جاءهم من أفعاله ما لا يعلمون وجه حكمته فيه، لم يسعهم غير التسليم لما عرفوا[٣] حكمته واستقر في عقولهم منها، وردوا متشابه[٤] ما جهلوه إلى محكم ما علموه.

هكذا نجد أرباب كل صناعة مع أستاذهم، حتى إن النفاة يسلكون هذا المسلك بعينه مع أئمتهم وشيخوهم، فإذا جاءهم إشكال على قواعد أئمتهم ومذاهبهم، قالوا: هم أعلم منا، وهم فوقنا في كل علم ومعرفة وحكمة، ونحن معهم كالصبي مع معلمه وأستاذه، فهلا سلكوا هذا السبيل مع ربهم وخالقهم، الذي بهرت حكمته العقول، وكان نسبتها إلى حكمته أقل[٥] من نسبة عين الخفاش إلى جرم الشمس.

ولو أن العالم الفاضل المبرز في علوم كثيرة (عرض علمه)[٦] (على من لا يشاركه في صنعته، ولا هو من أهلها، وقدح في أوضاعها، لخرج عن موجب العقل والعلم، وعد ذلك نقصاً وسفهاً)[٧]، فكيف بأحكم الحاكمين، وأعلم العالمين، وأقدر القادرين؟

الجواب الحادي عشر: أن الحكمة إنما تتم بخلق المتضادات والمتقابلات، كالليل والنهار، والعلو والسفل، والطيب والخبيث، والخفيف والثقيل،

---

(١) في الأصل (الوجود) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) زيادة من (ط).

(٣) ساقطة من (م).

(٤) في ط (منها).

(٥) في م، ط (أولى).

(٦) زيادة من (ط).

(٧) ما بينهما فيه اختلاف يسير والأولى ما أثبته من (ط).

والحلو والمر، والحر والبرد، والألم واللذة، والحياة والموت، والداء والدواء.

فخلق هذه المتقابلات هو محل ظهور الحكمة الباهرة (كما هو)[١] محل ظهور القدرة القاهرة، والمشيئة النافذة، والملك الكامل التام، فتوهم تعطيل خلق هذه المتضادات تعطيل لمقتضيات تلك الصفات وأحكامها وآثارها، وذلك عين المحال؛ فإن لكل صفة من الصفات العليا حكماً (ومقتضى)[٢] وأثراً هو مظهر كمالها، فلا يجوز تعطيله، فإن صفة القادر تستدعي مقدوراً، وصفة الخالق تستدعي مخلوقاً، وصفة الوهاب، الرزاق، المعطي المانع، الضار النافع، المقدم المؤخر، المعز المذل، العفو، الرؤوف تستدعي آثارها وأحكامها، فلو عطلت تلك الصفات عن المخلوق، المرزوق، المغفور له، المرحوم، المعفو عنه، لم يظهر كمالها، وكانت معطلة عن مقتضياتها وموجباتها، فلو كان الخلق (كلهم مطيعين عابدين حامدين)[٣] لتعطل أثر كثير من الصفات العلى والأسماء الحسنى، (وكيف)[٤] كان يظهر أثر صفة العفو والمغفرة والصفح والتجاوز[٥]، والانتقام والعز والقهر، والعدل والحكمة، التي تنزل الأشياء منازلها وتضعها مواضعها؟

فلو كان الخلق كلهم أمة واحدة، لفاتت الحكم والآيات والعبر والغايات المحمودة في خلقهم على هذا الوجه، وفات كمال الملك

---

(١) ساقطة من (ط).

(٢) في ط (ومقتضيات) والأولى ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) في جميع النسخ (مطيعون، عابدون، حامدون) والصواب ما أثبته من (ط).

(٤) زيادة من باقي النسخ.

(٥) قال سبحانه: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف/ ٣٣].

والتصرف[١]، فإن الملك إذا اقتصر تصرفه على مقدور واحد من مقدوراته، فإما أن يكون عاجزاً عن غيره فيتركه عجزاً، أو جاهلاً بما في تصرفه في غيره من المصلحة فيتركه جهلاً.

أما أقدر القادرين، وأعلم العالمين، وأحكم الحاكمين، فتصرفه في مملكته لا يقف على مقدور واحد؛ لأن ذلك نقص في ملكه، فالكمال كل الكمال في العطاء والمنع، والخفض والرفع، والثواب والعقاب، والإكرام والإهانة، والإعزاز والإذلال، والتقديم والتأخير، والضر والنفع، وتخصيص هذا على هذا، وإيثار هذا على هذا[٢] ولو فعل هذا كله بنوع واحد متماثل الأفراد، لكان ذلك منافياً لحكمته، وحكمته تأباه كل الإباء، فإنه لا يفرق بين متماثلين، ولا يسوي بين مختلفين.

وقد عاب على من يفعل ذلك، وأنكر على من نسبه إليه. والقرآن مملوء من عَتْبه على من يفعل ذلك[٣]، فكيف يجعل له العبيد ما يكرهون ويضربون

---

(١) عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لو أنكم لم تكن لكم ذنوب يغفرها الله لكم، لجاء الله بقوم لهم ذنوب يغفرها لهم»، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله، فيغفر لهم».

أخرجهما مسلم في صحيحه في كتاب (التوبة) باب (سقوط الذنوب بالاستغفار) ح (٢٧٤٨) و (٢٧٤٩) ٣/ ٢١٠٥، ٢١٠٦.

(٢) قال سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

(٣) قال سبحانه: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص/ ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا =

له مثل السوء[١]، وقد فطر الله عباده على إنكار ذلك من بعضهم على بعض، [وطعنهم][٢] على من يفعله، وكيف يعيب الرب سبحانه من عباده شيئاً ويتصف به؟ وهو سبحانه [إنما عابه][٣] لأنه نقص، فهو أولى أن يتنزه عنه.

وإذا كان لابد من ظهور آثار الأسماء والصفات ولا يمكن ظهور آثارها إلا في المتقابلات والمتضادات، لم يكن بد في الحكمة من إيجادها، إذ لو فقدت لتعطلت أحكام تلك الصفات وهو محال.

يوضحه **الوجه الثاني عشر**: أن من أسمائه المزدوجة؛ كالمعز المذل، والخافض الرافع، والقابض الباسط، والمعطي المانع.

ومن صفاته: الصفات المتقابلة؛ كالرضا والسخط، والحب والبغض، والعفو والانتقام، وهذه صفات كمال، وإلا لم يتصف بها، ولم يتسم بأسمائها، وإذا كانت صفات كمال، فإما أن يتعطل مقتضاها وموجبها، وذلك يستلزم تعطيلها في أنفسها، وإما أن تتعلق بغير محلها الذي يليق بأحكامها، وذلك نقص وعيب يتعالى عنه، فيتعين تعلقها بمحالها التي تليق

= ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [فاطر/ ١٩-٢٢]، وقال: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية/ ٢١]، وقال: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [القلم/ ٣٥، ٣٦]. وغير ذلك في القرآن كثير.

(١) قال سبحانه: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ [النحل/ ٦٢] .

(٢) في الأصل (وطبعهم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) في الأصل، (م) (لهما غاية) والصواب ما أثبته من (ط).

بها، وهذا وحده كاف في الجواب لمن كان له [فقه][١] في باب الأسماء والصفات، ولا عبرة بغيره.

يوضحه **الوجه الثالث عشر**: أن من أسمائه الملك[٢]، ومعنى الملك الحقيقي ثابت له سبحانه بكل وجه، وهذه الصفة تستلزم سائر صفات الكمال؛ إذ من المحال ثبوت الملك الحقيقي التام لمن ليس له حياة[٣] ولا قدرة[٤] ولا إرادة[٥] ولا سمع ولا بصر[٦] ولا كلام[٧] ولا فعل اختياري يقوم به[٨].

وكيف يوصف بالملك من لا يأمر ولا ينهى، ولا يثيب ولا يعاقب، ولا يعطي ولا يمنع، ولا يعز ويذل ويهين، ويكرم وينعم، وينتقم ويخفض ويرفع، ويرسل الرسل إلى أقطار مملكته، ويتقدم إلى عبيده بأوامره ونواهيه. فأي ملك في الحقيقة لمن عدم ذلك؟

وبهذا يتبين أن المعطلين لأسمائه وصفاته جعلوا مماليكه أكمل منه، ويأنف أحدهم أن يقال في ملكه وأميره ما يقوله هو في ربه، فصفة ملكه الحق مستلزمة لوجود ما لا يتم التصرف إلا به. والكل منه سبحانه، فلم يتوقف

---

(١) في الأصل (نفقه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ [الحشر/ ٢٣].

(٣) قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[البقرة/ ٢٥٥].

(٤) قال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة/ ٢٠].

(٥) قال سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة/ ١٨٥].

(٦) قال سبحانه: ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء/ ١٣٤].

(٧) قال سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء/ ١٦٤].

(٨) قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود/ ١٠٧].

كمال ملكه على غيره، فإن كل ما سواه مسند إليه، ومتوقف في وجوده على مشيئته وخلقه.

يوضحه الوجه الرابع عشر: أن كمال ملكه بأن يكون مقارناً لحمده، فله الملك وله الحمد. والناس في هذا المقام ثلاث فرق:

فالرسل وأتباعهم أثبتوا له الملك والحمد. وهذا مذهب من أثبت [له][1] القدر والحكمة وحقائق الأسماء والصفات، ونزهه عن النقائص ومشابهة المخلوقات، [ويوحشك][2] في هذا المقام جميع الطوائف غير أهل السنة، الذين لم يتحيزوا إلى نحلة ولا مقالة ولا متبوع من أهل الكلام.

الفرقة الثانية: الذين أثبتوا له الملك وعطلوا حقيقة الحمد. وهم الجبرية[3] نفاة الحكمة والتعليل، القائلون بأنه يجوز عليه كل ممكن، ولا ينزه عن فعل قبيح، بل كل ممكن فإنه لا يقبح منه، وإنما القبيح المستحيل لذاته، كالجمع بين النقيضين، فيجوز عليه تعذيب ملائكته وأنبيائه ورسله وأهل طاعته، [وإكرام][4] إبليس وجنوده، وجعلهم فوق أوليائه في النعيم المقيم أبداً، ولا سبيل لنا إلى العلم باستحالة ذلك إلا من نفي الخالق في خبره فقط. فيجوز [عندهم][5] أن يأمر بمسبته ومسبة[6] أنبيائه، والسجود للأصنام، والكذب

---

(١) زيادة من باقي النسخ.

(٢) في الأصل (ويوجد) والصواب ما أثبته من م، ط.

(٣) سبق تعريفها .

(٤) في الأصل (والزام) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) ساقطة من، ط.

(٦) في (ط) (بمشيئته ومشيئته) والصواب ما أثبته.

والفجور، وسفك الدماء، ونهب الأموال، وينهى عن البر والصدق والإحسان [والعفاف][(١)] ولا فرق في نفس الأمر بين ما أمر به ونهى عنه إلا التحكم بمحض المشيئة، وأنه أمر بهذا ونهى عن هذا، من غير أن يكون فيما أمر به صفة حسن تقتضي محبته والأمر به، ولا فيما نهى عنه صفة قبح تقتضي كراهته والنهي عنه[(٢)]، فهؤلاء عطلوا حمده في الحقيقة وأثبتوا له ملكاً بلا حمد، مع أنهم في الحقيقة لم يثبتوا له ملكاً، فإنهم جعلوه معطلاً في الأزل والأبد، لا يقوم به فعل البتة، وكثير منهم عطله عن صفات الكمال التي لا يتحقق كونه ملكاً ورباً إلا بها، فلا ملك أثبتوا ولا حمد.

الفرقة الثالثة: أثبتوا له نوعاً من الحمد، وعطلوا كمال ملكه. وهم القدرية[(٣)] الذين أثبتوا نوعاً من الحكمة، ونفوا لأجلها كمال قدرته، فحافظوا على نوع من الحمد عطلوا له كمال الملك، وفي الحقيقة لم يثبتوا لا هذا ولا هذا، فإن الحكمة التي أثبتوها جعلوها راجعة إلى المخلوق، لا يعود إليه سبحانه حكمها، والملك [الذي][(٤)] أثبتوه فإنهم في الحقيقة إنما قرروا نفيه بنفي قيام الصفات التي لا تكون ملكاً حقاً إلا بها ونفى قيام الأفعال الاختيارية، فلم يقم به عندهم وصف ولا فعل (وهذا غاية النفي لملكه وحمده، فإن من لا يقوم به قدرة)[(٥)] ولا إرادة ولا كلام، ولا سمع ولا بصر،

---

(١) في الأصل (والعقاب) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) انظر: مجموعة فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ٨/ ٤٦٦-٤٧٨، الملل والنحل ١/ ١٠٨ - ١١٢.

(٣) سبق تعريفها .

(٤) في الأصل (أي) والصواب ما أثبته من (ط).

(٥) ما بينهما ساقط من م، ط.

ولا فعل، ولا له حب ولا بغض، معطل عن حقيقة الملك والحمد[١].

والمقصود أن عموم ملكه يستلزم إثبات القدر، وأن لا يكون في ملكه شيء بغير مشيئته، فإن الله أكبر من ذلك وأجل، وعموم حمده يستلزم أن لا يكون في خلقه وأمره ما لا حكمة فيه، ولا غاية محمودة يفعل لأجلها ويأمر لأجلها، فالله أكبر وأجل من ذلك.

يوضحه الوجه الخامس عشر: إن مجرد الفعل من غير قصد ولا حكمة ولا مصلحة يقصده الفاعل لأجلها لا يكون متعلقاً للحمد، فلا يحمد عليه، حتى لو حصلت به مصلحة من غير قصد الفاعل لحصولها، لم يستحق الحمد عليها، كما تقدم تقريره[٢]، بل الذي يقصد الفعل لمصلحة وحكمة وغاية محمودة، وهو عاجز عن تنفيذ مراده أحق بالحمد من قادر لا يفعل لحكمة ولا لمصلحة ولا لقصد الإحسان. هذا المستقر في فطر الخلق، والرب سبحانه وبحمده قد تملأ السماوات والأرض وما بينهما وما بعد ذلك، فملأ العالم العلوي والسفلي والدنيا والآخرة، ووسع حمده ما وسع علمه، فله الحمد التام على جميع خلقه، (وعلى جميع ما حكم به كوناً وديناً، فلم يوجد مخلوق إلا بحمده)[٣] ولا حكم [يحكم][٤] إلا بحمده، ولا قامت السماوات والأرض إلا بحمده، (ولا تحركت ذرة فما فوقها إلا بحمده، ولا نزلت قطرة إلا بحمده)[٥] ولا يتحول شيء في العالم العلوي والسفلي من حال إلى حال إلا

---

(١) انظر: (الفرق بين الفرق) ص١١٤ – ١١٦.

(٢) انظر: الأجوبة السابقة ص١١٢٣ إلى هذه الصفحة .

(٣) ما بينهما ساقط من باقي النسخ.

(٤) في الأصل (علم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) ما بينهما ساقط من باقي النسخ.

بحمده (ولا تحركت الأفلاك إلا بحمده، ولا أطيع إلا بحمده ولا عصي إلا بحمده)[١] ولا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ وأهلُ النارِ النارَ إلا بحمده، كما قال الحسن[٢] رحمة الله عليه: « لقد دخل أهل النارِ النارَ، وإن حمده لفي قلوبهم ما وجدوا عليه سبيلاً » .

وهو سبحانه إنما أنزل الكتاب بحمده، وأرسل الرسل بحمده ، وأمات خلقه بحمده، ويحييهم بحمده، ولهذا حمد نفسه على ربوبيته الشاملة لذلك كله: فـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة/ ٢].

وحمد نفسه على إنزال كتابه فـ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ [الكهف/ ١] .

وحمد نفسه على خلق السماوات والأرض: ﴿(ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ)[٣] وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام/ ١].

وحمد نفسه على كمال ملكه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [سبأ/ ١].

فحمدُه ملأ الزمان والمكان والأعيان، وعم [الأحوال][٤] كلها: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الروم/ ١٨،١٧].

---

(١) ما بينهما ساقط (ط).

(٢) سبقت ترجمته انظر ص١٤٧ .

(٣) ما بينهما زيادة من باقي النسخ.

(٤) في م، ط (الأقوال).

وكيف لا يحمد على خلقه كله وهو: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة/ ٧]. وعلى صنعه وقد أتقنه: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل/ ٨٨] وعلى أمره وكله حكمة ورحمة، وعدل ومصلحة، وعلى نهيه [وكل ما نهى)[١]] عنه شر وفساد، وعلى ثوابه وكله رحمة وإحسان، وعلى عقابه وكله عدل وحق. فلله الحمد كله، وله الملك كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله.

والمقصود أنه كلما كان الفاعل أعظم حكمة كان أعظم حمداً، وإذا عدم الحكمة ولم يقصدها بفعله وأمره، عدم الحمد .

الوجه السادس عشر: أنه سبحانه يجب أن يشكر، ويجب أن يشكر عقلاً وشرعاً[٢] وفطرة، فوجوب شكره أظهر من وجوب كل واجب. وكيف لا يجب على العباد حمده وتوحيده ومحبته، وذكر آلائه وإحسانه، وتعظيمه وتكبيره، والخضوع له، والتحدث بنعمته، والإقرار بها بجميع طرق الوجوب؟ .

فالشكر أحب شيء إليه وأعظم ثواباً، وله خلق الخلق، وأنزل الكتب وشرع الشرائع، وذلك يستلزم خلق الأسباب التي يكون [الشكر][٣] بها أكمل، ومن جملتها أن [فاوت][٤] بين عباده في صفاتهم الظاهرة والباطنة، في خلقهم وأخلاقهم وأديانهم وأرزاقهم ومعايشهم وآجالهم، فإذا رأى المعافى

---

(١) ما بينهما زيادة من باقي النسخ.

(٢) قال سبحانه ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾(البقرة/ ١٥٢).

(٣) في الأصل (المسئلة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) في الأصل (قارب) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

المبتلى، والغني الفقير، والمؤمن الكافر، عظم شكره لله، وعرف قدر نعمته عليه، وما خصه به وفضله به على غيره، فازداد شكراً وخضوعاً واعترافاً بالنعمة[(١)]، وفي أثر ذكره الإمام أحمد في الزهد: «أن موسى عليه السلام قال: يا رب هلا سويت بين عبادك؟ قال: إني أحببت أن أشكر»[(٢)].

فإن قيل: فقد كان من الممكن أن يسوى بينهم في النعم، ويسوى بينهم في الشكر، كما فعل بالملائكة .

قيل: لو فعل ذلك، لكان الحاصل من الشكر نوع آخر غير النوع الحاصل منه على هذا الوجه، والشكر الواقع على التفضيل والتخصيص أعلى وأفضل من غيره.

ولهذا كان شكر الملائكة وخضوعهم وذلهم لعظمته وجلاله بعد أن شاهدوا من إبليس ما جرى له، ومن هاروت وماروت[(٣)] ما شاهدوه أعلى وأكمل مما كان قبله.

---

(١) قال سبحانه: ﴿ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النمل/ ١٥) .

(٢) سبق تخريجه انظر ص١١٠٧ .

(٣) هاروت وماروت: كانا ملكين من الملائكة، فأهبطا إلى الأرض ليحكما بين الناس. وذلك أن الملائكة سخروا من أحكام بني آدم. فحاكمت إليهما إمرأة، فحافا لها، ثم ذهبا يصعدان، فحيل بينهما وبين ذلك، وخُيِّرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا. قال قتادة: فكانا يعلمان الناس السحر، فأخذ عليهما أن لا يعلما أحداً حتى يقولا: (إنما نحن فتنة فلا تكفر) كما ورد غير ذلك من الروايات عن أمرهما. (وهي من أخبار بني إسرائيل التي تصدق ولا تكذب) . انظر في ذلك: مسند الإمام أحمد ٢/ ١٣٤، تفسير الطبري ٢/ ٤٢٠-٤٣٥ ، فتح القدير ١/ ٢٠٥-٢١٤ .

وهذا حكمة الرب تعالى [وكذلك][١] شكر الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم [كان][٢] بعد أن عاينوا هلاك أعدائهم، انتقام الرب منهم، وما أنزل بهم من بأسه [أعلى وأكمل][٣]، وكذلك شكر أهل الجنة في الجنة وهم يشاهدون أعداءه، المكذبين لرسله، المشركين به في ذلك العذاب [العظيم][٤] فلا ريب أن شكرهم حينئذ ورضاهم ومحبتهم لربهم أكمل وأعظم مما لو قدر اشتراك جميع الخلق في النعيم.

فالمحبة الحاصلة من أوليائه له والرضا والشكر وهم يشاهدون (بني)[٥] جنسهم في ضد ذلك من كل وجه أكمل وأتم:

فالضد يظهر حسنه الضد   وبضدها تتبين الأشياء

ولولا خلق القبيح لما عرفت فضيلة الجمال والحسن، ولولا خلق الظلام لما عرفت فضيلة النور، ولولا خلق أنواع البلاء لما عرف قدر العافية. ولولا الجحيم لما عرف قدر الجنة، لو جعل الله سبحانه النهار سرمداً لما عرف قدره، ولو جعل الليل سرمداً لما عرف قدره، وأعرف الناس بقدر النعمة من ذاق البلاء، وأعرفهم بقدر الغنى[٦] من قاسى مرائر الفقر والحاجة. ولو كان الناس كلهم [علماء لما عرفت فضيلة العلم وقدره، ولو كانوا أغنياء لما

---

(١) في (ط) (ولهذا كان شكر).

(٢) ساقطة من (ط).

(٣) ما بينهما زيادة من (ط).

(٤) ساقطة من باقي النسخ.

(٥) في (ط) (بين) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) في (ط) الفقر والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

عرفت فضيلة الغنى، ولو كانوا كلهم][1] على صورة واحدة من الجمال لما عرف قدر الجمال، وكذلك لو كانوا كلهم مؤمنين لما عرف قدر الإيمان والنعمة به، فتبارك من له في خلقه وأمره الحكم البوالغ، والنعم السوابغ.

يوضحه **الوجه السابع عشر**: أنه سبحانه يجب أن يعبد بأنواع العبودية، ومن أعلاها وأجلها عبودية الموالاة فيه، والمعاداة فيه، والحب فيه، والبغض فيه، والجهاد في سبيله، وبذل مهج النفوس في مرضاته، ومعارضة أعدائه.

وهذا النوع هو ذروة سنام العبودية، وأعلى مراتبها، وهو أحب أنواعها إليه، وهو موقوف على ما لا يحصل بدونه من خلق الأرواح التي تواليه وتشكره وتؤمن به، والأرواح التي تعاديه وتكفر به، ويسلط بعضها على بعض، لتحصل بذلك محابُّه على أتم الوجوه، وتقرب أولياءه إليه بجهاد أعدائه ومعارضتهم فيه، وإذلالهم وكبتهم ومخالفة سبيلهم، فتعلو كلمته ودعوته على كلمة الباطل ودعوته، ويتبين بذلك شرف علوها وظهورها، ولو لم يكن للباطل والكفر والشرك وجود، فعلى أي شيء كانت كلمته ودعوته تعلو؟ فإن العلو أمر لشيء يستلزم غالباً ما يعلى عليه، وعلو الشيء على نفسه محال. والوقوف على الشيء لا يحصل بدونه.

يوضحه **الوجه الثامن عشر**: أن من عبودبته العتق والصدقة، والإيثار والمواساة، والعفو والصفح، والصبر، وكظم الغيظ، واحتمال المكاره، ونحو ذلك مما لا يتم إلا بوجود متعلقه وأسبابه. فلولا [الرق][2] لم تحصل عبودية

---

(١) ما بينهما ساقط من (ط).

(٢) ساقطة من (ط).

العتق؛ فالرق من أثر الكفـر. ولولا الظلم والإساءة والعدوان لم تحصل عبودية الصبر [والعفو][(١)] والمغفرة وكظم الغيظ. ولولا الفقر والحاجة لم تحصل عبودية الصدقة والإيثار والمواساة، فلو سوى بين خلقه جميعهم، لتعطلت هذه العبوديات التي هي أحب شيء إليه.

ولأجلها خلق الجن والإنس، ولأجلها شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل، وخلق الدنيا والآخرة، كما أن ذلك من صفات كماله. فلو لم يقدر الأسباب التي يحصل بها ذلك، لغاب هذا الكمال، وتعطلت أحكام تلك الصفات كما مر[(٢)].

يوضحه الوجه التاسع عشر: أنه سبحانه يفرح بتوبة عبده إذا تاب إليه أعظم فرح يقدر أو يخطر ببال أو يدور في خلد. وحصول هذا الفرح موقوف على التوبة الموقوفة على وجود ما يتاب منه، وما يتوقف عليه الشيء لا يوجد بدونه، فإن وجود الملزوم بدون لازمه محال.

ولا ريب أن وجود [هذا][(٣)] الفرح أكمل من عدمه. فمن تمام الحكمة تقدير أسبابه ولوازمه، وقد نبه أعلم الخلق بالله على هذا المعنى بعينه؛ حيث يقول في الحديث الصحيح : **« لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم »**[(٤)].

---

(١) ساقطة من (ط).

(٢) انظر: الصفحات (١٠١٢-١٠٢١).

(٣) ساقطة من باقي النسخ.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب (التوبة) ، باب (سقـوط الذنوب بالاستغفار) ح (٢٧٤٩) ٣/ ٢١٠٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ « والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا.. » .

فلو لم يقدر الذنوب والمعاصي، فلمن يغفر؟ وعلى من يتوب؟ وعمن يعفو [ولمن يسامح ويعتق][(١)] ويسقط حقه، ويظهر فضله وجوده وحلمه وكرمه، وهو واسع المغفرة، فكيف يعطل هذه الصفة؟ أم كيف يتحقق بدون ما يغفر ومن يغفر له، ومن يتوب وما يتاب [منه][(٢)]؟

فلو لم يكن في تقدير الذنوب والمعاصي والمخالفات إلا هذا وحده، لكفى به حكمة وغايةً محمودة.

فكيف والحكم والمصالح والغايات المحمودة التي في ضمن هذا التقدير فوق ما يخطر بالبال؟ وكان بعض العباد يدعو في طوافه: اللهم اعصمني من المعاصي، [ويكثر][(٣)] من ذلك، فقيل له في المنام: أنت تسألني العصمة، وعبادي يسألونني العصمة، فإذا عصمتكم من الذنوب [فلمن][(٤)] أغفر، وعلى من أتوب وعمن أعفو؟

ولو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه، لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه.

يوضحه **الوجه العشرون**: أنه قد يترتب على خلق من يكفر به ويشرك به ويعاديه من الحكم الباهرة والآيات الظاهرة ما لم يكن يحصل بدون ذلك. فلولا كفر قوم نوح لما ظهرت آية الطوفان وبقيت [آية][(٥)] يتحدث بها الناس على مر الأزمان، ولولا كفر عاد لما ظهرت آية الريح العقيم التي دمرت ما

---

(١) ما بينهما ساقط من (ط).

(٢) في ط (عنه).

(٣) في ط (ويكرر).

(٤) في الأصل (فلم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) ما بينهما ساقط من باقي النسخ..

مرت عليه، ولولا كفر قوم صالح لما ظهرت آية إهلاكهم بالصيحة، ولولا كفر قوم فرعون لما ظهرت تلك الآيات والعجائب [التي][(١)] تحدث بها الأمم أمة بعد أمة، واهتدى [بها][(٢)] من شاء الله، فهلك بها من هلك عن بينة، وحيَّ بها من حيَّ عن بينة[(٣)]، وظهر بها فضل الله وعدله وحكمته وآيات رسله وصدقهم. فمعارضة الرسل وكسر حججهم ودحضها، والجواب عنها وإهلاك الله لهم من أعظم أدلة صدقهم وبراهينه. ولولا مجيء المشركين بالحد والحديد والعدد والشوكة يوم بدر، لما حصلت تلك الآية العظيمة التي ترتب عليها من الإيمان والهدى والخير ما لم يكن حاصلاً مع عدمها.

وقد بينا أن الموقوف على الشيء لا يوجد بدونه، ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنع، فلله كم عمرت قصة بدر من ربع أصبح آهلاً بالإيمان [وكم][(٤)] فتحت لأولي النهى من باب وصلوا منه إلى الهدى والإيقان، وكم حصل بها من محبوب للرحمن وغيظ للشيطان. وتلك المفسدة التي حصلت في ضمنها للكفار مغمورة جداً بالنسبة إلى مصالحها وحكمها. وهي كمفسدة المطر إذا قطع المسافر، وبلَّ الثياب، وخرب بعض البيوت، بالنسبة إلى مصلحته العامة.

وتأمل ما حصل بالطوفان وغرق آل فرعون للأمم من الهدى والإيمان، الذي غمر مفسدة من هلك به، حتى تلاشت في جنب مصلحته وحكمته.

---

(١) ساقطة من (ط).

(٢) ساقطة من (ط).

(٣) يشير إلى قوله سبحانه: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ (الأنفال/ ٤٢).

(٤) في جميع النسخ (وقد) ولعل الصواب ما أثبته.

فكم لله من حكمة في آياته التي ابتلى بها أعداءه، وأكرم فيها أولياءه، وكم له فيها من آيات وحجة وتبصرة وتذكرة، ولهذا أمر سبحانه رسوله أن يذكر بها أمته، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٥) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (٦)﴾ [إبراهيم ٥-٦].

فذكَّرهم بأيامه وإنعامه، ونجاتهم من عدوهم، وإهلاكهم وهم ينظرون. فحصل بذلك من ذكره وشكره ومحبته وتعظيمه وإجلاله ما تلاشت فيه مفسدة إهلاك الأبناء وذبحهم واضمحلت. فإنهم صاروا إلى النعيم، وخلصوا من مفسدة العبودية لفرعون، إذ كبروا (وسومه)[١] [لهم][٢] سوء العذاب. وكان الألم الذي ذاقه الأبوان عند الذبح أيسر من الآلام التي كانوا تجرعوها باستعباد فرعون وقومه لهم بكثير، فحظي بذلك الآباء والأبناء.

وأراد سبحانه أن يري عباده ما هو من أعظم آياته، وهو أن يربي هذا المولود ـ الذي ذبح فرعون ما شاء الله من الأولاد في طلبه ـ في حجر فرعون، وفي بيته، وعلى فراشه. فكم في ضمن هذه الآية من حكمة ومصلحة ورحمة وهداية وتبصرة، وهي موقوفة على لوازمها وأسبابها، ولم تكن لتوجد بدونها، فإنه ممتنع. فمصلحة تلك الآية وحكمتها غمرت مفسدة ذبح الأبناء،

---

(١) في (ط) وسومهم له.

(٢) في الأصل (له) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

وجعلها كأن لم تكن.

وكذلك الآيات التي أظهرها سبحانه على يد الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم[1]، والعجائب والحكم والمصالح والفوائد التي في تلك القصة، التي تزيد على الألف، لم تكن لتحصل بدون ذلك السبب الذي كان فيه مفسدة جزئية في حق[2] يعقوب ويوسف، ثم انقلبت تلك المفسدة مصالح اضمحلت في جنبها تلك المفسدة بالكلية، وصارت سبباً لأعظم المصالح في حقه، وحق يوسف، وحق الإخوة، وحق امرأة العزيز، وحق أهل مصر، وحق المؤمنين إلى يوم القيامة. فكم جنى أهل المعرفة بالله وأسمائه وصفاته ورسله من هذه القصة من ثمرة، وكم استفادوا بها من علم وحكمة وتبصرة.

وكذلك المفسدة التي حصلت لأيوب من مس الشيطان له بنصب وعذاب اضمحلت وتلاشت في جنب المصلحة والمنفعة التي حصلت له ولغيره عند مفارقة البلاء، وتبدله بالنعماء، بل كان ذلك السبب المكروه هو الطريق الموصل إليها، والشجرة التي جنيت [منها][3] ثمار تلك النعم[4].

وكذلك الأسباب التي أوصلت خليل الرحمن إلى أن صارت النار عليه برداً وسلاماً من كفر قومه وشركهم، وتكسيره أصنامهم، وغضبهم لها،

---

(١) المراد به نبي الله يوسف ﷺ، لما ورد في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام» أخرجه البخاري في كتاب (الأنبياء) باب (١٨) ٤/ ١٢١.

(٢) ساقطة من (ط).

(٣) ساقطة من (ط).

(٤) انظر: زاد المسير ٧/ ١٤١.

وإيقاد النيران العظيمة له، وإلقائه فيها بالمنجنيق، حتى وقع في روضة خضراء في وسط النار، وصارت آية وحجة وعبرة ودلالة للأمم قرناً بعد قرن[١].

فكم لله سبحانه في ضمن هذه الآية من حكمة بالغة، ونعمة سابغة، ورحمة وحجة وبيّنة، لو تعطلت تلك الأسباب، لتعطلت هذه الحكم والمصالح والآيات. وحكمته وكماله المقدس يأبى ذلك.

وحصول الشيء بدون لازمه ممتنع، وكم بين ما وقع من المفاسد [الجزئية][٢] بدون هذه القصة وبين جعل صاحبها إماماً للحنفاء إلى يوم القيامة، وهل تلك المفاسد [الجزئية][٣] إلا دون مفسدة الحر والبرد والمطر والثلج بالنسبة إلى مصالحها بكثير. ولكن الإنسان كما قال الله: ﴿ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب/ ٧٢] ظلوم لنفسه، جهول بربه وبعظمته وجلاله وحكمته وإتقان صنعه[٤].

وكم بين إخراج رسول الله ﷺ من مكة على تلك الحال ودخوله إليها ذلك الدخول الذي لم يفرح به بشر حبوراً لله. وقد اكتنفه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله المهاجرون والأنصار قد أحدقوا به، والملائكة من فوقهم، والوحي من الله ينزل عليه، وقد أدخله حرمه ذلك الدخول، فأين مفسدة ذلك الإخراج (الذي كان)[٥] كأن لم يكن؟[٦].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٩٦-٣٠٥.

(٢) في الأصل (الجزوية) والصواب ما أثبته وهو من (ط).

(٣) في الأصل (الجزوية) والصواب ما أثبته وهو من (ط).

(٤) انظر: زاد المسير: ٦/ ٤٢٩.

(٥) ما بينهما زيادة من (ط).

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٨٩٩.

ولولا معارضة السحرة لموسى بإلقاء العصي والحبال حتى أخذوا أعين الناس واسترهبوهم، لما ظهرت آية عصا موسى حتى ابتلعت عصيهم وحبالهم، ولهذا أمرهم موسى عليه السلام أن يلقوا أولاً ثم يلقي هو بعدهم(١).

ومن تمام ظهور آيات الرب تعالى وكمال اقتداره وحكمته أن يخلق مثل جبريل صلوات الله وسلامه عليه، الذي هو أطيب الأرواح العلوية وأزكاها وأطهرها وأشرفها، وهو السفير في كل خير وهدى وإيمان وصلاح، ويخلق مقابله مثل روح اللعين إبليس، الذي هو أخبث الأرواح وأنجسها وشرها، وهو الداعي إلى كل شر وأصله ومادته(٢).

وكذلك من تمام قدرته وحكمته أن خلق الضياء والظلام، والأرض والسماء، والجنة والنار، وسدرة المنتهى، وشجرة الزقوم، وليلة القدر، وليلة [الوباء](٣) والملائكة والشياطين والمؤمنين والكفار والأبرار والفجار، [والحر](٤) والبرد، والداء والدواء، والآلام واللذات، والأحزان، والمسرات، واستخرج سبحانه من بين [ذلك](٥) ما هو من أحب الأشياء إليه من أنواع العبوديات والتعرف إلى خلقه بأنواع الدلالات.

ولولا خلق (الشياطين والهوى)(٦) والنفس الأمارة، لما حصلت عبودية

---

(١) انظر: تفسير الطبري ١٣/ ٢٦-٣٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٢/ ٣٢٦-٣٣٠.

(٣) هكذا وردت في جميع النسخ، وبحثت فلم أتوصل إلى المقصود من هذه الليلة.

(٤) زيادة من باقي النسخ.

(٥) ساقطة من (ط).

(٦) في الأصل (الشيطان والنور) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

الصبر، ومجاهدة النفس (والشيطان)[١] ومخالفتهما، وترك ما يهواه العبد ويحبه لله، فإن لهذه العبودية شأناً ليس لغيرها[٢].

ولولا وجود الكفار لما حصلت عبودية الجهاد[٣]، ولما نال أهله درجة الشهادة، ولما [ظهر][٤] من يقدم محبة فاطره وخالقه على نفسه وأهله وولده، ومن يقدم أدنى حظ من الحظوظ عليه. فأين صبر الرسل وأتباعهم وجهادهم، وتحملهم لله أنواع المكاره والمشاق، وأنواع العبودية المتعلقة بالدعوة، وإظهارها لولا وجود الكفار[٥]؟ وتلك العبودية تقتضي (درجة لا تنال إلا بها، والرب تعالى يحب أن يبلغها رسله وأتباعهم ويشهدهم نعمته عليهم)[٦] وفضله وحكمته، ويستخرج منهم حمده وشكره ومحبته والرضا عنه.

يوضحه الوجه الحادي والعشرون: أنه قد استقرت حكمته سبحانه أن السعادة والنعيم والراحة لا يوصل إليها إلا على جسر المشقة والتعب، ولا يدخل إليها إلا من باب المكاره والصبر وتحمل المشاق. ولذلك حف الجنة

---

(١) في الأصل (والشياطين) ولعل الصواب ما أثبته وهو باقي من النسخ.

(٢) قال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات / ٤٠-٤١].

(٣) قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة/ ٧٣].

(٤) وفي الأصل و، م (نهي) والصواب ما أثبته من (ط).

(٥) قال سبحانه: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التوبة/ ٨٨].

(٦) ما بينهما ساقط من (ط).

بالمكاره والنار بالشهوات[١]. وكذلك أخرج صفيه آدم من الجنة وقد (خلقها)[٢] له، واقتضت حكمته أنه لا يدخلها دخول استقرار إلا بعد التعب والنصب. فما أخرجه منها إلا ليدخله إليها أتم دخول ، فلله كم بين الدخول الأول والدخول الثاني من التفاوت ، وكم بين دخول رسول ﷺ مكة في جوار [المطعم][٣] بن عدي[٤] ودخوله إليها يوم الفتح[٥]، وكم بين راحة المؤمنين ولذتهم في الجنة بعد مقاساة ما قبلها وبين لذتهم لو خلقوا فيها، وكم [بين][٦] فرحة من عافاه بعد ابتلائه، وأغناه بعد فقره وهداه بعد ضلاله، وجمع قلبه [عليه][٧] بعد شتاته وفرحة من لم يذق تلك المرارات.

---

(١) يشير رحمه الله إلى حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات». أخرجه مسلم في كتاب (الجنة وصفة نعيمها وأهلها) ح (٢٨٢٢). ٣/ ٢١٧٤.

(٢) في الأصل، م (جعلها) ولعل الصواب ما أثبته من (ط).

(٣) في الأصل (المعظم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) كان دخول النبي ﷺ في جوار المطعم بن عدي بعد مرجعه من الطائف، وقد ازداد قومه عليه ضيقاً وغيظاً وجرأة وتكذيباً وعناداً. فمكث رسول الله ﷺ أياماً في جوار المطعم بن عدي، ثم أذن الله له بالهجرة إلى المدينة، وبعد ذلك توفي المطعم. انظر: (البداية والنهاية ٣/ ١٣٧). وكما قال النبي ﷺ يوم أسارى بدر: «لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له». أخرجه البخاري في كتاب (المغازي) باب (شهود الملائكة بدراً) ٥/ ٢٠.

(٥) انظر: البداية والنهاية ٤/ ٢٩١.

(٦) ساقطة من (م).

(٧) ساقطة من (ط).

وقد سبقت الحكمة الإلهية أن المكاره أسباب اللذات والخيرات، كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/ ٢١٦].

وربما كان مكروه النفوس إلى ... محبوبها سبباً مثله سبب[١]

يوضحه **الوجه الثاني والعشرون**: أن العقلاء قاطبة متفقون على استحسان إتعاب النفوس في تحصيل كمالاتها مع العلم النافع، والعمل الصالح، والأخلاق الفاضلة، وطلب محمدة من ينفعهم حمده، وكل من كان أتعب في تحصيل ذلك كان أحسن حالاً وأرفع قدراً. وكذلك يستحسنون إتعاب النفوس في تحصيل الغنى والعز والشرف، ويذمون القاعد عن ذلك، وينسبونه إلى دناءة الهمة وخسة النفس وضعة القدر، (كما قيل)[٢]:

دع المكارم لا تنهض[٤] لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي[٣]

وهذا التعب والكد يستلزم آلاماً وحصول مكاره ومشاق هي الطريق إلى تلك الكمالات، ولم يقدحوا بتحمل تلك في حكمة من يحملها، ولا يعدونه

(١) ذكر المؤلف هذا البيت في إغاثة اللهفان ٢/ ١٠٤ وزاد المعاد ٣/ ٣١٠ ولم يعزه لقائل.

(٢) ما بينهما من م، ط.

(٣) من قصيدة قالها الحطيئة يهجو الزبرقان بن بدر ومطلعها:

ما كان ذنب بغيض لا أبا لكم ... في بائس جاء يحدو آخر الناس

انظر: ديوان الحطيئة ص ٢٨٣.

(٤) الصواب (لا ترحل).

عائباً، بل (هذا عندهم)[1] هو العقل [الوافي][2]، ومن أمر غيره به فهو حكيم في أمره، ومن نهاه عن ذلك فهو سفيه عدو له.

هذا في مصالح المعاش، فكيف بمصالح الحياة الأبدية الدائمة والنعيم المقيم؟ كيف لا يكون الآمر بالتعب القليل في الزمن اليسير، الموصل إلى الخير الدائم حكيماً رحيماً لمن يأمره (بذلك)[3] وينهاه عن ضده من الراحة واللذة التي تقطعه عن كماله ولذته ومسرته الدائمة؟ هذا إلى ما في أمره ونهيه من مصالح العاجلة التي بها سعادته وفلاحه وصلاحه ونهيه عما فيه مضرته وعطبه وشقاوته، فأوامر الرب تعالى رحمة وإحسان، وشفاء ودواء، وغذاء للقلوب، وزينة للظاهر والباطن، وحياة للقلب والبدن، وكم في ضمنه من مسرة وفرحة ولذة وبهجة ونعيم وقرة عين.

فما يسميه هؤلاء تكاليف إنما هو قرة العيون، وبهجة النفوس، وحياة القلوب، ونور العقول، وتكميل للفطر، وإحسان تام إلى النوع الإنساني أعظم من إحسانه إليه بالصحة والعافية، والطعام والشراب واللباس، فنعمته على عباده بإرساله رسله إليهم، وإنزال كتبه عليهم، وتعريفهم أمره ونهيه وما يحبه ويبغضه أعظم النعم وأجلها وأعلاها وأفضلها، بل لا نسبة لرحمتهم بالشمس والقمر، والغيث والنبات إلى رحمتهم بالعلم والإيمان، والشرائع والحلال والحرام. فكيف يقال: أي حكمة في ذلك، وإنما هو مجرد مشقة ونصب بغير فائدة!؟.

---

(١) ما بينهما ساقط من (ط) و (هذا) ساقطة من (م).

(٢) في الأصل (الوافر).

(٣) ساقطة من (م)، ، (ط).

فوالله إن من زعم ذلك وظنه في أحكم الحاكمين لأضل من الأنعام، وأسوأ حالاً من الحمير. ونعوذ بالله من الخذلان والجهل بالرحمن وأسمائه وصفاته.

وهل قامت مصالح الوجود إلا بالأمر والنهي، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب. ولولا ذلك لكان الناس بمنزلة البهائم يتهارجون[1] في الطرقات، ويتسافدون تسافد[2] الحيوانات، لا يعرفون معروفاً، ولا ينكرون منكراً، ولا يمتنعون من قبيح، ولا يهتدون إلى صواب.

وأنت ترى الأمكنة والأزمنة التي خفيت فيها آثار النبوة كيف حال أهلها، وما دخل عليهم من الجهل والظلم، والكفر بالخالق، والشرك بالمخلوق، واستحسان القبائح، وفساد العقائد والأعمال.

فإن الشرائع تنزيل الحكيم العليم أنزلها وشرعها الذي يعلم ما في ضمنها من مصالح العباد في المعاش [والمعاد][3]، وأسباب سعادتهم الدنيوية والأخروية، فجعلها غذاءً ودواءً وشفاءً وعصمة وحصناً وملجأ وجنة ووقاية، وكانت بالقياس إلى مصالح الأبدان بمنزلة حكيم عالم ركب للناس أمراً يصلح مرض ولكل ألم، وجعله مع ذلك غذاء للأصحاء، فمن يغذى به من الأصحاء غذاه، ومن يداوى به من المرضى شفاه.

---

(١) يتهارجون (هَرِجَ) البعير ونحوه هَرَجاً: زاغ بصره، وتحير من شدة الحر وثقل الحمل، ويقال: هَرِج فلان: أخذه البهر من حر أو مشي. وهَرَّجَ: أذاع الهرج والاضطراب بالقول الباطل والإشاعات المزيفة. انظر: المعجم الوسيط ص٩٨٠.

(٢) تسافد الحيوان: نزا بعضه على بعض. انظر: المعجم الوسيط ص ٤٣٢.

(٣) في الأصل (والعباد) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

وشرائع الرب تعالى فوق ذلك وأجل منه، وإنما هو تمثيل وتقريب. فلا أحسن من أمره ونهيه وتحليله وتحريمه. أمره قوت [وغذاء وشفاء][1] ونهيه حمية وصيانة. فلم يأمر عباده بما أمرهم به حاجة منه إليهم ولا عبثاً، بل رحمة وإحساناً ومصلحة، ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلاً منه عليهم، بل حماية وصيانة عما يؤذيهم ويعود عليهم بالضرر إن [تناولوه][2].

فكيف يتوهم من له مسكة من عقل خلوها من الحكم والغايات المحمودة المطلوبة لأجلها؟.

[ولهذا][3] استدل كثير من العقلاء على النبوة بنفس الشريعة، واستغنوا بها عن طلب المعجزة. وهذا من أحسن الاستدلال، فإن دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم من أكبر شواهد صدقهم.

وكل من له خبرة بنوع من أنواع العلوم إذا رأى حاذقاً قد صنف فيه كتاباً جليلاً عرف أنه من أهل ذلك العلم بنظره في كتابه.

وهكذا كل من له عقل وفطرة سليمة وخبرة بأقوال الرسل ودعوتهم، إذا نظر في هذه الشريعة، قطع قطعاً نظير القطع بالمحسوسات أن الذي جاء بهذه الشريعة رسول صادق، وأن الذي شرعها أحكم الحاكمين.

ولقد شهد لها عقلاء الفلاسفة بالكمال والتمام، وأنه لم يطرق العالم ناموس أكمل ولا أحكم (منها)[4]. هذه شهادة الأعداء.

---

(١) في الأصل الشفاء والغذاء ولعل الصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في الأصل (أن ينالوه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) في الأصل (م) (ولقد) والصواب ما أثبته من (ط).

(٤) ساقطة من م، ط.

وشهد لها من زعم أنه من الأولياء بأنها لم تشرع لحكمة ولا لمصلحة، وقالوا: [أي][(١)] حكمة في الإلزام بهذه التكاليف الشاقة المتعبة؟ وأي مصلحة للمكلف في ذلك؟ وأي غرض للمكلف؟ وما [هي][(٢)] إلا محض المشيئة المجردة من قصد غاية أو حكمة.

ولو استحى هؤلاء من العقلاء، لمنعهم الحياء من تسويد القلوب والأوراق بمثل ذلك، وهل تركت الشريعة خيراً ومصلحة إلا جاءت به وأمرت به، وندبت إليه؟ وهل تركت شراً ومفسدةً إلا نهت عنه؟.

وهل تركت [لمقترح اقتراحا][(٣)]، أو لمتَعَنِّت تعنتاً أو لسائل مطلباً؟ ﴿[وَمَنْ][(٤)] أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة/ ٥٠].

وعند نفاة الحكم أنه يجوز عليه ضد ذلك الحكم من كل وجه، وأنه لا فرق بينه وبين ضده في نفس الأمر إلا لمجرد [الحكم][(٥)] والمشيئة. فلو اجتمعت حكمة جميع الحكماء من أول الدهر إلى آخره، ثم قيست إلى حكمة هذه الشريعة الكاملة الحكيمة الفاضلة، لكانت كقطرة من بحر.

وإنما نعني بذلك الشريعة التي أنزلها الله على رسوله، وشرعها للأمة ودعاهم إليها، لا الشريعة المبدلة ولا المؤولة، ولا ما غلط فيه الغالطون

---

(١) في الأصل (أن) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) ساقطة من (م) وفي الأصل (وما هو) ولعل الصواب ما أثبته من (ط).

(٣) في (ط)، (لمفرح فرحاً).

(٤) في (م)، (ط) (فمن) والصواب ما أثبته.

(٥) في (م)، (ط) (التحكم).

وتأوله المتأولون، فإن هذين النوعين قد يشتملان على فساد وشر، بل الشر والفساد الواقع بين الأمة من هاتين الشريعتين اللتين نسبتا إلى الشريعة المنزلة من عند الله عمداً أو خطأ. وإلا فالشريعة على وجهها خير محض ومصلحة من كل وجه، ورحمة وحكمة ولطف [بالمكلفين][(١)] وقيام مصالحهم بها فوق مصالح أبدانهم بالطعام والشراب، فهي مكملة للفطر والعقول، مرشدة إلى ما يحبه الله ويرضاه، ناهية عما يبغضه ويسخطه، مستعملة لكل قوة قيام وعضو وحركة في كماله الذي لا كمال له سواه، آمرةً بمكارم الأخلاق ومعاليها، وناهية عن دنيئها وسفسافها.

واختصار ذلك أنه شرع استعمال كل قوة، وكل عضو وكل حركة في كمالها. ولا سبيل إلى معرفة كمالها على الحقيقة إلا بالوحي. فكانت الشرائع ضرورية في مصالح الخلق [وضرورتهم إليها][(٢)]، فوق كل ضرورة تقدر، فهي أسباب موصلة إلى سعادة الدارين، [ورأس][(٣)] الأسباب الموصلة إلى حفظ صحة البدن وقوته واستفراغ إخلاصه.

ومن لم يتصور الشريعة على هذه الصورة، فهو من أبعد الناس عنها. وقد جعل الحكيم العليم لكل قوة من القوى، ولكل حاسة من الحواس، ولكل عضو من الأعضاء، كمالاً حسياً وكمالاً معنوياً، وَفَقْدُ كماله المعنوي شر من فقدِ كماله [الحسي]،[(٤)] فكماله المعنوي بمنزلة الروح، والحسي بمنزلة الجسم.

---

(١) في الأصل (بالمتكلفين) والصواب ما أثبته، وهو من باقي النسخ.

(٢) في (م) (وضرورتها لها) وفي ط (ضرورتها له).

(٣) في الأصل، (م) (ورأي) ولعل الصواب ما أثبته من (ط).

(٤) هذه العبارة مكررة في (م).

فأعطاه كماله الحسي خلقاً وقدراً، وأعطاه كماله المعنوي شرعاً وأمراً، فبلغ بذلك غاية السعادة والانتفاع بنفسه، فلم يدع للإحساس إليه والاعتناء بمصالحه وإرشاده إليها وإعانته على تحصيلها (اقتراحاً يقترحه ولا شيئاً يطلبه)[١]، بل أعطاه من ذلك ما لم يصل إليه اقتراحه، [ولا تدركه][٢] معرفته.

ويكفي العاقل البصير، الحي القلب فكرة في فرع واحد من فروع الأمر والنهي، [وهو][٣] الصلاة وما اشتملت عليه من الحكم الباهرة والمصالح الباطنة والظاهرة، والمنافع المتصلة بالقلب والروح والبدن، والقوى التي لو اجتمع حكماء العالم قاطبة، واستفرغوا قواهم وأذهانهم، لما [أحاطوا][٤] بتفاصيل حكمها وأسرارها، وغاياتها المحمودة، بل انقطعوا كلهم دون أسرار الفاتحة، وما فيها من المعارف الإلهية، والحكم الربانية، والعلوم النافعة، والتوحيد التام، والثناء على الله تعالى بأصول أسمائه وصفاته، وذكر أقسام الخليقة باعتبار غاياتهم ووسائلهم، وما في مقدماتها وشروطها من الحكم العجيبة؛ من تطهير الأعضاء والثياب والمكان، وأخذ الزينة، واستقبال بيته الذي جعله إماماً للناس، وتفريغ القلب لله، وإخلاص النية، وافتتاحها بكلمة جامعة لمعاني العبودية، دالة على أصول الثناء وفروعه، مخرجة من القلب الالتفات [إلى][٥] ما سواه والإقبال على غيره، [فيقوم][٦] بقلبه الوقوف بين يدي

---

(١) في م، ط (أفترحاً يفترحه ولا شقاء يطلبه).

(٢) في (ط) (ولا تدرك).

(٣) في الأصل (وهي) والصواب ما أثبته.

(٤) في الأصل (احتاطوا) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) في الأصل و (م) (على) ولعل الصواب ما أثبته، وهو من (ط).

(٦) في باقي النسخ (فيقدم).

عظيم جليل [كبير][1] أكبر من كل شيء، وأجل من كل شيء، وأعظم من كل شيء، [تلاشت][2] في كبريائه السماوات وما أظلت، والأرض وما أقلت، والعوالم كلها، عنت له الوجوه، وخضعت له الرقاب، وذلت له الجبابرة، قاهر فوق عباده، ناظر إليهم، عالم بما تكن صدورهم، يسمع كلامهم، ويرى مكانهم، ولا يخفى عليه خافية من أمرهم، ثم أخذ بتسبيحه وحمده وذكره، تبارك اسمه وتعالى جده وتفرده بالإلهية.

ثم أخذ في الثناء عليه ما يثنى عليه به من حمده، وذكر ربوبيته للعالم، وإحسانه إليهم، ورحمته بهم، وتمجيده بالملك الأعظم في اليوم الذي لا يكون فيه ملك سواه، حتى يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، ويدينهم بأعمالهم.

ثم إفراده بنوعي التوحيد: توحيد ربوبيته استعانة به، وتوحيد إلهيته عبودية له.

ثم سؤاله أفضل مسؤول، وأجل مطلوب على الإطلاق (وهو هداية الصراط المستقيم)[3] الذي نصبه لأنبيائه ورسله وأتباعهم، وجعله صراطاً موصلاً لمن سلكه إليه وإلى جنته، وأنه صراط من اختصهم بنعمته بأن عرفهم الحق، وجعلهم متبعين له، دون صراط أمة الغضب الذي عرفوا الحق ولم يتبعوه، وأهل الضلال الذين ضلوا عن معرفته وإتباعه[4].

---

(١) ساقطة من (ط).

(٢) في (ط) (بلا سبب).

(٣) مكررة في (م).

(٤) المغضوب عليهم اليهود، والضالون النصارى. ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية في (القضاء والقدر) ص٣٨٠ (قال: قال النبي ﷺ: «اليهود مغضوب عليهم والنصارى

فتضمنت تعريف الرب، والطريق الموصل إليه، والغاية بعد الوصول.

وتضمنت الثناء والدعاء، وأشرف الغايات وهي العبودية، وأقرب الوسائل إليها وهي الاستعانة، [مقدماً][(١)] فيها الغاية على الوسيلة، والمعبود المستعان على الفعل، إيذاناً بالاختصاص، وأن ذلك لا يصلح إلا له سبحانه.

وتضمنت ذكر الإلهية والربوبية والرحمة، فيثنى عليه ويعبد بإلهيته، ويخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويدبر الملك، ويضل من يستحق الإضلال، ويغضب على الغضب بربوبيته وحكمته، وينعم ويرحم، ويجود ويعفو، ويغفر ويهدي، ويتوب برحمته.

فللّه كم في هذه السورة من أنواع المعارف والعلوم والتوحيد، وحقائق الإيمان.

ثم يأخذ بعد ذلك في تلاوة ربيع القلوب، وشفاء الصدور، ونور البصائر، وحياة الأرواح، وهو كلام رب العالمين، فيحل به في ما شاء من روضات مونقات، وحدائق معجبات، زاهية أزهارها، مونقة ثمارها، قد ذللت قطوفها تذليلاً، [وسهلت][(٢)] لمتناولها تسهيلاً، فهو يجتني من تلك الثمار خيراً يؤمر به، وشراً ينهى عنه، وحكمة وموعظة، وتبصرةً وتذكرة، وعبرةً وتقريراً لحق، ودحضاً لباطل، وإزالة لشبهة، وجواباً عن مسألة،

ضالون» وذلك أن اليهود عرفوا الحق ولم يتبعوه، والنصارى عبدوا الله بغير علم) انتهى. الحديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٧٧) وابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ١٨٧).

(١) في الأصل (بعدما) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) زيادة من (م، ط).

وإيضاحاً لمشكل، وترغيباً في أسباب فلاح وسعادة، وتحذيراً من أسباب خسران وشقاوة، ودعوة إلى هدى، ورداً عن ردى، فتنزل على القلوب نزول الغيث على الأرض، التي لا حياة لها بدونه، ويحل منها محل الأرواح من أبدانها.

فأي نعيم وقرة عين، ولذة قلب، وابتهاج وسرور، لا يحصل له في هذه المناجاة، والرب تعالى يسمع لكلامه، جارياً على لسان عبده، ويقول: حمدني عبدي، أثنى علي عبدي، مجدني عبدي(١)(٢).

ثم يعود إلى تكبير ربه عز وجل، فيجدد به عهد التذكرة، كونه أكبر من كل شيء [بحق](٣) عبوديته، وما ينبغي أن يعامل به.

ثم يركع [حانياً](٤) ظهره خضوعاً لعظمته، وتذللاً لعزته، واستكانة لجبروته، مسبحاً له بذكر اسمه العظيم، فنزه عظمته عن حال العبد وذله وخضوعه، وقابل تلك العظمة بهذا الذل والانحناء والخضوع، قد تطامن وطأطأ رأسه، وطوى ظهره، وربُّه فوقه [يشاهده](٥) ويرى خضوعه وذله، ويسمع كلامه، فهو ركن تعظيم وإجلال، كما قال ﷺ: «أما الركوع فعظّموا

(١) يشير إلى حديث أبي هريرة الذي أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (الصلاة) باب (وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة) ح (٣٩٥) ١/ ٢٩٦.

(٢) انظر في تفسير هذه السورة العظيمة: تفسير الطبري ١/ ١٣٥-٢٠١، زاد المسير ١/ ١-١٨، تفسير القرآن العظيم ١/ ١٥-٥١.

(٣) في الأصل (لحو) ولعل الصواب ما أثبته.

(٤) في ط (يرجع جاثياً).

(٥) ساقطة من م، ط.

فيه الرب »[١].

ثم عاد إلى حاله من القيام، حامداً لربه، مثنياً عليه بأكمل محامده وأجمعها وأعمها، مثنياً عليه بأنه أهل الثناء والمجد، ومعترفاً بعبوديته، شاهداً له[٢] بتوحيده، وأنه لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، و[أنه][٣] لا ينفع أصحاب الجدود والأموال والحظوظ جدودهم عنه ولو عظمت.

ثم يعود إلى تكبيره ويخر له ساجداً على أشرف ما فيه، وهو الوجه، فيعفره في التراب ذلاً بين يديه ومسكنة وانكساراً، وقد أخذ كل عضو من البدن حظه من هذا الخضوع حتى أطراف الأنامل ورؤوس الأصابع، وندب له أن يسجد معه ثيابه وشعره فلا يكفه[٤]، وأن لا يكون بعضه محمولاً على بعض، وأن [يباشر][٥] التراب بجبهته، وينال [قبل][٦] وجهة المصلي، ويكون رأسه أسفل ما فيه تكميلاً للخضوع والتذلل لمن له العز كله والعظمة كلها. وهذا أيسر اليسير من حقه على عبده. فلو دام كذلك من حين خلق إلى أن يموت، لما أدى حقّ ربه عليه.

ثم أمر أن يسبِّح ربَّه الأعلى[٧] فيذكر علوه سبحانه في حالة سفوله هو،

(١) شطر من حديث أخرجه مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس كتاب (الصلاة) باب (النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود) ح(٤٧٩) ١/ ٣٤٨.

(٢) ساقطة من (ط).

(٣) في الأصل (ولا أنه) ولعل الصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أمر النبي ﷺ (أن يسجد على سبعة، ونهى أن يكف شعره وثيابه). أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الصلاة) باب (٤٤) ح (٤٩٠) ١/ ٣٥٤.

(٥) في ط (يتأسر) والصواب ما أثبته.

(٦) في الأصل، م (ثقل) الصواب ما أثبته من (ط).

(٧) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ قال رسول الله ﷺ =

وينزهه عن مثل هذه الحال. وإن من هو فوق كل شيء وعال على كل شيء يُنزَّه عن السفول بكل معنى، بل هو الأعلى بكل معنى من معاني العلو.

ولما كان هذا غاية ذل العبد وخضوعه وانكساره، كان أقرب ما يكون الرب منه في هذه الحال[١]. فأمر أن يجتهد في الدعاء لقربه من القريب المجيب. وقد قال تعالى: ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴾[٢] [العلق/ ١٩] وكأن الركوع كالمقدمة بين يدي السجود والتوطئة له. فينتقل من خضوع إلى خضوع أكمل وأتم منه وأرفع شأناً. وفصل بينهما بركن مقصود في نفسه، يجتهد فيه بالحمد والثناء والتمجيد، وجعل بين [خضوعين][٣] خضوع قبله، وخضوع بعده، وجعل خضوع السجود بعد الحمد والثناء والمجد، كما جعل خضوع الركوع بعد ذلك.

فتأمل هذا الترتيب العجيب، وهذا التنقل في مراتب العبودية، كيف ينتقل من [مقام][٤] الثناء على الرب بأحسن أوصافه وأسمائه، وأكمل محامده إلى

= « اجعلوها في ركوعكم » فلما نزلت ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ قال: اجعلوها في سجودكم. أخرجه أبو داود في كتاب (الصلاة) باب (ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده) ح (٨٦٩) ١/ ٥٤٢). وأحمد من حديث ابن عباس ١/ ٣٧١.

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء » . أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الصلاة) باب (ما يقال في الركوع والسجود) ح (٤٨٢) ١/ ٣٥٠.

(٢) في الأصل (واسجدوا) وفي م، ط (فاسجد).

(٣) ساقطة من (ط).

(٤) في الأصل (مكان) ولعل الصواب ما أثبته من باقي النسخ.

منزلة(١) خضوعه وتذلُّلِه [لمن](٢) له هذا الثناء، ويستصحب في مقام خضوعه [بما](٣) يناسب ذلك المقام ويليق به، فيذكر عظمة الرب في حال خضوعه وعلوه في حال سفوله.

ولما كان أشرف أذكار الصلاة القرآن، شرع في أشرف أحوال الإنسان، وهي هيئة القيام التي قد انتصب فيها قائماً على أحسن هيئة.

ولما كان أفضل أركانها الفعلية السجود، شرع فيها بوصف التكرار، وجعل خاتمة الركعة وغايتها التي انتهت إليها مطابق افتتاح الركعة بالقرآن، واختتامها بالسجود أول سورة افتتح بها الوحي، فإنها بدأت بالقراءة وختمت بالسجود(٤).

وشرع له بين هذين الخضوعين أن يجلس جلسة العبيد، ويسأل ربه أن يغفر له، ويرحمه ويرزقه ويهديه ويعافيه(٥)، وهذه الدعوات تجمع خير دنياه وآخرته.

---

(١) في (ط) (من له).

(٢) في (م، ط) (إن).

(٣) في الأصل (ثنا) والصواب ما أثبته من (ط).

(٤) يشير رحمه الله إلى سورة (العلق) فهي أول سورة افتتح بها الوحي، وأول ما نزل من القرآن بمكة، وقد بدأت بالقراءة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ وانتهت بالسجود بقوله سبحانه ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩﴾.

انظر على أنها أول ما نزل من القرآن: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٨٧٣. الدر المنثور ٦/ ٣٦٨. فتح القدير ٥/ ٥٤٩.

(٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول بين السجدتين: «اللهم اغفر لي وارحمني وعافني واهدني وارزقني». أخرجه أبو داود في كتاب (الصلاة) باب (الدعاء بين السجدتين) ح (٨٥٠) ١/ ٥٣٠ وابن ماجه في كتاب (إقامة الصلاة والسنة فيها) باب =

ثم شرع له تكرار هذه الركعة مرةً بعد مرة، كما شرع تكرار الأذكار والدعوات مرة بعد مرة، ليستعد بالأول لتكميل ما بعده، ويجبر بما بعده ما قبله، وليشبع القلب من هذا الغذاء، وليأخذ رواه ونصيبه وافراً من الدواء ليقاومه، فإن منزلة الصلاة من القلب منزلة الغذاء والدواء. فإذا تناول الجائع الشديد الجوع من [الغذاء](1) اللقمة أو اللقمتين، كان غناؤه عنه وسدها من جوعه يسيراً جداً. وكذلك المرض الذي يحتاح إلى قدر [معين](2) من الدواء، إذا أخذ منه المريض قيراطاً من ذلك لم يزل مرضه بالكلية، وأزال بحسبه، فما حصل الغذاء أو الشفاء للقلب بمثل الصلاة، وهي لصحته ودوائه بمنزلة غذاء البدن ودوائه.

ثم لما أكمل صلاته شــرع له أن يقعد قعدة العبد الذليل المسكين لسيده، ويثني عليه بأفضل التحيات، ويسلم على من جاء بهذا الحظ الجزيل، ومن نالته الأمة على يديه، ثم يسلم على نفسه وعلى سائر عباد الله المشاركين له في هذه العبودية، ثم يتشهد شهادة الحق، ثم يعود فيصلي على من علم الأمة هذا الخير ودلهم عليه(3).

= (ما يقول بين السجدتين) ح (٨٩٧) ١/ ٢٩٠ وأخرجه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب. انظر: مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري ١/ ٤٠٣.

(١) ساقطة من م، ط.

(٢) في م، ط (يغني).

(٣) قال عليه الصلاة والسلام: «إذا صلى أحدكم، فليقل: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنكم إذا قلتموها أصابت كل عبد لله صالح في السماء والأرض. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله». أخرجه البخاري في كتاب (الأذان) باب (١٤٨) ١/ ٢٠٢.

ثم شرع له أن يسأل حوائجه ويدعو بما أحب ما دام بين يدي ربه مقبلاً عليه[١]. فإذا قضى ذلك أذن له في الخروج منها بالتسليم على المشاركين له في الصلاة.

هذا إلى ما تضمنته [من][٢] الأحوال والمعارف من أول المقامات إلى آخرها، فلا تجد منزلة من منازل السير إلى الله تعالى، ولا مقاماً من مقامات العارفين إلا وهو في ضمن الصلاة.

وهذا الذي ذكرناه من شأنها كقطرة من بحر، فكيف يقال: إنها تكليف محض لم يشرع لحكمة ولا لغاية قصدها الشارع، بل هي[٣] محض كلفة ومشقة مستندة إلى محضن المشيئة، لا لغرض ولا لفائدة البتة، بل مجرد قهر وتكليف، وليست سبباً لشيء من مصالح الدنيا (والآخرة)[٤]!!!

ثم تأمل أبواب الشريعة ووسائلها وغاياتها، كيف تجدها مشحونة بالحكم المقصودة، والغايات الحميدة، التي شرعت لأجلها، التي لولاها لكان الناس

---

(١) عن عروة بن الزبير، عن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات. اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم...» الحديث.
أخرجه البخاري في كتاب (الأذان) باب (١٤٩) ١/ ٢٠٢ ومسلم بنحوه في كتاب (المساجد) باب (ما يستعاذ منه في الصلاة) ح (٥٨٨) ١/ ٤١٢.

(٢) ساقطة في م، ط.

(٣) في الأصل (بل هي تعد محض) ولعل الصواب ما أثبته.

(٤) في الأصل (ولا الآخرة) والأولى ما أثبته من باقي النسخ.

كالبهائم بل أسوأ حالاً. فكم في الطهارة من حكمة ومنفعة للقلب والبدن، وتفريج للقلب، وتنشيط للجوارح، وتخفيف من أحمال ما أوجبته الطبيعة[(١)] وألقاه عن النفس من درن المخالفات، فهي منظفة للقلب والروح والبدن، وفي الجنابة من زيادة [التقوية][(٢)] والإخلاف على البدن نظير ما تحلل منه بالجنابة ما هو من أنفع الأمور.

وتأمل كون الوضوء في الأطراف التي هي محل الكسب والعمل، فجعل في الوجه الذي فيه السمع والبصر والكلام والشم والذوق. وهذه الأبواب هي أبواب المعاصي والذنوب كلها، فمنها يدخل إليها، ثم جعل في اليدين، وهما طرفاه وجناحاه اللذان بهما يبطش ويأخذ ويعطي، ثم في الرجلين اللتين بهما يمشي ويسعى، ولما كان غسل الرأس مما فيه أعظم حرج ومشقة جعل مكانه المسح، وجعل ذلك مخرجاً للخطايا من هذه المواضع حتى يخرج مع قطر الماء من شعره وبشره، كما ثبت عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة، قال: « **إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء، أو مع [آخر][(٣)] قطر الماء. فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كانت بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر [الماء][(٤)]، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقياً من الذنوب** » رواه مسلم[(٥)].

---

(١) يظهر أن هذه العبارة ليست سائغة، فالطبيعة لا توجب شيئاً.

(٢) في ط (النعومة).

(٣) في الأصل زيادة (وجهه) والصواب ما أثبته، وهو من باقي النسخ.

(٤) ساقطة من (ط).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (الطهارة) باب (خروج الخطايا مع ماء الوضوء) ح (٢٤٤) ١/ ٢١٥).

وفي صحيح مسلم أيضاً عن عثمان بن عفان، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من توضأ فأحسن الوضوء، خرجت خطاياه حتى تخرج من تحت أظفاره»**[(١)].

فهذا من أجل حكم الوضوء وفوائده. وقال نفاة الحكمة: إنه تكليف محض ومشقة وعناء لا مصلحة فيه، ولاحكمة شرع لأجلها. ولو لم تكن في مصلحته وحكمته إلا أنه سيماء هذه الأمة، وعلامتهم في وجوههم وأطرافهم يوم القيامة بين الأمم ليست لأحد غيرهم[(٢)]، ولو لم يكن [فيه][(٣)] من المصلحة والحكمة إلا أن [المتوضي][(٤)] يطهر [بدنه][(٥)] بالماء وقلبه بالتوبة، ليستعد [بذلك][(٦)] للدخول على ربه ومناجاته والوقوف بين يديه طاهر البدن والثوب والقلب، فأي حكمة ورحمة ومصلحة فوق هذا.

ولما كانت الشهوة تجري في جميع البدن، حتى إن تحت كل شعرة شهوة سرى غسل الجنابة إلى حيث سرت الشهوة، كما قال النبي ﷺ **«إن تحت كل**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الطهارة) باب (خروج الخطايا مع ماء الوضوء) ح (٢٤٥) ١/ ٢١٦.

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل»**. أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (الوضوء) باب (فضل الوضوء والغر المحجلين من آثار الوضوء) ١/ ٤٣. ومسلم بنحوه في كتاب الطهارة باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء ح (٢٤٦) ١/ ٢١٦.

(٣) في (م) (معه).

(٤) في الأصل (المتوضين) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) في (ط) (يديه).

(٦) ساقطة من (ط).

شعرة جنابة »[1].

فأمر أن يوصل الماء إلى أصل كل شعرة [فيبرد][2] حرارة الشهوة، فتسكن النفس وتطمئن إلى ذكر الله، والوقوف بين يديه. فوالله [لو][3] أن أبقراط[4] ومن دونه أوصوا بمثل هذا، لخضع أتباعهم لهم فيه، وعظموهم عليه غاية التعظيم، وأبدوا له من الحكم والفوائد ما قدروا عليه.

ثم لما كان العبد خارج الصلاة مهملٌ جوارحه، قد أسامها في مراتع الشهوات والحظوظ، أُمر بعبودية تجمع جوارحه كلها على ربه، وتأخذ بحظها

---

(١) شطر من حديث ضعيف أخرجه أبو داود في سننه في كتاب (الطهارة) باب (في الغسل من الجنابة) ح (٢٤٨) ١/ ١٧١.قال أبو داود: الحارث بن وجيه حديثه منكر وهو ضعيف. والترمذي في سننه في أبواب (الطهارة). باب (ما جاء أن تحت كل شعرة جنابة) (١٠٦) ١/ ١٧٨.قال أبو عيسى: حديث الحارث بن وجيه حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديثه وهو شيخ ليس بذاك. وقد روى عنه غير واحد من الأئمة. وقد تفرد بهذا الحديث عن مالك بن دينار.

وابن ماجه في سننه في كتاب (الطهارة وسننها)، باب (تحت كل شعرة جنابة) ح (٥٩٧) ١/ ١٩٦. قال الخطابي في (معالم السنن): والحديث ضعيف، والحارث بن وجيه مجهول (١/ ١٦٤).

(٢) في الأصل (فيه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) في الأصل (لولا) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) **أبقراط أو بقراط:** بن إبرقليس من أهل اسقلابيوس باليونان وعاش في مدينة قو على شاطىء الأناضول من آسيا الصغرى، طبيب ماهر، وله مؤلفات عديدة في الطب، عاش خمساً وتسعين سنة. توفي سنة (٣٥٧)ق. م على الأرجح. انظر: الفهرست لابن النديم ص (٣٤٦، ٣٤٧).

من عبوديته، فيسلم قلبه وبدنه وجوارحه وحواسه وقواه لربه عز وجل، واقفاً بين يديه، مقبلاً بكُلِّه عليه، معرضاً [عما][١] سواه، متنصلاً [إليه][٢] من إعراضه عنه، وجنايته على حقه.

ولما كان هذا بطبعه وذاته أمر أن يجدد هذا (الرجوع)[٣] إليه والإقبال عليه وقتاً بعد وقت؛ لئلا يطول عليه الأمد، فينسى ربه، وينقطع عنه بالكلية، فكانت الصلاة من أعظم نعم الله عليه، وأفضل هداياه التي ساقها إليه. فأبى نفاه الحكمة إلا جعلها كلفة وعناءً وتعباً، لا لحكمة ولا لمصلحة البتة إلا مجرد القهر والمشيئة.

وقد فتح (لك الباب، فسُقِ)[٤] الشريعةَ كلها من أولها إلى آخرها هذا المساق، واستدِلْ بما ظهر لك على ما خفي عنك. ولعل الحكمة فيما لم تعلمه أعظم منها فيما علمته، فإن الذي علمته على قدر عقلك وفهمك، وما خفي عنك قدر فهو فوق عقلك وفهمك. ولو تتبعنا تفصيل ذلك، لجاء عدة أسفار فيكتفى منه بأدنى بينه، والله المستعان.

الوجه الثالث والعشرون: أن هذه الجمادات، والحيوانات المختلفة الأشكال، والمقادير والصفات، والمنافع والقوى، والأغذية، والنباتات التي هي كذلك فيها من الحكم والمنافع ما قد أكثرت الأمم في وصفه وتجربته على

---

(١) ساقطة (م) وفي (ط) (عمن).

(٢) ساقطة من (م)، (ط).

(٣) في م، ط (الركوع).

(٤) في ط (ذلك الباب فساق).

مر الدهور، ومع ذلك، فلم يصلوا منه [إلا][(١)] إلى أيسر شيء وأقله.

بل لو اتفق جميع الأمم لم يحيطوا علماً بجميع ما أودع واحد من ذلك النوع من الحكم والمصالح. هذا إلى ما في ضمن ذلك من الاعتبار والدلالة الظاهرة على وجود الخالق، ومشيئته، واختياره، وعلمه، وقدرته، وحكمته، فإن المادة الواحدة لا تحتمل بنفسها هذه الصور الغريبة والأشكال المتنوعة المنافع والصفات، ولو تركبت مع غيرها، فليس حدوث هذه الأنواع والصور بنفس التركيب أيضاً، ولا هو مفض له.

فحصول هذا التنوع والتفاوت والاختلاف في الحيوان والنبات من أعظم آيات الرب تعالى، ودلائل ربوبيته، وقدرته، وحكمته، وعلمه، وأنه فعال لما يريد اختياراً ومشيئة. فتنويع مخلوقاته، وحدوثها شيئاً بعد شيء من اظهر الدلالات.

وتأمل كيف أرشد القرآن إلى ذلك في غير موضوع؛ كقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(الرعد/ ٤).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ (ٱلنَّاسَ)[(٢)] وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ

---

(١) زيادة من (م، ط).

(٢) ساقطة من (م).

وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة/ ١٦٤).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ (لَآيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ)[١]﴾(الروم/ ٢٢).

وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ (يُنۢبِتُ)[٢] لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل/ ١٠، ١١).

وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (النور/ ٤٥).

فتأمل كيف نبه سبحانه باختلاف الحيوانات في (آلة)[٣] المشي مع اشتراكها في المادة على اختلاف فيما وراء ذلك من أعضائها، وأشكالها وقواها، وأفعالها، وأغذيتها ومساكنها، فنبه على الاشتراك والاختلاف، فنشير إلى يسير منه.

فالطير كلها تشترك في الريش والجناح، وتتفاوت فيما وراء ذلك أعظم تفاوت، واشتراك ذوات الحوافر في الحافر كالفرس والحمار والبغل

(١) في الأصل (لآيات لقوم يسمعون) والصواب ما أثبته.

(٢) في (م) (يخرج).

(٣) ساقطة من م، ط.

وتفاوتها[١] في ما وراء ذلك، واشتراك ذوات الأظلاف في الظلف (وتفاوتها)[٢] في غير ذلك، واشتراك ذوات القرون فيها (وتفاوتها)[٣] في الخلق والمنافع والأشكال، واشتراك حيوانات الماء في كونها سابحة تأوي (فيه)[٤] وتتكون (فيه)[٥] وتفاوتها أعظم تفاوت، عجز البشر إلى الآن عن حصره، واشتراك الوحوش في البعد عن الناس، (والنفار)[٦] عنهم وعن مساكنهم، وتفاوتها في صفاتها، وأشكالها، وطبائعها، وأفعالها، أعظم تفاوت يعجز البشر عن حصره، واشتراك الماشي منها على بطنه في ذلك وتفاوت نوعه، واشتراك الماشي على رجلين في ذلك وتفاوت نوعه أعظم تفاوت.

وكل من هذه الأنواع له علم وإدراك، وتحيل على جلب مصالحه، ودفع مضاره، يعجز (عن)[٧] كثير منها نوع الإنسان. فمن أعظم الحكم الدلالة الظاهرة على معرفة الخالق الواحد المستولي بقوته وقدرته وحكمته على ذلك كله، بحيث جاءت كلها مطيعة منقادة منساقة إلى ما خلقها له على وفق مشيئته وحكمته، وذلك أدل شيء على قوته (القاهرة)[٨]، وحكمته البالغة،

---

(١) في الأصل (وتفاوتهما) والصواب ما أثبته من (م،ط).

(٢) في الأصل (وتقاربها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) في الأصل (تقاربهما) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) في م، ط، (فيها).

(٥) في م، ط، (فيها).

(٦) في (ط) (والتفاوت).

(٧) ساقطة من (ط).

(٨) في الأصل (الظاهرة) ولعل الصواب ما أثبته من باقي النسخ.

وعلمه الشامل، فيعلم إحاطة قدرة واحدة، وعلم واحد، وحكمة واحدة، أعني بالنوع، من قادر واحد (عالم واحد)[١] حكيم واحد، بجميع هذه الأنواع وأضعافها مما لا تعلمه العقول البشرية، كما قال تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل/ ٨].

وقال: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الحاقة : ٣٨] فتجمع غايات فعله وحكمة خلقه وأمره إلى غاية واحدة، هي منتهى الغايات، (وهي إلهية الحق التي كل إلهية سواها فهي باطل ومحال، فهي غاية الغايات)[٢] ثم ينزل منها إلى غايات أخر، هي وسائل بالنسبة إليها وغايات بالنسبة إلى ما دونها.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم/ ٤٢] فليس وراءه معلوم ولا مطلوب ولا مذكور إلا العدم المحض. وليس في الوجود إلا الله ومفعولاته، وهي آثار أفعاله، وأفعاله آثار صفاته، وصفاته قائمة به من لوازم ذاته.

والمقصود أن [الغايات][٣] المطلوبة العلم بإحاطة علم واحد من عالم واحد، وفعل واحد من فاعل واحد، وقدرة واحدة من قادر واحد، وحكمة واحدة من حكيم واحد، بجميع (العالم)[٤] على اختلاف ما فيه، واجتمعت غايات فعله وأمره إلى غاية واحدة، وذلك من أظهر أدلة توحيد الإلهية كما ابتدأت كلها من خالق واحد، وقادر واحد، ورب واحد.

---

(١) ساقطة من (ط).

(٢) ما بينهما زيادة من م، ط.

(٣) في الأصل (من الآيات) والصواب ما أثبته من (ط).

(٤) في م، ط (مافيه).

ودل على الأمرين، أعني توحيد الربوبية والإلهية، النظام الواحد والحكمة الجامعة للأنواع المختلفة مع (كثرتها وتعددها)[١]. ودل افتقار بعضها إلى بعض، وتشبك بعضها ببعض، ومعاونة بعضها لبعض، وارتباطه به على أنها صنع فاعل واحد، ورب واحد. فلو كان معه آلهة وأرباب غيره (لذهب كل إله بخلقه، واستبد به، ولم يرض لنفسه أن يحتاج خلقه إلى خلق غيره)[٢] كما لا يرضى ملوك الدنيا أن يحتاج مملوك أحدهم إلى مملوك (غيره)[٣] لما في ذلك من النقص والعيب المنافي لكمال الاقتدار والغناء. ودل انتظامها في الوجود، ووقوعها ـ مع (تباينها)[٤] واختلافها ـ على أكمل الوجوه وأحسنها، على انتهائها إلى غاية واحدة، ومطلوب واحد، هو إلهها الحق، ومعبودها الأعلى، الذي لا إله لها غيره، ولا معبود لها سواه.

فتأمل كيف دل اختلاف الموجودات (وتباينها)[٥] واجتماعها فيما اجتمعت فيه، وافتراقها فيما افترقت (فيه)[٦] على إله واحد، ورب واحد، ودلت على صفات كماله، ونعوت جلاله. فالموجودات بأسرها كعسكر واحد، له ملك واحد، وسلطان واحد، يحفظ بعضه ببعض، وينظم مصالح بعضه ببعض، ويسد خلل بعضه ببعض، فيمد هذا بهذا، ويقوي هذا بهذا،

---

(١) في ط (ضدها وتعذرها).

(٢) ما بينهما ساقط من (ط).

(٣) في (ط) (غيره مثله).

(٤) في (ط) (في ثباتها).

(٥) في (ط) (ثباتها).

(٦) ساقطة من (م، ط).

وينقص من هذا فيزيده في الآخر ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾[فاطر/ ١٣]، [الحديد/ ٦] ، ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [يونس/ ٣١]، [الروم/ ١٩] ويبيد هذا، فينشىء مكانه من جنسه ما يقوم (مقامه)[١] ويسد مسده، فيشهد حدوث الثاني أن الذي أحدثه وأوجده هو الذي أحدث الأول لا غيره، وأن حكمته لم تتغير، وعلمه لم ينقص، وقدرته لم تضعف، وأنه لا يتغير ما تغير منها، ولا يضمحل باضمحلاله، ولا يتلاشى بتلاشيه، بل هو الحي القيوم العزيز الحكيم.

هذا إلى ما في لوازم مكبرها وانتظام بعضها ببعض، وما يصدر [عنها][٢] من الأفعال والآثار من حكم وأفعال أخرى، وغايات أخر حكمها موادها وحواملها، كما نشاهده في أشخاصها وأعيانها.

[مثال][٣] ذلك في (جزئية)[٤] واحدة: أنك ترى المعدة تشتاق الغذاء وتجتذبه إليها، فانظر لوازم ذلك قبل تناوله ولوازمه بعد تناوله، وما يترتب على تلك اللوازم من عمارة الدنيا، فإذا جذبته إليها أنضجته وطبخته كما تنضج القدر ما فيها، فتنضجه الإنضاج الذي تعده لتغذي جميع أجزاء البدن وقواه وأرواحه به، وهي (إن)[٥] أنضجته لأجل نصيبها الذي ينالها منه، فهو قليل

---

(١) في الأصل (مقام) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في الأصل (فيها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) في الأصل (قال) والصواب ما أثبته وهو من باقي النسخ.

(٤) في ط (أحدوثة).

(٥) في م، ط (إذا).

من كثير بالنسبة إلى انتفاع غيرها به، فيدفع ما فضل عن غذائها عنها إلى من هو شديد الحاجة إليه على قدر حاجته من غير أن يقصد ذلك أو يشعر به، ولكن قد قصده وأحكمه من هو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، [يدبره][(١)] بحكمته ولطفه، وساقه في المجاري التي لا تنفذ فيها الإبر لدقة مسالكها، حتى أوصله إلى المحتاج الذي لا صلاح له إلا بوصوله إليه.

وكانت طبيعة الكبد ومزاجها في ذلك [تلي][(٢)] طبيعة المعدة، وفعلها يلي فعلها.

وكذلك الأمعاء وباقي الأعضاء، كالكبد للقلب في إعداد الغذاء والقلب للرئة ، والرئة للقلب في إعداد الهواء وإصلاحه.

فالأعضاء الموجودة في الشخص إذا تأملتها، وتأملت أفعالها ومنافعها وما تضمنه كل واحد منها من حكمة اختصت به كشكله، ووصفه، ومزاجه، ووضعه من الشخص بذلك الموضع المعين، علمت علماً يقيناً أن ذلك صادر عن خالق واحد، ومدبر واحد، وحكيم واحد.

فانتقل من هذا إلى [أشخاص][(٣)] العالم شخصاً شخصاً من النوع الإنساني، تجد الحكمة الواحدة الظاهرة في تلك الأفراد الكثيرة قد نفعت بعضهم ببعض، وأعانت بعضهم ببعض، حارثاً لزراع، وزراعاً لحاصد، [وحائكاً][(٤)] لخياط، وخياطاً لنجار، ونجاراً لبناء، فهذا يعين هذا بيده، وهذا

(١) زيادة من م، ط.

(٢) في الأصل (بل) والصواب ما أثبته.

(٣) في الأصل (الخاص) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) في الأصل (وحائط) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

برجله، وهذا بعينه، وهذا بأذنه، وهذا بلسانه، وهذا بماله؛ إذ لا يقدر أحدهم على جميع مصالحه، ولا يقوم بحاجاته[١]، ولا توجد في كل واحد منهم جميع خواص نوعه، فهم بأشخاصهم الكثيرة كإنسان واحد، يقوم بعضه بمصالح بعض، قد كمل خواص الإنسانية في صفاته وأفعاله وصنائعه وما يراد منه. فإن الواحد منهم لا يفي بأن يجمع جميع الفضائل العلمية والعملية والقوة والبقاء، فجعل ذلك في النوع الإنساني بجملته.

والله سبحانه قد فرق كمالات النوع [في][٢] أشخاصه، وجعل لكل شخص منها ما هو مستعد قابل له، بحيث لو قبل أكثر من ذلك (لأعطاه)[٣] فإنه جواد لذاته، قد فاض جوده وخيره على العالم كله، وفضل عنه أضعاف ما فاض عليهم، فهو يفيضه على تعاقب الآنات أبداً، وكذلك يفضل في الجنة فضل على أهلها، فينشىء (الله)[٤] لها خلقاً يسكنهم فضلها.

إنما يتخصص فضله بحسب استعداد (القوابل)[٥] والمعدات، وذلك بمشيئته وحكمته، فهو الذي أوجدها، وهو الذي أعدها، وهو الذي أمدها، ولما كان جوده وفضله أوسع من حاجة الخلق، لم يكن بد من بقاء كثير [منه][٦] مبذولاً في الوجود مهملاً.

---

(١) في الأصل (بما جابه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) زيادة من م، ط.

(٣) في الأصل (لا أعطيه).

(٤) ساقطة من م، ط.

(٥) في (ط) (العوامل).

(٦) زيادة من م، ط.

وهذا كضوء الشمس مثلاً، فإن مصالح الحيوان لا تتم إلا به، وهي تشرق على مواضع فضلت عن[١] حوائج بني [آدم][٢] والحيوان.

وكذلك المطر والنبات وسائر النعم، ومع ذلك فلم يعطل وجودها عن حكم ومصالح وعبر ودلالات. وعطاء الرب ونعمه أوسع من حوائج خلقه، فلا بد أن يبقى في المياه والأقوات والنبات وغير ذلك أجزاء مهملة.

ولا يقال: ما الحكمة في خلقها؟ فإن هذا سؤال جاهل ظالم، فإن الحكمة في خلق الأرض وما عليها ظاهرة لكل بصير، والمعمور منها[٣] بعضها لا كلّها، والرب تعالى واسع الجود دائمه، فجوده وخيره عام دائم، فلا يكون إلا كذلك، فإن ذلك من لوازم علمه وقدرته وحكمته. ولعلمه وقدرته وحكمته العموم والشمول والكمال المطلق بكل اعتبار.

فيعلم من استقراء العالم وأحواله انتهاؤه إلى عالم واحد، وقادر واحد، وحكيم واحد، (قد)[٤] أتقن نظامه أحسن الإتقان، وأوجده على أتم (الوجوه)[٥] وهو سبحانه ناظم أفعال الفاعلين مع كثرتها، ورابط بعضها ببعض، ومعين بعضها ببعض، وجاعل بعضها سبباً لبعض وغاية لبعض، وهذا من أدل الدليل على أنه خالق واحد، ورب واحد، وقادر واحد.

---

(١) في ط (فضلت على).

(٢) زيادة من م، ط.

(٣) ساقطة من (ط).

(٤) ساقطة من م، ط.

(٥) في (ط) (الوجود).

دلَّ على قدرته كثرةُ أفعاله، وتنوعها في الوقت الواحد، وتعاقبها على تتالي الآنات، وتعين تصرفاته في مخلوقاته على كثرتها.

ودلَّ على علمه وحكمته كون كل شيء (صغير وكبير)[(١)]، ودقيق وجليل، داخلاً في النظام الحكمي، ليس منها شيء، حتى مسام الشعر في الجلد، ومراشح اللعاب في الفم، ومجاري الشعب الدقيقة هذا من العروق في أصغر الحيوانات التي تعجز عنها أبصارنا، ولا تنالها قدرتنا، وهذا فيما دق لصغره، وفيما جل لعظمه، كالرياح الحاملة للسحب إلى الأرض الجرز التي لا نبات بها، فيمطرها عليها فيخرج بها نباتاً، ويحيي بها حيواناً، ويجعل فيها (خزائن)[(٢)] من الطعام والشراب، والأقوات والأدوية (وغيرها)[(٣)] فوق ذلك من تسخير الشمس والقمر والنجوم، واختلاف مطالعها (ومغاربها)[(٤)]، لإقامة دولة الليل والنهار، وفصول العام التي بها نظام مصالح من عليها.

فإذا تأملت العالم وجدته كالبيت المبني المعد، فيه جميع (عتاده)[(٥)] فالسماء سقفه، والأرض بساطه، والنجوم زينته، والشمس سراجه، ومصالح سكانه، والليل سكنهم، والنهار معاشهم، والمطر سقياهم، والنبات غذاؤهم، ودواؤهم وفاكهتهم، والحيوان خدمهم، ومنه قوتهم ولباسهم، والجواهر

---

(١) في ط (كبير وصغير).

(٢) في (ط) (جزاين).

(٣) في م، ط (دع ما ......).

(٤) في الأصل (وتقاربها) والصواب ما أثبته هو ومن باقي النسخ.

(٥) في (ط) عباده.

كنوزهم وذخائرهم، كل شيء منها لما يصلح له، فضروب النبات (مهيأة)[١] لجميع حاجاتهم، وصنوف الحيوانات معدة لجميع مصالحهم. وذلك أدل دليل على وحدانية خالقه (وعلمه وحكمته)[٢] وقدرته.

فلم يكن لون السماء أزرق اتفاقاً، [بل][٣] لحكمة باهرة؛ فإن هذا اللون أشد الألوان موافقة للبصر، حتى إن (من)[٤] وصف الأطباء لمن أصابه ما أضر ببصره أو (كلَّ)[٥] بصره إدمان النظر إلى الخضرة وما قرب منها إلى السواد، فجعل أحكم الحاكمين أديم السماء بهذا اللون ليمسك الأبصار الراجعة (فيه)[٦]، فلا ينكأ فيها، فهذا الذي أدركه الناس بعد الفكر والتجربة قد وجد مفروغاً في الخلقة.

ولم يكن طلوع الشمس وغروبها على هذا النظام لغير علة ولا حكمة مطلوبة. فكم من حكمة ومصلحة في ذلك من إقامة الليل والسكن فيه، والنهار والمعاش فيه، فلو جعل الله عليهم الليل سرمداً أو (النهار سرمداً)[٧] لتعطلت مصالحهم وأكثر معايشهم، والحكمة في طلوعها أظهر من أن تنكر، ولكن تأمل الحكمة في غروبها، إذ لولا ذلك لم يكن للناس هدوء ولا قرار

---

(١) ساقطة من م، ط.

(٢) ما بينهما ساقط من (م، ط).

(٣) زيادة من م، ط.

(٤) في (ط) (في).

(٥) في م، ط (كلم).

(٦) ساقطة من (ط).

(٧) ما بينهما ساقط من م، ط.

ولا راحة، وكان الكد الدائم (بتكافئ)[1] أبدانهم وتسرع فسادها، وكان ما على الأرض يحترق بدوام شروق الشمس من حيوان ونبات، فصار النور والظلمة على تضادهما متعاونين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم وقوامه ونظامه.

وكذلك الحكمة في ارتفاع الشمس وانحطاطها لإقامة هذه الأزمنة الأربعة، وما في ذلك من الحكمة، فإن في الشتاء تغور الحرارة في الشجر والنبات، فيتولد من ذلك مواد الثمار، وتكيف الهواء، فتنشأ منه السحاب، ويحدث المطر الذي به حياة الأرض والحيوان، وتشتد أفعال الحيوان، وتقوى الأفعال الطبيعية.

وفي الربيع تتحرك الطبائع، وتظهر المواد الكامنة في الشتاء.

وفي الصيف يسخن الهواء، فتنضج الثمار، وتتحلل فصول الأبدان، ويجف وجه الأرض، فيتهيأ للبناء وغيره.

وفي الخريف يصفو الهواء ويعتدل، فيذهب بسَوْرَة حر [الصيف][2] وسمومه. إلى أضعاف ذلك من الحكم.

وكذلك الحكمة في تنقل الشمس، فإنها لو كانت واقفة في موضع واحد، لفاتت مصالح العالم، ولما وصل شعاعها إلى كثير من الجهات، لأن الجبال والجدران (تحجبها)[3] عنها، فاقتضت الحكمة الباهرة أن جعلت تطلع أول

(١) في ك (بتكافؤ).

(٢) في الأصل (الشمس) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) م (م) (يحجبا) وفي (ط) (يحجبانها).

النهار من المشرق، وتشرق على ما قابلها من جهة الغرب، ثم لا تزال تغشي وجهاً بعد وجه حتى تنتهي إلى الغرب، فتشرق على ما استتر عنها أول النهار، فتأخذ جميع الجهات منها [قسطاً][1] من النفع.

وكذلك الحكمة الباهرة في انتهاء مقدار الليل والنهار إلى هذا الحد، فلو زاد مقدار أحدهما زيادة عظيمة، لتعطلت المصالح والمنافع وفسد النظام.

كذلك الحكمة في ابتداء القمر دقيقاً ثم أخذه في الزيادة حتى يكمل ثم يأخذ في النقصان حتى يعود إلى حالته الأولى. فكم في ذلك من مصلحة ومنفعة (للخلق)[2]. (فإنهم)[3] بذلك يعرفون الشهور والسنين والآجال، وأشهر الحج والتاريخ ومقادير الأعمال، ومدد الإجازات وغيرها، وهذا وإن كان يحصل بالشمس إلا أن معرفته بالقمر وزيادته ونقصانه أمر يشترك فيه الناس كلهم.

وكذلك الحكمة في إنارة القمر والكواكب في ظلمة الليل، فإنه مع الحاجة إلى الليل وظلمته لهدوء الحيوان وبرد الهواء عليه وعلى النبات، لم يجعل الليل ظلاماً محضاً لا ضياء فيه، فلا يمكن فيه سفر ولا عمل. وربما احتاج الناس إلى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم في النهار، ولشدة الحر فيتمكنون في ضوء القمر من أعمال كثيرة، وجعل نوره بارداً ليقاوم حرارة نور الشمس (فيه وسمومه)[4] فتبرد سمومه فيعتدل الأمر، وتكسر كيفية كل منهما كيفية،

---

(١) في الأصل (قطعاً) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في الأصل (في الخلق) الصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) في جميع النسخ (فإن) الصواب ما أثبته من (ط).

(٤) ما بينهما ساقط من م، ط.

الآخر وتزيل ضررها.

وكذلك الحكمة في خلق النجوم، فإن فيها من الهداية في البر والبحر، والاستدلال على الأوقات، وزينة السماء، وغير ذلك ما لم يكن حاصلاً بمجرد الاتفاق، كما يقوله نفاة الحكمة.

واقتضت هذه الحكمة أن جعلت نوعين: نوعاً منها يظهر وقتاً ويحتجب آخر، ونوعاً آخر لا يزال ظاهراً غير محتجب، بل جعل ظاهراً بمنزلة الأعلام التي يهتدي بها الناس في الطرقات المجهولة، فهم ينظرون إليها متى أرادوا، ويهتدون بها إلى حيث شاؤوا.

وجعلت الحكمة في النوع الأول الاستدلال بظهوره على أمور (تقاربه)[1] متى طلع في وقت (معين)[2] دل على تلك الأمور، فقامت المصلحة والحكمة بالنوعين، مع ما في خلقها من حكم أخرى ومصالح لا يهتدي إليها العباد، فما خلق الله شيئاً سدى.

وقد نظم الله سبحانه الحوادث الأرضية بالأرواح والأجرام العلوية أكمل نظام تعجز عقول البشر عن الإحاطة ببعضه، وقد استفرغت الأمم (السالفة)[3] قوى أذهانها في إدراك ذلك، فلم تصل منه إلا إلى ما لا نسبة له إلى ما خفي عليها بوجه ما.

وقد جعل الخلاق العليم سبحـانه النجوم فرقتين: فرقة منها [لازمة][4]

---

(١) في م، ط (تعاديه).

(٢) في م، ط (يعني).

(٣) في (ط) (السابقة).

(٤) في الأصل (لاترتم) والصواب ما أثبته.

مراكزها من الفلك، ولا تسير إلا بسيره، وفرقة أخرى مطلقة تنتقل في البروج، وتسير بأنفسها غير سيرها بفلكها[١] فلكل منها مسيران مختلفان؛ أحدهما عام مع الفلك نحو [المغرب][٢]، والآخر خاص لنفسه نحو المشرق. وقد شبه هذا النوع بنملة تدب على رحىً، والرحى تدور ذات اليمين، والنملة تدور ذات الشمال، فللنملة في تلك الحال حركتان مختلفتان: إحداهما حركة بنفسها تتوجه أمامها، والأخرى بغيرها هي مقهورة عليها تبعاً للرحى تجذبها إلى خلفها، فلهذا النوع من النجوم حركتان مختلفتان على وزن وتقدير لا تعدوه، فزعم نفاة الحكمة أن ذلك أمر اتفاقي، لا لحكمة ولا لغرض مقصود.

فإن قلت: فما الغرض المقصود بذلك، وأي حكمة فيه؟ قيل: استدل بما عرفت من الحكمة على ما خفي (عليك)[٣] منها، ولا تجعل ما خفي عليك دليلاً على بطلانها، مع أن من بعض الحكم في ذلك أنها لو كانت كلها راتبة، لبطلت الدلالات التي تكون من تنقل (المتنقلة)[٤] منها، ومسيرها في كل واحد من البروج، كما يستدل على أمور كثيرة وحوادث جمة بتنقل الشمس والقمر والسيارات في منازلها. ولو كانت كلها متنقلة، لم يكن لمسيرها منازل تعرف، ولا رسم يقاس عليه؛ فإنه إنما يقاس مسير المتنقلة منها بتنقلها في البروج الراتبة كما يقاس سير السائر على الأرض بالمنازل التي يقطعها.

---

(١) في (ط) (سير فلكها).

(٢) في الأصل، م (الغرب) والصواب ما أثبته من (ط).

(٣) في (ط) (عنك).

(٤) في م، ط (المتنقل).

وبالجملة، فلو كانت كلها بحال واحد لبطل النظام الذي اقتضته الحكمة التي جعلها هكذا، فذلك تقدير العزيز العليم وصنع الرب. وكيف يرتاب أن ذلك كله تقدير مقدر حكيم، أتقن ما صنعه، وأحكم ما دبره، ويعرف بما فيه من الحكم والمصالح والمنافع إلى خلقه، فشهدت العقول والفطر بأنه ذو الحكمة الباهرة، والقدرة القاهرة، والعلم التام المحيط، وأنه لم يخلق ذلك باطلاً ولا من الحكمة عاطلاً.

وكذلك الحكمة في تعاقب الحر والبرد على التدريج على أبدان الحيوان والنبات، فإن [قيامهما وكمالهما][1] لما كان بذلك اقتضت الحكمة الإلهية أن لا يدخل أحدهما على الآخر وَهْلَةً، فلا (يحتمله)[2] بل بالتدريج قليلاً قليلاً، إلى أن ينتهي منتهاه، ويحصل المقصود به من غير ضرر يعم. وهذا كله بأسباب هي منشأ الحكم والمصالح. فلا يبطل السبب بإثبات الحكمة، ولا الحكمة بالسبب، ولا السبب والحكمة بالمشيئة، فتكون من الذين (يبخس)[3] حظهم من العقل والسمع.

وكذلك الحكمة في خلق النار على ما هي عليه (كامنة)[4] في حاملها، فإنها لو كانت ظاهرة كالهواء والماء والتراب، لأحرقت العالم وما فيه. ولم يكن بد من ظهورها في الأحايين للحاجة إليها، فجعلت مخزونة في الأجسام، تورى عند الحاجة إليها، فتمسك بالمادة والحطب ما احتيج إلى بقائها، ثم تخبو

(١) في الأصل (قيامها وكمالها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في (ط) يتحمله).

(٣) في الأصل (يحسن) والصواب ما أثبته.

(٤) في (ط) (كاملة).

إذا استغني عنها، فجعلت على خلقة وتقدير وتدبير حصل به الاستمتاع بها والانتفاع، مع [السلامة][١] من ضررها.

ثم في النار خلة أخرى، وهي أنها مما خص به الإنسان دون سائر الحيوان. فإن الحيوانات لا تستعمل النار، ولا تستمتع بها، ولما اقتضت الحكمة الباهرة ذلك، اغتنت الحيوانات عنها في لباسها وأقواتها، فأعطيت من الشعور والأوبار ما يغنيها عنها، وجعلت أغذيتها بالمفردات التي لا تحتاج إلى طبخ وخبز. ولما كانت حاجة (الإنسان)[٢] إليها شديدة، جعل (له)[٣] من الآلات والأسباب ما يتمكن به من (إثارتها)[٤] إذا شاء ومن إبطالها.

ومن حكمها هذه المصابيح التي يوقدها الناس، فيتمكنون بها من كثير حاجاتهم، ولولاها لكان نصف أعمارهم بمنزلة أصحاب القبور.

وأما منافعها في إنضاج الأغذية والأدوية والدفء فلا تخفى، وقد نبه تعالى على ذلك (كله)[٥] بقوله: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الواقعة/ ٧١-٧٣] [تذكر][٦] بنار الآخرة، فيحترز منها، ويستمتع بها المقوون، وهم

---

(١) في الأصل (الثلثة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) ساقطة من (ط).

(٣) ساقطة من م، ط.

(٤) في الأصل (إيرادها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) ساقطة من م، ط.

(٦) في الأصل (تذكرة) ولعل الصواب ما أثبته من باقي النسخ.

النازلون [بالفيفاء][(١)] وهي الأرض الخالية.

وخص هؤلاء بالذكر لشدة حاجتهم إليها في خبزهم وطبخهم حيث لا يجدون ما يشترونه، فيغنيهم عما يصنعون بالنار[(٢)].

وكذلك الحكمة في خلق (هذه)[(٣)] النسيم، وما فيه من المصالح والعبر؛ فإنه حياة هذه الأبدان وقوامها من داخل ومن خارج[(٤)]، وفيه طرد هذه الأصوات، فيؤديها إلى السامع. وهو الحامل لهذه الأراييح [يؤديها][(٥)] إلى المسام، وينقلها من موضع إلى موضع، [وهو][(٦)] الذي يزجي السحاب ويسوقه من مكان إلى مكان على ظهره كالروايا على ظهور الإبل، وهو الذي (يثير)[(٧)] السحاب أولاً، فيكون كسفاً متفرقة، فيؤلف بينه ثانياً، فيصير طبقاً واحداً، ثم (يلقحه)[(٨)] ثالثاً كما يلقح الفحل الأنثى، فيحمل الماء كما تحمل الأنثى من لقاح الفحل، ثم يسوقه رابعاً إلى أحوج الأماكن والحيوان إليه، ثم يعصره خامساً حتى يخرج ماؤه، ثم يذرو ماءه بعد عصره سادساً حتى لا يسقط جملة فيهلك ما يقع عليه، ثم يربي النبات سابعاً، فيكون له

---

(١) في الأصل (بالفي) ولعل الصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) انظر: زاد المسير. ٨/ ١٤٩.

(٣) ساقطة من م، ط.

(٤) في (ط) (خارج ومن داخل).

(٥) في الأصل (يداولها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) في الأصل، م (وهي) ولعل الصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٧) في م، ط (يسير).

(٨) في (ط) (يلفحه).

بمنزلة الماء والغذاء (ثم)[1] يجففه بحرارته ثامناً لئلا يعفن ولا يمكن بقاؤه. ولهذا اقتضت الحكمة الباهرة أن تكون الرياح مختلفة المهاب والصفات والطبائع. فزعم نفاة الحكمة أن هذا كله أمر اتفاقي لا سبب ولا غاية.

وهذا (باب)[2] لو تتبعناه لجاء عدة أسفار، بل لو تتبعنا خلقة الإنسان وحده وما فيها من الحكم والغايات، لعجزنا نحن وأهل الأرض عن الإحاطة بتفصيل ذلك[3]، فلنرجع إلى جواب نفاة الحكمة والتعليل، فنقول:

في الوجه الرابع [والعشرين][4]: قولهم: أي حكمة في خلق إبليس وجنوده؟ ففي ذلك من الحكم ما لا يحيط بتفصيله إلا الله، فمنها أن يكمل لأنبيائه وأوليائه مراتب العبودية بمجاهدة عدو الله وحزبه، ومخالفته ومراغمته في الله، وإغاظته وإغاظة أوليائه، والاستعاذة به منه، واللجوء إليه أن يعيذهم من شره وكيده، فيترتب لهم على ذلك من المصالح الدنيوية والأخروية ما لم يحصل بدونه. وقد (قدَّمنا)[5] أن الموقوف على الشيء لا يحصل بدونه.

ومنها (أن)[6] خوف الملائكة والمؤمنين من ذنبهم بعد (أن)[7] شاهدوا من

---

(١) ساقطة في م، ط.

(٢) ساقطة من م، ط.

(٣) لابن القيم رحمه الله كلام نفيس في الجزء الأول من كتابه (مفتاح دارة السعادة) حول «الإنسان وما فيه من الحكم والأسرار» .

(٤) في الأصل (العشرون) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) ساقطة من (ط).

(٦) ساقطة من م، ط.

(٧) في (ط) (ما).

حال إبليس ما شاهدوه، وسقوطه من المرتبة الملكية إلى المنزلة الإبليسية يكون أقوى وأتم، ولا ريب أن الملائكة لما شاهدوا ذلك حصلت لهم عبودية أخرى للرب تعالى، وخضوع آخر، وخوف آخر، كما هو المشاهد من حال عبيد الملك؛ إذ رأوه قد أهان أحدهم الإهانة التي بلغت منه كل مبلغ وهم يشاهدونه، فلا ريب أن خوفهم وحذرهم يكون أشد.

ومنها أن سبحانه جعله عبرةً لمن خالف أمره، وتكبر عن طاعته، وأصر على [معصية](١)، كما جعل ذنب أبي البشر عبرةً لمن ارتكب نهيه أو عصى أمره، ثم تاب، وندم، ورجع إلى ربه، فابتلى أبوي الجن والإنس بالذنب، وجعل هذا الأب عبرةً لمن أصر وأقام على ذنبه، وهذا الأب عبرةً لمن تاب ورجع إلى ربه. فلله كم في ضمن ذلك من الحكم الباهرة والآيات الظاهرة(٢).

ومنها أنه محك امتحن الله به خلقه (ليتميز)(٣) به خبيثهم من طيبهم، فإنه سبحانه خلق النوع الإنساني من الأرض، وفيها السهل والحزن، والطيب

---

(١) في الأصل (ذاك) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) قال سبحانه: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأعراف١٩-٢٤].

(٣) ساقطة من م وفي (ط) (لتبين).

والخبيث، فلابد أن يظهر فيهم ما كان في مادتهم (الأصلية)[١] كما في الحديث الذي رواه الترمذي مرفوعاً: « **إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على مثل ذلك، منهم الطيب والخبيث، والسهل والحزن** »[٢] وغير ذلك.

فما كان في المادة الأصلية، فهو (كامن)[٣] في المخلوق منها، فاقتضت الحكمة الإلهية إخراجه وظهوره. فلابد إذاً من سبب يظهر ذلك، فكان إبليس محكاً يميز [به][٤] الطيب من الخبيث، كما جعل أنبياءه ورسله محكاً لذلك التميز. **قال تعالى**: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران/ ١٧٩].

فأرسل رسله إلى المكلفين وفيهم الطيب والخبيث، فانضاف الطيب إلى الطيب، والخبيت إلى الخبيث، فاقتضت حكمته البالغة أن خلطهم في دار الامتحان، فإذا صاروا إلى دار القرار يميز بينهم، وجعل لهؤلاء داراً على حدة، ولهؤلاء داراً على حدة، حكمة بالغة وقدرة قاهرة.

ومنها أن يظهر كمال قدرته في خلق مثل جبريل والملائكة وإبليس والشياطين، وذلك من أعظم آيات قدرته ومشيئته وسلطانه، فإنه خالق

---

(١) ساقطة من م، ط.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه بنحوه في كتاب (تفسير القرآن) باب (ومن سورة البقرة) ح (٢٩٥٥) ٥/ ٢٠٤ قال أبو عيسى (هذا حديث حسن صحيح). وأخرجه أحمد في مسنده ٤/ ٤٠٦.

(٣) في (ط) (كائن).

(٤) زيادة من م، ط.

الأضداد؛ كالسماء والأرض، والضياء والظلام، والجنة والنار، والماء والنار، (والحديد والهواء، والخير والشر)[١] (والحر والبرد)[٢]، والطيب والخبيث.

ومنها أن خلق أحد الضدين من كمال حسن ضده، فإن الضد إنما يظهر حسنه بضده، فلولا القبيح لم تعرف فضيلة الجميل، ولولا الفقر لم يعرف قدر الغنى، كما تقدم بيانه قريباً[٣].

ومنها أنه سبحانه يحب الشكر بحقيقة الشكر وأنواعه. ولا ريب أن أولياءه نالوا بوجود عدو الله إبليس وجنوده وامتحانهم به من [أنواع][٤] شكره ما لم يكن ليحصل لهم بدونه، فكم بين شكر آدم عليه السلام ـ وهو في الجنة قبل أن يخرج منها ـ وبين شكره بعد أن ابتلي بعدوه، ثم اجتباه وتاب عليه وقبله.

ومنها أن المحبة والإنابة والتوكل والصبر والرضاء ونحوها أحب العبودية إلى الله سبحانه. وهذه العبودية (إلى الله سبحانه)[٥] إنما تتحق بالجهاد، وبذل النفس لله، وتقديم محبته على كل ما سواه؛ فالجهاد ذروة سنام العبودية[٦]

---

(١) ما بينهما ساقط من م، ط.

(٢) ما بينهما زيادة من م، ط.

(٣) انظر ص (٣٥٢).

(٤) في الأصل (تنوع) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) ما بينهما ساقط من م، ط.

(٦) دل على ذلك حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه حين طلب من النبي ﷺ أن يخبره عن عمل يدخله الجنة ويباعده من النار فكان مما قال ﷺ: « **ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه؟** » قلت بلى. قال: « **رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد** » . أخرجه الترمذي في كتاب (الإيمان) باب (ما جاء في حرمة =

وأحبها إلى الرب سبحانه، فكان في خلق إبليس وحزبه قيام سوق هذه العبودية وتوابعها التي لا يحصي حكمها وفوائدها وما فيها من المصالح إلا الله.

ومنها أن في خلق من يضاد رسله ويكذبهم ويعاديهم من تمام ظهور آياته وعجائب قدرته ولطائف صنعه ما وجوده أحب إليه وأنفع لأوليائه من عدمه، كما تقدم من ظهور آية الطوفان، والعصا، واليد، وفلق البحر، وإلقاء الخليل في النار، وأضعاف أضعاف ذلك من آياته وبراهين قدرته وعلمه وحكمته. فلم يكن بد من وجود الأسباب التي يترتب عليها ذلك كما تقدم.

ومنها أن المادة النارية فيها الإحراق والعلو والفساد، وفيها الإشراق والإضاءة والنور، فأخرج منها سبحانه هذا وهذا، كما أن المادة الترابية الأرضية فيها الطيب والخبيث، والسهل والحزن، والأحمر والأسود والأبيض. فإخراج منها ذلك كله حكمة باهرة، وقدرة قاهرة، وآية دالة على أنه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى-١١].

ومنها أن من أسمائه الخافض الرافع، المعز والمذل، الحكم العدل المنتقم[١]، وهذه الأسماء تستدعي متعلقات يظهر فيها إحكامها كأسماء الإحسان والرزق والرحمة[٢] ونحوها. ولا بد من ظهور متعلقات هذه وهذه.

= الصلاة) ح (٢٦١٦) ٥/ ١١ قال أبو عيسى: (هذا حديث حسن صحيح). وأحمد ٥/ ٢٣١.

(١) انظر ص (٩٧٦) هامش (٧).

(٢)انظر ص (٩٧٦) هامش (٧).

ومنها أنه سبحانه الملك التام الملك[١]، ومن تمام ملكه عموم تصرفه وتنوعه بالثواب والعقاب، والإكرام والإهانة، والعدل والفضل، والإعزاز والإذلال. فلابد من وجود من يتعلق به أحد النوعين كما أوجد من يتعلق به النوع الآخر.

ومنها أن من أسمائه الحكيم[٢]، والحكمة من صفاته سبحانه، وحكمته تستلزم وضع كل شيء موضعه الذي لا يليق به سواه[٣] فاقتضت خلق المتضادات وتخصيص كل واحد منها لا يليق به غيره من الأحكام والصفات والخصائص، وهل تتم الحكمة إلا بذلك، فوجود هذا النوع من تمام الحكمة، كما أنه من كمال القدرة.

ومنها أن حمده سبحانه تام كامل من جميع الوجوه. فهو محمود على عدله ومنعه وخفضه وانتقامه وإهانته، كما هو محمود على فضله وعطائه ورفعه وإكرامه، (فله)[٤] الحمد التام الكامل على هذا، وهذا وهو يحمد نفسه على ذلك كله[٥]،

---

(١) انظر ص (٩٧٦) هامش (٧).

(٢) ورد ذلك في الكتاب والسنة قال سبحانه ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (البقرة/ ٣٢). وفي السنة في حديث التسعة والتسعين اسماً . انظر ص (٩٧٦) هامش (٧).

(٣) انظر ص (٩٧٦) هامش (٧).

(٤) في (ط) (فلله).

(٥) قال سبحانه ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (الأنعام/ ٤٥) ، وقال سبحانه ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ (الكهف/ ١).

ويحمده عليه ملائكته[(١)] ورسله[(٢)] وأولياؤه[(٣)]، ويحمده عليه أهل [الموقف][(٤)] جميعهم[(٥)(٦)]، وما كان من لوازم كمال حمده وتمامه، فله في خلقه وإيجاده الحكمة التامة، كما له عليه الحمد التام، فلا يجوز [تعطيل][(٧)] حمده كما لا يجوز تعطيل حكمته.

ومنها أنه سبحانه يحب أن يظهر لعباده [حلمه][(٨)] وصبره وأناته وسعة رحمته وجوده، فاقتضى ذلك خلق من يشرك به، ويضاده في حكمه، ويجتهد في مخالفته، ويسعى في مساخطه، بل يشبهه سبحانه، وهو مع ذلك يسوق إليه أنواع الطيبات، ويرزقه ويعاقبه، ويمكن له من أسباب ما يلتذ به من [أصناف][(٩)] النعم، يجيب دعاءه، ويكشف عنه السوء، ويعامله من بره وإحسانه بضد ما يعامله هو به من كفره وشركه وإساءته. فلله كم في ذلك من حكمة وحمد.

---

(١) قال سبحانه: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الزمر/ ٧٥).

(٢) قال سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ﴾ (إبراهيم/ ٣٩).

(٣) قال سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ (الزمر/ ٧٤).

(٤) في الأصل (الوقف) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) قال سبحانه: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الزمر/ ٧٥).

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٠٤.

(٧) في الأصل (تعطل) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٨) في الأصل (حكمه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٩) في الأصل (أصنام) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

[ويتحبب](١) إلى أوليائه [ويتعرف](٢) (إليهم)(٣) بأنواع كمالاته. كما في الصحيح عنه ﷺ [أنه](٤) قال: «**لا أحد أصبر (على أذى يسمعه)(٥) من الله، يجعلون له الولد وهو يرزقهم ويعافيهم**»(٦).

وفي الصحيح عنه ﷺ فيما يروي عن ربه: «**شتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك، وكذبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك. أما شتمه إياي، فقوله: اتخذ ولداً، وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن [لي](٧) كفواً أحد. وأما تكذيبه إياي، فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته**»(٨).

وهو سبحانه مع هذا الشتم له والتكذيب يرزق الشاتم المكذب ويعافيه، ويدفع عنه، ويدعوه إلى جنته، ويقبل توبته إذا تاب إليه، ويبدله بسيئاته

---

(١) في الأص (م) (جيب) والصواب ما أثبته من (ط).

(٢) في الأصل، م (يعرف) والصواب ما أثبته من (ط).

(٣) ساقطة من (ط).

(٤) زيادة من (ط).

(٥) ما بينهما ساقط من (م).

(٦) أخرجه البخاري بنحوه في صحيحه في كتاب (التوحيد) باب (٣) قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ ٨/ ١٦٥ ومسلم بنحوه في كتاب (صفات المنافقين وأحكامهم). باب (لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل) ح(٢٨٠٤) ٣/ ٢١٦٠ .

(٧) في الأصل (له). والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٨) أخرجه البخاري بنحوه في كتاب (تفسير القرآن)، باب (سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ٦/ ٩٥ وبنحوه في كتاب (بدء الخلق) باب (ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ ٤/ ٧٣.

حسنات، [ويتلطف][١] به في جميع أحواله، ويؤهله لإرسال رسله (إليه)[٢]، ويأمرهم بأن يلينوا له القول ويرفقوا به.

قال الفضيل بن عياض[٣]: « ما من ليلة يختلط ظلامها إلا نادى الجليل جل جلاله: من أعظم مني جوداً؟ الخلائق لي عاصون وأنا أكلأهم في مضاجعهم كأنهم لم يعصوني، وأتولى حفظهم كأنهم لم يذنبوا، أجود بالفضل على العاصي، وأتفضل على المسيء، من ذا الذي دعاني فلم ألبه؟ ومن ذا الذي سألني فلم أعطه؟ أنا الجواد، ومني الجود، أنا الكريم ومني الكرم، ومن كرمي أني أعطي العبد ما سألني، وأعطيه ما لم يسألني، ومن كرمي أني أعطي التائب كأنه لم يعصني، يهرب الخلق؟ وأين عن بابي يتنحى العاصون»[٤].

وفي [أثر][٥] إلهي: « إني والإنس والجن في نبأ عظيم. أخلُق ويُعبد غيري. وأرزُق ويُشكر سواي »[٦].

---

(١) في (ط) (ويلطف).

(٢) ساقطة من (ط).

(٣) هو الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي أبو علي الزاهد الخراساني، روى عن الأعمش، ومنصور، وعبيدالله بن عمر، وهشام بن حسان، وعنه الثوري، وهو من شيوخه، وابن عيينة، وابن المبارك، كان فاضلاً ورعاً، قال النسائي: ثقة مأمون. مات سنة سبع وثمانين ومائة، وقيل: ست وثمانين. انظر: تهذيب التهذيب ٨/ ٢٩٤، ميزان الاعتدال ٣/ ٣٦١.

(٤) انظر: حلية الأولياء ٨/ ٩٢-٩٣ باختلاف يسير.

(٥) في الأصل (أي) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين ح (٩٧٤) ٢/ ٩٣ ، والبيهقي في الشعب ح (٤٥٦٣) ٤/ ١٣٤. وأورده الألباني في الأحاديث الضعيفة ح/(٢٣٧١) ٥/ ٣٩٣. وعزاه إلى البيهقي في الشعب وابن عساكر والطبراني في مسند الشاميين، وضعّفه.

وفي أثر (آخر)[١] [حسن][٢] « ابن آدم ما أنصفتني. خيري إليك نازل، وشرك إليّ صاعد، كم أتحبب إليك وأنا غني عنك، وكم تتبغض إليّ بالمعاصي وأنت فقير إليّ، ولا يزال الملك الكريم يعرج إلي منك بعمل قبيح» .

وفي الحديث الصحيح: « لو لم تذنبوا، لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم »[٣].

فهو سبحانه [لكمال] محبته لأسمائه وصفاته اقتضى حمده وحكمته أن يخلق خلقاً يظهر فيهم أحكامها وآثارها. فلمحبته للعفو خلق من يحسن العفو عنه، ولمحبته للمغفرة خلق من يغفر له ويحلم عنه ويصبر عليه ولا يعاجله، بل يكون (يحب أمانه)[٤]، وإمهاله، ولمحبته لعدله وحكمته خلق من يظهر فيهم عدله وحكمته، ولمحبته للجود والإحسان والبر خلق من يعامله بالإساءة والعصيان، وهو سبحانه يعامله بالمغفرة والإحسان.

فلولا خلق من يجري على أيديهم أنواع المعاصي والمخالفات، لفاتت هذه الحكم والمصالح وأضعافها وأضعاف أضعافها، فتبارك الله رب العالمين وأحكم الحاكمين، ذو الحكمة البالغة والنعم السابغة، الذي وصلت حكمته إلى حيث وصلت قدرته، وله في كل شيء حكمة باهرة، كما أن له فيه قدرة قاهرة .

(وهذا باب)[٥] إنما ذكرنا منه قطرة من بحر، وإلا فعقول البشر أعجز

---

(١) ساقط من م، ط.

(٢) زيادة من م، ط.

(٣) سبق تخريجه ص ١١٤٠.

(٤) في الأصل (تحت آياته) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) في (ط) (هدايات) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

واضعف وأقصر من أن تحيط بكمال حكمته في شيء من خلقه. فكم حصل بسبب هذا المخلوق البغيض للرب المسخوط له من محبوب له تبارك وتعالى، [يتصل](١) في حبه ما حصل به من مكروه. والحكيم الباهر الحكمة هو الذي يحصل أحب الأمرين إليه باحتمال المكروه الذي يبغضه ويسخطه إذا كان طريقاً إلى حصول ذلك المحبوب، ووجود الملزوم بدون لازمه محال، فإن يكن قد حصل بعدو الله إبليس من (الشرور)(٢) والمعاصي ما حصل، فكم حصل بسبب وجوده ووجود جنوده من طاعة هي أحب إلى الله وأرضى له من جهاد في سبيله، ومخالفة هوى النفس وشهواتها له، وتحمل المشاق والمكاره في محبته ومرضاته. وأحب شيء للحبيب أن يرى محِبَّه يتحمل لأجله من الأذى والوصف ما يصدق محبته:

من أجلك قد جعلت خدي أرضا   للشامت والحسود حتى ترضى(٣)

وفي أثر إلهي: « بغيتي ما يتحمل المتحملون من أجلي »(٤). فلله ما أحب إليه احتمال محبيه أذى أعدائه لهم فيه وفي مرضاته! وما أنفع ذلك الأذى لهم وما أحمدهم لعاقبته. وماذا ينالون به من (كرامة)(٥) حبيبهم وقربه قرة عيونهم به، ولكن حرام على منكري محبة الرب تعالى أن يشموا لذلك

---

(١) في الأصل (بتصال) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في (ط) (السرور) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) لم أجد قائله.

(٤) ذكره ابن القيم في (روضة المحبين) ص ٤٦٠ ولم يخرجه، كما أشار إليه في قصيدته النونية ٢/ ٤٦٢ (شرح ابن عيسى).

(٥) في م (كرامته).

رائحة، أو يدخلوا من هذا الباب، أو يذوقوا من هذا الشراب:

فقل للعيون العمي للشمس أعين ... سواك تراها في مغيب ومطلع

وسامح (نفوساً)[١] لم تؤهل لحبهم ... فما يحسن التخصيص في كل موضع[٢]

فإن أغضب هذا المخلوق ربه، فقد أرضاه فيه أنبياؤه ورسله وأولياؤه، وذلك الرضا أعظم من ذلك الغضب.

وإن أسخطه (ما يجري)[٣] (على يديه)[٤] من المعاصي والمخالفات، فإنه سبحانه أشد فرحاً بتوبة عبده (العاصي)[٥] من الفاقد لراحلته التي عليها طعامه وشرابه إذا وجدها في المفاوز المهلكات[٦].

وإن أغضبه ما جرى على أنبيائه ورسله من هذا العدو، فقد سره وأرضاه ما جرى على أيديهم من (خزيه)[٧] ومعصيته ومراغمته وكبته وغيظه، وهذا

---

(١) في م، ط (يوسا).

(٢) ذكر المؤلف هذين البيتين في (أعلام الموقعين) ٤/ ٣٢ ، (الصواعق المرسلة) ٣/ ١٢٠٠ باختلاف، ولم يعزهما لقائل.

(٣) في الأصل، م (ما يجتري) والصواب ما أثبته من (ط).

(٤) زيادة من م، ط.

(٥) ساقطة من (ط).

(٦) يشير إلى قوله عليه الصلاة والسلام: « لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دوية مهلكة، معه راحلته، عليها طعامه وشرابه... » والحديث ورد بألفاظ عدة، أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (التوبة) باب (في الحض على التوبة والفرح بها) ح رقم ٢٧٤٤، ٢٧٤٥، ٢٧٤٦، ٢٧٤٧.

(٧) في (ط) (حربه).

الرضاء أعظم عنده وأبرأ لديه من فوات ذلك المكروه المستلزم لفوات هذا المرضي المحبوب.

وإن أسخطه أكل آدم من الشجرة، فقد أرضاه توبته وإنابته وخضوعه وتذلُّله بين يديه وانكساره له[١].

وإن أغضبه إخراج أعدائه لرسوله من حرمه [وبلدته][٢] ذلك الخروج، فقد أرضاه أعظم الرضا دخوله إليها ذلك الدخول.

وإن أسخطه قتلهم أولياءه وأحبابه، وتمزيق لحومهم، وإراقة دمائهم، فقد أرضاه نيلهم الحياة التي لا أطيب منها ولا أنعم ولا ألذ في قربه وجواره .

وإن أسخطه معاصي عباده [وذنوبهم][٣] فقد أرضاه شهود ملائكته وأنبيائه ورسله وأوليائه سعة مغفرته وعفوه وبره وكرمه وجوده والثناء عليه بذلك، وحمده [وتمجيده][٤] بهذه الأوصاف التي حمده بها [والثناء][٥] عليه أحب إليه وأرضى له من فوات تلك المعاصي وفوات هذه المحبوبات.

واعلم أن الحمد هو الأصل الجامع لذلك كله؛ فهو عقد نظام الخلق والأمر، والرب تعالى له الحمد كله بجميع وجوهه واعتباراته وتصاريفه، فما

---

(١) قال سبحانه: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (الأعراف/ ٢٢، ٢٣) .

(٢) في الأصل (وندرته) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) ساقطة من م، ط.

(٤) في الأصل و (تحميده) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) في (ط) (وأثنى) والصواب ما أثبته.

خلق شيئاً ولا حكم بشيء إلا وله فيه الحمد، فوصل حمده إلى حيث وصل خلقه وأمره، حمداً حقيقياً يتضمن محبته والرضا به وعنه، والثناء عليه، والإقرار بحكمته البالغة في كل ما خلقه وأمر به. فتعطيل حكمته (عين)[١] تعطيل حمده كما تقدم بيانه[٢]، فكما أنه لا يكون إلا حميداً، فلا يكون إلا حكيماً، فحمده وحكمته كعلمه وقدرته وحياته من لوازم ذاته، ولا يجوز تعطيل شيء من صفاته وأسمائه عن مقتضياتها وآثارها؛ فإن ذلك يستلزم النقص الذي يناقض كماله وكبرياءه وعظمته.

يوضحه الوجه الخامس والعشرون: أنه كما أن من صفات الكمال وأفعال الحمد والثناء أنه يجود[٣] ويعطي ويمنع[٤]، فمنها أن يعيذ[٥] وينصر[٦] ويغيث[٧]،

---

(١) في ط (غير).

(٢) انظر ص١٠٦٦.

(٣) قال عليه الصلاة والسلام في حديث طويل رواه أبو ذر رضي الله عنه: «... ذلك بأني جواد أفعل ما أريد ..» إلخ. أخرجه الترمذي في كتاب (صفة القيامة) ، باب (٤٨) ح (٢٤٩٣) ٤/ ٦٥٦ قال الترمذي : (هذا حديث حسن).
وابن ماجة في كتاب (الزهد) باب (٣٠) ح (٤٢٥٧) ٢/ ١٤٢٢.
وأحمد في مسنده ٥/ ١٥٤.

(٤) من أسماء الله عز وجل ما لا يطلق عليه إلا مقترناً بمقابله ، فإذا أطلق وحده أوْهَمَ نقصاً لله، تعالى الله عن ذلك. ومن ذلك: (المعطي المانع). انظر: معارج القبول ١/ ٧٦.

(٥) قال سبحانه: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ (الفلق/ ١).

(٦) قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد/ ٧).

(٧) قال سبحانه: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ (الأنفال/ ٩).

فكما يجب أن يلوذ به اللائذون، يجب أن يعوذ به العائذون. وكمال الملوك أن يلوذ بهم أولياؤهم ويعوذوا بهم، كما قال: أحمد بن الحسين الكندي[1] في ممدوحه:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ... ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس عظماً أنت كاسره ... ولا يهيضون عظماً أنت جابره[2]

ولو قال ذلك في ربه وفاطره لكان أسعد به من مخلوق مثله.

والمقصود أن ملك الملوك يجب أن يلوذ به مماليكه، وأن يعوذوا به، كما أمر رسوله أن يستعيذ به من الشيطان [الرجيم][3] في غير موضع من كتابه[4].

وبذلك يظهر تمام نعمته على (عبده)[5] إذا أعاذه وأجاره من عدوه، فلم يكن إعاذته وإجارته منه بأدنى نعمتين، والله تعالى يجب أن يكمل نعمته على عباده المؤمنين، فيا لها من نعمة كمل بها سرورهم ونعيمهم، وعدل أظهره في أعدائه وخصمائه.

---

(١) هو شاعر زمانه، أبو الطيب أحمد بن حسين الكندي، الأديب الشهير بالمتنبي، قتل سنة أربع وخمسين وثلاثمائة. انظر: شذرات الذهب ٣/ ١٣-١٥، سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٩٩.

(٢) ديوان المتنبي مع شرح العكبري، طبع بيروت ٢/ ١٢٢.

(٣) زيادة من (ط).

(٤) من ذلك قوله سبحانه: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ (الأعراف/ ٢٠٠). وقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ (النحل/ ٩٨). وقوله: ﴿ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ (غافر/ ٥٦).

(٥) في (ط) (عدوه).

وما منهما إلا له فيه حكمة يقصر عن إدراكها كل باحث[1]

الوجه السادس والعشرون: قوله: اي حكمة (يقصر عن إدراكها)[2] في بقاء إبليس إلى آخر الدهر وإماتة الرسل؟ فكم لله في ذلك من حكمة تضيق بها الأوهام.

فمنها أنه سبحانه لما جعله محكاً ومحنة يخرج به الطيب من الخبيث، ووليه من عدوه، اقتضت حكمته إبقاءه ليحصل الغرض المطلوب بخلقه، ولو أماته لفات ذلك الغرض، كما أن الحكمة اقتضت بقاء أعدائه الكفار في الأرض إلى آخر الدهر، ولو أهلكهم البتة لتعطلت الحكم الكثيرة في إبقائهم، فكما اقتضت حكمته امتحان أبي (البشر)[3] امتحان أولاده من بعده به، فتحصل السعادة لمن خالفه وعاداه، وينحاز إليه من وافقه ووالاه.

ومنها أنه لما سبق في (حكمه وحكمته)[4] أنه لا نصيب له في الآخرة، وقد سبق له طاعةٌ وعبادةٌ، جزاه بها في الدنيا بأن البقاء فيها إلى آخر الدهر، فإنه سبحانه لا يظلم أحداً حسنة عملها، فأما المؤمن فيجزيه بحسناته في الدنيا وفي الآخرة، وأما الكافر فيجزيه بحسنات ما عمل في الدنيا، فإذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له شيء، كما ثبت هذا المعنى في الصحيح عن النبي ﷺ[5].

---

(١) لم أجد قائله.

(٢) ما بينهما ساقط من م، ط.

(٣) في الأصل (البشرية) والصواب ما أثبته، وهو من م، ط.

(٤) في م، ط (حلمه وحكمته).

(٥) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة. يعطي بها في الدنيا ويجزي بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله =

ومنها أن إبقاءه لم يكن كرامة في حقه، فإنه لو مات كان خيراً له، وأخف لعذابه، وأقل لشره. ولكن لما غلظ ذنبه بالإصرار على المعصية، ومخاصمة من ينبغي التسليم لحكمه، والقدح في حكمته، والحلف على اقتطاع عباده وصدهم عن عبوديته[1]، كانت عقوبة (هذا)[2] الذنب أعظم عقوبة بحسب (تغلُّظه)[3]. فأبقي في الدنيا وأملي له (ليزداد)[4] إثماً على إثم ذلك الذنب، فيوجب العقوبة التي لا تصلح لغيره، فيكون رأس أهل الشر في العقوبة، كما كان رأسهم في الشر والكفر، (ولما)[5] كان مادة كل شر فعنه ينشأ، جُوزي في النار مثل فعله، فكل عذاب ينزل لأهل النار يبدأ به فيه، ثم يسري منه إلى أتباعه عدلاً ظاهراً وحكمةً بالغة.

ومنها أنه قال في مخاصمته لربه: ﴿ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء/ ٦٢].

وعلم سبحانه أن في الذرية من لا يصلح لمساكنته في داره، ولا يصلح إلا

= في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم يكن له حسنة يجزى بها ». أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (صفات المنافقين وأحكامهم) باب (جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة، وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا) ح (٢٨٠٨) ٣/ ٢١٦٢.

(١) قال سبحانه: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣ ﴾ [ص:٨٢-٨٣].

(٢) ساقطة من (ط).

(٣) في الأصل (تعطله) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) في ط زيادة (هذا) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) في الأصل (وكما) والصواب ما أثبته، وهو من باقي النسخ.

لما يصلح له الشوك والروث أبقاه له، وقال له بلسان القدر: هؤلاء أصحابك وأولياؤك، فاجلس في انتظارهم، وكلما مر بك واحد منهم فشأنك به، فلو صلح لما مكنتك منه[1]، فإني أتولى الصالحين، وهم الذين يصلحون لي، وأنت وليُّ المجرمين الذين (رغبوا)[2] عن موالاتي وابتغاء مرضاتي. قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل/ ٩٩، ١٠٠].

فأما إماتة الأنبياء والمرسلين، فلم يكن ذلك لهوانهم عليه، ولكن ليصلوا إلى محل كرامته، ويستريحوا من نكد الدنيا وتعبها، ومقاساة أعدائهم وأتباعهم، وليحيى الرسل بعدهم تترى رسولاً بعد رسول، فإماتتهم أصلح لهم وللأمة، أما هم فلراحتهم من الدنيا ولحوقهم بالرفيق الأعلى في أكمل لذة وسرور، ولا سيما وقد خيرهم ربهم بين البقاء في الدنيا (واللحاق به)[3][4].

وأما الأمم، فتعلم أنهم لم يطيعوهم في حياتهم خاصةً، بل أطاعوهم بعد مماتهم كما أطاعوهم في حياتهم، وأن أتباعهم لم يكونوا يعبدونهم، بل (كانوا)[5]

---

(١) في (ط) (ملكتك).

(٢) في م، ط (غنوا).

(٣) مكررة في (م).

(٤) يشير إلى حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من نبي يمرض إلا خُيّر بين الدنيا والآخرة...**» إلخ الحديث. رواه البخاري في صحيحه في كتاب (تفسير القرآن) من سورة النساء باب (١٣) ٨/ ١٨١، ومسلم في كتاب (فضائل الصحابة) باب (١٣) ح (٢٤٤٤) ٢/ ١٨٩٣.

(٥) ساقطة من (ط).

يعبدون الله بأمرهم ونهيهم، (والله)[١] هو الحي الذي لا يموت، فكم في إماتتهم من حكمة ومصلحة لهم وللأمم. هذا وهم بشر ولم يخلق الله البشر في الدنيا على خلقة قابلة للدوام، بل جعلهم خلائف في الأرض، يخلف بعضهم بعضاً، فلو أبقاهم لفاتت المصلحة (والحكمة في جعلهم خلائف، ولضاقت بهم الأرض)[٢] فالموت كمال لكل مؤمنٍ، ولولا الموت لما طاب العيش في الدنيا (ولا هناء لأهلها بها)[٣]. فالحكمة في الموت كالحكمة في الحياة.

الوجه السابع والعشرون: قوله: وأي حكمة ومصلحة في إخراج آدم من الجنة [٤] إلى دار الابتلاء والامتحان؟

فالجواب أن يقال: كم لله سبحانه في ذلك من حكمة، وكم فيه من نعمة ومصلحة تعجز العقول عن معرفتها على التفصيل، ولو استفرغت قواها كلها في معرفة ذلك. وإهباط آدم وإخراجه من الجنة كان (سبب)[٥] كماله ليعود إليها على أحسن أحواله. وهو سبحانه إنما خلقه ليستعمره وذريته في الأرض، ويجعلهم (خلفاء)[٦] يخلف بعضهم بعضاً[٧]، فخلقهم سبحانه ليأمرهم وينهاهم ويبتليهم، وليست الجنة دار ابتلاء وتكليف، فأخرج

---

(١) زيادة من م، ط.

(٢) ما بينهما مكرر في (م).

(٣) قال الأصل (لا يهنأ أهلها بها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) قال سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف/ ٢٧].

(٥) في ط (يعسر).

(٦) زيادة من (ط).

(٧) قال سبحانه :﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

الأبوين إلى الدار التي خلقوا منها وفيها، ليتزودوا منها إلى الدار التي خلقوها لها، فإذا (ذاقوا)[١] تعب دار التكليف ونصيبها (وأذاها)[٢] عرفوا تلك الدار وشرفها وفضلها، ولو نشؤوا في تلك الدار لما عرفوا قدر نعمته عليهم بها. فأسكنهم دار الامتحان، وعرضهم فيها لأمره ونهيه لينالوا بالطاعة أفضل ثوابه وكرامته، وكان من الممكن أن يحصل لهم النعيم المقيم هناك، ولكن الحاصل عقب الابتلاء والامتحان، ومعاناة الموت وما بعده، وأهوال القيامة، والعبور على الصراط نوع آخر من النعيم لا يدرك قدره، وهو أكمل من نعيم من خلق في الجنة من الولدان والحور العين بما لا (نسبة)[٣] بينهما بوجه من الوجوه.

ومن الحكم في ذلك أنه سبحانه أراد أن يتخذ من ذرية آدم رسلاً وأنبياء[٤] وشهداء يحبهم ويحبونه، وينزل عليهم كتبه، ويعهد إليهم عهده، ويستعبدهم له في السراء والضراء، ويؤثرون محابه ومراضيه على شهواتهم وما يحبونه ويهوونه، فاقتضت حكمته أن (أنزلهم)[٥] إلى دار ابتلاهم فيها بما ابتلاهم، ليكملوا بذلك الابتلاء مراتب عبوديته، ويعبدونه بما تكرهه نفوسهم، وذلك محض العبودية، وإلا فمن (لا)[٦] يعبد الله إلا بما يحبه ويهواه، فهو في الحقيقة إنما يعبد نفسه، وهو سبحانه يحب من أوليائه أن

---

(١) في (ط) (وفوا).

(٢) ساقطة من م، ط.

(٣) في (ط) (يشبه).

(٤) قال سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾ [الأعراف/ ٣٥].

(٥) في (الأصل) (أنزله) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) ساقطة من م، ط.

يوالوا فيه ويعادوا فيه، ويبذلوا نفوسهم في مرضاته ومحابه، وهذا كله لا يحصل في دار النعيم المطلق.

ومن الحكمة في إخراجه من الجنة ما تقدم التنبيه عليه من اقتضاء أسماء الله الحسنى لمسمياتها ومتعلقاتها، كالغفور، الرحيم، التواب، العفو، المنتقم، الخافض، الرافع، المعز، المذل، المحيي المميت الوارث.

ولا بد من ظهور أثر هذه الأسماء ووجود ما يتعلق به، فاقتضت حكمته أن أنزل الأبوين من الجنة ليظهر مقتضى أسمائه وصفاته فيهما وفي ذريتهما، فلو تربت[١] الذرية في الجنة، لفاتت آثار هذه الأسماء وتعلقاتها، والكمال الإلهي يأبى ذلك، فإنه الملك الحق المبين، والملك هو الذي يأمر وينهى، ويكرم ويهين، ويثبت ويعاقب، ويعطي ويمنع، ويعز ويذل، فأنزل الأبوين والذرية إلى دار تجري عليهم فيها[٢] هذه الأحكام.

وأيضاً فإنهم أنزلوا إلى دار يكون إيمانهم (فيها)[٣] تاماً، فإن الإيمان قول وعمل وجهاد وصبر واحتمال[٤]، وهذا كله إنما يكون في دار الامتحان، لا في جنة النعيم، وقد ذكر غير واحد من أهل العلم ـ منهم أبو الوفاء بن عقيل[٥]

---

(١) في الأصل (تربة) والصواب ما أثبته وهو من باقي النسخ.

(٢) ساقطة من (ط).

(٣) ساقطة من م، ط.

(٤) أقوال السلف وأئمة السنة في (تفسير الإيمان) تارة يقولون: هو قول، وعمل. وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية، وتارة يقولون: قول، وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح. وكل هذا صحيح. انظر: مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ٧/ ١٧٠.

(٥) أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد البغدادي الظفري الحنبلي المتكلم، صاحب =

وغيره - أن أعمال الرسل والأنبياء والمؤمنين في الدنيا أفضل من نعيم الجنة[١]، قالوا: لأن نعيم الجنة حظهم وتمتعهم، فأين يقاس إلى الإيمان وأعماله، والصلوات، وقراءة القرآن، (والجهاد)[٢] في سبيل الله، وبذل النفوس في مرضاته، وإيثاره على هواها وشهواتها.

فالإيمان متعلق به سبحانه، وهو حقه عليهم، ونعيم الجنة متعلق بهم، وهو حظهم، فهم إنما خلقوا للعبادة[٣]، والجنة دار نعيم لا دار تكليف وعبادة.

وأيضاً فإنه سبحانه سبق حكمه وحكمته بأن يجعل في الأرض خليفة، وأعلَمَ بذلك ملائكتَه. فهو سبحانه قد أراد أن يكون هذا الخليفة وذريته في الأرض قبل خلقه لما له في ذلك من الحكم والغايات الحميدة، فلم يكن بد من إخراجه من الجنة (إلى الدار التي قدر سكناه)[٤] فيها قبل أن يخلقه. وكان ذلك التقدير بأسباب وبحكم. فمن أسبابه النهي عن تلك الشجرة، وتخليته بينه وبين عدوه، حتى وسوس إليه بالأكل، وتخليته بينه وبين نفسه حتى وقع في المعصية، وكانت تلك الأسباب موصلة إلى غايات محمودة مطلوبة

= التصانيف، له كتاب الفنون في أزيد من أربعمائة مجلد، إلا أنه خالف السلف، ووافق المعتزلة في عدة بدع، ثم تاب عن ذلك. نسأل الله العفو والسلامة. ولد سنة إحدى وثلاثين وأربع مئة، وتوفي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة. انظر: طبقات الحنابلة ٢/ ٢٥٩، ميزان الاعتدال ٣/ ١٤٦، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٤٣.

(١) انظر: كتاب تفضيل العبادات على نعيم الجنات لابن عقيل، معجم المؤلفين ٢/ ٤٧٧.

(٢) زيادة من م، ط.

(٣) يشير إلى قوله سبحانه ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.(الذاريات/ ٥٦).

(٤) في (ط) (دار قد سكناهم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

ترتبت[١] خروجه من الجنة، ثم ترتب على خروجه أسباب أخر جعلت غايات لحكم أخر. ومن تلك الغايات عوده إليها على أكمل الوجوه.

فذلك التقدير وتلك الأسباب وغاياتها صادرة عن محض الحكمة البالغة التي (يحمده)[٢] عليها أهل السماوات والأرض والدنيا والآخرة. فما قدر أحكم الحاكمين ذلك باطلاً، ولا دبره عبثاً، ولا أخلاه من حكمته البالغة وحمده التام.

وأيضاً، فإنه سبحانه قال لملائكته: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة/ ٣٠).

ثم أظهر سبحانه من علمه وحكمته الذي خفي على (ملائكته)[٣] من أمر هذا الخليفة ما لم يكونوا يعرفونه، بأن جعل من نسله من أوليائه وأحبابه ورسله وأنبيائه من يتقرب إليه بأنواع التقرب، ويبذل نفسه في محبته ومرضاته، يسبح بحمده آناء الليل وأطراف النهار، ويذكره قائماً وقاعداً وعلى جنبه، ويعبده ويذكره ويشكره في السراء والضراء، والعاقبة والبلاء، والشدة والرخاء، فلا يثنيه عن ذكره وشكره وعبادته شدة ولا بلاء، ولا فقر ولا مرض، ويعبده مع معارضة الشهوة (وغلبات) الهوى، (وتعاضد)[٤] الطباع لأحكامها، ومعاداة بني جنسه وغيرهم له، فلا يصده ذلك عن عبادته

(١) في (ط) (يترتب) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في (ط) (يحسده) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) في (ط) (الملائكة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) في الأصل، م (تقاضي) والصواب ما أثبته من (ط).

وشكره وذكره والتقرب إليه. فإن كانت عبادتكم لي بلا معارض ولا ممانع، فعبادة هؤلاء لي مع هذه المعارضات والموانع والشواغل.

وأيضاً فإنه سبحانه أراد أن يظهر لهم ما خفي عليهم من شأن (من)[1] كانوا يعظمونه ويجلونه، ولا يعرفون ما في نفسه من الكبر والحسد والشر، فذلك الخير وهذا الشر كامن في نفوس لا يعلمونها، فلا بد من إخراجه وإبرازه لكي يعلم حكمة أحكم الحاكمين في (معاملة)[2] كل منهما بما يليق به.

وأيضاً فإنه سبحانه لما خلق خلقه أطواراً وأصنافاً، وسبق في حكمه وحكمته (تفضيل)[3] آدم وبنيه على كثير ممن خلق تفضيلاً، جعل عبوديتهم أكمل من عبودية غيرهم، وكانت العبودية أفضل أحوالهم وأعلى درجاتهم، أعني العبودية الاختيارية التي يأتون بها طوعاً واختياراً لا كرهاً واضطراراً.

ولهذا أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام إلى سيد هذا (النوع)[4] يخيره بين أن يكون عبداً رسولاً أو ملكاً نبياً، فاختار بتوفيق ربه له أن يكون عبداً رسولاً[5].

---

(١) في م، ط (ما) والصواب ما أثبته.

(٢) في م، ط (مقابلة).

(٣) في الأصل (نعطيل) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) في الأصل (النوعي) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء، فإذا ملك ينزل، فقال جبريل: إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق قبل الساعة، فلما نزل قال يا محمد. أرسلني إليك ربك، قال: أفملكاً نبياً يجعلك أو عبداً رسولاً. قال جبريل: تواضع لربك يا محمد قال: « بل عبداً رسولاً ». أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٢٣١. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٨، ١٩) رواه أحمد والبزار وأبو يعلى =

وذكره سبحانه (باسم)[1] العبودية في أشرف مقاماته وأفضل أحواله، كمقام الدعوة والتحدي والإسراء وإنزال القرآن، فقال ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن/ ١٩]، ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة/ ٢٣]، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ (الإسراء/ ١) ، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ (الفرقان/ ١) فأثنى عليه، ونوّه به لعبوديته التامة له، ولهذا يقول أهل الموقف حين يطلبون الشفاعة: « اذهبوا إلى محمد، عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر »[2].

فلما كانت العبودية أشرف أحوال بني آدم وأحبها إلى الله، وكان لها لوازم وأسباب (وشروط)[3] لا تحصل إلا بها، كان من أعظم الحكمة أن أخرجوا إلى دار تجري فيها أحكام العبودية وأسبابها وشروطها وموجباتها، فكان إخراجهم من الجنة تكميلاً لهم، وإتماماً لنعمته عليهم، مع ما في ذلك من (حصول)[4] محبوبات الرب تعالى، فإنه يحب إجابات الدعوات، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، ومغفرة الزلات، وتكفير السيئات، ودفع البليات، وإعزاز من يستحق العز، وإذلال من يستحق الذل، ونصر المظلوم، وجبر الكسير، ورفع بعض خلقه على بعض، وجعلهم درجات؛ ليعرف قدر

= ورجال الأولين رجال الصحيح. وعن عائشة بنحوه. قال الهيثمي: رواه أبو يعلى وإسناده حسن. (مجمع الزوائد ٩/ ١٩).

(١) في (ط) اتم.

(٢) سبق تخريجه .

(٣) في (ط) (مشروط) والصواب ما أثبته.

(٤) ساقطة من (ط).

فضله وتخصيصه، فاقتضى ملكه التام وحمده الكامل أن يخرجهم إلى دار يحصل فيها محبوباته سبحانه، وإن كان لكثير منها طرق وأسباب يكرهها، فالموقوف[١] على الشيء لا يكون[٢] بدونه، وإيجاد لوازم الحكمة من الحكمة، كما أن إيجاد لوازم العدل من العدل، كما (ستقف)[٣] عليه في فصل إيلام الأطفال إن شاء الله[٤].

الوجه الثامن والعشرون: أنه سبحانه أبرز خلقه من العدم إلى الوجود ليجري عليه أحكام أسمائه وصفاته، فيظهر كماله المقدس، وإن كان لم يزل كاملاً. فمن كماله ظهور آثار كماله في خلقه وأمره، وقضائه وقدره، ووعده ووعيده، (ومنعه)[٥] وإعطائه، وإكرامه وإهانته، وعدله وفضله، وعفوه (وانتقامه)[٦] وسعة حلمه، وشدة بطشه.

وقد اقتضى كماله المقدس سبحانه أنه كل يوم هو في شأن، فمن جملة شؤونه أن يغفر ذنباً، ويفرج كرباً، ويشفي مريضاً، ويفك عانياً، وينصر مظلوماً، ويغيث ملهوفاً، ويجبر كسيراً، ويغني فقيراً، ويجيب دعوةً، ويقيل عثرةً، ويعز ذليلاً، ويذل متكبراً، ويقصم جباراً، ويميت ويحيي، ويضحك ويبكي، ويخفض ويرفع، ويعطي ويمنع ، ويرسل رسله من الملائكة ومن البشر في تنفيذ أوامره، وسوق مقاديره التي قدرها إلى مواقيتها التي وقّتها لها.

---

(١) في م، ط (فالوقوف) والصواب ما أثبته.

(٢) ساقطة من م، ط.

(٣) في (الأصل) (سبقت) والصواب ما أثبته، وهو من باقي النسخ.

(٤) انظر الباب الثلاثين .

(٥) زيادة من م، ط.

(٦) في م، ط (وإنعامه).

وهذا كله لم يكن ليحصل في (دار)[١] البقاء، وإنما اقتضت حكمته البالغة حصوله في دار الامتحان والابتلاء.

يوضحه الوجه التاسع والعشرون: أن كمال ملكه التام اقتضى كمال تصرفه فيه بأنواع التصرف، ولهذا جعل (الله)[٢] سبحانه الدور ثلاثة: داراً أخلصها للنعيم واللذة والبهجة والسرور، وداراً أخلصها للألم والنصب وأنواع البلاء والشرور، وداراً خلط خيرها بشرها، ومزج نعيمها بشقائها، ومزج لذتها بألمها، يلتقيان (ويتطالبان)[٣]. وجعل عمارة (تينك)[٤] الدارين من هذه الدار، وأجرى (أحكامه)[٥] على خلقه في الدور الثلاثة بمقتضى ربوبيته وإلهيته (وعلمه)[٦] وعزته وحكمته وعدله ورحمته. فلو أسكنهم كلهم دار البقاء من حين أوجدهم لتعطلت (أحكام)[٧] هذه الصفات، ولم يترتب عليها آثارها.

يوضحه الوجه الثلاثون: أن يوم المعاد الأكبر يوم مظهر الأسماء والصفات وأحكامها، ولهذا يقول سبحانه: ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر/ ١٦]، وقال: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الفرقان/ ٢٦]، وقال: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ [الانفطار/ ١٩] .

---

(١) في (ط) (ذات).

(٢) زيادة من م، ط.

(٣) في م، ط (يطالبان).

(٤) في الأصل (تلك) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) في الأصل (من أحكامه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) ساقطة من م، ط.

(٧) في الأصل (إذاً قيام) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

حتى إن الله سبحانه ليتعرف إلى عباده ذلك اليوم بأسماء وصفات لم يعرفوها في هذه الدار. فهو يوم ظهور المملكة العظمى والأسماء الحسنى والصفات العلا .

فتأمل ما أخبر به الله ورسوله من شأن ذلك اليوم وأحكامه، وظهور عزته تعالى وعظمته، وعدله، وفضله، ورحمته، وآثار صفاته المقدسة التي لو خلقوا في دار البقاء لتعطلت، وكماله سبحانه ينفي ذلك. وهذا دليل مستقل لمن عرف الله تعالى وأسماءه وصفاته على وقوع المعاد وصدق الرسل فيما أخبروا به عن الله (منه)[١]، (فيتطابق)[٢] دليل العقل ودليل السمع على وقوعه .

الوجه الحادي والثلاثون: أن الله سبحانه يحب أن يعبد بأنواع التعبدات كلها، ولا يليق ذلك إلا بعظمته وجلاله، ولا يحسن ولا ينبغي إلا له وحده .

ومن [المعلوم][٣] أن أنواع التعبد الحاصل في دار الابتلاء والامتحان لا تكون في دار المجازاة، وإن كان في هذه الدار بعض المجازاة، فكمالها وتمامها هو في تلك الدار، وليست دار عمل، وإنما هي دار جزاء وثواب. وأوجب كماله المقدس [أن][٤] يجزي فيها الذين أساؤوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، فلم يكن بد من دار تقع فيها الإساءة والإحسان، ويجري على [أهلها][٥] (فيها)[٦]

---

(١) في (ط) (عنه) .

(٢) في (ط) (فتطابق) .

(٣) في الأصل (العلوم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) في الأصل (اي) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٥) في (م) (أهلهما) .

(٦) ساقطة من م، ط .

أحكام الأسماء والصفات .

ثم يعقبها داراً يجازى فيها المحسن والمسيء، ويجري على [أهلها][١] فيها أحكام الأسماء والصفات. فتعطيل أسمائه وصفاته ممتنع مستحيل، وهو تعطيل لربوبيته وإلهيته وملكه وعزه وحكمته .

فمن فتح له باب من الفقه في أحكام الأسماء والصفات، وعلم [اختصاصها][٢] لآثارها ومتعلقاتها، واستحالة تعطيلها، علم أن الأمر كما أخبرت به الرسل، وأنه لا يجوز عليه سبحانه، ولا ينبغي له غيره، وأنه ينزه عن خلاف ذلك كما ينزه عن سائر العيوب والنقائص. وهذا باب عزيز من أبواب الإيمان (يفتحه)[٣] الله على من يشاء من عباده ويحرمه من يشاء .

الوجه الثاني والثلاثون: أنه كم لله سبحانه من حكمة وحمد، وأمر ونهي، وقضاء وقدر، في جعل بعض عباده فتنة لبعض، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام/ ٥٣] وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان/ ٢٠].

فهو سبحانه جعل أولياءَه فتنةً لأعدائه، وأعداءَه فتنةً لأوليائه، والملوك فتنةً للرعية، والرعية فتنةً لهم، والرجال فتنة للنساء، وهُنَّ فتنةً لهم، والأغنياء فتنةً للفقراء، والفقراء فتنةً لهم، وابتلى كل أحد بضدٍ جعله (مقابله)[٤] .

فما استقرت أقدُام الأبوين على الأرض إلا وضدهما مقابلهما، واستمر

---

(١) في (م) (أهلهما) .

(٢) في الأصل (اقتضاها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) في (ط) (فيفتحه) .

(٤) في (ط) (متقابلا) .

الأمر في الذرية كذلك إلى أن يطوي الله الدنيا ومن عليها، وكم له سبحانه في [مثل][(١)] هذا الابتلاء والامتحان من حكمة بالغة، ونعمة سابغة، وحُكم نافذ، وأمر ونهي، وتصريفٍ دالٍّ على ربوبيته وإلهيته وملكه وحمده، وكذلك ابتلاء عباده بالخير والشر في هذه الدار هو من كمال حكمته ومقتضى حمده التام .

الوجه الثالث والثلاثون: أنه لولا هذا الابتلاء والامتحان لما ظهر فضل الصبر، والرضاء، والتوكل، والجهاد، والعفة، والشجاعة، والحلم، والعفو، والصفح. والله سبحانه (يحب)[(٢)] أن يكرم أولياءه بهذه الكمالات، ويحب ظهورها عليهم، ليُثنى بها عليهم هو وملائكته، وينالوا باتصافهم بها غاية الكرامة واللذة والسرور. وإن كانت مُرَّةَ المبادئ، فلا أحلى من عواقبها. ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنع .

وقد أجرى الله سبحانه حكمته بأن كمال الغايات (تابع)[(٣)] لقوة أسبابها وكمالها، ونقصانها لنقصانها، فمن كمل أسباب النعيم واللذة (والسرور)[(٤)] كملت له غايتها، ومن حرمها حرمها، ومن نقصها نقص له من غاياتها. وعلى هذا قام الجزاء بالقسط والثواب والعقاب، وكفى بهذا العالم شاهداً لذلك، فرَبُّ الدنيا والآخرة واحد، وحكمته مطردة فيهما ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص/ ٧٠] .

ويوضحه **الوجه الرابع والثلاثون:** وهو أن أفضل العطاء وأجلَّه على الإطلاق الإيمان وجزاؤه، وهو لا يتحقق إلا بالامتحان والاختبار، قال تعالى:

---

(١) زيادة من م، ط .

(٢) ساقطة من (م) .

(٣) في (ط) (تابعة) .

(٤) ساقطة من م، ط .

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٤ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [العنكبوت/ ١-٦].

فذكر سبحانه في هذه السورة أنه لابد أن يمتحن خلقه ويفتنهم، ليتبين الصادق من الكاذب، والمؤمن من الكافر، ومن يشكره ويعبده ممن يكفره ويعرض عنه ويعبد غيره. وذكر أحوال الممتحنين في العاجل والآجل، وذكر أئمة الممتحنين في الدنيا وهم الرسل وأتباعهم، وعاقبة أمرهم وما صاروا (إليه، ثم ذكر الممتحنين من أعدئهم ومكذبيهم وما صاروا إليه)[١] فافتتح (السورة)[٢] بالإنكار على من يحسب أنه يتخلص من الامتحان والفتنة في هذه الدار إذا [٣] ادعى الإيمان، وأن حكمته سبحانه (ومشيئته)[٤] في خلقه تأبى ذلك، وأخبر عن سر هذه الفتنة والمحنة، وهو تبين الصادق من الكاذب، والمؤمن من الكافر، وهو سبحانه كان يعلم ذلك قبل وقوعه، ولكن اقتضى عدله وحمده أنه لن يجزي العباد بمجرد علمه فيهم، بل بمعلومه إذا وجد وتحقق، والفتنة هي التي أظهرته وأخرجته إلى الوجود، فحينئذ حسن وقوع الجزاء عليه.

ثم أنكر سبحانه على من لم يلتزم الإيمان به ومتابعة رسله خوف الفتنة والمحنة التي يمتحن بها رسله وأتباعهم ظنه وحسبانه أنه بإعراضه عن الإيمان

---

(١) ما بينها ساقط من م، ط .

(٢) ساقطة من (ط) .

(٣) زيادة من م ط .

(٤) في م، ط (شانه) .

(به)[١] وتصديق رسله يتخلص من الفتنة والمحنة، فإن بين يديه من الفتنة والمحنة والعذاب أعظم وأشق مما فر (منه)[٢] فإن المكلفين بعد إرسال الرسل بين أمرين: إما أن يقول أحدهم: آمنت، وإما لا يقول: بل يستمر على السيئات .

فمن قال: آمنت [امتحنه الرب تعالى وابتلاه ليتحقق (بالامتحان)[٣] حجة إيمانه وثباته عليه، وأنه ليس][٤] بإيمانه عافية ورخاء فقط، بل إيمان ثابت في حالتي النعماء والبلاء .

ومن لم يؤمن، فلا يحسب أنه يعجز ربه تعالى ويفوته، بل هو في قبضته، وناصيته بيده، فله من البلاء أعظم مما ابتلي به من قال: آمنت .

فمن آمن به وبرسله فلا بد أن يُبتلى من أعدائه وأعداء رسله بما يؤلمه ويشق عليه .

ومن لم يؤمن به وبرسله، فلا بد أن يعاقبه، فيحصل له من الألم والمشقة أضعاف ألم المؤمنين .

فلا بد من حصول الألم لكل نفس مؤمنةٍ أو كافرة، لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا (ابتداء)[٥] ثم ينقطع، ويعقبه أعظم اللذة، والكافر يحصل له اللذة والسرور ابتداء ثم ينقطع ويعقبه أعظم الألم والمشقة . وهذا حال الذين يتبعون الشهوات فيلتذون بها ابتداءً، ثم تعقبها الآلام بحسب ما نالوه منها،

---

(١) ساقطة من م، ط .

(٢) في (ط) (عنه) .

(٣) في (ط) (بالإيمان) .

(٤) ما بينها زيادة من م، ط .

(٥) في (ط) (أشد) .

والذين يصبرون عنها [يتألمون][(١)] بفقدها ابتداءً، ثم يعقب ذلك الألم من اللذة والسرور بحسب ما صبروا عنه وتركوه منها .

فالألم واللذة أمر ضروري لكل إنسان، ولكن الفرق بين العاجل المنقطع اليسير والآجل الدائم العظيم [فرق كبير][(٢)]، ولهذا كان خاصة العقل النظر في العواقب والغايات، فمن ظن أنه يتلخص من الألم بحيث لا يصيبه البتة، فظنه أكذب الحديث، فإن الإنسان خلق عرضة للذة والألم والسرور والحزن، والفرح والغم، وذلك في جهتين :

من جهة تركيبه (وطبعه)[(٣)] وهيئته، فإنه مركب من أخلاط (متعادية)[(٤)] متضادة، يمتنع أو يعز اعتدالها من كل وجه، بل لا بد أن يبغي بعضها على بعض، فتخرج عن حد الاعتدال، فيحصل الألم .

ومن جهة بني جنسه، فإنه مدني بالطبع، لا يمكنه أن يعيش وحده، بل لا يعيش إلا معهم، وله ولهم (إرادت)[(٥)] ومطالب متضادة ومتعارضة، لا يمكن الجمع (بينهما)[(٦)] بل إذا حصل منها شيء فات منها أشياء.

فهو يريد منهم أن يوافقوه على مطالبه وإرادته، وهم يريدون منه ذلك، فإن وافقهم حصل له من الألم والمشقة بحسب ما فاته من إرادته، وإن لم

(١) في جميع النسخ (ينالون) ولعل الصواب ما أثبته .
(٢) ساقطة من الأصل، م وفي (ط) (بون) ولعل الصواب ما أثبته .
(٣) في ط (وطبيعته) .
(٤) في ط (متفاوته) .
(٥) في م، ط (لذاذات) .
(٦) في م، ط (بينها) .

يوافقهم آذوه وعذبوه، وسعوا في تعطيل مراداته كما (لو)[١] لم يوافقهم على (إرادتهم)[٢]، فيحصل له من الألم والتعذيب بحسب ذلك، فهو في ألم ومشقة على أمور يعلم أنها عقائد باطلة، وإرادات فاسدة وأعمال (مضرة)[٣] في عواقبها؛ ففي موافقتهم أعظم الألم، وفي مخالفتهم حصول الألم .

فالعقل والدين والمروءة والعلم تأمره باحتمال أخف الألمين تخلصاً من أشدهما، وبإيثار المنقطع منهما لينجو من الدائم المستمر .

فمن كان ظهيراً للمجرمين من الظلمة على ظلمهم، ومن أهل الأهواء والبدع على أهوائهم وبدعهم، ومن أهل الفجور والشهوات على فجورهم وشهواتهم ليتخلص بمظاهرتهم من ألم أذاهم، أصابه من ألم الموافقة لهم عاجلاً (وآجلاً)[٤] أضعاف أضعاف ما فر منه، وسنة الله في خلقه أن يعذبهم بأيدي من (أعانهم)[٥] وظاهرهم. وإن صبر على ألم مخالفتهم ومجانبتهم أعقبه ذلك لذة عاجلة وآجله تزيد على لذة الموافقة بأضعاف مضاعفة . وسنة الله في خلقه أن يرفعه عليهم، ويذلهم له بحسب صبره وتقواه وتوكله وإخلاصه .

إذا كان لا [بد][٦] من الألم والعذاب، فذلك في الله، وفي مرضاته ومتابعة رسله، أولى وأنفع منه في الناس (ومرضاتهم)[٧] وتحصيل مراداتهم .

---

(١) ساقطة من م، ط .

(٢) في ط (مراداتهم) .

(٣) في م، ط (تضره) .

(٤) في الأصل (أو آجلاً) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٥) في ط (يعذبهم بإنذار من إيمانهم) .

(٦) ساقطة من م، ط .

(٧) في ط (ورضائهم) .

ولما كان زمن التألم والعذاب[1] فصبره طويل، وأنفاسه ساعات، وساعاته أيام، وأيامه شهور وأعوام. (سلى)[2] سبحانه الممتحن فيه بأن لذلك الابتلاء أجلاً ثم ينقطع، وضرب لأهله أجلاً للقائه يسليهم به و(تسكن)[3] نفوسهم، ويهون عليهم أثقاله؛ فقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت/ ٥] .

فإذا تصور العبد أجل ذلك البلاء وانقطاعه وأجل لقاء المبتلى سبحانه وإثابته، هان عليه ما هو فيه، وخف عليه حمله .

ثم لما كان ذلك لا يحصل إلا بمجاهدة للنفس وللشيطان ولبني جنسه، وكان العامل إذا علم أن ثمرة عمله وتعبه تعود عليه وحده لا يشركه فيه غيره، كان أتم اجتهاداً وأوفر سعياً، قال تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت/ ٦] .

وأيضاً، فلا يتوهم متوهم [أن][4] منفعة هذه المجاهدة والصبر والاحتمال تعود على الله سبحانه، فإنه غني عن العالمين، ولم يأمرهم بما أمرهم به حاجة منه إليهم، [و][5] لا نهاهم عما نهاهم عنه بخلاً منه عليهم، بل أمرهم بما يعود نفعه ومصلحته عليهم في معاشهم ومعادهم، ونهاهم عما تعود مضرته[6] عليهم في معاشهم ومعادهم، فكانت ثمرة هذا الابتلاء والامتحان

---

(١) الكلام هنا غير مستقيم، ولعل هناك سقطاً وهو كلمة (طويلاً) .

(٢) في ط (بلى) .

(٣) في ط (ويشكر) .

(٤) في الأصل (فلا منفعة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٥) زيادة من م، ط .

(٦) في (ط) (عتيه) .

مختصة بهم .

[واقتضت][1] حكمته أن نصب ذلك سبباً مفضياً إلى تميز (الطيب من الخبيث)[2]، (والتقي)[3] من الغوي، ومن يصلح له ممن لا يصلح .

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران/ ١٧٩].

فابتلاهم سبحانه بإرسال (رسله)[4] إليهم بأوامره ونواهيه وامتيازه، فامتاز برسله طيبهم من خبيثهم، وجيدهم من رديئهم، فوقع الثواب والعقاب على معلوم أظهره ذلك الابتلاء والامتحان .

ثم لما كان الممتحن لا بد أن ينحرف عن طريق الصبر والمجاهدة لدواعي (طبعه)[5] وهواه، وضعفه عن مقاومة ما ابتُلي به، وعده سبحانه أن يتجاوز له عن ذلك ويكفر عنه، لأنه لما (آمن)[6] به والتزم طاعته، اقتضت رحمته أن كفر عنه سيئاته، وجازاه بأحسن أعماله[7] .

ثم ذكر سبحانه ابتلاء العبد بأبويه، وما أمر به من طاعتها، وصبره على

---

(١) في الأصل (واختصت) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) في م، ط (الخبيث من الطيب) .

(٣) في م، ط (الشقي) .

(٤) في ط (الرسل) .

(٥) في (ط) (طبيعته) .

(٦) في (ط) (أمر) .

(٧) قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت/ ٧] .

مجاهدتهما له على (أن يشرك)[١] به، فيصبر على هذه المحنة والفتنة ولا يطيعهما، بل يصاحبهما على هذه الحال معروفاً، ويعرض عنهما إلى متابعة سبيل (رسله)[٢][٣] وفي الاعتراض عنهما وعن سبيلهما، والإقبال على من خالفهما، وعلى سبيله من الامتحان والابتلاء ما فيه .

ثم ذكر سبحانه حال من دخل في الإيمان على ضعف عزم، وقلة (بصيرة)[٤] وعدم ثبات على المحنة والابتلاء، وأنه إذا أوذي في الله ـ كما جرت به سنة الله، واقتضت حكمته من ابتلاء أوليائه بأعدائه وتسليطهم عليهم بأنواع المكاره والأذى ـ لم يصبر على ذلك، وجزع منه، وفر منه ومن أسبابه كما يفر من عذاب الله، فجعل فتنة الناس له على الإيمان وطاعة رسله كعذاب الله (لمن)[٥] يعذبه على الشرك ومخالفة رسله، وهذا يدل على عدم البصيرة، وأن الإيمان لم يدخل قلبه، ولا ذاق حلاوته (حين)[٦] سوى بين عذاب (الناس)[٧] له على الإيمان بالله ورسله وبين [عذاب][٨] الله لمن يؤمن به وبرسله، وهذا حال من يعبد الله على حرف واحد، ولم ترسخ قدمه

---

(١) في (ط) (أن لا يشرك) .

(٢) زيادة من م، ط .

(٣) قال سبحانه: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت/ ٨]. وقال سبحانه: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ﴾ [لقمان/ ١٥] .

(٤) في (ط) (صبر) .

(٥) في (الأصل) (لم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٦) في (ط) (حتى) .

(٧) في م، ط (الله) .

(٨) زيادة من م، ط .

في الإيمان وعبادة الله، فهو من المفتونين المعذبين، وإن فر من عذاب الناس له على الإيمان .

ثم ذكر حال هذا عند نصرة المؤمنين، وأنهم إذا نصروا لجأ إليهم، وقال كنت معكم، والله سبحانه يعلم من قلبه خلاف قوله(١) .

ثم ذكر سبحانه ابتلاء نوح بقومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وابتلاء قومه بطاعته فكذبوه، فابتلاهم بالغرق ثم بعده بالحرق(٢)(٣) .

ثم ذكر ابتلاء إبراهيم عليه السلام بقومه وما ردوا عليه، وابتلاءهم بطاعته ومتابعته(٤) .

ثم ذكر ابتلاء لوط عليه السلام بقومه وابتلاءهم به، وما صار إليه أمره وأمرهم(٥) .

---

(١) قال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت/ ١٠] .

(٢) قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت/ ١٤] .

(٣) لعل قصد المصنف الحرق في النار بالآخرة لكفرهم وضلالهم .

(٤) قال سبحانه: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إلى أن قال: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت/ ١٦، ٢٥] .

(٥) قال سبحانه: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلى أن قال: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [العنكبوت/ ٢٨-٣٤] .

ثم ذكر ابتلاء شعيب بقومه وابتلاءهم (به)[١] وما انتهت إليه حالهم وحاله[٢].

ثم ذكر ما ابتلى به عاداً وثمود وقارون وفرعون وهامان وجنودهم من الإيمان به وعبادته وحده، ثم ما ابتلاهم به من أنواع العقوبات[٣].

ثم ذكر ابتلاء (رسوله)[٤] ﷺ بأنواع الكفار من المشركين وأهل الكتاب، وأمره أن يجادل أهل الكتاب بالتي هي أحسن[٥].

ثم أمر عباده المبتلين بأعدائه أن يهاجروا من أرضهم إلى أرضه الواسعة فيعبدونه فيها، ثم نبههم بالنقلة الكبرى من دار الدنيا إلى [دار][٦] الآخرة على نقلتهم الصغرى من أرض إلى أرض، وأخبرهم أن مرجعهم إليه

---

(١) زيادة من (ط).

(٢) قال سبحانه: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [العنكبوت/ ٣٦ - ٣٧].

(٣) قال سبحانه: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت/ ٣٨-٤٠].

(٤) مكررة في (م).

(٥) قال سبحانه: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ﴾ [العنكبوت/ ٤٦].

(٦) زيادة من م، ط.

[لا][(١)] قراراً لهم في (هذه)[(٢)] الدار دون لقائه[(٣)]. ثم بين لهم حال الصابرين على الابتلاء فيه بأنه يبوئهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيه، فسلاهم عن أرضهم ودارهم التي تركوها لأجله ـ وكانت مباءً لهم ـ بأن بواهم داراً أحسن منها، وأجمع لكل خير ولذة ونعيم مع خلود الأبد، (وأنهم)[(٤)] (نالوا)[(٥)] ذلك بصبرهم على الابتلاء وتوكلهم على ربهم، ثم أخبرهم بأنه ضامن لرزقهم في غير أرضهم كما كان يرزقهم في أرضهم، فلا يهتموا بحمل الرزق، فكم من دابة (إذا)[(٦)] سافرت من مكان إلى مكان لا تحمل رزقها[(٧)]، ثم أخبرهم أن مدة الابتلاء في هذه الدار قصيرة جداً بالنسبة إلى دار الحيوان والبقاء[(٨)].

ثم ذكر سبحانه عاقبة أهل الابتلاء ممن لم يؤمن به وأن مقامهم في هذه الدار تمتع، وسوف يعلمون عند النقلة منها ما فاتهم من النعيم المقيم، وما

---

(١) في الأصل (ولا) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) زيادة من (ط).

(٣) قال سبحانه: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ ۝٥٦ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٥٧ ﴾ [العنكبوت/ ٥٦، ٥٧].

(٤) في (ط) (وأن).

(٥) ساقطة من م، ط.

(٦) ساقطة من م، ط.

(٧) قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ۝٥٨ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٥٩ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦٠ ﴾ [العنكبوت/ ٥٨-٦٠].

(٨) قال سبحانه: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت/ ٦٤].

حصلوا عليه من العذاب الأليم[(١)]. وذكر عاقبة أهل الابتلاء ممن آمن به وأطاع رسله وجاهد نفسه وعدوه في دار الابتلاء (بأنه)[(٢)] هاديه وناصره[(٣)]. فأخبر سبحانه أن أجل عطاء وأفضله في الدنيا والآخرة هو لأهل الابتلاء، الذين صبروا على ابتلائه وتوكلوا عليه. وأخبر أن أعظم عذابه وأشقه هو للذين لم يصبروا على ابتلائه، وفروا منه وآثروا النعيم العاجل عليه .

فمضمون هذه السورة[(٤)] هو سر الخلق والأمر، فإنها سورة الابتلاء والامتحان، وبيان حال أهل البلوى في الدنيا والآخرة، ومن تأمل فاتحتها ووسطها (وخاتمتها)[(٥)] وجد في ضمنها أن أول الأمر ابتلاء وامتحان، ووسطه صبر وتوكل، وآخره هداية ونصر. والله المستعان[(٦)] .

ويوضحه الوجه الخامس والثلاثون: وهو أنه سبحانه أخبر (أنه)[(٧)] خلق السماوات والأرض، والعالم العلوي والسفلي [ليبلونا أينا][(٨)] أحسن عملاً[(٩)]. وأخبر أنه زين الأرض بما عليها من حيوان، ونبات ومعادن وغيرها لهذا

---

(١) قال سبحانه: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٥، ٦٦] .

(٢) في (ط) (ما به) .

(٣) قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت/ ٦٩] .

(٤) سورة العنكبوت .

(٥) في م، ط (خاتمها) .

(٦) انظر: تفسير هذه السورة: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٦٤٤-٦٧٢) .

(٧) في الأصل (أن) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٨) في الأصل (أينا ليبلونا) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٩) قال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [هود/ ٧] .

الابتلاء [(١)] وأنه خلق الموت والحياة لهذا الابتلاء [(٢)] فكان هذا الابتلاء غاية الخلق والأمر، فلم يكن بد من دار يقع فيها هذا الابتلاء، وهي دار التكليف.

ولما سبق في حكمته أن الجنة دار نعيم[(٣)] لا دار ابتلاء وامتحان، جعل قبلها دار الابتلاء[(٤)] جسراً يعبر عليه إليها، ومزرعة يبذر فيها، وميناء يزود منها، وهذا هو الحق الذي خلق الخلق به ولأجله، وهو أن يعبد وحده بما أمر به على ألسنة رسله، فأمر ونهى على ألسنة (رسله)[(٥)]، (ووعد)[(٦)] بالثواب والعقاب، ولم يخلق الخلق سدى لا يأمرهم ولا ينهاهم[(٧)]، ولا تركهم هملاً لا يثيبهم ولا يعاقبهم، بل خلقوا للأمر والنهي والثواب والعقاب، ولا يليق بحكمته وحمده غير ذلك .

فصل

وقد عرف من هذا الجواب عن قولهم أي حكمة في خلق النفس مريدةً للخير والشر؟ وهلا خلقت مريدة للخير وحده؟ وكيف اقتضت الحكمة تمكينها من الشر مع القدرة على منعها منه؟ وأي حكمة في إعطائها قوةً

---

(١) قال سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف/ ٧].

(٢) قال سبحان: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك/ ٢] .

(٣) قل سبحانه: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة/ ٢١] .

(٤) قال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [آل عمران/ ١٤٢] .

(٥) ساقطة من م، ط .

(٦) في (ط) (ووعدنا) .

(٧) قال سبحانه: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة/ ٣٦] .

وأسباباً يعلم المعطي أنها لا يفعل بها إلا الشر وحده؟ وأي حكمة في إقرار هذه النفوس على غيها وظلمها وعدانها ؟.

ومعلوم أن من يفعل لحكمةٍ لا يفعل ذلك، وأن من يفعل لحكمة إذا رأى عبيده يقتل بعضهم بعضاً، ويفسد بعضهم بعضاً، ويظلم بعضهم بعضاً، وهو قادر على منعهم، فلا تدعه[١] حكمته إهمالهم [بحيث يتركهم][٢] كذلك. فإما أن (لا)[٣] يكون عالماً بما يأتون، أو لا يكون قادراً على منعهم، أو لا يكون ممن يفعل لغرض وحكمة، والأولان مستحيلان في حق الرب تعالى، فتعين الثالث .

ومبنى هذه الشبهة على أصل فاسد، وهو قياس الرب تعالى على خلقه، (وتشبيهه)[٤] (بهم)[٥] في أفعاله بحيث يحسن منه ما يحسن منهم، ويقبح ما يقبح منهم، ولهذا كانت القدرية[٦] مشبهة الأفعال، ومتأخروهم جمعوا بين هذا التشبيه وبين تعطيل الصفات، فصاروا معطلين للصفات مشبهين في الأفعال.

وهذا الأصل الفاسد مما رده عليهم سائر العقلاء[٧]، وقالوا: قياس أفعال الرب على أفعال العباد من أفسد القياس، وكذلك قياس حكمته على حكمتهم، وصفاته على صفاتهم، ومن المعلوم أن الرب تعالى علم أن عباده

---

(١) في (ط) (فلا بدعه) .

(٢) في الأصل، م (فحيث تركهم) والصواب ما أثبته من (ط) .

(٣) ساقطة من م، ط .

(٤) في (ط) (تشبيههم) .

(٥) ساقطة من (ط) .

(٦) سبق تعريفها .

(٧) ساقطة من م، ط .

يقع منهم الكفر والظلم والفسوق، وكان قادراً على أن لا يوجدهم، وأن يوجدهم كلهم أمةً واحدةً على ما يحب ويرضى، وأن يحول بينهم وبين بغي بعضهم على (بعض)[١]، ولكن حكمته البالغة أبت ذلك، واقتضت إيجادهم على الوجه الذي هم عليه .

وهو سبحانه خلق النفوس أصنافاً، فصنف (منها) [٢] مريد للخير وحده، وهي نفوس الملائكة، وصنف مريد للشر وحده، وهي نفوس الشياطين، وصنف فيه إرادة النوعين، وهي النفوس البشرية (فالأولى)[٣] الخير لهم طباع، وهي محمودة عليه، والشر للنفوس الثانية طباع وهي مذمومة عليه، والصنف الثالث بحسب الغالب عليه من الوصفين .

فمن غلب عليه وصف الخير التحق بالصنف الأول، ومن غلب (عليه)[٤] وصف الشر التحق بالصنف [الثاني] [٥] .

فإذا اقتضت الحكمة وجود هذا الصنف [الثاني][٦] [فإن][٧] وجود [الأول][٨] أولى وأحرى، والرب تعالى اقتضت قدرته وعزته وحكمته إيجاد المتقابلات في الذوات والصفات والأفعال كما تقدم[٩] وقد نوع خلقه تنويعاً

---

(١) ساقط من م، ط .

(٢) ساقطة من (ط) .

(٣) مكررة في (م) .

(٤) ساقطة من (م) .

(٥) في جميع النسخ (الثالث) ولعل الصواب ما أثبته .

(٦) في جميع النسخ (الثالث) ولعل الصواب ما أثبته .

(٧) في الأصل و(م) (فإنه تقتضي) وفي ط (فإن يقتضي) ولعل الصواب ما أثبته .

(٨) في جميع النسخ الثاني والصواب ما أثبته .

(٩) انظر: الصفحات (١١٨٧-١١٩٨) .

دالاً على كمال قدرته وربوبيته، فمن أعظم الجهل والضلال أن يقول القائل: هلا كان خلقه كلهم نوعاً واحداً، فيكون العالم علواً كله، أو نوراً كله، أو الحيوان ملكاً كله، وقد يقع في الأوهام الفاسدة أن هذا كان أولى وأكمل، ويفرض الوهم الفاسد ما ليس ممكناً كاملاً .

الوجه السادس والثلاثون: قوله: وأي حكمة في إيلام الحيوانات غير المكلفة؟ فهذه مسألة تكلم الناس فيها قديماً وحديثاً، وتباينت طرقهم في الجواب عنها.

فالجاحدون للفاعل المختار، الذي يفعل بمشيئته وقدرته يحيلون ذلك على الطبيعة المجردة، وأن ذلك من لوازمها ومقتضياتها، ليس بفعل فاعل، ولا قدرة قادر، ولا إرادة مريد .

ومنكروا الحكمة والتعليل يردون ذلك إلى محض المشيئة وصرف الإرادة (التي)[1] تخصص مثلاً على مثل بلا موجب ولا غاية ولا حكمة مطلوبة، ولا سبب أصلاً، وظنوا أنهم بذلك يتخلصون من السؤال ويسدون على نفوسهم باب المطالبة، وإنما سدوا على نفوسهم باب معرفة الرب وكماله، وكمال أسمائه وأوصافه وأفعاله، فعطلوا حكمته وحقيقة إلهيته وحمده، فكانوا كالمستجيرين من الرمضاء بالنار .

وأما من أثبت حكمة وتعليلاً لا يعود إلى الخالق بل إلى المخلوق، [فقد][2] سلكوا طريقة التعويض على تلك الآلام في حق من يبعث للثواب والعقاب. وقالوا: قد يكون ذلك إثابة لإثابتهم بصبرهم وتألمهم، وإثابة لهم وتعويضاً في

---

(١) ساقطة من (ط) .

(٢) لا توجد في جميع النسخ .

القيامة بما نالهم من تلك الآلام، فلما أورد عليهم إيلام الحيوانات التي لا تثاب ولا تعاقب ....(١).

وأما المثبتون لحقائق أسماء الرب وصفاته وحكمته، التي هي وصفه، ولأجلها يسمى بالحكيم، وعنها صدر خلقه وأمره، فهم أعلم الفرق بهذا الشأن، ومسلكهم فيه أصح المسالك، وأسلم من التناقض والاضطراب.

فإنهم جمعوا بين إثبات القدرة والمشيئة العامة، والحكمة الشاملة، التي هي غاية الفعل، وربطوا ذلك بالأسماء والصفات، فتصادق عندهم السمع والعقل والشرع والفطرة. وعملوا أن ذلك مقتضى الحكمة البالغة وأنه من لوازمها، وأن الحق حق، ولازم العدل عدل، ولوازم الحكمة من الحكمة (٢).

فاعلم أن هاهنا أمرين: نفساً متحركة بالإرادة والاختيار، وطبيعة متحركة بغير الاختيار والإرادة. وأن الشر منشؤه من [هذين](٣) المتحركين عن هاتين الحركتين. وخُلقت هذه النفوس وهذه الطبيعة على هذا الوجه، فهذه تتحرك لكمالها، وهذه تتحرك لكمالها، وينشأ عن الحركتين خير وشر، كما ينشأ عن

---

(١) سقط في جميع النسخ.

(٢) وهم أهل السنة والجماعة السلف الصالح رحمهم الله، أصحاب رسول الله ﷺ خير القرون، وأفضل الأمة، وأكرم الخلق على الله تعالى بعد النبيين، الملتزمون باتباع نصوص الكتاب والسنة، وكذا من تبعهم بإحسان ممن جاء بعدهم، قال سبحانه: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة/ ١٠٠] فرضي عن الساقين الأولين رضاً مطلقاً، ورضي عن التابعين بإحسان.

انظر: القضاء والقدر لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٣٨٠.

(٣) في الأصل (هذه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

حركة الأفلاك الشمس والقمر، وحركة الرياح الماء والنار خير وشر، فالخيرات الناشئة عن هذه الحركات مقصودة بالقصد الأول، إما لذاتها، وإما لكونها وسلية إلى خيرات أتم منها، والشرور الناشئة عنها غير مقصودة بالذات، وإن قصدت الوسائل واللوازم التي لا بد منها. فما جلبت عليه النفس من الحركة هو من لوازم ذاتها، فلا تكون النفس البشرية نفساً إلا بهذا اللازم .

فإذا قيل: لم خلقت متحركة على الدوام؟ (فهي)[1] بمنزلة أن يقال: لم كانت [النفس][2] نفساً، ولم[3] كانت النار ناراً، والريح ريحاً؟ فلو لم تخلق (هكذا)[4] ما كانت نفساً، ولو لم تخلق الطبيعة هكذا ما كانت طبيعة، فلو لم يخلق الإنسان على هذه الصفة والخلقة ما كان إنساناً .

فإن قيل: فلم خلقت النفس على هذه الصفة؟ قيل: من كمال الوجود خلقها على هذه الصفة كما تقدم. وكذلك كمال فاطرها ومبدعها اقتضى خلقها على هذه الصفة؛ لما في ذلك من الحكم التي لا يحصيها إلا مبدعها سبحانه. وإن كان في إيجاد هذه النفس شر، فهو شر جزئي بالنسبة إلى الخير الكلي الذي [هو سبب][5] (في)[6] إيجادها، فوجودها خير من أن لا توجد. فلو لم يخلق مثل هذه النفس، لكان في الوجود نقص وفوات حكم ومصالح

---

(١) في م، ط (فهو) .

(٢) زيادة من (ط) .

(٣) في الأصل (لما) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) في م (هذا) .

(٥) زيادة من (ط) .

(٦) ساقطة من م، ط .

عظيمة موقوفة على خلق مثل هذه النفس .

ولهذا لما اعترضت الملائكة على خلق الإنسان، وقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة/ ٣٠] أجابهم سبحانه بأن في خلقه من الحكم والمصالح ما لا تعلمه الملائكة، والخالق سبحانه يعلمه[١]، وإذا كانت الملائكة لا تعلم ما في خلق (هذا)[٢] الإنسان الذي يفسد في الأرض ويسفك الدماء من الحكم والمصالح (فغيرهم)[٣] أولى أن لا يحيط به علماً .

فخلق هذا الإنسان من تمام الحكمة والرحمة والمصلحة، وإن كان وجوده مستلزماً لشر فهو شر مغمور بما في إيجاده من الخير كإنزال المطر والثلج، وهبوب الرياح، وطلوع الشمس، وخلق الحيوان والنبات والجبال والبحار. وهذا كما أنه في خلقه، فهو في شرعه ودينه وأمره. فإن ما أمر به من الأعمال الصالحة خيره ومصلحته راجح، وإن كان فيه شر فهو مغمور جداً بالنسبة إلى خيره، وما نهى عنه من الأعمال والأقوال القبيحة، فشره ومفسدته راجح، والخير الذي فيه مغمور جداً بالنسبة إلى شره.

فسنته سبحانه في خلقه وأمره هو فعل الخير الخالص والراجح والأمر بالخير الخالص والراجح، فإذا تناقضت أسباب الخير والشر ـ والجمع بين النقيضين محال ـ قدم أسباب الخير الراجحة على المرجوحة، ولم يكن تفويت المرجوحة شراً، ودفع أسباب الشر الراجحة بالأسباب المرجوحة، ولم يكن حصول المرجوحة شراً بالنسبة إلى ما اندفع بها من الشر الراجح .

وكذلك سنته في شرعه وأمره، فهو يقدم الخير الراجح، وإن كان في ضمنه

---

(١) قال سبحانه: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/ ٣٠] .

(٢) زيادة من م، ط .

(٣) مكررة في الأصل .

شر مرجوح، [ويعطل الشر الراجح، وإن فات بتعطيله خير مرجوح، هذه سنته][(١)] فيما يحدثه ويبدعه في سماواته وأرضه، وما يأمر به وينهى عنه، وكذلك سنته في الآخرة، وهو سبحانه وتعالى قد أحسن كل شيء خلقه، وقد أتقن كل ما صنع، وهذا أمر يعلمه العالمون بالله جملة، ويتفاوتون في العلم بتفاصيله .

وإذا عُرف ذلك، فالآلام والمشاق إما إحسان ورحمة، وإما عدل وحكمة، وإما إصلاح وتهيئة لخير يحصل بعدها، وإما لدفع ألم هو أصعب منها، وإما لتولدها عن لذات [ونعيم][(٢)] يولدها عنها أمر لازم لتلك اللذات، وإما أن تكون من لوازم العدل أو لوازم الفضل والإحسان، فتكون من لوازم الخير، التي إن عُطلت (عُطلت)[(٣)] ملزوماتها، وفات بتعطيلها خير أعظم من مفسدة تلك الآلام .

والشرع والقدر أعدل شاهد بذلك، فكم في طلوع الشمس من ألم لمسافر حاضر، وكم في نزول الغيث والثلوج من أذى كما سماه الله تعالى بقوله: ﴿إِن (كَانَ)[(٤)] بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾ [النساء/ ١٠٢]، وكم في هذه الحر والبرد والرياح من أذى موجب لأنواع من الآلام لصنوف الحيوانات. وأعظم لذات الدنيا لذة الأكل والشرب والنكاح واللباس والرياسة، ومعظم [آلام][(٥)] أهل الأرض أو كلها ناشئة عنها ومتولدة منها، بل الكمالات الإنسانية لا

---

(١) ما بينهما زيادة من م، ط .

(٢) في م، ط (ونعم) .

(٣) ساقطة من (ط) .

(٤) ساقطة من (م) .

(٥) في الأصل (الآلام) ولعل الصواب ما أثبته من باقي النسخ .

تنال[1] إلا بالآلام والمشاق، كالعلم والشجاعة والزهد والعفة والحلم والمروءة والصبر والإحسان، كما قال:

لولا المشقة ساد الناس كلهم   الجودُ يفقر والإقدامُ قتّال[2]

وإذا كانت الآلام أسباباً للذاتٍ أعظم منها وأدوم، كان العقل يقتضي باحتمالها، وكثيراً ما تكون الآلام أسباباً لصحة، لولا تلك الآلام لفاتت. وهذا شأن (أكثر)[3] أمراض الأبدان، فهذه الحمى فيها من المنافع للأبدان ما لا يعلمه إلا الله، وفيها من إذابة الفضلات وإنضاج المواد الفجة وإخراجها ما لا يصل إليه دواء غيرها، وكثير من الأمراض إذا عرض لصاحبها الحمى استبشر بها الطبيب، وأما انتفاع القلب والروح بالآلام والأمراض، فأمر لا يحس به إلا من فيه حياة، فصحة القلوب والأرواح موقوفة على آلام الأبدان ومشاقها، وقد أحصيت فوائد الأمراض فزادت على مائة فائدة .

وقد حجب الله سبحانه أعظم اللذات بأنواع المكاره، وجعلها جسراً موصولاً إليها، [كما حجب أعظم الآلام بالشهوات واللذات، وجعلها جسراً موصولاً إليه][4] ولهذا (كانت)[5] العقلاء قاطبة: على أن النعيم لا يدرك بالنعيم، وأن الراحة لا تنال بالراحة، وأن من آثر اللذات فاتته اللذات.

فهذه الآلام والأمراض والمشاق من أعظم النعم، إذ هي أسباب النعم، وما ينال الحيوانات غير المكلفة منها، فمغمور جداً بالنسبة إلى مصالحها

---

(١) في الأصل (لأتين) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) القائل المتنبي. انظر ديوانه مع شرح العكبري طبع بيروت ٣/ ٢٧٨ .

(٣) في م، ط (أكبر) .

(٤) ما بينهما من م، ط .

(٥) ط (قالت) .

ومنافعها، كما ينالها من حر الصيف وبرد الشتاء، وحبس المطر والثلج، وألم الحمل والولادة، والسعي في طلب أقواتها، وغير ذلك. ولكن لذاتها أضعاف أضعاف آلامها، وما ينالها من المنافع والخيرات أضعاف ما ينالها من الشرور والآلام.

فسنة الله في خلقه وأمره هي التي أوجبها كمال علمه وحكمته وعزته. ولو اجتمعت عقول العقلاء كلهم على أن يقترحوا أحسن منها لعجزوا عن ذلك، وقيل لكل منهم ارجع بصر العقل هل ترى من خلل ﴿ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ [خَاسِئًا][1] وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [الملك/ ٤].

فتبارك الذي من كمال حكمته وقدرته أن أخرج الأضداد من أضدادها، والأشياء من (خلافها)[2]، فأخرج الحي من الميت، والميت من الحي، والرطب من اليابس، واليابس من الرطب. فكذلك أنشأ اللذات من الآلام، والآلام من اللذات، فأعظم اللذات ثمرات الآلام ونتائجها، وأعظم الآلام ثمرات اللذات ونتائجها.

وبعد فاللذة والسرور، والخير (والنعيم)[3]، والعافية والصحة، والرحمة في هذه الدار المملوءة بالمحن والبلاء أكثر من أضدادها بأضعاف مضاعفة. فأين آلام الحيوان من لذاته؟ وأين سقمه من صحته؟ وأين جوعه وعطشه من شبعه وريه؟ وتعبه من راحته؟ قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ

---

(١) في الأصل (خاشعاً).

(٢) مكررة في الأصل.

(٣) في (ط) (النعم).

يُسْرًا ﴾ [الشرح٥، ٦] ولن يغلب عسر يسرين[(١)] .

وهذا لأن الرحمة [غلبت][(٢)] الغضب، والعفو سبق العقوبة، والنعمة تقدمت المحنة، والخير في الصفات والأفعال، والشر في المفعولات لا في الأفعال، فأوصافه كلها كمال، وأفعاله كلها خيرات، فإن آلَمَ الحيوان لم يعدم بألمه عافية من ألم هو أشد من ذلك الألم، أو تهيئة لقوة وصحة وكمال، أو عوضاً لا نسبة لذلك الألم إليه بوجه ما، فآلام الدنيا جميعها نسبتها إلى لذات الآخرة وخيراتها أقل من نسبة ذرة إلى جبال الدنيا بكثير، وكذلك لذات الدنيا جميعها إلى آلام الآخرة .

والله سبحانه لم يخلق الآلام (واللذات)[(٣)] سدى، ولم يقدرهما عبثاً . ومن كمال قدرته وحكمته أن جعل كل واحدة منهما تثمر الأخرى، هذا ولوازم الخلقة يستحيل ارتفاعها كما يستحيل ارتفاع الفقر والحاجة والنقص عن المخلوق. فلا يكون المخلوق إلا فقيراً محتاجاً ناقص العلم والقدرة، فلو كان

---

(١) الحديث أخرجه الحاكم ٥٢٨/٢، ومالك في الموطأ (٤٤٦/٢) ح ٦، والبيهقي في الشعب (٢٠٦/٧) ح ١٠٠١٣ عن الحسن مرسلاً، وذكره السخاوي في المقاصد الحسنة، وقال: وفي الباب عن عمر موقوفاً . وذكره مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب بلغه أن أبا عبيدة حصر بالشام.. فذكر القصة. ثم قال: ومن طريقه رواه الحاكم، وهذا أصح طرقه. أخرجه ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب ... انظر: المقاصد الحسنة ص ٣٣٨-٣٣٩ ح ٨٧٧. وذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢١٣/٢) ح ٢٠٧٩ وعزاه إلى الموطأ والحاكم وابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب .

(٢) في الأصل (علقت) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) ساقطة من (م) .

الإنسان وغيره من الحيوان لا يجوع ولا يعطش ولا (يألم)(١) في عالم الكون والفساد لم يكن حيواناً، ولو كانت هذه الدار دار بقاء ولذة مطلقة كاملة، والله لم يجعلها كذلك، وإنما جعلها داراً ممتزجاً ألمها بلذاتها، وسرورها بأحزانها، وغمومها وصحتها بسقمها، حكمة منه بالغة .

فصل

ولما كانت الآلام (كالأدوية)(٢) للأرواح والأبدان كانت (كمالاً)(٣) للحيوان، خصوصاً لنوع الإنسان؛ فإن فاطره وبارءه إنما أمرضه ليشفيه، وإنما ابتلاه ليعافيه، وإنما أماته ليحييه. فهو سبحانه يسوق الحيوان والإنسان، في مراتب (الكمال)(٤) [طوراً بعد طور](٥) إلى آخر كماله بأسباب لا بد (له)(٦) منها، وكماله موقوف على تلك الأسباب، ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنع، كوجود المخلوق بدون الحاجة والفقر والنقص، ولوازم ذلك ولوازم تلك اللوازم .

ولكن [أكثر](٧) النفوس جاهلة بالله وحكمته وعلمه وكماله [فتفرض](٨) أموراً ممتنعة، وتقدرها تقديراً ذهنياً، وتحسب أنها أكمل من الممكن الواقع،

---

(١) في (ط) (يتألم) .

(٢) في (ط) (أدوية) .

(٣) في (الأصل) (كما) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) في (ط) (كماله) .

(٥) في (الأصل) (ظهوراً بعد ظهور) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٦) ساقطة من م، ط .

(٧) زيادة من م، ط .

(٨) في الأصل، م (فتعرض) والأولى ما أثبته من (ط) .

ومع هذا فربها يرحمها لجهلها وعجزها ونقصها، فإن اعترفت بذلك واعترفت له بكماله وحمده، وقامت بمقتضى هذين الاعترافين، كان نصيبها من الرحمة أوفر .

والله سبحانه افتتح الخلق بالحمد، وختم أمر هذا العالم بالحمد، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام/ ١] وقال: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر/ ٧٥] . وأنزل كتابه بالحمد، وشرع دينه بالحمد، وأوجب ثوابه وعقابه بالحمد، فحمده من لوازم ذاته، إذ يستحيل أن يكون إلا محموداً .

فالحمد سبب الخلق وغايته، بالحمد أوجده وللحمد وجد، فحمده واسع لما وسعه علمه ورحمته، وقد وسع ربنا كل شيء رحمة وعلماً، فلم يوجد شيئاً، ولم يقدره لو لم يشرعه إلا بحمده ولحمده، وكل ما خلقه وشرعه فهو متضمن للغايات الحميدة، ولا بد من لوازمها ولوازم لوازمها، ولهذا ملأ حمدُه سماواته وأرضه وما بينهما، وما شاء من شيء بعد مما خلقه، (ويخلقه)[1] بعد هذا الخلق، فحمده ملأ ذلك كله .

وحمده تعالى أنواع: حمدٌ على ربوبيته، وحمدٌ على تفرده بها، وحمدٌ على الوهيته وتفرده (بها)[2]، وحمدٌ على نعمته، وحمدٌ على منته، وحمدٌ على حكمته، وحمدٌ على عدله في خلقه، وحمدٌ على غناه عن إيجاد الولد والشريك والولي من الذل، وحمدٌ على كماله الذي لا يليق بغيره.

فهو محمودٌ على كل حال، وفي كل آن ونفس، وعلى كل ما فعل، وكل ما شرع، وعلى كل ما هو متصف به، وعلى كل ما هو منزه عنه، وعلى كل ما

---

(١) في الأصل (ويخلقه هناك) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) ساقطة من م، ط .

في الوجود من خير وشر، ولذة وألم، وعافية وبلاء .

فكما أن الملك كله له، والقدرة كلها له، والعزة كلها له، والعلم كله له، والجمال كله له، فالحمد كله له، كما في [الدعاء](١) المأثور: « اللهم لك الحمد كله، ولك الشكر كله، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله، وأنت أهل [لأن](٢) تحمد »(٣) .

وما عُمرت الدنيا إلا بحمده، ولا الجنة إلا بحمده، ولا النار إلا بحمده حتى إن أهلها ليحمدونه، كما قال الحسن(٤): « لقد دخل أهلُ النارِ النارَ [وإن قلوبهم لتحمده ما وجدوا عليه من حجة ولا سبيل](٥) » .

فصل

فإن قيل: فأي لذة وأي خير ينشأ من العذاب الشديد الدائم، الذي لا ينقطع ولا يفتر عن أهله، بل أهله فيه أبد الآباد، كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها، لا يقضى عليهم فيموتوا، ولا يخفف عنهم طرفة عين؟(٦) .

---

(١) في الأصل (دعاء) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) في الأصل، م (أن) والصواب ما أثبته من (ط) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد بنحوه في مسنده ٥/ ٣٩٦ وورد بنحوه من حديث ابن عباس أخرجه البخاري في كتاب (التهجد) باب (التهجد بالليل)٢/ ٤١ ومسلم في كتاب (صلاة المسافرين وقصرها) باب (الدعاء في صلاة الليل) ح (٧٦٩)/١/ ٥٣٢ .

(٤) هو الحسن البصري سبقت ترجمته انظر: ص (١٤٧).

(٥) ما بينهما زيادة م، ط .

(٦) يشير إلى قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء/ ٥٦]، وكذا قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾ [فاطر/ ٣٦] .

قيل: لعَمر الله هذا السؤال يقلقل الجبال، فضلاً عن قلوب الرجال. وعن هذا السؤال أنكر من أنكر (من المقرين)[١] حكمة العزيز الحكيم وردَّ الأمر إلى مشيئة محضة لا سبب لها ولا غاية، وجوَّز على الله أن يعذب أهل طاعته وأولياءه وينزلهم إلى أسفل الجحيم، وينعم أعداءه المشركين به، ويرفعهم إلى أعلى جنات النعيم أبد الآباد، وأن يدخل النار من شاء بغير سبب ولا عمل أصلاً، وأن يفاوت بين أهلها مع (تساويهم)[٢] في الأعمال، ويسوي بينهم في العذاب مع تفاوتهم في الأعمال، وأن يعذب الرجل بذنب غيره، وأن يبطل حسناته كلها، فلا يثيبه بها أو يثيب بها غيره، كل ذلك جائز عليه، لا يعلم أنه لا يفعله إلا بخبر صادق، إذ نسبة ذلك وضده إليه [على][٣] حد سواء. وقالوا: لا مخلص [عن][٤] هذا السؤال إلا بهذا الأصل، وربما تمسكوا بظاهر من القول لم يضعوه على مواضعه، ولم يجمعوا بينه وبين أدلة العدل والحكمة وتعليق الأمور بأسبابها، وترتيبها عليها (وآيات)[٥] الموازنة والمقابلة، وأخطؤوا في فهم القرآن كما أخطؤوا في وصف الرب بما يليق به، وفي التجويز عليه بما لا يجوز عليه[٦].

وقابلهم مثبتو الأسباب والحكم من القدرية، وزعموا أنهم يتخلصون من

---

(١) ساقطة من م، ط .

(٢) في م، ط (مساويهم) .

(٣) زيادة من م، ط .

(٤) في الأصل (في) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٥) في (ط) (وآثار) .

(٦) هذا مذهب الجبرية من الجهمية والأشاعرة. انظر: مفتاح دار السعادة ٢/٤٥٦، ٥١٨، ٥١٩ .

(قبح)[١] (هذا)[٢] القول بما أثبتوه من الحكمة والتعليل. ولكن وقعوا في نظيره، أو ما هو شر منه، حيث أوجبوا على الله سبحانه تخليد من أفنى عمره في طاعته، ثم ارتكب كبيرة واحدة ومات مصراً عليها في النار مع أعدائه الكفار أبد الآباد[٣]، ولم يرقبوا له طاعة ولم يرعوا له إسلاماً، وهم في هذا المذهب شر قولاً من إخوانهم الجبرية، فإن أولئك لم يوجبوا على الله ذلك الحكم، وإنما جوزوه عليه، وجوزوا أن لا يفعله، وهؤلاء أوجبوا عليه تخليد أهل الكبائر مع الكفار، ولم يجوزوا عليه إخراجهم منها، وأصابهم في غلطهم على القرآن والسنة وما يجوز على الرب وما لا يجوز عليه ما أصاب إخوانهم من الجبرية .

ولما ظن غيرهم من أهل النظر والبحث أن هذا هو (المعاد)[٤] الذي أخبرت به الرسل، وعلموا أن هذا مناف للحكمة والرحمة والعدل والمصلحة، قالوا: إن ذلك تخويف وتخيل لا حقيقة له، يزع النفوس السبعية والبهمية عن عدوانها وشهواتها، فتقوم بذلك مصلحة الوجود .

وكان من أكبر أسباب إلحاد هؤلاء وكفرهم بالله واليوم الآخر نسبة أولئك مذاهبهم الباطلة وأقوالهم الفاسدة إلى الرسل، وإخبارهم أنهم دعوا إلى الإيمان بها، كما أصابهم معهم[٥] في مسألة[٦] حدوث العالم؛ حيث أخبروهم

---

(١) في (ط) (قبيح) .

(٢) ساقطة من م، ط .

(٣) انظر: مفتاح دار السعادة ٢/ ٤٥٦، ٥١٩ .

(٤) في م، ط (الفساد) .

(٥) في م، ط (تعميم) .

(٦) في م، ط (باب مسئلة) .

أن الرسل أخبرت عن الله أنه لم يزل معطلاً عن الفعل غير ممكن منه، ثم انقلب من الإحالة الذاتية إلى الإمكان الذاتي عند ابتدائه بلا تجدد سبب، ولا أمر قام بالفاعل، وقالوا: من لم يعتقد هذا، فليس بمؤمن ولا مصدق للرسل، فهذا في المبدأ وذاك في المعاد .

ثم جاءت طائفة أخرى، فطووا بساط الخلق والأمر جملة، وقالوا: كل هذا محال وتلبيس، وما ثم وجودان بل الوجود كله واحد، ليس هناك خالق ومخلوق، ورب ومربوب، وطاعة ومعصية، وما الأمر إلا نسق[1] واحد، والتفريق من أحكام الوهم والخيال، فالسماوات والأرض والدنيا والآخرة والأزل والأبد والحسن والقبيح كله شيء واحد، وهو من عين واحدة، ثم استدركوا فقالوا: لا بل هو العين (الواحدة)[2][3] .

ونشأ الناس ـ إلا من شاء الله ـ بين هؤلاء الطوائف الأربع، لا يعرفون سوى أقوالهم ومذاهبهم؛ فعظمت البلية، واشتدت المصيبة، وصار (أذكياء العالم زنادقة الناس)[4]، وأدناهم إلى إخلاص أهل البلادة والبله والعقل والسمع عن هذه الفرق بمعز، ومنازلهم منها أبعد منزل .

[فنقول والله المستعان وعليه التكلان وبيده التوفيق][5]:

(قد)[6] دل القرآن والسنة والفطرة وأدلة العقول أنه سبحانه خلق

---

(١) في الأصل (فتق واح) ولعل الصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) ساقطة من م، ط .

(٣) هؤلاء هم الاتحادية .

(٤) في (ط) (... أذكياء الناس زنادقة العالم) .

(٥) في م، ط (وبالله التوفيق والله المستعان ..إلخ) .

(٦) ساقطة من (ط) .

السماوات والأرض وما بينهما بالحق [١]، ولم يخلق (ذلك)[٢] عبثاً ولا سدى ولا باطلاً، وإنما أوجد العالم العلوي والسفلي ومن فيهما بالحق، الذي هو وصفه [٣] واسمه [٤] وقوله [٥] وفعله [٦]، وهو سبحانه الحق المبين، فلا يصدر عنه إلا حق، ولا يقول إلا حقاً، ولا يفعل إلا حقاً، ولا يأمر إلا (بحق)[٧]، ولا يجازي إلا بحق .

فالباطل لا يضاف إليه، بل الباطل ما لم يضف إليه، كالحكم الباطل، والدين الباطل الذي لم يأذن فيه، ولم يشرعه على ألسنة رسله، والمعبود الباطل الذي لا يستحق العبادة وليس أهلاً لها، فعبادته باطلة ودعوته باطلة، والقول الباطل هو الكذب والزور والمحال من القول، الذي لا يتعلق بحق موجود، بل متعلقه باطل لا حقيقة له .

وهو سبحانه إنما خلق (خلقه)[٨] لعبادته ومعرفته. وأصل عبادته محبته على آلائه ونعمه، وعلى كماله وجلاله. وذلك أمر فطري ابتدأ الله عليه خلقه، وهي فطرته التي فطر الناس عليها، كما فطرهم على الإقرار به؛ قال

---

(١) قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر/ ٨٥]، وقال: ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الروم/ ٨] .

(٢) ساقطة من (م) وفي (ط) (شيئاً) .

(٣) قال سبحانه: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام / ١٦٢] .

(٤) قال سبحانه: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [يونس/ ٣٢] .

(٥) قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام/ ٧٣] .

(٦) قال سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ﴾ [يونس / ٣٥] .

(٧) في م، ط (بالحق) .

(٨) في ط (الخلق) .

الرسل صلوات الله عليهم لأممهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم/ ١٠] .

فالخلق مفطورون على معرفته وتوحيده، فلو خلوا هذه الفطرة لنشؤوا على معرفته وعبادته وحده. وهذه الفطرة أمر خلقي خلقوا عليه، ولا تبديل لخلقه . فمضى الناس على هذه الفطرة قروناً عديدة، ثم عرض لها موجب فسادها وخروجها عن الصحة والاستقامة، بمنزلة ما يعرض للبدن الصحيح والطبيعة الصحيحة مما يوجب (خروجهما)[١] عن الصحة إلى الانحراف. فأرسل (الله)[٢] رسله ترد الناس إلى فطرتهم الأولى التي فطروا عليه، فانقسم الناس (عنهم)[٣] ثلاثة أقسام:

منهم من استجاب لهم كل الاستجابة، وانقاد إليهم كل الانقياد، فرجعت فطرته إلى ما كانت عليه مع ما حصل لها من الكمال والتمام في قوتي العلم النافع والعمل الصالح، فازدادت (فطرهم)[٤] كمالاً إلى (الكمال)[٥] فهؤلاء لا يحتاجون في المعاد إلى تعذيب وتأديب ونار تذيب فضلاتهم الخبيثة، وتطهرهم من الأدران والأوساخ، فإن انقيادهم للرسل أزال عنهم ذلك كله .

وقسم استجابوا لهم من وجه دون وجه، فبقيت عليهم بقية من الأدران والأوساخ التي تنافي الحق الذي خلقوا له، فهيأ لهم (الحكيم العليم)[٦] من

---

(١) في الأصل (خروجها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) ساقطة من م، ط .

(٣) في م، ط (معهم) .

(٤) في م، ط (فطرتهم) .

(٥) في م، ط (كمالها) .

(٦) في (ط) (العليم الحكيم) .

(أدوية)[١] الابتلاء والامتحان بسبب تلك الأدواء التي قامت بهم، فإن وفت بالخلاص منها في هذه الدار، وإلا ففي البرزخ، فإن وفت بالخلاص، وإلا ففي موقف القيامة وأهوالها ما يخلصهم من تلك البقية، فإن وفى بها، وإلا فلا بد من المداوة بالدواء الأعظم، وآخر الطب الكي، فيدخلون كير التمحيص والتخليص، حتى إذا هذبوا (ونقوا)[٢] ولم يبق للدواء فائدة أخرجوا من مارستان المرضى إلى دار أهل العافية كما دلت على ذلك السنة المتواترة عن النبي ﷺ وصرح به في قوله: «حتى هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة»[٣].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴾ [الزمر/ ٧٣] فلم يأذن لهم في دخولها إلا بعد طيبهم، فإنها دار الطيبين، فليس فيها شيء من الخبث أصلاً، ولهذا يلبث هؤلاء في النار على قدر حاجتهم إلى التطهر وزوال الخبث.

القسم الثالث: قوم لم يستجيبوا للرسل، ولا انقادوا لهم، بل استمروا على الخروج عن الفطرة ولم يرجعوا إليها، واستحكم فسادها فيهم أتم استحكام (بحيث)[٤]، لا يرجى لهم صلاح. فهؤلاء لا يفي مجيء الدنيا ومصائب الموت وما بعده وأهوال القيامة بزوال أوساخهم وأدرانهم، ولا يليق بحكمة العليم الحكيم أن يجاور بهم الطيبين في دارهم، ولم يخلقوا للفناء، فهؤلاء أهل دار

(١) في م، ط (الأدوية) .

(٢) ساقطة من م، ط .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (المظالم) باب (قصاص المظالم) ٣/ ٩٧ من حديث أبي سعيد الخدري، وفي كتاب (الرقاق) باب (القصاص يوم القيامة) ٧/ ١٩٧ من حديث (الصلت بن محمد) .

(٤) ساقطة من م، ط .

الابتلاء والامتحان، باقون فيها ببقاء ما معهم من درن الكفر والشرك، والنار إنما أوقدت عليهم بأعمالهم الخبيثة فعذبهم بنفس أعمالهم (أنشئ لهم منها صورتها من العذاب شبهها وشاكلها)[1]، فالعذاب باق عليهم ما بقيت حقائق تلك الأعمال وما تولد منها، فما دامت موجبات العذاب باقية فالعذاب باق .

يبقى أن يقال: فهل ذهب أثر الفطرة الأولى بالكلية بحيث صارت كأن لم تكن وبطلت بالكلية، وانتقل الأمر إلى العارض المفسد لها؟ وعلى هذا فلا سبيل إلى خلاصهم من العذاب؛ إذ هو أثر ذلك الفساد الذي أزال الفطرة؟ أو يقال: الفطرة لم تذهب بالكلية، وإنما استحكم مرضها وفسادها وأصلها باق، كما يستحكم مرض البدن وفساده والحياة قائمة به، لكنها حياة لا تنفع، فإذا قدر دواء كريه صعب التناول لا سبيل إلى الصحة إلا [بتكرير][2] تناوله مراراً كثيرة العدد جداً [يزيل][3] ذلك المرض العارض، فيظهر أثر الفطرة الأولى، فلا يحتاج بعده إلى الدواء، هذا سر المسألة .

ومن يذهب إلى هذا التقدير الثاني، فإنه يقول: العقل لا يدل [على][4] امتناع ذلك؛ إذ ليس فيه ما يحيله .

ونقول: [بل][5] قد دل العقل والنقل والفطرة على أن الرب تعالى حكيم

---

(١) في م، ط (التي لهم منها صور من العذاب يناسبها ويشاكلها) .

(٢) في الأصل (بتكرر) والصواب ما أثبته من م، ط .

(٣) في الأصل (يزيد) والصواب ما أثبته من م، ط .

(٤) زيادة من (ط) .

(٥) زيادة من م، ط .

رحيم[(١)]، والحكمة والرحمة تأبى بقاء هذه النفوس في العذاب سرمداً أبد الآباد، بحيث يدوم عذابها بدوام الله، فهذا ليس [من][(٢)] الحكمة والرحمة[(٣)].

قالوا: وقد دلت الدلائل الكثيرة من النصوص والاعتبار على أن ما شرعه الله في هذه الدار وقدره من العذاب والعقوبات، فإنما [هو][(٤)] لتهذيب

---

(١) قال سبحانه: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة/ ٣٢] وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة/ ٣]. ومن السنة: ورد (الحكيم) من أسماء الله في حديث التسعة والتسعين اسماً.

و(الرحيم) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (تفسير القرآن) باب (١) ٥/ ١٤٦، ومسلم في صحيحه في كتاب (الذكر) ح(٢٧٠٥) ٣/ ٢٠٧٨.

(٢) في الأصل، م (في) والصواب ما أثبته من ط.

(٣) هذا الكلام يوهم القول بفناء النار على الإطلاق، ولعل الإمام ابن القيم رحمه الله لا يقصد ذلك؛ لأن له كلاماً آخر في بعض كتبه يقيد ذلك بطبقة العصاة من المسلمين. قال رحمه الله في (الوابل الصيب) ص ٢٩: «وأما النار، فإنها دار الخبث في الأقوال والأعمال والمآكل والمشارب ودار الخبيثين، فالله تعالى يجمع الخبيث بعضه إلى بعض، فيركمه كما يركم الشيء المتراكم بعضه على بعض، ثم يجعله في جهنم مع أهله فليس فيها إلا خبيث. ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب لا يشينه خبيث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبيث وطيبن كانت لهم دور ثلاثة: دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لا تفنيان، ودار لمن معه خبث وطيب، وهي الدار التي تفنى، وهي دار العصاة، فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار، فأدخلوا الجنة، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض» انتهى. وقد تم في قسم الدراسة مناقشة المسألة وبيان الصواب فيها.

(٤) في الأصل (هي) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

النفوس وتصفيتها من الشر الذي فيها، ولحصول مصلحة الزجر والاتعاظ، وفطماً للنفوس عن المعاودة، وغير ذلك من الحكم التي إذا حصلت خلا التعذيب عن الحكمة والمصلحة فيبطل، فإنه تعذيب عليم حكيم رحيم لا يعذب سدى، ولا لنفع يعود إليه بالتعذيب، بل كلا الأمرين محال، فإذاً لا يقع التعذيب إلا لمصلحة المعذب أو مصلحة غيره . ومعلوم أنه لا مصلحة له ولا لغيره في بقائه في العذاب سرمداً أبد الآباد.

قالوا: فمما دل عليه القرآن والسنة أن جنس الآلام لمصلحة بني آدم قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ (ظَمَأٌ)[1] وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ [التوبة/ ١٢٠] .

وقوله: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾[آل عمران/ ١٤١].

فأخبر أن ألم القتل والجرح في سبيله تمحيص، أي تطهير وتصفية للمؤمنين[2] وبشر الصابرين على ألم الجوع والخوف والفقر وفقد الأحباب وغيرهم بصلاته عليهم ورحمته وهدايته. وقال تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء/ ١٢٣] قال أبو بكـر الصديق[3] رضي الله عنه: يا رسول الله: جاءت قاصمة الظهر، وإننا لم نعمل سوءاً. فقال: «يا أبا بكر ألست تنصب؟ ألست

---

(١) ساقطة من م، ط .

(٢) انظر: تفسير البغوي ٢/ ١١٢ .

(٣) هو: عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعدة بن مرة التميمي أبو بكر بن قحافة الصديق صاحب رسول الله ﷺ وخليفته، أحد الخلفاء الراشدين. توفي سنة ثلاث عشرة، وله ثلاث وستون سنة . انظر: حلية الأولياء ١/ ٢٨-٣٨، تقريب التهذيب ١/ ٤٣٢، العبر ١/ ١٣ .

تحزن؟ أليس يصيبك الأذى؟ » قال: بلى. قال: « فذلك مما تجزون به »[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى/ ٣٠] وفي هذا تبشير وتحذير؛ إذ علمنا أن مصائب الدنيا عقوبات لذنوبنا[(٢)]، وهو أرحم [من][(٣)] أن يثني العقوبة على عبده بذنب قد عاقبه به في الدنيا، كما قال ﷺ: « من بُلي بشيء من هذه القاذورات فستره الله فأمره [إلى][(٤)] الله إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له. ومن عوقب به في الدنيا فالله أكرم من أن يثني العقوبة على عبده»[(٥)].

وفي الحديث: « الحدود كفارت لأهلها »[(٦)].

وفي الصحيحين من حديث عبادة[(٧)]: «ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٦، والحاكم في المستدرك ٣/ ٧٤ وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ورواه سعيد بن منصور، وأبو بكر بن مردويه وغيرهم. انظر: تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ١/ ٨٤٦-٨٤٩.

(٢) انظر: زاد المسير ٧/ ٢٨٨.

(٣) ساقطة من جميع النسخ والصواب ما أثبته.

(٤) زيادة من م، ط.

(٥) رواه الترمذي بنحوه في كتاب (الإيمان) باب (ما جاء لا يزني الزاني وهو مؤمن) ح(٢٦٢٦)٥/ ١٦ قال أبو عيسى: وهذا حديث حسن غريب صحيح. قال الألباني في ضعيف الجامع (٥٤٢٣): ضعيف، لكن روى الإمام أحمد في مسنده ٥/ ٢١٤، ٢١٥ عن خزيمة بن ثابت عن النبي ﷺ قال: « من أصاب ذنباً أقيم عليه حد ذلك الذنب فهو كفارته ». قال الألباني في صحيح الجامع (٥٩١٥): صحيح.

(٦) لم أجده بهذا اللفظ كما ذكر المصنف. لكن الإمام سلماً في صحيحه ٢/ ١٣٣٣ح (١٧٠٩) جعلها عنوان باب، كما ورد بنحوه في المستدرك ١/ ٦٢، ٢/ ١٧.

(٧) عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف، الأنصاري الخزرجي، شهد بدراً، وقال ابن سعد: كان أحد النقباء بالعقبة. روى عن =

به في الدنيا، فهو كفارة له »[(١)] .

وفي الصحيح عنه ﷺ: « ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا هم ولا حزن ولا أذى، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه »[(٢)] .

وقال: « لا يزال البلاء بالمؤمن في أهله وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة »[(٣)] .

وفي حديث آخر: «إن المؤمن إذا مرض خرج مثل البردة في صفائها ولونها »[(٤)] .

النبي ﷺ كثيراً. مات سنة أربع وثلاثين. وقيل: سنة خمس وثلاثين، وقيل: عاش إلى سنة خمس وأربعين .

انظر: الإصابة ٢/ ٢٦٨. تقريب التهذيب ١/ ٣٩٥، سير أعلام النبلاء ٢/ ٥-١١ .

(١) جزء من حديث رواه البخاري بنحوه في صحيحه في كتاب (الحدود) باب (الحدود كفارة) ٨/ ١٥. ومسلم بنحوه في كتاب (الحدود) باب (الحدود كفارات لأهلها) ح (١٧٠٩) ٢/ ١٣٣٣ .

(٢) رواه البخاري بنحوه في صحيحه في كتاب (المرضى) باب (ما جاء في كفارة المرض) ٧/ ٢. ومسلم في صحيحه بنحوه في كتاب (البر والصلة والآداب) باب (ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها) ح(٢٥٧٢، ٢٥٧٣) ٣/ ١٩٩١، ١٩٩٢ .

(٣) رواه الترمذي في مسنده ١/ ١٧٣ بنحوه في كتاب (الزهد) باب (ما جاء في الصبر على البلاء) ح (٢٣٩٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح. قال الألباني في صحيح الجامع (٥٦٩١): صحيح .

(٤) رواه الترمذي في كتاب (الطب) باب (التداوي بالرماد) ح(٢٠٨٦) ٤/ ٤١١ ولم يتكلم عليه. وفي سنده (الوليد بن محمد الموقري) قال عنه ابن حجر في التقريب ص ٥٨٣: متروك .

وفي الحديث الآخر: «إن الحمى تنفي الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد»[١].

وفي حديث آخر: «لا تسبي الحمى، فإنها تذهب خطايا بني آدم»[٢]. ومن أسماء الحمى (مكفرة الذنوب).

وفي الحديث الصحيح يقول الله عز وجل يوم القيامة: «عبدي مرضت فلم تعدني. قال: كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: مرض عبدي فلان فلم تعده، أما لو عدته لوجدتني عنده»[٣].

وهذا أبلغ من قوله في الإطعام والإسقاء: «لوجدت ذلك عندي»[٤].

فهو سبحانه عند المبتلى بالمرض رحمة منه له وخيراً وقرباً منه لكسر قلبه بالمرض، فإنه عند المنكسرة قلوبهم (وهذا)[٥] (أكثر)[٦] من أن يذكر. ورب الدنيا والآخرة [واحد، وحكمته ورحمته موجودة في الدنيا والآخرة][٧]، بل

---

(١) رواه ابن ماجة بنحوه في كتاب (الطب) باب (الحمى) ح(٣٤٦٩) وفي سنده موسى ابن عبيدة وهو ضعيف، لكن ورد عند مسلم بنحوه كما سيأتي في الحديث الذي بعده.

(٢) شطر من حديث رواه مسلم في كتاب (البر والصلة والآداب) باب (ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ح(٢٥٧٥) ٣/ ١٩٩٣ وتمامه: «كما يذهب الكير خبث الحديد».

(٣) شطر من حديث رواه مسلم في كتاب (البر والصلة والآداب) باب (فضل عيادة المريض) ح(٢٥٦٩)٣/ ١٩٩٠.

(٤) جزء من الحديث السابق.

(٥) مكررة في (م).

(٦) في م، ط (أكبر).

(٧) زيادة من م، ط.

ظهور رحمته في الآخرة أعظم، فعذاب المؤمنين بالنار في الآخرة هو من هذا الباب، كعذابهم في الدنيا بالمصائب والحدود، وكذلك حبسهم بين الجنة والنار حتى يهذبوا وينقوا[١] .

وقد علم بالنصوص الصحيحة الصريحة أن عذابهم في النار متفاوت قدراً ووقتاً بحسب ذنوبهم، وأنهم لا يخرجون منها جملة واحدة، بل شيئاً بعد شيء، حتى يبقى رجل هو آخرهم خروجاً (منها)[٢][٣] وكذلك عذاب الكفار فيها متفاوت تفاوتاً عظيماً. فالمنافقون في دركها الأسفل[٤] وأبو طالب[٥] أخف

---

(١) عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: « إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاضون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة ... » الخ .

سبق تخريجه ص (١٤٢٧) ، انظر: شرح الطحاوية ٤٢٠ .

(٢) ساقطة من م، ط .

(٣) يشير إلى قول النبي ﷺ: « إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً ... » إلى آخر الحديث. أخرجه البخاري في كتاب (الرقاق) باب (صفة الجنة والنار) ٧/ ٢٠٤ ومسلم في كتاب (الإيمان) باب (آخر أهل النار خروجاً) ح(١٨٦).

(٤) قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء/ ١٤٥] .

(٥) هو: أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، عم النبي ﷺ كفل النبي ﷺ بعد وفاة والده وجده عبد المطلب، وأحسن إليه، وكان يقدمه على أبنائه. اجتهد النبي ﷺ في دعوته للإسلام ليقابل إحسانه بالإحسان، لكن العليم الخبير لم يرد هدايته، فمات كافراً، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين.

انظر: البداية والنهاية ٢/ ٢٦٢، ٣/ ١٢٠ .

أهلها عذاباً، في ضحضاح من (نار)[١] يغلي منه دماغه[٢] وآل فرعون في أشد العذاب[٣] .

قالوا: فإذا كان العذاب في الدار التي فيها رحمة واحدة من مائة رحمة هو رحمة بأهله ومصلحة لهم ولطف بهم، فكيف في الدار التي يظهر فيها مائة رحمة، كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض؟ وقد قال تعالى: ﴿(وَلَنُذِيقَنَّهُم)[٤] مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة/ ٢١] .

فأخبر أنه يعذبهم رحمة ليردهم العذاب إليه كما يعذب الأب الشفيق (الرحيم)[٥] ولده إذ فر منه إلى عدوه ليرجع إلى بره وكرامته[٦] .

وقال الله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء/ ١٤٧] .

وأنت تجد تحت هذه الكلمات أن تعذيبه لكم لا يزيد في ملكه، ولا ينتفع به، ولا هو سدى خال من حكمة ومصلحة، وأنكم إذا بدلتم الشكر والإيمان بالكفر كان عذابكم منكم، وكن كفركم هو الذي عذبتم به، وإلا فأي شيء

---

(١) ساقطة من (ط) .

(٢) يشير إلى قوله ﷺ في حديث ابن عباس: « أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، وهو متنعل بنعلين يغلي منهما دماغه ». رواه مسلم في كتاب (الإيمان) باب (أهون أهل النار عذاباً) ح(٢١٢) ١/ ١٩٦ .

(٣) قال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر/ ٤٦] .

(٤) في الأصل (ولنذيقهم) والصواب ما أثبته .

(٥) ساقطة من م، ط .

(٦) انظر: تفسير البغوي ٦/ ٣٠٨ .

يلحقه (سبحانه)[(١)] من عذابكم ؟ وأي نفع يصل إليه منه ؟[(٢)]

قالوا: وحينئذ فالحكمة تقتضي أن النفوس الشريرة لا بد لها من عذاب يهذبها (بسبب)[(٣)] (ذنوبها)[(٤)] كما دل على ذلك السمع[(٥)] والعقل، وذلك يوجب الانتهاء لا الدوام .

قالوا: والله تعالى لم يخلق الإنسان [عبثاً][(٦)] وإنما خلقه ليرحمه لا ليعذبه، وإنما اكتسب موجب العذاب بعد خلقه له، فرحمته له سبقت غضبه، وموجب الرحمة فيه سابق على موجب الغضب وغالب له، وتعذيبه ليس هو الغاية لخلقه، وإنما تعذيبه لحكمة ورحمة، والحكمة والرحمة تأبى ان يتصل عذابه سرمداً إلى غير نهاية. أما الرحمة فظاهر، وأما الحكمة فلأنه إنما عذب على أمر طرأ على الفطرة وغيرها، ولم يخلق عليه من أصل الخلقة، ولا خلق له، فهو لم يخلق للإشراك ولا للعذاب، وإنما خلق للعبادة والرحمة، ولكن طرأ عليه موجب العذاب، فاستحق عليه العذاب، وذلك الموجب لا دوام له فإنه باطل، بخلاف الحق الذي هو موجب الرحمة فإنه [دائم][(٧)] بدوام الحق سبحانه، وهو

---

(١) ساقطة من م، ط .

(٢) انظر: تفسير الطبري ٩/ ٣٤٢-٣٤٣ .

(٣) مكررة في (م) .

(٤) في م، ط (وقوعها) .

(٥) قال سبحانه: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آل عمران/ ١١]، وقال سبحانه: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٠﴾ [العنكبوت/ ٤٠] .

(٦) زيادة من م، ط .

(٧) في الأصل (دام) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

الغاية، وليس موجب العذاب غاية، كما أن العذاب ليس بغاية، بخلاف الرحمة فإنها غاية وموجبها غاية، فتأمله حق التأمل فإنه [سر][(١)] (والمسألة)[(٢)].

قالوا: والرب تعالى تسمى بالغفور الرحيم، ولم يتسم بالمعذب ولا بالمعاقب، بل جعل العذاب والعقاب في أفعاله، كما قال تعالى: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝٥٠﴾ [الحجر/ ٤٩، ٥٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ [لَسَرِيعُ][(٣)] ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف/ ١٦٧].

وقال: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤﴾ [البروج/ ١٢-١٤].

وقال: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر/ ١-٣].

وهذا كثير في القرآن، فإنه سبحانه يمتدح العفو والمغفرة والرحمة والكرم، والحلم، ويتسمى (بها)[(٤)]، ولم يمتدح بأنه [المعاقب][(٥)] ولا الغضبان ولا المعذب ولا (المنتقم)[(٦)] إلا في الحديث الذي فيه تعديد الأسماء الحسنى، ولم

---

(١) زيادة من م، ط.

(٢) في الأصل (من المسألة) والصواب ما أثبته من م، ط.

(٣) في جميع النسخ (سريع) والصواب ما أثبته.

(٤) ساقطة من م، ط.

(٥) في الأصل (العاقب) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) في (ط) (المقسم).

يثبت[١]. وقد كتب على نفسه كتاباً أنَّ رحمته سبقت غضبه[٢]، وكذلك هو في أهل النار، فإن رحمته فيهم سبقت غضبه؛ فإنه رحمهم [أنواعاً من الرحمة قبل أن أغضبوه بشركهم، ورحمهم في حال شركهم، ورحمهم] [٣] بإقامة الحجة عليهم، ورحمهم بدعوتهم إليه بعد أن أغضبوه وآذوا رسله وكذبوهم، وأمهلهم ولم يعاجلهم، بل وسعتهم، فرحمته غلبت غضبه، ولولا ذلك لخرب العالم، وسقطت السماوات على الأرض، وخرت الجبال. وإذا كانت الرحمة غالبة للغضب [سابقة][٤] عليه، امتنع أن يكون موجب الغضب دائماً بدوامه غالباً لرحمته .

قالوا: والتعذيب إما أن يكون عبثاً، أو لمصلحة وحكمة، وكونه عبثاً مما ينزه أحكم الحاكمين عنه، ونسبته إليه نسبة لما هو من أعظم النقائص إليه. وإن كان لمصلحة، فالمصلحة هي المنفعة ولوازمها وملزوماتها، وهي إما أن تعود على الرب تعالى، وهو يتعالى عن ذلك ويتقدس عنه، وإما أن تعود إلى المخلوق، (وذلك المخلوق)[٥]، إما نفس المعذب وإما غيره أو هما. والأول

---

(١) سبق تخريج الحديث الذي فيه تعديد الأسماء الحسنى وإيضاح أنه ضعيف .
انظر: ص (٩٧٦) .

(٢) قال سبحانه: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الأنعام/ ١٢]، وقال: ﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام/ ٥٤]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق أن رحمتي سبقت غضبي، فهو مكتوب عنده فوق العرش ».
البخاري كتاب (التوحيد) باب (٥٥) ٨/ ٢١٦ .

(٣) ما بينهما زيادة من م، ط .

(٤) في الأصل (مانعة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٥) ما بينهما ساقط من م، ط .

ممتنع؛ إذ لا[١] مصلحة له في دوام العقوبة بلا نهاية .

وأما مصلحة غيره، فإن كانت هي الاتعاظ والانزجار فقد حصلت، وإن كانت تكميل لذاته وبهجته وسروره بأن يرى عدوه في تلك الحال وهو في غاية النعيم، فهذا لو كان أقسى الخلق لرق لعدوه من طول عذابه ودوام ما يقاسيه. فلم يبق إلا كسر تلك النفوس الجبارة العتيدة ومداواتها (بما)[٢] يصل إلى مادة أدوائها وأمراضها فتحسمها . تلك المادة شر طارئ على خير خلقت عليه في ابتداء فطرتها .

قالوا: والأقسام الممكنة في الخلق خمسة لا مزيد عليها: خير محض ومقابله، وخير راجح ومقابله، وخير وشر متساويان، والحكمة تقتضي إيجاد قسمين منها، وهما الخير الخالص والراجح. وأما الشر الخالص أو الراجح، فإن الحكمة لا تقتضي وجوده، بل تأبى ذلك، فإن كل ما خلقه الله سبحانه، فإنما خلقه لحكمة وجودها أولى من عدمها . وخلق [الدواب][٣] الشريرة والأفعال التي هي شر لما يترتب على خلقها من الخير المحبوب، فلم يخلق لمجرد الشر الذي لا يستلزم خيراً بوجه ما .

وهذا غاية المحال، فالخير هو المقصود بالذات [بالقصد][٤] الأول، والشر إنما قصد الوسائل والمبادئ لا قصد الغايات والنهايات .

وحينئذ، فإذا حصلت الغاية المقصودة بخلق بطل وزال كما تبطل الوسائل عند الانتهاء إلى غاياتها، كما هو معلوم بالحس والعقل. وعلى هذا فالعذاب

---

(١) في م، ط (ولا) .

(٢) في م، (إنما) وفي (ط) (كيما) .

(٣) في الأصل (الدوات) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) في الأصل (وما يقصد) والأولى ما أثبته من باقي النسخ .

شر، وله غاية تطلب به، وهو وسيلة إليها، فإذا حصلت غايته كان بمنزلة الطريق الموصلة إلى القصد، فإذا [وصل بها السائر][١] إلى مقصده لم يبق لسلوكها فائدة .

وسر المسألة أن الرحمة غاية الخلق والأمر لا العذاب[٢]، فالعذاب من مخلوقاته، وذلك (يقتضي)[٣] أنه خلقه لغاية محمودة، ولا بد من ظهور أسمائه وأثر صفاته عموماً وإطلاقاً، فإن هذا هو الكمال، والرب جل جلاله موصوف بالكمال، منزه عن النقص .

قالوا: قد قال تعالى: ﴿فَأَمَّا[٤] ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ (فِيهَا)[٥] مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود/١٠٦-١٠٧] .

قال: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام/١٢٨] .

قال أبو سعيد الخدري[٦]: هذه تقضي على كل آية في القرآن. ذكره البيهقي[٧]

(١) في الأصل (دخل فيها المسافر) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) تعذيب الكفار في النار وخلودهم فيها لا يناقض الرحمة. بل إن من رحمته وفضله وجوده إخراج عصاة الموحدين منها وإبقاء الكافرين فيها، وهذا غاية العدل وكماله.

(٣) في (ط) (مقتضى) .

(٤) في جميع النسخ (وأما) والصواب ما أثبته .

(٥) ساقطة من (ط) .

(٦) سبقت ترجمته ص (٣٢٩) .

(٧) هو: الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي الشافعي، صاحب التصانيف. ولد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، كان فقيهاً أصولياً. أخذ العلم عن الحاكم النيسابوري وغيره، له مصنفات. منها: كتاب السنن الكبير، وشعب الإيمان ،

وحرب[١] وغيرهما[٢] .

قال عبد الله بن مسعود[٣]: «ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً»[٤] .

وعن عمر بن الخطاب[٥] وأبي هريرة[٦] رضي الله عنهما مثله[٧] . وذكره

ودلائل النبوة، وغيرها كثير. توفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة. انظر: البداية والنهاية ١٢/ ١٠٠، العبر ٢/ ٣٠٨ .

(١) سبقت ترجمته .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٣٥٠، وقال: (أخرجه عبد الرزاق وابن الضريس وابن جرير وابن المنذر والطبراني والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله وعن أبي سعيد الخدري.

(٣) هو: عبد الله بن مسعود بن غافر، فقيه الأمة من السابقين الأولين، روى علماً كثيراً حدث عنه أبو موسى، وأبو هريرة، وابن عباس، وجابر، وأنس، وغيرهم . مات سنة اثنتين وثلاثين. انظر: حلية الأولياء ١/ ١٢٤-١٣٩، سير أعلام النبلاء ١/ ٤٦١-٥٠٠ .

(٤) قول ابن مسعود رضي الله عنه (ليأتين عليها زمان تخفق أبوابها) في الدر المنثور ٣/ ٣٥٠، وعزاه إلى ابن المنذر وأبي الشيخ. وذكره البغوي في تفسيره ٤/ ٢٠٢، وقال الألباني في تخريج (رفع الأستار): « وهذا إسناد مظلم ». رفع الأستار ٧٦ .

(٥) سبقت ترجمته انظر: ص (١٧١) .

(٦) سبق ترجمته انظر :ص (١٤٤) .

(٧) ما قاله عمر رضي الله عنه هو: (لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج، لكان لهم يوم على ذلك يخرجون فيه) الدر المنثور ٣/ ٣٥٠. وأما ما قاله أبو هريرة رضي الله عنه فهو: (سيأتي على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد، وقرأ: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟.. ﴾ (الآية الدر المنثور ٣/ ٣٥٠ .

=

جماعة من المصنفين في السنة. وهذا يقتضي أن الدار لا يبقى فيها أحد هي التي يلبث فيها أهلها أحقاباً .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم [(١)] «أخبرنا الله [بالذي يشاء لأهل الجنة، فقال تعالى: ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود/ ١٠٨] ولم يخبرنا [(٢)]] بالذي يشاء لأهل النار »[(٣)] .

قالوا: ويكفينا ما في سورة الأنعام من قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ (حَكِيمٌ عَلِيمٌ)[(٤)]﴾ [الأنعام/ ١٢٨] إلى قوله: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ

= قال الصنعاني رحمه الله في (كشف الأستار) ص٨٠: (إن هؤلاء الأربعة من الصحابة الذين هم عمر، وابن مسعود، وأبو هريرة، وأبو سعيد، الذين عين شيخ الإسلام أسماءهم في صدر المسألة، وذكر أنه نقل عنهم القول بفناء النار وذهابها وتلاشيها هم بريئون من هذا القول، وحينئذ يعلم أنه ليس معه في دعواه فناء النار أحد من الصحابة الذين عينهم) .

قلت: وابن القيم نقل ذلك عن شيخه رحمهم الله. وقد أوضحت في الدراسة ما نسب إلى شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم ومدى صحة ذلك .

(١) سبقت ترجمته ص (١٠١٨) .

(٢) ما بينهما زيادة من م، ط .

(٣) ذكره ابن جرير في تفسيره قال: حدثني يونس قال: أخبرنا وهب قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ﴾ فقرأ حتى بلغ عطاء غير مجذوذ، ثم ذكره . تفسير الطبري ١٥/ ٤٨٤، كما ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٣٥٠، قال (أخرج ابن جرير عن ابن زيد ...) ثم ذكره .

(٤) في (م) (عليم حكيم) .

وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾[الأنعام/ ١٣٠]. وهذا خطاب (للكفار)[١] من الجن والإنس من وجوه:

أحدها: (استكثارهم)[٢] منهم، أي من إغوائهم وإضلالهم. وإنما (استكثروا)[٣] من الكفار.

القول الثاني: قوله: ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ [الأنعام/ ١٢٨]، وأولياؤهم هم الكفار كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف/ ٢٧]. فحزب الشيطان هم أولياؤه.

الثالث: قوله: ﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام/ ١٣٠]، ومع هذا فقال: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام/ ١٢٨].

ثم ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ (حَكِيمٌ عَلِيمٌ)[٤]﴾ [الأنعام/ ١٢٨] فتعذيبهم متعلق بعلمه وحكمته. وكذلك الاستثناء صادر عن علم وحكمة، (فهو عليم بما يفعل بهم، حكيم في ذلك[٥]).

---

(١) في الأصل (الكفار) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في (ط) (استكبارهم).

(٣) في (ط) (استكبروا).

(٤) في الأصل ن م (عليم حكيم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) ما بينهما مكررة في الأصل.

قالوا: وقد (كثر)[(١)] في القرآن أنه سبحانه إذا ذكر جزاء أهل رحمته وأهل غضبه معاً أبّدَ [جزاء][(٢)] أهل الرحمة وأطلق جزاء أهل الغضب، كقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ [إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ][(٣)] عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود/ ١٠٦-١٠٨] .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ (أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ)[(٤)] تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾[البينة٦-٨].

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [آل عمران/ ١٠٦-١٠٧] .

وقد (يفرق)[(٥)] بينهما في الذكر ويقضي لهم بالخلود؛ كقوله: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [الجن/ ٢٣] .

وقوله: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا

---

(١) ساقطة من (م) وفي (ط) (ورد) .

(٢) زيادة من م، ط .

(٣) ما بينهما زيادة من م، ط .

(٤) ما بينهما سقط من م، ط .

(٥) في م، طن (يقرن) .

وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾[الأنعام/ ١٣٠]. وهذا خطاب (للكفار)[1] من الجن والإنس من وجوه :

أحدها: (استكثارهم)[2] منهم، أي من إغوائهم وإضلالهم. وإنما (استكثروا)[3] من الكفار .

القول الثاني: قولـه: ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ [الأنعام/ ١٢٨]، وأولياؤهم هم الكفار كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف/ ٢٧] . فحزب الشيطان هم أولياؤه .

الثالث: قولـه: ﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام/ ١٣٠]، ومع هذا فقال: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام/ ١٢٨] .

ثم ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ (حَكِيمٌ عَلِيمٌ)[4]﴾ [الأنعام/ ١٢٨] فتعذيبهم متعلق بعلمه وحكمته. وكذلك الاستثناء صادر عن علم وحكمة، (فهو عليم بما يفعل بهم، حكيم في ذلك [5]) .

---

(١) في الأصل (الكفار) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) في (ط) (استكبارهم) .

(٣) في (ط) (استكبروا) .

(٤) في الأصل ن م (عليم حكيم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٥) ما بينهما مكررة في الأصل .

قالوا: وقد (كثر)[(١)] في القرآن أنه سبحانه إذا ذكر جزاء أهل رحمته وأهل غضبه معاً أبّد [جزاء][(٢)] أهل الرحمة وأطلق جزاء أهل الغضب، كقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ [إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ][(٣)] عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود/ ١٠٦-١٠٨] .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ (أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ)[(٤)] تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾[البينة٦-٨].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [آل عمران/ ١٠٦-١٠٧] .

وقد (يفرق)[(٥)] بينهما في الذكر ويقضي لهم بالخلود؛ كقوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن/ ٢٣] .

وقوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا

---

(١) ساقطة من (م) وفي (ط) (ورد) .

(٢) زيادة من م، ط .

(٣) ما بينهما زيادة من م، ط .

(٤) ما بينهما سقط من م، ط .

(٥) في م، طن (يقرن) .

خَـٰلِدًا فِيهَـا ﴾ [النساء/ ١٤] .

ولكن مجرد ذكر الخلود والتأبيد لا يقتضي عدم النهاية، بل الخلود هو المكث الطويل، كقوله: قيد مخلد وتأبيد كل شيء بحسبه، فقد يكون التأبيد لمدة الحياة، وقد يكون لمدة الدنيا، وقال تعالى عن اليهود: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ [البقرة / ٩٥] .

ومعلوم أنهم يتمنون في النار حيث يقولون: ﴿ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ [الزخرف/ ٧٧]، وإنما استفيد عدم انتهاء نعيم الجنة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ [ص/ ٥٤]، وقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود/ ١٠٨] وقوله: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [الانشقاق/ ٢٥] أي (غير)[1] مقطوع [2]، ومن قال: لا يمن به عليهم، فقد أخطأ أقبح الخطأ [3]، ولم يجيء مثل ذلك في عذاب أهل النار .

وقوله عز وجل: ﴿ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة/ ١٦٧]، ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر/ ٤٨] .

وقوله: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر/ ٣٦] .

وقوله تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا ﴾ [السجدة/ ٢٠] في موضعين من القرآن[4] .

---

(١) ساقطة من م، ط .

(٢) انظر: زاد المسير ٩/ ٦٩ .

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٧٧٣ .

(٤) الموضع الثاني في سورة الحج آية (٢٢) قال سبحانه: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا ﴾ .

وقوله: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ [النساء/ ٥٦] .

غير مصروف عن ظاهره، وحقيقته على الصحيح .

وقد زعمت طائفة أن إطلاق هذه الآيات مقيد بآيات التقييد بالاستثناء بالمشيئة، فيكون من باب تخصيص العموم، وهذا كأنه قول من قال من السلف في آية الاستثناء إنها على كل وعيد في القرآن [١] .

والصحيح أن هذه الآيات على عمومها وإطلاقها، ولكن ليس فيها ما يدل على أن نفس النار دائمة بدوام الله لا انتهاء لها، هذا ليس في القرآن ولا في السنة ما يدل عليه بوجه ما. وفرق بين أن يكون عذاب أهلها دائماً بدوامها وبين أن تكون هي أبدية لا انقطاع لها، فلا تستحيل ولا تضمحل، فهذا شيء وهذا شيء. ولا يقال: فلا فرق على هذا بين عذاب الدنيا [وعذاب][٢] الآخرة إذا كان كل منهما يضمحل وينقطع. قيل: ما أظهر [الفروق][٣] بينهما، والأمر أبين من أن يحتاج إلى فرق .

وأيضاً فعذاب الدنيا ينقطع بموت المعذب وإقلاع العذاب عنه، وأما عذاب الآخرة، فلا يموت من استحق الخلود فيه، ولا يقلع العذاب عنه، ولا يدفعه عنه أحد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴾ [الطور/ ٧، ٨] وهو لازم لا يفارق، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ [الفرقان/ ٦٥] أي لازماً[٤] ومنه سمي الغريم (لملازمته)[٥] غريمه .

---

(١) سبق هذا القول انظر: ص (١٢٦١) هامش (٢)

(٢) زيادة من (ط) .

(٣) في الأصل (الفرق) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) انظر: الدر المنثور ٥/ ٧٧ .

(٥) في (ط) (للملازمة) .

فصل

وأما الآثار في هذه المسألة؛ فقال: الطبراني: حدثنا عبد الرحمن بن سلم[١] حدثنا سهل بن عثمان[٢] حدثنا عبد الله بن مسعر بن كدام[٣] عن جعفر بن الزبير[٤] عن القاسم[٥] عن أبي أمامة[٦] عن النبي ﷺ « ليأتين على جهنم يوم

---

(١) عبد الرحمن بن سلم: بفتح المهملة وسكون اللام، شامي مجهول من السادسة. انظر: تقريب التهذيب ١/ ٤٨٢ .

(٢) هو الإمام الحافظ المجود، أحد الأئمة أبو مسعود العسكري، سمع حماد بن زيد وشريكاً القاضي، وأبا الأحوص وغيرهم. حدث عنه مسلم، وعبيد بن محمد الغزال، وعلي بن أحمد بن بسطام وغيرهم. وذكره ابن حبان في تاريخ الثقات، وقال أبو زرعة وأبو حاتم: صدوق . انظر: شذرات الذهب ٢/ ٧٨، سير أعلام النبلاء ١١/ ٤٥٤ .

(٣) عبد الله بن مسعر بن كدام، عن أبيه. قال أبو حاتم: متروك الحديث، وقال العقيلي في (الضعفاء): عن أبيه لا يتابع عليه، ولا يعرف إلا به . انظر: الضعفاء الكبير للعقيلي ٢/ ٣٠٤، ميزان الاعتدال ٢/ ٥٠٢ .

(٤) جعفر بن الزبير: عن القاسم أبي عبد الرحمن وجماعة، وعنه وكيع، ويزيد بن هارون. كذبه شعبه، وقال ابن معين: ليس ثقة، وقال البخاري: تركوه، وقال ابن عدي: الضعف على حديثه بين . انظر: ميزان الاعتدال ١/ ٤٠٦ .

(٥) القاسم بن عبد الرحمن أبو عبد الرحمن الدمشقي، مولى آل معاوية، وصاحب أبي أمامة، قال الإمام أحمد: روى عنه علي بن يزيد أعاجيب، وما أراها إلا من قبل القاسم. وقال ابن حبان: كان يروي عن أصحاب رسول الله ﷺ المعضلات. وثقه ابن معين من وجه عنه، وقال الجوزجاني: كان خياراً فاضلاً، أدرك أربعين من المهاجرين والأنصار. وقال الترمذي: ثقة. مات سنة اثنتي عشرة ومائة . انظر: ميزان الاعتدال ٣/ ٣٧٣ .

(٦) أبو أمامة صدي ـ بالتصغير ـ ابن عجلان الباهلي، صحابي مشهور، سكن الشام ومات بها سنة ست وثمانين. انظر: تقريب التهذيب ١/ ٣٦٦ .

كأنها ورق هاج وحمر تخفق أبوابها »[١] .

وقال حرب[٢] في مسائله: سألت إسحاق[٣] قلت: قول الله عز وجل: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ﴾ [هود/ ١٠٧] .

قال: أتت هذه الآية على كل وعيد في القرآن[٤] .

حدثنا عبد الله بن معاذ[٥] حدثنا معتمر بن سليمان[٦] قال: قال

---

(١) ذكره الهيثمي في (مجمع الزوائد) ١٠/ ٣٦٠ وعزاه للطبراني، وقال: (وفيه جعفر بن الزبير، وهو ضعيف) و(جعفر) قال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب (١/ ١٣٠): متروك الحديث. كما ضعفه عدد من أهل العلم. انظر: ميزان الاعتدال ١/ ٤٠٦، قال الذهبي في الميزان ١/ ٤٠٧: (ويُروى بإسناد مظلم عنه حديث متنه ..) ثم ذكر الحديث بنحوه. كما ضعَّف سند الحديث ابن كثير في تفسيره ٢/ ٧١٢. قال الألباني: (هذا الحديث لا يصح مرفوعاً ولا موقوفاً). سلسلة الأحاديث الضعيفة ٢/ ٧٢. فالحديث ضعيف جداً . والله أعلم .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) سبقت ترجمته .

(٤) سبق تخريجه انظر: ص (١٢٦١) .

(٥) عبد الله بن معاذ الصنعاني: كان عبد الرازق يكذبه، قال البخاري. غمزه عبدالرزاق. وقال هشام بن يوسف: صدوق، وقال ابن معين: ثقة. وقال أبو حاتم: هو أوثق من عبد الرزاق. انظر: ميزان الاعتدال ٢/ ٥٠٦ .

(٦) معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي أبو محمد البصري. روى عن أبيه وحميد الطويل وغيرهم. وعنه الثوري وابن المبارك وعبد الرزاق وغيرهم. وقال ابن سعد: كان ثقة. ولد سنة مائة، ومات سنة سبع وثمانين ومائة . انظر: تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٢٧، سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٧٧ .

أبي[١]: حدثنا أبو نضرة[٢] عن جابر[٣]، أو أبي سعيد[٤]، أو بعض أصحاب النبي ﷺ قال: هذه الآية تأتي على القرآن كله/ ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ[٥] لِّمَا يُرِيدُ﴾[٦]. قال المعتمر: قال [أي][٧] كل وعيد في القرآن، ثم تأول حربٌ ذلك، فقال: معناه عندي والله أعلم: أنها تأتي على كل وعيد في القرآن لأهل التوحيد .

---

(١) هو: سليمان بن طرخان التيمي أبو المعتمر البصري. روى عن أنس بن مالك، وطاوس وأبي إسحاق السبيعي وغيرهم. وعنه ابنه معتمر، وشعبة، والسفيانان، وغيرهم. قال الربيع بن يحيى عن سعيد: ما رأيت أصدق من سليمان التيمي. وقال عبد الله ابن الإمام أحمد عن أبيه: ثقة. توفي سنة ثلاث وأربعين ومائة . انظر: تهذيب التهذيب ٤/ ٢٠١ .

(٢) أبو نضرة المنذر بن مالك العبدي ثم البصري. أدرك طلحة، وروى عن علي وأبي موسى الأشعري، وأبي ذر الغفاري وغيرهم. وعنه سليمان التيمي وأبو مسلم سعيد ابن يزيد، وحميد الطويل، وغيرهم. مات سنة ثمان أو تسع ومائة .
انظر: تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٠٢، شذرات الذهب ١/ ١٣٥ .

(٣) هو الصحابي الجليل جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب الأنصاري السلمي، يكنى أبا عبد الله وأبا عبد الرحمن، وهو أحد المكثرين عن النبي ﷺ وروى عن أبي بكر وعمر وعلي، كما روى عنه ابن المسيب، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، وغيرهم خلق كثير. مات سنة ثمان وسبعين. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٣١٢، العبر ١/ ٦٥ .

(٤) سبقت ترجمته انظر ص (٣٢٩) .

(٥) في (ط) (أنه فعال).

(٦) سبق تخريجه انظر ص (١٢٦٠) .

(٧) في ط (أي) .

وكذلك قولـه: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود/١٠٧] استثنى من أهل القبلة الذين يخرجون من النار[١].

وهـذا التأويـل لا يصـح؛ لأن الاستثنـاء إنما هو في وعيد الكفـار[٢]، فإنه سبحانه قال: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ ﴾ [هود/ ١٠٥-١٠٦] الآية ثم قال: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ ﴾ [هـود/١٠٨] فأهـل التوحيد مـن الذين سعـدوا (لا من الذين)[٣] شقـوا[٤]، وآيـة الأنعـام صريحـة في حق الكـفـار كمـا تقـدم بيانـه[٥]. قـال حـرب[٦]: حدثـنـا عبيـد الله بن معـاذ[٧] حدثـنـا

---

(١) انظر: زاد المسير ٤/ ١٦٠-١٦١.

(٢) قال البغوي رحمه الله في تفسيره ٤/ ٢٠٢: (ومعناه عند أهل السنة – إن ثبت – أنه لا يبقى فيها أحد من أهل الإيمان، وأما مواضع الكفار فممتلئة أبداً).

(٣) ما بينهما ساقط من م، ط.

(٤) اختلف المفسرون – رحمهم الله – بالمراد في هذا الاستثناء على أقوال كثيرة، والذي عليه كثير من العلماء قديماً وحديثاً في تفسير هذه الآية أن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد ممن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين من الملائكة والنبيين والمؤمنين. وممن اختار ذلك الإمامان ابن جرير وابن كثير.
انظر: تفسير الطبري ١٥/ ٤٨٤ – تفسير ابن كثير ٢/ ٧١٢.

(٥) انظر: ص (١٢٦٠) وما بعدها.

(٦) سبقت ترجمته.

(٧) عبيد الله بن معاذ بن نصر بن حسان، الحافظ الثقة، أبو عمر العنبري البصري، حدث عن أبيه، ومعتمر بن سليمان، ويحيى القطان وغيرهم، حدث عنه مسلم وأبوداود، والبخاري، وأبو حاتم وغيرهم خلق كثير. قال أبو داود: كان فصيحاً يحفظ نحو أربعة آلاف حديث. انظر: العبر ١/ ٣٣٤، شذرات الذهب ٢/ ٨٨.

أبي[1] ثنا (سعيد)[2][3] عن أبي مليح[4] سمع عمر بن ميمون[5] يحدث عبد الله ابن عمرو[6] قال : « ليأتين على جهنم يوم تصطفق فيه أبوابها ، ليس فيها

(١) معاذ بن نصر بن حسان العنبري التميمي الحافظ البصري. روى عن سليمان التيمي وحميد الطويل وابن عون، وروى عنه أبوه عبيدالله، والمثنى، وأحمد، وإسحاق. قال المروزي عن أحمد: معاذ بن معاذ (إليه المنتهى في التثبت بالبصرة). توفي سنة ست وتسعين ومائة . انظر: تهذيب التهذيب ١٠/ ١٩٤ .

(٢) سعيد بن جبير أبو محمد، ويقال أبو عبد الله الأسدي الوالبي، مولاهم الكوفي، أحد الأعلام . روى عن ابن عباس، وعبد الله بن مغفل، وعائشة وغيرهم. حدث عنه أبو صالح السمان، وآدم بن سليمان، وبكير بن شهاب، وخلق سواهم. قال عنه الذهبي: الفقيه المفسر. أحد الأعلام الحجاج سنة خمس وتسعين. انظر: العبر ١/ ٨٤، شذرات الذهب ١/ ١٠٨ .

(٣) في من ط (شعبه) .

(٤) أبو المليح: هو الحسن بن عمر الرقي، ويقال: الحسن بن عمرو، سمع ميمون بن مهران وابن شهاب الزهري، وعبد الله بن محمد بن عقيل وطائفة. وروى عنه: عبدالله بن جعفر الرقي، وعمر بن خالد الحراني، وإبراهيم بن مهدي المصيصي وغيرهم . وثقه أحمد بن حنبل وأبو زرعة. توفي سنة إحدى وثمانين ومائة .
انظر: سير أعلام النبلاء ٨/ ١٩٤، شذرات الذهب ١/ ٢٩٥ .

(٥) هو عمر بن ميمون بن بحر بن سعد بن الرماح البلخي، أبو علي قاضي بلخ. روى عن كثير بن زياد العتكي، وسهيل بن أبي صالح وخالد بن ميون وغيرهم. روى عنه ابنه عبد الله قاضي نيسابور وسلم بن سليمان البلخي، ويونس المؤدب وغيرهم . توفي سنة إحدى وتسعين ومائة. انظر: تهذيب التهذيب ٧/ ٤٩٨ .

(٦) هو عبد الله بن عمرو بن العاص، الإمام الحبر العابد، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه. روى عن أبي بكر، وعمر، ومعاذ وغيرهم. حدَّث عنه ابنه محمد، ومولاه أبو قابوس، وحفيده شعيب بن محمد، وأنس بن مالك، وخلق سواهم. مات سنة خمس وستين. انظر: طبقات ابن سعد ٢/ ٣٧٣، حلية الأولياء ١/ ٢٨٣ .

أحد، وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً»[١] .

حدثنا عبيد الله، ثنا شعبة[٢] عن يحيى بن أيوب[٣] عن أبي زرعة[٤] عن أبي هريرة[٥] قال: أما الذي أقول إنه سيأتي على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد، وقرأ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ﴾[٦] [هود/ ١٠٦]. قال عبيد الله: كان

---

(١) أورد البغوي هذا الأثر بنحوه في تفسيره ٤/ ٢٠٢ وقال: « ومعناه عند أهل السنة إن ثبت». فلم يقطع بثبوته، كما نقل الألباني عن الذهبي في (سلسلة الأحاديث الضعيفة) ٢/ ٧٢ قال: (وهو منكر)، ثم قال الألباني: « وجملة القول أن هذا الحديث لا يصح مرفوعاً ولا موقوفاً»، وقال الألباني في تعليقه على (رفع الأستار) ص٨١: (هذا الأثر عن ابن عمرو ضعيف الإسناد)

(٢) شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي، مولاهم الواسطي، شيخ البصرة روى عن معاوية بن قرة، وعمرو بن مرة وخلق من التابعين. قال الشافعي: (لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق) روى عنه أيوب السختياني، والأعمش، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة. توفي سنة ستين ومائة. انظر: حلية الأولياء ٧/ ١٤٤، شذرات الذهب ١/ ٢٤٧ .

(٣) يحيى بن أيوب: هو ابن أبي زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي الكوفي، حدث عن جده أبي زرعة، والشعبي، وعنه ابن المبارك، ومروان بن معاوية، وأبوقتيبة، وأبو أحمد الزبيري، قال ابن معين: (هو ضعيف)، وقال يعقوب بن سفيان: (لا بأس به) قال البزار: ثقة. انظر: تهذيب التهذيب ١١/ ١٨٦، ميزان الاعتدال ٤/ ٣٦٢ .

(٤) سبقت ترجمته .

(٥) سبقت ترجمته .

(٦) قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود : ١٠٦-١٠٧] .

أصحابنا يقولون: يعني بها الموحدين. قد تقدم أن هذا التأويل لا يصح[(١)] .

وقال (عبد)[(٢)] بن حميد[(٣)] في تفسيره :

أخبرنا سليمان بن حرب[(٤)] حدثنا حماد بن سلمة[(٥)] عن ثابت[(٦)] عن الحسن[(٧)] قال: قال عمر[(٨)] رضي الله عنه: « لو لبث أهل النار في النار بقدر رمل (عالج)[(٩)] لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه »[(١٠)] .

---

(١) انظر: ص (١٢٧٠) .

(٢) في الأصل (عبيد) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) سبق ترجمته .

(٤) هو: أبو أيوب سليمان بن حرب الواشحي، الأزدي، البصري، الحافظ، سمع شعبة وحويش بن عقيل، والأسود بن شيبان، ويزيد بن إبراهيم، وغيرهم. وعنه البخاري وأبو داود والحميدي وغيرهم. توفي سنة أربع وعشرين ومائتين .
انظر: شذرات الذهب ٢/ ٥٤ . سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٣٠ .

(٥) سبق ترجمته ص (١٨١) .

(٦) ثابت بن أسلم أبو محمد البناني، مولاهم البصري. ثقة كبير القدر، حدث عن عبد الله ابن عمر، وعبد الله بن مغفل المزني، وعبد الله بن الزبير وغيرهم. حدث عنه عطاء بن أبي رباح، وقتادة، ويونس بن عبيد، وحماد بن سلمة، وكان من أئمة العلم. توفي سنة سبع وعشرين ومائة . انظر: تقريب التهذيب ١/ ١١٥. سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٢٠ .

(٧) هو: الحسن البصري سبقت ترجمته ص (١٤٧) .

(٨) سبقت ترجمته ص(١٧١) .

(٩) ساقطة من (م) .

(١٠) إسناده ضعيف لانقطاعه كما أوضحه الصنعاني رحمه الله في كتاب (رفع الأستار) ص (٦٥و٦٦) حيث قال: (من حيث الرواية، فإنه منقطع لنص شيخ الإسلام بأنه لم يسمعه الحسن من عمر ...) ثم قال: (والحسن البصري معروف عند أئمة هذا الشأن =

وقال: أخبرنا حجاج بن منهال[١] عن حماد بن سلمة[٢] عن حميد[٣] عن الحسن[٤] أن عمر بن الخطاب[٥] رضي الله عنه قال: «لو لبث أهل النار في النار عدد رمل عالج، لكان لهم يوم يخرجون فيه»[٦] ورواة هذا الأثر أئمة ثقات كلهم، والحسن سمعه من بعض التابعين، ورواه غير منكر له فدل على (أن)[٧] هذا

= بأنه لا يؤخذ بمراسيله، قال الدارقطني في السنن: وقد روى عاصم الأحول عن ابن سيرين، وكان عالماً بأبي العالية وبالحسن، قال: لا تأخذوا بمراسيل الحسن ولا أبي العالية، فإنهما لا يباليان عمن أخذا عنه. انتهى .

قال الألباني في تعليقه على (رفع الأستار) ص (٦٥): (إسناده ضعيف لانقطاعه) وقال في (سلسلة الأحاديث الضعيفة) ٢/ ٧٣: قال الحافظ ابن حجر في أثر الحسن هذا نفسه: (فهو منقطع ومراسيل الحسن عندهم واهية لأنه كان يأخذ من كل أحد).

(١) حجاج بن منهال أبو محمد البصري الأنماطي الحافظ. سمع شعبة وقرة بن خالد، وهمام بن يحيى، ويزيد بن إبراهيم التستري. حدث عنه البخاري، وأبو محمد الدارمي، وعبد ابن حميد وغيرهم . قال العجلي: ثقة رجل صالح، وتوفي سنة ست عشرة ومائتين . انظر: العبرة ١/ ٢٩٢، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٥٢ .

(٢) سبقت ترجمته ١٨١ .

(٣) حميد بن حميد الطويل أبو عبيدة البصري، ثقة جليل، يدلس. سمع أنساً وطائفة، وعنه شعبة، ومالك، ويحيى بن سعيد وخلق كثير . مات سنة اثنتين وأربعين ومائة، وقيل: غير ذلك . انظر: تقريب التهذيب ١/ ٢٠٢ . ميزان الاعتدال ١/ ٦١٠ .

(٤) سبقت ترجمته ص (١٤٧) .

(٥) سبقت ترجمته ص (١٧١) .

(٦) سبق تخريجه في الصفحة السابقة ت(١٠) .

(٧) ما بينهما ساقط من م،ط .

الحديث (كان)[1] متداولاً بين هؤلاء الأئمة لا ينكرونه، فقد كانوا ينكرون على من خرج عن السنة أدنى شيء، ويروون الأحاديث المبطلة (لقوله)[2]، وكان الإمام أحمد[3] يقول: « أحاديث حماد بن سلمة هي الشجا[4] في حلوق المبتدعة »[5]، فلو كان هذا القول عندهم من البدع المخالفة للسنة والإجماع لسارعوا إلى رده وإنكاره[6].

---

(١) في ط، (أنه كان).

(٢) في م،ط (لفعله).

(٣) سبقت ترجمته ص (١٤٠).

(٤) الشجا: هو ما ينشب في الحلق من عظم وغيره. (مختار الصحاح / ٢٩٠).

(٥) انظر: ثناء الإمام أحمد على حماد بن سلمة في ترجمته في سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٥٠.

(٦) بل ثبت أن سند الحديث ضعيف بسبب الانقطاع، ولذلك رده الإمام الصنعاني في كتابه: (رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار) ص٦٥ حيث قال: وأقول فيه شيئان: الأول: من حيث الرواية؛ فإنه منقطع، لنص شيخ الإسلام بأنه لم يسمعه الحسن من عمر.
والثاني: من حيث الدراية؛ فإنه لو ثبت صحته عن عمر، لكان يدل على المدعى، فإن أصل المدعي هو: فناء النار، وأن لها مدة تنتهي إليها. وليس في أثر عمر هذا، إلا أنه يخرج أهل النار من النار، والخروج لا يكون إلا وهي باقية، فإنك لو قلت: لو لبث زيد في الدار كذا وكذا ثم خرج منها، لم يدل هذا على فناء الدار، لا مطابقة ولا تضمناً ولا تلازماً. فإن قيل: بل هو يدل على فنائها التزاماً؛ لأنه تعالى إنما خلقها ليعذب بها من عصاه، فبعد خروجهم لم يبق لها حاجة. فالحكمة تقتضي فناءها.
قلت: هذا دور؛ فإنه لا يثبت أن الحكمة تقتضي فناءها، إلا إذا لم يبق فيها أحد ولا يخرج أحد من أهلها إلا بعد فنائها كما تسمع تصريح ابن تيمية بذلك، حيث قال: (وأما كون الكفار لا يخرجون منها، ولا يخفف عنهم من عذابها ولا يقضي عليهم =

وفي تفسير علي بن أبي طلحة [(١)] عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام/ ١٢٨] قال: لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه (لا ينزلهم)[(٢)] جنةً ولا ناراً[(٣)] .

قال الطبري[(٤)]: وروي عن ابن عباس أنه كان يتأمل في هذا الاستثناء أن الله جعل أمر هؤلاء في مبلغ عذابه إياهم إلى مشيئته[(٥)] .

وهذا التفسير من ابن العباس يبطل قول من تأمل الآية على أن معناها سوى ما شاء الله من أنواع العذاب، أو قال: المعنى: إلا مدة مقامهم قبل الدخول من حين بعثوا إلى أن دخلوا، أو أنها في أهل القبلة وما بمعنى من، أو أنها بمعنى من؛ أو أنها بمعنى الواو، أي: وما شاء الله. وهذه كلها تأويلات باردة ركيكة لا تليق بالآية، ومن تأملها جزم ببطلانها[(٦)] .

= فيموتوا، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، فلم يختلف في ذلك الصحابة ولا التابعون ولا أهل السنة، وهذه النصوص وأمثالها تقتضي خلودهم في دار العذاب ما دامت باقية، ولا يخرجون منها مع بقائها البتة. هذا لفظه .

(١) سبقت ترجمته ص (٣١٠) .

(٢) في الأصل (ولا يميز) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) ذكر هذا القول عن ابن عباس ابنُ جرير الطبري في تفسيره (١١٨/٢) والأثر منقطع؛ لأن علي بن طلحة لم يسمع من ابن عباس فهو ضعيف، وإن كان المعنى صحيحاً. انظر: تعليق الألباني على رفع الأستار ص (٧١) .

(٤) انظر: ترجمته ص (٤٩٤) .

(٥) انظر: تفسير الطبري ١١٨/١٢ .

(٦) انظر: زاد المسير ٤/ ١٦٠ .

وقال السدي[(١)] في قوله تعالى: ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ/ ٢٣] قال: ([سبعمائة][(٢)] حقب، كل حقب سبعون سنة، كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً، كل يوم كألف سنة مما تعدون)[(٣)]. وتقييد لبثهم فيها الأحقاب يدل على مدة مقدورة يحصرها العدد. هذا قول الأكثرين[(٤)].

ولهذا تأول الزجاج[(٥)] الآية على أن الأحقاب تقييد لقوله: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [النبأ/ ٢٤] وأما مدة (لبثهم)[(٦)] فيها، فلا تقدر بالأحقاب[(٧)]، وهذا تأويل فاسد. فإنه يقتضي أن يكونوا بعد الأحقاب ذائقين للبرد والشراب.

وقالت طائفة أخرى: الآية منسوخة بقوله: ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾

---

(١) سبقت ترجمته ص (١٩٠).

(٢) في الأصل (سبع آية).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٧٢٨.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٧٢٧-٧٢٨ لكن قال الحسن: (إن الله لم يجعل لأهل النار مدة، بل قال: ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ فوالله ما هو إلا إذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر إلى الأبد، فليس للأحقاب عدة إلا الخلود). انظر: تفسير البغوي ٨/ ٣١٥. وانظر في كون الأحقاب لا تدل على مدة مقدرة: زاد المسير ٩/ ٨.

(٥) الزجّاج هو: الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج البغدادي. لزم المبرد، فكان يعطيه من عمل الزجاج كل يوم درهماً، فنصحه وعلمه. له مصنفات؛ منها (معاني القرآن وإعرابه) و(الإنسان وأعضاؤه) و(الاشتقاق) أخذ عنه العربية أبو علي الفارسي وغيره جماعة. توفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. انظر: العبر ١/ ٤٦١. سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٦٠.

(٦) في م، ط (مكثهم).

(٧) انظر: زاد المسير ٩/ ٨.

[الحجر/ ٤٨]، وقوله: ﴿ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة/ ٣٩] وهذا فاسد أيضاً إن أرادوا بالنسخ الرفع، فإنه لا يدخل في الخبر إلا إذا كان بمعنى الطلب، وإن أرادوا بالنسخ البيان فهو صحيح .

وهو إنما يدل على أن عذابهم دائم مستمر ما دامت باقية، فهم فيها خالدون، وما هم بمخرجين، وهذا حق معلوم دلالة القرآن والسنة عليه، لكن الشأن في أمر آخر، وهو أن النار أبدية دائمة بدوام الرب، فأين الدليل على هذا من القرآن أو السنة بوجه من الوجوه(١)؟ .

وقالت طائفة: هي في أهل التوحيد(٢). وهذا أقبح مما قبله، وسياق الآيات يرده رداً صريحاً .

ولما رأى غيرهم بطلان هذه التأويلات قال: لا يدل ذكر الأحقاب على النهاية، فإنها غير مقدرة بالعدد، فإنه لم يقل: عشرة ولا مائة، ولو قدرت بالعدد لم يدل على النهاية إلا بالمفهوم، فكيف إذا لم تقدر ؟

قالوا: ومعنى الآية أنه كلما مضى حقب تبعه حقب لا إلى نهاية(٣). وهذا الذي قالوه لا تدل الآية عليه بوجه .

وقولهم: إن الأحقاب فيها غير مقدرة فيقال: لو أريد بالآية بيان عدم انتهاء مدة العذاب لم يقيد بالأحقاب، فإن ما لا نهاية له لا يقال هو باق أحقاباً ودهوراً وأعصاراً أو نحو ذلك، ولهذا لا يقال ذلك في نعيم أهل الجنة، ولا يقال للأبدي الذي لا يزول: هو باق أحقاباً أو آلافاً من السنين،

---

(١) انظر: الأدلة من الكتاب والسنة في قسم الدراسة .

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٧٢٨. الدر المنثور ٦/ ٣٠٨ . فتح القدير ٥/ ٣٦٨ .

(٣) انظر: تفسير البغوي ٨/ ٣١٥ . زاد المسير ٩/ ٨ .

فالصحابة أفهم (الأمة)[١] لمعاني القرآن .

وقد فهم منها عمر بن الخطاب رضي الله عنه خلاف فهم هؤلاء، كما فهم ابن عباس من آية الاستثناء خلاف فهم أولئك، وفهم الصحابة في القرآن هو الغاية التي عليها المعول، وقد قال ابن مسعود: « ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد، وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً »[٢][٣] .

(وقال)[٤] ابن جرير[٥]: حديث عن المسيب[٦] عمن ذكره عن ابن عباس[٧]: ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود/ ١٠٧] قال: أمر الله النار أن تأكلهم .

قال: وقال ابن مسعود[٨]: فذكره.

---

(١) في م، ط (آية) والصواب ما أثبته .

(٢) سبق أن أوضحت أن الصنعاني في (كشف الأستار) ذكر أن هؤلاء الصحابة بريئون من القول بفناء النار. انظر: ص (١٢٦١) .

(٣) سبق تخريجه: انظر ص (١٢٦٥) .

(٤) مكررة في (م) .

(٥) سبقت ترجمته انظر: ص (٤٩٤) .

(٦) المسيب: هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن مخزوم بن يقظة، عالم أهل المدينة، سمع من عثمان وعلي وزيد بن ثابت رضي الله عنهم، وغيرهم. وروى عنه أبي بن كعب وبلال وسعد بن عبادة وآخرون. توفي سنة ثلاث وتسعين، وقيل: خمس وتسعين . انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٧ .

(٧) سبقت ترجمته ص (١٤٢) .

(٨) سبقت ترجمته ص (١٤٩) .

وقال: حدثنا محمد بن حميد[1] ثنا جرير[2] عن بيان[3] عن الشعبي[4] قال: « جهنم أسرع الدارين عمراناً وأسرعهما خراباً »[5] .

قلت: لا يدل قوله: أسرعهما خراباً على خراب الدار الأخرى كما في قوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان/ ٢٤] .

وقوله: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل/ ٥٩] .

وقوله في الحديث: « الله أعلى وأجل »[6] .

---

(١) محمد بن حميد بن حيان. العلامة، الحافظ الكبير، أبو عبد الله الرازي، حدث عن يعقوب القمي، وابن المبارك، وجرير بن عبد الحميد، وغيرهم. وحدث عنه أبوداود، والترمذي، وأحمد بن حنبل وغيرهم. مات سنة ثمان وأربعين ومائتين. انظر: تهذيب التهذيب ٣/ ١٩٩، سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٠٣ .

(٢) جرير بن عبد الحميد بن يزيد. الإمام، الحافظ، القاضي، أبو عبد الله، الضبي الكوفي حدث عن عبد الملك بن عمير وبيان بن بشرن وغيرهم. حدث عنه ابن المبارك، وأحمد بن حنبل، وخلق كثير. مات سنة ثمان وثمانين ومائة .

انظر: طبقات ابن سعد ٧/ ٣٨١ – ميزان الاعتدال ١/ ٣٩٤ .

(٣) بيان: هو بيان بن بشر الأحمس البجلي أبو بشر، الكوفي، روى عن أنس والشعبي، وعكرمة وغيرهم. وعنه شعبة والسفيانان، وغيرهم انظر: تهذيب ١/ ٥٠٦ .

(٤) هو: عامر بن شراحيل الشعبي، أبو عمر، ثقة، مشهور، فقيه، فاضل، من الثالثة. قال مكحول ما رأيت أفقه منه، مات بعد المائة . انظر: تقريب التهذيب ١/ ٣٨٧ .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره بسنده ١٢/ ١١٨ .

(٦) جزء من حديث ابن عباس الطويل في موقعة أحد عندما أشيع أن رسول الله ﷺ قتل، فصاح أبو سفيان في أسفل الجبل: أعْلُ هبل مرتين ... فقال عمر: « والله أعلى وأجل ..» أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/ ٢٨٧). والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٩٦) وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي .

وقوله: أسرعهما عمراناً يحتمل معنين: أحدهما مسارعة الناس إلى الأعمال التي يدخلون بها جهنم، وإبطاؤهم عن أعمال الدار الأخرى. والثاني أن أهلها يدخلونها قبل أهل الجنة إليها، فإن أهل الجنة إنما يدخلونها بعد عبورهم على الصراط، وبعد حبسهم على القنطرة التي وراءه، وأهل النار قد تبوؤا منازلهم منها، فإنهم لا يجوزون على الصراط ولا يحبسون على تلك القنطرة.

وأيضاً ففي الحديث الصحيح أنه « لما ينادي المنادي: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيتبع المشركون أوثانهم وآلهتهم فتتساقط بهم في النار، وتبقى هذه الأمة في الموقف حتى يأتيها ربها عز وجل، ويقول: إلا تنطلقون حيث انطلق الناس»[(١)] .

وقد ذكر الخطيب[(٢)] في تاريخه[(٣)] في (ترجمة)[(٤)] سهل بن عبيد الله بن داود ابن سليمان أبو نصر البخاري: حدثنا محمد بن نوح الجندسابوري: حدثنا جعفر بن محمد بن عيسى الناقد: حدثنا سهل بن عثمان، حدثنا عبد الله بن مسعر بن كدام، عن جعفر بن [الزبير][(٥)]، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: « يأتي على جهنم يوم ما فيها من بني

(١) جزء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل .. أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الرقاق) باب (الصراط جسر جهنم) ٧/ ٢٠٥. ومسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (معرفة طريق الرؤية) ١/ ١٦٣ من حديث أبي هريرة .

(٢) أبوبكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ، أحد الأئمة الأعلام ، روى عن أبي عمر ابن مهدي وابن الصلت الأهوزي وطبقتهما. توفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة. انظر: شذرات الذهب ٣/ ٣١١، العبر ٢/ ٣١٤ .

(٣) ٩/ ١٢٢ .

(٤) ساقطة من (م) وفي الأصل (وجه) والصواب ما أثبته من (ط) .

(٥) ساقطة من الأصل، (م) والصواب ما أثبته من (ط) .

آدم أحد، تخفق أبوابها كأنها أبواب الموحدين »[١] وليس العمدة على هذا وحده، فإن إسناده ضعيف .

وقد روي من وجه آخر عن ابن مسعود، وقد تقدم[٢] .

فصل

والذين قطعوا بأبدية النار وأنها لا تفنى لهم طرق:

أحدها: الآيات والأحاديث الدالة على خلودهم فيها، وأنهم لا يموتون[٣]، وما هم منها بمخرجين[٤]، وأن الموت يذبح بين الجنة والنار[٥]، وأن الكفار لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط[٦] وأمثال هذه النصوص[٧] .

وهذه الطريق لا تدل على ما ذكروه، وإنما تدل على أنها ما دامت باقية فهم فيها، فأين فيها ما يدل على عدم فنائها؟[٨] .

الطريق الثاني: دعوى الإجماع على ذلك، وقد ذكرنا من أقوال الصحابة

---

(١) تقدم تخريجه ص (١٢٦٧) وهو حديث ضعيف كما ذكر المصنف .

(٢) وكذا أثر ابن مسعود سبق بيان ضعفه. انظر: ص (١٢٦٠).

(٣) قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر/ ٣٦] .

(٤) قال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة ١٦٧] وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة/ ٣٧] .

(٥) رواه البخاري في كتاب (الرقاق) باب (صفة الجنة والنار) ٧/ ٢٠٠ من حديث ابن عمر .

(٦) يشير إلى قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف/ ٤٠] .

(٧) انظر: جملة من تلك النصوص في (شرح الطحاوية) ص ٤٣٠ .

(٨) للرد على ذلك انظر: قسم الدارسة .

والتابعين ما يدل على أن الأمر بخلاف ما قالوا، حتى لقد ادعى إجماع الصحابة من هذا الجانب استناداً إلى تلك النقول التي لا يعلم عنهم خلافها[١].

الطريق الثالث: أنه كالمعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن الجنة والنار لا تفنيان، بل هما باقيتان، ولهذا أنكر أهل السنة كلهم على أبي الهذيل[٢] وجهم[٣] وشيعتهما ممن قال بفناء (الجنة والنار)[٤][٥] وعدوا أقوالهم من أقوال أهل البدع التي خرجوا بها عن السنة، ولكن من أين تصح دعوى العلم النظري أن النار باقية ببقاء الله دائمة بدوامه، فضلاً عن العلم الضروري. فأين في الأدلة الشرعية أو العقلية دليل واحد يقتضي ذلك؟[٦].

الطريق الرابع: أن السنة المستفيضة أو المتواترة أخبرت بخروج أهل التوحيد من النار دون الكفار، وهذا معلوم من السنة قطعاً.

وهذا الذي قالوه حق لا ريب فيه، ولكن أهل التوحيد خرجوا منها وهي باقية لم تفن ولم تعدم، والكفار لا يحصل لهم ذلك، بل هم باقون فيها ما بقيت[٧].

---

(١) انظر: الدراسة، فقد نقلت أقوال عدد من الأئمة الذي أوضحوا أن القول بعدم فناء النار وأنها دائمة أبداً قد وصل إلى حد الإجماع.

(٢) سبقت ترجمته ص (١١١٧).

(٣) سبقت ترجمته ص (١١١٧).

(٤) ما بينهما ساقط من م، ط.

(٥) انظر: شرح الطحاوية ص (٤٢٤-٤٢٥).

(٦) انظر: في إيضاح هذه المسألة قسم الدراسة.

(٧) انظر: في إيضاح هذه المسألة قسم الدارسة.

الطريق الخامس: أن العقل يدل على خلود الكفار فيها وعدم خروجهم منها، فإن نفوسهم غير قالبة للخير، فإنهم لو أخرجوا منها لعادوا كفاراً كما كانوا، وقد أشار تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام/ ٢٨]. وهذا يدل على غاية عتوهم وإصرارهم وعدم قبول الخير فيهم بوجه من الوجوه، فلا تصلح نفوسهم الشريرة الخبيثة إلا للعذاب، ولو صلحت لصلحت على طول العذاب، فحيث لم يؤثر عذابهم تلك الأحقاب الطويلة في نفوسهم ولم يطيبها، علم أنه (لا)[١] قابلية فيهم للخير أصلاً، وأن أسباب العذاب لم تطفأ من نفوسهم، فلا يطفأ العذاب المترتب عليها .

وهذه الطريق، وإن أنكرت ببادئ الرأي، فهي طريق قوية، وهي ترجع إلى طريق الحكمة، وأن الحكمة التي اقتضت دخولهم هي التي اقتضت دخولهم.

ولكن هذه الطريق محرم سلوكها على نفاة الحكمة، وعلى مثبتيها من المعتزلة[٢] والقدرية[٣]. أما النفاة فظاهر، وأما المثبتة فالحكمة عندهم أن عذابهم لمصلحتهم، وهذا إنما يصح إذا كان لهم حالتان، حالة (يعذبون)[٤] فيها لأجل مصلحتهم، وحالة يزول عنهم العذاب ليحصل لهم تلك المصلحة، وإلا فكيف تكون مصلحتهم في عذاب لا انقطاع له أبداً .

وأما من يثبت حكمة راجعة إلى الرب تعالى، فيمكنهم سلوك هذه الطريق، لكن يقال: الحكمة لا تقتضي دوام عذابهم بدوام بقائه سبحانه، وهو لم يخبر بأنه خلقهم لذلك، وإنما يعذبون لغاية محمودة إذا حصلت حصل المقصود

---

(١) في م (أن) .

(٢) سبق تعريفها .

(٣) سبق تعريفها .

(٤) في الأصل (يعدمون) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

من عذابهم، وهو سبحانه لا يعذب خلقه سدى، وهو قادر على أن ينشئهم بعد العذاب الطويل نشأة أخرى مجردة عن تلك الشرور والخبائث التي كانت في نفوسهم، وقد أزالها طول العذاب [فإنهم خلقوا قابلين للخير على الفطرة. وهذا القبول لازم لخلقتهم، وبه أقروا][1] بصانعهم وفاطرهم، وإنما طرأ عليه ما أبطل مقتضاه، فإذا زال ذلك الطارئ بالعذاب الطويل، بقي أصل القبول بلا معارض. وأما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام/ ٢٨] فهذا قبل (مباشرتهم)[2] للعذاب، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ [3] عَلَى ٱلنَّارِ (فَقَالُوا۟)[4] يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنعام ٢٧-٢٨]، فتلك الخبائث والشرور قائمة بنفوسهم لم تزلها النار، فلو ردوا لعادوا لقيام المقتضى للعود، ولكن أين أخبر سبحانه أنه لو ردهم بعد العذاب الطويل (السرمد)[5] لعادوا لما نهوا عنه[6] .

وسر المسألة أن الفطرة الأصلية لا بد أن تعمل عملها كما عمل الطارئ

---

(١) ما بينهما زيادة من م، ط .

(٢) في م، ط (مثابرتهم) .

(٣) قال ابن جرير في معنى ﴿ وُقِفُوا۟ ﴾ ستة أقوال: أرجحها: (أنهم دخلوا إليها فعرفوا مقدار عذابها) فعلى هذا لا يستقيم ما ذكره المصنف. انظر: تفسير الطبري ١١/ ٣١٦ . زاد المسير ٣/ ٢٢ .

(٤) في م، ط (قالوا) .

(٥) في (ط) (السرمدي) .

(٦) في هذا الكلام تكلف ظاهر؛ لأن الله سبحانه ذكر أنهم لو ردوا لعادوا إلى ذلك، ولم يقيد ذلك بوقت. فرحم الله الإمام ابن القيم وعفا عنه .

عليها عمله، وهذه الفطرة عامة لجميع بني آدم، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة [(١)] عن النبي ﷺ « ما من مولود إلا يولد على الفطرة » . وفي لفظ « على هذه الملة »[(٢)] .

وفي صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعي [(٣)] عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه، قال: «وأني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينه، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به »[(٤)] .

فأخبر أن الأصل فيهم الحنيفية، وأنهم خلقوا عليها، وأن ضدها عارض فيهم باقتطاع الشياطين لهم عنها، فمن الممتنع أن يعمل أثر اقتطاع الشياطين (عمله)[(٥)] ولا يعمل أثر خلق الرحمن جل جلاله عمله والكل (يخلقه)[(٦)] سبحانه، فلا خالق سواه، ولكن ذاك خلق يحبه ويرضاه ويضاف أثره إليه، وهذا خلق يبغضه ويسخطه ولا يضاف أثره إليه، فإن الشر ليس إليه، والخير كله في يديه.

فإن قيل: فقد قال سبحانه: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال/ ٢٣] وهذا يقتضي أنه لا قابلية فيهم ولا خير عندهم البتة، ولو كان عندهم (خير)[(٧)] لخرجوا به من النار مع الموحدين، فإنه سبحانه يخرج من النار من

---

(١) سبق ترجمته ص (١٤٤) .

(٢) سبق تخريجه ص (٣٣٠) .

(٣) سبق ترجمته .

(٤) سبق تخريجه ص (١٣٠) .

(٥) ساقطة من م، ط .

(٦) في م، ط (خلقه) .

(٧) ساقطة من (ط) .

في قلبه أدنى مثقال ذرة من خير[(١)]، فعلم أن هؤلاء ليس معهم هذا القدر اليسير من الخير .

قيل: الخير في هذا الحديث هو الإيمان بالله ورسله كما في اللفظ الآخر: «أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان»[(٢)] وهو تصديق رسله، والانقياد لهم بالقلب والجوارح .

وأما الخير في الآية، فالمراد به القبول والزكاء، ومعرفة قدر النعمة، وشكر المنعم عليها. فلو علم (الله)[(٣)] سبحانه ذلك فيهم، لأسمعهم إسماعاً ينتفعون به، فإنهم قد سمعوا سماعاً تقوم به عليهم الحجة، فتلك القابلية ذهب أثرها، وتعطلت بالكفر والجحود، وعادت كالشيء المهدوم الذي لا ينتفع به، وإنما ظهر أثرها في قيام الحجة عليهم، ولم يظهر أثرها في انتفاعهم بما (علموه)[(٤)] وتيقنوه .

فإن قيل فالغلام الذي قتله الخضر طبع يوم [طبع] كافراً[(٥)] .

---

(١) يشير إلى حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير». أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (الإيمان) باب(زيادة الإيمان ونقصانه) ١/ ١٦ . ومسلم في صحيحه في كتاب (الإيمان) باب (أدنى أهل الجنة منزلة فيها) ح(٣٢٥) ١/ ١٨٢ .

(٢) جزء من حديث الشفاعة. رواه البخاري في كتاب (التوحيد) باب (كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم) ٨/ ٢٠٠. ومسلم في كتاب (الإيمان) باب (أدنى أهل الجنة منزلة فيها) ح (٣٢٦) ١/ ١٨٣ .

(٣) في م، ط (عملوه) .

(٤) زيادة من م، ط .

(٥) سبق تخريجه ص (٢٥٨، ١٢٨٧) .

وقال نوح عليه السلام عن قومه: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[1] [نوح/ ٢٧]، وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد[2] والترمذي[3] مرفوعاً: « إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى، فمنهم من يولد مؤمناً، ويحيا مؤمناً ويموت مؤمناً، ومنهم من يولد كافراً، ويحيا كافراً، ويموت كافراً » الحديث[4] .

قيل: هذا لا يناقض كونه مولوداً على الفطرة، فإنه طبع وولد مقدراً كفره إذا عقل، وإلا ففي حال [ولادته][5] لا يعرف كفراً ولا إيماناً، فهي حال مقدرة لا مقارنة للعامل، فهو مولود على الفطرة، ومولود كافراً باعتبارين صحيحين ثابتين له: هذا بالقبول وإيثار الإسلام ولو خلي، وهذا بالفعل والإرادة إذا عقل. فإذا جمعت بين الفطرة السابقة، والرحمة السابقة الغالبة، والحكمة البالغة، والغنى التام، وقرنت بين فطرته ورحمته وحكمته وغناه تبين لك الأمر.

---

(١) قال المفسرون: إن الله تعالى أخبر نوحاً أنهم لا يلدون مؤمناً، فلذلك علم الفاجر الخارج عن الطاعة . انظر: زاد المسير ٨/ ٣٧٥ .

(٢) سبقت ترجمته ص (١٤٠) .

(٣) محمد بن عيسى بن الضحاك السلمي (أبو عيسى الترمذي) الضرير، تلميذ أبي عبدالله البخاري، ومشاركه فيما يرويه، وأحد الأئمة الأعلام. مات سنة تسع وسبعين ومائتين. انظر: شذرات الذهب ٢/ ١٧٤-١٧٥- تهذيب التهذيب ٩/ ٣٨٧-٣٨٩ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ١٩. والترمذي في كتاب (الفتن) باب (ما جاء ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة)٤/ ٤٨٣، قال أبو عيسى: (وفي الباب عن حذيفة وأبي مريم وأبي زيد بن أخطب والمغيرة بن شعبة. وذكروا أن النبي ﷺ حدثهم بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة. وهذا حديث حسن صحيح) .

(٥) في الأصل و م : (ولاده) والصواب ما أثبته من ط .

الطريق السادس: قياس دار العدل على دار الفضل، وأن هذه كما أنها أبدية فالأخرى كذلك، لأن هذه توجب (رحمته وهذه توجب)[١] عدله، وعدله ورحمته من لوازم ذاته .

وهذه الطريق غير نافذة، فإن العدل (حقه)[٢] سبحانه لا يجب عليه أن يستوفيه، ولا يلحقه بتركه نقص ولا ذم بوجه من الوجوه، والفضل وعده الذي وعد به عباده، وأحقه على نفسه .

والفرق بين الدارين من وجوه عديدة شرعاً وعقلاً :

أحدها: أن الله سبحانه أخبر بأن نعيم الجنة ما له من نفاد[٣]، وأن عطاء أهلها غير مجذوذ[٤]، وأنه غير ممنون[٥]، ولم يجيء ذلك في عذاب أهل النار.

الثاني: أنه أخبر بما يدل على انتهاء عذاب أهل النار في عدة آيات كما تقدم، ولم يخبر بما يدل على انتهاء نعيم أهل الجنة، ولهذا احتاج القائلون بالتأبيد الذي لا انقطاع له إلى تأويل تلك الآيات، ولم يجيء في نعيم أهل الجنة ما يحتاجون إلى تخصيصه بالتأويل .

الثالث: أن الأحاديث التي جاءت في انتهاء عذاب النار لم يجيء شيء منها في انتهاء نعيم الجنة .

الرابع: أن الصحابة والتابعين إنما ذكروا انقطاع العذاب ولم يذكر أحد

---

(١) ما بينهما ساقط من م، ط .

(٢) في الأصل (لله) والصواب ما أثبته من (م، ط) .

(٣) قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص / ٥٤] .

(٤) قال سبحانه: ﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود/١٠٨] .

(٥) قال سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ﴾ [الانشقاق/ ٢٥] .

منهم انقطاع النعيم .

الخامس: أنه ثبت أن الله سبحانه يدخل الجنة [بلا][١] عمل أصلاً[٢] بخلاف النار .

السادس: أنه سبحانه ينشئ في الجنة خلقاً (ينعمهم)[٣] فيها، ولا ينشئ في النار خلقاً يعذبهم بها[٤] .

السابع: أن الجنة من مقتضى رحمته والنار من مقتضى غضبه، وأن الذين يدخلون النار أضعاف أضعاف الذين يدخلون الجنة، فلو دام عذاب هؤلاء كدوام نعيم هؤلاء لغلب غضبه رحمته، فكان الغضب هو الغالب السابق، وهذا ممتنع .

الثامن: أن الجنة دار فضله والنار دار عدله، وفضله يغلب عدله.

---

(١) في الأصل (بما) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) يشير إلى ما ورد في حديث أبي سعيد لخدري رضي الله عنه الطويل، وفيه: «فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون. فيقول الجبار: بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار، فيخرج أقواماً قد امتحشوا ...» الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (التوحيد) باب (قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ ﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣]، ومسلم في كتاب (الإيمان) باب (معرفة طريق الرؤية) ح(١٨٣)١/ ١٧٠ .

(٣) في (ط) (يمنعهم) .

(٤) يشير إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه: « تحاجت الجنة والنار ...»، وفيه: «وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقاً » وأنس أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (تفسير القرآن) باب (قوله. وتقول هل من مزيد)٦/ ٤٨ . ومسلم في صحيحه في كتاب (الجنة وصفة نعيمها وأهلها) باب (النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء) ح(٢٨٤٦)٣/ ٢١٨٧ من حديث أبي هريرة وحديث أنس .

التاسع: أن النار دار استيفاء حقه الذي له، والجنة دار وفاء حقه الذي أحقه هو على نفسه، وهو سبحانه يترك حقه، ولا يترك الحق الذي أحقه على نفسه .

العاشر: أن الجنة هي الغاية التي خلقوا لها في الآخرة، وأعمالها هي الغاية التي خلقوا لها في الدنيا، بخلاف النار؛ فإنه سبحانه لم يخلق خلقه للكفر به والإشراك، وإنما خلقهم لعبادته ليرحمهم .

الحادي عشر: أن النعيم من موجب أسمائه وصفاته، والعذاب إنما هو من أفعاله، قال تعالى: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر/ ٤٩-٥٠] .

وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ (لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ)(١)﴾ [الأعراف/ ١٦٧] .

وقال: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة/ ٩٨].

وما كان من مقتضى أسمائه وصفاته فإنه يدوم بدوامه.

فإن قيل: فالعذاب صادر عن عزته وحكمته وعدله، وهذه أسماء حسنى وصفات كمال فيدوم ما صدر عنها بدوامها.

قيل: لعمر الله إن العذاب صدر عن عزة وحكمة وعدل، وانتهاؤه عند حصول المقصود منه يصدر عن عزة وحكمة وعدل، فلم يخرج العذاب ولا انقطاعه عن عزته وحكمته وعدله، ولكن عند انتهائه تكون عزةً مقرونةً برحمة وحكمةً مقرونةً بجود وإحسان وعفو وصفح، فالعزة والحكم لم

---

(١) في الأصل(هو الغفور الرحيم) والصواب ما أثبته .

(يزولا)[١] ولم ينقصا، بل (يصدر)[٢] جميع ما خلقه ويخلقه وأمر به ويأمر به عن عزته وحكمته .

الثاني عشر: أن العذاب مقصود لغيره لا لنفسه، وأما الرحمة والإحسان والنعيم، فمقصود لنفسه، (فالنعيم والإحسان)[٣] غاية، والألم وسيلة، فكيف (يقابل)[٤] أحدهما بالآخر .

الثالث عشر: أنه سبحانه أخبر أن رحمته وسعت كل شيء[٥] وأن رحمته سبقت غضبه[٦]، وأنه كتب على نفسه الرحمة[٧]، فلابد أن تسع رحمته هؤلاء المعذبين، فلو بقوا في العذاب لا إلى غاية لم تسعهم رحمته، وهذا ظاهر جداً .

فإن قيل: فقد قال سبحانه عقيبها: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف/ ١٥٦] إلى آخر الآية، فخرج غيرهم منها لخروجهم من الوصف الذي يستحق به .

---

(١) في (ط) (يزول) .

(٢) في م، ط (صدر) .

(٣) في م، ط (فالإحسان والنعيم) .

(٤) في م، ط (يقاس) .

(٥) قال سبحانه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف/ ١٥٦] .

(٦) يشير إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه أن رحمتي سبقت غضبي». أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (التوحيد) باب (﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ (ص/ ١٨٧)، وأخرجه مسلم بنحوه من حديث أبي هريرة في كتاب (التوبة) باب (في سعة رحمة الله) ح (٢٧٥١) ٣/ ٢١٠٧ .

(٧) قال سبحانه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام/ ٥٤] .

قيل: الرحمة المكتوبة لهؤلاء هي غير الرحمة الواسعة لجميع الخلق، بل هي رحمة خاصة خصهم بها دون غيرهم، وكتبها لهم دون من سواهم، وهم أهل الفلاح الذي لا يعذبون، بل هم أهل الرحمة والفوز والنعيم. وذكر الخاص بعد العام استطراداً، وهو كثير في القرآن. بل قد يستطرد من الخاص إلى العام كقوله: ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٩-١٩٠] .

فهذا استطراد من ذكر الأبوين إلى ذكر الذرية. ومن الاستطراد قوله: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ (ٱلدُّنْيَا)[1] بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات/ ٦]، ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك/ ٥].

فالتي جعلت رجوماً ليست هي التي زينت بها السماء، ولكن استطرد من ذكر النوع إلى نوع آخر، وأعاد ضمير الثاني على الأول لدخولها تحت جنس واحد .

فهكذا قوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف/ ١٥٦] فالمكتوب للذين يتقون نوع خاص من الرحمة الواسعة، والمقصود أن الرحمة لا بد أن تسع أهل النار[2]، ولا بد أن تنتهي حيث ينتهي

---

(١) ساقطة من (م) .

(٢) في هذا الكلام من التكلف ما هو ظاهر وواضح. وحسبه رحمه الله أنه مجتهد في ذلك حيث ظن رحمه الله أن الرحمة لا تكون متحققة إلا إذا شملت الكفار. وهذا الأمر غير صحيح؛ فقد روى ابن جرير الطبري أنها لما نزلت ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ =

العلم، كما قالت الملائكة: ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر/ ٧].

الرابع عشر: أنه قد صح عنه ﷺ (في)[1] حديث الشفاعة قول أولي العزم[2]: «إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله»[3].

وهذا صريح في أن ذلك الغضب العظيم لا يدوم، ومعلوم أن أهل النار إنما دخلوها بذلك الغضب، فلو دام ذلك الغضب (العظيم)[4] لدام عذابهم، إذ هو موجب ذلك الغضب. فإذا رضي الرب تبارك وتعالى وزال ذكر الغضب زال موجبه، وهذا كما أن عقوبات الدنيا العامة وبلاءها آثار غضبه، فإذا استمر غضبه استمر ذلك البلاء، فإذا رضي وزال غضبه زال البلاء وخلفته الرحمة.

= قال إبليس: أنا من ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ قال الله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية. فقالت اليهود: ونحن نتقي ونؤتي الزكاة، فأنزل الله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ قال: نزعها الله عن إبليس، وعن اليهود، وجعلها لأمة محمد. سأكتبها للذين يتقون من قومك. انظر: تفسير الطبري ١٣/ ١٥٧.

(١) ساقطة من م، ط.

(٢) أولو العزم: هم من الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهم: نبينا محمد ﷺ، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى. عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم. وقد ذكرهم الله سبحانه على انفرادهم في موضعين من كتابه في [الأحزاب/ ٧] و[الشورى/ ١٣].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (الأنبياء) باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إلى آخر السورة، ٤/ ١٠٥ من حديث أبي هريرة. ومسلم في صحيحه في كتاب (الإيمان) باب (أدنى أهل الجنة منزل فيها) ح(٣٢٧) ٤/ ١٨٤ من حديث أبي هريرة.

(٤) ساقطة من م، ط.

الخامس عشر: أن رضاه أحب إليه من غضبه، وعفوه أحب إليه من عقوبته، ورحمته أحب إليه من عذابه، وعطاءه أحب إليه من منعه. وإنما يقع الغضب والعقوبة والمنع بأسباب تناقض موجب تلك الصفات والأسماء، وهو سبحانه كما يحب أسماءه وصفاته، فإنه [1] يحب آثارها وموجبها كما في الحديث أنه: « وتر يحب الوتر، جميل يحب الجمال، نظيف يحب النظافة، عفو يحب العفو »[2] .

وهو شكور يحب الشاكرين، عليم يحب العالمين، (جواد يحب أهل الجود)[3]

---

(١) ساقطة من (ط) .

(٢) لم أجد حديثاً بهذا اللفظ، إنما كل جزء منه ورد في حديث مستقل. قوله: « وتر يحب الوتر» : أخرجه البخاري في كتاب (الدعوات) باب (لله عز وجل مائة اسم غير واحد) ٧/ ١٦٩، ومسلم في كتاب (الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار) باب (في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها) ح(٢٦٧٧) ٣/ ٢٠٦٢ .

قوله: «جميل يحب الجمال»: رواه مسلم في كتاب (الإيمان) باب (تحريم الكبر وبيانه) ح(١٤٧) ١/ ٩٣ .

قوله: «نظيف يحب النظافة»: رواه الترمذي في كتاب (الأدب) باب (ما جاء في النظافة) ح (٢٧٩٩) ٥/ ١١١ من حديث سعيد بن المسيب، قال أبو عيسى: (هذا حديث غريب وخالد بن إلياس يضعف) .

قوله: «عفو يحب العفو» : أخرجه الترمذي بنحوه في كتاب (الدعوات) باب (٨٥) ح(٣٥١٣)٥/ ٥٣٤، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، وأحمد في مسنده من حديث عائشة ٦/ ١٧١، ١٨٢، ١٨٣، وابن ماجة في سننه في كتاب (الدعاء) باب (الدعاء بالعفو والعافية) ح(٣٨٥٠)٢/ ١٢٦٥ .

(٣) أخرجه الترمذي بنحوه في كتاب (الأدب) باب (ما جاء في النظافة) ح(٢٧٩٩) ٥/ ١١١ من حديث سعيد بن المسيب، قال أبو عيسى (هذا حديث غريب، وخالد بن إلياس يضعف) .

(حَيِيٌ [سِتِّير][١] يحب أهل الحياء والستر)[٢]، صبور يحب الصابرين[٣]، رحيم يحب الرحماء. فهو يكره ما يضاد ذلك، ولذلك كره الكفر والفسوق والعصيان[٤] والظلم والجهل، لمضادة هذه الأوصاف لأوصاف كماله، (فلا بد أن يكون المترتب على هذه الأوصاف أكره إليه من الأثر الذي يترتب على الأوصاف)[٥] الموافقة لأسمائه وصفاته، ولكن يريده سبحانه لاستلزامه ما يحبه ويرضاه، فهو مراد له إرادة اللزوم المقصودة لغيرها، إذ هي مفضية إلى ما يحب، فإذا حصل بها ما يحبه وأدت إلى الغاية (المقصودة)[٦] له سبحانه، لم تبق مقصودة لا لنفسها ولا لغيرها، فتزول وتخلفها أضدادها التي هي أحب إليه سبحانه منها، وهي موجب أسمائه وصفاته. فإن فهمت سر هذا الوجه، وإلا فجاوزه إلى ما قبله، ولا تعجل بإنكاره .

هذا وسر المسألة أنه سبحانه حكيم رحيم، إنما يخلق بحكمة ورحمة، فإذا عذب من يعذب لحكمة كان هذا جارياً على مقتضاها، كما يوجد في الدنيا

---

(١) في الأصل (ستار) والصواب ما أثبته من (م) .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب (الحمام) باب (النهي عن التعري) ح(٤٠١٢)٤/ ٣٠٤. وأخرجه النسائي بنحوه في كتاب (الغسل والتيمم) باب (الاستتار عند الاغتسال) ح(٧) ١/ ٢٠٠، قال الألباني (صحيح) انظر: (صحيح الجامع الصغير وزيادته) ح (١٧٥٢) ٢/ ١٠٨ .

(٣) قال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران/ ١٤٦] .

(٤) قال سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات/ ٧] .

(٥) ما بينهما ساقط من م، ط .

(٦) في الأصل (أي المقصودة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

من العقوبات الشرعية والقدرية (إذ فيها)[١] من التهذيب والتأديب والزجر والرحمة واللطف ما يزكي النفوس ويطيبها، ويمحصها من شرها وخبثها .

والنفوس الشريرة الظالمة التي لو ردت إلى الدنيا قبل العذاب، لعادت لما نهت عنه لا يصلح أن تسكن دار السلام [٢] التي تنافي الكذب والشر والظلم. فإذا عذبت هذه النفوس بالنار عذاباً يخلصها من ذلك الشر ويخرج خبثها كان هذا معقولاً في الحكمة، كما يوجد في عذاب الدنيا، وخلق من فيه الشر يزول بالتعذيب من تمام الحكمة .

أما خلق نفوس شريرة لا يزول شرها البتة، وإنما خلقت للشر المحض وللعذاب السرمد الدائم بدوام خلقها سبحانه، فهذا لا يظهر موافقته للحكمة والرحمة، وإن دخل تحت القدرة، فدخوله تحت الحكمة والرحمة ليس بالبين[٣].

فهذا ما وصل إليه النظر في هذه المسألة التي [تكع][٤] [٥] فيها عقول العقلاء، وكنت سألت عنها شيخ الإسلام قدس الله روحه، فقال لي: (هذه [المسألة][٦] عظيمة كبيرة)، ولم يجب فيها بشيء، فمضى على ذلك زمن

---

(١) ساقطة من م، ط .

(٢) قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ [يونس/ ٢٥].

(٣) قلت: لا يلزم أن تظهر الحكمة في كل أمر يأمر الله به أو نهي ينهى عنه، بل يكفي أن نعرف حكم الله سبحانه في هذه المسألة أو غيرها، ثم علينا التصديق والانقياد لأمر الله سبحانه، سواء ظهرت لنا الحكمة أم لا. ولا شك أن النقل الصحيح يوافق العقل الصحيح.

(٤) في الأصل (بلغ) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٥) (تكع) أي تضعف وتجبن .

(٦) في الأصل (مسالة) .

حتى رأيت في تفسير [عبد][١] بن حميد الكشي[٢] بعض تلك الآثار التي ذكرت، فأرسلت إليه الكتاب وهو في مجلسه الأخير، وعلّمت على ذلك الموضع، وقلت [للرسول][٣]: قل له (إن)[٤] هذا الموضع (مشكل)[٥] عليه، ولا يدري ما هو، فكتب فيها مصنفه المشهور[٦] رحمه الله عليه، فمن كان عنده فضل علم فليحدثه، فإن فوق كل ذي علم عليماً .

وأنا في هذه المسألة على قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[٧] [رضي الله عنه][٨]، فإنه ذكر دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ووصف ذلك أحسن صفة، ثم قال: « ويفعل الله بعد ذلك في خلقه ما يشاء »[٩] .

وعلى مذهب عبد الله بن عباس[١٠] رضي الله عنهما حيث يقول: « لا

---

(١) في الأصل (عبيد) والصواب ما أثبته من (ط) .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) في (الأصل) (للرسل) . والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) ساقطة من م، ط .

(٥) في م، ط، (يشكل) .

(٦) يعني كتاب شيخ الإسلام (الرد على من قال بفناء الجنة والنار وبيان الأقوال في ذلك) مطبوع عام ١٤١٥هـ تحقيق د/ محمد السمهري .

(٧) هو: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عم الرسول ﷺ وزوج ابنته فاطمة، من السابقين الأولين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ورابع الخلفاء الراشدين، قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي غيلة في رمضان سنة أربعين. انظر: شذرات الذهب ١/ ٤٩، الإصابة ٢/ ٥٠٧ .

(٨) في الأصل (كرم الله وجهه) ولعل الأولى ما أثبته .

(٩) لم أعثر عليه. وقد ذكره الألباني في مقدمة كتاب (رفع الأستار) ص٣٦ ولم يخرجه .

(١٠) سبق ترجمته ص (١٤٢) .

ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنة ولا ناراً»[١] . وذكر في تفسير قوله: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام/ ١٢٨] .

وعلى مذهب أبي سعيد الخدري[٢] حيث يقول: انتهى القرآن كله إلى هذه الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود/ ١٠٧][٣] .

وعلى مذهب قتادة[٤] حيث يقول في قوله :﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود/ ١٠٨] الله أعلم بتبيينه على ما وقعت[٥] .

وعلى مذهب ابن زيد[٦] حيث يقول: «أخبرنا الله الذي يشاء لأهل الجنة، فقال: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود/ ١٠٨] ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار»[٧] .

والقول بأن النار وعذابها دائم بدوام الله خبر عن الله عز وجل بما يفعله،

---

(١) سبق بيان أن هذا الأثر منقطع . انظر: ص (٣٢٩) .

(٢) سبقت ترجمته ص (٣٢٩) .

(٣) أورد السيوطي هذا الأثر في تفسيره، وقال: أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والبيهقي. الدر المنثور ٣/ ٣٥٠ .كما أورده الشوكاني في تفسيره. انظر فتح القدير ٢/ ٥٢٧ .

(٤) سبقت ترجمته ص(٣٢٦) .

(٥) أورده السيوطي باختلاف يسير في (الدر المنثور) ٣/ ٣٥٠، وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة .

(٦) سبقت ترجمته ص (١٠١٨) .

(٧) ذكره ابن جرير في تفسيره قال: حدثني يونس، قال: أخبرنا وهب، قال: قال ابن زيد في يقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ فقرأ حتى بلغ عطاء غير مجذوذ، ثم ذكره. كما ذكره السيوطي في (الدر المنثور) ٣/ ٣٥٠ قال: «أخرج ابن جرير عن ابن زيد ...» ثم ذكره .

فإن لم يكن مطابقاً لخبره عن نفسه بذلك، وإلا كان قولاً بغير علم، والنصوص لا تفهم ذلك[١] . والله أعلم .

فصل

وهاهنا مذاهب أخرى باطلة، منها قول من قال: إنهم يعذبون في النار مدة لبثهم في الدنيا[٢] . وقول من قال: إنها تتقلب عليهم طبيعة نارية يلتذون بها كما يلتذ صاحب الجرب بالحك[٣] .

وقول من يقول: إنها تفنى هي والجنة جميعاً، ويعودان عدماً (محضاً)[٤][٥] وقول من يقول: تفنى حركتهما، ويبقى (أهلها)[٦] في سكون دائم[٧]. ولم يوفق للصواب في هذا الباب غير الصحابة رضوان الله عليهم ومن سلك سبيلهم، وبالله التوفيق .

فصل

فإن قيل: فما الحكمة في كون الكفار أكثر من المؤمنين، وأهل النار أضعاف أضعاف أهل الجنة، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ

---

(١) للرد على ذلك راجع الدراسة .

(٢) ذكره الزجاج عن أهل المعاني . انظر: الجامع لأحكام القرآن ٩/ ١٠٠ .

(٣) هذا قول إمام الاتحادية ابن عربي الطائي. انظر: شرح الطحاوية ص ٤٢٧، وحادي الأرواح ص ٢٤٨ .

(٤) ساقطة من م، ط .

(٥) وهذا قول جهم وشيعته . انظر: شرح الطحاوية ص٤٢٧ وحادي الأرواح ص٢٤٩ .

(٦) في الأصل (أهلهما) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٧) هذا قول أبي الهذيل العلاف إمام المعتزلة . انظر: شرح الطحاوية ص٤٢٧، وحادي الأرواح ص ٢٤٩. وهناك أقوال أخرى في المسألة . انظر: حادي الأرواح ص ٢٤٨-٢٤٩ .

حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف/ ١٠٣] ، وقال: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ / ١٣] .

وبَعْثُ النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، وواحد إلى الجنة[(١)] وكيف نشأ هذا عن الرحمة (الواسعة)[(٢)] الغالبة وعن الحكمة البالغة؟ وهلا كان الأمر بضد من ذلك؟

قيل: هذا السؤال من أظهر الأدلة على قول الصحابة والتابعين في هذه المسألة، وأن الأمر يعود إلى الرحمة التي وسعت كل شيء وسبقت الغضب وغلبته، وعلى هذا فاندفع السؤال بالكلية .

ثم نقول: المادة الأرضية اقتضت حصول التفاوت في النوع الإنساني، كما في المسند والترمذي عنه ﷺ: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فكان منهم الخبيث والطيب، والسهل والحزن»[(٣)]، وغير ذلك .

فاقتضت مادة النوع الإنساني تفاوتهم في أخلاقهم وإراداتهم وأعمالهم، ثم اقتضت حكمة العزيز الحكيم أن ابتلى المخلوق من هذه المادة بالشهوة والغضب، والحب والبغض، ولوزامها، وابتلاه بعدوه الذي لا يألوه خبالاً، ولا يغفل عنه، ثم ابتلاه مع ذلك بزينة الدنيا، وبالهوى الذي أمر بمخالفته، وهذا على ضعفه وحاجته .

وزُيِّن له حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب

---

(١) تقدم تخريجه وهو صحيح .

(٢) ساقطة من م، ط .

(٣) أخرجه أحمد ٤/ ٤٠٦، وأبو داود في كتاب (السنة) باب (في القدر) ح(٤٦٩٣) ٥/ ٦٧، والترمذي في كتاب (تفسير القرآن) باب (ومن سورة البقرة) ح(٢٩٥٥) ٥/ ٢٠٤ وقال: (هذا حديث حسن صحيح). وقد تقدم ص١١٨٨ .

والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث[1]، وأمره بترك قضاء أوطاره وشهواته في هذه الدار الحاضرة العتيدة المشاهدة إلى دار أخرى، غايته إنما تحصل فيها بعد طي الدنيا والذهاب بها .

وكان مقتضى الطبيعة الإنسانية أن لا يثبت على هذا الابتلاء أحد، وأن يذهب الناس كلهم مع ميل الطبع ودواعي الغضب والشهوة، فلم يحل بينهم وبين ذلك خالقهم وفاطرهم، بل أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبيَّن لهم مواقع رضاه وغضبه، ووعدهم على مخالفة هواهم وطبائعهم أكمل اللذات في دار النعيم، فلم تقو عقول الأكثرين على إيثار الآجل المنتظر بعد زوال الدنيا على هذا (الحاضر العاجل)[2] المشاهد، وقالوا: كيف يباع نقد حاضر، وهو قبض باليد، بنسيئة مؤخرة وعدنا بحصولها عد طي الدنيا وخراب العالم؟ ولسان حال أكثرهم يقول: خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به. فساعد التوفيق الإلهي من علم أنه يصلح لمواقع فضله، فأمده بقوة إيمان وبصيرة، رأى في ضوئها حقيقة الآخرة ودوامها، وما أعد الله فيها لأهل طاعته وأهل معصيته، ورأى حقيقة الدنيا وسرعة انقضائها، وقلة وفائها، وظلم شركائها، وأنها كما وصفها الله تعالى لعب ولهو وزينة وتفاخر بين أهلها وتكاثر في الأموال والأولاد، وأنها كغيث أعجب الكفار نباته، ثم يهيج فتراه مصفراً، ثم يكون حطاماً[3] .

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾ [آل عمران/ ١٤] .

(٢) في (ط) (العاجل الحاضر) .

(٣) يشير إلى قوله سبحانه: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ [الحديد/ ٢٠] .

فنشأنا في هذه الدار ونحن منها وبنوها لا نألف غيرها. وحكمت العادات (فظهر)[١] سلطان الهوى. وساعده داعي النفوس وتقاضاه موجب الطباع، وغلب الحس على العقل، وكانت الدولة له والناس على دين الملك .

ولا ريب أن الذي يخرق هذه الحجب (كلها)[٢]، ويقطع هذه العلائق، ويخالف [العوائد][٣]، ولا يستجيب (لدواعي)[٤] الطبع، ويعصي سلطان الهوى، ولا يكون إلا الأقل. ولهذا كانت المادة النارية أقل اقتضاءً لهذا الصنف من المادة الترابية، لخفة النار وطيشها، وكثرة [تنقلها][٥] وسرعة حركتها، وعدم ثباتها، (وأما)[٦] المادة الملكية (فبريئة)[٧] من ذلك، فلذلك كان المخلوق (منها)[٨] خيراً كله، فالعقلاء المخاطبون مخلوقون من هذه المواد الثلاث .

واقتضت الحكمة أن يكونوا على هذه الصفة والخلقة، ولو كانوا على غير ذلك، لم يحصل مقصود الامتحان والابتلاء، وتنوع العبودية، وظهور آثار الأسماء والصفات .

فلو كان أهل الإيمان والخير هم الأكثرين الغالبين، لفاتت مصلحة الجهاد وتوابعه، التي هي من أجلِّ أنواع العبودية، وفات الكمال المترتب على ذلك،

---

(١) في م، ط (قهر) .

(٢) ساقطة من م، ط .

(٣) في الأصل (العوائق) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) في م، ط (الدواعي) .

(٥) في الأصل (تغلبها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٦) في م، ط (الماء) .

(٧) في (ط) (فتربه) .

(٨) ساقطة من م، ط .

فلا أحسن مما (اقتضته)[١] حكمة أحكم الحاكمين في المخلوق من هذه المواد .

ثم إنه سبحانه يخلِّص ما في المخلوق من [تينك][٢] المادتين من الخبث والشر ويمحصه، ويستخرج طيِّبه إلى دار الطيبين، ويُلقي (خبيثه)[٣] حيث تلقى الخبائث والأوساخ. وهذا غاية الحكمة، كما هو الواقع في جواهر المعادن المنتفع بها من الذهب والفضة والحديد والصفر .

[فخلاصة][٤] هذه المواد وطيبها أقل من وسخها و[خبثها][٥] والناس زرع الأرض، والخير الصافي من الزرع بعد [زوانه وقصله][٦] (وعصفه)[٧] وتبنه أقل من بقية الأجزاء، وتلك الأجزاء [كالسور][٨] له والوقاية، كالحطب والشوك للثمر، والتراب والحجارة للمعادن النفيسة .

فصل

الوجه السابع والثلاثون: قوله: وأي حكمة في تسليط أعدائه على أوليائه يسومونهم سوء العذاب؟ فكم لله في ذلك من حكم باهرة. منها حصول

(١) في ط (اقتضاه) .

(٢) في الأصل (تلك) . والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) مكررة في (م) .

(٤) في الأصل (الخلاصة) . والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٥) في الأصل (خبثها) .

(٦) زوانه: الزوان بالكسر حب يخالط البر، والزوان بالضم مثله، وقد يهمز المضموم. قصله: بسكون الصاد وفتحها: تنقيته. تقول: قصلت البر: إذا نقيته، والقُصالة بالضم: ما يعزل من البر إذا نُقي. انظر: مختار الصحاح ص (٢٤٥، ٤٧٤) .

(٧) عصفه: العصف بقل الزرع. عن الفراء، وقال الحسن: في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ أي كزرع قد أكل حبه وبقي تبنه . انظر: مختار الصحاح (٣٨٤) .

(٨) في جميع النسخ (كالصور) ولعل الصواب ما أثبته .

فنشأنا في هذه الدار ونحن منها وبنوها لا نألف غيرها. وحكمت العادات (فظهر)[١] سلطان الهوى. وساعده داعي النفوس وتقاضاه موجب الطباع، وغلب الحس على العقل، وكانت الدولة له والناس على دين الملك .

ولا ريب أن الذي يخرق هذه الحجب (كلها)[٢]، ويقطع هذه العلائق، ويخالف [العوائد][٣]، ولا يستجيب (لدواعي)[٤] الطبع، ويعصي سلطان الهوى، ولا يكون إلا الأقل. ولهذا كانت المادة النارية أقل اقتضاءً لهذا الصنف من المادة الترابية، لخفة النار وطيشها، وكثرة [تنقلها][٥] وسرعة حركتها، وعدم ثباتها، (وأما)[٦] المادة الملكية (فبريئة)[٧] من ذلك، فلذلك كان المخلوق (منها)[٨] خيراً كله، فالعقلاء المخاطبون مخلوقون من هذه المواد الثلاث .

واقتضت الحكمة أن يكونوا على هذه الصفة والخلقة، ولو كانوا على غير ذلك، لم يحصل مقصود الامتحان والابتلاء، وتنوع العبودية، وظهور آثار الأسماء والصفات .

فلو كان أهل الإيمان والخير هم الأكثرين الغالبين، لفاتت مصلحة الجهاد وتوابعه، التي هي من أجلّ أنواع العبودية، وفات الكمال المترتب على ذلك،

---

(١) في م، ط (قهر) .

(٢) ساقطة من م، ط .

(٣) في الأصل (العوائق) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) في م، ط (الدواعي) .

(٥) في الأصل (تغلبها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٦) في م، ط (الماء) .

(٧) في (ط) (فتربه) .

(٨) ساقطة من م، ط .

فلا أحسن مما (اقتضته)[١] حكمة أحكم الحاكمين في المخلوق من هذه المواد .

ثم إنه سبحانه يخلِّص ما في المخلوق من [تينك][٢] المادتين من الخبث والشر ويمحصه، ويستخرج طيِّبه إلى دار الطيبين، ويُلقي (خبيثه)[٣] حيث تلقى الخبائث والأوساخ. وهذا غاية الحكمة، كما هو الواقع في جواهر المعادن المنتفع بها من الذهب والفضة والحديد والصفر .

[فخلاصة][٤] هذه المواد وطيبها أقل من وسخها و[خبثها][٥] والناس زرع الأرض، والخير الصافي من الزرع بعد [زوانه وقصله][٦] (وعصفه)[٧] وتبنه أقل من بقية الأجزاء، وتلك الأجزاء [كالسور][٨] له والوقاية، كالحطب والشوك للثمر، والتراب والحجارة للمعادن النفيسة .

فصل

الوجه السابع والثلاثون: قوله: وأي حكمة في تسليط أعدائه على أوليائه يسومونهم سوء العذاب؟ فكم لله في ذلك من حكم باهرة. منها حصول

---

(١) في ط (اقتضاه) .

(٢) في الأصل (تلك) . والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) مكررة في (م) .

(٤) في الأصل (الخلاصة) . والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٥) في الأصل (خبثها) .

(٦) زوانه: الزوان بالكسر حب يخالط البر، والزوان بالضم مثله، وقد يهمز المضموم.
قصله: بسكون الصاد وفتحها: تنقيته. تقول: قصلت البر: إذا نقيته، والقُصالة بالضم: ما يعزل من البر إذا نُقي. انظر: مختار الصحاح ص (٢٤٥، ٤٧٤) .

(٧) عصفه: العصف بقل الزرع. عن الفراء، وقال الحسن: في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ أي كزرع قد أكل حبه وبقي تبنه . انظر: مختار الصحاح (٣٨٤) .

(٨) في جميع النسخ (كالصور) ولعل الصواب ما أثبته .

محبوبه من عبودية الصبر والجهاد، وتحمل الأذى فيه، والرضا عنه في السراء والضراء، والثبات على عبوديته وطاعته مع قوة (المعارض)(١) وغلبته وشوكته، وتمحيص أوليائه من أحكام البشرية ودواعي الطباع ببذل نفوسهم له وأذى أعدائه لهم، وتمييز الصادق من الكاذب، ومن يريد (الله)(٢) ويعبده على جميع الحالات ممن يعبده على حرف(٣)، وليحصل له مرتبة الشهادة التي هي من أعلى المراتب(٤) .

ولا شيء أبر عند الحبيب من بذل محبة نفسه في مرضاته ومجاهدة عدوه، (فلله كم) (٥) في هذا التسليط من نعمة ورحمة وحكمة .

وإذا شئت أن تعلم ذلك، فتأمل الآيات من أواخر آل عمران من قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ [آل عمران/ ١٣٧] إلى قوله: ﴿[إِنَّمَا](٦) ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران/ ١٧٥] إلى قوله: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ

---

(١) في الأصل (العارض) ولوع الصواب ما أثبته من (ط) .

(٢) ساقطة من م، ط .

(٣) يشير إلى قوله سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج/ ١١] .

(٤) ورد من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: « إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض. فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة. أراه قال: وفوقه عرش الرحمن ..» الحديث أخرجه البخاري في كتاب (الجهاد والسير) باب (درجات المجاهدين في سبيل الله) ٣/ ٢٠١ .

(٥) في (ط) (فكم الله) .

(٦) ساقطة من الأصل .

يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ [آل عمران/ ١٧٩] .

فكان هذا التمييز من بعض حكم ذلك التسليط، ولولا ذلك التسليط لم تظهر فضيلة الصبر والعفو والحِلم وكظم الغيظ، ولا حلاوة النصر والظفر والقهر، فإن الأشياء يظهر حسنها بأضدادها، ولولا ذلك التسليط لم يستوجب الأعداء المحقَ والإهانة والكبت، فاستخرج ذلك من القوة إلى الفعل ما عند أوليائه، فاستحقوا كرامتهم عليه، وما عند أعدائه فاستحقوا عقوبتهم عليه، فكان هذا التسليط مما أظهر حكمته وعزته ورحمته ونعمته في الفريقين، وهو العزيز الحكيم .

الوجه الثامن والثلاثون: قوله: وأي حكمة في تكليف الثقلين وتعرضهم بذلك للعقوبة وأنواع المشاق؟

فاعلم أنه لولا التكليف، لكان خلق الإنسان عبثاً وسدى، والله يتعالى عن ذلك. وقد نزه نفسه عنه كما نزه نفسه عن العيوب والنقائص، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون / ١١٥] .

وقال: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة / ٣٦] .

قال الشافعي[(١)]: « لا يؤمر ولا ينهى »[(٢)] .

---

(١) هو: محمد بن إدريس بن العباس، أبو عبد الله، الشافعي. ولد بغزة من بلاد الشام، وقيل بعسقلان، وقيل باليمن، ونشأ بمكة. أحد أئمة المذاهب الأربعة، سمع من مالك بن أنس، وإبراهيم بن سعد، وسفيان بن عيينة، وغيرهم. حدث عنه الحميدي، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأحمد بن حنبل، وسليمان بن داود الهاشمي، وخلق سواهم. توفي سنة أربع ومائتين. انظر: حلية الأولياء ٩/ ٦٣، طبقات الحنابلة ١/ ٢٨٠، الوافي بالوفيات ٢/ ١٩١ .

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٧٠٨ وهو مروي أيضاً عن مجاهد، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم (انظر المصدر السابق) .

ومعلوم أن ترك الإنسان كالبهائم مهملاً معطلاً مضاد للحكمة، فإنه خلق لغاية كماله، وكماله أن يكون عارفاً بربه، محباً له، قائماً بعبوديته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات/ ٥٦]. وقال: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق/ ١٢]. وقال: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة/ ٩٧] .

فهذه المعرفة وهذه العبودية هما غاية الخلق والأمر، وهما أعظم كمال الإنسان، والله تعالى من عنايته به ورحمته له عرضه لهذا الكمال، وهيأ له أسبابه الظاهرة والباطنة، ومكنه منها .

ومدار التكليف على الإسلام والإيمان والإحسان، وهي ترجع إلى شكر النعم[١] كلها، دقيقها وجليلها منه، وتعظيمه وإجلاله ومعاملته، بما يليق أن يعامل به، فتذكر آلاؤه، ويشكر فلا يكفر، ويطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، هذا مع تضمن التكليف لاتصاف العبد بكل خلق جميل، (وإتيانه)[٢] بكل فعل (حسن)[٣] وقول سديد، واجتنابه لكل خلق سيئ، وترك كل فعل قبيح وقول زور. فتكلفه متضمن لمكارم الأخلاق، ومحاسن الأفعال وصدق القول، والإحسان إلى الخليقة، وتكميل نفسه بأنواع الكمالات، وهجر أضداد ذلك والتنزه عنها، مع تعويضه بذلك التكليف للثواب الجزيل الدائم، ومجاورة ربه في دار البقاء.

---

(١) في ط (المنعم) .

(٢) في (ط) (إثباته) .

(٣) في م، ط (جميل) .

فأي الأمرين أليق بالحكمة، هذا أو إرساله [هملاً][(١)] كالخيل والبغال والحمير يأكل ويشرب وينكح كالبهائم؟ (وهل يقتضي)[(٢)] كماله المقدس ذلك؟ ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون/ ١١٦] .

وكيف يليق بذلك الكمال طي بساط الأمر والنهي، والثواب والعقاب، وترك إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وشرع الشرائع، وتقرير الأحكام؟ وهل عرف الله من جوز عليه خلاف ذلك؟ وهل ذلك إلا من سوء الظن به؟ قال تعالى: ﴿وَمَا [قَدَرُوا۟][(٣)] ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام/ ٩١] .

فحسن التكليف في العقول كحسن الإحسان والإنعام والتفضل والطول، بل هو من أبلغ أنواع الإحسان والإنعام. ولهذا (سمى سبحانه)[(٤)] ذلك نعمة ومنة وفضلاً ورحمةً، وأخبر أن الفرح به خير من الفرح بالنعم المشتركة بين الأبرار والفجار. قال تعالى: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم/ ٢٨]. فنعمة الله هاهنا (هي)[(٥)] نعمته بمحمد ﷺ وما بعثه به من الهدى ودين الحق.

وقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ (أَنفُسِهِمْ)[(٦)] يَتْلُوا۟

---

(١) في الأصل (عملاً) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) ساقطة من (م) وفي (ط) (أيقتضي) .

(٣) في الأصل (قدر) .

(٤) في الأصل (سبحانه سمى) والأولى ما أثبته من باقي النسخ .

(٥) ساقطة من م، ط .

(٦) في م، ط (منهم) .

عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران/ ١٦٤] .

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ (لَمَّا)[1] يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة/ ٢-٤] .

وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء/ ١٠٧] .

وقال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ (وَبِرَحْمَتِهِۦ)[2] فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس/ ٥٨] .

وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة/ ٣] .

وقال: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ ﴾ [البقرة/ ٢٣١] .

وقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ [لَعَنِتُّمْ][3] وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٨﴾ [الحجرات/ ٧، ٨] .

---

(١) في (ط) (لما لم) .

(٢) في من ط (ورحمته) .

(٣) في الأصل (لعندتم) والصواب ما أثبته .

وقال لرسوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء/ ١١٣].

وهل النعمة والفضل في الحقيقة إلا ذلك وتوابعه وثمراته في القلوب والأبدان والدنيا[١] والآخرة؟ وهل في العقول السليمة والفطر المستقيمة أحسن من ذلك وأليق بكمال الرب وأسمائه وصفاته؟.

الوجه التاسع والثلاثون: قوله في مناظرة الأشعري[٢] للباجي[٣] في الإخوة الثلاثة الذين مات أحدهم صغيراً، وبلغ الآخر كافراً، والثالث مسلماً[٤]، إنها مناظرة كافية (في)[٥] إبطال الحكمة والتعليل ورعية الأصلح. فلعمر الله إنها مبطلة لطريقة أهل البدع من المعتزلة[٦] والقدرية[٧] الذين يوجبون على ربهم مراعاة الأصلح لكل عبد، وهو الأصلح عندهم (وفي ظنهم)[٨]، فيشرعون له شريعة بعقولهم، ويحجرون عليه، ويحرمون عليه أن يخرج عنها، ويوجبون عليه القيام بها، ولذلك كانوا من أحمق الناس وأعظمهم تشبيهاً للخالق بالمخلوق في أفعاله، وأعظمهم تعطيلاً (له)[٩] عن

(١) في (ط) (في الدنيا) .

(٢) سبقت ترجمته ص (١٠٩٤) .

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) انظرك الملل والنحل بهامش الفصل ١/ ١١٨-١١٩ . طبقات الشافعية ٢/ ٢٥٠-٢٥١ .

(٥) في الأصل (إلى) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٦) سبق تعريفهم .

(٧) سبق تعريفهم .

(٨) ما بينهما ساقط من (ط) .

(٩) ساقطة من م، ط .

صفات كماله، فنزهوه عن صفات الكمال، وشبهوه بخلقه في الأفعال، وأدخلوه تحت الشريعة الموضوعة بآراء الرجال، وسموا ذلك عدلاً وتوحيداً بالزور والبهتان، وتلك تسمية ما أنزل الله بها من سلطان (١) .

فالعدل قيامه بالقسط في أفعاله، والتوحيد إثبات صفات كماله ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ﴾ [آل عمران/ ١٨-١٩] .

فهذا التوحيد والعدل الذي جاء به المرسلون، وذلك التوحيد والعدل الذي جاء به المعطلون .

والمقصود أن هذه المناظرة ، وإن أبطلت قول هؤلاء وزلزلت قواعدهم، فإنها لا تبطل حكمة الله التي اختص بها دون خلقه، وطوى بساط الإحاطة بها عنهم، ولم يطلعهم منها إلا على ما نسبته إلى ما خفي عنهم كقطرة من بحار الدنيا(٢) . فكم [لله](٣) سبحانه من حكمة في ذلك الذي (اخترمه)(٤)(٥) صغيراً، وحكمة في الذي مد له في العمر [حتى](٦) بلغ وأسلم، وحكمة في

---

(١) انظر: الملل والنحل بهامش الفصل ١/ ٥٤-٥٦ .

(٢) يشير إلى حديث أبي بن كعب الطويل، وفيه: « .. قال له الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر». الحديث رواه البخاري في صحيحه كتاب (الأنبياء) باب (حديث الخضر مع موسى) ٤/ ١٢٨ .

(٣) في الأصل (فكم له). والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) في (ط) (أخرمه) .

(٥) (أخرمه صغيراً) أي أماته، يقال: اخترمته المنية: أي أخذته، ويقال: اخترم الوباء ونحوه القوم: خرمهم: أي استأصلهم وأفناهم. انظر: المعجم الوسيط ١/ ٢٣٠ .

(٦) في الأصل (حين) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

الذي أبقاه حتى بلغ وكفر .

ولو كان كل من علم أنه إذا بلغ يكفر يخترمه صغيراً، لتعطل الجهاد والعبودية التي يحبها [الله][1] ويرضاها، ولم يكن هناك (معارض)[2] وكان الناس أمة واحدة، ولم تظهر آياته وعجائبه في الأمم، ووقائعه وأيامه في أعدائه، وإقامة الحجج وجدال أهل الباطل [بما يدحض][3] شبههم[4] وينصر الحق ويظهره على الباطل، وإلى أضعاف أضعاف ذلك من الحكم التي لا يحصيها إلا الله .

والله سبحانه يحب ظهور (أثر)[5] أسمائه وصفاته في الخليقة. فلو اخترم كل من علم أنه يكفر إذا بلغ لفات ذلك، وفواته مناف لكمال تلك الأسماء والصفات واقتضائها لآثارها، وقد تقدم بسط ذلك أتم من هذا[6] .

الوجه الأربعون: قوله: إنه سبحانه رد الأمر إلى محض (مشيئته)[7] بقوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ [العنكبوت/ ٢١]، وقوله: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة/ ٢٨٤]، وقوله: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر/٨] وقوله: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء/ ٢٣] .

---

(١) زيادة من م، ط .

(٢) في الأصل (تعارض) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) في الأصل (فاندحض) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) في م، ط (شبهتهم) .

(٥) ساقطة من (ط) .

(٦) انظر: مثلاً الباب الحادي والعشرين .

(٧) في (ط) (مشيئة) .

فهذا كله حق، ولكن أين فيه إبطال حكمته وحمده والغايات المحمودة المطلوبة بفعله، وأنه لا يفعل شيئاً لشيء، ولا يامر بشيء لأجل شيء، ولا سبب لفعله ولا غاية ؟ .

أفترى أصحاب الحكمة والتعليل يقولون: إنه لا يفعل بمشيئته، أو إنه يسأل عما يفعل؟ بل يقولون: إنه يفعل (بمشيئته مقارنة)[1] للحكمة والمصلحة، ووضع الأشياء مواضعها، وإنه يفعل ما يشاء بأسباب وحكم، ولغايات مطلوبة وعواقب حميدة، فهم مثبتون لملكه (وحمده)[2]، وغيرهم يثبت ملكاً بلا حمد، أو نوعاً من الحمد مع هضم الملك. (والرب)[3] تعالى له كمال الملك وكمال الحمد، [فكونه][4] يفعل ما يشاء [لا][5] يمنع أن يشاء بأسباب وحكم وغايات، وأنه لا يشاء إلا ذلك .

وأما قوله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء/ ٢٣]، فهذا لكمل علمه وحكمته، لا لعدم ذلك .

وأيضاً فسياق الآية في معنى آخر، وهو إبطال إلهية من سواه، وإثبات (الألهية)[6] له وحده. فإنه سبحانه قال: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٢١-٢٣] .

---

(١) في م، ط (بمشيئته مقارناً) .

(٢) في م، ط (وحده) .

(٣) في م، ط (إذ الرب) .

(٤) في الأصل (وكونه) .

(٥) ساقطة من م، ط .

(٦) في (ط) (الألوهية) .

فأين في هذا ما يدل على إبطال (الحكمة)[١] والتعليل بوجه من الوجوه؟ ولكن أهل الباطل يتعلقون بألفاظ نزلوها على باطلهم لا (تدل)[٢] عليهم، وبمعان متشابهة يشتبه فيها الحق بالباطل، فعمدتهم المتشابه من الألفاظ والمعاني، فإذا فصلت وبينت يتبين أنها لا دلالة فيها، وأنها مع ذلك تدل على نقض مطلوبهم. وبالله التوفيق .

* * *

---

(١) ساقطة من م، ط .

(٢) في (ط) (تنزل)

الباب الرابع والعشرون

في معنى قول السلف: من أصول الإيمان الإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره

الباب الرابع والعشرون
(في معنى)[١] قول السلف، من أصول الإيمان (الإيمان)[٢] بالقدر خيره وشره حلوه ومره

قد تقدم أن القدر لا شر فيه بوجه من الوجوه[٣]، فإنه علم الله وقدرته (وكتابته)[٤] ومشيئته، وذلك خير محض وكمال من كل وجه، فالشر ليس إلى الرب تعالى بوجه من الوجوه[٥]، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وإنما يدخل الشر الجزئي الإضافي في المقضي المقدر، ويكون شراً بالنسبة [إلى محل، وخيراً بالنسبة إلى محل آخر، وقد يكون خيراً بالنسبة][٦] إلى المحل القائم به من وجه، كما هو شر له من وجه، بل هذا هو الغالب، وهذا كالقصاص وإقامة الحدود، وقتل الكفار، فإنه شر بالنسبة إليهم لا من كل وجه، بل من وجه دون وجه، وخير بالنسبة إلى غيرهم[٧] لما

(١) ساقطة من (ط).

(٢) في الأصل (والإيمان) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) انظر: الباب الحادي والعشرين.

(٤) في م، ط (وكتابه).

(٥) أخرج مسلم في صحيحه من حديث علي بن أبي طالب ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: (وفيه): «لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك» سبق تخريجه. انظر: ص (٩٧٦).

(٦) ما بينهما زيادة من (م)، (ط).

(٧) قال سبحانه: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة/ ١٧٩].

فيه من مصلحة الزجر والنكال ودفع الناس بعضهم ببعض(١) .

وكذلك الآلام والأمراض، وإن كانت شروراً من وجه، فهي خيرات من وجوه عديدة، وقد تقدم تقرير ذلك(٢) . فالخير والشر من جنس اللذة والألم والنفع والضرر، وذلك في المقتضى المقدر، لا في نفس صفة الرب وفعله القائم به، فإن قطع يد السارق شر مؤلم ضار له، وأما قضاء الرب ذلك وتقديره عليه، فعدل وخير وحكمة ومصلحة، كما يأتي في الباب الذي بعد هذا إن شاء الله.

فإن قيل: فما الفرق بين كون القدر خيراً وشراً، وكونه حلواً ومراً؟ قيل: الحلاوة والمرارة تعود إلى مباشرة الأسباب في العاجل، والخير والشر يرجع إلى حسن العاقبة وسوئها. فهو حلو ومر في مبدئه وأوله، وخير وشر في منتهاه وعاقبته .

وقد أجرى الله سبحانه سنته وعادته أن حلاوة الأسباب في العاجل تعقب المرارة في الآجل، ومرارتها تعقب الحلاوة، فحلو الدنيا مر الآخرة. وقد اقتضت حكمته [سبحانه](٣) أن جعل اللذات تثمر الآلام، والآلام تثمر اللذات. والقضاء والقدر منتظم لذلك انتظاماً لا يخرج (عنه)(٤) شيء البتة. والشر مرجعه إلى (اللذات)(٥) وأسبابها. (والخير مرجعه إلى

(١) قال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة/ ٢٥١] .

(٢) انظر: الباب الحادي والعشرين .

(٣) زيادة من م، ط .

(٤) في الأصل (منه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٥) في الأصل (الآلام) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

[الآلام[١]] و(أسبابها)[٢] .

والخير المطلوب هو اللذات الدائمة، والشر المرهوب هو الآلام الدائمة. فأسباب هذه شرور [وإن][٣] اشتملت على لذة ما، وأسباب تلك خيرات وإن اشتملت على ألم [ما][٤]، فألم يعقب اللذة الدائمة أولى بالإيثار والتحمل من لذة تعقب الألم الدائم . فلذة ساعة في جنب ألم طويل كلا لذة، وآلام ساعة في جنب لذة طويلة كلا ألم .

* * *

---

(١) في الأصل (اللذات) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) ما بينهما ساقط من م، ط .

(٣) في الأصل (ولذة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) زيادة من (ط) .

الباب الخامس والعشرون

في امتناع إطلاق القول نفيا وإثباتا
إن الرب مريدٌ للشر وفاعلٌ له

الباب الخامس والعشرون
في امتناع إطلاق القول نفيا وإثباتا
إن الرب تعالى مريد للشر وفاعل له

هذا موضع اختلف فيه مثبتو القدر ونفاته. فقال النفاة[(١)]: لا يجوز أن يقال: إن الله سبحانه مريد للشر أو فاعل له، قالوا: (لأن مريد)[(٢)] الشر وفاعله شرير. هذا هو المعروف لغة وعقلاً وشرعاً، كما أن الظالم فاعل الظلم، والفاجر فاعل الفجور ومريده، والرب يتعالى ويتنزه عن ثبوت معاني أسماء السوء له، فإن أسماءه كلها حسنى، وأفعاله كلها خير. فيستحيل أن يريد الشر (أو يفعل الشر)[(٣)] فالشر ليس بإرادته ولا بفعله .

قالوا: وقد قام الدليل على أن فعله سبحانه (عين)[(٤)] مفعوله، والشر ليس بفعل له، فلا يكون مفعولاً له .

وقابلهم الجبرية، فقالوا: بل الرب سبحانه يريد الشر ويفعله. وقالوا: لأن الشر موجود، فلا بد له من خالق، ولا خالق إلا الله، وهو سبحانه إنما يخلق بإرادته، فكل مخلوق فهو مراد له وهو فعله. ووافقوا إخوانهم على أن الفعل [عين][(٥)] المفعول، والخلق نفس المخلوق .

ثم قالوا: والشر مخلوق له ومفعول، فهو فعله وخلقه وواقع بإرادته. قالوا: وإنما لم يطلق القول إنه يريد الشر ويفعل الشر أدباً لفظياً فقط، كما لا

---

(١) يعني القدرية النفاة .

(٢) ما بينهما في م، ط (لا يريد) .

(٣) ما بينهما ساقط من م، ط .

(٤) في ط (غير) .

(٥) في الأصل (غير) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

يطلق القول بأنه رب الكلاب والخنازير، ويطلق القول بأنه رب كل شيء وخالقه.

قالوا: وأما قولكم: إن الشرير مريد الشر وفاعله، فجوابه من وجهين :

أحدهما: إنما (يمتنع)(١) ذلك بأن الشرير من قام به الشر، وفعل الشر لم يقم بذات الرب، فإن أفعاله لا تقوم به؛ إذ هي نفس مفعولاته، وإنما هي قائمة بالخلق، ولذلك اشتقت لهم منها الأسماء، كالفاجر والفاسق والمصلي والحاج والصائم ونحوها .

الجواب الثاني: أن أسماء الرب تعالى توقيفيةٌ. ولم يسم نفسه إلا بأحسن الأسماء. قالوا: والرب تعالى أعظم من أن يكون في ملكه ما لا يريده ولا يخلقه، فإنه في الغالب غير المغلوب.

وتحقيق القول في ذلك أنه يمتنع إطلاق إرادة الشر عليه وفعله، نفياً وإثباتاً لما في إطلاق لفظ الإرادة والفعل من إيهام المعنى الباطل، ونفي المعنى الصحيح؛ فإن الإرادة تطلق بمعنى المشيئة وبمعنى المحبة والرضا.

فالأول: كقوله: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود/ ٣٤] .

وقوله: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ﴾ [الأنعام/ ١٢٥]، وقوله: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾ الإسراء/ ١٦] .

الثاني: كقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء/ ٢٧]، وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة/ ١٨٥] .

فالإرادة بالمعنى الأول تستلزم وقوع المراد، ولا تستلزم محبته والرضا به، وبالمعنى الثاني لا تستلزم وقوع المراد وتستلزم محبته (والرضا به، هذا إذا

---

(١) في م، ط (يمنع) .

تعلقت الإرادة بأفعال العباد، وأما إذا تعلقت بأفعاله هو سبحانه)[١] فإنها لا تنقسم، بل كل ما أراده من أفعاله فهو محبوب مرضي له، ففرق بين إرادة أفعاله وإرادة مفعولاته، فإن أفعاله خير كلها، وعدل ومصلحة وحكمة لا شر فيها بوجه من الوجوه.

وأما مفعولاته فهي مورد الانقسام.

وهذا إنما يتحقق على قول أهل السنة: إن الفعل غير المفعول، والخلق غير المخلوق، كما هو الموافق للعقول، والفطر، واللغة، ودلالة القرآن والحديث، وإجماع أهل السنة، كما حكاه البغوي[٢] في شرح السنة عنهم.

وعلى هذا، فهاهنا إرادتان ومرادان: إرادة أن يفعل، ومرادها فعله القائم به. وإرادة أن يفعل عبده، ومرادها مفعوله المنفصل عنه. وليسا بمتلازمين، فقد يريد من عبده أن يفعل، ولا يريد من نفسه إعانته على الفعل، وتوفيقه له وصرف موانعه عنه، كما أراد من إبليس أن يسجد لآدم[٣] ولم يرد من نفسه أن يعينه على السجود، ويوافقه له، ويثبت قلبه عليه، ويصرفه إليه. ولو أراد ذلك منه لسجد له لا محالة.

وقوله تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود/ ١٠٧، البروج/ ١٦] إخباره عن إرادته لفعله لا لأفعال عبيده. وهذا الفعل والإرادة لا ينقسم إلى خير وشر

(١) ما بينهما ساقط من م، ط.

(٢) البغوي هو الإمام العلامة المفسر المحدث الفقيه، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي. توفي سنة ٥١٦هـ. انظر: العبر ٢/ ٤٠٦، شذرات الذهب ٤/ ٤٨.

(٣) قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة/ ٣٤].

كما تقدم[١] .

وعلى هذا فإذا قيل هو مريد للشر أوهم أنه محب له وراض به. وإذا قيل: إنه لم يرده أوهم أنه (لم)[٢] يخلقه ولا كونه، وكلاهما باطل .

وكذلك إذا قيل: إن الشر فعله، أو إنه يفعل الشر، أوهم أن الشر فعله القائم به، وهذا محال. وإذا قيل: لم يفعله، أو ليس بفعل له، أوهم أنه لم يخلقه ولم يكونه، وهذا محال. فانظر ما في إطلاق هذه الألفاظ في النفي والإثبات من الحق والباطل الذي يتبين بالاستفصال والتفصيل.

وإن الصواب في هذا الباب ما دل عليه القرآن والسنة من أن الشر لا يضاف إلى الرب تعالى: (وصفاً)[٣] ولا فعلاً، ولا يتسمى باسمه بوجه من الوجوه، وإنما يدخل في مفعولاته بطريق العموم، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ ﴾ [الفلق/ ١-٢] فـ (ما) هاهنا موصولة أو مصدرية. والمصدر بمعنى المفعول، أي: من شر الذي خلقه، أو من شر مخلوقه.

وقد يحذف فاعله، كقوله حكاية عن مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن / ١٠]، وقد يسند إلى محله القائم به؛ كقول إبراهيم الخليل[٤]: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ

(١) انظر: ص (١٢٠٥) .

(٢) مكررة في الأصل .

(٣) في ط (لا وصفاً) .

(٤) إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، كان يكنى أبا الضيفان، ولد إبراهيم عليه السلام بغوطة دمشق في قرية يقال لها (برزة) في جبل يقال له (قاسيون) وقيل: (ببابل) =

يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء/ ٧٨-٨٠].
وقول الخضر[1]: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف/ ٧٩]، وقال في بلوغ الغلامين: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف/ ٨٢].

وقد جمع الأنواع الثلاثة في الفاتحة في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/ ٦-٧].

والله تعالى إنما نسب إلى نفسه الخير دون الشر، فقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ [إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ][2]﴾ [آل عمران/ ٢٦].
وأخطأ من قال: المعنى: بيدك الخير والشر[3] لثلاثة أوجه:

أحدها: أنه ليس في اللفظ ما يدل على إرادة هذا المحذوف. بل ترك ذكره قصداً وبياناً أنه ليس بمراد.

الثاني: أن الذي بيد الرب تعالى نوعان، فضل وعدل، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «يمين الله ملأى، لا يغيضها نفقة، سحاء الليل

= وهو من أولي العزم من الرسل دعا قومه إلى توحيد الله فكذبوه، وكسر أصنامهم، فقذفوه في النار فجعلها الله عليه برداً وسلاماً كما قص الله ذلك في كتابه.
انظر: البداية والنهاية ١/ ١٣٢.

(١) سبقت ترجمته.

(٢) ما بينهما زيادة من (م)، (ط).

(٣) انظر: زاد المسير ١/ ٣٦٩.

والنهار. أرأيتم ما أنفق منذ خلق الخلق، فإنه لم يغض ما في يمينه، وبيده الأخرى القسط يخفض ويرفع»[١]. فالفضل لإحدى اليدين والعدل للأخرى، وكلاهما خير لا شر فيه بوجه.

الثالث: أن قول النبي ﷺ: «لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك»[٢] كالتفسير للآية. ففرق بين الخير والشر، وجعل أحدهما في يدي الرب سبحانه، وقطع إضافة الآخر إليه مع إثبات عموم خلقه لكل شيء.

فصل

والرب تعالى يشتق له من أوصافه (ومن)[٣] أفعاله أسماء، ولا يشتق له من مخلوقاته، فكل اسم من أسمائه، فهو مشتق من صفة من صفاته، أو فعل قائم به[٤]، فلو كان يشتق له اسم باعتبار المخلوق والمنفصل (لسمي)[٥] متكوناً وساكناً ومتحركاً وطويلاً وأبيض وغير ذلك؛ لأنه خالق هذه الصفات.

فلما لم يطلق عليه اسم من ذلك ـ مع أنه خالقه ـ علم (أنه)[٦] إنما يشتق أسماءه من أفعاله وأوصافه القائمة به، وهو سبحانه لا يتصف بما هو مخلوق

---

(١) سبق تخريجه ص (٩٩٦).

(٢) سبق تخريجه ص (٩٧٦).

(٣) ساقطة من (ط).

(٤) لكن هذا مشروط بورود تسمية الله تعالى بذلك بنص من الكتاب والسنة أو أحدهما؛ وذلك لأن أسماء الله توقيفية. فما ورد به نص أطلقناه على الله، وما لم يرد تسميته به، ولكن ورد ذكره كصفة له تعالى نطلقها عليه كصفة، ولا نشتق له تعالى منها اسماً.

(٥) في (ط) (يسمى).

(٦) ساقطة من م، ط.

منفصل عنه، ولا يتسمى باسمه .

ولهذا كان قول من قال: إنه يسمى متكلماً بكلام منفصل عنه خلقه في غيره[(١)]، ومريداً (بإرادة)[(٢)] منفصلة عنه، وعدلاً بعدل مخلوق منفصل، (وخالقاً بخلق منفصلاً عنه هو المخلوق)[(٣)] قولاً باطلاً مخالفاً للعقل والنقل واللغة، مع تناقضه في نفسه (فإنه إن)[(٤)] اشتق له اسم باعتبار مخلوقاته لزم طرد ذلك في كل صفة أو فعل خلقه، وإن خص ذلك ببعض الأفعال والصفات دون بعض [كان][(٥)] تحكماً لا معنى له. وحقيقة قول هؤلاء أنه لم يقم به عدل ولا إحسان ولا كلام ولا إرادة، ولا فعل البتة، ومن تَجَهَّمَ[(٦)] منهم نفي حقائق الصفات، وقال: لم تقم به صفة ثبوتية، فنفوا صفاته وردوها إلى (السلوب)[(٧)(٨)] والإضافات[(٩)].

---

(١) انظر: شرح الطحاوية ص (١٦٩) .

(٢) في الأصل (بإرادته) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) في الأصل (هو المخلوق وخالقاً بخلق منفصل عنه مخالفاً ...) ولعل الصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) في م، ط (فإن) .

(٥) في الأصل (كما) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٦) أي اعتقد مذهب الجهمية .

(٧) في (م) (السكوت) .

(٨) السلوب: هو النفي كنفي الأسماء والصفات. انظر: التعريفات للجرجاني ص(١٢١)، المعجم الوسيط (١/ ٤٤٠) .

(٩) الإضافات: هي اعتقادهم أن الصفات منفصلة عن الله بائنة، وهي مضافة إليه لا أنها صفات قائمة به. ولهذا يقول كثير منهم، إن هذه آيات الإضافات وأحاديث الإضافات، وينكرون على من يقول: آيات الصفات وأحاديث الصفات). مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية (٥/ ٤١١-٤١٢). فهم يجعلونها إما من باب السلوب =

والنهار. أرأيتم ما أنفق منذ خلق الخلق، فإنه لم يغض ما في يمينه، وبيده الأخرى القسط يخفض ويرفع»[١]. فالفضل لإحدى اليدين والعدل للأخرى، وكلاهما خير لا شر فيه بوجه .

الثالث: أن قول النبي ﷺ: «لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك»[٢] كالتفسير للآية. ففرق بين الخير والشر، وجعل أحدهما في يدي الرب سبحانه، وقطع إضافة الآخر إليه مع إثبات عموم خلقه لكل شيء.

فصل

والرب تعالى يشتق له من أوصافه (ومن)[٣] أفعاله أسماء، ولا يشتق له من مخلوقاته، فكل اسم من أسمائه، فهو مشتق من صفة من صفاته، أو فعل قائم به[٤]، فلو كان يشتق له اسم باعتبار المخلوق والمنفصل (لسمي)[٥] متكوناً وساكناً ومتحركاً وطويلاً وأبيض وغير ذلك؛ لأنه خالق هذه الصفات.

فلما لم يطلق عليه اسم من ذلك ـ مع أنه خالقه ـ علم (أنه)[٦] إنما يشتق أسماءه من أفعاله وأوصافه القائمة به، وهو سبحانه لا يتصف بما هو مخلوق

---

(١) سبق تخريجه ص (٩٩٦) .

(٢) سبق تخريجه ص (٩٧٦) .

(٣) ساقطة من (ط) .

(٤) لكن هذا مشروط بورود تسمية الله تعالى بذلك بنص من الكتاب والسنة أو أحدهما؛ وذلك لأن أسماء الله توقيفية. فما ورد به نص أطلقناه على الله، وما لم يرد تسميته به، ولكن ورد ذكره كصفة له تعالى نطلقها عليه كصفة، ولا نشتق له تعالى منها اسماً .

(٥) في (ط) (يسمى) .

(٦) ساقطة من م، ط .

منفصل عنه، ولا يتسمى باسمه .

ولهذا كان قول من قال: إنه يسمى متكلماً بكلام منفصل عنه خلقه في غيره[(١)]، ومريداً (بإرادة)[(٢)] منفصلة عنه، وعدلاً بعدل مخلوق منفصل، (وخالقاً بخلق منفصلاً عنه هو المخلوق)[(٣)] قولاً باطلاً مخالفاً للعقل والنقل واللغة، مع تناقضه في نفسه (فإنه إن)[(٤)] اشتق له اسم باعتبار مخلوقاته لزم طرد ذلك في كل صفة أو فعل خلقه، وإن خص ذلك ببعض الأفعال والصفات دون بعض [كان][(٥)] تحكماً لا معنى له. وحقيقة قول هؤلاء أنه لم يقم به عدل ولا إحسان ولا كلام ولا إرادة، ولا فعل البتة، ومن تَجَهَّم[(٦)] منهم نفي حقائق الصفات، وقال: لم تقم به صفة ثبوتية، فنفوا صفاته وردوها إلى (السلوب)[(٧)(٨)] والإضافات[(٩)].

---

(١) انظر: شرح الطحاوية ص (١٦٩) .

(٢) في الأصل (بإرادته) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) في الأصل (هو المخلوق وخالقاً بخلق منفصل عنه مخالفاً ...) ولعل الصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) في م، ط (فإن) .

(٥) في الأصل (كما) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٦) أي اعتقد مذهب الجهمية .

(٧) في (م) (السكوت) .

(٨) السلوب: هو النفي كنفي الأسماء والصفات. انظر: التعريفات للجرجاني ص(١٢١)، المعجم الوسيط (١/ ٤٤٠) .

(٩) الإضافات: هي اعتقادهم أن الصفات منفصلة عن الله بائنة، وهي مضافة إليه لا أنها صفات قائمة به. ولهذا يقول كثير منهم، إن هذه آيات الإضافات وأحاديث الإضافات، وينكرون على من يقول: آيات الصفات وأحاديث الصفات). مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية (٥/ ٤١١-٤١٢). فهم يجعلونها إما من باب السلوب =

ونفوا أفعاله، وردوها إلى المصنوعات المخلوقات .

وحقيقة هذا أن أسماءه تعالى ألفاظ فارغة عن المعاني لا حقائق لها، وهذا من الإلحاد فيها، وإنكار أن تكون حسنى. وقد قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

وقد دل القرآن والسنة على إثبات مصادر هذه الأسماء له سبحانه وصفاً؛ كقوله تعالى: ﴿ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة/ ١٦٥] .

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات/ ٥٨] .

وقوله: ﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ ﴾ [هود/ ١٤] .

وقوله ﷺ: « **لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلق** »[١].

وقول عائشة[٢]: « **الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات** »[٣] .

= السلوب أو الإضافة فيقولون مثلاً (معنى كونه مريداً أنه غير مغلوب ولا مكره، أو بمعنى كونه خالقاً وآمراً) المصدر السابق (٥/ ٣٥٥) .

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (الإيمان) باب (في قوله عليه السلام: « **إن الله لا ينام** ») ح(١٧٩)/١/ ١٦١ .

(٢) عائشة بنت أبي بكر الصديق، أم المؤمنين، روت عن النبي ﷺ كثيراً وعن أبيها وعمر وحمزة بن عمرو الأسلمي وسعد بن أبي وقاص، وروت عنها أختها أم كلثوم بنت أبي بكر، وأخوها من الرضاعة عوف بن الحارث، وغيرهم . توفيت في السابع عشر من رمضان سنة ثمان وخمسين، ودفنت بالبقيع. انظر: سير أعلام النبلاء ٢/ ١٣٥، طبقات ابن سعد ٨/ ٥٨، تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٣٣ .

(٣) جزء من حديث رواه البخاري تعليقاً في كتاب (التوحيد) باب ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ ٨/ ١٦٧، ووصله النسائي في كتاب (النكاح) باب (الظهار) ٦/ ١٦٧، =

وقوله ﷺ: « أعوذ برضاك من سخطك »[١] .

وقوله: « أسألك (بعلمك)[٢] الغيب وقدرتك على الخلق »[٣] .

وقوله: « أعوذ بعزتك أن تضلني»[٤] .

ولولا هذه المصادر لانتفت حقائق الأسماء والصفات والأفعال، فإن أفعاله [غير][٥] صفاته وأسماؤه [غير][٦] أفعاله وصفاته، فإذا لم يقم به فعل ولا صفة، فلا معنى للاسم المجرد، وهو بمنزلة صوت لا يفيد شيئاً، وهذا غاية الإلحاد.

* * *

= وأحمد في المسند ٦/ ٤٦، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٨١، وصححه ووافقه الذهبي.
كما ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح ١٣/ ٣٧٣ .

(١) سبق تخريجه ص (١٣١) .

(٢) ساقط من (ط) .

(٣) جزء من حديث رواه النسائي ٣/ ٥٤، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٢٤، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي .

(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (التوحيد) باب (قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ٨/ ١٦٧ .
ومسلم في كتاب (الذكر والدعاء) باب (التعوذ من شر ما عمل وشر ما لم يعمل) ح(٢٧١٧)٣/ ٢٠٨٦ .

(٥) في الأصل (عن) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٦) في الأصل (عن) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

الباب السادس والعشرون

فيما دلَّ عليه قوله ﷺ: « اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بعفوك من عقوبتك ... »

الباب السادس والعشرون

فيما دل عليه قوله ﷺ: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بعفوك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»(١) من تحقيق القدر وإثباته وما تضمنه الحديث من الأسرار العظيمة

وقد دل هذا الحديث (الشريف)(٢) العظيم على أمور: منها أنه يستعاذ بصفات الرب تعالى كما يستعاذ بذاته. وكذلك يستغاث بصفاته كما يستغاث بذاته. كما في الحديث «يا حي يا قيوم، يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا إلى (أحد)(٣) من خلقك»(٤).

وكذلك قوله في الحديث الآخر: «أعوذ بعزتك أن تضلني»(٥).

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) ساقطة من م، ط .

(٣) في (ط) (حد) .

(٤) رواه أحمد (٣/ ١٢٠، ١٥٨) وأبو داود في كتاب (الصلاة) باب (الدعاء) ح(١٤٩٥) من حديث أنس. والترمذي في كتاب (الدعوات) باب (خلق الله مائة رحمة) ح (٣٥٤٤)٥/ ٥٥٠، قال أبو عيسى: (هذا حديث غريب من حديث ثابت عن أنس، وقد روي من غير هذا الوجه عن أنس). والنسائي في كتاب (السهو) باب (الدعاء بعد الذكر) ٣/ ٥٢ والحاكم في المستدرك (١/ ٥٠٣-٥٠٤) وصححه ووافقه الذهبي، كما صححه ابن القيم. انظر: ص (١٣٥٦ و١٣٥٧) .

(٥) سبق تخريجه ص (١٣٣١) .

وكذلك استعاذته بكلمات الله التامات[١] وبوجهه الكريم (وبعظمته)[٢][٣].

وفي هذا ما يدل على أن هذه صفات ثابتة وجودية، إذ لا يستعاذ بالعدم، وأنها قائمة به غير مخلوقة، إذ لا يستعاذ بالمخلوق (وبهذا احتج الإمام أحمد[٤] وغيره من أئمة السنة على أن كلمات الله غير مخلوقة)[٥] وهو احتجاج صحيح، فإن رسول الله ﷺ لا يستعيذ بمخلوق، ولا يستغيث به، ولا يدل أمته على ذلك.

ومنها: أن العفو من صفات الفعل القائمة به، وفهي رد على من زعم أن فعله عين مفعوله[٦]، فإن المفعول مخلوق، ولا يستعاذ به.

ومنها: أن بعض صفاته وأفعاله سبحانه أفضل من بعض، فإن المستعاذ به (منها)[٧] أفضل من المستعاذ منه، وهذا كما أن صفة الرحمة أفضل (من صفة الغضب)[٨]، ولذلك كان لها الغلبة والسبق، وكذلك كلامه سبحانه هو

---

(١) استعاذته ﷺ بكلمات الله التامات رواها الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب (الذكر) باب (في التعوذ من سوء القضاء) ح(٢٨٠٩) ٣/ ٢٠٨١.

(٢) في ط (وتعظيمه).

(٣) الاستعاذة بوجه الله الكريم، وبوجه الله العظيم. رواها الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٤١٩) والإمام مالك في الموطأ (٢/ ٩٥١) في كتاب (الشعر) باب (ما يؤمر به من التعوذ) وقد ذكره الإمام مالك مرسلاً.

(٤) سبقت ترجمته ص(١٤٠).

(٥) ما بينهما ساقط من م، ط.

(٦) ومن هؤلاء القدرية والجبرية.

(٧) ساقطة من (ط).

(٨) في الأصل زيادة (من بعض فإن المستعاذ به صفة الغضب) لا حاجة لها فيما يظهر، ولعل الصواب ما أثبته من باقي النسخ.

صفته، ومعلوم أن كلامه الذي يثني به على نفسه، ويذكر فيه أوصافه وتوحيده أفضل من كلامه الذي يذم به أعداءه ويذكر أوصافهم .

ولهذا كانت سورة الإخلاص أفضل من سورة تبت، وكانت تعدل ثلث القرآن(١) دونها، وكانت آية الكرسي(٢) أفضل آية في القرآن، ولا تصغ إلى قول من غلظ حجابه إن الصفات قديمة، والقديم لا يتفاضل، فإن الأدلة السمعية والعقلية تبطل قوله .

وقد جعل سبحانه ما كان من الفضل والعطاء والخير وأهل السعادة بيده اليمنى، وما كان من العدل والقبض بيده الأخرى، ولهذا جعل أهل السعادة في قبضته اليمنى، وأهل الشقاوة في القبضة الأخرى، والمقسطون على منابر من نور عن يمينه، والسماوات مطويات بيمينه، والأرض (باليد الأخرى)(٣)(٤) .

---

(١) ورد في ذلك عدة أحاديث صحيحة، منها ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ يرددها، فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ، فذكر ذلك له. وكأن الرجل يتقالها. فقال رسول الله ﷺ: « **والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن** » رواه البخاري في كتاب (فضائل القرآن) باب (فضل قل هو الله أحد) ٦/ ١٠٥ولشيخ الإسلام ابن تيمية رسالة قيمة في ذلك بعنوان (جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أن﴿قل هو الله أحد ﴾ تعدل ثلث القرآن .

(٢) ورد في صحيح مسلم من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟**» قال: قلت: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القويم﴾ فضرب في صدري، وقال: «**والله ليهنك العلم أبا المنذر**». صحيح مسلم. كتاب (في صلاة المسافرين) باب (فضل سورة الكهف وآية الكرسي) ح (٨١٠/ ٥٥٦) .

(٣) في م، ط (بالأرض) .

(٤) قال سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر/ ٦٧] .

ومنها أن الغضب والرضا، والعفو والعقوبة، لما كانت متقابلة استعاذ بأحدهما من الآخر، فلما جاء إلى الذات المقدسة التي لا ضد لها ولا مقابل، قال: «وأعوذ بك منك» فاستعاذ بصفة الرضا من صفة الغضب، وبفعل العفو من فعل العقوبة، والموصوف بهذه الصفات والأفعال منه. وهذا يتضمن كمال الإثبات للقدر والتوحيد بأوجز لفظ وأخصره، فإن الذي يستعاذ منه من الشر وأسبابه هو واقع بقضاء الرب تعالى وقدره، وهو المنفرد بخلقه وتقديره وتكوينه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. فالمستعاذ منه إما وصفه، وإما فعله، وإما مفعوله الذي هو أثر فعله، والمفعول ليس إليه نفع ولا ضر ولا يضر إلا بإذن خالقه، كما قال تعالى في أعظم ما يتضرر به العبد وهو السحر: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة/ ١٠٢] .

فالذي يستعاذ منه هو بمشيئته وقضائه وقدرته، وإعاذته منه وصرفه عن المستعيذ إنما هو بمشيئته أيضاً وقضائه وقدرته، فهو المعيذ من قدره بقدره، ومما يصدره عن مشيئته (وإرادته)[١] بما يصدره عن مشيئته (وإرادته)[٢]، والجميع واقع بإرادته الكونية والقدرية، فهو يعيذ منه هو، بل المستعاذ منه خلق له، فهو الذي يعيذ عبده من نفسه بنفسه، فيعيذه مما يريده به (بما)[٣] يريده (منه)[٤] .

فليس هناك أسباب مخلوقة لغيره يستعيذ منها المستعيذ به كما يستعيذ من

---

(١) في الأصل (وأذنه) ولعل الصواب ما أثبته .

(٢) في الأصل (وأذنه) ولعل الصواب ما أثبته .

(٣) في الأصل (ربما) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) في الأصل، (ط) (به) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(رجل ظلمه)[١] وقهره برجل أقوى (منه)[٢] أو نظيره، فالمستعاذ منه الذنوب وعقوباتها، والآلام وأسبابها، والسبب من قضائه، والمسبب من قضائه، [والإعاذة][٣] بقضائه، فهو الذي يعيذ من قضائه بقضائه، فلم يعذ إلا بما قدره. وشاءه (قدر)[٤] الاستعاذة منه وشاءها، وقدر الإعاذة وشاءها.

فالجميع قضاؤه وقدره وموجب مشيئته (فنتجت)[٥] هذه الكلمة التي لو قالها غير الرسول ﷺ لبادر (المتكلم)[٦] الجاهل إلى إنكارها وردها، إنه لا يملك الضر والنفع والخلق والأمر والإعاذة غيرك، وأن المستعاذ منه بيدك وتحت تصرفك، ومخلوق من خلقك فما استعذت إلا بك، ولا استعذت إلا منك، وهذا نظير قوله في الحديث الآخر: « **لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك** »[٧] .

فهو الذي ينجي من نفسه بنفسه، ويعيذ من نفسه بنفسه، وكذلك الفرار، يفر عبده منه إليه، وهذا كله تحقيق للتوحيد والقدر، وأنه لا رب غيره، ولا

---

(١) في الأصل (ظلمه رجل) ولعل الصواب ما أثبته من (ط) .

(٢) ساقطة من (ط) .

(٣) في الأصل (الإيمان) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) في م، ط (وذلك) .

(٥) في الأصل (فتحت) ولعل الصواب ما أثبته من (ط) .

(٦) في الأصل (المتعلم) ولعل الصواب ما أثبته من (ط) .

(٧) جزء من حديث دعاء النوم رواه البراء بن عازب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ أوصى رجلاً، فقال: «**إذا أردت مضجعك فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك...**» الحديث رواه البخاري في كتاب (الدعوات) باب (ما يقول إذا نام) ٧/ ١٤٧ . ومسلم في كتاب (الذكر والدعاء) باب (ما يقول عند النوم وأخذ المضجع) ح(٢٧١٠) ٣/ ٢٠٨١ .

خالق سواه، ولا يملك المخلوق لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، بل الأمر كله لله ليس لأحد سواه منه شيء، كما قال تعالى لأكرم خلقه عليه (وأحبهم)[1] إليه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران/ ١٢٨] .

وقال جواباً لمن قال: ﴿هَل لَّنَا (مِنَ)[2] ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾[3] [آل عمران/ ١٥٤]، فالملك كله له، والأمر كله له، والحمد كله له، والشفاعة كلها له، والخير كله في يديه، وهذا تحقيق تفرده بالربوبية والإلهية[4]، فلا إله غيره، ولا رب سواه ﴿قُلْ (أَفَرَءَيْتُم)[5] مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر/ ٣٨].

---

(١) في (ط) (وأحسنهم)

(٢) ساقطة من (ط) .

(٣) قال ابن جرير: حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج عن ابن جريج، قال: قيل لعبدالله بن أُبَيٍّ: قتل بنو الخزرج اليوم! قال: وهل لنا من الأمر من شيء؟ قيل: إن الأمر كله لله. انظر: تفسير الطبري ٧/ ٣٢٢ .
وقال في (زاد المسير) (قال أبو سليمان الدمشقي: والذي قال: ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾ عبدُالله بن أُبي، والذي قال: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ معتب بن قشير). انظر: زاد المسير ١/ ٤٨٢ .

(٤) في (ط) (الألوهية) .

(٥) في م، ط (أريتم) .

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام/ ١٧].

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فاطر/ ٢].

فاستعِذْ به منه، وفِر منه إليه، واجعل لجاك منه إليه، فالأمر كله له، لا يملك أحد معه منه شيئاً، فلا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يذهب بالسيئات إلا هو، ولا تتحرك ذرة فما فوقها إلا بإذنه، ولا يضر سم ولا سحر ولا شيطان ولا حيوان ولا غيره إلا بإذنه مشيئته، يصيب بذلك من يشاء، ويصرفه عمن يشاء.

فأعرف الخلق به (وأقواهم)(١) بتوحيده من قال في دعائه «أعوذ بك منك»، فليس للخلق معاذ سواه، ولا مستعاذ منه إلا وهو ربه، وخالقه ومليكه، وتحت قهره وسلطانه .

ثم ختم (هذا)(٢) الدعاء بقوله: **«لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»** اعترافاً بأن شأنه وعظمته ونعوت كماله وصفاته أعظم وأجل من أن يحصيه أحد من الخلق، أو بلغ أحد حقيقة الثناء عليه غيره سبحانه، (فهذا)(٣) توحيد في الأسماء والصفات والنعوت، وذاك توحيد في العبودية والتأله، وإفراده تعالى بالخوف والرجاء والاستعاذة، وهذا (يضاده)(٤) الشرك، وذاك مضاده التعطيل، وبالله التوفيق .

---

(١) في (الأصل) (وأقومهم) ولعل الصواب ما أثبته .

(٢) ساقطة من م، ط .

(٣) في (ط) (فهو) .

(٤) في م، ط (مضاده) .

الباب السابع والعشرون

في دخول الإيمان بالقضاء والقدر والعدل والتوحيد والحكمة تحت قول النبي ﷺ: «ماضٍ فيَّ حكمُكَ، عدلٌ فيَّ قضاؤك»، وبيان ما في هذا الحديث من القواعد

الباب السابع والعشرون
في دخول الإيمان بالقضاء والقدر والعدل والتوحيد والحكمة تحت قول النبي ﷺ: «ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك» وبيان ما في هذا الحديث من القواعد

ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أصاب عبداً قط هَمٌّ ولا غَمٌّ ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته [في][1] كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي، إلا أذهب الله همَّه وغمَّه، وأبدله مكانه فرحاً». قالوا: يا رسول الله: أفلا تعلمهن؟ قال: «بلى ينبغي لمن سمعهن[2] أن يتعلمهن»[3].

فقد دل هذا الحديث الصحيح على أشياء: منها أنه استوعب أقسام المكروه الواردة على القلب، فالهم يكون على مكروه يتوقع في المستقبل يهتم به القلب، والحزن على مكروه ماض من فوات محبوب أو حصول مكروه، إذا تذكره أحدث له حزناً. والغم يكون على مكروه حاصل في الحال يوجب لصاحبه الغم.

فهذه المكروهات (الثلاث)[4] هي من أعظم أمراض القلب وأدوائه، وقد

---

(١) في الأصل (على) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في (ط) (يسمعهن).

(٣) سبق تخريجه ص (١٣٣).

(٤) ساقطة من م، ط.

تنوع الناس في طرق أدويتها والخلاص منها، وتباينت طرقهم في ذلك تبايناً لا يحصيه إلا الله، بل كل أحد يسعى في التخلص منها بما يظن أو يتوهم أنه يخلصه منها .

وأكثر الطرق والأدوية التي يستعملها الناس في الخلاص منها لا يزيدها إلا شدة، (كمن)[١] يتداوى منها بالمعاصي على (اختلاف أنواعها)[٢] من أكبر كبائرها إلى أصغرها، وكمن يتداوى منها باللهو واللعب والغناء وسماع الأصوات المطربة، وغير ذلك .

فأكثر سعي بني آدم أو كله إنما هو هذه الأمور، والتخلص منها كلها، وكلهم قد أخطأ الطريق إلا من سعى في إزالتها بالدواء الذي (وضعه)[٣] الله لإزالتها، وهو دواء مركب من مجموع أمور متى نقص منها جزء نقص من الشفاء بقدره. وأعظم أجزاء هذا الدواء هو التوحيد والاستغفار. قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد/ ١٩]. وفي الحديث: (قال[٤] الشيطان: أهلكت)[٥] بني آدم بالذنوب وأهلكوني بالاستغفار وبلا إله إلا الله، فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء»، فهم يذنبون ولا يتوبون، لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ولذلك كان الدعاء المفرج للكرب محض التوحيد، وهو: « **لا إله إلا الله العظيم الحليم لا**

---

(١) في (ط) (لمن) .

(٢) في م، (ط) (اختلافها) .

(٣) في (ط) (وصفه) .

(٤) في (ط) (فإن الشيطان يقول أهلك) .

(٥) ساقطة من (م) .

إله إلا (الله)[١] رب العرش العظيم لا إله إلا (الله)[٢] رب السموات (السبع)[٣] ورب الأرض رب العرش الكريم »[٤] .

وفي الترمذي[٥] وغيره عن النبي ﷺ: « دعوة أخي ذي النون (ما دعا بها)[٦] مكروب إلا فرج الله كربه: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين »[٧] .

فالتوحيد يدخل العبد على الله، والاستغفار والتوبة ترفع المانع، وتزيل الحجاب الذي يحجب القلب عن الوصول إليه، وإذا وصل القلب إليه زال عنه همه وغمه وحزنه، وإذا انقطع عنه حصرته الهموم والغموم والأحزان، وأتته من كل طريق، ودخلت عليه من كل باب.

فلذلك صدر هذا الدعاء المذهب للهم والغم والحزن بالاعتراف له بالعبودية حقاً منه ومن آياته .

ثم أتبع ذلك باعترافه بأنه في قبضته وملكه، وتحت تصرفه، ويكون ناصيته

---

(١) في (ط) هو .

(٢) في (ط) هو .

(٣) ساقطة من م، ط .

(٤) رواه البخاري في كتاب (الدعوات) باب (الدعاء عند الكرب)٧/ ١٥٤. ومسلم في كتاب (الذكر والدعاء) باب (دعاء المكروب) حديث (٢٧٣٠).

(٥) سبقت ترجمته ص (١٤٢، ١٢٨٨) .

(٦) في (ط) (ما دعاها) .

(٧) رواه الترمذي في كتاب (الدعوات) باب (٨٢) ح(٣٥٠٥) ٥/ ٥٢٩، وأحمد في المسند (١/ ١٧٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٨٢) وصححه، ووافقه الذهبي. قال الألباني في « صحيح الجامع » (٣٣٧٨) : صحيح .

في يده يصرفه كيف يشاء. كما [يقاد][١] من أمسك بناصيته شديد القوى لا يستطيع إلا الانقياد له .

ثم أتبع ذلك بإقراره له بنفاد حكمه فيه، وجريانه عليه شاء أم أبى، وإذا حكم فيه بحكم لم يستطع غيره رده أبداً، وهذا اعتراف لربه بكمال القدرة عليه، واعتراف من نفسه بغاية العجز والضعف، فكأنه قال: أنا عبد ضعيف مسكين يحكم فيه قوي قاهر غالب، وإذا حكم فيه بحكم مضى حكمه فيه ولا بد .

ثم أتبع ذلك باعترافه بأن كل حكم وكل (معصية)[٢] ينفذها (ويفعلها)[٣] فيه هذا الحاكم فهي عدل محض (بمشيئته)[٤] لا جور فيها ولا ظلم بوجه من الوجوه، فقال: **«ماض فيّ حكمك، عدل فيّ قضاؤك»** وهذا يعم جميع أقضيته سبحانه في عبده، قضاءه السابق فيه قبل إيجاده، وقضاءه فيه المقارن لحياته، وقضاءه فيه بعد مماته، وقضاءه فيه يوم معاده .

ويتناول قضاءه فيه بالذنب، وقضاءه فيه بالجزاء عليه. ومن لم يثلج صدره لهذا ويكون له كالعلم الضروري، لم يعرف ربه وكماله (ولا)[٥] نفسه (وعيبه)[٦] ولا عدل في حكمه، بل هو جهول ظلوم، فلا علم ولا إنصاف .

وفي قوله عليه السلام: **«ماض فيّ حكمك، عدل فيّ قضاؤك»** رد على

---

(١) في الأصل (يعتاد) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) في م، ط (قضية) .

(٣) ساقطة من م، ط .

(٤) في (ط) (منه) .

(٥) ساقطة من م، ط .

(٦) في (ط) (عينه) .

طائفتي القدرية[١] والجبرية[٢]، وإن اعترفوا بذلك بألسنتهم فأصولهم تناقضه. فإن القدرية تنكر قدرته سبحانه على خلق ما به يهتدي العبد غير ما خلقه فيه [وجبله][٣] عليه، فليس عندهم لله حكم نافذ في عبده غير الحكم الشرعي بالأمر والنهي .

ومعلوم أنه لا يصح حمل الحديث على هذا الحكم، فإن العبد يطيعه تارة ويعصيه تارة، بخلاف الحكم الكوني القدري فإنه ماض في العبد ولا بد [فإنه][٤] بكلماته التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر .

ثم قوله بعد ذلك: « عدل فيَّ قضاؤك » دليل على (أنه)[٥] سبحانه عادل في كل ما يفعله بعبده من قضائه كله، وخيره وشره، وحلوه ومره، فعله وجزائه؛ فدل الحديث على الإيمان بالقدر، والإيمان بأن الله عادل فيما قضاه، فالأول التوحيد، والثاني العدل .

وعند القدرية النفاة لو كان حكمه فيه ماضياً، لكان ظالماً بإضلاله وعقوبته[٦]. أما القدرية الجبرية فعندهم الظلم لا حقيقة له، بل هو الممتنع لذاته، الذي لا يدخل تحت القدرة. فلا يقدر الرب تعالى عندهم على ما

---

(١) سبق تعريفهم .

(٢) سبق تعريفهم .

(٣) في الأصل م ، (وجعله) والصواب ما أثبته من (ط) .

(٤) في (ط) (قائمة) وفي (م) (فاتمه) .

(٥) في م ، ط (أن الله) .

(٦) انظر: الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ٤٠٢ – مفتاح دار السعادة (٢/ ٥١٠-٥١٢) .

يسمى ظلماً، حتى يقال ترك الظلم وفعل العدل(١). فعلى قولهم لا فائدة من قوله: « **عدلٌ فيَّ قضاؤك** »، بل هو بمنزلة أن يقال نافذ في قضاؤك ولابد. وهو معنى قوله: « **ماضٍ في حكمك** »، فيكون [تكريراً](٢) لا فائدة فيه .

وعلى قولهم، فلا يكون ممدوحاً بترك الظلم، إذ لا يمدح بترك المستحيل لذاته، ولا فائدة في قوله: « **إني حرمت الظلم على نفسي** »(٣) (أو يصير)(٤) معناه: إني حرمت على نفسي ما لا يدخل تحت قدرتي وهو المستحيلات، ولا فائدة في قوله: ﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ [طه/ ١١٢]، فإن كل أحد لا يخاف من المستحيل لذاته أن يقع، ولا فائدة في قوله: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾ [غافر/ ٣١] ولا في قوله: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [ق / ٢٩] [فنفوذ](٥) حكمه في عباده بملكه، وعدله فيهم بحمده، وهو سبحانه له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

ونظير هذا قوله سبحانه حكاية عن نبيه هود ﷺ أنه قال: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ

---

(١) انظر: الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ٤٠٣ – مفتاح دار السعادة (٢/ ٥١٠-٥١٢) .

(٢) في الأصل (بكرى) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) يشير إلى الحديث القدسي الطويل عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه : « **قال: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ...** » الحديث رواه مسلم في صحيحه في كتاب (البر والصلة والآداب) باب (تحريم الظلم) ح(٢٥٧٧) ٣/ ١٩٩٤. وهذا الحديث من الأصول العظيمة التي عليها مدار الإسلام.

(٤) في (ط) (يظن) .

(٥) في الأصل (فيعود) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [هود/ ٥٦]، فقوله: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود/ ٥٦] مثل قوله: « ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك »، وقوله: ﴿ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ مثل قوله: عليه السلام: « عدلٌ فيَّ قضاؤك » أي: لا يتصرف في تلك النواصي إلا بالعدل والحكمة والمصلحة والرحمة، لا يظلم أصحابها، ولا يعاقبهم بما لم [يعملوه][1] ولا يهضمهم حسنات ما عملوه، فهو سبحانه على الصراط المستقيم في قوله وفعله، يقول الحق ويفعل الخير والرشد، وقد أخبر سبحانه في هود أنه على صراط مستقيم في سورة هود وفي سورة النحل[2]، فأخبر في هود أنه على صراط مستقيم في تصرفه في النواصي، التي هي في قبضته وتحت يده، وأخبر في النحل أنه يأمر بالعدل ويفعله.

وقد زعمت الجبرية أن العدل هو المقدور .

وزعمت القدرية أن العدل إخراج أفعال الملائكة والجن والإنس عن قدرته وخلقه، وأخطأت الطائفتان جميعاً في ذلك .

والصواب أن العدل[3] وضع الأشياء في مواضعها التي تليق بها وإنزالها منازلها، كما أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، وقد تسمى بالحكم

---

(١) في الأصل ، ط (يعلموه) والصواب ما أثبته من (م) .

(٢) قال سبحانه : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل/ ٧٦] .

(٣) قال في المعجم الوسيط ص ٥٨٨ (العدل): الإنصاف. وهو إعطاء المرء ما له وأخذ ما عليه. وقال في (مختار الصحاح)ص٣٦٧ (العدل) ضد الجور .

العدل[١].

والقدرية تنكر حقيقة اسم الحكم، وترده إلى الحكم الشرعي الديني، وتزعم أنها تثبت حقيقة العدل، والعدل عندهم إنكار القدر، ومع هذا فينسبونه إلى غاية الظلم؛ فإنهم يقولون: إنه يخلد في العذاب الأليم من أفنى عمره في طاعته ثم فعل كبيرة (ومات عليها)[٢].

فإن قيل: فالقضاء بالجزاء عدل هو عقوبة على الذنب (فكيف يكون)[٣] القضاء بالذنب عدلاً على أصول أهل السنة، وهذا السؤال لا يلزم القدرية ولا الجبرية، وأما القدرية فعندهم أنه لم يقض المعصية، وأما الجبرية فعندهم أن كل مقدور عدل، وإنما يلزمكم أنتم هذا السؤال.

قيل: نعم. كل قضائه عدل في عبده، فإنه وضع له في موضعه الذي لا يحسن في غيره، فإنه وضع العقوبة في (موضعها)[٤]، ووضع القضاء بسببها وموجبها في موضعه. فإنه سبحانه كما يجازي بالعقوبة، فإنه يعاقب بنفس قضاء الذنب، فيكون حكمه بالذنب عقوبة على ذنب سابق، فإن الذنوب تكسب بعضها بعضاً، وذلك السابق عقوبة على غفلته عن ربه وإعراضه عنه، وتلك الغفلة والإعراض هي في أصل الجبلة والنشأة، فمن أراد (أن)[٥]

---

(١) ورد تسمية الله سبحانه بذلك في حديث (التسعة والتسعين اسماً) الذي سبق تخريجه في ص (٩٧٦).

(٢) في الأصل (ومات واحدة عليها) ولعل الصواب ما أثبته، وهو من باقي النسخ.

(٣) في (ط) (فيكون).

(٤) زيادة من (ط).

(٥) زيادة من (ط).

يكمله أقبل بقلبه إليه وجذبه إليه، وألهمه رشده [وألقى][(١)] فيه أسباب الخير، ومن لم يرد [أن][(٢)] يكمله تركه وطبعه، وخلى بينه وبين نفسه، لأنه لا يصلح للتكميل، وليس محله أهلاً ولا قابلاً لما (يوضع)[(٣)] فيه من الخير. وهاهنا انتهى علم العباد بالقدر.

وأما كونه تعالى جعل هذا يصلح وأعطاه ما يصلح له، وهذا لا يصلح، فمنعه ما لا يصلح له، فذاك موجب ربوبيته وإلهيته وعلمه وحكمته، فإنه سبحانه خالق الأشياء وأضدادها، وهذا مقتضى كماله وظهور أسمائه وصفاته كما تقدم تقريره. والمقصود أنه أعدل العادلين في قضائه بالسبب وقضائه بالمسبب. فما قضى في عبده بقضاء إلا وهو واقع في محله الذي لا يليق به غيره، إذ هو الحكم العدل الغني الحميد[(٤)].

فصل

قوله: «أسألك بكل اسم (هو لك)[(٥)] سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك»[(٦)] إن كانت الرواية محفوظة هكذا، ففيها إشكال، فإنه جعل ما أنزله في كتابه، أو علمه أحداً من خلقه، أو استأثر به في علم الغيب عنده، قسماً لما سمى به

(١) في الأصل (الفي) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) زيادة من (ط).

(٣) في م، ط (وضع).

(٤) قال سبحانه: ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الحج/ ٦٤].

(٥) ساقطة من م، ط.

(٦) سبق تخريج الحديث بتمامه.

نفسه. ومعلوم أن هذا تقسيم وتفصيل لما سمى به نفسه، فوجه الكلام أن يقال: «سميت به نفسك، فأنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك». فإن هذه الأقسام الثلاثة تفصيل لما سمى به نفسه .

وجواب هذا الإشكال أن ((أو)) حرف عطف، والمعطوف بها أخص مما قبله، فيكون من باب عطف الخاص على العام، فإن ما سمى به نفسه يتناول جميع الأنواع المذكورة بعده، فيكون عطف كل جملة منها من باب عطف الخاص على العام .

فإن قيل: المعهود من عطف الخاص على العام [أن][1] يكون بالواو دون سائر حروف العطف .

قيل: المسوغ لذلك في الواو هو تخصيص المعطوف [بالذكر][2] لمرتبته من بين الجنس واختصاصه بخاصة تميزه[3] منه حتى كأنه غيره، أو (إرادة)[4] لذكره مرتين باسمه الخاص وباللفظ العام، وهذا لا فرق فيه بين العطف بالواو أو بأو، مع أن في العطف بأو على العام فائدة أخرى، وهي بناء لكلام على التقسيم والتنويع كما بني عليه تاماً، فيقال: سميت به نفسك، فإما أنزلته في كتابك، وإما علمته أحداً من خلقك[5] .

---

(١) زيادة من م، ط .

(٢) في الأصل (بالواو) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) في (ط) (وغيره) .

(٤) في م، ط (أو إرادتين) .

(٥) قال صاحب كتاب (الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه) محمد أمان ص١٨٧ بعد أن نقل هذا الكلام. (قلت: ولا يستبعد لو قيل: إن « أو » هنا بمعنى الواو، وهو أسلوب متبع معروف عند أهل اللغة) .

وقد دل الحديث على أن أسماء الله غير مخلوقة، بل هو الذي تكلم بها وسمى بها نفسه. ولهذا لم يقل: بكل اسم خلقته لنفسك. ولو كانت مخلوقة لم يسأله بها. فإن الله (لا)[١] يقسم عليه بشيء من خلقه.

فالحديث صريح في أن أسماءه ليست من فعل الآدميين وتسمياتهم. وأيضاً فإن أسماءه مشتقة من صفاته، وصفاته قديمة (قائمة)[٢] به، فأسماؤه غير مخلوقة .

(فإن قيل: فالاسم عندكم هو المسمى أو غيره؟ قيل: طالما غلط الناس في ذلك وجهلوا الصواب فيه، فالاسم يراد به المسمى تارة، ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى .

وإذا قلت: قال الله كذا، واستوى الله على عرشه، وسمع الله، ورأى وخلق، فهذا المراد به المسمى نفسه .

وإذا قلت: الله [اسم][٣] عربي، والرحمن اسم عربي، والرحمن من أسماء الله، والرحمن وزنه فعلان، والرحمن مشتق من الرحمة، ونحو ذلك، فالاسم هاهنا للمسمى، ولا يقال غيره لما في لفظ الغير من الإجمال. فإن أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق، وإن أريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له حتى خلق لنفسه اسماً، أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم فهذا من أعظم الضلال والإلحاد)[٤]، فقوله في الحديث: « **سميت به نفسك** » لم يقل: خلقته

---

(١) ساقطة من م، ط .

(٢) ساقطة من م، ط .

(٣) في الأصل (اسمه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) نقل شارح الطحاوية هذا النص بكامله. انظر: شرح الطحاوية ص(١٢٧). وانظر: في بحث مسألة (هل الاسم المسمى أو غيره) فتح الباري (١١/ ٢٢١، ٢٢٢).

لنفسك، ولا قال: سماك به خلقك، دليل على أنه سبحانه تكلم بذلك الاسم وسمى به نفسه، كما سمى نفسه في كتبه التي تكلم بها حقيقة بأسمائه.

وقوله: «أو استأثرت به في علم الغيب عندك» دليل على أن أسماءه أكثر من تسعة وتسعين، وأن له أسماءً وصفاتٍ استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها غيره .

وعلى هذا، فقوله عليه السلام: « إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة »[١] لا ينفي أن يكون له غيرها، والكلام جملة واحدة (أي)[٢] له أسماء موصوفة بهذه الصفة، كما يقال: لفلان مائة عبد أعدهم للتجارة، وله مائة فرس أعدها للجهاد، وهذا قول الجمهور[٣]. وخالفهم ابن حزم[٤] فزعم أن أسماءه تعالى تنحصر في هذا العدد[٥] .

وقد دل الحديث على أن التوسل إليه سبحانه بأسمائه وصفاته أحب إليه وأنفع للعبد من التوسل إليه بمخلوقاته، وكذلك سائر الأحاديث، كما في حديث (اسم الله)[٦] الأعظم: « اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت (الحنان)[٧] المنان بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) في الأصل (آن) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) انظر: فتح الباري ١١/ (٢٢٠، ٢٢١).

(٤) سبقت ترجمته .

(٥) انظر: الفصل في الملل والنحل والأهواء والنحل ٢/ ١٦٥ – فتح الباري ١١/ ٢٢١.

(٦) في م، ط (الاسم) .

(٧) ساقطة من م، ط .

حي يا قيوم »[١] .

وفي الحديث الآخر: «أسألك باني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد »[٢] .

وفي الحديث الآخر: «اللهم إني أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق»[٣]. وكلها أحاديث صحاح رواها ابن حبان[٤] والإمام أحمد[٥] والحاكم[٦].

---

(١) سبق تخريجه ص (١٣٣٥) .

(٢) رواه أحمد ٤/ ٣٣٨، وأبو داود في كتاب (الصلاة) باب (الدعاء) ح(١٤٩٣) من حديث عبد الله بن بريدة. ورواه الترمذي في كتاب (الدعوات) باب (جامع الدعوات عن النبي ﷺ) ح (٣٤٧٥). قال أبو عيسى : (هذا حديث حسن غريب)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٠٤)، وقال (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي. كما صححه ابن القيم كما ترى في المتن بعد هذا .

(٣) رواه أحمد في مسنده ٤/ ٢٦٤ ، والنسائي في كتاب (السهو) باب (نوع آخر من الدعاء) (٦٢)(٣/ ٥٤ ، وابن أبي شيبة في المصنف كتاب (الدعاء) باب (١٦٠٦) (١٠/ ٢٦٤) ، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٢٤، ٥٢٥) وقال : هذا (حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي .

(٤) هو: محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ بن مرة، أبو حاتم التميمي البستي الحافظ العلامة صاحب التصانيف، سمع من أبي عبد الرحمن النسائي، وإسحاق بن يونس المنجنيقي، ومحمد بن خزيمة وغيرهم. وحدث عنه أبو عبد الله بن منده وأبو عبد الله الحاكم، ومنصور بن عبد الله الخالدي، وخلق كثير. توفي سنة أربع وخمسين وثلاث مائة بسجستان بمدينة بست. انظر: الوافي بالوفيات ٢/ ٣١٧، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٩٢ .

(٥) سبقت ترجمته ص (١٤٠) .

(٦) هو : محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم، أبو عبد الله الحاكم الضبي الطهماني النيسابوري، الحافظ الكبير، ويعرف بابن البيع، صاحب كتاب =

وهذا تحقيق لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

وقوله: « **أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري** » يجمع أصلين: الحياة والنور، فإن الربيع هو المطر الذي يحيى الأرض، فينبت الربيع، فيسأل الله بعبوديته (له)[١] وتوحيده وأسمائه وصفاته أن يجعل كتابه الذي جعله روحاً للعالمين ونوراً حياة لقلبه بمنزلة الماء الذي يحيى به الأرض، ونوراً له بمنزلة الشمس [التي][٢] تستنير بها الأرض، والحياة والنور جماع الخير كله .

قال تعالى: ﴿ (أَوَ)[٣] مَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ [الأنعام/ ١٢٢] .

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ ﴾ [الشورى/ ٥٢] .

فأخبر أنه روح تحصل به الحياة، ونور تحصل به الهداية. فأتباعه لهم الحياة والهداية، ومخالفوه لهم الموت والضلال. وقد ضرب سبحانه المثل لأوليائه وأعدائه بهذين الأصلين في أول سورة البقرة[٤]، وفي وسط سورة النور[٥]،

= (المستدرك) حدث عن الأصم وعثمان بن السماك، وأخذ عنه الحافظ أبوبكر البيهقي، وغيره خلق كثير. مات سنة خمس وأربعمائة. انظر: شذرات الذهب ٣/ ١٧٤ ، العبر ٢/ ٢١٠ ، البداية والنهاية ١١/ ٣٧٩ .

(١) ساقطة من (ط).

(٢) في الأصل (الذي) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) ساقطة من م، ط .

(٤) الآيات (١٧-٢٠) من سورة البقرة .

(٥) الآيات (٣٤-٣٥) من سورة النور .

وفي سورة الرعد [١]، وهما المثل المائي والمثل الناري .

وقوله عليه السلام: « **وجلاء حزني وذهاب همي وغمي** » إن جلاء هذا يتضمن إزالة المؤذي الضار، وذلك يتضمن تحصيل النافع السار، فتضمن الحديث طلب أصول الخير كله ودفع الشر، وبالله التوفيق .

* * *

(١) الآيات (١٦-١٧) من سورة الرعد .

الباب الثامن والعشرون

في أحكام الرضا بالقضاء
واختلاف الناس في ذلك وتحقيق القول فيه

الباب الثامن والعشرون
في أحكام الرضا بالقضاء، واختلاف الناس في ذلك وتحقيق القول فيه

هذا الباب من تمام الإيمان بالقضاء والقدر، وقد تنازع الناس [فيه][(١)] هل هو واجب أو مستحب على قولين: هما وجهان لأصحاب أحمد؛ فمنهم من أوجبه، واحتج على وجوبه بأنه من لوازم الرضا بالله رباً، وذلك واجب. واحتج بأثر إسرائيلي: « من لم يرضَ بقضائي ولم يصبر على بلائي، فليتخذ له رباً سواي » .

ومنهم من قال: هو مستحب غير واجب؛ فإن الإيجاب يستلزم دليلاً شرعياً، ولا دليل يدل على الوجوب، وهذا القول أرجح، فإن الرضا من مقامات الإحسان التي هي من أعلى المندوبات. وقد غلط في هذا الأصل طائفتان أقبح غلط، فقالت القدرية النفاة: الرضا بالقضاء طاعةٌ وقربةٌ، والرضا بالمعاصي لا يجوز، فليست بقضائه وقدره .

وقالت غلاة الجبرية الذين طووا بساط الأمر والنهي: المعاصي بقضاء الله وقدره. والرضا بالقضاء قربة وطاعة. فنحن نرضى بها ولا نسخطها .

واختلفت طرق أهل الإثبات في جواب الطائفتين، (فأجابتهم)[(٢)] طائفة بأن لها وجهين: وجهاً يرضى بها منه، وهو إضافتها إلى الله سبحانه خلقاً ومشيئة، ووجهاً يسخط منه، وهو إضافتها إلى العبد فعلاً واكتساباً .

وهذا جواب جيد، لو وفوا به، فإن الكسب الذي أثبته كثير منهم لا

---

(١) زيادة من (ط) .

(٢) في ط (فأجابهم) .

حقيقة له، إذ هو عندهم مقارنة الفعل للإرادة والقدرة (الحادثة)[١] من غير أن يكون لهما (منه)[٢] تأثير بوجه ما. وقد تقدم الكلام في ذلك بما فيه كفاية.

وأجابهم طائفة أخرى بأن نرضى بالقضاء الذي (هو)[٣] فعل الرب، ونسخط المقضي الذي هو فعل العبد. وهذا جواب جيد لو لم يعودوا عليه بالنقض والإبطال، فإنهم قالوا: الفعل عين المفعول، فالقضاء عندهم نفس المقضي. فلو قال الأولون بأن للكسب تأثيراً في إيجاد الفعل، وإنه سبب لوجوده، وقال الآخرون بأن الفعل غير المفعول لأصابوا في الجواب .

(وأجابهم)[٤] طائفة أخرى بأن من القضاء ما يؤمر بالرضا به .

ومنه ما ينهي عن الرضا به؛ فالقضاء الذي يحبه الله ويرضاه نرضى به والذي يبغضه ويسخطه لا نرضى به .

وهذا كما أن من المخلوقات ما يبغضه ويسخطه وهو خالقه، كالأعيان المسخوطة له، فهكذا الكلام في الأفعال والأقوال سواء .

وهذا جواب جيد غير، أنه يحتاج إلى تمام، فنقول:

الحكم والقضاء نوعان: ديني وكوني :

فالديني: يجب الرضا به، وهو من لوازم الإسلام.

والكوني: منه ما يجب الرضا به، كالنعم التي يجب شكرها، ومن تمام

---

(١) في ط (إيجادبه) .

(٢) ساقطة من م، ط .

(٣) ساقطة من (م) .

(٤) في (ط) (أجابتهم) .

شكرها الرضا بها، ومنه ما لا يجوز الرضا [به][١] كالمعايب والذنوب التي يسخطها الله، وإن كانت بقضائه وقدره، ومنه ما يستحب الرضا به كالمصائب. وفي وجوبه قولان. هذا كله في الرضا بالقضاء الذي هو المقضي.

وأما القضاء الذي هو وصفه سبحانه وفعله كعلمه وكتابته[٢] وتقديره ومشيئته، فالرضا به من تمام الرضا بالله رباً وإلهاً ومالكاً ومدبراً. فبهذا التفصيل يتبين الصواب، ويزول اللبس في هذه المسألة العظيمة التي هي مفرق طرق بين الناس .

فإن قيل: كيف يجتمع الرضا بالقضاء بالمصائب مع شدة الكراهة والنفرة منها؟ وكيف يكلف العبد أن يرضى بما هو مؤلم له وهو كاره له، والألم يقتضي الكراهة والبغض المضاد للرضا، واجتماع الضدين محال؟.

قيل: الشيء قد يكون محبوباً مرضياً من جهة، ومكروهاً من جهة أخرى، كشرب الدواء النافع الكريه، فإن المريض يرضى به مع شدة كراهته له، وكصوم اليوم الشديد الحر، فإن الصائم يرضى به(مع كراهته) [٣] له، وكالجهاد للأعداء، قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة/ ٢١٦] .

فالمجاهد المخلص يعلم أن القتال خير له (فيرضى)[٤] به، وهو يكرهه لما فيه من التعرض لإتلاف النفس وألمها ومفارقة المحبوب، ومتى قوي الرضا بالشيء وتمكن انقلبت كراهته محبة، وإن لم يخل من الألم، فالألم بالشيء لا ينفي الرضا

---

(١) زيادة من م، ط .

(٢) في (ط) (وكتابه) .

(٣) في (ط) مع شدة كراهته) .

(٤) في (ط) (فرضى) .

به، وكراهته من وجه لا تنافي محبته وإرادته الرضا به من وجه آخر .

فإن قيل: فهذا في حكم رضا العبد بقضاء الرب، فهل يرضى سبحانه ما قضى به من الكفر والفسوق والعصيان بوجه من الوجوه؟ .

قيل: هذا الموضع أشكل من الذي قبله. (وقد)[١] قال كثير من الأشعرية[٢] بل جمهورهم ومن اتبعهم: أن الرضا والمحبة والإرادة في حق الرب تعالى بمعنى واحد، وإن كل ما شاءه وأراده، فقد أحبه ورضيه .

ثم أوردوا على أنفسهم هذا السؤال، وأجابوا بأنه لا يمتنع أن يقال: إنه يرضى بها، ولكن لا على وجه التخصيص، بل [يقال][٣]: يرضى بكل ما خلقه وقضاه وقدره، لا نفرد من ذلك الأمور المذمومة، كما يقال: هو رب كل شيء، ولا يقال: رب كذا وكذا للأشياء الحقيرة الخسيسة .

وهذا تصريح منهم بأنه راض بها في نفس الأمر، وإنما امتنع الإطلاق أدباً واحتراماً فقط. فلما أورد عليهم: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[الزمر/ ٧] أجابوا عنه بجوابين :

أحدهما: (لا يرضاه)[٤] ممن لم يقع منه، وأما من وقع منه فهو يرضاه، إذ هو بمشيئته وإرادته .

الثاني: لا يرضاه لهم ديناً، أي لا يشرعه لهم، ولا يأمرهم به، ويرضاه منهم كوناً .

---

(١) ساقطة من م، ط .

(٢) الأشعرية أو الأشاعرة سبق تعريفهم انظر: ص (١٠٩٤) .

(٣) في الأصل (تعالى) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) ساقطة من (ط) .

وعلى قولهم، فيكون معنى الآية: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ حيث لم يوجد منهم، فلو وجد منهم أحبه ورضيه. وهذا في البطلان والفساد كما تراه[1].

وقد أخبر سبحانه أنه لا يرضى ما وجد من ذلك، وإن وقع بمشيئته، كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [النساء/ ١٠٨] فهذا قول واقع بمشيئته وتقديره، وقد أخبر [سبحانه][2] أنه لا يرضاه.

وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة/ ٢٠٥] فهو سبحانه لا يحبه (لا)[3] كوناً ولا ديناً وإن وقع بتقديره[4]، كما لا يحب إبليس وجنوده وفرعون وحزبه، وهو ربهم وخالقهم، فمن جعل المحبة والرضا بمعنى الإرادة

---

(١) قال ابن جرير في تفسير قوله: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ قال: (ولا يرضى لعباده أن يكفروا به) (تفسير الطبري). وقال ابن كثير في تفسير الآية: (أي لا يحبه ولا يأمر بـه) (تفسير القرآن العظيم ٤/ ٧١). وقال السيوطي: (أخرج عبد بن حميد عن قتادة رحمه الله قال: والله ما رضي الله لعبده ضلالة ولا أمره بها. ولا دعاه إليها، ولكن رضي لكم طاعته وأمركم بها، ونهاكم عن معصيته) (الدر المنثور ٥/ ٣٢٣).

(٢) زيادة من م، ط.

(٣) ساقطة من م، ط.

(٤) قال ابن الجوزي في (زاد المسير ١/ ٢٢٢) في قوله سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ قال ابن عباس: (لا يرضى بالمعاصي، وقد احتجت المعتزلة بهذه الآية، فأجاب أصحابنا بأجوبة؛ منها: أنه لا يحبه ديناً، ولا يريده شرعاً، فأما أنه لم يرده وجواً، فلا ...). وقال القرطبي في (الجامع الأحكام ٣/ ١٨) (قيل: معنى ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ أي لا يحبه من أهل الصـلاح، أو لا يحبه ديـناً، ويحتمل أن يكـون المعـنى لا يأمر به والله أعلم).

والمشيئة، لزمه أن يكون الله سبحانه محباً لإبليس وجنوده وفرعون وهامان وقارون وجميع الكفار وكفرهم، والظلمة وفعلهم .

وهذا كما أنه خلاف القرآن والسنة والإجماع المعلوم بالضرورة، فهو خلاف ما عليه فطر العالمين التي لم تغير بالتواطؤ والتواصي بالأقوال الباطلة، وقد أخبر سبحانه أنه يمقت أفعالاً كثيرةً ويكرهها ويبغضها ويسخطها، فقال تعالى: ﴿(وَلَا)[1] تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا [وَسَآءَ][2] سَبِيلًا﴾ [النساء/ ٢٢]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ [محمد/ ٢٨] .

وقال: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف/ ٣] .

وقال: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة/ ٤٦] .

ومحالٌ حمل هذه الكراهة (على الكراهة)[3] الدينية الأمرية، لأنه أمرهم بالجهاد وقال: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء/ ٣٨] .

فأخبر أنه يكره ويبغض ويمقت ويسخط ويعادي ويذم ويلعن، ومحالٌ أنه يحب ذلك ويرضى به، وهو سبحانه (يتنزه)[4] ويتقدس عن محبة ذلك وعن الرضا به، بل لا يليق ذلك بعبده، فإنه نقص وعيب في المخلوق أنه يحب الفساد والشر، والظلم والبغي، والكفر ويرضاه، فكيف يجوز نسبة ذلك الله تبارك وتعالى .

---

(١) ساقطة من (م) .

(٢) في الأصل (ولا) والصواب ما أثبته .

(٣) في ط (غير الكراهة) .

(٤) في (ط) (يكره) .

وهذا الأصل من أعظم ما غلط فيه كثير من مثبتي القدر، وغلطهم فيه (يوازي)[١] غلط النفاة في إنكار القدر، أو هو أقبح منه، وبه تسلط عليهم النفاة (وثاروا)[٢] على قبح قولهم، وأعظموا [الشناعة][٣] عليهم، فهؤلاء قالوا: يحب الكفر والفسوق والعصيان والظلم والبغي والفساد[٤]. وأولئك قالوا: لا يدخل تحت مشيئته وقدرته وخلقه[٥]. وأولئك قالوا: لا يكون في ملكه إلا ما يحبه ويرضاه[٦]. وهؤلاء قالوا: يكون في ملكه ما لا يشاء، وما لا يكون[٧] .

فسبحان الله وتعالى عما يقول الفريقان علواً كبيراً، والحمد لله الذي هدانا لما أرسل به رسله، وأنزل به كتابه، وفطر عليه عباده، وبرأنا من بدع هؤلاء وهؤلاء، فله الحمد والمنة، والفضل والنعمة والثناء الحسن (الجميل)[٨] ونسأله التوفيق لما يحبه ويرضاه، وأن يجنبنا مضلات البدع والفتن .

* * *

---

(١) في (ط) (يوازن) .

(٢) في م، ط (وتمادوا) .

(٣) في الأصل (الإشاعة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) من أقوال الجبرية. انظر: مدارج السالكين ١/ ٢٥١ .

(٥) من أقوال القدرية النفاة. انظر: مدارج السالكين ١/ ٢٥١ .

(٦) من أقوال الجبرية. انظر: مدارج السالكين ١/ ٢٥١ .

(٧) من أقوال القدرية النفاة. انظر: مدارج السالكين ١/ ٢٥١ .

(٨) ساقطة من (م، ط) .

الباب التاسع والعشرون

في انقسام القضاء والحكم والإرادة والكتابة والأمر والإذن والجعل والكلمات والبعث والإرسال والتحريم والإنشاء إلى كونيٍّ متعلقٍ بخلقه، وإلى دينيٍّ متعلقٍ بأمره، وما في تحقيق ذلك من إزالة اللبس والإشكال

الباب التاسع والعشرون
في انقسام القضاء والحكم والإرادة والكتابة والأمر والإذن والجعل والكلمات والبعث والإرسال والتحريم [والإنشاء][(١)] إلى كوني متعلق بخلقه، وإلى ديني متعلق بأمره. وما في (تحقيق)[(٢)] ذلك من إزالة اللبس والإشكال

هذا الباب متصل بالباب الذي قبله، وكل منهما يقرر لصاحبه، فما كان من [الكوني][(٣)] (فهو متعلق)[(٤)] بربوبيته وخلقه، وما كان من الديني فهو متعلق بإلهيته وشرعه، وهو كما أخبر عن نفسه سبحانه له الخلق والأمر، فالخلق قضاؤه وقدره وفعله، والأمر شرعه ودينه، فهو الذي خلق وشرع وأمر، وأحكامه جارية على خلقه قدراً وشرعاً، ولا خروج لأحد عن حكمه الكوني القدري .

وأما حكمه الديني الشرعي [فيعصيه][(٥)] الفجار والفساق. والأمران غير متلازمين، فقد يقضي ويقدر ما لا يأمر به ولا شرعه، وقد يشرع ويأمر بما لا يقضيه ولا يقدره. ويجتمع الأمران فيما وقع من طاعات عباده وإيمانهم، وينتفي الأمران عما لم يقع من المعاصي والفسق والكفر، وينفرد القضاء الديني والحكم الشرعي فيما أمر به وشرعه ولم يفعله المأمور، وينفرد الحكم الكوني فيما وقع من المعاصي .

---

(١) في الأصل (الإفناء) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) في م (وما تحقيق) وفي (ط) (وما يحقق) .

(٣) في (ط) (كوني) .

(٤) ما بينهما ساقط من (م) .

(٥) في الأصل (بغضه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

إذا عرف ذلك، فالقضاء في كتاب الله نوعان: كوني وقدري: كقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ [سبأ/ ١٤] وقوله: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الزمر/ ٦٩] .

وشرعي ديني: كقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء/ ٢٣] أي أمر وشرع[١] ولو كان قضاء كونياً لما غير الله.

والحكم أيضاً نوعان:

فالكوني كقوله: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾ [الأنبياء/ ١١٢] أي: افعل ما تنصر به عبادك وتخذل به أعداءك .

والديني كقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة/ ١٠]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة/ ١] .

وقد [يرد][٢] بالمعنيين معاً، كقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف/ ٢٦]. فهذا يتناول حكمه الكوني، وحكمه الشرعي .

والإرادة أيضاً نوعان: [فالكونية][٣] كقوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود/ ١٠٧] وقوله: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾[الإسراء/ ١٦]، وقوله: ﴿إِن كَانَ (اللَّهُ)[٤] يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود/ ٣٤]. وقوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص/ ٥] .

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ٣/ ٥٧ - فتح القدير ٣/ ٢٤٦ .

(٢) في الأصل (قدير) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٣) في الأصل (فالكوني) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) ساقطة من (م) .

والدينية كقوله: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة/ ١٨٥]، وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء/ ٢٧] فلو كانت هذه الإرادة كونية لما حصل العسر لأحد منا، ولو وقعت التوبة من جميع المكلفين .

وبهذا التفصيل يزول الاشتباه في مسألة الأمر والإرادة: هل هما متلازمان أم لا ؟ .

فقالت القدرية: الأمر يستلزم الإرادة، واحتجوا بحجج لا تندفع .

[وقالت المثبتة: الأمر لا يستلزم الإرادة. واحتجوا بحجج لا تندفع][١] .

والصواب أن الأمر يستلزم الإرادة الدينية، ولا يستلزم الإرادة الكونية؛ فإنه لا يأمر إلا بما يريده شرعاً وديناً، وقد يأمر بما لا يريده كوناً وقدراً، كإيمان من أمره، ولم يوفقه للإيمان، مراد له ديناً لا كوناً، لذلك أمر خليله بذبح ابنه[٢]، ولم يرده كوناً وقدراً، وأمر رسوله بخمسين صلاة[٣]، ولم يرد ذلك كوناً وقدراً. وبين هذين الأمرين وأمر من لم يؤمن بالإيمان فرق؛ فإنه سبحانه لم يحب من إبراهيم ذبح ولده، وإنما أحب منه عزمه على الامتثال (وتوطين)[٤] نفسه عليه.

---

(١) ما بينهما زيادة من م، ط .

(٢) قال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات/ ١٠٢] .

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب (الصلاة) باب (كيف فرضت الصلاة في الإسراء)١/ ٩١ من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

(٤) في (ط) (وأن يوطن) .

وكذلك[أمر][(١)] محمداً ﷺ ليلة الإسراء بخمسين صلاة .

وأما أمر من علم أنه لا يؤمن بالإيمان، فإنه سبحانه يحب من عباده أن يؤمنوا به وبرسله، ولكن اقتضت حكمته أن أعان بعضهم على فعل ما أمره (به)[(٢)] ووفقه له، وخذل بعضهم فلم يعنه ولم يوفقه، فلم تحصل مصلحة الأمر منهم، وحصلت من الأمر بالذبح .

فصل

وأما الكتابة: فالكونية كقوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة/ ٢١] .

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء/ ١٠٥] .

وقوله: ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الحج/ ٤] .

والشرعية الأمرية كقوله ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ [البقرة/ ١٨٣] .

وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ [النساء/ ٢٣]، إلى قوله: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء/ ٢٤] .

قوله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ [بِٱلنَّفْسِ][(٣)]﴾ [المائدة/ ٤٥].

---

(١)في (ط) (أمره).

(٢) ساقطة من م، ط .

(٣) ساقطة من الأصل والصواب ما أثبته .

[فالأولى][١] كتابة بمعنى القدر، والثانية كتابة بمعنى الأمر .

فصل

والأمر الكوني كقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس/ ٨٢] .

وقوله: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر/ ٥٠] .

وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ [مَفْعُولًا][٢]﴾ [النساء/ ٤٧] .

وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم/ ٢١] .

وقوله :﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟﴾ [الإسراء/ ١٦] .

فهذا أمر تقدير كوني لا أمر ديني شرعي، فإن الله لا يأمر بالفحشاء. والمعنى: قضينا ذلك وقدرناه .

وقالت طائفة: بل أمر ديني. والمعنى: أمرناهم بالطاعة فخالفونا وفسقوا .

والقول الأول أرجح لوجوه:

أحدها: أن الإضمار على خلاف [الأصل][٣] فلا يصار إليه إلا إذا لم [يمكن][٤] تصحيح الكلام بدونه .

الثاني: أن ذلك يستلزم إضمارين، أحدهما: أمرناهم بطاعتنا، والثاني: فخالفونا، أوعصونا، ونحو ذلك .

---

(١) في الأصل (فالأول) .

(٢) في الأصل (مفعولان) .

(٣) في الأصل (الأصلي) والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

(٤) في الأصل (يكن). والصواب ما أثبته من باقي النسخ .

الثالث: ان ما بعد الفاء في مثل هذا التركيب هو المأمور به نفسه. كقولك أمرته ففعل، وأمرته فقام، وأمرته فركب، لا يفهم المخاطب غير هذا .

الرابع: أن سبحانه جعل سبب هلاك القرية أمره المذكور. ومن المعلوم أن أمره بالطاعة والتوحيد لا يصلح أن يكون (سبباً للهلاك)[١] بل هو سبب [للنجاة][٢] والفوز .

فإن قيل: أمره بالطاعة مع الفسق هو سبب الهلاك .

قيل: هذا يبطل بالوجه **الخامس:** وهو أن هذا الأمر لا يختص بالمترفين، بل هو سبحانه يأمر بطاعته واتباع رسله المترفين وغيرهم، فلا يصح تخصيص الأمر بالطاعة بالمترفين .

يوضحه الوجه السادس: أن الأمر لو كان بالطاعة، لكان هو نفس إرسال رسله إليهم، ومعلوم أنه لا يحسن أن يقال: أرسلنا إلى مترفيها ففسقوا فيها، فإن الإرسال لو كان إلى المترفين لقال من عداهم نحن لم يرسل إلينا .

السابع: أن إرادة الله سبحانه لإهلاك القرية إنما تكون بعد إرسال الرسل إليهم وتكذيبهم، وإلا فقبل ذلك هو لا يريد إهلاكهم، لأنهم معذورون بغفلتهم وعدم بلوغ الرسالة إليهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ (رَبُّكَ)[٣] لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا (مُصْلِحُونَ)[٤]﴾ [هود/ ١١٧] .

فإذا أرسل الرسل فكذبوهم أراد إهلاكها، فأمر رؤساءها ومترفيهم أمراً

---

(١) في (ط) (سبب الهلاك) .

(٢) في الأصل ، م (النجاة) والصواب ما أثبته من (ط) .

(٣) في م، ط (الله) .

(٤) في جميع النسخ (غافلون) والصواب ما أثبته .

كونياً قدرياً، لا شرعياً دينياً، بالفسق في القرية، (فاجتمع على أهلها)[(١)] تكذيبهم وفسق رؤسائهم، فحينئذ جاءها أمر الله، وحق عليها قوله بالإهلاك.

والمقصود ذكر الأمر الكوني والديني. ومن الديني قوله: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل/ ٩٠] .

وقوله: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ (ٱلۡأَمَٰنَٰتِ)[(٢)] إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء/ ٥٨]. وهو كثير .

فصل

وأما الإذن الكوني، فكقوله تعالى (في السحر)[(٣)] : ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ البقرة/ ١٠٢] أي بمشيئته وقدره [(٤)] .

وأما الديني، فكقوله: ﴿ مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر/ ٥] أي بأمره ورضاه[(٥)] .

وقوله: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ (لَكُم)[(٦)] مِّن رِّزۡقٍ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ﴾ [يونس/ ٥٩] .

وقوله: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى/ ٢١] .

---

(١) في (ط) (فاجتمع أهلها على) .

(٢) في (م) (الأمات) .

(٣) ساقطة من م، ط .

(٤) انظر: تفسير الطبري ٢/ ٤٥٠ – فتح القدير ١/ ٢١٥ .

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ١٠ ، تفسير أبي السعود ٥/ ٣٠١ .

(٦) ساقطة من (م) .

فصل

أما الجعل الكوني فكقوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ﴾ [يس/ ٨-٩] وقوله: [﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾][(١)] [يونس/ ١٠٠] .

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ [النحل/ ٧٢] ، وهو كثير.

وأما الجعل الديني فكقوله: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ [المائدة/ ١٠٣] أي ما شرع ذلك ولا أمر به [(٢)]. إلا فهو مخلوق له واقع بقدره ومشيئته .

وأما قوله ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ [المائدة/ ٩٧] فهذا يتناول الجعلين فإنه جعلها كذلك بقدره وشرعه، وليس هذا استعمالاً للمشترك في معينه، بل إطلاق اللفظ وإرادة القدر المشترك بين معينه ، فتأمله.

فصل

وأما الكلمات الكونية؛ فكقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس/ ٣٣] .

وقوله: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ [الأعراف/ ١٣٧] .

وقول ﷺ: « **أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من**

---

(١) ما بينهما زيادة من م، ط .

(٢) انظر: تفسير البغوي ٣/ ١٠٧ - تفسير القرآن العظيم ٢/ ١٧٥ .

شر ما خلق »[(١)].

فهذه كلماته الكونية التي يخلق بها ويكون، ولو كانت الكلمات الدينية التي يأمر بها وينهى لكانت مما يجاوزهن الفجار والكفار .

وأما الديني، فكقوله: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة/ ٦]. والمراد به القرآن[(٢)] .

وقوله ﷺ في النساء: «واستحللتم فروجهن بكلمة الله»[(٣)] أي إباحته ودينه .

(وهي)[(٤)] قوله: ﴿ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾[(٥)] [النساء/ ٣] .

وقد اجتمع النوعان في قوله: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ [التحريم/ ١٢] فكتبه كلماته التي يأمر بها وينهى، ويحل ويحرم. وكلماته التي

---

(١) حديث صحيح سبق تخريجه انظر: ص (١٣٣٦) .

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ٣/ ٥٢٨ – الدر المنثور ٣/ ٢١٣ .

(٣) جزء من حديث حجة الوداع: أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (الحج) باب (حجة النبي ﷺ) ح(١٢١٨) ١/ ٨٨٩ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٤) ساقطة من م، ط .

(٥) قال النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم (٨/ ١٨٣) في قوله ﷺ «واستحللتم فروجهن بكلمة الله» قال: قيل معناه قوله: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾، وقيل: المراد كلمة التوحيد، وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ. إذ لا تحل مسلمة لغير مسلم، وقيل: المراد بإباحة الله والكلمة قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ وهذا الثالث هو الصحيح، وبالأول قال الخطابي والهروي وغيرهما. وقيل: المراد بالكلمة الإيجاب والقبول. ومعناه على هذا بالكلمة التي أمر الله تعالى بها. والله أعلم) انتهى.

يخلق بها ويكون[(١)]، فأخبر أنها ليست جهمية[(٢)] تنكر كلمات دينه وكلمات تكوينه، وتجعلها خلقاً من جملة مخلوقاته[(٣)].

فصل

وأما البعث الكوني فكقوله: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ [الإسراء/ ٥]. وقوله: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [المائدة/ ٣١] .

وأما البعث الديني فكقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ [الجمعة/ ٢] وقوله: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة/ ٢١٣] .

فصل

وأما الإرسال الكوني، فكقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم/ ٨٣] وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾ [الفرقان/ ٤٨] .

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٦١٦ ، فتح القدير ٥/ ٢٥٦ .

(٢) سبق تعريفها .

(٣) انظر: الملل والنحل بهامش الفصل ١/ ١١٢ .

وأما الديني، فكقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح/ ٢٨] وقوله: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ [المزمل/ ١٥] .

فصل

وأما التحريم الكوني، فكقوله : ﴿ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ [بالقصص/ ١٢]. وقوله: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [المائدة/ ٢٦]. وقوله: ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء/ ٩٥] .

وأما التحريم الديني، فكقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ [النساء/ ٢٣] و﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾ [المائدة/ ٣] و﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ ﴾ [المائدة/ ٩٦]، ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾ [البقرة/ ٢٧٥] .

فصل

وأما الإيتاء الكوني، فكقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ [البقرة/ ٢٤٧]. وقوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران/ ٢٦]. وقوله: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء/ ٥٤] .

وأما الإيتاء الديني، فكقوله: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ [الحشر/ ٧] وقوله: ﴿ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ [البقرة/ ٦٣، ٩٣]، [الأعراف/ ١٧١] .

وأما قوله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة/ ٢٦٩]. فهذا يتناول النوعين، فإنه يؤتيها من يشاء أمراً وديناً وتوفيقاً وإلهاماً [1] .

فصل

وأنبياؤه ورسله وأتباعهم من هذه الأمور الديني منها، وأعداؤه واقفون مع (الكوني القدري)[2]، فحيث ما مال القدر مالوا معه. فدينهم دين القدر، ودين الرسل وأتباعهم دين الأمر، فهم يدينون بأمره ويؤمنون بقدره، وخصماء الله يعصون أمره، ويحتجون بقدره، (ويقولون)[3] نحن واقفون مع مراد الله. نعم مع مراده [الكوني لا الديني][4] ، ولا ينفعكم وقوفكم مع المارد الكوني، ولا يكون ذلكم عذراً لكم عنده، إذ لو عذر بذلك لم يذم أحداً من خلقه، ولم يعاقبه، ولم يكن في خلقه عاص ولا كافر، ومن زعم ذلك، فقد كفر بالله وكتبه كلها وجميع رسله. وبالله التوفيق .

* * *

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٥٧٦-٥٧٩) .

(٢) في (ط) (القدري الكوني) .

(٣) في (ط) (لا يقولون) .

(٤) في جميع النسخ (الديني أو الكوني) ولعل الصواب ما أثبته .

الباب الموفي ثلاثين

في ذكر الفطرة الأولى ومعناها واختلاف الناس في المراد بها وأنها لا تنافي القضاء والقدر بالشقاوة والضلال

الباب الموفي ثلاثين

في ذكر الفطرة الأولى ومعناها واختلاف الناس في المراد بها وأنها لا تنافي القضاء والقدر بالشقاوة والضلال

قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) ﴾[الروم/ ٣٠-٣١]. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة[١] عن النبي ﷺ أنه قال: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجِّسانه، كما تنتج[٢] البهيمة جمعاء[٣] هل تحسون فيها من جدعاء[٤] حتى تكونوا أنتم تجدعونها» ثم قرأ أبوهريرة: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [الروم/ ٣٠] وفي لفظ آخر: «ما من مولود إلا يولد على هذه الملة»[٥] وقد اختلف الناس في معنى هذه الفطرة والمراد بها؛ فقال القاضي أبو يعلى[٦] في معنى الفطرة: ها هنا روايتان عن أحمد[٧]: إحداهما الإقرار بمعرفة الله تعالى، وهو العهد الذي أخذه

---

(١) سبقت ترجمته انظر ص(١٤٤).

(٢) (تنتج) أنتجت البهيمة إذا ولدت. انظر: التعليق على الموطأ ١/٢٤١. المعجم الوسيط ص ٨٩٩.

(٣) سبق تعريفها انظر: ص٣٣٠.

(٤) سبق تعريفها انظر: ص٣٣٠.

(٥) سبق تخريجه ص٣٣٠.

(٦) سبقت ترجمته.

(٧) سبقت ترجمته. انظر ص١٤٠.

[الله][١] عليهم في أصلاب آبائهم حتى مسح ظهر آدم، (فأخرج)[٢] من ذريته إلى يوم القيامة أمثال الذر: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ (شَهِدْنَآ)[٣]﴾ [الأعراف/ ١٧٢] فليس أحد إلا وهو [يقر][٤] بأن له صانعاً ومدبراً، وإن سماه بغير اسمه، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف/ ٨٧] فكل مولود يولد على ذلك الإقرار الأول[٥][٦].

قال: وليس الفطرة هنا الإسلام؛ لوجهين:

أحدهما: أن معنى الفطرة ابتداء الخلقة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام/ ١٤] أي مبتدئها[٧]، وإذا كانت الفطرة هي الابتداء وجب أن تكون تلك هي التي وقعت لأول الخليقة، وجرت في فطرة المعقول، وهو استخراجهم ذرية؛ لأن تلك حالة ابتدائهم، ولأنه لو كانت الفطرة هنا الإسلام، لوجب إذا ولد بين أبوين كافرين أن لا يرثهما ولا

---

(١) زيادة من م، ط.

(٢) في الأصل (فاجتمع) الصواب ما أثبته من م، ط. وانظر: درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٣٥٩.

(٣) ساقطة من م، ط.

(٤) في الأصل (مقر) ولعل الصواب ما أثبته من باقي النسخ، ومن درء التعارض ٨/ ٣٥٩.

(٥) انظر: درء التعارض ٨/ ٣٥٩.

(٦) تم في قسم الدراسة مناقشة مسألة الفطرة وأقوال الناس فيها، وأصح الأقوال في ذلك.

(٧) تفسير الطبري ١١/ ٢٨٣.

يرثانه ما دام طفلاً لأنه مسلم، واختلاف الدين يمنع الإرث، ولوجب أن لا يصح استرقاقه ولا يحكم بإسلامه بإسلام أبيه لأنه مسلم.][(١)] [قال: وهذا تأويل ابن قتيبة][(٢)(٣)]. وذكره ابن بطة[(٤)] في الإبانة[(٥)] قال: وليس كل من ثبت له المعرفة حكم بإسلامه كالبالغين من الكفار، فإن المعرفة حاصلة (لهم)[(٦)]، وليسوا بمسلمين.

قال: وقد أومأ أحمد[(٧)] إلى هذا التأويل في رواية الميموني[(٨)]، فقال: «الفطرة الأولى التي فطر الناس عليها»، فقال [له][(٩)] الميموني: الفطرة [الدين][(١٠)].

---

(١) انظر: درء التعارض بتصرف ٨/ ٣٥٩-٣٦٠.

(٢) سبقت ترجمته ص٣٦١.

(٣) انظر: (تأويل مختلف الحديث) لابن قتيبة ص (٨٧، ٨٨).

(٤) سبق ترجمته .

(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٤١٧.

(٦) ساقطة من م، ط.

(٧) سبقت ترجمته انظر ص١٤٠ .

(٨) الميموني: هو الإمام عبدالملك بن عبدالحميد بن عبدالحميد بن ميمون بن مهران الميموني الرقي، الحافظ، الفقيه، صحب الإمام أحمد، وروى عنه، وعن أبيه عبدالحميد ومحمد بن عبيد الطنافسي، وحجاج بن محمد. وعنه النسائي، وأبو حاتم، وأبو عوانة، وأبو علي محمد بن سعيد الحراني، ومحمد بن المنذر، وخلق كثير. مات سنة أربع وسبعين ومائتين. انظر: تهذيب التهذيب ٦/ ٤٠٠، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٨٩.

(٩) زيادة من م، ط.

(١٠) في الأصل (الديني) والصواب ما أثبته من م، ط. وانظر: الدرء ٨/ ٣٦٠.

قال: نعم[١]. قال القاضي[٢]. وأراد أحمد [بالدين][٣] المعرفة التي ذكرناها[٤].

قال: والرواية الثانية: الفطرة هنا: ابتداء خلقه في بطن أمه، لأن حمله على العهد الذي أخذه عليهم وهو الإقرار بمعرفته حمل (للفطرة)[٥] على الإسلام، لأن الإقرار بالمعرفة إقرار بالإيمان، والمؤمن مسلم، ولو كانت الفطرة الإسلام لوجب إذا ولد بين أبوين كافرين أن لا يرثانه ولا يرثهما، قال: ولأن ذلك يمنع أن يكون الكفر خلقاً لله، وأصول أهل السنة بخلافه][٦].

[قال: وقد أومأ أحمد إلى هذا في رواية علي بن سعيد[٧] وقد سأله عن قوله: «كل مولود يولد على الفطرة» فقال: [على][٨] الشقاوة والسعادة. وكذلك نقل محمد بن يحيى الكحال[٩] أنه سأله

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٩٥) أحكام أهل الملل ص١٦.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) في الأصل(الديني) والصواب ما أثبته من م، ط. وانظر: الدرء ٨/ ٣٦٠.

(٤) انظر: درء التعارض ٨/ ٣٦٠.

(٥) في الأصل (الفطرة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) انظر: درء التعارض بتصرف ٨/ ٣٦٠.

(٧) هو علي بن سعيد بن جرير بن ذكوان النسائي أبو الحسن. روى عن عبدالصمد بن عبدالوارث، وأبي عامر العقدي، وعثمان بن عمر بن فارس، وغيرهم. وعنه النسائي، وابن ماجه، وابنه خزيمة، وابنه محمد، وكان محدث عصره. مات سنة ست وخمسين ومائتين، وقيل: سبع وخمسين ومائتين. انظر: تهذيب التهذيب ٧/ ٣٢٦.

(٨) زيادة من م، ط.

(٩) هو: محمد بن يحيى الكحال أبو جعفر البغدادي المتطبب، قال أبو بكر الخلال: كانت عنده عن أبي عبد الله - يعني الإمام أحمد - مسائل حسان مشبعة، وكان من كبار أصحاب أبي عبد الله. وكان يقدمه ويكرمه. انظر: طبقات الحنابلة ١/ ٣٢٨.

(عن ذلك)[١] : فقال هي التي فطر الناس عليها شقي أو سعيد. وكذلك نقل حنبل[٢] عنه قال: الفطرة التي فطر الله عليها العباد من الشقاوة والسعادة.

قال: وهذا كله يدل من كلامه على أن المراد بالفطرة ها هنا ابتداء خلقه في بطن أمه][٣] .

قال شيخنا أبو العباس ابن تيمية[٤]: [أحمد لم يذكر العهد الأول، وإنما قال: الفطرة الأولى التي فطر الناس عليها، وهي الدين، و(قد)[٥]، قال في غير موضع: إن الكافر إذا مات أبواه أو أحدهما حكم بإسلامه.

واستدل بهذا الحديث حكم فدل على أنه فسر الحديث بأنه يولد على فطرة الإسلام كما جاء ذلك مصرحاً به في الحديث، ولو لم تكن الفطرة عنده الإسلام، لما صح استدلاله بالحديث. وقوله في موضع آخر: « يولد على ما فطر عليه من شقاوة وسعادة » لا ينافي ذلك، فإن الله سبحانه قدر الشقاوة والسعادة وكتبهما، وقدر أنها تكون بالأسباب التي تحصل بها، كفعل

---

(١) ما بينهما ساقط من م، ط.

(٢) هو: حنبل بن إسحاق أبوعلي ابن عم الإمام أحمد وتلميذه، سمع أبا نعيم، والحميدي، وسليمان بن حرب، والإمام أحمد وغيرهم، كان ثقة، ثبتاً. قال الدارقطني: كان صدوقاً. توفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين. انظر: شذرات الذهب (٢/ ١٦٣-١٦٤)، البداية والنهاية ١١/ ٥٥ ، العبر ١/ ٣٩٤.

(٣) انظر: درء التعارض بتصرف ٨/ ٣٦١، طبقات الحنابلة ١/ ٣٢٨ ، أحكام أهل الملل بتصرف ص ١٧.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) ساقطة من م، ط.

الأبوين، [فتهويد الأبوين](١) وتنصيرهما وتمجيسهما هو مما قدره الله تعالى أنه يفعل بالمولود، والمولود يولد على الفطرة سليماً، وولد على أن هذه الفطرة السليمة يغيرها الأبوان كما قدر سبحانه ذلك وكتبه، كما مثل النبي ﷺ ذلك بقوله « كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء » . فبين أن البهيمة تولد سليمة ثم يجدعها الناس، وذلك بقضاء الله وقدره، فكذلك المولود يولد على الفطرة سليماً ثم يفسده أبواه، وذلك أيضاً بقضاء الله وقدره](٢). وإنما قال أحمد وغيره من الأئمة (ولد)(٣) على ما فطر عليه من شقاوة أو سعادة؛ [لأن](٤) القدرية يحتجون بهذا الحديث على أن الكفر والمعاصي ليس بقضاء الله وقدره، بل مما ابتدأ الناس إحداثه، ولهذا قالوا لمالك بن أنس(٥): إن القدرية يحتجون علينا بأول الحديث، فقال: احتجوا عليهم بآخره(٦) وهو قوله: « الله أعلم بما كانوا عاملين »(٧)(٨).

فبين الإمام أحمد وغيره (أنه لا حجة فيه للقدرية. فإنهم لا يقولون: إن

---

(١) زيادة من م، ط.

(٢) انظر درء التعارض بتصرف ٨/ ٣٦١-٣٦٢.

(٣) ساقطة من م، ط.

(٤) في الأصل، م (أن) والصواب ما أثبته من (ك) ومن درء التعارض ٨/ ٣٦٢.

(٥) سبق ترجمته انظر: ص ١٧٠.

(٦) سنن أبي داوود كتاب (السنة) باب (في ذراري المشركين) ح (٤٧١٥) ٥/ ٨٩ باختلاف يسر من رواية ابن وهب.

(٧) انظر: درء التعارض ٨/ ٣٦٢.

(٨) سبق تخريجه .

نفس الأبوين خلقا تهويده وتنصيره، بل هو تهود وتنصر باختياره، ولكن كانا سبباً في حصول ذلك بالتعليم [والتلقين][(١)]. فإذا أضيف إليهما هذا الاعتبار، فلأن يضاف إلى الله الذي هو خالق كل شيء بطريق الأولى، لأنه سبحانه وإن كان خلقه مولوداً على الفطرة سليماً، فقد قدر عليه ما سيكون بعد ذلك من تغييره، وعلم ذلك، كما في الحديث الصحيح: «إن الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافراً، ولو بلغ لأرهق أبويه طغياناً وكفراً»[(٢)]. فقوله: «طبع يوم طبع» أي قدر وقضى في الكتاب أنه يكفر، لا أن كفره كان موجوداً قبل أن يولد، ولا في حال (ولادته)[(٣)] فإنه [يولد][(٤)] على الفطرة السليمة، وعلى أنه بعد ذلك يتغير ويكفر. ومن ظن أن الطبع على قلبه هو الطبع المذكور على (قلوب)[(٥)] الكفار فهو غالط، فإن ذلك لا يقال فيه «طبع يوم طبع»، إذ كان الطبع على قلبه إنما يوجد بعد كفره. وقد ثبت في صحيح مسلم[(٦)] عن عياض بن (حمار)[(٧)(٨)] عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك

(١) في الأصل (التقلين).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في الأصل، م (ولاده) والصواب ما أثبته من (ك).

(٤) في م، ط (مولود).

(٥) في (ط) (قلب).

(٦) هو الإمام مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري الحافظ، صاحب الصحيح، أحد أئمة الحديث. سمع من يحيى بن يحيى النيسابوري، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه. توفي سنة إحدى وستين ومائتين. انظر: شذرات الذهب ٢/ ١٤١، العبرة ١/ ٣٧٥.

(٧) في (ط) (حماد).

(٨) سبقت ترجمته انظر: ص ١٢٨٦.

وتعالى أنه قال: « خلقت عبادي حنفاء كلهم، فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً»[(١)].

هذا صريح في أنه خلقهم على الحنيفية، وأن الشياطين اجتالتهم بعد ذلك. وكذلك في حديث الأسود بن سريع[(٢)] الذي رواه أحمد وغيره، قال: بعث النبي ﷺ سرية، فأفضى بهم القتل إلى الذرية، فقال لهم النبي ﷺ : « ما حملكم على قتل الذرية؟ » قالوا: يا رسول الله، أليسوا أولاد المشركين؟ قال: «أوَليس خياركم [أولاد][(٣)] المشركين؟ » ثم قام النبي ﷺ خطيباً، فقال: «ألا إن كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه »[(٤)] فخطبته لهم بهذا الحديث عقب نهيه عن قتل أولاد المشركين، وقوله لهم: « أوَليس خياركم أولاد المشركين » نص على أنه أراد [أنهم][(٥)] ولدوا غير كفار، [ثم الكفر طرأ بعد ذلك. ولو أراد أن المولود حين يولد يكون][(٦)] إما مسلماً [وإما كافراً][(٧)] على ما سبق له به القدر، لم يكن فيما ذكر حجة على قصده

---

(١) سبق تخريجه ص١٢٨٦ .

(٢) الأسود بن سريع: بن حمير عبادة التميمي السعدي، روى عنه الأحنف بن قيس، والحسن البصري، وعبدالرحمن بن أبي بكرة. توفي سنة اثنتين وأربعين. انظر: تهذيب التهذيب ١/ ٣٣٨.

(٣) في الأصل (أولى).

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ٤٣٥، والحاكم في المستدرك ٢/ ١٢٣، وقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في (صحيح الجامع) برقم ٤٤٣٥ من حديث الأسود بن سريع رضي الله عنه .

(٥) في (ط) (بهم).

(٦) ما بينهما زيادة من م، ط، ومن درء التعارض ٨/ ٣٦٤.

(٧) ما بينهما زيادة من م، ط، ومن درء التعارض ٨/ ٣٦٤.

[ﷺ][١] من نهيه عن قتل أولاد المشركين، وقد ظن بعضهم أن معنى قوله «أوليس خياركم أولاد المشركين» أنه قد يكون (سبق)[٢] في علم الله لو [بقوا][٣] لآمنوا، فيكون النهي راجعاً إلى هذا المعنى من التجويز، وليس هذا معنى الحديث، لكن ما معناه أن خياركم [هم][٤] السابقون الأولون [من المهاجرين والأنصار][٥]، وهؤلاء من أولاد المشركين، فإن آباءهم كانوا كفاراً، ثم إن البنين أسلموا بعد ذلك، فلا يضر الطفل أن يكون من أولاد المشركين إذا كان مؤمناً، فإن الله إنما يجزيه بعمله لا بعمل أبويه، وهو سبحانه (يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن، كما يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي))[٦].

فصل

وهذا الحديث قد روي بألفاظ يفسر بعضها بعضاً، ففي الصحيحين ـ واللفظ للبخاري ـ عن ابن شهاب[٧] عن أبي سلمة[٨] عن أبي هريرة[٩]

---

(١) ما بينهما من درء التعارض ٨/ ٣٦٤

(٢) ساقطة من م، ط.

(٣) في الأصل (بقيوا) والصواب ما أثبته من باقي النسخ، ومن الدرء.

(٤) زيادة من م، ط، ومن الدرء.

(٥) ما بينهما من الدرء ٨/ ٣٦٤

(٦) انظر درء التعارض باختلاف يسير ٨/ ٣٦٤.

(٧) سبقت ترجمته ص ١٤٥ .

(٨) أبو سلمة: عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله. أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة . روى عن النبي ﷺ وعنه أم سلمة. مات سنة أربع، وقيل: ثلاث. انظر: حلية الأولياء ٢/ ٣ ، تهذيب التهذيب ٥/ ٢٨٧.

(٩) سبقت ترجمته ص١٤٤ .

قال: قال رسول الله ﷺ « **ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمةُ (بهيمةً)**[(١)] **جمعاء،، هل تحسون فيها من جدعاء** ». ثم يقولُ أبو هريرة : اقرأوا : ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم/ ٣٠]. قالوا: يا رسول الله : أفرأيت من يموت صغيراً؟ قال: « **الله أعلم بما كانوا عاملين** »[(٢)] .

وفي الصحيح قال الزهري[(٣)]: [يصلى على كل مولود يتوفى، وإن كان [لغية]][(٤)(٥)] من أجل أنه ولد على فطرة الإسلام إذا استهل صارخاً ولا يصلى على من لم يستهل من أجل أنه سقط. فإن أبا هريرة كان يحدث أن النبي ﷺ قال: « **ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟** » . ثم يقول أبو هريرة : ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم/ ٣٠][(٦)] .

---

(١) ساقطة من م، ط.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبقت ترجمته ص١٤٥ .

(٤) في (ط) (نصلي على مولود يتوفى وإن كان) والصواب ما أثبته من الأصل والدرء.

(٥) معنى (لغيه) قال ابن حجر في (فتح الباريء) ٣/ ٢٢١ في شرح (لغية) وقول ابن شهاب: [لغية] بكسر اللام والمعجمة، وتشديد التحتانية، أي من زنا، ومراده: أنه يصلي على ولد الزنا ولا يمنع ذلك من الصلاة عليه؛ لأنه محكوم بإسلامه تبعاً لأمه.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (الجنائز) باب (إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلي عليه؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام؟) ٢/ ٩٧ من رواية ابن شهاب الزهري.

وفي الصحيحين[١] من رواية الأعمش[٢] : « ما من مولود (يولد)[٣] إلا وهو على الملة» .

وفي رواية ابن معاوية[٤] عنه: «إلا على هذه الملة حتى يعرب عنه لسانه»[٥].

فهذا صريح أنه يولد على ملة الإسلام كما فسره ابن شهاب[٦] راوي الحديث، واستشهاد أبي هريرة بالآية يدل على ذلك][٧] .

(قال ابن عبد البر[٨] : وقد سئل ابن شهاب عن رجل عليه رقبة مؤمنة:

---

(١) في دره التعارض (وفي الصحيح).

(٢) هو: سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم، أبو محمد الكوفي الأعمش، روى عن أنس، ولم يثبت له منه سماع ،وعبد الله بن أبي أوفى، وزيد بن وهب، وأبي وائل، وأبي عمرو الشيباني، وغيرهم. وعنه الحكم بن عتيبة وأبو إسحاق السبيعي، وسليمان التيمي وسهيل بن أبي صالح، وخلق كثير. مات سنة سبع وأربعين ومائة، وقيل: ثمان وأربعين ومائة. انظر: العبر ١/ ١٦٠، البداية والنهاية ١٠/ ١٠٨، تهذيب التهذيب ٤/ ٢٢٢.

(٣) ساقطة من م، ط.

(٤) هو: الإمام المحدث، أبو جعفر الجمحي، سمع من حماد بن سلمة، والقاسم الحدائي ومحمد بن راشد، ومهدي بن ميمون. وعنه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد ابن عمرو البزار، وأبو يعلى، وخلق كثير. توفي ثلاث وأربعين ومائتين. انظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ٤٣٥ ، شذرات الذهب ٢/ ١٠٤.

(٥) سبق تخريجه .

(٦) سبقت ترجمته انظر ص١٤٥ .

(٧) انظر: دره التعارض (٨/ ٣٦٢-٣٦٦).

(٨) سبقت ترجمته ص١٧١ .

أيجزىء [الصبي](١) [عنه](٢) أن يعتقه وهو رضيع؟ قال : نعم، لأنه ولد على الفطرة)(٣).

قال أبو عمر(٤)(٥) ـ وقد ذكر النزاع في تفسير الحديث ـ وقال آخرون: الفطرة ها هنا الإسلام. قالوا : وهو المعروف عند عامة السلف أهل التأويل، وقد أجمعوا في تأويل قول الله عز وجل : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ قالوا : فطرة الله: دين الإسلام، واحتجوا بقول أبي هريرة في هذا الحديث: اقرؤوا إن شئتم ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ وذكروا عن عكرمة(٦) ومجاهد(٧) والحسن(٨) وإبراهيم(٩) والضحاك(١٠) وقتادة(١١) في قوله عز وجل : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ قالوا : (فطرة الله) دين الله الإسلام(١٢)، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ قالوا : لدين الله. واحتجوا بحديث

---

(١) ساقطة من (م).

(٢) ساقطة من (ط).

(٣) انظر : التمهيد ١٨/ ٧٦-٧٧، درء التعارض ٨/ ٣٦٧

(٤) أبو عمر ابن عبد البر : سبقت ترجمته ص١٧١ .

(٥) في الدرء ص ٣٦٧ قال ابن عبد البر.

(٦) سبقت ترجمته ص٣٠١ .

(٧) سبقت ترجمته ص١٩٠ .

(٨) سبقت ترجمته ص١٤٧ .

(٩) سبقت ترجمته .

(١٠) سبقت ترجمته ص١٩٩ .

(١١) سبقت ترجمته ص٣٢٦ .

(١٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٦٨٨، ٦٨٩) ، فتح القدير ٤/ ٢٥٧.

محمد بن إسحاق[(١)] : عن ثور بن يزيد[(٢)] عن يحيى بن جابر[(٣)] عن عبدالرحمن ابن عائذ الأزدي[(٤)] عن عياض بن (حمار)[(٥)] المجاشعي[(٦)] أن رسول الله ﷺ قال للناس يوماً: «ألا أحدثكم بما حدثني الله في الكتاب: إن الله خلق آدم وبنيه حنفاء مسلمين، وأعطاهم المال حلالاً لا [حرام فيه][(٧)]، فجعلوا ما

---

(١) هو: محمد بن إسحاق بن راهويه، الإمام، الحافظ، سمع من أبيه، وعلي بن حجر، وأحمد ابن حنبل، وغيرهم. وروى عنه إسماعيل الخطبي، وابن قانع، وأحمد بن خزيمة، وأبوالقاسم الطبراني، وآخرون. قتلته القرامطة بطريق مكة سنة أربع وتسعين ومائتين. انظر: ميزان الاعتدال ٣/ ٤٧٥، الوافي بالوفيات ٢/ ١٩٦، شذرات الذهب ٢/ ٢١٦.

(٢) هو: ثور بن يزيد الكلاعي الحمصي، المحدث، الفقيه، حدث عن خالد بن معدان، وراشد بن سعد، ونافع، والزهري، وحدث عنه ابن إسحاق رفيقه، وسفيان الثوري، وغيرهم. توفي سنة ثلاث وخمسين ومائة، وقيل: خمس وخمسين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٤٤ ، تهذيب التهذيب ٢/ ٣٣.

(٣) يحيى بن جابر بن حسان الطائي، أبو عمرو الحمصي، القاضي، روى عن عبدالرحمن ابن جبير بن نفير، وصالح بن يحيى بن المقدام، ويزيد بن شريح، وغيرهم. وروى عنه الترمذي، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر، وحبيب بن صالح، وسليمان بن سليم، وصفوان بن عمرو. مات سنة ست وعشرين ومائة. انظر: تهذيب التهذيب ١١/ ١٩١ ، العبر ١/ ١٢٥

(٤) عبدالرحمن بن عائذ الأزدي الثمالي، حدث عن عمر، وعلي، ومعاذ، وأبي ذر وجماعة، وحدث عنه محفوظ بن علقمة، وراشد بن سعد، وثور بن يزيد، ويحيى بن جابر، وغيرهم. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٨٧ ، تهذيب التهذيب ٦/ ٢٠٣.

(٥) في (ط) (حماد).

(٦) سبقت ترجمته ص١٢٨٦ .

(٧) في الأصل (حراماً) والصواب ما أثبته من باقي النسخ، ومن الدرء (٨/ ٣٦٨).

أعطاهم الله حراماً وحلالاً » الحديث[١].

قال: وكذلك روى بكر بن مهاجر[٢] عن ثور بن يزيد[٣] بإسناده مثله في هذا الحديث «حنفاء» : مسلمين. قال أبو عمر: روى هذا الحديث (قتاده)[٤] عن مطرف بن عبد الله[٥] عن عياض[٦] ولم يسمعه قتاده من مطرف، ولكن قال: حدثني ثلاثة: عقبة بن عبد الغافر[٧]، ويزيد بن عبد الله بن الشخير[٨]،

---

(١) سبق تخريجه ص١١٣ .

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) سبق ترجمته في الصفحة السابقة .

(٤) سبقت ترجمته ص٣٢٦ .

(٥) هو: مطرف بن عبد الله بن الشخير، الإمام القدوة الحجة، أبو عبد الله الحرشي العامري البصري. حدث عن أبيه رضي الله عنه، وعلي وعمار وأبي ذر وعثمان وغيرهم. وحدث عنه الحسن البصري، وأخوه يزيد بن عبدالله، ويزيد بن حميد، وثابت البناني، وخلق سواهم. توفي سنة ست وثمانين. انظر: حلية الأولياء ٢/ ١٩٨، سير أعلام النبلاء ٤/ ١٧٨

(٦) سبقت ترجمته .

(٧) عقبة بن عبد الغافر الأزدي، العوذي، أبو نهار البصري. روى عن أبي سعيد، وعبدالله بن مغفل، وأبي أمامة، وأبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود. وعنه يحيى بن أبي كثير، وقتادة، ويحيى بن أبي أسحاق الحضرمي، وسليمان التيمي، وابن عون، وغيرهم. قتل يوم الزاوية سنة اثنتين وثمانين، وقيل: ثلاث وثمانين. انظر: تهذيب التهذيب ٧/ ٢٤٦.

(٨) يزيد بن عبد الله الشخير بن عوف كعب بن وقدان بن الحريش ويكنى أبا العلاء، حدث عن أبيه، وأخيه مطرف بن عبد الله، وعمران بن حصين، وعائشة أم المؤمنين، وعثمان بن أبي العاص، وأبي هريرة. وحدث عنه قتادة، وسعيد الجريري، وخالـــد

والعلاء بن زياد[1] كلهم يقول: حدثني مطرف[2] عن عياض[3] عن النبي ﷺ، فقال فيه: « وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم » لم يقل: « مسلمين ».

وكذلك رواه الحسن[4] عن مطرف، ورواه ابن إسحاق[5] عمن لا يتهم عن قتادة بإسناده. قال: فدل [هذا][6] على حفظ محمد بن إسحاق وإتقانه وضبطه، لأنه ذكر « مسلمين » في روايته عن ثور بن يزيد[7] لهذا الحديث، وأسقطه من رواية قتادة[8] (وكذلك رواه الناس عن قتادة)[9] وقصر فيه عن قوله: « مسلمين »، وزاده ثور بإسناده، فالله أعلم][10].

الحذاء، وسليمان التيمي، وآخرون. مات سنة إحدى عشرة ومائة. انظر: طبقات ابن سعد ٧/ ١٥٥، شذرات الذهب ١/ ١٣٥.

(١) هو: العلاء بن زياد بن مطر بن شريح العدوي، أبو النصر البصري، أرسل عن النبي ﷺ وحدث عن عمران بن حصين، وعياض بن حمار، وأبي هريرة، ومطرف بن الشخير، وغيرهم. وعنه الحسن، وقتادة، ومطر الوراق، وأوفى بن دلهم، وإسحاق ابن سويد، وآخرون. مات سنة أربع وتسعين. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٠٢ - تهذيب التهذيب ٨/ ١٨١

(٢) سبقت ترجمته في الصفحة السابقة.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) سبقت ترجمته.

(٦) في الأصل (بذا) والصواب ما أثبته من باقي النسخ، ومن الدرء ٨/ ٣٦٩.

(٧) سبقت ترجمته ص١٣٩٩.

(٨) سبقت ترجمته ص٣٢٦.

(٩) ما بينهما ساقط من (ط)

(١٠) انظر: التمهيد (١٨/ ٧٢-٧٥)، درء التعارض (٨/ ٣٦٧-٣٦٩).

[قال[١]: والحنيف في كلام العرب: المستقيم المخلص، ولا استقامة (أكثر)[٢] من الإسلام. قال: وقد روي عن الحسن قال: «الحنيفية: حج البيت». وهذا يدل أنه أراد الإسلام. وكذلك روي عن الضحاك[٣] والسدي[٤] قال: حنفاء: حجاجاً. وعن مجاهد[٥]: حنفاء قال: متبعين)[٦]. (قال: وهذا كله يدل على أن الحنيفية الإسلام. قال: وقال أكثر العلماء: الحنيف: المخلص[٧]. وقال الله عز وجل: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾ [آل عمران/ ٦٧]. وقال تعالى : ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾[٨] [آل عمران/ ٩٥] وقال : ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج/ ٧٨].

وقال الشاعر، وهو الراعي[٩]:

---

(١) يعني ابن عبد البر.

(٢) في الأصل (أكبر) والأولى ما أثبته من م، ط ومن الدر ٨/ ٣٦٩.

(٣) سبقت ترجمته ص١٠١٨.

(٤) سبقت ترجمته ص١٩٠.

(٥) سبقت ترجمته ص١٩٠.

(٦) انظر: التمهيد ص٧١، ٧٥.

(٧) انظر: تفسير الطبري ٣/ ١٠٧، الدر المنثور ١/ ١٥٠، تفسير القرآن العظيم ١/ ٢٧٨.

(٨) هذه الآية لا ترد في « درء التعارض » ، ولا في « التمهيد ».

(٩) هو حصين بن معاوية، من بني نمير، وكان يقال لأبيه في الجاهلية: معاوية الرئيس، وكان سيداً. وإنما قيل له: الراعي؛ لأنه كان يصف راعي الإبل في شعره، وولده وأهل بيته بالبادية سادة أشراف، ويقال: هو عبيد بن حصين، ويكنى أبا جندل، وكان أعور وهجاه جرير؛ لأنه اتهمه بالميل إلى الفرزدق. انظر: طبقات الشعراء لابن قتيبة الدينوري ص ٢٠١.

أخلـيفة الـرحمن إنـا معشـر حـنفاء نسـجد بكـرة وأصيلاً
عـرب نـرى لله في أموالـنا حـق الـزكاة مـنزلاً تـنزيلاً(١)

قال : فهذا وصف الحنيفية بالإسلام، وهو أمر واضح لا خفاء به)(٢).

قال: ومما احتج به من ذهب في هذا الحديث إلى أن الفطرة في هذا الحديث الإسلام، قوله ﷺ : « **خمس من الفطرة** »(٣). ويروى : « **عشر من الفطرة**»(٤)](٥). قال شيخنا : [والدلائل](٦) على ذلك كثيرة، [ولو لم يكن المراد بالفطرة الإسلام لما سألوا عقب ذلك «أرأيت من يموت من أطفال المشركين؟»؛ لأنه لو لم يكن هناك ما يغير تلك الفطرة لما سألوه، والعلم القديم وما يجري مجراه لا يتغير.

وقوله: « **فأبواه يهودانه** » بين فيه أنهم يغيرون الفطرة التي فطر عليها.

وأيضاً إنه شبه ذلك بالبهيمة التي تولد مجتمعة الخلق لا نقص فيها ثم تجدع بعد ذلك (فعلم أن [التغيير](٧) وارد على الفطرة السليمة التي ولد العبد عليها.

---

(١) ذكره في أحكام أهل الذمة ٢/ ٩٦١ وذكر أنه للراعي.

(٢) انظر: التمهيد ١٨(٧٢-٧٦) وفي درء التعارض ٨/ (٣٦٧-٣٧١)

(٣) رواه البخاري في كتاب (اللباس) باب (قص الشارب) ٧/ ٥٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم في كتاب (الطهارة) باب (خصال الفطرة) ح (٢٦١) ١/ ٢٢٣ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) انظر: درء التعارض (٨/ ٣٦٩/ ٣٧١)

(٦) في الأصل (والدليل) والصواب ما أثبته من باقي النسخ، ومن الدرء ٨/ ٣٧١ .

(٧) في الأصل (التغير) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

أيضاً فإن الحديث مطابق للقرآن كقوله : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ وهذا يعم جميع الناس)[١]. فعلم أن الله سبحانه فطر الناس كلهم على فطرته المذكوره. وأيضاً فإنه أضاف الفطرة إليه إضافة مدح لا إضافة ذم، فعلم أنها فطرة محمودة لا مذمومة، كدين الله وبيته وناقته.

وأيضاً فإنه قال : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم/ ٣٠] (وهذا نصب على المصدر الذي دل عليه الفعل الأول عند سيبويه[٢] وأصحابه، فدل على أن إقامة الوجه لله حنيفاً هو فطرة الله التي فطر الناس عليها)[٣]][٤]. وأيضاً فإن هذا تفسير السلف (كما تقدم)[٥].

[قال ابن جرير[٦]: يقول: « فسدد وجهك نحو الوجه الذي وجهك الله يا محمد[٧] (لطاعته)[٨] وهي الدين. حنيفاً : يقول : مستقيماً لدينه وطاعته. فطرة الله: يقول: (صنعة)[٩] الله التي خلق الناس عليها. ونصب[١٠] فطرة

---

(١) ما بينهما مكرر في الأصل.

(٢) سبقت ترجمته ص١٠٤٤ .

(٣) ما بينهما ساقط من (ط).

(٤) انظر التعارض بتصرف (٨/ ٣٧١-٣٧٢).

(٥) ساقطة من م، ط.

(٦) سبقت ترجمته ص٤٩٤ .

(٧) في تفسير الطبري: الذي وجهك إليه ربك يا محمد.

(٨) في (ط) (بطاعته).

(٩) في (الأصل) (صبغة) والأولى ما أثبته من (ط) ومن درء التعارض ٨/ ٣٧٣

(١٠) تفسير الطبري: ونصبت

على المصدر (من معنى)[١] ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ﴾ [أي][٢] المعنى: فطر الله الناس على ذلك فطرة. قال: وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ثم روى عن [ابن][٣] زيد[٤] قال: فطرة الله التي فطر الناس عليها: قال: الإسلام منذ خلقهم الله من آدم جميعاً يقرون بذلك[٥].

[وعن مجاهد[٦]: فطرة الله: قال: الدين: الإسلام. ثم روى عن يزيد بن أبي مريم[٧]. قال (مر)[٨] عمر (بمعاذ)[٩] بن جبل[١٠] فقال: ما قوام هذه الأمة؟ قال معاذ: ثلاث، وهن المنجيات، الإخلاص – وهو الفطرة – فطرة

---

(١) في (ط) (معنى).

(٢) في (ط) (لأن).

(٣) في الأصل (أبي زيد) والصواب ما أثبته من باقي النسخ، ومن درء التعارض ٨/ ٣٧٣.

(٤) سبقت ترجمته ص١٠١٨ .

(٥) انظر: درء التعارض بتصرف ٨/ ٣٧٣.

(٦) سبقت ترجمته ص١٩٠ .

(٧) هو: يزيد بن أبي مريم، ويقال: يزيد بن ثابت أبو عبد الله الدمشقي. روى عن أبيه ومجاهد، ومسلم بن مشكم وغيرهم. وعنه الأوزاعي، وسعيد بن عبد العزيز، والوليد بن مسلم، ويحيى بن حمزة وغيرهم. مات سنة أربع وأربعين ومائة. وقيل: مات سنة خمس وأربعين، وجزم ابن حبان بأنه مات سنة خمس. انظر: تهذيب التهذيب ١١/ ٣٥٩.

(٨) ساقطة من م، ط

(٩) في ط (لمعاذ).

(١٠) هو: معاذ بن جبل بن عمرو بن الخزرج، الإمام أبو عبدالرحمن، روى عن النبي ﷺ وعنه ابن عباس، وأبو موسى الأشعري، وابن عمرو، وابن عمر، وجابر، وأنس. مات سنة عشرة، وقيل: ثمان عشرة. انظر: حلية الأولياء ١/ ٢٢٨، سير أعلام النبلاء ١/ ٤٤٣، تهذيب التهذيب ١٠/ ١٨٦

الله التي فطر الناس عليها، والصلاة وهي الملة، والطاعة وهي العصمة، فقال عمر: صدقت.

وقوله: ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ يقول: لا تغيير لدين الله، أي: لا يصلح ذلك ولا ينبغي أن يفعل. قال ابن أبي نجيح[١] عن مجاهد : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ (قال)[٢] لدين الله.

ثم ذكر أن مجاهداً أرسل إلى عكرمة[٣] [يسأله][٤] عن قوله : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ قال : هو الخصاء. فقال مجاهد: أخطأ، ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ إنما هو الدين. ثم (قرأ)[٥] : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم/ ٣٠].

وروي عن عكرمة ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ قال: لدين الله. (وعنه: فطرة الله، قال: الإسلام. وقال قتادة[٦] لا تبديل لخلق الله، قال: لدين الله)[٧] وهو

---

(١) هو: عبد الله بن أبي نجيح ، الإمام ، الثقة، المفسر ، أبو يسار الثقفي المكي. حدث عن مجاهد ، وطاوس ، وعطاء ، ونحوهم. وحدث عنه شعبة، والثوري، وعبد الوارث، وسفيان بن عيينة، وابن علية، وآخرون. مات سنة إحدى وثلاثين ومائة.
انظر: العبر ١/ ١٣٣ ، سير أعلام النبلاء ٦/ ١٢٥ ، شذرات الذهب ١/ ١٨٢

(٢) في ط (أي).

(٣) سبق ترجمته ص٣٠١ .

(٤) في الأصل (سأله) والصواب ما أثبته من باقي النسخ، ومن درء التعارض ٨/ ٣٧٥

(٥) في (ط) (قال).

(٦) في (ط) (قال) .

(٧) ما بينهما ساقط من (ط).

قول سعيد بن جبير[١] والضحاك[٢] وإبراهيم النخعي[٣] وابن زيد[٤]. وعن ابن عباس وعكرمة ومجاهد: هو الخصاء»[٥]. ولا منافاة بين القولين كما قال تعالى: ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء/ ١١٩] فتغيير ما فطر الله عباده من الدين تغيير لخلقه. والخصاء وقطع آذان الأنعام تغيير لخلقه أيضاً، ولهذا شبه النبي ﷺ أحدهما بالآخر. فأولئك يغيرون [الشريعة][٦]، وهؤلاء يغيرون الخلقة (فذاك تغيير)[٧] ما خلقت عليه نفسه وروحه، وهذا (تغيير)[٨] ما خلق عليه بدنه][٩].

فصل

[ولما صار القدرية يحتجون بهذا الحديث على قولهم، صار الناس يتأولونه على تأويلات يخرجونه بها عن مقتضاه. فقالت القدرية[١٠]: كل مولود يولد على الإسلام والله سبحانه لا يضل أحداً، وإنما أبواه يضلانه[١١].

---

(١) سبقت ترجمته ص١٨٦ .

(٢) سبقت ترجمته ص١٩٩ ، ١٠١٨ .

(٣) سبقت ترجمته ص١٣٩٨ .

(٤) سبقت ترجمته ص٣٨٩، ١٠١٨ .

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٤٠-٤٢) بتصرف

(٦) في الأصل (الشرعة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٧) في (ط) (فذلك يغير).

(٨) في (ط) (يغير).

(٩) درء التعارض بتصرف ٨/ ٣٧٤-٣٧٧

(١٠) سبق تعريفها .

(١١) انظر: مقالات الإسلاميين ص٥٤٩ ، الفرق بيت الفرق ص١١٤.

قال لهم أهل السنة: أنتم لا تقولون بأول الحديث ولا بآخره. أما أوله، فإنه لم يولد أحد عندكم على الإسلام أصلاً، ولا جعل الله أحداً مسلماً ولا كافراً عندكم، (بل)[١] هذا أحدث لنفسه الكفر، وهذا أحدث لنفسه الإسلام، والله لم يخلق واحداً منهما، ولكن دعاهما إلى الإسلام، وأزاح عللهما، وأعطاهما قدرة (مماثلة فيهما)[٢] تصلح للضدين، ولم يخص المؤمن بسبب يقتضي حصول الإيمان، فإن ذلك عندكم غير مقدور له، ولو كان مقدوراً لكان منع الكافر منه ظلماً.

هذا قول عامة القدرية[٣]، وإن كان أبو الحسين[٤] يقول: إنه خص المؤمن بداعي الإيمان، ويقول: عند الداعي والقدرة يجب وجود الإيمان. وهذا في الحقيقة موافق لقول أهل السنة. قالوا: وأيضاً تقولون: إن معرفة الله لا تحصل إلا بالنظر المشروط بالعقل. ويستحيل أن تكون المعرفة عندكم ضرورة أو تكون من فعل الله][٥].

وأما كونكم لا تقولون بآخره، فهو أن ينسب فيه التهويد والتنصير إلى الأبوين وعندكم أن المولود هو الذي أحدث لنفسه التهويد والتنصر دون

(١) ساقطة من (ط).

(٢) في (الأصل) (متماثلة) والصواب ما أثبته من (ط) ودرء التعارض ٨/ ٣٧٨.

(٣) انظر: شرح الطحاوية ص ٢٧٣، الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/ ١٩٢

(٤) هو : شيخ المعتزلة محمد بن علي بن الطيب أبو الحسين البصري المتكلم، صاحب التصانيف على مذهب المعتزلة. مات سنة ست وثلاثين وأربعمائة. انظر: تاريخ بغداد ٣/ ١٠٠ ، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٤٠

(٥) انظر: درء التعارض (٨/ ٣٧٧/ ٣٧٨)

الأبوان، والأبوان لا قدرة لهما على ذلك البتة.

وأيضاً فقوله : « **الله أعلم بما كانوا عاملين** » [دليل على أن الله يعلم ما يصيرون إليه بعد ولادتهم على الفطرة، هل يبقون عليها فيكونون مؤمنين، أو يغيرونها فيصيرون كفاراً][١]. فهو دليل على تقدم العلم الذي ينكره غلاة القدرية، واتفق السلف على تكفيرهم بإنكاره.[٢] [فالذي][٣] استدللتم به من الحديث على قولكم الباطل ـ وهو قوله: « **فأبواه يهودانه وينصرانه** » ـ لا حجة لكم (فيه)[٤]، بل هو حجة عليكم، [فغير الله لا يقدر على جعل الهدى أو الضلال في قلب أحد، بل المراد بالحديث دعوة الأبوين إلى ذلك (وترغيبهما فيه)[٥] وترتيبهما على ذلك مما يفعله المعلم والمربي، وخص الأبوين بالذكر (بناء)[٦] على الغالب (إذ لكل طفل)[٧] أبوان، وإلا فقد يقع (ذلك)[٨] من أحداهما (أو)[٩] من غيرهما][١٠].

---

(١) انظر: درء التعارض بتصرف (٨/ ٣٧٨)

(٢) انظر: السنة للإمام عبد الله ابن الإمام أحمد (١/ ١٠٤، ٢/ ٣٨٥)، الإيمان لابن تيمية ص (٣٦٨، ٣٦٩)، حاشية كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن قاسم ص ٣٦٥.

(٣) في الأصل (فالذين) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) ساقطة من (ط).

(٥) زيادة من م، ط، ومن الدرء ٨/ ٣٧٩.

(٦) ساقطة من م، ط.

(٧) ساقطة م (م) وفي (ط) (أنه جعل).

(٨) ساقطة من م، ط.

(٩) في الأصل (و).

(١٠) انظر: درء التعارض بتصرف (٨/ ٣٧٨، ٣٧٩)

فصل

[قال أبو عمر بن عبد البر(١): اختلف العلماء في الفطرة المذكورة في هذا الحديث اختلافاً كثيراً. وكذلك اختلفوا في الأطفال وحكمهم في الدنيا والآخرة. فسئل عنه ابن المبارك(٢) فقال: يفسره آخر الحديث: قوله: «الله أعلم بما كانوا عاملين». هكذا ذكر أبو عبيد(٣) عن ابن المبارك لم يزد شيئاً.

وذكر أنه سأل محمد بن الحسن(٤) عن تأويل هذا الحديث. فقال: كان هذا القول من النبي ﷺ قبل أن يؤمر الناس بالجهاد. هذا ما ذكره أبو عبيد.

قال أبو عمر: أما ما ذكره عن ابن المبارك، فقد روي عن مالك نحو ذلك، وليس فيه مقنع من التأويل، ولا شرح موعب في أمر الأطفال، ولكنها تؤدي إلى الوقوف عن القطع فيهم بكفر أو إيمان، أو جنة أو نار ما لم يبلغوا العمل.

قال: وأما ما ذكره عن محمد بن الحسن، فأظن محمداً حاد عن الجواب

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) هو: أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي الإمام، صاحب التصانيف، سمع شريكاً، وابن المبارك وظبقتيهما، وحدث عنه الدارمي، وأبو بكر بن أبي الدنيا، وعلي بن عبد العزيز البغوي، ولد بهراة سنة سبع وخمسين ومائة، وتوفي سنة أربع وعشرين ومائتين. انظر: البداية والنهاية ١٠/ ٣٠٤، شذرات الذهب ٢/ ٥٤

(٤) محمد بن الحسن بن فرقد العلامة، فقيه العراق، أبو عبد الله الشيباني الكوفي، صاحب أبي حنيفة، أخذ الفقه عن أبي حنيفة وأبي يوسف، كما روى عن أبي حنيفة والأوزاعي ومالك بن أنس. أخذ عنه الشافعي، وأبو عبيد، وهشام بن عبيد، وغيرهم كثير. توفي بالري سنة تسع وثمانين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء ٩/ ١٣٤، شذرات الذهب ١/ ٣٢١

فيه، إما لإشكاله عليه، أو لجهله به، أو لما شاء الله.

وأما قوله : إن ذلك من النبي ﷺ قبل أن يؤمر بالجهاد. (فلا أدري ما هذا. فإن كان أراد أن ذلك منسوخ، فغير جائز عند العلماء دخول النسخ في أخبار الله ورسوله، إذ المخبر بشيء كان أو يكون إذ رجع عن ذلك لم يخل رجوعه من تكذيبه لنفسه، أو غلطة فيما أخبر به، أو نسيانه. وقد جل الله عن ذلك، وعصم رسوله منه، وهذا لا يجهله ولا يخالف فيه أحد)[١].

وقول محمد بن الحسن إن هذا كان قبل أن يؤمر الناس بالجهاد، ليس كما قال، (لأن)[٢] في حديث الأسود بن سريع[٣] ما يتبين أن ذلك كان منه بعد الأمر بالجهاد. ثم روى بإسناده عن الحسن: عن الأسود بن سريع، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بال أقوام بلغوا في القتل حتى قتلوا الولدان؟» فقال رجل: أوَليس إنما هم أولاد المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ: «أوليس خياركم أولاد المشركين؟ إنه ليس من [مولود][٤] يولد إلا على الفطرة حتى (يبلغ)[٥] فيعبر عنه لسانه، ويهوده أبواه أو ينصرانه»[٦].

قال : وروى هذه الحديث عن الحسن جماعة؛ منهم بكر المزني[٧] والعلاء بن

---

(١) ما بينهما لم أجده في التمهيد.

(٢) في (ط) (أن).

(٣) سبقت ترجمته ص١٣٩٤ .

(٤) زيادة من (ط) ومن درء التعارض ٨/ ٣٨١.

(٥) ساقطة من م، ط.

(٦) سبق تخريجه انظر: ص ١٣٩٤.

(٧) بكر المزني: هو بكر بن عبد الله المزني، الإمام، القدوة، الواعظ، الحجة، أبو عبد الله المزني، البصري، أحد الأعلام، يذكر مع الحسن وابن سيرين. حدث عن المغيرة بن=

زياد[١]، [والسري][٢] بن يحيى[٣].

وقد روي عن الأحنف[٤] عن الأسود بن سريع، قال: وهو حديث بصري صحيح.

قال: وروى عوف [الأعرابي][٥][٦] عن سمرة بن

= شعبة، وابن عباس، وابن عمر، وأنس بن مالك، وحدث عنه ثابت البناني، وعاصم الأحول، وسليمان التيمي، وحبيب العجمي، وحميد الطويل، وغيرهم. مات سنة ست ومائة، وقيل: ثمان ومائة. انظر: تهذيب التهذيب ١/ ٤٨٤ ، حلية الأولياء ٢/ ٢٢٤ ، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٣٢.

(١) سبقت ترجمته انظر: ص١٤٠١ .

(٢) في (ط) (المسري).

(٣) هو: السري بن يحيى بن إياس بن حرملة بن إياس الشيباني، أبو الهيثم، ويقال: أبو يحيى، البصري، روى عن الحسن البصري، وثابت البناني، وابن شوذب، وهشام الدستوائي، وغيرهم. وروى عنه حماد بن زيد، وحمزة بن ربيعة، وابن المبارك، وابن وهب، وآخرين. مات سنة سبع وستين ومائة. انظر: ميزان الاعتدال ٢/ ١١٨، تهذيب التهذيب ٣/ ٤٦٠ .

(٤) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين، العالم النبيل أحد من يضرب بحلمه المثل، كان سيد تميم، أسلم في حياة النبي ﷺ حدث عن عمر، وعلي، وأبي ذر، والعباس، وابن مسعود، وغيرهم. وعنه الحسن البصري وعروة بن الزبير وغيرهما. قيل: مات سنة سبع وستين، وقيل: إحدى وسبعين. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٨٦، شذرات الذهب ١/ ٧٨ .

(٥) في الأصل (العرابي) والصواب (الأعرابي) كما في التمهيد (١٨/ ٦٨) ودرء التعارض (٨/ ٣٨٢).

(٦) هو: عوف بن أبي جميلة الحافظ الأعرابي البصري، ولم يكن أعرابياً، بل شهر به.=

جندب[1] عن النبي ﷺ قال: «**كل مولود يولد على الفطرة**» فناداه الناس: يا رسول الله: وأولاد المشركين؟ قال: «**وأولاد المشركين**»[2]][3].

قال شيخنا: [أما ما ذكره أبو عمر عن مالك وابن المبارك، فيمكن أن يقال: إن المقصود أن آخر الحديث يبين أن (الأولاد)[4] قد سبق علم الله (ما)[5] يعملون إذا بلغوا، وأن منهم من يؤمن فيدخل الجنة، ومنهم من يكفر فيدخل النار. فلا يحتج بقوله: «**كل مولود يولد على الفطرة**» على نفي القدر، كما احتجت القدرية به، ولا[6] على أن أطفال الكفار كلهم في الجنة

ولد سنة ثمان وخمسين. حدث عن أبي العالية، وزرارة بن أوفى، وابن سيرين، وخلق كثير. وحدث عنه شعبة، وابن المبارك، وغندر، وطائفة غيرهم. مات ست وأربعين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٨٣، تهذيب التهذيب ٨/ ١٦٦.

(١) سمرة بن جندب هو: ابن هلال الفزاري، من علماء الصحابة، حدث عنه ابنه سليمان، وأبو قلابة الجرمي، وعبد الله بن بريدة، وأبو رجاء العطاردي، والحسن البصري، وغيرهم. مات سنة ثمان وخمسين، وقيل: تسع وخمسين. انظر: سير أعلام النبلاء ٣/ ١٨٣، شذرات الذهب ١/ ٦٥.

(٢) هذا جزء من حديث طويل عن سمرة بن جندب رضي الله عنه، وأوله: قال: كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه: هل رأى أحد منكم من رؤيا؟ قال: «**فيقص عليه من شاء الله أن يقص..**» أخرجه البخاري في كتاب (التعبير) باب (تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح) ٨/ ٨٤

(٣) انظر: التمهيد (١٨/ ٦٦-٦٨)، درء التعارض (٨/ ٣٧٩-٣٨٢)

(٤) في م، ط (الأول).

(٥) ساقطة من (م، ط).

(٦) ساقطة من (ط).

لكونهم ولدوا على الفطرة. فيكون مقصود مالك وابن المبارك أن حكم الأطفال على ما في آخر الحديث.

وأما قول محمد[١] : فإنه رأى الشريعة قد استقرت على أن ولد اليهودي والنصراني يتبع أبويه في الدين في أحكام الدنيا، فيحكم له بحكم الكفر في أنه لا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يرثه المسلمون، ويجوز استرقاقهم. فلم يجز لأحد أن يحتج بهذا الحديث على أن حكم [الأطفال في الدنيا حكم المؤمنين حتى تعرب عنهم ألسنتهم.

وهذا حق، ولكن ظن أن][٢] الحديث اقتضى الحكم لهم في الدنيا بأحكام المؤمنين، فقال: هذا منسوخ، كان قبل الجهاد، لأنه بالجهاد أبيح استرقاق النساء والأطفال، والمؤمن لا يسترق، ولكن كون الطفل يتبع أباه في الدين في الأحكام الدنيوية أمر ما زال مشروعاً، وما زال الأطفال تبعاً لأبويهم في الأمور الدنيوية، والحديث لم يقصد بيان هذه الأحكام، وإنما قصد بيان ما ولد عليه الأطفال من الفطرة.

فصل

ومما ينبغي أن يعلم أنه إذا قيل [إنه][٣] ولد على الفطرة، أو على الإسلام، أو على هذه الملة، أو خلق حنيفاً، فليس المراد به أنه حين يخرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده، فإن الله يقول : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ [النحل/ ٧٨]، ولكن فطرته موجبة مقتضية

---

(١) يعني محمد بن الحسن سبقت ترجمته ص١٤١٠ .

(٢) ما بينهما زيادة من م، ط، ومن درء التعارض ٨/ ٣٨٣.

(٣) زيادة من (ط) ومن الدرء.

لدين الإسلام (لمعرفته)[١] ومحبته، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه ومحبته، وإخلاص الدين له، وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئاً بعد شيء بحسب كمال الفطرة إذا سلمت من المعارض.

وليس المراد أيضاً مجرد قبول الفطرة لذلك، فإن هذا القبول (تغير)[٢] بتهويد الأبوين وتنصيرهما بحيث يخرجان الفطرة عن [قبولها][٣]، وإن سعيا بين بنيهما ودعائهما في امتناع حصول المقبول.

وأيضاً فإن القبول ليس هو الإسلام. وليس هو هذه الملة، وليس هو الحنيفية.

وأيضاً فإنه شبه تغيير الفطرة بجدع، البهيمة الجمعاء، ومعلوم أنهم لم يغيروا قبوله، [ولو][٤] تغير القبول وزال لم تقم عليه الحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتب، بل المراد [أن][٥] كل مولود، فإنه يولد على محبته لفاطره (وإخلاصه له)[٦] وإقراره [له][٧] بربوبيته وإذعانه[٨] له بالعبودية، فلو خلي وعدم المعارض لم يعدل عن ذلك إلى غيره. كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من الأغذية والأشربة، فيشتهي اللبن الذي يناسبه ويغذيه، وهذا من قوله تعالى: ﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه/ ٥٠]، وقوله

(١) في (ط) (لقروبه).
(٢) في الأصل (لا يتغير) والصواب ما ذكرته من (ط).
(٣) في الأصل (قبولهما) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.
(٤) في الأصل (ولم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.
(٥) زيادة من م، ط.
(٦) ساقطة من م، ط.
(٧) زيادة من م، ط.
(٨) في (ط) (وادعائه).

تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝ ﴾ [الأعلى/ ٢، ٣]. فهو سبحانه خلق الحيوان مهتدياً إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره. ثم هذا الحب والبغض يحصل فيه شيئاً فشيئاً بحسب حاجته. ثم قد يعرض لكثير من الأبدان ما يفسد ما ولد عليه من الطبيعة السليمة والعادة الصحيحة][1]، فهكذا ما ولد عليه من الفطرة، ولهذا شبهت الفطرة باللبن، بل كانت إياه في التأويل للرؤيا، ولما عرض على النبي ﷺ ليلة الإسراء اللبن والخمر أخذ اللبن، فقيل له: أخذت الفطرة، ولو أخذت الخمر لغوت أمتك[2].

فمناسبة اللبن لبدنه وصلاحه عليه دون غيره كمناسبة الفطرة لقلبه وصلاحه بها دون غيرها.

فصل

قال ابن عبد البر[3]: وقالت طائفة[4]: المراد بالفطرة في هذا الحديث: [الخلقة التي خلق عليها المولود من المعرفة بربه، فكأنه قال: كل مولود يولد على خلقة يعرف بها ربه إذا بلغ مبلغ المعرفة. يريد أنه خلق خلقة مخالفة لخلقة البهائم التي لا تصل (بخلقتها)[5] إلى معرفة [ربها][6]، قالوا: والفاطر

(١) انظر: درء التعارض بتصرف (٨/ ٣٨٢-٣٨٤)

(٢) جزء من حديث الإسراء والمعراج، أخرجه البخاري في كتاب (الأنبياء) باب (قول الله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ ٤/ ١٢٥. ومسلم في كتاب (الإيمان) باب (الإسراء برسول الله ﷺ) ح (٢٦٤) ١/ ١٤٩ من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) سبقت ترجمته ص١٧١ .

(٤) في التمهيد: (فقالت جماعة من أهل الفقه والنظر) .

(٥) في م، ط (بخلقها).

(٦) زيادة من (ط)، في التمهيد والدرء (ذلك).

هو الخالق، وأنكرت أن يكون المولود يفطر على إيمان أو كفر][١] .

قال شيخنا [صاحب هذا القول: إن أراد بالفطرة التمكن من المعرفة والقدرة عليها، فهذا ضعيف، فإن مجرد القدرة على ذلك لا يقتضي أن يكون حنيفاً، ولا أن يكون على الملة، ولا يحتاج أن يذكر [تغيير][٢] أبويه لفطرته [حتى][٣] يسأل عمن مات صغيراً، ولأن القدرة في الكبير أكمل منها في الصغير، وهو لما نهاهم عن قتل الصبيان، فقالوا: إنهم أولاد المشركين قال: «أوَليس خياركم أولاد المشركين؟ ما من مولود إلا ويولد على الفطرة »، ولو أريد القدرة، لكان البالغون كذلك مع كونهم مشركين مستوجبين للقتل.

وإن أراد بالفطرة القدرة على المعرفة مع إرادتها، فالقدرة الكاملة مع الإرادة التامة تستلزم وجود المراد المقدور، فدل على أنهم فطروا على القدرة على المعرفة وإرادتها، وذلك مستلزم للإيمان][٤] .

فصل

قال أبو عمر: [وقال آخرون: معنى قوله « يولد على الفطرة » يعني البداءة التي ابتدأهم عليها. يريد أنه مولود على ما فطر الله عليه (خلقه)[٥] من أنه ابتدأهم للحياة والموت، والسعادة والشقاء وإلى ما يصيرون إليه عند البلوغ من قبولهم [عن آبائهم][٦] اعتقادهم.

---

(١) انظر: التمهيد بتصرف (١٨/ ٦٨، ٦٩)، درء التعارض بتصرف (٨/ ٣٨٤، ٣٨٥)

(٢) في الأصل (بغير) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) في (ط) (حين) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) درء التعارض (٨/ ٣٨٥)

(٥) في م، ط (خلقته).

(٦) في (ط) قبلوهم غير إيمانهم.

قالوا: والفطرة في كلام العرب: البداءة (والفاطر)[١] المبتدئ، وكأنه قال: يولد على ما ابتدأه الله عليه من الشقاء، والسعادة وغير ذلك مما يصير إليه، وقد فطر عليه. واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾[الأعراف/ ٢٩، ٣٠].

وروى بإسناده إلى ابن عباس[٢] قال: لم أدر ما فاطر السماوات والأرض حتى [أتى][٣] أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي ابتدأتها[٤] وذكر دعاء علي : «اللهم جبار القلوب على فطرتها، شقيها وسعيدها »[٥]][٦].

قال شيخنا: [حقيقة هذا القول أن كل مولود فإنه يولد على ما سبق في علم الله أنه صائر إليه. ومعلوم أن جميع المخلوقات بهذه المثابة.

فجميع البهائم مولودة على ما سبق في علم الله لها، والأشجار مخلوقة على ما سبق في علم الله، وحينئذ فيكون كل مخلوق قد خلق على الفطرة.

وأيضاً فلو كان المراد ذلك لم يكن لقوله: « فأبواه يهودانه » معنى، فإنهما فعلا به ما هو الفطرة التي ولد عليها. وعلى هذا القول، فلا فرق بين التهويد

---

(١) في م، ط (الفاظ).

(٢) سبقت ترجمته ص١٤٢ .

(٣) في (ط) أتانا

(٤) انظر: تفسير الطبري ١١/ ٢٨٣

(٥) ذكره ابن عبد البر في التمهيد (١٨/ ٧٩) من غير إسناد، حيث قال: (وذكروا ما يروى عن علي ... ثم ذكره).

(٦) انظر: التمهيد بتصرف (١٨/ ٧٨، ٧٩)، درء التعارض (٨/ ٣٨٦، ٣٨٧)

والتنصير، وبين (تلقين)[1] الإسلام وتعليمه، وبين (تعليم)[2] سائر الحرف والصنائع، فإن ذلك كله (داخل)[3] فيما سبق به (العلم)[4].

وأيضاً فتمثله ذلك بالبهيمة التي ولدت جمعاء ثم جدعت يبين أن أبويه غيرا ما ولد عليه.

وأيضاً، فقوله: « على هذه الملة»، وقوله: « إني خلقت عبادي حنفاء » مخالف لهذا.

وأيضاً، فلا فرق بين حال الولادة، وسائر أحوال الإنسان، [فإنه][5] من حين كان جنيناً إلى ما لا نهاية له من أحواله على ما سبق في علم الله. فتخصيص الولادة بكونها على مقتضى القدر تخصيص بغير مخصص.

وقد ثبت في الصحيح أنه (قبل)[6] نفخ الروح فيه: « يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد »[7].

فلو قيل: كل مولود تنفخ فيه الروح على الفطرة، لكان أشبه بهذا المعنى،

---

(١) في (ط) (تلقي).

(٢) في (ط) (تعلم).

(٣) في م، ط (واحد).

(٤) في الأصل (العليم) والصواب ما أثبته من، ط، ومن الدرء.

(٥) في الأصل (فإن) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) في (ط) (قيل حين).

(٧) جزء من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، رواه البخاري في صحيحه في كتاب (القدر) باب (في القدر) ٧/ ٢١٠. ومسلم في كتاب (القدر) باب (كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه) ح (٢٦٤٣) ٤/ ٢٠٣٦

مع أن النفخ هو بعد الكتابة][1] .

فصل

قال أبو عمر: [قال محمد بن نصر المروزي[2]: وهذا المذهب شبيه بما حكاه أبو عبيد[3] عن ابن المبارك أنه سئل عن هذا الحديث، فقال: يفسره قوله: « الله أعلم بما كانوا عاملين » .

قال المروزي: وقد كان أحمد بن حنبل يذهب إلى هذا القول ثم تركه. قال أبو عمر: وما رسمه مالك في « موطئه » وذكره في أبواب القدر فيه من الآثار [ما يدل][4] على أن مذهبه في ذلك نحو هذا[5]].[6]

قال شيخنا: [أئمة السنة مقصودهم أن الخلق صائرون إلى ما سبق في علم الله فيهم من إيمان وكفر، كما في الحديث الآخر: أن الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافراً[7]، والطبع الكتاب، أي كتب كافراً، كما في الحديث الصحيح: « فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد » . ليس إذا كان الله كتبه كافراً يقتضي أنه حين الولادة كافر، بل يقتضي أنه لابد أن يكفر، وذلك الكفر هو التغيير، كما أن البهيمة التي ولدت جمعاء قد سبق في علمه أنها

---

(١) انظر: درء التعارض (٨/ ٣٨٧، ٣٨٨)

(٢) سبقت ترجمته ص١٨٤ .

(٣) سبقت ترجمته ص١٤١٠ .

(٤) في الأصل (يدل) والصواب ما أثبته من (ط)، ومن الدرء.

(٥) انظر: رواية (يحيى بن مالك) في الموطأ كتاب (القدر) باب (النهي عن القول في القدر) ح (٢) ٢/ ٨٩٨.

(٦) انظر: التمهيد ١٨/ ٧٩ ، درء التعارض (٨/ ٣٨٨، ٣٨٩)

(٧) سبق تخريجه انظر: ص٢٥٨ ، ١٢٨٧ .

تجدع كتب أنها مجدوعة بجدع يحدث لها بعد الولادة، ولا يجب أن تكون عند الولادة مجدوعة.

فصل

وكلام أحمد في أجوبة له أخر يدل على أن الفطرة عنده الإسلام، كما ذكر محمد بن نصر عنه أنه آخر قوليه، فإنه كان يقول: إن صبيان أهل الحرب إذا سُبُوا بدون الأبوين كانوا مسلمين، وإن كانوا معهما فهم على دينهما، فإن سُبُوا مع أحدهما ففيه عنه روايتان. وكان يحتج بالحديث][1].

قال الخلال[2] في الجامع[3]: (أخبرنا)[4] أبو بكر المروزي[5] (أن أبا)[6] عبدالله قال في سبي أهل الحرب: إنهم مسلمون إذا كانوا صغاراً، وإن كانوا

---

(١) انظر: درء التعارض بتصرف (٨/ ٣٨٩، ٣٩٠).

(٢) هو: أحمد بن محمد بن هارون، أبوبكر، المعروف بالخلال، له التصانيف الدائرة، والكتب السائرة، التي منها: « الجامع » و « العلل » سمع من الحسن بن عرفة، وسعدان بن نصر، ويحيى بن أبي طالب، وأبي الحسن الميمون، وخلق كثير. وصحب أبا بكر المروزي، إلى أن مات سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. انظر: طبقات الحنابلة ٢/ ١٢، الوافي بالوفيات (٨/ ٩٩)، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٩٧.

(٣) هو كتاب (مسائل الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني) ويبدأ الجزء الأول من كتاب (أهل الملل والردة والزنادقة وتارك الصلاة والفرائض ونحو ذلك).

(٤) في م، ط (أنبأنا).

(٥) أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد المروزي، الإمام، الثقة، الحافظ، صاحب الإمام أحمد وقاضي حمص. توفي سنة (٢٩٢هـ). انظر: طبقات الحنابلة ١/ ٥٢، تهذيب التهذيب ١/ ٦٢.

(٦) في (ط) أنبأنا

مع أحد الأبوين. وكان يحتج بقول رسول الله ﷺ: «فأبواه يهودانه وينصرانه». قال: وأما أهل الثغر، فيقولون: إذا كان مع أبويه إنهم يجبرونه على الإسلام. قال: ونحن لا نذهب إلى هذا، قال النبي ﷺ: «فأبواه يهودانه وينصرانه»(١).

قال الخلال: [أنبأنا](٢) عبد الملك الميموني(٣) قال: سألت أبا عبد الله قبل الحبس عن الصغير يخرج من أرض الروم وليس معه أبواه، فقال: إن مات صلى عليه المسلمون. قلت: يكره على الإسلام؟ قال: إذا كانوا صغاراً يصلون عليهم أكره [أن يليه إلا هم، وحكمه حكمهم](٤).

قلت فإن [كان](٥) (معه)(٦) أبواه؟ قال: إذا كان معه أبواه أو أحدهما لم يكره، ودينه على دين أبويه. قلت: إلى أي شيء تذهب؟ إلى حديث النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه؟» قال: نعم. [قال](٧): وعمر بن عبد العزيز(٨) فادى به فلم يرده إلى بلاد الروم إلا وحكمه حكمهم.

قلت: في الحديث كان معه أبواه، قال: لا، وليس ينبغي إلا أن يكون معه أبواه](٩).

---

(١) انظر: أحكام أهل الملل من الجامع لمسائل الإمام أحمد ص (٣٠)، درء التعارض ٨/ ٣٩٠.
(٢) في أحكام أهل الملل (أخبرني).
(٣) سبقت ترجمته ص ١٣٨٩.
(٤) ما بينهما من (أحكام أهل الملل)، (الدرء).
(٥) زيادة من م، ط. و(أحكام أهل الملل)، و(الدرء).
(٦) في م، (بعد).
(٧) زيادة من (أحكام أهل الملل)، (الدرء).
(٨) سبقت ترجمته ص ١٠٧٠.
(٩) انظر: أحكام أهل الملل ص (٣٠، ٣١) باختلاف يسير. درء التعارض بتصرف ٨/ ٣٩١.

[قال الخلال: ما رواه الميموني قول أول لأبي عبد الله، ولذلك نقل إسحاق بن منصور(١) أن أبا عبد الله قال: إذا لم يكن معه أبواه فهو مسلم، قلت: لا يجبرون على الإسلام إذا كان معه أبواه أو أحدهما؟ قال: نعم: قال الخلال: وقد روى هذه المسألة عن أبي عبد الله خلق، كلهم قال: إذا كان مع أبويه فهو مسلم. وهؤلاء النفر سمعوا من أبي عبد الله بعد الحبس، وبعضهم قبل وبعد. والذي أذهب إليه ما رواه الجماعة](٢) .

[قال الخلال: وحدثنا أبو بكر المروزي(٣) قال: قلت لأبي عبد الله: إني كنت بواسط(٤) فسألوني عن الذي يموت هو وامرأته ويدعان طفلين ولهما عم، ما تقول فيهما؟ فإنهم قد كتبوا إلى البصرة فيها، فقال: أكره أن أقول فيها برأي، دع حتى أنظر لعل (فيها)(٥) عمن تقدم. فلما كان بعد شهر عاودته. قال: نظرت فيها فإذا النبي ﷺ قال: «فأبواه يهودانه وينصرانه». وهذا ليس له أبوان. قلت : يجبر على الإسلام؟ قال : نعم. هؤلاء مسلمون لقول النبي ﷺ.

---

(١) إسحاق بن منصور: الإمام، الفقيه، الحافظ، الحجة، أبو يعقوب، إسحاق بن منصور بن بهرام، المروذي، سمع سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وغيرهم، وهو الذي دون عن الإمام أحمد المسائل في الفقه. وحدث عنه الجماعة سوى أبي داود، وأبو زرعة الرازي، وأبو بكر ابن خزيمة، وأبو العباس السراج وخلق سواهم. مات سنة إحدى وخمسين ومائتين. انظر: طبقات الحنابلة ١/ ١١٣، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٥٨ .

(٢) انظر: أحكام أهل الملل بتصرف ص (٣٢)، درء التعارض بتصرف ٨/ ٣٩٢.

(٣) سبق ترجمته ص١٤٢١ .

(٤) واسط: مدينة تقع بين البصرة والكوفة بالعراق، وسميت (واسط) لتوسطها بينهما، ويقال: إن الذي بناها الحجاج. وهناك أماكن أخرى تحمل هذا الاسم، قيل: عددها سبعة أواسط. انظر: معجم البلدان ٥/ ٣٤٧.

(٥) في م، ط (فيهما).

وكذلك نقل يعقوب بن [بختان[1]][2] قال: أبو عبد الله: [الذمي إذا مات أبواه][3] وهو صغير أجبر على الإسلام، وذكر الحديث «فأبواه يهودانه وينصرانه» .

ونقل عنه عبد الكريم بن الهيثم العاقولي[4] في المجوسيين يولد لهما ولد، فيقولان: هذا مسلم، فيمكث خمس سنين ثم يتوفى. قال: [ذاك][5] يدفنه المسلمون، قال النبي ﷺ: « فأبواه يهودانه وينصرانه » .

وقال عبد الله بن أحمد[6]: سألت أبي عن قوم يزوجون بناتهم من قوم

---

(١) في جميع النسخ (سحبان) والصواب ما أثبته من (أحكام أهل الملل) و(درء التعارض).

(٢) يعقوب بن إسحاق بن بختان، أبو يوسف، سمع مسلم بن إبراهيم، وإمامنا أحمد، وروى عنه أبو بكر بن أبي الدنيا، وجعفر الصندلي، وأحمد بن محمد بن أبي شيبة، وكان أحد الصالحين الثقات.انظر: طبقات الحنابلة ١/ ٤١٥

(٣) في م، ط (إذا مات الذمي أبواه).

(٤) عبد الكريم بن الهيثم العاقولي: هو عبد الكريم بن الهيثم بن زياد بن عمران، أبو يحيى القطان العاقولي، سمع مسلم بن إبراهيم الأزدي، وسليمان بن حرب، والفضل بن دكين وغيرهم. ومات بدير العاقول في شعبان سنة ثمان وسبعين ومائتين، وكان ثقة، ثبتاً، حدث عنه جماعة، منهم أبو بكر بن داود الفقيه. انظر: طبقات الحنابلة ١/ ٢١٦ ، العبر ١/ ٤٠٠

(٥) في الأصل (ذلك) والصواب ما أثبته من باقي النسخ، ومن الدرء، وأحكام أهل الملل .

(٦) هو: الإمام عبد الله ابن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال، الإمام، الحافظ أبوعبدالرحمن ابن شيخ العصر أبي عبد الله الذهلي، الشيباني، المروزي، ثم البغدادي. روى عن أبيه شيئاً كثيراً، وعن شيبان بن فروخ، وحوثرة بن أشرس، =

على أنه ما كان من ذكر فهو للرجل المسلم، وما كان من أنثى فهي مشركة يهودية أو مجوسية أو نصرانية. فقال: يجبر هؤلاء من (أبى)[١] منهم على الإسلام؛ لأن آباءهم (مسلمون)[٢]؛ لحديث النبي ﷺ «فأبواه يهودانه وينصرانه» يردون كلهم إلى الإسلام][٣]

[ومثل هذا كثير في أجوبته يحتج بالحديث على (أن الطفل)[٤] إنما يصير كافراً بأبويه، فإذا لم يكن مع أبوين كافرين فهو مسلم. فلو لم تكن الفطرة الإسلام لم يكن بعدم أبويه يصير مسلماً. فإن الحديث إنما دل على أنه يولد على الفطرة. ونقل [عنه][٥] الميموني[٦] أن الفطرة هي الدين، وهي الفطرة الأولى][٧] .

[قال الخلال[٨]: أخبرني الميموني أنه قال لأبي عبد الله: « كل مولود يولد على الفطرة » يدخل عليه إذا كان أبواه. يعني أن يكون حكمه حكم ما كانوا صغاراً؟ فقال لي: نعم، ولكن يدخل عليك في هذا. فتناظرنا بما يدخل علي من هذا القول، وبما يكون بقوله: قلت لأبي عبد الله: فما تقول أنت فيها،

= وسويد بن سعيد وخلق كثير. وروى عنه النسائي وابن صاعد، وأبو عوانة الإسفراييني، والخضر بن المثنى الكندي ، وأبو بكر بن زياد وغيرهم . مات سنة تسعين ومائتين. انظر: طبقات الحنابلة ١/ ١٨٠، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥١٦ .

(١) في م، ط (آباؤهم).

(٢) في (ط) (مسلماً).

(٣) انظر: أحكام أهل الملل الصفحات (٢٣-٢٦)، درء التعارض (٨/ ٣٩٢-٣٩٤).

(٤) ساقطة من م، ط.

(٥) في الأصل (عنهم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ، ومن الدرء.

(٦) سبقت ترجمته ص١٣٨٩ .

(٧) انظر: درء التعارض ٨/ ٣٩٤

(٨) سبقت ترجمته ص١٤٢١ .

وإلى أي شيء تذهب؟ قال: (أيش)[١] أقول؟ أنا ما أدري أخبرك هي مسلمة كما ترى. ثم قال لي: والذي يقول: كل مولود يولد [على الفطرة][٢] ينظر أيضاً إلى الفطرة الأولى التي فطر الناس عليها. قلت له: فما الفطرة الأولى؟ هي الدين. قال: نعم. فمن الناس من يحتج بالفطرة الأولى مع قول النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة». قلت لأبي عبد الله: فما تقول لأعرف قولك؟ قال: أقول إنه على الفطرة الأولى.][٣].

قال شيخنا : فجواب أحمد أنه على الفطرة الأولى. وقوله: إنها الدين يوافق القول بأنه على دين الإسلام.

فصل

[وأما جواب أحمد أنه على ما فطر (عليه)[٤] من شقاوة وسعادة الذي ذكر محمد بن نصر[٥] أنه كان يقول به ثم تركه[٦]، فقال الخلال: أخبرني محمد ابن يحيى [الكحال][٧][٨] أنه قال لأبي عبدالله: «كل مولود يولد على الفطرة» ما تفسيرها؟ قال: هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها شقي أو سعيد.

---

(١) ساقطة من م، ط.

(٢) زيادة من (ط)، ومن الدرء.

(٣) انظر: أحكام أهل الملل بتصرف ص (١٥-١٦)، درء التعارض بتصرف ٨/ (٣٩٤-٣٩٥).

(٤) ساقطة من (ط).

(٥) سبقت ترجمته ص١٨٤ .

(٦) انظر: التمهيد ص (٧٩)

(٧) في الأصل (اللحال) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٨) سبقت ترجمته ص١٣٩٠ .

وكذلك نقل عنه الفضل بن زياد(١) وحنبل(٢) وأبو الحارث(٣) أنهم سمعوا أبا عبد الله في هذه المسألة، قال: الفطرة التي فطر الله العباد عليها [من](٤) الشقاوة والسعادة.

وكذلك نقل عنه علي بن سعيد(٥) أنه سأل أبا عبد الله عن «كل مولود يولد على الفطرة» قال : (على)(٦) الشقاوة والسعادة. قال : يرجع إلى ما خلق.

وعن الحسن بن ثواب(٧) قال: سألت أبا عبد الله عن أولاد المشركين،

---

(١) هو: الفضل بن زياد، أبو العباس القطان البغدادي، كان من المقدمين عند أبي عبدالله، وكان يعرف قدره ويكرمه، وحدث عنه مسائل كثيرة، وحدث عن الفضل بن زياد، وجماعة منهم يعقوب بن سفيان الفسوي، والحسن بن أبي العنبر، وأحمد الأدمي، وجعفر الصندلي، وأحمد بن عطاء، وآخرين. انظر: طبقات الحنابلة ١/ ٢٥١.

(٢) سبقت ترجمته ص١٤٠ .

(٣) هو: أحمد بن محمد أبو الحارث الصائغ، كان أبو عبد الله يأنس به، وكان يقدمه، ويكرمه، وروى أبو الحارث عن أبي عبد الله مسائل كثيرة، وحدث عنه أبو بكر الخلال، ومحمد بن جعفر. انظر طبقات الحنابلة ١/ ٧٤

(٤) في الأصل (عن) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) سبقت ترجمته ص١٣٩٠ .

(٦) ساقطة من م، ط.

(٧) الحسن بن ثواب: هو أبو علي الثعلبي المخرمي، سمع يزيد بن هارون، وعبد الرحمن بن عمرو بن جبلة البصري وإبراهيم بن حمزة المدني، وآخرين، وروى عنه عبدالله بن محمد ابن إسحاق المروذي، وجعفر بن عبدالله بن مجاشع، وإسماعيل الصفار، وأبوبكر الخلال، وقال: كان شيخاً جليل القدر، وكان له بأبي عبد الله أنس شديد. مات سنة ثمان وستين ومائتين. انظر: طبقات الحنابلة ١/ ١٣١.

قلت : إن ابن أبي شيبة أبا بكر[١] قال: هو على الفطرة حتى (يهوده)[٢] أبواه أو ينصرانه، فلم يعجبه شيء من هذا القول. وقال: كل مولود من أطفال المشركين على الفطرة، يولد على الفطرة التي خلق عليها من الشقاء والسعادة التي سبقت في أم الكتاب، أرجع ذلك إلى الأصل. هذا معنى «كل مولود يولد على الفطرة »[٣] .

فمن أصحابه من (جعل)[٤] هذا قولاً قديماً له ثم تركه[٥]، ومنهم من جعل المسألة على روايتين وأطلق، ومنهم من حكى عنه فيها ثلاث روايات الثالثة الوقف[٦].

فصل

قال شيخنا: والإجماع [والآثار المنقولة عن السلف لا تدل إلا على القول الذي رجحناه، وهو أنهم (ولدوا)[٧] على الفطرة، ثم صاروا إلى ما

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، إبراهيم بن خواستي العبسي، مولاهم، أبو بكر الحافظ، الكوفي، روى عن عبد الله بن إدريس، وابن المبارك، وشريك، وهيثم، وأبي بكر بن عياش، وغيرهم. روى عنه، البخاري، ومسلم، وأبو داوود، وابن ماجه، وآخرون. مات سنة خمس وثلاثين ومائتين. انظر: تهذيب التهذيب ٦/ ٢، سير أعلام النبلاء ١١/ ١٢٢

(٢) في (ط) (يهوداه).

(٣) انظر: أحكام أهل الملل بتصرف: الصفحات (١٥-١٧)، درء التعارض بتصرف (٨/ ٣٩٥، ٣٩٦)

(٤) ساقطة من (م) وفي (ط) (قال).

(٥) انظر: أحكام أهل الملل ص (١٩).

(٦) انظر: أحكام أهل الملل ص (١٤).

(٧) ساقطة من (م)، (ط).

سبق في علم الله فيهم من سعادة وشقاوة، لا يدل على أنهم حين الولادة لم يكونوا على فطرة سليمة مقتضية للإيمان، ومستلزمة له لولا العارض][١].

[فروى ابن عبد البر بإسناده عن موسى بن عبيدة[٢]: سمعت محمد بن كعب القرظي[٣] في قوله: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ ﴾ [الأعراف/ ٢٩، ٣٠] قال: من ابتدأ الله خلقه على الهدى صَيَّـره إلى الهدى، وإن عمل بعمل أهل الضلالة، ومن ابتدأ خلقه للضلالة صيَّره إلى الضلالة وإن عمل بعمل أهل الهدى[٤]. ابتدأ خلق إبليس على الضلالة، وعمل بعمل أهل السعادة مع الملائكة، ثم رده الله إلى ما ابتدأ خلقه عليه من الضلالة، قال: وكان من الكافرين.

---

(١) درء التعارض بتصرف ٨/ ٤١٠.

(٢) موسى بن عبيدة: هو موسى بن عبيدة الربذي. حدث عن نافع، ومحمد بن كعب القرظي. وعنه شعبة، وروح بن عبادة، وعبيد الله، وجماعة. مات سنة ثلاث وخمسين ومائة. انظر: العبر ١/ ١٦٩ ، ميزان الاعتدال ٤/ ٢١٣ .

(٣) هو: محمد بن كعب بن سليم، الإمام، العلامة، الصادق، أبو حمزة، وقيل: أبوعبدالله، القرظي، المدني، من حلفاء الأوس، وكان أبوه كعب من سبي بني قريظة، سكن الكوفة، ثم المدينة. حدث عن أبي أيوب الأنصاري، وأبي هريرة، ومعاوية، وزيد بن أرقم، وابن عباس، وغيرهم. وحدث عنه أخوه عثمان، ويزيد بن الهاد وأبو جعفر الخطمي، وأبو سبرة النخعي، والحكم بن عتيبة، وعاصم بن كليب، وخلق كثير. مات سنة ثمان ومائة، وقيل: سبع عشرة، وقيل: تسع عشرة، وقيل: سنة عشرين ومائة. انظر: حلية الأولياء ٢/ ٢١٢، سير أعلام النبلاء ٥/ ٦٥، شذرات الذهب ١/ ١٣٦.

(٤) في التمهيد، والدرء، قدم قوله: (ومن ابتدأ خلقه للضلالة) على قوله: (من ابتدأ الله خلقه على الهدى).

وابتدأ خلق السحرة على الهدى، وعملوا بعمل [أهل][1] الضلالة، ثم هداهم الله إلى الهدى والسعادة، وتوفاهم عليها مسلمين][2].

[فهذا المنقول عن محمد بن كعب يبين أن الذي ابتدأهم عليه هو ما كتب أنهم صائرون إليه، وأنهم قد يعملون قبل ذلك غيره، وأن من ابتدىء على الضلالة ـ أي كتب أن يموت ضالاً ـ فقد يكون قبل ذلك عاملاً بعمل أهل الهدى، وحينئذ فمن ولد على الفطرة السليمة المقتضية للهدى لا يمنع أن يعرض لها ما يغيرها، فيصير إلى ما سبق به القدر. كما في الحديث الصحيح «إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخل النار، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل (النار)[3] حتى ما يكون (بينه وبينها)[4] إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة[5]»][6].

[وقال سعيد بن جبير[7] في قوله تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾

---

(١) زيادة من (ط).

(٢) انظر: التمهيد (١٨/ ٨٠) درء التعارض ٨/ ٤١١ ، كما ذكره الطبري في تفسيره ١٢/ ٣٨٣ .

(٣) ساقطة من (م).

(٤) في (ط) (بينها وبينه).

(٥) الحديث متفق عليه. وهو من رواية ابن مسعود، وأوله: « إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً.. » وقد سبق تخريجه.

(٦) انظر: درء التعارض ٨/ (٤١١، ٤١٢)

(٧) سبقت ترجمته انظر: ص١٨٦ .

[الأعراف/ ٢٩] قال: كما كتب عليكم تكونون، وقال مجاهد[١]: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ شقي وسعيد. وقال أيضاً: يبعث المسلم مسلماً والكافر كافراً. وقال أبو العالية[٢]: عادوا إلى علمه فيهم ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾[٣].

قلت: هذا المعنى صحيح في نفسه، دل عليه القرآن والسنة، والآثار السلفية، وإجماع أهل السنة[٤]. وأما كونه هو المراد بالآية ففيه ما فيه، والذي يظهر من الآية: أن معناها معنى نظرائها وأمثالها من الآيات التي يحتج الله سبحانه فيها على النشأة الثانية بالأولى، وعلى المعاد بالمبدأ. فجاء باحتجاج في غاية الاختصار والبيان[٥].

فقال: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الحج/ ٥]، وقوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ الآية [يس/ ٧٨] وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى

---

(١) سبقت ترجمته انظر: ص١٩٠.

(٢) أبو العالية: هو رفيع بن مهران، الإمام المقرىء الحافظ، المفسر، أبو العالية الرياحي، البصري، أحد الأعلام، أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، وسمع من عمر، وعلي، وأُبيّ، وأبي ذر، وابن مسعود وعائشة وأبي موسى وغيرهم. مات في شوال سنة تسعين، وقيل: ثلاث وتسعين. وقيل: سنة ست ومائة. انظر: طبقات ابن سعد ٧/ ١١٢، الحلية ٢/ ٢١٧، شذرات الذهب ١/ ١٠٢، سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٠٧

(٣) انظر: التمهيد ١٨/ ٨١، وذكره الطبري في تفسيره ١٢/ (٣٨٢، ٣٨٣)، درء التعارض ٨/ (٤١٢، ٤١٣)

(٤) درء التعارض ٨/ ٤١٣.

(٥) هذا الذي رجحه ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره. انظر: ١٢(٦٨٥-٣٨٨).

﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ [كَانَ عَلَقَةً][(١)] فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾ [القيامة/ ٣٦-٣٨]، إلى قوله: ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ [القيامة/ ٤٠].

وقوله : ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [الطارق/ ٥-٨] أي على رجع الإنسان حياً بعد موته. هذا هو الصواب في معنى الآية[(٢)].

يبقى أن يقال: فكيف يرتبط هذا بقوله: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾ [الأعراف/ ٣٠]؟

فيقال: هذا الذي أوجب لأصحاب ذلك القول ما تأولوا به الآية. ومن تأمل الآية علم أن (هذا)[(٣)] القول أولى بها. ووجه الارتباط أن الآية تضمنت قواعد الدين علماً وعملاً واعتقاداً، فأمر سبحانه فيها بالقسط وهو (العدل)[(٤)] هو حقيقة شرعه ودينه، وهو يتضمن التوحيد، فإنه أعدل العدل، والعدل في معاملة الخلق، والعدل في العبادة وهو الاقتصاد في السنة. ويتضمن الأمر بالإقبال على الله، وإقامة عبوديته في بيوته[(٥)] ويتضمن الإخلاص له، وهو عبوديته وحده لا شريك له. فهذا ما فيها من العمل.

ثم أخبر بمبدئهم ومعادهم، فتضمن ذلك حدوث الخلق وإعادته، فذلك

---

(١) لا توجد في الأصل.

(٢) رجح هذا القول الطبري في تفسيره كما نقل ابن كثير أن هذا قول الضحاك، واختيار ابن جرير الطبري. انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ (٧٨٥، ٧٨٦)

(٣) ساقطة من م، ط.

(٤) ساقطة من م، ط

(٥) في (ط) (ثبوته).

الإيمان بالمبدأ والمعاد. ثم أخبر عن القدر الذي هو نظام التوحيد، فقال: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ فتضمنت الآية الإيمان بالقدر والشرع والمبدأ والمعاد والأمر بالعدل والإخلاص.

ثم ختم الآية بذكر حال من لم يصدق هذا الخبر، ولم يطع هذا الأمر: (فإنه قد والى الشيطان)[١] دون ربه، وأنه على ضلال، وهو يحسب أنه على هدى. والله أعلم.

فصل

[وقال آخرون: معنى)[٢] قوله: « كل مولود يولد على الفطرة » أن الله فطرهم على الإنكار والمعرفة، وعلى الكفر والإيمان، فأخذ من ذرية آدم الميثاق حين خلقهم، فقال: ألست بربكم قالوا جميعاً بلى، فأما أهل السعادة فقالوا: بلى على معرفة له طوعاً (من)[٣] قلوبهم، وأما أهل الشقاء فقالوا: بلى كرهاً غير طوع. قالوا: يصدق ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [آل عمران/ ٨٣].

قالوا : وكذلك قولـه: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ (ٱلضَّلَٰلَةُ)[٤]﴾[الأعراف/ ٢٩، ٣٠].

قال محمد بن نصر المروزي[٥] : سمعت إسحاق بن راهوية[٦] يذهب إلى هذا المعنى. واحتج بقول أبي هريرة « اقرؤوا إن شئتم: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي

---

(١) في (ط) (بأنه قدوا للشيطان).

(٢) في م، ط (يعني).

(٣) في الأصل (في) والصواب ما أثبته من باقي النسخ ومن (الدرء) و (التمهيد).

(٤) مكررة في الأصل.

(٥) سبقت ترجمته ص١٨٤ .

(٦) سبقت ترجمته ص١٤٣٣ .

فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾» قال (إسحاق)[١]: يقول لا تبديل للخلقة التي جبل عليها ولد آدم كلهم. يعني من الكفر والإيمان والمعرفة والإنكار. واحتج بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ (ذُرِّيَّتَهُمْ)[٢]﴾ الآية [الأعراف/ ١٧٢].

قال إسحاق: أجمع أهل العلم أنها الأرواح قبل الأجساد. واستنطقهم ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ [شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ][٣] إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ [الأعراف ١٧٢، ١٧٣].

وذكر حديث أبي بن كعب[٤] في قصة الغلام الذي قتله الخضر، قال: وكان الظاهر ما قال موسى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف/ ٧٤].

فأعلم الله الخضر ما كان الغلام عليه [في][٥] الفطرة التي فطره عليها، وأنه لا تبديل لخلق الله، فأمر بقتله؛ لأنه كان قد طبع يوم (طبع)[٦] كافراً.

وفي صحيح البخاري أن ابن عباس[٧] كان يقرؤها: « وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين »[٨].

---

(١) في (ط) (الحق).

(٢) في جميع النسخ (ذرياتهم) والصواب ما أثبته.

(٣) في جميع النسخ (قال انظروا ألا تقولوا أنا ...) والصواب ما أثبته.

(٤) سبقت ترجمته ص١٦٦ .

(٥) في (ط) من.

(٦) ساقطة من م، ط.

(٧) سبقت ترجمته ص١٤٢ .

(٨) سبق تخريجه .

قال إسحاق[١]: فلو ترك النبي ﷺ الناس ولم يبين (لهم)[٢] حكم الأطفال، لم يعرفوا المؤمنين منهم من الكافرين، لأنهم لا يدرون ما جبل كل واحد عليه (حين)[٣] أخرج من ظهر آدم. فبين النبي ﷺ حكم الأطفال في الدنيا (بأن)[٤] أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه. يقول: أنتم لا تعلمون ما طبع عليه في الفطرة الأولى، ولكن حكم الطفل في الدنيا حكم أبويه، فاعرفوا ذلك بالأبوين، فمن كان صغيراً بين أبوين مسلمين ألحق بحكم الإسلام، وأما إيمان ذلك وكفره مما يصير إليه، فعلم ذلك إلى الله.

ويعلم ذلك فضَّل الله الخضرَ في علمه بهذا على موسى؛ إذ أطلعه الله عليه في ذلك الغلام، وخصه بذلك. قال: ولقد سئل ابن العباس عن وِلْدان المسلمين والمشركين، فقال: حسبك ما اختصم فيه موسى والخضر. قال إسحاق: الا ترى إلى قول عائشة[٥] حين مات صبي من الأنصار بين أبوين مسلمين: طوبى له، عصفور من عصافير الجنة، فرد عليها النبي ﷺ وقال: **«مَهْ يا عائشة، وما يدريك؟ إن الله خلق الجنة، وخلق لها أهلاً، وخلق النار، وخلق لها أهلاً»**[٦].

قال إسحاق: فهذا الأصل الذي يعتمد عليه أهل العلم.

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) مكررة في (م).

(٣) في م، ط (حتى).

(٤) زيادة من (ط).

(٥) سبقت ترجمتها ص١٧٥ .

(٦) رواه مسلم في صحيحه في كتاب (القدر) باب (معنى كل مولود يولد على الفطرة) ح (٢٦٦٢).

وسئل حماد بن سلمة[(١)] عن قول النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة» فقال: هذا عندنا حيث أخذ العهد عليهم في أصلاب آبائهم][(٢)].

[قال ابن قتيبة[(٣)]: يريد حين مسح ظهر آدم، فاستخرج منه ذريته إلى يوم القيامة أمثال الذر: ﴿ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف/ ١٧٢][(٤)].

قال شيخنا: أصل مقصود [الأئمة][(٥)] صحيح، وهو منع احتجاج القدرية بهذا الحديث على نفي القدر، لكن لا يحتاج مع ذلك أن يفسر القرآن والحديث إلا بما هو مراد الله ورسوله، ويجب أن يتبع في ذلك ما دل عليه الدليل. وما ذكروه أن الله فطرهم على الكفر والإيمان والمعرفة والنكرة؛ إن أرادوا به أن الله سبق (في)[(٦)] علمه وقدره بأنهم سيؤمنون ويكفرون ويعرفون وينكرون، وأن ذلك كان بمشيئة الله وقدره وخلقه، فهذا حق ترده القدرية، فغلاتهم ينكرون العلم، وجميعهم ينكرون عموم خلقه ومشيئته وقدرته، وإن أرادوا أن هذه المعرفة والنكرة كانت موجودةً حين أخذ الميثاق، كما في ظاهر المنقول عن إسحاق، فهذا يتضمن شيئين: أحدهما أنهم حينئذ

---

(١) سبقت ترجمته ص١٨١.

(٢) انظر: التمهيد ١٨/ ٨٣-٩٣، درء التعارض ٨/ ٤١٣-٤١٧ .

(٣) سبقت ترجمته ص٣٦١ .

(٤) درء التعارض ٨/ ٤١٧ وقد عزاه لابن عبد البر ، ولم أجده في التمهيد، كما ذكر محقق (الدرء) أنه لم يجده.

(٥) في الأصل (الآية) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) زيادة من (ط).

كانت المعرفة والإيمان موجوداً فيهم كما قال ذلك [طوائف][(١)] من السلف، وهو الذي حكى إسحاق الإجماع عليه. وفي تفسير الآية نزاع بين الأئمة، وكذلك في خلق الأرواح قبل الأجساد قولان معروفان[(٢)]، لكن المقصود هنا أن هذا إن كان حقاً، فهو توكيد [لكونهم ولدوا على تلك المعرفة والإقرار، فهذا لا يخالف ما دلت عليه الأحاديث][(٣)] من أنه يولد على الملة، وأن الله خلق خلقه حنفاء، بل هو (مريد)[(٤)] لذلك.

وأما قول القائل: إنهم في ذلك الإقرار انقسموا إلى مطيع وكافر، فهذا لم ينقل عن أحد من السلف فيما أعلم إلا عن السدي[(٥)] في تفسيره. قال: لما أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يهبطه من السماء، مسح صفحة ظهره اليمنى، فأخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ كهيئة الذر، فقال لهم: ادخلوا الجنة برحمتي، ومسح صفحة ظهره اليسرى، فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر، فقال: ادخلوا النار ولا أبالي، وذلك قوله: وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال: ثم أخذ منهم الميثاق؛ فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ فأطاعه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقيه، فقال هو والملائكة: ﴿شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ [الأعراف/ ١٧٢].

فليس أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف الله بأنه ربه، وذلك قوله

(١) زيادة من م، ط، ودرء التعارض.

(٢) انظر في ذلك تفسير الطبري ١٣/ (٢٢٢-٢٥٠)

(٣) زيادة من م، ط، ودرء التعارض.

(٤) في م، ط، والدرء (مؤيد).

(٥) سبقت ترجمته ص١٩٠ .

عز وجل: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ آل عمران/ ٨٣]. وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الأنعام/ ١٤٩] يعني [يوم][1] أخذ الميثاق)[2][3].

قال شيخنا: (ومثل)[4] هذا الأثر لا يوثق به، فإن في تفسير السدي أشياء قد عرف بطلان بعضها. وهو ثقة في نفسه، وأحسن أحوال هذا وأمثاله أن يكون كالمراسيل إن كانت أخذت عن النبي ﷺ، فكيف إذا كان مأخوذاً عن أهل الكتاب. ولو لم يكن في هذا إلا معارضة لسائر الآثار التي تتضمن التسوية بين جميع الناس في الإقرار.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ [آل عمران/ ٨٣] فإنما هو في الإسلام الموجود منهم بعد خلقهم. لم يقل: إنهم حين العهد الأول أسلموا طوعاً وكرهاً. يدل على ذلك أن ذلك الإقرار الأول جعله الله (حجة عليهم)[5] (عند من يثبته)[6] ولو كان فيهم كاره لقال لم اقر طوعاً بل كرهاً، فلا يقوم به عليه حجة.

وأما احتجاج (إسحاق[7] رحمه الله)[8] بقول أبي هريرة: « اقرؤوا إن

---

(١) زيادة من م، ط، وتفسير الطبري، ودرء التعارض.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٣/ (٢٤٢، ٢٤٣).

(٣) انظر: درء التعارض ٨/ (٤١٧، ٤٢١، ٤٢٣).

(٤) في م، ط (وقيل).

(٥) في ط (عليهم حجة).

(٦) في ط (على من ينسه).

(٧) سبقت ترجمته .

(٨) في (م) (رحمه) وفي (ط) (أحمد).

شئتم ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم/ ٣٠] فهذه الآية فيها قولان:

أحدهما : أن معناها النهي، كما تقدم عن ابن جرير أنه فسرها (بذلك)[١] فقال: أي: لا تبدلوا دين الله الذي فطر عليه عباده. وهذا قول غير واحد من المفسرين لم يذكروا غيره.

والثاني: ما قاله إسحاق، وهو إنها خبر على ظاهرها، وأن خلق الله لا يبدله أحد. وظاهر اللفظ (أنه)[٢] خبر، فلا يجعل نهياً بغير حجة. وهذا أصح، وحينئذ فيكون المراد أن ما جبلهم عليه من الفطرة لا يبدل، فلا يجبلون على غير الفطرة، لا يقع هذا أصلاً.

والمعنى: أن الخلق لا يتبدل، فيخلقون على غير الفطرة. ولم يرد بذلك أن الفطرة لا تتغير بعد الخلق، بل نفس الحديث يبين أنها تتغير، ولهذا شبهها بالبهيمة التي تولد جمعاء، ثم تجدع، ولا تولد بهيمة مخصية ولا مجدوعة، وقد قال تعالى عن الشيطان : ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ فالله أقدرُ الخلقَ على أن يغيروا ما خلقهم عليه بقدرته ومشيئته وأما تبديل الخلق بأن يخلقوا على غير تلك الفطرة، فهذا لا يقدر عليه إلا الله والله لا يفعله، كما قال: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ ولم يقل: لا تغيير، فإن تبديل الشيء يكون بذهابه وحصول بدله، ولكن إذا غير بعد ذلك وجوده لم يكن الخلق الموجود عند الولادة (قد حصل بدله)[٣].

---

(١) ساقطة من م، ط.

(٢) ساقطة من م، ط.

(٣) ما بينهما ساقط من م، ط.

وأما قول القائل: لا تبديل للخلقة التي جبل عليها بنو آدم كلهم من كفر وإيمان، فإن عنى به (أن)[١] ما سبق به القدر من الكفر والإيمان وبالعكس ممتنع، ولا أنه غير مقدور، بل العبد قادر على ما أمره الله به من الإيمان، وعلى ترك ما نهاه عنه من الكفر، وعلى أن يبدل حسناته بالسيئات وسيئاته [بالحسنات][٢] كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾[النمل/ ١١].

وهذا التبديل كله بقضاء الله وقدره، وهذا بخلاف ما فطروا عليه حين الولادة، فإن ذلك خلق الله الذي لا يقدر على تبديله غيره، وهو سبحانه لا يبدله، بخلاف تبديل الكفر بالإيمان وبالعكس، فإنه يبدله كثيراً، والعبد قادر على تبديله بإقدار الرب له على ذلك.

ومما يوضح ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الروم/ ٣٠].

فهذه فطرة محمودة، أمر الله بها نبيه، فكيف تنقسم إلى كفر وإيمان مع أمر الله تعالى بها؟ وقد تقدم[٣] تفسير السلف: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ أي: لدين الله، أو النهي عن الخصاء ونحوه. ولم يقل أحد منهم: إن المعنى: لا تبديل لأحوال العباد من كفر إلى إيمان وعكسه، فإن تبديل ذلك موجود، ومهما وقع كان هو الذي سبق به القدر. والرب تعالى عالم بما سيكون، لا يقع خلاف معلومة، فإذا وقع التبديل كان هو الذي علمه.

وأما قوله عن الغلام، إنه طبع يوم طبع كافراً، فالمراد به أنه كتب كذلك

---

(١) ساقطة من م، ط.

(٢) في الأصل (بالتوبة) ولعل الصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) انظر: ص١٠٤٥-١٠٤٧ .

وقدر وختم، فهو من طبع الكتاب، ولفظ الطبع لما صار يستعمله كثير من الناس في الطبيعة ـ التي هي بمعنى الجبلة والخلقة ـ ظن الظان أن هذا مراد الحديث.

وهذا الغلام الذي قتله الخضر ليس في القرآن ما يبين أنه كان غير بالغ ولا مكلف، بل قراءة ابن عباس تدل على أنه كان كافراً في الحال، وتسميته غلاماً لا تمنع أن يكون مكلفاً قريب عهد بالصغير، ويدل عليه أن موسى عليه السلام لم ينكر قتله لصغره، بل لكونه زاكياً ولم يقتل نفساً. لكن يقال: في الحديث الصحيح ما يدل على أنه كان غير بالغ من وجهين:

أحدهما: أنه قال : فمر بصبي يلعب مع الصبيان.

الثاني: أنه قال: ولو أدرك لأرهق أبويه طغياناً وكفراً، وهذا دليل على كونه لم يدرك بعد.

فيقال: الكلام على الآية على التقديرين. فإن كان بالغاً وقد كفر، فقد قتل على كفره الواقع بعد البلوغ ولا إشكال. وإن كان غير بالغ، فلعل تلك الشريعة كان فيها التكليف قبل الاحتلام عند قوة عقل الصبي وكمال تمييزه. وإن لم يكن التكليف قبل البلوغ بالشرائع واقعاً، فلا يمتنع وقوعه بالتوحيد ومعرفة الله، كما قال طوائف من أهل الكلام والفقه من أصحاب أبي حنيفة وأحمد وغيرهم.

وعلى هذا فيمكن أن يكون مكلفاً بالإيمان قبل البلوغ، وإن لم يكن مكلفاً بشرائعه. وكفر الصبي المميز (صحيح)[1] عند أكثر (العلماء)[2] فإذا ارتد

---

(١) ساقطة من م، ط.

(٢) في (ط) (العلماء مؤاخذ به).

صار مرتداً، لكن لا يقتل حتى يبلغ.

فالغلام الذي قتله الخضر إما أن يكون كافراً بعد البلوغ فلا إشكال، وإما أن يكون غير بالغ، وهو مكلف في تلك الشريعة، فلا إشكال أيضاً، (وإما)[١] أن يكون مكلفاً بالتوحيد والمعرفة غير مكلف بالشرائع، فيجور قتله في تلك الشريعة. وإما أن لا يكون مكلفاً (أصلاً)[٢] فقتل لئلا (يفتن)[٣] أبويه عن دينهما، كما يقتل الصبي في ديننا إذا لم يندفع ضرره عن المسلمين إلا بالقتل، بل الصبي الذي يقاتل المسلمين يقتل، فقتل الصبي الكافر يجوز لدفع حياله الذي لا يندفع إلا بالقتل.

وأما قتل صبي لم يكفر بعد بين أبوين مؤمنين للعلم بأنه إذا بلغ كفر وفتن أبويه؛ فقد يقال: ليس في القرآن ولا في السنة ما يدل عليه، وأيضاً فإن الله لم يأمر أن يعاقب أحد بما يعلم أن يكون منه قبل أن يكون منه، ولا هو سبحانه يعاقب العباد على ما (هو)[٤] يعلم أنهم سيفعلونه حتى يفعلوه][٥].

[وقائل هذا القول يقول: إنه ليس في قصة الخضر شيء من الاطلاع على الغيب الذي لا يعلمه عموم الناس، وإنما فيها علمه بأسباب لم يكن علم بها موسى، مثل علمه بأن السفينة لمساكين [يعملون][٦] وراءهم ملك ظالم، وهذا أمر يعلمه غيره.

---

(١) في (م) (وإن).

(٢) ساقطة من م، ط.

(٣) في (ط) (يفتتن).

(٤) ساقطة من م، ط.

(٥) انظر: درء التعارض ٨/ (٤٢٣-٤٢٩).

(٦) زيادة من م، ط.

وكذلك كون الجدار كان لغلامين يتيمين، وأن أباهما كان رجلاً صالحاً، وأن تحته كنزاً لهما [هذا][1]، مما يمكن أن يعلمه كثير من الناس.

وكذلك كفر الصبي مما يمكن أنه كان يعلمه كثير من الناس حتى أبواه، لكن (لمحبتهما)[2] له لا ينكران عليه، أو لا يقبل منهما.

فإن كان الأمر على ذلك، فليس في الآية حجة على قولهم أصلاً، وإن (كان)[3] ذلك الغلام لم يكفر بعد، ولكن سبق في العلم أنه إذا بلغ كفر، فمن يقول هذا يقول: إن قتله دفعاً لشره، كما قال نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾[نوح ٢٦، ٢٧].

وعلى هذا فلم يكن قبل قيام الكفر به كافراً، وقراءة ابن العباس: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ ظاهره أنه كان كافراً][4] .

فإن قيل: فهذا الغلام كان أبواه مؤمنين ، فلو كان مولوداً على فطرة الإسلام ظاهره وهو بين أبوين مسلمين، لكان مسلماً تبعاً لهما وبحكم [الفطرة][5] فكيف يقتل والحالة هذه؟

قيل: إن كان بالغاً فلا إشكال، وإن كان مميزاً وقد كفر فيصح كفره وردته

---

(١) من الدرء.

(٢) في م، ط (لحبهما).

(٣) ساقطة من م، ط.

(٤) انظر: درء التعارض ٨/ (٤٢٩، ٤٣٠)

(٥) في الأصل (الكفرة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

عند كثير من العلماء، وأن كان[١] لا يقتل حتى يبلغ عندهم[٢]. فلعل في تلك الشريعة يجوز قتل المميز الكافر، وإن (كان)[٣] صغيراً غير مميز، فيكون قتله خاصاً به؛ لأن الله أطلع الخضر على أنه لو بلغ (لاختار)[٤] غير دين الأبوين. وعلى هذا يدل قول ابن عباس لنجدة[٥] وقد سأله عن قتل صبيان الكفار، فقال: لئن علمت منهم ما علمه الخضر من ذلك الغلام فاقتلهم[٦].

فإن قيل: إذا كان مولوداً على الفطرة وأبواه مؤمنين، فمن [أين جاء][٧] الكفر؟

قيل: إنما قال النبي ﷺ ذلك على الغالب، وإلا فالكفر قد يأتيه من [قبل][٨] غير أبويه. فهذا الغلام إن كان كافراً في الحال، فقد جاء الكفر من غير جهة أبويه، وإن كان المراد أنه إذا بلغ سيكفر باختياره فلا إشكال.

فصل

[وإما تفسير قول النبي ﷺ: «فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه» أنه أراد

---

(١) ساقطة من م، ط.

(٢) انظر: درء التعارض ٨/ ٤٢٨

(٣) في (م) (كان غير).

(٤) في الأصل (الأحبار) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) هو نجدة الحروري من الخوارج. انظر: درء التعارض ٨/ ٤٢٨، والتعليق على صحيح مسلم ٢/ ١٤٤٤.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (الجهاد والسير) باب (النساء الغازيات ... والنهي عن قتل صبيان الحرب) ح(١٨٠٩) ٢/ ١٤٤٣

(٧) في الأصل (ابن ماجه) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٨) زيادة من م، ط.

به مجرد الإلحاق في أحكام الدنيا دون أن يكون أراد أنهما يغيران الفطرة، فهذه خلاف ما يدل عليه الحديث؛ فإنه شبه تكفير الأطفال بجدع البهائم تشبيهاً للتغيير.

وأيضاً فإنه ذكر هذا الحديث لما (قتلوا)[1] أولاد المشركين، فنهاهم عن قتلهم، وقال: **«أليس خياركم أولاد المشركين. كل مولود يولد على الفطرة»** فلو أراد أنه تابع لأبويه في الدنيا، لكان هذا حجة لهم، يقولون: هم كفار كآبائهم (فنقتلهم كآبائهم)[2] وكون الصغير يتبع (أباه)[3] في أحكام الدنيا هو لضرورة بقائه في الدنيا، فإنه لا بد له من مرب يربيه، وإنما يربيه أبواه، فكان تابعاً لهما ضرورة. ولهذا من سُبِيَ منفرداً عنهما صار تابعاً لسابيه عند جمهور العلماء كأبي حنيفة[4] والشافعي[5] وأحمد[6]

---

(١) في م، ط (قتل).

(٢) ما بينهما ساقط من م، ط.

(٣) في الأصل (أبواه).

(٤) هو: الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي، مولاهم الكوفي، فقيه العراق، وأحد أئمة الإسلام، وأحد الأئمة الأربعة، أصحاب المذاهب. رأى أنس بن مالك، وروى عن عطاء بن أبي رباح، والشعبي وغيرهم. وحدث عنه خلق كثير، ذكر منهم أبوالحجاج في تهذيبه: إبراهيم بن طهمان عالم خراسان، وأبيض بن الأغر بن الصباح المنقري، وأسباط بن محمد، وإسحاق الأزرق. توفي سنة خمسين ومائة. انظر: ميزان الاعتدال ٤/ ٢٦٥ ، البداية والنهاية ١٠/ ١١٠ ، سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٩٠

(٥) سبقت ترجمته ص٣٨٤ .

(٦) سبقت ترجمته ص١٤٠ .

والأوزاعي[١] وغيرهم؛ لكونه هو الذي يربيه.

وإذا سُبِيَ منفرداً عن أحدهما أو معهما، ففيه نزاع بين العلماء. واحتجاج الفقهاء كأحمد وغيره بهذا الحديث على أنه متى سُبِيَ منفرداً عن أبويه يصير مسلماً (لا)[٢] يستلزم أن يكون المراد بتكفير الأبوين لهما مجرد لحاقه (بهما)[٣] في الدين، ولكن وجه الحجة أنه إذا (ولد)[٤] على الملة فإنما ينقله عنها الأبوان اللذان يغيرانه عن الفطرة، فمتى سباه المسلمون منفرداً عنهما لم يكن هناك من غير دينه، وهو مولود على الملة، الحنيفية فيصير مسلماً بالمقتضي السالم عن المعارض.

ولو كان الأبوان يجعلانه كافراً في نفس الأمر بدون تعليم وتلقين، لكان الصبي المسبي بمنزلة البالغ الكافر، ومعلوم أن البالغ الكافر إذا سباه المسلمون لم يصر مسلماً؛ لأنه صار كافراً حقيقة، فلو كان الصبي (التابع)[٥] لأبويه كافراً حقيقةً لم ينتقل عن الكفر بالسباء، فعلم أنه كان يجري عليه حكم الكفر

---

(١) هو: عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، أبو عمرو الأوزاعي. حدث عن عطاء بن أبي رباح، وأبي جعفر الباقر، وعمرو بن شعيب، ومكحول، وقتادة، والقاسم بن مخيمرة، وربيعة بن يزيد القصير، وغيرهم. وروى عنه ابن شهاب الزهري، ويحيى بن أبي كثير، وشعبة، والثوري، ويونس بن يزيد، وخلق كثير. توفي سنة سبع وخمسين ومائة. انظر: طبقات ابن سعد ٧/ ٤٨٨، تهذيب التهذيب ٦/ ٢٣٨.

(٢) في م، ط (اذ).

(٣) في م، ط (لهما).

(٤) مكررة في م، ط.

(٥) في الأصل، م (البالغ) والصواب ما أثبته من (ط)، ومن الدرء.

في الدنيا تبعاً لأبويه (لا)[١] لأنه صار كافراً في نفس الأمر. يبين ذلك أنه لو سباه كفار ولم يكن معه أبواه، لم يصر مسلماً، فهو هنا كافر في حكم الدنيا وإن لم يكن أبواه هوداه ونصراه، فعلم أن المراد بالحديث أن الأبوين يلقّنانه الكفر، ويعلمانه إياه. وذكر النبي ﷺ الأبوين؛ لأنهما الأصل العام الغالب في تربية الأطفال. فإن كل طفل فلا بد له من أبوين، وهما اللذان يربيانه مع بقائهما وقدرتها.

ومما يبين ذلك قوله في الحديث الآخر: « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه، فإما شاكراً وإما كفوراً »[٢]. فجعله على الفطرة إلى أن يعقل ويميز، فحينئذ (يثبت)[٣] له أحد الأمرين. ولو كان كافراً في الباطن بكفر الأبوين، لكان ذلك من حين يولد قبل أن يعرب عنه لسانه.

وكذلك قوله في الحديث الصحيح: «إني خلقت عبادي حنفاء، (فاجتالتهم الشياطين)[٤] وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطان»[٥] صريح في أنهم خلقوا على الحنيفة، وأن الشياطين اجتالتهم وحرمت عليهم الحلال وأمرتهم بالشرك.

فلو كان الطفل يصير كافراً في نفس الأمر من حين يولد لكونه يتبع أبويه في الدين قبل أن يعلمه أحد الكفر ويلقنه إياه لم تكن الشياطين هم الذين غيروهم عن الحنيفية وأمروهم بالشرك][٦]

---

(١) ساقطة من (ط).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في م، ط (يتبين).

(٤) في (ط) (فاختالهم الشيطان).

(٥) سبق تخريجه ص١١٣ .

(٦) انظر: درء التعارض ٨/ ٤٣٠-٤٣٢ .

فصل

[ومنشأ الاشتباه في هذه المسألة اشتباه أحكام الكفر في الدنيا بأحكام الكفر في الآخرة، فإن أولاد الكفار لما كان تجري عليهم أحكام الكفر في الدنيا؛ مثل ثبوت الولاية عليهم لآبائهم، وحضانتهم لهم، وتمكنهم من تعليمهم وتأديبهم، (والموارثة)[١] (بينهم)[٢] [واسترقاقهم][٣] وغير ذلك صار يظن أنهم كفار في نفس الأمر، كالذي تكلم بالكفر وعمل به.

ومن ها هنا قال محمد بن الحسن[٤] إن هذا الحديث، وهو قوله: « كل مولود يولد على الفطرة » [كان قبل أن تنزل الأحكام. فإذا عرف أن كونهم ولدوا على الفطرة][٥] لا ينافي أن يكونوا تبعاً لآبائهم في أحكام الدنيا، [وقد][٦] زالت الشبهة، وقد يكون في بلاد الكفر من هو مؤمن يكتم إيمانه ولا يعلم المسلمون حاله، فلا يغسل ولا يصلى عليه ويدفن مع المشركين، وهو في الآخرة من أهل الجنة، كما أن المنافقين في الدنيا تجري عليهم أحكام المسلمين، وهم في الدرك الأسفل من النار، فحكم الدار الآخرة غير حكم الدار الدنيا.

---

(١) في (ط) (الموازنة).

(٢) في (ط) (وبين وبينهم).

(٣) في الأصل (واسترقاهم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) هو: محمد بن الحسن بن هارون بن بدينا، أبو جعفر الموصلي، سكن بغداد، وحدث بها عن إمامنا أحمد، وأحمد بن عبدة الضبي، وآخرين، روى عنه الخلال، وصاحبه عبدالعزيز، وإسماعيل الخطبي، وغيرهم. وسئل الدارقطني عنه، فقال: لا بأس به، ما علمت إلا خيراً. وتوفي ابن بدينا سنة ثلاث وثلاثمائة. انظر: طبقات الحنابلة ١/ ٢٨٨

(٥) ما بينهما زيادة من م، ط.

(٦) زيادة من (ط).

وقوله: «كل مولود يولد على الفطرة» إنما أراد به الإخبار بالحقيقة التي خلقوا عليها، (وعليها)[1] الثواب والعقاب في الآخرة إذا عملوا بموجبها وسلمت عن المعارض. لم يرد به الإخبار بأحكام الدنيا، فإنه قد علم بالاضطرار من شرع الرسول عليه الصلاة والسلام أن أولاد الكفار تبع لآبائهم في أحكام الدنيا، وأن أولادهم لا ينزعون منهم إذا كانوا ذمة فإن كانوا محاربين استرقوا، ولم يتنازع المسلمون في ذلك، لكن تنازعوا في الطفل إذا مات أبواه أو أحدهما: هل يحكم بإسلامه؟ وعن أحمد في ذلك ثلاث روايات:

إحداهن: يحكم بإسلامه بموت الأبوين أو أحدهما، لقوله: فأبواه يهودانه وينصرانه، وهذا ليس معه أبواه، وهو على الفطرة، وهي الإسلام لما تقدم، فيكون مسلماً.[2]

والثانية: لا يحكم بإسلامه بذلك؟[3] وهذا قول الجمهور.

قال شيخنا: وهذا القول هو الصواب، بل هو إجماع قديم من السلف والخلف، بل هو ثابت بالسنة التي لا ريب فيها، فقد علم أن أهل الذمة كانوا على عهد رسول الله ﷺ بالمدينة ووادي القرى[4] وخيبر[5] ونجران، واليمن،

---

(١) في م، ط (على).

(٢) انظر: أحكام أهل الملل ص(١٩-٢٧).

(٣) المصدر السابق ص ٢٣

(٤) وادي القرى: واد بين المدينة والشام. من أعمال المدينة كثير القرى، فتحها النبي ﷺ سنة سبع عنوة، ثم صولحوا على الجزية. انظر: معجم البلدان (٥/ ٣٤٥).

(٥) خيبر: الموضع المذكور في غزوات النبي ﷺ، وهي ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام، يطلق هذا الاسم على البلدة، وهي تشتمل على سبعة حصون ومزارع، ونخل كثير، فتحها النبي ﷺ سنة سبع من الهجرة، وقيل: ثمان. انظر: معجم البلدان (٢/ ٤٠٩-٤١٠)

وغير ذلك، وكان فيهم من يموت وله ولد صغير، ولم يحكم النبي بإسلام يتامى أهل الذمة ولا خلفاؤه، وأهل الذمة كانوا في زمانهم طبق الأرض بالشام، ومصر، والعراق، وخراسان، وفيهم من يتاماهم عدد كثير، ولم يحكموا بإسلام أحد منهم، فإن عقد الذمة اقتضى أن يتولى بعضهم بعضاً، فهم يتولون حضانة يتاماهم كما كان الأبوان يتولون تربيتهم. وأحمد يقول: إن الذمي إذا مات ورثه ابنه الطفل، مع قوله في إحدى الروايات: إنه يصير مسلماً[1] لأن أهل الذمة ما زال أولادهم يرثونهم ؛ لأن الإسلام حصل مع استحقاق الإرث لم يحصل قبله][2]. ونص على أنه إذا مات الذمي عن حمل منه لم يرثه للحكم بإسلامه قبل وضعه، وكذلك لو كان الحمل من غيره، كما إذا (مات)[3] وخلف امرأة ابنه أو أخيه حاملاً فأسلمت أمه قبل وضعه لم يرثه، لأنا حكمنا بإسلامه من حين أسلمت أمه، وكذلك هناك حكمنا بإسلامه من حين مات أبوه. وقد وافق الإمام أحمد الجمهور على أن الطفل إذا مات أبواه في دار الحرب لا يحكم بإسلامه. ولو كان موت الأبوين يجعله مسلماً بحكم الفطرة الأولى لم يفترق الحال بين دار الحرب ودار الإسلام، لوجود المقتضي للإسلام وهو الفطرة، وعدم المانع وهو الأبوان. وقد التزم بعض أصحابه الحكم بإسلامه، وهو باطل قطعاً، إذ من المعلوم بالضرورة أن أهل الحرب فيهم من بلغ يتيماً (كغيره)[4] وأحكام الكفار المحاربين جارية عليهم.

---

(١) أحكام أهل الملل ص ٢٤ .

(٢) انظر: درء التعارض ٨/ (٤٣٢-٤٣٤).

(٣) كرر في الأصل قوله (إذا مات الذمي عن حمل منه لم يرثه للحكم بإسلامه).

(٤) في م، ط (لغيره).

والرواية [الثالثة][(١)]: إن كفله أهل دينه، فهو باق على دين أبويه، وإن كفله المسلمون فهو مسلم.

نص عليه في رواية يعقوب بن بختان[(٢)] كما ذكره الخلال[(٣)] في جامعه عنه، قال: سئل أبو عبد الله عن جارية نصرانية لقوم، فولدت عندهم، ثم ماتت، ما يكون الولد؟ قال: إذا كفله المسلمون ولم يكن له من يكفله إلا هم، فهم مسلمون. قيل له: فإن مات بعد الأم بقليل؟ قال: يدفنه المسلمون[(٤)].

وقال في رواية أبي الحارث[(٥)] في جارية نصرانية لرجل مسلم (لها)[(٦)] زوج نصراني، فولدت عنده، وماتا عند المسلم، وبقي ولدهما عنده، ما يكون حكم هذا الصبي؟ قال: إذا كفله المسلمون فهو مسلم[(٧)].

وهذه الرواية، وإن لم يذكرها عامة الأصحاب وهي من جامع الخلال، فهي أصح الأقوال في هذه المسالة دليلاً، وهي التي نختارها، وبها تجتمع الأدلة. فإن الطفل يتبع مالكه وسابيه، فكذلك يتبع كافله (وحاضنه)[(٨)] فإنه لا يستقل بنفسه، بل لابد له ممن يتبعه ويكون معه. فتبعيته لحاضنه وكافله أولى من جعله كافراً بكون أبويه كافرين، وقد انقطعت تبعيته لهما، بخلاف ما

---

(١) في الأصل (الثانية) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) سبقت ترجمته ص١٤٢٤ .

(٣) سبقت ترجمته ص١٤٢١.

(٤) أحكام أهل الملل ص ٢٧ .

(٥) سبقت ترجمته ص١٤٢٧ .

(٦) مكررة في الأصل.

(٧) أحكام أهل الملل ص ٢٧

(٨) في (م) (حاضنته).

إذا كفله أهل دين الأبوين، فإنهم يقومون مقامهما، ولا أثر لفقد الأبوين إذا كفله جده وجدته أو غيرهما من أقاربه. فهذا القول أرجح في النظر، والله أعلم.

وليس المقصود ذكر هذه المسائل وما يصير به الطفل مسلماً، فإنا قد استوفيناها في كتابنا في أحكام أهل (الملل)(١)(٢) بأدلتها واختلاف العلماء من السلف والخلف فيها، وذكر مأخذهم، وإنما المقصود ذكر الفطرة، وأنها هي الحنيفة، وأنها لا تنافي القدر السابق بالشقاوة. والله أعلم.

فصل

[قال أبو عمر: وقال آخرون في معنى قول النبي ﷺ: « **كل مولود يولد على الفطرة** »: لم يرد رسول الله ﷺ الفطرة بذكر الفطرة ها هنا كفراً ولا إيماناً، ولا معرفة ولا إنكاراً، وإنما أراد كل مولود يولد على السلامة خلقة وطبعاً وبنيةً ليس معها كفر ولا إيمان ولا معرفة ولا إنكار، ثم يعتقد الكفر أو الإيمان بعد البلوغ إذا ميز. واحتجوا بقوله في الحديث: « **كما تنتج البهيمة (جمعاء)(٣) - يعني سالمة - هل تحسون فيها من جدعاء**»(٤) يعني مقطوعة الأذن. فمثل قلوب بني آدم بالبهائم؛ لأنها تولد كاملة الخلق لا يتبين فيها نقصان، ثم تقطع آذانها بعد وأنوفها، فيقال: هذه السوائب(٥) وهذه

---

(١) في الأصل (الملك) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) الكتاب مطبوع ومحقق في ثلاثة أجزاء بعنوان: أحكام أهل الذمة.

(٣) مكررة في (م).

(٤) سبق تخريجه انظر: ص٣٣٠ .

(٥) السائبة: هي الناقة التي كانت تسيب في الجاهلية لنذر أو نحوه، وقيل: هي التي تسيب لله، فلا قيد عليها ولا راع لها، وقيل هي أم البحيرة: كانت الناقة إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث سيبت، فلم تركب، ولم يشرب لبنها إلا ولدها أو الضيف حتى تموت، فإذا ماتت أكلها الرجال والنساء جميعاً.

البحائر[١]. يقول: فكذلك قلوب الأطفال في حين ولادتهم ليس لهم حينئذ كفر ولا إيمان، ولا معرفة ولا إنكار، كالبهائم السالمة، فلما بلغوا استهوتهم الشياطين فكفر أكثرهم، وعصم الله أقلهم.

قالوا: ولو كان الأطفال قد فطروا على شيء من الكفر والإيمان في أولية أمرهم ما انتقلوا عنه أبداً، فقد تجدهم يؤمنون ثم يكفرون ثم يؤمنون.

قالوا: ويستحيل في العقول أن يكون الطفل في حال ولادته (يعقل)[٢] كفراً أو إيماناً، لأن الله أخرجهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئاً، فمن لم يعلم شيئاً استحال منه كفر أو إيمان أو معرفة أو إنكار.

قال أبو عمر: هذا القول أصح ما قيل في معنى الفطرة التي يولد الولدان عليها. وذلك أن الفطرة: السلامة والاستقامة، بدليل قوله تعالى في حديث عياض بن حمار[٣]: « إني خلقت عبادي حنفاء »[٤] يعني: على استقامة وسلامة. وكأنه ـ والله أعلم ـ أراد الذين خلصوا من الآفات كلها والمعاصي والطاعات، فلا طاعة منهم ولا معصية إذا لم يعلموا بواحدة منهما.

ومن الحجة أيضاً في هذا قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

---

(١) البحيرة: مأخوذة من البحر، وهو شق الأذن. قال ابن سيد الناس: البحيرة: هي التي خليت بلا راع، وقيل: هي التي يجعل درها للطواغيت، فلا يحتلبها أحد من الناس، وجعل شق أذنه علامة لذلك، وقيل غير ذلك. انظر: تفسير الطبري (١١/١١٦-١٣٤)، الدين الخالص ص ١١٢، ١١٣، مختار الصحاح ص ٢٨٥.

(٢) في (ط) (يفعل).

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) حديث قدسي سبق تخريجه ص١١٣.

[الطور/ ١٦، التحريم/ ٧] ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر/ ٣٨] ومن لم يبلغ وقت العمل (لم)[١] (يرتهن)[٢] بشيء قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[٣] [الإسراء/ ١٥].

قال شيخنا: [هذا القائل إن أراد بهذا القول أنهم خلقوا خالين من المعرفة والإنكار من غير أن تكون الفطرة تقتضي واحداً منهما، بل يكون القلب كاللوح الذي يقبل كتابة الإيمان والكفر، وليس هو لأحدهما أقبل منه للآخر، وهذا هو الذي يشعر به ظاهر الكلام، فهذا قول فاسد، لأنه حينئذ لا فرق بالنسبة إلى الفطرة بين المعرفة والإنكار، والتهويد والتنصير والإسلام. وإنما ذلك بحسب الأسباب، فكان ينبغي أن يقال: فأبواه يسلمانه ويهودانه وينصرانه ويمجسانه، فلما ذكر أن أبويه يكفرانه، وذكر الملل الفاسدة دون الإسلام، علم أن حكمه في حصول ذلك بسبب منفصل [غير][٤] حكم الكفر.

وأيضاً فإنه على هذا التقدير لا يكون في القلب سلامة، ولا عطب، ولا استقامة، ولا زيغ، إذا نسبته إلى كل منهما نسبة واحدة، وليس هو بأحدهما بأولى منه بالآخر، كما أن اللوح قبل الكتابة لا يثبت له حكم مدح ولا ذم، فما كان [قابلاً للممدوح والمذموم][٥] على السواء لم يستحق مدحاً ولا ذماً، والله تعالى يقول: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ

---

(١) ساقطة من م، ط.

(٢) في (ط) (يبرهن).

(٣) انظر: التمهيد ١٨/ (٦٩-٧١)، درء التعارض ٨/ (٤٤٢-٤٤٤).

(٤) في (ط) (عن).

(٥) في (ط) (للمدح والذم).

عَلَيْهَا﴾ [الروم/ ٣٠] فأمر بلزوم فطرته التي فطر الناس عليها. فكيف لا تكون ممدوحة!!

وأيضاً فإن النبي ﷺ [شبهها][(١)] بالبهيمة المجتمعة الخلق، وشبه ما طرأ عليها من الكفر بجدع الأنف والأذن، ومعلوم أن كمالهما محمود، ونقصهما مذموم، فكيف تكون قبل [النقص][(٢)] لا محمودة ولا مذمومة.

فصل

وإن كان المراد بهذا القول ما قاله طائفة من العلماء أن المراد أنهم ولدوا على الفطرة السليمة، التي لو تركت مع صحتها، لاختارت المعرفة على الإنكار والإيمان على الكفر، ولكن بما عرض لها من الفساد خرجت عن هذه الفطرة، فهذا القول [قد يقال: إنه لا يرد عليه ما يرد على القول][(٣)] الذي قبله فإن صاحبه يقول: في الفطرة قوة تميل بها إلى المعرفة والإيمان، كما في البدن السليم قوة يحب بها الأغذية النافعة، وبهذا كانت محمودة، وذم من (أفسدها)[(٤)].

لكن يقال: فهذه الفطرة التي فيها هذه القوة والقبول والاستعداد والصلاحية هل هي كافية في حصول المعرفة؟ أو تقف المعرفة على أدلة من خارج؟

فإن كانت المعرفة تقف على أدلة من خارج، أمكن أن توجد تارة وتعدم أخرى. ثم ذلك السبب يمتنع أن يكون موجباً للمعرفة [بنفسه، بل غايته أن

---

(١) في الأصل (شبههما) والصواب ما أثبته من باقي النسخ ومن الدرء.

(٢) في الأصل (القبض) والصواب ما أثبته من باقي النسخ ومن الدرء.

(٣) ما بينهما زيادة من م، ط، ومن الدرء.

(٤) في الأصل (فسدها) والصواب ما أثبته من باقي النسخ، ومن الدرء.

يكون معرِّفاً ومذكِّراً، فعند ذلك إن وجب حصول المعرفة][١] كانت واجبة الحصول عند وجود (تلك)[٢] الأسباب، وإلا فلا. وحينئذ فلا يكون فيها إلا قبول المعرفة والإيمان، وحينئذ فلا فرق فيها بين الإيمان والكفر والمعرفة والإنكار، إنما فيها قوة قابلة لكل منهما واستعداد له، لكن يتوقف على المؤثر الفاعل من خارج. وهذا هو القسم الأول الذي أبطلناه، وبينا أنه ليس في ذلك مدح للفطرة.

وأما إن كان فيها قوة تقتضي المعرفة بنفسها، وإن لم يوجد من يعلمها أدلة المعرفة (لزم حصول المعرفة)[٣] فيها (دون)[٤] ما نسمعه من الأدلة، سواء قيل: إن المعرفة ضرورية فيها، أو قيل: إنها تحصل بأسباب تنتظم في النفس، وإن لم يسمع كلام مستدل، فإن النفس قد يقوم بها من [النظر][٥] والاستدلال ما لا تحتاج معه إلى كلام الناس.

فإن كان كل مولود يولد على هذه الفطرة، لزم أن يكون المقتضي للمعرفة حاصلاً لكل مولود، وهو المطلوب. والمقتضي التام يستلزم مقتضاه، فتبين أن أحد الأمرين لازم إما لكون الفطرة مستلزمة للمعرفة، وإما استواء الأمرين بالنسبة إليها، وذلك ينفي مدحها.

(وتخليص)[٦] ذلك أن يقال: المعرفة والإيمان بالنسبة إليها ممكن بلا ريب،

---

(١) ما بينهما زيادة من م، ط، ومن الدرء.

(٢) في م، ط (ذلك).

(٣) ما بينهما ساقط من م، ط.

(٤) من الدرء.

(٥) في الأصل (الفطرة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ، ومن الدرء.

(٦) في الدرء (وتلخيص)

فإما أن تكون هي موجبة مستلزمة لذلك، وإما أن لا تكون مستلزمة له، فلا يكون واجباً لها.

فإن كان الثاني، لم يكن فرق بين الكفر والإيمان بالنسبة إليها، إذ كلاهما ممكن لها، فثبت أن المعرفة لازمة لها إلا أن يعارضها معارض.

فإن قيل: ليست موجبة مستلزمة للمعرفة، ولكن هيأ إليها الميل مع قبولها للنكرة.

قيل: فحينئذ إذا لم تستلزم المعرفة وجدت تارة وعدمت تارة، وهي وحدها لا تحصلها، فلا تحصل إلا بشخص آخر كالأبوين، فيكون الإسلام والتهويد والتنصير والتمجيس.

ومعلوم أن هذه أنواع بعضها أبعد عن الفطرة من بعض، (كالتمجيس)[1]. فإن لم تكن الفطرة مقتضية للإسلام، صار نسبتها إلى ذلك كنسبة التهويد والتنصير إلى التمجيس، فوجب أن يذكر كما ذكر ذلك (وأن يكون هذا لكون الفطرة)[2] لا تقتضي الرضاع إلا بسبب منفصل، وليس كذلك، بل الطفل يختار مص اللبن بنفسه، فإذا مكن من الثدي وجدت الرضاعة لا محالة، فارتضاعه ضروري إذا لم يوجد معارض، وهو مولود على أن (يرتضع)[3] فكذلك هو مولود على أن يعرف الله، والمعرفة ضرورية لا محالة إذا لم يوجد معارض.

وأيضاً فإن حب النفس لله وخضوعها له وإخلاصها له، مع الكفر به والشرك والإعراض عنه ونسيان ذكره، إما أن يكون نسبتهما إلى الفطرة

---

(١) في (ط) (التمجس).

(٢) في م، ط (ويكون هذا كمكون الفطرة).

(٣) في م، ط (يرضع).

يكون معرِّفاً ومذكِّراً، فعند ذلك إن وجب حصول المعرفة][1] كانت واجبة الحصول عند وجود (تلك)[2] الأسباب، وإلا فلا. وحينئذ فلا يكون فيها إلا قبول المعرفة والإيمان، وحينئذ فلا فرق فيها بين الإيمان والكفر والمعرفة والإنكار، إنما فيها قوة قابلة لكل منهما واستعداد له، لكن يتوقف على المؤثر الفاعل من خارج. وهذا هو القسم الأول الذي أبطلناه، وبينا أنه ليس في ذلك مدح للفطرة.

وأما إن كان فيها قوة تقتضي المعرفة بنفسها، وإن لم يوجد من يعلمها أدلة المعرفة (لزم حصول المعرفة)[3] فيها (دون)[4] ما نسمعه من الأدلة، سواء قيل: إن المعرفة ضرورية فيها، أو قيل: إنها تحصل بأسباب تنتظم في النفس، وإن لم يسمع كلام مستدل، فإن النفس قد يقوم بها من [النظر][5] والاستدلال ما لا تحتاج معه إلى كلام الناس.

فإن كان كل مولود يولد على هذه الفطرة، لزم أن يكون المقتضي للمعرفة حاصلاً لكل مولود، وهو المطلوب. والمقتضي التام يستلزم مقتضاه، فتبين أن أحد الأمرين لازم إما لكون الفطرة مستلزمة للمعرفة، وإما استواء الأمرين بالنسبة إليها، وذلك ينفي مدحها.

(وتخليص)[6] ذلك أن يقال: المعرفة والإيمان بالنسبة إليها ممكن بلا ريب،

---

(١) ما بينهما زيادة من م، ط، ومن الدرء.

(٢) في م، ط (ذلك).

(٣) ما بينهما ساقط من م، ط.

(٤) من الدرء.

(٥) في الأصل (الفطرة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ، ومن الدرء.

(٦) في الدرء (وتلخيص)

فإما أن تكون هي موجبة مستلزمة لذلك، وإما أن لا تكون مستلزمة له، فلا يكون واجباً لها.

فإن كان الثاني، لم يكن فرق بين الكفر والإيمان بالنسبة إليها، إذ كلاهما ممكن لها، فثبت أن المعرفة لازمة لها إلا أن يعارضها معارض.

فإن قيل: ليست موجبة مستلزمة للمعرفة، ولكن هيأ إليها الميل مع قبولها للنكرة.

قيل: فحينئذ إذا لم تستلزم المعرفة وجدت تارة وعدمت تارة، وهي وحدها لا تحصلها، فلا تحصل إلا بشخص آخر كالأبوين، فيكون الإسلام والتهويد والتنصير والتمجيس.

ومعلوم أن هذه أنواع بعضها أبعد عن الفطرة من بعض، (كالتمجيس)[١]. فإن لم تكن الفطرة مقتضية للإسلام، صار نسبتها إلى ذلك كنسبة التهويد والتنصير إلى التمجيس، فوجب أن يذكر كما ذكر ذلك (وأن يكون هذا لكون الفطرة)[٢] لا تقتضي الرضاع إلا بسبب منفصل، وليس كذلك، بل الطفل يختار مص اللبن بنفسه، فإذا مكن من الثدي وجدت الرضاعة لا محالة، فارتضاعه ضروري إذا لم يوجد معارض، وهو مولود على أن (يرتضع)[٣] فكذلك هو مولود على أن يعرف الله، والمعرفة ضرورية لا محالة إذا لم يوجد معارض.

وأيضاً فإن حب النفس لله وخضوعها له وإخلاصها له، مع الكفر به والشرك والإعراض عنه ونسيان ذكره، إما أن يكون نسبتهما إلى الفطرة

---

(١) في (ط) (التمجس).

(٢) في م، ط (ويكون هذا كمكون الفطرة).

(٣) في م، ط (يرضع).

سواءً، أو الفطرة مقتضية للأول دون الثاني، فإن كانا سواء لزم انتفاء المدح كما تقدم، (ولم)[١] يكن فرق بين دعائهما إلى (الكفر)[٢] ودعائهما إلى الإيمان، ويكون تمجيسها كتحنيفها، وقد عرف بطلان هذا.

وإن كان فيها مقتضٍ لهذا فإما أن يكون المقتضي مستلزماً لمقتضاه عنده عدم المعارض، وإما أن يكون متوقفاً على شخص خارج عنها. فإن كان الأول ثبت (أن)[٣] ذلك من لوازمها، وأنها مفطورة عليه لا يفقد إلا إذا فسدت الفطرة، وإن قدر أنه متوقف على شخص، فذلك الشخص هو الذي يجعلها حنيفية كما يجعلها مجوسية، وحينئذ فلا فرق بين هذا وهذا.

وإذا قيل: هي إلى الحنيفة (أميل)[٤] كان كما يقال: هي إلى غيرها أميل.

فتبين أن فيها قوة موجبة (لحب)[٥] الله، والذل له، وإخلاص الدين له، وأنها موجبة لمقتضاها إذا سلمت من المعارض، كما أن فيها قوة تقتضي شرب اللبن الذي فطرت على محبته وطلبه، ومما يبين هذا أن كل حركة إرادية، فإن الموجب لها قوة في المريد. فإذا أمكن في الإنسان أن يحب الله ويعبده ويخلص له الدين، كان فيه قوة تقتضي ذلك. إذ الأفعال الإرادية لا يكون سببها إلا من نفس الحي المريد الفاعل. ولا يشترط في إرادته إلا مجرد الشعور بالمراد، فما في النفوس من قوة المحبة له إذا شعرت به تقتضي حبه إذا لم يحصل [معارض][٦]. وهذا موجود في محبة الأطعمة والأشربة والنكاح

---

(١) في م، ط (وإن لم).

(٢) في الأصل (الفكر) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٣) ساقطة من م، ط.

(٤) في (م) (مثل).

(٥) في الأصل (يحب) والصواب ما أثبته من باقي النسخ، ومن الدرء.

(٦) في الأصل (يعارض) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

والعلم وغيرها.

وقد ثبت أن في النفس قوة المحبة لله والإخلاص والذل [له والخضوع وأن فيها قوة الشعور به، فيلزم قطعاً وجود المحبة له والتعظيم][(١)] والخضوع بالفعل لوجود المقتضي إذا سلم عن المعارض.

وتبين أن المعرفة والمحبة لا يشترط فيهما وجود شخص منفصل، وإن كان وجوده قد يذكر ويحرك، كما لو خوطب الجائع أو الظمآن بوصف طعام، أو خوطب المغتلم[(٢)] بوصف النساء، فإن هذا مما يذكره ويحركه، ويثير شهوته الكامنة بالقوة في نفسه، لا أنه يحدث له تلك الإرادة والشهوة بعد أن لم تكن فيه، فيجعلها موجودة بعد أن كانت عدماً، فكذلك الأسباب الخارجة عن الفطرة لا يتوقف عليها وجود ما في الفطرة من الشعور بالخالق ومحبته وتعظيمه والخضوع له، وإن كان ذلك مذكراً ومحركاً ومنبهاً، ومزيلاً للعارض المانع[(٣)] ولذلك سمى الله سبحانه ما كمل به موجبات الفطرة بذكّر أو ذكرى، وجعل رسوله مذكراً، فقال: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية/ ٢١] وقال: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى/ ٩] وقال: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾[غافر/ ١٣] وقال: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر/ ٩] وقال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق/ ٣٧]، وقال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر/ ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠]، وقال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان/ ٥٨].

---

(١) ما بينهما زيادة من م، ط.

(٢) (غلم) الإنسان غلماً، وغلمة: اشتدت شهوته للجماع. فهو غَلِم، ومغليم. وهي غلمة ومِغليم. المعجم الوسيط ص (٦٦٠).

(٣) انظر: دره التعارض ٨/ (٤٤٤-٤٥٠).

وهذا كثير في القرآن، يخبر أن كتابه ورسوله مذكر لهم بما هو مركوز في فطرهم من معرفته، ومحبته، وتعظيمه، وإجلاله، والخضوع له، والإخلاص له، ومحبة شرعه الذي هو العدل المحض، وإيثاره على ما سواه.

فالفطر (مركوز)(١) فيها معرفته، ومحبته، والإخلاص له، والإقرار بشرعه وإيثاره على غيره. فهي تعرف ذلك، وتشعر به مجملاً، ومفصلاً بعض التفصيل. فجاءت الرسل تذكرها بذلك، وتنبهها عليه، وتفصِّله لها، وتبينه، وتعرفها الأسباب المعارضة لموجب الفطرة، المانعة من [اقتضائها](٢) أثرها.

وهكذا شأن الشرائع التي جاءت بها الرسل، فإنها أمر بمعروف ونهي عن منكر، وإباحة طيب وتحريم خبيث، وأمر بعدل ونهي عن ظلم(٣)، وهذا كله مركوز في الفطرة، وكمال تفصيله وتبينه موقوف على الرسل.

(وهكذا)(٤) باب التوحيد وإثبات الصفات، فإن في الفطرة الإقرار بالكمال المطلق الذي لا نقص فيه للخالق سبحانه، ولكن معرفة هذا الكمال على التفصيل مما يتوقف على الرسل، وكذلك تنزيهه عن النقائص والعيوب هو أمر مستقر في فطر الخلائق، خلافاً لمن قال من المتكلمين: إنه لم يقم دليل

---

(١) في الأصل (من مركوز).

(٢) في (ط) (اقتفائها).

(٣) قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف/ ١٥٧].

(٤) في الأصل (وهذا) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

عقلي على تنزيهه عن النقائص، وإنما علم بالإجماع:

(فقبحاً)[١] لهاتيك العقول فإنها عقال على أصحابها ووبال

فليس في العقول أبين ولا أجلى من معرفتها بكمال خالق هذا العالم وتنزيهه عن العيوب والنقائص، وجاءت الرسل (بالتذكير)[٢] بهذه المعرفة وتفصيلها.

وكذلك في الفطر الإقرار بسعادة النفوس البشرية وشقاوتها، وجزائها بكسبها في غير هذه الدار وأما تفصيل ذلك الجزاء والسعادة والشقاوة فلا تعلم إلا بالرسل. وكذلك فيها معرفة العدل ومحبته وإيثاره، وأما تفصيل العدل الذي هو شرع الرب تعالى، فلا يعلم إلا بالرسل، فالرسل تذكر بما في الفطر وتفصله وتبينه، ولهذا كان العقل الصريح موافقاً للنقل الصحيح، والشرعة مطابقة للفطرة يتصادفان ولا يتعارضان، خلافاً لمن قال: إذا تعارض العقل والوحي، قدمنا العقل على الوحي[٣].

فقبحاً لعقل ينقض الوحي حكمه ويشهد حقاً إنه هو كاذب

والمقصود أن الله فطر عباده على فطرة فيها الإقرار به، ومحبته، والإخلاص له، والإنابة إليه، وإجلاله وتعظيمه، وأن الشخص الخارج عنها لا يحدث فيها ذلك (ويجعله)[٤] فيها بعد أن لم تكن، وإنما يذكرها بما فيها وينبهها عليه، ويحركها له، ويفصله لها، ويبينه، ويعرفها الأسباب المقوية

---

(١) في (ط) (قبحاً) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في م، ط (بالتذكرة).

(٣) ممن يقول بتقديم العقل على الوحي عند التعارض: الأشاعرة، وعلى رأسهم: الرازي، وأبو حامد الغزالي وغيرهم. انظر: درء تعارض العقل والنقل ١/ (٤، ٥).

(٤) في (ط) (ويجعلها).

(له)[١] والأسباب المعارضة له والمانعة من كماله. كما أن الشخص الخارج لا يجعل في الفطرة شهوة اللبن عند الرضاع والأكل والشرب والنكاح، وإنما يذكر النفس، ويحركها لما هو مركوز فيها بالقوة .

فصل

ومما يبين ذلك: [أن الإقرار بالصانع مع خلو القلب عن محبته، والخضوع له، وإخلاص الدين له، لا يكون نافعاً، بل الإقرار به مع الإعراض عنه، وعن محبته وتعظيمه والخضوع له، أعظم استحقاقاً للعذاب، فلا بد أن يكون (في الفطرة)[٢] مقتض للعلم ومقتض للمحبة، والمحبة مشروطة بالعلم. فإن ما لا يشعر به الإنسان لا يحبه، والحب للمحبوبات لا يكون بسبب من خارج، بل هو جبلي فطري، وإذا كانت المحبة جبلية، فطرية، فشرطها ـ وهو المعرفة أيضاً ـ جبلي فطري، فلا بد أن يكون في الفطرة محبة الخالق مع الإقرار به. وهذا أصل الحنيفية [التي خلق الله خلقه عليها، وفطرته فطرهم عليها، فعلم أن الحنيفية][٣] من موجبات الفطرة ومقتضياتها، والحب لله، والخضوع له والإخلاص هو أصل أعمال الحنيفية، وذلك مستلزم للإقرار والمعرفة، ولازم اللازم لازم، وملزم الملزوم ملزوم، فالفطرة ملزومة لهذه الأحوال، وهذه الأحوال لازمة لها[٤]] .

فصل

فقد تبين دلالة [الكتاب، والسنة، والآثار، واتفاق السلف على أن الخلق مفطورون على دين الله، الذي هو معرفته، والإقرار به، ومحبته والخضوع له،

---

(١) ساقطة من م، ط.

(٢) في (ط) (للفطرة).

(٣) ما بينهما زيادة من م، ط.

(٤) انظر: دره التعارض ٨/ (٤٥٠-٤٥١)

وأن ذلك موجب فطرتهم ومقتضاها، يجب حصوله فيها، إن لم يحصل ما يعارضه، ويقتضي حصول ضده، وأن حصول ذلك فيها لا يقف على وجود شرط، بل على انتفاء المانع، فإذا لم يوجد فهو لوجود منافيه، لا لعدم مقتضية. ولهذا لم يذكر النبي ﷺ لوجود الفطرة شرطاً، بل ذكر ما يمنع موجبها، حيث قال: «فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه»[1]][2] فحصول هذا التهويد والتنصير موقوف على أسباب خارجة عن الفطرة، وحصول الحنيفة والإخلاص ومعرفة الرب تعالى والخضوع له لا يتوقف أصله على غير الفطرة، وإن توقف كماله وتفصيله على غيرها. وبالله التوفيق.

فصل

وقوله ﷺ فيما يروي عن ربه وتبارك تعالى: «إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين، وحرمت عليهم ما أحللت لهم»[3] يتضمن أصلين عظيمين مقصودين لأنفسهما، ووسيلة تعين عليهما: أحدهما: عبادته وحده لا شريك له. والثاني (أنه)[4] إنما يعبد بما شرعه وأحبه وأمر به.

وهذان الأصلان هما المقصود الذي خلق له الخلق، فضدهما الشرك والبدع، فالمشرك يعبد مع الله غيره، وصاحب البدعة يتقرب إلى الله بما لم يأمر به، ولم يشرعه، ولا أحبه، وجعل سبحانه حل الطيبات مما يستعان به على ذلك ويتوسل به إليه.

---

(١) سبق تخريجه انظر: ص٣٣٠.

(٢) انظر: درء التعارض ٨/ ٤٥٤.

(٣) سبق تخريجه انظر: ص١١٣ .

(٤) ساقطة من م، ط.

فمدار الدين على هذين الأصلين[(١)] وهذه الوسيلة، فأخبر سبحانه أن الشياطين اقتطعت عباده عن هذا المقصود، وعن هذه الوسيلة، فأمرتهم أن يشركوا به ما لم ينزل به سلطاناً، وهذا يتناول الإشراك بالمعبود الحق بأن يعبد معه غيره، والإشراك [بعبادته الحقة][(٢)] بأن يعبد بغير شرعه، وكثيراً ما يجتمع الشركان، فيعبد المشرك معه غيره بعبادة لم يشرع سبحانه أن يتعبد له بها، وقد ينفرد أحد المشركين، فيشرك به غيره في نفس العبادة [التي][(٣)] شرعها، أو يعبده وحده بعبادة شركية لم يشرعها أو يتوسل إلى عبادته بتحريم ما أحله.

وقد ذم الله سبحانه المشركين على هذين النوعين في كتابة في سورة الأنعام والأعراف وغيرهما، يذكر فيها ذمهم على ما حرموه من المطاعم

---

(١) الأصلان هما: الإخلاص لله، والمتابعة للنبي ﷺ من أدلة الإخلاص:
قوله سبحانه: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة/ ٥]. وقال ﷺ في حديث عمر: «**إنما الأعمال النيات ..**» الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (بدء الوحي) باب (كيف كان بدء الوحي) ١/ ٣، ومسلم في كتاب (الإمارة) باب (قوله ﷺ: إنما الأعمال بالنية وأنه يدخل في الغزو وغيره من الأعمال) ح (١٩٠٧) ٢/ ١٥١٥.
ومن أدلة المتابعة للنبي ﷺ قوله سبحانه: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[الحشر/ ٧].
وعن عائشة رضي الله عنها: قالت قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد**» أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (الصلح) باب (إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود)٣/ ١٦٧. ومسلم في كتاب (الأقضية) باب (نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور) ح (١٧١٨) ٢/ ١٣٤٣.
(٢) في (الأصل) (بعبادة الحق) والأولى ما أثبته من (ط).
(٣) في الأصل (إلى أن) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

والملابس، وذمهم على ما أشركوا به من عبادة غيره، أو على ما ابتدعوه من عبادته بما لم يشرعه[(١)].

وفي المسند: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة»[(٢)].

فهي حنيفية في التوحيد وعدم الشرك، سمحة في العمل، وعدم الآصار والأغلال (بتحريم كثير)[(٣)] من الطيبات الحلال[(٤)]. فيعبد سبحانه بما أحبه.

---

(١) مما ذكره الله في سورة الأنعام. قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ۝ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝﴾ [الأنعام/ ١٣٨، ١٣٩] وفي سورة الأعراف قال سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف/ ٣٢، ٣٣].

(٢) رواه البخاري تعليقاً في كتاب (الإيمان) باب (الدين يسر) ١/ ١٥. ووصله أحمد في المسند ١/ ٢٣٦. قال الحافظ في فتح الباري (١/ ٩٣، ٩٤): (وهذا الحديث المعلق لم يسنده المؤلف في هذا الكتاب، لأنه ليس على شرطه، نعم وصله في كتاب الأدب المفرد، وكذا وصله أحمد بن حنبل وغيره من طريق محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة، عن ابن عباس. وإسناده حسن، واستعمله المؤلف في الترجمة لكونه متقاصراً عن شرطه. وقواه بما دل على معناه لتناسب السهولة واليسر).

(٣) في (ط) (بتحريمهم).

(٤) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ٩٤): (والحنيفية ملة إبراهيم، والحنيف في اللغة: من كان على ملة إبراهيم، وسمي إبراهيم حنيفاً لميله عن الباطل إلى الحق، لأن أصل =

ويستعان على عبادته بما أحله، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾[المؤمنون/ ٥١].

وهذا هو الذي فطر الله عليه خلقه، وهو محبوب لكل أحد، مستقر سنته في كل فطرة، فإنه يتضمن التوحيد، وإخلاص القصد، والحب لله وحده، وعبادته وحده بما يحب أن يعبد به، والأمر بالمعروف الذي تحبه القلوب، والنهي عن المنكر الذي تبغضه وتنفر منه، وتحليل الطيبات النافعة، وتحريم الخبائث الضارة.

فصل

وهذا الذي أخبر به النبي ﷺ من أن كل مولود يولد على الفطرة الحنيفية هو الذي تقوم الأدلة العقلية على صحته، وأنه كما أخبر به الصادق المصدوق، ومن خالف ذلك فقد غلط، وبيان ذلك من وجوه:

أحدها: أن الإنسان قد يحصل له من الاعتقادات والإرادات ما يكون حقاً، وقد يحصل له منهما ما يكون باطلاً. [فإن](1) اعتقاداته قد تكون مطابقة لمعتقدها، وهي الحق، والخبر عنها يسمى صدقاً، وقد تكون غير مطابقة وهي الباطل. والخبر عنها يسمى كذباً.

والإرادات تنقسم إلى ما تكون نافعة له متضمنة لمصلحته، ومرادها هو الخير والحسن، وإلى ما (تكون)(2) ضارة له مخالفة لمصلحته، ومرادها هو الشر

= الحنف: الميل، والسمحة: السهلة، أي أنها مبنية على السهولة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الحج/ ٧٨].

(١) في الأصل (أو)، والصواب ما أثبته من الدرء.

(٢) في م، ط (هو).

والقبح، وإذا كان الإنسان تارة يكون معتقداً للحق مريداً للخير، وتارة يكون معتقداً للباطل مريداً للشر، فلا يخلو إما أن تكون نسبة نفسه (الناطقة)[1] إلى النوعين نسبةً واحدة، بحيث لا يكون فيها مرجحاً لأحدهما على الآخر، أو تكون نفسه مرجحة لأحد الأمرين على الآخر.

فإن كان الأول، لزم أن لا يوجد أحد النوعين إلا بمرجح منفصل عنه. فإذا قدر رجحان أحدهما ترجح هذا، والآخر ترجح هذا، فإما أن يتكافأ المرجحان أو يترجح أحدهما، فإن تكافآ لزم أن لا يحصل واحد منهما، وهو خلاف المعلوم بالضرورة.

فإنا نعلم أنه إذا عرض على كل أحد أن يعتقد الحق ويصدق، وأن يريد ما ينفعه، وعرض عليه أن يعتقد الباطل ويكذب، ويريد ما يضره، مال بفطرته إلى (الأول)[2] ونفر عن الثاني، فعلم أن فطرة الإنسان قوة تقتضي اعتقاد الحق وإرادة الخير.

وحينئذ فالإقرار بوجود فاطره وخالقه، ومعرفته، ومحبته، والإيمان به وتعظيمه، والإخلاص له، إما أن يكون من النوع الأول، أو الثاني، وحينئذ فيجب أن يكون في الفطرة ما يقتضي محبته ومعرفته والإيمان به، والتوسل إليه بمحابة.

الوجه الثاني: أن عبادته وحده بما يحبه إما أن تكون أكمل للناس علماً وقصداً، أو الإشراك به أكمل، والثاني معلوم الفساد بالضرورة، فتعين الأول، وهو أن يكون في الفطرة مقتض يقتضي توحيده وتألهه وتعظيمه.

الوجه الثالث: أن الحنيفية التي هي دين الله ـ ولا دين له غيرها ـ إما أن

---

(١) في م، ط (الباطنة).

(٢) في م، ط (الأولى).

تكون مع غيرها من الأديان متماثلين، أو الحنيفية أرجح، أو تكون مرجوحة. والأول والثالث باطلان قطعاً، فوجب أن يكون في الفطرة مرجح يرجح الحنيفية، وامتنع أن يكون نسبتها ونسبة غيرها من الأديان إلى الفطرة سواء.

الوجه الرابع: أنه إذا [ثبت](١) أن في الفطرة قوة تقتضي طلب معرفة الحق، وإيثاره على ما سواه، وأن ذلك حاصل مركوز فيها من غير تعليم الأبوين ولا غيرهما. بل لو فرض أن الإنسان تربى وحده ثم عقل وميز، لوجد نفسه مائلة إلى ذلك، نافرةً [عن](٢) ضده، كما تجد الصبي عند أول تمييزه يعلم أن الحادث لا بد له من محدث، فهو يلتفت [إذا](٣) ضرب من خلفه لعلمه أن تلك الضربة لا بد لها من ضارب، فإذا شعر به بكى حتى يقتص له منه فيسكن، فلقد ركز في فطرته الإقرار بالصانع، وهو التوحيد، ومحبة القصاص، وهو العدل.

وإذا ثبت ذلك ثبت أن نفس الفطرة مقتضية لمعرفته سبحانه ومحبته وإجلاله وتعظيمه والخضوع له، من غير تعليم ولا دعاء إلى ذلك، وإن لم تكن فطرة كل أحد مستقلة بتحصيل ذلك، بل يحتاج كثير منهم إلى سبب معين للطفرة مقو لها، وقد بينا أن هذا السبب لا يحدث في الفطرة ما لم يكن فيها، بل يعينها ويذكرها ويقويها، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، يدعون العباد إلى موجب هذه الفطرة.

فإذا لم يحصل مانع يمنع الفطرة عن مقتضاها، استجابت لدعوة الرسل

---

(١) في الأصل (نذب) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) زيادة من م، ط.

(٣) في الأصل (إلى) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

ولا بد بما فيها من [المقتضي][(١)] لذلك. كمن دعا جائعاً أو ظمآن إلى (طعام وشراب نافع ولذيذ][(٢)] لا تبعة فيه عليه ولا يكلفه ثمنه، فإنه ما لم يحصل هناك مانع، فإنه يجيبه ولا بد.

الوجه الخامس: أنا نعلم بالضرورة أن الطفل حين [ولادته][(٣)] ليس له معرفة بهذا الأمر ولا عنده إرادة له، ويعلم أنه كما حصل فيه قوة العلم والإرادة، حصل له من معرفته بربِّه ومحبته (له)[(٤)] ما يناسب قوة فطرته وضعفها، وهذا كما نشاهده في الأطفال من [محبة][(٥)] جلب المنافع ودفع المضار بحسب كمال التمييز وضعفه، فكلاهما أمر حاصل مع النشأة على التدريج شيئاً فشيئاً إلى أن يصل إلى حده الذي ليس في الفطرة استعداد [أكبر][(٦)] منه، لكن قد يتفق لكثير من الفطر موانع متنوعة تحول بينها وبين مقتضاها وموجبها.

الوجه السادس: أنه من المعلوم أن النفوس إذا حصل لها معلم وداع، حصل لها من العلم والإرادة بحسبه، ومن المعلوم أن كل نفس قابلة لمعرفة الحق وإرادة الخير. ومجرد التعليم لا يوجب تلك القابلية، فلولا أن في النفس قوة تقبل ذلك، لم يحصل لها القبول، (فإن حصوله في المحل مشروط بقبوله له)[(٧)]، وذلك القبول هو كونه مهيأ له، مستعداً لحصوله فيه، وقد بينا أنه يمتنع

---

(١) في الأصل (القبض) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) في (ط) (شراب وطعام لذيذ نافع).

(٣) في الأصل، م (ولادة) والصواب ما أثبته من (ط).

(٤) ساقطة من (ط).

(٥) زيادة من م، ط.

(٦) في (ط) (لأكثر).

(٧) في (ط) (فإنه لحصوله في المحل شروط مقبولة له).

أن يكون سبب ذلك وضده إلى النفس سواء.

الوجه السابع: أنه من المعلوم مشاركة الإنسان لنوع الحيوان في الإحساس والحركة الإرادية[(١)] وجنس الشعور. وأن الحيوان البهيم قد يكون أقوى إحساساً وحياة وشعوراً من الإنسان، وليس بقابل لما الإنسان قابل له من معرفة الحق وإرادته دون غيره، فلولا قوة في الفطرة والنفس الناطقة اختص بها الإنسان دون الحيوان يقبل بها أن يعرف الحق ويريد الخير، لكان هو والحيوان في هذا العدم سواء.

وحينئذ يلزم أحد أمرين كلاهما ممتنع: إما كون الإنسان فاقداً لهذه المعرفة والإرادة كغيره من الحيوانات، أو تكون حاصلةً لها [كحصولها للإنسان. فلولا أن في الفطرة والنفس الناطقة قوة تقتضي ذلك لما حصل لها][(٢)]، ولو كان بغير قوة ومقتض منها لا يمكن حصوله للجمادات والحيوانات لكن فاطرها وبارئها خصها بهذه القوة والقابلية وفطرها عليها.

يوضحه الوجه الثامن: أنه لو كان السبب مجرد التعليم من غير قوة قابلة، لحصل ذلك في الجمادات والحيوانات؛ لأن السبب واحد، ولا قوة هناك (يهيىء)[(٣)] بها هذا المحل من غيره، فعلم أن حصول ذلك في محل دون محل هو لاختلاف القوابل والاستعدادات.

الوجه التاسع: أن حصول هذه المعرفة والإرادة في العدم المحض محال فلا بد من وجود المحل وحصوله في موجود غير قابل محال، بل لا بد من قبول المحل، وحصوله من غير مدد من الفاعل إلى القابل (بحال)[(٤)]، فلو قطع

---

(١) في الأصل (الإرادة) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٢) ما بينهما زيادة من م، ط.

(٣) في الأصل (يميزها) والصواب ما أثبته.

(٤) ساقطة من م، ط.

الفاعل إمداده لذلك المحل القابل لم يوجد ذلك (القبول)[١]، فلا بد من الإيجاد والإعداد والإمداد، فإذا استحال [وجود القبول من غير إيجاد المحل استحال][٢] وجوده من غير إعداده وإمداده، والخلاق العليم سبحانه هو الموجد المعد الممد.

الوجه العاشر: أنه من المعلوم أن النفس لا توجب بنفسها لنفسها حصول العلم والإرادة، بل لا بد فيها من قوة تقبل بها ذلك، لا تكون هي المعطية [لتلك][٣] القوة، وتلك القوة لا تتوقف على أخرى، وإلا لزم التسلسل الممتنع أو الدور الممتنع، وكلاهما ممتنع، فها هنا ثلاثة أمور:

أحدها: وجود قوة قابلة.

الثاني: أن تلك القوة ليست هي المعطية لها.

الثالث: أن تلك القوة لا تتوقف على قوة أخرى.

فحينئذ لزم أن يكون فاطرها وبارئها قد فطرها على تلك القوة، وأعدها بها لقبول ما خلقت له، وقد علم بالضرورة أن نسبة ذلك فيها إليها وضده ليس على السواء.

الوجه الحادي عشر: أنا لو فرضنا توقف هذه المعرفة والمحبة على سبب من خارج. أليس عند حصول ذلك السبب يوجد في الفطرة ترجيح ذلك ومحبته على ضده؟ فهذا الترجيح والمحبة (والإيثار أمر كوني في الفطرة)[٤].

الوجه الثاني عشر: أنا لو فرضنا أنه لم يحصل المفسد الخارج، ولا المصلح

---

(١) في م، ط (المقبول).

(٢) ما بينهما زيادة من م، ط.

(٣) في الأصل (لذلك) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٤) في (ط) (والأمر مركوز في الفطرة).

الخارج، لكانت الفطرة مقتضية لإرادة المصلح وإيثاره على ما سواه، وإذا كان المقتضي موجوداً والمانع مفقوداً، وجب حصول الأثر، فإنه لا يتخلف إلا لعدم مقتضيه، أو لوجود مانعه، فإذا كان المانع زائلاً حصل الأثر بالمقتضي السالم عن المعارض المقاوم.

الوجه الثالث عشر: أن السبب الذي في الفطرة لمعرفة الله ومحبته والإخلاص له إما أن يكون مستلزماً لذلك، وإما أن يكون مقتضياً بدون استلزام، أو يستحيل أن لا يكون له أثر البتة. وعلى التقديرين يترتب أثره عليه، إما وحده على التقدير الأول، وإما بانضمام أمر (خارج)[1] إليه على التقدير الثاني.

الوجه الرابع عشر: أن النفس الناطقة لا تخلو عن الشعور والإرادة، بل هذا (الخلو)[2] ممتنع فيها، فإن الشعور والإرادة من لوازم حقيقتها، فلا يتصور (أن تكون إلا شاعرة)[3] مريدة، ولا يجوز أن يقال: إنها قد تخلو في حق خالقها وفاطرها عن الشعور بوجوده وعن محبته وإرادته، فلا يكون إقرارها به ومحبته من لوازم ذاتها، هذا باطل قطعاً، فإن النفس لها مطلوب مراد بضرورة فطرتها، وكونها مريدة هو من لوازم ذاتها، فإنها حية، وكل حي شاعر متحرك بالإرادة.

وإذا كان ذلك، فلا بد لكل مريد (من)[4] مراد، والمراد إما أن يكون مراداً لنفسه أو لغيره، والمراد لغيره لا بد أن ينتهي إلى مراد لنفسه قطعاً للتسلسل

---

(١) في م، ط (آخر).

(٢) في (ط) (الخلف).

(٣) في (ط) (إلا أن تكون شاعرة).

(٤) زيادة من م، ط، ومن الدرء.

في العلل الغائية، فإنه محال كالتسلسل في العلل الفاعلة.

وإذا كان لا بد للإنسان من مراد لنفسه، فهو الله الذي لا إله إلا هو، الذي تأله النفوس، وتحبه القلوب، وتعرفه الفطر، وتقربه العقول، وتشهد بأنه ربها ومليكها وفاطرها، فلا بد لكل أحد من إله يألهه، وصمد يصمد إليه، والعباد مفطورون على محبة الإله الحق، ومعلوم بالضرورة أنهم ليسوا مفطورين على تأله غيره. فإذاً إنما فطروا على تألهه وعبادته وحده، فلو خلوا وفطرهم لما عبدوا غيره، ولا تألهوا سواه.

يوضحه الوجه الخامس عشر: أنه يستحيل أنه تكون الفطر خالية عن التأله والمحبة، ويستحيل أن يكون فيها تأله غير الله، لوجوه:

منها: أن ذلك خلاف الواقع.

ومنها: أن ذلك المخلوق ليس أولى أن يكون إلهاً لكل الخلق من المخلوق الآخر.

ومنها: أن المشركين لم يتفقوا على إله واحد، بل كل طائفة تعبد ما تستحسنه.

ومنها: أن ذلك المخلوق إن كان ميتاً، فالحي أكمل منه، فيمتنع أن يكون الناس مفطورين على عبادة الميت، وإن كان حياً [فهو](1) أيضاً مريد، فله إله يألهه، وحينئذ فلزم الدور الممتنع، أو التسلسل الممتنع، فلا بد للخلق كلهم من إله (يألهونه)(2)، ولا يأله هو غيره، وهذا برهان قطعي ضروري.

فإن قلت: هذا يستلزم أنه لا بد لكل حي مخلوق من إله، ولكن لم يجوز أن يكون مطلوب النفس هو مطلق التأله والمألوه لا إلهاً معيناً، كما تقوله

---

(١) زيادة من م، ط.

(٢) في (ط) (يألهوه).

طوائف الاتحادية(١)؟

قلت: هذا يتبين بالوجه السادس عشر: وهو أن المراد إما أن يراد لنوعه أو لعينه، فالأول كإرادة العطشان والجائع والعاري لنوع الشراب والطعام واللباس، فإنه إنما يريد النوع، وحيث أراد (العين)(٢) فهو القدر المشترك بين أفراده](٣)، وذلك القدر المشترك كلي لا وجود له في الخارج، فيستحيل أن يراد لذاته، إذ المراد لذاته لا يكون إلا معيناً، ويستحيل أن يوجد في اثنين؛ فإن إرادة كل واحد منهما لذاته تنافي إرادته لذاته؛ إذ المعنى بإرادته لذاته أنه وحده هو المراد لذاته الخاصة، وهذا يمنع أن يراد معه ثان لذاته.

وإذا عرف ذلك، فلو كان القدر المشترك بين أفراد النوع أو بين الاثنين هو المراد لذاته، لزم أن يكون ما يختص به [أحدها](٤) ليس مراداً لذاته، وكذلك ما يختص به الآخر، والموجود في الخارج إنما هو الذات المختصة [لا الكلي](٥) المشترك (فلو)(٦) تعلق (التأله)(٧) بالقدر المشترك، لم يكن للخلق في الخارج إله، ولكان إلههم أمراً ذهنياً وجوده في الأذهان لا في الأعيان. وهذا هو الذي تأله طوائف أهل الوحدة والجهمية الذين أنكروا أن يكون الله تعالى خارج [العالم](٨) ولا بداخله. فإن هذا إنما هو إله مفروض يفرضه

---

(١) سبق تعريفهم ص.

(٢) في (ط) (المعين).

(٣) انظر: درء التعارض ٨/ (٤٥٥-٤٦٦).

(٤) في الأصل (أحدهما) ولعل الصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٥) في الأصل (كالكلي) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

(٦) ساقطة من م، ط.

(٧) في (ط) (الثالثة).

(٨) في الأصل (العلم) والصواب ما أثبته من باقي النسخ.

الذهن كما يفرض سائر الممتنعات (في)[1] (الخارج)[2] ويظنه واجب الوجود، وليس هو ممكن الوجود فضلاً عن وجوبه[3].

وبهذا يتبين أن الجهمية وإخوانهم من القائلين بوحدة الوجود ليس لهم إله معين في الخارج يألهونه ويعبدونه، بل هؤلاء ألهوا الوجود المطلق الكلي، وأولئك ألهوا المعدوم الممتنع وجوده.

(والرسل)[4] (وأتباعهم)[5] إلههم الله الذي لا إله إلا هو، الذي ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه/ ٤-٨].

هو الذي فطرت القلوب على محبته، والإقرار به، وإجلاله، وتعظيمه، وإثبات صفات الكمال له، وتنزيهه عن صفات النقائص والعيوب، وعلى أنه فوق سماواته، بائن من خلقه، تصعد إليه أعمالهم على تعاقب الأوقات، وترفع إليه أيديهم عند الرغبات، يخافونه من فوقهم/ ويرجون رحمته تنزل إليهم من عنده، فهِمَمُهُم صاعدة إلى عرشه، تطلب فوقه إلهاً علياً عظيماً قد استوى على عرشه واستولى على خلقه ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى

---

(١) ساقطة من م، ط.

(٢) في (ط) (الخارجة).

(٣) انظر: الصفدية ١/ (٢٦٣-٢٦٨)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢/ (٢٨٦-٣١٩).

(٤) ساقطة من م، ط.

(٥) في (ط) (أتباع الأنبياء).

ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝﴾ [السجدة/ ٥-٦].

والمقصود أنه إذا لم يكن في (المعينات)[١] الخارجة عن الأذهان ما هو مراد لذاته، لم يكن فيها ما يستحق أن يألهه أحد، فضلاً عن أن يكون فيها ما يجب أن يألهه كل أحد، فتبين أنه لا بد من إله معين هو المحبوب المراد لذاته، ومن الممتنع أن يكون هذا غير فاطر السماوات [والأرض][٢] وتبين أنه لو كان في السماوات والأرض إله غيره لفسدتا، وأن كل مولود يولد على محبته ومعرفته وإجلاله وتعظيمه، وهذا دليل مستقل كاف فيما نحن فيه، وبالله التوفيق.

تـم بحمد الله .

* * *

(١) في (ط) (الحسيات).

(٢) زيادة من م، ط.

الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الآثار والأقوال
- فهرس الأعلام
- فهرس الفرق
- فهرس القبائل
- فهرس الكتب الواردة في النص
- فهرس الألفاظ الغريبة
- فهرس أبيات الشعر
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا ... حكيم	٣٨	المائدة	١٠١٥، ١٠٤٩، ١٠٦٤
ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين ... عذاب عظيم	٤١	المائدة	٤٣٥، ٦٤٧، ٦٧١
سماعون للكذب	٤٢	المائدة	٦٦٦
وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس	٤٥	المائدة	١٣٧٦
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً	٤٨	المائدة	٥٨٢
ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون	٥٠	المائدة	١٠٦٦، ١١٥٣
في قلوبهم مرض	٥٢	المائدة	٩٥٣
يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه.... واسع عليم	٥٤	المائدة	٧٩٢، ١١٠٦
ويقيمون الصلاة .. ويؤتون الزكاة	٥٥	المائدة	٧٩٢
لبئس ما كانوا يعملون	٦٢	المائدة	٨٠٤
لبئس ما كانوا يصنعون	٦٣	المائدة	٨٧٥
وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة	٦٤	المائدة	٨٧٤
يتوبون	٧٤	المائدة	٧٩٢
لبئس ما كانوا يفعلون	٧٩	المائدة	٨٠٤
ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين	٨٧	المائدة	٧٧٧
ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الإيمان	٨٩	المائدة	٧٥٠
وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرماً	٩٦	المائدة	١٣٨٣
جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس..... عليم	٩٧	المائدة	١٠٠١، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٧٥، ١٣٠٧، ١٣٨٠
اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم	٩٨	المائدة	١٢٩١
ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام .... وأكثرهم لا يعقلون	١٠٣	المائدة	٤٧٧، ٨١٦، ١٣٨٠
بما كنتم تعملون	١٠٥	المائدة	٨٠٤
والله لا يهدي القوم الفاسقين	١٠٨	المائدة	٣٣٥
قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب	١٠٩	المائدة	١٠٠٩
إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم	١١٨	المائدة	١٠٦٥
الحمد لله الذي خلق السموات والأرض....	١	الأنعام	١١٣٥، ١٢٣٩
وجعل الظلمات والنور	١	الأنعام	٨٠٣
تكسبون	٣	الأنعام	٧٩١

قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون	١٠١	يونس	٤٩٥
كتاب أحكمت آياته	١	هود	١٠٣٦
وهو الذي خلق السماوات والأرض	٧	هود	٣٥٧
فاعلموا أنما أنزل بعلم الله	١٤	هود	١٣٣٠
وأخبتوا إلى ربهم	٢٣	هود	٤٨٠
مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون	٢٤	هود	١٠٩٦
قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين	٣٣	هود	٤٠٠
ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم	٣٤	هود	٣٤٢، ٤٣٥
إن كان الله يريد أن يغويكم	٣٤	هود	١٣٢٤، ١٣٧٤
وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك	٣٦	هود	٣٣٦
احمل فيها من كلٍّ زوجين اثنين	٤٠	هود	٩٦٥
قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم ... الخاسرين	٤٧	هود	٧٤٣
إني توكلت على الله ربي وربكم ... مستقيم	٥٦	هود	٦٠٢، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٣٥١
وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب	٨٨	هود	٥٠٩
فمنهم شقي وسعيد	١٠٥	هود	٢٩٣
يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه.....ففي النار	١٠٥، ١٠٦	هود	١٢٧٠
يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا...... عطاء غير مجذوذ	١٠٥-١٠٦	هود	١٢٧٠
فأما الذين شقوا ففي النار	١٠٦	هود	١٢٧٢
فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق * خالدين فيها.... فعال لما يريد	١٠٦، ١٠٧	هود	١٢٦٠
فأما الذين شقوا ففي النار...غير مجذوذ	١٠٦-١٠٨	هود	١٢٦٤
خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك	١٠٧	هود	١٢٦٨، ١٢٧٠، ١٢٧٩
فعال لما يريد	١٠٧	هود	٤٣٤، ٨٠٤، ١٢٦٩، ١٢٩٩، ١٣٢٥، ١٣٧٤

ولا يشرك في حكمه أحداً	٢٦	الكهف	١٣٧٤
ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً	٢٨	الكهف	٥١٠، ٦٤٦، ٧٧٠، ٩٤٥
ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله	٣٩	الكهف	٤٢٣
وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً	٥٤	الكهف	٢٢٨
وما منع الناس أن يؤمنوا	٥٥	الكهف	٧٧٠
إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ... وقراً	٥٧	الكهف	٥٨٤
وعلمناه من لدنا علماً	٦٥	الكهف	٨١٥
ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً	٦٩	الكهف	٤٠٢
أقتلت نفساً زكية بغير نفس	٧٤	الكهف	١٤٣٤
أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها	٧٩	الكهف	٨٧٥، ٩٣٧، ١٣٢٧
وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين	٨٠	الكهف	١٤٤٣
وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة ... كنزهما	٨٢	الكهف	٩٣٧
فأراد ربك أن يبلغا أشدهما	٨٢	الكهف	٤٣٤، ٤٩٢، ١٣٢٧
و آتيناه من كل شيء سبباً	٨٤	الكهف	١٠١٧
فأتبع سبباً	٨٥	الكهف	١٠١٩
وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً....وكانوا لا يستطيعون سمعاً	١٠٠، ١٠١	الكهف	٦٢٦
الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري	١٠١	الكهف	٦٢٨
واجعله ربّ رضياً	٦	مريم	٤٧٦
وكان أمراً مقضياً	٢١	مريم	١٣٧٧
ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً	٨٣	مريم	٥٠١، ٥٠٥، ١٣٨٢
خلق الأرض والسموات العلى... لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى	٤ - ٨	طه	١٤٧٥
ولقد مننا عليك مرة أخرى	٣٧	طه	٤٨٤
لعله يتذكر أو يخشى	٤٤	طه	١٠٤٨
قال فمن ربكما يا موسى	٤٩	طه	٥٦٩

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى	٥٠	طه	٥٢١، ٥٦٩، ٥٧١، ٥٧٣، ١٤١٥
قال فما بال القرون الأولى	٥١	طه	٥٧٢
علمها عند ربي	٥٢	طه	٥٧٣
ومن يعمل من الصالحات	١١٢	طه	٩٠٢
فلا يخاف ظلماً ولا هضماً	١١٢	طه	١٣٥٠
وعصى آدم ربه فغوى	١٢١	طه	٢٠٦
أم اتخذوا آلهةً من الأرض هم ينشرون ... لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون	٢١-٢٣	الأنبياء	١٣١٣
لا يسئل عما يفعل وهم يسألون	٢٣	الأنبياء	١٦٢، ٧٦٥، ١١٢٠، ١٣١٢، ١٣١٣
وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ... الظالمين	٢٦-٢٩	الأنبياء	٣٠٦
كلّ في فلكٍ يسبحون	٣٣	الأنبياء	١٧٩، ٩٨١
ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون	٣٥	الأنبياء	٣٥٨
ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياءً وذكراً للمتقين	٤٨	الأنبياء	٣٤٣
وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون	٥٠	الأنبياء	٣٤٣
ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل	٥١	الأنبياء	٣٤٣
الذي فطرهن	٥٦	الأنبياء	١٣٥
وجعلناهم أئمة يدعون بأمرنا ...	٧٣	الأنبياء	٤٧٢، ٨١٥
ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً ونجيناه من ... الخبائث	٧٤	الأنبياء	٨٦٩
فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ	٧٩	الأنبياء	٨٠٤، ٨١٥
ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره	٨١	الأنبياء	٣٤٥، ١٠٧٥
أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين	٨٧	الأنبياء	٧٤٤
إنكم وما تعبدون من دون الله	٩٨	الأنبياء	٣٠١، ٣٠٣
وزكريا إذ نادى ربه ربِّ لا تذرني فرداً ... وكانوا لنا خاشعين	٨٩، ٩٠	الأنبياء	١٠٤٩
وحرامٌ على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون	٩٥	الأنبياء	١٣٨٣

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
الم ● أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا.... إن الله لغني عن العالمين	١ - ٦	العنكبوت	١٢١٦
من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم	٥	العنكبوت	١٢٢٠
ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين	٦	العنكبوت	١٢٢٠
بما كنتم تعملون	٨	العنكبوت	٨٠٤
قل سيروا في الأرض	٢٠	العنكبوت	٨١١
يعذب من يشاء ويرحم من يشاء	٢١	العنكبوت	١١٢٠، ١٣١٢
وعاداً وثمود ... وزين لهم الشيطان أعمالهم ... مستبصرين	٣٨	العنكبوت	٣٧٠، ٨٦٣، ٩٥٠
فكلاً أخذنا بذنبه	٤٠	العنكبوت	٩٦٥
إن الصلاة تنهى عن الفحشاء	٤٥	العنكبوت	٩٣٩
أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون	٥١	العنكبوت	١١٥
وقالوا لولا أنزل عليه ... لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون	٥٠، ٥١	العنكبوت	٣٨٦
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا	٦٩	العنكبوت	٩٠٧
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون... تظهرون	١٧، ١٨	الروم	١١٣٥
يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي	١٩	الروم	١١٧٣
ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآياتٍ للعالمين	٢٢	الروم	١١٦٩
يريكم البرق خوفاً وطمعاً	٢٤	الروم	١٠٤٢
بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم ... ناصرين	٢٩	الروم	٥٨٠
فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله	٣٠	الروم	٣٩٦، ١٣٨٧، ١٣٩٨، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٣٤، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٥
فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله.... ولا تكونوا من المشركين	٣٠، ٣١	الروم	١٣٨٧
قل سيروا في الأرض	٤٢	الروم	٨١١
فيبسطه في السماء كيف يشاء	٤٨	الروم	٤٠٥

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً	٧٠	الأحزاب	٥٩٢، ٦٠٠، ٩٠٩
يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم	٧١	الأحزاب	٦٠٠، ٩٠٩
ظلوماً جهولاً	٧٢	الأحزاب	١١٤٥
ليعذب الله المنافقين ... والمؤمنات	٧٣	الأحزاب	٧٢٣
الحمد لله الذي له ما في السموات ... الخبير	١	سبأ	١١٣٥
يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد	١٠	سبأ	٥٦٤
وقليل من عبادي الشكور	١٣	سبأ	١٣٠١
فلما قضينا عليه الموت	١٤	سبأ	١٣٧٤
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر	٣٦	سبأ	٢٧٩
ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة...... أكثرهم بهم مؤمنون	٤٠، ٤١	سبأ	٣٠٦
وحيل بينهم وبين ما يشتهون .... مريب	٥٤	سبأ	٩٥٣
ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها..... الحكيم	٢	فاطر	١٣٤١
يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم ... تؤفكون	٣	فاطر	٦٤٤، ٨٦٨
أفمن زين له سوء عمله فرءاه حسناً ... حسرات	٨	فاطر	٥٨٠، ٦٧٠، ٩٤٦
فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء	٨	فاطر	١٣١٢
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل...	١٣	فاطر	١١٧٣
وما يستوي الأعمى والبصير... ولا الأموات	١٩-٢٢	فاطر	١٠٩٦
وما أنت بمسمع من في القبور	٢٢	فاطر	٦٧٣
إنما يخشى الله من عباده العلماء	٢٨	فاطر	٣١٩، ٩٤٨، ٩٤٩
لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها	٣٦	فاطر	١٢٦٥
لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون * ....فهم لا يبصرون	٧- ٩	يس	٦٣٣
لقد حق القول .... أم لم تنذرهم لا يؤمنون	٧- ١٠	يس	٥٩٧
إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً .... ومن خلفهم سداً	٨، ٩	يس	١٣٨٠
وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً	٩	يس	٦٣٧

ما منعك أن تسجد	٧٥	ص	٧٧٠
إن هذا لرزقنا ما له من نفاد	٥٤	ص	١٢٦٥
تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم	١	الزمر	١٠٦٤
إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار	٣	الزمر	٣٣٥
إن تكفروا فإن الله غني عنكم	٧	الزمر	٧٧٧
ولا يرضى لعباده الكفر	٧	الزمر	٤٤٢، ١٣٦٦، ١٣٦٧
بما كنتم تعملون	٧	الزمر	٨٠٤
أمّن هو قانت ءاناء الليل ساجداً وقائماً ... يعلمون	٩	الزمر	٩٤٩، ١٠٩٦
قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون	٩	الزمر	١٤٦١
تكسبون	٢٤	الزمر	٧٩١
أليس الله بكاف عبده ... ذي انتقام	٣٦، ٣٧	الزمر	٥٨١
قل أفرءيتم ما تدعون .... المتوكلون	٣٨	الزمر	٤٣٦، ١٣٤٠
الله يتوفى الأنفس حين موتها	٤٢	الزمر	٩٦٤
فإذا مس الإنسان ضر دعانا	٤٩	الزمر	١١٥، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٧١
قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى.... وما هم بمعجزين	٥٠، ٥١	الزمر	١١٥، ٣٦٥، ٣٦٦
أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق	٥٢	الزمر	٢٧٩
أن تقول نفس يا حسرتي	٥٦	الزمر	١٠٤٣
أن تقول نفس يا حسرتي .... من المتقين	٥٦، ٥٧	الزمر	٥٧٧
أو تقول لو أن الله هداني	٥٧	الزمر	٩٣٦
الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل	٦٢	الزمر	٤٦٥، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩
ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك ....بل الله فاعبد وكن من الشاكرين	٦٥، ٦٦	الزمر	٩٣١
وقضي بينهم بالحق	٦٩	الزمر	١٣٧٤
ووفيت كل نفس ما عملت	٧٠	الزمر	٨٦٩
طبتم فادخلوها خالدين	٧٣	الزمر	١٢٤٧

الله يجتبي إليه من يشاء	١٣	الشورى	٤٠٦
فلذلك فادع واستقم كما أمرت ... لأعدل بينكم	١٥	الشورى	٤٦١
أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله	٢١	الشورى	١٣٧٩
فإن يشإ الله يختم على قلبك	٢٤	الشورى	٤٠٠
تفعلون	٢٥	الشورى	٧٩١
ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ... بصير	٢٧	الشورى	٤٠٣، ١٠٥١
وما أصابكم من مصيبة ...... أيديكم ويعفو عن كثير	٣٠	الشورى	٩٠٣، ٩٣٠، ١٢٥١
فبما كسبت أيديكم	٣٠	الشورى	٧٥١، ١٠١٣
إن يشأ يسكن الريح	٣٣	الشورى	٤٠٥
وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور	٤٨	الشورى	٩٠١
لله ملك السماوات والأرض..... ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير	٤٩، ٥٠	الشورى	٢٧٩، ٤٠٧
وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا .. صراط مستقيم	٥٢	الشورى	٤٠٤، ٤٦٤، ٥٧٥، ٥٨٨، ٦٧٤، ١٣٥٨
حم * والكتاب المبين.... وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم	١-٤	الزخرف	٣٨٧
إنا جعلناه قرآناً عربياً	٣	الزخرف	٨٠٣
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً	١٩	الزخرف	٨٠٣
وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ... يخرصون	٢٠	الزخرف	٢١٤، ٢٢٧، ٧٧٣
إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون	٢٣	الزخرف	١٩٢
وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم	٣١	الزخرف	٣٣٩، ١١٠٦
أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ	٣٢	الزخرف	١١٠٦
ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة	٣٣	الزخرف	١٠٥١
ومن يَعشُ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين	٣٦	الزخرف	٥٠٥
فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين	٥٥	الزخرف	٤٤٤، ١٠١٤

فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات	١٩	محمد	١٣٤٦
واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات	١٩	محمد	٧٤٣
في قلوبهم مرض	٢٠، ٢٩	محمد	٣٥٣
أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم	٢٣	محمد	٦٣٨
أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها	٢٤	محمد	٥٩٧، ٦١٥، ٦٢٥، ٦٣٧
ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله ...	٢٨	محمد	١٣٦٨
إنا فتحنا لك فتحاً مبينا	١	الفتح	٣٥٠
إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً .... ويهديك صراطاً مستقيماً	١، ٢	الفتح	٧٤٣
سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً	٢٣	الفتح	١٠٦١
وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ... عليهم	٢٤	الفتح	٤٨٣
فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ... عليماً	٢٦	الفتح	١٠٧٦
وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها	٢٦	الفتح	٤٩٢، ١٠٧٦، ١١٠٥
لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق.....فتحاً قريباً	٢٧	الفتح	٣٥٠، ٤٠٠
هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق	٢٨	الفتح	١٣٨٣
أشداء على الكفار رحماء بينهم	٢٩	الفتح	١٠٣٣
واعلموا أن فيكم رسول الله..... الراشدون	٧	الحجرات	٤٨١، ٩٣٩، ٩٤٦، ١٣٠٩
ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم .... فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم	٧، ٨	الحجرات	٩٣٣، ١١٠٥، ١٣٠٩
ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون	١١	الحجرات	٧٢٣
يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم ... صادقين	١٧	الحجرات	٤٨٤
أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها	٦	ق	١٠٤٢
تبصرة وذكرى لكل عبد منيب	٨	ق	١٠٤٢
ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد	٩	ق	١٠١٤
وما أنا بظلام للعبيد	٢٩	ق	١٣٥٠

ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت	٣	الملك	٥١٩، ٩٩٢، ١٠٠٢، ١٠٦٧
وجعلناها رجوماً للشياطين	٥	الملك	١٢٣٦
ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها...	٥	الملك	١٢٩٣
كلما ألقي فيها فوج .....إلا في ضلال كبير	٨، ٩	الملك	٥٧٨
وأسروا قولكم أو اجهروا به ... اللطيف الخبير	١٣، ١٤	الملك	٤٧٤
أفنجعل المسلمين كالمجرمين * ما لكم كيف تحكمون	٣٥، ٣٦	القلم	١٠٦٠
فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية	١٠	الحاقة	١٠١٤
إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية	١١	الحاقة	٩٦٥
كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية	٢٤	الحاقة	١٠١٣
فلا أقسم بما تبصرون	٣٨	الحاقة	١١٧١
فلا أقسم بما تبصرون * وما لا تبصرون	٣٨، ٣٩	الحاقة	٣٥٩
إن الإنسان خلق هلوعاً * إذا مسه الشر جزوعاً * وإذا مسه الخير منوعاً	١٩-٢١	المعارج	٤٩٣
أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم * كلا إنا خلقناهم مما يعلمون	٣٨، ٣٩	المعارج	٣٥٩
والله أنبتكم من الأرض نباتاً * ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً	١٧، ١٨	نوح	٤٩٠
رب لا تذر على الأرض ... ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً	٢٦، ٢٧	نوح	١٤٤٣
ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً	٢٧	نوح	١٢٨٨
وأنا لا ندري أشر أريد	١٠	الجن	٩٣٧
وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً	١٠	الجن	١٣٢٦
ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً	١٧	الجن	٣٩١
وأنه لما قام عبد الله يدعوه	١٩	الجن	١٢١٠
ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم... أبداً	٢٣	الجن	١٢٦٤
فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً * ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم	٢٧، ٢٨	الجن	١٠٢٧
إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً	١٥	المزمل	١٣٨٣

وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً * لنخرج به حباً ونباتاً * وجناتٍ ألفافاً	١٤-١٦	النبأ	١٠١٤، ١٠٥٤
لابثين فيها أحقاباً	٢٣	النبأ	١٢٧٧
لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً	٢٤	النبأ	١٢٧٧
جزاءً وفاقاً	٢٦	النبأ	١٠١٣
وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى	٤٠	النازعات	٩٣٩
فلينظر الإنسان إلى طعامه	٢٤	عبس	١٠٥٤
أنا صببنا الماء صباً	٢٥	عبس	١٠٤٢
متاعاً لكم ولأنعامكم	٣٢	عبس	١٠٤٢
لمن شاء منكم أن يستقيم	٢٨	التكوير	٢٢٣، ٨٧٥
وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين	٢٩	التكوير	٢٢٣
يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم	٦	الانفطار	٩٢٩
في أي صورة ما شاء ركبك	٨	الانفطار	٤٠٧
تفعلون	١٢	الانفطار	٧٩١
يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله	١٩	الانفطار	١٢١٢
كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون	١٤	المطففين	٥٩٩، ٦٠٠، ٦٣٠، ٦٣٢، ٦٦٢
كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * ثم إنهم لصالوا الجحيم	١٥، ١٦	المطففين	٦٠١
لهم أجر غير ممنون	٢٥	الانشقاق	٤٨٤، ٤٨٧، ١٢٦٥
إن بطش ربك لشديد * إنه هو يبدئ ويعيد * وهو الغفور الودود	١٢- ١٤	البروج	١٢٥٧
فعال لما يريد	١٦	البروج	٣٤١، ٤٣٤، ٨٠٤، ١٣٢٥
بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ	٢١، ٢٢	البروج	٣٨٧
فلينظر الإنسان مما خلق... إنه على رجعه لقادر	٥-٨	الطارق	١٤٣٢
سبح اسم ربك الأعلى ... والذي قدر فهدى	١-٣	الأعلى	٥١٨
الذي خلق فسوى * والذي قدر فهدى	٢، ٣	الأعلى	١٤١٦
قدر فهدى	٣	الأعلى	٥٧٠

* * *

فهرس الأحاديث

❋ ❋ ❋

فهرس الآثار والأقوال

الأثر	القائل	الصفحة
آثارهم : ما أثروا من خير وشر.. في تفسير قولـه تعالى : (ونكتب ما قدموا وآثارهم).	ابن عباس	٣٧٨
أتيت أبي بن كعب	ابن الديلمي	٧١٣
اجمع أصحاب رسول الله ﷺ على أن كل من عصى الله به فهو جهاله.	قتادة	٩٤٧
اجمع أهل العلم أنها الأرواح قبل الأجساد..	إسحاق بن راهوية	١٤٣٤
أحاديث حماد بن سلمة هي الشجا في حلوق المبتدعة	أحمد بن حنبل	١٢٧٥
أحسن ما خلقه. في تفسير قولـه تعالى : (خلق فسوى).	عطاء	٥١٨
أخبرنا الله بالذي يشاء لأهل الجنة...	عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم	١٢٦٢-١٢٩٩
أخذلهم وأدعهم في ضلالتهم يتمادون. في تفسير قولـه تعالى : (ونذرهم في طغيانهم يعمهون).	ابن عباس	٦٥٥
أخذهم كما يؤخذ بالمشط	عبدالله بن عمرو	١٩٠
أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون كل شيء بقدر..	طاوس	٧٠٠
إذا أحدث الله لك نعمة لها فأحدث لها شكراً ...	بعض السلف	٧٩٣
إذ لم يكن معه أبواه فهو مسلم ... (عن الصغير)	إسحاق بن منصور	١٤٢٣
أركسهم: ردهم إلى الكفر. في تفسير قولـه تعالى (والله أركسهم)	الفراء	٦٦١
أركسهم: نكسهم وردهم. في تفسير قولـه تعالى: (والله أركسهم)	الزجاج	٦٦٢
إذا استأثر الله بشيء فاله عنه.	--	٧٩٧
إذا مكثت النطفة في رحم المرأة أربعين	عبد الله بن عمرو	٢٤١
إذا نسيت أن تقول إن شاء الله، في تفسير قولـه تعالى: (واذكر ربك إذا نسيت).	الحسن البصري	٤٣٤
إذا نمت من أول الليل نومة ثم قمت ..	ابن الأعرابي	٨٠٢
إذا وقعت النطفة في الرحم ...	عبد الله بن عباس	٢٤٦
أراد الطول والقوة والعظم. في تفسير قولـه تعالى: (إن فيها قوماً جبارين).	الأخفش	٧٥٤
الإرسال يستعمل بمعنى التخلية بين المرسل.. في تفسير قولـه تعالى: (ألم تـر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين)	أبو علي الفارسي	٥٠٥

الأثر	القائل	الصفحة
الأزيز : الالتهاب والحركة ...	أبو عبيد	٥٠٤
اشتقاقه من الخبث وهو المنخفض من الأرض.. في تفسير قوله تعالى : (وبشر المخبتين).	الزجاج	٦٨٠
أصل المرض في اللغة : الفساد ...	ابن الأنباري	٦٤٩
أصل المرض النقصان ...	ابن الأعرابي	٦٥١
أصناف مصنفة تعرف بأسمائها في تفسير قوله تعالى: (أمم أمثالكم	مجاهد	٥٦٥
أضاع أكبر الضيعة. في تفسير قوله تعالى (وكان أمره فرطاً)	قتادة	٦٤٧
أعطى الذكر الأنثى مثل خلقه .. في تفسير قوه تعالى : (الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى).	السدي	٥٧٠
أعطى الذكر من الناس امرأة مثله ... في تفسير قوله تعالى:(الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى).	الفراء	٥٧٠
أعطى الرجل المرأة والبعير ... في تفسير قوله : (الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى).	الكلبي، السدي	٥٧٠
أعطى كل شيء صلاحه، في تفسير قوله تعالى : (الذي أعطى شيء خلقه ثم هدى).	الحسن، قتادة	٥٦٩
أعطى كل شيء صورته. في تفسير قوله تعالى: (الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى).	عطية، مقاتل	٥٦٩
أعطى اليد البطش، والرجل المشي .. في تفسير قوله تعالى : (الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى).	الضحاك	٥٧١
أعقل الطير الحمام	الشافعي	٥٣٩
أعلم ما لا تعلمون من شأن إبليس. في تفسير قوله تعالى : (إني أعلم ما لا تعلمون).	ابن مسعود	٣٢٦
أغمي علي؟ قالوا : نعم.	عبد الرحمن بن عوف	٣٠٧
اكلت حية بيض مكاء	ابن الأعرابي	٥٤٩

الأثر	القائل	الصفحة
إن لكل شيء سادة، حتى للنمل سادة.	أبو موسى الأشعري	٥٣٣
إن لله سبحانه من العلوم ما لا يحصى	ابن أبي الدنيا	٦٥٩
إن الليل كله ناشئة	عكرمة، أبو مجلز، مجاهد، السدي، ابن الزبير، ابن عباس في رواية	٨٠١
إن مما خلق الله لوحاً محفوظاً من درة بيضاء ...	ابن عباس	٢٧٥
إن ناشئة الليل أوله	-	٧٩٩
(إن ينصركم الله فلا غالب لكم ...).	محمد بن إسحاق	٦٥٧
إنك لترى الرجل يمشي في الأسواق	ابن عباس	٢٦٩
إنما سمي الجبار لأنه جبر الخلق على ما أراد ...	محمد بن كعب	٧٨٥، ٧٥٧
إنما يكون القيام ناشئة إذا تقدمه نوم	عائشة	٨٠٢
إنما يقال للشيء اللازم: هذا في عنق فلان ... في تفسير قوله تعالى : (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ...).	الزجاج	٤٩٨،٦٣٤
أنه أهل للهداية والنبوة. في تفسير قوله تعالى: (وكنا عالمين).	البغوي	٣٤٤
أنه علم منه أحوالاً بديعة.. في تفسير قوله تعالى: (وكنا به عالمين).	الزمخشري	٣٤٤
أنه لما وقع الطاعون الجارف أتى على أهل دار...	الجاحظ	٥٤٦
إني لأستغفر الله في اليوم والليلة اثني عشر ...	أبو هريرة	٧٣٠
أوتيته على شرف. في تفسير قوله تعالى: (إنما أوتيته على علم)	مجاهد	٣٦٤
إياك والحديث في الإسلام.	عبد الله بن مغفل	٧٩٣
إيتوني رجلاً من كنانة ... في تفسير قوله تعالى: (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً).	عمر بن الخطاب	٦٨٢
أي : ضياعاً. في تفسير قوله تعالى: (وكان أمره فرطاً)	مجاهد	٦٤٧
أي عالمين بأنه موضع لإيتاء الرشد.	ابن الجوزي	٣٤٤

الأثر	القائل	الصفحة
توقلهم إيقاداً. في تفسير قوله تعالى: (تؤزهم أزاً).	ابن عباس	٥٠٤
ثلاث هي المنجيات: (الإخلاص وهو الفطرة هي المنجيات: (الإخلاص وهو الفطرة (فطرة الله التي فطر الناس عليها...) وهي الملة، والطاعة وهي العصمة)	معاذ بن جبل	١٤٠٥
الجبار : الذي جبر الخلق على ما أراد. في تفسير قوله تعالى: (الجبار المتكبر).	الزجاج	٧٥٧
الجبار في صفة الرب سبحانه الذي لا ينال ... في تفسير قوله تعالى (الجبار المتكبر).	ابن الأنباري	٧٥٧
الجبار من الناس: العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد	الزجاج	٧٥٧-٧٥٥
جعل فيها فجورها وتقواها. في تفسير قوله تعالى : (فألهمها فجورها وتقواها).	ابن زيد	٤٧٣
جمعهم له يومئذ جمعاً . في تفسير قوله تعالى (وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ....)	أبي بن كعب	١٦٧
الجهالة : العمد	مجاهد، عطاء	٩٤٨
جهنم أسرع الدارين عمراناً وأسرعهما خراباً	الشعبي	١٢٨٠
حبسهم. في تفسير قوله تعالى (كره الله انبعاثهم فثبطهم)	ابن عباس	٦٦٣
حبسناهم عن الإنفاق في سبيل الله. في تفسير قوله تعالى : (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً).	الفراء	٦٣٣
حتى العجز والكيس. في تفسير قوله تعالى: (إنا كل شيء خلقناه بقدر).	ابن عباس	٧٠١
الحق يرجع إلى الله وعليه طريقه .. في تفسير قوله تعالى: (وعلى الله قصد السبيل).	مجاهد	٦٠٥
الحسنة. الخصب، تنتج مواشيهم وأنعامهم.. في تفسير قوله تعالى: (وإن تصبهم حسنة ..).	السدي	٩٠٤
الحسنة ما فتح الله عليك يوم بدر ... في تفسير قوله تعالى :(ما أصابك من حسنة فمن الله).	ابن عباس	٩٢٨-٤٠٩
الحسنة: النعمة، والسيئة: البلية. في تفسير قوله تعالى : (وإن تصبهم حسنة ...).	ابن قتية	٩٠٥
(حنفاء) قال: حجاجاً	الضحاك والسدي	١٤٠٢
(حنفاء) ... قال متبعين	مجاهد	١٤٠٢
(الحنيف) قالوا: المخلص	عدد من العلماء	١٤٠٢

الأثر	القائل	الصفحة
سعادته وشقاؤه بعمله. في تفسير قوله تعالى : (وكل شيء ألزمناه طائره في عنقه).	قتادة	٤٩٦
سنة وسبيلاً. في تفسير قوله تعالى: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً)	ابن عباس	٥٨٣
شخصت. في قوله تعالى: (وإذ زاغت الأبصار ....).	قتادة، مقاتل	٦٥٦
صاروا فريقين .. في تفسير قوله تعالى : (يوم تبيض وجوه..)	أبو العالية	١٩٧
طائره : عمله وما قدر عليه .. في تفسير قوله تعالى: (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه).	ابن عباس، ابن جريج	٤٩٦
الطائر معناه عندهم العمل. في تفسير قوله تعالى: (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه).	الفراء	٤٩٧
طبع عليها. في تفسير قوله تعالى: (وجعلنا قلوبهم قاسية)	الحسن البصري	٦٧٧
عجزاً وجبنا. في تفسير قوله تعالى: (ما زادوكم إلا خبالاً).	ابن عباس	٦٦٤
عقوبة يا ابن آدم بذنبك. في تفسير قوله تعالى: (وما أصابك من سيئة فمن نفسك).	قتادة	٩٢٩
على خير علمه الله عندي في تفسير قوله تعالى: (إنما أوتيته على علم)	مقاتل	٣٦٤
على علم قد سبق عنده. في تفسير قوله تعالى: (وأضله الله على علم)	ابن عباس	٣٣١
على علم من الله أني له أهل. في تفسير قوله تعالى : (إنما أوتيته على علم).	البغوي	٣٦٤
على علمه السابق فيه أنه لا يهتدي. في تفسير قوله تعالى: (وأضله الله على علم)	ابن الجوزي	٣٣٣
على علمه فيه. في تفسير قوله تعالى: (وأضله الله على علم)	سعيد بن جبير، مقاتل	٣٣١
على علم منه بعاقبة أمره. في تفسير قوله تعالى: (وأضله الله على علم)	الثعلبي	٣٣٢
على قلوبنا غشاوة ... في تفسير قوله تعالى: (وقالوا قلوبنا غلف)	ابن عباس ، قتادة ، مجاهد	٦٢٨
علم ما يكون قبل أن يخلقه. في تفسير قوله تعالى: (أضله الله على علم).	ابن عباس	٣٣١
علم من إبليس أنه لا يسجد لآدم. في تفسير قوله : (إني أعلم ما لا تعلمون).	مجاهد	٣٢٧
علم من إبليس المعصية....	مجاهد	٣٢٥
عليها غطاء فلا نفقه ما تقول. في تفسير قوله تعالى: (قلوبنا في أكنة).	مقاتل	٦٢٦
عن الإمام أحمد: في المجوسيين يولد لهما ولد يقولان هذا مسلم ... إلخ	عبد الكريم بن الهيثم العاقولي	١٤٢٤

الأثر	القائل	الصفحة
عن سبي أهل الحرب قال: أنهم مسلمون إذا كانوا صغاراً	أحمد بن حنبل	١٤٢٢
غمرت القلوب أعمالهم الخبيثة، في تفسير قوله تعالى : (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون).	مقاتل	٦٣٢
فأصبح قد رين به..	عمر بن الخطاب	٦٣١
فأضله الله على علم علمه منه. (في تفسير قوله تعالى :وأضله الله على علم).	المهدوي	٣٣٣
فترق للقرآن قلوبهم. في تفسير قوله تعالى: (فتخبت له قلوبهم).	الكلبي	٦٧٩
الفرط الأمر الذي يفرط فيه .. في تفسير قوله تعالى : (وكان أمره فرطاً).	الليث	٦٤٨
فرطاً: متروكاً في تفسير قوله تعالى: (وكان أمره فرطاً).	الفراء	٦٤٨
فطرة الله دين الله الإسلام	عكرمة- مجاهد- الحسن- إبراهيم- الضحاك-	١٣٩٨
الفطرة في كلام العرب: البداءة ، والفاطر المبتدئ	-	١٤١٨
الفطرة: هي الفطرة الأولى التي فطر الناس عليها	الإمام أحمد	١٣٨٩
الفطرة: (هي الدين)	الإمام أحمد	١٣٨٩
فطرة الله قال: (الدين الإسلام)	مجاهد	١٤٠٥
فطرة الله التي فطر الناس عليها .. قال: الإسلام منذ خلقهم من آدم جميعاً يقرون بذلك	ابن يزيد	١٤٠٥
(فطرة الله التي فطر الناس عليها) قال: لا تبديل للخلقة التي جبل عليها ولد آدم .. إلخ	إسحاق بن راهويه	١٤٣٤
فلو ترك النبي ﷺ الناس ولم يبين لهم حكم الأطفال لم يعرفوا المؤمنين منهم من الكافرين...	إسحاق بن راهويه	١٤٣٥
فما كان أولئك الكفار ليؤمنوا عند إرسال الرسل ... في تفسير قوله تعالى : (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل ..).	ابن عباس	٣٣٧
فما كانوا لو أحييناهم بعد هلاكهم ليؤمنوا .. في تفسير قوله تعالى: (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل ...)	مجاهد	٣٣٧

الأثر	القائل	الصفحة
في آذانهم صم عن استماع القرآن.. في تفسير قوله تعالى : (والذين لا يؤمنون في ءاذانهم وقر...).	ابن عباس	٦٣٩
في أنها تبعث . في تفسير قوله تعالى : (أمم أمثالكم).	الزجاج	٥٦٥
في تفسير قوله : (فأتبع سبباً) قال: طريقاً	مجاهد	١٠١٩
في تفسير قوله تعالى: (أيحسب الإنسان أن يترك سدى...) قال: لا يؤمر ولا ينهى	الشافعي	١٣٠٦
في تفسير قوله تعالى: (إلا ما شاء ربك، وإلا ما شاء الله..) قال: أن الله جعل أمر هؤلاء في مبلغ عذابه إياهم إلى مشيته.	ابن عباس	١٢٧٦
في تفسير قوله تعالى: (إن ربك فعال لما يريد) قال: انتهى القرآن كله إلى هذه الآية	أبو سعيد الخدري	١٢٦٩-١٢٩٩
في تفسير قوله تعالى: (خالدين فيها ما دامت السماوات...) قال: أمر الله النار أن تأكلهم	ابن عباس	١٢٧٩
في تفسير قوله تعالى: (فأقم وجهك للدين حنيفاً) صبغة الله التي خلق الناس عليها	ابن جرير الطبري	١٤٠٤
في تفسير قوله تعالى: (قال النار مثواكم...) لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنة ولا ناراً	ابن عباس	١٢٧٦-١٢٩٩
في تفسير قوله تعالى: (لابثين فيها أحقاباً...) قال: سبعمائة حقب كل حقب سبعون سنة	السدي	١٢٧٧
في تفسير قوله تعالى: (لا تبديل لخلق الله) قالوا: لدين الله	عدد من العلماء	١٤٠٦
في تفسير قوله تعالى: (وتقطعت بهم الأسباب) قال: هي الأعمال التي كانوا يؤملون أن يصلوا بها إلى ثواب الله.	ابن يزيد	١٠٢١
في تفسير قوله تعالى: (.. وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها..) لما قال إلا هو آخذ بناصيتها كان في معنى لا تخرج عن قبضته ...	ابن الأنباري	١٠٦٨
في تفسير قوله تعالى: (النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله) قال: هذه تقضي على كل آية في القرآن	أبي سعيد الخدري	١٢٦٠
في تفسير قوله تعالى: (من أجل ذلك كتبنا..) قال: يجب عليه من القصاص بقتلها مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعاً	الحسن البصري	١٠٤٧
في تفسير قوله تعالى: (من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل) قال: من قتل نفساً	مجاهد	١٠٤٧

الأثر	القائل	الصفحة
واحدة يصلى النار بقتلها....		
في تفسير قوله تعالى: (وآتيناه من كل شيء سبباً) قال: علماً يوصله إلى حيث يريد	أبو إسحاق	١٠١٨
في تفسير قوله تعالى: (وآتيناه من كل شيء سبباً) قال: كل ما وصل شيئاً بشيء فهو سبب.	المبرد	١٠١٩
في تفسير قوله تعالى: (وتقطعت بهم الأسباب) قال: الأرحام	ابن عباس	١٠٢١
في تفسير قوله تعالى: (وضرب الله مثلاً رجلين..) قال: أخبر أنه وإن كانت قدرته تنالهم بما يشاء فهو لا يشاء إلا العدل...	أبو إسحاق	١٠٦٨
في تفسير قوله تعالى: (وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً) قال: إن الله يخوف الناس بما شاء من آياته..	قتادة	١٠٥٣
في تفسير قوله : (وآتيناه من كل شيء سبباً) قالوا: علماً يتسبب به إلى ما يريد...	قتادة – ابن زيد – ابن جريج – الضحاك	١٠١٨
في تفسير قوله : (وآتيناه من كل سبباً) قال: علماً...	ابن عباس	١٠١٨
في تفسير قوله تعالى: (وتقطعت بهم الأسباب) قال: أسباب المودة والواصلات التي كانت بينهم في الدنيا.	ابن عباس	١٠٢١
في قوله تعالى: (إلا ما شاء ربك ..) قال: الله أعلم بتبينه على ما وقعت	قتادة	١٢٩٩
في اللوح المحفوظ الذي عندنا. في تفسير قوله تعالى : (وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم).	ابن عباس	٣٨٧
قادرين على فعل ما نشاء. في تفسير قوله تعالى: (وكنا فاعلين)	الزجاج	٨٠٥
قاسية عن الإيمان. في تفسير قوله تعالى : (وجعلنا قلوبهم قاسية)	ابن عباس	٦٧٧
قال أبو عبد الله: الذمي إذا مات أبواه وهو صغير أجبر على الإسلام	يعقوب بن بختان	١٤٢٤
قال الميموني لأبي عبد الله : كل مولود يولد على الفطرة يدخل عليه إذا كان أبواه يعني أن يكون حكمه ما كانوا صغاراً...	الميموني	١٤٢٥
قال رجل للحسن – وأنا أسمع – : أرأيت ليلة القدر ...	ربيعة بت كلثوم	٢٦٩
قال: كان هذا القول من النبي ﷺ قبل أن يؤمر الناس بالجهاد. لما سئل عن تأويل حديث (الله أعلم بما كانوا عاملين)	محمد بن الحسن	١٤١٠
قدر خلق الذكر والأنثى من الدواب. في تفسير قوله تعالى: (والذي قدر فهدى).	ابن عباس، ومقاتل، الكلبي	٢٥٠

الأثر	القائل	الصفحة
كل شيء فعلوه مكتوب عليهم .. في تفسير قوله تعالى : (وكل شيء فعلوه في الزبر).	عطاء ومقاتل	٣٩٢
كل شيء في غلف فهو أغلف .. في تفسير قوله تعلى: (وقالوا قلوبنا غلف).	أبو عبيدة معمر بن المثنى	٦٢٧
كلما أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء ...	ابن مسعود	٦٣٣
كل من عصى الله فهو جاهل.	--	٧٧٦
كنا عند أبي عثمان النهدي فحمدنا الله عز وجل ...	أبو نعامة السعدي	١٩٨
لا أبالي أصبحت على ما أحب أو على ما أكره ...	عمر بن الخطاب	٣٤٩
لأنا بأول هذا الأمر أشد فرحاً مني بآخره	أبو عثمان النهدي	٢٩٦
لأوضعوا خلالكم بالنميمة .. في تفسير قوله تعالى: (ولأوضعوا خلالكم ...)	الحسن البصري	٦٦٤
(لا تبديل لخلق الله).. قالوا: هو الخصاء	عدد من العلماء	١٤٠٦-١٤٠٧
لا تكرهوا النقمات الواقعة	الحسن البصري	٣٥٠
لا نزيل عن الله صفة من صفاته ..	الإمام أحمد	٧٨١
لسنا بعلماء، إنما العالم من يخشى الله.	الشعبي	٩٤٩
لقد دخل أهلُ النار النارَ وإن حمده لفي قلوبهم ما وجدوا عليه سبيلاً...	الحسن البصري	١١٣٥
لقد دخل أهلُ النار النارَ وإن قلوبهم لتحمده...	الحسن البصري	١٢٤٠
لما أخرج الله آدم من الجنة .. في تفسير قوله تعالى: (وإذ أخذ ربك من بني آدم).	ابن عباس، وابن مسعود	١٩١
لما أخرج لله آدم من الجنة قبل أن يهبطه من السماء مسح صفحة ظهره اليمنى فأخرج منه ذرية .... إلخ.	السدي	١٤٣٧
لما غلت أيديهم إلى أعناقهم ... في تفسير قوله تعالى : (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون).	الأزهري	٦٣٦
لما قال: (هو آخذ بناصيتها) كان في معنى لا يخرج عنه قبضته	ابن الأنباري	٦٠٣
لما نزلت (إنكم وما تعبدون من دون...) قال المشركون	ابن عباس	٣٠١
لم أسمع فعالاً من أفعل إلا في حرفين وهما جبار من أجبر، ودراك من أدرك	الفراء	٧٥٤

الأثر	القائل	الصفحة
هي الأعمال التي كانوا يؤملون أن يصلوا بها إلى ثواب الله	ابن زيد	١٠٢١
هي آناء الليل وساعاته ..	ابن قتية	٨٠٠
هي تحريم الله سبحانه عليهم كثيراً .. في تفسير قوله تعالى: (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم).	ابن قتية	٦٣٥
(هي التي فطر الناس عليها شقي أو سعيد) حول معنى الفطرة	الإمام أحمد	٣٩١
هي الشدائد التي كانت في العبادة .. في تفسير قوله تعالى : (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم).	الحسن البصري	٦٣٥
والأصل في هذا أن الله سبحانه لما خلق آدم علم المطيع من ذرته في تفسير قوله تعالى: (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه).	الأزهري	٤٩٧
وأصله التغطية، وختم البذر في الأرض إذا غطاه.	الأزهري	٦٢٥
والله ما أحب أن يجعل أمري إلي......	بعض السلف	٢٩٧
والله ما اقتصر على تشبيههم بالأنعام .. في تفسير قوله تعالى: (إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً).	أبو جعفر الباقر	٥٥٤
(وإن تصبهم حسنة) هذا في السراء، (وإن تصبهم سيئة) هذا في الضراء	أبو العالية	٩٠٤
وأوحى إلى قلوبهم اقعدوا ما القاعدين في تفسير قوله تعالى: (كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين)	مقاتل	٦٦٣
وتأويله في اللغة : كفني عن الأشياء إلا نفس شكر نعمتك .. في تفسير قوله تعالى : (رب أوزعني أشكر نعمتك ...).	الزجاج	٤٨٠
وفيكم عيون ينقلبون إليهم ما يسمعون منكم .. في تفسير قوله تعالى: (وفيكم سماعون لهم).	مجاهد وابن زيد والكلبي	٦٦٦
وفيكم قوم أهل محبة لهم .. في تفسير قوله تعالى:(وفيكم سماعون لهم).	ابن إسحاق	٦٦٦
وفيكم من يسمع كلامهم ويطيعهم .. في تفسير قوله تعالى: (وفيكم سماعون لهم).	قتادة	٦٦٦
وكل إنسان ألزمناه ما قضي له أنه عامله .. في تفسير قوله تعالى (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ...).	محمد بن جرير الطبري	٤٩٦
والمختار أنهم أرسلوا عليهم.	الزجاج	٥٠٥

الأثر	القائل	الصفحة
ومعنى الإرسال ها هنا : التسليط في تفسير قوله تعال: (ألم تعلم أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين ...).	الزجاج	٥٠٢
ونقلب أفئدتهم وأبصارهم حتى يرجعوا .. في تفسير قوله تعالى: (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ...).	ابن عباس	٦٥٢
ونقلب أفئدتهم وأبصارهم لتركهم الإيمان .. في تفسير قوله تعالى: (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ...).	ابن جرير الطبري	٦٥٣
وهذا التفسير جائز لأنا نرى الذكر من الحيوان ... في تفسير قوله تعالى: (الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى).	الزجاج	٥٧٠
يا أبا سعيد أخبرني عن قول الله عز وجل : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ...).	عبد المؤمن بن عبيد الله	١٤٧
يا رب كيف أشكرك وشكري لك نعمة ...	داود عليه السلام	٣٦٨
يا رب هلا سويت بين عبادك؟ قال: إني أحببت أن أشكر	موسى عليه السلام	١١٠٧-١١٣٧
يجعل صدره شيقاً حرجاً. في تفسير قوله تعالى: (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً).	ابن عباس	٦٨٢
يريد الأمر الذي سبق له في أم الكتاب. في تفسير قوله تعالى: (وأضله الله على علم).	ابن عباس	٣٣١
يريد أضعفوا شجعانكم ... في تفسير قوله تعالى : (ولأوضعوا خلالكم).	ابن عباس	٦٦٤
يريد امنعها. في تفسير قوله تعالى : (واشدد على قلوبهم)	ابن عباس	٦٤١
يريد حين مسح ظهر آدم فاستخرج منهم ذريته إلى يوم القيامة أمثال الذر (وأشهدهم على أنفسهم...) حول معنى الفطرة...	ابن قتية	١٤٣٦
يريد خذلهم وكسلهم عن الخروج .. في تفسير قوله تعالى : (كره الله انبعاثهم فثبطهم).	ابن عباس	٦٦٣
يريد على قلوب هؤلاء فقال في تفسيرقوله تعالى: (أم على قلوب أقفالها).	ابن عباس	٦٣٧
يريد ما سبق عليهم في علمي .. في تفسير قوله تعالى: (وإنه في أم الكتب لدينا لعلي حكيم).	ابن عباس	٣٨٩

الأثر	القائل	الصفحة
يريد من عندي في تفسير قوله تعالى: (ليقولن هذا لي).	ابن عباس	٣٦٩
يصلى على كل مولود يتوفى وإن كان لاغية...	الزهري	١٣٩٦
يصنعون، ويصنع الله والله خير الصانعين في تفسير قوله تعالى: (فتبارك الله أحسن الخالقين)	مجاهد	٧٩٥
يعرفون أن النعم من الله ولكن يقولون ... في تفسير قوله تعالى : (يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها).	الفراء وابن قتيبة	٣٦١
يعرفوني يوحدوني ويسبحوني .. في تفسير قوله تعالى: (فتبارك الله أحسن الخالقين).	ابن عباس	٥٦٤
يعني أنا أحق بهذا. في تفسير تعالى : (ليقولن هذا لي).	مقاتل	٣٦٩
يعني به اللوح المحفوظ في تفسير قوله تعالى: (الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى).	الكلبي	٥٧٣
يعنى الطبع على القلب في تفسير قوله تعالى: (أم على قلوب أقفالها).	مقاتل	٦٣٨
يقال : ركست الشيء وأركسته.	أبو عبيد	٦٦١
يقدر الله في ليلة القدر أمر السنة.	مقاتل	٢٧٠
يقدر الله أمر السنة كلها في ليلة القدر	أبو عبد الرحمن السلمي	٢٧٠
يقول الله تعالى: هو أحسن خلقاً من الذين يخلقون التماثيل في تفسير قوله تعالى: (فتبارك الله أحسن الخالقين).	مقاتل	٧٩٥
يقول إن نسخته في أصل الكتاب .. في تفسير قوله تعالى : (وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم).	مقاتل	٣٨٧
يقول جل ذكره لنبيه: وما لنفس خلقتها .. في تفسير قوله تعالى : (وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله).	محمد بن جرير الطبري	٤٩٤
يقول: مرجعهم إليّ فأجازيهم .. في تفسير قوله تعالى: (إن ربي على صراط مستقيم).	الفراء	٦٠٤
يقول تعالى: يا محمد قل لهؤلاء المشركين السائلين الأيات .. في تفسير قوله تعالى: (قل انظروا ماذا في السماوات والأرض)	محمد بن جرير الطبري	٤٩٥

الأثر	القائل	الصفحة
يقولون: لولا فلان لكان كذا وكذا في تفسير قوله تعالى: (يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها).	عون بن عبد الله	٣٦١
يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون..	ابن عباس	٢٦٩
ينالهم ما كتب لهم من الأرزاق في تفسير قوله تعالى: (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب).	ابن زيد والقرظي	٣٩٠
ينشر للعبد يوم القيامة ثلاثة دواوين ...	أنس بن مالك	٧١٦
يؤاخذكم بعزمكم على ألا تبروا .. في تفسير قوله تعالى : (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم).	الزجاج	٧٥٠
يؤذن للحجاج في ليلة القدر فيكتبون.	سعيد بن جبير	٢٦٨

* * *

فهرس الأعلام

* * *

الفرق

* * *

فهرس القبائل

* * *

فهرس الكتب الواردة في النص

* * *

فهرس الألفاظ الغريبة

* * *

فهرس أبيات الشعر

مطلع البيت	القافية	اسم الشاعر	الصفحة
ألقاه في اليم	بالماءِ	الحلاج	١٢٦
فالضد يظهر	الأشياء	-	١١٣٨
ومطعم الصيد	يكتسبُ	ذو الرمة	٧٥١
طريق وجبار	تنعبُ	الأعشى	٧٥٤
وربما كان	سبب	-	١١٤٩
أرانا موضعين	وبالشرابِ	امرؤ القيس	٦٦٥
سارت مشرقة	ومغربِ	-	٨١٨
فقبحاً لعقل	كاذب	-	١٤٦١
لدوا للموت	تبابِ	أبو العتاهية	١٠٢٩
أصبحت منفعلاً	طاعاتُ	-	١٢٤، ٢١٣
وأصل ضلال	بعلة	-	١١٢١
ألم تر أن الأرض	اقشعرتِ	ابن قتة	٦٥٠
وما منهما	باحث	-	١٢٠٤
يا عاذلي	الأمر	-	٨٢٢
أسلم براووق	الجبر	عمرو بن أحمر	٧٥٦
لا يجبر الناس	جابره	المتنبي	١٢٠٠
يا من ألوذ به	أحاذره	المتنبي	١٢٠٠
ألقيت كاسبهم	عمرُ	الحطيئة	٧٥٢
وليلة مرضت	قمر	الهيثم بن الربيع	٦٥١

مطلع البيت	القافية	اسم الشاعر	الصفحة
فاركسوا في	والزورا	أمية بن أبي الصلت	٦٦٢
قد جبر الدين	العور	العجاج	٧٥٣
ولأنتَ تفري	يفري	زهير بن أبي سلمى	٤٦٦، ٧٩٤
دع المكارم	الكاسي	الحطيئة	١١٤٩
فيا عجباً	مجاشع	الفرزدق	٣٩٠
ينام بإحدى	هاجع	حميد بن ثور الهلالي	٥٥٩
تبأ لهن	وأوضعا	عمر بن أبي ربيعة	٦٦٦
وسامح نفوساً	موضع	-	١١٩٧
فقل للعيون	ومطلعِ	-	١١٩٧
....	عنيف	-	٦٨١
تولع بالعشق	يطق	-	٦١٣، ٨٢٢
رأى لجة	غرق	-	٦١٣، ٨٢٢
فقبحاً لهاتيك العقول	وبال	-	١٤٦١
لولا المشقة	قتالُ	المتنبي	١٢٣٥
استأثر الله	الرجلا	الأعشى	٧٩٧
عرب ترى	تنزيلا	الراعي النميري	١٤٠٣
أخليفة الرحمن	اصيلا	الراعي النميري	١٤٠٣
خذ ما تراه	زحلِ	المتنبي	٩٦٩
أمير المؤمنين على صراط	مستقيم	جرير	١٠٧٠
ومن هاب	سلم	زهير بن أبي سلمة	١٠٢٠

مطلع البيت	القافية	اسم الشاعر	الصفحة
فلو أني بليت	المدان	-	١٢٨
لهان عليَّ	ابتلاني	-	١٢٨
إن كنت أبصرتني	ثعبانا	الأسدي	٥٤٩
إذا هبط الحجاج	فشفاها	ليلى الأخيلية	٦٥٠
من أجلك	ترضى	-	١١٩٦
راحت لأربعك	-	-	٦٥١

* * *

فهرس المصادر والمراجع

- إبطال التأويلات لأخبار الصفات لأبي يعلي محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء ٠ت ٤٥٨هـ). تحقيق محمد النجدي، ط الأولى ١٤١٠هـ، نشر مكتبة الإمام الذهبي بالكويت.
- ابن قيم الجوزية، حياته، آثاره، موارده، للدكتور بكر بن عبدالله أبو زيد.
  - ١٤٠٠هـ مطابع دار الهلال، الرياض.
  - ١٤١٢هـ، نشر دار العاصمة بالرياض.
- ابن القيم من آثاره العلمية لأحمد ماهر البقري. نشر دار النهضة العربية، بيروت ١٤٠٤هـ.
- ابن قيم الجوزية، لمحمد مسلم الغنيمي. ط الأولى ١٣٩٧هـ، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.
- ابن قيم الجوزية وجهوده في الدرس اللغوي. للدكتور طاهر حمودة. نشر دار الجامعات المصرية، لابن قيم الجوزية.
- اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن قيم الجوزية. تحقيق د/ عواد عبدالله المعتق. ط الأولى ١٤٠٨هـ. طبع بمطابع الفرزدق بالرياض.
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان. لعلاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت٧٣٩). تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط الأولى سنة ١٤٠٨هـ. نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.
- أدب الكاتب لابن قتيبة، عبدالله بن مسلم ت (٢٧٩هـ) تحقيق محمد الدالي، ط الأولى ١٤٠٢هـ، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ). ط الثانية ١٣٧٩هـ، نشر المكتبة السلفية ومطبعتها بالقاهرة.
- الأذكار للنووي، محيي الدين، أبي زكريا يحيى بن شرف، (ت ٦٧٦ هـ). تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، نشر دار الملاح دمشق.
- الأربعين في أصول الدين. للغزالي، أبي حامد، محمد بن محمد (ت ٥٠٥ هـ). ط الأولى ١٤٠٩هـ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- أسباب النزول لأبي الحسن الواحدي، علي بن أحمد (ت ٤٦٨هـ). نشر علم الكتب، بيروت.
- الاستيعاب في أسماء الأصحاب. لابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله (ت ٤٦٣ هـ).
  - مصورة عن ط الأولى المطبوعة سنة ١٣٢٨هـ. نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.
  - طبعة مكتبة نهضة مصر بالقاهرة، تحقيق علي البجاوي.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ). نشر دار الفكر

بيروت سنة ١٤٠٩هـ.

- الإسلام والحضارة الغربية. لمحمد كرد علي (ت ١٣٢٧هـ). ط الثانية، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥٠م.
- الأسماء والصفات. للبيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ). تعليق محمد زاهد الكوثري، ط الأولى، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- الإرشادات والتنبيهات لابن سينا، الحسين بن عبدالله (ت ٤٢٨ هـ). تحقيق سليمان دنيا، ط الثالثة ١٣٨٨هـ، نشر دار المعارف، القاهرة.
- الإصابة في تمييز الصحابة. لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ). مصورة عن الطبعة المطبوعة سنة ١٣٢٨هـ، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- اصطلاحات ابن عربي، محمد بن علي بن محمد (ت ٦٣٨ هـ). مطبوع بذيل كتاب التعريفات للجرجاني، نشر مكتبة لبنان، بيروت، سنة ١٩٨٥م.
- أصول الدين، لعبد القاهر بن طاهر البغدادي، طبعة دار الكتب العلمية الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.
- أصول الفقه الإسلامي للدكتور وهبة الزحيلي الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- الأضداد للأصمعي. عبدالملك بن قريب (ت ٢١٦ هت). تحقيق أوغست هفنز، طبع في بيروت سنة ١٩١٣هـ.
- أضواء البيان للشنقيطي، محمد الأمين بن محمد. طبع وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ١٤٠٣هـ.
- الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار للحازمي، أبي بكر محمد بن موسى (ت٥٨٤هـ). تحقيق د. عبدالمعطي قلعجي، ط الثانية ١٤١٠هـ، نشر جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، الباكستان.
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين. لفخر الدين الرازي، محمد بن عمر (ت٦٠٦هـ). مراجعة علي سامي النشار، نشر دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٤٠٢هـ.
- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، للبيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ).تحقيق أحمد الكاتب، ط الأولى ١٤٠١هـ، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- إعراب القرآن. للنحاس أبي جعفر، أحمد بن محمد (ت ٣٣٨هـ). تحقيق د/ زهير زاهد، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالعراق.
- الأعلام. لخير الدين الزركلي. (ت ١٣٩٦هـ). نشر دار العلم للملايين، بيروت، ط الخامسة ١٩٨٠م.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين. لابن قيم الجوزية. مراجعة طه عبدالرؤوف سعد، نشر دار الجيل، بيروت.

- إغاثة اللهفان لابن القيم
  - دار التراث، القاهرة ١٣٨١هـ.
  - تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي، نشر دار المعرفة بيروت.
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، طبعة بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر. مصورة عن طبعة دار الكتب العلمية.
- الأمالي. لأبي علي القالي، إسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦ هـ). نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
- أنباء الغمر بأنباء العمر. لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ). تحقيق حسن حبشي، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة.
- الإنصاف فيما يجب اعتقاده لا يجوز الجهل به. لأبي بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ). تعليق محمد زاهد الكوثري، نشر المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.
- إيثار الحق على الخلق لابن الوزير، محمد بن المرتضى اليماني، طبعة دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون. لإسماعيل بن محمد البغدادي (ت١٣٣٩هـ) تحقيق محمد شرف الدين بالتقايا، ورفعت بيلكه الكليسي ط/ الثالثة، في طهران ١٣٧٨هـ.
- الإيمان لابن أبي شيبة أبي بكر عبدالله بن محمد. (ت ٢٣٥ هـ). تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر دار الأرقم بالكويت.
- الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة.
- البحر لأبي حيان الأندلسي محمد بن يوسف، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
- بداية المجتهد. للقاضي أبي الوليد، محمد بن أحمد بن رشد. (ت ٥٩٥هـ). ط الثالثة ١٣٧٩هـ، نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر.
- البداية والنهاية لأبي الفداء، إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ).
  - نشر مكتبة دار المعارف، بيروت، ط الثالثة ١٩٧٨م.
  - طبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني، محمد بن علي، (ت١٢٥٠هـ).
  - طبعة مطبعة السعادة بالقاهرة، ط الأولى ١٣٤٨هـ.
  - طبعة دار المعرفة بيروت.
- البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان. للسكسكي، عباس بن منصور (ت ٦٨٣هـ). تحقيق د/ بسام العموش، ط الأولى، ١٤٠٨هـ نشر مكتبة المنار بالأردن.

- البسيط لعلي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ). (مخطوط). جزء منه محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٣. وتوجد صورة منه بمركز الملك فيصل بالرياض تحت رقم (١٤٢٥/ ف).
- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم
  - بتصحيح محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الأولى، مطبعة الحكومة، السعودية، مكة المكرمة ١٣٩٢هـ.
  - جزء آخر محفوظ بمكتبة شستربتي في بريطانيا تحت رقم ٥١٥٠٥. وتوجد صورته بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تحت الرقم نفسه.
  - جزء آخر محفوظ بمكتبة شهيد علي باشا بتركيا تحت رقم ٩٣. وتوجد صورة منه بمركز الملك فيصل بالرياض تحت رقم ٢٢٥ / ف.
- البعث. لأبي بكر عبدالله بن أبي داود السجستاني (ت ٣١٦هـ). تحقيق محمد السعيد زغلول، ط الأولى، ١٤٠٧هـ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- بغية المرتاد. لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق د/ موسى الدرويش. ط الأولى ١٤٠٨هـ. نشر مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. للسيوطي (ت ٩١١هـ). تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، مطبعة البابي الحلبي بمصر.
- بيان تلبيس الجهمية. لشيخ الإسلام ابن تيمية. تصحيح الشيخ محمد بن قاسم، ط الأولى (١٣٩١ هـ). طبع بمطبعة الحكومة بمكة المكرمة.
- البيان في غريب إعراب القرآن. لابن الأنباري، محمد بن القاسم (ت ٣٢٨هـ). تحقيق د/ طه عبدالحميد، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٤٠٠هـ.
- تاج العروس للزبيدي، محمد مرتضى (ت ١٢٠٥هـ). نشر دار ليبيا في بنغازي، طبع دار صادر بيروت ١٣٨٦هـ.
- التاج المكلل من جواهر مآثر الطرز والأول. لمحمد صديق خان القنوجي (ت ١٣٠٧هـ). تصحيح عبدالحكيم شرف الدين، ط الثانية ١٣٨٢هـ، طبع المطبعة الهندية في بومباي.
- تاريخ بغداد. للخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ). نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
- تاريخ التراث العربي. للدكتور فؤاد سزكين. نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين، ترجمة دكتور محمود فهمي حجازي ودكتور فهمي أبو الفضل نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م.
- تاريخ الثقات. للعجلي، أحمد بن عبدالله بن صالح، (ت ٢٦١هـ). ط الأولى، ١٤٠٥هـ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

- تاريخ جرجان. للسهمي، حمزة بن يوسف (ت ٤٢٧هـ). ط الثالثة، ١٤٠٠هـ نشر عالم الكتب، بيروت.
- تاريخ الخلفاء، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ). تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.
- تاريخ الرسل والملوك، لابن جرير الطبري، أبي جعفر، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ). تحقيق محمد إبراهيم، ط الرابعة، نشر دار المعارف بمصر.
- التاريخ الصغير. للإمام البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٩هـ). تحقيق محمد زايد، نشر دار الوعي بحلب.
- التاريخ الكبير. للإمام البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ). نشر المكتبة الإسلامية بتركيا.
- تأويل مختلف الحديث. لابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ). نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
- تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة الدينوري، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت.
- تأويل مشكل القرآن. لابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ). شرح أحمد صقر، ط الثانية ١٣٩٣ هـ، نشر دار التراث بالقاهرة.
- التبصير في الدين. لطاهر بن محمد الإسفرائيني (ت ٤٧١هـ). نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٣٧٤هـ.
- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه. لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ). تحقيق علي البخاري، نشر المكتبة العلمية، بيروت.
- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري. لابن عساكر، علي بن الحسن (ت ٥٧١ هـ).

  - نشر مطبعة التوفيق بدمشق سنة ١٣٤٧هـ).
  - دار الكتاب العربي، بيروت عني بنشرة: القدسي ١٣٩٩هـ.
- تجريد أسماء الصحابة. للذهبي، شمس الدين، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ). تصحيح صالحة شرف الدين، نشر شرف الدين الكتبي، الهند.
- تجريد التمهيد. لابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله (ت ٤٦٣هـ). نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف. للمزي، جمال الدين، أبي الحجاج، يوسف بن عبدالرحمن (ت ٧٤٢ هـ). تحقيق عبدالصمد شرف الدين، ط الأولى، نشر الدار القيمة بالهند.
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي. للسيوطي، جلال الدين، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ). تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، ط الثانية ١٣٩٩هـ، نشر دار إحياء السنة النبوية، بيروت.
- التدمرية. لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق د/ محمد عودة السعوي، ط الأولى، ١٤٠٥هـ.
- تذكرة الحفاظ. لشمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ). نشر دار إحياء التراث العربي.

- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي، محمد بن أحمد، تحقيق فواز أحمد. طبع دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- ترتيب المدارك. للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ). تحقيق محمد تاويت الطنجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.
- الترغيب والترهيب. للمنذري، عبدالعظيم بن عبدالقوي (ت ٦٥٦هـ). نشر مكتبة شباب الأزهر بمصر.
- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ). نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
- التعريفات للجرجاني علي بن محمد. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
- التعليق على الموطأ في حاشية كتاب الموطأ ضمن الكتب الستة، طبع دار الدعوة.
- تفسير ابن أبي حاتم، عبدالرحمن بن محمد (ت ٣٢٧هـ). - تحقيق د/ أحمد الزهراني، ط الأولى، ١٤٠٨هـ. - نشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ودار طيبة بالرياض ودار ابن القيم بالدمام.
- تفسير أبي السعود، لأبي السعود بن محمد، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، نشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض، ١٤٠١هـ.
- تفسير البغوي = معالم التنزيل
- تفسير سفيان بن عيينة. (ت ١٩٨هـ). - جمع وتحقيق أحمد محايري، ط الأولى ١٤٠٣هـ. نشر المكتب الإسلامي، دمشق.
- تفسير الطبري = جامع البيان
- تفسير عبدالرزاق الصنعاني. (ت ٢١١هـ). تحقيق د/ مصطفى مسلم، نشر دار الرشد بالرياض.
- تفسير غريب القرآن. لابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ). تحقيق أحمد صقر، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.
- تفسير القرآن العظيم. (تفسير ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ).
  - نشر دار المعرفة، بيروت سنة ١٤٠٣هـ.
  - طبع دار الفكر ١٤٠٨هـ.
- تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، أحمد بن محمد، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، طبع دار المعرفة، بيروت، توزيع دار الباز.
- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير. لابن حجر العسقلاني. (ت٨٥٢هـ). نشر دار الكتب الإسلامية بلاهور في الباكستان.
- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل. للقاضي أبي بكر الباقلاني، محمد بن الطيب (ت٤٠٣هـ). تحقيق عماد الدين حيدر، ط الأولى ١٤٠٧هـ، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

- التمهيد، لابن عبد البر، أبي عمر يوسف بن عبد الله، تحقيق محمد بوخبزة وسعيد أحمد، طبع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية.
- تنبيه الأخيار على عدم فناء النار لسليمان بن ناصر العلوان، مطبعة السفير، الرياض.
- تهذيب الآثار. لابن جرير الطبري. (ت ٣١٠هـ). تخريج محمود شاكر، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الطبعة الأولى، طبع مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال. لأبي الحجاج المزي. (ت ٧٤٢هـ). تحقيق د. بشار معروف، ط الأولى، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.
- تهذيب اللغة لأبي منصور، محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ).

  - تحقيق عبدالسلام محمد هارون، مراجعة محمد علي النجار، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة.
  - تحقيق أحمد البردوني، القاهرة ١٣٨٤هـ وما بعدها.
- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة. لابن عراق، أبي الحسن بن علي بن محمد (ت ٩٦٣هـ). ط الثانية ١٤٠١هـ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- التوحيد لابن خزيمة، أبي بكر محمد بن إسحاق، (ت ٣١١هـ). تحقيق الدكتور عبدالعزيز الشهوان، الطبعة الأولى. نشر مكتبة الرشد بالرياض سنة ١٤٠٨هـ.
- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد لشرح قصيدة الإمام ابن القيم، للشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق زهير الشاويش. المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.
- توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين، لمرعي بن يوسف الحنبلي. اعتنى به خليل السبيعي، مطبعة دار طيبة الرياض، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، (ت ٤٤٤هـ). ط الثانية، ١٤٠٤هـ، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
- الثقات لابن حبان، محمد بن حبان (ت ٣٥٤هـ). ط الأولى، ١٤٠١هـ، نشر دائرة العثمانية، بالهند.
- ثلاثة مجالس من أمالي الحافظ ابن مردوية، أحمد بن موسى (ت ٤١٠هـ). تحقيق د/ محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ط الأولى، ١٤١٠هـ، نشر دار علوم الحديث، بدبا في الفجيرة بدولة الإمارات العربية المتحدة.
- جامع البيان في تأويل آي القرآن (تفسير ابن جرير الطبري).

  - نشر دار المعرفة بمصر تحقيق محمود وأحمد شاكر.
  - نشر دار الفكر، بيروت سنة ١٤٠٥هـ.
  - طبعة دار المعارف بمصر، بتحقيق الشيخ محمود شاكر.

- جامع الترمذي، محمد بن عيسى (ت ٢٩٧هـ). تحقيق الشيخ أحمد شاكر، مصورة عن الطبعة الأولى سنة ١٣٥٦هـ.
- جامع الرسائل. لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق د/ محمد رشاد سالم، ط الثانية ١٤٠٥هـ، نشر مطبعة المدني بالقاهرة.
- جامع العلوم والحكم، لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب، نشر دار الباز، طبع دار المعرفة، بيروت.
- الجامع لأحكام القرآن – تفسير القرطبي، محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ).
  - ط الأولى، ١٤٠٨هـ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
  - نشر دار الكاتب العربي، القاهرة ١٣٨٧هـ مصورة عن طبعة دار الكتب.
- الجامع لشعب الإيمان للبيهقي، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد طبع الدار السلفية، بومباي، الهند، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- الجرح والتعديل. لعبدالرحمن بن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ). ط الأولى ١٣٧٣هـ، نشر دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد في الهند.
- جلاء العينين للألوسي، نعمان خير الدين، دار الكتب العلمية، بيروت دار الباز للنشر والتوزيع.
- جمهرة أشعار العرب. لمحمد بن أبي الخطاب القرشي (ت ١٧٠هـ). تحقيق محمد علي الهاشمي، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- جمهرة أنساب العرب. لابن حزم، أبي محمد علي بن أحمد (ت ٤٥٦هـ).
- ط الأولى، ١٣٨٢هـ نشر دار المعارف بمصر.
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن قيم الجوزية، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، نشر دار الباز.
- حاشية كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، لعبد الرحمن بن محمد القاسم، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.
- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة. لأبي القاسم التميمي. (ت. ٥٣٥هـ). تحقيق محمد أبو رحيم، ط الأولى ١٤١١هـ، نشر دار الراية بالرياض.
- حسن المحاضرة. للسيوطي (ت ٩١١هـ). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار إحياء الكتب العربية، بيروت.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت.
- حياة الحيوان الكبرى، لكمال الدين الدميري، محمد بن موسى (ت ٨٠٨هـ). نشر دار الفكر، بيروت.

- الحيدة. لعبدالعزيز الكناني. (ت ٢٤٠هـ). ط الأولى ١٣٩٩هـ، نشر المطبعة السلفية بالقاهرة.
- الحيوان. للجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ). تحقيق عبدالسلام هارون، ط الثانية، نشر مطبعة البابي الحلبي بمصر.
- حزانة الأدب للبغدادي، عبدالقادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ).
  - تحقيق عبدالسلام هارون ط، الثانية ١٩٧٩م، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.
  - طبعة مطبعة بولاق بمصر سنة ١٢٩٩هـ.
- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال. للخزرجي، أحمد بن عبدالله (ت بعد سنة ٩٢٣هـ). ط الثانية، ١٣٩١هـ، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.
- خلق أفعال العباد. للإمام البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ). تخريج بدر البدر، ط الأولى، نشر الدار السلفية بالكويت.
- الدارس في تاريخ المدارس. للنعيمي، عبدالقادر بن محمد (ت ٩٢٧هـ). تحقيق جعفر الحسيني، نشر المجمع العليم بدمشق ١٣٦٨هـ.
- دائرة المعارف، لفريد وجدي.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي، الطبعة الأولى، دمشق ١٤٠٦هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي وبهامشه القرآن العظيم مع تفسير ابن عباس، طبعة دار المعرفة، بيروت.
- الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي، جلال الدين، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ). ط الأولى ١٤٠٣هـ، نشر دار الفكر، بيروت.
- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، أبي العباس أحمد بن عبد الحليم، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ). نشر دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الدكن بالهند سنة ١٣٥٠هـ.
- الدعوات الكبير. للبيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ). تحقيق بدر البدر، ط الأولى ١٤٠٩هـ، نشر مركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت.
- دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها على العالم الإسلامي، للدكتور محمد بن عبد الله السلمان، طبع وكالة الفرقان، الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
- دلائل النبوة. للبيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ). تحقيق عبدالمعطي قلعجي، ط الأولى ١٤٠٥هـ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- ديوان أبي العتاهية، إسماعيل بن قاسم بن سويد، دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٤هـ.
- ديوان الأعشى، ميمون بن قيس (ت ٧ هـ).

- نشر دار صادر، بيروت.
- شرح وتعليق د/ محمد محمد حسين، نشر مكتبة الآداب بالجماميز بمصر.

- ديوان امرئ القيس. (ت ٨٠ ق هـ). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار المعارف بمصر.
- ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٩٨هـ.
- ديوان الحطيئة، جرول بن أوس، تحقيق نعمان طه، الطبعة الأولى ١٣٧٨هـ نشر مكتبة البابي الحلبي بمصر.
- ديوان ذي الرمة، غيلان بن عقبة (ت ١١٧هـ). تحقيق د/ عبدالقدوس أبو صالح، طبع مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٣٩٢هـ.
- ديوان زهير بن أبي سلمى، دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٩٩هـ.
- ديوان العجاج، عبدالله بن رؤبة (ت نحو سنة ٩٠هـ). طبع لينسج سنة ١٩٠٣هـ.
- ديوان عمر بن أبي ربيعة (ت ٩٣هـ). نشر دار صادر، بيروت.
- ديوان الفرزدق، همام بن غالب (ت ١١٠هـ). شرح علي فاعور، ط الأولى ١٤٠٧هـ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- ديوان لبيد بن ربيعة. (ت ٤١هـ). نشر دار صادر بيروت، ١٣٨٦هـ.
- ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث. لعبد الغني بن إسماعيل النابلسي. (ت ١١٤٣هـ) نشر ناصر خسرو، إيران.
- ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ). نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند، سنة ١٣٧٤هـ.
- الرد على بشر المريسي. للدارمي، عثمان بن سعيد (ت ٢٨٠هـ). تصحيح محمد الفقي، مصورة عن الطبعة الأولى المطبوعة في سنة ١٣٥٨هـ. نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- الرد على الجهمية. لابن منده، محمد بن إسحاق (ت ٣٩٥هـ). تحقيق د/ علي فقيهي، ط الأولى، ١٤٠١هـ.
- الرد على الجهمية. للدارمي، عثمان بن سعيد (ت ٢٨٠هـ). تحقيق محمد الفقي، ط الأولى سنة ١٣٥٨هـ. نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- الرد على من قال بفناء الجنة والنار، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق الدكتور محمد بن عبد الله السمهري، نشر دار بلنسية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- الرسالة. للإمام الشافعي، محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ). تحقيق أحمد شاكر، ط الثانية، ١٣٩٩هـ، نشر مكتبة دار التراث بالقاهرة.
- الرسائل الشخصية للإمام محمد بن عبدالوهاب، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

- رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار للإمام الصنعاني محمد بن إسماعيل تحقيق محمد بن ناصر الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- الروح. لابن قيم الجوزية.
  - نشر مكتبة صبيح بالقاهرة، ط الثانية ١٣٧٦هـ.
  - طبعة أخرى بتحقيق د/ بسام العموش، نشر دار ابن تيمية بالرياض سنة ١٤٠٦هـ.
- ١٢٥- الرضا عن الله بقضائه. لابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد بن عبيد (ت ٢٨١هـ). تحقيق ضياء الحسن السلفي، ط الأولى، ١٤١٠هـ. نشر الدار السفلية في بومباي بالهند.
- الروض الندي. لأحمد بن عبدالله البعلي. (ت ١١٨٩هـ). نشر المكتبة السفلية بالقاهرة.
- روضة المحبين. لابن قيم الجوزية. تقديم احمد عبيد، طبع مطبعة السعادة بمصر.
  - نشر المكتبة التجارية الكبرى سنة ١٣٧٥هـ.
  - طبعة أخرى، بتحقيق د/ سيد الجميلي، ط الثالثة ١٤١٢هـ. نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية بيروت ـ نشر عباس أحمد الباز، المروة – مكة المكرمة.
- روضة الناظر وجنة المناظر. لابن قدامة، عبدالله بن أحمد (ت ٦٢٠هـ). تحقيق د/ عبدالعزيز السعيد. نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- زاد المسير في علم التفسير (تفسير ابن الجوزي)، عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ). ط الثالثة، ١٤٠٤هـ نشر المكتب الإسلامي، بيروت.
- زاد المعاد في هدي خير العباد. لابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر.
  - ط الثالثة ١٣٩٢هـ، نشر دار الفكر، بيروت.
  - تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، طبع مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة ١٤٠٥هـ.
- الزهد للإمام أحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٨هـ.
  - مخطوط محفوظ بالمكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم (١١٣١) وتوجد صورة منه بمركز الملك فيصل بالرياض تحت رقم (١١٠٥/ ف).
  - طبعة دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٤٠٣هـ.
- الزهد. لعبدالله بن المبارك المروزي (ت ١٨١هـ). تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- الزهد. للبيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ). تحقيق عامر حيدر، ط الأولى، ١٤٠٨هـ. نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة. للشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

- ط الثانية ١٤٠٤هـ، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.

- مكتبة المعارف، الرياض ١٤١٥هـ.

• السنة للإمام أبي عبد الرحمن عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق الدكتور محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، الدمام المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

• سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ). نشر دار إحياء التراث، بيروت سنة ١٣٩٥ هـ.

• سنن ابن ماجة، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني مطبوع ضمن الكتب الستة، نشر دار الدعوة.

• سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ). المطبوع مع شرحه عون المعبود، تحقيق محمد عثمان، ط الثانية سنة ١٣٨٨هـ، نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

• سنن أبي داوود سليمان بن الأشعث، ضمن الكتب الستة، دار الدعوة.

• سنن البيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ). ط الأولى سنة ١٣٤٤هـ، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند.

• سنن الترمذي، لأبي عيسى بن عيسى، مطبوع ضمن الكتب الستة، نشر دار الدعوة.

• سنن الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي (ت ٢٥٥هـ). نشر حديث أكاديمي، بالباكستان سنة ١٤٠٤هـ

• سنن النسائي (المجتبى) لأحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ). نشر دار الكتاب العربي، بيروت.

• السنة، للإمام أبي عاصم، عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني (ت ٢٨٧هـ). تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط الأولى سنة ١٤٠٠هـ نشر المكتب الإسلامي بيروت.

• السنة. للخلال، أبي بكر ، أحمد بن محمد هارون، (ت ٣٤١هـ).

- تحقيق د/ عطية الزهراني، ط الأولى ١٤١٠هـ، نشر دار الراية بالرياض.

- نشر دار ابن القيم بالدمام.

- طبعة أخرى راجعها محمد السعيد زغلول، ط الأولى ١٤٠٥هـ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

• سير أعلام النبلاء، للذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

• شذرات الذهب في أخبار من ذهب. لابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ).

- نشر المكتب التجاري، بيروت.

- نشر دار إحياء التراث العربي بيروت.

• شرح الإرشاد. لأبي القاسم الأنصاري، سليمان بن ناصر. (ت ٥١١هـ). مخطوط، توجد صورة منه بمركز الملك فيصل بالرياض تحت رقم ٤٢٥ / ف، ولم يشر فيها إلى مكان وجود الأصل.

- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة السنة لأبي القاسم اللالكائي (ت ٤١٨هـ). تحقيق د/ أحمد سعد حمدان، نشر دار طيبة بالرياض.
- شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بن أحمد تعليق أحمد بن الحسين تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ.
- شرح التصريح على التوضيح لخالد الأزهري، دار الفكر.
- شرح ديوان زهير، صنعه (ثعلب) (ت ٢٩١هـ). تحقيق د/ فخرالدين قباوة، ط الأولى ١٤٠٢هـ نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- شرح ديوان المتنبي. لعبدالرحمن البرقوقي (ت ١٣٦٣هـ). نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
- شرح السنة للبغوي، لأبي محمد الحسين بن مسعود، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.
- شرح صحيح مسلم للنووي، محيي الدين، أبي زكريا بن شرف (ت ٦٧٦هـ). نشر دار الفكر، بيروت.
- شرح الطحاوية. لعلي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (ت ٧٩٣هـ). تخريج الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط الأولى سنة ١٣٩٢هـ. نشر المكتب الإسلامي، بيروت.
- شرح علل الترمذي. لابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ). تحقيق نورالدين عتر، ط الأولى ١٣٩٨هـ. نشر دار الملاح، دمشق.
- شرح القصائد التسع لأبي جعفر النحاس. تحقيق أحمد خطاب.
- شرح القصيدة النونية المسماة الكافية في الانتصار الفرقة الناجية لابن القيم، محمد بن أبي بكر. شرح وتحقيق الدكتور محمد خليل هراس، مطبعة الفاروق الحديثة للطباعة.
- شرح معاني الآثار. للطحاوي، أبي جعفر، أحمد بن محمد بن سلامة (ت ٣٢١هـ). تحقيق محمد زهري النجار، ط الأولى ١٣٩٩هـ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- شرح المنهج. لزكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ). مطبوع مع حاشية سليمان الجمل، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- شرح نونية ابن القيم.
  - لأحمد بن إبراهيم بن عيسى (ت ١٣٢٩هـ). ط الثانية ١٣٩٢هـ، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.
  - للشيخ محمد خليل الهراس، مطبعة الإمام بالقاهرة.
- الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، لابن بطة، محمد بن عبيد الله تحقيق وتعليق رضا بن نعسان معطي ١٤٠٤هـ طبع دار التوفيق النموذجية الأزهر، نشر المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.
- الشريعة للآجري، أبي بكر محمد بن الحسين (ت ٣٦٠هـ). تحقيق محمد حامد الفقي، ط الأولى سنة ١٤٠٣هـ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

- شعب الإيمان. للبيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ). تحقيق د/ عبدالعلي حامد، ط الأولى ١٤٠٦هـ، نشر الدار السلفية بالهند.
- الشعر والشعراء. لابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ).
  - تصحيح أبى فراس محمد بدر الدين النعساني. نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٣٢٢هـ.
  - تحقيق الدكتور مفيد قميحة، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، توزيع دار الباز.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن قيم الجوزية، تصحيح محمد بدر النعساني الحلبي الطبعة الأولى ١٣٢٣هـ توزيع مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
- الصحاح. لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ). تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، ط الثالثة ١٤٠٤هـ، نشر دار العلم للملايين، بيروت.
- صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ). نشر المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا سنة ١٩٨١هـ.
- صحيح ابن خزيمة ، محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١هـ). تحقيق د/ محمد الأعظمي، ط الثانية ١٤٠١هـ.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته. للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط الثالثة ١٤٠٢هـ، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.
- صحيح الكلم الطيب لابن تيمية، تحقيق الألباني، نشر المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة السادسة ١٤٠٤هـ.
- صحيح مسلم. للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ). نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة سنة ١٤٠٠هـ.
- صحيح الوابل الصيب لابن القيم، تحقيق سليم الهلالي، طبعة دار الجوزي، الدمام الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ.
- الصفات. للدارقطني، أبي الحسن علي بن عمر (ت ٣٨٥هـ). تحقيق د/ علي الفقيهي، ط الأولى ١٤٠٣هـ.
- الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية، للدكتور محمد أمان بن علي الجامي، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- الصفدية، لابن تيمية، أبي العباس أحمد بن عبد الحليم، تحقيق محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، الرياض.
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة. لابن قيم الجوزية. تحقيق د/ علي الدخيل الله، ط الأولى ١٤٠٨هـ، نشر دار العاصمة بالرياض.

- الضعفاء الصغير للإمام البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ). تحقيق بوران الضناوي، ط الأولى، ١٤٠٤هـ. نشر عالم الكتب، بيروت.
- الضعفاء الكبير. للعقيلي، أبي جعفر محمد بن عمرو (ت ٣١١هـ). تحقيق د/ عبدالمعطي قلعجي، ط الأولى، ١٤٠٤هـ نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- الضعفاء والمتروكين للنسائي، أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ). تحقيق بوران الضناوي، ط الأولى، ١٤٠٥هـ نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- ضعيف الجامع الصغير. للشيخ محمد ناصر الدين الألباني. ط الثانية ١٣٩٩هـ، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.
- الضوء اللامع للسخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، نشر دار مكتبة الحياة بيروت.
- الضوء المنير على التفسير لابن القيم. جمع علي بن حمد الصالحي نشر مؤسسة النور للطباعة بالتعاون مع مكتبة دار السلام، الرياض.
- طبقات الحفاظ. للسيوطي جلال الدين، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ). ط الأولى ١٤٠٣هـ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- طبقات الحنابلة. للقاضي أبي الحسين، محمد بن أبي يعلى (ت ٥٢٦هـ). نشر دار المعرفة، بيروت.
- طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (ت ٨٥١هـ). نشر دائرة العثمانية بالهند، سنة ١٣٩٨هـ.
- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين، طبع دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية.
- طبقات الشعراء لابن قتيبة الدينوري أبي محمد عبد الله بن مسلم، تحقيق الدكتور مفيد قميحة، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ توزيع دار الباز.
- طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي. (ت ٢٣٢هـ). شرح محمود شاكر، طبع مطبعة المدني بالقاهرة.
- الطبقات الكبرى، لابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع، طبع دار بيروت، ١٣٩٨هـ.
- طبقات المفسرين. للداودي، محمد بن علي بن أحمد (ت ٩٤٥هـ). تحقيق علي محمد عمر، ط الأولى ١٣٩٢هـ، نشر مكتبة وهبه بالقاهرة.
- طبقات المفسرين. للسيوطي (ت ٩١١هـ). نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- طبقات النحويين واللغويين. لمحمد بن الحسن الزبيدي. (ت ٣٧٩هـ). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط الأولى، ١٣٧٣هـ، نشر محمد الخانجي بمصر.
- العبر في خبر من غبر. لشمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ).
  - تحقيق فؤاد سيد، طبع حكومة الكويت سنة ١٩٦١م.

- تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، توزيع دار الباز، مكة المكرمة.

- العدة في أصول الفقه. للقاضي أبي يعلي، محمد بن الحسين الفراء البغدادي، (ت٤٥٨هـ). تحقيق د/ أحمد سير مباركي، ط الأولى ١٤٠٠هـ، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.
- العزلة. لأبي سليمان الخطابي (ت ٣٨٨هـ). تحقيق ياسين السواس، ط الثانية ١٤١٠هـ، نشر دار ابن كثير، دمشق.
- العظمة. لأبي الشيخ الأصبهاني (ت ٣٦٩هـ). تحقيق د/ رضا الله المباركفوري، ط الأولى، ١٤٠٨ هـ. نشر دار العاصمة بالرياض.
- العلل للدارقطني، أبي الحسن عي بن عمر (ت ٣٨٥هـ). تحقيق د/ محفوظ الرحمن السلفي، ط الأولى ١٤٠٥هـ. نشر دار طيبة بالرياض.
- علل الحديث. لابن أبي حاتم، عبدالرحمن بن محمد (ت ٣٢٧هـ). نشر دار السلام بحلب، مصورة عن طبعة القاهرة سنة ١٣٤٣هـ.
- العلل ومعرفة الرجال. للإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ). تحقيق د/ طلعت قوج، د/ إسماعيل جراح. نشر المكتبة الإسلامية، إستانبول بتركيا، سنة ١٩٨٧م.
- عمل اليوم والليلة. لابن السني أبي بكر أحمد بن محمد (ت ٣٦٤هـ). تحقيق عبدالرحمن كوثر البرني، نشر دار القبلة بجدة، ومؤسسة علوم القرآن في بيروت.
- عمل اليوم والليلة. للنسائي، أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ). تحقيق د/ فاروق حماده، ط الثانية ١٤٠٦هـ، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.
- عن المعبود شرح سنن ابي داود. لأبي داود، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، ط الثانية ١٣٨٩هـ، نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.
- عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر النجدي، نشر مكتبة الرياض الحديثة.
- العقيدة النظامية من الأركان الإسلامية. للإمام الجويني، عبدالملك بن عبدالله (ت٤٧٨هـ). تحقيق د/ أحمد حجازي السقا، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، ط الأولى ١٣٩٨هـ.
- عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي للدكتور صالح بن عبد الله العبود، طبعة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ١٤٠٨هـ.
- العين. للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ).
- غاية المرام في علم الكلام للآمدي.
- غريب الحديث. لأبي سليمان الخطابي (ت ٣٨٨هـ). تحقيق د/ عبدالكريم العزباوي، نشر جامعة أم القرى بمكة المكرمة سنة ١٤٠٢هـ.
- غريب الحديث. لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ).

• الغنية في أصول الدين. لأبي سعيد النيسابوري. تحقيق عماد الدين حيدر، ط الأولى ١٤٠٦هـ ونشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

• فتاوي ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي. نشر وتوزيع دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

• فتح الباري بشرح صحيح البخاري. لابن حجر العسقلاني. تصحيح سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي. نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة.

• فتح القدير (تفسير الشوكاني) لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ).

- نشر دار المعرفة، بيروت.

- طبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٣هـ.

- والطبعة الجديدة المأخوذة عن مخطوطة دار الكتب المصرية، نشر المكتبة التجاري، مكة المكرمة.

• الفرج بعد الشدة. لابن أبي الدنيا.تحقيق عماد فره، نشر مكتبة الصحابة بطنطا في مصر سنة ١٤٠٥ هـ.

• الفرق بين الفرق. لعبد القاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ).

- ط الرابعة، ١٤٠٠هـ، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت.

- تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبع دار المعرفة، بيروت، توزيع دار الباز، عباس أحمد، مكة المكرمة.

• الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان. لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق زهير الشاويش. ط الرابعة ١٤٠٨هـ، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.

• الفصل في الملل والأهواء، لابن حزم أبي محمد، علي بن أحمد (ت ٤٥٦هـ). نشر دار الفكر، بيروت، سنة ١٤٠٠هـ.

• الفصل في الملل والأهواء والنحل، للإمام أبي محمد، علي بن أحمد بن حزم الظاهري. وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني، للإمام أبي الفتح، محمد بن عبد الكريم. طبع دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ.

• فضائح الباطنية. لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ). تحقيق عبدالرحمن بدوي، نشر الدار القومية للنشر بالقاهرة، ١٣٨٣هـ.

• فضل الإسلام على الحضارة الغربية. لمونتجومري وات. نقله إلى العربية حسين أحمد أمين، ط الثانية ١٤٠٦هـ، نشر دار الشروق.

• فضيلة الشكر لله على نعمه. لأبي بكر محمد بن جعفر السامري. المعروف بالخرائطي (ت ٣٢٧هـ). تحقيق محمد مطيع الحافظ، ط الأولى ١٤٠٢هـ، نشر دار الفكر، بيروت.

- فوات الوفيات والذيل عليها. لمحمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ). تحقيق د/ إحسان عباس، نشر دار الثقافة، بيروت.
- الفهرست لابن النديم، أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق، طبعة تحقيق رضا تجدد بن علي بن زين العابدين، طهران، مهرسته ١٣٥٠هـ.
- الفوائد، لابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، تحقيق محمد بن عثمان الخشت. الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة. للشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ). تحقيق عبدالرحمن المعلمي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لمحمد عبدالرءوف المناوي (ت ١٠٣١هـ). نشر دار المعرفة، بيروت، سنة ١٣٩١هـ.
- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ). ط الثانية، سنة ١٤٠٧هـ، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.
- القدر. لابن وهب، عبدالله بن مسلم القرشي (ت ١٩٧هـ). تحقيق د/ عبدالعزيز العثيم، ط الأولى ١٤٠٦هـ، نشر دار السلطان.
- القدر للبيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ) تحقيق أحمد الصمعاني، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة، مقدمة لقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- القدر. للفريابي، أبي بكر جعفر بن محمد بن الحسن. (ت ٣٠١هـ). تحقيق جمال الذهبي. رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة، مقدمة لقسم الحديث بكلية أصول الدين بالرياض.
- القضاء والقدر لشيخ الإسلام بن تيمية أحمد بن عبد الحليم، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى.
- الكافي في علم الدين. للكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩) نشر المكتبة الإسلامية بطهران سنة ١٣٨٥هـ.
- الكامل في التاريخ. لعز الدين بن الأثير، علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ). نشر دار صادر ودار بيروت سنة ١٣٨٦هـ.
- الكامل في ضعفاء الرجال. لابن عدي، أحمد بن عبدالله (ت ٣٦٥). ط الأولى ١٤٠٤هـ نشر دار الفكر، بيروت.
- الكامل في اللغة والأدب للمبرد محمد بن يزيد، نشر مكتبة المعارف بيروت.
- كتاب التفسير من السنن الكبرى. للنسائي، أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ). تحقيق صبري الشافعي وسيد الجليمي ط الأولى ١٤١٠هـ نشر مؤسسة الكتب الثقافية بيروت.

- الكشاف للزمخشري. محمود بن عمر (ت ٥٣٨). نشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٨٥هـ.
- كشف الأستار عن زوائد البزار. لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ). تحقيق د. حبيب الرحمن الأعظمي. ط الأولى ١٤٠٤هـ نشر مؤسسة الرسالة بيروت.
- كشف الأستار لإبطال ادعاء فناء النار المنسوبة لشيخ الإسلام بن تيمية وتلميذه ابن القيم للدكتور اليماني علي بن علي جابر، دار طيبة، مكة، الطبعة الأولى.
- كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة. لأبي الفضائل اليماني محمد بن مالك (ت نحو سنة ٤٧٠ هـ). تحقيق د. محمد زينهم عزب، ط الأولى ١٤٠٦هـ نشر دار الصحوة بمصر.
- كشف الخفاء للعجلوني، إسماعيل بن محمد، نشر وتوزيع مكتبة التراث الإسلامي، حلب، ودار التراث في القاهرة.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. لمصطفى عبدالله الشهير بحاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ). نشر مكتبة المثنى ببغداد.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن. لأبي إسحاق أحمد بن محمد النيسابوري (ت٤٢٧هـ). مخطوط محفوظ بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة تحت رقم (١٠٥) تفسير، وتوجد صورة منه بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تحت رقم ٣٣٨/ ف.
- الكلام على مسألة السماع. لابن قيم الجوزية.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. علاء الدين علي المتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ). تصحيح بكر حياتي وصفوت السقا. نشر مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٣٩٦هـ.
- الكنى والأسماء. للدولابي، محمد بن أحمد بن حماد (ت ٣١٠هـ). ط الثانية ١٤٠٣هـ نشر دار الكتب العلمية بيروت.
- اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة. للسيوطي (ت ٩١١هـ).
- اللباب في تهذيب الإنسان. لعز الدين بن الأثير الجزري، ، (ت ٦٣٠هـ). نشر دار صادر بيروت.
- لسان العرب. لجمال الدين محمد بن منظور (ت ٧١١هـ). نشر دار صادر بيروت سنة ١٣٧٥هـ.
- لسان الميزان. لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ). نشر دائرة المعارف النظامية بالهند ١٣٣١هـ.
- لمع الأدلة للإمام الجويني عبدالملك بن عبدالله. (ت ٤٧٨هـ). تحقيق فوقية حسين محمود. ط الثانية ١٤٠٧هـ عالم الكتب، بيروت.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية للسفاريني، محمد بن أحمد، نشر مؤسسة الخافقين، دمشق الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.
- المباحث المشرقية. للفخر الرازي. تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي. ط الأولى ١٤١٠هـ نشر دار الكتاب العربي بيروت.

- ٢٢٩- المبسوط في القراءات العشر. لأبي بكر بن مهران الأصبهاني (ت ٣٨١هـ). تحقيق سبيع حاكمي. ط الثانية ١٤٠٨هـ نشر دار القبلة بجدة ومؤسسة علوم القرآن، بيروت.
- مجاز القرآن. لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٨هـ). تحقيق د. محمد فؤاد سزكين. نشر مكتبة الخانجي بمصر.
- المجالسة وجواهر العلم لأحمد بن مروان المالكي (ت ٣٣٣هـ). مصور عن مخطوطة محفوظ أصلها بمكتبة طوب قابوسراي في استانبول بتركيا. نشر معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في جامعة فرانكفورت بألمانيا وأصدره د/ فؤاد سزكين سنة ١٤٠٧هـ.
- مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري. لابن فورك محمد بن الحسن، (ت ٤٠٤هـ). تحقيق دانيال جيمارية، نشر دار المشرق، بيروت.
- مجمع البيان في تفسير القرآن. لأبي علي الطبرسي. نشر دار مكتبة الحياة ببيروت.
- مجمع الزوائد. للهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ). ط الثالثة ١٤٠٢هـ. نشر دار الكتاب العربي بيروت.
- مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية. جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم. ط الأولى ١٣٩٨هـ.
- مجموعة الرسائل المنيرية لعدد من العلماء، نشر وتصحيح إدارة الطباعة المنيرية بمصر، توزيع مكتبة طيبة، الرياض.
- مجموعة الرسائل لابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، طبع إحياء دار التراث العربي بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ، توزيع دار الباز، مكة المكرمة.
- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين. للفخر الرازي، محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ). تحقيق د/ حسين أتاي. ط الأولى ١٤١١هـ. نشر مكتبة دار التراث بالقاهرة.
- المحيط بالتكليف. للقاضي عبدالجبار بن أحمد (ت ٤١٥هـ). تحقيق عمر السيد عزمي، مراجعة د/ أحمد فؤاد الأهواني. نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- مختار الصحاح، للرازي محمد بن أبي بكر، طبعة مدققة، مكتبة لبنان ١٩٩٦م.
- المختار وشرحه الاختيار. لابن مودود الموصلي. ط الأولى نشر مطبعة مصطفى البابي الحلبي، بالقاهرة.
- مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري، تحقيق أحمد شاكر ومحمد الفقي، طبع دار المعرفة بيروت.
- مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، محمد بن أبي بكر. اختصره محمد بن الموصلي. طبع مكتبة الرياض الحديثة.
- المختصر في أخبار البشر، لأبي الفداء عماد الدين بن إسماعيل. نشر دار الكتاب اللبناني بيروت.
- مختصر القدوري. لأبي الحسين أحمد بن محمد القدوري. (ت ٤٢٨هـ).

- مختصر كتاب قيام الليل. (الذي ألفه محمد بن نصر) لأحمد بن علي المقريزي. ط الأولى ١٤٠٢هـ، نشر حديث أكاديمي بالباكستان.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. لابن قيم الجوزية. تحقيق محمد الفقي، ط الثانية، ١٣٩٣هـ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- مراتب الإجماع لابن حزم الظاهري، الطبعة الأولى ١٣٧٨هـ، دار الأفاق الجديدة بيروت.
- المراسيل. لعبدالرحمن بن محمد الرازي (ابن أبي حاتم). تعليق أحمد عصام الكاتب، ط الأولى، ١٤٠٣هـ. نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- مسائل الإمام أحمد لأبي داود، سليمان بن الأشعث، (ت ٢٧٥هـ). نشر دار المعرفة، بيروت.
- مسائل الإمام أحمد. لابن هانئ، إسحاق بن إبراهيم (ت ٢٧٥هـ). تحقيق زهير الشاويش، ط الأولى ١٤٠٠هـ. نشر المكتب الإسلامي، بيروت.
- المسائل الخمسون في أصول الدين. للفخر الرازي، محمد بن عمر. (ت ٦٠٦هـ). تحقيق د/ أحمد حجازي السقا، ط الأول ١٩٨٩هـ، نشر المكتب الثقافي بالقاهرة.
- المستدرك على الصحيحين. لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم. (ت ٤٠٥هـ).
  - نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
  - مكتبة المعارف، الرياض.
- المستدرك على معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ. مؤسسة الرسالة، بيروت.
- المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر. للشيخ محمود شكري الألوسي (ت ١٢٧٠هـ). تحقيق د/ عبدالله الجبوري، نشر دار العلوم بالرياض ١٤٠٢هـ.
- مسند أبي عوانة، يعقوب بن إسحاق (ت ٣١٦ه). نشر دائرة المعارف العثمانية بالهند سنة ١٣٦٢هـ.
- مسند أبي يعلي الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى (ت ٣٠٧هـ). تحقيق حسين أسد، ط الأولى ١٤٠٤هـ، نشر المأمون للتراث بدمشق.
- مسند الإمام أحمد. (ت ٢٤١هـ).
  - ط الرابعة ١٤٠٣هـ، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.
  - ط دار المعارف بمصر، سنة ١٣٧٢هـ، بتحقيق الشيخ أحمد شاكر.
  - مطبوع ضمن الكتب الستة، نشر دار الدعوة.
- مسند إسحاق بن راهوية. (ت ٢٣٨هـ). تحقيق د/ عبدالغفور البلوشي، ط الأولى ١٤١٣هـ. توزيع مكتبة الإيمان بالمدينة المنورة.
- مسند الحميدي، أبي بكر عبدالله بن الزبير (ت ٢١٩هـ). تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الإعظمي، نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

- مسند الشهاب. لمحمد بن سلامة القضاعي (ت ٤٥٤هـ). تحقيق حمدي السلفي، ط الأولى، ١٤٠٥ هـ، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.
- مسند الطيالسي، أبي داود سليمان بن داود الجارود (ت ٢٠٤هـ). ط الأولى سنة ١٣٢١هـ، نشر مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند.
- مشارق الأنوار على صحاح الأخبار. للقاضي عياض اليحصبي (ت ٥٤٤هـ). نشر المكتبة العتيقة بتونس، ودار التراث بالقاهرة.
- مشاهير علماء الأمصار. لابن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ). نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- مشكاة المصابيح. لمحمد بن عبدالله الخطيب التبريزي. (ت بعد سنة ٧٣٧هـ). تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي، بيروت ط الثانية سنة ١٣٩٩هـ.
- مشكل إعراب القرآن. لمكي بن أبي طالب القيسي. (ت ٤٣٧هـ). تحقيق د/ حاتم الضامن، ط الثانية، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.
- مشكل الآثار. للطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة (ت ٣٢١هـ).
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي. لأحمد الفيومي (ت ٧٧٠هـ). نشر المكتبة العلمية، بيروت.
- المصنف. لابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد (ت ٢٣٥هـ). تحقيق مختار الندوي، نشر الدار السلفية بالهند، ط الأولى سنة ١٤٠٢هـ.
- المصنف. لعبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١هـ). تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط الثانية، ١٤٠٣ هـ. نشر المجلس العلمي بالهند.
- المطالب العالية لزوائد المسانيد الثمانية. لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ). تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت.
- المطالب العالية من العلم الإلهي. للفخر الرازي، محمد بن عمر. (ت ٦٠٦هـ). تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ط الأولى ١٤٠٧هـ. نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
- معارج القبول للشيخ حافظ أحمد الحكمي من مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.
- معالم التنزيل (تفسير البغوي)، الحسين بن مسعود (ت ٥١٦هـ).
  - تحقيق خالد العك، ومروان سوار، ط الثانية ١٤٠٧هـ. نشر دار المعرفة، بيروت.
  - تحقيق محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ نشر دار طيبة، الرياض.
  - طبعة المنار بمصر، سنة ١٣٤٧هـ.
- معالم السنن لأبي سليمان الخطابي (ت ٣٨٨هـ). المطبوع مع مختصر سنن أبي داود للمنذري، تحقيق

الشيخ أحمد شاكر ومحمد الفقي. نشر دار المعرفة، بيروت.

- معاني القرآن وإعرابه. لأبي إسحاق الزجاج. (ت ٣١١هـ). تحقيق د/ عبدالجليل شلبي، ط الأولى ١٤٠٨هـ، نشر عالم الكتاب، بيروت.
- معاني القرآن. للفراء، يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ). تحقيق د/ عبدالفتاح شلبي، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م.
- معاني القرآن الكريم. لأبي جعفر النحاس، أحمد بن محمد (ت ٣٣٨هـ). تحقيق محمد الصابوني، ط الأولى ١٤١٠هـ نشر جامعة أم القرى بمكة المكرمة.
- المعجم الأوسط. للطبراني، أبي القاسم، سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ). تحقيق د/ محمد الطحان، ط الأولى سنة ١٤٠٦هـ. نشر مكتبة المعارف بالرياض.
- معجم البلدان. لياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ). نشر دار صادر، بيروت، سنة ١٣٩٩هـ.
- معجم الشعراء الجاهليين والمخضرين. لعبدالرحمن عفيف. نشر دار العلوم بالرياض ١٤٠٣هـ.
- المعجم الصغير. للطبراني (ت ٣٦٠هـ). ط الأولى ١٤٠٣هـ نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- معجم قبائل العرب. لعمر كحالة. ط الخامسة سنة ١٤٠٥هـ. نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.
- المعجم الكبير. للطبراني (٣٦٠هـ). تحقيق حمدي السلفي. ط الأولى نشر وزارة الأوقاف العراقية.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. ترتيب مجموعة من المستشرقين. نشره الدكتور أ.ي. ونسنك (أستاذ العربية بجامعة ليدن) تولت نشره مكتبة بريل في مدينة ليدن بهولندا سنة ١٩٣٦هـ.
- معجم مقاييس اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا. (ت ٣٩٥هـ). تحقيق عبدالسلام هارون. نشر دار الكتب العلمية بإيران.
- معجم المؤلفين. لعمر رضا كحالة. طبعة مطبعة الترقي بدمشق.
- معجم المؤلفين لعدم رضا كحالة، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- المعجم الوسيط، طبع دار المعارف بمصر، نشر وتوزيع دار الدعوة، استنبول.
- معرفة التذكرة في الأحاديث الموضوعة لابن القيسراني، محمد بن طاهر المقدسي، (ت٥٠٧هـ). ط الأولى ١٤٠٦هـ نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- المعرفة والتاريخ. للفسوي، يعقوب بن سفيان. (ت ٢٧٧هـ). تحقيق د/ أكرم العمري. طبع مطبعة الإرشاد في بغداد.
- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار لتخريج ما في الأحياء من الأخبار. بذيل (إحياء علوم الدين) للعلاقة العراقي، زين الدين أبي الفضل، طبع دار المعرفة، بيروت ١٤٠٣هـ.
- المغني في أبواب التوحيد والعدل. للقاضي عبدالجبار بن أحمد. (ت ٤١٥هـ). تحقيق توفيق الطويل وسعيد زياد. ط الأولى نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر سلسلة تراثنا.

- المغني. لابن قدامة، عبدالله بن أحمد. (ت ٦٢٠هـ). تحقيق د/ عبدالله التركي، د/ عبدالفتاح الحلو. ط الأولى ١٤١١هـ، نشر دار هجر بالقاهرة.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام، جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ). تحقيق د/ مازن المبارك، ومحمد علي حمدالله. ط الخامسة ١٩٧٩هـ، نشر دار الفكر، بيروت.
- المغني في ضبط أسماء الرجال. لمحمد طاهر الهندي. (٩٨٦هـ). نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٢هـ.
- مفتاح دار السعادة. لابن قيم الجوزية.
  - نشر زكريا علي يوسف، طبع مطبعة الإمام بالقاهرة.
  - طبع دار الفكر بدمشق، ١٤٠٢هـ توزيع دار نجد.
- المقاصد الحسنة للإمام السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، تصحيح وتعليق عبد الله عبد اللطيف وعبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري، علي بن إسماعيل. تصحيح هلموت ريتر، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الثالثة.
- الملل والنحل للشهرستاني الإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم. طبع دار المعرفة، بيروت الطبعة الثالثة ١٣٩٥هـ.
- منادمة الأطلال. لعبدالقادر بن بدران. (ت ١٣٤٦هـ). ط الثانية ١٣٧٩هـ. نشر المكتب الإسلامي، دمشق.
- منازل السائرين. للهروي، أبى إسماعيل عبدالله بن محمد، (ت ٤٨١هـ). نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية. تعليق عبدالرحمن دمشقية. ط الأولى ١٤٠٨هـ، نشر دار طيبة بالرياض.
- مناقب الإمام أحمد. لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي. (ت ٥٩٧هـ). تحقيق د/ عبدالله التركي، ط الأولى ١٣٩٩هـ. نشر مكتبة الخانجي بمصر.
- منال الطالب في شرح أطوال الغرائب. لابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات، المبارك بن محمد. (ت ٦٠٦هـ). تحقيق د/ محمود الطناحي. نشر جامعة أم القرى بمكة المكرمة.
- المنجد في اللغة والأعلام. ط التاسعة والعشرون، نشر دار المشرق، بيروت.
- المنتخب. لعبد بن حميد (ت ٢٤٩هـ). تحقيق مصطفى شلباية، ط الأولى ١٤٠٨هـ، نشر مكتبة ابن حجر بمكة المكرمة.
- المنتظم لابن الجوزي. أبي الفرج عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ). ط الأولى، نشر دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد في الهند سنة ١٣٥٧هـ.

- المنتقى من السنن المسندة. لابن الجارود (ت ٣٠٧هـ). نشر دار الكتب الإسلامية، لاهور، الباكستان.
- المنتقى من المعجم الكبير. للطبراني. مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق ضمن مجموع تحت رقم (٧١).
- منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود. ترتيب أحمد البنا الشهير بالساعاتي. ط الثانية، ١٤٠٠هـ، نشر المكتبة الإسلامية، بيروت.
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية. لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق د/ محمد رشاد سالم. ط الأولى ١٤٠٦هـ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- المنهج الأحمد في تراجم الإمام أحمد. لعبدالرحمن العليمي. (ت ٩٢٨هـ). تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. ط الثانية ١٤٠٤هـ نشر عالم الكتب بيروت.
- الموافقات في أصول الشريعة ، للشاطبي، إبراهيم بن موسى، طبعة دار المعرفة، بيروت.
- المواقف في علم الكلام. للقاضي عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الأيجي (ت ٧٥٦هـ).
  - نشر عالم الكتب، بيروت.
  - عالم الكتب، بيروت، توزيع مكتبة المتنبي بالقاهرة ومكتبة سعد الدين بدمشق.
- الموسوعة الحديثية، مسند الإمام أحمد بن حنبل، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الموسوعة الفلسفية. تأليف د/ عبدالمنعم الحفني. ط الأولى نشر دار ابن زيدون، بيروت.
- الموضوعات. لابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ). تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان. ط الثانية ١٤٠٣هـ نشر دار الكتب، بيروت.
- موطأ الإمام مالك. تصحيح وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي. طبع دار الشعب بمصر.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال. للذهبي. تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، توزيع عباس أحمد الباز.
- نظرات وتعقيبات على ما في كتاب السلفية من هفوات، لمحمد سعيد رمضان. للدكتور صالح بن فوزان الفوزان.
- نقد مراتب الإجماع مع (مراتب الإجماع لابن حزم) لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم دار الآفاق الجديدة، الطبعة الأولى ١٣٧٨هـ، بيروت.
- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب. لابن الخطيب حفيد المقري. (ت ١٠٤١هـ). تحقيق إحسان عبدالقدوس. نشر دار صادر، بيروت، سنة ١٣٨٨هـ.
- النكت الظراف. لابن حجر العسقلاني المطبوع من تحفة الأشراف للمزي. تحقيق عبدالصمد شرف الدين، ط الأولى. نشر الدار القيمة بالهند.
- النكت والعيون (تفسير الماردوي) مراجعة سيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم. ط الأولى ١٤١٢هـ. نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

- نهاية العقول للرازي. تحقيق محمود محمد شاكر. طبعة دار الفكر ١٤٠٢هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير. تحقيق محمود الطناحي. نشر المكتبة الإسلامية.
- الوابل الصيب لابن القيم، مكتبة المؤيد، الطائف ١٣٩٣هـ.
- الوافي بالوفيات. للصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٩٤هـ). ط الثانية ١٣٩٤هـ بعناية س. ديدرينغ نشر دار فرانز شتاينر بفيسبادن.
- الوافي بالوفيات للصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك الطبعة الثانية ١٤٠١هـ بعناية هلموت ريتر دار النشر فرانز شتايز بفيسبادن.
- الوسيط لعلي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ).

- جزء منه بتحقيق أحمد الطريقي، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة، مقدمة لقسم التفسير بكلية أصول الدين بالرياض.

- جزء آخر، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة مقدمة للقسم نفسه من حمد البدر

* * *

فهرس الموضوعات

* * *